ثورة ٢٣ يوليو

الجزء الثانى

خريف عبد الناصر
غروب يوليو
شهود ثورة يوليو

أحمد حمروش



ثورة ٢٣ يوليو

الجزء الثاني

- خريف عبد الناصر
- غروب يوليو
- شهود ثورة ٢٣ يوليو

أحمد حمروش



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

خريف عَبد الناصر

الاهـداء

الى كل من أيد جمال عبد الناصر
أو عارضه ·· حيا ·

وكل من بكاه أو هاجمه ·· ميتا
والى الأجيال الجديدة التى لم تعش
فترة عبد الناصر ··

ولكنها سوف تملك فى المستقبل ··
الكلمة فى حكم مصر

مقدمة

أكاد أشعر اليوم أنى قد أديت بعض الواجب نحو ثورة يوليو ، عندما انتهيت من كتـــابة الجزء الخامس (خريف عبد الناصر) ··· وبه تكتمــــل قصـــة عبد الناصر مع الثورة ··· ولكن قصة الثورة نفسها لم تكتمل بعد ·

والمحاولة فى هذا الكتاب تتعرض أساسا للقضية الوطنية التى تعرضت لعديد من الهجمات منذ وثبت الحركة العسكرية الى السلطة ، واتخذت تحت قيادة جمال عبد الناصر مســـارا وطنيا وقوميا تقدميا ·

وركيزة الهجمات كانت اسرائيل الدولة التى زرعت فى الأرض العربيـــــة عام ١٩٤٨ ثم تحـــولت مع الوقت ومع مساعدات الدول الامبريالية انجلترا وفرنســـا ثم الولايات المتحدة الى مجتمع عسكرى متوثب لأداء دور رجل الشرطـة فى المنطقة ·

وأصبحت المشكلة الفلسطينية من هموم أى نظام عربى فرضت نفسهـــا على قادة ثورة يوليو الذين حرصـــوا منذ البداية على عدم التورط فى معركة مع اسرائيل قبل أن تتوطد أقدامهم فى مصر ، ويتم جلاء قوات الاحتلال البريطانية عن منطقة قناة السويس ·

وارتفع فى هذه المرحلة شعار (السلام والصلح) بين مصر واسرائيل ··· وتمت اتصالات سرية بين قادة ثـــورة يوليو وبين حكومات اسرائيل فى محاولة لاستقرار الأوضاع فى المنطقة والتفرغ لبناء المجتمعات على أسس عصرية ·

ولكن حكومات اسرائيل أثبتت خلال هذه الاتصالات التى يكشف هـــذا الكتاب كثيرا من أسرارها ، انهـــا لا تريد الســلام ... ولعبت المؤسســة العسكرية الاسرائيلية دورا بارزا فى تحطيم اتصــالات الســلام وأيضـــا فى تحطيم الشخصيات السياسية الاسرائيلية التى لجـــأت الى هـــذا الســبيل .

وتأكدت هذه الحقيقة عندما اشتركت اسرائيل فى غزو مصر مع الدولتين الكبيرتين فرنســـا وانجلترا عام ١٩٥٦ قبل أن تمضى خمسة أشهر على جلاء آخر جندى بريطانى عن أرض مصر .

وبدأت منذ هذه اللحظة صفحة توتر جديدة فى حيــاة ثورة يوليو ... تفرض نفسها على كافة الأحداث ... لأنها أثبتت أن فى اسرائيل قوة معادية تتحرك فى تناسق تام مع الامبريالية لضرب النظام الوطنى التقدمى فى مصر الذى لم يقبل الركوع وأصر على تثبيت الاستقلال الوطنى واشــعال روح القومية والعمل من أجل الوحدة العربية وبنــاء المجتمع الاشتراكى .

وكان عدوان يونيو ١٩٦٧ الذى انزلقت ثورة يوليو الى مصيدته التى أعدتهــا فى اتقان أجهزة الصهيونية التوسعية والمخابرات الأمريكية .

ويسلط هذا الكتــاب الضوء على هذه الفترة الهامة من تاريخ شعبنا التى أعقبت الهزيمة القاسية والتى أصر فيهــا الشعب على تثبيت جمال عبد الناصر فى موقعه قائدا وزعيما رغم فداحة الهزيمة وما كشفته من أخطاء وانحرافات لبعض رجال الثورة وقادتها .

ويظهر الكتاب الدور الخطير الذى لعبه جمال عبد الناصر منذ ١١ يونيو ١٩٦٧ عندما عاد بعد التنحى تحت ضـــغط الارادة الشعبية وليست هناك قوات مسلحة يمكن أن تحول بين الجيش الاسرائيلى وبين الوصول الى القاهرة .

مسئولية خطيرة لا يتحملهــا الا زعيم وطنى قادر على الاستفادة من أخطائه وتجاربه ، متمرس على المقاومة ، مخلص لشعبه ، مدرك لحقائق اللعبة السياسية مستفيد الى أقصى حد من علاقاته الدولية ، مؤمن بدور القوة العسكرية واثق من أن المستقبل مع حرية الشعوب .

نهض جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة بما يعجز عنه الانسان الفرد ... وحقق بعض ما يعتبر من الأحلام ... ووصل بالقوات المسلحة الى حرب الاستنزاف التى يضىء هذا الكتاب جوانبها الرائعة التى تستحق تمجيد التاريخ وفخر الشعب .

وبينما كان جمال عبد الناصر على قيد خطوة من النصر ... وعلى بعد أسابيع من تنفيذ خطة الدفاع ٢٠٠ لتحرير كافة الأرض المحتلة .. وعقب أيام من قبول مبادرة روجرز التى قبلها لدفع الصواريخ الى ضفة القنال الغربية استعدادا للهجوم الشامل ... شاء القدر أن يختطفه من شعب مصر ومن الأمة العربية ، وأن ينهى دوره التاريخى ، وأن تكتب الكلمة الأخيرة لزعامته الحية فى قصة ثورة ٢٣ يوليو .

مات جمال عبد الناصر فى الخريف ــ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ــ وفى خريف العمر أيضا ــ ٥٢ عاما .

مات ... وهو فى قمة الأداء وروعة العطاء .

مات ... قبل أن تكتحل عيناه بالأرض المحررة ... وقبل أن يقلده الشعب أكاليل النصر .

مات ... ولكن دوره لم يمت ... ولن يموت .

أحمد حمروش

الباب الأول

مصر واسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧

(اسرائيل ؟ نحن لا نتحرش باحد ، شريطة الا تسعى اسرائيل للخروج من حدودها)
صاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومى فى حديث مع الصحفى الفرنسى بيير دى بيتمان عام ١٩٥٣

الفصل الأول

ثورة يوليو واسرائيل

(ليس صحيحا ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحا كذلك انها قامت بسبب الأسلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد عن ذلك عن الصحة ان يقال ان السبب كان فى ازمة انتخابات نادى الضباط ٠٠ ان الأمر فى رايى كان ابعد من هذا واعمق اغوارا) ٠٠

جمال عبد الناصر ـ فلسفة الثورة

كانت حرب فلسطين سببا من الأسباب الرئيسية التى دفعت الى تنظيم الضباط الأحرار الذى قاده جمال عبد الناصر بعد انتهاء القتال ، وتوقيع الهدنة عام ١٩٤٩ ، وظهور اسرائيل قسرا كدولة جديدة غير معترف بها فوق أرض الوطن العربى ٠

تم اندفاع الجيش المصرى الى حرب فلسطين بغير حسابات دقيقة ، وبتغيير مفاجىء فى موقف رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى ، بعد أن صدر قرار الملك فاروق للجيش بالتحرك ٠

عندما عرض النقراشى الموضوع فى مجلس الشيوخ سأله فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد ـ كما قال لى ـ (هل قدرت موقف الانجليز ووعد بلفور ؟) ٠

وكان جواب النقراشى غريبا ومعبرا فى نفس الوقت اذ قال :

ـ أنا أحب أطمئنك على أن الانجليز أيضا ٠٠ هم الذين يشجعوننى على ذلك !!

وهكذا زال تردد النقراشى الذى عبر عنه فى البداية ٠٠ بتشجيع الانجليز وأوامر الملك ٠

وانتقل الجيش من حالة الجمود والسكون التى فرضها الاستعمار البريطانى بعد توقيع اتفاقية السودان عام ١٨٩٩ واستمرت نصف قرن ، الى حالة الحركة والحرب ٠

قال الفريق عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش للضباط وهو يودعهم ٠

ـ انكم تدخلون نزهة فى فلسطين !

وكان الجيش بعيدا تماما عن تشكيلات الحرب ٠٠ كل سلاح منفصل بذاته ، وليست هناك مجاميع للقتال ، والأسلحة متخلفة ، ولا توجد مناورات ٠

والتقدم النسبى الوحيد كان قاصرا على أسلحة الدفاع الجوى والمهندسين التى شاركت الى حد ما فى خطة الدفاع عن مصر أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

كانت طوابير الجيش لا تخرج الا لتوديع المحمل وهو فى طريقه الى مكة ، أو لتشييع الجنازات العسكرية ٠٠ وفيما عدا ذلك كانت أسوار الثكنات مغلقة على الجنود فى حياة رتيبة قاسية ٠٠ مدة التجنيد خمس سنوات ٠ ومرتب الجندى ٥٤ قرشا فى الشهر فقط ، يتناول وجبات العدس مرتين كل يوم ، وثلاث مرات فى الأيام الثلاثة التى لا يباع فيها اللحم !

تغير واجب الجيش فجأة ٠٠ فأصبح للقتال ، بعد ان كان يستخدم أحيانا كأداة للقمع والارهاب ضد الحركات الوطنية ، مثلما حدث فى تزييف أحزاب الأقلية للانتخابات لحرمان الوفد من التعبير عن ارادة الشعب ، وفى استخدام اسماعيل صدقى له كقوة طوارىء احتياطية لقمع مظاهرات الطلبة والعمال عام ١٩٤٦ ، وفى القيام بأعمال البوليس عندما قام ضباط البوليس باضرابهم الشهير عام ١٩٤٧ الذى اعتصموا فيه بحديقة الأزبكية بالقاهرة ٠

كان التغيير مفاجئا وغير مدروس ٠

أطلق الجنود فى العريش يوم ٦ مايو ١٩٤٨ طلقات رصاص بلغت ١٠٠ر٠٠٠ طلقة دون أى انضباط أو سيطرة ، تحت وهم هجوم للصهيونيين على المدينة لأنهم لم يدربوا على القتال من قبل ٠

قال لى ذلك أحد ضباط الكتيبة الأولى مشاة محمد أحمد البلتاجى عضو مجلس الشعب ، ومحافظ الجيزة الأسبق ، وهو يروى لى صورة دخول كتيبته الى فلسطين يوم ١٥ مايو باعتبارها مقدمة للجيش ٠

(دخلت الكتيبة فى عربات أتوبيس أحضرها مقاول أنفار اسمه (بامية) ، وعبرت الحدود فى الخامسة فجرا ثم توقفت حوالى العاشرة صباحا وهم فى الطريق الى غزة أمام بعض طلقات من جيب صهيونى فى كفار دروم ٠٠ ولم تدخل غزة الا فى السابعة مساء بعد الغروب) ٠

لم تكن هناك خرائط عسكرية ٠٠ وكل المعلومات هى ما توافرت من دراسة تاريخ المعارك فى الحرب العالمية الأولى ٠٠ والاعتماد فى الحركة والتوجيه كان على سؤال الفلسطينيين ٠

وفى استجواب قدمه فؤاد سراج الدين فى مجلس الشيوخ الذى كان يضم ٢٠ وفديا ، ١٣٨ من أنصار الحكومة ، ونظر فى جلسة سرية ، أثناء الهدنة الأولى ، قال سراج الدين للنقراشى انه تبين منذ الأيام الأولى ان الجيش لا تتوافر عنده الحملة الكافية ، وان الحكومة تستولى على وسائل النقل المدنية لحساب الجيش ٠

وتبين من رد النقراشى انه رفض اقتراحا لنورى السعيد بتشكيل قيادة مشتركة تتولى مصر قيادتها بدعوى (انه لا يتحمل متاعبهم ، ولا يضع رقبته فى أيديهم) !!

لم يقرر المجلس عدم الثقة بالحكومة ٠٠ وأطال حبال الصبر ٠

وقد أجبرت الظروف محمود فهمى النقراشى على مصارحة الملك عبد الله ملك شرقى الأردن أثناء اجتماع زعماء العرب فى شتورا بلبنان بأن الجيش العربى قد تخلى عن واجبه ٠

ومن علامات الارتجال أيضا ان حيدر باشا قائد الجيش قد طاب أثناء حضوره اجتماع مجلس الوزراء قبل ١٥ مايو ضرب تل أبيب بالقنابل لوجود الزعماء الصهيونيين هناك !

ولكن هذه الصورة لا تشمل كل ضباط الجيش المصرى ، ولا تعبر تعبيرا كاملا عن روح النضال التى كانت كامنة فى صدور بعضهم ٠

تطوع بعض الضباط فى حرب فلسطين ، مدفوعين أساسا بروح وطنية وصلات خاصة مع الاخوان المسلمين الذين كانوا من أكثر التنظيمات نشاطا فى الدعوة للحرب تحت شعار التعاون الاسلامى ٠

وكانت هذه الظاهرة ردا حاسما على بعض الذين تصوروا ان الجيش

هو هؤلاء الضباط الكبار الخاضعون خضوعا مطلقـا للسراى ، مترهلو الكروش ، جامدو العقلية ، البعيدون تماما عن أية روح ثورية ٠

ومنذ اللحظة الأولى فى القتال ، أثبت الجنود والضباط انهم ورغم نقص الأسلحة والتدريب والوعى بطبيعة الحرب ـ لم تكن تنقصهم روح البذل والتضـحية ٠٠ واستشهد الكثيرون من الجنود والضــباط وهم يحاربون ببسالة نادرة ٠

وخلال القتال توهج الوعى ، واكتشف البعض ان خللا ما فى القاهرة هو الذى وضعهم فى هذه المأساة ٠٠ وكانت هذه هى بداية نسج خيوط تنظيم الضباط الأحرار ٠

وكانت بريطانيا ترقب المعارك وقواتها تحتل مصر ٠٠ وهى فى رضا تام عن كل ما يدور فوق أرض فلسطين ٠

مصر تستهلك أرصدتها الاسترلينية التى كانت تدين بها بريطانيا خــلال الحرب العالمية الثانية والتى بلغت حوالى ٤٠٠ مليون جنيه ٠٠ معسكرات الاعتقال فتحت فى ضاحية (هاكستيب) اسم المعسكر السابق للجيش الأمريكى ـ وضـــمت الوطنيين والشيوعيين الذين قادوا حركة الجماهير منذ عام ١٩٤٦ ، حيث تزايدت المظاهرات واضرابات الطوائف ، واشـــتعل الصراع الطبقى ، وتجسمت العداوة للاستعمار البريطانى ٠٠ والجيش المصرى يتعرض لضربات وهزائم ، تحولها الصحافة الى انتصارات ، ولكنها تكسر أفئدة الجنود وصغار الضباط ٠٠ والأحكام العرفية تؤدى دورها فى خدمة الاستعمار والسراى وأحزاب الأقلية ٠

ليس هذا فقط ، بل ان بريطانيا كانت تحرك اتباعها فى الدول العربية لتنفيذ مخطط يستهدف الحاق العار بجيش مصر ٠

خـلال حصـار القوات المصرية فى الفالوجا ، تقدمت شرقى الأردن بمشروع أعده جلوب لفك حصـــار القوات ٠٠ ويقضى بأن تقوم القوات العراقية والأردنية بهجوم يشغل الاسرائيليين بينما تدمر القوات المصرية أسلحتها الثقيلة ، وتتسلل هاربة على الأقدام خلال طريق سرى فى الصحراء يعرفه ضابط بريطانى من ضباط جلوب ٠

رفضت القيادة المصرية اقتراح جلوب لما يحيط بصاحبه من شكوك ٠٠ وطلبت الى الضباط والجنود المصريين أن يدافعوا حتى آخر طلقة ٠

وكان جمال عبد الناصر واحدا من ضباط هذه القوة المحاصرة ٠٠ الذين رفضوا الانسحاب ٠

وقال جمال عبد الناصر لزملائه ان الانســحاب من الفالوجا يضعف المفاوض المصرى فى مفاوضات رودس التى أسفرت عن اتفاقية الهدنة ٠

بقيت القوات المصرية محاصرة ، تقاوم فى صمود وشـــجاعة ٠٠ وفشلت خطة ايقاعها فى كمين مشروع جلوب ــ الذى جاء فى كتاب صهيونى صدر بعد الحرب ــ ان اسرائيل كانت على علم بالخطة وانها كانت تنتظر القوات المصرية لابادتها ٠

ولم تدمر الأسلحة المصرية الثقيلة ، لتكسب بريطانيا من وراء ذلك ، ضعفا لقوات الجيش ، وشراء لأسلحة جديدة باعتبارها المصدر الرئيسى لتسليح الجيش ٠

كانت المرارة التى استولت على قلوب رجال الجيش من هزيمة قواتهم راجعة الى نظام الحكم فى مصر ، حيث كانت للاستعمار اليد العليا فى تحريك الأمور ٠٠ واكتشف الأذكياء منهم الدور الذى لعبته السياسة البريطانية فى دفع الجيش للقتال ، واكتشفوا أيضا ان الذين أثاروا قضية فلسطين على أساس روح التعصب الدينى قد قدموها للجماهير بشـكل خاطىء وضار ٠

اسرائيل وحركة الجيش :

ونضجت الظروف لقيام تنظيم موحد بين رجال الجيش ، وظهرت المنشورات الأولى للضباط الأحرار ، تأكيدا لقيام جبهة من الضباط المنتمين لتنظيمات مختلفة ٠٠ الاخوان المسلمين والشيوعيين ومصر الفتاة والمستقلين٠

ركزت منشورات الضباط الأحرار على القضية الوطنية ، والفســاد الذى استشرى فى الجيش والمجتمع ٠٠ ولم تتعرض لمشكلة زرع اسرائيل كدولة عنصرية فى أرض الوطن العربى ٠

والأهداف الستة للضباط الأحرار انطوت أساسا على مشاكل مصرية محلية تستهدف القضـــاء على ثـلاثة ٠٠ الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين ثم الاقطاع وأخيرا الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ٠٠ وتستهدف اقامة ثلاثة ٠٠ عدالة اجتماعية وجيش وطنى قوى وحيــاة ديموقراطية سليمة ٠٠ ولم تذكر شيئا عن أخطار الصهيونية التوسعية ، ولم تتحدث عن موقف معين تجاه اسرائيل ٠

وعندما انتصرت حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو انشـــغلت بتحقيق أهدافها (المصرية) وواجهت من القضايا والمشاكل ما استنفد طاقة قادتها الشبان ، ولم يكن هناك وقت أو تطلع الى ما يدور خلف الحدود ٠

عبر جمال عبد الناصر عن ذلك فى كتابه الذى سجل فيه خواطره واصدره باسم (فلسفة الثورة) ٠٠ اذ قال :

(ليس صحيحا ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى أسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحا كذلك انها قامت بسبب الأســلحة

الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال ان السبب كان أزمة انتخابات نادى ضباط الجيش .

انما الأمر فى رأيى كان أبعد من هذا وأعمق أغوارا) ..

ويجسد جمال عبد الناصر أفكاره المعبرة عن هذا الاتجاه قائلا :

(كنا نحارب فى فلسطين ، ولكنْ أحلامنا كلها كانت فى مصر ..

وكان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض أمامنا فى خنادقه ، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه) ..

ويستطرد جمال عبد الناصر قائلا : انه وجد من خبرته وتجربته فى فلسطين ان مصر (فالوجا أخرى على نطاق كبير) .

ويروى ما كتبه ضابط اسرائيلى اسمه (يردهان كوهين) فى جريدة (جويش أوبزرفر) كبرهان على صحة ما يقول ، فقد كتب الضابط الاسرائيلى الذى ذكر انه التقى بجمال عبد الناصر أثناء مباحثات واتصالات الهدنة قائلا :

(لقد كان الموضوع الذى يطرقه جمال عبد الناصر معى دائما هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز ، وكيف نظمنا حركة مقاومتنا السرية لهم فى فلسطين ، وكيف استطعنا أن نجند الرأى العام فى العالم وراءنا فى كفاحنا ضدهم) .

ولم يكن جمال عبد الناصر هو الوحيد من قادة الضباط الأحرار الذى شارك واستبسل فى حرب فلسطين .. زكريا محيى الدين كان معه فى الفالوجا ، وكمال الدين حسين كان من أول المتطوعين ، وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر ، كانا فى قيادة القوات ، وقد قتل القائمقام أحمد عبد العزيز الذى كان من أوائل المتطوعين أيضا وهو يركب بجوار صلاح سالم فى عربة جيب .. واشترك ضباط الطيران ، عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم فى القتال ، وتعاونوا مع فوزى القاوقجى .. وأغلبية الضباط الأحرار كان لهم دور فى حرب فلسطين وكثير منهم حصلوا على أوسمة للبطولة والشجاعة .

أما محمد نجيب الذى عين بعد الحركة رئيسا لمجلس قيادة الثورة ورئيسا للجمهورية ، فقد كان من أبطال حرب فلسطين .. جرح ثلاث مرات وأمضى ٣٩ يوما فى مستشفى القنال ثم العجوزة ، وتولى فى عهد قيادة اللواء أحمد فؤاد صادق قيادة المجموعة الضاربة من اللواءين العاشر والرابع مشاة ، وكان عبد الحكيم عامر قد عين أركان حرب هذا اللواء ، ويوسف صديق الذى كان فى احدى كتائب المقدمة ولم يعد للقاهرة الا بعد أن أصابه نزيف الرئة .

كان رأى محمد نجيب فى هذه الحرب الا تكون صداما بين جيوش نظامية ، وانما تكون قتالا شبيها بحرب العصابات التى يقوم بها المتطوعون فى مواجهة العصابات الصهيونية ٠

ولم تصدر تصريحات عدوانيـة ضد اسرائيـل فى سنوات الثورة الأولى ٠

عندما زار محمد نجيب غزة فى ٢٣ أغسطس ١٩٥٢ اكتفى بتمنى (الاستقلال لفلسطين) ٠

وقال صـلاح سـالم فى حديث مع الصحفى الفرنسى بيير دى بشمان (اسرائيل ؟ نحن لا نتحرش بأحد ، شريطة الا تسعى اسرائيل للخروج من حدودها) ٠

وأذاعت اذاعة قبرص التى كان يشرف عليها البريطانيون ان المباحثات مع جون فوستر دالاس التى تمت فى مايو ١٩٥٣ لم تتنـاول قضية فلسطين ٠

وفى الاحتفال بالعيد الأول للحركة ٢٣ يوليو ١٩٥٣ قال صلاح سالم فى مؤتمر صحفى حضره محمد نجيب وجمال عبد الناصر الذى بقى صامتا حيث كانت قد أجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية ٠٠ قال صلاح سالم (ان مصر ترفض الشرط الذى تضعه بريطانيا للانضمام الى حلف دفاعى لأن ذلك يشمل بريطانيا التى يجب ان تسوى خلافاتنا معها حول السويس ، واسرائيل التى لا نزال فى حالة حرب معها من الوجهة الفنية بسبب أرض محتلة ومتنازع عليها) ٠

المشكلة مع اسرائيل لم تصبح بعد ملفا فى ادراج المحفوظات ٠٠ ولكنها أيضا ليست قضية ملتهبة ، ولا تسجل أحاديث وتصريحات قادة الثورة هجوما على اسرائيل ولا رغبة فى تدميرها ٠

ولعل الضباط الأحرار كانوا يعملون ـ كما يقول جان لاكوتير فى كتابه عبد الناصر ـ بشعار غامبيتا حول الالزاس واللورين (لنفكر فى ذلك باستمرار ، ونمتنع عن الكلام فيه) ٠

وفى الجانب المقابل وجه بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل تحية لحركة الجيش فى اليوم التالى لانتصـارها متمنيا النجاح للواء محمد نجيب ٠

وفى ١٨ أغسطس ١٩٥٢ جاهر رئيس حكومة اسرائيل بسياسـة الانفتاح على مصر (الجديدة) ، وراحت صـحافة تل أبيب تتحدث عن امكانية تحقيق السلام ٠

وكانت جريدة المصرى قد نشرت يوم ١٤ مارس ١٩٥٢ تقول ان موشى شاريت وزير خارجية اسرائيل يبذل مساعى لدى أنطونى ايدن لتحقيق أمنيته فى الوصول الى صلح بين اسرائيل والدول العربية ، لاعتقاده ان هذا يخلق صلة رسمية بين بلاده ودول الشرق الأوسط ٠

كان هذا امتدادا لما سبق ان أعلنه وزير الخارجية الوفدى محمد صلاح الدين فى هيئة الأمم بنيويورك عام ١٩٥٠ عندما قال (ان مستر اتشيسون يعرب عن رأى جميع الوفود العربيـة الأخرى حين يقول ان الحكومات العربية تود ان توقف الولايات المتحدة مساعيها لدى هـذه الحكومات لعقد الصلح مع دولة معتدية ضربت عرض الحائط بجميع قرارات الأمم المتحدة) ٠

ولكن أحمد الشقيرى يقترح ان تجرى محادثات بين اسرائيل والدول العربية تحت اشراف الأمم المتحدة ٠

فرصـــة ســـلام :

انتصـــار حـركة الجيش المصرى يفتح صفحة جديدة فى العلاقات العربية ـ الاسرائيلية ٠٠ وتصريحات المسئولين من الجانبين تتسم بالهدوء والحرص على عدم التورط فى موقف عدوانى ٠

وفى هذا الجو الهادىء تجاوزت الأمور حـــدود التصريحـات الى الاتصالات السرية أو شبه العلنية ٠

يقول جان لاكوتير فى كتابه (عبد الناصر) ان الصحافة الاسرائيلية وبصفة خاصة جريدة (ها آرتس) كانت تتحدث عن امكانات الحل السلمى (مستندة الى مواقف لمحمود فوزى سفير مصر فى لندن فى ذلك الوقت والى محمد نجيب نفسه الذى قيل انه اعترف فى مجالسه الخاصـــة بوجود اتصالات سرية) ٠

ويقول جان لاكوتير الذى عمل هو وزوجته سيمون مندوبين للصحافة الفرنسية فى مصر خلال سنوات الثورة الأولى (من المؤكد أنه فى نهـاية عام ١٩٥٢ دارت اتصالات بين ممثلين شبه رسميين عن كلا البلدين لكنها لم تدم طويلا) ٠

ويشير لاكوتير الى حـديث تم مع بن جـوريون غداة وفاة جمـال عبد الناصر صرح فيه بن جوريون بقوله : (نجيب كان شـخصا ممتازا وكان ذكيا وناعما واعتقد انه كان بامكاننا أن نعقد صلحا معه) ٠

ولكن محمد نجيب قد أكد لى أنه لم تجر معه أية اتصـالات سرية للصلح مع اسرائيل ٠٠ ومع هذا فانه رغم اصابته ثلاث مرات في حرب

فلسطين لم يكن عنيفا فى موقفه من اسرائيل ، وشغلته مثل بقية زملائه قضية تحرير مصر من جنود الاحتلال البريطانيين ٠

ولم تعرف حركة الجيش موقف العداء من اليهود المصريين مطلقا ، فقد ذهب أحمد أنور قائد البوليس الحربى ـ على سبيل المثال ـ مندوبا عن اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية فى ٢ نوفمبر ١٩٥٢ لحضور افتتاح محلات شيكوريل فى شارع ٢٦ يوليو أو ـ فؤاد سابقا ٠٠

ويذكر التاريخ ان عددا من الرأسماليين اليهود المصريين أمثال شيكوريل ومزراحى و ٠٠ كانوا ضد الصهيونية لما كانت تمثله أحلامها من خطر على مصالحهم الخاصة ٠

ويؤكد هذا الاتجاه ما نشرته مجلة دير شبيجل الألمانية فى عدد ١٩ ديسمبر ١٩٦٦ عندما قالت (لقد كان انتصار الألمان المعادين للسامية مصدر فرحة غير عادية للصهاينة ، فقد اعتبروا ذلك هزيمة لليهود الغربيين المتنورين الذين لم يعيروا الصهيونية أى اهتمام وفضلوا ان يتطوروا وسط الأمم الأخرى) ٠

الفترة الأولى للثورة تبدو مناسبة تماما لحل مشكلة اسرائيل بطريقة سلمية ، ولكن مجلس قيادة الثورة لا يستطيع أن يقفز فوق قضية التحرير والجلاء ، ولا يستطيع أن يهمل مشكلة شعب فلسطين ٠٠ ومع ذلك فهناك اتصالات تتم فى سرية ٠٠ تستهدف توضيح وجهات النظر وصولا الى السلام لشعب فلسطين وللمنطقة ٠

ساعد على ذلك وجود موشى شاريت وهو يهودى شرقى فى موقع المسئولية ، وحرصه على وجود علاقة طيبة مع العرب ، ضمانا لأمن اسرائيل ٠

كان موشى شاريت وزيرا لخارجية اسرائيل الى أن خلف بن جوريون رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٥٤ وكان معارضا لاتجاهاته الاستفزازية الرافضة للحلول الوسطية مع العرب ، والتى أدت الى هجوم اسرائيلى على معسكر للاجئين الفلسطينيين فى غزة فى أغسطس ١٩٥٣ ومصرع ٢٠ عربيا وجرح ٦٠ منهم عدد كبير من النساء والأطفال ثم هجوم اسرائيلى آخر فى أكتوبر ١٩٥٣ على قرية (كيبية) الأردنية ومصرع ٦٢ شخصا من غير المقاتلين ٠

ولذا كان فى تعيين موشى شاريت رئيسا للوزراء بادرة أمل فى الوصول الى حل سلمى معقول ٠

قال لى ثروت عكاشة انه كان يلتقى ببعض الاسرائيليين أثناء عمله ملحقا عسكريا فى باريس ـ ضمن اتصالاته العديدة التى يفرضها عليه منصبه ـ وأنه فهم منهم ان الفرصة متاحة لوجود حل سلمى وخاصة بعد

وصول شاريت لمنصب رئيس الوزراء٠٠وقد استمرت هذه الاتصالات خلال ثروت وغيره من الرسميين فى سفارة مصر ، وخاصة عبد الرحمن صادق المسئول عن المكتب الصحفى ٠

ولم تكن اتصالات ثروت عكاشة بالاسرائيليين وحدهم ،ولكنه كان يتصـــل ايضا ببعض الشـيوعيين المصريين من اليهود الذين اخرجوا من مصر ، وعلى رأسهم هنرى كورييل ٠

لعبت هذه المجموعة دورا بارزا فى امداد ثروت عكاشة بالمعلومات ، والسعى لتقريب وجهات النظر والوصول الى حل سلمى لمشـكلة الشرق الأوسط ، وقد استمرت علاقة ثروت عكاشة بهذه المجموعة سنوات طويلة حتى بعد أن عين سفيرا لمصر فى ايطاليا ، ثم وزيرا للثقافة ٠

وفى مجال الوصول الى سلام عادل وحقيقى تحرك أيضا المناضـــل المصرى البارز يوســف حلمى المحامى عضو اللجنة العليا للحزب الوطنى الجديد ثم عضو الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) الذى غادر مصر بعد الافراج عنه عقب اعتقاله عام ١٩٥٣ وكان سكرتيرا عاما للمجلس المصرى للسلام ٠

وفى باريس تشكلت لجنة عربية اسرائيلية عام ١٩٥٤ ضمت يوسف حلمى ودكتور مراد خلاف ، والكاتب الاسرائيلى آموس كينان ، وابل لابيل عضو تنظيم (ماتسبين) فيما بعد ٠٠ واتصل يوسف حلمى بوزير الصحة الاسرائيلى مازربلاى العضو فى مجلس وزراء موشى شاريت ٠

ورغم اختيار يوسف حلمى البقاء فى باريس فى ظروف معيشـية قاسية الا انه كان على صلة أيضا بثروت عكاشة ، يناقش معه القضـــية المصرية الاسرائيلية ، ويكتب له وجهة نظره الهادفة الى تحقيق الســلام لرفعها الى المسئولين ٠

وتجاوب يوسف حلمى فى ذلك مع رأى مجلس السلام العالمى الذى صرح أحد قادته البارزين انطوان ثابت رئيس مجلس السلم اللبنانى عقب اجتماعه فى بودابست خلال يونيو ١٩٥٣ بقوله :

(لقد عاش العرب واليهود بسلام حينما لم يثر المستعمرون النزاع بينهم وسيعيشون بسلام اذا منع تدخل الأجنبى) ٠

كمـا صرح المندوب السوفيتى فى مجلس الأمن أندريه فيشنسكى بقوله فى ابريل ١٩٥٤ : (لقد تجاهلت الدول الغربية القضايا الرئيسية٠٠ وهذا يدل على ضرورة ايجاد حل سريع لقضية فلسطين فهذه قضية تؤدى الى نزاعات وعدم تفاهم مما يعكر العلاقات ويعقد الوضـع فى المنطقة ٠٠ ان هذا التعقيد لا يتفق مع مصالح المواطنين الاسرائيليين والعرب المحبين للسلام) ٠

وكانت الحكومة السوفيتية قد استأنفت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل فى يوليو ١٩٥٣ بعد ان كانت قد قطعتها نتيجة لنسف بعض الأرهابيين للسفارة السوفيتية فى تل ابيب ، وذلك بعد اعتذار الحكومة الاسرائيلية وتعهدها بعدم تأييد أى حلف معاد للاتحاد السوفيتى •

وكان جورجى مالنكوف رئيس الوزراء السوفيتى فى ذلك الوقت قد صرح أمام مجلس السوفيت الأعلى عندما حاولت بعض الصحف الاستعمارية تفسير استئناف العلاقات بين البلدين بأنه موجه ضد الدول العربية بقوله :

(ان هذا الزعم لا أساس له من الصحة ، فاننا نرغب فى توطيد علاقات الصداقة مع الدول العربية) •

وكانت هناك الى جانب هذه الاتجاهات خطوات أخرى مبشرة •• فقد ساعد موقف جمال عبد الناصر المتزن على نجاح مهمة المبعوث الأمريكى اريك جونستون الذى حضر الى مصر مبعوثا من ايزنهاور عام ١٩٥٣ لحل مشكلة مياه نهر الأردن بين اسرائيل وجاراتها العربية •• وذلك خلال المفاوضات المصرية البريطانية لتحقيق الجلاء والتى كانت قد توقفت يوم ٨ مايو ١٩٥٣ •

واثناء ذلك صرح موشى شاريت فى الذكرى الخامسة لقيام اسرائيل ١٥ مايو ١٩٥٣ ، بأن اسرائيل على استعداد للانضمام الى نظام دفاعى أو اقليمى اذا عقد العرب صلحا معها •

هذا فى الوقت الذى صرح فيه تشرشل كما جاء فى جريدة المصرى يوم ١١ مايو ١٩٥٣ بأنه يريد ان يرى اسرائيل أقوى دولة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط •

ولكن قادة حركة الجيش لم يكونوا على استعداد مطلقا لقبول أى نوع من أنواع الأحلاف العسكرى •• كما ان محمد نجيب رد على تشرشل ردا غير ما نشرته الصحف فى اليوم التالى بقوله : (ان معاهدة ١٩٣٦ الملغاة فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال) •

واثناء مرور رالف بانش الأمين المساعد للأمم المتحدة بالقاهرة عام ١٩٥٣ وضع على مائدة البحث فكرة عقد صلح مقابل قطاع يسمح بربط مصر بالأردن ، مع اعطاء الاسرائيليين حق المرور الى ايلات •

ومنذ أصبح موشى شاريت رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٥٤ توقفت الأعمال العدوانية الاسرائيلية على الدول العربية المجاورة ، ولكن على غير رضا من رجال المؤسسة العسكرية الاسرائيلية •

وما ان وقعت مصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا حتى هاجت المؤسسة

العسكرية الاسرائيلية ضد سياسة شاريت السلامية ، وانفردت باتخاذ مواقف عدائية مضادة ٠

كان بن جوريون زعيم هذه المؤسسة قد خرج من منصب رئيس الوزراء مجبرا بعد ان فشلت سياسته المستفزة ، واعلن أنه سوف يعتزل فى مستعمرة (سد بوكو) المنعزلة فى صحراء النقب للتعبد والتأمل ، ولكنه اشترط أن يخلفه فى وزارة الدفاع بنحاس لافون ، وأن يكون موشى ديان رئيسا لأركان جيش الدفاع الاسرائيلى ٠٠ والاثنان من أخلص تلاميذه الأوفياء ٠

ولكن بن جوريون لم يعتزل فى الصحراء ليتعبد ويتأمل ٠٠ وانما ليراقب ويدبر ٠٠ ووضع خطته على أساس تخريب المفاوضات المصرية البريطانية بارسال فريق من العملاء فى يوليو ١٩٥٤ لتفجير القنابل فى دور سينما مملوكة للبريطانيين فى الاسكندرية ، ومكتب الاستعلامات الأمريكى ، لاظهار حركة الجيش فى مظهر العجز وعدم القدرة على تثبيت قواعد الأمن فى المجتمع ٠

ولكن المؤامرة لم تنجح وضبطت خلية العملاء التى اعترفت ، وكان ما عرف باسم (فضيحة لافون) وزير الدفاع الذى دبر العملية واعترف بدوره على بن جوريون باعتباره العقل المفكر والمدبر للمؤامرة ٠٠

ومع ذلك ظل موشى شاريت فى موقعه ، واستمرت الاتصالات به بعد أن ثبت عدم صلته بهذا الحادث بل وادانته له ولم يهدأ بن جوريون ، بل واصل تنفيذ خطته ، فأرسل فى ٢٨ سبتمبر بوساطة أتباعه فى الحكومة ووزارة الدفاع مركبا اسرائيليا (بات حاليم) يرفع العلم الاسرائيلى فى محاولة لعبور القنال ، ولكن السلطات المصرية احتجزت الباخرة واعتقلت بحارتها للتحقيق بدعوى اطلاقهم النار على مراكب صيد مصرية فى خليج السويس ٠٠ وقد استندت السلطة المصرية فى موقفها الى اتفاقية القسطنطينية التى تعطيها الحق فى ذلك ، ومع ذلك وافقت على تشكيل لجنة تحقيق دولية اثباتا لحسن نيتها ٠

ولم تفلح هذه المحاولة أيضا فى خلع شاريت من موقعه ، كما لم تفلح فى تخريب فرص البحث عن طريق السلام ٠

فى هذه الفترة مر بالقاهرة نائبان بريطانيان من حزب العمال ٠٠ ريتشارد كروسمان المعروف بميوله الصهيونية والذى ألف كتابا فيما بعد باسم (مصر وعبد الناصر) ، وموريس اورباخ الذى حضر ليدافع عن الجواسيس الاسرائيليين المعتقلين ٠

وقد استغل اورباخ فرصة وجوده فى القاهرة فجعل من نفسه وسيطا بين جمال عبد الناصر وموشى شاريت ، الذى وصل به الأمر الى اقتراح

اعادة ۱۰۰٫۰۰۰ مائة ألف لاجيء فلسطينى الى ديارهم ، مما اعتبر على حد قول جان لاكوتير (أشجع بادرة قام بها مسئول اسرائيلى كبير) ٠

كانت المحادثات والاتصالات السرية تدور كما يقول أنطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) حول موضوع اللاجئين الذين قبل شاريت تعويضهم وعودة عدد منهم دون السماح بعودتهم جميعا حتى لا يكتسحوا الاسرائيليين على حد تعبيره ٠٠ كما ان شاريت لم يستطع ان يلتقى مع رغبة جمال عبد الناصر فى ايجاد حدود ملاصقة أو مشتركة بين مصر والأردن ، حيث قال شاريت : ان صحراء النقب قد ضمت لاسرائيل بناء على قرار التقسيم الذى وافقت عليه هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ وقد رد جمال عبد الناصر برفض ذلك حيث ان هذا يضاف الى ما كانت اسرائيل تحتله وقت الهدنة عام ١٩٤٩ ، وكانت القوات الاسرائيلية لم تحتل جنوب النقب بعد ٠٠ وقال عبد الناصر ان المباحثات يجب أن تكون على طريقة (خذ وهات) وليس على طريقة قبول الأمر الواقع حيث تأخذ اسرائيل النقب لأنها ضمن حدود التقسيم وتأخذ منطقة الجليل الأعلى لأنها غزته بقواتها ٠

ولكن شاريت ومؤامرات بن جوريون تحيط به وتحرجه لم يكن فى وضع يسمح له بأى تنازلات عن أراض قامت عليها دولة اسرائيل ٠

ومع ذلك فقد خلقت صلاته جوا من الهدوء بين اسرائيل والدول العربية كان يمكن أن يؤدى مع الوقت الى اتفاق سلام مقبول ٠

ولكن عاملا خارجيا فرض نفسه على الموقف أيضا ، فبعد أن كان دين اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة قد أعلن بعد حركة الجيش مباشرة أن هناك شرطين أساسيين لتأييد ومساعدة الولايات المتحدة للنظام الجديد فى مصر وهما : الاتفاق مع بريطانيا والصلح مع اسرائيل ٠

بعد ذلك تغير الموقف عندما اكتشف جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة بعد ذلك ان مصر ترفض الانضمام للأحلاف العسكرية تحت المظلة الأمريكية ، وأن توقيع اتفاقية الجلاء مع البريطانيين لم يحقق كل أحلامهم فى المنطقة ٠٠٠ وأن الصلح مع اسرائيل ما زال سرابا ٠

تغير موقف دالاس من مصر بعد أن قررت مصر الاشتراك فى مؤتمر باندونج للشعوب الآسيوية الأفريقية رغم معارضة الولايات المتحدة لذلك فى اتصالاتها السرية وتصريحاتها العلنية ٠٠٠ ورغم عدم ترحيب عدد من المصريين بهذا الاتجاه فى وقتها ومنهم محمد حسنين هيكل الذى اعترف فى مقالاته بعد ذلك بأنه كان مخطئا فى رأيه لما لقيته ثورة يوليو من ترحيب وما لقيه جمال عبد الناصر من احترام وتقدير ٠

وأراد دالاس أن يلقن مصر درسا ، فأعاد بن جوريون الى منصب

وزير الدفاع الاسرائيلي في منتصف فبراير ١٩٥٥ ، وبن جوريون هو السياسي الاسرائيلي الذي تبنى ربط سياسة اسرائيل بالولايات المتحدة في مؤتمر بلتيمور ، بعد أن كان حاييم وايزمان هو مهندس ربط علاقة اسرائيل ببريطانيا أيام كان نفوذها في الشرق الأوسط هو الأقوى ٠

تخريب فرصة السلام :

أراد دالاس أن يوجه ضربة للجيش المصري تهز هيبته ووحدته ، وتشعره أن الدولة التي تسندها الولايات المتحدة قادرة على الحاق ضربات مهينة بمصر ، وانه لا سبيل الا الخضوع للسياسة الأمريكية والابتعاد عن هذه التيارات الوطنية في آسيا وافريقيا ٠

وشرع بن جوريون ينفذ خطته في حماس متسرع على غزة التي كان جمال عبد الناصر يزورها في أوائل فبراير ١٩٥٥ وأعلن للجنود هناك بناء على ثقته بالهدوء الذي صاحب وجود شاريت في قمة المسئولية بأن احتمالات الهجوم الاسرائيلي عليهم غير واردة ٠

ولكن لم تكد تمضي عدة أيام على عودة بن جوريون الى وزارة الدفاع حتى قام الجنود الاسرائيليون في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ بغارة وحشية على غزة قتلوا فيها ٢٩ من رجال الجيش حسب الرقم الذي أعلنه جمال عبد الناصر بعد ذلك في حديث مع مراسل جريدة النيويورك تايمز في ٦ أكتوبر ١٩٥٥ ، وقتلوا أيضا عددا من المدنيين الفلسطينيين ، وأدان الجنرال بيرنز كبير مراقبي قوات الهدنة عملية اسرائيل واعتبرها اعتداء مدبرا متعمدا ٠

خربت هذه الغارة التي دبرها بن جوريون محاولات السلام بين مصر واسرائيل ووضعت جمال عبد الناصر في وضع حرج أمام الجنود وأمام الشعب ٠

ويقول المقربون من جمال عبد الناصر في هذه الفترة أنه ظل عدة ليال ساهرا يكاد لا يغفو ، يفكر في حل يواجه به هذا الموقف الجديد ٠

وقد حرص على ألا يتورط في معارك تصادمية لم يهيىء نفسه لها بعد ٠٠٠ فحظر الأسلحة مازال مفروضا على مصر ٠٠٠ ورغم الطلبات المتكررة من أمريكا فانها لم تمد مصر بقطعة سلاح واحدة ، سوى المسدس المذهب الذي حمله دالاس هدية لمحمد نجيب من ايزنهاور وكان مسدسا بلا ذخيرة ٠

والقاعدة البريطانية في القنال مازالت تحت سيطرة البريطانيين وجلاء الجنود البريطانيين لم يتم بعد ، ومنع الأسلحة كان هو القبضة التي يمكن بها خنق مصر ٠

وأصبح جمال عبد الناصر مثل الأسد المحاصر ... وهو على قيد أسابيع من السفر الى باندونج .

نسف هذه الغارة محاولات السلام وحالة الهدوء ، وفرضت على جمال عبد الناصر اتخاذ عدة قرارات .

أولا ... ضرورة شراء الأسلحة من أى دولة لمواجهة التهديد والعدوان الاسرائيلى حماية للوطن وكرامة الجيش .

ثانيا ... السماح للفدائيين بالانطلاق من قطاع غزة الى داخل اسرائيل ... ولكن تحت القيادة المصرية وتوجيهها ... وكان جمال عبد الناصر حريصا على منع ذلك خلال فترة الأمل فى الوصول الى اتفاق سلمى .

ثالثا ... ارتبطت هذه الغارة فى ذهن عبد الناصر بدخول العراق الى حلف بغداد قبلها بأسابيع فاتخذ قرارا من شقين أولهما تشديد الهجوم على نورى السعيد خلال صوت العرب وثانيهما محاولة تقوية ميثاق الضمان الجماعى لجامعة الدول العربية ليواجه به حلف بغداد .

يقول جمال عبد الناصر (كان هذا الاعتداء هو ناقوس الخطر الذى جعلنا نبحث وندقق فى تعريف السلام ومعنى السلام وتوازن القوى فى المنطقة) وذلك فى خطبته أمام طلبة الكلية الحربية فى ٢ أكتوبر ١٩٥٥ ، والتى أشار فيها لأول مرة الى أن المخابرات المصرية قد استطاعت أن تحصل على وثيقة تثبت ان أمريكا وبريطانيا تمدان اسرائيل بالسلاح .

وكانت فرنسا حتى ذلك الوقت هى المصدر الرئيسى لامداد اسرائيل بالسلاح .

وفى بحثه عن طريق جديد للامداد بالسلاح بعد الغارة ، لم يتردد فى مطالبة كل من الدولتين أمريكا وبريطانيا بأسلحة جديدة ، بعد أن كانت القوات المسلحة المصرية قد وصلت الى حالة متخلفة تماما عن أسلحة العصر ، فلم يكن عندها سوى ست طائرات صالحة للعمل ، وذخيرة تكفى لمعركة مدتها ساعة واحدة وذلك كما ذكرناتنج فى كتابه (ناصر) .

وكانت صحف الغرب قد نشرت ان اسرائيل تستطيع حشد ٢٥٠ر٠٠٠ عسكرى خلال ٤٨ ساعة بينما قوات مصر لم تكن تتجاوز ١٠٠ر٠٠٠ اذا اضيفت لقوات الدول العربية وصلت الى حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ ... وقد رفض جمال عبد الناصر قائلا (هذا هو التوازن الذى يموهون به علينا) .

وعدد جمال عبد الناصر أنواع الأسلحة التى حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا بناء على الوثيقة الفرنسية التي وقعت فى يد المخابرات المصرية والملحق العسكرى المصرى ثروت عكاشة ، كما عدد أيضا الأسلحة الفرنسية والأمريكية ، وذلك فى نفس خطته أمام طلبة الكلية الحربية ٠

حققت غارة غزة هدفها المنشود فى تخريب فرص السلام ، ولكنها لم تحققه فيما يتعلق باضعاف حركة الجيش أمام الشعب والجنود ٠٠٠ ولم ينجح دالاس وبن جوريون فى اذلال مصر ٠

وكان القرار الذى اتخذه جمال عبد الناصر باطلاق الفدائيين من غزة ، عاملا من العوامل التى ساعدت الصقور المتشددين فى اسرائيل ، وأعطتهم فرصة مواصلة غاراتهم العدوانية ٠

ووقع موشى شاريت فى حرج شديد اذ كان مضطرا للصمت على الغارات الاسرائيلية التى تكررت على دير البلح وخان يونس والصبحة والحدود الأردنية والسورية والتى اضطرت همرشولد للقول (هذه بربرية لا مبرر لها) وأعلن الجنرال بيرنز أنها (تثير لدى كل القلق والخطر حول المستقبل) ٠

وتشكلت من الفلسطينيين فرق (الفدائيين ردا على بن جوريون) ٠٠٠ ولكن حركتهم داخل اسرائيل كانت تقابل بغارات على المدنيين ٠٠٠ ويتوتر الموقف ويشحب أمل السلام ، وتزداد سيطرة بن جوريون والمؤسسة العسكرية ٠

وأصبح وجود شاريت رئيسا للوزراء نشازا فى هذا الجو العاصف ٠٠٠ واتهمته الصحف بالضعف ٠

ولم يكن رد مصر على غارة غزة بالفدائيين فقط ٠٠٠ ولكنه كان أيضا بعقد صفقة الأسلحة التشيكية ، التى أعلن عنها يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ ٠

وكانت مصر قد اتخذت قبل اعلان الصفقة قرارا يقضى بتشديد الحصار على ميناء ايلات يوم ١٢ سبتمبر ومنع الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة سواء فى البحر أو الجو ، واضطرت شركة الطيران الاسرائيلية (العال) الى ايقاف رحلاتها الجوية الى جنوب أفريقيا ٠

وكانت الأمور قد وصلت بذلك الى غايتها فى تحديد موقف موشى شاريت الذى علق على صفقة الأسلحة بقوله (انها خطر لا مثيل له ومن المحتم أن تؤثر تأثيرا بالغا على أمن اسرائيل كما انها غيرت القوى تغييرا

حاسما وضع حدا لتفوق اسرائيل النوعى على مصر ... انها خطر داهم لم تشهده اسرائيل منذ حرب الاستقلال) .

وصفت المؤسسة العسكرية شاريت بالضعف ، واضطرته الى الاستقالة فى نوفمبر ١٩٥٥ والعودة ليكون وزيرا للخارجية فقط فى وزارة يرأسها بن جوريون ... ولكنه لم يبق فى منصبه سوى سبعة شهور خلفته بعدها مسز جولدا مائير .

عاد بن جوريون رئيسا للوزراء مطلق الصلاحيات ، معلنا ان اسرائيل سوف تستخدم القوة لفتح خليج العقبة أمام الملاحة البحرية والجوية .

انتصر الصقور المتشددون فى اسرائيل ، وبدأوا يهاجمون نقط الحدود المصرية ويستولون عليها ، ويستفزون مصر للتورط معهم فى معركة .

ولكن جمال عبد الناصر كان حريصا على موازنة موقفه فى هذه المرحلة ، وتحاشى الوقوع فى مصيدة القتال ، فى وقت لم تكن الأسلحة التشيكية قد وصلت فيه وأصبحت صالحة للاستخدام ، وعلاقاته مع الدول الغربية تدخل دائرة التوتر ، والدول العظمى تحرص على المحافظة على روح مؤتمر قمة جنيف الذى عقد فى الفترة من ١٨ الى ٢٤ يوليو ١٩٥٥ وحضره ايزنهاور وايدن وبولجانين وخروشوف وادجار فور .

الحذر من القتال :

كانت صورة معارك ١٩٤٨ مازالت ماثلة فى أذهان القيادة العسكرية الجديدة ، فلم تكن قد مضت خمس سنوات على توقيع الهدنة ، وأسلحة الجيش مازالت كما هى بغير تجديد واضح ، رغم البعثات العسكرية المتعددة التى ذهبت الى انجلترا وأمريكا .

وكان واقع الجيش وطبيعة النظام فيه قد تغيرت بعد ترقية الصاغ أركان حرب عبد الحكيم عامر الى رتبة اللواء وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة ، فقد كان هذا التغيير بمثابة قفزة فوق الواقع لم تحدث فى تاريخ الجيش المصرى من قبل .

ولم يعد احترام الأقدمية واردا ، فقد تحطم ذلك مع قيام حركة الجيش واستبعاد كبار الضباط ، وظهور فئة جديدة من صغار الضباط المقربة من القيادادت الجديدة ، الذين شكلوا نفوذا أضعف من سلطة وشخصية قادة الوحدات ، وفك ترابط وثبات الانضباط العسكرى ، وانطلق بعض الضباط خارج الحياة العسكرية اما بالعمل السياسى مع

هيئة التحرير ، أو الانطلاق فى الحياة المدنية تحت رداء ما سمى فى ذلك الوقت (مندوب القيادة) ٠

وعندما عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما اختار لادارة مكتبه مجموعة من الضباط أركان الحرب حسنى السمعة يرأسهم حافظ اسماعيل ومعه محمد على عبد الكريم ومحسن ادريس ونور الدين قره وصلاح نصر وتوفيق عبد الفتاح وعباس رضوان ٠٠٠ والثلاثة الأخيرون كانوا من الضباط الأحرار الذين أوكلت اليهم مهام سياسية أكثر منها عسكرية ٠

ومنذ عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما انقطعت صلة أعضاء مجلس قيادة الثورة بضباط الجيش ـ كما قال لى زكريا محيى الدين ـ وكان هذا هدفا غير مباشر استهدفه جمال عبد الناصر بعد تحركات ضباط المدفعية فى يناير ١٩٥٣ الى جانب ثقته الكبيرة فى عبد الحكيم عامر ٠

ورغم أن عبد الحكيم عامر كان انسانا كبيرا ، الا انه لم يكن مؤهلا بحكم طبيعته لقيادة عسكرية كبيرة تحتاج الى الموهبة والطاقة والدأب على الدراسة والتدريب ٠

وكانت غارة غزة أول مواجهة عسكرية تستقبله فى مسئوليته الجديدة ٠٠٠ ولذا حرص عبد الناصر فى ظل هذه الظروف على تفادى الصدام العسكرى ، واقترح على الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارىء الدولية أن تنسحب القوات الاسرائيلية والمصرية لمسافة كيلو متر على جانبى خط الهدنة ، وبعد رفض اسرائيلى استمر شهورا ، سحب عبد الناصر القوات المصرية وحدها فى محاولة منه لاثبات حسن نيته وتفادى قتال غير مطلوب ٠

ومع ذلك كان عبد الحكيم عامر يتصرف بطريقة انفعالية غير مسئولة ٠٠٠ قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى انه أثناء زيارة عبد الحكيم عامر للقسيمة تسلق جبل الصابحة وشاهد عسكريين اسرائيليين على مدى البصر فقال (مفيش راجل يجيب الاتنين دول) ٠٠٠ وفعلا شنت القوات هجوما على الصابحة واستولت عليها ثم تركتها بعد قتل وجرح عدد كبير من السرية الاسرائيلية التى كانت تحتلها ٠

وقد أعطت هذه العمليات المتعجلة غير المدروسة فرصة لبن جوريون والصقور الاسرائيليين لتنفيذ خططهم المعادية للسلام ٠

وفى سبتمبر ١٩٥٥ تعرض جمال عبد الناصر لضربة اسرائيلية جديدة هزت معنوياته عندما احتلت القوات الاسرائيلية منطقة (العوجا) المنزوعة السلاح والتى كان يتبادل حراستها قوات مصرية وأخرى اسرائيلية كل منها مدة ١٥ يوما ٠٠٠ ودفعته الى تأكيد شراء السلاح السوفيتى

واعلان ذلك بعد محاولات متعـددة لتفادى هـذا الموقف الصـدامى مع الامبريالية ٠

وأعقب ذلك هجوم على الكونتللا فى شهر أكتوبر ثم هجوم آخر فى نوفمبر انطلق من العوجا الموقع الاستراتيجى الذى قاموا باحتلاله وقتل فيه ٧٠ جنديا مصريا ، وكان ذلك بعد ساعات فقط من تصريح معلن لبن جوريون أبدى فيه اسـتعداده لمقابلة جمال عبد الناصر لعقد تسوية معه ٠٠٠وكأنما كان هذا التصريح هو (مدفعية تخدير) تسبق الهجوم ٠

ولم يسـتطيع جمال عبد الناصر أن يفعل شـيئا فى وجه هذه الاستفزازات سوى الاعلان بأن الجيش المصرى قد قام بهجوم مضاد ناجح أجـلى فيه الاسرائيليين عن مواقعهم ٠٠٠ وهو هجـوم وهمى لم يحـدث أبدا ٠

كانت القيادة العسكرية الجديدة محصورة فى قفص يجبرها اما على الركوع للامبريالية الأمريكية وفقدان الاستقلال الوطنى والخضوع لنفوذ اسرائيل ٠٠٠ واما التشبث بالاستقلال الوطنى مع الصبر وابتلاع العمليات الاستفزازية ٠

واختارت القيادة العسكرية الطريق الثانى ٠٠٠ وبعد أن صـدرت تعليمات للواء السادس خفيف الحركة بهجوم تحدد موعده على الفرقدة فعلا وصرف النظر عن ذلك كما يقول الفريق عبد المحسن مرتجى ٠٠٠ وبعد أن وضعت خطة لاستعادة (العوجا) تقرر الغاؤها فى آخر لحظة ٠

واعترض صدقى محمود قائد القوات الجوية على طلب عبد الحـكيم عامر بأن يقوم الطيران المصرى بطلعات فوق غزة وبئر سبع ٠

وقال لى زكريا العادلى امام سفيرنا السابق فى الهنـد والقائد فى القوات المسـلحة ، الذى أعد مشروع المناورة (انتصـار) أكبر مناورة عسـكرية قامت بها القـوات المصرية على طريق مصر ـ الاسـكندرية الصحراوى ، وكانت أول مناورة تشـترك فيها القوات على أسس قتالية فعلا ٠٠٠ قال لى انه عندما سأله اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الحرب فى ذلك الوقت (هل يمكن القيام بأعمال تعرضية للاسرائيليين ؟ فأجابه بتقرير من ١٧ صفحة مضمونه كلمة (لا) ، وذلك تفاديا لكارثة محتملة ، وكانت النتيجة نقله ملحقا عسكريا فى تركيا ٠

كانت فترة من فترات القلق التى انتابت قادة الحركة العسكرية ، الذين شعروا أن محاولات السلام مع اسرائيل على أسس واقعية عادلة لم تكن أكثـر من سراب ، وأن تفاعلات السـياسة الدولية ، وخطط القوى الامبريالية تفرض على المنطقة توترا مستمرا يحاول حصار هؤلاء القادة الشبان الوطنيين ٠

واقترح جمال عبد الناصر على ثروت عكاشة فى هذه الفترة من عام ١٩٥٥ أن يعود قائدا لسـلاح الفرسان بعد أن كان ملحقا عسـكريا فى باريس ··· ولعله شـعر أنه بحاجة الى وجود بعض من يثـق فيهم من الضباط الأحرار فى مراكز قيادية بالقوات المسلحة ·

وفى ورقة أصدرتها (مجموعة من أنصار السـلام المصريين) فى باريس عام ١٩٥٧ رصد للموقف السلامى الواضح لجمال عبد الناصر ·

قال لمراسل الديل هيرالد فى ٦ نوفمبر ١٩٥٥ (لا يوجد عند مصر أية نية لمهاجمة اسرائيل) ·

وصرح لمجلة لايف فى ١ نوفمبر ١٩٥٥ (مصر لن تستخدم الأسلحة التشيكوسلوفاكية للحرب مع اسرائيل) ·

وفى تصريح الى جريدة (نيويورك ورلد تاجرام) فى ١٢ نوفمبر ١٩٥٥ (ان مصر مستعدة للبحث عن حل وسط مع اسرائيل) ·

وقال لجريدة فرانسى سـوار فى ديسـمبر ١٩٥٥ (ان هدفنا ليس تدمير اسرائيل ، ولكن مناقشة تقود الى تطبيق قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧) ·

وصرح جمـال عبد الناصر لاذاعة وتليفزيون كولـومبيـا فى يناير ١٩٥٦ (لقد صرحت فى باندونج ووافقتنى الدول العربية لأول مرة ، على اننا نريد تطبيق قرارات الأمم المتحدة التى اتخذت عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وأقرت مشروع التقسيم) ··· وصدر بيان يؤيد هذا الاتجاه الذى أقره مؤتمر باندونج عقب زيارة جمال عبد الناصر لتيتو فى بريونى ·

وهكذا كان موقف جمال عبد الناصر ، حتى بعد غارة غزة ، يتجه الى تحقيق السلام ··· ولكنه فى نفس الوقت كان حريصا على عدم الخضوع أو الركوع ملقيا مسئولية دعم اسرائيل على الاستعمار ·

اتصـالات السـلام لم تتوقف حتى مع بن جوريون ·· ويقول جان لاكوتير فى كتابه (عبد الناصر) انه قابل بن جوريون فى شـهر يونيو ١٩٧٠ (فى الفيلا المثقلة بالذكريات فى تل أبيب) ويكتب :

حدثنا بن جوريون وهو يهز رأسه الأبيض أمامتمثال داود لميكـل انجلو عن جمال عبد الناصر فقال (انه رجل دولة ·· نعم ·· ولكنه يظهر غير ما يضمر) وراح يراجع فى ذاكرته المحاولات لاجراء محادثات من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٧٠ ، وأطرف هذه المحاولات كانت الواقعة بين يناير وأبريل ١٩٥٦ قام وسـيط محايد بأربع رحلات بينه وبينى ··· لكننى اقسمت الا أبوح بالكثير ··· كل ما يمكننى إضـافته هو انه بعد رابع

زيارة قام بها الوسيط الى القاهرة قال له عبد الناصر (فلتقف اتصالاتنا عند هذا الحد لانني غير مقتنع بجدوى الذهاب الى أبعد) .

ويواصـــل لاكوتير رواية هذه القصـــة مشيرا الى لقاء تم بين بن جوريون والمراسل الصحفى (فيليب غارنيه ريمون) بعد وفاة عبد الناصر فى مستعمرة (سوى ـ بوكر) وسأله الصحفى :

ـ ألم يكن وسـيط ١٩٥٦ هو روبرت اندرســون وزير الخارجية السابق فى الحكومة الأمريكية والصديق الشخصى لايزنهاور ؟ .

قال بن جوريون :

ـ أنت الذى نطقت اسمه ولست أنا .

ويقول لاكوتير (وكأنما تحرر بن جوريون من عبئه فحكى كيف قام أندرسون بالوساطة دون تكليف من أحد ، وزعم بن جوريون ان الوسيط قد أكد له أن عبد الناصر كان ايجابيا فى البداية .. وانه كان يتردد بين القاهرة والقدس ... ينزل فى فنادق الدرجة الثانية بالعاصـمة المصرية ويقابل جمال عبد الناصر ليلا فى أماكن سرية ، لا يتكرر ارتيادها) .

ثم يقول بن جوريون ان الاتصالات قد توقفت فى السابع عشر أو الثامن عشر من أبريل ١٩٥٦ عندما فاتح اندرســون عبد الناصر فى عقد معاهدة عدم اعتداء بين البلدين .. وكان جواب عبد الناصر :

ـ اذا ما أعطيت الأمر بذلك .. فان النار سوف تطلق على .

ويعلق بن جوريون قائلا :

ـ لا شك انه كان على حق فى ذلك .

ويعلق لاكوتير قائلا بانه اذا صـدقنا بعض ما قاله بن جوريون ، فليس أكيدا أن عبد الناصر كان ينتظر أية نتيجة من اتصالاته غير المباشرة مع دافيد بن جوريون ، لأن ناصر كان يعتبره (كذوبا وعدوا تسـتحيل مصالحته) .

ويقول لاكوتير أيضا (يجدر بنا الاعتراف بأن السلام لم يكن واردا فى ذهن عبد الناصر لا فى عهد شاريت ولا فى عهد بن جوريون لأنه كان مخلصا فى العمل على تحرير الأرض المصرية واعادة فلسطين الى أهلها) .

ولكى نستكمل جوانب القصة وأسرار المباحثات أعود الى كتاب بن جوريون (العرب والفلسطينيون وأنا) الذى يتحدث فى الجزء الأول منه عن هذه الاتصالات التى قام بها روبرت اندرسون فى يناير ١٩٥٦ .
يستجب له .

يسجل بن جوريون بعض أحاديثه مع المندوب الأمريكي الذى قابله في حضور موشي شاريت وزير الخارجية وعمدة القدس تيدى كوليك ومدير مكتب رئيس الوزراء فى ذلك الوقت باكوف هرتزوج ، وسفير الولايات المتحدة فى اسرائيل وأحد ممثلى دوائر الأمن الأمريكية ٠ فيقول :

كثيرون من أبناء شعبنا لا يقبلون الحل السلمي لأسباب ثلاثة :

١ ـ أن شعبنا عاش خلال قرون فى المدن فقط ولا يستطيع أن يعيش فى الريف ٠

٢ ـ فى فلسطين لابد من القبول بخفض مستوى المعيشة ٠

٣ ـ البلد الذى عدنا اليه كان صحراويا وفى الواقع بدت المهمة فى بادىء الأمر مستحيلة لكن القوة تغلبت على المصاعب ٠

ويقول (ان رئيسا عربيا واحدا فقط كان يريد السلام ، ولم يكن يخاف من اعلان ذلك جهارا ٠٠ هذا الرئيس هو الملك عبد الله ملك الأردن وقد اغتيل ٠

ويقول أيضا (ان تغير النظام فى مصر ايقظ فى قلوبنا السلام ، وقد اتصلنا بمحمد نجيب فطلب الينا الانتظار ، ولما خلفه عبد الناصر جددنا اتصالاتنا معه دون نتيجة ثم تدهور الموقف) ٠

لم يذكر بن جوريون طبعا انه هو شخصيا المسئول عن تدهور الموقف بغارة غزة ٠

ويقول المبعوث الأمريكي انه كان يقابل جمال عبد الناصر ليلا ومعه زكريا محيى الدين وعلي صبرى ويذكر أن عبد الناصر قال له عن المباحثات (ان الموقف هو من الدقة بحيث لو عرف الناس بالمبادرة التى اتخذها للقيام بهذه المباحثات فانه على الا أواجه مأزقا سياسيا فحسب بل ربما بضع رصاصات) ثم قال ان عبد الناصر كان حريصا جدا على سرية المحادثات وقد قال (لو عرف الناس بمحادثاتنا فسأجد نفسى مضطرا لتكذيبها) ٠

ويحبذ بن جوريون استمرار الاتصالات ويشير الى الاتصالات السابقة مع شاريت فيقول (تمت فى السابق اتصالات مع شاريت ولم يذع سرها ، أما دون اتصالات فلن نتوصل الى شىء) ٠

ويدور الحديث الذى يسجله بن جوريون فى كتابه عن محاولة اقرار وقف اطلاق النار ، ويقول شاريت (يجب أن يكون هناك وقف اطلاق نار ليس عسكريا فحسب بل وسياسيا أيضا) ٠

ويؤيد شاريت أيضا استمرار الاتصالات ويطالب بأن تكون على أعلى مستوى كمحاولة منه للبرهنة لعبد الناصر على أن التنازل عن أية قطعة أرض من اسرائيل يعتبر عملية صعبة أو مستحيلة ٠

ويذكر روبرت اندرسون ان كيرميت روزفلت كان حاضرا بعض اجتماعاته مع جمال عبد الناصر ٠

ويحاول شاريت تفسير عملية غزة على انها كانت ردا على أحكام الاعدام التى صدرت فى مصر ضد مرتكبى حادثة لافون ، ولكن المندوب الامريكى الذى حاول الدفاع عن بن جوريون أمام عبد الناصر باعتباره ليس المتسبب فى هذا الحادث ، قال ان عبد الناصر أبلغه (أن الموقف بدأ ينهار فعلا منذ تلك اللحظة أما فى الماضى فلم يكن الشعب المصرى يهتم بقضية فلسطين ٠

والعودة الى تفاصيل ما ورد فى كتاب بن جوريون عن محاولات الاتصال مع جمال عبد الناصر تثبت انه كان حريصا على السلام في المنطقة حتى يتيح للدول العربية أن تبنى مجتمعاتهـا الجديدة بعيدا عن مأساة الحرب ٠٠٠ وأنه من جهته لم يسهم مطلقا فى هدم هذه المحاولات ، ولكن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية والخطط الامبريالية هى التى سعت الى تحطيم هذه الجهود واشاعة القلق والتوتر فى المنطقة ، ومحاولة السيطرة على شعب اسرائيل عن طريق تخويفه من جيرانه العرب ٠

خطب عبد الناصر فى الجبهة الشرقية يوم ١٤ مايو ١٩٥٦ وبعد أن روى قصة تسليح الغرب لاسرائيل قال (اننى لا أقول ان فرنسا هى التى أعطت اسرائيل السلاح وحدها ٠ وانما اعتبر أن الغرب كله تآمر فى هذا مع فرنسا لمصلحة اسرائيل ضد العرب) ٠٠٠ وأكرر (نحن لا نقبل استغلال ولا سيطرة ولا تحكما ، اذن فهناك حرب بيننا وبين الاستعمار برغم ارادتنا ، لاننا نحارب هذه الحرب من أجل الدفاع عن كياننا واستقلالنا وشرفنا وحريتنا وكرامتنا) ٠

نعم ٠٠٠ كانت الحرب مفروضة على النظام العسكرى العنيد فى مصر الذى لا يقبل أن تكون يد الاستعمار هى العليا والمسيطرة ٠

وعبد الناصر ألذى لم يخطب خطبة واحدة ضد اسرائيل قبل حادث غزة اكتشف (ان اسرائيل التى يسندها الاستعمار الذى لا يريد لهذه المنطقة أية حرية ويعتبرها مزرعة لمصالحة هى خطة الاستعمار فى القضاء على الأمة العربية جميعا) ٠

تحركات الغرب :

كانت صفقة الأسلحة التشيكية ضرورة اجبارية فرضتها الظروف على النظام الجديد في مصر ٠٠ لم يكن هناك مجال لتفاديها ٠

وكانت تحركات اسرائيل العدوانية قد وضعت القادة العسكريين الجدد في موقع الدفاع ٠٠٠ وقد بلعوا كثيرا من الاستفزازات التى ذكرناها والتى تمادت فصرعت ضابطين مصريين وصلتهما طرود اسرائيلية متفجرة ، أولهما البكباشى صلاح مصطفى أحد الضباط الأحرار فى مدينة الاسكندرية والذى كان الأول فى دفعة عبد الحكيم عامر ، والذى قتله الطرد المتفجر فى عمان وهو يعمل ملحقا عسكريا هناك ، والثانى الصاغ مصطفى حافظ ضابط المخابرات العسكرية فى قطاع غزة ٠

ولم يقف الغرب مكتوف اليدين أمام محاولة جمال عبد الناصر الخروج من المأزق الذى فرض عليه ٠٠٠ قرر دالاس ارسال كيرميت روزفلت الذى زار مصر بعد حريق القاهرة وحاول أن يصلح من شأن الملك فاروق عبثا ٠٠ والذى توطدت صلته بجمال عبد الناصر فى الشهور الأولى بعد حركة الجيش بأمل أن تضغط أمريكا على بريطانيا للجلاء ، وبأمل أن تحصل مصر على أسلحة من أمريكا ٠

وعندما علم جمال عبد الناصر ، بحضور كيرميت روزفلت قرر أن يعلن على العالم نبأ صفقة الأسلحة ، لأنه كما قال حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) لا يستطيع الامتناع عن مقابلة كيرميت روزفلت (ولكنه لا يريد أن يكون موضع استجواب ، ولا يرغب فى ان يسأل اذا كان النبأ صحيحا أو لا) ٠

وقطع عبد الناصر الطريق على كيرميت روزفلت وأعلن نبأ الصفقة يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ بعد توقيع الاتفاق بأسبوع وقبل وصول أية شحنة من الأسلحة التشيكية وذلك أثناء افتتاحه لمعرض صور فوتوغرافية أقامته ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة ٠

ويروى حسنين هيكل أن أحمد حسين سفير مصر فى واشنطن عندما علم بالنبأ من جمال عبد الناصر أفلتت أعصابه وأخذ يردد فى انفعال بالغ (جواتيمالا ٠٠ يا سيادة الرئيس ٠٠٠ جواتيمالا) ٠

وكان الامريكيون ومخابراتهم المركزية قد فرغوا لتوهم من تنظيم عملية انقلاب ضد حكومة أرفينيز اليسارية فى جواتيمالا ٠

وقال عبد الناصر وقد فرغ صبره (فلتذهب جواتيمالا الى الجحيم) ٠

ووصل كيرميت روزفلت حاملا تهديدات دالاس التى تتلخص فى ايقاف المساعدات الأمريكية والتجارة مع مصر وقطع العلاقات الدبلوماسيه ومحاصرة مصر ومنع السفن حاملة السلاح من الوصول اليها ٠

ولكن السفير الأمريكى هنرى بايرود استطاع ان يقنع كيرميت روزفلت بان يكون دبلوماسيا مع عبد الناصر ، واستمرت المحادثات يومين بين عبد الناصر وروزفلت الذى لم يعلن تهديدات دالاس ، ولكنها كانت محادثات بغير نتيجة فلم يتراجع عبد الناصر عن موقفه ٠

وأطلق دالاس مبعوثا ثانيا هو جورج آلن مساعد وزير الخارجية الأمريكية ، الذى سبقته أخبار من وكالات الانباء تشير بأنه يحمل انذارا آخر ، فأسرع عبد الناصر باستدعاء كيرميت روزفلت وأبلغه بأنه لو صح ذلك فانه سيأمر رئيس التشريفات بطرد الزائر الأمريكى وسيبلغ مراسلى الصحف بأنه قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا ، لأنه لا يقبل أن يعيش أو يحكم تحت ضغط التهديد ٠

وفى نفس الوقت قرر جمال عبد الناصر أن يستعد لنوع من المقاومة الشعبية ، واتصل بى كل من أحمد فؤاد الذى كان قد أصبح عضوا فى مجلس الانتاج والذى مازال مقربا من جمال عبد الناصر والصاغ لطفى واكد الذى كان مديرا لمكتبه فى ذلك الوقت وأبلغنى كل منهما على حدة رسالة من جمال عبد الناصر تطلب منى الاتصال بمن أعرفهم من اليساريين استعدادا لحمل السلاح والعمل سرا فى وجه أى محاولة للتدخل الأمريكى غير المحسوب ٠

ولكن جورج آلن لم يقدم رسالة دالاس بعد أن أقنعه كيرميت روزفلت والسفير الأمريكى بايرود بتفادى الكارثة ، وخلال المقابلة بين آلن وعبد الناصر حاول الأول أن يقنع عبد الناصر ـ كما يقول حسنين هيكل ـ فى كتابه (عبد الناصر والعالم) بأن الغاء الصفقة يمكن أن يجعل الولايات المتحدة تنظر الى قضية امداد مصر بالسلاح نظرة ايجابية ٠

ولكن عبد الناصر قال له (لقد فات الأوان) ٠

فات الأوان فعلا ووصلت شحنات الأسلحة الى ميناء الاسكندرية

وخطب انطونى ايدن فى نوفمبر ١٩٥٥ فى قاعة البلدية المعروفة باسم (جيلد هول) واقترح حلا للنزاع العربى الاسرائيلى ، يستند الى حدود جديدة لاسرائيل تكون بين حدود الهدنة القائمة وحدود قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ ٠

وقد قوبل هذا الخطاب بارتياح عبر عنه جمال عبد الناصر بقوله فى بيان (انه يحتوى على عناصر بناءة يمكن أن تكون أساسا للبحث) ٠

كان موقف بريطانيا قد تغير نســبيا من اسرائيل بعد تحول بن جوريون الى المظلة الأمريكية ، عندما أصبحت الولايات المتحدة أقوى الدول الامبريالية وأكثرها قدرة ونفوذا ٠

ولكن موقف ايدن لم يـكن تعبيرا عن تغير اسـتراتيجى فى موقف بريطانيا ، فقد كانت تواصل سـعيها لاقامة حلف بغداد ووصــل الفيلد مارشال جرالد تمبلر رئيس أركان حرب الامبراطورية الى عمان فى محاولة لضم الأردن الى الحلف ٠

وكذلك حاول ايدن اقناع خروشوف أثناء زيارته هو وبولجانين الى بريطانيا فى ١٨ أبريل ١٩٥٦ بأن يوقف صفقات السلاح لمصر ، فكان رد خروشوف أنه مستعد لتنفيـذ ذلك اذا شمل الحظر امداد الأسلحة لكل الدول حتى المرتبطة بمعاهدات مع بريطانيا ٠

وأسرع عبد الناصر بالاعتراف بالصين الشعبية ليتفادى أى محاولة لحظر وصول السلاح تبعا لقرار قد تتخذه الأمم المتحدة التى لم تكن الصين قد أصبحت بعد عضوا فيها ٠

ولم يوقف اليأس خطوات دالاس ، بل انه أرسل روبرت اندرسون الى جمال عبد الناصر حاملا رسالة من الرئيس ايزنهاور تطلب حل المشكلة الفلسطينية وانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، وهو الشخصية التى ذكر بن جوريون أنها كانت همزة الوصل بينه وبين عبد الناصر من يناير الى أبريل ١٩٥٦ ٠

وكان رأى جمال عبد الناصر أن يستند أى حل الى مشروع التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، مما يظهر ويؤكد أن جمال عبد الناصر لم يكن ضد اسرائيل ولم يكن من دعاة تدميرها ٠

ورغم دخول الأمريكيين كما يقول محمد حسنين هيكل فى تفصيلات صغيرة لتنفيذ المشروع،ورغم مباحثات أندرسون،فان المشروع كان محكوما عليه بالفشل ، لأن الاسرائيليين لم يكونوا ينوون الرجوع الى الحدود المقررة فى مشروع التقسيم ٠

كان تراجع الاسرائيليين عن الأرض التى ثبتوا أقدامهم فيها أمرا غير وارد عندهم ٠

وتوقفت محاولات الغرب ، وتضــاعفت مســاعداتهم لاسرائيل التى بقيت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى لا تحكمها حدود قانونية معروفة ٠

وأصبحت ثورة يوليو مطالبة بمواجهة هذه الدولة التى زرعت فى الأرض العربية ٠

الفصل الثانى

عدوان اسرائيل ١٩٥٦

(ان مصر وعبد الناصر قد كسبا من عدوان ١٩٥٦ اكثر مما خسرا ... فقد تأكدت وثبتت سيطرة مصر على قناة السويس) .

انطونى ناتنج
وزير الدولة البريطانى أثناء العدوان

لم تصل محاولات السلام بين الحركة العسكرية فى مصر وحكومة اسرائيل الى نتيجة ايجابية ، وتعقدت الأمـور تحت ضـغط الامبريالية الأمريكية والعالمية ومحاولة فرض نفوذها وسيطرتها على المنطقة والدور الذى لعبته المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المتواطئة مع الحكومة الأمريكية .

وكان حصول جمال عبد الناصر على السلاح من المعسكر الاشتراكى نقطة واضحة للقوات المسلحة المصرية خطت بها الى عصر النفاثات ووضعت أحد أهداف الثورة الرئيسية (تكوين جيش وطنى) موضع تنفيذ عملى من جهة التسليح والتدريب ، وفرضت على حكومة اسرائيل أسلوبا جديدا فى المواجهة .

وفى العيد الرابع للثورة بالتحديد يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ردا على قرار جون فوستر دالاس بسحب

تمويل السـد العـالى ، وذلك قبل أن يمضى أربعون يوما على جلاء قوات الاحتلال البريطانى لمنطقة القنال يوم ١٨ يونية ١٩٥٦ ٠

وتحركت أفكار العدوان فى صدر بن جوريون الذى لم تؤد غاراته المتكررة على الجيش المصرى غرضها بوقوع الحركة العسكرية فى مصـيدة الاستفزاز والانزلاق الى الحرب فى وقت لم تكتمل فيه أسلحة الجيش ٠٠٠ فلم يكن لدى مصر فى ذلك الوقت سـوى ست طائرات صالحة للعمل ، وثلاثين طائرة معطلة وليس هناك قطع غيار ، والذخيرة كانت محدودة ٠

ويفسر موشى ديان فى مذكراته أسباب تحولهم من سياسة الغارات المفاجئة أو الردع المحدود الى التفكير فى حرب شاملة فيقول :

(ان السبب الرئيسى كان فى استخدامنا المتواصل لأسلوب العمليات الانتقامية ، فان العمليات التى فاجأت المصريين والأردنيين فى البداية وهم غير مسـتعدين لها ، أصبحت الآن مسألة تقليدية ، لذلك فحينما تخرج وحداتنا فى عملية ضد مبني للشرطة أو معسكر للجنود فانها تجد جنوده مستعدين للقتال ٠٠٠ اننا لن نستطيع الاستمرار فى حالة لاهى (بالسلام ولا هى بالحرب) ٠٠٠ ان علينا أن نرغم جيراننا العرب على الاختيار بين وقف الارهاب ضد اسرائيل وبين الدخول فى حرب ضدنا بطريقتين :

١ ـ أن تنزل الضربات الانتقامية أثناء النهار ونستخدم من أجل ذلك المدرعات والطائرات ، وحينئذ تقل خسائرنا فى الأرواح فضلا عن أن الدول العربية (وأولها مصر قبل كل شيء) لن تستطيع تجاهل أثر هذا على رعاياها ٠

٢ ـ أن نجتاز الحدود ونحتل المواقع الرئيسية التى تسيطر على المنطقة ونشترط للجلاء عنها وقف الارهاب ٠

وهكذا اختارت اسرائيل طريق الحرب لقطع الطريق على وصـول الأسلحة لمصر ، ووقف غارات الفدائيين ، وفتح الملاحة الاسرائيلية فى مضايق تيران ٠٠٠ كما انه كان هناك موقف داخلى يدفع للحرب ، وهو الحالة المعنوية المتوترة من القتال المتقطع ، وفشل فضيحة لافون ومحاكمة الجواسيس الاسرائيليين فى مصر ، ولذا وجد بن جوريون أنه فى حاجة الى عمل كبير يعيد ثقة الشعب فى جيش اسرائيل ٠ ويعطى للجيش دفعـة معنوية جديدة ٠

وبن جوريون لا يطيق أن ترتبط مصر مع الاتحاد السوفيتى بأية رابطة ٠٠٠ وخاصة اذا كانت هذه الرابطة هى السلاح ٠

قال بن جوريون عام ١٩٤٦ بأنه (اذا وافقت بريطانيا على انشاء دولة يهودية في فلسطين فنحن على استعداد أن نضمن أن تكون هذه الدولة قاعدة ضد روسيا) ٠٠ هذا في الوقت الذى أعقب الحرب العالمية الثانية التى ضحى فيها الاتحاد السوفيتي بعشرين مليونا من أبنائه فى حرب ضد النازية التى قتلت ٦ ملايين يهودى ٠

وجد بن جوريون أمامه فرصة لتحقيق ما نادى به من ضرورة الحرب قبل أن تصل الأسلحة السوفيتية الى مصر فقد قال صراحة (لابد أن يسقط النظام فى مصر قبل أن تصل الأسلحة الروسية) ٠

وكان بن جوريون قد استدعى أخلص مريديه (موشى ديان) من فرنسا التى كانت تفتح أبوابها للقادة الاسرائيليين ، وتمد اسرائيل بالأسلحة المتطورة ، وذلك للحقد الذى كانت تشعر به تجاه قادة ثورة يوليو الذين كانوا يساعدون ثوار الجزائر بكل ما يطلبون منذ أعلنوا ثورتهم فى أول نوفمبر ١٩٥٤ وذلك بعد شهور من هزيمة الفرنسيين فى معركة (ديان بيان فو) التى انهت وجودهم فى فيتنام بعد توقيع اتفاقية جنيف ٠

كلف بن جوريون (ديان) بان يعد خطة حربية لغزو مصر بعد أن كان قد استطاع أن يقنع أمريكا بالتصريح لفرنسا ببيع طائرات المستير ٤ التى كانت تنتجها خاصة لحلف الأطلنطى ٠٠٠ وذلك فى رسالة حملها (هربرت همفرى) الى الحكومة الفرنسية من ايزنهاور ووزير خارجيته دالاس ٠

ولكن اعداد الخطة وحدها لم يكن كافيا لاشعال الحرب ٠٠٠ كان لابد من وجود سبب مقنع يكون تبريرا للعدوان ٠٠٠ وقال ديان فى مذكراته (كان من السهل خلق المبرر) ٠٠٠ وصرح بن جوريون لمراسل النيويورك تايمز : (سوف نكون فى العقبة فى العام القادم وسوف نستولى عليها من البر والبحر والجو معا) ٠

وفى غمرة هذا التوتر لم يكن معقولا أن يحتفظ بن جوريون رئيس الوزراء بموشى شاريت ـ رجل السلام النسبى ـ وزيرا للخارجية فتخلص منه فى ١٨ يونيو ١٩٥٦ عندما أرسل له خطابا يقول فيه (ان وجودك في وزارة الخارجية ليس في مصلحة الدولة) وعين جولدا مائير بديلا له ٠

صرح شاريت بعد ذلك بقوله (أرغمنى بن جوريون على الاستقالة لأنه كان يعتقد اننى العقبة فى سبيل ما كان قد استقر عليه وهو أنه لابد من حرب قريبة جدا مع مصر ، كانت الحرب قادمة ويجب ألا أعارضها ، ولابد أن أخرج ٠ وأنا لم اكن لأعارض الحرب تحت أى الظروف، ولكن حكمتى كانت تختلف عن حكمته) ٠

ويبدو أن دالاس قد أسهم فى ايجاد المبرر لاسرائيل بسحبه تمويل السد العالى ، ووضعت مصر تحت ضغوط رد الفعل ، الذى تتربص به اسرائيل ٠

كتب بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون يقول (كانت الحرب ضد مصر مقررة لدى بن جوريون فقد عاد الى وزارة الدفاع فى فبراير ١٩٥٥) ٠

وكتب أيضا (كانت أزمة السويس بعدئذ طارئة وهى لم تغير فى شىء من خطط اسرائيل التى كانت ستهجم على اية حال ، ولكنها سهلت لها أصعب الأمور وهو السلاح والحلفاء) ٠

التحضير للعدوان :

وجدت حكومة بن جوريون فى تأميم القناة فرصتها فالى جانب السلاح والحلفاء كما كتب بن زوهار ، كان هناك المبرر أيضا ٠

وعندما وقف جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالاسكندرية يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يخاطب الجماهير فى خطبته التاريخية الخالدة اهتزت أعصاب كثير من الساسة الغربيين ، وبدأت تدرس الخطط على أساس حسابات جديدة ، وظهرت احتمالات الحرب فى الأفق ٠

والتقت رغبة الساسة البريطانيين والفرنسيين فى تحطيم القائد المصرى الذى جرؤ على تأميم القناة ، مع رغبة بن جوريون فى اسقاط النظام قبل وصول الأسلحة للجيش المصرى ٠

ولم تعد فرنسا تلعب دور مورد السلاح لاسرائيل ، ولكنها بدأت تلعب دور المخطط والمنفذ لخطة العدوان بعد أن أصبحت طرفا مباشرا فى المشكلة ٠

وبدأت خطة العدوان تنسج خيوطها بين انجلترا وفرنسا أولا ، ثم اقترحت فرنسا أن تشترك اسرائيل فى خطة الغزو ٠٠٠ ولكن ايدن تردد عندما نصحه الدبلوماسيون البريطانيون بقولهم ان فرنسا واسرائيل هما أكثر الدول جاذبية لكراهية العرب ، لدور فرنسا فى مقاومة ثورة الجزائر ، ولدور اسرائيل المعروف ٠٠٠ وان اشتراك اسرائيل سوف يعقد الموقف ، ويحرج الحكام الموالين للغرب ، ويعطى لعبد الناصر فرصة اشعال العداوة على امتداد الوطن العربى ٠

وكان ايدن يعلم تماما أن حكومة اسرائيل تتحرك فى توافق تام مع جون فوستر دالاس ٠٠٠ وكانت بريطانيا لم تسقط بعد تماما فى شرك الخضوع والتبعية للسياسة الأمريكية ٠

وفى (مجتمع جمال عبد الناصر) الجزء الثانى (قصة ثورة ٢٣ يوليو) تفصيل وتوضيح لكل ما دار من تدبير للعدوان بعد تأميم القناة ، ولذا اكتفى هنا بتسليط الضوء على الدور الذى لعبته اسرائيل ، بعد أن وافق ايدن أخيرا على اشتراكها فى خطة العدوان •

وضع الجنرال شال الفرنسى خطة تقضى بأن تهاجم اسرائيل مصر عبر سيناء ، وحينما تعبرها تتدخل بريطانيا وفرنسا وتدعو الدولتان الى ايقاف الحرب ••• واذا لم تقف تحتلان القناة ، حتى لا تتوقف الملاحة فيها •

ووضعت الخطة على مائدة المناقشة والتعديل هى وخطة (موسكتير) البريطانية ، وخطة (موشى ديان) الاسرائيلية ••• وانتهى الأمر بعد اجتماع سرى عقد فى ضاحية (سيفر) بباريس وحضره بن جوريون وديان وسلوين لويد وجى موليه وكريستيان بينو •

وتحدد دور اسرائيل شريكة مع الدولتين الكبريين : تبدأ الهجوم أثناء تدمير سلاح الطيران البريطانى لسلاح الطيران المصرى على الأرض ، ثم تتقدم بريطانيا وفرنسا بانذار لكل من اسرائيل ومصر بوقف الحرب والانسحاب عشرة كيلو مترات بعيدا عن ضفتى القناة ، والا تتدخل قواتهما لحماية القناة •

ولم يكن ممكنا لمثل هذه الخطة ان تتم بعيدا عن عيون الحكومة الأمريكية أو وكالة المخابرات المركزية ، وصلة بن جوريون وديان بأمريكا لا تسمح لهما بالقيام بمثل هذه الخطوة دون ابلاغ ، وفرنسا كانت قاعدة المخابرات الأمريكية فى أوربا •

وأخيرا دخلت الخطة دائرة العلاقات الرسمية ، فقد ذهب جاك شابان دالماس الوزير وقتها فى حكومة جى موليه وأبلغ السفير الأمريكى دوجلاس ديلون بالعملية المشتركة ضد مصر ، ولم يعلق السفير الأمريكى سوى بقوله (ألا يمكن تأجيل العملية حتى ما بعد الانتخابات الأمريكية) ••• ثم أرسل السفير تفاصيل ما سمعه الى واشنطن •

وقال آلان دالاس رئيس المخابرات المركزية الأمريكية وشقيق جون فوستر دالاس وزير الخارجية (حصلت المخابرات المركزية على المعلومات من عدة مصادر ، وتوافرت لها حقائق وتكهنات دقيقة عن التواطؤ الثلاثى ، وخاصة من تقارير جاءت من قبرص) وقد كان أمرا شائعا ومعروفا للمخابرات الأمريكية أن اعلان اسرائيل للتعبئة يوم ٢٧ أكتوبر هو علامة الهجوم •

وقال كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا بعد حدوث العدوان ما يأتى :

(أحسسنا فى تلك الأيام ان الولايات المتحدة لا تريد أن تعرف وأنها لا تطلب معلومات عما يحدث ، وكنا مطمئنين الى أن أجهزة المخابرات على اتصال وثيق بعضها ببعض ، وخاصة البريطانية والأمريكية ، وعلى أية حال كانت اتصالات معروفة بقيادة الاسطول السادس طلبنا اليهم فيها أن يبتعدوا بالاسطول عن تحركات أساطيلنا .

كان أمرا مؤكدا أن الولايات المتحدة تعرف خطة الغزو لأنها طلبت من جميع رعاياها مغادرة المنطقة قبل الغزو بيومين .

ولم تكن الخطة معروفة عند الولايات المتحدة فقط ، ولكنها كانت معروفة عند مصر أيضا .

كانت المعلومات التى تجمعت كافية لتوضيح خطة العدوان ، وقد جاء ذلك تفصيليا فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر ـ الباب الأول) فقد أرسل الملحق العسكرى المصرى بتركيا الأميرالاى زكريا العادلى امام معلومات تفصيلية عن تحركات بريطانية فرنسية اسرائيلية للهجوم . وحضر بنفسه الى القاهرة حيث أبلغها لعبد الحكيم عامر .

واتصلت مجموعة اليهود من الشيوعيين المصريين المقيمين فى باريس ، بالملحق العسكرى المصرى فى ذلك الوقت ثروت عكاشة ، وأبلغته بأنباء الغزو المحتمل ... وعندما تجمعت له أنباء وافية عن ذلك من هذا المصدر ومصادر أخرى قرر ارسال عبد الرحمن صادق المستشار الصحفى برسالة خاصة الى جمال عبد الناصر .

قال لى عبد الرحمن صادق انه حفظ الرسالة وما بها من معلومات عن ظهر قلب ، ولم يحمل معه أية أوراق ، وغادر باريس الى بروكسل كما لو كان فى نزهة عطلة نهاية الأسبوع ، ومنها اتجه فورا الى القاهرة حيث قابل على صبرى فى مبنى رئاسة مجلس الوزراء ، وسمع منه الرسالة ، ثم قابل جمال عبد الناصر فى مكتبه ، وأعاد عليه الرسالة مرة أخرى .

ويقول عبد الرحمن صادق ان جمال عبد الناصر تشكك فى صحة المعلومات ، فطلب منه أن يعيد الرسالة مرة أخرى ، وسأله عن مصدرها ، ثم قال (ان هذا يتناقض مع ما عندنا من معلومات) .

لم يكن جمال عبد الناصر يتوقع أن تقف اسرائيل مع الدول الكبرى على مستوى واحد فى تنفيذ خطة الغزو .

وتوافرت معلومات أخرى من مصادر مختلفة ٠

قال لى زكريا محيى الدين أنه توافرت لديهم معلومات كافية عن الحشود ، ولكنهم استبعدوا احتمالات التدخل لعدم وضوحها اذ كانوا يعتبرون ذلك نوعا من الضغط السياسى ٠٠٠ كما انهم استبعدوا فكرة الربط بين هجوم اسرائيل وملاحقته بهجوم بريطانى فرنسى مشترك ٠

ويقول زكريا محيى الدين أيضا انه لم يكن هناك استبعاد لفكرة العدوان الانجليزى الفرنسى وانما اتخذ ذلك فى تقديرهم كخطة خداع لصالح الاسرائيليين ٠

ويؤكد زكريا أنه لم يؤثر على الخطة الدفاعية المصرية احتمالات الانزال فى بورسعيد والاسكندرية ٠٠٠ ولكن الخديعة الحقيقية كانت فى هجوم الاسرائيليين ، لأن الجيش كان قد وضع خطته الدفاعية على أساس الانزال الانجليزى الفرنسى ، ولذا فانه لم يتحرك لسيناء الا يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ٠

كان جمال عبد الناصر قد اعتقد ان نسبة خطر الغزو قد انخفضت الى ١٠٪ بل انه استبعد احتمالات الغزو بعد موافقة وزراء خارجية فرنسا وانجلترا ومصر على المبادىء الستة وهى :

١ ــ ان تكون الملاحة فى القناة حرة ومفتوحة دون تمييز ٠

٢ ــ أن تحترم سيادة مصر ٠

٣ ــ أن تكون ادارة القناة منفصلة عن سياسات مقبولة كانت ٠

٤ ــ أن تحدد رسوم القناة باتفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة ٠

٥ ــ أن تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة وتطويرها ٠

٦ ــ فى حالات النزاع يجب تسوية الأمر بالتحكيم ٠

كان جمال عبد الناصر متطلعا الى مرور الأزمة وتسويتها سلميا ، وكان فيما يبدو حسن النية الى حد ما بخطط الامبريالية الشرسة ، فانه عندما أبلغه صلاح سالم بعد عودته من مؤتمر لندن أن الغزو ــ فى رأيه ــ أصبح مؤكدا ، لم يأخذ جمال عبد الناصر قوله مأخذ الجد الذى يحمل بوادر الخطر ٠

لم يتصور جمال عبد الناصر أن ايدن يمكن أن يقدم على هذه المغامرة التى قد تطيح باسمه ومستقبله ٠٠ ولم يكن يتصور أيضا أن اسرائيل يمكن أن تدفع قواتها لتصل الى قناة السويس بعد أقل من سبع سنوات

على قيامها ، وأقل من سـنة ونصف على عودة بن جوريون الى رئاسة الوزراء ، وخاصة أن معدل الاحتكاكات والغارات الاسرائيلية الفجائية على القوات المصرية كانت قد خفت ٠٠٠ بل انه كان قد تقرر سحب قوات من سيناء لتدافع ضد غزو محتمل للقنـاة ، ويؤكد ذلك الفريق عبد المحسن مرتجى الذى كان يعمل وقتها فى مكتب (اللواء) عبد الحكيم عامر قائلا انه لم يكن فى غزة والعريش سوى فرقة مشاة واللواء السادس فقط ٠

العـدوان :

لم تكن هذه القوة المشكلة من فرقة ولواء كافية ٠٠٠ ليس للدفاع عن سيناء ، وانما حتى لمراقبة تحركات العدو فى هذه الأرض الشاسعة التى تبلغ مساحتها (ثمن) مساحة مصر ٠

ولذا فانه عندما أعلن الاسرائيليون يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ انهم قد ارسلوا طابورا مدرعا الى سيناء ، لم تكن قد وردت بعد أية أنباء عن ذلك من القوات المصرية ٠٠٠ وعلم جمال عبد الناصر بذلك من أجهزة الاستماع فى مكتبه ٠

وسرعان ما أذاع الاسرائيليون فى العاشرة مساء ان قواتهم قد أصبحت على مقربة من قناة السويس ، وكانوا يقصدون بذلك قوات المظلات التى هبطت فوق ممر متلا ٠

ويقول زكريا محيى الدين ان هذه الأنباء قد دفعتهم الى وضع خطة لمجابهة غزو اسرائيل فقط ، ذلك أن أحدا فى القيادة العسكرية لم يكن قد تصـور أبعاد الخطة كاملة ، وأن هنـاك تدبيرا عدوانيا مشتركا بين الدول الثلاث اسرائيل وفرنسا وانجلترا ٠

هذا بينما يؤكد حافظ اسـماعيل مدير مكتب القائد العام فى ذلك الوقت انه كانت هناك خطة عسكرية لمواجهة كل الاحتمالات ٠

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ــ (ومع ان عبد الناصر كان شـديد الريبة فى أمر انزال المظليين الاسرائيليين فى منطقة ممر متلا ــ نظرا الى بعدها السحيق عن القوات البرية الاسرائيلية ــ فقد كان لايزال مقتنعا بأن المشـاركة فى العمليات الحربية بين اسرائيـل وبريطانيا وفرنسا هى من المحرمات غير الواردة ، وكان لايزال مقتنعا بأنه ليس فى وسع ايدن أن يتعاون مع الاسرائيليين بهذه الطريقة) ٠

ولكن فجر اليوم التالى بدد كل الشـكوك وأظهر حقيقة الخطة عندما تبين أن طائرات سلاح الجو الملكى البريطانى (كانبيرا) قد حلقت فى سماء

مصر ٠٠٠ وتم ابلاغ السفير الأمريكى الجديد فى القاهرة (ريموند هير) بذلك ٠

وفى الساعة الرابعـــة اسـتدعى السفير المصرى فى لندن (سامى أبو الفتوح) الى وزارة الخارجية البريطانية ، كما استدعى كمال عبد النبى سفير مصر فى باريس الى وزارة الخارجية الفرنسية فى نفس الوقت ، حيث سلما الانذار المشترك الصادر عن الحكومتين البريطانية والفرنسية الى مصر واسرائيــل ٠

كان الانذار يطلب من كل من اسرائيل ومصر أن توقف اطلاق النار وتنسحب عشرة أميال من كل جانب من طرفى القناة ، ويطلب من مصر القبول باحتلال القوات الانجلو فرنسية للمواقع الرئيسية فى بورســعيد والاسماعيلية والسويس ٠

كانت المهلة المحددة فى الانذار ١٢ ساعة فاذا ما انتهت هذه المهلة ــ على ما جــاء فى الانذار ــ دون أن تنصــاع أى من الحكومتين أو كلتاهما الى المطالب السابقة ، فان قوات المملكة المتحدة وفرنســـا ستتدخل بأية قوة تحتمها الضرورة لتأمين الانصياع ٠

وفى نفس الليلة اجتمعت الحكومة المصرية لتقرر ما يجب عمله ٠٠٠ وكان الرأى هو أن قبول الانذار ســـوف يعتبر كارثة ولذا تقــرر رفض الانذار ، بينما قبلته اسرائيل تبعا للخطة المشتركة ٠

واتجهت القيادة لمواجهة العدوان والغزو الثلاثى ٠

قال الفريق مرتجى ان جمال عبد الناصر كان هو صاحب القـــرار بسحب القوات المصرية من سيناء بعد أن تكشفت الخطة المعادية حتى لا تقع بين فكى الكماشة القادمة من اسرائيل عبر سيناء والغازية لمصر من طريق بورسعيد على مجرى القناة ٠

وحدث أول خلاف فى وجهات النظر بين جمال عبد الناصر الذى أخذ هذا القرار ، وبين عبد الحكيم عامر الذى أصدر أوامره للمدرعات بالتوجه الى سيناء لمقاومة الغزو الاسرائيلى ٠٠٠ ويقول حسنين هيكل ان النقاش قد استمر بين الرجلين طوال الليل مما أخر سحب الدبابات من سيناء ٠

وفى اليوم التالى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ اختلف عبد الناصر مرة أخرى مع القيادة العامة للجيش التى وجدت ان انسحاب الدبابات الى الدلتا يتيح لها فرصة خوض معركة بالدبابات ضد القوات البريطانية والفرنسية الغازية ، ولذا نقلوا مركز الرئاســـة الى الزقازيق ٠٠٠ وكان هذا مخالفـا لتصور عبد الناصر الذى نظر الى الأمر نظرة استراتيجية وسياسية تقضى بضرورة

الدفاع عن القناة والتشبث بها حتى لا يحقق لقوات الغزو المعادية غرضها الذى يتركز فى العودة لاحتلال منطقة القناة ، وليس الزحف الى القاهرة •

كانت هذه هى بداية الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر •

وكان مجلس قيادة الثورة قد انتهى دوره ، ولم يعد له وجود شرعى بعد مرحلة الانتقال ، وحصل أعضاؤه على قلادة النيل التى تمنحهم فى البروتوكول أسبقية على الوزراء واستقال من أعضائه يوسف صديق وصلاح سالم وأبعد كل من عبد المنعم أمين وخالد محيى الدين ، كما رفض جمال سالم الاشتراك فى الحكم بعد انتهاء فترة الانتقال •

قال جمال عبد الناصر ان أقرب اثنين اليه خلال فترة العدوان كانا عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين •

ويقول عبد اللطيف البغدادى انه لازم جمال عبد الناصر ملازمة الظل خلال فترة العدوان ••• وقد واجه عبد الناصر بنفسه الجماهير فى خطبة الجمعة الشهيرة بمسجد الازهر الشريف معلنا انه سيحارب وسيبقى مع أولاده فى القاهرة لن يغادرها ••• وكان صوته متحشرجا لمرضه بالانفلونزا •

ولم يكن خلاف جمال عبد الناصر مع عبد الحكيم عامر هو الخلاف الوحيد •• نشأ خلاف ثان بينه وبين صلاح سالم الذى جسم الخطر الذى يمكن أن ينجم عن العدوان والانذار ، وطلب من عبد الناصر ان يسلم نفسه الى السفير البريطانى سير همفرى تريفليان طالما هو المستهدف شخصيا ، كما نشطت الاذاعات المعادية فى تصوير الأمر بهذه الصورة ، اذ بدأت اذاعة بريطانية من قبرص باسم (صوت بريطانيا) كان غايتها اثارة الشعب المصرى ومحاولة التفرقة بينه وبين جمال عبد الناصر •

قال جمال عبد الناصر لصلاح سالم انه لو كان يعتقد أن البريطانيين يريدون شخصه فقط لاستسلم لهم راضيا ، ولكنهم يريدون مصر وشعب مصر وثورة مصر ولذا قال له (اننى أفضل أن أضحى بنفسى وأنا أقاتل ، ولكننى لن أستسلم) •

وتراجع صلاح سالم عن موقفه ، وأدرك خطأه ، وأراد أن يثبت حسن نيته فى لقاء له مع عبد الحكيم عامر بالقيادة العامة فلبس ملابس جندى كان مكلفا بحراسة المكتب ، وطلب ان يعود فى خدمة القوات المسلحة ، فكلفه عامر بالدفاع عن السويس ، وكان زميله كمال الدين حسين قد كلف أيضا بالدفاع عن الاسماعيلية ••• وبذل الاثنان جهدا ايجابيا واضحا فى اعداد المقاومة الشعبية ••• وتركز الدفاع على القناة من البحر الأبيض الى خليج

السويس ، وأغرقت فيها بعض البواخر لسد الملاحة واعاقة تحركات الأساطيل البريطانية والفرنسية ·

وفي الجزء الثاني (مجتمع جمال عبد الناصر) تفاصيل قصة المقاومة الشعبية في بورسعيد وغيرها والتي كان يشرف عليها زكريا محيي الدين وزير الداخلية ·

وفي يوم أول نوفمبر وضح للعالم ان مصر لا تقف وحدها في المعركة ، وان دخول اسرائيل ضمن خطة العدوان ، قد حشد الدول العربية حول القاهرة ··· فاذاعة دمشق وعمان بدأت تذيع قائلة (هنا القاهرة) بعد ضرب محطات الارسال في أبي زعبل ··· وابلغ الملك حسين عبد الناصر باستعداد الاردن للهجوم على اسرائيل ، ولكن عبد الناصر طلب منه عدم الاقدام على هذه الخطوة حتى يظل الجيش الاردني سليما ·

وكان شكري القوتلي رئيس جمهورية سوريا في موسكو وقتها وطلب من المسئولين هناك أن يتدخلوا لحماية مصر ··· كما نسف الضباط الوطنيون ومعهم عبد الحميد السراج مدير الشعبة الثانية (المخابرات) محطات ضخ البترول الموجودة في الأراضي السورية والتابعة للشركة البريطانية في العراق ·

وقطعت سوريا والمملكة السعودية علاقاتهما الدبلوماسية مع كل من انجلترا وفرنسا ، واكتفت الأردن والعراق بقطع العلاقات مع فرنسا حيث كانت تربطها ببريطانيا علاقات صداقة خاصة الى جانب حلف بغداد الذي ارتبطت به العراق ·

الأمة العربية كلها وقفت الى جانب مصر ··· وكل قوى التحرر الوطني ، والدول الاشتراكية جميعها ·· وجماهير ملحوظة من الشعب البريطاني والفرنسي تظاهرت ضد العدوان الذي كان يتطور يوما بعد آخر، فالطائرات البريطانية تقذف القوات المصرية المنسحبة من سيناء ، وتدمر الطائرات المصرية وهي جاثمة فوق أرض المطارات خلال يوم واحد ·

ويقول عبد اللطيف البغدادي ان الرأي كان قد استقر على عزل قائد الطيران صدقي محمود ، ولكن عبد الحكيم عامر تشبث ببقائه ··· بينما يقول زكريا محيي الدين انه كان قد تقرر عزل قادة الجيش والبحرية والطيران ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ·

الحرب مستمرة وكفة العدوان راجحة ، ويستشعر جمال عبد الناصر الخطر ولا يطيق البقاء في القاهرة ، فيحاول السفر الى بورسعيد وفي مدينة (أنشاص) التي عانت من الغارات البريطانية يعلم لحظة وصوله يوم

٥ نوفمبر ١٩٥٦ خبر نزول قوات المظلات البريطانية في بورسعيد ، والفرنسية في بورفؤاد ، فاضطر للعودة الى القاهرة ليدير العمليات من مبنى مجلس قيادة الثورة في الجزيرة ٠

واجهت مصر العدوان الثلاثي والكل يردد (حنحارب) ، وأغنيات (الله أكبر) (والله زمان يا سلاحى) ترتفع فى كل مكان ٠

ومضت المعركة الحربية والسياسية كما ظهرت تفصيلا فى الباب الأول من الجزء الثاني (مجتمع جمال عبد الناصر) الى ان صدر قرار وقف اطلاق النار عقب نشر الصحف البريطانية والفرنسية لانذار بولجانين الشهير واجتماع مجلس العموم فى صباح نفس اليوم لاتخاذ القرار ٠

ويقول انطوني ناتنج في كتابه (ناصر) ان مصر وعبد الناصر قد كسبا من عدوان ١٩٥٦ أكثر مما خسرا ، فقد تأكدت وثبتت سيطرة مصر على قناة السويس ٠

ومع ذلك فان القوات المسلحة المصرية قد انسحبت من سيناء دون الدخول فى معارك تصادمية مع القوات الاسرائيلية ، ولم يصمد القادة العسكريون فى وجه الغزاة البريطانيين فى بورسعيد كما صمدت المقاومة الشعبية ٠٠٠ وضربت الطائرات المصرية وهى جاثمة على الأرض فى المطارات دون حركة أو مقاومة ٠٠٠ ولم تثبت القيادة العامة للقوات المسلحة (عبد الحكيم عامر) قدرة حقيقية على التوجيه والقتال ٠

صادف العدوان فترة حساسة للقوات المصرية المسلحة ، فالتسليح السوفيتى والتدريب عليه لم يكتمل بعد ٠٠٠ والأسلحة البريطانية عاجزة ومتخلفة ٠٠٠ عقيدة القتال ومدرسته مرتبطة بالاسلوب البريطانى ٠٠٠ وعديد من الضباط حصلوا على بعثات فى أمريكا ٠٠٠ وكان هناك خبراء من فلول النازيين فى ألمانيا تحت اشراف الجنرال فون باخر ٠

كانت نتيجة العدوان الثلاثى على مصر بمقياس العمليات العسكرية هزيمة لا شك فيها ٠٠٠ فقد فرض القتال فرضا فى توقيت غير مناسب لم تتخذ أو تتوافر فيه الاحتياطات اللازمة للقتال ٠٠٠ ومع ذلك فقد ضاعف اشتراك ثلاث دول فى العدوان مرارة الهزيمة ٠

ولا ينفى هذا ان بعض الوحدات قد قامت بدور باسل وشجاع ٠٠ ولكن الأغلبية العظمى من الوحدات لم تختبر اختبارا جادا فى القتال ٠

قال لى الفريق مرتجى ان اللواء السادس مشاة عطل دخول القوات الاسرائيلية الى سيناء مدة ثلاثة أيام الى أن صدر له الأمر بالانسحاب ٠٠٠

ولم تهجم القوات الاسرائيلية مع ذلك الا بعدها بيوم كامل ، ولم يحدث أى اختراق الا فى رفح حيث ضرب اللواء الذى كان يقوده الاميرالاى جعفر العبد من البحر بالسفن الاسرائيلية ٠

وقد بلغت خسائر الجيش المصرى ألف قتيل ، واستشهد عدة مئات فى عمليـــات المقاومة الشعبية فى بورســـعيد ، وأسر ستة آلاف مصرى وفلسطينى معظمهم من قطاع غزة ولكن أفرج عنهـم تدريجيـــا بعد وقف القتال ٠٠٠ ولم تبلغ خسائر المعتدى الا ١٧١ قتيلا اسرائيليا ، ٢٦ جنديا فرنســيا وبريطــانيا عند الانزال ثم ارتفع الرقم خــلال عمليــات المقاومة الشعبية ٠

وأمام هذا الموقف الواضح ، اقترح اللواء عبد الحكيم عامر أن يقدم استقالته من قيادة القوات المسلحة ، ولكن جمال عبد الناصر لم يوافق على ابتعاد صديق عمره ، وأصر على بقائه رغم تعارض ذلك مع فكرته عنه وخلافه معه أثناء وضع خطة المعركة ٠٠٠ وكان التشبث به سببا فى بقاء صدقى محمــود فى مركزه رغم مسئوليته عن كارثة الطيران حيث وافق جمـــال عبد الناصر على أن يعطيه فرصة أخرى ٠

ورغم الهزيمة العسكرية ، كان هناك نصر سياسى لا شك فيه ٠

اكتسبت ثورة يوليو وزعامة جمال عبد الناصر شعبية هائلة فى الأمة العربية جعلته يصل الى قمة لم يعرفهـــا زعيم عربى من قبل ، حيث كانت صوره ترتفع فى كل مكان ، وخطبه يحفظها البعض عن ظهر قلب ٠

تحركت فى الدول العربيـــة روح المقاومة للأنظمة الرجعية التى لم يسعدها قرار جمال عبد الناصر بتأميم القناة ، ولا تحقيقه للنصر السياسى الذى انتهت اليه معركة العدوان ، وبدأ ذلك فى العـــراق المرتبط بحلف بغـــداد ٠

كان قرار جمال عبد الناصر برفض الانذار والصمود والحرب سببا فى تقــدير دول العالم الثالث والدول الاشتراكية للدور الواقعى البارز الذى تلعبه مصر فى مقاومتها للامبريالية ودعمها للتحرير الوطنى ٠

انكشف نهائيا الدور الذى تلعبه اسرائيل فى المنطقة لخدمة الامبريالية والاستعمار ٠٠٠ وفقدت بريطانيا وفرنسا كثيرا من المكتسبات والعلاقات التى حصلت عليها خلال تاريخ طويل نتيجة لربط خطتهما مع اسرائيل ٠

وبعد أن توقف اطلاق النار ، بدأت فترة انسحاب القوات المعتدية ٠

بعد العدوان :

انســحبت القوات البريطانية والفرنســية قبل أن تنسحب القوات الاسرائيلية ، وكان يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ هو يوم الجلاء الثانى فى عام واحد للقوات البريطانية عن مصر ومعها حليفتها القوات الفرنسية ٠

كانت فرنسا تحرض اسرائيل على البقاء فى ســيناء ، ولذا أسرع شيمون بيريز بالتوجه الى باريس فى فبراير ١٩٥٧ ليبحث مدى المعونات التى يمكن أن تقدمها فرنسا لاسرائيل فى حالة فرض عقوبات عليها أو استئناف الأعمال الحربية ، وقد أبدت فرنسا استعدادها للوقوف الى جانب اسرائيل ٠

ومع ذلك فان قوات اسرائيل انسحبت تدريجيا بعد محاولة مستميتة للتشبث بالأرض التى احتلتها ٠٠٠ ولكن الظروف الســياسية العالميــة وقرارات الأمم المتحدة ، وتربص حكومة الولايات المتحــدة بالمنطقة بعــد انســحاب القوات البريطانية والفرنســية ٠٠٠ كل ذلك دفع اسرائيل للتراجع ٠٠٠ ولكنهــا لم تتراجع تراجعا كامــلا كما فعلت الدولتــان الكبيرتان ٠

كانت الاتفاقية التى أمكن التوصل اليها تفرض شروطا رأى جمال عبد الناصر انه من المصلحة ألا يرفضها رفضا تاما فى هذا الوقت تفاديا لتعقيد الأمور ، وهو لا يملك قوات مسلحة قادرة على الردع ، ومشاكل المجتمع الجديد تنتظر من يضع لها حلولا ٠

وتحت مظلة الأمم المتحدة ، وبحضور وموافقة وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة وانجلترا وفرنســا تقرر الجــلاء للجميع مع الشروط الآتية :

أولا ٠٠٠ وضع ستار دفاعى من قوات الأمم المتحــدة على الحدد بين القوات المصرية والاسرائيلية ٠

ثانيا ٠٠٠ فتح مضــيق تيران المســيطر على ميناء ايلات للمــلاحة والتجارة الاسرائيلية ٠

ثالثا ٠٠٠ اخلاء شرم الشيخ لهيئة الرقابة الدولية ٠

رابعا ٠٠٠ الاتفاق على أنواع محددة من الأسلحة لا تتعدى حدودا مرسومة جهة الشرق ٠

كانت هذه الشروط فى واقعها تنازلات أكيدة من الجانب المصرى ٠٠٠ ولكنها اذا قورنت بالانتصار السياسى الذى تحقق بعد العدوان ، واجبار

قوى ثلاث دول على الانسحاب قبل أن تمضى ستة أشــهر على العدوان ، تعتبر ضئيلة ، وخاصة اذا وثقنا أن فكرة العدوان على اسرائيل وتدميرها كانت أبعد ما تكون عن فكر جمال عبد الناصر .

يعتبر جان لاكوتير قبول عبد الناصر (دليلا على التخلف العسكرى الذى وجد أنه قد انتهى اليه) .

ويقول انطونى ناتنج (رغم نجاح عبد الناصر فى جذب الرأى العام العالمى الى صــفه ، ونجاحه فى الحصـــول على التأييد المعنوى للدولتين العظيمتين أمريكا وروسيا الا أنه عرف وقبل نقطة ضعفه ، ولذا رضى فى مباحثاته مع همرشولد حلولا وسطا) .

كان جمال عبد الناصر قد بدأ يدرك أن انحسار النفوذ البريطانى الفرنسى عن المنطقة ، لا يعنى انحسارا كاملا لنفوذ الامبريالية العالمية ، ولكنه يفتح شهية الامبريالية الأمريكية لوراثة نفوذ الدولتين ، وان اسرائيل قد بادرت بوضع نفسها تحت عباءة النفوذ الأمريكى ... ولذا فان التناطح الكامل ورفض هذه (التنــازلات) المحــددة ربما كان كفيلا بتغيير اتجاه الموقف الأمريكى ، وزيادة عناد اسرائيل ورفضها للانسحاب .

ولذا فانه يصعب القول بأن ذلك كان (تهاونا وطنيا) من جمــال عبد الناصر ... ولكنه كان يعنى ادراكا واعيا بطبيعة الظروف التى كانت قائمة خلال هذه الفترة .

انسحبت اسرائيل تماما فى شهر مارس ١٩٥٧ بعد أن حرثت الطرق وبثت الألغام ودمرت آبار البترول وفى نفس هذا الشــــهر وفى يوم ٩ بالتحديد أصدر الكونجرس الأمريكى قراره بشأن مشروع ايزنهاور تحت اســم (دعم الســلام وتوطيد الســلام فى الشرق الأوسط) وهو يخول ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة ، وانفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الأمن المشتركة .

أوفد ايزنهاور ممثله الشخصى جيمس ريتشاردز فى جولة استطلاعية بالمنطقة لحث دولها على قبول (مبدأ ايزنهاور) وسارعت اسرائيل باعلان ترحيبها وموافقتها على مساعدة الولايات المتحدة لدول المنطقة فى الاحتفاظ باستقلال ووحدة أراضيها ، وخاصة بعد أن ضاعت هيبة بريطانيا وفرنسا بعد فشلهما فى العدوان على مصر (مما خلق فراغ القوة فى هذه المنطقة الاستراتيجية) .

ونشــطت اسرائيل فى الدعــوة لمشروع ايزنهــاور وتجســيم الخطــر الشيوعى كما صرح بذلك شيمون بيريز مدير وزارة الدفاع فى ذلك الوقت

عندما أكد (ان وجود اسرائيل يشكل حاجزا ضد انتشار الشيوعية لا في الشرق الأوسط فحسب · بل وفي أفريقيا كذلك ··· وان ـ تقوية ـ اسرائيل انما هو ضمان لاستقلال كثير من شعوب المنطقة) ·

ولكن مشروع ايزنهاور لم يجد عند مصر من الترحيب ما وجده عند اسرائيل ، فقد أدرك عبد الناصر أن الأمريكيين يريدون أن ينشروا مظلتهم على المنطقة ، وأن يرثوا المصالح البريطانية والفرنسية فيها ··· ولكنه لم يكن مستعدا لقبول ذلك ، وخاصة بعد أن انسحبت القوات المعتدية فعلا ، وأصبحت قوات الأمم المتحدة تشكل ستارا دفاعيا وحاجزا سلميا بينه وبين اسرائيل ·

ولم تجرؤ دولة عربية في هذا المد القومي على قبول (مشروع ايزنهاور) فقد كانت مصر قد أكدت دورها الطليعي المتميز ، وكان جمال عبد الناصر قد أصبح الاسم والشخصية التي تخفق لها قلوب الجماهير على امتداد الوطن العربي ، والتي لا يجرؤ حاكم على اتخاذ موقف مضاد له ، وهو الذي خرج منتصرا من معركة العدوان ، مستمرا في تأييد ثورة الجزائر ، قاسيا في مهاجمته لحلف بغداد ومشاريع الامبريالية المشبوهة ·

فشل مشروع ايزنهاور فعلا ··· وبدأت حكومة الولايات المتحدة تدرس استراتيجيتها وسياستها الجديدة في المنطقة ·

والفشل في مواجهة الخصم لا يعني عدم محاولة التسرب الى صفوفه وتمزيق وحدته ، وهكذا فعلت حكومة الولايات المتحدة عندما قررت تفتيت الجبهة العربية التي خرجت من حرب ١٩٥٦ شديدة الثقة والتماسك ·

أخذت الحكومة الأمريكية في الشهر التالي مباشرة لرفض مشروع ايزنهاور ـ أبريل ١٩٥٧ ، تركز أنظارها على الأردن وتعلن عن قلقها من امتداد السيطرة الشيوعية على البلاد ··· ونجحت الدوائر الأمريكية في فتح ثغرة قلبت فيها الحكومة الوطنية وعزلت قيادة الجيش ، وأضافت الأردن الى قائمة الدول التي تحصل على مساعدات عسكرية (انظر الجزء الثالث من قصة ثورة ٢٣ يوليو « عبد الناصر والعرب » الباب الرابع) ·

وما أن نجحت الخطة الأمريكية في الأردن حتى حولت أنظارها الى سوريا ، ولكن الخطة التي تقرر لها أن تنفذ في أكتوبر ١٩٥٧ بتدخل تركي واسرائيلي لم تنجح لوعي الشعب السوري ووطنية قيادته واسراع جمال عبد الناصر بارسال قوات الى اللاذقية ·

وأمام هذه المؤامرة لم يكن جمال عبد الناصر قد توارى في الظل أو ارتضى لنفسه وحكومته الهدوء والسكون ··· بل انه بدأ هو الآخر في

تنفيذ استراتيجيته التى تحقق لمصر الاستقلال الوطنى ، وتحقق للعرب تضامنا قوميا مؤثرا .

المشكلة الأولى كانت توحيد تسليح الجيش وتدريبه وتحويله الى جيش مقاتل يمكن أن يكون سندا عند وضع أية خطة وطنية .

أول ضباط مصريين سافروا الى الاتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٥٧ بأسماء مستعارة تحاشيا لنشاط المخابرات الأمريكية ، وكانت الأسلحة السوفيتية قد بدأت تتدفق منذ أكثر من سنة .. ووصل الخبراء السوفيت كما يقول الفريق عبد المحسن مرتجى فى أواخر عام ١٩٥٨ بأعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط ، حيث اشتركوا فى اعادة تنظيم القوات على أساس المدرسة والعقيدة الشرقية .

اسرائيل تجد أن وسيلتها الوحيدة للحياة والبقاء هى الارتباط بالدولة الامبريالية ـ الولايات المتحدة ـ وتعرض عليها دور المنفذ لسياستها فى المنطقة .

ومصر تجد أن وسيلتها الوحيدة أيضا للمحافظة على استقلالها الوطنى وبناء مجتمعها بارادة الشعب ، هو أن توطد علاقتها مع الدول الاشتراكية التى أبدت استعدادا لتزويدها بالسلاح ثم المصانع فيما بعد .

مواقف سياسية جديدة :

فرض العدوان الثلاثى على المنطقة واقعا جديدا ... وبدأت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يلعبان دورا متزايدا فى المنطقة ... وتحدد موقف الدول العربية من اسرائيل باعتبارها دولة معتدية .. تحتل جانبا من أرض فلسطين ، ولا تكتفى بذلك فتهجم على مصر وتحتل جانبا من أرضها .

ومع ذلك فانها عندما سألت المسز دوروثى طومسون جمال عبد الناصر فى يناير ١٩٥٧ خلال حديث نشرته (مجموعة أنصار السلم المصريين) منقولا عن مجلة (البوليس المصرية) قائلة :

(سألت الرئيس صراحة هذا السؤال : هل تنوى تدمير اسرائيل ؟ انهم يقولون ان هذا هو هدفك) .

أجاب (اننى أتحدى مسيو موليه ومستر سلوين لويد أن يجدا فى كافة خطبى وتصريحاتى كلمة تشير الى أننى أنوى تدمير اسرائيل) .

ونشرت وثيقة أنصار السلام أيضا فقرة أذيعت من اذاعة القاهرة يوم ٢٧ مارس ١٩٥٧ توضح الموقف السلامى لمصر وتقول :

(ان الجلاء عن غزة وشرم الشيخ يضع نهاية لعملية غزو مصر ، ومصر الآن مستعدة لحل أى مشـكلة معلقة بوسائل سلمية ... وللحقيقة فان موقف مصر كان سلاميا قبل وأثناء وبعد العدوان) .

واذا كان بن جوريون قد أفلح فى تخريب محاولات السلام الأولى مع موشى شاريت ، فان الوقت والظروف لا تعتبر متأخرة .

عنـدما وقع العدوان على مصر حلت (اللجنة العربية الاسرائيلية) التى شكلت فى باريس من يوسف حلمى وآخرين كما أوضحنا فى الفصل الأول ، وأرسل يوسف حلمى برقية تأييد لجمال عبد الناصر فى حـربه العادلة ضد المعتدين كمـا أرسل نداء للشعب الاسرائيلى يفسر فيه تورط الحكومة الاسرائيلية فى العدوان ، ويوسف حلمى كان يفرق كثيرا بين شعب اسرائيل وسياسة حكومته ... كما أرسل خطابا حادا مفتوحا للحكومة الاسرائيلية يدين تصرفاتها العدوانية نشرته الصحف الفرنسية .

وقد عـاد يوسف حلمى أول سكرتير للمجلس المصرى للسلام الى القاهرة عقب العدوان عام ١٩٥٧ بعد أن كان قد غادر القاهرة خلال أزمة مارس ١٩٥٤ ، عاد يوسف حلمى ليواجه موقفا جديدا فى مصر .

كان يوسف حلمى أحد المؤسسين الرئيسيين لحركة السلام فى مصر وانتخب سكرتيرا لها بارادة أعضاء المجلس المصرى للسلام الذى كان يرأسه محمد كامل البندارى سفير مصر فى موسكو .

وكانت حركة السلام تصدر منذ انشائها قبل الثورة مجلة (الكاتب) الأسبوعية التى نافست فى التوزيع المحلى معظـم المجلات التقليـدية ، وسبقت غيرها فى السودان .. كما كانت حركة تستمد وجودها وقوتها من الجماهير التى تناضل ضد الحرب الباردة واخطار السياسة الأمريكية التى تبناها جون فوستر دالاس وزير الخارجية وعرفت بسياسة حافة الهاوية .

ورغم تعطيل الحكومة لمجلة (الكاتب) ضمن عدد من المجلات والجرائد أثناء سنوات الصدام بين حركة الجيش والقوى السياسية المختلفة كما ذكرت تفصيلا فى الجزء الأول (قصة ثورة ٢٣ يوليو)..فقد ظلت حركة السلام قائمة تناضل من أجل أهدافها الانسانية .. ولم تتوقف رغم خروج يوسف حلمى من مصر بعد ملاحقة السلطة له ، ودخول سعد كامل الى السجن .

وكان عبد الرحمن الشرقاوى قد تولى أعمال السكرتير بالنيابة خلال تواجد يوسف حلمى فى الخارج .

ويقول عبد الرحمن الشرقاوى انه قد أسلم العمل ليوسف حلمى فور عودته ليكون سكرتيرا عاما للسلام كما كان وكما عرفه الناس .

ولكن تيارات جديدة بدأت تتحرك ضد يوسف حلمى بأصابع السلطة التى لم تكن لتسمح بوجود هذه الحركة التى ولو انها ليست حزبا سياسيا الا أنها تجمع الناس حول قضايا سياسية يأتى السلام فى مقدمتها ٠

وكان محمد كامل البندارى قد أسلم رئاسة المجلس للدكتور ابراهيم رشاد أبو التعاون فى مصر ووكيل وزارة الشئون الاجتماعية السابق ٠

أرادت الحكومة أن تفرض العسكريين أيضا على هذه الحركة الشعبية واختارت خالد محيى الدين ، وهو الذى كان قد عاد من الخارج وأعطيت له رئاسة تحرير جريدة المساء ٠٠ ولكنه لم يستطع أن يصل الى منصب السكرتير العام عن طريق الانتخاب ٠ لانه لم يكن فى الأصل عضوا فى المجلس المصرى للسلام ٠ كما أن أعضاء المجلس كانوا يريدون تحاشى فرض السلطة لشخص معين عليهم رغم أن خالد محيى الدين كان ذا وجه تقدمى ٠

ولم يعد باقيا سوى التدخل السافر من جانب الحكومة بصورة قرار بتشكيل المجلس المصرى للسلام ، ظل الدكتور ابراهيم رشاد رئيسا له وأصبح خالد محيى الدين سكرتيرا عاما ٠٠ وأبعد عن المجلس عدد من رواده ومؤسسيه الأوائل مثل يوسف حلمى وسعد الدين كامل وعبد الرحمن الشرقاوى والشاعر كمال عبد الحليم والفنان حسن فؤاد ٠

وهكذا لم يعد فى مصر أى نشاط يمكن أن يقترب من السياسة ، وهى تسيطر عليه أو تخضعه لارادتها عن طريق فرض أعضاء مجلس الادارة عليه ٠

وابتعد يوسف حلمى عن المجلس المصرى للسلام ، بعد أن أبعد عنه ، وعاش يرقب فى صمت سلوك بعض الذين وضعوا أيديهم فى يده خلال نضال مشترك ٠٠ ولم يشأ القدر له أن يعانى مزيدا من العذاب النفسى ، فاقتحم عليه حياته مرض خطير انتهى به الى الموت وهو أكمل ما يكون شبابا وأعلى ما يكون همة ، وأصفى ما يكون نفسية ٠

مات يوسف حلمى ٠٠ بعد أن أثرت مواقفه الشجاعة فى تغيير رؤية الكثير من أعداء السلام داخل اسرائيل ٠٠ وبعد أن وقف فى حزم ووضوح الى جانب جمال عبد الناصر بعد أن نجحت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى تخريب محاولات السلام ٠

وتوضيحا لروح السلام أجاب جمال عبد الناصر على سؤال محدد للكاتب الأمريكى وليام أتورد نشر فى الديلى اكسبريس يوم ١١ يونيو ١٩٥٧ :

سواء دمرت اسرائيل أو طلبت السلام ، ما هو الحل الذى تختار ؟ وتحت أى شروط توافق لوضع نهاية لحالة الحرب مع اسرائيل ؟

وقال جمال عبد الناصر :

ـ اننى لم أتحدث مطلقا عن تدمير اسرائيل ٠٠ وأى تسوية شاملة يجب أن تأخذ فى الحسبان حقوق العرب اللاجئين ومشاكل الحدود ٠٠٠ ومن الجانب الاسرائيلى فانها يجب أن تأخذ فى الاعتبار حقوقها فى استخدام القناة وخليج العقبة ، اننى لا أعرف متى تكون هذه التسوية الشاملة ممكنة ٠

وعبد الناصر فى ذلك يؤكد قناعته فى الاعتراف باسرائيل كدولة فرضتها الظروف وزرعتها فى المنطقة ٠

وفى احدى جلسات جمال عبد الناصر مع أعضاء أمانة الاتحاد الاشتراكى فى تاريخ لاحق (٢٣ فبراير ١٩٦٥) أثار أحد الأعضاء قضية متعلقة بتداول كتاب يدرس الأوضاع النقابية فى اسرائيل وينتقد ذلك ، وعبد الناصر يلح على ضرورة دراسة الأوضاع فى اسرائيل على أساس علمى دقيق ٠

واستنكف العضو ايراد اسم اسرائيل مسبوقا بكلمة دولة ، وكنا قد اعتدنا بعد عام ١٩٤٨ أن نقرن اسم اسرائيل فى الكتابة والاذاعة بلقب (المزعومة) ورد عليه جمال عبد الناصر باستفاضة ووضوح :

(اننا لا نستطيع فى الواقع القول بأن اسرائيل ليست دولة ٠٠ ان اسرائيل دولة تعترف بها الدول ، وأما اذا كنا نحن لا نعترف بها فان ذلك لا يمنعنا من التعرف على كل أنظمتها ، وحين نتكلم عن اسرائيل فاننا يجب أن نعتبرها دولة ٠٠ وأود أن أشير الى اننى دائما لا أقول اسرائيل المزعومة أو دولة العصابات لاننا فى هذا نكون كمن يضحك على نفسه) ٠

واستشعرت اسرائيل التى أجبرت على الانسحاب ان من واجبها خلق استراتيجية جديدة تزداد فيها التصاقا بالولايات المتحدة بعد فشل (مشروع ايزنهاور) وفشل خطة الاعتداء على سوريا فى أكتوبر ١٩٥٧ كما ذكرنا ، والتى انتهت برد فعل عكسى أثمر الوحدة بين مصر وسوريا فى (الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨) ٠

وكانت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى العراق ، وتدخل الأسطول السادس الأمريكى فى لبنان ، ووصول قوات بريطانية الى الأردن ، فرصة لاسرائيل للضغط من أجل زيادة ارتباطها بحكومة الولايات المتحدة والحصول على الأسلحة منها ، حيث لعبت على التناقض بين السياسة الأمريكية والعربية ٠

أسرع شيمون بيريز في أغسطس ١٩٥٨ الى الولايات المتحدة يحمل قائمة بالأسلحة والمعدات المطلوبة لاسرائيل ، غير أن الولايات المتحدة طلبت مهلة للدراسة ٠

وفي مارس ١٩٦٠ عقب الأزمة التي نشأت بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة حول المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود السورية ، سافر بن جوريون الى الولايات المتحدة طالبا من ايزنهاور صواريخ هوك (لتحمي اسرائيل من الوحدة العربية التي حاصرتها من الشمال والجنوب ، وجعلت سماءها مطوقة بدولة واحدة هي الجمهورية العربية المتحدة) ٠

ولكن ايزنهاور لم يبت أيضا في هذا الطلب حيث كانت مدة رئاسته على وشك الانتهاء ٠ وأشار الكتاب السنوى لحكومة اسرائيل عام ١٩٦٠/٦١ الى مدى الدعم الأمريكي لاسرائيل في فقرة جاء فيها :

(ان الولايات المتحدة تؤكد في بيانها من جديد موقفها من اسرائيل وتنوه بأن وجود اسرائيل وازدهارها جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية الأمريكية كما تقدر حكومة الولايات المتحدة محاولة اسرائيل تدعيم سياستها وضمان مستقبلها السياسي ٠ وهي مستعدة لزيادة مساعدتها الفعالة من أجل تحقيق هذين الهدفين) ٠

هذا التوجه الاسرائيلي نحو أمريكا كان محسوبا بعد تغيير نظام الحكم في فرنسا خلال مايو ١٩٥٧ ووصول ديجول الى الحكم بعد ثورة الجنرالات ، واختفاء معظم أصدقاء اسرائيل القدامى من العسكريين والسياسيين الذين شاركوا في مؤامرة العدوان الثلاثي ٠

أنهى ديجول وجود ممثل اسرائيلي خاص في وزارة الدفاع الفرنسية قائلا : (ان فرنسا دولة مستقلة ولن تسمح لبعثات خاصة بأن ترابط في وزارة الدفاع الفرنسية) ، وطلب في رسالة الى عبد الناصر اقامة علاقات جديدة مع العالم العربي

ومع ذلك فان بن جوريون زار فرنسا في يونيو ١٩٦٠ لاتمام صفقة شراء طائرات ميراج جديدة بدأ التفاوض من أجلها عام ١٩٥٩ ٠

واعتمدت اسرائيل أيضا على التسلح من ألمانيا الغربية بتصريح خاص من الولايات المتحدة عقب زيارة بن جوريون لواشنطن في مارس ١٩٦٠ ٠

وكانت أول صفقة أمريكية تقرر ارسالها الى اسرائيل ، صفقة من صواريخ (هوك) المضادة للطائرات عقب زيارة بن جوريون الى أمريكا واتفاقه مع الرئيس جون كنيدى على ذلك صيف عام ١٩٦١ ٠

وبدأت سلسلة من الخطابات المتبادلة بين كنيدى وعبد الناصر يمكن الاطلاع عليها فى كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) ٠٠ ولكن تبادل هذه الخطابات التى تعرضت من جهة عبد الناصر لحقوق اللاجئين الفلسطينيين كما ورد فى خطابه بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩٦١ الذى جاء فيه : (كان هدفى أن أشرح لكم ان حق اللاجىء الفلسطينى مرتبط بحق الوطن الفلسطينى وان بقية الأركان العربية لا يمكن أن تعزل نفسها عن العدوان الذى انقض على واحد منها بسبب واضح هو أن هذا العدوان ــ فضلا عن كل ما يعنيه التضامن العربى ــ يهدد الأقطار العربية الباقية بالخطر نفسه والمصير نفسه) ٠

وقد حاول بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل خلال هذه الفترة أن يعيد من جديد محاولات الاتصال مع جمال عبد الناصر عن طريق المارشال تيتو ، فأرسل اليه خطابا بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ كما ورد فى كتابه (العرب والفلسطينيون وأنا) يدعوه فيه الى الوساطة لبدء مفاوضات بين مصر واسرائيل تستهدف عقد اتفاق سلام ٠٠ ولكن تيتو رد عليه بعد اربعة أشهر بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٦٣ يقول (اننى اذا أخذت بعين الاعتبار الظروف الحالية فى هذا الجزء من العالم ، والتوتر الذى يسود فيه ، أجد أن التدخل الخارجى لا يمكن حسب رأيى أن يتوصل الى النتائج المرغوب فيها) ٠

اعتذر تيتو واستقال بن جوريون فى ١٦ يونيو ١٩٦٣ ٠

وفى تبادل الخطابات بين كيندى وعبد الناصر اتضحت سياسة الأخير غير العدوانية ، ولكنها لم تمنع كيندى من الموافقة على امداد اسرائيل فى نفس الصيف ــ كما ورد فى كتاب العسكرية الصهيونية ، المجلد الأول ــ الذى وصله فيه هذا الخطاب بصواريخ هوك ، وفتح باب عريض لامداد اسرائيل بالأسلحة ، وكان ذلك بداية موقف سياسى جديد فى المنطقة ٠

الفصل الثالث

ضغوط على النظام

(تألم عبد الناصر أشد الألم من الانفصال ، فقد كانت الوحـدة أول تعبير على مسـتوى دولى عن حلمه بالوحدة العربية ، ولم يكتب لها ان تبعث فى حياته ، ومن هنا فانه عنـدما سمع بتـورط وكالة المخـابرات المركزية فى المؤامرة ، احس بالتأثر والدهشة معا ، ذلك انه اذا كان كيندى يتقرب منـه فما الذى يدفع وكالة المخابرات المركزية للعمل ضده ؟) ٠

محمد حسنين هيكل

عبد الناصر ـ والعالم

لم تعرف ثورة يوليو فترة ازدهار واستقرار ، مثلما عرفت بعـد العدوان الثلاثى ، وانسحاب القوات المعتدية ٠٠ ولم يحظ جمال عبد الناصر بتأييد شعبى جارف كما حظى عام ١٩٥٧ وما بعد ذلك ٠

كانت سنوات صعود خارقة ٠٠ رغم الهزيمة العسكرية التى تحولت الى نصر سياسى باهر ٠

لم يقف الناس كثيرا عند التنازلات التى قدمت ثمنا لجلاء القوات الاسرائيلية ٠٠ ولم تسلط الدعاية أية أضواء عليها ، اذ اعتبرت أمرا ثانويا لا يفسد روعة النتيجة النهائية ٠

وانفرد جمال عبد الناصر فى قمة السلطة يشكل مجتمعه الجديد ، ومن حوله أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ٠ وقد بعد الفارق بينه وبينهم ، بعد أن أصبح شخصية عالمية يفخر بها العرب ، وتتطلع اليها

حركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث ، وتتوطد الصداقة بينه وبين قادة الدول ٠

ولم تمض عدة شهور على محاولة الأمريكيين اخضاع النظام فى سوريا ـ أكتوبر ١٩٥٦ ـ حتى أعلنت الوحـدة بين مصر وسوريا ، وظهـرت الجمهورية العربية المتحدة الى الوجود فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ ٠

ولم تكد تكتمل خمسة أشهر على قيام الجمهورية العربية المتحدة حتى قامت ثورة ١٤ يوليو ـ ١٩٥٨ فى العراق ، وبادر جمال عبد الناصر بزيارة موسكو لضمان تأييد الاتحاد السوفيتى للقوى الوطنية فى المنطقة ٠

وبدأ الاستقطاب فى المنطقة يأخذ شكلا واضحا ٠

وتحركت قوى الامبريالية لمساندة الأنظمة الرجعية خوفا من امتداد آثار ثورة العراق ٠٠ فنزلت قوات الأسطول السادس الأمريكى فى لبنان ، وتحركت القوات البريطانية من قبرص الى الأردن ٠٠ وكانت هذه هى بداية (الضغوط المباشرة) التى تتعرض لها المنطقة ٠

ولكن القوات الأمريكية لم تبق طويلا ، فقد انسحبت من لبنان عقب انتخاب فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية بعد شمعون ٠ ولم يكن قد مضى عليها أكثر من أربعة شهور ٠

وجلت بعد ذلك القوات البريطانية عن الأردن ٠

وعنـدما سأل الصحفى الهندى (كارانجيا) جمال عبد الناصر فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٨ قائلا :

ـ يبدو أن الأردن التى احتلتها القوات البريطانية هى فى الحقيقة الضحية الكبرى للغرب ٠٠ فما هو حل هذه المشكلة ؟

أجاب عبد الناصر :

من الصعب العثور على اجابة محددة لهذا السؤال ، ولكن المؤكد أن الشعب الأردنى هو الذى يستطيع بوطنيته وحكمته أن يرسم الطريق ، ولكن الأمـر الذى اتضح ويزداد كل يوم وضـوحا هو أن الحـديث عن عمـلاء عبد الناصر أو هيئات أو منظمات تعمل لحساب عبد الناصر ٠ أو الحديث عن عدوان مباشر أو غير مباشر من جانب الجمهورية العربية المتحدة قد أصبح أكذوبة لا يكاد يصدقها حتى الذين اخترعوها أنفسهم بل لعل العالم كله يرى الآن من الذى يستخدم العملاء ومن الذى يدير الأموال فى الأردن ٠٠ ان ملك الأردن تسلم من الولايات المتحدة سبعين مليونا من الدولارات منذ قام بانقلابه المشهور على الحكم الوطنى ، منذ أكثر من عام ، هذا الملك الآن فى حاجة الى رجال المظلات البريطانيين لكى يحموه من شعبه) ٠

ولكن عملية الاستقطاب لم تمض فى المنطقة الى غايتها ، فسرعان ما تغيرت الظروف عقب الخلافات التى نشأت بين ثورة يوليو المصرية وثورة يوليو العراقية ٠٠ والتى امتدت آثارها الى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى عـام ١٩٥٩ ، وهو العام الذى تميز بظهور الخلاف بين عبد الناصر والشيوعيين العرب ثم اعتقال الشيوعيين المصريين، وتبادل الاتهامات بين جمال عبد الناصر وخروشوف ٠

وتلقفت حكومة الولايات المتحدة هـذه الخلافات محـاولة توسيعها والاستفادة منها فى محاولة للنفوذ الى مصر من جديد ، بعد أن ارتكب دالاس خطأه الكبير بسحب تمويل السد العالى ، ومحاولة أمريكا فرض مشروع ايزنهاور ٠

ووصل الخلاف مع الاتحاد السوفيتى من جهـة ، والتقارب بين مصر وأمريكا من جهة أخرى الى حد تحويل ٢٤٠ طالبا كانوا يدرسـون فى الاتحاد السوفيتى الى الولايات المتحدة ٠

واستصدر الأمريكيون القانون رقم ٤٨٠ الذى أتاح لهم فرصة امداد مصر بالقمح وغيره من المساعدات الأخرى ٠٠ واستمر الأمر كذلك بعيدا عن صخب الدعاية مدة عامين كاملين ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ تسلم بعدهما جون كنيدى رئاسة الولايات المتحـدة الأمريكية ، وبدأت بينه وبين جمال عبد الناصر سلسلة من الخطابات المتبادلة تناقش المشاكل المحلية والعالمية ٠

وكانت مشكلة اسرائيل محورا من محـاور النقاش كما يتضح فى الخطاب الذى كتبه جمال عبد الناصر يوم ١٨ أغسطس ١٩٦١ والمنشور فى كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) ، ردا على خطاب كنيدى فى مايو ١٩٦١ الذى قال فيه :

(اننا لعلى استعداد للمساعدة فى حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين المأساوية على أساس مبدأ اعادة التوطين أو التعويض عن الممتلكات ، وعلى المساعدة فى ايجاد حل منصف لمشكلة تنمية مصادر مياه نهر الأردن ، وان نقدم عوننا لاحراز التقدم فى الجوانب الأخرى من هذه المشكلة المعقدة) ٠

ويبدو أن حكومة مصر قد تصورت أن هنـاك بابا قد فتح لحل مشكلة فلسطين ، فبادرت وزارة الخارجية بارسال النشرة رقم ٢٧/ت لسنة ١٩٦١ بتاريخ ١٠ أغسطس الى بعثات التمثيل الدبلوماسى والقنصلى للجمهورية العربية المتحدة بالخارج الحاقا لنشرة سابقة صدرت فى أول أغسطس ٠

تقول النشرة :

نود الاحاطة بما يلى :

١ ـ لم يطرأ أى تغيير فيما سبق وجاء فى النشرة المذكورة أعلاه ، وتود الوزارة أن تؤكد مرة أخرى ضرورة مراعاة عدم الخوض فى موضوع اللاجئين الفلسطينيين قدر الامكان ، وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية والدول المرتبطة بها ٠

وتدون النشرة فى نهايتها ملاحظة تقول :

ان وزارة الخارجية تتشرف بافادتكم انها اذ ترسل اليكم هذه التعليمات انما تهدف من وراء ذلك الى التسهيل على سير المفاوضات التى تدور الآن فى جو هادىء وبالطرق الدبلوماسية مع حكومتنا وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين ٠

ان هذه المفاوضات تتقدم بصورة مرضية وقد أظهرت الحكومة الأمريكية نيتها الحسنة نحونا وذلك بتوقيعها على اتفاقية تبادل فوائض السلع التموينية معنا ، وعدم اثارة موضوع اللاجئين ساعد كثيرا على سير المفاوضات فى الطريق المرغوب ٠

التوقيع : وكيل الخارجية ـ محمد حافظ اسماعيل ٠

كان هذا التقارب يتم بعد صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، وأثناء صدور الميثاق ، ووضوح اتجاه التحول الاجتماعى نحو الاشتراكية ، وهى أمور لا ترضى فى مضمونها الامبريالية الأمريكية ، ولا الرجعية العربية ٠

وسرعان ما انتهت فترة الهدوء التى نعم بها جمال عبد الناصر ونظامه، بعد انسحاب القوات المعتدية عام ١٩٥٦ ، وتمصير الممتلكات البريطانية والفرنسية ، ورفض الدول العربية جميعا لمشروع ايزنهاور ، واعلان الوحدة وظهور الجمهورية العربية المتحدة ، وعدم تردى الأمور مع الاتحاد السوفيتى الى الحضيض رغم خلافات ١٩٥٩ فقد عبرت الدولتان الجفوة بالاتفاق على اتمام المرحلة الثانية للسد العالى ، ومواصلة التعاون الفنى والاقتصادى ، وكذلك عودة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية الى طبيعتها بعيدا عن التوتر ، واستقرار الهدوء على الحدود المصرية الاسرائيلية٠

سرعان ما انقضت هذه الفترة من الهدوء والانتصار ، ووقعت الجمهورية العربية المتحدة ونظامها التقدمى تحت ضغوط شديدة مختلفة ٠

الانفصال :

كان انفصال سوريا عن مصر ، وفشل أول تجربة للوحدة ، أول هزيمة سياسية تلحق بجمال عبد الناصر ، بعد سنوات صعود خارقة ٠٠

وقع الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ بعد شهرين تقريبا من اعلان قوانين يوليو الاشتراكية ، وكان ذلك تأكيدا بأن الرجعيين الذين عارضوا هذه القرارات ، قد قرروا رفض الاستكانة للنظام الذى حقق للبرجوازية فى سوريا نموا واستقرارا لم تشهده فى سنوات الانقلاب المتعددة (أربعة انقلابات فى خمس سنوات من ١٩٤٩ الى ١٩٥٤) ٠

نجحت أول محاولة انقلابية تمت فى عهد الوحدة ٠٠ فلم تكن هناك محاولات جادة سابقة ، ولم يحاكم ضابط سورى بتهمة تدبير انقلاب

كان السبب الرئيسى فى ذلك هو تفريغ الجيش من الضباط الذين توافرت لهم ميول أو ارتباطات سياسية سواء من البعثيين أو الشيوعيين أو أصحاب الميول الأخرى ، بعد أن قطعت ثورة يوليو خيوط الاتصال بينها وبين الأحزاب السياسية التى لعبت دورا وطنيا فى حياة الشعب السورى ٠

وقد اعترف جمال عبد الناصر بهذا الخطأ أثنـاء محادثات الوحدة الثلاثية عـام ١٩٦٣ عندما قال (ان حل الأحزاب السورية على اختـلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وماكانش صح) على حد تعبيره ٠

وقال أيضا فى نفس المحادثات (احنا فى سنة ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الأحزاب التى لا تتفق فى الهدف ، ثم تجميع الأحزاب الأخرى التى تجمعها وحدة الهدف ٠٠ الأحزاب القومية تكون هى الطلائع الثورية فى جبهة قومية تسير على هدف واحد) ٠

لم يبق فى الجيش السورى الا الضباط الذين لم تكن لهم ارتباطات سياسية نشطة فى الماضى ٠٠ وكانت تجربة تفريغ الجيش المصرى من العناصر المهتمة بالسياسة بما فيهم معظم الضباط الأحرار ٠٠ قد طبقت فى الجيش السورى أيضا ٠

وكانت الرجعية السورية قد استكانت لنظام الوحدة لما وفره لها من استقرار وأرباح ٠٠ ولابعاده شبح حدوث تغيرات اجتمـاعية حادة يتعاون فى قيادتها البعثيون والشيوعيون والديموقراطيون التقدميون ٠٠

ولكن صدور قوانين يوليو فجر كل التناقضات التى كانت نائمة تحت السطح ، ودفع العنـاصر الرجعية فى الجيش وخارجه الى التحرك والمغامرة ، فى وقت كان أسلوب الحكم فيه قد خلق مقاومة ضد تصرفات القيادات المسئولة فى القوات المسلحة ، ووزارة الداخليـة التى اتسمت تصرفاتها بالبعد عن الانسانية فيما اشتهر عنها من اعتقالات وتصفيات بدنية للمعارضين ، كما حدث مع الشهيد فرج الله الحلو سكرتير الحزب

الشيوعى اللبنانى الذى اعتقل وقتل وأذيب جسده فى الأحماض لضياع معالم الجريمة ٠

وانتهزت العناصر الرجعية وقوع خلاف بين المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية وعبد الحميد السراج وعجز جمال عبد الناصر عن التوفيق بينهما ، ثم استقالة السراج من منصبه وهو الذى كان قد وفر أجهزة أمن تسربت الى معظم قطاعات المجتمع ، وفجأة لم تعد لها قيادة ٠٠ وتحركت هذه العناصر لتوجيه ضربتها لأول تجربة للوحدة فى تاريخ العرب الحـــديث ٠

كان عبد الحـكيم عامر موجودا فى دمشق وقت وقوع الانقلاب ٠٠ وبعض الذين شـــاركوا فيه كانوا أعضـــاء فى هيئة مكتبه (عبد الكريم النحلاوى) ، وكان هذا دليـلا على قصر نظره ، وعدم ادراكه بالأخطـار المحيطة به ، وانتهاجه أسـلوبا بعيـدا عن الثورية والقدرة على توجيـه الأمـــور ٠

عدد الضباط الذين شاركوا فى الانقلاب كانوا ٣٧ ضابطا فقط ٠٠ وهى قلة ضئيلة جدا ما كان يمكن لها أن تنجح لو كان فى الجيش ضباط ثوريون من ذوى المبادىء الوحدوية والتقدمية ٠

وثبت أن أحد زعماء الانقلاب (حيدر الكزبرى) كان على صلة وثيقة بالنظام الأردنى والملك حسين الذى أمده بالمال والتأييد ٠٠

وكان الملك حسين والملك سعود قد اتفقا على ضرب الوحدة ٠٠ وثبت فيما بعد أن الملك سعود قد مول الانقلاب بمبلغ ١٢ مليون جنيه كما صرح الملك نفسه بعد عزله من عرشه ولجوئه الى مصر ، وثبت أيضا بعد سقوط حـكومة الانقلاب الأولى وتقـديم بعض أعضائها للمحاكمة فيما عرف باسم (قضية الدندشى) ان عملاء المخابرات المركزية الأمريكية قد لعبوا دورا فى مؤامرة الانفصال ٠

كانت قمة الاتحاد القومى قد أسهمت فى المؤامرة أيضا ، فقد عين مأمون الكزبرى سكرتير الاتحاد القومى فى دمشق رئيسا لوزراء حكومة الانفصـــال ، وله سابقة معروفة فى تاريخـــه فقد عين رئيسا للجمهورية الســورية لمـدة ٢٤ ساعة بعد انقلاب الشيشكلى فى محاولة لاستمرار خطه وأسلوبه، ولكنه أبعد أمام ضغط الأحزاب الوطنية التى استولت على الحكم بعد ابعاد الشيشكلى ٠

والغريب أن مأمون الكزبرى كـان صديقا شخصـيا لعبد الحميـد السراج ٠

وعندما عرف بعض الضباط الوطنيين الذين شاركوا فى عملية الانفصال الدور الذى قام به حيدر الكزبرى متعاونا مع النظام الملكى فى الأردن قاموا باعتقاله فى سجن المزة ٠

أثبتت عملية الانفصال التى تمت بسرعة خارقة خلال ٢٤ ساعة أن هناك تدبيرا عريضا شمل المخابرات المركزية الأمريكية ، والنظامين الملكيين فى السعودية والأردن ، والعناصر الرجعية داخل أجهزة الحكم وقواته المسلحة ٠

وفقد جمال عبد الناصر سوريا فى غمضة عين ، وهو الذى كان يعشقها عشقا خاصا ، ولا تضيع من ذاكرته استقبالات الشعب السورى له وحمل عربته فوق الأكتاف فى حلب ٠٠ وحاول فى اللحظات الأخيرة أن يتدخل عسكريا لمنع اتمام الانقلاب ولكنه تراجع عن ذلك أمام وضوح الموقف له بعد انتقاله الى مكتب مدير الاذاعة لأول مرة فى حياته ٠

كانت صدمة شديدة لعبد الناصر ٠٠

ويعبر محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) عن حالة جمال عبد الناصر فى هذه الفترة بقوله :

(تألم عبد الناصر أشد الألم من الانفصال ، فقد كانت الوحدة أول تعبير على مستوى دولى عن حلمه بالوحدة العربية ولم يكتب لها أن تبعث فى حياته ، ومن هنا فانه عندما سمع بتورط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى المؤامرة ، أحس بالتأثر والدهشة معا ، ذلك أنه اذا كان كنيدى يتقرب منه فما الذى يدفع وكالة المخابرات المركزية الى العمل ضده ؟) ٠

الضغوط على النظام كانت تنبعث أساسا من المخابرات المركزية الأمريكية رغم العلاقات الحسنة ظاهريا بين جمال عبد الناصر وكنيدى ٠

ولا شك أن أول هزيمة سياسية يتعرض لها جمال عبد الناصر قد أفقدته الكثير من شعبيته المدعمة بانتصارات متتالية ، وأوضحت له أن طبيعة نظامه ليست مستقرة على أسس راسخة ٠٠

وفى هذه الفترة الحرجة التى أعقبت الانفصال تلقى عبد الناصر فى نوفمبر رسالة شفوية من كنيدى عن طريق السفير جون بادو يشير فيها الى ما أسماه (سباق التسلح) فى المنطقة ، والى أن بعض أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى يدعون أن أمريكا تساعد عبد الناصر على شراء الأسلحة ، وحجتهم فى ذلك أن اعطاء القمح لمصر بناء على القانون الأمريكى ٤٨٠ يمكن عبد الناصر من توفير عملة صعبة لشراء الأسلحة ٠

وكانت مدة الاتفاق على القانون قد أوشكت على نهايتها (ثلاث سنوات بدأت عام ١٩٥٩) ٠

بدأ عبد الناصر يرتاب فى صدق نوايا كنيدى ، كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) حيث مرت لحظات (كان يعتقد خلالها أن الفوضى مقصودة لتتيح لذراع من ذراعى حكومة الولايات المتحدة أن تتبع سياسة ودية يقصد منها أن تكون ستارا ، بينما تعمل الذراع الأخرى ضد مصر) ٠

ولم يكن الانفصال هزيمة لحلم الوحدة العربية فقط ، ولكنه كان ضربة شديدة للموقف العربى تجاه اسرائيل ٠

قبل أيام من الانفصال كان جمال عبد الناصر يخطب فى شباب وعمال سوريا يوم ١٧ أغسطس ١٩٦١ ويقول لهم انه يقرأ ما تذيعه محطة اسرائيل ويجد كل توجيهها وهدفها هو اثارة الاقليمية (لان اسرائيل تعتبر الوحدة خطرا عليها ، وان معنى الوحدة العربية فناؤها ، وان بقاءها قد يطول اذا استمر الخلاف فى داخل الأمة العربية) ٠

ولكن الخلاف وصل الى الانفصال فعلا ، وتحطمت الكماشة العربية التى كانت تحيط باسرائيل ، وتستطيع أن تطبق عليها عسكريا ٠

وظهرت الى السطح الخلافات المصرية السورية حول الموقف من اسرائيل خلال اجتماع الجامعة العربية فى شتورا صباح ٢٢ أغسطس ١٩٦٢ والذى حضرته وفود ١٢ دولة ، وتخلفت العراق ولم ترسل وفدا ٠

انضم أمين النافورى الضابط ووزير الوحدة السابق الى الوفد السورى فى الجلسة السادسة ليواجه زملاءه أكرم ديرى وجادو عز الدين أعضاء وفد الجمهورية العربية المتحدة ، وبدأ حديثه باتهام مصر بالتخاذل لقبولها قوات الطوارىء الدولية ، مسفها قول المشير عامر بأن هذا يوفر على مصر تكاليف المواجهة الى أن تستعد مصر تماما لمناطحة اسرائيل ٠

ويتمادى أمين النافورى فى هجومه فيتهم مصر بانها تساعد اسرائيل بطريق غير مباشر عندما تتقاعس فى الهجوم عليها ، وتدخل فى ذلك حسابات عبر عنها انها ـ غير صحيحة ـ ودلل على ذلك بقوله (القذف الجوى بأحسن الشروط وعلى الارتفاعات المتوسطة لا يحدث تخريبا أكثر من ٥ فى المائة فى المطارات وفى الأجهزة ، واذا ما تدخلت الطائرات المقاتلة انعدمت فعالية القذف الجوى لاعتبارات نفسية وانسانية تتعلق بالسلامة الشخصية لأفراد القاذفات) ٠٠ ويؤكد أمين النافورى رأيه بالقول (وعلى كل حال حسب معلوماتي أن قوات الجمهورية العربية تستطيع سحق

اسرائيل حتى ولو دعمت بالمساعدة الفرنسية التى كانت عام ١٩٥٦ ، وهى فرقة مدرعة خفيفة ولواء جوى) ٠

وانطلاقا من هذا المنطق الذى نشرته كاملا فى الجزء الثالث من قصة ثورة ٢٣ يوليو (عبد الناصر والعرب) ٠٠ هاجم أسعد محاسن عضو الوفد السورى مصر وقال (ان حياد القاهرة الايجابى هو بين اسرائيل والعرب فقط) ٠٠ وتناسق ذلك مع حملة الدعاية السورية المضادة لحكم القاهرة والتى وصلت قمتها باتهام أكرم الحورانى لجمال عبد الناصر (بالتخاذل وتنفيذ المخططات الأمريكية فى المنطقة ومساعدة اسرائيل بطريق غير مباشر) ٠

كانت قضية الخلاف هى محاولة اسرائيل تحويل مجرى نهر الأردن ، وقد نقلت فى (عبد الناصر ٠٠ والعرب) بعض ما دار فى جلسة المناقشة كما وردت على لسان أمين النافورى فى البيان الذى أدلى به فى مؤتمر شتورا ٠

وأعيد نشر بعض ما سبق ذكره لأدلك على انه كان هناك خلاف عميق فى أسلوب التعامل مع اسرائيل بين حكام مصر والمسئولين فى سوريا ٠

قال المشير عامر (ان الذى يخشاه ليس اسرائيل ، بل القوات الغربية التى تدعم اسرائيل) ونوه بالعدد المتزايد لقوات اسرائيل ٠

فأجبته ــ أى أمين النافورى ــ (اننا نعرف قوات اسرائيل معرفة دقيقة ، ونعرف جيدا العدد الصحيح الذى تستطيع تجنيده من النساء والرجال ، ولدينا سجلات عن امكانات اسرائيل العددية ، ولايتجاوز الخطأ فيها نسبة ٥ فى المائة ، وليس هناك ما يقلق أبدا من جهة اسرائيل ، سواء كان من حيث عدد القطعات أو من حيث التجهيز والمعدات) ٠

وهكذا يتبين أن التبسيط كان طابع المناقشة ، وأن الرغبة فى التجريح كانت الدافع الحقيقى لاثارة هذه القضية الشديدة الحساسية والبالغة السرية فى اجتماعات علنية عامة ، لا ينجم عنها سوى الاساءة لنظام مصر ، ووضعه تحت ضغط المزايدة والمبالغة ٠

ولكن العقلاء فى سوريا لم يتركوا الأمور تتردى الى الحضيض ، ولم تدفعهم شهوة الاساءة لعبد الناصر الى اشاعة البلبلة فى النفوس ، فقد نشر صلاح البيطار فى جريدة البعث يوم ١٨ أغسطس ١٩٦٢ مقالا عن تحويل مجرى نهر الأردن قال فيه :

(من حق الناس أن يسألونى : هل تكون عندك خلال هذه المناقشات ومن خلال الحوادث التى تعاقبت فيما بعد شهور أن عبد الناصر أو المشير

أو الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة يخطط لتصفية القضية الفلسطينية ؟

وجوابى : لا ، وهو ذات الجواب بالنفى الذى كنت أعلنه فى عهد الوحدة والذى أعلنته فى عهد الانفصال) ٠

وانتهى تناطح شتورا بانقلاب مارس ١٩٦٣ الذى قاده البعث وتولى فيه صلاح البيطار رئاسة الوزارة السورية والذى بادر بارسال كتاب الى أمين الجامعة العربية يطلب فيه باسم حكومة الجمهورية العربية السوريه اعتبار شكواها السابقة ضد مصر كأنها لم تكن ونرجو حذفها من جدول أعمال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية ٠

طويت صفحة الذين دبروا الانفصال ، وتحسنت علاقات القاهرة مع دمشق ، ولكنها أبدا لم تعد الى ما كانت عليه قبل الوحدة من حيث تزاوج القوات المسلحة ، وتوحيد الخطط ، ووحدة القيادة فى المعركة ضد الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية ٠

واستمر الانفصال ندبا غائرا فى جبهة الجمهورية العربية المتحدة التى احتفظت بالاسم تعبيرا عن سمو الهدف ، ولكنها فى الحقيقة كانت مصر فقط ٠

وعندما سقط عبد الكريم قاسم فى العراق (فبراير ١٩٦٣) وسقط حكم الانفصال فى سوريا بعد شهر واحد ، بدأت محادثات الوحدة الثلاثية التى لم تصل الى نتيجة ايجابية ، لما تركته تجربة التعامل بين ثورة يوليو وحزب البعث من آثار نفسية وسياسية فى كلا الطرفين ٠

ولم يؤد الانتصار فى الجبهة الشرقية الى تلاحم حقيقى مع مصر ٠٠

وظل الانفصال شبحا يهدد أى خطوة وحدوية جديدة ٠٠ وقيدا يعرقل حركة ثورة يوليو فى هذا الاتجاه ٠٠ وضغطا سياسيا يعانى منه النظام ٠

ثورة اليمن :

قبل أن يكتمل العام بيومين على انفصال سوريا من الجمهورية العربية المتحدة ، أذاع راديو صنعاء فى الخامسة مساء يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ بيانا أول تعلن فيه قيادة الجيش سقوط الملكية فى اليمن وقيام الجمهورية العربية اليمنية ٠

ولم يكن الأمر مفاجئا لجمال عبد الناصر وعدد من ضباط المخابرات، فقد كانت هناك صلات بين بعض الثوار اليمنيين وبعض المسئولين فى القاهرة ٠

وأرسل قادة الثورة اليمنية وفدا الى مصر لطلب المساعدة من جمال عبـد الناصر فى الأيام الأولى للثورة ٠٠ ويقول حسن ابراهيم ان جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة لم يعترضوا على فكرة مساعدة الثورة اليمنية عندما عرض جمال عبد الناصر الأمر عليهم بصفتهم الشخصية ٠

كانت قيادة الثورة بعد مرارة النكسة تبحث عن انتصار سياسى يعيد لها التألق والكلمة المؤثرة فى الوطن العربى ٠٠ ولذا كان التردد أمـام مساعدة الثورة اليمنية أمرا غير مفهوم ولا مقبول ، وخاصة انه لم يكن أمـام الحركة الانقلابية فى صنعاء من سبيل لدعم موقفها سوى ثورة يوليو ، فقد كان البريطانيون فى الجنوب والسعوديون فى الشمال ٠

وصـل أنور السادات الى اليمن فى الأسبوع الثانى من أكتوبر حيث وقع معـاهدة دفاع مشـترك بين مصر واليمن ، وكانت قد وصلت قبله ٣ طائرات حربية وقوات من الصاعقة تحركت من السويس يوم ٥ أكتوبر وأفرادها يلبسون قمصانا بيضاء وبنطلونات رمادية ٠٠٠ وفى الباب الرابع من الجزء الثالث لقصة ثورة ٢٣ يوليو) تفصيل للحركة السياسية بين القاهرة وصنعاء ٠

كان نجاح الحركة الانقلابية فى اليمن ، ومبادرة مصر لمساعدتها ، نقطة تحول فى المنطقة ، بعد أن انشقت الحركة الثورية العربية بعد الخلاف مع العراق وانفصال سوريا ، فقد ظهرت فرصة لوقف المد الرجعى فى المنطقة ومنع السعودية من السيطرة على الخليج العربى ، وتحطيم نظام رجعى متهالك ، وحماية ظهر الثوار فى جنوب اليمن ضد الاحتلال البريطانى ٠

ويقول زكريا محيى الدين انه لم تكن هناك مناقشة مطلقا حول مبدأ مساعدة الثورة اليمنية بارسال قوات مصرية ، وانما كان هناك حديث فقط عن بعض محاذير التورط فى الحرب ٠

ولم يكن جمال عبد الناصر بالتأكيد راغبـا فى تورط القوات المسلحة المصرية فوق جبال اليمن وفى أعماق الوديان ، ولكنه دفع الى ذلك دفعا ، واتخذت القوى المعـادية من اليمن جرحا تستهدف به طاقات ثورة يوليو ، وتضع النظام فى القاهرة تحت ضغط شديد ٠

ولم تكن علاقة مصر مع الولايات المتحـدة سيئة عندما قامت ثورة اليمن ٠٠ فالخطابات كانت ما زالت متبادلة بين كنيدى وعبد الناصر رغم شـكوك الأخير فى اشتراك المخابرات المركزية الأمريكية فى انفصال سوريا بالتعاون مع النظم الملكية والرجعية العربية ، قبل أن تظهر قضية الدندشى صدق هذه الحقيقة بعد انهيار انقلاب الانفصال ٠

كتب أنطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) يقول ان جمال عبد الناصر قد طلب من السفير الأمريكى جون بادو أية ملفات عن اليمن ، ولم يجد السفير الا ملفا قديما من السفارة الأمريكية فى صنعاء ٠

وكانت أول رسالة يتعرض فيها كنيدى للموقف فى اليمن مؤرخة فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ ويقترح فيها الآتى كما وردت فى كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر ٠٠ والعالم) :

١ ـ الاجلاء المرحلى والسريع للقوات الأجنبية من اليمن ٠

٢ ـ انهاء العون الخارجى للملكيين ٠

٣ ـ الاجلاء المرحلى والسريع للقوات التى أدخلت ـ بعد الثورة فى اليمن ـ الى منطقة الحدود السعودية اليمنية ٠

واقترح كذلك أن تصدر الجمهورية العربية المتحدة بيانا تعلن فيه استعدادها للقيام بفك اشتباكها على أساس المقابلة بالمثل ولسحب قواتها بسرعة وعلى مراحل اذا انسحبت القوات السعودية والأردنية من الحدود وأوقف العون السعودى والأردنى عن الملكيين اليمنيين ٠

وقد رد عليه جمال عبد الناصر فى نفس اليوم حرصا منه فيما يبدو على تأكيد أهمية الوصول الى حل لهذه المشكلة التى كانت قد بدأت تفرض نفسها على الوطن العربى ٠

وقال جمال عبد الناصر انه يخرج بالخلافات العربية عن نطاقها المحلى لأول مرة ، ويستجيب لرسالته نظرا لما يعرفه وأكده له السفير الأمريكى جون بادو من ارتباطات كنيدى الوثيقة بالمملكة العربية السعودية ٠

وأشار فى خطابه الى البيان الذى أذيع من القاهرة فى الساعات الأولى من يوم ٢٧ سبتمبر (بضرورة عدم التدخل الخارجى فى شئون اليمن ، وترك الشعب العربى اليمنى حرا فى اعمال ارادته وصياغتها نهائيا على النحو الذى يريده) ٠

وفتح جمال عبد الناصر صفحة التدخل السعودى الأردنى المشترك لمساندة الملكيين ضد النظام الجمهورى فى اليمن قائلا انهما قد اندفعا بهذا ـ التصور غير الصحيح ـ وخاصة الملك سعود فى محاولة لغزو اليمن ٠٠ وأشار عبد الناصر الى الطيارين السعوديين الأحرار الذين كلفوا بأعمال عدوانية ضد ثورة اليمن فقادوا طائراتهم الأمريكية الى القاهرة وحمولتها من الأسلحة والذخيرة معبأة فى صناديق المعونة الأمريكية ٠

كما صارح جمال عبد الناصر كنيدى بأن الجمهورية العربية المتحدة

تملك وثائق تثبت أن بعض الطيارين الأمريكيين قد اشتركوا فى عمليات نقل العتاد ما بين الأردن والسعودية الى حدود اليمن ، ومع ذلك فقد التمس عبد الناصر العذر لهم لعملهم (تحت عقود ملزمة ، وفى اطار ظروف فرضت عليهم ، وربما لم تكن أبعاد المسئولية فيه واضحة أمامهم) ٠

ويحرص جمال عبد الناصر على توضيح رغبته فى السلام ، ومحاولته بالوسائل الديبلوماسية تحقيق ابتعاد خارجى عن اليمن ، وانه اضطر الى ارسال قوات عسكرية بناء على طلب حكومة اليمن ٠

ويقول فى خطابه (ان الجمهورية العربية المتحدة لم تكن تريد حربا مع السعودية على حدود اليمن ، فان الخلاف التاريخى بين حكومة المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة ، ليس خلافا من نوع يحسمه الصدام المسلح ، انما الخلاف أعمق من ذلك ، فان جذوره ضاربة فى أعماق الأوضاع الاجتماعية السائدة فى العالم العربى) ٠

لم تصل الخطابات المتبادلة الى نتيجة عملية ، ولم توفر السلام للمنطقة ٠٠٠ ومع ذلك اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالثورة اليمنية فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ بينما رفضت بريطانيا الاعتراف لان ثورة اليمن كانت تشكل تهديدا للاحتلال البريطانى فى عدن ، فى وقت كانت الولايات المتحدة فيه تحاول تثبيت أقدامها فى المنطقة ٠

واستمر القتال دائرا لم يتوقف بين قوات الجمهورية اليمنية تساندها القوات المصرية ، وبين قوات الامام المدعومة بالقوات السعودية والأردنية والمرتزقة ورجال المخابرات الأمريكية ٠

فشلت محاولات جمال عبد الناصر المتكررة لوقف القتال وسحب القوات من اليمن ، أمام الخطة المشتركة التى نفذتها السعودية فى عهد الملك سعود ثم فى عهد فيصل من بعده ٠

وكان مؤتمر القمة الأول الذى عقد فى القاهرة فى ٢٣ يناير ١٩٦٤ قد أخذ توصية بتصفية الجو بين مصر والسعودية ، بعد أن كانت العلاقات قد تحسنت بين القاهرة وعمان ، ولكن مضت الشهور دون أخذ خطوات ايجابية فى هذا السبيل ٠

كان فيصل أميرا أو ملكا شديد التشبث بموقفه ٠٠ عندما قررت الجامعة العربية ارسال بعثة خاصة فى أكتوبر ١٩٦٣ لمقابلة أنصار الامام ، أقام فيصل العراقيل فى طريقهم ٠ وعجزت البعثة عن مقابلتهم ٠

واستضافت السعودية بقايا الاخوان المسلمين المعارضين للنظام فى مصر ٠٠ وبعض المصريين الهاربين والمتعاونين مع وكالات المخابرات

الغربية ٠٠٠ واستضافت مصر لفترة الأمير طلال بن عبد العزيز الذى كان يطالب بحد أدنى من الديموقراطية فى السعودية ، وذلك بعد لجوء بعض الطيارين السعوديين والأردنيين الى القاهرة ٠

وخلال عام ١٩٦٣ أعلنت السعودية رفضها قبول المحمل وكسوة الكعبة وهو تقليد مصرى قديم ٠٠ محاولة بذلك اثارة المشاعر الدينية ضد جمال عبد الناصر ٠

وكان موقف مصر من السياسة العربية قد تحسن قليلا ، بعد سقوط عبد الكريم قاسم فى العراق ، وانهيار حكم الانفصال فىدمشق ، وبدء محادثات الوحدة الثلاثية والتحضير لمؤتمرات القمة العربية فى القاهرة ٠

وقام جمال عبد الناصر بزيارته الأولى لليمن بعد ثلاثة شهور من مؤتمر القمة الأول فسافر فى ٢٣ أبريل ١٩٦٤ ومعه عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وأنور السادات ٠

قال لى زكريا محيى الدين انه لاحظ أهمية الدور الذى تلعبه القوات المسلحة المصرية فى تأمين الثورة اليمنية ، بما ترك انطباعا عنده بأن انسحاب القوات دفعة واحدة قد يؤدى الى انهيار الجمهورية ٠

وكان من نتائج مؤتمر القمة أن قام عبد الحكيم عامر بزيارة عمان فى شهر يوليو ١٩٦٤ وخلالها أعلن الملك حسين أنه سوف يسحب مساعداته للملكيين ٠ وكان ذلك عقب تصريح أصدرته الحكومة البريطانية فى نفس الشهر تعلن فيه أن اليمن الجنوبية سوف تحصل على استقلالها ليس متأخرا عن عام ١٩٦٨ ٠

وقام الملك حسين بزيارة مصر فى شهر أغسطس ٠

وهنا قدر الأمير فيصل حرج موقف السعودية بعد انسحاب الأردن من قضية اليمن ، وعجز الملكيين عن تحقيق انتصار كامل على الجمهوريين فاستجاب لروح وتوصية مؤتمر القمة التى كانت تتعارض مع ارادة الملك سعود ، فأرسل رسالة الى عبد الناصر فى سبتمبر يبدى فيها استعداده لمناقشة وقف اطلاق النيران ٠

وفى مؤتمر القمة الثانى رأس الأمير فيصل الوفد السعودى بعد أن كان الملك سعود قد رأسه فى المؤتمر الأول٠٠٠والتقى فيصل والسلال٠٠٠ وأبلغ فيصل عبد الناصر قرب عزل الملك سعود ، الأمر الذى نفذ فعلا فى ٣ نوفمبر ١٩٦٤ وأصبح فيصل ملكا للسعودية ، وسافر زكريا محيى الدين لتهنئته بمنصبه وكانت خطوة فى سبيل تهدئة الموقف ٠٠٠ أسفرت عن صدور قرار أعلن فيه الطرفان يوم ٥ نوفمبر قبول وقف اطلاق النار ،

عقب اجتمـاعات كانت قد تمت بين الملكيين والجمهـوريين فى أركويت بالسودان خلال شهر أكتوبر ٠

ولكن الاتفاق لم ينفذ ٠٠٠ خرج عليه أنصار الامام وأطلقوا النار من الجبال على الجيش المصرى٠٠٠وما كان ذلك ممكنا لولا مباركة السعوديين له ٠٠٠ وحدثت وساطات للتهدئة قامت بها الأردن والكويت والجزائر ٠

وبادر جمال عبد الناصر ــ رغم كل شيء ــ بالذهاب يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ الى جدة لمقابلة الملك فيصل ومعه زكريا محيى الدين ٠

قال لى زكريا محيى الدين ان جمال عبد الناصر كان حريصـا على عودة السلام الى اليمن ، وأنه لم يتردد مطلقا فى الذهاب الى السعودية عندما وجد أن ذلك يحقق هدفه الكبير ٠

وقال لى أيضا ان جمال عبد الناصر كان يود أن يذهب الى مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء الذى كان مقررا عقده بعد ثلاثة أسابيع من الزيارة ، ومشكلة اليمن لا مكان لها فى جدول الأعمال ، ولا فى مناقشات المؤتمر الجانبية ٠٠٠ ولذا فانه رغبة منه فى ازالة أية مصـاعب تعترض الاتفـاق استدعى السـلال الى القـاهرة فى أكتوبر ١٩٦٥ ليرطب نفسية السعوديين ويقلل من ثغرة الخلافات ٠

قال لى اللواء طلعت حسن القائد العام للقوات المصرية والذى عين فى يوليو ١٩٦٦ ان المجموعة الحاكمة بعد السلال كانت تتآمر على الوجود المصرى بصلات سرية مع السعوديين والأمريكيين ، وانها تمثل ردة رجعية عن أهداف الثورة ، ولذا طالب بعودة السلال ٠

ويمكن الرجوع الى تفاصيل الموقف داخل اليمن فى الفصـل الثالث من باب اليمن فى كتاب (عبد الناصر ٠٠ والعرب) ٠

القتال لم يتوقف رغم مؤتمر حرض٠٠٠ورغم ذهاب جمال عبد الناصر لمقابلة فيصل فى جدة ٠

استنزاف طاقة مصر كان خطة امبريالية مدبرة ، أسهمت فيها القوى الملكية والرجعية فى المنطقة ٠

قال لى جمال عبد الناصر فى مقابلة معه بعد عدوان ١٩٦٧ (لقـد أرسلت سرية الى اليمن اضطررت الى تعزيزها بسبعين ألف جندى) ٠

حاول جمال عبد الناصر كثيرا أن يتفادى الانزلاق الى هذا الشرك ولكنه كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل :

أولا : تدخل بريطانيا خوفا على مواقعها فى عدن ، وارسالها بعثة عسكرية لتنظيم الجيش السعودى .

ثانيا : تدخل حكومة الولايات المتحدة تدخلا مباشرا فيما عرف باسم (حرب كومر) وهو ضابط المخابرات الأمريكية السابق (روبرت كومر) الذى عينه جون كنيدى قائدا لما عرف باسم (قوة واجب) قاد فيها المرتزقة لصالح السعوديين والملكيين ... كما قامت بامدادها بالأسلحة والذخيرة والتأييد .

ثالثا : تخوف حكام السعودية على نظامهم الملكى وتورطهم مع القوى الاستعمارية لمساندة فلول الاماميين من أتباع البدر ... وعدم استجابتهم الى محاولات جمـال عبد الناصر الصادقة لاقرار السـلام وسحب القوات الأجنبيــة .

رابعا : الأخطاء التى ارتكبتها بعض القيادات المصرية خلال القتال نتيجة نقص المعلومات وضعف التدريب على حرب الجبال ، والتسيب الذى فرضته ظروف البعد عن مصر وأسلوب المشير عامة وهيئة مكتبه فى معاملة الضباط .

خامسا : التزام جمال عبد الناصر بموقفه الثورى فى تأييد حركات التحرر الوطنى بكل ما يملكه من طاقات رغم ما يحفل به ذلك أحيانا من نواقص وتناقضات تتمثل فى الاعتماد على ضباط المخابرات وعدم وجود كادر سياسى قادر ، وغيبة التنظيم .

استمر القتال فى اليمن خمس ســنوات تقريبـا أثرت على القدرة القتالية للقوات المسلحة حيث ضعف التدريب وتراخى ، واستهلكت طاقة الجنود فى حرب عصابات لم يألفوها.. نشرت النيويورك تايمز يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ أن ٥٠ر٠٠٠ جنـدى قاموا بالهجـوم على الملجيين وخسرت القوات المصرية ما يقرب من ١٠ر٠٠٠ جندى .

كما استنزفت حرب اليمن اقتصاد مصر .. ولكن هذا لم يكن أمرا اختياريا .. كانت هـذه هى خطـة الامبريالية لحصـار النظام فى مصر واجباره على الخضوع .

هـذا الضغط الشـديد الذى تعرض له النظـام لم يؤد الى ركوعه وخضـوعه للامبريالية ، ولكنه استطاع المقـاومة ... والقول بأن مساعدة ثورة اليمن قد استنزفت مصر تماما وكبدتها خسائر اقتصادية كبيرة هو قول مبالغ فيه كثيرا .. فان مساعدات الأسلحة ووسائل النقل السريع كانت من الاتحاد السوفيتى وقد أعطيت مجانا ... والأمور لم تصل فى مصر الى حافة الأزمة لنمو خطة التنمية ... والذين يثيرون القول بأن

ما صرف من أموال فى التنمية كان كافيا لرفع مستوى الشعب يعيشون فى وهم التصور بأن النظام المصرى كان يمكن له أن يواصل عمليات التخطيط والبناء والتنمية وهو مغلق أبوابه على نفسه ٠

ويقول زكريا محيى الدين أحد دعاة الاهتمـام بالأمور الاقتصادية وعدم نسجها بالقضايا السياسية ان صعوبة الموقف الاقتصادى لم تكن كلها كامنة فى اليمن ، وانسحاب القوات المصرية جميعها لم يكن ليحقق انفراجا حقيقيا للاقتصاد المصرى ٠

ومع ذلك فان حرب انيمن كانت ضغطا من الضغوط الشديدة التى تعرض لها النظام فى مصر ٠٠٠ والتى كسبت منها اسرائيل أساسا ٠٠٠ فان القوات المسلحة بعد أن كانت قد وصلت الى ذروة التدريب والكفاءة من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٣ كما أكد لى الفريق عبد المحسن مرتجى حيث كان قد تطور تسليحها واكتمل تنظيمها وارتفع تدريبها على مبادىء القتال العصرية ثم عادت فتراجعت تحت ضغط الظروف الطبوغرافية فى اليمن ، وطبيعة الأرض التى لا تتشابه مع أرض سيناء ، وظروف المعركة التى كانت تدفع الوحدات الى الثبات والاستقرار لتعذر تدريبها أو قيامها بمناورات ، وعدم مواجهتها العدو فى معركة تصادمية ٠

كل ذلك أضعف من تدريب الوحدات وقدرتها القتالية فى وقت زاد فيه عددها حتى بلغ ٧٠٫٠٠٠ جندى كما قال لى جمال عبد الناصر أى ما يعادل ثلث القوات المسلحة المصرية تقريبا ٠

ولذا شكلت حرب اليمن ضغطا اقتصاديا على النظام ، وأثرت أيضا فى قدرة القوات المسلحة على مجابهة أى غزو اسرائيلى ٠٠٠ كما أن عدم تسجيل أى انتصار سياسى أو عسكرى لمدة خمس سنوات تقريبا قد أثر على النظام وعلى سحر شخصية عبد الناصر ٠

المشـاكل الداخليـة :

لا يوجـد نظـام بعيـد عن المشاكل الداخلية ٠٠٠ ولا يمكن تحقيق الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى قفزا فوق هذه المشاكل ٠

ولكن أسلوب ثورة يوليو فى تشكيل المجتمع والتجارب التى خاضتها للوصول الى (صيغة ديمقراطية) ، والتغيير المتكرر فى تكوين تنظيم سياسى (هيئة التحرير ـ الاتحاد الوطنى ـ الاتحاد الاشتراكى) ، واقصاء قوى سياسية وطنية وتقدمية عن مجال العمل السياسى ، وعدم الاعتماد على تخطيط علمى مدروس (خطة خمسية واحدة) ، وعدم اعطاء الثقافة دفعة قوية تصل بها الى الجماهير فى شتى أنحاء الجمهورية ٠

كل هـذه العوامل وغيرها أنبتت كثيرا من المشاكل الداخليـة التى لا يمكن القول بانه كان يمكن تجنبها تجنبـا كاملا ، وانما كان يمكن أن تظهر بصورة بسيطة لا تهز المجتمع أو تؤثر فيه تأثيرا عميقا .

وقد أفرخت كل هذه المشاكل من نقص الديموقراطية والاعتماد شبه المطلق على تقارير أجهزة الأمن وما قد تحويه أحيانا من صواب وأحيانا من أخطاء .

انجازات ثورة يوليو فى مجال الديموقراطية كانت فقيرة ... مجلس الأمة الأول انتخب عام ١٩٥٧ بعد خمس سنوات من الثورة ، ثم سرعان ما انفض مع قيام الوحدة (فبراير ١٩٥٨) ليشكل مجلس جديد بالاختيار عام ١٩٦٠ من ٤٠٠ عضو مصرى ، ٢٠٠ سورى .. وبعد الانفصال تكون مجلس جديد عام ١٩٦٤ .

مجلس ١٩٥٧ كان من حق الاتحاد القومى أن يشطب أسماء المرشحين، وأن يخلى الدوائر لأسماء معينة ، ولذا فان ما قاله لى زكريا محيى الدين من أن الانتخابات كانت حـرة ونزيهة الى الحـد الذى أسقطت فيه والد كمال الدين حسين ، وشقيق زوجته هو شخصيا ، لا يعنى أن الثورة قد انتخبت مجلسا ديموقراطيا سليما .

ومجلس ١٩٦٤ كان خطوة الى الأمام فى طريق الديموقراطية ، فلم يحدث اعتراض أو شطب للمرشحين ، ولكن عضوية الاتحاد الاشتراكى كانت قيدا وحاجزا فى الطريق .

ومع ذلك فان هذه المجالس لم تتفاعل مع المجتمع تفاعلا ديمقراطيا يكسبها ثقـة الجماهير ولم تعرف نظـام المعارضـة ولم تؤد دور الرقابة الشعبية السليمة ، التى تكشف الأخطاء والانحرافات وتقـدم العلاج ... قليلة هى الأصوات التى ارتفعت بالنقـد ... بل لم تناقش أو تحط علما بقرارات خطيرة مثل دخول القوات المصرية لليمن أو مسار محادثات الوحدة الثلاثية مع سوريا والعراق ، أو تفاصيل انفاق المال العام .

ومجالس الأمة لا يمكن أن تكون ـ وحـدها ـ هى الصورة النهائية للديموقراطية ، اذا كانت هذه الديموقراطية مفتقدة داخل صفوف الاتحاد الاشتراكى العربى ، التنظيم الذى يفترض فيه أن يحتوى كل الآراء ووجهات النظر المختلفة ، وقياداته كانت تفرض ولا تنتخب ... وقراراته كانت تصدر ولا تنفذ ... وأجهزته المختلفة كان واجبها الرئيسى هو التعرف على نبض الحياة فى سائر الأنحاء ، وهو واجب رغم أهميته لا يصح أن يكون هو الواجب الرئيسى .

وعنـدما بدأت تجـربة تكوين جهـازه السياسى الطليعى (طليعـة الاشتراكية) لم تتم بصورة تنظيمية سليمة ، بل انها تحت ضغوط الرابضين فى مركز السلطة تحولت الى صورة من صور الاتحـاد الاشـتراكى ٠٠٠ ولكن بطريقة أفضـل قليلا كمـا أشرنا الى ذلك وغيره فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ٠

وكان طبيعيا ـ من وجهة نظر العسكريين الذين وثبوا الى السلطة ـ أن يقوموا بتصفية خصومهم السياسيين ، وقد قاموا بالغـاء الأحزاب والدستور وتأكيد سلطة مجلس قيادة الثورة حتى نهاية فترة الانتقال ٠٠ وخلال ذلك تعرضوا لمصادمات مع الأحزاب ورجال السياسة السابقين ٠٠ وكان أخطر صدام لهم مع الاخوان المسلمين الذين تميزوا بتنظيم متماسك يملك السلاح ، والارهاب ليس نظرية مرفوضة عنده ٠

ولم يكن الاخوان المسلمون حزبا ديموقراطيا ٠٠٠ ولكن الأسلوب الذى استخدم معهم أيضا لم يكن ديموقراطيا ٠٠٠ مفهوم أن يحل الاخـوان المسلمون وأن يقدم قادتهم للمحاكمة ، ولكنه غير مفهـوم أن يفرض عليهم تعذيب جماعى غير انسانى ٠

كانت حركة الجيش قد قامت بأكبر عملية اعتقال فى تاريخها عـام ١٩٥٤ اذ اعتقل عدة آلاف فى ليلة واحدة ، تعرض بعضـهم فى السجن الحربى لأساليب مهينة ، وقامت محكمة الثورة التى رأسها جمال سالم بمحاكمة أعضاء جماعة الاخوان المسلمين بأسلوب يهبط من كرامة القضاء ويحط من مستوى الحكم فى مصر ٠٠ ومع ذلك فقد اعتقد جمال عبد الناصر أنه قد قضى على الاخوان المسلمين بعد هذه التصفية الادارية الشاملة ٠٠٠ ولكن ذلك لم يكن صحيحا ٠٠٠ فالتصفية الادارية وحدها لا يمكن أن تنفع مع أصحاب المبادىء ـ حتى ولو كانت خاطئة ـ ذلك لأن القهر والعنف لا ينزع الأفكار من الرؤوس ٠

لم تبذل الثورة جهدا حقيقيا فى تصفية الاخوان المسلمين فكريا عن طريق توعية الناس وتثقيفهم واتاحة فرصة الاختيار الديموقراطى للجماهير واكتفت بأحكام الاعدام التى أصدرتها محكمة الثورة ، وقضبان السجن الحربى وجدران المعتقلات ٠

ولم يكن كل ذلك كافيا ٠٠ فقد عاد الاخوان المسلمون للظهور مرة أخرى بعد عشر سنوات فى عام ١٩٦٥ ، بنفس الأسلوب القديم ٠٠ تنظيم جهاز سرى وتدبير محاولات للاغتيال ٠٠ شجعهم على ذلك احتضان بعض الدول لأفرادهم الهاربين من مصر مثل السعودية وبلاد الخليج ، وارتباط عناصر منهم مع جهات أجنبية مشبوهة ، وبقاء (الدعوة) راسخة فى صدور بعضهم ، لا يلغيها أو يضعفها وجود تنظيم سياسى مقنع للثورة ٠

ولذا فشل النظام فى أن يكتسب شرعية بين جماهير الاخوان الذين هم من الطبقة الوسطى الجديدة التى نمت مع الثورة ، فقد كان معظم المتهمين الرئيسيين من المهندسين والكيميائيين وخريجى الجامعات والطلبة ، ولم يكن يتهم أحد من العمال أو الفلاحين ٠٠ هذه الطبقة الجديدة التى قضت الثورة على تطلعاتها وأحلامها الذاتية ، وحاصرتها داخل الحدود فى أوضاع اقتصادية متواضعة ٠٠٠ ولم تضع حلا لمشكلة الاغراء المادى الكبير الذى يجذب بريقه خريجى الجامعات من البلاد البترولية ٠

كانت (دعوة الاخوان) دليلا على فشل النظام فى ايجاد تنظيم بديل يجذب الجماهير ٠٠٠ ودليــلا على أن تصفية الاخوان لم تتجاوز الحدود الادارية الى الحدود الفكرية ، بل انه حتى فى الحدود الادارية كان هناك تقصير ، فلم تنشط الشرطة لمعرفة خلايا جهازهم السرى وفشلت أجهزة الشرطة التقليدية الأمر الذى أدى الى الاستعانة بالمباحث العسكرية ، وانتهى الى اخراج بعض كبار ضباط الشرطة من الخدمة ، وتغيير عدد كبير من المحــــافظين ٠

ورغم كل ما قامت به الثورة من تأكيد لاتجاهها الدينى ، بزيارة عدد المساجد زيادة هائلة ، وبث اذاعة خاصة للقرآن والحديث ، واقرار الدين مادة رئيسية فى المدارس ، والحرص على التقاليد والشعائر الدينية ، فان الاخوان قد وجدوا سبيلا لاجتذاب بعض النــاس ، مستندين الى الفراغ السياسى ، واثارة العواطف ضد أحكام الاعدام واجراءات التعـذيب التى تعرض لها الاخوان ، ومهاجمة بعض اجراءات الثورة الصالحة مثل الغــاء المحاكم الشرعية والمجالس المحلية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٥ واحلال المحاكم الوطنية بدلا منها للنظر فى دعاوى الأحوال الشخصية والأوقاف اعتبارا من أول يناير ١٩٥٦ ٠

ولم تبدأ الثورة دورها الحقيقى فى محاولة تصفية الاخوان تصفية فكرية الا بعــد اعتقالات ومحاكمات ١٩٦٥ التى أشرت اليها فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ، فقد بدأت أجهزة الاعلام تكشف دور الاخوان تاريخيا ، وتسلط الأضواء على حوادثهم الارهابية ، مع توضيح المعنى الحقيقى لسماحة الاسلام وسلامة نظرته الاجتمــاعية العادلة التى لا تتنافر مطلقــا مع تطبيق الاشتراكية ، وأسهمت فى ذلك جامعة الأزهر ووزارة الأوقاف ٠

كانت خطوة متأخرة ولكنها نافعة ٠٠٠ ومع ذلك فقد كانت (عودة الاخوان) ضربة موجهة لشرعية النظام ولزعامة جمال عبد الناصر التى لم تتعرض منــذ عام ١٩٥٤ لمثل هذه المؤامرات أو المحاولات الداخلية ٠٠

ولا شـك أنها أحدثت هزة دفعت النظام الى مزيد من البحث عن أسباب الضغوط أو الانفجارات الداخلية ٠

وخلال هذه الفترة وما بعدها وقع حادث كمشيش الذى أثبت أيضا أن فلول الاقطاعيين ما زالوا يمثلون قوة انقضاض على النظام ، وأن خطوات الثورة فى محاربتهم لم تتجاوز أيضا الاجراءات الادارية وحدها ٠٠٠ فلم تقتحم الثورة تجربة اطلاق حرية التنظيم للفلاحين والأجراء ٠

وفى مواجهة ما وقع فى كمشيش تشكلت لجنة تصفية الاقطاع التى رأسها المشـير عبد الحكيم عامر ، والتى اعتمدت فى حركتها على رجال القوات المسلحة والأسلوب الادارى العنيف ، وتم ترسلوبا آخر لتصفية الاقطاع بعد ١٤ عاما تقريبا من صدور قانون الاصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ ٠

الاجراءات الادارية المصحوبة بالعنف ، كانت أقرب السبل لقادة الثورة الذين نبتوا فى وسط عسكرى ، ولم يسهل عليهم التحرر من طبيعتهم أو عيوب مهنتهم ٠

لم تكن هناك محاولة جادة أو غير جادة لتصفية الفكر الاقطاعى سوى خطب ومناقشات جمـال عبد الناصر التى كانت تقوم تنظيمات الاتحـاد الاشتراكى بدراستها وتحليلها ثم طوى صفحاتها دون تأثير حقيقى فى الجمـاهير ٠

وأضرب مثلا لذلك بما دار فى جلسة أمانة الاتحاد الاشتراكى يوم ١١ مايو ١٩٦٢ عندما قال جمال عبد الناصر :

(أخشى أن نجد أننـا كتلنا الرأسمالية الوطنية فقط لانها متكتلة وجاهزة فعلا ومن السهل تجميعها أما بقية القطاعات أو قوى الشعب فسنجد أننا لا نستطيع تجميعها ٠٠٠ ان عملية الأخ سيد مرعى سهلة جدا) ٠٠٠ وكان سيد مرعى هو مسئول الرأسمالية الوطنية ٠

عبد الحكيم عامر : أى أن الرجعية جاهزة ٠

جمال عبد الناصر : يجب أن نفرق بين الرأسمالية الوطنية والرجعية٠

سـيد مرعى : أرجو أن يقتنع سيادة المشير بهذا ٠

جمال عبد الناصر : أنت ـ أى سيد مرعى ـ الذى يجب أن تثبت ذلك ٠

ومع هذه الخشية الواضحة من تكتل الرأسمالية الوطنية والعجز عن

تكتيل القوى العاملة فان قيادة الثورة كانت على حذر دائم من ناحية حرية العمل السياسى والتنظيمى للعمال والفلاحين ٠٠ فقيادات العمال استمرت فى أماكنها عدة سنوات دون انتخابات للتجديد خشية من ظهور عناصر تكون أقل التزاما وخضوعا للثورة وأكثر حيوية وتعبيرا عن مصالح الطبقة العاملة ٠

وكذلك ترك الفلاحون يمارسون دورهم التاريخى الذى امتد آلاف السنين فى زراعة الأرض ، دون أن تتاح لهم فرصة التجمع فى تنظيمات ونقابات واتحادات معبرة عن مصالحهم الحقيقية ، تحت قيادات شرعية منتخبة منهم فى ديموقراطية كاملة ٠

ورغم حرص قيادة الثورة على وجود نسبة ٥٠٪ من العمال والفلاحين فى مجلس الأمة وبعض مستويات الاتحاد الاشتراكى التنظيمية الا أن هذه العناصر لم تكن مفرزة بطريقة ديموقراطية ، ولم تكن تحتل مواقعها بارادة الجماهير ، وانما برضاء السلطات العليا فى الاتحاد الاشتراكى أو أجهزة الدولة ، وبذا فهى لم تكن تؤدى دورا معبرا عن مصـــالح طبقتها ، كما أنه يلاحظ أن جميع قيادات الاتحاد الاشتراكى الحقيقية فى المكاتب التنفيذية بالمحافظات ، أو فى اللجنة التنفيذية العليا عندما شكلت لم تكن من العمال أو الفلاحين بل من أبناء البرجوازية الصغيرة ٠٠٠ واللجنة التنفيذية العليا لم يكن فيها فلاح أو عامل ٠

ويلاحظ أيضا أن الاتحاد الاشتراكى قد بقى منذ تشكيله عام ١٩٦٢ الى ما بعد صدور بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ وهو بغير لجنة مركزية أو لجنة تنفيذية عليا ٠٠٠ كانت هناك أمانة فقط لا تصدر أى نوع من القرارات٠٠٠ بل تثير أسئلة فقط يرد عليهـــا جمال عبد الناصر وينتهى الموضوع ، كما قال لى الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الأمانة ، وكما هو معروف ٠٠٠ وكذلك كان الأمر فى أمانة طليعة الاشتراكيين كما أوضحت فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ٠

كانت خطب ومناقشات جمال عبد الناصر هى مؤشر التوجيه ، ولكنها وحدها لم تكن كافية دون تفاعل مع أجهزة تنظيمية قادرة على الاستيعاب والتوجيه واكتساب ثقة الجماهير بالقدوة والنضال ونكران الذات ٠

ولذا كانت ردود فعل النظام فى مواجهة ما يظهر من ضغوط نابعة من المشاكل الداخلية المتراكمة بلا حلول ٠٠ مثل تصفية الاخوان المسلمين وفلول الاقطاع تصفية فكرية وليست ادارية ٠٠ كانت ردود الفعل متسمة أيضـــا بالاغراق فى مزيد من الاجراءات الادارية ، وقليل من المناقشـــات والدعاية الفكرية المؤثرة ٠

كان عجز التنظيم السياسى وضعف قدرته القيـــادية عاملا من أهم

العوامل التي جعلت النظام يستشعر الضغوط الداخلية بحساسية زائدة ، واجراءات ادارية عنيفة ٠

وكان هذا العجز والضعف نابعا أساسا من نقص الديموقراطية داخل التنظيم ، وحق الفرد فى التعبير بحرية واطمئنان ٠٠٠ وما يتبع ذلك من غياب الديموقراطية الحقيقية فى المجتمع ٠٠٠ الديموقراطية التى تسمح بالمعارضة والنقد والنضال من أجل التغيير ٠

وفى مسار هذا الاتجاه كان الموقف من الشيوعيين أيضا والذى أوضحناه فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ٠

وعندما قرر النظام الافراج عن الشيوعيين وأخليت المعتقلات تماما عام ١٩٦٤ ، لم يفتح النظام أبوابه لاستيعاب هؤلاء المناضلين الذين أمضوا فى السجن سنوات مليئة بالقهر والعذاب ، رغم وجود فرصة متاحة لذلك تمثلت فيما أبداه جمال عبد الناصر من رغبة فى ضمهم الى طليعة الاشتراكيين ٠ وما اتخذه التنظيمان الرئيسيان (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ، والحزب الشيوعى) من قرار بانهاء وجودهما التنظيمى استعدادا للنضال فى صفوف النظام ٠

وبقى الشيوعيون خارج دائرة النظام ٠٠٠ البعض منهم يدخل اليها ، ولكن تسلط عليه الأضواء لتقييد حركته ومنعه من التأثير فى الآخرين ٠٠٠ أما اذا انصهر فى بوتقة النظام وقبل كل الظروف القائمة بلا نقد أو تعليق، فانه عندئذ يمكن أن يصل الى بعض المناصب المسئولة ٠٠٠ ولذا بقيت الكثرة الغالبة من الشيوعيين بعيدا عن مواقع المسئولية ، بل وبقى البعض منهم محروما من حق العمل رغم صدور قرار بتشغيل الخارجين من المعتقلات والسجون ٠

وعبر جمال عبد الناصر عن موقفه هذا صراحة عندما زار الأهرام واجتمع مع محررى الطليعة وقال لهم انهم يجب أن يؤدوا دور التضحية مثل (سان بيتر) ٠

كما لم يسمح النظام للطبقة العاملة والفلاحين بتنظيم أنفسهم نقابيا وسياسيا ، فانه أيضا لم يسمح لحزب الطبقة العاملة بالوجود ، ولم يسمح لأعضائه السابقين بأن يمارسوا نضالهم على نفس المستوى الذى يمارسه فيه الآخرون ٠٠٠ وظلت كلمة (الشيوعية تلاحق بعضهم وتطاردهم ، بل وتدخلهم المعتقلات والسجون ، كما حدث عام ١٩٦٦ عندما اعتقل كمال عبد الحليم السكرتير السابق لحدتو ومعه عناصر أخرى لفترة شهور ٠

صحيح أن الشيوعيين لم يأخذوا موقف المعارضة ، ولم يشكلوا أى

نوع من أنواع الضغوط على النظام ··· ولكنهم حوصروا بمنعهم من النشاط السياسي المسئول في طليعة الاشتراكيين أو الاتحاد الاشتراكي ··· كما أن انفراط مسبحة تنظيمهم قد دفع البعض منهم الى الاهتمام بأمور حياتهم الخاصة بعيدا عن دفء الانتماء وحرارته ، وما يتبع ذلك من صقل للوعي ، وتمييب للامور العامة على الخاصة ، وتأكيد للقضية ونكران الذات ·

وهكذا فقد النظام فرصة فريدة كان يمكن له فيهـا ان يستوعب خلاصة المناضلين المصريين لأكثر من عشرين عاما ، خاصة وان قيادة جمال عبد الناصر للمجتمع خلال هذه المرحلة لم تكن محل مناقشة مطلقا ، بل اعترف الجميع بزعامته ووطنيته وتقدميته ·

ومن المؤسف أن كثيرا من الذين تولوا مناصب المسئولية في مرحلة التحول نحو الاشتراكية كانوا أبعد الناس عن فهم الاشتراكية أو الاقتناع بها بينما وضعت الحواجز أمام الاشتراكيين الحقيقيين لتحول دون اداء دورهم الطبيعي في المساهمة لنجاح خطط التنمية ·

وربما لا يكون عدد الاشتراكيين الحقيقيين كافيـا للخروج من أزمة نقص الكادر الاشتراكي الفني في دول العالم الثالث ··· ولكن مجرد بقاء (الحساسية من الماركسية) والتهجم على كل من ينتقد أو يعارض بانه شيوعي ، كان هدما في ذاته لامكانية استيعاب العناصر الصالحة ، وستارا يختفي خلفه أعداء التقدم من الرجعيين والمحافظين بدعوى انهم اشتراكيون محليون ، وفي نفس الوقت لا يحبون الشيوعية ·

ومصر لم تطبق الا خطة تنمية واحدة هي التي تمت أثناء رئاسة علي صبري للوزارة وانتهت في يونيو ١٩٦٥ وأصدر علي صبري عنها كتابا خاص ··· ويمكن القول بانها الخطة الوحيدة التي طبقت وانه رغم انها لم تحقق ٣٣٪ من أهدافها الا انها كانت بداية التوجه العلمي لبناء المجتمع·

كانت التنمية مشكلة من المشاكل الضاغطة على النظام··وكانت ثورة يوليو من ثورات التحرر الوطني الدائرة في هذا المضمار ··· ولذا اقترنت خطوات التقدم بمصـاعب جديدة ··· فالالتزام بتشغيل الخريجين في المدارس والمعاهد والجامعات فرض نوعا من العمالة الزائدة على وحـدات الانتاج في وقت كانت تعاني فيه بعض المشاريع ووحدات الخـدمات في الأقاليم نقصا مبالغا فيه ·

وعلى قدر ما أتاحته قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية من فرص اقامة مجتمع يسود فيه القطاع العام ، على قدر ما تحملت الدولة نسبة عالية من الأجـــور ·

الاحصائيات تشير الى أن الأجور قد ارتفعت من ٥٠٪ الى ٥٢٫٩٪ خلال السنوات التسع الأولى للثورة ، ثم حدث ارتفاع حاد بعد ذلك من عام ١٩٦٥ فوصلت الأجور الى ٧٣٪ اذ تضاعفت من ١٠١ مليون جنيه حتى أصبحت ٢٣٤ مليون جنيه كما هو موضح في البيان التالى الذى صدر فى عهد وزارة زكريا محيى الدين فى كتيب (أهداف المرحلة القادمة) .

الانفــاق الحكومى

	١٩٥٢ ـ ٥٣	١٩٦١ ـ ٦٢	١٩٦٥ ـ ٦٦
جملة المرتبـات الحكومية	٥٤٫٨ مليون	١٠١ مليون	٢٣٤ مليون
جملة المصروفات الحكومية	١٠٨ مليون	١٩١ مليون	٣١٨ مليون

وشكلت لجنة فى يناير ١٩٦٥ برئاسة زكريا محيى الدين وعضوية عباس رضوان وكمال رفعت ومصطفى خليل لدراسة أخطاء البيروقراطية ووضع الحلول لها..ولكنها مثل كل اللجان وقعت فى مصيدة البيروقراطية نفسها .

ضاعفت هـذه الحالة البيروقراطية فى مصر مع الزيادة المستمرة فى عدد السكان ونقص التخطيط من متاعب النظام وشكلت ضغطا فرض عليه محاولة التهدئة حتى يعبر مرحلة الانتقال غير المستقرة فى سلام ، خاصة وهو يواجه مشكلة اسرائيل التى لم تصل بعد الى حل .

القــوات المسـلحة :

لم تكن القوات المسلحة قوة من القوى الضاغطة على النظام ... العكس هو الصحيح ... كانت القوات المسلحة هى درع النظـام وحاميته وسنده الرئيسى فى البقاء وفى تفريغ معظم الكادر القيادى فى مجالات كثيرة (العمل السياسى ـ الخارجية ـ الاقتصاد ـ الصناعة وغيرها) .

ولكن بعض ما كان يدور فى كواليس القوات المسلحة ، كان يشكل فعلا نوعا من الضغط على النظام وقيادته السياسية .

كان جمال عبد الناصر هو الذى رشح عبد الحكيم عامر ليرقى من رتبة صاغ الى لواء ، ويتولى قيادة القوات المسلحة فى ١٨ يونيو ١٩٥٨ ، وذلك ثقة منه فيه لعلاقة الصداقة التى كانت تربطهما معا خلال العمل فى الجيش .. كانا يقيمان معا قبل الزواج فى شقة واحدة ... وبذا كان عامر هو القبضة التى يقبض بها جمال عبد الناصر على القوات المسلحة ، وهو السياج العازل الذى يحول دون وصول أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين الى صفوف الجيش وما قد يتبع ذلك من محاولات انقلابية .

ولكن العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ كشف خلافا بين الصديقين حول أسلوب مقاومة المعتدين ، ومع ذلك لم يصل الخلاف الى حد الفرقة ، وما قاله لى عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين من أنه كان هناك قرار بعزل قائد القوات الجوية صدقى محمود بعد تدمير الطائرات المصرية على أرض المطارات واصرار عامر على بقائه فلم ينفذ القرار ، انما يدل على أن جمال عبد الناصر حتى ذلك الوقت كان محتضنا لعبد الحكيم عامر ومفضلا تسليمه القوات المسلحة على نزعه منها ، وقد غلب علاقته الخاصة به وثقته الشخصية فيه على قضية وطنية تتعلق باهمال قائد عسكرى ومسئوليته عن تدمير قوات مصر الجوية .

وظهر خلاف جديد بين عبد الناصر وعامر عندما حدث انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ فى وقت كان فيه عبد الحكيم عامر موجودا فى دمشق ، وله كل صلاحيات رئيس الجمهورية .

فرخ الانقلاب فى مكتب عبد الحكيم عامر عددا من الضباط وضع ثقته فيهم ، فكان ذلك دليلا على غفلته وعدم احساسه بالغليان الذى كان يفور فى صفوف المجتمع والقوات المسلحة .. وكان عبد الناصر قد ساند عبد الحكيم عامر فى خلافه مع عبد الحميد السراج الذى استقال وهو قابض على كل خيوط الأمن الداخلى بصفته وزيرا للداخلية .

وكانت صدمة الانفصال أقسى على جمال عبد الناصر وعلى النظام من صدمة هزيمة ١٩٥٦ العسكرية والتى تحولت كما ذكرنا الى نصر سياسى .

لم يستطع جمال عبد الناصر أن يبلع مأساة الانفصال دون محاسبة عامر الذى كان مسئولا مفوضا فى سوريا ، فشكل مجلس الرئاسة وعين عبد الحكيم عامر نائبا للقائد الأعلى للقوات المسلحة بدلا من منصبه السابق كقائد عام للقوات المسلحة ، وقدم مشروعه المعروف بتحديد اختصاصات المشير فى تعيين قادة الوحدات المسلحة الى درجة كتيبة ، وجعل ذلك من اختصاص مجلس الرئاسة ، وقد تضمن المشروع الذى عرضه عبد اللطيف

البغدادى فى جلسة غاب فيها عبد الناصر ، حـدا من سلطة وزير الداخلية أيضا فى تعيين كبار المسئولين فى الشرطة الى درجة مأمور مركز ٠

ولكن المشروع لم يعتمد لأسباب ذكرناها تفصيلا فى الجزء الثـانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ، وأدى الى غضب المشـير وسفره الى مرسى مطروح بعد تقديم استقالته ثم عدوله عنها بعد الحاح زملائه واصدقائه عليه مثل صلاح نصر وعباس رضوان ٠

لم تكن استقالة المشير عامر عملا فرديا ، ولكنها أخذت شكلا جماعيا فى صورة برقيات من كبار قادة القوات المسلحة تطالب بعدم قبول الاستقالة والتلويح باستقالة جماعية لكبار الضباط ٠٠ وكان عامر خـلال قيادته للقوات المسلحة يغدق على الضباط ويلبى طلبات كل من يطرق بابه من أموال الدولة ، ولهذا كان محبوبا كشخصية انسانية ، وكان انتزاعه من القوات المسلحة فى ذلك الوقت يمكن أن يخلق المتاعب لجمال عبد الناصر ٠

والغريب ان بعض المقربين من عبد الحكيم عامر قد تصرفوا أمام مأساة الانفصـال تصرفات مشينة تجلب له العار ، مثل جلال هريدى قائد قوات الصاعقة الذى هاجم النظام وعبد الناصر فى تليفزيون دمشق ، وزغلول عبد الرحمن الملحق العسكرى فى بيروت والشخص المدلل من المشير عامر الذى لجأ الى سوريا خلال أزمة شتورا ، وعقد مؤتمرا صحفيا فى دمشق هاجم فيه النظام وعبد الناصر أيضا ، وهو الذى لجأ بعد أن كان المشير عامر قد سدد مئات الألوف من الليرات خسرها زغلول على موائد القمار فى كازينو بيروت ٠

ورغم ذلك فلم يفعل جمـال عبد الناصر شيئا سوى تجميـد بعض الضباط المصريين من مكتب المشير فى دمشق عن العمل لمدة عام مثل الفريق أنور القاضى وثلاثة آخرين ٠٠ وعندما عدل المشـير عن استقالته تراجع عبد الناصر عن مشروعه المعروض على مجلس الرئاسة للحد من اختصاصاته ٠٠ وغلب علاقته مع عامر مرة أخرى على علاقته بزملائه الآخرين فى مجلس الثورة مثل عبد اللطيف البغدادى الذى كان أكثرهم غضبا من المشير لعدم اخراجه صدقى محمود من قيادة القوات الجوية منذ عام ١٩٥٦ ٠

ولكن الانفصال والاستقالة ثم العدول عنها كانا نقطة تحول فى علاقة جمال عبد الناصر أو النظام بالقوات المسلحة ٠

قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى ان جمال عبد الناصر كان شـديد الاهتمـام بمتابعة تسليح القوات المسلحة بالأسلحة السوفيتية الحـديثة والتدريب عليها والمناورات بها ، ويفسر ذلك قوله بأن الجيش كان فى ذروة كفاءته من أعـوام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ ٠٠ ولكنه يستطرد فيقول ان

عبد الناصر قد فقد اهتمامه بالقوات المسلحة ومتابعة تقدمها وتطورها بعد الانفصـــال ٠

وكان المشير أيضا قد بدأ ينهج نهجا جديدا فى حياته الخاصة دفع به الى الحياة الناعمة كمـا أوضحت فى الجـزء الثانى (مجتمـــع جمال عبد الناصر) ، وضعفت بذلك قبضته على القوات المســلحة من الناحية الفنية والتدريبية ، والتقط الصاغ شمس بدران هذه الفرصة ففرض نفسه كشخصية مسئولة ، يلجأ اليها جمال عبد الناصر لمعرفة تفاصيل ما يدور فى القوات المسلحة ، ويعتمد عليهـا عبد الحكيم عامر فى تسيير الأمور بلا حساب ٠

واقترنت هذه الحالة بحرب اليمن التى اضعفت القوات المسلحة من ناحية التدريب ومن ناحية الانضـباط ٠٠ وزاد ذلك من ابتعـاد جمال عبد الناصر عن مباشرة احدى مسئولياته كزعيم للدولة ، وهى القيادة العليا للقوات المسلحة ٠

وهنا بدأت القوات المسلحة تظهر بما فى كواليسها من تناقضات ، وما فى قيادتها من تسيب ، كقوة ضاغطة على النظام وعلى جمال عبد الناصر شخصيا الى الحد الذى جعله يعين الصاغ شمس بدران وزيرا للحربية وهو غير مؤهل عسكريا لذلك فلم تتجاوز دراسته الكلية الحربية ، ولم يشترك فى أية عمليات حربية ، ولم يعرف عنه الاهتمام بالثقافة العسكرية ، رغم شخصيته التى فرض نفســه بها على ضباط القوات المسلحة ، فلم يشتهر بانحرافات أعضاء مكتب المشير الآخرين الذين كان يقودهم سكرتيره الخاص على شفيق ، ولم يندمج مع المشير فى حياته الخاصة اللاهية التى انتهت بزواجه من الممثلة برلنتى عبد الحميد ٠

ومن مظاهر بروز القوات المسلحة كقوة ضاغطة على النظام ، الواجبات التى عهـد اليها بها مثـل الاشراف على مرفق النقل العـام ، والجمعيات الاستهلاكية والتموين ، ومطاردة الاخوان المسلمين ، وأخيرا لجنة تصفية الاقطـــاع ٠

ومن مظاهر زيادة سلطة المشير عامر أنه أصدر عقب تعيين شمس بدران وزيرا للحربية تحـدد اختصاصاته بمعرفة الدستور أو القرارات الجمهورية ٠٠ أصدر قرارا بصفته نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة يحدد اختصاصات وزير الحربية وهو عضو فى مجلس الوزراء ٠

ويعلق أمين هويدى وزير الحربية ورئيس المخابرات العامة فى أول وزارة بعـد عدوان يونيو ١٩٦٧ على ذلك فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) قائلا (هذه سابقة لم تحدث على الاطلاق) ٠

كان المشير عامر سلطة فوق مجلس الوزراء ٠٠ صدور هذا القرار منه حتى ولو كان بمعرفة عبد الناصر انما يشكل اعتداء على تحديد المسئوليات التى رسمها الدستور ، ويظهر أيضا ان المشير عامر كان مطلق الصلاحية فى كل ما يتصل بالقوات المسلحة ٠

وأثبت النظام بذلك أنه مازال أسيرا للقوات المسلحة التى ينبع منها وأن اعتماده عليها يشكل عنصرا رئيسيا فى حياته واستقراره ٠

ومعروف أن المشير والقوات المسلحة كان لهم رأى فى تعيين ومساندة كثير من رؤساء مجالس الادارة والمديرين والسفراء وغيرهم فى المناصب المسئولة ٠

اذكر أثناء رئاستى لتحرير مجلة روز اليوسف أن قمنا بحملة شديدة ضد رئيس مؤسسة التعاون الانتاجى لما شاب تصرفاته من انحرافات مؤكدة ٠٠ وأثناء اجتماعه لأمانة طليعة الاشتراكيين قال لى سامى شرف سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر للمعلومات انه معجب جدا بهذا الحملة ، وان عنده معلومات تؤكد صحة كل حرف فيها ٠٠ وأخذتنى الدهشة لسماعى هذا الحديث من شخص مسئول عرف الجميع عنه قربه من جمال عبد الناصر فقلت له متسائلا : (ولماذا لا تقدمون هذا الشخص للتحقيق والمحاكمة؟) ٠٠ وقال سامى شرف همسا : (هوه احنا نقدر ٠٠ ده سانده المشير) !!

الى هذا الحد وصلت الأمور ٠٠ مساندة المنحرفين وعجز جمال عبد الناصر عن محاسبتهم ٠٠ ولا أستطيع الادعاء بانها كانت صورة عامة ٠٠ كما لا أستطيع الادعاء بأن كل المنحرفين كانوا يختبئون تحت عباءة المشير ٠٠ ولكنى أشير فقط الى أن جمال عبد الناصر لم يعد مطلق السراح فى توجيه القوات المسلحة أو معرفة تفاصيل ما يدور فيها الا عن طريق المشير اذا أراد أو شمس بدران اذا سئل ٠٠ كما أن القوات المسلحة قد تجاوزت دورها المعروف وهو حماية الوطن والانكباب على ذلك من ناحية التدريب والانضباط العسكرى الى أداء مهمات مدنية ما كان يجوز لها أن تقترب منها لو أن النظام كان قد استقر على أسس سليمة تحدد لكل جهة اختصاصها ٠

ولعل هذا هو ما دفع جمال عبد الناصر الى التراجع عن تنفيذ ما ورد فى الميثاق من ربط القوات المسلحة والشرطة ورجال القضاء بالاتحاد الاشتراكى ٠٠٠ فان تسييس القوات المسلحة يقتضى أن تكون قبضته عليها كاملة ، دون وجود تناقضات أو وجهات نظر متباينة بينه وبين المشير ٠

كما أن المشير لم يكن حريصا على نمو الاتحاد الاشتراكى ، ولم يكن مؤمنا بأهمية تسييس الجيش ، فهو محبوب ومطاع بغير سياسة ، وليس

هناك من مبرر يدفع الى تفتيح عقول الجنود والضباط بدراسة السياسة وما تفتحه من آفاق وتخلقه من أفكار ٠

ولذا بقى نظام ثورة يوليو مثل نظم العالم الثالث التى تندفع من صفوف القوات المسلحة فى حركات انقلابية ٠٠٠ تعتمد عليها وحدها لمساندة النظام ولا تخلق حزبا سياسيا قادرا على اكتساب ثقة الجماهير وثقة الضباط والجنود أيضا ٠

وعلى قدر الخطوات الهائلة التى خطتها ثورة يوليو فى طريق الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى ٠٠٠ وعلى قدر الانجازات الرائعة التى أرست أسسا متينة لمجتمع جديد ، وعلى قدر المكاسب التى أحرزها أفراد البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة والفلاحين ٠٠٠ فانها أبقت القوات المسلحة أكثر المؤسسات تماسكا وتنظيما وقدرة فى المجتمع ٠

ولذا شكل هذا الانفراد والتميز للقوات المسلحة قوة ضغط على النظام ، جعلت قيادته السياسية أعجز من السيطرة عليها لتكون قوة محاربة قادرة على أداء مسئوليتها الوطنية ٠٠٠ وكانت اسرائيل ترقب وتعرف التناقضات الموجودة فى قمة السلطة والتى لم تكن خافية على المراقبين والراصدين ٠٠٠ الذين وجدوا اهتمام القوات المسلحة يتشعب بين التموين والنقل ومحاربة فلول الاقطاع والاخوان المسلمين ٠٠ بالاضافة الى وجود ٠٠٠ر٧٠ من شباب الجيل باليمن ٠

خيوط الامبريالية الأمريكية :

منذ رفضت مصر والدول العربية مشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ ، والامبريالية الأمريكية تتربص بالمنطقة لفرض سيطرتها ونفوذها عليها ٠٠ ذلك ، بعد الهزيمة السياسية التى لحقت ببريطانيا وفرنسا بعد عدوان ١٩٥٦ ، وهما الدولتان صاحبتا النفوذ التاريخى ٠

لم تنتهج الامبريالية الأمريكية نهج التدخل المباشر ، وانما أخذت تتحين الفرص المناسبة لاقامة أنظمة موالية وخاضعة ٠

وكان الخلاف بين جمال عبد الناصر وخروشوف عام ١٩٥٩ فرصة من هذه الفرص التى حاولت خلالها حكومة الولايات المتحدة أن تغير معالم الوجه الأمريكى الذى شوهه التدخل فى كوريا والهند الصينية والكونجو وغيرها ٠

ولم يكن جمال عبد الناصر من الراغبين فى مناطحة السياسة الأمريكية ٠٠٠ بل كان حريصا على علاقات هادئة بين الدولتين ٠٠٠ ورغم

تجاربه فى السنوات الأولى للثورة لمحاولة الحصول على أسلحة الجيش ، وعجزه عن تحقيق ذلك ، الا أنه لم ييأس من محاولة خلق علاقة طبيعية بين الدولتين ٠

وكانت الخطابات المتبادلة بين كنيدى وعبد الناصر دليلا على هذه الرغبة ، ولكنها لم تمنع الامبريالية الأمريكية من تنفيذ مخططاتها مثل مساعدة السعوديين فى اليمن ، وشن ما عرف باسم (حرب كومر) التى أشرنا اليها ، وتقديم صواريخ هوك لاسرائيل ، وفى تشجيع ألمانيا الاتحادية على امداد اسرائيل بالأسلحة والدبابات ثم قرارات البوندستاج (البرلمان) باقامة علاقات مع اسرائيل فى ١٢ مايو ١٩٥٦ الأمر الذى أدى الى قطع جميع الدول العربية (عدا تونس والمغرب ولبنان) لعلاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية ٠

وقد علق شيمون بيريز على صفقة الأسلحة الألمانية بقوله :

(لقد تلقينا من ألمانيا الغربية خلال عدة سنوات أسلحة دون أن ندفع ثمنها قدرها العرب بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار ٠٠٠ ان هذه الأسلحة قد سدت مجالا هاما فى الدفاع عن البلاد وفى حملاتها العسكرية التى تضمنت حرب الأيام الستة) ٠

كانت مساعدات ألمانيا الغربية لاسرائيل والتى بلغت ٣٤٥٠ مليون مارك كاتفاقية تعويضات تتم بموافقة ومباركة حكومة الولايات المتحدة وتشجيعها ٠

ولم تلبث حكومة الولايات المتحدة أن أسفرت عن موقفها فى امداد اسرائيل مباشرة بالأسلحة متجاوزة صواريخ هوك الدفاعية بعد اجتماع ليفى أشكول مع جونسون فى أول يونيو ١٩٦٤ حيث تقرر امداد اسرائيل بالدبابات الأمريكية مباشرة دون وساطة دولة أخرى ٠

ولم يكن اهتمام اسرائيل منصبا على الدبابات كأسلحة بقدر ما كان منصبا على فكرة الامداد المباشر وما تحمله من (مضمون سياسى) ٠

ويمكن تلخيص نتائج تلك الزيارة كما ورد فى كتاب (العسكرية الصهيونية ــ المجلد الأول) :

١ ــ ان الولايات المتحدة سوف تقف خلف اسرائيل فى الدفاع عن نفسها وانها لن تبقى مكتوفة الأيدى اذا ما تعرضت للهجوم ٠

٢ ــ ان الولايات المتحدة سوف تساعد اسرائيل فى حصولها على ما تحتاجه من دبابات وانها سوف تزودها بها مباشرة اذا لم تتمكن من الحصول عليها من مصادر أخرى ٠

٣ ـ الموافقة على اتخاذ الخطوات اللازمة بشـأن المشروع المشـترك الخاص بتحلية الميـاه بالطـاقة الذرية ، كمـا أنها تؤيد انجاز مشروع جونستون الخاص بتقسيم الميـاه (نهر الأردن واليرموك) بين اسرائيـل والأردن ٠

ويعلق شيمون بيريز على نتائج هذه الزيارة بقوله (ان زيارة واشنطن قد فعلت الكثير فى سبيل تمزيق الحظر الأمريكى على الأسـلحة لاسرائيل ، وكما شاهدنا فانها بعد فترة قليلة مهدت الطريق لامداد أمريكا لنا بمعظم أنواع الأسلحة كما مكنت اسرائيل من الاحتفاظ بميزان التسليح حتى بعد ذلك الحظر الذى فرضه ديجول فى أعقاب حرب الأيام الستة) ٠

ولذا كانت عين جمال عبد الناصر يقظة دائما لحركات الولايات المتحدة، وخاصة بعد اغتيال كيندى وانتخـاب ليندون جونسون رئيسـا للولايات المتحدة الأمريكية ٠

ووقعت بعض الأحـداث التى أدت الى اضعاف الثقـة بين واشنطن والقاهرة ٠٠٠ مثل زيارة خروشوف الناجحة فى مايو ١٩٦٤ ، وحرق بعض طلبة الكونجو للمكتبة الأمريكية بالقاهرة ، عقب تدخل أمريكى فى الكونجو آثار احتجاج الافريقيين فى مختلف الدول ، ورفض جمال عبد الناصر للطلب الذى تقـدم به اليه السفير الأمـريكى لوشيوس باتل مطالبا بالتعويض والاعتـــذار ٠

وأسقطت احدى الطائرات الميج المصرية بعد شهر من حرق المكتبة طائرة أمريكية خاصة لأحـد كبار رجال صناعة البترول فى تكساس ، دخلت الأجواء المصرية بلا اذن وهى فى طريقها من ليبيا الى الأردن ، ولم تستجب لانذار طائرة الميج لها بالهبوط ٠

وتصادف أن كانت هنـاك مقابلة بين وزير التموين الدكتور رمزى استينو والسفير الأمريكى فى نفس يوم حادث سقوط الطائرة للمناقشة فى موضوع مد اتفاق مصر بالقمح ، وقال السفير فى المقابلة التى استغرقت خمس دقائق فقط انه يعتقد أن الوقت غير مناسب لمفاتحة جونسون فى هذا الأمر ٠

وجـاء رد جمال عبد الناصر على موقف السفير سريعا ومباشرا فقد خطب بعد أيام فى بورسعيد يوم عيـد النصر ٢٣ ديسمبر ١٩٦٥ قائلا (السفير الأمريكى يقول ان سلوكنا غير مقبول ٠٠ طيب حنقول لهم اللى مايعجبوش سلوكنا يروحوا يشربوا من البحر ٠٠٠ واذا ماكفاهمش البحر الأبيض يشربوا من البحر الأحمر) ٠

وقال جمال عبد الناصر صراحة (اننى لست مستعدا لبيع استقلال مصر مقابل ثلاثين أو أربعين أو خمسين مليون جنيه) .

كانت هذه الخطبة أول هجوم علنى صريح على أمريكا بعد فترة هدوء امتدت سنوات ... وكانت أيضا بداية لضغط أمريكى متزايد على مصر ... فرغم أنه قد أعيد تجديد اتفاق تزويد مصر بالقمح ، الا أنه تم لمدة ستة شهور فقط ويفصل ما بين كل فترة وأخرى ستة شهور أخرى .

ووصلت مصر الى حد الاشراف على نقص شديد فى القمح ، ولجأ جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتى ، فأصدر كوسيجين أوامره لبعض البواخر السوفيتية المحملة بالقمح فى طريقها من كندا وأستراليا الى الموانىء السوفيتية بتغيير مسارها والاتجاه فورا الى الاسكندرية لانقاذ شعب مصر مما قد يتعرض له نتيجة نقص القمح .

وهكذا بدأت حكومة الولايات المتحدة تباشر ضغوطها على مصر فى أدق وأخطر ما يمكن أن يتعرض له الشعب ... وهو عدم توفر لقمة العيش .

ولم تقتصر الضغوط الأمريكية على هذه الحدود ، وانما امتدت لتصل الى المشكلة الكبرى ... اسرائيل .

ووصل جمال عبد الناصر خطاب من جونسون فى ١٨ مارس ١٩٦٥ تضمن عدة تلميحات خطيرة فيها أن الاسرائيليين منزعجون من تصريحات بعض الزعماء العرب المتشددة والمهددة لأمن اسرائيل ووجودها ،وان ذلك قد يجبرها على تحويل البرنامج الذرى السلمى الى برنامج آخر لانتاج أسلحة ذرية ، كما تشير الى توريد الاتحاد السوفيتى أسلحة لبعض دول المنطقة ، وتهدد صراحة أن الحكومة الأمريكية سوف تمد اسرائيل بالأسلحة ، وانه اذا أثار عبد الناصر ضجة بشأن هذه الشحنات ، فسوف تزيد أمريكا من مساعداتها لاسرائيل .

وكان جونسون قد أوفد افريل هاريمان وروبرت كومر (صاحب حرب كومر فى اليمن) الى اسرائيل لطمأنة الاسرائيليين وبذل الوعود لهم .

وبعد هذا الخطاب خفضت مدة اتفاق تزويد مصر بشحنات القمح من ستة شهور الى ثلاثة .

وصارح عبد الناصر الشعب فى احدى خطبه قائلا :

(اننا منذ عام ١٩٥٩ حتى الآن أخذنا ألف مليون دولار مساعدات

من أمريكا ، بل ان كل رغيفين في البلد ، منهما رغيف مأخوذ كمساعدة من أمريكا ، فاذا قطعت أمريكا عنا هذه المساعدة ـ وهذا يمكن أن يحدث ـ فماذا يكون وضعنا ؟ يجب أن نكون مستعدين لمجابهة مثل هذه المشاكل) .

ولكن تحركات الأمريكيين وضغوطهم لم تتوقف ... فقد هاجمت القوات اليمنية مقر النقطة الرابعة في تعز بعد اطلاقه طلقتين من البازوكا ، وتبين أنه ستار لنشاط المخابرات المركزية الأمريكية ، بعد تصوير المخابرات المصرية للوثائق الموجودة فيه .

ولم تنجح (الدبلوماسية الهادئة) التي طالب بها جونسون في نزع بذور الشك والمرارة من صدر جمال عبد الناصر وهو يواجه الضغوط الأمريكية المتمثلة في مساعدة اسرائيل ، والملكيين في حرب اليمن ، وسحب تزويد مصر بشحنات القمح .

ومع ذلك كلف زكريا محيي الدين بتشكيل الوزارة في أكتوبر ١٩٦٥ وقيل وقتها ان هذا الاختيار قد تم كمحاولة لتهدئة وتحسين الموقف بين القاهرة وواشنطن ... ولكن زكريا محيي الدين أكد لي أنه لم يتلق أية توجيهات من جمال عبد الناصر في هذا السبيل ، ولكنه بمبادرته عمل على التهدئة مقتنعا بسياسة قبول (سخافات) الأمريكان وعدم الرد عليها ، مع التسليم بحقائق يصعب التغلب عليها في المرحلة ـ الآتية ـ فتؤجل لمرحلة ـ مستقبلة ـ وأنه حاول أن يفيد مصر على قدر الامكان من هذه الدولة الكبيرة .

نجح زكريا محيي الدين في مد اتفاقية تزويد مصر بالقمح مدة ستة شهور ، ولكنه قال لي (ان مصادقة الأمريكان لنا أمر شبه مستحيل ، لأن البناء السياسي هناك يؤثر على استراتيجيتها ، وكانت اسرائيل خلال فترة الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الأولى للثورة ، عاملا مؤثرا في زعزعة هذه العلاقة ، خاصة واننا كنا نستجيب بسرعة للأحداث بانفعالات تؤثر على مواقفنا) .

وأعلن جمال عبد الناصر أمام مجلس الأمة عن تحسن العلاقات مع أمريكا ... وقام بدور الوسيط من أجل السلام في الحرب الفيتنامية ، وعقدت محادثات ثنائية انتهت الى توقيع اتفاقية يوم ٣ يناير بامداد مصر بمساعدة قدرها ٥٥ مليون دولار .

ونشأ جو معقول من الهدوء والمشاعر الطيبة كما يقول دمكجيان في كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ، وصل غايته بزيارة أنور السادات رئيس مجلس الأمة في ذلك الوقت لواشنطن يوم ٢١ فبراير لتمهيد الطريق لزيارة عبد الناصر نفسه الى أمريكا .

وكادت تطوى صفحة اعتقال الصحفى مصطفى أمين والدبلوماسى الأمريكى أوديل فى الاسكندرية بتهمة التجسس ، ولكن أحداثا أخرى وقعت ، فدمرت ما تم بناؤه خلال شهرى يناير وفبراير ..

أولا : محاولة الملك فيصل اقامة حلف اسلامى تنضم اليه الدول ذات الأنظمة الرجعية التى تدور فى فلك أمريكا ، فى وقت كانت حرب اليمن ما زالت تشكل نزيفا لمصر بمساعدة السعودية وأمريكا .

ثانيا : زيادة المخاوف المصرية من قدرات اسرائيل الذرية واحتمال توفر قنبلة ذرية عندها ، بينما عجزت مصر عن الحصول سوى على وعد سوفيتى بالمساعدة .

ثالثا : وصول معلومات عن بيع أمريكا لطائرات ودبابات لاسرائيل الأمر الذى أظهر أن ضغوط أمريكا لم تتوقف وأن محاولات التهدئة مع مصر ليست الا ستارا رقيقا لا يخفى الحقيقة .

رابعا : رفض الشروط المتشددة التى حاول (صندوق النقد الدولى) فرضها لاقراض مصر مبلغ ٧٠ مليون دولار والتى تتلخص فى تخفيض قيمة الجنيه المصرى ، وزيادة الضرائب ، وخفض مصروفات الحكومة ... ولم يكن سهلا على النظام قبول هذه الشروط فى وقت كان يعمل فيه على احتواء السخط الشعبى بعدم زيادة الأسعار ، مع الاهتمام بميزانية الدفاع والتصنيع معا .

خامسا : وصول الدور المتزايد للمخابرات المركزية الأمريكية الى حد تدبير انقلاب ضد كوامى نيكروما فى غانا (فبراير ١٩٦٦) بعد تصفية سوكارنو فى اندونيسيا خلال عامى ٦٥ ، ٦٦ وتزايد التدخل الأمريكى فى الدومنيكان وفيتنام ، الأمر الذى دفع محمد حسنين هيكل الى القول فى الأهرام عدد ٨ أبريل ١٩٦٦ ، ٢٧ يناير ١٩٦٧ بما يفيد بأن هجمة رجعية امبريالية تزحف نحو العالم مستهدفة الجمهورية العربية المتحدة .

وصدر قرار بوقف أى رحلات اضافية للطيران الأمريكى والبريطانى فوق مصر اعتبارا من منتصف فبراير ١٩٦٦ .

ومع كل ذلك كان جمال عبد الناصر حريصا على عدم الوصول بالعلاقات المصرية الأمريكية الى نقطة الانفجار ، فدعا دين راسك وزير الخارجية فى أبريل ١٩٦٦ لزيارة مصر لبحث مشروع من أجل السلام ، ولكنه لم يحضر لمشاغل حكومة الولايات المتحدة ومتاعبها فى فيتنام وفى الاستعدادات للانتخابات .

ورغم صدور قرار الكونجرس الأمريكى فى ١٤ يوليو ١٩٦٦ بوقف

المساعدات الغذائية لمصر الا بموافقة رئيس الجمهورية شخصيا ، فان جمال عبد الناصر لم يعتبر أن الأمور قد وصلت الى نهايتها ، ووافق على زيارة مدرعتين أمريكيتين لبورسعيد يوم ٢ سبتمبر ١٩٦٦ لأول مرة بعد ١٢ عاما ٠

وهكذا يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن جمال عبد الناصر كان ينهج الأسلوب الآتي في مواجهة الضغوط الامبريالية الأمريكية :

اولا : التمسك باستقلال مصر الوطني ، ورفض كافة الضغوط الاقتصادية نظير آية مساعدات ٠

ثانيا : الحرص على عدم تدهور العلاقات الى الحضيض ، أو وصولها الى منطقة الانفجار بمختلف الوسائل التي يملكها ٠

ثالثا : عدم التردد في مصارحة الشعب بكافة الأخطار والمتاعب القائمة لاعتماده المطلق على الجماهير في مواقفه الوطنية ٠

وما كاد عام ١٩٦٧ يقبل حتى وصلت الضغوط الأمريكية الى ذروتها، فلم تعد هناك مساعدات غذائية ، واستقر جونسون في مقعده رئيسا للجمهورية ، وتضاعف تسليح اسرائيل ٠

مواجهة الضغوط :

لم يكن جمال عبد الناصر راغبا في التأكيد في وقوع النظام تحت مطارق الضغوط الخارجية والداخلية ٠٠٠ ولكن اصراره على الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي ، دفع كافة القوى المعادية للتجمع ، وتنسيق أهدافها لهدم النظام والاطاحة بقائده ٠

● الانفصال السوري وما تبعه من حساسيات أفشلت محادثات الوحدة الثلاثية ، وجعلت نتائجها شديدة التواضع مقارنة بطموح أنصار الوحدة العربية ٠

● التورط في اليمن نتيجة للتنسيق الأمريكي البريطاني السعودي الأردني لمساندة حكم الأئمة الشديد الرجعية ٠

● مواجهة أعداء التقدم الاجتماعي والاشتراكي الذين تحركوا ، مثل الاخوان المسلمين ، وفلول الاقطاع ٠

● عجز النظام عن حل كثير من المشاكل الداخلية نتيجة اعتماده المطلق على حكم فردي ينقصه تنظيم حزبي وكادر قيادي ووعي اشتراكي ٠

● كل هذه الضغوط كانت تؤثر على قدرة النظام في البقاء

والاستمرار محتفظا ببريق انتصاراته السابقة ، وشخصية زعيمه الساحرة المؤثرة فى مواجهة الضغوط والمؤامرات الامبريالية والصهيونية التوسعية ٠

سنوات الصعود توقفت ، وبدأت سنوات الجمود٠٠٠القدرة الثورية على حل المشاكل بالطرق الادارية استنفذت غايتها ، وبقيت المشاكل تحت السطح متراكمة ٠

ولكن النظام لم يقف جامدا أمام هذه الضغوط ٠٠٠ ولم يستكن الى ما وصل اليه بل اعتبر ذلك مقدمة للاطاحة به ٠

وفى محاولة للتغلب على المشاكل الداخلية ومواجهة ما تعرض له من ضغوط ، بدأ جمال عبد الناصر محاولة ، اعطاء تنظيمه السياسى (الاتحاد الاشتراكى العربى) دفعة من الحيوية بتكوينه طليعة الاشتراكيين وتشكيل المكاتب التنفيذية ، وتعيين على صبرى أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى بعد أن كان رئيسا للوزراء ، وهو فى ذلك الوقت كان موضع ثقة جمال عبدالناصر، فهو أول من وصل الى هذا المركز الكبير متخطيا جميع الضباط الأحرار مما جعله موضع حسد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ويلاحظ أن استقالة عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم قد تمت أثناء رئاسته للوزارة ٠

ولا يمكن التقليل مطلقا من أهميــة التغيير الذى طرأ على الاتحـاد الاشتراكى فهو لأول مرة يبدأ فى مباشرة عمله على أساس سياسى وفكرى واضح بعد فترة جمود فرضت عليه عندما كان حسين الشافعى أمينا عاما له ٠٠ وخلال هذه الفترة أيضا نشطت منظمة الشباب واستوعبت أعدادا كبيرة لقنت أفكار الميثاق وخطب جمال عبد الناصر فى معسكرات للتدريب فى حلوان ومرسى مطروح وأبو قير ، وتخرج فيها جيل بدأ يهتم بالسياسة ويرتبط بها لأول مرة منذ عام ١٩٥٤ ٠

والى جانب التغيير الذى حدث فى الاتحاد الاشتراكى والذى جـاء تفصيلا فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) حـدث تغيير أيضا فى الوزارة فجاء زكريا محيى الدين رئيسا للوزراء وهو صاحب خبرة غير منازع فيها فيما يتصل بشئون الأمن بوزارة الداخلية ، وهى شئون هامة بعد حوادث الاخوان وفلول الاقطاع ، كمـا انه كان مهتما بأمور الادارة وما يصحبها من رغبة فى التغلب على أثقال البيروقراطية ، واعطاء الوحدات الانتاجية فرصة العمل على أسس اقتصادية متحررة من العمالة الزائدة والقيود السياسية ٠

كمـا أن تعيين زكريا محيى الدين رئيسا للوزراء كان محاولة من جمال عبد الناصر لتخفيف الضغوط الأمريكية على النظـام فانه رغم أن

زكريا محيى الدين قد أكد لى أن توجيهات جمـال عبد الناصر لم تتضمن ذلك صراحة ، الا أن أنطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) يقول ان الأمريكيين كانوا يعتبرون زكريا مواليا لهم وانهم كانوا يعتبرون على صبرى معاديا لهـــم ٠

ونجح زكريا محيى الدين خلال فترة رئاسته للوزراء فى تثبيت قواعد الأمن ، وفى الحصول على معونة قمح من أمريكا لمدة ٦ شهور ، وبدأ بعقد مؤتمر للقادة الاداريين لمحاربة البيروقراطية ٠

ولكن وزارة زكريا محيى الدين لم تعمر طـويلا ٠٠٠ فقـد أوقف الأمريكيون الامداد بالقمح ، ويعلل ناتنج ذلك بقوله ان المحصول قد ضرب فى أمريكا وانهم اضطروا لاعطاء الهند مزيدا من الحبوب تفاديا للمجاعة ، ولكن عبد الناصر اعتبر ذلك منهم اتباعا لسياسة (القط والفار) ٠٠٠ وكذلك فان زكريا محيى الدين كان يجنح للانكمـاش بدلا من التوسـع والتنمية ٠

خـرج زكريا محيى الدين من رئاسة الوزراء بعد ١١ شهرا فقط ليتولاها المهندس صدقى سليمان الذى أشرف على بناء السد العالى ، والذى لم يكن من الضـباط الأحرار ٠٠٠ واعتبر جمال عبد الناصر أن رئاسـة جونسـون للولايات المتحـدة ستظل فتـرة مسـاندة لاسرائيل ، رغم كافة محاولات التهدئة والاتصالات الخلفية التى قام بها بعض المسئولين وغير المسـئولين مثل علوى حافظ عضـو مجلس الأمة الذى نشر مذكراته فى جريدة أخبار اليوم يوم ٣١ أغسـطس ١٩٧٦ ويظهر فيهـا أن جمال عبد الناصر لم يتردد فى الاتصال بجونسون من أجل الهدوء والسلام فى المنطقة وليس من أجل الخضوع أو الاحتواء تحت المظلة الأمريكية ٠

وفى مواجهة للضغوط المحيطة بادر جمال عبد الناصر باتخاذ خطوات هامة فى مجال السياسة العربية ، فدعا الى مؤتمر للقمة العربية بعد اعلان اسرائيل قرب استكمال المرحلة الأولى من (مشروع المياه القومى) الذى استطاعت به حجز نصف مياه نهر الأردن ٠

عقد المؤتمر الأول الذى دعا اليه جمال عبد الناصر بالقاهرة فى يناير ١٩٦٤ واشـتركت فيه ١٣ دولة عربية أعلنت (ان تحويـل مجرى نهر الأردن عدوان خطير على المياه العربية واضرار بالغ بحقوق العرب المنتفعين بهذه المياه) وأعلنت أيضا تشكيل (قيادة موحدة لجيوش الدول العربية) ووافق المؤتمر أيضا على انشاء (منظمة التحرير الفلسطينية) ٠

كان انعقاد مؤتمر القمة خطوة نحو ضمور الخلافات العربية ، وظهور وحدة جديدة ضد التحركات الاسرائيلية التى ظهرت فى كثافة الاشتباكات

الاسرائيلية على الحـدود السورية والتي بلغت بعـد مؤتمر القمة العربى الثانى الذى عقد بالاسكندرية فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٤ ، ١٤ عدوانا خـلال شهرى أكتوبر ونوفمبر التاليين مباشرة ٠

أعلن المؤتمر الثانى (ان الهدف القومى هو تحرير فلســطين من الاستعمار الصهيونى والالتزام بخطة العمل العربى المشترك مع استخدام جميع امكانات العرب ، وحشد طاقاتهم وقدراتهم لمواجهة تحديات الاستعمار والصهيونية واصرار اسرائيل على المضى فى سياسـتها العدوانية والتنكر لحقوق عرب فلسطين فى وطنهم) ٠

نتائج مؤتمر القمة لم ترق ابدا الى مستوى القرارات لقصور جدية بعض الدول العربية ٠٠٠ ومع ذلك زاد تدفق الأسلحة الغربية وخاصـة الأمريكية على اسرائيل ، فوافقت حـكومة الولايات المتحـدة على تزويد اسرائيل بطائرات (سكاى هوك) ، وتمادت الهجمات الاسـرائيلية على الأردن ، واستنكر موشى ديان سياسة (ضبط النفس) ضـد تحركات بعض الفدائيين بدأت مع تكوين (حركة التحرير الوطنى الفلسطينى) فى أول يناير ١٩٦٥ ٠

وعقد مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء ، وأسفر عن (ميثاق التضامن العربى) واقترن ذلك بمزيد من التسـليح الأمريكى لاسرائيـل حيث وصلتها دبابات باتون ٠

وجـدت اسرائيل فى هذه المؤتمرات التى لم تسفر عن شىء جـدى لصالح العرب ذريعة لاثارة الدول العربية ضد ما أسمته التحركات العربية المعادية فى ظروف مواتية بالنسـبة لها بعد أن اطمأنت للدعم السـياسى والعسكرى المباشر من الولايات المتحدة ، وبعد ان استكملت اسـتعدادها للحرب وشكلت قوة ضاربة تهيىء لها القدرة على شن حرب خاطفة ٠

الباب الثانى

الهزيمـة

(ان أمريكا واسرائيل قررتا عام ١٩٦٥ أن التخلص من عبد النـــاصر بانقـلاب داخلى غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ٠٠٠ وأن الوسيلة هى هزيمته فى حرب محدودة تفقده ثقة العرب واحترامهم) ٠

الصحفى الأمريكى أنتونى بيرسن

المجلة الأمريكية ـ بنتهاوس

الفصل الأول

خطوات نحو المصيدة

(كان يجب وجود ٨٠ الف جندى مصرى فى سيناء لقبولى فى الوزارة) ٠

موشى ديان ـ ١٩٦٧

لم ينعقد مؤتمر القمـــة الرابع فى الجزائر كما كان محددا له أن يجتمع ٠

لم تثمر المؤتمرات الثلاثة السابقة سلاما فى اليمن ، ولا خطة ايجابية لمواجهة تحركات اسرائيل المعادية ٠٠٠ ولم تضع حلا للتمزق العربى ٠

العوامل التى دفعت جمال عبد الناصر للدعوة الى مؤتمر القمة ، وفى مقدمتها ما جاء فى مؤتمر رؤساء أركان حـرب الجيوش العربية ، من أن الأوضاع الموجودة فى الدول العربية تؤثر على العمل العسكرى ، وأن قرار انشاء القيادة العربية الموحدة الذى صدر عام ١٩٦٠ لم ينفذ حتى ديسمبر ١٩٦٣ وهو الشهر الذى وجه فيه جمال عبد الناصر الدعوة لمؤتمر القمة ٠

هـذه العوامل تعرضت لتغيرات كبـيرة ٠٠٠ وبعد أن وقف جمال عبد الناصر يخطب فى عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٤ بعد انعقاد المؤتمر الأول قائلا : (لم نجد أية صعوبة فى تصفية الخلافات ، وكان الكل ميالا لتصفية هذه الخلافات لمواجهة خطر اسرائيل وعدوان اسرائيل وطلعنا بخطة عمل موحدة) ٠٠٠ وقف بعـد ذلك فى الاحتفـال بعيد الوحدة أيضا عام ١٩٦٦ يهاجم بعض الملوك والرؤساء بعد صمت وهدوء استمر عامين كاملين، عقد خلالها ثلاثة اجتماعات للقمة فى القاهرة والاسكندرية والدار البيضاء ، وزار جدة فى محاولة لاقرار السلام فى اليمن ٠

هاجم حركة الملك فيصل لمحاولة انشاء حلف اسلامى ، وأشــار الى ما نشرته الصحف الأمريكية من أن واشنطن قد كلفت الملك فيصل وشاه ايران لانشاء هذا الحلف ··· وذكر أن ايران قد فتحت فرعـا للوكالة اليهودية فى طهران ، وأن بن جوريون عقد محادثات مع رئيس وزراء ايران فى مطار طهران ·

كما هاجم بورقيبة الذى نادى بالتفاوض مع اسرائيل ، بعد أن كان قد أعلن فى مؤتمر القمة الأول استعداد تونس لارسال وحدات من جيشها تقف على حدود فلسطين ·

لم يستطع جمال عبد الناصر أن يكظم غضبه من تحركات الامبريالية، والمتجسدة فى تكوين حلف اسلامى ، حاول الملك فيصل الادعاء بأنه كان قرارا من قرارات المؤتمر الثالث فى الدار البيضاء ··· والحقيقة أن الأمر لم يكن يعدو حديثا عارضا طلب فيه من الملك فيصل أن يستنهض المسلمين أثنــاء الحج لنصرة قضية فلسطين ، كما يتصل الرئيس اللبنانى شارل حلو بالفاتيكان لنفس الهدف ·

تفجرت الخلافات من جـديد بين الأنظمة الرجعية ، وبين الأنظمة الوطنية التقدمية ·

وكان قد حدث انقلاب فى سوريا ضمن اطار حزب البعث أطاح بأمين الحافظ ، ووصلت الى الحكم مجموعة نور الدين الأتاسى وصــلاح جديد ويوسف زعين وابراهيم ماخوس ··· وبعد شهرين من الانقلاب صدر بيان من القيادة القطرية الجديدة لحزب البعث فى ٤ أبريل ١٩٦٦ يقول (ان مؤتمرات القمة فيها عودة الى العمل التقليدى ازاء تحرير فلسطين وتضليل للشعب العربى ، ومحاولة لاجهاض أى حركة ثورية لتحرير فلسطين ، وهى سياج يحمى الرجعية من غضــبة الجماهير ··· انه تهرب من المعــركة وانهزامية) ·

كان البيان تعريضا غير مباشر بالقاهرة بدعوى التهرب من المعركة ، وتعريضا مباشرا بالرياض باعتبارها الرجعية التى تحميها مؤتمرات القمة ·

وبدا واضحا أن فترة الهدوء العربى قد انتهت ··· بعد وصول الجناح اليسارى من البعث الى مقاعد الحكم فى سوريا ، بانقلاب عسكرى فوق التقاليد الحزبية ·

وواصل جمال عبد الناصر هجومه على الرجعية العربية فى خطــاب عيد الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٦ قائلا (هادنا الرجعية على أساس انها تشترك فى وحدة العمل من أجل فلسطين) ··· ثم أشار الى أن مؤسسة

أمريكية قد أخذت من السعودية ٥ ملايين جنيه للقيام بدعاية مضادة لمصر في أمريكا ، كما أنه وزعت منشورات أثناء الحج ضد النظام فى مصر ··· وأنه توجد فى السعودية بعثات عسكرية أمريكية وبريطانية ·

ثم حسم جمال عبد الناصر الموقف بقوله انه لا يستطيع الجلوس مع القوى الرجعية في مؤتمرات قمة قادمة ، وان الجمهورية العربية المتحدة لن تذهب وانه سيطلب من الجامعة العربية تأجيلها الى أجل غير مسمى ·

وأرسل محمود رياض وزير الخارجية خطابا بذلك الى الجامعة يوم ٢٥ يوليو ·

وهكذا لم ينعقد مؤتمر القمة الرابع الذى كان محددا له أن ينعقد فى الجزائر يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٦ ··· وكتبت السعودية مذكرة تقول فيها (فى حالة الأخذ بمبدأ التأجيل فان المملكة العربية السعودية ترى نفسها مضطرة لتجميد كافة التزاماتها تجاه مؤسسات المؤتمر) ·

طويت صفحة مؤتمرات القمة ، واستبدلت بناء على اقتراح عبد الخالق حسونة بمؤتمر لوزراء الخارجية يوم ١٠ سبتمبر فى دورة مجلس جامعة الدول العربية العادية ، وحضره وزراء خارجية مصر والسودان وسوريا والعراق ولبنان والكويت واليمن فقط أما بقية الدول العربية فمثلها السفراء ·

اجتمع وزراء الخارجية العرب بعد أيام من احتفال الحكومة الاسرائيلية بافتتاح الكنيست الجديد فى القدس ، وكان ذلك « تدشينا لاختيار القدس عاصمة لاسرائيل رغم قرارات الأمم المتحدة » ·

حضر هذه الاحتفالات وزراء وممثلون لواحد وأربعين دولة ·

ولم يأخذ مؤتمر وزراء الخارجية الا قرارا يعلن فيه (أن الأمة العربية اذ ترفض التسليم بالأمر الواقع المتمثل فى قيام اسرائيل بفلسطينها المحتلة، تؤكد أن مدينة القدس عربية باعتبارها جزءا من فلسطين العربية ، وأن القدس الجديدة جزء لا يتجزأ من بيت المقدس) ·

ولكن الفدائيين الفلسطينيين كان لهم أسلوب آخر فى العمل ، هو شن الهجمات داخل اسرائيل ··· كانت منظمة فتح (حركة التحرير الوطنى الفلسطينى) قد تشكلت فى أول يناير ١٩٦٥ وباشرت أعمالها الفدائية بلا تنسيق مع الأنظمة القائمة فى تشكيل عسكرى باسم (العاصفة) ··· ومنظمة (الصاعقة) التى تكونت فى أحضان النظام السورى وتحت رعايته·

ازداد نشاط الفدائيين الأمر الذى يذكرنا بما حدث عام ١٩٥٥ عندما فقدت اسرائيل ٢٥٨ شخصا قبل العدوان الثلاثى ، ولكن الأمر يختلف لانه لم تكن هناك قوات طوارىء دولية على حدود مصر واسرائيل تحد من نشاط الفدائيين أو تمنعه ··· كما أن العلاقات العربية لم تكن قد وصلت

الى هذه الدرجة من التنافر بعد وضوح الفرق فى الاختيار بين الأنظمة الاجتماعية ··· فقد كانت مصر وسوريا تعلنان الاشتراكية ، بينما يحرص الملك حسين على نظامه المعادى للاشتراكية ·

كان الفدائيون ينطلقون الى داخل اسرائيل من الحدود السورية بموافقة ضمنية من النظام ، ومن الحدود الأردنية بغير موافقة النظام ·

وكانت اسرائيل توجه غاراتها الانتقامية ضد سوريا ·

اتفاقية الدفاع المشترك ـ مصر والأردن :

كانت العلاقة بين القاهرة والنظام البعثى الجديد فى دمشق تقترب عن ذى قبل ··· فقد كانت هناك عقبات كثيرة تعترض طريق عوده العلاقات الطبيعية بين الدولتين ، نتيجة الأخطاء التى ارتكبت فى عهد الوحدة ، وما خلقته من حساسيات وشعور متبادل بعدم الثقة ··· ولكن النظام البعثى الجديد كان يشق طريقه نحو التقدم ، فقد اتخذ عدة خطوات هامة مثل تأميم البنوك وشركات التأمين ، وسيطرت الدولة على التجارة الخارجية والصناعات الرئيسية والثروات المعدنية بما فى ذلك البترول ··· واتجه فى السياسة الداخلية نحو التعاون مع القوى الوطنية والديمقراطية ومن بينها الحزب الشيوعى السورى وكان ذلك تطورا ملحوظا فى هذا المجال ··· كما أن النظام قد اتجه فى سياسته العربية الى التقرب من القاهرة ، وأظهر مزيدا من الثقة بجمال عبد الناصر ، كما أن بعض قادته حرصوا على خلق علاقات شخصية وطيدة مع الشخصيات التقدمية المصرية، وأذكر أن ابراهيم ماخوس قد لعب فى ذلك دورا ملحوظا ، زاد من رصيد النظام السورى عند النظام المصرى وعناصره التقدمية ، كما اتجه الى التقارب مع الجزائر أيضا حيث كان نور الدين الأتاسى وابراهيم ماخوس يعملان طبيبين هناك مع قوات الثورة الجزائرية ··· وفى السياسة الخارجية تقارب النظام من الدول الاشتراكية ، ووقع عقدا مع الاتحاد السوفيتى لانشاء سد الفرات ، وهو مشروع يعطى دفعة قوية للاقتصاد السورى ·

بدأت الحساسيات فى الذوبان تدريجيا بين مصر وسوريا ، وطفت الى السطح حوادث الاعتداءات الاسرائيلية ردا على هجمات الفدائيين ·

وصل الى القاهرة وفد وزارى سورى فى يونيو ١٩٦٦ لأول مرة منذ ثلاث سنوات لاجراء مناقشات سياسية ·

والتقى جمال عبد الناصر مع زعماء البعث الجدد فى موقفهم المشترك من الرجعية العربية الحاكمة ·

وكان الجفاء قد عاد يحكم العلاقات مرة أخرى بين القاهرة وعمان ، ومضت فترة اللقاء بعد مؤتمرات القمة واعتراف الأردن بجمهورية السلال

فى اليمن كسحابة صيف٠٠٠فقد ظهر الملك حسين بمظهر الملتصق بالحماية الأمريكية ، ورغم قرار مؤتمر القمة بالاعتراف بمنظمة تحرير فلسطين الا انه اتخذ موقف العـداء من أحمد الشقيرى ، وفرض قيودا على حـركة الفلسطينيين فى الضفة الغربية ، وأصدر قرارا يحرم حمل الأسلحة فيها الا على جنود الجيش والشرطة ، الأمر الذى يحول دون تكوين قوات مسلحة فلسطينية ٠

كان الملك حسين يرى فى حمل الفلسطينيين للأسلحة والسماح لهم بالتسلل الى اسرائيل خطرا يهدد نظامه ، ويخلق ازدواجية ولاء فى دولة واحدة ٠٠٠ ولكن الدول التقدمية (مصر وسوريا والجزائر) لم تشاركه هذا الرأى وأخذت موقف المساندة لمنظمة تحرير فلسطين ٠

ولم يكن ذلك يعنى أن جمال عبد الناصر يرى أن تحرير فلسطين يمكن أن يتم فورا عن طريق القتال بالسلاح ، فهو فى مواقفه وتصريحاته منذ عدوان ١٩٥٦ كما يقول الكاتب الاسرائيلى (اليزير بيرى) فى كتابه (ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى) (انتهج سياسة تفادى المجابهة المباشرة السريعة مع اسرائيل) ٠

صحيح أن بعض تصريحات عبد الناصر كانت تتحدث عن الحرب مع اسرائيل مثل تصريحه لمندوب اذاعة وتليفزيون كولومبيا فى ١٣ يوليو ١٩٦٥ الذى قال فيه (الحرب هى الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية) ٠٠٠ ولكنه لم يكن يعنى الاندفاع اليها ، بل كانت مثل هذه التصريحات تقام فى حدود حرصـه على الاحتفاظ بزعامته الشعبية ورغبته فى أن تظل القضية ملتهبة وليست خامدة ٠

ويقول (اليزير بيرى) فى كتابه أيضا ان عبد الناصر خلال سنوات طويلة كان حريصا على عدم مناطحة اسرائيل الا اذا توافرت له ثلاثة عوامل:

١ ــ تفوق عسكرى عربى ٠

٢ ــ تحقيق الوحدة والتضامن العربى ٠

٣ ــ عزل اسرائيل عن القوى الغربية ٠

ويقول محمـد حسـنين هيكل فى مقال له بعنـوان (لمصر ٠٠٠ لا لعبد الناصر) ان جمال عبد الناصر كان حريصا كل الحرص فيما يتعلق بالصدام المسلح مع اسرائيل لعدة أسباب :

١ ــ كان يرى أن الصدام المسلح مع اسرائيل لابد فيه من حساب احتمالات التدخل الأمريكى ، وهو احتمال قائم يستهدف فرض الهزيمة على

العرب اذا استطاع أو سلبهم ثمار النصر اذا استطاعوا ٠٠٠ واذن فان نجاح الصدام المسلح فى رأيه كان مرهونا بظرف دولى وعربى ملائم تكون فيه القوة الأمريكية مصابة بالشلل أو يمكن اصابتها به ٠

٢ ـ كان من رأيه أن القوات المسلحة المصرية تحتاج على الأقل الى خمسة عشر عاما تستوعب فيها سلاحها الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفيتى ، ولم يكن يقيس هذه المدة بتاريخ أول صفقة سلاح سنة ١٩٥٥ وانما كان يقيسها ابتداء من سنة ١٩٥٧ ومن هنا ، فقد كانت الفترة المحتملة للصدام المسلح فى تقديره هى الفترة ما بين سنة ١٩٧٢ وسنة ١٩٧٥ ٠

٣ ـ وحتى يجىء هذا الوقت وتسنح فرصته فقد كان جمال عبد الناصر يعتقد اعتقادا راسخا أن اسرائيل نمو دخيل وسط الجسد العربى ، وأن مقاطعتها واحكام الحصار من حولها وتشديد الضغط عليها كل يوم سوف يؤدى الى حبس الدم عن خلاياها ومن ثم الى ضمورها وسقوطها وهو ما عبر عنه بسياسة (السنطة وشعرة ذيل الحصان) ٠

ويؤكد هذه الصورة موقف جمال عبد الناصر من مشكلة تحويل اسرائيل لمجرى نهر الأردن داخل اراضيها ، والمناقشات التى دارت حول ذلك فى عهد الوحدة كما جاء ذلك تفصيلا فى الباب الثانى من الجزء الثالث (عبد الناصر ٠٠ والعرب) ٠

لم تكن عند جمال عبد الناصر اذا رغبة فى الانزلاق الى الحرب قبل ان يستعد لها تماما ، ويقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان لهجة بعض تصريحاته لا تدل على تغيير فى موقفه الاستراتيجى من اسرائيل ٠

ويدلل ناتنج على فكرته هذه بالقول انه بعد التغير الذى حدث فى سوريا ، وعجز جمال عبد الناصر خلال السنوات السابقة عن ضرب النظام السورى أو عزله ، فانه لم يجد بديلا سوى الارتباط بالنظام البعثى الجديد حتى يتفادى سحب العرب الى حرب ثالثة مع اسرائيل ، حيث ان الغرب ما كان ليجد فرصة مناسبة لضربه أكثر من توريطه فى حرب مع اسرائيل تكون سوريا هى البادئة بها مما يجعل الرأى العام العالمى يأخذ موقفا معاديا للعرب ٠

ولم يكن أمام جمال عبد الناصر من خيار آخر ٠٠ ففى دمشق نظام تقدمى جديد يشيد بدور مصر وعبد الناصر٠٠ويحرص على تحسين العلاقات مع القاهرة ٠٠ وهو ما افتقده جمال عبد الناصر منذ الانفصال ٠

ونظام البعث فى دمشق تميز أيضا بمغالاته فى الظهور بمظهر يسارى قد تبدو فيه بعض المغالاة المقصودة أو غير المقصودة ٠٠ ولكن فى حدود

الهجوم على الرجعية العربية التى كان يهاجمها عبد الناصر أيضا ، والتى كان واثقا من أنها تدبر له مع الامبريالية العالمية كمينـا جديدا ، بعد أن عجزت اليمن عن استنزاف دماء النظام ٠٠ وتراجع عدد القوات هناك ليصبح ٢٠٫٠٠٠ بدلا من ٧٠٫٠٠٠ ٠

العلاقات الجيدة ، والرغبة فى حد اندفاع المغالاة عند السوريين كان حافزا لجمال عبد الناصر على الارتباط مع النظام السورى بشكل يمنعه من توريط العرب فى اندفاعات غير محسوبة ٠

كان الاسرائيليون قد قاموا بغـارة انتقامية ضـد سوريا فى سبتمبر ١٩٦٦ ردا على ضربهم لمنشئات اسرائيلية أقيمت على أرض منزوعة السلاح تبعاً لاتفاقية هدنة ١٩٤٩ ٠

وكان الاسرائيليون يرفضـون فى عناد مناقشـة مبدأ اقامة هـذه التحصينات فى لجنة الهدنة المشتركة منذ بدأ انشاؤها عام ١٩٥١ ، وعندما أثار النظام البعثى الجديد هذه المشكلة كان جواب اسرائيل فى صورة تحذير باعتبار سوريا مسئولة عن كافة هجمات الفدائيين الفلسطينيين أو غيرهم فى المستقبل وقال اسحق رابين رئيس الأركان فى ١١ سبتمبر (المعارك التى على اسرائيل خوضها ضد سوريا انتقاما للغارات التخريبية انما تستهدف النظام السورى ٠٠ هدفنا هو القضاء على هذا النظام) ٠

وعلى الجانب الآخر كان نور الدين الأتاسى قد استقبل شوان لاى فى صيف ١٩٦٦ ، وحاول أن يعزله عن صداقته الناشئة مع مصر ومع الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ٠٠ ولكن الأتاسى لم يستجب لهذا الأسلوب الذى سبق أن اتبعه شوان لاى مع جمال عبد الناصر عام ١٩٦٥ عند بقائه فى القاهرة فترة قبل انعقاد مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى فى الجزائر والذى تقرر الغاؤه بعد حركة التصحيح التى قام بها هوارى بومدين فى ١٩ يونيو ٠

أبلغ نور الدين الأتاسى مصر بما سمعه من شوان لاى ، واستجاب الى نصيحة موسكو بالاقتراب من النظام الوطنى التقدمى فى مصر ٠٠ وسعد جمـال عبد النـاصر بأن الخطوة الأولى للاقتـراب جـاءت من الجـانب السورى فوافق فورا على أن تبدأ محادثات بين رجال أركان الحرب فى الدولتين ، وتم تبادل السفراء بين القاهرة ودمشق عقب انقطاع طال عهده منذ الانفصال فى أكتوبر ١٩٦٦ وفى يوم ٤ نوفمبر وقعت اتفاقية دفاع مشترك تعتبر أن الهجوم على دولة هو هجوم على الأخرى ٠

وكان جمال عبد الناصر واعيا بأن هذه الاتفاقية قد تحمل له توريطا غير مطلوب ولذا كتب محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام قائلا :

(هذا الميثاق لا يلزم القاهرة بالتدخل أوتوماتيكيا لصد كل غارة انتقامية ضد سوريا) .

ومع ذلك يعتبر جان لاكوتير ان الجمهورية العربية المتحدة قد تورطت مع النظام البعثي الجديد في سوريا رغم تجارب الوحدة ، لتطرف قادته ومفهومهم لمعنى المسئوليات .. ويتمادى لاكوتير فيقول (يمكننا القول بأن حرب الأيام الستة انما بدأت في ٤ نوفمبر ١٩٦٦) .

والحقيقة انه كان من أشد الأمور صعوبة أن يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سلبيا وانعزاليا من القضية الفلسطينية التى ظلت تعتبر محورا للحركة السياسية العربية ، والتى دعا هو من أجلها الى عقد مؤتمرات القمة ، ثم انسحب منها عندما شعر أن الرجعية الحاكمة تتآمر ضده خلال التهدئة التى فرضتها .

وكان هناك سبب آخر يدفع جمال عبد الناصر دفعا الى توقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا ، وهو دوره التاريخى البارز ، وزعامته السياسية التى تأثرت بهزيمة الانفصال ، وعدم الوصول الى نتيجة حاسمة فى حرب اليمن ، ومصرع عبد السلام عارف وتعيين اخيه عبد الرحمن وهو شخصية ضعيفة تردى الموقف السياسى فى العراق خلال حكمه الى حد تشرذم وتمزق القوى السياسية عدا البعث فى العراق الذى كان يدبر خطته للوصول الى الحكم .

كان صعبا ان يرفض العرض السورى للدفاع المشترك .. وقد وجد فيه محاولة للتخفيف من تطرف النظام فى دمشق ، ومحاولة لتغيير مفهوم المسئولية عندهم كرجال دولة .. وحذرهم من ان القاهرة لن تكون ملزمة اوتوماتيكيا بالرد على كل غارة انتقامية اسرائيلية .. ومع ذلك كانت الاتفاقية ــ رغم ضرورتها ــ خطوة نحو المصيدة .

الأردن .. والمصيدة :

وبعد أيام من توقيع الاتفاقية قتل ثلاثة من الجنود الاسرائيليين قرب الحدود السورية ، وفضل ليفى اشكول عدم اختبار جدية الاتفاقية فى ايامها الأولى .. واختار مكانا آخر لغارته الانتقامية .. قرية السموع الأردنية يوم ١٣ نوفمبر .. ربما تحاشيا لخسائر قد يتعرضون لها فى الهجوم على مواقع الجولان الحصينة .

هاجمت قوة اسرائيلية من المدرعات والطائرات القرية الأردنية فى نفس اليوم الذى وصل فيه الى عمان الجنرال أيوب خان رئيس جمهورية الباكستان ، أكبر الدول الاسلامية عددا .

أسفرت الهجمة عن تدمير ١٢٥ منزلا ، ٢٨ قتيلا ، ١٣٤ جريحا فى غارة استمرت أكثر من ست ساعات .

وانفجرت المظاهرات فى الأردن .. فى الضفة الغربية والشرقية ، وتعالت الهتافات ضد الملك حسين الذى كان قد أغلق مقر منظمة تحرير فلسطين فى عمان بالشمع الأحمر .. واهتز موقف الملك الذى لم يتدخل جيشه فى مقاومة الغارة .

وتحرك الاسطول السادس لحماية عرش الملك كما نشرت جريدة نيويورك تايمز يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٦٦ ، وأشارت الى انه اتخذ مراكزه فى شرق البحر الأبيض لانزال جنوده عند طلب الملك حسين .

وفجرت غارة الاسرائيليين على قرية (السموع) حملة دعائية هائلة ضد مصر وجمال عبد الناصر ، بدأت بمؤتمر صحفى لوصفى التل رئيس وزراء الأردن يوم ٢١ نوفمبر ألقى فيه اللوم على الجمهورية العربية المتحدة لأن (مسئولية التدخل الجوى لحماية جنوب الأردن تقع على سلاح الطيران المصرى) حسب قوله .. وعلى القيادة العربية الموحدة لأنها (لم تطلب الى الجيوش العربية التحرك لنجدة الأردن) .. وعلى الجمهورية العربية السورية (لأن سلاح الطيران كان بوسعه أن يقصف الأهداف الاسرائيلية الحيوية ويخفف الضغط عن الأردن) .. وعلى أحمد الشقيرى لانه لم يفتح جبهة ثانية فى سيناء بتحريك جيش التحرير الفلسطينى المرابط فى قطاع غزة) .

كان هذا الهجوم امتدادا لحملات الدعاية المضادة للجمهورية العربية المتحدة ولجمال عبد الناصر التى تبنتها اذاعة الأردن والسعودية والتى كانت تتهم النظام المصرى بأنه ارتضى لنفسه موقف السلبية من القضية الفلسطينية ، وأنه يحمى نفسه خلف جنود قوات الطوارىء الدولية المنتشرين على امتداد الحدود المصرية ، وأنه سمح للاسرائيليين بعبور خليج العقبة وانشاء ميناء ايلات الذى يصله ٩٥٪ من بترول اسرائيل الوارد من ايران وذلك بالتنازل بعد عدوان ١٩٥٦ عن تواجد القوات المصرية فى شرم الشيخ والسيطرة على مداخل الخليج عند جزيرتى تيران وصافير .

ظلت الاذاعة الأردنية والسعودية تضرب على هذه النغمة المستفزة التى تحاول استثارة النظام المصرى ، وتدفعه الى اتخاذ خطوات غير محسوبة للقتال مع اسرائيل فى توقيت غير مناسب .

ولكن النظام لم يندفع الى ما كانت تبتغيه هذه الاذاعات .. قال جمال عبد الناصر بعد غارة السموع فى خطاب أمام مجلس الأمة (بالنسبة

لجبهة الأردن لابد من تسليح سكان القرى الأمامية ، ولو بالقدر الذى يمكنهم من الدفاع عن النفس والقيام بسور المعوق حتى تصل النجدات العسكرية النظامية ٠٠٠ ان أى جيش لا يستطيع أن يحمى جبهة واسعة كجبهة الأردن أمام عدو غادر كالعدو الاسرائيلى بدون نظام للدفاع يعتمد على تسليح أهل القرى الأمامية ٠٠٠ هذا هو رأينا فى العدوان الاسرائيلى على قرية السموع) ٠

ما زال جمال عبد الناصر حذرا وحريصا على عدم الاندفاع الى المصيدة المفتـــوحة ٠

وكان للحكم فى ســـــوريا رأى آخر أصدره فى بيـان سياسى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٦٦ قال فيه (الحل العملى الموضوعى هو لقاء القوى التقدمية بهدف قيام حرب شعبية شاملة ٠٠ وأنه يجب تشكيل جبهة تقدمية فى القطر العربى الأردنى ٠٠ وان حرب التحرير الشعبية هى التى تستطيع أن تطيح بالعرش الهاشـمى وتدك اسرائيـــل من جذورها ، وأن الحـل هو الاستمرار فى الثورة الى أن يزول العرش الخائن من الوجود ٠٠ اليـوم تحرير الأردن ٠٠ وغدا تحرير فلسطين ٠

ولا شك أن هذه البيانات كانت عاملا من العوامل المؤثرة على جمال عبد الناصر ، والتى تظهره بطريقة غير مباشرة فى مظهر الذى يتبع (سياسة ناعمة) ازاء اسرائيل ٠٠٠ ولكنه مع ذلك استطاع حتى هذه المرحلة أن يستوعبها هى واذاعة الأردن والسعودية ٠

وأمام هذا الموقف المشتت دعا الفريق على على عامر قائد القيادة العربية الموحدة ، مجلس الدفاع العربى للاجتماع فى ٧ ديسمبر ١٩٦٦ ٠ بعـد حملة التشهير التى شنها المسئولون فى الأردن ضد القيادة الموحدة وتخليها عن مسئوليتها القومية فى حادث قرية (السموع) ٠

وكانت اجتماعات المجلس فرصة للمناقشة واثارة القضايا المختلف عليها ٠٠٠ فقال الفريق على على ماهر ان حادث قرية (السموع) هو عدوان محدود لا يستهدف الاحتلال٠٠ثم شرح مخالفات الحكومة الأردنية لتوصيات القيادة العربية من حيث التسليح والتجنيد وبناء المطارات وانشاء الأسراب الجوية ، وعدم السماح للقوات العراقية والسعودية بالدخول ، ورفض تمركز مقاتلات عربية فى الأرض الأردنية ٠

وقال محمود رياض وزير الخارجية ردا على اتهامات الأردن فى مذكرة رسمية تقدمت بهـا تطلب سحب قوات الطوارىء الدولية من قطاع غزة وسيناء العربية الموحدة) كما جاء فى نص المذكرة ٠

وقال محمود رياض (قوة الطوارىء الدولية لا تشكل أى قيد على الجمهورية العربية المتحدة أو على حريتها فى العمل الذى تراه مناسبا ، ونستطيع أن نطلب سحب هذه القوات فى أى وقت نشاء) ٠

الأردن تمارس سياسة الضغوط الدعائية والنفسية على النظام المصرى حتى فى المذكرات الرسمية وفى جلسات الجامعة العربية ٠٠٠ وأصبح سحب قوات الطوارىء الدولية موضوعا مثارا تحت البحث منذ أواخر عام ١٩٦٦ ٠

وكشف أحمد الشقيرى بعض مواقف الحكومة الأردنية من جهة قرارات القيادة العربية الموحدة ، اذ رفضت ما عرضته القيادة من توريد طائرات سوفييتية مقاتلة من أحدث طراز وأصرت على شراء طائرات أمريكية (قديمة مجددة) حسب تعبيره ويبلغ ثمنها ثلاثة أضعاف ثمن الأولى وتورد بعد مدة تتراوح بين سنتين وثلاث ٠٠ وأشار أيضا الى رفض المساعدات ومنع القوات العربية المسلحة أو الجوية من الدخول الى الأردن تنفيذا لقرار القيادة ٠ وأعلن خطة القيادة التى تنص على (مسئولية كل دولة فى رد غارات العدوان عليها طالما لم يؤد ذلك الى احتلال جزء من أراضيها) كما أشار الى رفض حكومة الأردن اعلان التجنيد الاجبارى ليمكن تكوين جيش احتياطى يستدعى عند الحاجة ٠

الخلافات فى مجلس الدفاع العربى حادة ، والقيادة العربية الموحدة قاصرة عن القيام بواجباتها فى التعبير عن القدرة والقوة الحقيقية لجماهير الأمة العربية ، والنظم السياسية متنافرة النظرة رغم مواثيق الدفاع المشترك ٠

أثرت غارة قرية السموع على موقف الأردن ، فقبلت دخول ٠٠٠ر٢٠ جندى سعودى الى أراضيها وظلت على موقف الرفض من دخول القوات العراقية التى ظلت تنتظر عاما كاملا فى منطقة الرطبة على الحدود الأردنية، مما جعل مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء يوافق على سحبها بعد أن (أصاب معداتها التلف وهبطت روح رجالها المعنوية) كما تقول كلمات تقرير القيادة العربية الموحدة بالحرف الواحد ٠

صرح أبا ايبان بقوله (ان الغارة قد جعلت الموقف يستقر) ٠٠٠ وأعلن الجنرال موشى ديان يوم ٨ يناير ١٩٦٧ (ان الخطر الوحيد هو قيام انقلاب فى الأردن يطيح بالملك حسين ، فانه عنصر الاستقرار الوحيد فى منطقتنا ، واختفاؤه عن المسرح سيكون له نتائج خطيرة علينا ٠

وظل الملك حسين سادرا فى أسلوبه ٠٠ يشدد هجماته على النظام فى القاهرة ، ويسحب اعترافه بجمهورية السلال فى اليمن قائلا فى وليمة

أقامها للملك فيصل فى ١٢ فبراير بعمان انه لن يسكت على حمام الدم الذى يجرى فى اليمن ··· ويلتقى بالحاج أمين الحسينى الذى زار الأردن فى أول مارس ·

الملك حسين يؤدى دوره فى تناسق تام مع ملك السعودية فيصل ويرفض الاثنان ارسال مندوبهما لحضور اجتماعات مجلس الدفاع العربى الذى عقد فى القاهرة فى ١٢ مارس ١٩٦٧ ، والذى تلا فيه الفريق على على عامر تقريرا موجزا استغرق خمس دقائق فقط طالب فيه المجلس أن (يبت فى أمر القيادة العربية الموحدة حتى لا تبقى بدون عمل ، وأن تصارح الدول العربية الأمة العربية بالحقيقة ·· وان قوات الدعم العربية لم تدخل الاردن ، وأن عددا من الدول العربية لم تف بالتزاماتها المالية ·· وان توقف الدول عن سداد التزاماتها سوف يؤدى بالوضع العسكرى الى موقف خطير) ثم صارح المجلس بقوله (ان استمرار هذه الأوضاع لا يمكن القيادة من تنفيذ المهمة التى أقرها مجلس الملوك والرؤساء فى الاسكندرية) ·

كان رئيس أركان حرب الأردن والسعودية فى القاهرة ، ولكنهما رفضا حضور اجتماع مجلس الدفاع العربى ·

وانتهى الاجتماع الى مطالبة الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالية والعسكرية ، وتحدد شهر يوليو موعدا للاجتماع القادم ·

سوريا ·· والمصيدة :

فى يوم ٧ أبريل شنت القوات الجوية الاسرائيلية غارة على سوريا أسقطت فيها ٦ طائرات ميج سورية ··· بينما أذاعت الحكومة السورية أنها أسقطت ٥ طائرات اسرائيلية ، وسقطت لها أربع طائرات ··· ولم يكن ذلك صحيحا ·

وقد أثارت هذه الغارة معارضة داخل اسرائيل ··· ليس لانها حدثت ، ولكن لانها تمت باستخدام عدد كبير من الطائرات ، ولانه أعلن ان العملية تمت عن قصد وترتيب ·

ويروى الصحفى الاسرائيلى شلومو نيكدمون فى كتابه (ما قبل ساعة الصفر) قصة النقد الذى وجهه الى الحكومة بن جوريون وشيمون بيريز وما قاله ديان من (ان جيش الدفاع كان يجب عليه ألا يدفع بمثل هذا العدد الكبير من الطائرات صوب دمشق) ··· وأضاف بأنه كان من رأيه ضرورة تحديد عملية الرد بنفس حجم العدوان السورى ، وعدم توسيع العملية حتى دمشق ·

ميثاق الدفاع المشترك لم يدفع القاهرة الى اتخاذ خطوات أكثر من ارسال الفريق صدقي محمود قائد القوات الجوية الى دمشق يوم ١٠ أبريل٠

وانقضت الغـارة التى قامت بهـا اسرائيل ردا على ضرب المدفعية السورية للمزارعين حـول بحـيرة طبريا ، دون أن تحرك شيئا فى رقعـة الشطرنج القائمة ٠

ولم يأخذ النظـام السورى الذى خسر ٦ طائرات دفعة واحـدة هذه الغارة مأخذ الجد ، ويقارن بين حالته العسكرية وحالة الاسرائيليين ٠٠٠ بل انه واصل هجماته بالمدفعية لاكتساب مظهر البطولة أمام نظام عمـان المتربص ، لم يشأ القادة السوريون أن يركنوا الى الصمت والقاء التهم على الآخرين كما فعل الملك حسين ، بل انهم اختاروا طريق الاستمرار فى الرد واطلاق الفدائيين ٠

واتسمت تصريحـــات الاسرائيليين بالعنف ٠٠ قال الجنرال اسحق رابين (لن يعرف نظام فى الشرق الأدنى الأمان والاستقرار ما لم تقلب حكومة دمشق) ولمح كما يقول رودلف ونستون تشرشل فى كتاب (حرب الأيام الستة) بأن قواته تستطيع مهاجمة دمشق والاطاحة بحكم نور الدين الأتاسى ٠

وخطب رئيس الوزراء ليفى اشكول فى نادى ايدار فى تل أبيب قائلا (نظرا للاعتداءات السورية المتكررة والتى بلغت ١٤ اعتداء فى الشـهر الماضى ، نرى أنفسنا مجبرين على اتخاذ اجراءات حاسمة تفوق تلك التى اتخذناها فى ٧ أبريل الماضى) ٠

لم يدرك النظام السورى الأخطار الحقيقية التى تتهدده من تصريحات الزعماء الاسرئيليين ٠٠ بل لعله أدركها ووجد أن النجاة منها لا تكون فى الهدوء والتقاعس ، وانما فى الصمود والمواجهة ٠

ولا يمكن لأحد أن يعيب على نظام ـ أى نظام ـ دفاعه عن نفسه ووطنه بأسلوب القتال والمواجهة ٠٠ ولكن ما يمكن أن يعاب عليه ، هو أن تكون نظرته قاصرة ومحدودة على ظروف خاصة وليست شاملة ٠٠ وأن تكون حركته عفوية ومن باب ردود الفعل بدلا من أن تكون مدروسة ومنسوجة فى خطة استراتيجية سليمة ٠

كانت عين النظام السورى فى حركته على الجبهة الداخلية التى تحكمها وتهزها تحركات الامبريالية ٠٠ مثـال ذلك المقال الذى نشرته مجلة عسكرية محدودة التوزيع بقلم صف ضابط مجهول يدعى ابراهيم الكلاس يهاجم فيه الاسلام ، والتقطت ذلك جريدة رجعية فى بيروت فأعادت نشر المقال ، وعقب

على ذلك الشيخ حسن حبنكه من على منبر الجامع الأموى فى خطبة الجمعة وبعدها أغلق التجار الكبار محالهم وأعلنوا الاضراب وردت الحكومة السورية بالعنف على المتآمرين فاعتقل الشيخ حبنكه وظهرت فى شوارع دمشق وغيرها الدوريات العسكرية وفصائل العمال المسلحين ٠٠ ومثال ذلك أيضا محاولة الانقلاب الذى قام به الرائد سليم حاطوم والذى أثبتت التحقيقات صلته بأجهزة المخابرات الامبريالية ثم هربه وبعض زملائه الى الخارج ، وظهوره فجأة بعد العدوان الاسرائيلى متسللا الى الأراضى السورية، ثم اعتقاله ومحاكمته أمام محكمة عسكرية حكمت عليه بالاعدام هو وشريكه فى المؤامرة بدر جمعة ونفذ فيهما حكم الاعدام فورا ٠

وكانت عين النظام السورى فى حركته أيضا على دعاية عمان المستفزة والمتربصة لردود فعل الحكومة السورية على غارات الاسرائيليين ٠

وكانت عين النظام كذلك على المظهر الذى تود أن تظهر به المجموعة السورية الحاكمة وسط صفوف حزب البعث بعد الانقسام الذى حدث فيه والدور اليسارى المميز الذى تريد أن تنفرد به ٠

وكانت عين النظام أخيرا على القاهرة وجمال عبد الناصر ٠٠ تريد تحسين العلاقات وتوثيقها دعما للنظام فى الداخل وفى الوطن العربى ٠٠ مع اتخاذ منهج سياسى خاص لا يجعل شخصية عبد الناصر تطغى على قادة سوريا الجدد ، الأمر الذى كان يدفعهم الى اتخاذ مواقف سياسية متطرفة لم تنضجها مسئولية الحكم الذى بدأت ممارستهم له منذ فبراير ١٩٦٦ فقط ٠

ولذا كانت بعض حركات وتصريحات قادة النظام الجديد تعتبر خطوات نحو المصيدة ، رغم النوايا ٠

مصر ٠٠ والمصيدة :

الضغوط التى تعرض لها النظام فى مصر لم تدفع جمال عبد الناصر الى اتخاذ خطوات اندفاعية غير محسوبة لمناطحة اسرائيل ٠٠ كان حريصا حتى ذلك الوقت على التمسك باستراتيجيته التى تجعله يختار الوقت والظروف المناسبة لجولة جديدة ٠

ورغم ما قامت به الامبريالية الأمريكية وخاصة فى عهد جونسون من ضغوط مباشرة فى اليمن (حرب كومر) ومن مساعدة للنظام السعودى والملكيين فى القتال الدائر هناك ٠٠ ورغم التغير الحاسم فى قرار امداد اسرائيل بالأسلحة الأمريكية مباشرة ٠٠ ورغم الضغوط الاقتصادية ومنع القمح ٠٠ فان جمال عبد الناصر لم يقطع العلاقات الديبلوماسية مع أمريكا

مطلقا وهو الذى قطعها مع انجلترا والمانيا الاتحادية وفرنسا لأسباب أبسط من ذلك ٠٠ ولم يقطع جسور الاتصال بينه وبين المسئولين فى واشنطن سواء عن طريق الخطابات المتبادلة مع كنيدى ثم جونسون ، أو خلال بعض الاتصالات السرية ٠

لم تتجاوز ردود فعل عبد الناصر دائرة التصريحات الشديدة والهجمات اللفظيـــة ٠

ولكن موقف الجمهورية العربية المتحدة الصريح فى مساندة حـــركة التحرير القومى فى جنوب اليمن وشبه الجزيرة العربية كان يسبب انزعاجا شديدا ومتزايدا للسياسة الأمريكية والبريطانية معا ، ذلك أن ما تحويه أرض شبه الجزيرة من ثروة بترولية هائلة ، هو أمر لا يمكن التفريط فيه لما يمكن أن يلحقه ضياعها من خسارة فادحة للرأسمالية العالمية ٠

أرغم نضال الشعب اليمنى ومساندة القاهرة له بريطـانيا على قبول أبغض الأشياء الى قلبها وهو اعطـاء وعد جلاء قواتها عن عـدن فى أوائل ١٩٦٨ ٠

ومع ذلك عقد اجتماع قمة افريقى محدود فى القاهرة حضره بومدين ونيريرى وولد داده ومندوب عن سيكوتورى وهى الدول التى قطعت علاقتها مع بريطانيا لسياستها فى روديسيا ، واتخذ المؤتمر قرارا بضرورة الاسراع فى جلاء بريطانيا عن الجنوب العربى ٠

وهكذا تضاعف حقد بريطانيا على مصر ، وخاصة بعد حرب السويس التى اعترفت بريطانيا بخسارتها لأول مرة فى المائة وخمسين عاما الأخيرة ٠

ورغم أن نصرا نهائيا لم يتحقق فى اليمن ، الا أن الوضع بالتأكيد كان قد استقر للنظام الجمهورى الذى أصبح قادرا على الدفاع عن نفسه ٠٠ وتعرض النظام السعودى لتخلخل شديد بعد زيارة الملك سعود لليمن فى ٢٣ أبريل ١٩٦٦ ومعه المشير عامر وأنـــور السادات ، ودعوته للشعب السعودى برفض الانصياع لحكومته قائلا : « اننى أستنكر كل الاستنكار دينا وعروبة هذه المذبحة التى راح ضحيتها أبناء الشعب اليمنى » ٠

الاتجاه المعادى للامبريالية فى شبه الجزيرة العربية أصبح مثيرا لقلق الدوائر الامبريالية ، ودافعا لها الى البحث فى أســلوب لتحطيم النظـام الثورى التقدمى فى مصر باعتباره السند الرئيسى لهذا الاتجاه ٠

وتحركت بعض العناصر المضادة للنظام فى الداخل مدفوعة أو غير مدفوعة بخيوط امبريالية ٠٠ الجهاز الارهابى للاخوان المسلمين ، فلول

الاقطاعيين المتهربين من قانون الاصـــلاح الزراعى ، البرجوازية المقاومة للاتجاه نحو تطبيق الاشتراكية .

ولما كان النظام فى مصر حتى ذلك الوقت قد عجز عن تكوين جهاز تنظيمى له صفة حزبية ، يملأ الفراغ السياسى .. واعتمد فى حركته على سحر شخصية الزعيم ورصيده التاريخى الكبير ، والاجراءات الادارية الحاسمة ، فانه أخرج من (جرابه) مرة أخرى المباحث الجنائية العسكرية التابعة للشرطة العسكرية ، والتى كان دورها قد ذبل وانحسر بعد انتهاء محاكمات الاخوان المسلمين فى نهاية ١٩٥٤ وبداية ١٩٥٥ ثم انتهاء فترة الانتقال ١٩٥٦ .

عادت المباحث العسكرية تطفو فوق السطح مرة أخرى بعـد عشر سنوات تقريبا ، وتؤدى دورا فى مطاردة الاخوان وفلول الاقطاعيين والمهربين وتجار السوق السوداء ، والمهملين والمنحرفين فى ميادين الخدمات مثل النقل العام والجمعيات الاستهلاكية وغير ذلك من الأمور البعيدة عن اختصاصها .

ولم تكن تحركات المباحث الجنـائية العسكرية تتم تحت الاشراف الواعى المباشر لعبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، الذى انتهج أسلوبا ناعما جديدا فى حياته الخاصة بعد الانفصال ، ومحـاولة تحديد اختصاصاته فى مجلس الرئاسة ثم استقالته وعدم قبولها ، فى الوقت الذى تعددت فيه مسئولياته وتشعبت الى الحد الذى يصعب معه على فرد واحد أن يباشرها بنجاح .. بينما هو مسئول فيه عن تنظيم وتدريب وقيادة القوات المسلحة ، التى يحارب الألوف من أبنائها فى اليمن .

كانت مسئوليات عبد الحكيم عامر تمتد من قيادة القوات المسلحة الى الاشراف على رجال الطرق الصوفية ، الى رئاسة اتحاد الكرة ، الى رئاسة لجنة تصفية الاقطاع ، وأخيرا الى رئاسة هيئة الرقابة العليا للدولة التى شكلت فى ٧ مايو ١٩٦٦ وضمت على صبرى وعباس رضوان وعبد المحسن أبو النور وكمال رفعت وشمس بدران وعبد المجيد شديد ، والتى اعتبرت مسئولة عن ترشيح وتعيين كبار المسئولين فى أجهزة الدولة ومؤسساتها وشركاتها .

ولذا انفرد شمس بدران مدير مكتبه بمباشرة المسئولية الحقيقية لحركة المباحث الجنائية العسكرية ، وأراد جمال عبد الناصر مكافأته على جهده ، فعينه وزيرا للدفاع فى وزارة صدقى سليمان (سبتمبر ١٩٦٦) ، وهو الضابط الذى لم تتجاوز معلوماته معلومات ضابط برتبة يوزباشى قبل الثورة ، انخرط فى العمل مع قيادة حركة الجيش ، دون أن ينمى معلوماته بأى نوع من أنواع الدراسات العسكرية ودون أن يتخرج فى كلية

أركان الحرب ، أو يدرس دراسات عليا تجعله متابعا للتطور العلمى الحديث فى عالم التسليح والتدريب والتكنولوجيا .

كان تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع تدشينا لوضع قائم وتأكيدا لسلطته التى استمدها من علاقته بعبد الناصر وعامر ، ولكنه فى نفس الوقت كان مثيرا لكثير من علامات الاستفهام .. اذ لا يمكن أن يدعى أحد بأنه الاختيـار المناسب فى وقت تتعقد فيه الأمور وتتشابك فى الجبهة الداخلية ، وتبدو فى الأفق ضغوط أزمة خارجية ، ويدرك جمال عبد الناصر أنه يواجه تحديا امبرياليا خطيرا .. وفى الوقت الذى كان فيه عبد الحكيم عامر أيضا قد ابتعد عن متابعة التطورات الحديثة فى القوات المسلحة وفقد اهتمامه بمتابعة المناورات والتدريب على الأسلحة العصرية .

لم تعد قيادة القوات المسلحة بعد تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع واستمرار عبد الحكيم فى منصب نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة فى المستوى الذى يمكن القول فيه بانها قادرة على توجيه وتدريب وتحريك الجنود فى الوقت والمكان المناسب لمواجهة أى هجوم اسرائيلى .. خاصة وان جمال عبد الناصر كان قد فقد اهتمامه أيضا بالقوات المسلحة منذ عام ١٩٦٢ بعد خلافه مع عبد الحكيم عامر ، وآثر أن يترك له المسئولية كاملة ... وهو ما لا يمكن لأحد أن يقر جمال عبد الناصر عليه . فهو فى النهاية الرجل المسئول طالما يتولى منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة .

ولكن تعقيدات العلاقات الشخصية ، والحذر من حركة غير محسوبة من القوات المسلحة ، والارتكان الى العناصر التى اعتاد جمال عبد الناصر على التعامل معها ، والتى كان صعبا بل مستحيلا أن تنقض عليه لدوافعها الشخصية المقتنعة برئاسته ، وعلاقتها الوثيقة به رغم ما كان يشوب الجو من غيوم وخلافات ... هذه العوامل دفعت جمال عبد الناصر الى جانب رسوخ جذور هذه الشخصيات ومتانة علاقتها مع قادة الجيش الى ابقائهم فى مناصبهم الحساسة المسئولة .

وقد صادف هذا التعيين خفضا فى ميزانية القوات المسلحة . يقول عنه الفريق صلاح الحديدى فى كتابه « شاهد على حرب ٦٧) انه « أجل انشاء تشكيلات جديدة ومطارات هامة كان من المقرر انشاؤها . وخفض من نفقات تدريب القوات الموجودة فعلا ، وفى عدد ساعات تدريب الطيارين واستغنى عن تكملة الوحدات بالأفراد والمعدات التى كانت تنقصها ، وما الى ذلك من الأمور التى تؤثر حتى فى كفاءتها .. وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ القوات المسلحة التى تنفذ فيها هذه التخفيضات بطريقة جدية » .

هذا الخفض فى ميزانية القوات المسلحة يدل على أن جمال عبد الناصر

لم يكن يرتب عدوانا ، أو هجوما على اسرائيل ... وانما كان يوفر أقصى ما يمكن من أموال لتنفيذ خطة تنمية ناجحة .

ويدل أيضا على أن جمال عبد الناصر لم يكن قد دخل بعد دائرة الشعور بخطر عدوان يتهدد مصر ... ولعله كان على يقين من أنه طالما هو متمسك باستراتيجيته التى تمنعه من الانزلاق والتورط ، وطالما هناك قوات طوارىء دولية على الحدود ، فان خطر الحرب بعيد .. بعيد .

ولكن علاقات مصر مع أمريكا كانت تتأزم ولا تنفرج .. وتفرض على نظام الحكم فى مصر أن يكون أكثر يقظة واستعدادا ... وهو الأمر الذى لا يتناسب مع خفض ميزانية القوات المسلحة .

كان لوشيوس باتل السفير الأمريكى السابق فى القاهرة قد قال أمام لجنة الشئون الخارجية ما نشرته وكالات الأنباء والصحف المصرية يوم ٦ أبريل ١٩٦٧ « من الصعب أن يجد الانسان شخصا معاديا للخطط الأمريكية أكثر من عبد الناصر » .

وعلق سناتور يورك هيكتلوبر قائلا « موقف أمريكا يتراوح بين الارتفاع والهبوط كأنه قطعة من الفلين طافية فوق الأمواج .. وينبغى حسم الموقف بصورة أو بأخرى » .

وكان السيناتور واين مورس أكثر صراحة فى الاجتماع عندما قال « ان عبد الناصر يمثل تهديدا لمصالح أمريكا ليس فى منطقته فحسب بل وفى العالم أجمع » .

ولم تنقض أيام على هذا الاجتماع حتى حدث الانقلاب العسكرى اليمينى فى اليونان يوم ٢١ أبريل ١٩٦٧ والذى اعتبر مؤشرا لاقتراب التحركات الامبريالية من المنطقة .

وكانت مصر وقتها تتعرض لحملة اشاعات منظمة سرت فى المجتمع بنشاط شديد حول أخطار يتعرض لها الأطفال من حقن يحقنون بها فى المدارس ، وما أحدثه ذلك من قلق وذعر دفع الحكومة الى تقديم قضية للمحكمة يوم ١٨ أبريل ١٩٦٧ ، وهى أمور وأساليب كانت قد تجاوزتها الثورة بعد انقضاء أشهرها الأولى ، وما صاحب اعتقال السياسيين ومحاكمات الغدر والثورة من شائعات .

محاولات الامبريالية أصبحت أكثر وضوحا لهز المجتمع من الداخل . وحصاره بالانقلابات العسكرية فى المنطقة .

وكان جمال عبد الناصر قد تلقى تقريرا من أمين شاكر الذى كان سفيرا فى بلجيكا ، وقبل ذلك كان مديرا لمكتبه ثم مسئولا فى المؤتمر

الاسلامى ، وعضوا منتدبا بمؤسسة أخبار اليوم عندما كان محمد التابعى رئيسا لمجلس الادارة ٠

قال لى أمين شاكر تفاصيل هذا التقرير المثير الذى أشار اليه ناتنج فى كتابه « ناصر » ٠

قال أمين شاكر ان هنرى سباك أبلغه أنه بعد انتقال مقر حلف الأطلنطى من باريس الى بروكسل ، استدعت الحكومة الأمريكية سفراءها فى غرب أوربا لشرح نتائج خروج فرنسا من الحلف العسكرى ٠

هنرى سباك رئيس اتحاد دول غرب أوربا ونائب رئيس وزراء ووزير خارجية بلجيكا والذى يعتبر « مهندس أوربا » الذى أسهم فى انشاء حلف الأطلنطى والسوق الأوربية قال لأمين شاكر ان خروج فرنسا عسكريا من الحلف يمثل نقطة تحول غير محدود فى الاستراتيجية وأنه يمثل بداية النهاية لعهد الأحلاف ، وأن على أمريكا تهيئة نفسها لذلك بعدما بدأ ديجول يبشر وخاصة أثناء زيارة بعض دول أوربا الشرقية بأن أوربا للأوربيين من الأطلنطى الى الأورال ٠

وروى سباك لأمين شاكر ما قاله دين راسك وزير خارجية أمريكا من أن أمن أوربا سوف يتعرض لصعوبات فى المرحلة القادمة ، وحذر من قوة السوفييت وشرح أهمية الشرق الأوسط وشمال افريقيا فى حماية غرب أوربا مما يفرض مسئولية تأمينها ـ بمعنى اخضاعها للنفوذ الأمريكى ٠

وقال وزير خارجية أمريكا ان العقبة الرئيسية فى تحقيق هذا الهدف هو جمال عبد الناصر الذى ساءت علاقته بأمريكا بعد سحب تمويل السد العالى ، والذى فضح سياسة أمريكا الامبريالية اللا أخلاقية ، وقال ما تحرج السوفييت والكتلة الشرقية عن قوله كما قال أدلاى ستيفنسون ٠

وقال هنرى سباك لأمين شاكر ان قرارا قد صدر عن الاجتماع بأن جمال عبد الناصر يجب أن يذهب لأن المنطقة لن تخضع للنفوذ الأمريكى طالما هو موجود وذلك لما يخلقه من صعوبات أمام السياسة الامبريالية ، وردد ما قاله جو براون محافظ كاليفورنيا من أن صوت العرب له تأثير أكبر من راديو موسكو على الدول النامية ٠

وقال له سباك أيضا ان جونسون يميل بطبعه الى النتائج التى وصل اليها البنتاجون والمخابرات المركزية الأمريكية ٠٠ وذكر سباك أنه سيحاول تفسير الأمور لهم بشكل آخر ولكن أمله قليل فى تغيير هذا القرار ٠

وطلب هنرى سباك من أمين شاكر أن يبلغ جمال عبد الناصر بهدنة

الموقف وألا يعرض نفسه لجموح جونسون وأن يتحاشى اثارته حتى تنتهى مدته لانه لن يرشح نفسه للرئاسة مرة ثانية ٠

دار هذا الحديث وكتب أمين شاكر تقريره فى فبراير ١٩٦٦ ، وأشار فيه الى أنه ليس هناك من سبيل الا ضرب الجيش لاسقاط النظام ، وأن وسيلتهم فى ذلك هىاسرائيل ٠ وأن حلف الأطلنطى يشارك فى ذلك فقد سمح للطيارين الذين أنهوا مدة خدمتهم بالعمل فى اسرائيل كما أنه أخلى سبيل الطيارين الذين هم من أصل يهودى ٠

يقول رودلف ونستون تشرشل فى كتاب « حرب الأيام الستة » تأكيدا لهذه الخطة ، وتوضيحا بأن أمريكا كانت قد بدأت ممارسة أسلوب جديد فى المنطقة :

« رأى رجال العهد الأمريكى الجديد أن عليهم التحول الآن نحو ملوك البترول فى العالم واعتبروهم « معتدلين » ٠٠ وهكذا دعى الملك فيصل لزيارة أمريكا فى يونيو ١٩٦٦ ، وأثناء وجود العاهل السعودى فى واشنطن اجتمع اليه الرئيس جونسون وأعلمه أن القادة العرب لا يفهمون شيئا من السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ٠٠ ونبه فيصل بدوره الرئيس جونسون على أنه لا يجوز الاعتماد على عبد الناصر ، فقد وقع فى أحضان الشيوعية التى تزوده بالأسلحة » ٠

أحل الأمريكيون دم النظـــام المصرى ، وأحل فيصل دم النظـــام وعبد الناصر أيضا ٠

وكانت تصل الى جمال عبد الناصر أنباء تؤكد هذه الحقيقة ، وكانت التحليلات جميعا تشير اليها ، وقد كتب محمد حسنين هيكل ١١ مقـــالا أسبوعيا تحت عنوان « نحن وأمريكا » كانت فيه اشارات واضحة للأخطار التى يتعرض لها النظام ٠

وفى أواخر أبريل استدعى الملك حسين الفريق عبد المنعم رياض الذى كان يعمل وقتها فى القيادة العربية المشتركة وأبلغه أن لديه معلومات عن خطة يسهم فيها النظام الجديد فى سوريا مع بعض القوى الخارجية لجر جمال عبد الناصر الى مصيدة الحرب ، وطلب منه أن يبلغ هذه المعلومات الى جمال عبد الناصر ٠

ولما لم يكن هناك سبيل اتصال مباشر بين عبد المنعم رياض وجمال عبد الناصر فقد كتب تقريرا بذلك رفعـه الى الفريق على عامر قائد القيادة العربية المشتركة مطالبا رفعه الى القائد الأعلى للقوات المسلحة ٠

ولكن رغم خطورة التبليغ فان عبد المنعم رياض لم يتلق اجابة على

تقريره ·· وتصادف أن التقى به محمد حسنين هيكل فأبلغه بالموضوع من شدة قلقه وحرصه على أن يعرف جمال عبد الناصر هذه المعلومات ليدخلها عند تقديره للموقف كما قال لى هيكل ·

وقابل جمال عبد الناصر عبد المنعم رياض ·· ويبدو أن الثقة وقتها كانت ضعيفة أو منعـدمة بالملك حسين ، فلم تستمر الاتصالات ··· ربما اعتقادا من عبد الناصر بأنها محاولة من الملك حسين للايقاع بينه وبين النظام القائم وقتها فى سوريا ·

ويقول أمين شاكر أيضا انه بعد أن عين وزيرا للسياحة قابل جمال عبد الناصر فى شهر مايو ١٩٦٧ ، وأبلغه أن حلف الأطلنطى يقيم جيش اسرائيل بنسبة ٨٥٪ من الكفاءة المطلوبة ، بينما يقيم جيش مصر بأقل من ٣٠٪ ·

وقال جمال عبد الناصر لأمين شاكر (ولكننى لن أحارب) ·

وقال له أمين شاكر الذى أفادته صلته الشخصية ببول هنرى سباك فى توسيع أفق نظرته العامة للأمور (ولكن الجانب الآخر سيحارب) ·

ويبدو أن جمال عبد الناصر لم يأخذ هذه المعلومة الى جانب التقرير السابق لأمين شاكر ، كما لم يأخذ تبليغ الملك حسين مأخذ الجد ·· تماما كما فعل عندما تدفقت عليه المعلومات عام ١٩٥٦ من جهات مختلفة تحذر من هجوم بريطانى فرنسى مشـترك ، مستبعدا أن يقدم ايدن على هـذه الخطوة المدمرة ·

وكذلك لم يكن جمال عبد الناصر حتى هذا الوقت قد أدرك خطورة الخطة والمؤامرة المدبرة ، ولم يكن يتصور أن شراسة الامبريالية وضراوتها يمكن أن تدبر خطة لتحطيمه بدفعه داخل المصيدة ·

نشر الصحفى الأمريكى أنتونى بيرسن فى المجلة الأمريكية «بنتهاوس» مقالا جاء فيه « ان أمريكا واسرائيل قررتـا عام ١٩٦٥ أن التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلى غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ، وان الوسيلة الوحيـــدة هى هزيمته فى حـرب محدودة تفقده ثقـة العرب واحترامهم » ·

كل الظروف القائمة تشير الى أن خيوط مؤامرة امبريالية تنسج حول مصر فى هدوء ··· وأن الانزلاق نحو المصـيدة يتوقف على ردود فعل الزعيم الوطنى الذى امتحنته التجارب والمواقف السابقة ·

اسرائيـــل ٠٠ والمصـيدة :

(لقـد استغرق الأمر من القوات البـرية والطيـارين عشر سنوات للاستعداد للدقائق الثمانين الأولى من الحرب) ٠٠٠ هذه الكلمات التى قالها شيمون بيريز نائب وزير الدفاع الاسرائيلى بعد حرب ١٩٦٧ تعبر عن حقيقة الدور الذى لعبته الحكومة الاسرائيلية ٠

عشر سنوات وبضعة شهور كانت قد مضت منذ انسحاب اسرائيل من سيناء وغزة بعد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ٠٠٠ وخلال هذه الفترة حدثت فى مصر واسرائيل أحداث تمس القدرة العسكرية ٠

تعرضت الجمهورية العربية المتحدة لمأساة الانفصال التى أسقطت التنسيق والقيـادة الواحـدة ـ وليست الموحدة ـ لطرفى الكماشة المحيطة باسرائيل ، وأضعفت بالتالى القدرة على وضع خطة واحدة بقيادة واحدة تنفذها وحدات القوات المسلحة لدولة واحدة ٠٠ وبعد عام واحد انشغلت القوات المسلحة المصرية بحرب اليمن التى لم تحسم فى أسابيع أو شهور كما كان متوقعا ولكنها امتدت عدة أعوام فى ظروف متتالية غير مواتية خسرت فيها ١٠ر٠٠٠ قتيل وكثيرا من الجرحى٠٠وتعرضت القوات المسلحة لأمور كان يجدر بها أن تكون بعيدة عنها ، مثل ابقاء قائد القوات الجوية محمد صدقى محمود الذى ضربت طائراته على الأرض فى أكتوبر ونوفمبر ١٩٥٦ ، واتخـــذ قرار بابعاده ثم أصر عبد الحكيم عامر على بقائه ٠٠ واستمرار المشير عامر فى منصبه قائدا عاما للقوات المسلحة وان كان قد تغير اللقب ليصبح (نائب القائد الأعلى) وذلك بعد مسئوليته عن مأساة الانفصال ، ثم اتجاهه الى حيـاة بعيدة عن الروح العسـكرية القتالية مع مضاعفة مسئولياته فى أمور مدنية تستهلك طاقته وتركيزه كما ذكرنا ٠٠ وأخيرا تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع وهو لا يملك مؤهلات الفهم العميق لوسائل القتال الحديث ، فقد توقفت دراسته تماما منذ كان يوزباشى فى ليلة ٢٣ يوليو ٠

ولكن اسرائيل كانت تستعد لجولة قادمة ، بعد اجبارها على الانسحاب بعد العدوان الثلاثى دون تحقيق أى غرض استراتيجى هام ، سوى انشاء ميناء ايلات والحصول على حق الملاحة فى مضيق تيران ٠

قال ديان أمام الكنيست فى مارس ١٩٥٧ (ان الفشل العسكرى ترتب فى حقيقة الأمر على هزيمة سياسية لم يكن أمام اسرائيل الا أن تتجرعها حتى الثمالة وتنسحب من كل الأراضى التى احتلتها) ٠

ولذا بدأت اسرائيـل رسـم سياستها الحربية على أساس قدرتها

العسكرية الذاتية ، وأصبحت مؤسسة الدفاع متحكمة ومسيطرة على سياسة الدولة ، ووضع موشى ديان برنامجا يقضى بتعزيز القوات الجوية ودعم القوات المدرعة باعتبارها أقوى أسلحة تمثل القوى الضاربة فى الحرب التقليدية الحديثة ، كما ركزت اسرائيل اهتمامها على الأبحاث الذرية ، ونجح شيمون بيريز فى أن يمد التعاون الفرنسى فى مجالات التسليح لتبادل الأبحاث العلمية والفنية الخاصة بالطاقة الذرية ٠

وركزت اسرائيل سياستها واستراتيجيتها على أساس :

١ ـ الحصول على أحدث الأسلحة وخاصة من أكبر مصادرها قدرة وتطورا (الولايات المتحدة الأمريكية) ٠

٢ ـ الحصول على ضمانات لأمنها من الدول الغربية ٠

وفى هذا السبيل نجحت بخطوات متلاحقة :

أولا : كانت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى رحبت بمشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ والذى كان يقضى بتخويل ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة وانفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الأمن المشترك ٠

ثانيا : واصلت اسرائيل علاقاتها الطيبة مع فرنسا حتى بعد وصول ديجول الى الحكم (يونيو ١٩٥٨) ، فحصلت منها على صفقة من طائرات الميراج ، وتكررت أيضا بعد زيارة بن جوريون لباريس (يونيو ١٩٦٠ ويونيو ١٩٦١) ٠

ثالثا : استطاعت اسرائيل الحصول على أسلحة من ألمانيا الاتحادية بضغوط أمريكية ووافق برلمان ألمانيا الغربية على ذلك فى ديسمبر ١٩٦٢ ، وتدفقت الأسلحة والدبابات على اسرائيل حتى فبراير ١٩٦٥ عندما اضطرت ألمانيا الاتحادية الى اعلان وقف تصدير الأسلحة بعد غضب الدول العربية واعتراضها بعد أن كانت قد صدرت ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار حسب تصريح شيمون بيريز ٠٠ وقد عوضت ألمانيا ذلك باقامة علاقات اقتصادية وصناعية هائلة ٠

رابعا : وصلت اسرائيل الى هدفها وقمة نجاحها بالحصول على أسلحة أمريكية مما اعتبر تغييرا حاسما فى الموقف الأمريكى ، بدأ ذلك بصفقة صواريخ هوك التى مزقت الحظر الأمريكى ثم تبع ذلك الامداد بالدبابات والمدرعات وأخيرا طائرات « سكاى هوك » فى مايو ١٩٦٦ ، وأصبحت الولايات المتحدة بعد ذلك المورد الرئيسى للأسلحة التى تحتاجها اسرائيل ،

كما ضمنت تأييد الولايات المتحدة فى الوقوف خلف اسرائيل بصفة واضحة ونهائية ٠

وهكذا مضت السنوات العشر فى محاولات دائبة وناجحة لتحويل اسرائيل الى ترسانة حربية قادرة على (الاعتماد على قوتها الذاتية) مستندة أساسا فى سياستها الخارجية مع الولايات المتحدة زعيمة الدول الامبريالية٠

ووصلت اسرائيل (الى واحدة من خمس دول فى المنطقة تملك جيوشا تزيد عن ٠٠٠ر١٠٠ وهى باكستان وتركيا وايران ٠٠ ثم مصر ٠

ولكن موقف اسرائيل كان يسبق غيرها فى نسبة المجندين الى عدد السكان ، اذ بلغت عام ١٩٦٠ كما ورد فى احصائيات أوردها (هاروتيز) فى كتابه (البعد الحربى فى سياسة الشرق الأوسط) ٠٠ بلغت ١٤٤ فى الألف بينما كانت فى مصر ٦ فى الألف) ، ١١ فى الألف فى سوريا ، ٥ر٢٢ فى الألف فى الأردن ٠

هذه النسبة تلقى على اسرائيل عبئا كبيرا لا تستطيع تحمله لمدة طويلة ٠٠٠ وقد ظهر ذلك جليا فى المشكلة الاقتصادية التى تعرضت لها اسرائيل فى نهاية عام ١٩٦٦ بعد انتهاء اتفاقية التعويضات مع ألمانيا الاتحادية التى وقعت عام ١٩٥٢ وبلغ مجموعها ٣٤٥٠ مليون مارك صرفت أساسا على دعم وتطوير الصناعة ووسائل النقل البرى والبحرى وزيادة مصادر الطاقة ٠

بلغ العجز فى ميزان التجارة الخارجية لاسرائيل ٥٠٠ مليون دولار ، وارتفع عدد العاطلين الى ٠٠٠ر١٠٠ عاطل أى أكثر من ١٢٪ من القوى العاملة فى ذلك الوقت ٠٠٠ وأصبحت الحرب هى الحل الأنسب للتخلص من هذه المشاكل الاقتصادية ٠

الوسائل العسكرية جاهزة ، ولكن الذريعة لشن الحرب هى التى تحتاج الى تدبير ٠٠ تماما كما كان الموقف قبل العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ عندما قال بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون (لم تغير أزمة السويس شيئا من خطط اسرائيل التى كانت ستهجم على أية حال ، ولكنها سهلت لها أصعب الأمور وهو السلاح والحلفاء) ٠

كانت أزمة السويس هى مبرر العدوان الاسرائيلى عام ١٩٥٦ ، ولكن الموقف مع بداية ١٩٦٧ يختلف٠٠٠فقوات الطوارىء الدولية تشكل حاجزا على الحدود فى مصر ٠٠ وأية حرب تقوم بها اسرائيل على الدول المجاورة لا تحقق غرضها الا اذا استهدفت تدمير القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ٠

ولذا بدأ التفكير فى ذريعة تدخل بها اسرائيل الحرب لتحقيق أهدافها وهى ... تدمير الجيوش العربية ، والتوسع الاقليمى ، وفرض السلام الاسرائيلى واسقاط الأنظمة التقدمية فى الوطن العربى وفى مقدمتها النظام المصرى .

الحدود المصرية مقفلة ولا توجد أية اشتباكات يمكن أن تكون مبررا للهجوم .

والأردن تعرضت لغارات انتقامية اسرائيلية ، ولكن نظامها لا يشكل خطرا على اسرائيل ، وهو على علاقة غير ودية مع النظام المصرى مما قد لا يدفع النظام الأخير الى التحرك .

وبقيت سوريا .

وركزت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية خطتها على أن تكون سوريا هى الذريعة التى تؤدى الى الحرب .

كانت الظروف مواتية لذلك ، فالمقاومة الفلسطينية كانت تتحرك الى داخل اسرائيل عبر الحدود السورية .. وكانت سوريا تقوم بتنفيذ مشروعات المياه التى تعمل اسرائيل على احباطها بشتى الوسائل بما فيها العمل العسكرى ... وكانت مواقع الجولان الحاكمة على الأراضى الاسرائيلية المنخفضة هدفا من أهداف الحرب الاسرائيلية تعتقد المؤسسة العسكرية (بوجود حساب قديم يلزم تسويته مع الجيش السورى الذى لم يكف... مستغلا ميزة طبوغرافية .. عن ملاحقة وضرب المستعمرات الزراعية التى يشرف عليها من أعلى الهضبة) .

كانت هذه هى النقط المعلنة التى اعتمدت عليها اسرائيل لزيادة التوتر وخلق مبررات الحرب فى المنطقة .

واستجابت الدول العربية لهذا المخطط تدريجيا..فاشتعلت أساليب الدعاية التى روجت لبعض كلمات التقطها الاسرائيليون مثل (تدمير اسرائيل والقاء اليهود للبحر) واتخذوا منها دليلا على عدوانية العرب .. وجسدوا الخطر الذى يتعرض له الاسرائيليون ، الأمر الذى أتاح للمؤسسة العسكرية تشديد قبضتها على الجماهير هناك ، وعسكرة المجتمع ، ووضع كافة الأفراد من سن ١٨ الى ٥٥ تحت سلطة جهاز التعبئة فى المؤسسة العسكرية .

هذا رغم أن أحدا من المسئولين الحقيقيين فى الدول المجاورة لم يصدر عنه مثل هذه التصريحات المستفزة والمسيئة معا .

ووجد أصحاب التدبير الاسرائيلى فرصتهم أوفر وأفضل بعد عقد

اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ··· فقد أصبح جذب النظام المصرى الى المعركة أكثر احتمالا عن ذى قبل ·

وظهرت معالم التدبير بين اسرائيل والولايات المتحدة فى النشاط السياسى الكبير ·· حتى انه فى شهر مارس ١٩٦٧ زار اسرائيل فى وقت واحد كل من لوشيوس باتل مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط وجنوب آسيا ، والذى ذكرنا تصريحاته المعادية للقاهرة أمام لجنة الشئون الخارجية بعد انتهاء عمله سفيرا لأمريكا فى مصر ·· وهارولد ساندوز مستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط···وتاونسند هوبز من وزارة الدفاع الأمريكية ·

كل العوامل التى تؤدى الى احكام الخطة وتجهيز المصيدة أصبحت جاهزة ··· وبقى انضاج المبرر وتحديد التوقيت المناسب ·

السوفييت ··· والمصيدة :

منذ طلب جمال عبد الناصر اسلحة من الحكومة السوفييتية عام ١٩٥٥ لكسر احتكار السلاح الغربى وحظر تصديره لمصر ، وللاتحاد السوفييتى فى المنطقة وجود تدعم بالمساعدات الاقتصادية والصناعية ·

وخلال عدوان ١٩٥٦ قدم بولجانين انذاره الشهير الذى كان أول الأسباب الرئيسية فى وقف العدوان الثلاثى ، وانحسار موجته حتى الانسحاب الكامل ·

ورغم تعثر العلاقات السياسية بين مصر والاتحاد السوفيتى ، واعتقال مئات الشيوعيين فى مصر عام ١٩٥٩ ، الا أن الامداد بالسلاح لم يتوقف تماما مثل التعاون الاقتصادى ، والموافقة على تكملة مراحل السد العالى ·

والخبراء العسكريون السوفييت لم يدخلوا مصر مع السلاح ··· فقد كان هناك تخوف وحساسية من التعامل مع أكبر دولة شيوعية ، ولذا أعلنت صفقة السلاح أولا على أنها من تشيكوسلوفاكيا ·

قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى انه بدأ ارسال عدد محدود من الضباط الى الاتحاد السوفييتى فى مارس ١٩٥٧ أى بعد أكثر من عام ونصف على توقيع الاتفاقية ، وبدأ وصول الأسلحة ·· وامعانا فى السرية والتخفى ذهب الضباط بأسماء مستعارة تحاشيا للمخابرات الأمريكية ··· وبدأ وصول الخبراء السوفييت فى أواخر ١٩٥٨ بأعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط حيث اشتركوا فى اعادة تنظيم القوات وزرع العقيدة الشرقية فى القتال ·

وكتب الفريق صلاح الحديدى فى كتابه (شاهد على حرب ٦٧) يقول انه كان لوصول الشحنة الأولى من السلاح السوفييتى رنة فرح واغتباط فى الأوساط العسكرية لنجاح القيادة السياسية فى تحطيم احتكار بيع الأسلحة بصرف النظر عن مصدرها الجديد ٠

وكتب أيضا يقول (ويسجل تاريخ هذه الفترة بعد وصول الشحنات الأولى من الأسلحة الحديثة وعلى رأسها الدبابات ٣٤ وطائرات الميج ، عدم وصول خبراء من الكتلة الشرقية ليساعدوا فى تفهم الأسلحة وشرح تشغيلها واستخدامها ، واكتفى بالكتب والنشرات التوضيحية المرافقة للأسلحة والمترجمة الى الانجليزية ٠٠ وتقتضى الدقة فى تسجيل تاريخ هذه الفترة أن أذكر وصول عدد محدود جدا من الخبراء التشيكوسلوفاكيين فى السلاحين البحرى والجوى) ٠

ويفسر صلاح الحديدى ذلك بقوله (أكاد أجزم أن فكرة استخدام الخبراء السوفييت فى القوات المسلحة المصرية على مستوى واسع ، واتباع الأسلوب الشرقى ـ كما كنا نسميه ـ فى تكتيكات وتنظيم هذه القوات ، لم تخطر على أذهان المسئولين الا بعد الاعتداء الثلاثى) ٠

الظروف اذا هى التى دفعت الى كسر حاجز الحساسية والاستعانه بالخبراء السوفييت ، ومع ذلك ظل هؤلاء فى معزل عن الاندماج فى حياة الضباط الاجتماعية ، وظلوا على حرص شديد فى تغليف عملهم بالصمت حتى لا يساء موقفهم من العناصر المعادية المتربصة بالتعاون الناشىء بين الدول الاشتراكية ودول التحرر الوطنى والتى يمكن أن توجه اليهم تهمة ترويج الدعاية الشيوعية ، فى وقت كان قانون العقوبات وما زال يعتبر الشيوعية جريمة يحاكم عليها الانسان ٠

حرص الخبراء السوفييت على أن يلتزموا بأداء واجبهم المطلوب منهم دون تجاوز لحدوده ، ولو شعروا بنوع من العزله عن المجتمع وما قد يتبع ذلك من ضيق وشعور بالوحدة ٠

ويؤكد الفريق صلاح الحديدى هذه الحقيقة فيقول (كان موقف الخبراء السوفييت وتصرفاتهم فى الفترة حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ فوق كل شبهة ترمى الى اتهامهم بالتدخل فيما لا يعنيهم ، الا اجادة عملهم واضفاء روح الجدية على انجازاتهم العسكرية ، شأنهم فى ذلك شأن شعوب الاتحاد السوفييتى الذين يقدسون عملهم ، فلم يحاولوا الحصول على سلطات أو نفوذ قد ينفر القادة أو الضباط منهم ، بل كانوا من الناحية الواقعية تحت قيادة المناطق والقيادات يلبون أية مهمة يكلفون بها ويشرحون ـ مخلصين ـ ما يطلب منهم ابداء الرأى فيه متفانين فى عملهم ، على جانب كبير من اللباقة فى تعاملهم مع الضباط) ٠

لم تكن القبضة العليا فى القوات المسلحة المصرية للخبراء السوفييت وانما كانت للقيـــادة المصريه التى ترســـم الاستراتيجية وتتخذ الموقف وتصدر القرار ·

وكان التعاون قاصرا على المباحثات والمناقشات وتبادل المعلومات التى تتم بين القيادات السياسية أو العسكرية على المستويات المختلفة ·

ولا شــك أنه كان من مصلحة الاتحــاد الســوفييتى الاستراتيجية والسياسية أن يكون كل من النظام المصرى والنظام السورى متماسكا ، وقادرا على الثبات فى مواجهة الضغوط الامبريالية ، وحريصا على عدم التورط فى مصيدة اسرائيلية ·

وأى نجاح واستقرار سياسى واجتماعى للنظامين لابد أن ينعكس ايجــابيا على الاتحاد السوفيتى الصديق والذى يقدم المساعدات العسكرية والاقتصادية فى سخاء واضح ·

ولا شك أيضا ان الاتحاد السوفيتى كان يعرف حقيقة قدرات القوات المسلحة المصرية والسورية أيضا ·· ويعرف نقط القوة والضعف فى كل منها ويدرك ان الدخول فى قتال غير محسوب هو أمر ينذر بخطر شديد ·

لم يكن من مصلحة الاتحاد السوفيتى اشتعال الحرب فى المنطقة بأى حال من الأحوال ·· وكان حرصه على السلام وخشيته على النظامين المصرى والسورى باعثا له على ان يكون فى يقظة دائمة للمنطقة ·

ولذا فانه عندما أبلغت موسكو القاهرة ودمشق بأن هناك حشودا اسرائيلية على الحدود السورية لم يكن ذلك من قبيل المبالغة أو التمويه ، ولم يكن يعنى أكثر من اتخاذ الحذر مما يدبر ، وليس الاندفاع الى ما يدبر فعلا ·

اقترن هذا التبليغ بتحذيرات اسرائيلية عدوانية ، ابتداء من رئيس الوزراء حتى أعضاء الكنيست ، وصرح رئيس هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى بأنه قادر على مهاجمة دمشق واسقاط الحكومة السورية ، وفى ٩ مايو وقبل أى تحرك عربى منحت لجنة شئون الأمن فى الكنيست سلطات كاملة للحكومة للقيام بعمليات عســكرية ضد ســوريا ، مما أظهر جدية التهديد ·

ولم يكن ممكنا للخطة الاسرائيلية أن تنجح دون اثارة الشعور بالخطر الموجه لسوريا ، حتى يلتهب الموقف ، ويدخل فى دائرة ردود الفعــل ، ولذا فانهم قاموا بحشد قواتهم لأثارة الانتباه اليها ، ثم قاموا بتحريكها

الى الجنوب حيث كانت النية مبيتة على توجيه الضربة الرئيسية ·· وذلك بعد أن أدت دورها الخداعى ·

ولا يلغى هذه الحقيقة ما قامت به اسرائيل من دعوة بعض المراقبين بما فيهم السفير السوفيتي الذى رفض الدعوة ، لمشاهدة الحدود والتأكد من عدم وجود حشود حولها ·· فان قدرة القوات الاسرائيلية على الحركة السريعة كفيلة بتغيير موقع القوات من مكان الى آخر في أيام ·· بل فى ساعات ·

لم تكن هذه الحشود وهما أو خيالا كما حاولت بعض الدعايات الغربية تصوير الموقف فى محاولة لتبرئة اسرائيل ، والاساءة للموقف السوفيتى ، الذى تبين مع سريان الأحداث انه كان حريصا أشد الحرص على ألا يتورط النظام المصرى ويكون البادىء بالاعتداء ·

ويشير أمين هويدى الذى عين وزيرا للحرب ورئيسا للمخابرات العامة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ مباشرة فى كتابه (اضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) الى هذه الواقعة قائلا :

(وقد وقف الكثيرون عند هذه المنطقة وخرجوا باستنتاجات كثيرة أقلها أن الاتحاد السوفيتي دفعنا الى هذا الموقف حتى يستغله ضمن اطار سياسته العالمية ··· ولكن لعل فى هذا الاستنتاج ظلما فادحا للاتحاد السوفيتى ، ولعله أيضا قفزة طويلة فوق الحقائق ·· لأن من يرجع بالذاكرة الى تلك الأيام يجد أن المسرح السياسى فى المنطقة كان يوحى بأنه قابل للاشتعال) ·

ويذكر أمين هويدى العوامل القائمة وقتئذ وهى دور اذاعات الأردن والسعودية ··· والزيارات الكثيفة التى قام بها مسئولون أمريكيون وبريطانيون لكل من عمان والرياض وتل أبيب ··· والتهديدات الاسرائيلية المتكررة ضد النظام السورى ·

كان الاتحاد السوفيتى حذرا تماما من الوقوع فى مصيدة حرب عالمية ، فهذا أمر لم تعد تحتملة الدولتان العظميان بعد التطور الرهيب فى أسلحة الدمار الذرية ··· وكان حريصا على ألا تندفع مصر فى مصيدة الخطة الامبريالية ·

الايقـــاع الســـريع :

كان ايقاع الأحداث سريعا ، وكانت بعض القرارات مثيرة ومفاجئة ·

كانت أزمة الاعتداء فى اليمن على مقر النقطة الرابعة ، قد ادت الى

توجيه الحكومة الأمريكية انذارا للحكومة اليمنية تطلب قبوله يوم ٢٧ ابريل في ظرف ٢٤ ساعة والا سحبت الاعتراف بها ۰۰۰ ورفض السلال الاحتجاج والانذار (ولتفعل أمريكا ما تشاء) حسب البيان الذى أصدره ٠

كانت الأزمة تشكل تحديا للنفوذ الأمريكي ، وخاصة أنها قد حدثت أثناء وجود الملك سعود مع المشير عامر وأنور السادات فى اليمن ، وتوجيههم خطبا ودعاية مثيرة ضد النظام السعودى المساند من أمريكا ٠

وكانت الحركة الثورية في اليمن الجنوبية تشكل تهديدا صريحا لبقاء أى نفوذ استعمارى فى جنـوب شبه الجزيرة العربية الطافية على بحر من البترول ٠

وخطب جمال عبد الناصر في عيد العمال أول مايو قائلا ان أسلحة أمريكا الثلاثة هي الضغط الاقتصـــادى ، ونشــاط المخـابرات والحرب النفسية ۰۰۰ وقال (ان لدينا أشرطة مسجلة لرجال المخابرات الأمريكية فى القاهرة) ٠

وفى يوم ٩ مايو سافر الملك فيصل لزيارة لندن حيث قوبل بمظاهرات معادية من الطلبة العرب ، فى الوقت الذى كان يطالب انجلترا فيه بعمل عسكرى قوى لانهاء الثورة فى الجنوب كما نشرت الصحف البريطانية ٠

وكانت اذاعات الأردن والسعودية ، رغم التبليغ السرى الذى همس به الملك حسين لعبد المنعم رياض طالبا رفعه لجمال عبد الناصر ليكون على حذر من خطة تدبر ضده ۰۰۰ كانت هذه الاذاعات ما زالت تواصل حملتها الدعائية ضد مصر وتتهم النظام فيها بالتهادن مع اسرائيل ٠

وكانت الأردن قد أصدرت طابع بريد نشرت صحيفة الأهرام صورته في الصفحة الأولى يوم ٥ مايو ٦٧ وهو يحمل هذه الكلمات (المملكة الأردنية الهاشمية ثم صورة جونسون وتحتها هذه الكلمات (بناة السلام العالمى) ٠

توافرت عند جمال عبد الناصر المعلومات الآتية :

١ ـ قرار الكنيست يوم ٩ مايو باعطاء الحكومة الاسرائيلية حق القيام بعمليات عسكرية ضد سوريا ٠

٢ ـ تواجد حشود عسكرية اسرائيلية على الحدود السورية ٠

٣ ـ تهديدات اشكول ورابين الصريحة ضد النظـام السـورى ، وحديثهم عن الزحف الى دمشق ٠

٤ ـ تقارير السفير السورى فى موسكو صلاح الطرزى الذى يقول

ان مصادر موثوقا بها قد أكدت له أن الهجوم على سوريا قد تحددت له الفترة من ١٦ مايو الى ٢٢ مايو ٠

ضاعف من أثر هذه المعلومات فى نفس جمال عبد الناصر معاناته من هجمات الدعاية الأردنية والسعودية التى اتهمته باتباع سياسة ناعمة مع اسرائيــل ٠٠٠ وضاعف من أثرها أيضا شعوره بأنه لا يمكن أن يلتزم الصمت الى الأبد وهو مرتبط مع سوريا بمعاهدة دفاع مشترك٠٠٠وضاعف من أثرها أخيرا حرصه على أن يبقى فى موقعه التاريخى أملا للأمة العربية فى معركتها التحريرية ٠

ولذا تصرف جمال عبد الناصر فى حدود ما تأثر به ٠٠٠ رفض يوم ١٥ مايو طلبا تقدمت به بعض قطع الأسطول السادس الأمريكى لزيارة بعض الموانىء ، مشيرا فى رفضه الى تصريحات ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل التى أعلن فيها صراحة (أن أمن اسرائيل يعتمد فى حمايته على وجود الأسطول السادس الأمريكى) ٠

وأصــدر يوم ١٣ مايو قرارا بحشد قوات مصرية فى سيناء تأهبــا واستعدادا ٠

ولكن جمال عبد الناصر لم يقدم على هذه التصرفات بعقلية المقامر ، بقدر ما أقدم عليها بعقلية السياسى المناور ٠

عندما زار ابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا القاهرة يوم ١٦ مايو بعد ابلاغ ســوريا يوم ١٤ مايو دول مجلس الأمن بالمؤامرة ضــد سوريا واعلانها بأنها ستواجه أى عدوان اسرائيلى بكل طاقاتها ، قال له جمــال عبد الناصر ـ حسب روايته لى ـ (ان الجمهورية العربية المتحدة قد حشدت قواتها فى سيناء ليكون فى هذه المظاهرة العسكرية رسالة الى اسرائيل تجعلها تعاود التفكير) ٠

وقال لى ماخوس ان جمال عبد الناصر قد أوضح له أن قدرة السوفييت على المساعدة المادية قد تكون محدودة ٠٠٠ وأن مساعدتهم قد لا تتجاوز التأييد المعنوى والسياسى ، وربما انذار أمريكا واسرائيل ، ولذا فان على النظام السورى أن يضبط أعصابه ولا يدفع الأمور الى نقطة الخطر ، لانه ـ حسب تعبير عبد الناصر ـ (لايريد أن يقفل باب التراجع وراء اسرائيل) ٠

وقال عبد الناصر لماخوس أيضا (أريدكم أن تلمسوا دقة الموقف ، وعلينا أن نعالجه بأعصاب باردة بعيدا عن أى استفزاز) ٠

وأكد لى ماخوس أنه أبلغ جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة حرص

النظام السورى على عدم الانزلاق فى مخطط امبريالى ، وان سوريا لا تطلب من مصر الاندفاع على قتال غير محسوب العواقب .

وكان هذا دليلا على أن جمال عبد الناصر كان يتصرف حتى هـذه اللحظة التى اعلن فيها حالة الطوارىء والاستعداد القصوى بأعصاب هادئة ... وأن أخبار الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية مهما تنوعت مصادرها لم تكن لتجعله ينزلق الى دخول المصيدة .

ولكن اسرائيل تريد للموقف أن يزيد اشتعالا .

فى يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ وهو يوم الذكرى التاسعة عشرة لتأسيس اسرائيل . حدث عرض عسكرى فى مدينة القدس الاسرائيلية التى كانت تعتبر ارضا منزوعة السلاح بناء على قرارات الهـدنة ، قالت عنه صحيفة الجارديان البريطانية (أنه كان خاليا من أية طائرات فى السماء ، ولا توجد دبابات أو أسـلحة متطورة من التى تعتمد عليهـا اسرائيل فى العرض العسكرى) .

كان واضحا أن العرض العسكرى فى القدس هو نوع من الاستفزاز .. وان غيـاب الأسلحة المتطورة كان يعنى انهـا هناك فى الحشود على الحـدود .

وأذاعت وكالة الأنباء الفرنسية يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ تصريحا لليفى اشكول قال فيه :

واضح للحكومة الاسرائيلية ان بؤرة (الارهابيين) مركزة فى سوريا ، ولكننا وضعنا مبدأ بان نختار الوقت والمكان المناسب لصد المعتدى .. ويبدو ان سوريا قد أصبحت رأس حربة العرب فى حربهم ضد اسرائيل.. ولكن السوريين يعرفون قوتهم المحدودة ، وانه ليس بدون سبب أن تلعب سوريا دورا لمصلحة الدول الكبرى ، ولكن هذا لا يخيفنا) .

وقال أيضا (انه من المحتم أن تحـدث مواجهة خطيرة بين سوريا واسرائيل اذا استمرت عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخل اسرائيل) .

سوريا تصرح بانها (لن تغلق الحدود فى وجه الفلسطينيين الراغبين فى استعادة بلادهم السليبة) .

والجمهورية العربية المتحدة تصدر بيانا يقول انها (سوف تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السـورى لعدوان يهدد أرضـه وسـلامته) .

وتتجاوز المظاهرة العربية حدود الكلمات .. وفجأة تختفى من الصحف

العناوين الرئيسية التى تتحدث عن الثورة فى جنوب اليمن ، وتظهر أخبار اعلان حالة الطوارىء والاستعداد القصوى .

ويقرر جمال عبد الناصر سحب قوات الطوارىء الدولية التى ركزت عليها الدعاية لأنظمة الحكم الرجعية والتى أبقت الحدود المصرية هادئة لمدة أكثر من عشرة أعوام .

ولكن تعليمات جمال عبد الناصر لم تكن تقضى بسحب قوات الطوارىء الدولية كلها ومن جميع مواقعها .

قال لى ماخوس انه اثناء مقابلته لجمال عبد الناصر ابلغه ان خطته تقضى بان تبقى قوات الطـوارىء الدولية فى غزة وشرم الشـــيخ ، وأن تنسحب فقط من الخط الواقع بين (طابا ورفح) .

خطاب الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة أركان حـرب القوات المسلحة الى قائد الطوارىء الدولية والذى صدر يوم ١٥ مايو ونشر فى صحف اليوم التالى يقول :

(احيطكم علما باننى أصدرت تعليمات الى جميع القوات المسـلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها بأى عمل عدوانى ضد أى دولة عربية ، وتنفيذا لهذه التعليمات تجمعت قواتنا فى سيناء على حدودنا الشرقية ولضمان أمن قوات الطوارىء الدولية المتمركزة فى نقط المراجعة على حدودنا أطلب اصدار أوامركم بسحب هذه القوات فورا .

وقد اصدرت تعليماتى لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشأن) .

الخطاب خال تماما من تحديد القوات التى يجب انســحابها ، ومن المراكز التى يسمح لها بالبقاء فيها ، على أساس الاتفاق على ذلك كما رسم عبد الناصر خطته .

ولكن يوثانت ابلغ القاهرة عن طريق محمد عوض القونى منـدوب مصر فى الأمم المتحدة بناء على نصيحة من مساعده الأمريكى رالف بانش (ان عمل قوات الطوارىء هو مهمة سلام لا تتجزأ) .

وقد وضع هذا الرأى جمال عبد الناصر فى موقف محير ، فقد أصبح مجبرا على الالتزام بكلمته فى سحب القوات .. ويشير اصبع الاتهام الى رالف بانش الذى احاطت علامات الاستفهام بنصيحته ، وهو الذى يعرف المنطقة لسابق خبرته بها عندما كان مندوبا للأمم المتحدة

وقد فسر جمال عبد الناصر ذلك بعد فوات الأوان في حديث ادلى به الى الصحفي الفرنسي اريك رولو المصرى الأصل نشرته صحيفة الموند يوم ١٩ فبراير ١٩٧٠ وقال فيه :

(لم ارد شن الحرب سنة ١٩٦٧ والقادة الاسرائيليون يعرفون ذلك جيدا ، لم يكن في نيتي اقفال خليج العقبة بوجه السفن الاسرائيلية ، لم اطلب الى يوثانت ان يسحب قوات الأمم المتحـدة من غـزة وشرم الشيخ المشرف على مدخل الخليج لكن فقط من جزء من الحدود الممتدة من رفح الى ايلات ٠٠ الا أن أمين عام الأمم المتحدة قرر ـ بناء على نصيحة موظف أمريكى كبير في المنظمة ـ سحب جميع هذه القوات ليضعنى في موقف المجبر على ارسال القوات المصرية الى شرم الشيخ واقامة الحصار وهكذا وقعنـا في الفخ الذى نصب لنا) ٠

رؤية جمال عبد الناصر لحقيقة الموقف تأخرت ثلاث سنوات حتى نشر هذا الحديث على الرأى العام العالمي ٠

انه فعلا كان يدخل المصيدة منساقا تحت ضغط ظروف لم يحسن تبينها ولم يجد حساباتها ٠

خطاب رئيس الأركان يطلب سحب القوات بلا تحديد ٠٠ وسكرتير هيئة الأمم يصر على سحبها جميعا ٠

كان صعبا ٠٠ بل شديد الصعوبة ٠٠أن يتراجع جمال عبد الناصر ٠٠ فانه عندئذ كان يخسر كل شيء ، وتنهال على رأسه كل الاتهامات ٠

ولذا كتب محمود رياض وزير الخارجية خطابا من ٦٧ كلمة يطلب فيه من يوثانت سحب قوات الطوارىء الدولية من الأراضى المصرية ومن غـــزة ٠٠

صدر الخطاب يوم ١٧ مايو بعد يومين من خطاب الفريق أول محمد فوزى ٠٠ وبعد ساعات فقط أصدر يوثانت أوامره بسحب قوات الطوارىء جميعها دون الرجوع الى مجلس الأمن أو الى هيئة الأمم المتحدة التى كانت منعقدة في ذلك الوقت ٠

وقوات الطوارىء الدولية التى طلبت مصر سحبها لم تكن تتجـاوز ٣٤٠٠ جنـدى من كندا والبرازيل والهند ويوغوسلافيا والنرويج والسويد والدانمرك ، استقرت داخـل الأراضى المصرية بعد أن رفضت اسرائيـل تواجدها على أراضيها بعد الانسحاب من سيناء ٠

وكانت قيادة قوات الطوارىء الدولية قد طالبت بعدم وجود قوات

مصرية لمسافة عشرة كيلو مترات من الحدود ، حتى يتيسر لها فصل القوات العربية عن الاسرائيلية فصلا تاما ٠

وافق النظام المصرى على عدم وجود قوات مسلحة مصرية فى هذه المسافة حتى تتوافر لرجال البوليس الدولى حرية العمل كاملة ٠٠ وهكذا انتقلت حدودنا أوتوماتيكيا عشرة كيلو مترات الى الغرب ٠٠ وفى هذه المساحة كان السكان المدنيون من العرب الرحل يخضعون اداريا للسلطة المصرية ، ولكن الأمر كان يحتاج الى تنسيق مع قوات الطوارىء اذا حاول رجال الأمن المحلى فى سيناء القيام بواجبهم ٠

هذه المسافة الطويلة أفقدت القوات المسلحة المصرية فرصة استكشاف الأرض ومعرفة خواصها ومراقبتها ٠٠ وظلت الأراضى الاسرائيلية بعيدة تماما عن الرؤية المصرية ٠

وكانت القوات الكندية هى المسئولة عن كافة التحركات الجوية لقوات الطوارىء وكذلك القيام بدوريات المراقبة من الجو فى بعض الأحيان ٠٠ وقد تقاسمت لذلك مطار العريش مع القوات الجوية العربية ٠٠ ومعروف ان كندا عضو فى الكومنولث البريطانى ، وتربطها علاقات جوار طيبة مع الولايات المتحدة ٠

كان بعض العسكريين المصريين يشعرون بمرارة من فقدانهم السيطرة على بعض أراضيهم ، ولكنهم كانوا يقدرون أيضا أن ذلك يتم فى سبيل الهدوء والاستقرار ، خاصة وأن قوات الطوارىء لم تكن بالحجم أو التسليح الذى ينيح لها فرصة منع أحد الأطراف من الاعتداء على الطرف الآخر بالقوة ٠

كان واجبها محدودا بالمراقبة وابلاغ السكرتير العام بما يدور على الحدود مع تأمين المزارعين للعمل فى سلام فى أرضهم الملاصقة للحدود ٠

انسحبت القوات بأمر يوثانت خلال أيام قليلة ٠

وانهالت الانتقادات على يوثانت الذى عجل بتصرفه هبوب العاصفة ٠

كتب سولز برجر كبير محررى الشئون الخارجية فى النيويورك تايمز يقول : (استخدم يوثانت منزلته الدولية لتشجيع عاصفة لابد أن تنتهى بالحرب آجلا أو عاجلا) ٠

ونشرت الأهرام يوم ٢٠ مايو عناوين كبيرة :

محاولات مستميتة من جانب أمريكا وبريطانيا وكندا واسرائيل للضغط على يوثانت ولكنه تمسك بنقطتين :

١ ـ حق مصر لا ينازع في سحب قوات الطوارىء ·

٢ ـ هو وحده الذى يملك الرد على طلب مصر ·

ويبدو أنه كان هناك (قصر نظر مصرى) لم يتبين الحقيقة خلال الايقاع السريع للأحداث ·· فالدول التى أعدت المؤامرة وجهزت قواتها للعدوان تهاجم يوثانت لأنه أسرع بسحب القوات ، مع ان ذلك كان حلما من أحلامها ، وهدفا من أهم أهدافها حتى تظهر في مظهر الدول الحريصة على السلام ·· والقاهرة تدافع عن يوثانت لأنه أسرع بالاستجابة الى طلبها، وساعد على اعطاء القوة للمظاهرة العسكرية التى بدأتها فى سيناء ·

وقال جمال يوم ٢١ مايو لضباط أحد مواقع القوات الجوية المتقدمة (ان يوثانت تصرف بحكمة ووعى ونزاهة) ·

كان انسحاب قوات الطوارىء الدولية نقطة تحول كبيرة فى الموقف·· وكان واجبا على جمال عبد الناصر أن يعيد تقدير موقفه بعد اضطراره الى ارسال قوات مصرية الى شرم الشيخ ، وهو الأمر الذى لم يكن قد هيأ نفسه له ، والذى يخرج بالمظاهرة العسكرية عن أن تكون رسالة الى اسرائيل ، كما قال لابراهيم ماخوس ·

ولكن الايقاع السريع للأحداث يبدو أنه لم يحقق فرصة للتأمل والمراجعة ·

نشرت جريدة الأهرام المصرية يوم ١٩ مايو أخبارا تقول ان القوات الاسرائيلية تتدفق بأقصى سرعة الى الجنوب ·· وقالت الأهرام أن الحشود المتجمعة أمام سوريا (تذوب) · وقدرت الحشود بثلاث فرق اسرائيلية ·

وفى نفس اليوم ظهرت تصريحات عنيفة للمشير عامر أدلى بها للمحرر السياسى للأهرام قال فيها :

(لا ينبغى لأحد أن يساوره الشك فى ان الجمهورية العربية المتحدة ستضرب بكل قوة أى محاولة للعدوان ، وأنه قد آن الأوان لوضع حد لسياسة التبجح والغرور التى يتصرف بها العدو الاسرائيلى) ·

قال عامر أيضا (ان تحرك قواتنا يقلب موقف العدو الاسرائيلى رأسا على عقب) ·

وتمت بعض التحركات ·· الفريق أول محمد فوزى سافر الى دمشق ·· والفريق أول عبد المحسن مرتجى عين قائدا عاما لقوات الجبهة المصرية مع اسرائيل ·· وتم الاتصال برؤساء العراق والجزائر واليمن ·· وهوارى بومدين يعلن تأييده المطلق لاجراءات مصر وسوريا ·

وزار المشير عامر المواقع المتقدمة يوم ٢١ مايو ٠٠ وهو اليوم التالى لاعلان اسرائيل حالة التعبئة العامة واستدعاء الاحتياط ٠

ورفضت القاهرة اقتراحا بدعوة مجلس الدفاع العربى لانهـا (ليست على استعداد لمناقشة خطط الموقف الخطير الراهن مع الرجعية أو بحضورها ٠

وحافظ الأسد وزير الدفاع وقائد سلاح الطيران السورى يعلن (ان القوات المسلحة أتمت استعداداتها والقوات الجوية فى المسـتوى الذى يمكنها من القيام بواجبها على أكمل وجه) ٠

وفى نفس هذا اليوم ٢١ مايو عقـد اجتماع للجنة التنفيذية العليـا برئاسة جمال عبدالناصر ، حضره المشير عبدالحكيم عامر وزكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى ، وصدقى سليمان رئيس الوزراء ٠

قال لى صدقى سليمان ان الاجتماع قد عقد فى صالون منزل جمال عبد الناصر دون جدول أعمال أو تحضير ٠٠ وانه عندما عرض عليهم جمال عبد الناصر قراره باغلاق خليج العقبة لم يعترض أحد منهم مطلقا ٠٠ وكان الصمت هو تعليقهم الوحيد ٠

لم يتحدث الا صدقى سليمان الذى تساءل بحسن نية عما اذا كانت تقارير المعلومات والمخابرات تظهر الصورة واضحة ، وعما اذا كانت احتمالات قفل خليج العقبة قد درست دراسة عميقة واقعية ٠٠ وكان الجواب من جمال عبد الناصر مختصرا بالايجاب ٠

يقول صدقى سليمان انه يلوم نفسه لوما شديدا على عدم دخوله فى مناقشة صريحة حول القرار ٠

وقد أكد حقيقة ما رواه لى صدقى سليمان ، ما قاله جمال عبد الناصر نفسه بعد الهزيمة للشهيد عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى عندما سأله عن السر وراء قرار قفل خليج العقبة فقال له ان الوحيد الذى ناقش الأمر معه كان صدقى سليمان ٠

وأكد لى زكريا محيى الدين حقيقة ما دار فى هذا الاجتماع ، وفسر عدم تساؤلهم أو مناقشتهم للقرار بانهم كانوا على ثقة من جمال عبد الناصر، وان حضور المشير وموافقته يدل على الاطمئنان لقدرة القوات المسلحة ٠

ويشير أمين هويدى فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) الى حديث دار بينه وبين صدقى سـليمان اثناء عمله معه وزيرا للدولة فيقول :

(ابديت قلقى الشديد من تصعيد الموقف ، بل وابديت عدم ثقتى

فى بعض القيادات العسكرية الموجودة ، وعدم قدرتها على مواجهة الموقف ، فكان رد رئيس الوزراء بهدوئه المعروف عنه (والله يا أمين الريس شايف ان وجود قوات الطوارىء الدولية زى الدمل لازم ينفتح) ٠

ولا شك ان اتخاذ هذا القرار الخطير ٠٠ فى هذا التوقيت الحرج ٠٠ وبمثل هذا الاسلوب المنعزل البعيد عن حيوية المؤسسات السياسية والديموقراطية ، وهو أمر يدل على ان نظام الحكم كان اتوقراطيا يعتمد على جمال عبد الناصر اعتمادا كاملا ٠٠ وان الثقة به – عن قناعة أو ممالأة – كانت مطلقة حتى من اقرب زملائه له ، الذين تقاعسوا عن مناقشته – أو ارتضوا قراره بلا تعقيب ٠٠ وهم الذين كانوا يملكون وحدهم أو قبل غيرهم بحكم الدستورية فى السلطة ، وبحكم الزمالة القديمة فى العمل ٠٠ فرصة الحوار معه ومناقشته ٠

وبدلا من الانجراف السريع وراء تخطئة القرار تخطئة كاملة ، علينا دائما ان نقدر الظروف المادية والمعنوية التى كانت قائمة ٠٠ والأهداف الكامنة فى صدر عبد الناصر عند اتخاذ القرار ٠٠

كتب مكسيم رودنسون فى كتابه (اسرائيل والعرب) ان عبد الناصر لم يصدر هذا القرار لمجرد الاعتراف بحقوق مصر فى خليج العقبة ، وانما لاجبار اسرائيل على التفاوض فى كل ما نجم عن حرب ١٩٤٨ ، والوصول الى (حلول وسط) فيما يتعلق بقضية اللاجئين وتسوية مشاكل الحدود ٠

ولكن انطونى ناتنج يعتبر ان هذا الاستنتاج بعيد عن الحقيقة ويقول انه نتيجة لاتصالاته بعبد الناصر يميل الى الشك فى ان عبد الناصر كان ينظر الى الأمور بهذا الشكل ، وانه كان يتحرك برد الفعل أكثر مما يتحرك بالفعل ٠

والواقع ان اسرائيل كانت أمامها عدة طرق مفتوحة للحل بعد اتخاذ القرار لو انها كانت تستهدف الوصول الى حل سلمى فعلا وهى :

١ – مواصلة الاتصالات الدبلوماسية والتركيز عليها رغم عدم جدواها المؤكد فى ذلك الوقت ٠

٢ – اختبار جدية قرار الحصار المصرى بارسال مراكب اسرائيلية خلال مضايق تيران ومعرفة رد الفعل المصرى ٠

٣ – محاولة القيام بعملية عسكرية محدودة لفتح المضايق لقواتها ٠

٤ – شن حرب وقائية ٠

واضح ان طريق الحل الرابع كان أقرب الحلول الى تفكير قادة المؤسسة العسكرية الذين أعدوا خطتهم لذلك منذ أعوام طويلة ٠

والحرب الوقائية تحتاج الى مبررات وذرائع هى التى ركزت عليها الحكومة الاسرائيلية لتوريط العرب فيها فى وقت غير مناسب لهم ٠

وتمادت بعض تصريحات التهديد لاسرائيل دون حساب دقيق لظروف الموقف ، ودون تقدير لرد فعل ذلك على سكان اسرائيل الذين تجعل منهم هذه التصريحات عجينة سهلة فى يد قادة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ٠

ويقول هربر دمكميان فى كتابه (مصر فى عهد ناصر) :

ان حشد القوات العربية على حدود اسرائيل منح الصقور هناك فرصة فريدة لاشعال حرب شاملة تجاوبت مع مشاعر السكان) ٠

أعلن جمال عبد الناصر القرار يوم ٢٢ مايو أثناء زيارته لموقع القوات الجوية المتقدم ، معلنا اغلاق خليج العقبة وحظر الملاحة الاسرائيلية أو مرور المواد الاستراتيجية ٠٠ وهاجم فى الاجتماع زعماء الحلف الاسلامى الذين لا يوقفون شحن البترول الى ايلات ٠

وفسر جمال عبد الناصر فى هذا الاجتماع رد فعله على تصريحات اشكول ورابين التى ذكروا فيها (انهم سيقومون بعمليات حربية ضد سوريا من أجل احتلال دمشق واسقاط النظام السورى) ووصف هذا التصريح بقوله : (ان هذا التصريح ـ الذى صدر يوم ١٣ مايو ـ تصريح وقح جدا الواحد لما يقراه يعتقد هؤلاء الناس قد وصل بهم التبجح والغرور الى الحد الذى لا يمكن السكوت عليه) ٠

ما زالت دمشق عند عبد الناصر المدينة العزيزة التى ألهبت قلبه بالحب يوما ما ٠٠ وما زالت طبيعته المصرية الأصيلة ترفض الرضوخ للتصريحات المهينة للكبرياء ٠

ويفسر عبد الناصر لضباط القوات الجوية التطور السريع للأحداث فيقول : (انه لم يكن هناك تفكير قبل يوم ١٣ مايو فى إتخاذ أى اجراء على أساس ان اسرائيل لم تكن تجرؤ على مهاجمة أى بلد عربى) ، ولكن وصلت فى هذا اليوم معلومات تفيد بحشد ١١ أو ١٢ لواء وان هناك نية عمل عدوانى ضد سوريا يوم ١٧ مايو ، واتصلنا باخواننا السوريين فوجدنا عندهم نفس المعلومات ، ولذا أرسلنا فوزى الى دمشق يوم ١٤ ، وقررنا أن احنا ندخل المعركة من أول دقيقة) ٠

قرار قفل خليج العقبة الذى اتخذ فى هذا الاجتماع فوق أرض سيناء

هز العالم بعنف شديد ، ووضح ان الأمور تتطور بايقاع أسرع من المتوقع، وان شبح الحرب يقترب ولا سبيل لدفعه ٠

قفل خليج العقبة يعنى القبض على رقبة اسرائيل ٠٠ وهى لن تترك نفسها لتموت بين يدى المصريين ٠

صحافة العالم تنشر (ان الحرب مع اسرائيل قد تنشب فى أى لحظة) ٠٠ والدعاية الغربية تصـــور التحركات المصرية فى صـــورة عدوانية ٠٠ وجونسون يكتب الى كوسيجين بأن تتعاون أمريكا وروسيا فى مواجهـة الأزمة ٠٠ ويقترح السوفييت على جورج براون وزير الخارجية البريطانى أثناء زيارته الى موسكو عقـد مؤتمر ثنـائى مع أمريكا لفرض تســـوية للموقف ٠

ويصل يوثانت سكرتير الأمم المتحدة الى مصر فى اليوم التالى مباشرة ـ ٢٣ مايو ـ ويجتمع ٤ ساعات مع جمال عبد الناصر، أعطى له فيها وعدا بأن يدعو اسرائيل الى الامتناع فى أثناء بذل الجهود الديبلوماسية النشطة عن ارسال سفنها للمرور عبر مضيق تيران ٠٠ على أن تسمح السلطات المصرية بمرور كافة السفن الأخرى المتجهة لاسرائيل دون تفتيش ٠

وفى يوم ٢٥ مايو ٦٧ طار شمس بدران وزير الحربية المصرى الى موســكو ٠٠ وطار أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل الى باريس ولنـدن وواشنطن ٠

بدأت رحلة أبا ايبان فجر يوم ٢٤ مايو دون أن تشـير الصحف الى تحركاته واكتفت بالقول انه غادر البلاد لرحلة اعتيادية ٠

قابل أبا ايبان ديجول الذى قال له :

ـ لا تبدأوا باطلاق النار ٠

وناقش مع المسئولين البريطانيين فى لندن (الوضـع فى الشرق الأوسط) وظهرت صحيفة التايمس يوم زيارة ايبان للندن ـ ٢٥ مايو ـ بعنوان رئيسى يقول :

ـ (يوم آخر بلا قتال فى الشرق الأوسط) ٠

وفى واشنطن وضعت اللمسات النهائية للخطة ، وقال جونســون لايبـــان :

ـ (ان العلم الأزرق والأبيض يجب أن يمر فى المضايق) ٠

وصرح ايبان فى طريق عودته الى اسرائيل بباريس يوم ٢٧ مايو بقوله :

(لا يمكن للسلام أن يتعايش مع حصار غير مشروع) ·

وعندما سئل (هل أنت متفائل ؟) ·

أجاب (ان الشجاعة أمر صعب) ·

عاد ايبان الى تل أبيب ، وهو الوزير الخبير المتمرس بعد أن تعرف على حقيقة موقف الدول الغربية من قضية مساندتها للحكومة الاسرائيلية ·

وزيارة شمس بدران لموسكو في هذه الفترة الحرجة يعطى لها أهمية قصوى ويدفع الى مناقشة نتائجها بتركيز شديد ·

واذا تغاضينا عن قدرة شمس بدران على تحمل مسئوليته كوزير لحربية مصر ، وفي وقت كان أبعد ما يكون فيه عن متابعة التطورات العلمية الحديثة لوسائل القتال ، وفى مستوى محدود وصلت اليه تجاربه ودراساته ، فاننا مع ذلك يجب ان نقف عند هذه الزيارة لما احاط بحديث شمس بدران فى مجلس الوزراء بعد عودته من علامات استفهام وتعجب ·

قال لى الدكتور مراد غالب سفير مصر فى موسكو والذى حضر مباحثات شمس بدران مع جريتشيكو وكوسيجين انه ارسل تقريرا شخصيا الى جمال عبد الناصر عن نتائج الزيارة وما ورد فيها من تحفظ سوفيتى على بعض الخطوات التى اتخذت ، والتى قد تدفع الى التورط فى حرب غير محسوبة النتائج ·

أرسل مراد غالب التقرير مع حمدى عاشور محافظ الاسكندرية الذى كان يقوم وقتها بزيارة للاتحاد السوفيتى ، وذلك خشية منه ان يكون شمس بدران لم يدرك تماما صحة الموقف السوفيتى وتقديرا من السفير المصرى لما يحيط بالموقف من اخطار ·

وعندما صدر بيان الزيارة لم يتجاوز ما ورد فيه عن العبارات التقليدية ، وهى (ان محادثات دارت حول مسائل تهم البلدين فى اجتماع يتسم بالود والصداقة) ·

ويذكر ان شمس بدران قد اجاب على تساؤل فى مجلس الوزراء المصرى عما اذا كانت مصر قد ادخلت فى حساباتها وجود الاسطول السادس الأمريكى فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، بقوله (انه لو تدخل سنحطمه) ·

ويروى أمين هويدى زميل شمس بدران فى مجلس الوزراء حيث كان وقتها وزيرا للدولة فى وزارة صدقى سليمان فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) :

(فى زيارةالسيد شمس بدران وزير الحربية وقتئذ الى موسكو أكدت له القيادة السوفييتية أكثر من مرة عن أملها فى عدم تصعيد الموقف والاكتفاء بما حصلنا عليه من انتصارات ·· هذه حقيقة لا جدال فيها ·

وكان السفير الروسى فى القاهرة يقوم بمثل هذا التأكيد أيضا ·

ثم ما قيل عن ان الاتحاد السوفيتى وعد السيد شمس بدران بالتدخل فى حالة أى عدوان على مصر بعيد عن الحقيقة بل تؤكد الصحافة السوفييتية ان اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى يؤكد المرة تلو الأخرى بعدم تصعيد الموقف والعمل على تعزيز الانتصارات السياسية التى حصلنا عليها دون التورط فى القتال) ·

ويعلق أمين هويدى على ذلك بقوله ان ما قاله البعض من ان معلومات موسكو عن الحشود السورية كانت كالزيت الذى يوضع فوق النار يتنافى مع هذه الحقيقة ويقول (ومن يريد أن يدفع الأمور لا يستبدل الزيت بالماء ليصبه على النيران) ·

ويكمل جان لاكوتير هذه الصورة فى كتابه (عبد الناصر) بقوله (سافر شمس بدران ليطلب أسلحة جديدة ، الا أنه اصطدم بانتقاد كوسيجين ـ للأخطاء المؤسفة ـ التى ارتكبتها مصر : عرض عضلات فى سيناء ، حصار تيران وأوصى رئيس الحكومة السوفييتية بألا تتضمن (المعدات الحربية) الممنوع مرورها البترول الضرورى لتمويل اسرائيل ، كما أوصى وزير الدفاع السوفييتى بالانسحاب التدريجى للقوات المرابطة فى سيناء ·

يثبت من هذا ما ذكره أنطونى ناتنج أيضا فى كتابه (ناصر) من أن عبد الناصر لم يستشر السوفييت قبل قفله خليج العقبة ، وان آخر ما كان يمكن للسوفيت أن يطلبوه هو صدام عبد الناصر مع القوات الأمريكية الأمر الذى يمكن أن يسحبهم هم الآخرين الى ميدان المعركة ·

كانت قوات حلف وارسو على حذر شديد من الخطوات الاندفاعية التى تتم فى الشرق الأوسط ، فأعلن حالة التأهب والطوارىء فى نفس اليوم الذى صدر فيه قرار جمال عبد الناصر بقفل مضيق العقبة ·

ويقول ناتنج ان شمس بدران قد أخطأ فى نقل وجهة نظر السوفييت المعارضة للحرب ، واعتقد أن تأييدهم لمصر يتجاوز طبيعته ويمتد الى الحد الذى يورطهم فى حرب ثالثة ·

وفى كتاب (ملف الحرب) الذى أعده (تيم هيواث) تسجيل لأحاديث عبد الناصر التليفزيونية التى أجراها مع أنطونى ناتنج والنائب العمالى

كريستوفر مايهيو يوم ٣ يونيو وأذيعت فى السادسة من مساء ٥ يونيو بعد بداية العدوان ٠

سأل ناتنج قائلا :

(فى محاولة للنظر الى المستقبل فان روسيا قدمت كميات كبيرة من الأسلحة والدبابات والمطارات لمصر عدا الأموال والمساعدات الاقتصادية وبناء السد العالى وقدمت مع الصين مساعدات من القمح ٠٠ ووزير حربيتك قال ان روسيا قد وافقت على مساعدة مصر ضد اسرائيل ٠

هـل يعنى كل ذلك ان حرية الحركة لمصر قد أصبحت محدودة كدولة محايدة ؟) ٠

وأجاب عبد الناصر :

اننا اخترنا سياسة عدم الانحياز ٠

تحدثت فى بعض كلماتى عن زيارة وزير حربيتنا لموسكو ولكننى لم أقل انهم قالوا انهم سيكونون معنا اذا نشبت الحرب مع اسرائيل ٠٠ لا ٠٠ طبعا اننا نرحب بالفكرة وذلك لاننا لا نريد أن نجابه ١٩٥٦ أخرى أما عن الحياد وعدم الانحياز فنحن أحرار ١٠٠٪ ٠

ويؤكد ذلك صحة استنتاج السفير مراد غالب وحرصه على ابلاغ جمال عبد الناصر حقيقة الموقف السوفييتى كما سبق أن ذكرت ٠٠ وقد أكد لى مراد غالب ان الاتحاد السوفييتى كانت له استراتيجية واضحة معروفة لمصر لا تسمح له بالموافقة على الهجوم على اسرائيل كما لا يوافق على الهجوم على مصر ٠

ويروى الفريق أول محمد فوزى قصة شمس بدران تفصيلا فيقول :

كان الوزير شمس بدران قد كلف بمهمـة للسفر الى موسكو فى الأسبوع الأخير من شهر مايو ومعه وكيل وزارة الخارجية فى ذلك الوقت السيد أحمـد حسن الفقى ٠ وانضـم اليهما فى موسـكو سفيرنا هناك الدكتور مراد غالب وتم لقاء كالمعتاد والهدف هو دعم جديد ، أسلحة للقوات المسلحة ٠٠ المهمة انتهت سريعا ، مثل باقى المهام الأخرى ٠٠ وأثناء عودة الوزير شمس كان وزير الدفاع السوفييتى جريتشكو يودعه ٠ حصلت لفتة تقليدية بكلمة مجاملة خبط على كتفه للمجاملة ٠٠ وشدوا حيلكم احنا وياكم ٠٠ حاجة من هذا القبيل ٠

وعاد الوزير شمس ومعه زميله وكيـل وزارة الخارجيـة ومعهما المظروف الذي به محضر الجلسة ٠٠ الوزير شمس بدران اتجه رأسا من

المطار الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وقال له جملة ٠٠ ما معناه ان الحكومة السوفيتية والقوات المسلحة السوفيتية معنا ٠

لقد فهم شمس بدران هذا من اللهجة العاطفية التقليدية ٠٠ لمحة المجاملة ٠٠ التى أعلنت من وزير الدفاع فى توديعه بالمطار ٠

هذه الجملة خدعت بعض الشيء فى الفكر أو الذهن لدى الرئيس جمال عبد الناصر وكان رد فعلها هو تشديد الاعلام فقط ٠٠ يعنى كان ساعتها وراها فيه خطبة للرئيس عبد الناصر مع أحد التجمعات الشعبية ٠٠ فالخط الاعلامى زاد فى لهجته نتيجة لتأثير هذه الجملة ٠

ثم اتضح بعد ذلك أن الظرف الرسمى الأكيد الذى يحتوى جلسة موسكو لم يطلع عليه الرئيس جمال عبد الناصر الا فى ١٣ يونيو لسنة ١٩٦٧ ٠

لم يقرأه جمال عبد الناصر الا فى ١٣ يونيو الظرف فضل مقفولا واتسلم من وكيل الوزارة أحمد حسن الفقى لمكتب جمال عبد الناصر وفيه محضر جلسات الوزير شمس مع القيادة السوفيتية ومكتوب على الظرف « عاجل جدا ويسلم » ولم يفتح الظرف٠ولما فتح الظرف وقرىء لم يوجد بالمحضر الرسمى أى اشارة سياسية أو معنوية ، أو أدبية عن المساعدة أو التأييد فى الصراع اللى حاصل فى ذلك الوقت اطلاقا ٠٠ كله كلام على التسليح حتاخدوا كذا حيدونا كذا ٠٠ حاجة زى كده ٠٠

واقول هـذا للتدليـل على الارتجال الشفوى غير الدقيق وتأثيره على الذهن وعلى الفكر ٠

ويستطرد قائلا : ثم دعى مجلس الوزراء الى الاجتماع ٠٠ وحضره الوزير شمس بدران وكان فيه تساؤل عن احتمـال دخـول أمريكا مع اسرائيـل كمساعدة مباشرة فى الصراع اللى موجود وخاصة ان الأسطول السادس موجود فى البحر الأبيض ٠ فـرد شمس على الوزراء ردا تهكميا أسقط النقاش ٠٠ أسقط النقاش يعنى الترجمة اللى وصلت منقولة عن هـذه الحالة ٠٠ انه « أوقف النقاش » يعنى معناها ايه هو الأسطول السادس ؟ يعنى يطلع ايه الأسطول السادس ؟ ٠٠ وذكر التفاصيل ٠٠ وقال : ده احنا بطيارتين تى يو ١٦ اس ٠٠ وزورقين لنشات صواريخ ٠٠ قال نعمل مش عارف ايه ٠٠

وهكذا توقفت المناقشة فى مجلس الوزراء ٠٠ وهذه يمكن أن نضعها تحت عنوان المبالغة المضللة فى قدرتنا العسكرية بالنسبة للحقيقة ، تشابها مع الخط الاعلامى عن القوات المسلحة ٠

ولكن شمس بدران يتحدث بنفسه عن حقيقة ما دار خلال رحلته الى موسكو فيقول فى حديث مع مجلة الحوادث عدد ٦ سبتمبر ١٩٧٧ :

(فى حفل الغذاء الذى أقامه لنا جريتشكو تحمس أحمد حسن الفقى وكيل الخارجية وعضو الوفد فقال فى أحد الأنخاب (ان الشعب شديد الحساسية لمواجهة العدوان الاسرائيلى · وانه لن يتردد فى التضحية بابنه فى معركة ضد الأمريكيين ·· ودب الفزع فى الحفل · وقام الضباط الروس يخطبون محذرين من تصعيد الموقف ، فوقفتوقلت لهم : نحن لا نرغب فى أية مواجهة مع أمريكا ، بل أؤكد لكم اذا مرت السفن الاسرائيلية فى حماية الأسطول الأمريكى فلن نتعرض لها) ·

ويقول شمس بدران أيضا :

(عندما التقيت بكوسيجين قال لى : لقد حصلتم على نصر سياسى كبير ويجب أن نعمل على تخفيف حدة الموقف الآن ·

ويذكر أيضا ان جريتشكو قال له وهو يودعه فى المطار :

(شدوا حيلكم ·· الأسطول السادس نزل مشاة أمس فى كريت ولكنه عاد وسحبهم لان أسطولنا فى البحر الأبيض مزود بصواريخ وأسلحة نووية ، واذا حدث هجوم عليكم من الأسطول السادس فابعثوا لنا باشارة ستجدوننا عندكم فى المكان الذى تحددونه ·· الاسكندرية أو بورسعيد ·

واذا كان هذا هو ما حدث فعلا ·· فانه لا يمكن أن نعتبر تشجيعا على القتال أو ارتباطا فى معركة مصير ·

ويذكر شمس بدران ان المشير عامر قد استدعاه بعد التنحى وأبلغه أن هيكل ومراد غالب يقولون ان ما نقله شمس لعبد الناصر (كان غلط) ·· والدليل ان الروس قد أبلغوا مراد غالب (أن الأسطول السوفيتى يراقب الأسطول السادس وانهم لم يشاهدوا تدخلا أمريكيا) ·

وهذا يتناقض تماما مع ما ذكره شمس ولم يدون رسميا فى محضر المحادثات ·· ومراد غالب مصدر ثقة لاجادته اللغة الروسية حيث أمضى ١٢ عاما سفيرا فى موسكو ·

الأمر المؤكد ·· ان خطأ ما قد حدث فيما نقله شمس بدران ، وفى عدم اطلاع جمال عبد الناصر على المحضر الرسمى للمحادثات ·

ولكن جمال عبد الناصر كان واثقا فيما يبدو من ان اسرائيل لن تهاجم ، في ذلك يقول ناتنج أيضا (وفي محادثاتي معه أثناء هذه الأيام

الحرجة ، بدا عبد الناصر مقتنعا انه يستطيع ركوب العاصفة والسيطرة عليها اذا لم يقدم لاسرائيل مزيدا من الاستفزازات) ٠

ولذا حرص جمال عبد الناصر فى محادثاته مع يوثانت على أن يجنح الى تهدئة الموقف ٠٠ ولكن اسرائيل كانت قد أعدت خطتها للهجوم ورفضت اقتراح يوثانت الذى قبله جمال عبد الناصر والذى كان يقضى بتوفير (فترة تنفس) يمارس فيها جهوده الديبلوماسية النشطة على أن تسمح السلطات المصرية بمرور السفن المتجهة الى اسرائيل دون تفتيش ، على أن تمتنع السفن الاسرائيلية عن المرور الى حين الوصول الى تسوية ٠

وشجع عبد الناصر على هذا الموقف تأكيد الأمريكيين له ـ كما يقول ناتنج أيضا ـ بأن اسرائيل لن تطلق الطلقة الأولى ٠

وفى يوم ٢٦ مايو نشرت الصحف مطالب الحكومة الأمريكية لتسوية الموقف والتى تتلخص فى :

١ ـ ان الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن تظل قوات الطوارىء فى غزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة ٠

٢ ـ ألا تتوجه أية قوات مسلحة الى شرم الشيخ الا بعد أن تصدر حكومة الجمهورية العربية المتحدة اعلانا رسميا بتأكيد حرية الملاحة فى مضيق تيران ٠

٣ ـ ألا تدخل الى غزة أى قوات مسلحة ٠

٤ ـ ان تظل الأمم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الادارة فى قطاع غزة حتى تتم تسوية المشكلة ٠

٥ـ أن تعود القوات المصرية فى سيناء ، والقوات الاسرائيلية فى مواجهتها الى مواقعها الأصلية ٠

ولم يكن معقولا ان تستجيب القاهرة لهذه الطلبات بعد الخطوات التى اتخذتها ٠٠ ومع ذلك ظهرت جريدة الأهرام يوم ٢٨ مايو تحمل عنوانا رئيسيا يقول (جونسون يناشد القاهرة ضبط النفس) ٠

وفى نفس اليوم عين زكريا محيى الدين قائدا للمقاومة الشعبية ٠

وعقد جمال عبد الناصر مؤتمره الصحفى الشهير الذى بدا فيه عصبيا لأنه كان قد أبلغ قبله بعدة ساعات ان ثلاثة ضباط قد وقعوا أسرى فى يد اسرائيل أثناء قيامهم بالاستكشاف ، أجاب فيه على سؤال لستيفن هاربر محرر الديلى اكسبريس الذى سأله قائلا :

لقد مررتم كانسان بمرحلة ضغط كبيرة فى اثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ فهل تجـدون من السهولة بمكان تحمل أعبائها كانسان أكبر سـنا مما كان عليه قبل ١١ عاما ، أم انكم تجـدونها أصعب شأنا ٠ وكيف تستريحون من مشاكلكم ؟

وأجاب عبد الناصر بأن الديلى اكسـبريس تهاجمه يوميـا ثم قال (بالنسبة للسن أنا ماعجزتش ولسه مابلغتش ٥٠ سنة ٠ وانا مش خرع زى مستر ايدن بأى شكل من الأشكال) ٠

وفى يوم ٢٩ مايو توجه أعضاء مجلس الأمة برئاسة أنور السادات الى قصر القبة لاعطاء جمال عبد الناصر تفويضا كاملا لمواجهة الموقف ٠٠ وكان هذا حدثا جديدا فى تاريخ الحياة السياسية اذ ينتقل ممثلو الشعب جميعا من قاعتهم الى قصر الرئيس ٠٠ ثم يقدمون له تفويضا يعتبر كل فرد منهم مسئولا عنه مسئولية ضمنية ٠

هذا بدلا من المطالبة بمناقشة الموضـوع من كافة جوانبه ومحاولة التعرف على حقيقة الاخطار التى يتعرض لها الوطن ٠

وفى نفس اليـوم توجه عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم لمقابلة جمال عبد الناصر ٠٠ وهم اعضاء مجلس الثورة الذين قدموا استقالاتهم خلال السنوات الثلاث السابقة ٠ والذين قد أرسلوا له مذكرة يشرحون فيها الموقف ويعرضون آن يكون لهم موقع فى أى قتال محتمل ٠

قال لى كمال الدين حسين ان المقابلة لم تمتد طويلا ٠٠ ثلث ساعة فقط ٠ وضح فيها ان جمال عبد الناصر يعرف حقيقة الجيش المصرى ولذا فقد اعتقد انه لن يجرؤ على اعلان الحرب ٠

وقال لى حسن ابراهيم ان جمال عبد الناصر كان واثقا من أن شبح الحرب مازال بعيدا ، فقد قال لهـم (أنا لن أحارب) ٠٠ وقال أيضـا (لست أنا الذى سيأخذكم الى تل أبيب ٠٠ انه من سيأتى بعدى) ولكنه قال (أنا عاوز ألهف شرم الشيخ) ٠

وعندما سأله حسن ابراهيم عما اذا كان سيترك الاسرائيليين يوجهون لنا الضربة الأولى قال : (ان أمامهم ستة أسابيع) ٠

ولكن حسن ابراهيم يعدل أقواله فى كتاب (الصامتون يتكلمون) فيقول ان عبد الناصر أبلغه بأن أمام اسرائيل ٦ أو ٧ أشهر) ٠

وقال لى عبد اللطيف البغـدادى ان المقـابلة قد أثبتت ان جمـال عبد الناصر لم يكن يدخل التحرك السريع نحو الحرب كعامـل رئيسى ،

وانه كان يعتقد أن المعركة ليست قريبة • وانه وزملاءه قد قاموا بتجسيد الأخطار أمامه •

ويقول ناتنج فى كتابه (ناصر) عن هذه المقابلة ان جمال عبد الناصر قد قال لزملائه انه ليست هناك مناسبة لمثل حديثهم الانهزامى الذى كان يفسر نقط الضعف فى قواتنا المسلحة ، ويقول انه عندما سأل البغدادى عن موقف السوفيت • ردد له جمال عبد الناصر ما قاله شمس بدران عن استعداد السوفيت لمساعدة مصر للنهاية حتى ولو تورطت فى حرب عالمية جديدة •

وقال لى حسن ابراهيم أيضا انه أرسل له مذكرة أخرى بتاريخ أول يونيو •

كانت هذه المقابلة من المقابلات النادرة التى أتيح لجمال عبد الناصر أن يسمع فيها آراء صريحة بلا خوف أو تردد من زملاء قدامى أتيحت لهم فرصة العمل معه ١٢ عاما وأكثر قبل ان يبتعدوا عن المسئولية والحياة العامة ••• ولكنها ظلت مع ذلك كنوع من الاستشارة فقط •

الايقاع السريع للأحداث يظهر شبح الحرب فى الأفق ، ويجعل منع الانزلاق اليها أمر عسيرا •

موقف القــوات المســلحة :

أمر بدهى أن تكون عين جمال عبد الناصر على القوات المسلحة عند تفكيره فى اتخاذ أى قرار •

وصحيح انه كان قد فقد اهتمامه ورغبته للتدخل والاشراف على شئون القوات المسلحة تفصيليا ، منذ أن نشأ الخلاف بينه وبين المشير عامر بعد الانفصال •• ولكنه يظل مع ذلك القائد الأعلى للقوات المسلحة •

وحرب اليمن أو العملية ٩٠٠٠ كما كان اسمها الحركى كانت لا تزال قائمة •• صحيح ان حجم القوات قد انحسر هناك بعد ان كان قد وصل كما يقول الفريق صلاح الحديدى (شاهد على حرب ٦٧) بعد أن ازداد (حتى فاق فى وقت من الأوقات حجم القوات الموجودة داخل حدود الجمهورية ، فتأثرت بذلك الخطط الموضوعة عن سيناء لعدم توافر القوات اللازمة ، بل تأثر حجم القوات المتمركزة فى مواجهة القوات الاسرائيلية) •

ويعلل صلاح الحديدى ذلك بقوله (ان الامتيازات الضخمة التى منحت للقوات المشتركة فى حرب اليمن كانت مغرية الى حد بعيد لجميع الرتب) •

كانت حرب اليمن غير ذات قيمة حربية علمية أو فنية لأنها كانت أقرب ما تكون الى عمليات تأديبية وبوليسية ضد قوات الملكيين المتحركة ٠٠ ولذا فلم تكن القوات المسلحة المصرية مهيـــأة من ناحية التدريب لحرب تصادمية مع جيش عصرى مثل الجيش الاسرائيلى ٠

كان التدريب قد وصل الى مستوى فرقة مشاة أو مدرعة ولكنه هبط عام ٦٧/٦٦ ليتم على مستوى سرية فقط في المنطقة الشرقية المسئولة عن سيناء ٠

وكانت القوات الجوية أيضا رغم امدادها بأحدث الطائرات العالمية غير مؤهلة لأداء واجبها حسب تطور الحرب الحديثة ، وذلك لاصرار صدقى محمود على أن تظل القوات الجوية ذات قيادة خاصة ، وفى وقت فرض فيـه التطور حتميـة انضمام فروع القوات المسـلحة المختلفة تحت قيادة واحدة ٠٠٠ وهكذا غلبت الفـكرة الانفصالية فى وقت كان دمج الفروع شرطا رئيسيا لدخول أية معركة ٠

وكان الدفاع الجوى بعيدا عن المستوى المطلوب ، اذ انه حدثت عدة اختراقات للمجال الجوى منذ اعلان حالة الطوارىء ، ولم يمكن اعتراض الطائرات المخترقة كما قال لى صلاح الحديدى (نتيجة عدم يقظة أفراد الدفاع الجوى ، أرضيين وجـويين وخضـوعهم للحيـاة الروتينية السائدة وقت السلم) ٠

معظم هذه النواقص وغيرها لم تكن خافية على عيون المسـئولين فى القوات المسلحة ولكنهم كانوا أعجز عن الوصول بهذه القوات الى المقدرة القتـالية المطـلوبة ٠٠ ولا شك أن الخلافات التى كانت قائمة بين القائد الأعلى (جمال عبد الناصر) ونائبه (المشير عامر) كانت من أهم الأسباب التى أدت الى ضـعف القوات ٠٠ الى جـانب انه لم تكن لها استراتيجية قتالية واضحة ، ولم ترسم لها أهداف جديدة للوصول اليها ٠٠ هذا الى أن الوضع الاقتصادى للدولة كان قد فرض خفضـا فى ميزانية القوات المسلحة عام ٦٧/١٩٦٦ ٠

أما عن الاستفادة من خبرة السـوفيت فانى أنقل ما كتبه الفريق صلاح الحديدى فى كتابه :

(أما عن الخبراء السوفييت وما بذلوه من جهـد طوالمدة تزيد عن العشر سـنوات فلا شـك أنهم قد أفادوا فائدة كبيرة ، وكانت أعدادهم المتزايدة عاما بعد عام ٠ وقد انتشرت فى كل الأسلحة ، ومعظم التشكيلات والوحدات تعمل بنفس الاسلوب المرسوم لها ، وتتدخل بالقدر المحسوب

لدفع القدرة القتالية للقوات المسلحة ، ولكن رؤى منذ عام ١٩٦٤ تخفيض هذه الأعداد ورسمت السياسة لتنفيذ ذلك) ٠

ويستطرد صلاح الحديدى قائلا (وفعلا تناقصت أعداد الخبراء سنة بعد سنة حتى كانت الأشهر الأولى من عام ٦٧ فوقعت اتفاقية فى موسكو لينخفض بمقتضاها عدد الخبراء السوفيت الى أقل عدد ممكن) ٠

هذا ولم يكن مصرحا للخبراء السوفيت بالذهاب مع الوحدات أو التشكيلات الى سيناء ، رغم الايقاع السريع للأحداث ، وظهور شبح الحرب فى الأفق ٠

وعندما صدرت تعليمات القيادة العامة للقوات المسلحة باعلان حالة الطوارىء بحيث تتخذ كافة القوات حالة الاستعداد الكامل اعتبارا من الساعة ١٤٠٠ يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ واعلان التعبئة وحشد القوات فى جبهة سيناء طبقا للخطة الدفاعية قاهر ٠٠ تبين ان التعبئة قد أصبحت مجبرة على تعديل خططها للظروف القائمة ، كما يقول تحليل أعدته شعبة البحوث العسكرية عن أسباب النكسة ٠

فوجئت القوات المسلحة بالتعبئة وهناك نقص بلغ ٣٧٪ من الضباط و ٣٠٪ من الرتب الأخرى ٠٠ زاد فى القوات الميدانية حتى وصل ٤٠٪ فى الضباط و ٤٤٪ من الرتب الأخرى ٠

ويقول أحد القادة المسئولين فى ذلك الوقت انه (فيما بين ١٥ مايو و٤ يونيو ١٩٦٧ كان قد تم صدور أوامر استدعاء وتعبئة وانشاء بلغ عددها ٢٠١ منها ٨٢ أمرا تضمنتها خطة تعبئة القوات المسلحة الموضوعة مسبقا و١٩ أمرا بانشاء لم يسبق وضع خطة تعبئة له) ٠

لم تكن هناك خطة تعبئة موضوعة لعام ١٩٦٧ ولذا عندما أعلنت حالة الطوارىء وتطلب الأمر استدعاء ١٢٠٫٠٠٠ فرد احتياط ، رفعت التعبئة نسبة الاستدعاء الى ١٥٠٪ ومع ذلك لم يلب الطلب سوى ٨٢٫٠٠٠ أى بنسبة تخلف ٣٢٪ ٠

وقد دفعت قوات الاحتياط بمجرد تعبئتها الى مسرح العمليات المنتظر فى سيناء فزادت عن نصف اجمالى القوات المحتشدة فى سيناء ١٣٠٩ ضباط ٨٠٦٥٠ رتب أخرى من جملة ١٣٠٫٠٠٠ فرد تم حشدهم فى سيناء ٠

لم يكن هناك تدريب شامل على استدعاء قوات الاحتياط ، ولم يكن هناك تمرين سنوى لجنود الاحتياط ، كما انه لم يكن هناك فرز دقيق لخبراتهم السابقة ، الأمر الذى أحدث أخطاء جسيمة فى توزيع الجنود على

الأسلحة والواجبات المختلفة ٠٠ بل وتواجد فى الميدان حوالى ٢٠٠ فرد يرتدون ملابسهم المدنية فى اللواء ١٢٥ مشاة احتياط الذى بلغ ٨٠٪ فى الحملة الميكانيكية و ٩٧ر٥ فى المدفعية ٠

وفى اختصار ٠٠ كانت القوات المسلحة غير مهيأة لهذا الاستدعاء المفاجىء ٠٠ ولم يكن فى خاطر قادتها أن حربا سريعة يمكن أن تنشب فى جبهة سيناء ٠

ومع ذلك لم يعترض قائد واحد من قادة القوات المسلحة ٠٠ حسب تأكيد أمين هويدى وزير الحربية بعد النكسة ٠

انصرف القادة لتنفيذ التعليمات بحشد القوات ، واستمرت هذه العملية ثلاثة أسابيع، تتكشف فيها الأخطاء ولا يقاومها احد ٠ تصدر فيها الاوامر بسحب قوات الطوارىء من خليج العقبة - ولا يشير أحد الى النقص الموجـــود ٠

قال الفريق عبد المحسن مرتجى فى حديث لمجلة آخر ساعة انه اعترض على تحرك القوات المصرية الى شرم الشيخ ٠٠ وكان الأجدر أن يتم الاعتراض على سحب قوات الطوارىء ٠

ويقول الفريق مرتجى ان المشير عامر قد صرح له بأن العمل سياسى وليس عسكريا ٠

ربما تكون قد حدثت اعتراضات أو ابديت بعض ملاحظات ٠٠ ولكن الواقع ان عجلة القوات المسلحة كانت قد بدأت تدور فى اتجاه المعركة ٠٠٠ وانشغل جميع القادة بتنفيذ واجباتهم ٠٠ وربما تصور البعض منهم ان المعركة بسيطة وهينة ، فقد طلب أحد كبار القادة من مدير احدى دور الصحف الاستعداد لطبع كروت بريد يرسلها الجنود الى أهلهم بعد الوصول الى تل أبيب ٠

ويؤكد هذه الحالة النفسية ما كتبه هويدى فى كتابه عند مناقشته أن القوات المسلحة كانت مستعدة للقتال فى حدود ظروفها المتاحة وقيادتها القائمة فهو يقول بعد اعتراضه على القول بأن القوات المسلحة لم تكن مستعدة للقتال :

(بل نجد ان ذلك يتعارض كله مع ما أكده السيد شمس بدران وزير الحربية وقتئذ فى مجلس الوزراء ، وعلى مسمع من كل أعضاء المجلس فى رده على سؤال موجه من أحد الزملاء عن الموقف اذا تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية بأن القوات المسلحة كفيلة بمواجهة الموقف ٠٠ ولم يكتف

بذلك بل اتبع رده بضحكة لازلت اسمع رنينها فى اذنى واخال ان كل الزملاء مازالوا يذكرون) ٠

ومع ذلك فان حديث جمال عبد الناصر مع زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ، وقوله لانطونى ناتنج كما ورد فى كتابه انه لا يتصور ان اسرائيل وحدها دون معاونة جوية أمريكية وبريطانية يمكن ان تلحق ضررا بالغا بالقوات الجوية المصرية الذى يجعل بعدئذ تقدم القوات الاسرائيلية فى سيناء معرضا للهجمات الجوية المصرية ٠٠ كما ان عبد الناصر استبعد امكانية هجوم اسرائيل فى جبهتين أو ثلاث جبهات ٠

كان موقف جمال عبد الناصر يدل على استبعاده للمعركة حتى هذه اللحظة ، ويدل أيضا على توافر قدر من الثقة فى القوات المسلحة ٠٠

وعندما قال ناتنج لعبد الناصر قبل ٣٦ ساعة من الهجوم الاسرائيلى ان لديه معلومات تلقاها من لندن تفيد بأن اسرائيل قادرة على أن تقوم وحدها بما قامت به طائرات (كانبيرا) البريطانية عام ١٩٥٦ ، رفض عبد الناصر تصديق ذلك ، مشيرا الى أن طائرات النقل الاسرائيلية تواصل خلال الأسابيع الماضية نقل قطع طائرات الميراج مع مصانع (داسو) بفرنسا لتركيبها فى اسرائيل ٠

وقال عبد الناصر له ان اجهزة المخابرات قد أكدت له ان طائرات الميج والسوخوى أفضل من كل ما تملكه اسرائيل ٠

ويشير ناتنج الى انه بعد مقابلته لناصر عقب النكسة قال له عبد الناصر انه بعد حديثه السابق معه توجه فورا لمقابلة المشير عامر فى مقر القيادة وابلغ قادة القوات المسلحة بأن يتوقعوا هجوما اسرائيليا خلال ساعات ٠٠٠ ولكن كان الوقت متأخرا ٠

ويقول رودلف وونستون تشرشل فى كتاب (حرب الأيام الستة) :

(كان عبد الناصر يكون فكرة خاطئة عن قوة اسرائيل الحربية نظرا للمعلومات غير الأكيدة التى كانت تزوده بها مخابراته المتفككة ، وليست هناك من أسباب واهية توضح لنا ان عبد الناصر كان يسعى فعلا للتسبب بصراع مسلح) ٠

ولكن مما لا شك فيه انه بعد ان اندفعت عجلة الأمور فى ايقاع سريع ٠٠ افلتت الخيوط من يد جمال عبد الناصر ، وأصبح واضحا تماما ان المعركة قادمة لا ريب فيها ٠

العـــرب ... في المعـــركـة :

كانت انظار العالم تتجه الى مصر ، وقد عبرت الأهرام عن ذلك بقولها (العالم مأخوذ بمفاجأة التحرك السياسى والعسكرى المصرى وسط الأزمة الخطيرة فى الشرق الأوسط) .

ومنذ وصلت الأنباء عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية وزيارات المسئولين المصريين لسوريا لا تنقطع .. سافر محمد فوزى رئيس الأركان يوم ١٤ مايو ، وسافر بعد ذلك زكريا محيى الدين يوم ٣٠ مايو الى بغداد ودمشق والجزائر .

حرص جمال عبد الناصر منذ البداية على الاتصال برؤساء العراق والجزائر واليمن فور اتخاذ قرار سحب قوات الطوارىء الدولية .

وقد حضر الى مصر رئيس أركان الجيش الجزائرى ، الذى حمل اقتراحا من هوارى بومدين بارسال قوات جزائريه ، فوافق جمال عبد الناصر على ذلك يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ ، وكانت هذه المبادرة تعبيرا من الثورة الجزائرية عن فهمها العميق لطبيعة المعركة بين قوى التحرر الوطنى والامبريالية والصهيونية . وآلاف الأميال التى تفصل الجزائر عن سيناء لم تمنع قيادتها من القيام بواجبها القومى .

وخلال هذه الفترة كانت الجزائر تستعد لاستقبال السياسيين العرب المشتركين فى الندوة التى بادر هوارى بومدين بالدعوة اليها ، وحضرها لأول مرة فى تاريخ العرب الحديث ، ممثلون لمختلف القوى والتنظيمات السياسية فى الدول العربية ، واجتمع فى قاعة واحدة ممثلون للاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ، وحزب البعث فى سوريا ، والأحزاب القومية المتناثرة فى العراق والأحزاب الوطنية فى المغرب العربى ... الى جانب الأحزاب الشيوعية فى السودان ولبنان وسوريا والأردن .

عقدت (ندوة الاشتراكيين العرب) فى جو يخيم عليه شبح الحرب .. ومع ذلك كان هناك شعور سائد بان الموقف سوف ينقذ فى اللحظة الأخيرة .

اذكر ان فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعى الأردنى قد حضر سريعا للمشاركة فى الندوة بعد افتتاحها ومتسائلا عن مصير الخطوات التى نندفع اليها فى مصر .

وأذكر أيضا ان هوارى بومدين صرح بقوله ان الجزائر سوف تقف مع مصر وسوريا بلا أى تحفظ .

انتهت الندوة ووصلنا القاهرة مساء ٢ يونيو ١٩٦٧ .

كانت هناك دول عربية تقدر خطورة الموقف ، وتتحرك مع مصر ٠٠ مثل السودان واليمن والعراق والجزائر الى جانب سوريا ٠

ولكن الموقف فى سوريا كان مختلفا عنه فى مصر ٠

كانت الخطوات والاجراءات على الجانب المصرى واضحة لسحب قوات الطوارىء الدولية ٠٠٠ بينما تغيرت الأمور على الحدود السورية ، فقد نشرت الأهرام يوم ١٩ مايو ان (القوات الاسرائيلية تتدفق بأقصى سرعة الى الجنوب والحشود المتجمعة أمام سوريا ـ تذوب ـ) ٠

ولذا يقول أمين هويدى فى كتابه (اضواء على أسباب نكسة ٦٧) ان الفريق محمد فوزى رئيس الأركان عاد بصورة مختلفة عما ورد فى التقارير السوفيتية ٠٠ والحقيقة انه وصل سوريا بعد اعلان مصر لحالة الطوارىء وانتهاء الدور الخداعى للحشود الاسرائيلية على الحدود السورية ٠

كما ان أمين هويدى يقول ان عبد الكريم الجندى رئيس الشعبة الثانية (المخابرات) فى الجيش السورى قد تساءل فى دهشة (لماذا كل هذه الضجة التى تثيرونها فى القاهرة ؟ ليست هناك حشود) وذلك عند مقابلته للوفد الذى كان يرأسه زكريا محيى الدين ٠

كان ذلك فى ٣٠ مايو بعد ان كانت القوات الاسرائيلية قد تحركت فعلا الى الجنوب لأداء الواجب الملقى عليها فى خطة العدوان ٠

وتأكد لى ان السوريين بعد ان ـ ذابت ـ الحشود من أمام حدودهم كانوا أكثر هدوءا ولم تكن بهم رغبة للاندفاع ٠٠ فقد قال لى ابراهيم ماخوس رزير الخارجية السورى فى الخرطوم وهو يجلس خارج قاعة مؤتمر القمة الذى رفضت سوريا الاشتراك فيه بعد الهزيمة (اننا لم نطلب من مصر أن تحارب من أجلنا ٠٠ ولم تتخذ من الخطوات ما يعطى لاسرائيل مبررا للهجوم) ٠

ويقول أمين هويدى ان السلطات السورية قد اتخذت موقفا فاترا أثناء المباحثات التى تمت مع زكريا محيى الدين فى ذلك الوقت ٠

ولكن لم يعد هناك من سبيل لوقف التضامن العربى ٠

وكان أشد المواقف مفاجأة ٠٠ وصول الملك حسين الى القاهرة يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ بعد اتصالات سرية استمرت ثلاثة أيام ولم يذع نبأ وصوله الا بعد ساعتين ونصف بعد الاتفاق معه فقد اسفرت الزيارة عن اعلان اتفاقية دفاع مشترك وقعها جمال عبد الناصر والملك حسين ٠

وتشكلت جبهة شرقية أوكلت قيادتها للفريق عبد المنعم رياض ·

وأنهت الاتفاقية الخـــلافات المعلنة بين الأردن ومنظمة التحرير ، فسافر أحمد الشقيرى مع الملك حسين عائدا الى عمان على نفس الطائرة ·

كان تغير الموقف مفاجئا وباعثا على الدهشة ·

خطب جمال عبد الناصر فى أول مايو ٦٧ ناعتا الملك حسـين بانه خادم وعميل للامبريالية ··· وانه يخدع الجماهير والأمة العربية ·

واذيع بيان سورى مصرى مشـترك يوم ٢ مايو يقول (ان الملـك حسين قد جعل من بلده حامية للأسلحة الاستعمارية ومعسـكرا لعصابات المرتزقة المدربين) ·

وأعلن راديو دمشق يوم ١٥ مايو (اضربوا العرش العميل وحلفاءه الصهيونيين وسادته الامبرياليين) ·

وكانت سـوريا تدفع الى الأردن بعد ان تأزمت الأمور بقوات تقوم بغارات تخريبية وصلت قمتها يوم ٢١ مايو عندما أعلنت اذاعة عمان ان حادثة قد وقعت على نقطة (الرمثا) على الحدود المشـتركة فى الواحدة والنصف ظهرا وأدت الى مصرع ٣ سياح أجانب ، ١١ أردنيا ، وجرح ٢٨ اردنيا وذلك نتيجة لانفجار لغم فى سيارة سورية عبر الحدود ·· واعلنت قطع العلاقات مع سوريا ·

لم تلفت هذه الحادثة انتباه الرأى العام الذى كان مشغولا بتحركات القوات الاسرائيلية والمصرية ··

كتب بيتر هوبكيرك مراسل التايمز فى القاهرة يوم ٣٠ مايو يقول (كان لقاء الرجلين عبد الناصر وحسين مفاجأة شـديدة للشعب المصرى وللأجانب فى مصر) ·

وتبادل عبد الناصر وحسين كلمات الترحيب الودية الشديدة التى طوت صفحة الاتهامات والسباب المتبادلة ··· واذاع راديو عمان ترحيبا بزيارة حسين للقاهرة والوصول لاتفاقية الدفاع المشترك ، وهو الذى كان يتهم النظام المصرى منذ أيام قليلة بالتعاون مع الصهيونية والماركسية ·

تحسنت العلاقات مع مصر ، ولكنها لم تتحسن مع سوريا ·

ويقول أحد الذين عرفوا بما دار فى المباحثات السرية التى امتدت ٦ ساعات ان الملـك حسين كان يبدو فى مظهر من يريد الا يفوته شرف القتال مع رفاقه العرب في حربهم ضد اسرائيل ·

ولا شك ان الملك حسين كان فى وضع شديد الحرج ٠٠ فالوضع يلتهب يوما بعد يوم ، والموقف يشير الى أن قتالا عربيا اسرائيليا على وشك ان يبدأ ٠٠ لا أحد يستطيع التنبؤ بنتيجته ٠٠ ولا يمكن للملك حسين ان يتخاف عنه ، حتى لا يتعرض عرشه للانهيار ، وهو محاط بدول معادية له شخصيا مثل مصر وسوريا والعراق ٠٠ وفى بلده مئات الألوف من ابناء فلسطين ٠

اعتقد الملك حسين ان اتفاقية الدفاع المشترك هى طوق نجاه ينقذه عن طريق الارتباط بمصر فى مواجهة النظام السورى الذى واصل هجومه على النظام الأردنى والملك رغم عقد الاتفاقية باعتباره بؤرة للخيانة والمؤامرة ٠

ويشير تحقيق نشره الكاتب الصحفى الأمريكى (انطونى بيرسون) فى مجلة بنتهاوس عن قضية الباخرة (ليبرتى) سنتعرض له فيما بعد ٠٠ يشير تحقيق بيرسون الى انه بعد اتفاق الولايات المتحدة واسرائيل على اسقاط جمال عبد الناصر ابلغت حكومة الولايات المتحدة الملك حسين بذلك وخيرته بين البقاء على الحياد أو المخاطرة بنظام حكمه ٠

قال لى محمد حسنين هيكل ان الشهيد الفريق عبد المنعم رياض كان قد تلقى رسالة سرية من الملك حسين بهذا المعنى وطلب ابلاغها الى جمال عبد الناصر ، ورفع الفريق رياض الرسالة الى الفريق على على عامر قائد القيادة العربية المشتركة ، كما سبق ان ذكرت ٠

ولكن القلق اصاب الفريق رياض لعدم وصول رد على هذه الرسالة من عبد الناصر رغم خطورة ما ورد فيها من تهديد صريح له ولنظام حكمه ٠

ودبر هيكل لقاء بين عبد الناصر وعبد المنعم رياض ٠٠ الذى شرح له مضمون الرسالة والتى كانت تتضمن ان الحكومة الأمريكية قد دبرت خطتها مع بعض عناصر النظام الحاكم فى دمشق ٠

ولذا تحفظ جمال عبد الناصر على هذه الرسالة لأنها وردت من الملك حسين أولا ، ولأنه اعتبرها محاولة للوقيعة بينه وبين نظام الحكم فى دمشق ثانيا ، ولأنه لم يعد يملك مفتاح الموقف وحده بعد تطور الأحداث وتلاحقها فى ايقاع شديد السرعة ٠

وكان للاتفاقية انعكاسات متعددة ٠

الاتفاقية لم تصلح ما بين النظام الأردنى ومنظمة التحرير ٠٠ وعودة الشقيرى مع الملك حسين لم تكن خاتمة الخلافات ٠٠٠ فالملك حسين كان

مستعدا لمشاركة مصر فى حربها ضد اسرائيل ، ولكنه لم يكن مستعدا للسماح لآلاف الفلسطينيين المسلحين بدخول الأردن ، لاعتقاده بعدم فائدتهم للجيش الأردنى من جهة ، ولأنهم سوف يصبحون عنصر تهديد لنظامه من جهة أخرى ·· ولذا فقد رفض الملك حسين عرض أحمد الشقيرى بادخال ٥٠٠٠ جندى من جيش التحرير الفلسطينى ولو كانوا تحت قيادة اردنية ·· وكل ما وافق عليه هو اعادة فتح مكتب منظمة تحرير فلسطين فى القدس والذى كان قد أغلق منذ بدأ الخلاف مع الشقيرى ·

وأعلنت السعودية وقف مساعداتها العسكرية الى الأردن ، بعد ان خذلت تعاونهما السابق ، ووضع الملك حسين يده فى يد عبد الناصر ·

وحاولت اسرائيل عن طريق اتصالات خاصة ان تقنع الملك حسين بالتراجع عن موقفه ·· ولكن الملك حسين رفض ذلك كما يقول انطونى ناتنج أما انطونى بيرسون فيقول فى تحقيق (بنتهاوس) ان اسرائيل كانت تدبر خطة لجر الأردن للمعركة اذا كان الملك حسين قد تردد فى ذلك ·

أما العراق فقد أخذت جانب التأييد للاتفاقية التى تسمح لقواتها بالدخول والوقوف على الحدود الاسرائيلية ·

ولم ترحب الجزائر كثيرا بعقد الاتفاقية ·

وفى مؤتمر صحفى عقده الملك حسين يوم ٤ يونيو قال ان زيارته للقاهرة هى تعبير عن علاقات التضامن الطبيعية بين العرب ضد عدو مشترك ·· وعندما سئل عن موقف الأردن من سوريا ، قال ان الأردن يريد ان يزيل كل الخلافات أمام الخطر المشترك ·· وفى المؤتمر هاجم الملك حسين بريطانيا وخيرها بين معاداة العرب جميعا أو معاداة اسرائيل ·

وعقب المؤتمر الصحفى مباشرة اتصل جمال عبد الناصر بالملك حسين واخبره بانضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك ·

وانضمت العراق يوم ٤ يونيو ، وأذاع راديو بغداد ان العراق قد قررت فرض الحصار على أى شحنة بترول الى أى بلد يساند العدوان المدبر ضد أية دولة عربية ·

وهددت الكويت بوقف شحن البترول فى حال وقوف الدول الغربية الى جانب اسرائيل ·

·· وقد هبطت النسبة التى عبرت قناة السويس أثناء هذه الفترة الى ٦٠٪ من البترول العربى بعد ان كانت ٨٠٪ خلال الأحد عشر عاما السابقة ·

وهكـذا وحد (الخطر المشترك) معظم الـدول العربية ··· ولم يستطع الملك حسين أن يبقى فى موقفه المنعزل ·

وقد كان لعقد اتفاقية الدفاع المشترك مع الأردن بطريقة مفاجئة أثر كبير فى تخطيط اسرائيل ، فقد أعطى لها مبررا اضافيا للهجوم ، وساعدها فى شن حملة دعائية عالمية تظهر العرب فى مظهر المتربصين للعدوان ، كما منحهم فرصة توسيع نطاق ضربتهم المنتظرة لاكتســاب مزيد من الأردن العربية ·

سارعت الاتفاقية فى دفع عجلة الحرب وبددت كل احتمال للتسوية السلمية ·

أحكمت الدول العربية الحصار على اسرائيل وخاصة بعد السـماح بدخول القوات العراقية الى الأردن ·· واصبحت أزمة الشرق الأوسـط تهدد بالانفجار بين لحظة وأخرى ·

وكانت فى مصر قوات من الجزئر والسودان ··· وفى الأردن قوات من العراق والسعودية ·

وشـــكلت تصريحات عبد الرحمن عارف التى قال فيهـا للجنود العراقيين مودعـا لهم انهم سينتقمون لشـهداء ١٩٤٨ وأنهم بارادة الله سيلتقون فى يافا وحيفا ··· واذاعات الشقيرى التى تحدثت عن تصـفية (اليهود) والقائهم فى البحـر ··· واذاعـة دمشق التى أكدت أنها لن تتراجع فى مساعدة الفدائيين للتسلل داخل اسرائيل ··· شكلت فرصة دعائية هائلة لاسرائيل ·

فقد سجل الاسرائيليون هذه الاذاعات واتخذوا منها دليلا على رغبة العرب المحيطين بهم فى العدوان ، وجعلوا منها ستارا مضللا يخفى حقيقة تدبيراتهم ·

ولا شك أن هذه التصريحات كانت متعجلة ومضللة وغير مسئولة ، فانه رغم الاتفاقيات التى تمت بين الدول العربية فى آخر لحظة ، فانه لم تكن هناك استراتيجية حربية ولا قيادة عربية واحدة مسيطرة ·

كان لقاء سياسى هام بين الدول العربية يمكن أن يعتبر بداية لوضع خطة سياسية وحربية متناسقة مبنية على الظروف الموضوعية القائمة ··· ولكن اندفاع الأحداث جعل من هذه الاتفاقيات أمورا صـورية لا تترجم قدرات العرب الحقيقية ·

ولذا واجه العرب الخطر صفا واحدا ، ولكن بعقليات متباينة وأهداف

متعددة ··· ولم يصلوا حتى لحظة العدوان الى استراتيجية شاملة موحدة ·

نحو الانفجار :

كان واضحا ان فرصة التسوية قد ضاعت ، وأن الحرب وشيكة الوقوع ·

وتوافرت لاسرائيل كل الظروف الملائمة لتنفيذ خطتها ·· فاتخذت المؤسسة العسكرية من ميثاق الدفاع المشترك بين مصر والأردن ذريعة تمارس بها ضغوطها ، وارتفعت الأصوات تطالب بعودة بن جوريون الذى استقبل لأول مرة عدوه السابق مناحم بيجين الذى يمثل أقصى التطرف الصهيونى واتفق الاثنان على ضرورة الحرب ·

وبذا توحدت معظم الفئات السياسية فى اسرائيل ، وانحصر الخلاف حول الجهاز اللازم لادارة الحرب وتولى مسئوليتها ·

ورفض ليفى اشكول فكرة عودة بن جوريون الى الوزارة قائلا :

(ان وجود جوادين عجوزين ـ يقصد نفسه وبن جوريون ـ لا يستطيعان جر عربة واحدة سويا ، فاما أنا واما هو)

وبعد مداولات طويلة بين الأحزاب الاسرائيلية استقر الأمر على تعيين موشى ديان وزيرا للدفاع ، ومناحم بيجين وزير دولة ·· وكان هذا دليلا على ان حكومة ليفى اشكول قد استقر رأيها على الحرب ، وأنها تعين ديان وزيرا للحربية استجابة لمشاعر الشعب الاسرائيلى المؤيدة له ·

وكان ديان قبل ذلك قد ذهب الى المنطقة الوسطى مع قائدها الجنرال ناركين للتفتيش على قواتها · وفرض نفسه خلال حركة سياسية وعسكرية نشطة · أثبتت انه كان ينسق خططه مع بعض أفراد المجموعة الحاكمة ··

قال ديان (كان يجب وجود ٨٠ ألف جندى مصرى فى سيناء لقبولى فى الوزارة) ·· ولا شك ان ديان كان أحد الذين خططوا لاستجلاب هذا العدد الكبير من الجنود الى سيناء ·

ويقول رودلف ونستون تشرشل ان قرار بدء العدوان قد اتخذ فى أول يونيو ١٩٦٧ بعد تعيين ديان ، وأن ميثاق الدفاع المشترك المصرى الأردنى كان هو السبب المباشر لذلك ·

ولما كان وصول ديان الى منصب وزارة الدفاع يشير مؤكدا الى استعداد اسرائيل لبدء القتال ، وهو ما عبرت عنه الأهرام بقولها (انقلاب

صامت في اسرائيل يأتي بوزارة حرب) ، فان أول عمل قام به كما جاء في كتاب تشرشل (حرب الأيام الستة) كان هو :

(خداع العالم على أمل أن يأخذ زمام المفاجأة الضرورية جدا لاسرائيل والحصول على نصر مقابل أقل عدد ممكن من الضحايا المدنيين ، ومن هنا فقد أشيع في اسرائيل على أوسع نطاق أن القوات الاسرائيلية التي مر اسبوعان على حشدها في الصحراء والتي تنتظر بفارغ الصبر وبل وتطالب الحكومة باعطاء أمر الهجوم ... ان هذه القوات سوف يسرها أن تعلم أن الحكومة التي دخلها موشي ديان قد قررت ألا تبدأ الحرب ، وقد حاولوا بذلك اظهار ديان وكأنه مجرد (شخصية مدنية) لا يمتاز على غيره من المدنيين الا بأنه محل ثقة لا أكثر) .

وفي مساء ٢ يونيو قام أحد مؤلفي كتاب (حرب الأيام الستة ؛ بمقابلة موشي ديان في داره بضواحي تل أبيب بصفته مراسلا لمجلة (نيوز أوف ذي وورلد) وقال له :

(من الخطأ في تصوري أن يقال ان اسرائيل قد فاتها القطار ، وانها لم تعد قادرة على التحرك ، فبالعكس ان مصير الحرب يمكن أن يتقرر في الجو حيث الوضع الاستراتيجي لا يزال كما هو تقريبا) .

ولكن ديان واصل عملية التغطية قائلا :

(قلما تتلون الأشياء في حياتنا باللون الأسود وحده أو الأبيض وحده اذ غالبا ما تكتسب الأشياء لونا رماديا ، فمن الصعوبة جدا أن نقطع بامكانية التفوق الجوى لطرف على الآخر) .

ولمزيد من الخداع قال ديان في مؤتمر صحفي مساء السبت ٣ يونيو (ان وقف الرد العسكرى على الحصار المصرى المضروب حول مضيق تيران قد فات ، ولكن التنبؤ بما يمكن أن تؤدى اليه الجهود الديبلوماسية لا يزال سابقا لاوانه ... لقد اختارت الوزارة قبل دخولي فيها طريق العمل الديبلوماسي ، ولابد أن نتيح للوزارة فرصة اختبار امكانات هذا الطريق) .

ووزعت على الصحف يوم ٤ يونيو صور للجنود الاسرائيليين وهم في حالة استرخاء على شاطيء البحر ضمن (عملية مدبرة وجزء من خطة رامية لتضليل الرأى العام العالمي) .

أحكمت الخطة الخداعية تماما ، وظهرت صحف اسرائيل يوم ٥ يونيو تحمل قرارات مجلس الوزراء في امور بعيدة تماما عن الحرب ، مثل الموافقة على الاتفاق الثقافي بين اسرائيل وبلجيكا أو الاتفاق بين اسرائيل

وبريطانيا على تحديد الأساليب التى يجب اتباعها فى حال حدوث اختلافات عسكرية وتجارية ٠

وفى الجانب المقابل كانت اسرائيل قد رتبت عملية خداعية أخرى ٠

أثناء زيارة أبا ايبان للولايات المتحدة توجه الى الخارجية الأمريكية بلا موعد يوم ٢٦ مايو وطلب مقابلة دين راسك فى الحال ، قائلا ان الموقف أخطر من أن يتحمل المجادلات الديبلوماسية لأن (اسرائيل ستتعرض للهجوم والتدمير اليوم) ٠٠٠ وكان ايبان لا يزال فى وزارة الخارجية عندما استدعى والت روستو سفير مصر مصطفى كامل ، الذى حمله رسالة من جونسون الى عبد الناصر طلب تبليغها له فورا ، وذلك كما قال جمال عبد الناصر للطلبة المبعوثين أثناء اجتماعه بهم فى ١٦ مايو ١٩٧٠ ٠

كانت هذه الرسالة هى الرسالة الثانية خلال أيام ٠٠٠ الأولى سلمت يوم ٢٣ مايو من السفير الأمريكى ريتشارد نولتى الذى خلف لوشيوس باتل والذى لم يكن قد قدم أوراق اعتماده بعد ــ ولم يقدمها بعد ذلك أيضا ــ ولذا قدم رسالة جونسون الى محمود رياض ٠

كانت الرسالة تقول (ان الهدف الأسمى والأرفع) هو تجنب القتال ٠

وفى نفس اليوم استدعى السفير المصرى الى وزارة الخارجية الأمريكية حيث سلمه يوجين روستو رسالة مماثلة وقال له (ان أمريكا أبلغت اسرائيل صراحة ، انها ستناهض آى هجوم على أى دولة عربية) ٠

وكان ذلك فى اليوم السابق لوصول يوثانت ٠

الرسالة الثانية تختلف فى لهجتها عن الرسالة الأولى ٠٠٠ بينما لم تمض ثلاثة أيام فقط ٠

كانت الرسالة قائمة على تبليغ الاسرائيليين باحتمال هجوم مصرى فى نفس الليلة ٢٦ مايو ، وقال جونسون فى رسالته انه اذا هاجم المصريون وسددوا الطلقة الأولى فان من شأن الحكومة الأمريكية أن تتخذ موقفا شديدا للغاية من مصر ٠٠٠ وانها لن تسمح بحدوث ذلك فى الوقت الذى يجرى فيه الأمين العام للأمم المتحدة اتصالاته ٠

وفى نفس الليلة توجه السفير السوفيتى ديمترى بوجداييف الى منزل جمال عبد الناصر على غير موعد وطلب ايقاظه فى الثالثة صباحا ، وحين استقبله عبد الناصر أوضح له أنه تلقى أوامر من القيادة السوفيتية

بأن يقابله فورا وأن يبلغه أن الأمريكيين اتصلوا بالكرملين وأبلغوا الروس أن لدى اسرائيل معلومات تفيد أن المصريين سيبدأون الهجوم مع أضواء الفجر الأولى ·

وقال السفير للرئيس انه يناشده بألا يقوم بتنفيذ خطته لأن الطرف الذى يطلق الرصاصة الأولى ـ مهما يكن ـ سيصبح فى وضع سياسى لا يمكن الدفاع عنه ، ولذا فان السوفيت ـ كأصدقاء ـ ينصحون مصر بعدم اطلاق الطلقة الأولى ··· وأجاب عبد الناصر بأنه لم يصدر أوامره بالهجوم ، وأنه ليست هناك خطة للهجوم هذا الصباح ·

نجحت اسرائيل بذلك فى خلق شعور دولى عام بان خطة العدوان كانت ستتحرك من جانب مصر ·

وقد حرص جمال عبد الناصر فى تصريحاته ومؤتمره الصحفى بعد ذلك على القول (بأننا لن نطلق الرصاصة الأولى ، ولن نكون البادئين بالهجوم) مخاطبا بذلك الرأى العام العالمى ، وجونسون والقيادة السوفيتية وديجول أيضا الذى حذر الطرفين من اطلاق الطلقة الأولى ·

واعتقد عبد الناصر بذلك انه قد كسب المعركة السياسية ، وأن الموقف ليس مستعصيا على الحل بالاتصالات والمفاوضات السلمية ·

ويشير الفريق صلاح الحديدى فى كتابه الى واقعة غريبة ، وهى أن التوقيت الذى طلبت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من مصر عدم القيام بالضربة الأولى (وكان هو نفس التوقيت الذى حددته القيادة العامة بمصر لاتمام استعدادات القوات الجوية توطئة لضربة فجائية ضد قوات العدو الجوية) ·

اذا صح ما رواه صلاح الحديدى فان معنى ذلك أن القوات المصرية الجوية كانت منذرة ومستعدة للقتال قبل العدوان بعشرة أيام على الأقل ·

ولكن لم يثبت أن هناك أوامر هجومية قد صدرت للقوات المصرية ، وأن الخطة الدفاعية (قاهر) كانت مازالت هى المنفذة ، عدا بعض طلعات قامت بها الطائرات النفاثة المصرية التى كانت تعبر اسرائيل من العريش الى البحر الميت فى ٤ دقائق وهى مدة غير كافية للاشتباك ··· وكان ذلك جديدا فى حركة القوات الجوية المصرية التى لم تخترق المجال الجوى الاسرائيلى منذ الانسحاب من الأراضى المصرية بعد عدوان ١٩٥٦ ·

واتمام الاستعدادات لا يعنى بالضرورة بدء الهجوم ·

كان حبل الأمل لم ينقطع بعد ··· ورغم رسالة جونسون ···

فان يوثانت أرسل رسالة برقية أخرى يوم ٣٠ مايو نشرها محمد حسنين هيكل فى مقال له بعنوان (... لا لعبد الناصر) نشر فى جريدة الوطن الكويتية يوم ٢٢ أبريل ١٩٧٦ .

الرسالة تشير الى ما قاله يوثانت أمام مجلس الأمن يوم ٢٦ مايو من انه يطلب فسحة من الوقت لتخفيف التوتر ويقول :

(وبالذات وبدون طلب أى تعهدات منكم أو حتى رد فاننى أعرب عن الأمل فى أن تمتنعوا خلال مدة أسبوعين من لحظة استلامكم هذه الرسالة عن أى تدخل فى الملاحة الاسرائيلية عبر مضيق تيران .

وفى هذه الخصوص فهل لى ان أخطركم وفى كل الأحوال أن لدى من الأسباب ما يجعلنى أفهم انه فى الظروف العادية فانه ليس متوقعا أن تحاول أى باخرة اسرائيلية عبور مضايق تيران خلال مدة الأسبوعين المحددين) .

أعطت هذه البرقية الايحاءات التالية :

١ ـ ان هناك (فترة تنفس) مدتها اسبوعان يمارس فيها يوثانت جهده الديبلوماسى السلامى .

٢ ـ أن قوله بعدم مرور بواخر اسرائيلية ، هو أمر يؤكد صلته باسرائيل وأخذ موافقتها .

٣ ـ كانت حركة يوثانت مطلوبة من جونسون بناء على رسالته الأولى .

٤ ـ لا شك أن يوثانت كان على صلة بالدول العظمى الممثلة فى مجلس الأمن .

وهدأت أنفاس عبد الناصر بعد هذه الرسالة ، واعتقد أن مناورته السياسية قد نجحت ، وأن الأخطار التى حملتها للمنطقة قد تجمدت أو هى فى سبيل التجمد الذى سبق أن لعب دور الوسيط بين عبد الناصر وبن جوريون عام ١٩٥٦ .

وزاد من هذا الشعور عنده وصول روبرت اندرسون فى اليوم التالى لتسليم رسالة يوثانت ـ أول يونيو ٦٧ ـ والوصول الى اتفاق على ايفاد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية لمقابلة جونسون يوم الثلاثاء ٦ يونيو .

قال جمال عبد الناصر للمبعوثين المصريين فى الخارج اثناء اجتماعهم به فى الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٧٠ وهو يستعيد درس الهزيمة :

(قبل ٥ يونيو الأمريكان بلغوني انهم يضمنون كيان الدول فى المنطقة وانهم سيعارضون أى عدوان وفى يوم من الأيام طلبوا سفيرنا فى واشنطن وقالوا له ان عندهم أخبار اننا حنهاجم اسرائيل وان وزير خارجية اسرائيل موجود فى المبنى ذاته فى وزارة الخارجية وطلبوا انهم يبلغونى فى الرسالة أن أمريكا بتصمم على اعلان كيندى اللى هوه خاص بالتحفظ على الوضع فى المنطقة كما هو ومجابهة أى عدوان .

وبعد ذلك حصل العدوان وكان من الواضح بالنسبة للأمريكان انه فى وقت الحرب اذا كانت اسرائيل هى المنتصرة فان أمريكا ستتناسى كلية البيان اللى هيه اعلنته ، واذا كانت الدول العربية هى المنتصرة ، فامريكا ستصمم على البيان اللى قالته والخاص بوحدة هذه المنطقة وعدم تغيير الاوضاع بالنسبة لحدود المنطقة .

وتفجر هذا الشعور فجأة بمراقبة ما حدث فى اسرائيل ، ووصول المؤسسة العسكرية الى مواقع النفوذ ، وتعيين ديان وزيرا للدفاع الاسرائيلى .

وشعر جمال عبد الناصر أن أخطارا تتجمع فى الأفق ، وأن الخيوط التى كان يمسكها قد أفلتت من يديه ... وأن الموقف قد تحول ليصبح خطيرا .. خطيرا .

وفى ذلك اليوم استقبل عبد الناصر النائب البريطانى كوليستوفر مايهيو الذى سأله (ان لم يهاجموا .. هل تدعهم وشأنهم ؟ فأجاب عبد الناصر (ليس فى نيتنا مهاجمة اسرائيل) .

وقرر جمال عبد الناصر عقد مؤتمر عسكرى سياسى مساء يوم ٢ يونيو حضره معه المشير عامر وزكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى وقادة القوات المسلحة .

وقد حدد جمال عبد الناصر رؤيته للموقف فى هذا المؤتمر كما يلى :

١ ـ الظروف الدولية تحتم عدم اتباع استراتيجية عدوانية (حتى لا نضحى بموقف أمريكا وباقى الدول الكبرى منا ، ولا سيما بعد أن أعلن الجنرال ديجول أن فرنسا ستقف ضد البادىء بالعدوان) وذلك تبعا لما ذكره الفريق صلاح الحديدى أحد الذين حضروا هذا المؤتمر .

٢ ـ حددت اختيارين أمام اسرائيل ... اما قبول الأمر الواقع ، أو شن حرب وهو ما يتوقعه بنسبة ١٠٠٪ وخاصة بعد تشكيل وزارة الحرب .. وحدد موعد قيامها بعمليات هجومية فى مدة يومين أو ثلاثة (أى ٤ أو ٥ يونيو) ... وقد بنى ذلك على أن اسرائيل لابد ان تقوم

بهجومها قبل وصول قوات الجيش العراقى الى الأردن ، وكانت قد بدأت التحرك فعلا وكان ينتظر وصولها خلال يومين ·

٣ ـ شرح عبد الناصر تصوره للمعركة بانها (ستقوم على أساس توجيه اسرائيل ضربة جوية ضد قواتنا ودفاعنا الجوى حتى يتم شلها واخراجها من المعركة ··· وطلب من العسكريين الاستعداد لتلقى هذه الضربة ، واتخاذ ما يلزم لتقليل خسائرها الى الحد الأدنى حتى يمكننا بعدئذ توجيه ضربة رادعة ضد قوات العدو الجوية ·

ويروى الفريق الحديدى ما دار فى هذا المؤتمر الهام من مناقشات فيقول :

(وهنا ساد الوجوم غرفة الاجتماع واعترى العسكريين نوع من القلق والصمت قطعه قائد القوات الجوية ، موضحا أن تحول استراتيجيتنا العسكرية من الهجوم الى الدفاع سيؤثر تأثيرا كبيرا على موقف القوات الجوية ، وان الفرق سيكون كبيرا بين الحالتين لأن الروح المعنوية لقواته ستتأثر كثيرا فى حالة الانتظار لتلقى ضربة اسرائيل ، وانه يفضل لو كان من الممكن عدم تغيير الوضع عما هو عليه ··· وكانت اجابة الرئيس الراحل على هذا التعليق اجابة طبيعية ، اعتبرتها كتب الاستراتيجية من البدهيات فى هذا الفن ··· اذ تعتبر أن استخدام الأجهزة العسكرية يكون لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة ، وأن هذا الاستخدام هو استمرار للعمل السياسى ولكن بوسائل أخرى ، ومعنى هذا خضوع العسكريين الكامل للقرارات السياسية للدولة) ·

ويقول الحديدى أيضا ان المشير عامر قد قال (اذا بدأنا الضربة الجوية الأولى فلن تقف الولايات المتحدة الأمريكية منتظرة الأحداث بل ستتدخل ضدنا بقوتها العسكرية ، بينما لو بدأت اسرائيل هذه الضربة فلن تتدخل أمريكا بقوتها ·

لقد دخل حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى حتمية قيام اسرائيل بالضربة الجوية وهى أول اجراءات العملية الوقائية من وجهة نظر اسرائيل ·

ووجه الرئيس عبد الناصر الكلام الى الفريق أول محمد صدقى محمود ، وتم نقاش حول :

١ ـ الخسائر المحتملة ·

٢ ـ امكانية الرد بضربة مضادة ·

وقد قدر الفريق أول صدقى الخسائر المنتظرة بعشرة الى ١٥٪ ولكنه قال ان هذا يعتبر فقدا للمبادأة ٠٠ وان هناك احتمال تكسيح القوات الجوية أتصور اننى متذكر كلمة قالها بانجليزية « كربل » cripple

وتطورت المناقشة الى استحسان ملاقاة الضربة الجوية من اسرائيل بدلا من فقد عطف العالم ، وخاصة أمريكا التى قد تميل الى الدخول فى صف اسرائيل فى حالة المبادأة من جانبنا ٠

واتفق فى آخر المناقشة فى هذا الموضوع بالذات على اتخاذ الاجراءات الوقائية الضرورية للتقليل من تأثير الضربة الجوية الأولى ٠

وافق المشير عبد الحكيم عامر على ذلك وقال للفريق أول صدقى محمود :

« ادرس هذا الموضوع وأبلغنى بالاجراءات التى ستتخذها بخصوص تأمين القوات الجوية ضد الضربة الأولى من اسرائيل » ٠

وانتهى الاجتماع بتأكيد من الرئيس جمال عبد الناصر بأنه يعلم تماما الخطوات التى تتخذها اسرائيل داخليا وخارجيا فى مثل هذه الأحداث ٠ متمثلا بما تم فى سنة ١٩٥٦ ٠ مفاجأة عسكرية ٠ حرب قصيرة ٠ نقل المعركة الى أرض العدو ٠

قال جمال عبد الناصر هذا الكلام وهو شيء مكتوب فى الكتب ٠

وفى صباح يوم ٣ يونيو أخطر الفريق أول صدقى بامكانية التغيير ، وبالأوضاع التى رآها مناسبة فى الحالة ٠ وذكر نقل القوات ٠٠ المقاتلات القاذفة غالبا ٠٠ أو المقاتلات الى مطار كبريت ٠

ويعلق صلاح الحديدى على ذلك تعليقا صائبا يلقى به مسئولية جسيمة على قادة القوات المسلحة عموما ، وقادة القوات الجوية خصوصا اذ يقول :

(وكان من الطبيعى أن تتخذ عدة قرارات عسكرية فى أعقاب هذا المؤتمر تنفيذا للوضع السياسى الأخير ، وكان ضمن هذه القرارات ضرورة اخلاء المطارات الأمامية فى سيناء من الطائرات ، حتى لا تكون لقمة سائغة لطائرات العدو عند قيامها بالضربة الأولى ، وحتى هذا القرار المنطقى لم يكتب له التنفيذ) ٠

كان جمال عبد الناصر فى هذا المؤتمر قد وصل الى قناعة كاملة حملها الى معاونيه من العسكريين والسياسيين بأن الحرب واقعة ١٠٠ ٪ ٠٠٠ وعندما يقرر رئيس الدولة والقائد الأعلى للقوات المسلحة ، فان

الواجب كان يقضى على القيادات العسكرية والسياسـية أن تتحرك بهذا المستوى من الفهم ومن تقدير المسئولية ٠

القيادات العسكرية تحملت عبء تجهيز القوات المسلحة للمعركة ٠

أما بالنسبة للشعب ٠٠٠ فان الأمر كان غريبا وشاذا ٠٠٠ فمعروف أن الحروب الحديثة لا تتم بعيدا عن الرجل المدنى فى القرية أو المدينة ٠٠٠ وأنه من الواجب تجهيز أفراد الشعب للدفاع عن وطنهم فى أماكن اقامتهم أو مراكز عملهم ٠٠٠ ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق ٠

أفراد الشعب يتابعون الأخبار فى الصحف والاذاعة يسـتبد بهم القلق ، وتحيط بهم التساؤلات ، وليس عندهم من عمل يقومون به ، أو جواب يهدىء صدورهم ٠

والمناطق الحيوية ٠٠٠ حلوان وشبرا الخيمة والمحلة الكبرى وكفر الدوار والموانىء تركت جميعا بلا حماية شـعبية ٠٠٠ وجاء تعيين زكريا محيى الدين قائدا للمقاومة الشعبية متأخرا فقد ظهر القرار فى الصحف يوم الأحد ٢٨ مايو ٠٠٠ وكان زكريا قد سبق له ممارسة هذا الواجب اثناء عدوان ١٩٥٦ ، ولكن الوقت الآن كان متأخرا جدا ٠

كان مراسلو الصحف الأجنبية يلحون فى السـؤال عن التناقض الهائل بين تصريحات المسئولين التى تؤكد قيام الحرب ٠٠ وبين الحياة العادية للناس فى المجتمع وكأنهم لا يواجهون خطرا رهيبا ٠

وكانوا يتسـاءلون عن الفرق بين الحالة فى اسرائيل حيث اختفى الشباب ٠٠٠ وبين مصر حيث ترك الشباب فى الشوارع بلا واجب أو مسئولية ٠

نشرت الصانداى تايمز لمراسـلها فيليب نائيلى يوم ٢٧ مايو يقول فيها :

(ليس فى القاهرة ما يوحى بأن هذه الـدولة على حافـة الحـرب فزيارات السياح اليومية للأهرام لم تنقطع ، والمقاهى والمطاعم ممتلئـة بروادها وكثير من المصريين فى نادى الجزيرة الرياضى يلعبون الجـولف ويسبحون ويعرضون أجسامهم لحرارة الشمس) ٠

أما مراسل صانداى تايمز فى تل أبيب دافيد دايدج فقد نشر فى اليوم نفسه رسالة تقول : (تكتيكيا لا تزال اسرائيل تقوم بتوازن على حافة الحرب ولكن أى زائر غريب لتل أبيب يمكن ان يتصور الحرب قد قامت بالفعل ٠ ففى مراكـز جمـع الدم يقف المتطوعون على النواصى فى طوابير طويلة وفى الضواحى يقوم تلاميذ المدارس بحفر الخنادق) ٠

كانت الجماهير في مصر بعيدة تماما عن جو المعركة وروحها ٠٠ وكان الاتحاد الاشتراكي سادرا في اجتماعاته غير المثمرة ٠٠ وكانت الحكومة قد عقدت مؤتمرا مشتركا بين الوزراء والمحافظين يوم ٢٩ مايو أصدر عدة قرارات ادارية من التى تتعثر فى طريق البيروقراطية ٠

أمانة طليعة الاشتراكيين التى كان مفروضا انها قلب الحركة السياسية فى الاتحاد الاشتراكى وجهازه السياسى لم تجتمع ولم تناقش الموقف ، ولم توضح أبعاد الأخطار التى تهدد مصر ٠

وعندما عدت من ندوة الاشتراكيين العرب فى الجزائر هرعت الى شعراوى جمعة أمين التنظيم وزملائى أعضاء الأمانة ، فوجدت انهم يتوقعون الحرب ، ولكنهم كالحيارى لا يعرفون ماذا يفعلون ٠

وعندما طالبت باجتماع عاجل للأمانة ، كانت المشاكل الادارية قد أحاطت بالزملاء فى مناصب السلطة ، فباتوا أكثر انشغالا بها عن الدور السياسى الذى يجب أن يقوموا به ٠

كانت هذه الصورة توضح بكل تأكيد ان جمال عبد الناصر لم يكن راغبا تماما فى شن حرب أو تدمير اسرائيل ، وانما كان يقوم بهندسة نصر سياسى غامر فيه بالوصول الى حافة الهاوية ، ولم يستطع أن ينقذ نفسه فى اللحظات أو الأيام الأخيرة ٠٠ فقد كانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بصقورها المتعطشة للحرب قد أعدت المصيدة للنظم التقدمية فى مصر وسوريا بالتعاون مع المخابرات المركزية الأمريكية ٠

وكانت رغبة جمال عبد الناصر فى أن (يلهف) شرم الشيخ على حد تعبيره لزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين قد دفعته الى خيوط المصيدة الصهيونية الامبريالية المشتركة ، ولم يعد قادرا على الفكاك منها رغم استخدامه لكل خبرته السياسية ٠

كانت الخطوات نحو المصيدة قد اكتملت ٠

وكانت اسرائيل على وشك تنفيذ خطتها الهجومية التى أطلقت عليها ساكوديا (الحمامة) ٠

هزيمة عسكرية ٠٠ بلا اعلام بيضاء

ان حرب أبناء النور ضد أولئك الذين
حاولوا اغراقنا فى الظلام قد انتهت ٠

« جنرال رابين »

« خسرنا معركة ٠٠ ولم نخسر الحرب »
جمال عبد الناصر

اطلقت (الحمامة) جارحة شرسة مثل صقر لينقض على فريسته ٠٠

بدأت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تنفيذ خطتها المرسـومة التى اختارت لها الاسم الكودى الوديع ٠٠

انطلقت أول موجة من الطائرات الاسرائيلية من قواعدها صـباح الاثنين ٥ يونيـو فى تمـام الساعة الثامنة الا ربعا ، أو التاسعة الا ربعا بتوقيت القاهرة ٠٠ واتجهت حسب توقيت دقيق نحو ١٩ مطارا فى سيناء والقنال والدلتا والصعيد ٠

واثناء الموجة الأولى للهجـوم الاسرائيلى كان هناك حـادث درامى مثير ٠٠ طائرة المشير عبد الحكيم متجهة الى مطار (بير تمادا) فى سيناء ومعه قائد القوات الجوية وقائد الدفاع الجوى ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ، وعدد من كبار القادة ، وعدد من رجال الاعلام والمصورين ، كان مفروضـا ان أكون واحدا منهـم لولا اختـلاف فى الترتيبـات الادارية والمواعيد ٠

طائرة المشير فى الجو فريسة سـهلة للمهاجمين ٠٠ وفى مطـار

(بيرتمادا ينتظر كبار القادة الذين حضروا من مواقعهم بطائرات هليوكبتر لحضور المؤتمر الثانى للمشير فى سيناء بعد اعلان حالة الطوارىء والتأهب القصوى ·

ميز الطيار الطائرات الاسرائيلية وهى تقصف أحد مطارات منطقة القناة فغير اتجاهه وابتعد بطائرته ، ولاحظ ذلك قائد القوات الجوية فدخل على الطيار فى كابينة القيادة يستفسر منه عن سبب تغيير مساره ، وشاهد بنفسه الطائرات الاسرائيلية ، فأمر الطيار بالعودة الى مطار القاهرة الدولى بدلا من مطار الماظة ·· وذلك حسب رواية الفريق صلاح الحديدى الذى كان مديرا للمخابرات الحربية فى ذلك الوقت ·

وعاد الفريق صدقى محمود الى المشير عامر ليبلغه بهذا الخبر المفاجىء ·· واتفق الاثنان على أن ترد القوات الجوية بالهجوم تبعا لخطة تبادلية موجودة ·

ولكن ركاب الطائرة لم يعرفوا جسامة التدمير الذى تعرضت له المطارات والطائرات اثناء تحليقهم فى الجو ·· والاشارة التى أبلغت للقوات الجوية من طائرة المشير وهى فى طريق العودة لم تكن ذات أثر ·

هبطت طائرة المشير فى مطار القاهرة الدولى ·· لم يكن فى استقباله أحد ·· وهرع الى مقر القيادة العامة فى مدينة نصر راكبا سيارة تاكسى قديمة ومعه العدد الذى استطاعت السيارة القديمة ان تحمله ·

وفى نفس الوقت تقريبا كان كبار القادة تحت قيادة الفريق مرتجى قد تجمعوا فى قاعدة المليس ينتظرون هبوط طائرة المشير ·· وعندما لاحت فى الأفق طائرات اسرائيلية تطير على ارتفاع منخفض تدمر الممرات والطائرات وتقصف المخازن وغرفة العمليات ·· وتبدد شمل الحاضرين وأذهلتهم المفاجأة ·

ولم تكن طائرة المشير وحدها هى التى كانت تحلق فى الجو ·· كانت هناك طائرات أخرى تحمل حسين الشافعى ، ومعه طاهر يحيى نائب رئيس وزراء العراق متجهة الى مطار فايد غرب القناة ·

صحب وجود هذه الطائرات فى الجو صدور تعليمات الى دفاعنا الجوى بأى يطلق نيرانه ·· أى يكون مقيدا ·

وهنا يثور تساؤل خطير عن الأسباب التى دعت المشير الى القيام بهذه الجولة فى نفس التوقيت الذى حدده جمال عبد الناصر فى مؤتمره مع القوات الجوية كموعد محتمل للهجوم الاسرائيلى ·

وقد علل لى الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة أركان الحرب وقت العدوان ، ذلك بأنه كان نوعا من تحدى قيادة القوات الجوية لقرارات وآراء جمال عبد الناصر ، ومحاولة لاثبات وجهة نظرهم الخاصة ٠

كما قال لى أيضا ان ذلك يرجع الى ثقة المشير عامر المطلقة بمعلومات المخابرات الحربية والتى تبين انها كانت خاطئة ومضللة منذ ١٥ مايو ١٩٦٧ ، ويدلل على ذلك المخابرات قد قدمت تقريرا فى ١٧ يوليو ١٩٦٧ بعد انتهاء العدوان تقول فيه ان قوات العدو تزيد ٥٠٪ عن تقاريرها السابقة ٠

كما ان تحليل المخابرات الحربية لعملية احتلال العدو لبعض المواقع الأمامية فى الساعة الواحدة من صباح ٥ يونيو استعدادا كان (تدعيم وتقويه الدفاعات فى الخط الأول) ٠

ولذا فان وصول هذه المعلومات متأخرة اذ عرضها على شفيق على المشير فى الساعة السابعة صباحا أى بعد ٦ ساعات من ارسالها وثقة المشير فى تحليل المخابرات وتحدى قيادة القوات الجوية لرأى عبد الناصر فى موعد الهجوم ٠٠ كل هذا أدى الى طيران المشير فى الثامنة من صباح نفس اليوم ٠٠ وتعريض نفسه للخطر ٠٠ وترك القوات المسلحة بلا قيادة فعالة فى أدق لحظات الخطر ٠

وأتوقف قليلا لنقل ما رواه الفريق أول محمد فوزى حول تقارير المخابرات الحربية لتكشف انها كانت « من أهم نقاط الضعف التى زيفت الحقيقة وخدعت القيادة العسكرية والسياسية معا » ٠

يقول الفريق أول محمد فوزى :

ودعونا نستعرض ما كانت ترسله المخابرات الحربية من يوم ١٥ مايو ٠

١ ـ يوم ١٥ مايو ـ مازالت هناك تجمعات عسكرية اسرائيلية فى المنطقة الشمالية من ٥ الى ٧ لواءات ٠٠ وهذا خطأ ٠

٢ ـ يوم ١٧ مايو ـ الروح المعنوية للشعب الاسرائيلى منخفضة وهناك حالة منتشرة من الخوف والتساؤل فى اسرائيل ٠

٣ ـ يوم ١٩ مايو ـ الأحداث التى جدت فى المنطقة قد قللت من فرص اسرائيل فى تحقيق المبادأة ودفعتها الى اتخاذ موقف التريث والانتظار ٠

٤ ـ يوم ٢١ مايو ـ ظهر نشاط نقل جوى الى الجنوب ٠ الظروف

ليست مناسبة لشن عمليات شاملة نظرا لفقد عامل المبادأة والمفاجأة ، علاوة على حاجتها للدعم العسكرى الخارجى ٠

٥ ـ يوم ٢٤ مايو ـ الفريق صلاح مرتجى قائد الجيش الميدانى يقرأ تقرير المخابرات الحربية عن مقارنة القوات ٠

مدرعاتنا ٣ ـ مدرعات العدو ١

مشاتنا ٣ ـ مشاة العدو ١ قواتنا متفوقة كلها بنسبة ١ الى ٣ ٠٠ نحن ثلاثة والعدو ١ ٠

يوم ٢٤ مايو ـ كلام عن تغيير قادة الفرق واللواءات ٠

يوم ٢٦ مايو ـ أخطر تقرير مضلل عن اهتمام اسرائيل بمنطقة ايلات ووصول قوات اضافية (٣ لواءات مدرعة ـ ٢ لواء مشاة ـ ١ كتيبة دبابات) ٠

يوم ٢٧ مايو ـ زيادة نشاط العدو تجاه الجنوب ٠ تعزيز بلواء ٠ وهذا استمرار فى الخطأ ٠

يوم ٢٨ مايو ـ موضوع عن اسر مجموعة عمليات مدفعية ٠ كانوا ثلاثة ضباط أو اثنين ٠٠ تاهوا واسروا ٠

يوم ٢٩ مايو ـ أمر المشير عبد الحكيم عامر بفتح مركز قيادة متقدم فى الميثان ، وتحريك عربات القيادة كلها الى هناك وكانت عربات ضخمة ٠

يوم ٣٠ مايو ـ تأكيد عن نشاط العدو فى وادى الحران ، ووادى نصاف المعين ٠ المحور الجنوبى ٠ تعليمات من هيئة عمليات قيادة الجيش الميدانى بتأمين الاتجاه التعبوى الجنوبى ٠

يوم أول يونيو ـ أكد مكتب مخابرات العريش ان عزم العدو وشيك على القيام بعمليات تعرضية ضد الاتجاه الجنوبى ، واحتمال اسقاط جوى معاد جنوب الكنتيلا ٠٠ والتقرير يؤكد شن عملية هجومية ضد الاتجاه الجنوبى ٠

يوم ٢ يونيو ـ اسرائيل لن تقوم بأى عمل عسكرى تعرضى ، وان الصلابة العربية الراهنة ستجبر العدو وبلا شك على ان يقدر العواقب المختلفة المترتبة على اندلاع الحرب فى المنطقة ٠

ويعلق الفريق أول محمد فوزى على ذلك بقوله :

اننى أقول ان هذه التقارير مضللة جدا ٠ وقد انتشر هذا التخريب بين القوات فى ذلك الوقت ٠ وتأثيره طبعا فى الاتجاه المعاكس ٠ خداع وتضليل ٠٠ تقاعس وبلبلة ٠٠ اسرائيل لن تهجم ٠ تقليل درجة الاستعداد تلقائيا ، وقد حدث هذا من قوات أو من قادة ٠

وهنا يجب أن نلاحظ ملاحظة هامة :

ان تقرير المخابرات الحربية موضع الثقة الكاملة من المشير يقول فى ٢ يونيو ان اسرائيل لن تهجم ٠٠ هذا فى نفس الوقت الذى كان فيه تحذير من الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية على ان الهجوم سيتم !!

ولم تكن هناك طلعات استطلاع متوافرة كثيرة ، لكى تؤكد أو تنفى كلام المخابرات الحربية ٠ وخرجت طلعة استطلاع واحدة أو طلعتان فى الجنوب لتعرض موضوع الحشد ٠ وجاءت منها صور عن العقبة وليس عن ايلات والطلعة الثانية لم تؤكد التأكيد المضبوط ٠٠ ومع ذلك ٠٠ فقد تم التصديق على تقرير المخابرات بأن هناك حشدا موجودا كما قدره بثلاثة لواءات مدرعة واثنين لواء مشاة ميكانيكى وواحد كتيبة دبابات وعززت بلواء آخر ٠

وهنا ينبت الشك فى الصدر لاختيار اسرائيل هذا التوقيت ٠٠ فمن المحتمل أن تكون بعض المعلومات قد تسربت الى العدو ٠٠ أو ان تكون بعض الاشارات قد التقطت ، واختير التوقيت للهجوم بناء على ذلك ٠

واقع مثير ٠٠ كل قيادات القوات المسلحة سواء فى القاهرة أو الجبهة بعيدة عن مواقعها ٠٠ ومصدومة بالهجوم الاسرائيلى المباغت ٠

وعندما وصل المشير عامر الى مقر القيادة ، وقبل ان يصل قادة وحدات سيناء الى مواقعهم ، كان كل شىء قد انتهى تقريبا ودمرت معظم قواتنا الجوية ٠

وعندما ارسلت قيادة القوات الأردنية التى كان يرأسها الفريق أول عبد المنعم رياض اشارة الى القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادة القوات الجوية ، تبلغها بما سجلته شاشات الرادار من قيام موجات متتالية من الطائرات الاسرائيلية ، لم تثمر هذه الاشارة شيئا ، فقد كان مفتاح الشفرة قد تغير صباح ٥ يونيو ، ولم يتمكن من استقبلها فى القاهرة من فك رموزها فورا ٠٠ وعندما حلت الشفرة كانت قد وقعت الواقعة ٠

ويثير الفريق صلاح الحديدى ما سبق أن أشار اليه الفريق أول

خوزى حـول هجوم قوات اسرائيلية على موقع متقدم عند الحـــدود فى (ام بسيس واستيلائها عليه بعد اشتباك قصير بالنيران فى الســابعة والنصف صباح ٥ يونيو ٠٠ ويقول ان قائد الموقع قد ارسل ما ابلغته به نقط المراقبة ليلة ٤ / ٥ يونيو (الساعة الواحدة صباحا) من وجود تحركات غير طبيعية للقوات الاسرائيلية ٠٠ ولكنه علم فيما بعد ان هذه الاشارة لم تعرض على قائد الجيش فى سيناء الا بعد ظهر يوم ٥ يونيو ٠ لانه كان مشغولا فى الصباح باستقبال المشير ٠٠ ويقول ان الانذار لو وصل فى موعده لكان هناك احتمال بتغيير الموقف ٠

وكانت هذه هى الحالة لحظة البدء فى تنفيذ خطة (الحمامة) ٠٠ كل الظروف مهيأة لتحقيق أهدافها ٠٠ والى جانب هذا الاضطراب الشديد فى مواقع القيادات ، وصدمتها من مفاجأة الهجوم هى بعيدة عن مراكز رئاستها ٠ فان كتاب (حرب الأيام الستة) يضيف عوامل جديدة وضعها الاسرائيليون فى تقدير موقفهم لتحديد أنسب توقيت للهجوم :

١ ــ تجاوز فترة الفجر والصباح الباكر التى تكون الطائرات المصرية فيها فى حالة انذار وجاهزة للتحليق خلال خمس دقائق ٠

٢ ــ الهجوم عند الفجر يجبر الطيارين الاسرائيليين على النهوض عند منتصف الليل اما تأخيره الى التاسعة فيترك لهم فرصة الراحة والنوم حتى الرابعة صباحا ٠

٣ ــ التأكد من ارتفاع الضباب الذى يغطى دلتا النيل فى الصباح الباكر معظم الأيام ٠

٤ ــ التاسعة الا ربعا هو الموعد الذى يتحرك فيه الضباط المصريون عادة الى الى مواقعهم فيكون الهجوم مفاجأة لهم ٠

ولكن كل هذه العوامل التى أثارها تشرشل تدليلا على حسن اختيار ودقة التوقيت الاسرائيلى ما كان لها أن تنجح هذا النجاح الساحق لو كانت القيادة العليا للقوات المسلحة ، قد أخذت تعليمات جمال عبد الناصر باحتمال الهجوم يوم ٥ يونيو مأخذ الجد ، وأعدت خطتها على هذا الأساس ٠

لم يكن مفهوما أن يتحرك نائب القائد الأعلى المشير عامر فى طائرته وبغير حراســـة الى مطـار متقدم فى سيناء فى نفس اليوم الذى يتوقع فيه الهجـــوم ٠

ولم يكن مقبولا أن يسهر ضباط القاعدة الجوية فى انشاص فى حفلة ساهرة ليلة ٥/٤ يونيو تغنى فيها المطربة شريفة ماهر ٠

ولم يكن طبيعيا وقد تحـددت استراتيجية الدولة فى التزام خطة

دفاعية أن يندفع الى سيناء ما يزيد عن ٨٠٫٠٠٠ جندى البعض منهم فى ملابس مدنية ، وعدد من الوحدات تنقصه الحملة والأسلحة ٠٠ وأن تظل الطائرات رابضة على الأرض فى الممرات الجوية للمطارات الأمامية فى سيناء ٠

وعندما وصل المشير عامر الى مبنى القيادة العامة انتقل مباشرة الى الدور السفلى من المبنى الكبير الشديد الوضوح للطائرات المهاجمة ٠

يقول الفريق أول محمد فوزى ان المشير قد طلب من الفريق أول صدقى محمود معلومات عن القوات الجوية ٠

وقد أجاب الفريق أول صدقى بذكر الحقيقة عن القوات الجوية بعد انتهاء الضربة ، وكان لذلك تأثير عنيف على المشير شخصيا ، كما أن الفريق أول صدقى نفسه كان متأثرا كذلك ٠

ولا شك أن هذه الكارثة قد تسببت فى قصور شديد فى الدفاع الجوى وهو أمر لم يكن مجهولا ولكنه كان مهملا ٠

ويؤكد الفريق أول محمد فوزى ذلك بقوله :

(من ناحية قصور الدفاع الجوى عن ملاحقة الطيران المنخفض حصلت اشارة لهذا الموضوع ، وكتب تقرير أو نصيحة من الاتحاد السوفيتى بعد زيارة كبيرة جاءت الى مصر ٠٠ وللأسف حتى تقريرهم لم يطبع ولم يوزع ٠٠ بل ولم يترجم وبقى مختبئا ٠٠ فكان النقص فى الدفاع الجوى معروفا ٠٠ ولم يكن فى فكر القيادة احتمال بأن العدو سوف يصل الى أهدافه على الارتفاع المنخفض الذى وصل اليه يوم ٥ يونيو وبعد هذا اليوم ٠

ويروى الفريق صلاح الحديدى قصة ما دار فى هذه اللحظات فيقول :

بدأت الاتصالات مع قائد الجبهة وقائد الجيش الميدانى لتفهم المواقف والوقوف على آخر المعلومات ، وكان المشير شخصيا هو مركز هذه الاتصالات ، واضطر فى بعضها الى التعامل رأسا مع القادة المرؤوسين لعدم وجود قادتهم فى مراكزهم اما لعدم وصولهم بعد من المطار ـ الذى كانوا يستعدون فيه لاستقبال المشير ـ أو لوجودهم فى مكان آخر للتعرف بأنفسهم على الموقف وسير الأمور ٠

كانت هيئة القيادة التى تكون المستشارين فى مختلف الشئون وعلى رأسهم هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، تحتل الغرف المجاورة ، عاكفة على تجميع المعلومات عن الموقف للالمام به ٠ ثم تقديم الاقتراحات المناسبة توطئة ليتخذ القائد العام قراره فى ضوء الدراسة ، ولكن هذا الاسلوب السليم الذى سبق التدريب عليه ، والذى يعتبر احدى الثمرات

الهامة التي جنيناها من الدراسات النظرية في أكاديميات ومعاهد الاتحاد السوفيتي ، بالاضافة الى ما بذله الخبراء السوفيت ليكون هذا الأسلوب تقليديا وتلقائيا فى التشكيلات والقيادات لم يلبث أن توقف نظرا لتضارب المعلومات التى كانت تصل الى القائد العام من جهة والى مستشاريه من جهة أخرى ، بالاضافة الى تدخل بعض كبار الضباط ـ الذين لا يشغلون وظائف رسمية ترتبط ارتباطا عضويا بالمعركة ـ وكان معظمهم فى غرفة المشير ، تدخلا بعيدا عن المسئولية ٠٠ كل هذا بجانب التغير السريع الذى كان يطرأ على المواقف فى الجبهة ، جعل المشير تدريجيا غير قادر على اتباع الأسلوب العلمى السليم فى ادارة المعركة ، وصار هو فقط وبمفرده مصدرا للقرارات دون الرجوع الى مستشاريه ، بل وفى كثير من الأحيان لم يكن هؤلاء المستشارون يعملون بهذه القرارات الا بعد فوات الأوان وعن طريق المصادفة فى معظم الأحيان ٠

تعطى هذه الصورة التى رسمها أحد كبار قادة القوات المسلحة دليلا على أن القيادة العامة لم تكن فى مستوى الكفاءة لادارة حرب وطنية ٠

ولم يكن ذلك أمرا مفاجئا ٠ كما انه لم يكن نتيجة لما حدث من أخطاء فقط ٠٠ ولكنه كان خطأ كبير بدأ عند ترقية عبد الحكيم عامر من رتبة صاغ الى لواء دفعة واحدة فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة ٠ ثم ظهور هذه الفئة من الضباط المقربين الى المشير الذين أفسدوا الانضباط العسكرى بصلاتهم الخاصة ٠٠ واخراج عدد كبير من الضباط الأكفاء للعمل خارج الجيش فى الوزارات المختلفة للتخلص من شخصياتهم المحبوبة أو المؤثرة وضياع حرب ١٩٥٦ بلا محاسبة للمقصرين وخاصة قائد القوات الجوية محمد صدقى محمود الذى فقد قواته الجوية للمرة الثانية ٠٠ والانزلاق فى حرب اليمن دون وقفة تأمل وحساب للأسلوب الذى ساد القوات المسلحة ، ودفع الضباط الى السعى وراء الكسب والمنفعة الشخصية ٠٠ ثم الاستمرار فى تغليب الولاء على الكفاءة الى الحد الذى وصل به شمس بدران وزيرا للحربية وابتعد عن مواقع القيادة بعض من حصلوا على دراسات عليا فى أكاديميات الاتحاد السوفيتى ٠

لم تكن الحالة المضطربة التى واجه بها عبد الحكيم عامر الموقف جديدة أو شاذة ٠٠ فقد سبق أن تم الانفصال عام ١٩٦١ بين يديه وهو فى دمشق ٠٠ ومع ذلك فقد ظل فى موقعه معتمدا على حب الضباط له لما كان يغدقه عليهم بلا حساب أو نظام ٠٠ والواقع ان شخصية عامر بقدر ما كانت عامرة بالعواطف الانسانية ، كانت فاقدة للمؤهلات التى تجعل منه قائدا عسكريا ٠

وكان رد الفعل الأول عن العدوان فى مصر هو ما أذاعه راديو القاهرة

فى العاشرة الا خمس دقائق بعد خمسة وأربعين دقيقة من اذاعة اسرائيل التى قالت : (القوات الاسرائيلية تهاجم طابورا مصريا مدرعا يتحرك نحو اسرائيل) ، وقالت اذاعة القاهرة (أيها المواطنون : اليكم أنباء هامة .. بدأت اسرائيل هجوما على الجمهورية العربية المتحدة ، وقواتنا تواجه العدو وسنوافيكم بالأخبار فيما بعد) .

أذيع بيان القاهرة بعد أن سمع السكان أصوات انفجارات القنابل فى مطار غرب القاهرة وانشاص ثم مطار القاهرة الدولى ، وسمعها معهم كل المسئولين .

كان جمال عبد الناصر فى منزله .. وكان كل المسئولين أيضا .

عندما سمعت أول أصوات للقنابل اتصلت تليفونيا بشعراوى جمعة بصفته أمينا عاما لأمانة طليعة الاشتراكيين ، لأستفسر منه عن حقيقة الموقف ، وأتعرف على ما يجب علينا أن نعمله .

كان شعراوى جمعة قد تلقى خبر الغارات قبل ذلك بدقائق ، ولم يكن يعرف واجبا واضحا لطليعة الاشتراكيين أو للاتحاد الاشتراكى ، ويبدو أن واجبه كوزير للداخلية قد أخذ كل انتباهه .. وعندما قلت له انى سأذهب الى مقر الأمانة فى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وافق .. وأسرعت الى هناك فلم أجد الا بعض الموظفين الاداريين الذين التفوا هم الآخرون حول مذياع يتحرك بين محطة القاهرة واسرائيل .

ولم تكن هذه الحالة من الاضطراب غريبة أو شاذة أيضا .. بل كانت طبيعية ، حيث لم يتشكل التنظيم الطليعى أو الجماهيرى على أسس حزبية وسياسية سليمة ، تتيح له قدرا من الديموقراطية الداخلية ، وتوفر له واجبات أساسية وتوحد بين أعضائه فى أيديولوجية اشتراكية واضحة، وتؤهله لمواجهة معركة وطنية يفترض فيها أن يكون فى مركز القيادة للجماهير .

ولم يقتصر هذا الموقف على الاتحاد الاشتراكى ..

رئيس الوزراء محمد صدقى سليمان لم يسمع بالحرب الا وهو فى سيارته متجها من منزله فى الهرم الى رئاسة مجلس الوزراء ، ولاحظ تجمع الناس ، ولما سأل السائق علم أن هناك غارة .

قال لى صدقى سليمان انه عندما سمع ذلك اتجه الى القيادة العامة للقوات المسلحة .

لم يكن هناك تدريب على المعركة يقضى بابلاغ رئيس الوزراء فى أى مكان ، حتى فى العربة التى يتوفر لها جهاز تليفون .

وفى القيادة العامة للقوات المسلحة كان الموقف مضطربا ٠٠ أصيبت القيادات العليا بصدمة شديدة من الضربة المفاجئة التى ألحقت بقواتنا الجوية خسائر قاتلة ٠

يقول حسن ابراهيم انه عندما سمع نشرات الاذاعة وأصوات القنابل اتجه الى منزل زميله عبد اللطيف البغدادى ، ومن هناك قرب الظهر اتصل بجمال عبد الناصر الذى كان لا يزال فى منزله ، وأبلغه استعدادهما للعمل فى أى مكان تفرضه المعركة ، فطلب منه جمال أن يتصل بالمشير ٠

وتوجه الثلاثة : البغدادى وحسن ابراهيم وكمال حسين الى القيادة العامة حيث قابلهم المشير فى مكتبه ومعه شمس بدران والفريق أول على على عامر ٠

قال لى البغدادى انه لما استفسر عن الموقف من المشير قال له فى غيظ انه (زفت وانهم خسروا كل الطائرات فى لحظة واحدة) ٠٠ ومع ذلك فقد قال للبغدادى ان هناك خطة للقتال بدون غطاء جوى ٠

وعندما حضر جمال عبد الناصر كان مطمئنا وهادىء الأعصاب حسب رواية البغدادى ٠٠ ولكنه عندما بدأ السؤال عن موقف قواتنا ، أنكر المشير علمه بحقيقة الخسائر قائلا انه لا يوجد بيان كامل بذلك ٠٠ ثم لما بدأ قراءة مذكرة قدمها له شمس بدران عن سير الأحداث فوجىء بأن خان يونس قد سقطت وان الاتصال مقطوع برفح ٠٠ وطلب من عبد الحكيم عامر معرفة الموقف بالدقة من أجل اتخاذ موقف بالنسبة لقرار مجلس الأمن الذى سينعقد فى نفس الليلة ٠

وقال البغدادى ان عبد الحكيم عامر تظاهر بانهماكه فى الرد على التليفونات الخمسة التى كانت تضج بالرنين ويتبادلها هو وشمس بدران، ولما قال له جمال عبد الناصر (فضى لى نفسك شوية يا عبد الحكيم) لم يرد عليه واستمر فى انشغاله بالتليفونات ٠

وفاض الأمر بجمال عبد الناصر ، ولم يجد سبيلا سوى الخروج من القيادة العامة للقوات المسلحة تاركا المسئولية للقائد العام ٠

وارتبط هذا الموقف بما قاله لى الفريق محمد فوزى من أن صلة جمال عبد الناصر بالقوات المسلحة قد حددت بعد تقديم المشير استقالته عام ١٩٦٢ عقب تقديم عبد الناصر لمشروع قانون الى مجلس الرئاسة يحد من اختصاصاته ويجعل سلطة تعيين قادة الكتائب فى القوات المسلحة ومأمورى المراكز فى الشرطة من اختصاص المجلس وليس المشير منفردا ٠

منذ ذلك الوقت وعقب اجتماع ٦٠ من كبار الضباط فى مركز القيادة العامة بكوبرى القبة واحتجاجهم على استقالة المشير ومطالبتهم ببقائه ،

ورضوخ جمال عبد الناصر للأمر الواقع لصلته الوثيقة بالمشير أولا ، وثقته بأنه لا يفكر فى القيام بانقلاب مضاد ·

منذ ذلك الوقت تغيرت الأمور فى قمة القـوات المسلحة وصدر قرار يحدد اختصاصات القائد الأعلى (جمال عبد الناصر) فى أمرين اثنين فقط هما ترقية الضباط الى رتبة الفريق والفريق أول وحضور البيانات العملية والمناورات التى يدعى اليها ، والتى يكون قد سبق اعداد بروفات لها ·

كان جمال عبد الناصر بعيدا فعلا عن رؤية القوات المسلحة ومعرفة دقائق الموقف فيها ، ومستوى التدريب للقادة والجنود ·

ولذا لم يكن خروجه من القيادة موقفا انفعاليا ، ولكنه كان نتيجة طبيعية لما استقرت عليه الأمور ، وما ارتضاه من صمت على ما يدور فى القوات المسلحة ·

قال صدقى سليمان ان جمال عبد الناصر بعد أن استمع الى الأخبار من المشير قال : (يلله بينا ·· خلينا نسيب المشير يتصرف) ·

وعند خروجه التفت الى عبد الحكيم وقال له : (طلع حاجة للجرايد) ·

وكانت الاذاعة قد بدأت تعكس الجو السائد فى القيادة منذ الصباح··

ويقول الفريق أول فوزى أن شمس بدران وعلى شفيق كانا يصدران بيانات وتعليمات ·· ليس للقيادات ولكن للاذاعة ·

أذاعت فى العاشرة والنصف اننا أسقطنا ٢٣ طائرة للعدو ·

وفى الحادية عشرة وعشر دقائق ارتفع رقم الطائرات التى أسقطناها الى ٤٢ طائرة ·

وفى بيان الحادية عشرة وتسع وثلاثين دقيقة أعلن عن اشتباك أرضى وارتفع رقم طائرات العدو ليصبح ٤٤ طائرة ، وسقطت لنا طائرتان فقط ونجا الطياران ·

فى الحادية عشرة وثلاث وخمسين دقيقة أذيع أول بيان من القيادة العليا للقوات المسلحة ، يتحدث عن غزو اسرائيلى شامل بدأ فى التاسعة صباحا ، وذكر أن الطائرات الاسرائيلية قد هاجمت مطارات سينا والقناة وغرب القاهرة ، وقال البيان أن اسرائيل قد بدأت هجوما شاملا فى كل الميادين وأن هذه الحقيقة قد أصبحت واضحة ·

وفى الواحدة وثلاث وأربعين دقيقة أذيع بيان وصل به عدد الطائرات المسقطة الى ٧٠ طائرة ·

وفى الثامنة و١٧ دقيقة مساء أذيع بيان يحدد عدد الطائرات المسقطة بأنها وصلت ٨٦ طائرة ٠

كانت المبالغة الشديدة هى المحور الرئيسى للبيانات ، التى حجبت الحقيقة عن الشعب بالتمويه والخداع ٠

واذا كانت الحقيقة قد حجبت فى البداية عن القائد الأعلى للقوات المسلحة ٠٠ فانه كان طبيعيا أن تحجب أيضا عن جماهير الشعب ٠

ويمكن القاء المسئولية كاملة على القيادة العامة المنهارة ٠٠ التى لم تواجه الأمور بجدية ومسئولية وطنية بعد مؤتمر ٢ يونيو الذى حدد فيه جمال عبد الناصر موعد الهجوم ٠٠ والتى خشيت مواجهة القائد الأعلى بما يحمل لها الخزي والعار ٠

عندما علم جمال عبد الناصر بحقيقة الموقف تماما ، كان الجيش المصرى قد فقد قواته الجوية كلها تقريبا للمرة الثانية خلال ١٢ عاما ، ولم تعد المعركة سهلة ٠٠ بل لم تعد ممكنة ٠

القيادات العسكرية غرقت فى دوامة الأوامر المتناقضة ، وفقدان الحزم ، وضعف شخصية القائد ٠

والقيادات السياسية غائبة لا تعرف لها دورا تلعبه ٠

وخطة العدوان مستمرة لا تتوقف ٠

تحديد الموعد ٠٠٠ ٥ يونيو :

كتب مراسل (واشنطن بوست) يقول :

(اتخذ القرار بالهجوم على الدول العربية فى وقت متأخر من الليل فى الاجتماع الذى عقده مجلس الوزراء الاسرائيلى يوم ٣ يونيو ، أى قبل ٣٦ ساعة من الهجوم) ٠

وتحديد الموعد كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل :

١ ـ الاتفاق الذى تم بين عبد الناصر وأمريكا على أساس محاولة تفادى الأزمة سياسيا عن طريق سفر زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية الى واشنطن يوم ٦ يونيو ، وكان عبد الناصر بالتأكيد مخلصا فى رغبته ، ولا أريد أن أصور أو أتهم جميع الأطراف فى الولايات المتحدة بأنها كانت متواطئة مع الحكومة الاسرائيلية فى تخدير مصر بتحديد موعد هذه الزيارة لخلق نوع من الاسترخاء النفسى عند القيادة المصرية ٠٠ فقد صرح دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة بعد

العدوان أنه ربما قد ساعد في الضغط على الزناد بابلاغ اسرائيل عن زيارة زكريا محيي الدين ، في الوقت الذى كانت اسرائيل فيه غير مستعدة لاعطاء أى تسوية ديبلوماسية فرصة سلب خطتهم لنزع جمال عبد الناصر من موقعه ..

ويقول ناتنج في كتابه (ناصر) ان أخبار زيارة زكريا محيي الدين لواشنطن قد أثارت أكبر قلق في تل أبيب التي خشيت أن تؤدى علاقة زكريا محيي الدين الطيبة مع واشنطن الى اتفاق فى وسط الطريق ينقذ جمال عبد الناصر من المصيدة ، ويضع الحكومة الاسرائيلية فى مأزق أمام جماهيرها بعد أن صعدت الأزمة الى حدودها القصوى مركزة على الخطر الماحق المؤكد من التهديدات الغربية ٠

ولذا حرصت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية على قطع الطريق للوصول الى حل للأزمة بالبدء في العدوان فى أقرب وقت ٠

٢ ـ كان توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والأردن يوم ٣ مايو هو المبرر الذى استندت اليه المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لتنفيذ خطتها العدوانية ، فقد أثارت الرأى العام المحلى والعالمى ضد العرب وصورتهم فى صورة المتربصين لابادة اسرائيل ٠ وكان ذلك حافزا على سرعة وصول موشى ديان الى منصبه ٠ (ليقود الشعب ضد الحصار الذى تفرضه الدول العربية المجاورة) ٠

ولم يكن خافيا على اسرائيل ان الجيش الأردنى محدود القوة والتسليح لا يملك الا طائرات بريطانية قديمة من طراز هنتر ، ولكن اسرائيل وجدت فى توقيع الاتفاقية تحقيقا لحلم من أحلامها في الاستيلاء على الضفة الغربية، حيث يعيش بقايا الشعب الفلسطيني فى المدن أو المخيمات ٠

كما أن اسرائيل أسرعت فى تحديد موعد الهجوم بعد توقيع الاتفاقية نظرا لخشيتها من دخول الجيش العراقى المسلح تسليحا لا بأس به بأسلحة سوفييتية ، قذائف مدافعها يمكن أن تصل الى قلب تل أبيب من الحدود الأردنية ٠ وطائراتها تعبر اسرائيل الى البحر الأبيض فى ٥ دقائق ٠

وكان هذا هو العامل الذى وضعه جمال عبد الناصر فى تقدير موقفه عند مناقشة تحديد الهجوم الاسرائيلي مع القيادات العسكرية والسياسية فى المؤتمر الذى عقد يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ ٠

استفاد الاسرائيليون من الحركة السياسية العربية الى الحد الأقصى ، وجعلوا منها شبحا يهدد أمن بلدهم ، وجعلوا يضخمون التصريحات العربية العدوانية التى صدرت من بعض البعيدين عن المسئولية الحقيقية ليجعلوا منها المبرر الرئيسى للاسراع فى الهجوم ٠

٣ ــ ساعد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى تحديد موعد الهجوم ثقتهم ويقينهم من أن جمال عبد الناصر لن يطلق الضربة الأولى كما صرح بذلك اسحق رابين رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلى لجريدة الموند فى فبراير ١٩٦٨ عندما قال انهم كانوا يعلمون أن عبد الناصر لا يريد الحرب وأن القوات التى دفع بها الى سيناء ــ فرقتان ــ لم تكن كافية ٠٠ ولذا توافرت لديهم حرية اختيار التوقيت دون أن يكونوا تحت ضغط احتمال قيام القوات العربية بهجوم شامل مستمر ٠٠ أصبح الوقت ملكا لهم ٠

ولم يعد هناك من شرط لتحديد الموعد الا رغبة اسرائيل فى تفادى الوصول الى عمل دبلوماسى يؤدى الى تسوية سياسية للأزمة ٠٠ الأمر الذى يجهض خطة (الحمامة) ٠

القتـــال على ثلاث جبهـــات :

منذ ان أجبـرت اسرائيل على الانســحاب بعد العدوان الثـلاثى عام ١٩٥٦ وهى ترسم استراتيجيتها على أسـاس (الاعتمـاد على القوة الذاتية) حتى تتفادى أى تورط أو تبعية لسياسة الدول الغربية ، بعد ان ادت مشاركتها فى العدوان الثـلاثى الى ان تصـبح (دولة سـيئة السمعة) ٠

كانت السـياسة الجديدة تقتضى خلق وتكوين قوة عسـكرية متطورة ، واعادة تشكيل القوات المسلحة على أسس جديدة ٠

تولى مسئولية تنفيذ السياسة الجديدة (حاييم لاسكوت) رئيس الأركان الذى خلف موشى ديان عام ١٩٥٨ ، والذى وضع ما أسـماه (برنامج الردع) ، الذى بدأت اسرائيل فى تنفيذه عن طريق الحصول على أحدث الأسلحة وخاصة فى مجال القوات الجوية والصواريخ والمدفعية والمدرعات ٠

يقول كتاب (العسكرية الصهيونية) ان اسرائيل قد اعتنقت المبدأ الذى يقضى (بأن الهجوم هو الشكل الرئيسى للأعمال الحربية ، حتى يمكن حماية الأهداف الحيوية ، والتغلب على ــ ضحالة ــ العمق الاستراتيجى ، وبالتالى دعم عناصر الأمن القومى الاسرائيلى ، وكان لابد أن تعتنق اسرائيل مبدأ عسكريا محددا بالنسبة لشكل عملياتها ، ويدور هذا المبدأ حول ضرورة نقل العمليات الحربية الى أرض العدو منذ بدايتها) ٠

واهتـم وايزمان الذى عين قائدا للقوات الجـوية عام ١٩٥٨ أيضـا خلفا لدان تلكوفسكى باختيار الطائرات المناسبة لتحقيق هذا الهدف ، وصرح عام ١٩٦٣ بقوله :

(فى حالة الحرب مع العرب فان أفضل وسائل الدفاع هو تجنب العمليات فوق أرض اسرائيل ، والعمل على تهديد دمشق ، واحتلال الضفة الغربية والاندفاع نحو قناة السويس ، فلو اكتفت اسرائيل بالدفاع عن تل أبيب فسيكون ذلك انتحارا جماعيا ، اذ ليس أمامها أى عمل استراتيجى برى • لذلك فان العمل الاستراتيجى يجب أن يكون هو العمق الجوى) •

هكذا حدد وايزمان فى عام ١٩٦٣ الاستراتيجية الأساسية لعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ •

كانت اسرائيل قد رسمت خطتها (الحمامة) على أساس الاعتماد الكامل على النفس ، مقدرة تعاطف الدول الغربية معها فى موقفها من قفل خليج العقبة راسمة سياستها الدعائية على أساس الظهور فى مظهر المدافع عن نفسه أمام خطر التدمير •

يقول تشرشل فى كتابه (حرب الأيام الستة) :

(كانت قيادة الجيش الاسرائيلى العليا مقتنعة ان أكبر خطر يهددها هو مصر ، ونظرا لضيق حدود اسرائيل ، ولكثافة سكانها ، لم يكن الاسرائيليون يجهلون ضرورة نقل المعركة الى خارج أرضهم : يجب أن يخرجوا جميعا ويجابهوا العدو فى سيناء) •

احتلت التهديدات الأردنية والسورية المرتبة الثانية •

فى لحظة بدء الهجوم الجوى على مصر لم يكن يحمى سماء اسرائيل سوى ١٢ طائرة وانطلقت بقية الطائرات التى تكمل ٤٠٠ طائرة لتنفيذ الخطة فى موجات متتالية بلغت ١٧ موجة ، وانتهت من أداء واجبها فى ثلاث ساعات الا عشر دقائق ، سجل فيها الطيارون أرقاما قياسية فى سرعة اعادة تعبئة الطائرات بالوقود والذخيرة •

ومن بين ٣٤٠ طائرة مصرية صالحة للعمل دمرت على الأرض ٣٠٠ طائرة •

ولم تقتصر الخسارة على الطائرات وحدها ، ولكنها لحقت بالطيارين أيضا الذين تدربوا فترات طويلة وقام بعضهم بعمليات بطولية رائعة •

وخلال التركيز على ضرب المطارات المصرية لم تتحرك القوات الجوية السورية والأردنية بالسرعة والكثافة اللازمة لالحاق الضرر باسرائيل التى كانت سماؤها شبه مفتوحة لا يدافع عنها الا عدد محدود من الطائرات •

حاولت بعض الطائرات السورية ضرب مصفاة البترول فى حيفا وقصف مطار ماغادو بالقنابل ، ولكن الطائرات الاسرائيلية لحقت بها ودمرتها قرب دمشق ، بعد أن ألحقت باسرائيل أضرارا جسيمة •

وبعـد التدمير السريع للطائرات المصرية · استدارت القوات الجوية الاسرائيلية لتدمير الطائرات السورية ··

وقصف الطـيران الأردنى مطارا اسرائيليا دمر فيه طائرة نقل ، ورد الاسرائيليون على هجوم الطيران الأردنى المحدود العدد ، فقصفوا مطار عمان والمفرق وألحقوا بهما أضرارا فادحة ·

وفى صباح ٦ يونيو قصف الطيران العراقى ناثانيا فرد الاسرائيليون بتدمير قاعدة هـ ٣ القريبة من الحدود الأردنية ·

فى مساء ذلك اليوم كانت ٤١٦ طائرة حربية لأربع دول عربية قد دمرت وهى جميعا رابضة على أرض المطارات عدا ٢٤ طائرة أسقطت أثناء المعارك فى الجو ·

وخسرت اسرائيل ٣٧ طائرة ·

كان ضياع القوات الجوية مؤشرا لنتيجة المعركة ·

وكان دليلا على أن خطة العدوان الاسرائيلى قد اختمرت وجهزت منذ وقت طويل أولا ·· وانها اعتمدت على القوة الذاتية ثانيا ·

أصبحت القوات المسلحة المصرية فى سيناء عارية من الغطاء الجوى·· وأصبحت سوريا والأردن مكشوفة السماء ·

وبدأت القوات الجوية الاسرائيلية فى ممارسة دور جديد ·· هو الهجوم على القوات المسلحة فى خنادقها ، أو معسكراتها ·· وبدأت القوات البرية هجومها بعد نصف ساعة من القيام بأول غارة ·

كانت غزة أول هدف للجيوش البرية الاسرائيلية ، حوصرت المدينة بينما هاجمت المدرعات خان يونس ورفح والشيخ زويد فى معارك عنيفة ، أدت الى قتال مستمر فى الشوارع لمدة يومين ·

وسقطت العريش أيضا بعد مقاومة باسلة ·

وبدأ هجوم اسرائيلى فى منطقــة أبو عجيلة ·· ورغم فقدان المساعدة الجوية الا أن وحدات كثيرة حاربت ببسالة ، وقاومت فى عناد ·

والسير وراء احداث المعارك لا يعطى صورة صحيحة لقدرة القوات المسلحة القتالية ، ذلك انها كانت تتحرك بلا رأس تقريبا ، فقد أصيبت القيادة العامة بنــوع من الاضطراب والفوضى · الذى أدى الى تشــابك الأوامر ، وخلق جو من اليأس ، وسيطرة روح الهزيمة ·

كانت صــدمة المشـــير عامر بفقدان القوات الجوية ، أكبر من أن تستوعبها قدرته ، وأكثر من أن يواجه الموقف بعدها فى ثبات وشجاعة ·

ومع ذلك تركزت الأمور كلها عنده ·· ويوضح الفريق صلاح الحديدى أثر ذلك فيقول :

(وصلت الفوضى نتيجة اتباع هذا الأسلوب ان قرارا تاريخيا ضخما وهو قرار الانسحاب والجلاء عن سيناء بكافة القوات ، قد اتخذ دون الرجوع الى المستشارين والمحترفين ، بل ظلوا جاهلين به فترة من الوقت حتى أحسوا برد فعله عن طريق المصادفة ، فحاولوا الأخذ بزمام الموقف دون جدوى) ·

قال لى ضابط كبير مسئول فى هيئة العمليات انهم سمعوا أن قرارا بالانسحاب قد صدر دون أن يعلموا به وانهم كتبوا مذكرة للمشير بوجهة نظرهم ، ولكنه لم يطلع عليها الا بعد ساعات نتيجة لتعذر مقابلته وهو فى غرفة لا تبعد عنهم أكثر من أمتار قليلة ·

والمشير عامر لم يصدر قرار الانسحاب وحده دون الرجوع الى القائد الأعلى جمال عبد الناصر ·· اتفق الاثنان على ذلك ·

قال لى زكريا محيى الدين ان قرار الانسحاب كان صحيحا ·· ولكن طريقة تنفيذه كانت خاطئة ·· ويقول أعضاء مجلس القيادة البغدادى وكمال حسين وحسن ابراهيم (انهم نصحوا عامر يوم ٦ يونيو باشتباك مدرعاتنا مع مدرعات العدو لان الالتحام يحيد الطيران الاسرائيلى ··· ولكن الوقت كان قد فات) ··

وهنا لابد من الاشارة الى أن وجود أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين فى مكتب عبد الحكيم عامر ليدلوا بملاحظات وتعليقات غير مدروسة كان يلقى عليه عبئا عصبيا يدفعه الى المبالغة فى تصرفات يحاول بها أن يظهر فى مظهر القائد العام الذى لم تقعده الهزيمة ·· والواقع ان تواجدهم كان اضافة الى حالة الارتجال السائدة ·

كان أمرا بدهيا وطبيعيا أن ينفذ الانسحاب خلال اجراءات القتال الطبيعية ·· فالمعروف ان الانسحاب هو مرحلة من أعقد مراحل القتال تحتاج الى ثبات ودقة فى التنظيم ·

ولكن الحالة النفسية التى سادت القيادة العامة ، وانفراد المشير باصدار القرار ، أدى الى (هرجلة) تنظيمية ، جعلت الأمر بالانسحاب يصل الى بعض قادة التشكيلات المقربين من المشير قبل أن يصل الى القيادات المسئولة ·

ويقول الفريق أول محمد فوزى :

وفى يوم ٦ يونيو استدعانى المشير بعد الظهر ، وقال لى : عاوز خطة

عاجلة لانسحاب القوات غرب (القناة) وجلست مع الفريق أنور القاضى واللواء تهامى وكتب الأخير ورقة بحضورنا بها خطوط هامة جدا عن امكانية وأسلوب انسحاب القوات من سيناء الى غرب القناة ، تسحب القوات على ثلاث مراحل ٠٠ وهذا يستغرق ثلاثة أيام بأربع ليال ٠

عدنا بعد عشرين دقيقة الى المشير الذى كان فى انتظارنا واقفا على المكتب ، وحاطط رجله فوق المقعد ٠ واقف وساند دماغه على ايده وعلى كوعه ٠ وقرأ اللواء تهامى الرأى سريعا على المشير ٠

وهز المشير راسه بعدم الموافقة على الرأى وقال : (ثلاثة أيام وأربع ليال يا فوزى ٠٠ انا اصدرت أمر الانسحاب خلاص) ٠٠

وانصرف داخلا الى غرفة النوم التى كانت ملاصقة لكرسى المكتب متأثرا جدا ٠٠ يعنى دخلته الى الأودة ماكانتش عادية ٠٠ واحد متعب ٠٠ منهك ٠٠ منهار ٠٠ بيخلص من الموقف اللى هوه فيه ٠ واستدار ودخل الأودة موطى لدرجة اننى افتكرت انه تعبان عاوز سرير ٠٠ يعنى واحد عاوز يرقد ٠

انهيار بالجملة ٠٠

وبعد ذلك جاءت بلاغات من سيناء وطريق العريش عن اجراء انسحابات فردية ارتجالية ٠ ثم علمت بتدخل كل القيادات وأجهزة الأمن ، شمس بدران على شفيق ، الشرطة العسكرية ، المخابرات الحربية ٠٠ كلهم تدخلوا فى تبليغ أوامر فردية بالانسحاب ـ حسب هواه وبأسلوبه ٠ الى غرب القناة ٠

وحدث انهيار لجميع القادة والأفراد الموجودين فى القيادة بعد انهيار المشير ٠٠

ثم تمت زيارة الرئيس عبد الناصر الى المشير فى غرفة نومه ، واستغرقت الزيارة دقائق ٠ وخرج الرئيس متجهما بدون توديع المشير كالعادة ٠

وحدث أول انسحاب من فرقة اللواء نصار ٠ الفرقة الثالثة بدون ان يخطر قيادته ٠ لا قائد الجيش ولا قائد الجبهة ولا التشكيلات المجاورة ٠ بدأ الانسحاب ليلة ٧/٦ ارتجاليا ومنفردا تاركين معداتهم وأسلحتهم الثقيلة ٠ وحاول قائد الجيش تنظيم الانسحاب باصدار أوامر منها تمركز الفرقة الرابعة المدرعة فى المضايق لتغطية الانسحاب حتى الساعة ١٢٠٠ يوم ٧ يونيو ؛

لقد فقدت السيطرة نهائيا على القوات المسلحة ، كما فقدت الاتصالات ٠٠ حدث انهيار ٠

وعلم بعد ذلك ان تشكيلات تماسكت واستمرت متماسكة وبالذات فى أم قطف لغاية بدء الانسحاب ٠ ويصح فى الكونتلا أيضا ٠

وفى يوم ٧ يونيو استدعانى المشير عند الفجر ٠

قال لى عن صعوبة الاتصال التليفونى ، وطلب منى ان أذهب بنفسى ، واحاول الابقاء على القوات ، وبصفة خاصة الفرقة الرابعة المدرعة على خط المضايق ، بدلا من انسحابها غرب القناة ٠

محاولة مستحيلة ٠٠

اصطحبت معى اللواء مصطفى الجمل ٠ والسكرتير العسكرى ، وتوجهنا الى معسكر الجلاء فى الاسماعيلية حيث وجدت قائد الجبهة الفريق أول مرتجى والفريق صلاح محسن واللواء أحمد اسماعيل ولواءات أخرى كثيرة ٠٠ معظمهم أو كلهم ٠ عرضت المحاولة على القادة جميعا ، فذكروا لى استحالة التنفيذ لفوات الوقت ٠ وبحثت عن قائد الفرقة الرابعة المدرعة فلم اجده ٠ وكنت قد علمت أن بعض عناصر الفرقة الادارية قد وصلت الى الهاكستب مساء يوم ٦ يونيو ، وقد أمرتها قبل مغادرتى القاهرة بالعودة الى الاسماعيلية ٠

فشلت مهمتى ٠ وتم الاتصال مع المشير بواسطة الفريق أول مرتجى الذى اقنعه باستحالة هذا الوضع ٠ ثم اتصل بى المشير فى نفس المكالمة وأمرنى بالعودة ٠٠

وعلمت قبل قيامى مباشرة أنه تم اتصال تليفونى بين المشير وبين الرئيس عبد الناصر وقد طمأنه المشير على امكانية احتلال المضايق بقوات من الفرقة الرابعة المدرعة ٠

واسترسل الحديث بينهما فى اخذ رأى الرئيس ٠

وكان رد الرئيس عبد الناصر : اشمعنى جى تاخذ رأيى دلوقتى ٠

والرئيس عبد الناصر ، يشير فى هذا الرد الى عدم أخذ رأيه فى أمر الانسحاب ٠ لقد كنت أعرف ان اتصالا جرى بين الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر فى شأن الانسحاب ٠٠ ولكن الحديث الذى تم فى الاتصال سمعته من الرئيس عبد الناصر فيما بعد وهو يشرح انهيار المشير عقب الضربة الجوية » ٠

واختلطت الأمور الى الحد الذى جعل الانسحاب يتم الى الغرب دون

تحديد خط دفاعي جديد ٠٠ كان معروفا لجميع القادة ان خط ممرات متلا والجدى هو انسب الخطوط للمقاومة وعدم تحول الانسحاب الى حالة الذعر والفوضى ٠

وما يذكره الفريق الحديدى يعطى صورة واضحة للحالة التى كانت سائدة فى القيادة فهو يقول :

« كانت انباء الاشتباكات فى سيناء تصل الينا فى القاهرة مشوشة وغيركاملة ٠٠ وربما كانت أيضا متناقضة وغير سليمة ٠٠ اذ لم يكن هناك اسلوب ثابت لنشر معلومات عن الموقف بطريقة منظمة على القيادات فى باقى الجبهات ٠

زيتون أيضا :

(استشرى القلق والتوتر فى التشكيلات المرؤوسة كانعكاس طبيعى لما اعترى قيادتنا الكبرى من شطط وشلل فكرى) ٠

بدأت الوحدات والتشكيلات تنسحب وحدها دون تنسيق ، تعتمد كل وحدة على أوامر قائدها ٠٠ ووصل بعضها الى القاهرة مباشرة ٠٠ وقد اختارت مثلا احدى الوحدات الفرعية من سلاح المدرعات حديقة قصر الطاهرة معسكرا لها ٠ بينما اتجهت وحدات أخرى الى معسكراتها القديمة ٠

تضاربت الآراء والأوامر ٠٠ وانسحبت الوحدات والتشكيلات فى ظروف شديدة القسوة من الناحيتين المادية والنفسية ٠٠ ولاقى الجنود عذابا أثناء انسحابهم عبر سيناء فى شمس يونيو الحارقة ٠٠ وتعرض الجيش لمهانة حقيقية من العدو الذى تحقق له انتصار أضخم كثيرا مما كان يحلم به ٠

ولو ان القيادة العامة للقوات المسلحة كانت فى مستوى المعركة ٠ ولم تفقد سيطرتها ٠٠ لامكن للجنود ان يواصلوا القتال فى ظروف افضل ، رغم عدم وجود غطاء جوى ٠٠ ولامكن لهم الانسحاب الى خطوط دفاعية لا تصل بالاسرائيليين الى الشاطىء الشرقى لقناة السويس ٠٠ وذلك حتى تتمكن القيادة السياسية من الوصول الى حل ينقذ الوضع من الانهيار ٠

ولكن ما حدث كان هزيمة نفسية مدمرة ، كما كان هزيمة عسكرية مخجلة ومن المؤسف ان القوات المسلحة لم تكن تنقصها الأسلحة الحديثة القادرة على مواجهة الأسلحة الاسرائيلية ٠٠ ولم يكن الجنود فى حالة من التمزق والانهيار مثل بعض ضباط القيادة العامة ٠٠ بل كانوا متأهبين للقتال فعلا ٠

المشكلة كانت فى ضباط الرتب العليا الذين استكان معظمهم الى حياه بعيدة عن الروح العسكرية الصادقة .. وكانوا فى اعماقهم لا يتحمسون للثورة ولا يؤمنون بالاشتراكية ، ولذا فقدوا - الى حد كبير - حسهم الوطنى واستعدادهم لاداء واجبهم العسكرى .

كان الميثاق ينص على دخول رجال القوات المسلحة الى الاتحاد الاشتراكى والتفاعل مع الحياة السياسية للجماهير .. ولكنهم ظلوا بعيدا عن ذلك بدعوى التخوف من دخول الجيش فى السياسة ، الأمر الذى ترك فراغا هائلا فى الوعى الوطنى والسياسى ، ولم يفسر للضباط أو الجنود حقيقة دورهم فى حماية الوطن والثورة والتقدم الاجتماعى .

ولا يجوز التهوين من أهمية الحافز والشعور الوطنى عند المقاتلين .. كما انه لا يجوز التقليل من اثر الثغرة الاجتماعية الهائلة التى ظلت باقية بين ضباط الرتب العليا وبين صغار الضباط والجنود ، والتى لم تنجح الثورة الا فى التقليل منها بأمور ثانوية وشكلية سواء فى الناحية الفكرية أو الاجتماعية .

خلال حكم الثورة تجددت نوعية صغار الضباط . وأمكن لأبناء الطبقة العاملة والفلاحين أن يدخلوا الكلية الحربية .. ولكن عملية التجديد لم تصل الى القيادات العسكرية العليا التى تحولت مع الوقت ورسوخ المصالح الى فئة لا تهتم كثيرا بواقع المجتمع وتطوره .

ظلت عقلية ضباط الرتب العالية جامدة وغير مستنيرة من الناحية الاجتماعية أو السياسية .. ولم تصل مطلقا الى المستوى الذى وصلت اليه القيادة السياسية للثورة .. كان جمال عبد الناصر أكثر استنارة ووعيا .. ولكنه لم يفلح فى رفع مستوى القيادات العسكرية الى الحد المطلوب فى قيادة معركة تحرر وطنى ضد الامبريالية .

كان هذا سببا من أسباب الفشل والهزيمة .. ولكنه لم يكن السبب الوحيد ..

أمريكا .. ووقف اطلاق النار :

انتقلت آثار الهزيمة من أرض المعركة الى قاعات الأمم المتحدة ومجلس الأمن .

الصورة الحقيقية للخسائر لم تكتمل أمام جمال عبد الناصر الا مساء ٥ يونيو بعد مغادرته القيادة بعد ظهر نفس اليوم ، وسؤاله لعبد الحكيم عامر عن حقيقة الموقف حتى يستعد لمواجهة مجلس الأمن ، وتهرب المشير من الاجابة كما ذكر عبد اللطيف البغدادى .

كان حجم الخسائر كبيرا يصل الى حد الفاجعة ، وقيل لعبد الناصر انه لم يكن فى وسع الاسراليليين وحدهم تحقيق هذا الانتصار ، وأن الأمريكيين لابد وقد ساعدوهم بطريقة مباشرة ·

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ان جمال لم يكن مستعدا لقبول هذا القول على علاته ، وانه أراد تأكيدا يثبت هذه الأقوال ·

وجاءت تقارير من القوات المسلحة تؤكد ان طائرات أمريكية قد حلقت فوق مصر ، وأن اتجاه الهجوم للغارات الجوية كان من الشمال وليس من الشرق ·· بما يعنى مشاركة الاسطول السادس ·

وكان الفريق عبد المنعم رياض أحد الذين أبلغوا عبد الناصر باشتراك طائرات أمريكية بريطانية فى العدوان على مصر وذلك خلال محادثة تليفونية بين القاهرة وعمان ·

وتجاوبت هذه المعلومات مع فكرة جمال عبد الناصر التى تستبعد تماما قدرة القوات الاسرائيلية وحدها على تدمير القوات الجوية المصرية فى مدة لا تتجاوز ثلاث ساعات ·· فأجرى اتصالا هاتفيا مع الملك حسين يوم ٦ يونيو سجلته مخابرات ياريف الاسرائيلية كما ورد فى كتاب جوليان بيزانسون (حرب اسرائيل الخاطفة) وفى المكالمة اتفق الاثنان على توجيه الاتهام لأمريكا ، وقد اذاعت اسرائيل تسجيلات لهذا الشريط فى مؤتمر صحفى بعد يومين من التقاطه ·

وأكد هذه الحقيقة فى نفس عبد الناصر مقابلة تمت بينه وبين السفير السوفيتى على غير موعد يوم ٧ يونيو يبلغه فيها ان كوسيجين قد تلقى رسالة من جونسون على الخط الأحمر تقول ان طائرتين أمريكيتين اضطرتا للمرور فوق المواقع المصرية لانقاذ الباخرة الأمريكية (ليبرتى) التى هاجمها الاسرائيليون ، وقد أراد جونسون من كوسيجين أن يبلغ عبد الناصر ذلك ليكون دليلا على صدقه ·

كانت هذه هى المرة الثانية التى يستخدم فيها الخط الأحمر بين واشنطن وموسكو ··

المرة الأولى التى استخدم فيها الخط الأحمر خلال هذه الأزمة كانت فى الثامنة من صباح ٥ يونيو بتوقيت واشنطن ·· ولم يكن قد استخدم قبل ذلك منذ تركيبه فى ٣٠ أغسطس عام ١٩٦٣ الا فى تحية العام الجديد أو فى رسائل الاختبار التى تتم كل ساعة ·

الرسالة الأولى كانت من كوسيجين ، وقد اسرع نيكسون كما نشرت مجلة (تايم) الى الاجتماع مع وزير الدفاع روبرت ماكنمارا ووزير

الخارجية دين راسك وردسوف الذين كانوا معه فى البيت الأبيض لحظة تلقى الرسالة .

وكانت رسالة كوسيجين تقول (ان الدولتين يجب ان تتفاديا الصراع والصدام فى هذه الأزمة .. وان الاتحاد السوفيتى لا يخطط للدخول فى مواجهة ولكنه سيفعل ذلك اذا تدخلت الولايات المتحدة .

وفورا اجاب جونسون ومرافقوه على الرسالة قائلا ان الولايات المتحدة لا تنوى التدخل فى المشكلة .

وحرصا من جونسون على الظهور بهذا فانه بادر بارسال الرسالة الثانية عبر الخط الأحمر ، والتى يطلب فيها من كوسيجين ابلاغ جمال عبد الناصر بدور الطائرتين الأمريكيتين ، وكأنه بذلك يريد أن يطمئن الاتحاد السوفيتى على الموقف الأمريكى ، ويخفى عنه حقيقة التواطؤ والتآمر المستتر .

أكدت هذه الرسالة الثانية اذن واقعة عبور طائرات أمريكية مقاتلة فوق الأجواء المصرية .

ولم يكن جمال عبد الناصر فى حال يسمح له بقبول التبرير الأمريكى ولذا فانه عندما بلغ الأمر عنده مرحلة اليقين بادر بقطع العلاقات الديبلوماسية مع أمريكا لأول مرة فى تاريخ الثورة رغم تأزم العلاقات بين الدولتين فى أكثر من مناسبة .

كان فى ذلك تأكيد لحقيقة المشاركة الأمريكية فى العدوان . وتصعيد للموقف بما يرضى الجماهير التى قد تقبل الهزيمة من دول كبرى ولا تستطيع تصورها من دولة صغرى .. وأطلقت الاذاعة أغنية عبد الحليم حافظ التى أذيعت عدة مرات وكانت تقول (ولا يهمك ياريس من الأمريكان ياريس .. حواليك أجدع رجال) .

وأذاعت دمشق تسجيلا مع طيار اسرائيلى اسقطته الطائرات السورية أعلن فيه ان ١٧ طائرة فولكان بريطانية قد انتقلت من قاعدة (اكوونيرى) البريطانية فى قبرص الى اسرائيل قبل العدوان بعشرة أيام بهدف ضرب القواعد المصرية والسورية .

وقال الملازم الطيار الاسرائيلى ان طائرات كانت تتجه من قبرص لتضرب أهدافا مصرية وسورية ثم تعود الى مواقعها .

وقامت فى معظم العواصم العربية مظاهرات ضد القنصليات البريطانية والأمريكية ، واوقفت العراق ضخ البترول ، وأغلقت سوريا ولبنان خط الأنابيب . وأوقفت كل من الجزائر والعربية السعودية وليبيا

والبحرين وقطر والكويت شحن البترول الى الدول التى تساعد اسرائيل ٠

وكان رد الفعل الأمريكى تصريحا لروبرت ماكلوسكى الناطق الرسمى للبيت الأبيض قال فيه :

ــ ان هــذه الاتهــامات عارية تمــاما من الصحة ، وهى مختلقة من أساسها ٠

وفى مجلس العموم البريطانى وقف هارولد ويلسون رئيس الوزراء ووصف الاتهامات العربية بأنها كاذبة قائلا (كانت حاملة طائراتنا على بعد ألف ميل من منطقة القتال) ٠

لم يتحدث ويلسون عن حاملات الاسطول السادس ٠٠ ولم يتحدث أيضا عن الباخرة ليبرتى ٠

والباخرة ليبرتى لعبت دورا هاما فى العدوان ، فهى تابعة للاسطول السادس الأمريكى ومجهزة بأحدث آلات الالتقاط والتجسس الاليكترونية وكانت تقف خارج المياه الاقليمية المصرية مباشرة فى مواجهة غزة ٠

ورسالة جونسون الى كوســيجين تقول ان الطائرات الأمريكية قد حلقت فوق المواقع المصرية مضطرة وهى فى طريقها لانقاذ (ليبرتى) من الهجمات الاسرائيلية ٠

وقد ظلت علامة الاستفهام قائمة تلاحق الدور الذى قامت به هذه الباخرة ، وتحاول كشف الأسباب التى أدت الى مهاجمتها من جانب الطيران الاسرائيلى ٠٠ ولم ينكشف هذا السر تماما الا بعد سنوات ، تماما مثلما انكشفت خطة التآمر البريطانى الفرنسى الاسرائيلى للهجوم على مصر عام ١٩٥٦ بعد خمس سنوات من حملة السويس ، وذلك عندما نشرت مجلة (بنتهاوس) عام ١٩٧٦ كتابا للصحفى المعروف انتونى بيرسون ٠

واضطرار الطائرات الأمريكية للتحليق فى الأجواء المصرية هو أمر غريب فى ذاته ، فحاملات طائرات الاسطول السادس كانت تراقب الوضع عن كثب وليبرتى كانت قريبة منها أيضــا ، الأمر الذى لا يخلق مبررا مقنعا لعبور الطائرات الأمريكية فى الأجواء المصرية ٠

ويقول رودلف ونستون تشرشل فى كتاب حرب الأيام الستة :

(يجب ألا يغيب عن بالنا الدور الذى لعبته هذه الحاملة (ليبرتى) فقدمت لاسرائيل خدمات فى مجال الرصد مما كشف القناع عن وجــه أمريكا المتحيز ٠٠ وشــاركت المراكز البريطانية فى العملية واوعزت الى محطاتها فى جبل ترودس فى قبرص بمراقبة الوضع بدقة متناهية) ٠

ولكن الغموض ظل يحيط بهجوم زوارق الطوربيد والطائرات الاسرائيلية ضد الباخرة ·

وكما جاء فى الكتاب السوفيتى (اطلاق الحمامة) فان الحادث التراجيدى والمريب فى الوقت ذاته لم يحرك فضول الصحافة الأمريكية التقليدى ، فالحكومة والمؤسسات الأمريكية المختلفة لا تبخل فى العادة بالكلمات كلما كان الأمر يتعرض للخسارة فى أرواح العسكريين والمدنيين الأمريكيين ·· لكن هذا الحادث لم يثر الا الصمت المطبق ·· فالعواصف والزوابع لم تهب على الذين تسببوا فى هذه الخسارة الكبيرة ·

ظل الصمت مثيرا للدهشة والتساؤل الى أن مزق الكاتب الصحفى انتونى بيرسون الستار عن الأسرار التى أدت الى حادث السفينة ·

يقول بيرسون (ان الحكومتين الأمريكية والاسرائيلية قررتا فى عام ١٩٦٥ ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلى غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ·· وأن الوسيلة الوحيدة للتخلص منه هى هزيمته فى حرب محدودة تفقده ثقة العرب واحترامهم ، وتمهد السبيل لتولى حكومة موالية للغرب توقف المد الثورى الذى كان يهدد النظم الصديقة للغرب فى المنطقة· لذلك اتفق الطرفان على أن تقوم اسرائيل بشن حرب محدودة ضد مصر وحدها لا تشمل الأردن وسوريا ، واستدرجت أمريكا واسرائيل عبد الناصر الى المصيدة) ·

ساعد على بلورة هذا القرار فى أمريكا مستشارو جونسون من اليهود المؤيدين لاسرائيل : آرثر جولدبرج فى الأمم المتحدة ، ووالت روستو مستشار الأمن القومى · ويوجين روستو فى الخارجية ·

(ولكن اسرائيل أمام النصر السريع كانت قد قررت عدم الالتزام باتفاقها مع أمريكا وانتهاز فرصة الحرب لتوسيع رقعتها لتشمل الضفة الغربية والجولان وكل سيناء) ·

ويقول الكاتب أن اسرائيل كانت مطمئنة الى أن كل المعلومات التى تصل الى أمريكا حليفتها مصدرها المخابرات الاسرائيلية (موساد) وحدها وعندما وجدت سفينة التجسس (ليبرتى) فى منطقة العمليات قررت اغراقها لتنفرد وحدها بتنفيذ مخططها التوسعى ·

ويؤكد هذا انه رغم الاتفاق على مؤامرة واحدة الا أن المصالح الاسرائيلية لا تذوب وتخضع تماما للمصالح الأمريكية ·· ولذا حرصت أمريكا على ارسال ليبرتى حتى ترصد أى تجاوز من جانب اسرائيل ·

أصبحت (ليبرتى) مصدر كشف لمحاولة اسرائيل الانفلات من خيوط

المؤامرة المشتركة حيث كانت تسجل كل الاشارات ٠٠ وكان على ظهرها كما جاء فى كتاب (اطلاق الحمامة) بحارة يتكلمون العربية والعبرية ٠

ويقول الكاتب ان الهيكل الأساسى للخطة وضعته لجنة أمريكية اسرائيلية مشتركة ضمت من جانب اسرائيل موشى ديان وبيجال آلوان وشمعون بيريز وعازرا وايزمان رئيس العمليات وموردخاى هود قائد الطيران ، وانتهت الى أن أفضل الحلول هو قيام اسرائيل بشن حرب محدودة على مصر لا تتعداها الى الأردن أو سوريا ٠

ولما كشفت (ليبرتى) حقيقة الرسائل المتبادلة فى مصر واسرائيل ، وأسلوب تزوير المحادثات بين مصر والأردن عن طريق جهاز أمريكى اليكترونى نادر ٠

قررت اسرائيل ضرب هذا الجاسوس الذى يفضح تآمرها ٠٠ وكان أن انطلقت الطائرات وزوارق الطوربيد لمهاجمة ليبرتى التى تبين من فحصها بعد ذلك انها تعرضت الى ٨٢١ اصابة مباشرة من الصواريخ أو الرشاشات الثقيلة ، وانها نجت من الغرق بفضل مهارة قائدها بعد ان خسر طاقمها ٣٤ قتيلا ، ٧٥ جريحا ، وبيعت الباخرة بعد ذلك (خردة) بعد ان سلمت الى وزارة التجارة الأمريكية ٠

وأسرعت اسرائيل بتقديم اعتذار رسمى عن الحادث ، وأسرعت أمريكا أيضا بقبول الاعتذار ٠

وكان يمكن لهذا الحادث ان يغرق فى بحر من الاسرار حتى لاتنكشف المؤامرة المشتركة ، لولا اصرار أهل بعض القتلى من الضباط والجنود على الحصول على تعويضات كبيرة ٠

صرح متحدث رسمى باسم البنتاجون قائلا (يمكن تفهم امكانية وقوع الحادث نتيجة خطأ بشرى) ٠

ولكن البحارة الذين رست بهم السفينة بعد الحادث فى ميناء تاليتا بمالطة أخذوا يتحدثون عن تجربتهم الرهيبة ٠٠ وقال جندى امريكى يهودى من بروكلين للصحفيين انه انتزع نجمة داود التى يضعها فى سلسلة على صدره وقذف بها الى البحر ٠

رفض أهل الضحايا المبلغ الذى قررته الحكومة وهو ٩٠٠٠ دولار ورفع والد أحد الضحايا قضية أمام محكمة العدل الدولية بلاهاى ضد الحكومة الاسرائيلية مطالبا بمبلغ ٥٠ مليون دولار ٠٠ ولكن القضية لم تنظر بناء على ضغط سياسى من الحكومة الأمريكية كما يقول الكاتب الغربى ٠

واستطاع والد أحد الضحايا ان يواصل الضغط حتى وصلت قيمة التعويض لابنه ربع مليون دولار ٠

ويتساءل الكاتب الذى تحدى نفى ديان بأن الهجوم كان متعمـدا فى مؤتمر صحفى اذيع بالتليفزيون ـ فى النهـاية (هـل كان أمام الحكومة الأمريكية خيار آخر غير ان تتستر على جريمة اسرائيل بضرب ليبرتى حتى لا ينفضح دورها فى المؤامرة الكبرى ؟) ٠

وسـواء صح مـا نشرته مجلة (بنتهاوس) أو لم يصح ٠٠ فمما لا شك فيه ان قصة ليبرتى سوف تكشفها الأيام كاملة بكل تفاصيلها ٠٠ ولكنها فى كل الحالات تظهر بما لا يقبل الجدل انه كان هناك تعاون وثيق وتخطيط مشترك بين المخابرات المركزية الأمريكية والحكومة الاسرائيلية ٠

قطـع العـلاقات الدبلوماسية وتوجيه الاتهـام لأمريكـا وبريطانيا بالمشاركة فى العدوان لم يوقف القتال ٠٠ المأساة كانت تدور على أرض سـيناء ٠

وفى يوم ٧ يونيو توفرت فرصة لوقف اطلاق النـار ٠٠ وكانت القوات الاسرائيلية لم تصل بعد الى شاطىء القناة ، وان كانت قد احتلت فى مساء ذلك اليوم جميع اجزاء الضفة الغربية ، وسقطت القدس وجنين ورام الله وبيت المقدس وبيت لحم وحبرون واريحا ٠

يقول الكاتب انتونى بيرسون ان يوجين روستو فى وزارة الخارجية قد استدعى السفير الاسرائيلى فى هذا اليوم وأبلغه طلب الحكومة الأمريكية بوقف الهجوم ، حتى تظل الخطة الاسرائيلية فى حجمها المتفق عليه ٠

عندما وجد الملك حسين انه لم يعد يملك سوى شرق الأردن طالب بوقف اطلاق النار ، واستجاب الاسرائيليون لذلك ٠

أما فى الجبهة المصرية فقد صرح موشى ديان قائلا :

(لم تعد هناك أية عقبة تقف فى طريقنا لكى نصل بقواتنا الى قناة السويس ولكن هذا ليس هدفنا ، لأننا لا نسعى الى التورط فى مشاكل دوليـة) ٠

كان الاتحـاد السوفييتى قـد اذاع مذكرة من موسـكو موجهة الى اسرائيل يطالب فيها بوقف اطلاق النار (والا فان الاتحاد السوفييتى سوف يعيد النظر فى موقفه تجـاه اسرائيل ويتخـذ قـرارا يتعلق بالعلاقـات الدبلوماسية مع هـذه الدولة التى يتعارض نشاطها مع الدول المحبـة للسلام) ٠

كانت طلائع القوات الاسرائيلية قد وصلت الى مشارف القناة عند القنطرة ، ولكن موشى ديان اصدر أوامره اليها بأن تعود الى الوراء أربعين كيلو مترا ٠

كانت حكومة اسرائيل حتى هــذه اللحظة ـ فيمــا يبدو ـ تريد ان تبقى القناة التى أغلقتها مصر باغراق بعض المراكب فيها يوم ٦ يونيــو خارج النزاع طالما هى قادرة على الوصول اليها فى أى وقت تشاء ٠

وأعلنت حكومة اسرائيل يوم ٧ يونيو انها على استعداد لوقف اطلاق النار بشرط ان تقبل الأردن وسوريا والعراق ومصر ذلك ، وغادر ابا ايبان وزير الخارجية مدينة القدس ليعلن ذلك فى الأمم المتحدة ٠

المدهش ان الرفض جاء من جانب الحكومات العربية غــير الأردن التى فقدت الضفة الغربية ٠

كان ممكنا حتى هذه اللحظة الاحتفاظ بجانب كبير من الأرض ، وانقاذ أعداد هائلة من الجنود الهائمين على وجوههم فى صحراء سيناء ، ومنــع الهزيمة من ان تكون كاملة ومشينة لكل دول المواجهة ٠

رفضت مصر قرار مجلس الأمن فى وقت كانت فيه كل دول مجلس الأمن (قد قررت وقف اطلاق النار بغير شرط ولا موعد ولا حكم ولا ادانة وبغير اشارة الى معتد أو معتدى عليه) كما جاء فى كتاب جوليان بيزانسون (حرب اسرائيل الخاطفة) ٠

وليس لهذا الموقف من تبرير سوى الأمل فى وصول امدادات سريعة تنقذ الموقف العسكرى من الانهيار ، وتحفظ للقوات المسلحة المصرية قدرتها على الحركة من جديد ٠

ولكن الموقف كان اصعب واعقد من ان تنقذه أسلحة جديدة ، كطوق نجاة ٠٠ لأن العيب فى البداية لم يكن فى نقص الأسلحة ولكنه كان فى نقص قدرات القيادة العليا ، وفى ضعف روح معظم ضباط الرتب الكبيرة ٠

ضاعت فرصة قبول وقف اطلاق النار تحت ضغط رفض بعض الدول العربية لقبول الأمر الواقع ، وصعوبة التسليم بالهزيمة القاسية ٠

كان ألوف القتلى يتساقطون فوق صحراء سيناء من طلقات الرصاص أو العطش وضربة الشمس ٠٠ وكان الاحياء يتعرضون لمهانة الهزيمة من القوات الاسرائيلية التى صورت ذلك فى أفلام سينمائية كانت ترسلها يوميا الى التليفزيون فى مختلف دول أوربا لتعرض على الجماهير التى بهرهــا النصر المفاجىء السريع ، الذى سبقته دعاية مدروسة ضخمة تظهر اسرائيل

فى مظهر الدولة الوديعة المعرضه لهجوم جيرانها العرب من أجل تدميرها والقاء اليهود فى البحر ٠

والمندوب الأمريكى جولد برج الذى أعلن فى الأمم المتحدة فى اليوم الأول للحرب ان الولايات المتحدة لا تعرف من بدأ القتال ، عاد فغير رأيه وتبنى الرواية الاسرائيلية التى ظلت تزعم فى تبجح أن مصر هى التى بدأت الهجوم ، وذلك كرد فعل للموقف المصرى من أمريكا الذى أثار عليها معظم الدول العربية فقطعت علاقاتها الدبلوماسية معها ، ولم تبق لأمريكا علاقات الا مع المملكة العربية السعودية وتونس ولبنان والكويت فقط ٠

ومع ذلك كانت حكومة الولايات المتحدة لا تريد لخطة التآمر مع الحكومة الاسرائيلية ان تنكشف تماما ٠٠ وكان الأمر حتى هذه اللحظة يؤخذ بالقرينة ولا يؤخذ بالمعلومات التى ظهرت فيما بعد ٠

وأدت الفرصة الضائعة فى قبول وقف اطلاق النار الى تردى الموقف العسكرى وانهيار جبهة القتال انهيارا كاملا ٠٠ ولم تفلح الخمسون طائرة الجزائرية التى وصلت وشارك بعضها فى القتال فى تغيير شىء من الواقع المؤسف ٠

وانتشرت القوات الاسرائيلية المسلحة فى كل سيناء ٠٠ واندفعت قوات موشى ديان حتى وصلت الى ضفة القناة فلم تعد هناك أوامر منه أو من اسحق رابين رئيس الاركان تقضى بوقوف القوات فى مواقع لا تدفعها الى التورط فى مشاكل دولية ـ وشن أكبر هجوم بالدبابات فجر يوم ٨ يونيو ٠

كانت وقفة القوات الاسرائيلية تعنى انتظار انهيار النظام فى مصر ، واختفاء جمال عبد الناصر ، والوصول الى موقف يفرض فيه الاسرائيليون شروطهم للصلح ٠

عبر ديان عن ذلك بقوله :

(لقد حققنا أهدافنا السياسية والأمن من هذه الحرب ، الا انه يتعين علينا التأكد من الطريقة التى نعرف بها ما يجب ان نعمل ، حتى لا تتكرر الظروف التى أدت الى هذا النزاع) ٠

ولكن الآمال الاسرائيلية لم تتحقق ٠٠ فقد بقى النظام المصرى قائما ، وعلى رأسه جمال عبد الناصر ٠٠ ولم يستجب المصريون للاذاعة الاسرائيلية التى حاولت اثارتهم ضد زعيمهم خلال الخمسة عشر عاما السابقة ٠

قبلت مصر قرار وقف اطلاق النار تحت ضغط الكارثة ، وجنود

اسرائيل قد وصلوا شاطىء القناة ، ولم يعد هناك من الأسلحة أو القيادات، ما يمكن ان يمنعهم من الوصول الى القاهرة ٠

كان قبول وقف اطلاق النار صدمة شديدة للديبلوماسيين العرب فى هيئة الأمم المتحدة ، الذين توقعوا هجوما مصريا مضادا ، وتأثروا بأخبار الدعاية التى لم تصور الموقف على حقيقته ٠

أبلغ محمد عوض القونى مندوب مصر الدائم فى هيئة الأمم المتحدة سكرتيرها العام يوثانت بقبول مصر قرار وقف اطلاق النار فى الوقت الذى كان (فيدرنكو) المنــدوب السوفييتى يهم بالمطالبة بانزال عقوبات على اسرائيل ٠

وبعد قبول مصر وقف اطلاق النار ٠ أعلنت سوريا فى الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة ٩/٨ يونيو وقف القتال ٠

وكانت القوات السورية قد تقدمت يوم ٦ يونيو مسافة ٢ كيلو ثم وقفت على أمل الاحتفاظ بالأرض المكتسبة ٠

خلال أيام القتال لم تشترك القوات السورية فى معارك برية بعــد فقدان قواتها الجوية ٠

وعندما وافقت مصر على وقف اطلاق النار ٠ كانت سوريا يوم ٩ يونيو هى الدولة العربية الوحيدة المجاورة لاسرائيل التى لاتزال محتفظة بجيشها ٠

كان قبول وقف اطلاق النار فرصة لانقاذ هذا الجيش ٠٠ فى وقت كانت القيادة السورية فيه غير مرحبة كثيرا بالتقارب بين مصر التقدميــة والأردن الملكية ٠ ولم يكن الملك حسين حليفا مرضيا عنه فى دمشق كما كان الحال مع القاهرة ٠

ولكن التوقع السورى لم يتحقق لأن ذلك كان يتعارض أساسا مع الخطة الاسرائيلية التى كانت تريد ان تفرد ذراعيها على الأرض العربية باقصى مدى يمكن أن تصل اليه ٠ وخاصة هضبة الجولان التى تمثل شرفة تطل منها القوات المسلحة السورية على الأرض الاسرائيلية ٠

كانت تحصينات الجولان أقوى من أن تخترق اذا قررت القيــادة السورية المقاومة حتى الطلقة الأخيرة ــ فقد كانت المواقع شديدة التحصين والخط الدفاعى منيع ٠

قال لى عبد الحميد السراج انه منذ زمن بعيد ٠ وعلى عهد الوحدة

كانت الدبابات التي هي في ذاتها حصون متحركة · متحصنة في خنادق تتيح لها الوقاية والحركة معا ·

يقول جوليان بيزانسون في كتاب (حرب اسرائيل الخاطفة) :

(في فجر اليوم التاسع من يونيو كان القليلون جدا في اسرائيل يرضون عن فكرة ان تنتهي الحرب · بغير ان يعود الامن الى الحدود الشمالية للبلاد) ·

ولذا فانه لم تكد تنقضي ساعة على قبول سوريا لوقف اطلاق النار حتى أعلن الناطق الرسمي بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي في السادسة والنصف من صباح ٩ يونيو ان السوريين قد استأنفوا عملية ضرب المزارع الجماعية بقنابلهم · وكأنهم يخلقون ذريعة لمواصلة القتال ·

وكان هذا التصريح مقدمة لهجوم اسرائيلي شامل بدأ في الساعة السابعة صباح ٩ يونيو ·

وجاء في نفس المصدر السابق ان الأمر بالهجوم كان قد تأجل مرتين ·· الأولى يوم ٧ يونيو حيث غطت السماء سحب كثيفة ·· ويوم ٨ يونيو حيث كان موشى ديان يود ان ينتهي من الجبهة المصرية حيث كان قد بدأ الهجوم الشامل بالمدرعات ·· وأي عمليات في سوريا تعني تأخير انهاء القتال في الجنوب ، (وجعل الدول الكبرى تشعر بالامتعاض فتزيد من ضغطها على اسرائيل) ·

بدأ الهجوم الاسرائيلي وكان مفروضا ان يتم على وجه السرعة ، قبل أن يفيق العالم الى أن الهجوم يشن بعد قبول وقف اطلاق النار ·

كان القتال يدور على هضبة الجولان · الاسرائيليون يصعدون والسوريون يدافعون · وقاعة مجلس الأمن تسمع الاتهامات المتبادلة بين الدولتين كلا منهما هي التي استأنفت القتال ·

وتوصل مجلس الأمن الى قرار جديد بوقف اطلاق النار ·

ثم جاءت خطبة جمال عبد الناصر التي أعلن تنحيه فيها بمثابة الصدمة للقوات السورية أيضا ·· فتحولت لهجتها وبياناتها فورا من أن الاسرائيليين ينسحبون ، الى اذاعة أن القنيطرة (٣٠ الف ساكن) ودمشق قد سقطت بينما هي مازالت في يد الجيوش السورية ·

كان هذا التغيير المفاجيء في لهجة البيانات مثيرا للتساؤل · فليس طبيعيا أن تحطم الاذاعة السورية معنويات الشعب والقوات المسلحة السورية باذاعة أخبار انهزامية غير صادقة ·

قال لى ابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا فى ذلك الوقت ان هذه البيانات كانت تصدر عن وزارة الدفاع التى كان حافظ الأسد وزيرها . وترسل مباشرة الى الاذاعة .

ويعلل البعض ذلك بأنه كان نوعا من تجسيم الخطر للاستنجاد بالسوفييت الذين استخدموا الخط الأحمر مع واشنطن للمرة الثالثة يوم ٩ يونيو محذرين من أن استمرار الهجوم الاسرائيلى سوف يؤدى الى كارثة وحيث قرر السوفييت التدخل العسكرى .. وقد دفع هذا الانذار أمريكا الى تقريب الاسطول السادس .

وبعد أن أعلنت الهزيمة وتقرر الانسحاب فى الاذاعة .. انطفأت الروح المعنوية للمقاتلين السوريين الذين توافرت لهم مواقع جغرافية أشد حصانة ومناعة من القوات المصرية والاردنية وبدأوا الانسحاب فعلا ، دون مبرر عسكرى قوى يدفعهم الى ذلك ، فقد كان الالتحام بين قواتهم المدافعة والقوات الاسرائيلية المهاجمة ، مانعا فى حد ذاته من استخدام الطائرات الاسرائيلية .

وفى يوم ١٠ يونيو سقطت القنيطرة فى يد القوات الاسرائيلية ، واحتل الاسرائيليون الشرفة السورية المنيعة التى كانت تطل على أرضهم .

وقال الجنرال رابين للجنود الاسرائيليين فى البيان اليومى الذى أصدره بعد وقف اطلاق النار :

(ان حرب أبناء النور ضد أولئك الذين حاولوا اغراقنا فى الظلام قد انتهت) .

وهكذا قلب الجنرال رابين الحقائق ، وجعل من المعتدين أبناء للنور . ولكن التاريخ لا يكتبه المنتصرون فقط .. المهزومون أيضا لهم فى التاريخ سطور وتأثير .

انتهت الحرب ، وغرق العرب فى الظلام .

واستطاعت دولة صغيرة يسكنها مليونان ونصف من السكان ان تهزم جيرانها العرب ، بعد أن تحولت الى أكبر ترسانة حديثة فى المنطقة .

ضاعفت اسرائيل مساحتها أربع مرات من الأراضى العربية . واحتوت مليونا ونصف المليون من المدنيين .. وضمت الى حدودها آبارا من البترول تكفى استهلاكها والتصدير أيضا .

سقط أكثر من ٢٥٫٠٠٠ جندى عربى قتيل و ٥٩٢٠ أسيرا ..

بينما سقط ٦٧٩ جنديا اسرائيليا قتلى وأصيب منهم ٢٥٦٣ جريحا ٠٠ وبلغ عدد الاسرى الاسرائيليين ١٨ ، أسر منهم ٩ فى مصر ٠

وفى مقابل ١٣٠ دبابة دمرت لاسرائيل ٠٠ فقدنا ١١٠٠ دبابة منها ٣٠٠ فى حالة صالحة للعمل ، وفقدنا ١٥ر٠٠٠ عربة نقل ٠

الهزيمة بشعة ، والخسائر جسيمة ٠

ولكن الهدف الرئيسى ٠٠ من العدوان لم يتحقق ٠٠ لم تستطع خطة (الحمامة) رغم روعة انتصارها أن تسقط النظام التقدمى فى مصر أو سوريا ولم تؤثر أيضا فى النظام الملكى بالأردن ٠

نجحت الخطة عسكريا ٠٠ ولكنها لم تحقق بعد أهدافها سياسيا ٠

خسر العرب معـركة ٠٠ ولكنهم لم يرفعوا الاعـلام البيضاء ٠٠ لم يستسلموا ٠



الفصل الثالث

رفض الهزيمة

(ناصر .. ناصر .. لا رئيس الا ناصر)

(مكتوب على سلاحنا..عبدالناصر كفاحنا)

مظاهرات الشعب المصرى

يـوم ٩ يونيـو ١٩٦٧



الفصل الأول

رفض الهزيمة

لا صلح مع اسرائيل
ولا اعتراف باسرائيل
ولا مفاوضة مع اسرائيل

قرارات مؤتمر القمة العربى
بالخرطوم أغسطس ١٩٦٧ ٠

على قدر ما كانت الهزيمة العسكرية صدمة مريرة وقاسية ، على قدر ما عبرت الجماهير عن رفضها لهذه الهزيمة التى لم تشارك فى صنعها ٠

كانت مفاجأة شديدة لمعظم الناس الذين طالعوا العناوين الرئيسية لصحف الصباح يوم ٩ يونيو تعلن عليهم قبول وقف اطلاق النار ، وهم الذين عاشوا قبل ذلك بأيام فى حلم الانتصار ، وخدرتهم الدعاية المكثفة عن قدرة قواتنا المسلحة ، ثم تابعوا البيانات الحربية التى لا تحمل شبهة الهزيمة ٠

وتعلقت أعين الناس بشاشة التليفزيون ، والتصقت آذانهم بأجهزة الراديو ، وهم ينتظرون كلمة جمال عبد الناصر ٠

كان الناس حيارى يتساءلون عما حدث ، ويناقشون الأمر فى لهفة وجزع ٠ وينظرون الى الغد فى قلق ٠

وظهر جمال عبد الناصر على شاشة التليفزيون ٠

كانت الأمور عنده قد وصلت الى حد لم يتوقعه ٠٠ فهو فى حركته الى المصيدة لم يتوقع الحرب ، وعندما خرجت الأمور من يديه وأصبحت

الحرب أمرا محتوما لم يتوقع هذه الهزيمة السريعة المخجلة ·· كان يتصور ان القوات المسلحة قادرة على الدفاع ولو تلقت الضربة الأولى ، ولم يتوقع لقيادتها هذا الانهيار ·

أما الآن وقد ضاع كل شيء ، فقد اعتبر نفسه مسئولا عما حدث ، وقرر أن يتنحى عن سلطاته ، وان يضع نفسه تحت تصرف الجماهير ·

يقول محمد حسنين هيكل أقرب الصحفيين اليه ان عبد الناصر اتصل به يوم الخميس ٨ يونيو وابلغه بقـرار التنحى ، وكان رأيه ان يتنحى لشمس بدران وزير الحربية ، حتى يجنب البلد مشكلة الصدام بين القوى السياسية والعسكرية ·

كتب هيكل خطاب التنحى وترك محل الاسم فارغا لم يكتب شمس بدران ·· وأوضح لجمال عبد الناصر ــ حسب قوله ــ عدم اقتناعه بالتنحى لشمس بدران · وبعد مناقشة استقر الرأى على زكريا محيى الدين على أساس انه أقدم أعضاء مجلس القيادة الباقية ، وليس على أساس انـه قريب من الغرب كما لاحقته الاشاعات ·

كان غريبا ان يفكر جمال عبد الناصر فى ان يخلفه شمس بدران ، وليس هناك من تبرير لذلك الا اعتقاده فى هذه اللحظة أن شمس بدران هو الشخص الوحيد القادر على قيادة القوات المسلحة لأنه زرع ابناء دفعته فى معظم المراكز القيادية الحساسة ·· ولكن هذا التفكير على أية حال كان بعيدا تماما عن سلامة تقدير الموقف لصالح مصر ومواجهة الكارثة التى حلت بها ·

ظهر جمال عبد الناصر على شاشة التليفزيون كما لم يظهر من قبل · الحزن العميق فى عينيه ·· والنبرة الهادئة تعطى لكلماته عمقا وثقلا ··

قال جمال عبد الناصر :

(أقول لكم بصدق ــ ورغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة ــ فاننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها ، ولقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدونى عليه ·· لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى وان اعود الى صفوف الجماهير أؤدى واجبى معها كأى مواطن آخر ·· ان قوى الاستعمار تتصـور ان جمـال عبد الناصر هو عدوها ·· واريد ان يكون واضحا أمامهم انها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر) ·

ويقول محمد حسنين هيكل انه كتب فى الخطاب (اننى مستعـد لتحمل نصيبى فى المسئولية) ولكن جمال عبد الناصر عدل العبارة بخط يده لتصبح (اننى مستعد لأن اتحمل المسئولية كلها) ·

انتهى جمال عبد الناصر من خطابه الذى بدأ فى الثامنة الا الثلث ٠٠ واستغرق ٢٠ دقيقة ، ولكنه فجر فى مصر والعالم الخارجى انعكاسات هائلة ٠

كان قرار التنحى رغم انه كان نتيجة طبيعية لانهيار القوات المسلحة وتصدع النظام معها ، مفاجئا تماما للجماهير ، التى فقدت فى هذه اللحظة التعيسة والحرجة من حياتها ، الزعيم الذى ارتبطت به منذ تحمل المسئولية، والذى عاشت معه أياما مجيدة تكللها انتصارات وطنية ، ومكاسب اجتماعية ٠

ومثل الغريق يكاد يفقد طوق النجاة ، خرجت الجماهير والخطبة لم تكتمل بعد الى الشوارع ٠٠ متجهة الى دار جمال عبد الناصر ٠٠ تصرخ طالبة منه أن يبقى فى موقعه ٠

وليس صحيحا ما يحاول بعض الأدعياء القول به من أن المظاهرات التى اجتاحت شوارع القاهرة كانت مدبرة من جانب الاتحاد الاشتراكى ، فهو شرف لا أعتقد أنه يمكن اسباغه فى سهولة على هذا التنظيم ، الذى هو أعجز من القدرة على تحريك الجماهير بهذه الصورة الحاشدة ٠

لم تخرج المظاهرات فى القاهرة وحدها ٠٠ ولم تخرج فى المدن فقط ٠ ولم تقتصر على الجمهورية العربية المتحدة ٠ ولكن المظاهرات قد عمت معظم مصر وبلاد الأمة العربية ٠٠ وفى هذا جواب على أصحاب هذا الادعاء ٠

كانت حركة الجماهير فى هذه الليلة على امتداد الوطن العربى تعبيرا عن احساسها بخطر يهدد ثورتها جعلها تندفع فى صورة قد تبدو عاطفية وتلقائية ولكنها فى الحقيقة كانت ذات مضمون أعمق من ذلك ٠٠ كانت التاريخ فى لحظة وارادة الشعب فى موقف ٠٠ تشبثت الجماهير بالزعيم الذى لحقته الهزيمة ٠٠ ولم يكن الناس قد اكتشفوا بعد بشاعة الخسارة ٠

وكان عبد الحكيم عامر ينتظر أن يشير جمال عبد الناصر الى استقالته معه ٠ ولما لم يسمع ذلك اتصل تليفونيا بمحمد أحمد السكرتير الخاص لجمال عبد الناصر ، وطلب منه ان يدخل ورقة الى عبد الناصر وهو يذيع البيان يبلغه فيها ان المشير سوف يذهب الى الاذاعة لاعلان استقالته ، وقد أشار عبد الناصر بعدم الذهاب ، وقد اختفت صورة عبد الناصر عن شاشة التليفزيون فى هذه اللحظات القليلة ٠

وتصادف ان كنت مع زميلى وصديقى صلاح حافظ نائب رئيس تحرير روزاليوسف فى ذلك الوقت نجوب القاهرة بحثا عن مسئول نعرف منه حقيقة الموقف ، ومررنا على وزارة الارشاد طلبا لمقابلة محمد فايق الذى كان قد اتجه ومعه كل الوزراء والمسئولين الى منزل عبد الناصر ٠٠ ووجدنا على خشبة وكيل وزارة الارشاد عند الباب الخارجى لمدخل الوزير منتظرا

حضور المشير عامر . ثم حضر اليه بعض ضباط الجيش وأبلغوه أن المشير لن يحضر ولن يسمح له باذاعة استقالته بنفسه .

وعندما تبين للمشير انه قد يمنع من اذاعة استقالته أرسلها الى وكالة الأنباء ، فاذاعتها مع استقالة شمس بدران أيضا .

بعد دقائق من اذاعة بيان التنحى كانت الشوارع قد امتلأت بعشرات الألوف الذين سرعوا الى دار عبد الناصر بمنشية البكرى ، وظلت القاهرة ساهرة طوال الليل تنتظر اشراق الصباح . والليل مظلم والأنوار مطفئة والجو رهيب .. وطلقات المدفعية المضادة للطائرات هى الصوت الوحيد الذى يعلو على صيحات الناس وهتافاتهم ومناقشاتهم .

كان ممكنا ان تحترق القاهرة فى هذه الليلة التى خلت فيها من المسئولين الذين توجهوا جميعا الى بيت عبد الناصر ، الذى قبع فى غرفة نومه يسمع حشود الناس ، وهو يتناول حبة منومة تنقذه من الجهد وتوتر الأعصاب .

كانت الأوامر قد صدرت لوحدات المدفعية المضادة باطلاق بعض الطلقات اشعارا للناس بخطر ما يمكن ان يقدموا عليه من أعمال مرتجلة غير محسوبة .

ولكن عشرات الألوف تصرفوا بحكمة ووعى ومسئولية .. الهتافات تقول (ناصر ناصر .. لا رئيس الا ناصر) ـ (ارفض ارفض يا زكريا ، عبد الناصر مية المية) ـ (سجل سنجل يا سادات احنا اخترنا جمال بالذات) ـ (مكتوب على قلوبنا ، عبد الناصر محبوبنا) ـ (وحياة السد لأقول الجد .. بعد عبد الناصر ما فى حد) ـ (يا أمريكا لمى فلوسك عبد الناصر جاى يدوسك) (مكتوب على سلاحنا .. عبد الناصر كفاحنا) .. (ما تقوليش ما تقوليش .. عبد الناصر غيره مفيش) .

زكريا محيى الدين فوجىء تماما بتنازل جمال عبد الناصر له ، وصمم على الرفض وأصر على اذاعة بيان بذلك .. وكان بعض الأفراد قد حاولوا الاعتداء على محمد فايق وزير الارشاد وهو يدخل بيت عبد الناصر اعتقادا منهم بأنه زكريا محيى الدين .

لم يتفرق الناس طوال الليل ، وأصبح واضحا ومؤكدا ان الشعب يرفض تنحى عبد الناصر ، وأنه لابد من جديد فى الموقف .

اجتمع مجلس الوزراء فى ساعة متأخرة من الليل ، وأصدر بيانا بالاجماع يطالب فيه بأن يبقى جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية .

وأذاعت الاذاعة بعد ذلك بيانا من جمال عبد الناصر الى المواطنين يناشدهم فيه أن يحافظوا على الهدوء وان يعود كل منهم الى أداء واجبه .

ولكن الناس في الاقاليم كانوا قد بدأوا يتجهون الى القاهرة أيضا ٠

واجتمع مجلس الأمة فى الصباح واتخذ قرارا ببقاء عبد الناصر فى موقعه رئيسا للجمهورية ٠٠ وفى الواحدة الا الثلث يوم ١٠ يونيو كان الناس قد أحاطوا بالمجلس من كل جانب عندما افتتح أنور السادات رئيس المجلس الجلسة قائلا : ان جمال عبد الناصر لا يستطيع الوصول من داره الى مجلس الأمة بسبب الزحام الشديد ثم قرأ أنور السادات نص الكلمة التى أبلغها الرئيس بالتليفون الى أعضاء المجلس ويقول فيها :

(أنا لا أستطيع الا أن أمتثل لارادة الشعب ، وسوف أهبه كل قواى حتى النفس الأخير ، وسوف أبقى فى منصبى حتى تتم تصفية آثار العدوان ولابد أن نستخلص الدروس مما حدث) ٠

هدأت أنفاس الشعب ، وبدأت جموعه تنصرف بعد ليلة حافلة بالقلق والحزن والتوتر ٠

وبقى جمال عبد الناصر فى موقعه ٠٠ لم تستطع الهزيمة على فداحتها أن تقتلعه من مكانه أو تهدم نظامه ٠٠ وهكذا لم تحقق الحكومة الاسرائيلية هدفها تحقيقا كاملا ، فقد نجحت عسكريا ، ولكن أعلام العرب البيضاء لم ترتفع استسلاما ٠

طويت صفحة الهزيمة شديدة السواد ، لتفتح صفحة جديدة فى حياة الشعب يجابه فيها المستقبل ، ويعبر نقطة تحول تاريخية فى أزمة الشرق الأوسط ٠

وما كان للشعب أن يستكين للأمور كما كان الحال قبل ٥ يونيو ، فقد افاقت الناس من صدمة الهزيمة ٠ وما عادوا يركنون الى الصمت (طالما عبد الناصر موجود) ٠

وكانت هذه هى بداية رفض الهزيمة ٠

التغيير :

ارتفع شعار التغيير منذ اللحظة الأولى ٠

وكانت القوات المسلحة قد أصبحت بلا قيادة ٠٠ وعندما استجاب جمال عبد الناصر لارادة الشعب واسترد تنحيه يوم ١٠ يونيو ، ذهب عدد من كبار الضباط فى نفس اليوم الى المشير عبد الحكيم عامر يطلبون منه العودة الى منصبه ٠ وبعد نقاش طويل وعدهم بذلك ، فطلب اليه الضباط ان يتوجه الى مكتبه فى صباح اليوم التالى ٠٠ ولما وافقهم على ذلك قاموا بتوزيع الشربات كما يقول أحد الذين حضروا هذا اللقاء ٠

ولكن المشير لم يذهب الى مكتبه في اليوم التالي ، وأصر هو وشمس بدران على البقاء بعيـــدا عن السلطة لأنه حسب تعبيره (البلد خربت ولا يمكن حتتحل الأزمة) ٠

ويقول شمس بدران انه حاول اقناع المشـــير بالذهاب الى قريته (اسطال) بمحافظة المنيا ٠ تجنبا لجو المجاملات ونفاق الضباط الذين أحاطوا به ٠

ولكن المشير لم يطق البقاء هناك طويلا ٠

يوم ١١ يونيو لم تكن في القوات المسلحة فرقة واحدة كاملة التنظيم ولم يكن هناك تشكيلات متماسكة ٠٠ وكان الاسرائيليون على بعد ١١٠ كيلو من القاهرة ٠٠ ومدرعات الحرس الجمهوري كانت قد اتجهت الى منطقة القنال ٠

وبادر جمال عبد الناصر وقد عاد له نفوذه الكامل على القوات المسلحة من جديد يجرى تغييرات جذرية في القيادات العليا ٠

وسجل يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ بداية مرحلة جديدة ٠

وأعلنت اذاعة القاهرة في نشرة الثانية والنصف يوم ١١ يونيو تعيين الفريق أول محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة ٠ ومدكور أبو العـز قائدا للقوات الجوية واحالة الفريق أول سليمان عزت قائد القوات البحرية ومحمد صدقى محمود قائد القوات الجوية وزملائهما من نفس الرتبة أحمد حليم امام وهلال عبد الله هلال وعبد المحسن مرتجى ، وجمال عفيفى وأنور القاضى ٠ واللواءات عبد الرحمن فهمى وعثمان نصار وحمزة البسيونى واسماعيل لبيب الى المعاش ٠

(يلاحظ ان الجيش قد خلا بذلك من جميع الضباط الذين حصلوا على رتبة فريق أول وأن الأصدقاء المقربين للمشير قد أبعدوا ومعهم اللواء ذو السمعة القاسية السيئة حمزة البسيونى الذى اقترن اسمه بالتعذيب عندما كان مديرا للسجن الحربى ٠

كان هذا التغيير يعتبر حدثا هاما في القوات المسلحة ، ولكنه وحده لم يكن كافيا ٠٠ فقد كان كبار الضباط يشكلون فئة متماسكة بعيدة عن روح وآمال ثورة يوليو ٠٠ ولكنه كان بمثابة البداية ، حيث ان هـؤلاء القادة قد استقروا في مراكزهم رغم أخطائهم التى احتسبت على بعضهم أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ٠

ولم يقف التغيير عند حدود القـوات المسلحة ، فقـد ركز جمـال عبد الناصر كل السلطات في يده ٠٠ أصبح آمينا عاما للاتحاد الاشتراكى

بدلا من على صبرى ٠٠ وأصبح رئيسا للوزراء فى نفس اليوم ١٨ يونيو ١٩٦٧ ٠

الوزارة الجديدة التى رأسها عبد الناصر كان فيها ١٨ وزيرا من الذين كانوا ضباطا فى القوات المسلحة ، عشرة مدنيون ، وهذا يعنى زيادة نسبة الضباط فى الوزارة عن وزارة صدقى سليمان التى سبقتها والتى كانت تضم ١٥ ضابطا ، ١٧ مدنيا من بينهم ٣ نواب وزراء ٠

مازال جمال عبد الناصر يعتمد على زملائه ضباط القوات المسلحة السابقين ٠٠ ولم يعد هناك نواب لرئيس الجمهورية ٠٠ أصبح زكريا محيى الدين نائبا لرئيس الوزراء ، وحسين الشافعى نائبا للرئيس ووزيرا للأوقاف والشئون الاجتماعية ، وعلى صبرى نائبا للرئيس ووزيرا للادارة المحلية ، وصدقى سليمان وزيرا للصناعة والكهرباء والسد العالى ٠

وعين بعد ذلك عبد المحسن أبو النور مساعدا للاتحاد الاشتراكى ٠

وفى ٢٢ يوليو عين أمين هويدى وزيرا للحربية واقتصر عبد الوهاب البشرى على الانتاج الحربى ٠٠ وكان قد عهد الى أمين هويدى بالاشراف أيضا على ادارة المخابرات العامة بعد احالة صلاح نصر الى المعاش ٠

لم يكن هذا التغيير كافيا عند الجماهير التى أدركت مع الوقت وتكشف الحقائق ، ان الانهيار لم يكن كامنا فى القوات المسلحة وحدها ، ولكنه كان موجودا فى بقية الأجهزة والمؤسسات بدرجات مختلفة ، وان بقاء الوجوه القديمة وتغيير مواقعها مثل قطع الشطرنج لا يعد فى ذاته تغييرا مقبولا عند الجماهير ٠

كانت الجماهير تتعطش الى تغيير تنمو فيه الروح الديموقراطية ، وتنطلق طاقات الجماهير ، وتشارك فيه الطبقة العاملة والفلاحون مشاركة حقيقية فى السلطة ٠

كانت الجماهير تتعطش الى تغيير حقيقى يمكنها من مواجهة كارثة الهزيمة والتغلب على آثارها ٠

ولكن التغييرات التى حدثت فى الأسابيع الأولى بعد عودة عبد الناصر لم تكن كافية لاشباع رغبات الجماهير ٠

ولم يكن التغيير يعنى مزيدا من تركيز السلطة فى يده فى وقت تضخمت فيه المسئوليات ، وأصبحت هناك هموم شديدة قاسية يتحملها الزعيم الذى أصر الناس على بقائه فى قمة السلطة ٠

وكان ممكنا ان تختفى فى هذه الفترة أضخم الأسماء من موقع المسئولية دون ان يثور تساؤل أو يهتز انسان ٠

وكانت الفرصة متاحة لبعث الحياة فى الاتحاد الاشتراكى وفى طليعة الاشتراكيين ٠٠ وقد حدث فعلا ان انضمت بعض الشخصيات الى لجنة القاهرة للاتحاد الاشتراكى التى كان أمينها العام عبد المجيد فريد ٠٠ انضم اليها أحمد بهاء الدين وفتحى غانم ويوسف السباعى وكاتب هذه السطور وعدد آخر من الشخصيات المعروفة مثل سيد يوسف وزير التعليم السابق وسمير حلمى وزير الصناعة السابق وغيرهم ٠

أدت هذه الاضافة الى بعث نوع من الحيوية فى اللجنة ٠٠ ولكن ذلك لم يصل الى القاعدة ٠٠ كما ان تعيين عبد المحسن أبور النور خلفا لعلى صبرى فى منصب أمين مساعد كان مثيرا للدهشة والتساؤل ٠

عبد المحسن أبو النور لم يعمل بالسياسة من قبل ولم يكن مرشحا لذلك طوال خدمته التى استمرت فى القوات المسلحة حتى أصبح يتولى منصبا رئيسيا فى الجيش الثانى بدمشق على عهد الوحدة ، وبعد الانفصال عين فى أول وزارة شكلت فى ١٨ أكتوبر ١٩٦١ وزيرا للاصلاح الزراعى واصلاح الأراضى ، وبقى فى قطاع الزراعة نائبا لرئيس الوزراء فى وزارات على صبرى وزكريا محيى الدين وصدقى سليمان حتى عدوان يونيو ١٩٦٧٠

صدر قرار خاص فى ٥ أغسطس ١٩٦٧ ليصبح عبد المحسن وزيرا للدولة الى جانب كونه أمينا مساعدا ٠٠ وكان هذا التعيين فى رأى الجميع مؤشرا للرغبة فى بقاء الاتحاد الاشتراكى على حالة من الجمود ٠٠ فلم تكن لعبد المحسن مزايا تؤهله لتولى هذا المنصب شديد الحساسية والمسئولية سوى انه ليست له (شلة) كما قيل فى ذلك الوقت ٠

ويبدو ان موضوع (الشلة) كان يؤرق عبد الناصر كثيرا منذ بدأت خلافاته مع المشير وشلته فى القوات المسلحة ، فأراد اشخاصا ليس لهم اصدقاء ، وليس عندهم طموح خاص لتكوين (شلة) ٠

والواقع ان الحياة السياسية فى مركز السلطة كانت تتأثر كثيرا لعدة عوامل شخصية فى الدرجة الأولى ومنها :

١ ــ أبناء الدفعة أى الذين دخلوا الكلية الحربية فى عام واحد وتخرجوا فيها معا وهؤلاء كانت تربطهم صداقة من نوع خاص وعلاقة اجتماعية وطيدة تستمر الى ما بعد التخرج ٠

٢ ــ الشلة وهم مجموعة الأصدقاء الذين تلقى بهم الظروف لاقامة علاقات اجتماعية حول هوايات خاصة فى أوقات الفراغ ومنها على سبيل المثال لعب القمار أو تدخين الحشيش أو الجرى وراء النساء ٠

٣ ــ علاقات النسب وهى تظهر غالبا كثمرة للتواجد فى عمل واحد يفرض علاقات اجتماعية تؤدى الى المصاهرة وبالتالى الى التماسك وتبادل المصالح ٠

كان ضمور أمل التغيير الى الحد الذى يعين فيه عبد المحسن أبو النور مسؤولا رئيسيا فى الاتحاد الاشتراكى ، صدمة لكل الذين التهبت صدورهم بمأساة الهزيمة . وما عادوا يطيقون الصمت ٠

أما أمانة طليعة الاشتراكيين التى كان مفروضا انها تمثل القلب فى الجهاز السياسى فانها توقفت عن الاجتماعات مطلقا ، وكأنها أصيبت بسكتة قلبية ٠

كان التوقف عن الاجتماعات مؤشرا أكيدا بعدم الرغبة فى بعث النشاط فى (طليعة الاشتراكيين) التى كانت هى الأمل فى آن تتحول الى حزب اشتراكى حقيقى فى يوم من الأيام ٠

وهكذا ضاعت فرصة التغيير ٠٠ بل لعلها كانت موجودة ولم يقدم عليها جمال عبد الناصر لأن ذلك فى مضمونه كان يعنى التخلص من معظم الجهاز الذى اقامته الثورة على امتداد سنوات حكمها ٠٠ ويعنى ايضا اجبار عبد الناصر على اجتياز الطريق الصعب فى اقامة تنظيم سياسى على أسس حزبية يتوافر له كادر قيادى متمرس بدلا من الاستمرار فى الطريق الأسهل ٠٠ طريق الاعتماد على المعرفة والعلاقات الشخصية فى تحديد الأسماء التى تتولى مراكز المسئولية ٠

كان عبد الناصر قد أصبح مرتبطا بهذا الجهاز الذى خلقه خلال سنوات حكمه ، والذى ضم افرادا من المخلصين ، وأفرادا من الانتهازيين والمنحرفين ٠

ولم تكن عيوب الأشخاص وانحرافاتهم خافية على جمال عبد الناصر، ولكنه كان يحتفظ بهم فى مراكزهم طالما يظهرون الولاء لشخصه والخضوع لارادته ٠٠ ولعل معرفته بالعيوب والانحرافات واشعار اصحابها بذلك كان يدفعهم الى مزيد من اظهار الولاء والضعف فى مواجهته ، خشية افتضاح أمرهم ٠

ولم يكن هذا فى طبيعته أسلوبا سليما لاختيار المعاونين ٠٠ فليس مفروضا أن يكون مقياس الوطنية ، هو درجة الولاء لشخص الزعيم وذوبان الارادة والرأى الخاص أثناء التعامل معه ٠

ولكن ١٤ عاما من انفراد جمال عبد الناصر بالسلطة ، وتعاون هذا الفريق من الأفراد معه ، قد جعله مستكينا وراضيا بهذا الأسلوب من أساليب الحكم ٠٠

ولذا كانت المطالبة بتغيير جذرى ، ليس من تنقلات الأفراد فقط ، وانما فى طبيعة تكوين النظام وقيادته بما يسمح بخلق نوع من التفاعل الديمقراطى الحى فى قمة السلطة ، وبين الجماهير ٠٠ كانت المطالبة بذلك أكثر مما يمكن لجمال عبد الناصر أن يقوم به ، وخاصة أن الهزيمة قد

أطلقت أعداء النظام وأعداء التقدم والاشتراكية من جحورهم ، وبدأوا حملة نقد وتشهير استغلوا فيها ما كانت تظهره الأيام من فساد فى قيادة القوات المسلحة ، وما كان يلمسه الناس من بعض الفساد فى قطاعات اخرى ٠

موجة النقد والتشهير التى شنتها الطبقات المتربصة ، لا شك انها كانت عاملا من أهم العوامل التى أدخلها جمال عبد الناصر فى تقديره للموقف ٠٠ فهو يدرك أكثر من غيره مدى ما تعرض له النظام من شرخ ، وقسوة ما يواجهه من مستقبل فى مصر ٠٠ ويدرك أيضا انه قد أصيب بجرح نافذ يؤثر على صورته أمام الجماهير ٠

خشى عبد الناصر أن يقدم على تغيير مجهول النتائج ٠٠ وآثر أن يمضى بأسلوبه القديم معتمدا على رجاله السابقين ٠ عندما واجه الجماهير لأول مرة بعد الهزيمة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ أثناء انعقاد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى بقاعة احتفالات جامعة القاهرة ٠ قال لهم فى صراحة : (اننى مسئول عن كل شىء) ٠

ولكن التصفيق أحاط بكلماته ٠٠ وأظهر الأمور فى ثوبها القديم ٠٠ وكأن شيئا لم يحدث ٠

كانت خطب جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة هى العامل الوحيد الذى يهدىء غليان الجماهير ٠٠ ويجيب على بعض تساؤلاتها ٠٠ ويجدد فى نفسها الأمل ٠

كانت الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية فى حيرة من أمر هذا الشعب الذى استوعب الهزيمة القاسية واحتفظ بالمسئول الأول عنها قائدا وزعيما فى المرحلة القادمة ولذا فانهم حاولوا تمزيق الجبهة الداخلية مستندين الى بعض عناصر الطبقات الذابلة المتربصة ومعتمدين على الفراغ السياسى الذى لا يشغله تنظيم سياسى قادر على تعبئة الجماهير وحشدها ٠

قال جمال عبد الناصر لشعراوى جمعة بعد خطبة فى مجلس الأمة :

ـ اياك الخطبة دى تهدى الناس ولو شهرين ٠

كان هناك سباق بين جمال عبد الناصر فى محاولته لاعادة الاستقرار والهدوء فى المجتمع ٠٠ وبين عوامل الاثارة والغليان المتجددة ٠

وقد حرص جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة على ألا يشعر الناس بضائقة اقتصادية ، فاهتم بالمواد التموينية ، وامتلأت المجمعات الاستهلاكية بمعظم ما يحتاج اليه الناس بأسعار فى متناول أصحاب الدخول البسيطة ٠ وقد أسهمت الدول الاشتراكية فى ذلك بتقديم معونات كثيرة هدية من شعوبها الى الشعب المصرى فى محنته ٠

كان التغيير عند عبد الناصر (قضية حائرة) تماما مثل (النغمة الصحيحة) التى يجب أن تمضى فيها الاذاعة وأجهزة الاعلام ٠

الناس تعيش فى اعتقاد انه يمكن رد الهزيمة فى أقرب وقت ممكن ..
وأن كل تضحية فى سبيل هذا الهدف تهون .

ولكن مصر أصبحت بلا قوات مسلحة تقريبا .. الطيران ضاع والجيش تمزقت وحداته .. ومع ذلك فشعور الثأر يتأجج فى صدور الناس يقبلون الاظلام فى الشوارع وعندما تضاء بعض الأنوار يعتقد البعض أن فى هذا نوعا من التهاون أو التفريط .. الاذاعة تذيع الأناشيد والأغنيات الوطنية وعندما تذاع أغنية عاطفية يقول البعض بأن هذا دليل على أن روح الثأر قد خمدت وأن هناك اتجاها للاستكانة وقبول الوضع الراهن .

ولم تصدر الحكومة منذ الثورة قرارات ترفع فيها أجور بعض الخدمات مثل المواصلات والتليفونات والبرقيات وغيرها وتفرض ضرائب جديدة ويقابلها الناس بهدوء ... بل وترحيب مثلما حدث فى القرارات التى أصدرتها الحكومة فى شهر يوليو ١٩٦٧ .

كان الشعب مستعدا للمساهمة بكل ما يملك من أجل استرداد كرامته واسترجاع أرضه ، وتغيير أسلوب النظام .

ولكن التغيير لم يتحقق فورا ... ولن يتحقق أيضا بلمسة سحرية .

البذرة وضعت فى صدور الناس مع الهزيمة ... وترددت فى أقوالهم .. وأصبحت قضية النظام .

واذا كان عبد الناصر لم يحدث فى المجتمع التغييرات المنشودة .. فانه بدأ فى مواجهة الموقف بعد الهزيمة المشينة بصلابة واضحة ، واصرار على تحقيق ثقة الجماهير به .

وكانت خطوة البداية فى رفض الهزيمة .. هى اعادة بناء القوات المسلحة .

اعادة بناء القوات المسلحة :

كان القادة السوفييت بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين قد أرسلوا خطابا الى جمال عبد الناصر يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ أعلن عنه أمام المبعوثين فى حديثه معهم يوم ١٦ يونيو ١٩٧٠ عندما قال انهم (طالبوا فيه أن نصمد ولا نستسلم وأنهم مستعدون لتعويضنا ـ مجانا ـ عن جميع الأسلحة التى فقدناها فى حرب يونيو) .

كان هذا الخطاب هو بداية مساندة السوفييت بعد الهزيمة لجمال عبد الناصر ونظامه التقدمى ... وكان وعدهم بالتعويض المجانى عن جميع الأسلحة التى فقدتها القوات المسلحة رغم ضخامتها هو نقطة الانطلاق لاعادة بناء القوات المسلحة بعد أن تمزقت وتشتت تشكيلاتها .

قال لى الفريق أول محمد أحمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية فى ذلك الوقت ان الأسلحة السوفييتية بدأت تتدفق بعد أيام من الهـــزيمة ٠

وسمعت أنور السادات يتحدث فى مجلس الأمة مع طلبة كلية الهندسة أثناء فترة اعتصامهم فى فبراير ١٩٦٨ فيقول ان الاتحـاد السوفييتى قد أقام جسرا جويا سريعا لتعويض القوات المسلحة المصرية فور الهزيمة بحيث كانت تهبط طائرة سوفييتية كل دقيقتين ٠

ويقول أمـين هويدى وزير الحربية بعد الهزيمة فى كتابه (أضواء على أسباب النكسة) :

(كانت مئات الطائرات قد بدأت فى الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفييتى ٠٠ أحيانا تأتى فى قوافل جوية فى سباق مع الزمن فى الأيام الأولى بعد النكسة ، وأحيانا أخرى فى قوافل بحرية بعد ذلك٠٠ وبجهد محموم بدىء فى مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة فى عدد الطائرات ٠٠٠ فالبعض يدربون فى الاتحاد السوفييتى ، والبعض الآخر يدربون هنا فى القاهرة) ٠

ووصل بودجورنى رئيس اتحاد الجمهوريات السوفييتية الى القاهرة يوم ٢١ يونيو بعـد عشرة أيام فقط من رضوخ جمال عبد الناصر لارادة الشعب والعدول عن التنحى ٠٠ حضر بودجورنى ومعه زخاروف رئيس أركان حرب الجيوش السوفييتية ، وعاد بودجورنى بعد انتهاء زيارته وبقى زخاروف فى مصر لمدة تزيد عن الشهر لتقديم كل عون ممكن فى المراحل الشاقة لاعادة تكوين وتنظيم القوات المسلحة ٠

وكانت هذه الفترة فعلا من أقسى الفترات على نفسية الزعيم الذى أخطأت حساباته ، وخسر قواته المسلحة ٠

يقول أنطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان جمال عبد الناصر قد اعترف له بأن الأسابيع التى تلت النكسة كانت تمثل له كابوسا مستمرا ٠ فقد كانت الخسائر الشديدة فى الأسلحة والمعدات والرجال تجعل القاهرة مدينة مفتوحة وأنه لو قرر الاسرائيليون الهجوم عليها فانه لم تكن هناك قوات مسلحة قادرة على صدهم ٠

قال لى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى انه وجد جمال عبد الناصر على غير عادته شاردا مهموما لا يكاد يتبين طريق المستقبل ، وأنه حاول جاهدا خلال جلسته معه أن يشعره بثقة الجماهير به ، وأن يؤكد له ان خسارة المعركة الحربية رغم جسامتها لا تعنى النهاية للنضال ولا خاتمة النظام ٠

وقال لى محسن ابراهيـم المسـئول فى حركة القوميين العرب ان

عبد الناصر فى هذه الفترة كان يبدو أكثر مرونة واستجابة للمناقشة ...
وأنه كان حريصا على تلمس الطريق للخروج من الأزمة .

وكان الاثنان قد قابلا جمال عبد الناصر ضمن مقابلاته لعدد من القادة والمناضلين العرب .

وفى الفترة التى بدأ فيها اعادة تكوين القوات المسلحة فكر جمال عبد الناصر فى احياء المقاومة الشعبية التى كانت مسئوليتها قد أوكلت الى زكريا محيى الدين يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ الذى سبق له أن باشر هذه المهمة أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ولكنه فى هذه المرة لم يكد يدرس أسلوب تكوين المقاومة الشعبية ويبدأ فى تحديد الخطوط العريضة لتنظيمها حتى كانت المعركة قد بدأت وانتهت .

اختار جمال عبد الناصر زميله السابق فى مجلس قيادة الثورة كمال الدين حسين الذى استقال عام ١٩٦٤ ليكون قائدا للمقاومة الشعبية .. وكانت له بها خبرة سابقة أثناء توليه مسئوليتها أثناء العدوان الثلاثى ١٩٥٦ فى مدينة الاسماعيلية .

ويقول كمال الدين حسين ان جمال عبد الناصر قد استدعاه وقال له ان الاسرائيليين يمكن أن يدخلوا القاهرة خلال أسبوع وطلب منه تولى مسئولية المقاومة ... فاستمهله للتفكير ... ولكنه طلب منه الجواب فى نفس اليوم .

وبعد تشاور كمال الدين حسين مع زملائه المستقيلين جمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم اتفق الجميع على أن يذهب اليه كمال الدين حسين فى الموعد المحدد .. وأن يدخل معه فى مناقشة عن اعطاء الحريات للشعب مع الأمن والاستقرار دون أن يبلغه بالموافقة أو الرفض .

وذهب كمال الدين حسين لمقابلة جمال عبد الناصر حيث ناقش معه تقريرا سبق أن كتبه كمال بعد الهزيمة من ١٥ صفحة ويقول فيه ان مفتاح الموقف فى يد أمريكا وليس فى يد الاتحاد السوفيتى وأنه يجب أن نحسن موقفنا معها وذلك بالنسبة للسياسة الخارجية ... وبالنسبة للسياسة العربية فيجب أن ننسى الماضى ونمد أيدينا لدول البترول دول الخليج والسعودية وايران ... نلم شمل العرب كلهم حتى يستخدموا سلاح البترول فى الضغط على أمريكا ، كما قلت له ان مصر فى حاجة الى أبنائها المقاتلين فى اليمن ، وأنه يجب أن ننسحب من اليمن .

ويقول كمال الدين حسين انه واصل مناقشته مع عبد الناصر حول الأمن والحرية والديمقراطية من وجهة نظره ، وانتهى الأمر الى عدم الاتفاق .

وصدر في نفس اليوم قرار بتعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية ·

كان التجاء جمال عبد الناصر الى كمال الدين حسين فى هذه المرحلة دليلا على أنه كان يعبر فترة ضعف نفسى يدفعه للاستعانة فى مركز حساس من مراكز العمل الجماهيرى الى زميل سابق له ظهرت اتجاهاته المعادية للاشتراكية التى انتهجتها الثورة ، وظهرت معارضته للواجبات والالتزامات الثورية التى تفرضها القومية العربية على ثورة يوليو ·

كان ضيق الحلقة التى اعتمد عليها عبد الناصر فى فترة حكمه هى السبب الذى يحد من حريته فى الاختيار ··· وربما تصور فى هذه الفترة المضطربة أن عودة كمال الدين حسين الى الأضواء وهو المعروف بصلاته السابقة مع جماعة الاخوان المسلمين ، والمشهور باتجاهاته الدينية المحافظة أمر قد يرضى الطبقات والفئات المتربصة بالثورة والتى بدأت تنشط فى توجيه سهامها المسمومة منتهزة فرصة الهزيمة وما تكشف عنها من أخطاء وانحرافات ·

لعبة التوازن ما زالت مستمرة تفرض نفسها ·

ورؤية كمال الدين حسين للموقف حسب ما ورد على لسانه فى التقرير الذى رفعه بعد الهزيمة والذى أشرت اليه كما ورد فى كتاب (الصامتون يتكلمون) تدل على رفض مطلق لكل الاتجاهات التقدمية ، ورغبة شديدة للتعاون مع الامبريالية الأمريكية التى تحتضن الصهيونية التوسعية ، والتى تخضع لها الدول البترولية التى ينادى أيضا بتحسين العلاقات معها ·

أما تعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية أيضا الى جانب عمله أمينا مساعدا للاتحاد الاشتراكى فهو اثبات بأن فرصة الاختيار كانت ضيقة جدا ··· وأنه لم تكن هناك نية جادة حقيقية لخلق مقاومة شعبية تنبع من ارادة الجماهير وتعبر عن اصرارها على التحرير ·

ولكن ما حدث فى المقاومة الشعبية يختلف عما حدث فى القوات المسلحة ، فقد كان العمل يسير بجدية شديدة فى اعادة التسليح والتدريب والتنظيم ·

انفصلت قيادة الدفاع الجوى عن قيادة القوات الجوية ·

ويقول أمين هويدى فى كتابه :

(تم تعويض كافة خسائرنا التى حدثت فى يونيو ١٩٦٧ من الاتحاد السوفييتى من رادارات الى مدفعية الى صواريخ كما تم استكمال النقص فى بعض أنواع المدافع عن طريق الشراء من أسواق السلاح العالمية ، وأخذت أسلحة من نوع جديد لم تستخدمه قواتنا من قبل تصل من الاتحاد

السوفيتى ، فعلاوة على الصواريخ سام ٢ ، سام ٣ التى كانت مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ ، سام ٧ مما كان سببا فى تدعيم القدرة القتالية لدفاعنا الجوى ، هذا علاوة على الوحدات الاليكترونية التى تعمل فى المجالين الدفاعى والهجومى) .

ويؤكد جمال عبد الناصر ذلك للمبعوثين فى حديثه معهم يوم ١٦ مايو ١٩٧٠ فيقول :

(فيه حاجات ماكناش نعرفها ادوهالنا ، والحقيقة بدون معونة الاتحاد السوفييتى كنا حنكون كلية تحت رحمة اسرائيل .. لان طبعا كان من السهل عليهم أن يعبروا الى الضفة الغربية من القناة ويتقدموا للقاهرة أما الآن فهذا أمر مستحيل عليهم) .

وقال جمال عبد الناصر أيضا انهم قد عملوا لنا نوعين من الطائرات الميج معدلين حسب طلبنا ... النوع الأول عام ١٩٦٨ والثانى تم عام ١٩٦٩ .

باشر جمال عبد الناصر عملية اعادة بناء القوات المسلحة بنفسه ، وعاد الى تركيز اهتمامه عليها كما كان يفعل فى سنوات الثورة الأولى ... واعتمد أساسا فى عمله على الفريق أول محمد فوزى والفريق عبد المنعم رياض الذى عين رئيسا لأركان الحرب وفريق من الضباط خريجى الأكاديمية العسكرية السوفييتية فى فرونز .

خلق فوزى فى الجيش روحا من الجدية والانضباط والاهتمام بالتدريب وصدق التعاون والاستفادة من الخبراء السوفييت ، بعد أن كان محظورا عليهم فى عهد ما قبل الهزيمة أن يعبروا القناة الى سيناء .. فلم يكن هناك خبير سوفييتى واحد فى سيناء أثناء القتال والانسحاب .

موقف السوفييت :

اذا كان المثل العربى يقول (الصديق يعرف وقت الشدة) فقد عرف العرب السوفييت وقت الشدة فوجدوهم أصدقاء يقفون الى جانبهم بلا شبهة تردد .

يقول الفريق صلاح الدين الحديدى فى كتابه (شاهد على حرب ١٩٦٧) :

(ان الاتحاد السوفييتى قام بلا شك بتقديم أكبر عون لنا منذ بدء علاقاتنا به وشمل هذا العون كافة النواحى السياسية والاقتصادية والعسكرية ولا أستطيع أن أتخيل كم يكون موقفنا صعبا لو لم تكن هذه العلاقة موجودة ووثيقة ولا سيما بعد تدمير معظم أسلحتنا وقواتنا الجوية فى يونيو ١٩٦٧) .

ولكن التعاون مع السوفييت لم يقتصر على تقديم السلاح فقط ...

ولكنه امتد الى تقديم الخبراء والمستشارين بأعداد وفيرة بناء على طلب جمال عبد الناصر والحاحه بعد الهزيمة ٠

كان جمال عبد الناصر قد وجد أن خروجه من كارثة الهزيمة لن يكون الا بمزيد من الارتباط والتعاون مع الاتحاد السوفيتي ٠

طلب من بودجورنى وزخاروف أثناء زيارتهما لمصر الخبراء والمستشارين الى جانب السلاح ، ويقول ناتنج انه طلب وجودهم فى كل لواء أو كتيبة لو أمكن ذلك ٠

قال لى حسنين هيكل انه عندما طلب جمال عبد الناصر من السوفييت تولى مسئولية الدفاع الجوى أبلغه بودجورنى ان ذلك لا يتم الا ضمن اجراءات دستورية ومعاهدة ٠

واقترح جمال عبد الناصر على بودجورنى عقد اتفاقية دفاع مشترك بين مصر والاتحاد السوفييتى اذا كان الأمر كذلك ، كما صرح بذلك للشهيد المناضل عبد الخالق محجوب ، ولكن (رد الاتحاد السوفيتى سلبيا بالنسبة لعقد هذه الاتفاقية نظرا لحساباتهم الخاصة فيما يتعلق بقضية الوفاق العالمى والتعايش السلمى التى كانوا يناضلون من أجل تحقيقها مع الولايات المتحدة ضمانا لاستقرار السلام العالمى من جهة ٠٠٠ ولطبيعة العلاقات بين الدول الاشتراكية ودول منطقة التحرير الوطنى التى لم تكن تسمح حتى هذا الوقت بقيام هذا النوع من الاتفاقيات) ٠

ولكن رفض عقد الاتفاقية لم يثبط همة عبد الناصر فى طلب المزيد من الأسلحة السوفييتية المتقدمة ومعها الخبراء والمستشارون ٠

ويقول ناتنج ان السوفييت قد رسموا حدود مساعداتهم فيما يقدمون من أسلحة أو مساعدات تموينية أو اتفاقيات اقتصادية ٠٠٠ لان كوسيجين قد صدم أثناء زيارته لجونسون بالشعور العميق المؤيد لاسرائيل فى أمريكا عامة ٠٠ وفى جهاز حكم جونسون خاصة ٠٠ الأمر الذى بعث الحذر والخوف فى نفسه من احتمال تعرض الاتحاد السوفييتى لمواجهة مع الولايات المتحدة اذا ما وافق الاتحاد السوفييتى على الارتباطات والاتفاقيات التى تطالب بها مصر ٠٠٠ ومع ذلك يقول ناتنج ان حذر كوسيجين لم يحل دون امداد مصر بما طلبته من أسلحة وخبراء ومستشارين ٠٠٠ جعلت دفاعات مصر تستكمل بعد خمسة أشهر من الهزيمة ٠

وقد كلف جمال عبد الناصر الزعيم الجزائرى هوارى بومدين بالسفر الى الاتحاد السوفييتى ، وكان قد أقام فى مصر بعد الهزيمة مدة تزيد عن أسبوعين ٠

سافر هوارى بومدين الى موسكو يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ مع الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف ، ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) انهما عندما قابلا بريجينيف قال لهما :

(أؤكد لكما انني أمضيت هنا في موسكو عدة ليال بلا نوم عندما كانت ترد الينا أخبار عن احتمال عبور اسرائيل للقناة ٠٠ وكان واضحا ان هذا ليس أمرا سهلا عليهم لمساعدتنا للعرب وللرأى العام العالمى ، ولكن كان متصورا احتمال قيامهم بهجوم خاطف نحو القاهرة ٠٠ وهو أمر يجلب العالم الى حافة الهاوية ٠

ويقول هيكل أيضا ان بريجنيف قد قدم للرئيسين بيانا بما أرسله الاتحاد السوفييتى الى مصر خلال أسبوعين وهو ما حملته ١٥ سفينة تبلغ حمولتها ٨٤ ألف طن من المعدات الحربية الى جانب ١٥٠٠ خبير ٠

وقد بقى الماريشال زخاروف فى مصر بعد حضوره مع بودجورنى وكان يخفى وجوده فى مصر بلبسه ملابس مدنية ، كما أن الرقابة كانت تمنع نشر الصور التى يظهر فيها ٠٠ وكان زخاروف صريحا فى قوله ان الجيش المصرى ليس محتاجا الى السلاح بقدر ما هو محتاج الى التدريب ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد استبقى زخاروف فى مصر حتى بداية شهر نوفمبر ٠٠ لم يسافر الى موسكو الا أياما قليلة لزيارة أسرته والتشاور مع الزعماء السوفييت ٠٠ وعندما أنهى مهمته التى كلف بها ذهب الى جمال عبد الناصر ومعه ثلاثة جنرالات من الخبراء والمستشارين السوفييت وقال له ان مصر تستطيع الآن أن تدافع عن نفسها ضد أى هجوم اسرائيلى مفاجىء ٠

ولم يقتصر موقف الاتحاد السوفييتى على امدادنا بالسلاح ٠٠ ولكنه اتخذ مع كافة الدول الاشتراكية عدا رومانيا موقفا مبدئيا بقطع العلاقات الديبلوماسية مع اسرائيل وتضامنت يوغسلافيا أيضا فى اتخاذ هذا القرار ٠

وكان عدد كبير من القادة المسئولين فى هذه الدول الاشتراكية قد توافدوا على مصر لتقديم المعونات والمساعدات الاقتصادية التى تخفف من أثر صدمة الهزيمة ٠

ومع ذلك فقد حاولت بعض العناصر الرجعية تخريب العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى فى هذه المرحلة الحرجة ، حتى تحرم مصر من أصدقائها الأوفياء ٠٠ وتسقط فريسة فى يد الصهيونية التوسعية وراعيتها الامبريالية الأمريكية ٠

أطلق البعض شائعات بأن سبب الهزيمة هو تخلى الاتحاد السوفييتى عن مساعدة مصر ، وذلك قفزا فوق كل الحقائق ، ومحاولة لايجاد مشجب تعلق عليه الكارثة ، فى محاولة استعمارية صهيونية لتجريد النظام من كل مقومات الدفاع عنه ٠

ونشرت جريدة الأخبار مقالين يحملان هذه الشبهة . وأذاعت لندن مضمون هذين المقالين فى مقدمة نشرة أخبارها بالعربية ٠٠ وكان منظرا

مثيرا للدهشة أن ترسل وزارة الداخلية بعض جنودها لحراسة السفارة السوفييتية فى الدقى فى الوقت الذى كانت فيه الطائرات السوفييتة تشكل جسرا جويا يحمل الأسلحة والذخيرة والمساعدات الطبية والتموينية ٠

ولكن سرعان ما مضت هذه المحاولة الاستعمارية أسرع مما تمضى سحابة الصيف ٠٠ وبدأت تتكشف الحقائق ٠٠ وفضحت خطة العناصر المعادية للثورة من فلول الاقطاع والبرجوازية الكبيرة ٠

وليس هناك رد على هذه المحاولات أبلغ من ذلك الذى قاله جمال عبد الناصر تعقيبا على ارتفاع ميزانية القوات المسلحة من ١٧٠ مليون جنيه الى ٥٥٠ مليون جنيه ٠

(ده طبعا خارج منه موضوع السلاح ، احنا مابندفعش السلاح اللى احنا بناخده ، ولكن جميع الأسلحة اللى بنستوردها من الاتحاد السوفييتى بناء على اتفاقات ، والدفع فيها مؤجل حتى بالنسبة للدفع اللى كان مقرر علينا للاتحاد السوفييتى طلبنا منهم تأجيله) ٠

قال لى أمين هويدى وزير الحربية السابق ان مصر طوال عهد جمال عبد الناصر لم تدفع ثمنا للسلاح الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفييتى، فخسائر عدوان ١٩٥٦ استعوضت بلا ثمن ، وأقساط السلاح بعد ذلك كانت تؤجل وتوجه للناحية الاقتصادية ٠٠ وخسائرنا الهائلة عام ١٩٦٧ لم يتقاض الاتحاد السوفييتى شيئا من ثمنها ، وبدأ فى امدادنا بالسلاح دون دفع تقديرا منه لظروفنا الاقتصادية بعد النكسة ٠

هكذا كان موقف السوفييت معنا ٠٠

قبل المعركة ٠٠ نصح بعدم التورط ٠٠

وبعد الهزيمة ٠٠ امداد بالسلاح والمعونات بلا تردد ٠٠ وقطع للعلاقات الديبلوماسية والاقتصادية مع اسرائيل ٠٠ ثم تأييد مطلق بلا حدود للحق العربى فى المجالات الدولية ٠

ومع ذلك فلا يمكن القول بأن هناك تطابقا وتشابها كاملا فى الموقف العربى والسوفييتى بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط ٠٠ فلا شك أن للاتحاد السوفييتى باعتباره احدى الدولتين العظميين حسابات خاصة تتعلق بالسلام العالمى وأثره على الحضارة والبشرية وضرورة تفادى المجابهة في حرب مع الولايات المتحدة ٠٠ كما أن موقفه الاستراتيجى الواضح منذ البداية لم يكن يستهدف تدمير اسرائيل أو ازالتها من الوجود ٠٠ وانما كان يقف مع حق العرب فى تحرير أرضهم ومساعدة شعب فلسطين وتأمين كافة دول المنطقة ٠

كما أن زعماء المنطقة لهم رؤية خاصة للمشكلة تدفعهم الى ضرورة حلها فى سرعة قد يكون فيها نوع من الاندفاع غير المحسوب ، والذى قد يكرر كارثة الهزيمة ٠

هذا الى جانب اختلاف النظم الاجتماعية ·· فالنظام فى مصر لم يكن شيوعيا ، بل ان بعض قوانينه تحرم الشيوعية وتنظيمات الشيوعيين ·· والشيوعيون أنفسهم كانوا فى المعتقلات لم يكتمل خروجهم منها الا قبل العدوان بثلاث سنوات فقط ، هى المدة الوحيدة التى خلت فيها السجون والمعتقلات من المعتنقين للمبادىء الشيوعية منذ قامت حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ·

ولذا فان نوعية العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة كانت تختلف عن نوعية العلاقة بين مصر والاتحاد السوفييتى ·

اسرائيل والولايات المتحدة تطبقان النظام الرأسمالى ، وحكومة اسرائيل تعتمد فى وجود الدولة وضمان مستقبلها على العلاقة الوثيقة التى تربط بينها وبين الدول الامبريالية والتى تدرجت من بريطانيا ، فرنسا حتى استقرت فى أحضان الولايات المتحدة التى تملك أكبر ترسانة حربية، والتى يتوفر فيها نفوذ سياسى صهيونى قادر على التأثير فى أجهزة الحكم المختلفة هناك ·

أما العلاقة بين مصر والاتحاد السوفييتى فانها تختلف من حيث طبيعتها ·· فالنظام المصرى يشق طريقه فى محاولة للخروج من قيود الاستعمار الجديد الى طريق غير رأسمالى يمكن أن يصل به مع الوقت الى نظام اشتراكى ·· والعلاقة التى تربطه مع الاتحاد السوفييتى هى علاقة التعاون المبدئية التى تربط بين شعوب الدول الاشتراكية وشعوب دول منطقة التحرر الوطنى فى نضالها من أجل التحرر والاستقلال الوطنى ·· فليس بين النظامين تشابه كامل فى النظرة الاجتماعية ، ولا تربطهما علاقة عضوية مثل العلاقة القائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة ·

كان موقف السوفييت هو السند الأول لجمال عبد الناصر فى التشبث برفض الهزيمة تعبيرا عن ارادة الشعب ·

أزمة المشير :

كان العمل يمضى جادا وسريعا فى اعادة بناء القوات المسلحة ·· تغيرت معظم القيادات العليا التى كانت السبب المباشر فى الهزيمة ·· وأظهر السوفييت تعاونا مذهلا فى سرعة الامداد بالأسلحة والمعدات مع تقديم الخبرة والمشورة ·

وأعطى جمال عبد الناصر لهذه العملية أسبقية أولى ، وجعل لها أفضلية على كل شىء ·· ولكن بعض المتاعب كانت تفرخ داخل صفوف القوات المسلحة ·

إبتعد عامر عن مركز القائد العام بعد ١٤ عاما الا ٩ أيام بالتحديد·· رقى من رتبة صاغ الى لواء وعين قائدا عاما للقوات المسلحة مع اعلان

النظام الجمهورى فى مصر يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ وخرج من مكتبه ليقدم استقالته يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ ٠

ولم يكن خروج المشير عامر من منصبه أمرا سهلا ، فقد أحاط نفسه خلال مدة قيادته بمجموعة من ضباط الرتب العليا الذين ارتبطوا به شخصيا واستفادوا من علاقتهم به ٠٠ هذا الى جانب اتجاهاته المعروفة يغدق على كل من يلجأ اليه ، ويساعد كل من يقدر على مساعدته من أموال الدولة ، حتى أصبح شخصية محبوبة بين الضباط ٠

ولذا كان ابتعاده عن منصبه يشكل صدمة عاطفية لعدد كبير من الضباط الذين لم يحسنوا فى لحظتها تقدير الأخطاء التى وقع فيها ، أو عمق المأساة التى دفع الوطن اليها ٠٠ اما لانهم كانوا مشاركين فيما حدث٠٠ واما لان رؤيتهم للأمور لم تكن ثاقبة ٠

وكان خروج شمس بدران من القوات المسلحة فى نفس اليوم مع المشير عامر يضيف مشكلة أخرى ، فقد كانت له سلطته الخاصة فى الجيش النابعة من مسئوليته عن الأمن ، وتعيينه لمعظم أبناء دفعته فى مراكز قيادية حساسة ٠

عندما سمع ضباط الرتب العليا خبر تنحى جمال عبد الناصر والمشير عامر طالبوا بعودة الاثنين ٠٠ وعندما سمعوا خبر عودة ناصر طالبوا بعودة المشير ٠

كان عبد الحكيم عامر قد خرج من القيادة العامة متوجها الى منزله فى ثكنات الحلمية الجديدة ، وسمع خطاب تنحى عبد الناصر فى سيارته٠٠ وتجمهر الضباط فى الطابق الأول بينما صعد المشير الى غرفة نومه يحيط به بعض أقاربه وأصدقائه المقربين مثل صلاح نصر وشمس بدران ٠

وكان منزل عبد الناصر أيضا قد امتلأت حديقته وطابقه الأول بعدد كبير من المسئولين والضباط ومنهم زكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى وغيرهم ٠

وقال زكريا محيى الدين لجمال عبد الناصر :

ـ أنت من حقك أن تتنحى ، ولكن ليس من حقك أن تعين رئيسا للجمهورية بدلا عنك ٠٠ وأنا لن أقبل هذا التعيين ٠

وصعد جمال عبد الناصر أيضا الى الطابق الثانى حيث اتصل به عبد الرحمن عارف وهوارى بومدين اللذان فوجئا بخبر التنحى ٠

وفى اليوم التالى ١٠ يونيو كان جمال عبد الناصر قد عاد رئيسا

للجمهورية وغادر المشير عامر منزله الرسمى فى ثكنات الحلمية ·· ولم يذهب الى منزله الآخر المطل على النيل فى شارع الطحاوية بالجيزة ، فقد كان كبار الضباط قد تدفقوا عليه يطلبون عودة عامر مع عبد الناصر ·

ذهب المشير عامر الى منزل فى شارع أحمد حشمت كان معدا لزواج ابنة أحد ضباط مخابرات القوات الجوية ، وذلك حتى يبتعد عن تجمعات الضباط واحراجهم له ·

ساد الهرج والمرج من الضباط فى منزل عبد الحكيم عامر فى الجيزة وكأنهم فى شبه مظاهرة ، ولم ينصرفوا الا بعد أن خرج لهم الفريق صدقى محمود الذى كلفه المشير وقال لهم ان المشير سيتوجه فى اليوم التالى الى مكتبه فى القيادة العامة للقوات المسلحة ·

وفى صباح اليوم التالى ١١ يونيو توجه عدد من كبار الضباط الى مبنى القيادة العامة مطالبين أيضا بعودة المشير طالما عاد الرئيس ·

وزاد الموقف حرجا عندما خرجت سرية حراسة المشير فى ثكنات الحلمية فى عرباتها بقيادة الرائد أحمد أبو نار ، وتحركت الى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة هاتفة (ناصر ·· عامر) ·

وعندما بلغ الأمر جمال عبد الناصر غضب كثيرا ، وكلف صلاح نصر مدير المخابرات بالتحقيق فى هذا الموضوع ·· وكلفه أيضا بأن يركز اهتماماته على الأمن الداخلى الى جانب المباحث العامة ·

ومع ذلك فقد حرص جمال عبد الناصر على ابلاغ عبد الحكيم عامر حيث كان يقيم فى شقة شارع أحمد حشمت بالزمالك نبأ تعيين محمد فوزى قائدا عاما ·· وبدا المشير مرتاحا لهذا التعيين لانه رفع عن كاهله مسئولية كان يريد التخلص منها ، ولو انه علق على ذلك – حسب رواية صلاح نصر – بقوله : (اختيار غير موفق) ·

قرر المشير أن يبتعد عن القاهرة بعد تعيين الفريق محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة ، فسافر مع شمس بدران الى قريته (اسطال) بمحافظة المنيا ، فى مساء ١١ يونيو ، وعندما علم جمال عبد الناصر بذلك طلب منه العودة حتى لا تحدث بلبلة فى صفوف الجيش ، واستجاب عامر لذلك وعاد الى القاهرة ·

وكانت هناك لجنة قد تشكلت لاعادة النظر فى موقف كبار الضباط برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية زكريا محيى الدين ومحمد فوزى القائد العام ومدكور أبو العز قائد القوات الجوية واللواء أبو ذكرى قائد القوات البحرية وصلاح نصر مدير المخابرات العامة ، وكاتم أسرار حربية ·

واستقر رأى هذه اللجنة على اخراج عدد من القادة وما أن علم المشير عامر بذلك حتى اعتبر القرارات نوعا من التصفية ، وقرر العودة مرة أخرى الى قريته (اسطال) ·

وبعد أيام عاد شمس بدران الى القاهرة ، واتصل بجمال عبد الناصر مدعيا أن المباحث العامة تراقبه وقال له غاضبا كما قال صلاح نصر (أنا لست خائنا حتى أعامل هذه المعاملة غير الكريمة ٠٠ اننى لو أردت أن أعمل انقلابا لعملته وأنا فى بيتى) ٠

غضب جمال عبد الناصر من هذه المحادثة التى تحمل روح التحدى فى وقت لم تكن فيه تنظيمات الجيش قد استقرت على أسس جديدة سليمة، وكلف صلاح نصر بتهدئة شمس بدران تفاديا لما يمكن أن يسفر عنه الموقف فى هذا الوقت الحرج ٠

وعاد المشير أيضا الى القاهرة ، وتلمس جمال عبد الناصر خطرا فى هذا التجمع ، وخاصة أن مجموعة من الضباط العاملين أو الذين أحيلوا للتقاعد بدأوا يترددون على منزل المشير ٠

وكلف جمال عبد الناصر صلاح نصر بأن يعرض على المشير اما أن يكون نائبا أول لرئيس الجمهورية ، واما أن يغادر القاهرة الى قريته ويبقى بها فى هذه الظروف ٠

رفض عامر العرض قائلا انه لا يود أن يكون تشريفاتى برئاسة الجمهورية ٠٠ وأنه لا يقبل أن يكون فى هذا المنصب بينما تتم تصفية الضباط الذين عملوا معه ، ووثق بهم ووثقوا به ٠٠ وفضل العودة الى قريته ٠

كانت الأحوال قد توترت بين صديقى العمر ورفيقى الكفاح ٠٠ ومع ذلك ظل جمال عبد الناصر حريصا على هذه العلاقة بعرضه منصب نائب رئيس الجمهورية على القائد الذى خسر المعركة بطريقة مهينة ٠٠ وكان هذا دليلا على عدم الاطمئنان النسبى الى الموقف فى القوات المسلحة ٠

كان مفروضا أن يحاسب عبد الحكيم عامر على الموقف العسكرى عام ١٩٥٦ ولكنه لم يحاسب ٠٠ ولم يوافق على خروج بعض معاونيه مثل الفريق صدقى محمود الذى دمرت قواته الجوية على الأرض ٠

وكان مفروضا أن يحاسب على موقفه فى سوريا الذى أدى الى مأساة الانفصال التى قادها بعض أعضاء مكتبه أثناء وجوده فى دمشق ٠٠ ولكنه لم يحاسب ٠

وكان مفروضا أن تقبل استقالته أثناء أزمة مجلس الرئاسة عام ١٩٦٢ عندما قدم عبد الناصر مشروعا بتحديد اختصاصاته ٠٠ ولكن الاستقالة لم تقبل وظل المشير محتفظا بكل صلاحياته بل وزادت مسئولياته مع الوقت ٠

وليس هناك من سبب يعتبر تبريرا لهذا الموقف من جانب جمال عبد الناصر الا حرصه على علاقة الصداقة الوثيقة مع عامر ٠٠ وثقته فى أن وجوده فى قيادة القوات المسلحة يضمن عدم حدوث تحركات مضادة

داخل الجيش لحب الضباط للمشير ، ولاعتقاده بأن المشير لا يمكن أن يفكر في الانقضاض عليه ٠

ولكن احتمال حدوث حركة مضادة من جانب ضباط الرتب العليا المرتبطين بالمشير لم يغب أبدا عن ذهن جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد توتر الموقف بينه وبين عامر وبدران ٠

ولذا عرض على المشير منصب نائب أول رئيس الجمهورية ، وكرر العرض بوساطة صلاح نصر الذى سافر الى المنيا فى طائرة حربية خاصة ، وقابل عامر في قريته اسطال ٠٠ ولكن المشير رفض فى المرتين ٠٠ ورفض عرضا آخر بالسفر الى يوغوسلافيا ٠

وبدأت العلاقة بين الصديقين تدخل مرحلة الأزمة الشديدة عندما عاد عبد الحكيم عامر الى منزله في الجيزة ، وتكالب عليه الضباط الذين أحيلوا الى التقاعد ، وأقام بعضهم عنده اقامة شبه دائمة ٠

وتصادف أن كانت هناك عربة للمخابرات تراقب جاسوسا أجنبيا يسكن قريبا من منزل المشير ، ولمحها بعض الضباط المقيمين عنده فاعتقلوا طاقمها وأدخلوه الى المنزل ، واتصل عامر بصلاح نصر غاضبا متسائلا ، وقد قال لى صلاح نصر ان هذه كانت حساسية مفرطة من عامر فى هذه الظروف ، وأنه توجه اليه فورا مع رئيس هيئة الأمن القومى لتوضيح الحقيقة له ، وقال أيضا انه لو طلب منه مراقبة المشير فى ذلك الوقت لقدم استقالته ٠

ولم يركن عبد الحكيم عامر فى منزله الى الهدوء ، ولكنه بدأ نشاطا مثيرا ، اذ طبع استقالته التى كتبها عام ١٩٦٢ وطالب فيها بتكوين حزبين وحرية ليبرالية وبدأ توزيعها على نطاق واسع فأرسلها الى أعضاء مجلس الأمة ورؤساء المؤسسات والصحف ٠

كما اتصل عامر بالسفير السوفييتى وألقى تبعة الهزيمة على الاتحاد السوفييتى ، وكان ينوى طبع خطاب له يوزعه فى الخارج ، ولكن بعض أصدقائه نصحوه بالعدول عن ذلك فى اللحظة الأخيرة ، لما يمكن أن يثيره هذا الخطاب من متاعب فى وقت يعيد فيه السوفييت بناء القوات المسلحة ٠

كان الضباط المحيطون بعامر يشعلون صدره بالغضب ، ويثيرون الفتنة بينه وبين عبد الناصر ويجسمون له الصغائر ٠

ويبدو أن عبد الحكيم عامر كان قد تأثر بهم الى حد بعيد ٠٠ فلم تنجح محاولات التوفيق التى قام بها جمال سالم ومحمد حسنين هيكل وصلاح نصر وغيرهم ٠

وحدث أن أصدر قائد المخابرات الحربية اللواء محمد أحمد صادق قرارا باعتقال الصاغ جلال هريدى قائد قوات الصاعقة ، الذى كان يقيم

منذ النكسة فى منزل المشير بصفة دائمة ٠٠ ونصبوا له كمينا بالقرب من منزل المشير ، وعندما حاولوا اعتقاله خارج المنزل صرخ مستنجدا بزملائه فى الداخل فهرعوا اليه ومعهم المشير يحملون أسلحة وقنابل يدوية ٠٠ ولكن عربة المخابرات أسرعت بالفرار تلاحقها طلقات الرصاص ٠

أصبح الموقف غريبا وشاذا ٠٠ منزل المشير يتحول الى حصن مستقل داخل القاهرة ، لا يجرؤ أحد على اقتحامه ولا تطبق عليه قوانين الدولة ٠

وعندما صدرت الأوامر بسحب الحرس الخاص للمشير ، أسرع باحضار حرس مدنى خاص من قريته ٠٠ ولكن الأمور سويت وعاد اليه حرسه الرسمى ٠

كانت محاولات التخريب بين الرجلين مستمرة ، ولم يكن أحد منهما يفكر فى لقاء الآخر لتسوية الخلاف ٠

وظل الحال كذلك الى أن أصيب صلاح نصر يوم ٣ يوليو بذبحة صدرية ألزمته الفراش بمكتبه لمدة ستة أسابيع ، كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يسألان عليه خلالها ٠٠ وفى احدى هذه المرات ذهب عامر وعباس رضوان الى منزل عبد الناصر حيث تناولا معه طعام العشاء ، وبدا كما لو أن الأمور قد تحسنت ٠

ولكن عملية اعادة بناء القوات المسلحة كانت تتم وسط موجة نقد شعبية للضباط الذين ألقيت عليهم تبعة الهزيمة ، والذين أحاطت بهم النكات وكلمات النقد ٠٠ وقد ترك ذلك أثرا فى نفس المشير عامر الذى اعتبر نفسه راعيا للقوات المسلحة ٠٠ كما أنه كان من الضرورى مساءلة الذين تسببوا فى الهزيمة ٠٠

وكانت البداية قرارا باعتقال ومحاكمة كبار ضباط القوات الجوية ٠٠ الفريق صدقى محمود والفريق جمال عفيفى واللواء اسماعيل لبيب بتهمة الاهمال الجسيم ٠

واعتبر عامر هذا القرار طعنة له ومقدمة لتصفية بقية أعوانه ٠

وتأزمت الأمور الى الحد الأقصى ٠٠ ولم يعد أمام جمال عبد الناصر من خيار ٠٠ الا الخضوع لهذا (الجيب العسكرى) السابق الذى يحاول فرض ارادته من خارج السلطة ٠٠ أو مواجهة صديق عمره بالحقيقة ، واتخاذ موقف بعيد عن العاطفة ٠

وخلال ذلك كانت قد وصلت الى اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية معلومات عن نشاط تآمرى تقوم به المجموعة المحيطة بالمشير ٠٠ ورفع صادق المعلومات ــ كما قال لى ــ الى عبد الناصر وهو فى حرج شديد ٠

ولم يعد هناك من سبيل الا اتخاذ موقف وصدور قرار ٠

واستدعى جمال عبد الناصر عبد الحكيم عامر الى منزله يوم ٢٥ أغسطس لمواجهة زملائه المتبقين فى السلطة من أعضاء مجلس قيادة الثورة ٠٠ زكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى ٠٠ وعقدت جلسة امتدت عدة ساعات تصارح الاثنان فيها بكل ما فى الصدور ٠٠ وكانت كما أرادها جمال عبد الناصر (محاكمة سياسية) ٠

ولكن عبد الناصر كان قد اتخذ قراره قبل الجلسة بتحديد اقامة المشير فى منزله بالجيزة واعتقال الضباط المقيمين هناك ٠٠ ولم يكن عند المشير شبهة شك فى السبب الذى من أجله استدعاه عبد الناصر ٠٠ بل انه كان يتوقع حلا للمشاكل ، فقد صارح صلاح نصر الذى صرح له الأطباء بمغادرة الفراش بمكتبه يوم ٢٣ أغسطس بعد نوم استمر ٦ أسابيع ٠٠ صارحه بأن هناك احتمالا بأن يذهب الى مؤتمر الخرطوم مع جمال عبد الناصر يوم ٢٨ أغسطس ٠

ولكنه ما أن دخل المشير عامر منزل جمال عبد الناصر حتى اعتقل سكرتيره العسكرى محمد طنطاوى ، وتوجهت قوات الى منزله بقيادة الفريق محمد فوزى واللواء سليمان مظهر فاعتقلت المقيمين فيه وفى مقدمتهم شمس بدران ، وهم الذين كانوا ينتظرون عودة المشير ومعه أخبار سارة بالصلح والوفاق ، وقد أسهم عباس رضوان فى اقناعهم بالتسليم بهدوء بعد محادثة له مع عبد الناصر ٠

أما فى بيت عبد الناصر بعد أن انتهت الجلسة وأعلن عبد الناصر قراره بتحديد اقامة عامر ، صعد الى الدور العلوى وذهب عامر الى الحمام حيث خرج صائحا وهو يلقى بكوب ماء من يده بأنه قد انتحر ٠

وقال لى أمين هويدى انهم أسرعوا الى عبد الناصر لابلاغه كلمات المشير، ولكنه لم ينزل معهم وقال انه أجبن من أن يفعل ذلك ٠

قال لى الفريق محمد فوزى انهم قد استولوا من منزل المشير على حمولة ثلاث عربات لورى أسلحة وانهم أخرجوا منه سريتين من جنود الجيش كانتا مكلفتين بحراسته وانتقلتا معه من الحلمية ٠٠ وأخرجوا أيضا ٣٠٠ من أبناء بلدة المشير ٠

ويقول أيضا ان المشير لم يغادر منزل عبد الناصر الا بعد أن اتصل الفريق أول محمد فوزى بسامى شرف وأبلغه أن كل شىء قد انتهى وأن القوات المسلحة قد سيطرت على المنزل ، وكانت الساعة الرابعة صباحا تقريبا ٠

وخرج عبد الحكيم عامر معتقلا الى منزله وأوصله الى هناك زكريا محيى الدين وحسين الشافعى ، أما أنور السادات الذى بقى حزينا وصامتا طوال جلسة المحاكمة السياسية فانه لم يذهب معهم فى العربة ٠

دخل عامر معتقلا الى منزله الذى أصبح خاليا الا من أسرته ،

ولا تربطه بالعالم الخارجى أية صلة فقد قطعت عنه حرارة التليفون وأحيط منزله بحرس جديد ، وأعلنت بعد ذلك استقالة صلاح نصر مدير المخابرات يوم ٢٧ أغسطس ٠

وبذلك انتهت صفحة فى حياة القوات المسلحة٠٠أصبح يتولى قيادتها العامة ضباط جدد لم يكونوا من الضباط الأحرار أصلا فقد ذهبت المجموعة القليلة التى بقيت منهم حول المشير الى السجن انتظارا للمحاكمة ٠٠ لم يعد هناك أحد من ضباط ثورة يوليو فى قيادة القوات المسلحة الا القائد الأعلى جمال عبد الناصر والفريق محمد فوزى القائد العام ٠

ورغم قسوة القرار على نفس عبد الناصر الا أنه وجد نفسه مجبرا على اصداره أمام المعلومات التى توفرت لديه من احتمالات عمل طائش تقوم به مجموعة المشير ٠

وأسفرت التحقيقات عن اعتقال عـدد من كبار المسئولين الى جانب شمس بدران ، فاعتقل بعد ذلك بأيام عباس رضوان وصلاح نصر يوم ١٣ سبتمبر وعدد من كبار ضباط القوات المسلحة المحالين الى التقاعد ٠

وكان الموقف فى نفس الوقت شديد القسوة على نفسية المشير عامر وهو الذى احتفظ بالولاء كاملا لجمال عبد الناصر خلال مدة قيادته للجيش والتى امتدت ١٤ عاما ، ولم يفكر لحظة واحدة فى القيام بانقلاب عسكرى مطلقا ، واكتفى بنشر سـلطاته فى الأجهزة الادارية والتنفيذية ٠٠ وهو الآن قد أصبح مجردا من كل شىء السلطة والأصدقاء ٠٠ يواجه مستقبلا غامضـــا ٠

ولم يتحمل المشير عامر هذا الموقف الذى لم يهيىء نفسه له مطلقا ٠٠٠ فقبل أيام كان يرفض منصب نائب رئيس الجمهورية ، ويرفض السفر معززا مكرما الى يوغسـلافيا ٠٠٠ وهو الآن محـدد الاقامة فى منزله ، وأصدقاؤه فى السجن ٠

وقرر المشير عامر الهروب من هذا الموقف بالانتحار ٠

قال لى الفريق محمد سعيد الماحى الذى أصبح كبيرا للياوران بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ انه كان قائدا لحرس منزل المشير ، وأنه كان يحاول ما وسعه الجهد أن يقدم له كل الاحترام ٠٠ ولكن المشير قرر الانتحار عندما علم بأنه سوف ينقل من منزله الى منزل آخر بالهرم ٠

وأسرع الماحى يبلغ الفريق عبـد المنعم رياض وأسرع الاثنـان فى محاولة لاخراج السم الذى ابتلعه المشير ، ثم حملاه الى مستشفى القوات المسلحة حيث أجريت له عملية غسل معدة نقل بعدها الى المنزل الجديد الذى تقرر تحديد اقامته فيه بالمريوطية ٠

ومرة أخرى لم يستطع المشير أن يتحمل الموقف فى صبر ٠٠٠ فقرر

الانتحار مرة أخرى ، ونجح فى هذه المرة مساء ١٣ سبتمبر ١٩٦٧ بعد مائة يوم من العدوان .

وانتهت حياة الانسان الذى ملك قلوب الضباط حبـــا له ، والذى عاش حياة لا تتناسب كثيرا مع ضراوة المعارك التى كانت تدور فى اليمن ، أو فوق أرض سيناء .

كان عبد الحكيم عامر أول قائد مصرى فى التاريخ الحديث ينتحر بعد الهزيمة ... ولكنه لم ينتحر نتيجة لمهانة الهزيمة وقســوتها ... ولا أسفا وندما على دماء ٢٠٫٠٠٠ فقدوا حياتهم فوق رمال سيناء بعـد عذاب بدنى شديد .. ولا خجلا من عـار سوف يلاحق قدراته القيـادية الى آخر التاريخ .

لم ينتحر كقائد عسكرى مهزوم ... وانما انتحر بعد أن سلبت منه السلطة وضاعت منه الحرية ، وواجه الموقف وحده بعيـدا عن الأضـواء ونفاق الأصدقاء .

ولم تؤثر أزمة المشير فى اتجاه رفض الهزيمة ... فقد كانت سدا لا يعوق التقدم ... وكانت محاكمة زملائه لتصفية آثاره .

ولم يكن خروج عضو سابق لمجلس الثورة من جهاز السلطة يمثل أكثر من سقوط بعض الفروع من شجرة ثابتة ... كان جهاز الحكم قبل الهزيمة متماسكا ومستقرا رغم ما كان يواجهه من أزمات اقتصـــادية وسياسية .

ولم تكن استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم تمثل أكثر من موقف احتجاج فردى لا يجد له صدى عميقا بين الجماهير لأنه يواجه اعلاما مركزيا موجها ... ولم تتجاوز حدود التأييد لبعضهم أكثر من همسات لا تعلو الى موقف صريح ... واختار كل منهم طريقه الجديد فى الحياة بلا ضغط ولا عنت ... ولم تصل العلاقات بينهم وبين جمال عبد الناصر الى حد القطيعة النهائية ... فقد تواجدوا فى القيادة العامة فى أيام القتال رغم ابتعادهم النهائى عن السلطة ... وقام كل منهم بالتعبير المكتوب عن رأيه فى خطاب أو مذكرة رفعها الى جمال عبد الناصر .

ولم يصحب خروج أى فرد منهم ، ولا من سبقهم فى الاستقالة اتخاذ موقف معاد لهم اذا استثنينا سجن يوسف صديق وتحديد اقامته فى عام ١٩٥٤ ... فلم يخرج أحد منهم مصحوبا بتهمة التآمر أو العمل ضـد النظام ... ولم يكن أحد منهم يعمل فى منصب عسكرى حتى يمثل خطرا يستحق المطاردة .

ولذا كان تحديد اقامة المشير عبد الحكيم عامر هو أول عمل عنيف

يتخذ ضد عضو سابق فى مجلس الثورة ، اذا استثنينا أيضا فترة تحديد اقامة كمال الدين حسين لمدة أسابيع عام ١٩٦٥ فى فيلا بالهرم ٠

كانت أزمة المشير عامر هى أعنف أزمة تعرضت لها الثورة منذ أزمة مارس ١٩٥٤ ، وكانت قاسية على نفس جمال عبد الناصر قسوة الهزيمة نفسها ، فقد حدث الصدام الصريح بينه وبين أقرب رجال الثورة اليه ٠ فى وقت كان كل شىء فيه فى شبه ضياع ٠

كانت حركة الاعتقالات التى شملت المشير ووزير الحربية ووزير الداخلية السابق ومدير المخابرات وعددا من كبار ضباط القوات المسلحة ذات تأثير كبير فى المجتمع ، فقد حدث شرخ عميق فى جدار النظام كشف عن وجود أخطاء وانحرافات ، اندفع النـاس الى مهاجمتها ونقدها ٠٠٠ وكانت المحاكمات أمام المحكمة الخاصة التى شكلت برئاسة حسين الشافعى فى يناير ١٩٦٨ مجالا لاثارة كثير من القضايا ٠

كانت الفكرة الأساسية لمحاولة المشيـر عامر الانقلابية تقوم على أساس ظهور المشير عامر فى مدرسة الصاعقة ليلة ٢٧ أغسطس أى بعد يوم واحد فقط من تحديد اقامة المشير واعتقال الضباط المتعاونين معه ، ثم تحركه من مدرسـة الصاعقة الى مركز قيـادة القصاصين فى حراسة قوة مدرسة الصاعقة « ٤٠٠ فرد » ٠

كان المدبرون للعملية قد قرروا اشاعة أن عبد الناصر قد أعاد عامر للقوات المسلحة ، وبذا يسهل على المشير السيطرة على مركز القيادة الشرقية وتولى قيادة الجبهة العاملة تحت أوامرها ، وهى فى ذلك الوقت كانت تعتبر القوة الأساسية للجيش ٠

ومن هناك كان مفروضا أن يبدأ التفاوض بين عامر وعبد الناصر على أساس اعادة المشير قائدا أعلى للقوات المسلحة والافراج عن الذين استدعت ظروف الهزيمة التحقيق معهم ٠

أسهم فى اعداد الخطة حسب ما أظهره التحقيق شمس بدران وعباس رضوان ثم الضباط جلال هريدى قائد الصاعقة السابق ووكيله مقدم أحمد عبد الله واللواء عثمان نصار الذى ترك فرقته أثناء عمليات سيناء وعاد الى القاهرة حيث بقى فى حماية المشير ثم المقدم حسين مختار من قوات الصاعقة والعقيد طيار محمد تحسين زكى ٠

ولم يكن هذا التدبير موجها للاطاحة بعبد الناصر ولكنه كان موجها للضغط عليه للرضوخ ، أو تحرك المشير الى القاهرة على رأس قوة مدرعة للقيام بعملية انقلاب كاملة ٠

والغريب أن عامر قد أعطى لهذه العملية اسما كوديا هو (نصر) نفس الاسم الذى أطلقه الضباط الأحرار على حركتهم ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢٠

وقد كشفت هذه العملية عن رغبة بعض الضباط فى الوصول الى

السلطة فوق مأساة الشعب ، ودون تقدير سليم لجسامة الهزيمة وبشاعة الموقف .

كذلك أظهر التحقيق عدة حقائق مثيرة :

تبين مثلا أن عباس رضوان كان قد أخفى فى بلدته الحرانية بالهرم حقيبة مليئة بالنقود ... وهو حادث قد يبدو بسيطا ولكنه فى مضمونه كبير اذ يكشف اعتداء بعض رجال الثورة على أموال الدولة واستباحتهم لها ، ويكشف أيضا اتساع هذه الظاهرة بعد أن كانت خافية على الناس نتيجة للقيود التى كان يفرضها النظام على وسائل النشر ، والخوف الذى كان يبذره بالنفوس من الخوض بالحديث فى مثل هذه الأمور .

وتبين كذلك حقيقة الدور الذى لعبته احدى الممثلات (برلنتى عبد الحميد) فى حياة المشير حتى أصبحت زوجته وأما لابنه ، وهى التى كانت على علاقة سابقة بجهاز المخابرات ، الأمر الذى جعل حسين الشافعى يقول لى ان دورها كانت تحيط به علامات استفهام خطيرة تمتد الى خارج الحدود .

وتبين أيضا بشاعة الوجه القذر لادارة المخابرات ، وهو وجه قد يكون طبيعيا فى كافة أجهزة المخابرات فى العالم ، ولكن الجديد أن النظام نفسه هو الذى كشف عن هذا الجانب البشع ، وأعلن عن سقوط ما أسماه (دولة المخابرات) الأمر الذى أثار حفيظة بعض الناس ضد فترة من فترات النظام .

ولو أن هذه المحاكمة لم تسقط ، أساليب دولة المخابرات عمليا ، فقد تعرض بعض الضباط المعتقلين لأنواع من الضغط والتعذيب هى فى مضمونها امتداد لأسلوب بعض أجهزة الأمن .

وتبين أخيرا نوعا من أنواع الاستهتار الفظيع خلال فترة القتال ، وهروب بعض كبار القادة المرتبطين شخصيا بالمشير والذين تلقوا التعليمات منه شخصيا .

حفلت هذه المحاكمات بصور متعددة الجوانب لأخطاء وانحرافات كانت كامنة فى النظام ... يصعب القول بأن جمال عبد الناصر كان على جهل بها ، ولكنه كان يصمت عليها ، ربما لاعتباره بأنها فرز طبيعى لأى نظام ، أو لأنها تضع المخطئين تحت قبضته فيصبحون أكثر طواعية .

وقد أبرزت هذه المحاكمات جانبا سياسيا هاما ، اذ أظهرت أن بعض هؤلاء القادة المنهزمين قد تصوروا أن الحكومة الأمريكية يمكن أن تلقى اليهم عجلة الانقاذ التى تنقذ حياتهم وشرفهم ، وتحول هزيمتهم الى نصر .. وانهم يمكن أن يجدوا بعد الهزيمة مبررا ينهى العلاقة مع الاتحاد السوفييتى الذى أصبح عندهم مشجبا تعلق عليه خطيئتهم .

وكان المشير عبد الحكيم عامر قد استقبل السفير السوفييتى فى القيادة العامة للقوات المسلحة قبل استقالته من مناصبه العسكرية والمدنية ولم أتعرف على ما دار فى هذه المقابلة الا أن الفريق الحديدى يتصور فى كتابه (شاهد على عدوان ٦٧) أنه كان فيها نوع من العتاب ٠

وقد صرح شمس بدران خلال محاكمته السرية بأنهم قد فكروا فى حل المشكلة عن طريق الالتجاء الى أمريكا ٠

ويمكن القول بأنه قد تجمع حول المشير عامر فى هذه الفترة بعض الذين لم تصل عندهم الطهارة الوطنية الى حد التفرقة بين الأطماع الشخصية والكارثة القومية ٠٠٠ الذين حاولوا استعادة السلطة عن طريق التآمر بالقوة دون اعتبار للضحايا (عشرين ألفا) الذين سقطوا نتيجة أسلوبهم المستهتر فى القيادة ٠

ويمكن القول أيضا بأن الثورة قد فصدت بعض دمها الفاسد ، الذى تسبب فى الهزيمة ولم يجد مع ذلك فيها رادعا يبعده عن السلطة ، أو حقيقة تجسم له خطر الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية ٠

كتبت فى روزاليوسف خلال هذه الفترة قائلا :

(الثورة التى لا تحاكم أبناءها ولا تكشف صراحة عن اخطائها ، تكتب كلمة (النهاية) فى مصيرها ٠٠٠ ولكن الثورة التى تتحمل فى شجاعة مسئولة كشف انحرافات وأخطاء أبنائها انما تكتب كلمة (البداية) فى انطلاقة جديدة تؤكد استمرارها ٠

كانت أزمة المشير ومحاكمة الضباط رفضا للهزيمة ٠٠٠ ورفضا للدعوة التى ثارت بين المتسببين الرئيسيين فى الهزيمة من محاولة للارتداد نحو أمريكا فيما يشبه الاستسلام وقبول الأمر الواقع ٠

اطاحت محاكمة مجموعة المشير باحتمال نجاح محاولة انقلاب عسكرى ، وبوضع نهاية لاتجاه استسلامى كان يثور فى صدور المجموعة المنهزمة ٠

وكانت المحاكمة ادانة لهذا الاتجاه الاستسلامى الذى أوقع مصر فى الهزيمة ، وفكر فى الخلاص منها عن طريق انقلاب يمهد الطريق لعودة النفوذ الأمريكى للمنطقة ٠

وكانت فى مضمونها اصرارا على رفض الهزيمة واستمرار النضال ٠

مؤتمر الخرطوم :

لم يكن رفض الهزيمة مصريا فقط ٠٠ ولكنه كان عربيا ٠

كانت الهزيمة عارا لحق بالعرب جميعـا دون استثناء ٠٠ ولكن ردود الفعل وتأثير الصدمة كان متباينا بين دولة واخرى ٠٠ ولا شـك أن جمال عبد الناصر كان أكثر الزعماء تأثرا بما حدث ، وأكثر الجميع شـعورا بالمسئولية في مواجهة المستقبل ٠

ورغم الجدية التي واجه بها النظام المصرى الموقف ، وبدء عملية اعادة بناء القوات المسلحة ، فان الأمور كانت قد تشابكت بحيث لم يعد من الممكن أن يكون هناك حل مصرى أو حل سورى أو حل أردنى للمشكلة ٠

لم يعد هناك من سبيل سوى (حل عربى) للمشكلة ٠٠ واجتمع وزراء الخارجية العرب فى الكويت يوم ١٧ يونيو ولكن اجتماعهم انفض بلا قرارات ليلحقوا اجتماع الأمم المتحدة ٠

وكان بومدين قد أمضى فى القاهرة بعد الهزيمة عدة أيام سافر قبلها الى موسكو حيث قابل الزعماء السوفييت وشعر أنهم مجروحون من هزيمة العرب حيث سلمت معظم أسلحتهم الى اسرائيل بلا قتال ، وسقط حلفاؤهم فى حفرة الهزيمة بلا مقاومة ٠

وفى يوم ١٢ يوليو اجتمع فى القاهرة هوارى بومدين وعبد الرحمن عارف واسماعيل الأزهرى ثم انضم اليهم نور الدين الاتاسى فى اليـوم التالى وأرسل محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان الذى كان يشارك فى اجتماعات الأمم المتحدة التى تحاول الوصول الى قرار ٠٠ أرسل برقية يطلب فيها امتداد مؤتمر القمة المحدود لحين عودته ٠

وصل محجوب الى القاهرة يوم ١٦ يوليو وعرض على الزعماء العرب فكرته في ضرورة عقد مؤتمر قمة عربى حيث يمكن للدول العربية أن تحشد جهـودها وامكاناتها السياسية والعسكرية والاقتصادية فى عمل موحـد مشترك ٠

ورغبة من الزعماء العرب في معرفة مدى ما يمكن أن يقدمه السوفييت تقرر ارسال هوارى بومدين وعبد الرحمن عارف الى موسكو وسافر الاثنان بغرض شرح الموقف العربى للزعمـاء السوفييت وتقـديم الشكر لهم على مساعداتهم ثم معرفة المدى الذى يمكن للسوفييت والدول الاشتراكية تقديمه للنضال العربى من مساعدات فى التسليح والخبراء والمتطوعين ٠

سافر بومدين وعارف يوم ١٧ يوليو وعادا فى مساء اليوم التالى ، ويقول محمد أحمد محجوب فى كتابه (محاكمة الديمقراطية) ان بومدين قدم لهم تقريرا ملخصه ان المؤتمر الثانى لزعماء الدول الاشتراكية الذى عقد فى بودابست قد اتخذ قرارا بتأييد مبدأ الحل السلمى للصراع ٠ والعمل من أجل التعايش السلمى بين الدول والسلام العالمى ٠

ولذا كان الاتحاد السوفييتي حريصا على صدور قرار من الأمم المتحدة في دورتها الطارئة ٠

كما كرر الاتحاد السوفييتي للرئيس بومدين وعده بامداد الدول العربية بالأسلحة تعويضا عن خسائرها ٠٠ ويقول محجوب ان زيارة الاتحاد السوفييتي قد تركت عند الرئيسين العربيين انطباعا بأن للسوفييت تحفظات على امكانية العمل العسكرى ، ولو ان هذا الموضوع لم تكن له عندهم أهمية عاجلة لأنهم كانوا يعتقدون انه لا يمكن استئناف القتال قبل سنتين أو ثلاث سنوات ٠

ويقول محمد أحمد محجوب ان هذه الزيارة قد أكدت التصور بأن الحل العسكرى فى الوقت الحاضر كان بعيدا عن الموضوع وان الحل الديبلوماسى كان مستحيلا فى حدود مادار فى الأمم المتحدة ، وأنه لم يتبق من طريق مفتوح الا الحل السلمى الذى قد يقود فى النهاية الى صدام عسكرى أو سلام عادل ٠

وأثمر مؤتمر القمة المحدود قرارا بالدعوة لمؤتمر قمة عربى ، ويقول ناتنج ان الملك حسين أيضا كان قد بادر بالدعوة لهذا المؤتمر ٠

وقع الاختيار على الخرطوم لتكون مقرا لانعقاد مؤتمر القمة لأنها كانت مقبولة من قادة جميع الانظمة العربية ٠٠ وقد اجتمع فيها وزراء الخارجية فى أول أغسطس وصدرت عنهم توصيات تطالب بتنقية الجو العربى ، ووضع مسئولية العدوان وتحرير الأرض على عاتق كل العرب ، مع اعتبار المشكلة الفلسطينية قضية رئيسية ودعوة وزراء البترول والمالية العرب للاجتماع فى بغداد يوم ١٥ أغسطس ، وعدم ضخ البترول لأمريكا وانجلترا فى حدود قرارات مؤتمر البترول العربى ، والعمل على تصفية كافة القواعد الأجنبية فى الدول العربية بأسرع وقت ممكن ٠

وقد اجتمع وزراء المالية والاقتصاد والبترول العرب من ١٣ دولة ومشيخة ضمت قطر والبحرين وأبو ظبى وقدموا قائمة من الأسلحة الاقتصادية التى يمكن استخدامها فى حدود استراتيجية عربية شاملة ٠

وكان الرأى العام العربى فى ذلك الوقت قد اجتاحته موجة المطالبة بوقف ضخ البترول للدول الامبريالية ٠

وقد اتخذ الوزراء العرب فى مؤتمرهم ببغداد توصيات تقضى بوقف الضخ مع مراعاة الأحوال والظروف الاقتصادية لدول البترول ٠ وتقدير ردود الفعل السياسية والاقتصادية التى قد تنجم عن ذلك فى العالم كله ٠٠ وكان هذا دليلا على الحذر وعدم الاتفاق الكامل ٠

وأصدر المؤتمر توصيات أخرى بسحب الأرصدة العربية من منطقة الدولار والاسترلينى ، وتخفيض الاستثمارات العربية فى هاتين المنطقتين حتى لا تتسرب الأموال العربية الى هذه الاسواق ٠٠ ونقل احتياطى الذهب العربى من انجلترا وأمريكا الى بلاد أخرى ٠ وتوجيه الاستثمارات الحكومية العربية الى الاسواق العربية ما امكن ٠٠ وتكوين احتياطى نقدى مركزى من العملة الصعبة للدول العربية ٠

درست هذه التوصيات بوساطة وزراء الخارجية العرب فى الخرطوم يوم ٢٦ أغسطس ، ورفعت الى الملوك والرؤساء الذين اجتمعوا يوم ٢٩ أغسطس ٠

سافر جمال عبد الناصر الى الخرطوم بعد ان كان قد حدد اقامة المشير عبد الحكيم عامر ووضع الضباط المتآمرين فى السجون للتحقيق ٠

وكانت هذه هى المرة الأولى التى يلتقى فيها عبد الناصر خارج مصر مع جماهير الأمة العربية ، وهو يحمل على كتفيه مسئولية الهزيمة والتحرير معا ٠٠ كما انها كانت المرة الأولى التى يلتقى فيها مع الملك فيصل وهو جريح بعد الهزيمة ٠

كان موقفا صعبا أمام عبد الناصر ٠٠ وكان مؤتمر القمة يواجه أخطر مشاكل تعرضت لها الأمة العربية ٠

ولكن استقبال جمال عبد الناصر كان مظهرا رائعا من مظاهر الوفاء والتقدير السياسى السليم عند شعب السودان ، فقد احتشدت له الجماهير من المطار الى فندق السودان حيث نزل الرؤساء والملوك ٠٠ ولعب الحزب الشيوعى السودانى وقائده الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب دورا رئيسيا فى هذا الاستقبال الرائع ٠

قال لى الشهيد عبد الخالق محجوب ، وكنت قد ذهبت الى الخرطوم لحضور المؤتمر عندما كنت رئيسا لتحرير روزاليوسف ٠٠ قال ان الحزب الشيوعى قد قرر ان يكون استقبال عبد الناصر ، استفتاء ثانيا على بقائه فى موقعه قائدا من ابرز قادة التحرير الوطنى ، وان بعض كادر الحزب كان مسلحا ومستعدا لحمايته من أية مؤامرات ٠

عندما وصل جمال عبد الناصر الى المطار كان فى استقباله اسماعيل الأزهرى رئيس الدولة ومحمد أحمد محجوب رئيس الوزراء ٠٠ وكان مفروضا أن تصل طائرة الملك فيصل بعد نصف ساعة وحاول الزعيمان السودانيان تعطيل عبد الناصر فى المطار ليلتقى مع فيصل ٠٠ حتى يصبح الاستقبال الشعبى من نصيب الملك والرئيس معا ٠

ولكن موكب جمال عبد النـاصر تحرك وفي رفقتـه محمـد أحمـد محجوب ، والتهبت مشاعر الجماهير ، وانتعشت نفسية جمال عبد الناصر ، وعادت الابتسامة الى شفتيه وهو يلوح لعشرات الألوف الذين احتشدوا فى الشوارع والشرفات وفوق الأسطح ·

وما كاد موكب جمال عبد الناصر يمر حتى كانت الجماهير تنفض وتخلو الشوارع لينفرد وحده بالاستقبال الرائع ·· وعندما تبعه فيصل مع الأزهرى لم يكن هناك الا جماهير قليلة متناثرة ·

انعقد المؤتمر فى قاعة البرلمان السودانى ، والجماهير تتوقع قرارات وقف ضخ البترول ·· وموقف الدول العربية تجاه الأزمة غير موحد · سوريا قاطعت المؤتمر ومع ذلك بقى وزير الخارجية ابراهيم ماخوس يتابع جلسات المؤتمر من السفارة السورية أو شرفة الجراند أوتيل ·· والعراق والجزائر ومنظمة التحرير التى يمثلها أحمد الشقيرى تنتقد موقف مصر وتعارضها لقبولها وقف اطلاق النار ·· وتطالب بسحب الأرصدة العربية ومقدارها ٤٠٠٠ مليون جنيـه من البنـوك البريطانية مع اصرارهم على وقف الضخ ·

وكانت حرب اليمن تفرض نفسها على المؤتمر أيضا فلم يكن القتال قد توقف بعد ، وكان هناك ٧٠ر٠٠٠ جندى مصرى مازالوا يحتلون مواقعهم هنـاك ·

حضر من الرؤساء والملوك العرب ·· جمال عبد الناصر والملك حسين والملك فيصل واسماعيل الأزهرى وعبد الرحمن عارف وعبد الله السلال والأمير صباح السالم الصباح وشارل حلو ·

وحضر الأمير حسن الرضا مندوبا عن ملك ليبيا ادريس ، والباهى الأدغم وزير خارجية تونس ممثلا لبورقيبه · وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر ممثلا لهوارى بومدين ، والدكتور محمد بن هيمه رئيس وزراء المغرب ممثلا للملك الحسن ·

جميع رؤساء وملوك المغرب العربى تخلفوا عن الحضور · بينما حضر جميع رؤساء وملوك المشرق العربى عدا نور الدين الأتاسى لمقاطعة سوريا للمؤتمر بناء على قرار من دمشق ، كما صارح الاتاسى محمد أحمد محجوب بذلك عند زيارته لدمشق فى جولته التمهيدية لعقد المؤتمر والتى أقنـع فيها الملك فيصل بضرورة الحضور ·

لعب محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان دورا ديبلوماسـيا ناجحا مهد به الطريق لعقد المؤتمر ، وعاد من الولايات المتحدة يحمل افكارا

جديدة بعيدة عن الاجراءات التى قد تكسب تأييدا شعبيا • ولكنها تتسبب فى ردود فعل غير محسوبة الى جانب ما قد تحدثه من تمزق فى الصف العـربى •

ولذا تغاضى المؤتمر عن فكرة وقف ضـخ البترول وسحب الأرصدة من البنوك الأمريكية والبريطانية ، حرصا على تأييد الدول البترولية وعدم وضعها فى مأزق اقتصادى وسياسى لا تتحمله انظمتها ، حيث تبين ان الدول العربية كانت تملك فى ذلك الوقت احتياطيا كافيا من البترول لمدة أكثر من ٣ شهور • وان الأرصدة العربية لم تكن تشكل نسبة كبيرة من الدخل القومى ؟ لترا •

واتجه المؤتمر وجهة جديدة عندما اعتبر البترول رصيدا للاحتياجات العربية لتعويض خسائر العدوان ، والاستعداد لمعارك التحرير حيث قال زعماء الدول البترولية انكم تطالبون منا العون بالمال ، ويطلب البعض منكم اغلاق مصدر هذه الأموال •

حدث تراجع عن وقف ضخ البترول بعد ان كان مؤتمر وزراء المـال والاقتصاد والبترول العرب قد اوصى بامكانية استخدام وقف ضخ البترول كسلاح فى المعركة ، ولكن مؤتمر القمة رأى بعد دراسة الأمر مليا ـ كما نشرت الأهرام ـ أنه يمكن أن يستخدم كسلاح ايجابى باعتبار البترول طاقة عربية يمكن ان توجه لدعم اقتصاد الدول العربية التى تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود فى المعركة •

وبعد مناقشات محدودة تم الاتفاق على ما تدفعه الدول البترولية لمصر والأردن من تعويضات •• وكان جمال عبد الناصر قد قدر خسائر مصر من اغلاق قناة السويس ووقف السياحة بما يوازى ١١٠ ملايين جنيه، وقدر الملك حسين احتياجات الأردن بمبلغ ٤٠ مليونا •

واستقر الرأى بموافقة الملك فيصل على دفع السعودية ٥٠ مليون جنيه سنويا والكويت ٥٥ مليون جنيه وليبيا ٣٥ مليون جنيه ، توزع على أساس ٩٠ مليونا لمصر و ٤٠ مليونا للأردن •

وانتقل المؤتمر لمناقشة القضـايا السياسية ، واستقر الرأى منذ على اقتراح عبد الناصر بأن يعطى الملك حسين حرية الاتصال لحل مشكلة الأردن •• وتدخل أحمـد الشقيرى متحـدثا عن مستقبـل غزة والضفـة الغربية ، ولكن الموقف لم يكن يحتمل اثارة خلاف حول أرض سقطت تحت احتلال العدو •

واتفق المؤتمر على قرارات تعتبر من ناحية الشـكل والمضمون رفضـا للهزيمة فهي تنص علي ••

لا صلح مع اسرائيل ..

ولا اعتراف باسرائيل .

ولا مفاوضة مع اسرائيل .

والاصرار على اعادة حقوق شعب فلسطين فى أرضه ..

صرح لى محمود رياض وزير الخارجية فى ذلك الوقت بأنه يعتبر أن هـذا المؤتمر الرابع للقمة كان انجح مؤتمر قمـة عربى ، يصدر قرارات ايجابية محددة .

ولكن قرارات مؤتمر الخرطوم لم تتحول الى قيود تقيد حركة الدول العربية فى سعيها لتحرير الأرض بوسائل سياسية مصحوبة باستعدادات عسـكرية .

قرار مجلس الأمن :

كان مؤتمر الخرطوم قد انعقد بعد دعوة الاتحاد السوفييتى لدورة طارئة للأمم المتحدة ، بعد ان تبين استحالة صدور قرار من مجلس الأمن بادانة اسرائيل وفرض الانسحاب الى حدود ٤ يونيو .

حضر الدورة الطـارئة اليـكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحـاد السوفييتى كما حضرها من حكام العرب الملك حسين ونور الدين الاتاسى .

وقد التقى حسين والاتاسى يوم ٢ يوليو فى مقر السـفير الجزائرى لدى الأمم المتحدة بحضور محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان الذى اعد للاجتماع بمبادرته الخاصة ، وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر وابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا .

كان هذا أول اجتماع يعقد بين الحاكمين بعد اتهامات متبادلة استمرت حتى يوم العداون الاسرائيلى .

وكان أبا ايبان قد أعلن رفض اسرائيل أمام مجلس الأمن الحديث فى موضوع الانسحاب ما لم تعترف الدول العربية بها وتقر مبدأ الصلح معهـا .

ولم يكن الموقف فى مجلس الأمن مثلما كان عام ١٩٥٦ فقد وقفت أمريكا بوضوح وصراحة خلف الموقف الاسرائيلى ولم يكن هناك أى انقسام فى صفوف الدول الغربية نحـو تأييد اسرائيل سوى فرنسا لأن ديجول

اتخذ موقف الادانة للبادىء بالعدوان ، واسبانيا لعلاقاتها التقليدية مع الدول العربية ، وعدم وجود تمثيل ديبلوماسى بينها وبين اسرائيل ٠

ولذا فانه عندما قدم اليكسى كوسيجين مشروع قراره الذى يدين العدوان الاسرائيلى ويطالب بالانسحاب الفورى لقواتها ، أسرعت حكومة الولايات المتحدة بتقديم مشروع قرار آخر يقضى بحل المشكلة عن طريق المفاوضــات المبــاشرة بين العرب واسرائيل بمســاعدة وسيط مقبول من الطرفين ، بعد اعترافهم بها وبحقها في الوجود داخل حدود معترف بهــا مع السماح لبواخرها بالمرور فى قناة السويس ومضيق العقبة ٠

ولم يحصل أى من القرار السوفييتى أو الأمريكى على ثلثى الأصوات المطلوبة لاقراره ٠٠ ومحاولة للخروج من الأزمة تقدمت دول عدم الانحياز بمشروع قرار يقضى بانسحاب القوات الاسرائيلية مع اعطـــاء مجلس الأمن حق بحث جذور المشكلة السياسية والقانونية والانسانية بناء على مواثيق الأمم المتحدة مع عدم اعتبار ذلك شرطا مسبقا يحول دون الانسحاب ٠

وفى مواجهة مشروع دول عدم الانحياز قدمت دول أمريكا اللاتينية الخاضعة للنفوذ الأمريكى مشروعا مغلف العبــارات يقضى بالانســـحاب للشروط بانهاء الأعمال العدوانية والعمل من أجل التعايش السلمى وعلاقات الجوار الودية ٠

وكما لم ينجح المشروع السوفيتى أو الأمريكى ، لم ينجح أيضا مشروع دول عدم الانحياز ، أو مشروع دول أمريكا اللاتينية فى الحصول على ثلثى الاصوات ٠

ولم يصدر عن الأمم المتحدة سوى قرارات مرعية بضرورة معاملة مساجين وأسرى الحرب معاملة انسانية وبعدم شرعية اجراءات اسرائيــل وتدابيرها فى المناداة بالقدس مدينة اسرائيلية موحدة ٠

لم تنهج الدول الأفريقية المتحدثة بالفرنسية نهج فرنسا فى تأييد العرب ، كما أن الدول الأفريقية الأخرى تنوعت مواقفها تبعا لدرجة ولائها للولايات المتحدة ٠ أما الدول الاسلامية مثل تركيا وأفغانستان وباكستان واندونيسيا وايران فقد وقفت مع العرب لاعتبارهم المشكلة الفلسطينية من المشاكل الاسلامية ٠

وعندما لم تصل الأمم المتحدة الى قرار ، أعادت القضية مرة أخرى الى مجلس الأمن ٠

كاد الموقف يتجمد ٠٠ وقرارات مؤتمر الخرطوم التى صدرت بعد ذلك ألقت التزاما وقيدا جديدا علي الدول العربية ٠

ومع ذلك فقد وصلت الأمور فى شهر نوفمبر بعد اتصالات مركزة ومتعددة بين مندوبى الدول فى مجلس الأمن والدول العربية الى مشروع قرار أعده مندوب بريطانيا فى المجلس لورد كارادون ٠

صدر القرار ٢٤٢ يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ لينهى رحلة طويلة من المناقشات امتدت ما يقرب من ستة شهور ٠

حاول محمود رياض وزير الخارجية ان يكون القرار أكثر تحديدا فيما يتعلق بالحدود ، ولكن المندوب الأمريكى (أرثر جولدبرج) كان صريحا فى رفضه اضافة أى كلمات تلغى حق اسرائيل فى تغيير الحدود بما يتناسب مع أمنها وقال ان حكومة اسرائيل قد وافقت على صيغة القرار على ما هى عليه ٠ وأن جونسون يعد بأن تكون التعديلات فى أضيق الحدود ٠

وافقت مصر والأردن على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ وسط معارضة ورفض من جانب سوريا والعراق والجزائر والسودان ٠

واختار يوثانت سكرتير الأمم المتحدة جونار يارنج سفير السويد فى موسكو مندوبا له للتفاوض مع مصر والأردن واسرائيل للوصول الى تسوية مقبولة من كافة الاطراف ٠

وخلال الفترة التى دارت فيها مناقشات الأمم المتحدة لم يكن الموقف متجمدا على شاطىء القناة ٠

كان السوفييت قد اسهموا بقدر كبير فى اعادة تنظيم القوات المسلحة وقام الفريق أول محمد فوزى ومجموعة القيادات الجديدة بمجهود رائع فى تماسك الجيش ووحدته ، وخاصة بعد التغلب على المشاكل الداخلية بعد تحديد اقامة المشير عامر والمتعاونين معه ٠

كانت المدفعية قد بدأت تتبادل القذائف على شاطىء القناة ٠٠ واغرقت قوارب الطوربيد المصرية المدرعة الاسرائيلية ايلات فى مياه البحر الأبيض المتوسط يوم ٢٥ أكتوبر ٦٧ وانتقم الاسرائيليون بضرب معامل التكرير ومصانع السويس ٠

ورغم وجود جانار يارنج فى المنطقة متخذا من قبرص مركز رئاسة له ٠٠ ورغم حركته المستمرة بين العواصم الثلاث ٠٠ فانه لم يوفق فى الوصول الى تسوية مقبولة ٠٠ ولم يوفق فى منع الاسرائيليين من الاعتراض على محاولة مصر انقاذ البواخر الخمس عشرة المحتجزة فى قناة السويس بعد غلقها كما حدث عام ١٩٥٦ ٠٠ كما لم يوفق فى منع بعض المصادمات التى وقعت بين القوات الأردنية والاسرائيلية التى بدأت تنفذ خطة اقامة مستعمرات ناحال فى الضفة الغربية ، وتحويل القدس الى مدينة اسرائيلية ٠

وبدأت جهود يارنج تتضاءل وتنحسر أمام رفض الحكومة الاسرائيلية الاجابة على أسئلته والتمسك بمفاوضات مباشرة مع العرب ، واعلانهم التشبث بمعظم الأرض المحتلة ضمانا للحدود الآمنة ٠

وبعد صدور قرار مجلس الأمن لم يتوقف القتال أيضا ٠٠ فقد بدأت المرحلة التى أطلق عليها جمال عبد الناصر اسم (مرحلة الصمود) ثم أعقبتها (مرحلة الردع) أى الاشتباك المتصل مع القوات الاسرائيلية عبر القناة ٠

كانت مصر قد قبلت قرار مجلس الأمن ولكنها لم تتوقف مطلقا عن الاشتباك المسلح ٠٠ بينما كانت الدول التى رفضت القرار بعيدة عمليا عن ميدان المعركة ٠

لم يكن قبول قرار مجلس الأمن استسلاما ولا تنازلا عن تحرير الأرض ٠ ولكنه كان محورا من محاور التقدم فى مجال الحل السلمى ٠٠ وكان مضمون الاشتباك المسلح مع قبول القرار هو رفض للهزيمة بكل المقاييس ٠

رفض الطلبة :

كسرت الهزيمة حاجز الخوف عند الناس ٠ وشعر المواطنون أمام جسامة الموقف ٠ ان الصمت عار ٠

وانطلقت موجات النقد تكشف العيوب المستترة فى أجهزة الحكم ، وتلقى الضوء على الانحرافات هنا وهناك ٠

والتمس جمال عبد الناصر العذر للناس ٠٠ قال لشعراوى جمعة بعد خطبته أمام مجلس الأمة عند افتتاح دورته الجديدة (أرجو أن تهدى هذه الخطبة نفوس الناس ولو شهرا واحدا) ٠

كان الناس ينتظرون خطب جمال عبد الناصر فهو الوحيد الذى يتوفر له رصيد فى قلوبهم ٠٠ ورغم انه لم يحقق التغيير الذى طالبوا به الا انهم لم يفقدوا الأمل فيه أبدا ٠

وكان الشباب هو أكثر الفئات غليانا بحكم طبيعته ورفضه للهزيمة وحرصه على تحرير الأرض واقامة مجتمع جديد ٠

ولم تكن مصر قد شهدت مظاهرات للطلبة منذ عام ١٩٥٤ أثناء أزمة مارس وخلال المطالبة بالحياة الديموقراطية ٠٠ فقد تصدت لها الشرطة العسكرية واعتقل بعض الطلبة ٠ وصفيت حركتهم ٠

وتقرر عزل الطلبة عن الحركة السياسية ، ووضع كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم فى ذلك الوقت خطته التى قضت بأن تكون الدراسة فى الجامعة خلال العام الواحد على فترتين وامتحانين ٠٠ كما فصل عددا من أساتذة الجامعة التقدميين المستنيرين مثل الدكاترة لويس عوض وسعد عصفور وعبد المنعم حرفوش وفوزى منصور وعبد المنعم الشرقاوى وأمين بدر ومحمود أمين العالم ، ونقل بعض الأساتذة من الاسكندرية الى القاهرة مثل الدكاترة اسماعيل غانم واسماعيل صبرى عبد الله ٠

وأصدر كمال الدين حسين قرارا يقضى بأن يكون نصف أعضاء اتحاد الطلبة مع هيئة التدريس والنصف الآخر من الطلبة وتقيدهم جميعا تشريعات ولوائح تجعل من الاتحادات تنظيمات صورية تابعة لمكاتب الطلاب التى أنشئت فى هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ٠

ولا شك ان الانتصارات الوطنية لثورة يوليو قد أثرت على موقف الطلبة ودفعت بهم الى تأييدها والركون الى الهدوء لسنوات طويلة ٠

ومع ذلك ظل تشكيل الاتحادات الطلابية بالتعيين حتى عام ١٩٥٩ الذى صدر فيه قرار بقانون فى أول ابريل بفصل عدد من أساتذة الجامعة مثل الدكتور فؤاد مرسى والدكتور عبد العظيم أنيس ، وذلك بعد اعتقال الشيوعيين ٠٠ وبعد ذلك ظهرت لائحة جديدة تبيح حق الانتخاب وتقصر نشاط الاتحادات على الأعمال الترفيهية مع حجب أى نشاط سياسى أو ثقافى ٠

وفى عام ١٩٦٣ بدأ تشكيل منظمة الشباب تحت اشراف زكريا محيى الدين الذى بدأ باعداد معسكرات فى حلوان ومرسى مطروح كان يساعده فيها الدكتور محمد الخفيف وغيره من المثقفين ٠

وظهر تناقض بين المنظمة التى وضعت تحت اشراف أمين عام الاتحاد الاشتراكى على صبرى ، بعد أن عين الدكتور حسين كمال بهاء الدين أمينا عاما لها بعد أن كان معنا عضوا فى أمانة طليعة الاشتراكيين ٠

ظهر تناقض بين نشاط المنظمة ونشاط الاتحادات التى كانت تحاول ان تنهج نهجا خاصا بها ٠ واذكر خلال هذه الفترة ان عددا من الاتحادات كان يدعو كمال رفعت أمين الدعوة والفكر لعقد ندوات فى وقت كان الخلاف فيه واضحا بينه وبين على صبرى ٠

وقد أصدر على صبرى قرارا بفض المؤتمر السادس لاتحاد طلاب الجمهورية الذى عقد خلال عام ١٩٦٥ ٠٠ ومنذ ذلك الوقت لم يتم أى انتخاب لاتحاد طلبة الجمهورية ٠

ويذكر ان بعض الطلبة المنتمين للمنظمة قد اذاعوا تسجيلات مسيئة ضد طالب مرشح اسمه أحمد سامى عليوة ، فتجمع الطلبة حوله وأصروا على انتخابه كنوع من أنواع الرفض لأسلوب التدخل ٠٠ وكان هذا سببا من أسباب فرض الهيئة التى شكلت لادارة المؤتمر السادس واعتبارها لجنة تنفيذية لاتحاد طلاب الجمهورية ٠

توقفت انتخابات الاتحادات عند حدود الجامعات فقط ، ولم يجـر انتخاب لاتحاد طلبة الجمهورية حتى عام ١٩٦٨ ٠

لم تغير الهزيمة العسكرية من موقف الثـورة ازاء الطلبة ٠٠٠ ظلت محاولات التدخل والحصار مستمرة ٠٠ ولم يعد ذلك أمرا مقبولا من الشباب الذى مزقت الهزيمة نفسيته وآماله وطموحه ٠

وانتشرت فى مصر لأول مرة ظاهرة هجرة الشباب الى الخارج ٠٠ دفع اليأس بعضهم الى مغادرة الوطن ٠٠ ودفع الجمود عن التغيير بعضهم الآخـر ٠

وكان جمال عبد الناصر مدركا لمشاعر الشباب راغبا فى تقديم كل ما يعيد الاستقرار والأمل الى نفوسهم ٠

عين أحمد كامل أمينا عاما لمنظمة الشباب ، بعد أن أثبت نجاحـا جماهيريا أثناء عمله محافظا لأسيوط ٠٠ وهو من الضباط الأحرار التقدميين الذين لم تلوثهم الأطماع المادية أو التطلعات الذاتية ٠

ويقول أحمد كامل ان جمال عبد الناصر قد أطلق حريته فى عمل كل ما يعتقد انه لمصلحة الشباب ، وشجعه على توطيد العلاقات مع منظمات الشباب فى الدول الاشتراكية وخاصـة الاتحاد السوفيتى للاستفادة من خبرات تعبئة الشباب هناك ٠

ولم يتردد جمال عبد الناصر فى الموافقة على كل ما يوطد هـذه العلاقة ولكن على صبرى اعترض على ارسال بعثات من الشباب للتدريب والعمل هناك ، بناء على الاتفاقية التى وقعها أحمد كامل وبافلوف سكرتير عام الكومسومول ٠

لم يقبل أحمد كامل هذا الاعتراض وطلب رفع الأمر الى جمـــال عبد الناصر الذى رجح رأى أحمد كامل ٠

كانت منظمة الشباب قد بدأت تأخذ اتجاها جديدا أكثر تقدمية وديموقراطية من الفترة التى قادها فيها دكتور حسين كمال بهـا الدين تحت اشراف على صبرى ، رغم عدم الانتقاص من أهمية هذه الفترة التى جذبت الشباب الى ميدان السياسة وأثارت اهتماماتهم بعد غيبة طويلة عن هذا الميدان ٠

ولم يكن على صبرى ـ على حد تعبير أحمد كامل ـ متحمسا لهذا الاتجاه أو مشجعا له ٠

وقبل ان تبدأ منظمة الشباب فى الوصول الى القاعدة الطلابية فى الجامعات بأسلوب ديموقراطى سليم ٠٠ سبقتها الاحداث ٠

كانت المنظمة من جهة وجماهير الطلبة من جهة أخرى فى سباق مع الزمن ٠٠ المنظمة تحاول استيعاب كافة الشباب ، والأحداث تفجـر هـذه الطاقة فى اتجاه غير محسوب ٠

وحدث أكبر تحرك طلابى فى ٢٠ فبراير ١٩٦٨ أثناء محاكمات حسين الشافعى للمشتركين فى مؤامرة الحادى عشر امتدادا لتحرك عمال حلوان احتجاجا على الاحكام التى صدرت ضد قادة القوات الجوية ، واعتبرها الناس أحكاما بسيطة لا تتناسب مع بشاعة الجريمة وضخامة المسئولية ٠

واقترنت مظاهرات الطلبة أيضا بمحاكمات مؤامرة المشير ٠

اجتمع الطلبة فى مؤتمر عقد فى كلية الآداب بمدرج ٧٨ وضم ممثلين عن مختلف الكليات لوضع وثيقة طلابية تعبر عن رأى الطلاب بالنســـبة لأوضاع ما بعد الهزيمة أو (النكسة) على حد التعبير الذى انتشر فى ذلك الوقت ٠

طالب الطلاب بالديمقراطية وضرورة التغيير الشامل ومحاسبة الذين أطلقوا الرصاص على عمال حلوان الذين استمروا فى تظاهرهم ، والافراج عن المعتقلين منهم ٠٠ وانتخبوا من بينهم لجنة تمثلهم وتعبر عن ارادتهم ٠

تم اعتقال بعض أعضاء اللجنة عقب مقابلة ساخنة مع الدكتور لبيب شقير وزير التعليم العالى فى قاعة اجتماعات جامعة القاهرة ، حيث رفض

الطلاب تسليم مطالبهم على اعتبار انهم كلفوا من المؤتمر بتسليم الوثيقة لجمال عبد الناصر شخصيا .

أذكر ان ابنى علاء كان عضوا منتخبا فى هذه اللجنة ، وعندما علمت ان مطلبهم الرئيسى هو مقابلة جمال عبد الناصر ، اتصلت بسامى شرف وكان فى ذلك الوقت مازال زميلا لى فى أمانة طليعة الاشتراكيين ، وطلبت منه ان يحمل رأى الطلاب الى عبد الناصر ، راجيا ان يتيح لهم فرصة مقابلته .

اتصل بى سامى شرف بعد ذلك طالبا منى مقابلته فى مكتب على صبرى فى مبنى الاتحاد الاشتراكى حيث كان موجودا مع على صبرى وشعراوى جمعة .. وكانت الساعة تشير الى الثامنة مساء .

كان شعراوى يؤكد انه لم يصدر أمرا باطلاق الرصاص ، وكان على صبرى هادئا صامتا لا أعرف ما يدور فى صدره ، بينما كان سامى شرف صاخبا يوزع الاتهامات (كالعادة) على الاخوان المسلمين والشيوعيين .

ناقشت الأمر مع على صبرى وأوضحت له أهمية تحركه السريع الى مقابلة اللجنة التى تمثل الطلبة تفاديا لما يمكن ان يحدث من صدام ... ولكنه لم يكن مستعدا للذهاب الى الجامعة ، فهو بطبيعته الخاصة رجل غير جماهيرى ، يصعب عليه مواجهة الرأى المعارض .

وذهلت من هذا الموقف السلبى ، وعجبت من هذا الاسلوب الذى لايحسن تقدير الموقف .. ولم أتردد فى اعلان خلافى معه فى وجهة نظره.

وصارحت شعراوى جمعة بعد خروج على صبرى بأن الأمور لا يجوز أن تؤخذ بمثل هذه البساطة ، وأن التوزيع التقليدى للاتهامات على الشيوعيين والاخوان لايمكن ان يكون تعبيرا ناضجا عن حقيقة موقف شباب متحمس فى مواجهة هزيمة مرة ، جمود عن التغيير ، واطلاق رصاص على العمال .

ولكن شعراوى لم يكن يملك فرض رأيه على الآخرين .

وذهب الدكتور لبيب شقير لمقابلة الطلبة فى محاولة لاقناعهم ، ولكن محاولته لم تنجح وأصر الطلبة على موقفهم .

وفى صباح اليوم التالى استمرت المظاهرات الطلابية والعمالية وخرج الطلبة من الجامعة متدفقين الى الشوارع وهتافاتهم تطالب بالتغيير والديموقراطية ومحاسبة المسئولين .. وفى آخر اليوم هتف البعض لأول مرة هتافات معادية .

وقد تجاوبت بعض الهيئات مع الطلبة وأصدر مجلس نقابة الصحفيين الذى كان يرأسه فى ذلك الوقت أحمد بهاء الدين بيانا فيه تأييد للطلبة مع الحرص والتعقل ٠

واستقبل أنور السادات رئيس مجلس الأمة بعض أعضاء لجنة الطلبة الذين احتشدوا مع المظاهرات حول المجلس٠٠ولكن المظاهرات لم تتوقف، واتجه بعضها الى الأهرام ٠٠ الهتافات معادية ولكن الحرص على النظام والأمن شديد ٠

وفى المساء تمت حملة اعتقالات واسعة شملت عددا من أعضاء اللجنة والتهب الطلبة وتضاعفت المظاهرات ٠٠ واعتصم طلبة هندسة القاهرة فى كليتهم ٠

ومرة أخرى التقى أنور السادات مع الطلبة فى قاعة مجلس الشيوخ وحضر اللقاء شعراوى جمعة وأمين هويدى ومحمد فايق من الوزراء ٠ ودارت مناقشة حرة طويلة ، أوضح فيها أنور السادات حقيقة ما يتم من اجراءات لاعادة بناء القوات المسلحة ٠ والاستعداد لتحرير الأرض المحتلة٠

تم الافراج عن الطلبة المعتقلين بعد هذا اللقاء ٠ وأغلقت الجامعة أبوابها وانفضت المظاهرات مؤقتا ، بعد أن هزت كثيرا من استقرار النظام، وأعادت للحياة الدور السياسى للطلبة بعد غياب امتد مايقرب من ١٤ عاما٠

وكان طبيعيا ان يحاول جمال عبد الناصر استرداد مظهر قوته بعد هذه الأحداث ٠٠ فقرر ان يذهب الى حلوان ٠٠ المنطقة التى انطلقت منها المظاهرات ليلقى خطابا على عمال المنطقة ٠٠ وقد سبق ذهابه اليهم توزيع الأرباح ومحاولات سياسية لتصفية الموقف واجتذاب العاملين ٠

ولم تكن هذه الخطبة هى نهاية للموقف الذى فجرته مظاهرات الطلبة ، ولكنها كانت بداية مرحلة جديدة ، أجبرت عليها قيادة الثورة بعد ان واجهت رفض الطلبة للهزيمة ، ونفاد صبرهم ٠

الفصل الثانى

المقـــاومة

ما أخذ بالقوة ٠٠ لا يسترد بغير القوة)

جمال عبد الناصر

استقر الوضع فى مصر على رفض الهزيمة ٠٠ وركز جمال عبد الناصر كل طاقته وجهده على بناء القوات المسلحة واستعادة قدرتها القتالية ٠

ولكن المقاومة لم تعد مصرية فقط ٠٠ أصبحت عربية ٠٠ فعدوان يونيو ١٩٦٧ اتجه الى مصر وسوريا والاردن ، واقتطع من كل منها أرضا سقطت تحت الاحتلال ٠٠ واختلف الموقف بذلك عن عدوان ١٩٥٦ الذى ركز ضربته على مصر ٠

ونتج عن الهزيمة خلق رابطة نضاليـة مشتركة بين شعوب الأمة العربية وجذبت قضية فلسطين ثلاث دول عربية جديدة أصبحت أرضها محتلة أيضا ٠٠ كما جذبت بطريق غير مباشر بقية الدول العربيـة التى لحقتها اهانة الهزيمة التى لم تفرق بين عربى من البدو أو الحضر ٠٠ من المشرق أو المغرب ٠

وقد اختلفت طبيعة الأرض التى فقدتها كل دولة عربية ٠٠ فالاردن ضاعت ضفته الغربية وانحسرت رقعته ليصبح (شرق الاردن) كما كان أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين ٠٠ ومع سقوط الضفة الغربية انتقل مئات الآلاف الى شرق النهر ٠ وواصلوا الحياة فى مخيمات اللاجئين ٠٠٠ وسوريا فقدت هضبة الجولان الحاكمة التى أحسن تحصينها الى درجة كان يصعب تصور احتلالها ، الأمر الذى جعل سقوطها المفاجىء موضـع

دهشة العسكريين وظل أمرا تلاحقه علامات الاستفهام ٠٠ أما مصر فقد فقدت سيناء ومساحتها ثمن أراضى مصر تقريبا يسكنها عدد محدود وبها بلاد صغيرة قليلة مثل العريش ورفح والطور وغيرها ٠٠ ومعــروف لدى العسكريين ان ممرات متلا والجدى هي أنسب مواقع تحتلها القوات المصرية للدفاع عن القناة ، ولكن فوضى الانسحاب جعلت سيناء تسقط ويصل الجنود الاسرائيليون الى مياه القناة ٠

وهكذا فرضت الظروف ان تقترن مقاومة شعب فلسطين بمقاومة الشعوب العربية الأخــرى ٠٠ وأن تصبح المقاومة عربيـــة وليست فلسطينية فقط ٠

وأرض فلسطين لم تعرف الهدوء منذ قامت فيها اسرائيل ٠٠ بل وقبل أن تقوم ٠٠ كانت هناك حركة وطنية فلسطينية شديدة النشاط ٠٠ وكانت هناك ستة أحزاب هى الحزب العربى ، وحزب الدفاع ، وحزب الاستقلال ٠ والكتلة الوطنية ، ومؤتمر الشباب ، وحزب الاصلاح ٠٠ ولكنهـا جميعا انتهت بعد اعلان الهدنة وقيام اسرائيل وتشكيل حكومة عموم فلسطين التى رأسها أحمد (باشا) حلمى والتى سرعان ما عصف بها الزمن ٠

وكان هناك حزب شيوعى فلسطينى تشكل عام ١٩١٩ وضم اليهود الى جانب العرب وظل سكرتيره يهوديا حتى عام ١٩٢٩ عندما أصبح له أول سكرتير عربى هو نجاتى صدقى ثم رضوان الحلو ٠

وقد فرضت حركة ١٩٣٦ نفســها على الحزب الشيوعى ٠٠ فكان اليهود ضد حركة وطنية عربيــة يقودها المفتى المرتبط بالنــازية ، بينما حارب بعض العرب فى صفوف هذه الحركة ٠٠ وقد أدى هذا الموقف الى ما يشبه الشلل للحزب ، الى ان شكل أميل توما وأميل حبيب ناديا تقدميا فى حيفا ، ودعوا الى قيام اتحاد نقابات وجمعيات العمال العرب ٠

وبعد أن حل الكومنترن فى منتصف مايــو ١٩٤٣ تشكلت عصبة التحرر الوطنى فى منتصف سبتمبر ١٩٤٣ لتصبح تنظيما شـــيوعيا عربيا ، بينما بقى الحزب الشيوعى الفلسطينى قاصرا على اليهود ٠

ولكن هذا التنظيم العربى ما لبث ان انقســم تحت ضغط ظروف قيام اسرائيل الى ثلاثة تنظيمات ٠٠ الحزب الشيوعى الأردنى الذى أعلن فى مايو ١٩٥١ وكان فؤاد نصار هو سكرتيره العام وضم حلقات شيوعية من شرق الاردن وأعضـــاء العصبة فى الضفة الغربية ٠٠ والعصبة فى قطاع غزة وكان مقر لجنتها المركزية فى نابلس وقد حــوكم أمام مجلس عسكرى رأسه الصاغ لطفى واكد مندوبا للعصبة عام ١٩٤٩ وحكم عليه بالسجن ٦ سنوات ــ على جنايات كان يمكن ان يصــل الحكم فيها الى

الاعدام ، وبراءة ٤٩ متهما .. وأخيرا الحزب الشيوعى الاسرائيلى الذى ضم العرب واليهود داخل اسرائيل .

بقيت هذه التنظيمات الثلاثة منبعثة من الحزب الشيوعى الأصلى تناضل سياسيا فى المناطق التى أصبحت تتبع ثلاث دول مختلفة ضد النفوذ الامبريالى والمشاريع المشبوهة التى حاولوا فرضها على المنطقة فى محاولة للتعاون مع العناصر الوطنية التى كانت تنهج حتى ذلك الوقت خطا معاديا للشيوعية .

وقد وضعت أمام الأنظمة العربية ثلاثة مشاريع لامتصاص اللاجئين: أولها مشروع تعمير شمال غرب سيناء ، والثانى مشروع الجزيرة فى سوريا ولبنان ، والثالث هو مشروع جونسون لامتصاص اللاجئين فى الضفة الغربية .

خاض الفلسطينيون المعركة ضد هذه المشاريع ، ونشطت الهجمات الاسرائيلية للضغط على اللاجئين لقبولها .

ولم تتوقف عمليات التسلل الى الأرض المحتلة .. بدأت بمحاولة الحصول على ما تركه اللاجئون من أموال وأثاث ثم تطورت لتصبح هجمات منظمة مسلحة .

وكان يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ فيصلا بين عهدين .. وهو تاريخ غارة غزة الشهيرة التى جعلت جمال عبد الناصر يتخذ ثلاثة قرارات هامة هى :

١ ـ ابلاغ الولايات المتحدة تأجيل مشروع تعمير شمال غرب سيناء الى ما بعد بناء السد العالى .

٢ ـ صفقة الأسلحة التشيكية حتى لاتقع مصر تحت رحمة الامبريالية والصهيونية التوسعية .

٣ ـ تشكيل وحدات فدائية فلسطينية .

وقد قام الشهيدان البكباشى صلاح مصطفى فى عمان ، والبكباشى مصطفى حافظ فى غزة بشكيل وحدات فدائيـة من المساجين الذين حكم عليهم لتسللهم داخل فلسطين ، وقد أثرت هذه الهجمات على اسرائيل الى الحد الذى جعلها تدبر عمليتها الانتقامية الاجرامية بنسف الضابطين عن طريق عبوة ارسلت لهما فى طرد عن طريق البريد .

وطبقا لاحصائيات وزارة الخارجية الاسرائيلية التى وردت فى كتاب (الحركة الوطنية الفلسطينية) لأحمد صادق سعد وعبد القادر يس يتبين انه كان هناك ٧٨٥٠ حادث تسلل منذ الهدنة حتى عدوان ١٩٥٦ ، قام بها

اشخاص قدموا من الأردن ، ٣٠٠٠ من الحدود المصرية وغزة ، ثم حوالى ٦٠٠ من سوريا ، ٢٠٠ من لبنان ٠

ولكن العمل الفدائى توقف من جانب مصر مع عدوان ١٩٥٦ وما تم عليه الاتفاق من تواجد قوات الطوارىء الدولية على حدود مصر وقطاع غزة ٠٠ وقد ساد الهدوء على الحدود رغم ان قوات الأمم المتحدة قد قتلت نحو ١٠٠ شخص كان بعضهم يتسلل بغرض السرقة ٠

ولكن هذا الهدوء لم ينعكس سباتا ونوما على الحركة الوطنية الفلسطينية فقد كانت نماذج حركات التحرر الوطنى تشكل أمامها مشاعل مضيئة ٠

فقد بدأ الكفاح المسلح فى فيتنام يهزم الوجود الفرنسى وبدأت ثورة الجزائر المجيدة تجذب أنظار العالم بعد استعمار دام ١٣٠ عاما ٠

ولكن وجود قوات الطوارىء الدولية ، وانشغال جمال عبد الناصر بقضية الوحدة مع سوريا ، والمعركة مع ثورة ١٤ يوليو العراقية والتى جعلت عبد الكريم قاسم يحتضن الحاج أمين الحسينى ويرفع معه شعار (عدنا) بينما القاهرة ترفع شعار (عائدون) ، وأخيرا الانفصال والانحسار فى المد العربى المتصاعد ٠

كل هذا دفع جمال عبد الناصر الى مصارحة أعضاء المجلس التشريعى لغزة حسب ما ورد فى أهرام ٢٧ يونيو ١٩٦٢ بأنه ليست عنده خطة لتحرير فلسطين ٠

وقد سجلت اذاعة عمان هذه العبارة واستخدمتها كثيرا فى الهجوم على مصر ٠٠ وعلى جمال عبد الناصر ٠

وكان الملك سعود قد قال للعمال الفلسطينيين فى الظهران (عليكم أن تسلكوا سلوك الجزائر) ٠

وقطعا لم يكن الملك سعود ليقول مثل هذا القول لولا ثقته من انه لن يتحول فى أرض السعودية الى واقع عملى ٠٠ وان نظام الحكم هناك لايمكن أن يسمح بصوت طلقات الرصاص للتدريب أو الاستعداد ٠

خلقت هذه الحالة شعورا عند الفلسطينيين بأنه يجب عليهم أن يعتمدوا على أنفسهم ، وأن يشقوا وسط كل هذه الظروف المعقدة والتناقضات الحادة بين الأنظمة طريقا خاصا بهم ، لايعتمد على النضال السياسى وحده ٠

وبدأت تظهر تنظيمات فلسطينية متعددة ٠٠ بلغ عددها في الكويت

عام ١٩٦٣ حوالى ٣١ تنظيما ·· وقد اختارت الكويت حيث توافرت ديموقراطية نسبية وثراء ملحوظ للفلسطينيين ·

وكانت جذور هذه التنظيمات تمتد الى تنظيمات سياسية قائمة فعلا فى الساحة العربية ·· الثورة المصرية ، حزب البعث ، والاخوان المسلمين · والقوميين العرب ، وبعض التنظيمات الارهابية ·

جاء فى كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية ـ غازى خورشيد) الذى أصدره مركز الأبحاث لمنظمة تحرير فلسطين ان حركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح) اختصارا لاسمها ، قد تكونت فى نهاية الخمسينيات بالكويت بعد هدوء الحدود فى أعقاب العدوان الثلاثى ، وانها أصدرت أول نشرة سرية باسم (فلسطيننا) فى أوائل ١٩٥٩ ·

وكان معظم رواد هذه الحركة من المنتمين أو العاطفين على جماعة الأخوان المسلمين ، عدا فاروق القدومى الذى كان منتميا لحزب البعث ، ولو ان الوقائع التاريخية تثبت اتصالهم بالصين الشعبية عن طريق كمال عدوان وحصولهم على تأييدها ·

وظل هذا التنظيم يعبىء نفسه حتى انطلقت شرارته الأولى ـ فى أول يناير ١٩٦٥ عندما صدر البلاغ العسكرى الأول لقوات (العاصفة) معلنا بدء الكفاح المسلح وانطلاق الثورة الفلسطينية (لتصفية الكيان الصهيونى المتمثل فى دولة اسرائيل) ·

وبقيت (فتح) تعمل بشكل سرى محدود ، تخاطب مؤتمرات القمة بمذكرات رفعت الى المؤتمر الثالث فى ٧ سبتمبر ١٩٦٥ ، ومؤتمر القمة الرابع فى ١٤ مارس ١٩٦٦ ، وذلك بعد ان شكلت منظمة التحرير الفلسطينية بناء على قرار المؤتمر الفلسطينى الأول الذى عقد بالقدس فى ٢٨ مايو ١٩٦٤ والتى كان أحمد الشقيرى أول رئيس لها ·

أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد انبعثت من حركة القوميين العرب الذين قلدوا فى البداية حركة مصر الفتاة والقمصان الخضراء فأسسوا (كتائب الفداء) ·· التى قامت على حس عربى فضمت فى صفوفها مناضلين من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر ·· وقامت أيضا على أساس انه (لا مفر من القيام بأعمال عنف ضد الانهزاميين والمتعاونين مع الصفوة الحاكمة من جهة ثانية) وذلك بعد اقتناعهم بأنهم يشكلون (مجموعة ضاغطة) مهمتها (التأثير على الصفوة الحاكمة عن طريق ارهابها اذا اقتضى الأمر لترفض أى صلح مع اسرائيل كخطوة أولى والتهيؤ لتصفيتها فى جولة أخرى) وذلك كما ورد فى كتاب (حركة القوميين العرب ـ باسل الكبيسي) الذي صدر عن دار الطليعة ببيروت·

وكان جورج حبش الفلسطينى هو العنصر الشديد الفعالية ، الذى انضم الى (جيش الانقاذ) الفلسطينى غير النظامى . والذى ارتبط مع هانى الهندى السورى الأصل البغدادى المولد ، ليشكلا مجموعة بيروت .

والغريب ان هذه المجموعة قد ارتبطت بالارهابى المصرى حسين توفيق الذى اغتال أمين عثمان ثم هرب الى سوريا بعد ان حوكم مع مجموعة من الشباب المصرى ضمت أنور السادات وسعد كامل والسفير محمد كامل ابراهيم وغيرهم .

لجأت هذه المجموعة الى الارهاب فهاجمت معبدا لليهود فى دمشق فى ٦ أغسطس ١٩٤٩ وقتلت ١٢ وجرحت ٢٧ شخصا ، ووضعت القنابل فى مدرسة (الاليانس) ببيروت ، وهاجمت مقر وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة فى دمشق .

وقد حاولت (الكتائب) ان تصبح جناحا عسكريا للبعث ، ولكن لم يحدث اتفاق بين التنظيمين اللذين قام أحدهما على فكرة العنف ، وقام الآخر على فكرة التبشير بالقومية والوحدة العربية .

وقد تعرضت هذه المجموعة الى ملاحقة الشرطة بعد اعترافات حسين توفيق الذى اعتقل بعد محاولة الاغتيال الفاشلة لأديب الشيشكلى .

ومع ذلك فقد حاولت هذه المجموعة الاتصال مع الشيوعيين والدخول معهم فى جبهة (اذ كانوا قد أعجبوا بالدور القيادى الذى لعبه الشيوعيون العراقيون فى الانتفاضة الوطنية التى أجبرت صالح جبر على الاستقالة وأدت الى الغاء معاهدة بورتسموث ، كما انهم تأثروا بالنجاح الكبير الذى حققه الشيوعيون فى الصين بحيث اعتبروا الشيوعيين العرب قوة ثورية يجب ألا تستبعد من ساحة النضال الوطنى ، وعلى هذا الأساس دخل القوميون العرب فى مباحثات مع الشيوعيين بهدف التوصل الى صيغة للتعاون ، ولكن المباحثات سرعان ما انهارت بسبب موقف الشيوعيين من القضية الفلسطينية ، فقد تمسك الطلبة الشيوعيون بالخط الرسمى للأحزاب الشيوعية الخاص بتأييد قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة ، وبحكم الموقف المتصلب للقوميين العرب ازاء هذه القضية لم يجدوا أية نقط التقاء بينهم وبين الشيوعيين) وذلك حسب ما ورد فى مقابلة صحفية مع الدكتور جورج حبش فى ٢٤ يونيو ١٩٧٠ نشرت فى كتاب (حركة القوميين العرب) .

وتمكنت حركة القوميين العرب من تشكيل منظمة طليعية عام ١٩٥٢ تسمى (هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل) عارضت مع الحركة الوطنية الفلسطينية مشروعات الاستيطان ، وأصدرت مجلة أسبوعية اسمها (الثأر) لعبت دورا مؤثرا فى صفوف اللاجئين الفلسطينيين .

ولم تقترب الحركة من الثورة المصرية الا بعد عام ١٩٥٤ عندما ظهر الدور الوطنى لثورة يوليو فى حربها ضد الاحتلال البريطانى لمصر ومقاومة حلف بغداد والأحلاف العسكرية ، وعندما أصدر جمال عبد الناصر قرارا بقبول الطلبة القوميين العرب المفصولين من الجامعة الأمريكية فى الجامعات المصرية .

واتجهت حركة القوميين العرب نحو التأييد المطلق للثورة المصرية ، وصدرت مجلة (الرأى) معبرة عنهم ، كما فتح (صوت العرب) أبوابه لهم وأوصل صوتهم الى جماهيرهم فى الاردن والأرض المحتلة ، وأسهموا بذلك مع غيرهم من القوى الوطنية الفلسطينية فى بعث روح النضال ضد المشاريع الاستعمارية ، كما قام عبد الحميد السراج فى سوريا بتدريب أعضاء الحركة للنضال ضد الحكم الهاشمى فى الاردن .

وعندما قامت الوحدة نظر القوميون العرب الى الجمهورية العربية المتحدة على انها (نواة لدولة عربية قومية أوسع قادرة على خلق حياة أفضل للأجيال القادمة) ونقلت القيادة القومية للحركة مقر عملها الى دمشق فى أوائل ١٩٥٨ .

وعندما ظهر التناقض بين ثورة يوليو المصرية ، وثورة يوليو العراقية ووجه القوميون العرب نشاطهم نحو القوات المسلحة العراقية وكسبت عددا من الضباط ، (أخذ الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل مبعوثى القيادة القومية (للحركة) ويناقش معهم مختلف أبعاد النضال القومى .

وقد لعبت نشرتهم السرية (الوحدة) التى ساعد هانى الهندى فى اصدارها دورا فى الهجوم على الحزب الشيوعى العراقى .

وقد صدر العدد الأول من مجلة (الحرية) الناطقة باسم حركة القوميين العرب فى يناير ١٩٦٠ موضحة موقفها كما يلى ..

(نحن راغبون فكريا فى خوض معركة مع كافة القوى المعادية لحركتنا .. سواء كانت شرقية أم غربية .. يمينية أو يسارية) .

وهكذا لعبت حركة القوميين العرب دورا فى التركيز على قضية الوحدة العربية ، والصراع ضد الشيوعيين المحليين والقوى الرجعية فى الوطن العربى .

وعندما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية أيدها القوميون العرب .. وعندما دعا جمال عبد الناصر فى الذكرى الحادية عشرة لثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٦٣ الى اقامة (حركة قومية موحدة تندمج فيها كافة الحركات القومية

فى الوطن العربى) أرسلت الحركة وفدا الى مصر قابل جمال عبد الناصر الذى أيد فكرة اقامة تحالف لهذه القوى ٠

وظلت العلاقة بين الحركة وعبد الناصر الى أن نشب خلاف بين مصر ممثلة فى بعض ضباط المخابرات المصريين الذين تولوا مسئولية الاتصال مع الحركة الثورية فى اليمن وبين (الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن) التى تقودها (الحركة) ٠

ووصل الخلاف الى الحد الذى دفع الحركة الى دعوة (اليسار الناصرى) الى تأكيد (استقلاله) الفكرى والسياسى والتنظيمى ٠ والى اعتقال بعض قادة الجبهة القومية فى القاهرة ٠

البعـث ٠٠ والقضـية الفلسـطينية :

وقد لعب حزب البعث العربى الاشتراكى دورا رئيسيا فى تهيئة الأمة العربية للنضال من أجل تحرير فلسطين التى تعتبر قضية محورية فى عقيدة الحزب ولذا فلها عليه تأثير داخلى حاسم ٠

وكان كبار قادة البعث مثل ميشيل عفلق وأكرم الحورانى وصـلاح البيطار قد تطوعوا عام ١٩٤٨ فى حرب فلسطين ٠٠ كمـا ناضلوا داخل سوريا لتوجيه مسار سياستها نحو دعم الوحدة العربية لتصبح قوة مؤثرة فى مواجهـة اسرائيل ٠٠ حتى انتهى الأمر الى قيام دولة الوحـدة الأولى (الجمهورية العربية المتحـدة) فى فبراير ١٩٥٨ (انظـر الجزء الثالث عبد الناصر والعرب) ٠

كان حزب البعث خلال هذه الفترة قد تحمس لموقف ثورة يوليو عندما عقد عبد الناصر صفقة الأسلحة ، وكسر احتكار السلاح الغربى ٠٠ ووقف موقف المساندة الايجابية الفعالة عندما حدث العدوان الثلاثى على مصر ، وفتح فى حمص معسكرات لتدريب الشباب ، كمـا قام فرع الحزب فى غزة بنشاط سياسى أثناء فترة احتلال القوات الاسرائيلية لها ٠

واذا كانت العلاقة قد تعثرت بين ثورة يوليو وحزب البعث فان موقف ميشيل عفلق كان ثابتا وواضحا ٠٠ لم يهاجم وجود قوات الطوارىء الدولية على الحدود المصرية كما فعل أكرم الحورانى ، ولم يؤيد الحركة الانفصالية فى أيامها الأولى كمـا فعل الحورانى والبيطار ٠٠ وانما ثبت على موقفه المبدئى المدافع عن فكرة وقضية الوحدة العربية ٠

وفى عام ١٩٦٠ أنشىء مكتب فلسطين القومى تابعا لحزب البعث ٠٠ وكان ضمنه تنظيم للكفاح المسلح ٠

وخلال أعوام ١٩٦٣ و١٩٦٤ انشغل الحزب الحاكم في سوريا والعراق بمشاكل الدولة الداخلية وخلافاتهم مع ثورة يوليو مما أحدث نوعا من الاحباط وخيبة الأمل كما يقول الدكتور عبد الوهاب الكيالى الذى كان أمينا لهذا المكتب الذى قاده خالد يشرطى الذى كان عضوا فى القيادة القومية عام ١٩٦٣ ٠

ثم اتصل الفلسطينيون من البعث بأعضاء فتح بعد تكوينها ، وسقط جلال كعوش عضو الحزب شهيدا فى العمليات الفدائية عام ١٩٦٥ ، وكانت جريدة (الأحرار) البعثية فى لبنان قد نشرت البيان رقم ١ للعاصفة فى أول يناير ١٩٦٥ ، وفتحت صفحاتها دفاعا عنهم ٠

كما كانت جريدة البعث فى العراق تنشر بيانات العاصفة التى كان يسلمها فتحى عرفات شقيق ياسر عرفات الى طارق عزيز المسئول عن تحريرها ووزير الاعلام الحالى فى العراق ٠

ويذكر ان عددا من قادة فتح كانوا أعضاء فى البعث مثل أبو اللطف (فاروق قدومى) ومحمد أبو ميزر ومحسن أبو ميزر وخالد يشرطى ٠ ومع ذلك فقد اعتقل ياسر عرفات فى سوريا بوساطة أحمد سويدانى رئيس المخابرات فى عهد أمين الحافظ والذى تعاون بعد ذلك مع قادة الانقلاب العسكرى فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦ ٠

كان الحكم فى سوريا والعراق بعد هذا الانقلاب يطارد البعث وقيادته القومية ٠

وعندما حدث عدوان ١٩٦٧ كان ميشيل عفلق فى البرازيل ومن هناك أرسل برقية تضامن الى جمال عبد الناصر ٠

وعندما قامت ثورة ١٧ يوليو فى العراق نشط البعث فى جمع التبرعات لمنظمة فتح الى أن أعلن عن تشكيل (جبهة التحرير العربية) فى أول يناير ١٩٦٩ ، حيث قامت بدورها فى النضال المسلح وتولى أمانتها العامة زيد حيدر ثم دكتور عبد الوهاب الكيالى وأخيرا عبد الرحيم أحمد ٠

المقاومة ٠٠ بعد العدوان :

هذه النبذة التاريخية المختصرة تعرض الجذور التاريخية للحركات الرئيسية لنضال الشعب الفلسطينى قبل عدوان ١٩٦٧ ٠

ولم تكن هذه هى القوات الوحيدة فى الساحة ٠٠ كانت هناك قوات وتنظيمات أخرى صغيرة تبذل جهدها للعمل وسط صفوف الشعب الفلسطينى الذى تناثر عدد كبير منه فى مختلف الدول العربية ، واستقر عدد منه فى أعمال مربحة ومجزية وخاصة فى المهجر أو فى الدول البترولية٠

وفتح عدوان ١٩٦٧ صفحة جديدة فى تاريخ النضال الفلسطينى ·

وجدت حركة (فتح) التى اختارت طريق الكفاح المسلح منذ مطلع عـام ١٩٦٥ فرصة فريدة لاثبات وجودها والحصول على اعتراف الأنظمة العربية المهزومة بها ·

وكانت (فتح) قد حاولت الاتصال بالسلطات المصرية عام ١٩٦٦ ولكن العمل العربى كما سبق أن ذكرت كان فى يد ضباط المخـابرات المصريين ، الذين كانوا مقتنعين بأن ارتبـاط بعض قادة فتح بالاخـوان المسلمين ، هو فى ذاته أمر يجب أن يبعـدها عن ثورة يوليو ·· وخاصة بعد ثبوت وجود الاخوان فى تنظيم سرى عام ١٩٦٥ ومحاكمة بعض قادتهم والحكم على عدد منهم بالاعدام ·

ومع ذلك فقد كتبت فى روز اليوسف فى عدد ٢٣ أكتوبر ١٩٦٧ بعد لقاء مع عدد من قادة التنظيمات الفلسطينية تحقيقا تحت عنوان (دقت ساعة حرب جديدة لا تكسبها اسرائيل ولا بالقنبلة الذرية) تحدثت فيه عن الحركة الفدائية وتأثيرها التاريخى فى فلسطين ، وأشرت الى أن نقطة انطلاق الفدائيين لن تكون فى الخارج بعد أن أصبح العرب الفلسطينيون يشكلون أكثر من نصف تعداد سكان الأرض التى تسيطر عليها اسرائيل ، ولما كان يغلبنى الاعتقاد وقتئذ بأن العمل الفدائى سوف يكون من داخل الأرض المحتلة ، فقد قلت ان العمل الفدائى يخـرج بذلك من حساسية الدول المجاورة وتتوفر له بذلك شرعية ثورية ·

وكانت وكالة الأنباء الفرنسية قد نشرت برقيـة من داخل اسرائيل فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٧ تقول فيها :

(اذا كان رجل الشارع فى اسرائيل قد ارتاح بعض الشىء بعد (حرب الأيام الستة) من حزيران الماضى التى أبعدت الحدود الاسرائيلية عن المواقع الحيوية لأعمـال العنف العربية فانه يبدو عليه اليوم الاستياء المشوب بالقلق بعد الغارات التى يشنها الفدائيون العرب التى تهدد بأن تصبح أكثر قسوة وخطورة) ·

تزايد الدور السياسى لحركات المقاومة الفلسطينية وبرز دورها فى الساحة العربية ، وبدأت تبحث عن طريق للاعتراف الدولى بها ·

وكان طبيعيا أن يكون أول تفكير لهم فى الدولة الكبرى الصديقة الاتحاد السوفيتى الذى لم تكن تربطه بهم حتى ذلك الوقت صلة ما ·

وفى هذه الفترة تعرف (صلاح خلف) أبو اياد ومعه عدد من رفاقه على بريماكوف مراسل البرافدا فى القاهرة فى ذلك الوقت ، ونائب معهد العلاقات الدولية بموسكو الآن فى جلسة كانت فى منـزلى ، ودار خلالها

حـديث عميق حول دور حركة المقاومة الفلسطينية ، ولعله كان احـدى البدايات فى طريق اتصالات متعددة وطويلة امتد حتى أتيحت لهؤلاء القادة فرصـة مقابلة عبد الناصر عن طريق محمد حسنين هيكل بعد نشر ما كتبت وقبول مصر لقرار مجلس الأمن ٠

وحتى هذه اللحظة كانت المخابرات المصرية تثير الشـكوك حولهم فحذرت هيكل من احتمال دخول ياسر عرفات وصلاح خلف وفاروق القدومى على عبد الناصر وهم يحملون أسلحتهم ٠

ويكتب محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ما دار فى هذا اللقاء مشيرا الى قوة جمال عبد الناصر بأنه كان من ضمن المشاكل عدم وجود عنصر فلسطينى فى النضـال ، وانه سيكون سعيدا اذا استطاعت فتح التعبير عن ارادة المقاومة عند الشعب الفلسطينى ، وانه لا يجد سببا واحدا يحول دون تعاونهم معا رغم ان مصر قد قبلت قرار مجلس الأمن لانه يعتقد ان للفلسطينيين كامل الحق فى عدم قبول القرار والاعلان عن ذلك لانه لم يصدر من أجلهم ولا يحمل توقيعهم ٠

وبعد هذه الاتصالات بدأت فتح وحركات المقاومة الأخرى تأخذ مجالا فى العمل السياسى والظهور الاعلامى ٠

وجـد عبد الناصر فى فتح حليفـا جـديدا ليعوضه عن القوميين العرب ٠٠ وفرضت عليه الظروف أن يقبل ما كان يرفضه فى الماضى ٠

وكانت حركة القوميين العرب قد عقدت بعـد الهزيمة عدة مؤتمرات لبحث وتحليل الأسباب التى أدت الى هزيمة الجيوش العربية ٠٠ وكانت حصيلة هذه المؤتمرات الطلاق الكامل مع الناصرية التى أدينت باعتبارها (حركة برجوازية صغيرة محكوم عليها بالفشل) ، كما دعت هذه المؤتمرات الى استبدال الناصرية (ببداية جديدة) من شأنها أن تغير حركة القوميين العرب من منظمة شبه برجوازية الى حزب لينينى ماركسى ٠

ونشرت مجلة (الحرية) تقول ان كل الأنظمة العربية قد سقطت ٠

وانبثقت عن حـركة القوميين العرب (الجبهـة الشـعبية لتحرير فلسطين) التى يقول كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية انها تشكلت من اتفاق ثلاث منظمات هى منظمـة أبطـال العودة ، وجبهـة التحرير الفلسطينية التى كونها الضابط الفلسطينى فى الجيش السورى أحمـد جبريل ، ومنظمة شباب الثأر التى تعرف أيضا باسم الجبهة القومية لتحرير فلسطين ، وهو التنظيم الفلسطينى لحركة القوميين العرب ٠

وقد تطورت العلاقات بين فتح وثورة يوليو الى الحد الذى جعل جمال عبد الناصر يصحب معه ياسر عرفات الى موسكو أثناء زيارته لها فى يوليو

١٩٦٨ بجواز سفر مصرى تحت اسم (محسن أمين) ، بعد أن كان قد سهل له مهمة الحصول على الأسلحة والتدريب فى مصر ، الأمر الذى أثار قلق الملك حسين وخاصة عندما ضبطت الأسلحة المرسلة الى الفدائيين فى طائرتين قادمتين من القاهرة ٠

وقد أرسل الملك حسين رئيس وزرائه بهجت التلهونى للاحتجاج على ذلك أكثر من مرة ٠

ولم يتوان الفدائيون عن أداء دورهم النضالى بعد تنظيم وحدات عسكرية تابعة لمختلف التنظيمات القائمة فى الساحة والتى كانت (فتح) تشكل ثقلها الرئيسى ٠

وقد أدى تصاعد العمليات الفدائية الى اكتشاف أساليب جديدة فى القتال ، وظهرت الحاجة الى استخدام أسلحة أكثر تطورا مثل صواريخ ستريللا السوفيتية ٠

ولذلك أسهم جمال عبد الناصر فى ايجاد جسر مباشر بين القادة السوفييت وقادة فتح ، فقدم عرفات الى بريجنيف وكوسيجين وبودجورنى ٠

ودارت المباحثات بين ياسر عرفات وكيريل مازاروف المسئول السياسى عن الصلة بحركات التحرر الوطنى وبعض العسكريين ٠٠ وبدأت منذ ذلك التاريخ علاقة سياسية مباشرة بين الفلسطينيين والاتحاد السوفييتى ، أسهمت الى حد كبير فى امدادهم بالسلاح ، ودعم موقفهم فى مجال السياسة الدوليـــة ٠

أصبح الكفاح المسلح شعارا ترفعه كافة التنظيمات الفلسطينية وبدأ تشكيل الوحدات الفدائية ٠٠ وانتقلت المعركة الى داخل الأرض المحتلة ٠٠ وبدأت بعض التنظيمات الصغيرة فى الانضمام الى فتح ، مثل جبهة التحرير الوطنى الفلسطينى ، ومنظمة طلائع الفداء لتحرير فلسطين ، وجبهة ثوار فلسطين ، وقوات الجهاد المقدس ٠

ومع ذلك لم تتحد كافة المنظمات الفلسطينية ، ولم ينجح مؤتمر المنظمات الفدائية الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ١٧ الى ٢٠ يناير ١٩٦٩ فى دمج التنظيمات فى وحدة متماسكة فقد قاطعته الجبهة الشعبية ٠

والتعدد فى التنظيمات الفدائية يعتبر ظاهرة طبيعيـة ، تعكس واقع الشعب الفلسطينى خلال السنوات العشرين التى عاشها بعد قيام اسرائيل٠ وتشتت فيها فى مختلف الدول العربية ٠٠ الأمر الذى جعل عـددا من التنظيمات يرتبط بأنظمة معينة تنفق عليها وتحدد مسارها وسياستها ٠

وارتدت ظاهرة التنافس والتناقض بين الأنظمة العربية الى الساحة

الفلسطينية ، حيث يريد كل نظام أن يطوع العمل الفدائى ليتناسق مع سياسته ·

ويظهر كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية) انه كان هناك ١١ تنظيما هم :

فتح ـ قوات التحرير الشعبية التابعة لمنظمة تحرير فلسطين ـ طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة) ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ـ جبهة التحرير العربية ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) ـ جبهة النضال الشعبى الفلسطينى ـ الهيئة العاملة لتحرير فلسطين ـ منظمة فلسطين العربية ـ المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين ·

ولدت معظم هذه التنظيمات فى فترة المد لحركة الكفاح المسلح ، وفى موجة اندفاع أبناء الأمة العربية وخاصة أبناء فلسطين الى العمل الفدائى ·· والبعض منها كان نتيجة لحركات انقسامية فى صفوف الجبهة الشعبية ·

ورغم هذا فقد حدث تزاوج قومى فى صفوف هذه التنظيمات ·· فوقف فى خندق واحد المصرى والفلسطينى والعراقى والسورى والجزائرى ·· وغيرهم من مختلف الدول ·

لم يحدث هذا التزاوج فى تحركات تقليدية للقوات المسلحة للأنظمة المختلفة ·· وانما حدث بروح تطوعية وارادة شعبية ·

واستلفت اهتمام الرأى العام العالمى ، حركات العمل الفدائى التى بدأت تؤرق اسرائيل ، وتظهر المقاومة الفلسطينية كعنصر ايجابى مؤثر فى الموقف العسكرى والسياسى بالمنطقة ·

أصبحت شعارات الفدائيين وصورهم ترتفع فوق المظاهرات فى دول أوربا الغربية ·· وتعمق اهتمام الدول الاشتراكية بجدية حركة التحرر الوطنى الفلسطينية ، فاعترفت بها وبحقوق شعب فلسطين ، ثم أيدت فكرة اقامة دولة فلسطينية ، وأخيرا أدانت الصهيونية كفكرة عنصرية ·

وقد أخذت الحركات الفدائية أساليب مختلفة فى عملها ·· البعض حارب داخل اسرائيل ·· والبعض اكتفى بمناوشات الحدود ·· والبعض اتجه الى خطف الطائرات فكانت العملية الأولى التى قامت بها الجبهة الشعبية يوم ١٥ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت (بوينج ٧٠٧) تابعة لشركة العال الاسرائيلية أثناء اقلاعها من مطار روما وقادتها الى مطار الجزائر ·

وقد اختارت فتح منهجا سياسيا يصر على (تجنب المعارك السياسية

والفكرية مع القوى الأخرى مهما كان السبب ، لان هذه المعارك ستؤثر على سرعة نموها) ٠٠ وحرصت على تجنب الصدام مع الأنظمة التى تعيش فوق أرضها ٠

أما بعض التنظيمات الأخرى فقد اتجهت الى الماركسية اللينينية لتجد فيها ذخيرة فكرية ، ومرشد نضـــال ٠٠ وبدأ الصراع الطبقى يصبح محورا من المحاور الرئيسية التى يتبلور حولها تفكير واستراتيجية هذه التنظيمات٠

طلائع حـرب التحرير الشعبية (الصاعقة) الفرع الفلسطينى لحكم سوريا تؤمن بالاشتراكية العلمية وترى ان (الصراع الطبقى فى وطننا لم يتبلور نتيجـة انقســام حاد فى المجتمع ٠٠ وانما برز نتيجة عجز طبقات مهترئة اقطاعية وبرجوازية عن قيادة وحماية تراث الوطن العربى من الغزو الاستعمارى) ٠

والجبهة الشعبية اعتنقت الماركسية اللينينية كما ذكرنا ٠٠ ولكنها أدانت الأحزاب الشيوعية العربية ووصمتها بالفشــل ، اذ كانت ترى فى نفسها البديل لتلك الأحزاب ٠

ولكن سرعان ما حدثت الانقسامات فى الجبهة عندما انشق أحمـد جبريل ليشكل القيادة العامة فى أكتوبر ١٩٦٨ ، وفى فبراير ١٩٦٩ انشق الجناح اليسارى من الجبهة ليشكل (الجبهة الشعبية الديموقراطية) ٠

ولا شك أن انجذاب التنظيمات الفلسطينية الى الماركسية اللينينية خلال فترة ما بعـد العدوان قد شـكل تغيرا جذريا فى اتجاه الحركات السياسية فى الشرق الأوســط ، وفرض على الأنظمـــة العربية تقليل حساسيتها التقليدية من الأفكار والأحزاب الشيوعية ٠٠ كما جذب أنظار الطبقات العاملة فى الوطن العربى الى ضوء جديد ٠

ولكن عـدم نجاح هذه التنظيمات فى التعاون مع الأحزاب الشيوعية القائمة أظهر نقاط ضعف فى تعبيرها السليم عن الواقع الطبقى للعمال والفلاحين ٠ وفى اهمال الدور التاريخى لهذه الأحزاب ، مع محاولة طموح للقفز فوق الواقع ٠

على أية حال كان جديدا أن تظهر تنظيمات تقول مثل ما قالت الجبهة الشعبية الديموقراطية من أن (النضال ضد الامبريالية هو أساسا نضال طبقى ، فالامبريالية تحـكم سيطرتها وهيمنتها على المنطقـة العربية خلال تحالفها مع الأقليات العربية الحاكمة فى الأنظمة الرجعية) ٠

أما الحزب الشيوعى الأردنى فقد ظل هادئا أمام موجات الاندفاع الى العمل الفدائى حتى مارس ١٩٦٩ عندما أصدر بيانا دعا فيه الى (حماية

المقاومة المسلحة الناشئة وتنميتها وتنظيمها وتوحيدها) ٠٠ كما أشار الى أن (جميع الظروف آخذة فى النضوج لاقامة جبهة شعبية ثورية تكون مؤهلة لقيادة الجماهير الشعبية فى الأراضى المحتلة بشكل واع) ٠٠ كما طالب بتنسيق العمـل بين قطاعى المقـاومة فى الأراضى المحتلة والضفة الشرقية) ٠

وأخيرا ظهرت قوات الأنصار التى صدر بيانها الأول فى مارس ١٩٧٠ فكانت منظمة فدائية جديدة أسهم فى تكوينها الأحزاب الشيوعية فى كل من الأردن والعراق وسـوريا ولبنان ٠٠ وجاء فى بيانها الأول انهـا ـ لا تبغى منافسة أو معارضة أية منظمات مقاتلة ضد العدو ـ بل ـ ستكون رافدا من روافد المقاومة يصب فى نهرها العارم) ٠

وتماوجت فى الوطن العربى عـدة أفكار سياسية ٠٠ فبرزت الفكرة القائلة بأن النظرية تنبع من فوهة البندقية ٠٠ وعارض ذلك من يعتبرون أن فى ذلك محاولة للتقليل من أهمية ودور النضال السياسى وهو فى مضمونه استهانة بالجماهير ٠

وقد شهدت السـنوات التى أعقبت الهزيمة اتساع نفوذ المنظمات الفدائية وخاصة فتح التى انتخب زعيمها ياسر عرفات رئيسا لمنظمة تحرير فلسطين أثناء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى بدلا من يحيى حمودة ، وانتقلت بذلك الأغلبية فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الى أيدى ممثلى النشاط الفدائى ٠

المقـاومة داخـل الأرض المحتـلة :

لم تقتصر المقاومة العربية الفلسطينية على حدود الأرض المحتلة وانما امتدت أيضا داخل الأراضى الاسرائيلية ٠٠ قام بها العرب الذين بقوا تحت الحكم الاسرائيلى ٠

لم تتجه المقاومة داخل الأرض المحتلة الى الكفاح المسلح فى البداية ، فقد كانت قبضـة القوات الاسرائيلية بعد الانتصار وبداية الاحتلال شديدة العنف تطارد السلاح كالكلاب المسعورة ٠

وقد برزت الشخصية الفلسطينية وظهرت بوضوح وقوة٠٠واتجهت الجماهير الى التحرك السياسى الذى نشطت فيه الجبهة الشعبية والحزب الشيوعى الأردنى والحزب الشيوعى الفلسطينى بقطاع غزة ٠

وحاولت الحكومة الاسرائيلية فى مواجهة ظهور الشخصية الفلسطينية العمل بأسلوبها السابق على عـدوان ١٩٦٧ ، وهو الاعتماد على شريحة محدودة من بعض الأثرياء والعملاء ٠٠ لتمييع الشخصية الفلسطينية وتفريغ شحنة نضالها ٠

وكانت بعض الأحزاب العربية قد تضامنت مع المابای وحكومة ليفى اشكول عقب استقالة بن جوريون ٠٠ وأيد بعضها قرار الكنيست باقامة علاقات ديبلوماسية مع ألمانيا الغربية ٠٠ كما أيدوا الاجراءات الشكلية التى أخذتها الحكومة الاسرائيلية بنقل اختصاص الحكم العسكرى الى الادارة المدنية ومساواة العمال العرب بالعمال اليهود فى الهستدروت ٠

وبعد الانتصـار اتبعت السلطات الاسرائيلية سياسة مزدوجة ٠٠ القمع والارهاب وتحـويل الأرض المحتلة الى شبه مستعمرات من جهـة والتعـاون السـياسى مع بعض الأثرياء وخلق ما يشبه السـوق العربية الاسرائيلية المشتركة حيث تتسرب البضائع الاسرائيلية الى الأردن والدول العربية ٠

صرح أبا ايبان فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٧ فى مؤتمر صحفى بأن اسرائيل ترغب فى تكوين (مجتمع اقتصادى مشترك) مع لبنان والأردن٠واستجاب بعض الأعيان لذلك فشكلوا لجانا قومية وقطرية لاجراء مفاوضـات مع الحكومة الاسرائيلية باركتها الحركات الصهيونية مثل هاعولام هازيه والمابام وماكى ٠

وفى نوفمبر ١٩٦٨ صدرت أول جريدة عربية (القدس) ٠

ولكن الفلسطينيين لم ينجرفوا فى هذا التيارالسهل٠٠كانت هناك مجموعات أشد صلابة وتشبثا بالأفكار الوطنية والقومية ٠

فى أكتوبر ١٩٦٧ تشكلت فى الضفة الغربية جبهةواسعة باسم : (جبهة المقاومة الشعبية) ٠ ضمت الحزب الشيوعى والأردنى والقوميين العرب ٠٠ وحزب البعث وجبهة تحرير فلسطين ٠٠ وقد استبعد الاخوان المسلمون والعناصر الموالية لامريكا ٠ كما جاء فى كتاب (الحركة الوطنية الفلسطينية أحمد صادق سعد وعبد القادر يس) ٠٠ وكانت هذه الجبهة تعارض اقامة دولة فلسطينية تحت كنف الاحتلال الاسرائيلى ٠

ثم أعيد تشكيل (جبهة المقاومة الشعبية) فى منتصف عام ١٩٦٩ حيث نسقت العمل مع (الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة) ، وقد لعبت الأحزاب القومية والتقدمية دورا بارزا فى توجيه الجماهير ٠

وقد تحولت المقاومة الى شكل ايجابى ، فأغلقت كافة المحلات وتوقفت المواصلات فى اضراب عام خلال أغسطس ١٩٦٧ فى مدينة القدس ٠ وفى أول سبتمبر أصدر المدرسون فى الضفة الغربية بيان احتجاج على تزييف الحكومة الاسرائيلية للمناهج الدراسية ودعوا الى مقاطعة الدراســة ٠٠ وقامت مظاهرة عمالية من العاطلين فى رفح خلال ديسمبر تطالب بالخبز فأطلق عليها الجنود الاسرائيليون النار ، وسقط شهيد ٠

وتوالت الاضرابات والمظاهرات والاحتجاجات فى كل مناسبة وطنية أو قومية ٠٠ ووصل الأمر الى حد قيام احتكاكات بين البوليس والمتظاهرين فى مدن عديدة مثل نابلس ورام الله وجنين (انظر الحركة الوطنية الفلسطينية صفحة ١٣٣) ٠

ولجأت السلطات الاسرائيلية الى ابعاد العناصر الوطنية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ٠

وقد سجلت المحاكم العسكرية انها نظرت فى شهرين اثنين من عام ١٩٦٧ ما يقرب من ٦٥٠ قضية اهانة للبوليس والجيش الاسرائيلى ، كما قدم لمحكمة غزة العسكرية ما يقرب من ٢٠٠ فدائى ٠

وقد صرح الجنرال ديان فى أول يناير ١٩٧٠ أمام الكنيست ان ٩٩٩ عملا تخريبيا قد وقع خلال ٨ شهور من عام ١٩٦٩ قتل فيها ٤٠ فدائيا ٠ ٢٣ جنديا اسرائيليا ، وجرح ٥٥٨ فردا ، وقد ردت السلطات الاسرائيلية بقتل ٥٠ عربيا وجرح ٥١٦ ٠

وكان ذلك دليلا على أن المقاومة لم تقتصر على تحركات جماهيرية سياسة فقط ، ولكنها تجاوزت ذلك الى العمليات العسكرية التى تبنتها التنظيمات الفلسطينية خارج الأرض المحتلة والتى يتسرب أعضاؤها الى الداخل سرا ٠

وقد انفجرت بعض القنابل فى دور السينما والمحلات العامة ، وأماكن التجمع داخل اسرائيل الأمر الذى خلق نوعا من الذعر لا شك فيه بين المستوطنين الصهيونيين ٠

هذا ما كان من المواطنين العرب الفاسطينيين ٠

المقاومة داخل اسرائيل :

أما ما حدث داخل اسرائيل نفسها منذ اللحظة الأولى للعدوان فكان يتخذ وجهة أخرى وأسلوبا مختلفا ٠

كان الشيوعيون الاسرائيليون قد حذروا قبل العدوان من اشاعة الهستيريا العسكرية ، وأكدوا أن الحرب مهما كانت نتيجتها لن تحل أى قضية معلقة ولن تؤدى الا الى زيادة الجفاء والعداء بين اليهود والعرب ٠

وفى ٥ يونيو ١٩٦٧ كان النائبان الشيوعيان ماير فيلنر سكرتير حزب راكاح وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسى للحزب هما الوحيدان من بين أعضاء الكنيست اللذان صوتا ضد اعتماد قروض عسكرية أو فرض ضرائب جديدة ٠٠ كذلك حاول النائبان تجميع توقيعات النصاب القانونى لفتح باب مناقشة الحكومة فى أمر العدوان ولكنهما لم ينجحا فى ذلك لتكتل الجميع خلف العدوان ٠

وقال ماير فيلنر فى الكنيست (لم يكن فى استطاعة أى عدو أن يلحق باسرائيل أضرارا كتلك التى ألحقتها الحكومة الاسرائيلية) وطالب بوقف العمليات العسكرية التى بدأتها اسرائيل فورا وبسحب القوات الى خط الهدنة ٠

وأضاف فيلنر (ان هذه الحرب ليست فى صالح شعب اسرائيل وليست فى صالح الشعوب العربية وانما هى فقط تخدم المصالح الامبريالية الأمريكية والبريطانية وتسعى لحماية هذه المصالح بسفك دماء الشعوب) ٠

وثار النواب ضد فيلنر وحاولوا انزاله من منبر الكنيست فصاح فيهم توفيق طوبى كما ورد فى كتاب (اطلاق الحمامة) لبيليايف وبريماكوف ٠ وكوليسنيتشنكو (انكم لن تستطيعوا كتم صوت الشيوعيين فهو صوت الحق ، صوت الشرفاء من العرب واليهود ، صوت السلام ٠ ولابد يوما أن يعلو هذا الصوت على نعيقكم) ٠

وقد قامت السلطات الاسرائيلية باعتقال عدد كبير من الشيوعيين ٠ ومن بينهم أسرة تحرير جريدة (الاتحاد) العربية لسان حال الحزب الشيوعى ومع ذلك استمرت الجريدة فى الصدور هى وجريدة الحزب العبرية (زوخادريخ) ٠٠ واحتج الشيوعيون على وضع المناطق التى يسكنها عرب الأرض المحتلة تحت الحكم العسكرى ٠

كان الشيوعيون الاسرائيليون وحدهم هم الذين يأخذون هذا الموقف الواعى الشجاع فى ظروف شديدة القسوة ٠ وكان صوتهم الذى يبدو نشازا فى غمرة الابتهاج الذى غمر اسرائيل وانتقل منها الى الدول الغربية هو الصوت الوحيد المتعقل الذى يدرك ان نصرا فى معركة لا يمكن أن يفرض سلاما على المنطقة ٠

وكان النائبان الشيوعيان ماير فيلنر سكرتير الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسى للحزب هما النائبان الوحيدان اللذان صوتا ضد قرارين أصدرهما الكنيست أولهما يقضى بتوحيد القدس واخضاعها لادارة محلية واحدة ، متحديا فى ذلك قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وثانيهما يقضى بالموافقة على قرار بنك اسرائيل الذى أعلن فيه ان الليرة الاسرائيلية هى العملة الوحيدة التى يصرح بتداولها فى الجزء الغربى من القدس ٠

كان الموقف الذى اتخذه النائبان الشيوعيان يتسم بالشجاعة والحرص على الموقف المبدئى فى مواجهة خطة صهيونية توسعية للاستيلاء على الأرض العربية ، فبعد صدور قرارات الكنيست عقد رئيس الوزراء ليفى اشكول مؤتمرا صحفيا فى القطاع العربى من القدس وأعلن ان العسكريين الاسرائيليين ليس فى نيتهم التخلى عن الأرض العربية المحتلة ٠

وقد واصل الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) موقفه الصلب ضد صهيونية الحكومة الاسرائيلية فى بسالة ملحوظة وحكمة ثورية ٠٠ وقاوم أعضاؤه قرارات حظر التجول بين المدن التى فرضت على أعضائه ٠

وظلت جريدة الاتحاد منبرا معبرا عن رأى الحزب وجماهيره٠٠تؤدى دورا أساسيا فى توعية الشعب العربى الفلسطينى ، وتماسكه وصلابته ، وتجتذب الى صفوف الحزب مزيدا من الأنصــار ، الأمر الذى لوحظ تماما فى انتخابات البلدية ثم الكنيست ٠

وبعد أن كان العرب ينظرون الى الذين بقوا فى اسرائيل نظرة المتهادن والمتهاون فى وطنيته ، تحولت هذه النظرة الى تقدير واعزاز ٠٠ وأصبح الشعراء العرب فى اسرائيل نماذج للصمود والمقاومة ٠٠ وردد النــاس أشعار سميح القاسم وتوفيق زياد ومحمود درويش وغيرهم بعد أن فتحت الصحف العربية صفحاتها لهم واحتفت بانتاجهم ٠

لم يلجأ العرب الفلسطينيون داخل اسرائيل الى المقــاومة المسلحة المباشرة كما فعل زملاؤهم خارج الأرض المحتلة أو داخلها ، مكتفين بفرصتهم المتاحة لمعارضة سياسة الحكومة الاسرائيلية بوسائل سياسية سواء داخل الكنيست أو فى المجالات الشعبية ٠

وكانت الحكومة الاسرائيلية تتربص للعرب محاولة تصيد أى أخطاء لهم فى هذا السبيل لتضاعف القيود الفظيعة التى كانت تفرضها عليهم فى الانتقال من مدينة الى أخرى وفى سلب الحقوق التى كانت مفروضا أن يحصلوا عليها باعتبارهم مواطنين اسرائيليين ٠٠ فقد كانت هناك تفرقة عنصرية واضحة ضد السكان العرب أولا ثم ضد اليهود الشرقيين ثانيا ٠

وقد لعب الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) دورا بارزا وهاما فى ضبط ميزان المقاومة ، فتشبث بالمواقف المبدئية وناضل فى سبيلها بكل الجرأة والصراحة مع حرص على عدم الانزلاق الى مواقف غير ناضجة لا تسمح بها الظروف ولا التعبئة الشعبية المتاحة ٠

المقــاومة فى مصــــر :

لم تكن ثورة يوليو بعيدة عن المقاومة الشعبية ٠٠ كانت تلجأ لها فى أوقات الشدة ٠٠ ولكن بأسلوبها الخاص ٠

عندما انتهت حركة الكفاح المسلح فى القناة التى بدأت عام ١٩٥١ فى عهد الوفد مع حريق القــاهرة ، قامت حركة الجيش بعـدها بستة شهور ٠٠ ووجدت فى الكفاح المسلح طريقا رئيسيا للضغط خلال المفاوضات مع قوات الاحتلال البريطانية لاجبارها على الجلاء ٠

ورغم أن محكمة الثورة التى تشكلت من عبد اللطيف البغدادى رئيسا وعضوية أنور السادات وحسن ابراهيم قد وجهت الاتهام الى فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد بأنه قد خاض معركة الكفاح المسلح دون استعداد .. الا أن هذا الاتهام لم يجد صدى عند الجماهير سوى الدهشة والاستغراب .. فقد كان الكفاح المسلح ورعاية الوفد له وساما من ألمع الأوسمة التى تزين تاريخ الوفد .

ولم تتخل حركة الجيش عن الكفاح المسلح .. ولكنها سلبته من أيدى القيادات الشعبية للأحزاب والتنظيمات المختلفة ، ووضعته بين أيدى ضباط المخابرات الحربية والعامة الذين ربما كانوا أقدر على التدريب العسكرى من غيرهم ، الا أن قدرتهم على تحريك الجماهير كانت محدودة .. ورؤيتهم للكفاح المسلح كانت تختلف عن رؤية الأحزاب الشعبية .

ومع ذلك أثمر الكفاح المسلح فى منطقة القناة ضغوطا كانت تزيد وتخف تبعا لموقف البريطانيين على مائدة المفاوضات .

ولم تكن تجربة الكفاح المسلح فى القناة خلال سنوات ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ هى التجربة الوحيدة التى خاضتها ثورة يوليو .. كانت هناك تجربة المقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ (انظر الفصل الرابع من الباب الأول ـ الجزء الثانى) .

تغير أسلوب حركة الجيش نوعا ما .

صحيح انها اعتمدت على رجالها من ضباط الجيش والمخابرات .. ولكن هؤلاء لجأوا بدورهم الى القوات الشعبية وفى مقدمتهم الشيوعيون واليساريون .. وحدث نوع من التوافق والتنسيق ونكران الذات .. وسجلت المقاومة الشعبية أعمالا بطولية بارزة ضد قوات الاحتلال البريطانى والفرنسى فى بورسعيد وبورفؤاد .

ولكنه ما أن تم جلاء قوات العدوان حتى بادرت الحكومة بسحب الأسلحة من الشعب بأسلوب هادىء قام به عبد اللطيف البغدادى كما أوضحت فى الجزء الثانى .. وانفرط نسيج العلاقة النضالية التى ربطت بين حركة الجيش وبين القوى الشعبية .

خلال أعوام الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانى فى القناة . وخلال فترة المقاومة الشعبية ضد المعتدين عام ١٩٥٦ .. كانت هناك فرصة التحرك فى حرب الأنصار والعصابات ضد العدو ، فقد كان يحتل مناطق آهلة بالسكان .

ولكن عدوان ١٩٦٧ خلق ظروفا مختلفة ، فقد تغيرت نوعية العدو ،

فأصبح الاسرائيليون بدلا من البريطانيين ٠٠ واستقرت بهم الحال فى سيناء شرق القناة حيث الصحراء شاسعة تكاد تكون خالية من العمران ، وليس بها الا عدد محدود من المدن (العريش ورفح) القليلة السكان ٠

أصبحت المقـاومة الشعبية أشد صعوبة من ذى قبل فقد خلقت قناة السويس مانعا بيننا وبين العدو ، وضاعت فرصة التسلل عبر حدود قطاع غزة الى أرض اسرائيل ٠

وكان رفع شعار المقاومة الشعبية بعد الهزيمة الفادحة التى منيت بها القوات المسلحة يبدو نغمة نشازا فقد خسر الجيش سلاحه ، ولم تعد هناك أسلحة كافية لتسليح الشعب ٠

وقد اسبتدت الحيرة بجمال عبد الناصر فى ذلك الوقت فالجماهير تتصور أننا لابد أن نرد الضربة للعدو خلال شهور ، ولذا فعلينا أن نحتفظ بالاعلام والأناشيد فى الاذاعة ٠٠ وقد قال فى احدى خطبه انه بحثـا عن النغمة الصحيحة سأل بعض زملائه فى الوزارة فقالوا له ان لندن كانت تذيع الأغانى العادية وقت ضربها بالقنابل أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

كانت (النغمة الصحيحة) مفقودة فعلا فى مواجهة الهزيمة الفادحة ٠

ولكن ذلك لم يحل مطلقـا دون التركيز على سرعة بنــاء القوات المسلحة ، واقحامها فى معارك تعيد لها الثقة ، مثل اغراق المركب الاسرائيلى ايلات بصواريخ الطوربيد فى أكتوبر ١٩٦٧ وكما سيأتى تفصيلا فيما بعد ٠

وجـاء رد الاسرائيليين عنيفـا اذ ضربوا معمل تكرير البترول فى السويس حتى تحطم تماما ، واتجه الرأى الى تهجير السكان من مدن القناة حماية لهم من التعرض للمدفعية والطائرات الاسرائيلية ٠

وأخذت الأيام تمضى والقوات المسلحة تستعيد تنظيمها وقوتها ٠٠ ولكن جماهير الشعب لا تشعر بشعور المعركة الا من بعض المظاهر التى تحيط بها ٠

ولم يلعب الاتحاد الاشــتراكى دورا ملموســا فى تعبئة الجماهير للمعارك ، فقد كانت هناك خشية دائما من حركة الجماهير حتى لا تخرج عن اطار حسابات خاصة تبعدها عن طواعية النظام ٠

الخشية من الحركة الشعبية والتفاعل الحى معها رغم اعتماد جمال عبد الناصر عليها كان يشكل معادلة صعبة أمام النظام ٠

وعندما زادت الضغوط حول قضية اشراك الجمــاهير فى المعركة ونقلهم من مقاعد المتفرجين الى مشاركين فعليين أعلن جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ عن تشكيل (لجان المواطنين من أجل المعركة) ٠

ولم تكن حقيقة الاتحاد الاشتراكى خافية على جمال عبد الناصر فقد قال فى اجتماع خاص عقده مع الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى فى نهاية ديسمبر ١٩٦٤ ما نصه (الملاحظ اليوم أن هناك انعزالا بين القيادة والناس ، والذى أريد أن أقوله هو ان تنظيم الاتحاد الاشتراكى حتى الآن هو تنظيم على الورق رغم مؤتمرات الوحدات الأساسية ٠٠ تنظيم ٦ مليون شخص عملية مستحيلة ونحن يهمنا أن ننظم القيادات والكادرات ٠٠ اننا فعلا نطبق الاشتراكية من دون اشتراكيين وأنا لا أستطيع أن أقول اننا نطبق الاشتراكية ونريد أن نوحد الاشتراكيين بعد ذلك) ٠

كان جمال عبد الناصر يمهد بذلك لتكوين وظهور طليعة الاشتراكيين التى شكلت فعلا كما أوضحت فى الجزء الثانى ٠

وكان مفروضا أن يكون السند الرئيسى والأساس الحقيقى للمقاومة الشعبية هو هذا التنظيم الطليعى ٠

وأسجل حديثا لجمال عبد الناصر أيضا مع أمانة الاتحاد الاشتراكى قال فيه :

(اننا نستطيع أن نعقد مؤتمرا سواء كان فى شادر أو فى الجامعة أو فى الشارع ، ولكن طالما أنه لا توجد الكادرات الثورية فان الناس ستحضر ثم تنصرف ولا شىء آخر) ٠

(من الممثل الثورى للاتحاد الاشتراكى فى العزيزية مثلا ؟ (بلدة سيد مرعى) ٠

ويجيب سيد مرعى قائلا (سيد مرعى) فيضحك الحاضرون ٠

ويستكمل عبد الناصر الصورة قائلا (أنت تقيم فى القاهرة ولكن من هو الممثل الثورى للفلاحين ؟) ٠

ثم يسأل فى تحد (أين هم الناس الذين يدافعون عن الاشتراكية على أساس انهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ؟ قد تقول لى انهم كل أهل البلد ولكن أين القيادات التى يمكن أن تتقدم وتقود هؤلاء الناس) ٠

هكذا كان الأمر واضحا عند جمال عبد الناصر منذ البداية ٠ وطبيعة الاتحاد الاشتراكى لم تتغير بصورة جذرية ٠

ولكنه عندما واجه الأمر بعد يونيو ١٩٦٧ اتخذ طريقا مغايرا واختار تشكيلا جديدا هو (المواطنون من أجل المعركة) ٠

كان مفروضا فى هذا التنظيم الجديد أن يحقق نوعا من الايجابية فى تعبئة الجماهير وحشدها للمعركة ٠٠ ولكن بوادرها كانت تدل على خلاف ذلك ، فقد عين حافظ بدوي مسئولا عنها ، وهو رجل بعيد عن هذا الميدان

تماما ٠٠ فليست له قدرات عسكرية ٠٠ وموقعه السياسى لم يتجاوز حدود محافظة كفر الشيخ التى كان مسئولا عن الاتحاد الاشتراكى بها حتى أصبح وزيرا للشئون الاجتماعية ٠

ولذا جـاء هذا التعيين دليلا على رغبة عبد الناصر فى اقامة تنظيـم شكلى جديد لا يموج بالحيوية ولا يحشد طاقة الشعب الحقيقية ٠

ولم تكن لهذا التنظيم فعالية حقيقية٠ بل انه شكل ازدواجية تنظيمية غير مطلوبة ، كما انه لم يقم بدور (المليشيا الشعبية) كمـا قام بها (الحرس الوطنى) التابع لحزب البعث فى العراق مثلا خلال فترة زمنية معينة عام ١٩٦٣) ٠

كان اعطاء السلاح للجماهير أمرا غير وارد فى تفكير جمال عبد الناصر أو قادة النظام فى مصر لانهم كانوا يعتمدون على قدراتهم وسلطتهم الادارية فقط ، ولم يلجأوا لتسليح الشعب الا تحت ضغط ظروف العدوان ومقاومة الاحتلال كما حدث عام ١٩٥٦ ٠

ولكن الموقف بعد الهزيمة كان مختلفا ٠٠ فالعدو كما ذكرنا بعيد عن رؤية الجماهير ، ومحاربته تتم عن طريق وحدات القوات المسلحة الفدائية ٠ وتسليح الشعب يشكل خطرا على النظام فى وقت اهتزت فيه الثقة بالقيادة ولا يستطيع التنظيم السياسى أن يكون مقنعا أو محل احترام الجماهير ٠

ولذا استقبل الناس (لجان المواطنين من أجل المعركة) بسلبية واضحة وسخرية غير مستترة ٠ فقد كان حافظ بدوى الذى عين بها مسئولا شخصية غير مقنعة لأحد بأنه قادر على حشد وتعبئة الجماهير ، فلم يعرف له ماض سياسى ، ولم يشتهر بموقف نضالى ، وليست له ثقـافة عسكرية تتيح له امكانية حمل عبء هذه المسئولية التاريخية ٠٠ ولذا انفرط عقـد (لجان المواطنين من أجل المعركة) قبل اكتماله ، وأصبحت تنظيما اضافيا هامشيا لا قيمة له ولا تأثير ٠

ولا شك ان جمال عبد الناصر يعتبر مسئولا مسئولية تاريخية عن عدم البحث الجاد فى تكوين المقاومة الشعبية ، اذ ركز جهده فقط فى اعادة بناء القوات المسلحة ، بينما يشكل الاثنان أساسا موحدا للنضال من أجل التحرر ٠

وكذلك فان اختيار جمال عبد الناصر لحافظ بدوى رئيسا لهذا التنظيم الجديد يعتبر فى ذاته خطأ بالغا ٠ لانه لا يضع الشخصية المناسبة فى المكان المناسب ، واما انه يعطى ايحاء صريحا بأن هذا التكوين كان لعبة من ضمن الألعاب التى يمكن أن تمتص بعض طاقة الناس أو غضبهم ٠

ولكن (لجان المواطنين من أجل المعركة) لم تحقق شيئا من ذلك ولم تقدم شيئا نافعا ٠٠ وظلت المقاومة الشعبية كلمة وشعارا بعيدا عن التحقيق ٠

الفصل الثالث

العرب ٠٠ وظلال الهزيمة

(تقــــدم او ٠٠ مت)
شعب الجزائر فى مظاهرات
٩ يونيـــو ســـــنة ١٩٦٧

لم تفرض الهزيمة نفسها على العرب ، ولم ترضخ الجماهير للنتيجة، ولم تترنح من الصدمة المذهلة ٠

تشابه الموقف تقريبا فى الدول التى احتلت أرضها أو الدول التى لم تتأثر مباشرة من العدوان ، بدرجات متفاوتة ٠

وعلى قدر ما اتحدت المشاعر تأييدا لمصر وجمال عبد الناصر يوم ٥ يونيو على قدر ما كان قبول وقف اطلاق النار طعنة لبعض هذه المشـــاعر لأنه كان يعنى عندهم الاستكانة لذلة الهزيمة ، واطفاء لجذوة القتال التى اشتعلت فى الصدور ٠

اشد مظاهر هذا الرفض كانت فى الجزائر حيث يعيش الشعب الذى حارب الاستعمار الفرنسى سبع سنين ، والذى لم يتخيل مطلقا أن حربا يمكن أن تنتهى فى ستة ايام أو ان جيشا يمكن أن يوقف اطلاق النــــار والعدو يحتل أرضــــه ٠

ولا يمكن التشكيك لحظة واحدة فى تقدير شعب الجزائر وحبه لجمال عبد الناصر ودوره الايجابى فى مساندة الثورة الجزائرية ٠٠ وعندما وصلت انباء العدوان كان هوارى بومدين قد القى خطابا قبلها بأيام قال انه فى حالة وقوع الحرب فانه ليس أمام العرب من خيار الا (النصر أو

الاستشهاد) ٠ وتجمع الناس حول أجهزة الاذاعة يستمعون ٠٠ ومؤشراتهم تتجه الى القاهرة وصوت العرب ٠٠ وعندما تواترت أنباء الانتصارات الاسرائيلية فى وكالات الأنباء ومحطات الاذاعة الأجنبية ، طلبت اذاعة الجزائر من المستمعين ألا يستمعوا أو يصدقوا ما تذيعه هذه المحطات ، لأنها تشكك فى سير المعركة ٠

وظل الجزائريون يرتبطون بخيط الأمل فى استمرار المعركة وانتصار العرب الى أن أعلن قرار وقف اطلاق النار ، فانفجرت عواطف الجماهير تلقائيا وتدفقت المظاهرات تهتف بسقوط جمال عبد الناصر ٠

ارتفعت رؤية الشعب فوق تقدير الشخص والزعيم ٠

وعندما أعلنت اذاعة القاهرة عن خطاب جمال عبد الناصر يوم ٩ يونيو اتخذت الاذاعة الجزائرية اجراء لم تفعله من قبل وهو اذاعة الخطاب مباشرة على الهواء فى نفس الوقت ٠

ولم يكد يعلن جمال عبد الناصر اصراره على التنحى حتى خرج الخامن الى الشوارع غير مصدقين قائلين لعبد الناصر Marche-or-creve أى (تقدم أو مت) ٠

وظل مجلس الوزراء الجزائرى فى حالة انعقاد دائم ٠٠ ونقل وزير الإعلام الجزائري مقره الى مبنى الاذاعة والتليفزيون ٠

وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بهوارى بومدين بعد تدمير القوات الجوية شارحا له الموقف وطالبا منه لرسال طائرات جزائرية ٠

ويقول هوارى بومدين انه طلب من جمال عبد الناصر عدم التوقف عن القتال حتى عندما أبلغه أنه ليس هناك قوات مسلحة قادرة على صد الهجوم عن القاهرة ٠ وأنه ليس هناك دفاع جوى قادر على حماية المنشئات الحيوية ٠

كان هوارى بومدين يؤمن بضرورة استمرار المعركة ونقلها الى ساحة الشعب ، لأن ذلك كان يعنى فى النهاية انتصارا شعبيا مؤكدا مهما بعد الوقت أو زادت التضحيات ٠

ومع ذلك لم يتردد بومدين لحظة فى الوقوف الى جانب مصر وجمال عبد الناصر فقد طلب منه أن يرسل طيارين مصريين لقيادة الطائرات من الجزائر الى مصر ٠

ويقول بومدين ان الجزائر قد ارسلت كل ما كانت تملكه من طائرات ٠

ولكن نقمة الشارع الجزائرى على موقف جمال عبد الناصر كانت تزداد شدة وعنفا ٠٠ وظهرت الطبيعة الجزائرية الجادة عندما حاول بعض الجـــزائريين الاعتـداء على عدد من المصريين كانوا يسبحون على الشاطىء فى الأيام الأولى التى أعقبت الهزيمة ٠٠ وغضب طيار جزائرى من أحد الطيارين المصريين الذين حضروا لقيادة الطائرات عندما تساءل عما اذا كانت هناك فرصة لمشاهدة العاصمة الجزائرية فى وقت كان الناس فيه جميعا يحتاجون الى دقيقة واحدة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد أرسل خطابا الى الملوك والرؤساء العرب يوم ٨ يونيو يوضح فيه أفكاره فى هذه اللحظات الدقيقة ويقترح زيارة هوارى بومدين الى موسكو والملك حسين الى واشنطن ٠

وقد استدعى بومدين السفير السوفيتى وأبلغه بخبر رحلته فى اليوم التالى ٠٠ ولم تفلح محاولات الســـفير فى تأجيل الزيارة حتى يستعد الزعماء السوفييت لاستقبال الزعيم الجزائرى ٠

وصل بومدين الى موسكو يوم ١١ يونيو ودارت بينه وبين الزعمـاء السوفييت مناقشات هامة ، حاولوا أن يوضحوا له فيها أنهم قاموا بدورهم فى مساندة مصر بأسلحة كافية لم تستخدم ، وأن تدخلهم المباشر فى هذا الوقت يعرض العالم لخطر حـــرب عالمية ثالثة ، وأنهم لن يترددوا فى مساعدة مصر لاعادة بناء قواتها المسلحة ٠٠ ولم يعد بومدين مقتنعـا تماما بآراء القادة السوفييت فقد كان يريد مساعدة فورية ومباشرة ٠٠ وقد أمضى بعد ذلك عدة أيام فى القاهرة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد تلقى فى نفس اليوم الذى وصـــل فيه بومدين الى موسكو ــ ١١ يونيو ــ رسالة وقعها بريجنيف وكوسيجين وبودجورنى تقـــول :

أيهـا الصـــديق ٠٠

اننا ندرك خطر الموقف الذى نشأ فى بلادك نتيجة العدوان الاسرائيلى ومؤامرات القوى الامبريالية واننا نريد فى هذه اللحظة ، هذه اللحظـة العسيرة هذه اللحظة المسئولة أن نعرب عن اعتقادنا الجازم بأنه يجب عليك ألا تترك بلادك أو قيادتك ٠

الصديق العزيز عبد الناصر :

انك تتمتع بسمعة كبيرة فى العالم العربى ٠٠ ان شـعوب العـالم العربى تحبك وتثق فيك وتسندك ، وان اصدقاءك فى جميع انحاء العـالم يعتمدون عليك ، ويعتقدون أن استمرارك فى موقعك هو وحده الذى يمكنك

من العمل والنضال لاستعادة ما فقد وحماية الانتصارات الكبرى للثورة العربية وقيادتها الى النصر النهائى ٠

ان العالم العربى والقوى التقدمية فى العالم لن تفهم ولن تقبل تخليك عن موقعك الآن ، ولقد عقدنا اجتماعا فى موسكو أمس لزعماء الأحزاب والحكومات الشيوعية من جميع الدول الأوربية الاشتراكية ، ونحن فى سبيل اصدار اعلان نقدم اليك فيه كل التأييد ، كما قررنا بذل جهود مشتركة لحل جميع المشاكل التى تواجهك اقتصادية أو عسكرية ونحن على استعداد لمناقشة كل شىء معك ٠

مع عميق احترامنا

بريجنيف ـ كوسجين ـ بودجورنى

رفع هذا الخطاب معنوية جمال عبد الناصر وشد من عزيمته بعد موقف الشعوب على امتداد الوطن العربى التى طالبته بعدم التنحى ٠

وفى مقابل هذا الموقف السوفيتى المساند كان موقف جونسون مع الملك حسين فى غير صالح العرب اذ قال له فى الوقت الذى كانت فيه كل الدلائل تشير الى تورط أجهزة الولايات المتحدة فى التخطيط للعدوان (لماذا كنتم على هذا القدر من الغباء الذى جعلكم تتورطون ؟) ٠

وعموما فقد ظهر التباين واضحا فى الموقفين السوفيتى والأمريكى٠ وبقى بومدين فى القاهرة عدة أيام الى جانب عبد الناصر ٠٠ بينما عاد الملك حسين الى عمان ٠

وهكذا لم يكن موقف الجزائر اندفاعا عاطفيا لمحاولة احراج مصر وقيادتها ٠٠ ولكنه كان تعبيرا عن غضبة حقيقية لجرح أصاب القومية العربية التى جعلت الثورة الجزائرية منها محورا رئيسيا للنضال ٠

ومرة اخرى ذهب هوارى بومدين الى موسكو مع عبد الرحمن عارف رئيس جمهورية العراق يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ عقب زيارة بودجورنى لمصر التى عرض فيها جمال عبد الناصر اقتراح توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين الدولتين ، وتحميل السوفيت مسئولية الدفاع الجوى عن مصر ٠

كان جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت يستهدف تقريب الاتحاد السوفييتى من المشكلة واشعارهم بأن هزيمة مصر هى هزيمة لهم ٠ وكان الاتحاد السوفييتى يدخل فى حساباته سياسة الانفراج الدولى التى كان يتبناها ، فتردد فى قبول العرض المصرى حتى لا تلتهب المنطقة بأكثر مما يحتمله السلام العالمى ٠

وكان عبد الناصر خـــلال زيارة بودجـــورني قد وافق على تقديم تسهيلات بحرية للاسطول السوفييتي في البحر الأبيض ، ولكنه رفض أن تكون لهم قاعدة خاصة مغلقة ٠

وسافر بومدين وعارف لمطالبة السوفييت بمزيد من المساعدة للعرب ٠٠ وقال لهم بريجنيف انه قد أمضى في موسكو عدة ليال بلا نوم نتيجـة للتحذيرات التي كانوا يتلقونها من أن اسرائيل تدبر عبورا لقناة السويس٠ وهو أمر قد يكون مستبعدا لوقوف السوفييت مع العـرب ولأن ذلك يعتبر تحديا للرأى العام العالمي ، ومع ذلك فان ذلك ـ في رأى بريجنيف ـ كان يمكن أن يحدث ويتم اندفاع سريع نحو القاهرة الأمر الذي يقرب العـالم من شفا الهاوية ٠

وذكر بريجنيف لبومدين وعارف المساعدات التي قدمها الاتحـاد السوفييتي لمصر فقال انه خلال اسبوعين أرسلنا حمولة ١٥ سفينة من المواد الحربية زنتها ٨٤ الف طن علاوة على ارسال ١٥٠٠ خبير ٠

وعاد الزعيمان العربيان الى مصر بعد شرح وجهة نظرهما للزعماء السوفييت ٠

ولكن هوارى بومدين لم يشأ المشاركة في أى موقف يسوى المشـكلة بغير طريق الحرب والقتـال ٠

ولم تكد تمضى شهور حتى أعلن هوارى بومدين يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦٧ عن فشل محاولة انقلابية في الجـــزائر وتقديم المسئولين عنها للمحاكمة بعد عزل طاهر الزبيرى رئيس الأركان وتولى بومدين قيـادة القوات المسلحة ليبقى زعيما عربيا مناضلا من اجل التحرر والاشتراكية والوحدة العـربية ٠

ولم يذهب هوارى بومدين الى مؤتمر الخرطوم ـ أغسطس ١٩٦٧ ـ أناب عنه عبد العزيز بوتفليقة ولم يقبل قرار مجلس الأمن ، وقرر سحب القوات الجزائرية التي كانت ترابط في مصر لأنها أصبحت بلا دور ٠

ولا شك أن الأمة العربية على امتداد الوطن كانت قد تأثرت الى حد بعيد بدعايات وتصريحات المطالبين بتدمير اسرائيل ، والذين رسخت في عقولهم هذه المطالبة حتى أصبحت حقيقة يصعب تغييرها ٠٠ ولذا كـان قبول قرار مجلس الأمن أيضا في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ صدمة ثانية بعـد قبول قرار وقف اطلاق النـار ٠

ولكن هذا لا يعنى ان القرار الذى اتخذه جمال عبد الناصر بوقف اطلاق النار أو قبول قرار مجلس الأمن كان نابعا من موقف ضعف وتخاذل،

أو انه كان تعبيرا عن روح انهزامية ٠٠ ذلك القول يحمل الأمور فـوق ما تحتمل ٠٠ فالحقيقة أن مجابهة الأمر الواقع كانت تفرض ذلك ٠٠ فلو لم يتخذ قرار وقف اطلاق النيران لاستمر جموح العدوان فى وقت كانت مصر قد فقدت فيه بسبب قيادتها العسكرية المهترئة معظم قواتها المسلحة٠ كما أن جميع دول العالم غربا وشرقا ما كانت لتقف بجانب مصر لو كـان هدفها عدوانيا ويقصد تدمير اسرائيل ٠٠ ان الدول الصديقة وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى كانت تتخذ موقفا استراتيجيا واضحا لدى مصر وهـو أننا نقف هنا للدفاع عن أرضنا ضـد عـدوان الامبريالية والصهيونية التوسعية ، ولكنها لا تخطو هنا خطوة واحدة ضد الوجود الاسرائيلى ٠

وقد لا يتسق هذا الموقف مع عواطف العرب ٠٠ ولكنه كان الاختيار الاستراتيجى للسوفييت منذ عام ١٩٤٧ بعد دراستهم لأمور المنطقة ٠

ولذا فان نشوز جمال عبد الناصر أو رفضه لقرار مجلس الأمن الذى نص على احترام وجود دول المنطقة كان يعرضه لعزلة عالمية قد يشترك فيهـا الأصدقاء أيضا ٠

واذا كان جمال عبد الناصر قد استند على باقى رصيده من الثقـة الشعبية فى قبول قرار مجلس الأمن ، وقبلت الأردن أيضا القرار حيث يستتر النظام على أسس لا تسمح له باتخاذ موقف الرفض ٠ فان أنظمة عربية كثيرة رفضت القرار ٠٠ سـوريا من دول المواجهة ثم العـراق والسودان والجـزائر ٠

العـراق

رفضت العراق قرار مجلس الأمن رغم نظام عبد الرحمن عارف الذى كان على علاقة طيبة بالنظام فى مصر ، ورغم أن العدوان الاسرائيلى لم يمس العـراق مباشرة ٠

كانت العراق فى حالة غليان ضد الهزيمة ٠

وكان حزب البعث فى العراق قد بدأ يلعب دورا سياسيا ضـاغطا ضد الحكومة ٠٠ ويقول التقرير السياسى للمؤتمر القطرى الثامن للحزب ـ فبراير ١٩٧٤ ـ ما يلى :

(فى الواقع كان حزب البعث العربى الاشتراكى فى وضع خاص واستثنائى جدا ، فقد كان للحزب ثقل مادى ومعنوى كبير فى حياة البلاد السياسية برغم كل الحساسيات تجاهه وبرغم مواقف العداء ومحاولات العزل التى كانت تتخذها أوساط سياسية عديدة ضده ، ولأنه كان الحزب الوحيد فى القطر العراقى الذى سبق له أن تسلم السلطة السـياسية

عن طريق الثورة المسلحة فان كثيرين كانوا ينظرون اليه على انه القـوة السياسية الوحيدة فى البلاد القادرة فعلا على تكرار هذه العملية ؟ ٠

اسهم الحزب بدور رئيسى فى خروج مظاهرات الاحتجاج مع بداية العدوان أمام السفارتين الأمريكية والبريطانية فى بغداد ٠٠ وقاد هذه المظاهرات الزعيم أحمد حسن البكر الذى رفع شعارات (مساندة المقاومة الفلسطينية) ٠

وكانت القوات العراقية قد اتجهت قبل العدوان الى الأردن كمـا ذكرنا وقد ودعها عبد الرحمن عارف بخطبة كانت محل التندر والسخرية لأنها طالبت الجنود بأن يحسنوا التصرف عندما يجتاحون أرض اسرائيل ٠٠ وقد وصلت هذه القوات بعـد الهزيمة واسـتقرت بأعداد وصلت الى ما يزيد عن ٥٠ر٠٠٠ جنـدى ٠

وشكلت فى بغداد حكومة جديدة برئاسة الفريق طاهر يحيى بدلا من الوزارة التى كان يرأسها عبـد الرحمن عارف ٠٠ وكانت الحكومة العراقية قد أوقفت تصدير البترول الى الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا الغربية ، كذلك حظرت استيراد السلع من هذه الدول ، ومنعت طائراتها من الهبوط فى العراق ، كما قطع العراق علاقاته الدبلوماسية بالولايات المتحدة وبريطانيا وكانت مقطوعة اصلا مع ألمانيا الغربية ٠٠ كما أغلق كافة المراكز الثقافية التابعة للدول الاستعمارية المذكورة ٠

ومع ذلك فان حزب البعث بدأ يخطط للاستيلاء على السلطة متخذا من رفض الهزيمة حافزا شديدا على ذلك وكان النظام ضعيفا والتنظيمات السياسية مشرذمة وغير متحدة ٠

ولم يكن للبعث فى العراق فى ذلك الوقت صلة بالنظام الحـاكم فى سوريا اذ انه اتخذ موقف الرفض المبدئى للانقلاب السورى الذى أطاح بأمين الحافظ فى ٢١ فبراير ١٩٦٦ رغم احتفاظه بلافتة بعثية اذا اعتبر ذلك خروجا على تقاليد الحزب ٠

وبرزت الحاجة الى التحالف مع قيادة الحرس الجمهورى لنجاح الحركة العسكرية من الجهة الفنية ، وتم ذلك عن طريق التفاهم مع قائد تلك القوات ابراهيم الداود (رغم تشخيص الحزب الدقيق لاتجاهاته السياسية وأطماعه الشخصية) على حد تعبير التقرير السياسى للمؤتمر القطرى الثامن ـ فبراير ١٩٧٤) ٠

وقد ورط ابراهيم الداود قيادة الحزب بابلاغه عبد الرزاق النايف أخبار الحركة العسكرية قبل وقوعها ٠٠ الأمر الذى وضع القيادة القطرية للحزب اثناء اجتماعها صباح يوم ١٦ يوليو ١٩٦٨ فى دار أحمد حسـن

البكر فى وضع حرج عندما وصلتهم رسالة من النايف يبدى فيها استعداده للمشاركة فى الثورة ٠

قبلت القيادة القطرية الوضع حتى لا ينفضح أمر الثورة ، وارتضت تعيين عبد الرزاق النايف رئيسا للوزراء ، مما سبب صدمة مفاجئة لبعض أنصار الحزب الذين لم يعرفوا حقيقة ما دار فى الكواليس ٠

ومنذ اللحظة الأولى لقبول هذا الوضع الجديد الذى عرض خط الحركة الثورية للتشويه بدأ التفكير فى ضرورة تصفية النايف والداود معـــا ٠

وفى الثالثة من صباح ١٧ يوليو انقض اعضاء حزب البعث المكلفون بتنفيذ الانتفاضة المسلحة على كتيبة دبابات الحرس الجمهورى وحاصروا القصر الجمهورى وكان فى طليعتهم صدام حسين ، واتصلوا بعبد الرحمن عارف طالبين منه التسليم على أن تحفظ له حياته ويسافر الى خارج العراق بسلام وقد تردد عارف فى البداية ولكنه عندما لمس أن الهجوم على القصر قد بدأ باطلاق النيران وانه محاصر ، تراجع وقبل عرض التسليم ، فسافر الى خارج العراق فى الصباح ٠

وكان تحريك اللواء العاشر المدرع نحو بغداد بندا هاما من بنـــود الخطة وقد حاول عبد الرزاق النايف بعد تنازل عارف منع اللواء من التحرك ولكن البعثيين فى اللواء رفضوا ذلك وأكملوا خطتهم حيث اتخذوا لهم موقعا فى منطقة (أبو غريب) ٠

ولم يدم الوضع أكثر من ١٣ يوما بعد الحركة الثورية اذ نفـذت عملية تصفية النايف وابراهيم الداود صباح ٣٠ تموز عندما كان الداود فى الأردن لتفقد القوات العراقية هناك ، وقد اعتقل النايف داخل القصر الجمهورى رغم حساسية الوضع لوجود عدد من المؤيدين له فى قوات الحرس الجمهورى ، وفى داخل مبنى القصر الجمهورى ، حيث مقر أمين سر القيادة القطرية أحمد حسن البكر ٠

وفى الساعة السادسة من مساء ٣٠ يوليو صدر بيان فى الاذاعة ينهى الوضع المعلق ما بين ١٧ ، ٣٠ يوليو والذى اعتبره حـــزب البعث (من أكثر الأوقات دقة وحرجا فى حياة الحزب ، ومن اشدها خطرا على وجوده ومستقبله وعلى الحركة الوطنية فى القطر ٠٠ بل وعلى حـــركة الثورة العربية ايضا) ٠

وكانت الانتفاضة الثورية فى ١٧ يوليو تأكيدا لموقف رفض الهزيمة من جانب العـــراق ٠

جاء فى البيان الأول للثورة هذه الكلمات :

كانت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ هى أول ثورة تحدث فى الوطن العربى بعد الهزيمة ٠٠ وقد عاد بها حزب البعث الى السلطة بعد اقصائه عن الحكم عقب أحداث نوفمبر ١٩٦٣ ، والتى كانت سببا رئيسيا فى هـــدم العلاقة بين جمال عبد الناصر وبين حزب البعث ، وهى العلاقة التى بدأت تسوء فى عهد الوحدة وخاصة بعد استقالة اكرم الحورانى وصـــلاح البيطار ٠ والتى لم تنجح محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ فى تصفيتها من الخــــلافات ٠

وكانت محاولة جاسم علوان ومحمد الجراح الانقلابية فى سوريا (يوليو ١٩٦٣) مبعث شك فى أسلوب جمال عبد الناصر من جانب حزب البعث ٠ وقد أعقب وصول أمين الحافظ الى الحكم فى سوريا بعد طرد لؤى الأتاسى عدة مقالات عنيفة كتبها محمد حسنين هيكل ضد البعث فى صحيفة الأهرام وكان يرد عليها طارق عزيز وزير الاعلام فيما بعد فى صحيفة البعث صباح كل خميس ٠

ويذكر أن محاولة قد تمت لتصفية الجو بين مصر والعراق أثنـاء اشتراك البعث فى الحكم على عهد عبد السلام عارف ، وتقرر سفر وفـد يرأسه عبد السلام عارف ومعه طاهر يحيى ، وذلك خلال سبتمبر ١٩٦٣٠

ويدلل طارق عزيز على صدق رغبة البعث فى تصفية الجو بأن السيد أحمد حسن البكر رفض نشر مقال كتبه ردا على هيكل قبل أيام من سفر هذا الوفد ، وقد قال لكريم شنتاف المسئول السياسى عن الجريدة انه سـوف ييأس اذا نشر هذا المقال لأنه سيحطم محاولة تصفية الجو ٠٠ وفعلا سحب المقال من المطبعة فى اللحظة الأخيرة ٠

قال لى طارق عزيز ان الاجتماعات كانت تتم بين الوفدين مكتملين ولكنه لاحظ عقب حفل عشاء فى سراى القبة ان عبد الناصر قد اختلى بعارف لمدة طويلة فى الحديقة الكبيرة ٠٠ وأثناء العودة طلب عارف من طارق عزيز أن يكتب برقية بمناسبة مغادرة الأجواء المصرية ، فكتبهـا طارق وذكر فيها شعار (وحدة ــ حرية ــ اشتراكية) وفوجىء بعبد السلام عارف يقول له اننى لست حزبيا ولا داعى لكتابة هذا الشـعار ومع ذلك فقد تراجع ووافق على ارسال البرقية كما هى ٠

وبدأت المرارة الشديدة تستقر فى نفوس البعثيين فى العـراق عندما تابعوا اذاعة صوت العرب وهى تهاجمهم أثناء أحداث نوفمبر ١٩٦٣ ، ثم فى رفض عبد الناصر التقارب من الحزب فى سوريا بعد ذلك رغم مقالات صلاح البيطار التى نشرها عام ١٩٦٤ فى محاولة لرأب الصدع ، رغـم أنها عرضته لهجمات عدد من زملائه فى الحزب ٠

وقد أثارت محاولة البعث تسلم السلطة فى نوفمبر عام ١٩٦٤ معارضة شديدة وهجوما من جانب مصر ، وقام عبد السلام عارف باعتقال عدة آلاف ٠

ويذكر أن أحمد حسن البكر قد اعتقل فى هذه الفترة وأفرج عنه فى أوائل عام ١٩٦٥ ، وأن صدام حسين نائب أمين سر القيادة القطرية قد أعتقل بعد أن فرغت ذخيرته التى وجهها الى الهاجمين عليه : وظل معتقلا الى أن هرب من السجن عام ١٩٦٦ ٠٠ وقد انتخب البكر وصدام عضرين فى القيادة القومية أثناء وجودهما فى السجن ٠

ولم يكن معقولا من قادة البعث أن يقتربوا خلال هذه الفترة من جمال عبد الناصر وأجهزة الاعلام فى القاهرة تأخذ منهم موقف العداء ٠

وأخيرا كان احتفاء عبد الناصر بمجموعة (الأتاسى ـ زعين ـ جديد) التى وثبت الى الحكم فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦ فى سوريا أمرا يتعارض مع اتجاه البعث فى العراق الذى اتخذ موقف الرفض المبدئى منها كما ذكرنا ٠

وعندما نجحت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ أخذ جمال عبد الناصر منها موقف التحفظ ، ولكن الأهرام نشرت يوم ٣١ يوليو أخبارا متعاطفة مع النايف والداود اللذين أبعدا عن الحكم واستقر بهما المقام بعد ذلك فى السعودية ٠

كانت المرارة قد ترسبت فى قلوب البعثيين ٠٠ وكان عبد الناصر ما زال محتفظا برأيه الذى أعلنه أثناء المحادثات الثلاثية فى حزب البعث ٠

ولا شك أن موقف جمال عبد الناصر من رفض فكرة الأحزاب كان خاطئا بدليل تراجعه عنه أثناء هذه المحادثات عندما قال (ان حل الأحزاب السورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وماكانش صح) ٠٠ وقال أيضا (احنا فى ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الأحزاب التى لا تتفق فى الهدف ، ثم جمع الاحزاب الأخرى القومية التى تجمعها وحدة الهدف تكون هى الطلائع الثورية فى جبهة قومية تسير على هدف واحد) ٠

ولكن جمال عبد الناصر مع ذلك لم يأخذ خطوة ايجابية لعبور هذه الهوة التى فصلت بينه وبين فكرة وجود الأحزاب عموما ، وقبول حزب البعث أو الأحزاب الشيوعية خصوصا ٠

وظلت هذه الخطيئة ملازمة له لم يحاول التخلص منها بسور جادة داخل مصر ٠

لم يحاول قادة ثورة ١٧ تموز الاقتراب من جمال عبد الناصر ، ولم يحاول هو من جانبه أن يزيل الحساسيات رغم كآبة جو الهزيمة ٠

عندما عقد مؤتمر قمة دول المواجهة ذهب الفريق صالح مهدى عماش ولم يحدث بينه وبين عبد الناصر أى تقارب رغم السنوات التى أمضاها فى مصر ٠

وعندما قامت الحركة العسكرية الليبية فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ توجه وفد عراقى برئاسة صدام حسين الى هناك وفى طريق عودته مر بالقاهرة ، وهو الذى عاش فيها سنوات بعد اشتراكه فى محاولة الاعتداء على عبد الكريم قاسم وهربه الى سوريا ثم مصر حيث بقى بها الى أن قامت ثورة ٨ فبراير ــ ١٤ رمضان فعاد الى بغداد من القاهرة ٠

ولم يلتق جمال عبد الناصر بصدام حسين فى ذلك الوقت وضاعت فرصة لقاء رجلين كان يمكن لهما أن يتفقا على موقف سليم جديد ٠

وعندما عقد مؤتمر الرباط ذهب حردان التكريتى ممثلا للعراق وضاعت فرصة لقاء بين قادة الثورة المصرية وقادة الثورة العراقية ٠

السـودان :

كانت الخرطوم هى العاصمة التى ارتضى جميع الملوك والرؤساء أن تكون مقرا لاجتماع مؤتمر القمة بعد الهـزيمة ٠٠ وقد لعب اسماعيل الأزهرى ومحمد أحمد محجوب دورا رئيسيا فى عقد هذا المؤتمر سـبق أن أشرنا اليـه ٠

وكانت السودان من الدول التى رفضت الهزيمة وقـرار مجلس الأمن أيضـا ٠٠

ولكن الموقف السياسى فى السودان لم يكن هادئا ، رغم أن الحـكم كان مشاركة بين الأحزاب التى أحرزت الأغلبية فى انتخابات ابريل ١٩٦٥ والتى قاطعها الجنوبيون وحزب الشعب الديمقراطى والتى أسـفرت عن حصول حزب الأمة على ٧٥ مقعدا من ١٧٢ والوطنى الاتحادى على ٥٢ مقعدا والحزب الشيوعى على ثمانية مقاعد ٠٠ كما أسفرت انتخابات الخريجين على حصول الحزب الشيوعى على ١٣ مقعدا من ١٥ ٠

وكانت الحكومة قد افتعلت حادث تهجم على الدين الاسلامى من طالب

كان منتسبا للحزب الشيوعى فى الماضى وأصدرت قرارا بحـل الحـزب الشيوعى وفصل جميع أعضائه من الجمعية التأسيسية ٠

رفع الحزب الشيوعى ذلك القرار الجائر الى المحكمة العليا التى اصدرت حكمها برئاسة بابكر عوض الله بعدم شرعية تعديل الدستور الذى تم بموجبه حل الحزب الشيوعى وطرد أعضائه من الجمعية التأسيسية٠٠ ولكن وزير الداخلية والجمعية التاسيسية رفضا الاستجابة الى قـرار المحكمة ، الأمر الذى دفع بابكر عوض الله الى الاستقالة من منصبه فى مايو ١٩٦٧ احتجاجا على عدم تنفيذ قرار المحكمة ٠

ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد الذى يفرضـه نظام الحكم فى السودان ٠

ظهر تناقض فى صفوف حزب الأمة بين الهادى المهدى ومعه محمد أحمد محجوب من جهة وبين ابن شقيقه الصادق المهدى من جهة اخرى ، ادى الى انقسام الحزب الى كتلتين متنافستين ٠

وظهر تناقض ثالث حول الدستور الذى تشبثت بعض القـوى الرجعية بأن يكون دستورا اسلاميا ٠

وانتهى الأمر أيضـا الى عودة حزب الشـعب الديموقراطى الى الاندماج فى الحزب الوطنى الاتحادى حيث تكون حزب جديد باسم حزب الاتحاد الديموقرطى ٠٠ وكانت هذه هى نهاية ارتباط حزب الشعب الديموقراطى بالتجمع الاشتراكى الديموقراطى الذى كان يضم القـوى والأحزاب التقدمية واليسارية ٠

وأصبحت الحالة السياسية فى السودان تعبر عن أحزاب تقليدية عاجزة عن اقناع الجماهير ٠٠ وجماهير متطلعة الى التغيير ٠

تجمع لكل القوى التقليدية فى موقع السلطة ٠٠ وتجمع لكل قـوى التقدم والاشتراكية فى موقع المعارضة ٠

وحلت الجمعية التأسيسية فى أواخر عام ١٩٦٧ لتنعقد من جـديد فى فبراير ١٩٦٨ بعد انتخابات جديدة دشنت سلطة الأحزاب التقليدية التى حاولت الاتحاد لمقاومة الاتجاهات التقدمية التى انتشرت وسط الطبقة العاملة والمثقفين والمزارعين ٠

ولكن تحالف الأحزاب التقليدية عجز عن اقناع الجماهير المتطلعـة الى التغيير ، وخاصة ان تدهورا سريعا حدث فى الاقتصاد السودانى ٠ فقد قفزت المصروفات العامة من ٥٨ر٥ مليون جنيه عام ١٩٦٣ الى ١٠٧ ملايين جنيه أى بزيادة ٤٨ر٥ مليون جنيه بينما لم تزد ايرادات الميزانية

بعد فرض سلسلة من الضرائب المباشرة وغير المباشرة الا بمقدار ٣٧ر٥ مليون جنيه ، وارتفعت ديون القطاع العام للمصارف من ٣ر٩ مليــون جنيه عام ١٩٦٥ الى ٤٦ مليون جنيه عام ١٩٦٩ ·· وواجهت الميزانية عجزا سنويا يتراوح بين ٦ ملايين و ٩ ملايين جنيه كل عام ، ونتيجة لذلك انخفضت الأرصدة الأجنبية انخفاضا كبيرا متصلا ، فتدهورت العملات القابلة للتحويل من ٦١ مليون جنيه عام ١٩٦١ الى ٣ر١٦ مليون جنيــه عام ١٩٦٩ (انظر كتاب ـ مصر والسودان كفاح مشترك ـ لكاتب هــذه السطور ·

ووصل الأمر الى حد تاخير صرف مرتبات الموظفين بضعة ايام كل شهر ·· وارتفعت الأسعار ووصل سخط الجماهير غايته ·

وكان التنظيم التقدمى الرئيسى ـ الحزب الشيوعى السودانى ـ يمارس دوره النضــالى فى تعبئة الشعب متعــاونا مع الاتحــادات الديموقراطية المالية والمهنية والفئوية ·

وكان الحزب الشيوعى قد لعب دورا رئيسيا فى انتصار ثورة ٢١ اكتوبر ١٩٦٤ التى اجهضها موقف الأحزاب التقليدية ·· وقد اوضحت ذلك في الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب ـ الباب الخامس) ·

وكانت هناك صلة بين الحزب وبين الضباط السودانيين الأحــرار ، وقد وضح ذلك فى جريدة الأحرار التى اصدرها الضباط الأحرار بدلا من صوت القوات المسلحة اذ جاء فى عدد ٤ يناير ١٩٦٥ بعد انتصــار ثورة اكتوبر ما يلى :

(نحن ندرك اليوم كما يدرك العمال والمزارعون والمثقفون بأن طريق الرأسمالية الذى سرنا فيه بعد الاستقلال والذى ادى الى انقلاب ١٧ نوفمبر لترسيخه انما هو طريق شقاء لا حدود له بالنسبة للشعب وهو لا يقود الى التقدم بل الى التخلف والتبعية التامة للاستعمار ولفقــدان الاستقلال نفســه) ·

(نحن ندرك ذلك ونتلفت حولنا فنرى بلادا عانت من الاســـتعمار مثلنا بل اشد ولكنها شقت طريقها ونجحت فى حماية استقلالها ذلك لأنها رفضت الطريق الرأسمالى واتخذت الاشتراكية هدفا لها) ·

وخلال فترة حكم الأحزاب التقليدية حاولوا ضرب القوى الوطنية فى الجيش عن طريق مؤامرة مفتعلة اختاروا لها (ملازم ثان) اسمه خالد الكد يمت بصلة قرابة الى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى وان لم تربطهما معا أية صلة سياسية أو تنظيمية ٠

واعتقل خالد الكد والضباط جعفر نميرى والشهيد هاشم العطا والرشيد نور الدين ورشيد أبو شامة ومن المدنيين الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب وغيره ٠٠ ثم تبين أن التدبير كان ساذجا ، وعجز التحقيق عن توجيه الاتهام لأى معتقل فافرج عنهم جميعا ٠

ولكن صدرت الأوامر بنقل بعض الضباط ، جعفر نميرى الى غرب السودان ، وفاروق عثمان حمد الله الى جوبا ٠

وهكذا كان الموقف داخل القوات المسلحة السودانية معبرا عن وجود روح ثورية ٠وتنظيمات عسكرية ضد النظام القائم ٠

ولم تكن التنظيمات العسكرية مستقلة عن الأحزاب والقوى السياسية كما كانت حال الضباط الأحرار فى مصر قبل ثورة يوليو ، ولكنها كانت ممتدة الجذور الى تنظيمات مختلفة ٠٠ الأنصار وحزب الأمة من جهة ٠٠ والحزب الشيوعى من جهة أخرى ٠٠ واتصالات فردية مع بعض شخصيات طائفية فى الأحزاب التقليدية ٠

بدأت صلة بين الضباط الأحرار وبابكر عوض الله عقب ثورة ١٩٦٤ عندما شكلت لجنة من القضاة لتطهير الجيش ٠٠ وكان الحزب الشيوعى على علم بهذه الصلة ٠٠ بل ومنظما لها ٠

كما بدأ حزب الأمة فى تكوين ميليشيا عسكرية ٠

وأخذت الأمور تندفع الى صدام حتمى ٠

ثم حدثت هزيمة ١٩٦٧ التى استقبلها الشعب السودانى بوجوم شديد فقد كانت أبعد ما تكون عن تصور الناس هناك ٠

وكانت شوارع الخرطوم ليلة تنحى جمال عبد الناصر قد امتلأت بالمتظاهرين الذين خرجوا يطالبون الرجل بأن يبقى فى موقعه ٠

وقد اختزن الشعب السودانى عواطفه ليفرغها أمام القائد الجريح الذى حضر الى مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ ، فأعد له استقبالا لم تعرفه الخرطوم من قبل أسهم الحزب الشيوعى السودانى فى اعداده بكل طاقته وقدراته ، فجاء تعبيرا أصيلا من الجماهير السودانية نحو ثورة يوليو وزعيمها ٠

لم يكن متصورا أن تستقبل عاصمة السودان قائدا مصريا مهزوما بهذا القدر من التمجيد . وكأنها ترى فيه بطلا منتصرا . عليها أن تكلل جبينه بالغار .. ولكنها كانت رؤية الشعب السودانى لما يمكن أن يحدث للوطن العربى لو انهارت ثورة يوليو واختفى جمال عبد الناصر من ساحة العمـل السـياسى .

وانتهى مؤتمر الخرطوم وعادت الحياة السياسية تجتذب جهـد الأحزاب والقوى السياسية المختلفة ، وعاد الصدام ليصبح حتميا مرة أخـرى .

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٥ مايو ١٩٦٩ كانت حركة الجيش السودانى قد انتصرت واستولت على الحكم ، أثناء وجود عدد من كبار ضباط الجيش فى زيارة للاتحاد السوفييتى .

وأعلن فى الصباح تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العقيـد جعفر نميرى وعضوية بابكر عوض الله والمقدم بابكر النور واللواء فاروق عثمان حمد الله (سكرتير الضباط الأحـرار) وهاشم العطا (الملحق العسكرى فى بون وقتئذ) وخالد حسن عباس ومأمون عوض أبو زيد وأبو القاسم ابراهيم . وأبو القاسـم هاشم وزين العابدين محمد أحمـد عبـد القـادر .

وأعلن أيضا تشكيل وزارة جديدة برئاسة بابكر عوض الله .

وهزت هذه الأنباء أرجاء الوطن العربى . وكان لها صدى عـالمى كبير . فقد كانت الحركة الثانية فى الوطن العربى بعد هزيمة ١٩٦٧ .

وعندما أعلنت أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة وأعضاء مجلس الوزراء تبين أن لى صلات شخصية وسياسية مع عدد منهم .. الرائد الشهيد هاشم العطا الذى كثيـرا ما زارنى فى القـاهرة وفى مكتبى بروز اليوسف موفدا من الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب للتعـرف على طبيعة تكوين الضباط الأحرار فى مصر والأسلوب الذى قامت به حركة الجيش عام ١٩٥٢ . المحامى فاروق أبو عيسى وزير الدولة للرئاسة وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الذى لعب دورا رئيسيا فى ثورة أكتوبر ١٩٦٤ .. بابكر عوض الله كبير القضاة الذى تعـرفت به أثناء موقفه المساند للشعب خلال ثورة أكتوبر .. محجوب عثمان وزير الارشاد وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى والذى حضر موفدا من الحزب لمقابلة جمال عبد الناصر والذى قابلته معه كما جاء فى الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب) .. أمين الشبلى وزير العدل الذى كان نقيبا للمحامين ورئيسـا للحزب الاشتراكى والذى قام بدور بارز فى ثورة أكتوبر ، وشارك فى ندوة

الاشتراكيين العرب بالجزائر · مرتضى أحمد ابراهيم وزير الصناعة وشقيق المناضلة فاطمة أحمد ابراهيم عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، وزوجة الشهيد المناضل الشفيع أحمد الشيخ عضو المكتب السياسى للحزب الشـــيوعى ·

أبلغت جمال عبد الناصر هذه الحقيقة خلال شعراوى جمعة ، واتصل بى سامى شرف بعد ساعة واحدة طالبا منى مقابلة جمال عبد الناصر فى السادسة من مساء نفس اليوم ٢٦ مايو ١٩٦٩ ·

وعندما ذهبت الى مكتب سامى شرف فوجئت بوجود أحمد فـؤاد رئيس مجلس ادارة بنك مصر والزميل السابق فى قسم الجيش بحدتو عندما كان بعد لا يزال قاضيا الذى شاء جمـــال عبد الناصر ان يكون حاضرا ·

كان جمال عبد الناصر مشرق الوجه مهتما أشد الاهتمام بما حدث فى الســـودان ·

ولم تكن علاقة جمال عبد الناصر سيئة بأية حال مع نظام الأزهرى ومحجوب ·· ولكن حركة الجيش السودانى حملت اليه عبير روح ثورية وتقدمية نابعة من القوات المسلحة التى كان يؤمن بدورها الرئيسى فى حركة المجتمـع السياسية ·

وبعد أن تعرف جمال عبد الناصر منى على طبيعة العلاقة التى تربطنى بأسماء القيادات الجديدة فى السودان ، طلب منى ومن أحمد فؤاد السفر فورا الى السودان فى مهمة سرية مندوبين عنه لمقابلة قائد مجلس الثورة ونائبه وابلاغهما أن مصر تضع كل امكاناتها فى خدمة الحركة ·

واذكر أنه قال لى مبتسما فى مرارة :

(تصور ·· كانوا بيطلقوا علينـــا نكت ·· اننا نؤيد ثورة السفينة بونتى (اسم فيلم سينمائى) · والآن تجبرنا الظــروف على تأييــد ثورة السودان بطريقة سرية) ·

كانت القيود التى فرضتها الهزيمة ، وارتباطات مؤتمر الخرطوم الذى يحمل الدعم لمصر من السعودية وليبيا والكويت وجميعها دول ترتبط بعلاقات وثيقة مع نظام الحكم السابق فى السودان حيث كانت تشـــكل الحكومات تحت عباءة الطائفية ·· أقول كانت هذه القيود حائلا يحول بين عبد الناصر وبين التأييد العلنى الثورى لحركة الجيش فى السودان ·

واذكر أنه قال وهو يودعنا بعد حديث اســتمر ما يقرب من ساعتين وتأخر فيه عن اجتماع لمجلس الوزراء كان منعقدا فى سراى القبة :

ـ قل لهم اننى على استعداد لوقف الحرب فى القناة وارســـال اى قوات لدعم الحـــركة ٠

وكانت الحرب وقتها تتصاعد على شاطىء القناة وتصل الى حـــد عبور كتائب كاملة الى سيناء ٠

كانت حركة الجيش السودانى اول ضوء يشرق لصالح مصر بعد الهزيمة ٠ فقد ظهر تأييدها لمصر منذ البيان الأول ٠

وصلت الخرطوم يوم ٢٧ مايو ، وقمت مع الزميل أحمد فؤاد فـور وصولنا بمقابلة جعفر نميرى وبابكر عوض الله فى مقر قيادة القـــوات المسلحة ، وقد طلب الاثنان انضمام الرائد مأمون عوض ابو زيد اليهمـا باعتباره قد عين مسئولا عن أمن الثـــورة ٠

واستقبل الوفد السودانى رسالة جمال عبد الناصر بترحيب شـديد واعتبرها بابكر عوض الله تثبيتا للحركة وأمرا منتظرا من جمال عبد الناصر الذى عرف بمساندته لحركة التحرر الوطنى ٠

وفى الصباح ذهبنا الى منزل الشهيد المناضل عبد الخالق محجـوب فى منزله المتواضع بأم درمان وعقدنا معه جلسة مناقشة طويلة حـــول الوضع الجديد فى السودان ٠

تبين لنا أن حركة القوات المسلحة قـــد تمت بوساطة سريتين من المظلات وقوة من المدرعات لا يتجاوز عددها ٤٠٠ صف ضابط وعسكرى٠ كانوا فى مناورات خارج الخرطوم حسب مشروع سابق ٠

تمت العملية بهدوء ٠ ولم تطلق سوى طلقة رصاص واحدة فى الهواء فى مكتب بريد الخرطوم اثناء قطع المواصلات ٠

قام بالحركة الضباط الأحرار ٠٠ وسبق قيـامها مناقشات سياسية طويلة حول ما اذا كان من الأفضل تأجيل الانقضاض على النظام حتى تستكمل اجراءات تشـــكيل (الجبهة الديمقراطية) التى كانت قد تمت محاولات جادة لتشكيلها من الشيوعيين والاشتراكيين وسائر المنظمـات والاتحادات العمالية والمهنية ٠

وكان البيان الأول لحركة ٢٥ مايو هو بيان مكتوب ومعد لهذه الجبهة الديمقراطية التى كان مفروضا أن تشكل تنظيمها فى نوفمبر ١٩٦٩ ٠

كان رأى الحزب الشيوعى الا تنفرد القوات المسلحة بعمل يأخـــذ الصفة الانقلابية وان يتأجل ذلك حتى ينبعث الأمر من صفوف الجبهـــة باعتبار القوات المسلحة فصيلة من فصائل القوى والمنظمات الشعبية ٠

التقى ممثلو الضباط الأحرار غير المنتمين للحزب الشيوعى مع قادة هذا الحزب أكثر من مرة ، لمناقشة هذا الأمر ، وقد جرى التصويت ثلاث مرات فى اللجنة القيادية للضباط الأحرار ·· وفى كل مرة كان يفوز قرار التروى وتأجيل القيام بالانقلاب ·

ولكن بقية الضباط الأحرار قرروا القيام بالحركة العسكرية التى نجحت فى تبديل السلطة واعتقال اسماعيل الأزهرى وعدد من كبار السياسيين فى النظام المنهار ·

وعندما أعلن تشكيل مجلس قيادة الثورة أضيف اليه أسماء الضباط اليساريين رغم موقفهم المعارض من ناحية المبدأ ·· وظهر اسم الشهيد هاشم العطا عضوا بالمجلس رغم انه لم يكن موجودا فى السودان وانما كان يعمل ملحقا عسكريا فى ألمانيا الغربية ·

وكان هذا موقفا طبيعيا من رفاق السلاح الذين تزاملوا فى النضال قبل وبعد ثورة ٢١ أكتوبر ·

وعندما أعلن تشكيل الوزارة فوجىء الحزب الشيوعى باختيار عدد من قادته أعضاء فى الوزارة (محجوب عثمان ـ فاروق أبو عيسى ـ جوزيف جرنج) دون الرجوع الى قيادة الحزب ·· وقد أدى هذا الى عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية أقرت فيه اشتراك الوزراء الثلاثة منعا لحدوث تناقض واضح فى الأيام الأولى للحركة ·· وتسبب ذلك فى تأخير حلف اليمين القانونية حتى الساعة السادسة مساء ·

وكان هذا دليلا على وجود تنافر فى وجهات النظر ·· الحزب الشيوعى لا يؤيد الانقلاب العسكرى بصورة مطلقة ، ويفضل انبعاث الحركة السياسية من صفوف الجماهير وتنظيماتها السياسية والديموقراطية ، وهى التى كان يهدف الى جمع شملها فى (الجبهة الديموقراطية) ·· بينما الضباط الذين قاموا بالحركة كانوا يعتبرون أنهم أنقذوا البلاد من الحكم الرجعى الفاسد فى ضربة واحدة · وانهم أصبحوا بذلك أصحاب حق وشرعية فى اختيار الذين يتعاونون معهم دون استئذان قياداتهم والا كان فى ذلك اعتراف بشرعية الحزب الشيوعى وحده فى وقت ألغيت فيه الأحزاب جميعا ·

قال لى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب فى منزله بأم درمان صباح اليوم الثانى لوصولنا للخرطوم ان الحزب الشيوعى لا يأخذ موقفا مضادا من حركة الجيش ·· ولكنه يريد أن يضع (خطة تمييز) واضحة بين أسلوبه الديموقراطى وأسلوبهم العسكرى ·

وقال لى جعفر نميرى فى احدى المقابلات (البعض يحـاول تصوير ثورتنا بأنها انقلاب ، وهذا غير صحيح لأننا لا نقوم بحركتنا محصورين فى اطار الجيش وحده ولكننا ننفتح تماما على شعبنا الذكى الأصيل ، ونضع أهدافنا فى خدمة الذين عانوا طويلا من الظلم والاستغلال .

ومع ذلك فقد خرجت جماهير الحزب الشيوعى تحت قيادة الاتحـاد العام لنقابات العمال بمظاهرة كبيرة يوم ٢ يونيو ١٩٦٩ بمناسـبة مرور سبعة أيام على الثورة ، وكان ذلك بداية محاولة اقامة جسر من التفاهم بين الحزب الشيوعى وبين العسكريين .

وكانت تعليمات جمال عبد الناصر تقضى بألا نتصل خلال زيارتنا بأحد من المسئولين المصريين هناك ، وان نعود بعد تبليغ رسالته لجعفـر نميرى وبابكر عوض الله .. ولكن الرغبة فى استجلاء كل معالم الصورة والتعرف على حقيقة أبعادها دفعتنا الى البقاء ليلتين فى السودان .

وعندما عدنا استقبلنا جمال عبد الناصر فورا فى استراحة القنـاطر وكان أول سؤال له هو عن استقرار الوضع ثم أسباب تأخيرنا هناك .

وبعد جلسة امتدت ساعتين طلب منا أن نداوم الاتصال به فى كـل ما يتعلق بالسودان .. وكنا قد رتبنا طريقة اتصال سرية بين القيـادة العسكرية الجديدة وبيننا بعيدا عن الاتصالات التقليدية فى محـاولة تسهيل وصول الحقائق الى جمال عبد الناصر لسرعة اصدار القرارات اللازمة .

أذكر اننا قد اتفقنا مع جعفر نميرى على أن يذكر مندوب القيـادة اذا حضر لمصر أنه قادم من قبل (شركة التوكيلات التجارية) .. ولـكن هذا الأسلوب لم يستمر طويلا ، فقد أعلن جمال عبد الناصر تأييده لحركة ٢٥ مايو وحضر الى مصر وفد برئاسة بابكر عوض الله .

وخلال الأسابيع الأولى لحركة ٢٥ مايو اتخذت عدة قرارات أكسبت وجهها شكلا تقدميا وبدأت بتغيير اسم الدولة الى (جمهورية السودان الديموقراطية) .

اعترفت بجمهورية ألمانيا الديموقراطية سابقة بذلك كل الدول العربية بما فيها مصر .. وكانت حكومة الأحزاب التقليدية قد قطعت عـلاقاتها مع ألمانيا الاتحادية عندما قطعت الدول العـــربية علاقتها بها لامدادها اسرائيل بالمعونات والسلاح ، ولكنها استبقت السفير فى منصب القنصـل العام فى بون وكأنما تريد أن تثبت لهم أن شيئا ما لم يحدث .

كما أعلنت الحكم الذاتى لجنوب السودان .

وقد توطدت العلاقات كثيرا بين النظام الجديد فى السودان وبين عبد الناصر وانسجمت سياسة الدولتين حول مشكلة الشرق الأوسط ، وحول رفض الهزيمة ٠

قال جعفر نميرى ان جمال عبد الناصر قال له (ثورة السودان أعطتنى قوة وعزيمة ومنحتنى أملا وثقة) ٠

وجد جمال عبد الناصر فى ثورة السودان عمقا استراتيجيا لمصر ٠٠ ووجدت ثورة السودان فى جمال عبد الناصر سندا لها ٠

وكانت العلاقة بين القاهرة والخرطوم فى هذه الفترة شديدة الارتباط أكثر منها بين القاهرة وأية عاصمة عربية أخرى ٠

وانتعشت فى ذهن عبد الناصر أفكار الوحدة العربية مرة أخرى ٠

أذكر انى وجهت اليه استفسارا فى احدى المقابلات بعد زيارة السودان عن رأيه فى موضوع الوحدة اذا رغب الأشقاء فى السودان ذلك ٠٠ وتهلل وجه جمال عبد الناصر وهو يقول :

ـ الوحدة الطبيعية الأولى لمصر هى مع السودان امتدادا لوادى النيل ونحن على استعداد لأى خطوات فى هذا السبيل ٠

وقد تعاونت السودان مع مصر تعاونا وثيقا فى مقاومة العدوان، وخاصة فى المجال العسكرى حيث استقرت بعض أسراب الطائرات هناك بعيدا عن مدى العدوان الاسرائيلى ، وانتقل طلبة الكلية الحربية الى الخرطوم ٠

وظلت الأمور تمضى الى الأفضل فى العلاقة بين الدولتين وبين الشعبين الى أن قامت الحركة العسكرية فى ليبيا فى أول سبتمبر ١٩٦٩، فبدأت علاقة ثلاثية انتهت الى التوقيع على ما عرف باسم (ميثاق طرابلس) فى ديسمبر من نفس العام ٠

ليبيا

لم تكد حركة ٢٥ مايو تنتصر فى السودان ، حتى قامت فى ليبيا حركة عسكرية أخرى فى أول سبتمبر ١٩٦٩ ٠

وقد تشابهت مع الحركة السودانية فى انها انبعثت من صفوف الجيش وأن الذين قاموا بها لم يكونوا على ارتباط بمصر ٠

وكانت ليبيا على عهد الملك السنوسى دولة مغلقة تسيطر عليها قوات الاحتلال الأمريكية فى قاعدة هويلس بطرابلس ، والقوات البريطانية فى

قاعدة العضم ٠٠ وكان أبعد ما يكون عن خاطر الثوريين وفى هذا الوقت بالذات أن يحدث شىء ما فى ليبيا ٠

وكانت القواعد الأمريكية فى ليبيا قـــد وضعت فى حالة التأهب القصوى أثناء العدوان الاسرائيلى على مصر ٠

ولذا فانه عندما وصلت أنباء الانقـــلاب الأولى أثناء وجود الملك ادريس فى زيارة لأوربا اعتقد الكثيرون أنه نوع من انقلابات المخـابرات المركزية الأمريكية أو القوى الامبريالية الأخرى التى تريد المحافظة على مضمون النظام بينما تغير مظهره من ناحية الشكل بعد أن يكون قد تورط فى انحرافات تجعل مسيرته صعبة والثقة به منعدمة ٠

وصلت أخبار الانقلاب لجمال عبد الناصر أثناء عقد مؤتمر قمـــة للمواجهة حضره هوارى بومدين وجعفر نميرى وممثلون لسوريا والعراق وبالتحديد أثناء القاء الملك حسين لكلمته أمام المؤتمر ٠٠ وسقوط ملك عن عرشه أمر لا يرضى ملكا آخر ٠٠ ولم يعد بعد سقوط الملك ادريس فى ليبيا سوى ملك عربى واحد فى افريقيا هو الملك الحسن ملك المغرب ٠٠ بل لم يعد فى قارة افريقيا كلها ملك سواه اذا استثنينا الامبراطور بوكاسا الذى نصب نفسه فى العام الماضى امبراطورا على جمهورية افريقيا الوسطى (٣ ملايين نسمة) ٠

حرص جمال عبد الناصر أن يبعث رسالة تحية الى الملك ادريس فقد كانت صلته به طيبة ٠٠ وكان حسن ابراهيم عضو مجلس قيـــادة الثورة السابق هو المسئول عن العلاقات مع ليبيا والملك السنوسى حتى استقال عام ١٩٦٦ ، ويذكر أن الملك ادريس قد أرسل الى عبد الناصر مبلغ عشرين مليون جنيه لحاجة عاجلة لشراء أسلحة بعد العدوان ، وقد أعطاها الملك مرحبا دون أن يشترط شيئا سوى الحصول على بعض الأشياء من الأزهر كان أسلافه قد وضعوها هناك ٠

والأسرة الادريسية من أصل جزائرى ولكنها ممتدة فى صـــحراء مصر الغربية ٠٠ وابن عم الملك ابراهيم السنوسى يعيش فى مرسى مطروح ٠

وكان الملك ادريس قد وافق على تقديم دعم لمصر مقداره ٣٠ مليون جنيه كل عام عندما شارك ولى عهـــده الأمير حسن الرضا فى مؤتمر الخـــرطوم ٠

وهكذا كانت العلاقات ودية بين جمال عبد الناصر والملك ادريس ولم يحدث طوال عهد ثورة يوليو خلاف سياسى مثلما حدث بين مصر ومعظم دول المشرق وخاصة الدول ذات الأنظمة الملكية الرجعية ٠

ولكن الانقلاب الجديد فى ليبيا يثير الاهتمام لأنه أخفى أسماء قادته وأعلن شعاره (حرية ـ اشتراكية ـ وحدة) وهو نفس الشعار الذى تبنته ثورة يوليو والذى يختلف شعار حزب البعث العربى الاشتراكى فى ترتيب الكلمات (وحدة ـ حرية ـ اشتراكية) ·

وكان فى ذلك اظهار لاتجاه الانقلاب دون التعرف على حقيقته ·· الى أن أرسل قادة الانقلاب مندوبا عنهم (آدم حواس) الى القنصلية المصرية فى بنغازى طالبين حضور مندوب من مصر واقترحوا اسم محمد حسنين هيكل ·

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد أبلغه أن الناس فى بنغازى يطلبون مقابلته وانه من الأفضل أن يسافر فى نفس الليلة ·· وان طائرة خاصة قد أعدت له وصحبه فيها ضابط اتصال من هيئة أركان حرب الفريق محمد فوزى وزير الحربية وقائد القوات المسلحة · وضابط اتصال من المخابرات وسافروا فى نفس الليلة ·

واستقبل هيكل فى مطار بنغازى الرائد مصطفى الخروبى المسئول عن المنطقة وعضو مجلس الثورة وعانقه وهو يبكى قائلا : « انى لا أصدق عينى » ·

وفى قنصلية مصر تحدث الخروبى وأسفر عن هوية الانقلاب قائلا انهم جميعا من المؤمنين بجمال عبد الناصر ·· وفى الثانية صباحا وصل معمر القذافى الذى أدهش هيكل بصغر سنه أولا وباعلان رغبته ورغبة زملائه فى الوحدة مع مصر فورا حتى تشكل لها عمقا استراتيجيا ·

حمل القذافى محمد حسنين هيكل رسالة الى عبد الناصر تضمن أنهم قاموا بالثورة من أجله ، وانه يمكن أن يأخذ من ليبيا كل ما يريد لضمه الى قدرات الأمة العربية من أجل المعركة ·

عاد هيكل الى القاهرة بعد أن التقط عدة صور للقذافى وزملائه بوساطة مصور خاص صحبه معه واعدا بعدم نشر هذه الصور وانها سوف تقدم لجمال عبد الناصر وحده ·

ويظهر هيكل فى كتابه حرص عبد الناصر على معرفة كل دقائق المقابلات والتفاصيل التى أتيحت لهيكل خلال زيارته التى استمرت ١٨ ساعة فقط ·

وقد اتصل عبد الناصر فى الليلة الأولى للثورة بكل من محمود رياض وزير الخارجية · وأمين هويدى مدير المخابرات العامة يستطلع

رأيهما فى الاعتراف الفورى بالحركة العسكرية الليبية ٠٠ ولكن الاثنين طلبا منه الانتظار الى الصباح حتى يتوافر مزيد من المعلومات ٠

وفى الحادية عشرة صباحا اتصل جمال عبد الناصر بسامى شرف وطلب منه ابلاغ الاذاعة اعتراف مصر بالثورة الليبية وتصادف وجـود أمين هويدى فى مكتب سامى شرف ، وعندما علم بذلك طلب الاتصال به ، قائلا انه بادر بالاعتراف لأن ليبيا بالنسبة الى مصر ليست مثل كوريا على بعد آلاف الأميال ولكن تربطنا بها حدود مشتركة وقومية واحدة . ولذا رأيت المبادرة بالاعتراف بها ٠٠

وطلب عبد الناصر من هويدى أن يبلغ سامى شرف ليضيف فى بلاغ الاعتراف استعداد مصر للمساعدة ٠

وهكذا كانت مصر أول دولة تعترف بالثورة الليبية ٠

وقد أخذ مجلس الثورة قرارا بقطع العلاقات مع المانيا الاتحـادية التى كانت تأخذ قدرا كبيرا من البترول الليبى عندما عرف أنهم يساعدون الأتراك فى احتمال اعادة الملك السنوسى الى بلاده حيث وقع الانقلاب وهو يمضى أجازته فى تركيـا ٠

وتصرف جمال عبد الناصر بجرأة ومبادرة لا تعرف التردد ٠

وقال لى الفريق محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اتصل به وأبلغه أن يهدىء حرب الاستنزاف على القناة ، وأن يرسل لواء مدرعا ومدرعتين وبعض الغواصات الى مرسى مطروح لوقف أى محاولة لضرب الحـــركة العسكرية الليبية واعادة الملك ادريس الى عرشه ٠٠ وقد صدرت الأوامر بذلك فى نفس الليلة ٠

وكانت حرب الاستنزاف قد بدأت يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٩ وكانت تتصاعد يوما بعد يوم ٠

وهكذا كان جمال عبد الناصر يعطى أسبقية لدعم الثورات العـربية على استمرار وتصعيد حرب الاستنزاف ٠٠ فقد كان اســتقرار هاتين الحركتين عاملا رئيسيا فى حشد طاقات الأمة العربية ، وفى توفير عمق استراتيجى هائل لمصر ٠

وقد أرادت اسرائيل أن تعطى ردا على الثورة الليبية فأرسلت قوات

من الفدائيين فى غارة مفاجئة على منطقة الزعفرانة على شاطىء البحـر الأحمر يوم ٩ سبتمبر اى بعد تسعة أيام فقط من قيام الثورة الليبية ٠

وصلت أخبار هذه الغارة الى جمال عبد الناصر والفريق فوزى عن طريق الاذاعات ووكالات الأنباء الأجنبية قبل أن تصل عن طريق القيادات المصرية ٠

وكان جمال عبد الناصر وقتها يحضر مناورة على طريق مصر ــ السويس ٠٠ فعاد فورا الى القاهرة ٠

كان قيام الثورة الليبية حدثا هائلا وغير متوقع ٠

وفى ثلاثة شهور عبر الشعب العربى فى السودان وفى ليبيا عن رفضه للهزيمة ، باسقاط الأنظمة الحاكمة وقيام أنظمة جديدة أشد ارتباطا وتعاونا مع ثورة يوليو المصرية ٠

ويذكر أن الملك عبد العزيز آل سعود قال لأبنائه انه يوصيهم بأسرة المهدى فى السودان وأسرة السنوسى فى ليبيا ٠ وسقطت الأسرتان بضربة عسكرية مفاجئـة ٠

اليمـــن :

عندما حلت الهزيمة بالقوات المسلحة المصرية فى سيناء كان لهـا ٧٠٠٠٠ر٧٠ جندى فى اليمن يدافعون مع شعبها عن ثورة ٢٦ سبتمبر التى اطاحت بحكم الامامة الرجعى المتعفن ٠

ولم يكن ممكنا لهذه القوات أن تبقى هناك فى اليمن ، وعملية اعادة بناء القوات المسلحة تتحرك بصورة ايجابية فعالة فى مصر ٠

وكان مؤتمر القمة العربى بالخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) هو الفرصة المناسبة لطرح هذه القضية التى استنزفت كثيرا من الأموال والدماء ٠٠ وتم الاتفاق الذى أقره عبد الناصر وفيصل وحدهما وأذاعه محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان على أن تبدأ مصر فى سحب قواتها ، وأن تكف السعودية عن تأييد فلول النظام اليمنى المنهار ٠

ونص الاتفاق أيضـــا على أن توقف الدولتان كل أنواع العـون العسكرى لليمن ، بينما تتفق الدولتان على استمرار التعاون الاقتصادى لليمن حتى يبنى نفسه ٠

أعادت السعودية ترخيص العمل لبنك مصر والقاهرة بينما أفرجت مصر عن أموال السعوديين وصدر قرار جمهورى برفع الحراسة عن ٨٣ أسرة سعودية وشركتين ٠

ولم يتعـــرض الاتفاق لوضـــــع اليمن وترك لليمنيين حق اختيار مستقبلهم ٠ كما أقر تشكيل لجنة ثلاثية من العراق والسودان والمغـــرب لمتابعة تنفيذ الاتفاق ٠

أعلن الســلال فى حديث صحفى بالخرطوم (انه يوافـق على أى حل للمشكلة يحفظ للشعب اليمنى مكاسبه وانتصاراته) هذا رغم عـــدم اشتراكه فى التحضير للاتفاق ، الأمر الذى أنبت فى نفسه بلا شك بذور المعارضة لتنفيذه ٠

وغادر السلال الخرطوم الى القاهرة بعد مؤتمر القمة حيث عقـــد اجتماعا يوم ٢ سبتمبر ١٩٦٧ مع جمال عبد الناصر بحضور أنور السادات وعبد الله جزيلان رجع بعده الى صنعاء ٠

وسحبت مصر ٢٠ر٠٠٠ جندى خلال أسابيع من مؤتمر الخرطوم رغم معارضة السلال لذلك ، وكان الفريق أول محمد فوزى قد أمضى ٤ أيام فى صنعاء لأول مرة كقائد للقوات المسلحة ٠

ولم يكن ذلك الأمر مرضيا للسلال كما ذكرنا ٠

كتب الدكتور محمد على الشهاوى فى كتابه (عبد الناصر وثورة اليمن) وهو واحد من أعضاء الوفد اليمنى بمؤتمر الخرطوم وكان مديرا لمكتب السلال موضحا هذه الصورة بقوله :

(أصدر الرئيس السلال وقتها بالفعل بيانا خاصا بذلك فى الخرطوم فى نفس الوقت الذى أكد للرئيس جمال عبد الناصر بأنه لا يعترض على سحب الجيش المصرى من اليمن ولكنه رجا الرئيس المصرى أن يترك فى اليمن بعض الأسلحة الضرورية اللازمة لكفالة الاستمرار فى الدفاع عن الجمهورية ، وهو ما وعد الرئيس عبد الناصر بتلبيته) ٠

ومسايرة لهذا الاتجاه رفض السلال مقابلة اللجنة الثلاثية الوزارية المشكلة من محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان ووزير خارجيته ، واسماعيل خير الله وزير خارجية العراق ، وحمدى سوده وزير خارجية المغرب والتى سافرت الى صنعاء يوم ٣ أكتوبر فى محاولة للتوفيق بين الأطـراف المعنيــة ٠

وتعلل السلال فى رفضه بان زعماء القبائل يريدون مقابلة اللجنــة ، ولكن قادة الجيش يرفضون ذلك ٠٠ وهو حائر بين الاثنين ٠

واجتاحت المظاهرات صنعاء وأطلقت الشرطة النار ٠ وتساقط عدد من القتلى ، وارتبكت الأمور ، وعادت اللجنة الى القاهرة بعد ٢٤ ساعة

فقط حيث سافرت بعد ذلك الى جدة لمقابلة اليمنيين من الطرف الآخر ، ولكنها رفضت مقابلة البدر ٠

تحت ضغط الرفض الشعبى وتحاشيا لرد الفعل العنيف لسقوط القتلى تمت محاكمة العقيد عبد القادر الخاطرى ـ نائب وزير الداخلية ومدير الأمن العام ورئيس قوى الأمن المركزى بتهمة اطلاق النار على المتظاهرين مما أدى الى مصرع ٥ أشخاص وحكم عليه بالاعدام ٠

ولكن رد الفعل لم يقف عند هذا الحد فقط ، ورفض السلال لمقابلة اللجنة لم ينته عند حد عودتها من صنعاء بعد ٢٤ ساعة فقط ٠

لم يكد يمضى شهر واحد ، حتى انتهز اليمنيون فرصة سفر السلال الى القاهرة وبغداد ثم موسكو حيث كان ابنه سفيرا لليمن فى الاتحاد السوفييتى ٠ انتهز اليمنيون هذه الفرصة وقاموا بانقلاب يوم ٥ نوفمبر أثناء وجود السلال فى بغداد بعد مغادرته القاهرة ٠

شكل الانقلاب مجلسا جمهوريا برئاسة عبد الرحمن الايريانى ، أعلن التزامه بمبادىء ثورة ٢٦ سبتمبر ، وأعلن أيضا (ان حركة الجيش اليمنى تمد يدها الى كل الدول العربية وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يمكن أن ننسى تضحياتها من أجل الثورة اليمنية) ٠

أول برقية خرجت من صنعاء كانت الى جمال عبد الناصر وقال فيها الايريانى هذه العبارة :

(بعد صبر طويل على عبث السلال الذى كان آخره أحداث الثالث من أكتوبر (المظاهرات ضد لجنة التوفيق) والتى ذهب ضحيتها اخوان اعزاء وجللت وجه اليمن بالخزى والعار قرر الشعب اليمنى بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية وتجريده من مناصبه الرسمية ورتبه العسكرية) ٠

وتضمن رد عبد الناصر هذه الفقرة :

(التكريم الحقيقى لكل ما بذل من الجهود والتضحيات هو المحافظة على سلامة الثورة وفتح الطريق أمام مسيرتها) ٠

وتشكلت وزارة جديدة برياسة محسن العينى ، البعثى الميول ، التقدمى الوجه ، ضمت ١٤ وزيرا ٠

أرسل المجلس الجمهورى الجديد برقية تهنئة حارة الى نيكولاى بودجورنى رئيس مجلس السوفييت الأعلى بمناسبة العيد الخمسين للثورة الاشتراكية ٠ واستقبل محسن العينى ممثلى العراق وسوريا والجزائر ٠

لم تتوقف الحرب الأهلية رغم ذلك ، ولم تستمر وزارة محسن العينى طويلا رغم مقابلته لأعضاء اللجنة الثلاثية ٠

وكانت اليمن الديموقراطية قد حصلت على استقلالها وارتفع علمها على مبنى الجامعة العربية فى القاهرة يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٧ ، وبعد ثلاثة أيام فقط عاد حسن العمرى رئيسا للوزراء وهو الذى كان السلال قد عزله عقب عودته من مصر التى أجبره عبد الناصر على البقاء فيها لمدة تسعة شهور اعتبارا من أواخر عام ١٩٦٥ لاعطاء العمرى الفرصة لاقرار النظام فى اليمن ٠

عندما عاد السلال عزل العمرى واعتقل عددا كبيرا من الضباط والمسئولين بتهمة التعاون مع النظام السعودى ٠

والآن ٠٠ عاد العمرى رئيسا للوزراء ٠

وسحب جمال عبد الناصر ٣٠٫٠٠٠ جندى آخرين بعد اعلان استقلال جنوب اليمن وجلاء القوات البريطانية ٠

ولم يتبق فى اليمن سوى ٢٠٫٠٠٠ جندى مصرى فقط ٠

وقال جمال عبد الناصر بعد سقوط السلال فى خطابه بمناسبة افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الأمة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ ما يأتى :

(فى الخرطوم استطعنا الاتفاق مع الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية أن نتفق على موضوع اليمن ، وكان هدفنا فى ذلك أن نحقق المبادىء ولم يعننا الأشخاص) ٠

وقال أيضا :

(توجد اليوم جمهورية فى صنعاء بدون قوات مصرية فى صنعاء ٠٠ كما تم جلاء الاستعمار البريطانى من الجنوب المحتل ومن عدن، والوطنيون سيتولون الحكم هناك لأول مرة) ٠

اضطر جمال عبد الناصر لسحب القوات المصرية أمام قسوة الهزيمة فى سيناء بعد أن كان قد أعلن أنه سيتركها هناك عشرين سنة لو اقتضى الأمر حتى يقوى عود الثورة اليمنية وتتحرر المنطقة من الاستعمار والرجعية ٠

القوات المسلحة المصرية لم تخرج من اليمن الا بعد أن أحرز اليمن الجنوبى استقلاله وتحررت أرضه من قوات الاحتلال البريطانية ٠٠٠ ولكنها خرجت قبل الوصول الى صيغة اتفاق نهائية ٠٠ ولذا ظلت الحرب الأهلية مستمرة رغم محاولات السلام ٠

ويقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان السعوديين قد

قرروا فى نهاية عام ١٩٦٨ عدم امداد جيش الامام بالأسلحة فى محاولة لاعادة السلام ٠

وقد حدثت فى السعودية محاولة انقلابية فى صفوف القوات المسلحة تسربت انباؤها فى يونية ١٩٦٩ بعد أن تم اعدام القائمين بها فى صمت وكان بعضهم من الطيارين ٠ ويروى محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) الحديث الذى دار بين الملك فيصل وجمال عبد الناصر فى القاهرة قبل سفرهما الى مؤتمر الرباط فى ديسمبر ١٩٦٩ ، والذى قال فيه فيصل ان بعض المتآمرين كانوا على صلة ببعض المسئولين المصريين وخاصة سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، وما قاله عبد الناصر من استعداده لارسال أى شخص مصرى قريب منه أو بعيد عنه لمحاكمته فى السعودية اذا كانت له صلة بمثل هذه المؤامرات مؤكدا له ان ما كان يتم قبل هزيمة ١٩٦٧ قد انتهى وانه قد أصدر أوامر مشددة بوقف كل محاولات ضد النظام السعودى بعد مؤتمر الخرطوم ٠

وفى هذا الاجتماع الثنائى الذى سبق مؤتمر الرباط طلب جمال عبد الناصر من الملك فيصل زيادة المعونة المالية لمصر ولكنه اعتذر عن ذلك لسوء أحوال المملكة السعودية المالية ولندرة احتياطيها من العملات الصعبة الأمر الذى قد يدفعهم الى الاستدانة من صندوق النقد الدولى ٠ ووقف مساعداتهم للدول الصديقة ٠

وأرجع الملك فيصل ذلك الى تخريب أنابيب (التابلاين) التى قام بها أفراد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة جورج حبش ٠

ويذكر ناتنج فى كتابه أيضا أن الهدوء والسلام لم يستقرا فى اليمن الا فى مايو ١٩٧٠ ٠

مؤتمر الرباط :

كان وقع الأحداث بعد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم سريعا ٠٠ وكانت التغيرات المتلاحقة تفرض نفسها بالحاح للقاء جديد بين الرؤساء والملوك العرب ٠

ولم تتوقف الحركة السياسية عند حدود قرارات الخرطوم التى تقضى بانه (لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضة) مع اسرائيل ٠ فان قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ صدر فى نوفمبر ١٩٦٧ وقبلته مصر والأردن من دول المواجهة بينما رفضته سوريا ومعها عدد من الدول العربية مثل العراق واليمن الديموقراطية والجزائر ٠

وأدى هذا الى حدوث نوع من البرود فى العلاقات بين مصر وهذه

الدول التى أخذت توجه النقد للنظام المصرى وترى فى حركته جنوحا الى التهاون فى وقت لم توقف فيه عملية بناء القوات المسلحة ولم يتـوقف القتـال ٠

هذا بينما حدث نوع من الهدوء بين مصر وبين الدول التى قرر مؤتمر الخرطوم أن تقدم لها دعما ماليا (السعودية والكويت وليبيا) وتوقفت الحملات الاعلامية ٠٠ بل وتوقفت المؤامرات السرية ضد أنظمة الحكم فى بعضها كما صارح عبد الناصر الملك فيصل أثناء دعوته لزيارة القاهرة ٠

لم يكن هذا التغيير دليـلا على تراجـع فى موقف مصر الوطنى والتحررى ٠٠ ولكنه كان دليلا على أن قرارات عبد الناصر لم تعـد تلهب مشاعر الوطنيين فى الأمة العربية كما كان الحال قبـل عـدوان يونيـو ١٩٦٧ ٠

ومع ذلك فان المقاومة الفلسطينية وجـدت فى عبد الناصر حليفا وصديقا وسهل لهم سبيل الاعتراف بهم كقوة ثورية تحارب من اجـل قضية عادلة ، تستحق أن تحصل على السلاح ، وتجد فى أرض مصر مجالا وساحة للتدريب ٠ وكانت التناقضات قد بدأت تظهر بين النظام الأردنى وبين المقاومة الفلسطينية ٠

وبعد مؤتمر الخرطوم سحب عبد الناصر قواته من اليمن ، قبـل الوصول الى تسوية نهـائية ٠

ولمعت فى حياة العرب السياسية أضواء هامة رغم ظلام الهزيمة ٠

وتحررت اليمن الديموقراطية من جنود الاحتلال البريطانى وحصلت على استقلالها الوطنى ٠

قامت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ التقدمية فى العراق ٠

قام الجيش السودانى بحركته فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ ٠

ثم قام الجيش الليبى بحركتـه فى أول سبتمبر من نفس العام ٠

ووجد عبد الناصر فى زعماء الحـركات السودانية والليبية حلفاء جددا له ٠

ولم تتوقف الأحداث عند حدود الوطن العربى ٠٠ بل تجاوزتها الى علاقة مصر مع دول عدم الانحياز ٠

مات نهرو أحد الثلاثة الذين أرسوا دعامة عدم الانحياز ٠٠ ودهش تيتو لأن عبد الناصر لم يتجاوب معه فى موقف المعارضة العلنية الصارخة

ضد دخول القوات السوفيتية الى تشيكوسلوفاكيا ، غير مقدر للظروف التى فرضت على عبد الناصر هذا الاختيار ، فى وقت كان يحصل فيه على ما يريد من تأييد سياسى وعسكرى ومعنوى من الاتحاد السوفييتى ٠

ويبدو أن تيتو لم يقتنع كامل الاقتناع برأى عبد الناصر عند مناقشتهما لهذه القضية أثناء زيارة تيتو لمصر فى أواخر عام ١٩٦٨ ٠

كانت ظروف عبد الناصر تفرض عليه أن يضع تحرير الأرض المصرية هدفا استراتيجيا رئيسيا ، يرسم سياسته تبعا له ، ويعتبر كل ما عدا ذلك فرعيات لا يجوز له أن يمضى وراءها حتى لا تتعثر خطواته ٠

كان الموقف العربى يفرض لقاء جديدا ٠

وعندما دعا الملك الحسن الى عقد مؤتمر للقمة فى الرباط وافق جمال عبد الناصر ٠

وعقد المؤتمر فى ديسمبر ١٩٦٩ ٠٠ المؤتمر الخامس للقمة العربية ٠

وظهرت فيه وجوه جديدة ٠٠ صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقى بدلا من عبد الرحمن عارف ٠٠ ياسر عرفات بدلا من أحمد الشقيرى ٠ جعفر نميرى بدلا من اسماعيل الأزهرى ومحمد أحمد محجوب ٠٠ معمر القذافى بدلا من الملك السنوسى ٠

ولم يسفر المؤتمر عن قرارات ايجابية خطيرة ٠٠ فقد كان ساحة لانفعالات معمر القذافى الذى روى محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) رفضه لرؤية الجنرال أوفقير الذى دبر مقتل الشهيد العربى المناضل مهدى بن بركة ، واعتراضه على كشف أسرار تقرير الفريق أول محمد فوزى قائد عام القوات المسلحة المصرية أمام الملوك والرؤساء خشية تسربه الى العدو خلال بعض الحاضرين ٠

ويقول هيكل ان الملك الحسن قد كتب ورقة صغيرة الى جمال عبد الناصر يبلغه فيها أن القذافى قد أعد طائرته للسفر وانه ينوى مغادرة المغرب قبل انتهاء المؤتمر ويرجوه فيها أن يتدخل مستخدما تأثيره لمنعه من ذلك تجنبا لفشل المؤتمر ٠

ونجح عبد الناصر فى اقناع القذافى بالبقاء ٠

وتوقف عبد الناصر فى طرابلس خلال رحلة العودة حيث استقبل استقبالا شعبيا حافلا لم تشهده ليبيا فى تاريخها ، وبعد احتفالات استمرت أربع ساعات خطب عبد الناصر خطبة استغرقت ساعة كاملة ، الأمر الذى أزعج أطباءه المعالجين ٠ ودفع بريجنيف الى ارسال رسالة عاجلة له تحمل

رأى طبيبه الخبير الدكتور شازوف الذى حضر خصيصا لعلاجه من موسكو وفيها يقول ان هذا الجهد يتناقض تماما مع تعليمات الأطباء ، ويعـرض صحة عبد الناصر للخطـر ٠

لم يتوقف عبد الناصر وحده ٠٠ كان معه جعفر نميرى أيضا ، حيث وقع الزعماء الثلاثة ما عرف باسم (ميثاق طرابلس) ٠

قال لى فاروق أبو عيسى وزير خارجية السودان فى ذلك الوقت ان عبد الناصر قد ثار ضد مقترحات اللجنة التحضيرية التى كانت قد اتخذت خطوات فى سبيل اقرار وحدة فعلية متجاوزة الظروف الواقعية فى الدول الثلاث ، مؤكدا ان الوحدة لابد وأن تبنى على اســـاس سليم تنفعل به الجماهير ولا يحدث فى نفوسها أى نوع من الحساسية ٠

كان (ميثاق طرابلس) خطوة هامة فى سبيل خلق عمق استراتيجى هائل لمصر فى الغرب والجنوب ٠

وكانت وفرة الأموال عند النظام الليبى الجديد معروضة بسخاء من القذافى لشراء أسلحة حديثة من أجل المعركة ٠٠ طائرات فانتوم من أمريكا وميراج من فرنسا ٠٠ وقد شجع عبد الناصر معمر القذافى على ذلك وطلب منه أن يحاول الحصول على ما يريد وما يســتطيع ولكن ليس لحساب مصر ٠

كان عبد الناصر على حذر شديد من محاولة الوقيعة بين مصر وليبيا عن طريق اظهار مصر بمظهـر الدولة المحتـاجة اقتصاديا الى أموال ليبيا الطـائله ٠

كانت مصر تدفع نفقات كل قواتها التى ترسلها الى ليبيا ٠

قال لى أمين هويدى وزير الدولة فى ذلك الوقت أن مصر كانت تدين ليبيا بمبلغ ٦ مليون جنيه قيمة ما صرفته هناك ٠

وخطب عبد الناصر قائلا :

(هناك دعايات كثيرة ضدنا ، دعاية على أساس اننا شعب جعـان واننا عايزين نستولى على ليبيا ونأكل خيراتها ٠٠ والحقيقة ان هـــذه دعاية يمكن أن تؤثر على الناس وخصوصا ان بعض الناس هناك كانوا مرتبطين بالنظام القديم ولكن القيادة فى ليبيا الأخ معمر القذافى من أصفى الناس اللى الواحد شافهم فى حياته) ٠

وبدأت ليبيا تفتح أبوابها للعـــاملين المصريين ، وانهارت الحدود المصطنعة بين الشعبين ٠

كان فى ليبيا على عهد الملك السنوسى ٣٠٠ طبيب من الصـــين الوطنية ، لأن أطباءنا كانوا ممنوعين من السفر الى هناك ٠

ولم يتحرك (ميثاق طرابلس) خطوة الى الأمام نحو الاتحـــاد بين الدول الثلاث ، فقد ظهر فى السودان اتجاه حذر من ليبيا نتيجـــة لتصريحات معمر القذافى المعـــادية للاشـــتراكية العلمية وللسوفييت ٠ وللغموض الذى أحاط بتصريحاته ٠

الباب الرابع

عودة المعركة

(ان الغارات الاسرائيلية فى مطلع عام ۱۹۷۰ كانت تستهدف اسقاط نظام حـكم جمال عبد الناصر، تماما كما حدث فى غارة غزة فى ۲۸ فبراير سنة ١٩٥٥ ، وحرب السويس ١٩٥٦ ، وحـــرب الأيام الستة ١٩٦٧) ٠

الكاتب والأستاذ الأمريكى دكمجيان فى كتاب (مصر تحت حكم ناصر) ٠

الفصل الأول

المعركة ٠٠ فى الخطوط الامامية

اذا كان العدو لا يملك ان يخسر معركة ٠٠
فنحن لم نعد نملك ان نخسر معـــركة ٠٠

جمـال عبد الناصر

رغم قسوة الهزيمة ، لم يسقط النظام ، ولم تكتب الكلمة الأخيرة فى ثورة يوليـو ٠

عندما تدفق الشعب ينادى ببقاء عبد الناصر ورفض تنحيه ٠ كان ذلك ايذانا بأن مخطط الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية لم يحقق أهم أهدافه ، وكان بداية لمسئولية جديدة مرهقة حملها مبكرا الرجل الذى كان قد أشرف على العام الخمسين من عمره ٠

ولم يكن الأمر عند جمال عبد الناصر يقتصر فقط على عملية اعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة ٠ بل انه كان يعتبر أن عودة الحياة الى مصر لا تكون الا بالقتـال ، وعودة المعـــركة ٠

ولذا كان شيئا مثيرا أن يتجه القائد الأعلى للقوات المسلحة وهـو ما زال بعد فى مرحلة اكتمال التنظيم ، الى القتال ، رغم انه كان فى موقف ضعيف غير محتاج الى تأكيد ٠

بعد أن انسحبت فلول القوات المسلحة من سيناء ٠٠ بدأت المعركة من جديد بعد فترة لم تتجاوز عدة أشهر ٠

يقول أمين هويدى وزير الحربية بعد الهزيمة فى كتـــاب (أضـــواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف) :

(ولم يعد هناك وقت لاستقرار سيطرة الآلام والأحزان ٠٠ فالمصيبة وقعت وعلى مصر أن تتخطاها وتعبرها ٠٠ وكان لابد من تجديد العطاء حتى لا تستمر سماؤنا مكشوفة مباحة ٠٠ وكانت مئات الطائرات قد بدأت فى الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفييتى ٠٠ أحيانا تأتى فى قوافل جوية فى سباق مع الزمن فى الأيام الأولى من النكسة ، وأحيانا أخرى فى قوافل بحرية بعد ذلك ٠٠ وبجهد محموم بدىء فى مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة فى عدد الطائرات ٠٠ فالبعض يدربون فى الاتحاد السوفييتى والبعض الآخر يدربون هنا فى القاهرة ٠٠ وكان كثير من الطيارين - حتى وهم فى دورات التدريب يكلفون بواجبات العمليات ٠٠ وقد حدث ذلك فى ظروف كثيرة ومتعددة ٠٠ وأنشئت عشرات المطارات وأراضى النزول فى أنحاء متفرقة من الجمهورية فتكلفت مئات الملايين من الجنيهات وآلاف الساعات من العرق والجهد) ٠

والأرقام تشير الى أنه كان متوافرا لمصر مئات الطائرات ضربت على الأرض بينما لم يتوافر أكثر من ٦٥ طيارا مدربا وصالحا للقتال ، وذلك حسب رواية مسئول عن القوات الجوية قبل الهزيمة ٠

ولذا تغير أسلوب التدريب واعداد المدربين ليلحق ذلك بعدد الطائرات ٠

وفصل الدفاع الجوى عن قيادة القوات الجوية ليصبح سلاحا مستقلا له قيادته المستقلة ٠

ويقول أمين هويدى فى كتابه أيضا :

وتم تعويض كافة خسائرنا التى حدثت فى يونيو ١٩٦٧ من الاتحاد السوفيتى من رادارات الى مدفعية الى صواريخ كما تم استكمال النقص فى بعض أنواع المدافع عن طريق الشراء من أسواق السلاح العالمية ٠٠ وأخذت أسلحة من نوع جديد لم تستخدمها قواتنا من قبل تصل من الاتحاد السوفيتى فعلاوة على الصواريخ سام ٢ وسام ٣ التى كانت مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ ، وسام ٧ مما كان سببا فى تدعيم القدرة القتالية) ٠

كانت عملية اعادة التنظيم تمتد لتشمل القوات الجوية والدفاع الجوى والقوات البحرية والقوات البرية فى حدود القوات المسلحة ، وتمتد أيضا لتشمل مسرح العمليات المنتظرة ٠

وهنا لابد من الاشارة الى أن قرار انشاء قوات الدفاع الجوى كقوة رابعة للقوات المسلحة هو قرار أملته ظروف المعركة وهزيمة يونيو وسيادة العدو الجوية الساحقة عقب العدوان ٠

وتشكلت هذه القوة القتالية الجديدة فى يونيو ١٩٦٩ · لتكون درعا دفاعيا عن مصر متميزة بدورها وواجباتها عن القـوات الجوية المهاجمة · وتم تعيين اللواء محمد على فهمى أول قائد لها ·

وقد صحب تكوين هذه القوات واجب استراتيجى آخر ·

فقد فكت المصانع ومعدات هيئة قناة السويس التى كانت موجودة في منطقة القناة ونقلت إلى أماكن فى داخل الجمهورية ، وقد وفر ذلك معدات هائلة وملايين من الجنيهات · وتحاشت أخطار الحرائق ·· ولم يقتصر ذلك على منطقة القناة فقط ·· بل أخلى ميناء الاسكندرية أيضا من أكداس الخشب والمواد التموينية بعد أن أصبح هو الميناء الوحيد الذى تعتمد عليه مصر تقـريبا ·

والحقيقة أن مشاعر الناس بعد الهزيمة قد اكتسبت جدية ملحوظة· واعتقد الكثيرون أننا في سبيل أخذ الثأر واسترداد الأرض المحتلة خلال فترة زمنية محدودة ·

وقد جارت الحكومة هذا الشعور فتركت القـاهرة والاسكندرية ومدن القنال فى اظلام شبه تام ، وأغـرقت برامج الاذاعة والتليفزيون بالأغانى والأناشيد والأحاديث الوطنية ·

وكان أمرا مثيرا للاهتمام وباعثا على الحيوية ما نشرته الصحف من أنباء القتال عن معركة (رأس العش) التى تصـدت فيها بقـايا قواتنا المسلحة لطابور من طوابير العدو حاول الوصول الى بورفؤاد بعد أيام من العـدوان ·

وتعتبر معركة رأس العش رغم العدد المحدود من القوات التى اشتركت فيها نقطة تحول حربية وتاريخية هامة ·· اذ تحول القتـال من انسحاب غيـر منتظم ·· الى دفاع صـلب لا مجال فيه للتردد أو الانسـحاب ·

تغيرت القيادة ، وأحدثت الهزيمة القاسية صدمة بعثت اليقظة فى العقول والارادة فى النفوس ·

وحارب الجندى المصرى بشجاعة وبسالة قوات العدو التى سحقته قبل ذلك بأيام فقط ، فاثبتت انه محـارب من طراز فريد يملك كل القدرات والمقومات ، ولا ينقصه الا القيادة الوطنية السليمة ·

تطوير الجندى المصرى

وقد فرضت الهزيمة على قيادة القوات المسلحة ضرورة تطوير نوعية الجندى المصرى فاستقر الرأى على استبقاء المجندين من خريجى الجامعات فى القوات المسلحة بعد انتهاء مدة خدمتهم الاجبارية وهى سنة واحدة وامتدت خدمة الكثيرين منهم الى اكثر من خمس سنوات ٠

وفتحت الكلية الحربية أبوابها لنوعية جـــديدة من الطلبة الذين تخرجوا فى الجيش ضباطا وهم من أبناء العمال والفلاحين ٠

وهكذا اقتربت الفوارق الاجتماعية بين الضباط والجنود خطـوة واضحة بعد أن كانت الهوة الاجتماعية بينهم قبل الهزيمة ساحقة ٠

ولم يتغير الفارق الاجتماعى الحــاد قبل العــدوان بين الضباط ، وخاصة الكبار الذين كانوا يعيشون حياة يتمتعون فيها بامتيازات كبيرة قد لا تكون مقررة رسميا ولكنها تستخدم واقعيا ٠٠ وبين الجنود الذين كانوا يعيشون حياة صعبة لا تفترق كثيرا عن حياة الجنود قبل الثــورة الا فى زيادة محدودة فى الأكل والمرتب كما أوضحت فى الجــزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ولكن الأسلحة الحديثة المتطورة بدأت تفرض نوعية من الجنود خريجى الكليات العلمية فى الجامعات ٠٠ وهكذا كان يختلط فى الجماعة الواحدة أو حول المدفع أو داخل الدبابة جنــدى جامعى وآخر فلاح وثالث من العمال ٠

وفتحت ادارة التوجيه المعنوى أبوابها لعدد من السياسيين والكتاب لمحاضرة الجنود فى موضوعات شتى ٠

اذكر أن محمود رياض وزير الخارجية وشـــعراوى جمعة أمين التنظيم ووزير الداخلية ومحمد فايق وزير الاعلام وغيرهم كانوا يدعون الى عقد ندوات مع رجــــال الجيش ٠٠ كما أذكر أننى دعيت لهـــذه المحاضرات اكثر من مرة ٠

ولكن هذا لم يكن يعنى اقترابا من تنفيـــذ ما ورد فى الميثاق من دخول رجال الجيش والشرطة والقضاء الى الاتحاد الاشتراكى العربى ٠

تجربة خلق تنظيم محدود من طليعة الاشتراكيين فى القوات المسلحة والذى كان يشرف عليه المشير عامر وشمس بدران انتهت بالعدوان ولم تتــكرر ٠

ركز جمال عبد الناصر جهده كله على العمل العسكرى ٠٠ ولــم يبحث فى خلق تنظيمات سياسية داخل الجيش ٠٠ ولو انه كان حريصا

يبحث فى خلق تنظيمات سياسية داخـل الجيش ولو انه كان حريصـا كما قال لى الفريق أول محمد فوزى على أن يجعل منه ـ أى من فوزى ـ رجلا سياسيا متفهما للموقف الاستراتيجى والسياسى ، والعلاقات بين مصر ومختلف الـدول ٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى أن جمال عبد الناصر كان كثيرا ما يداعبه حول اهمية أن يكون القائد العسكرى سياسى النظرة ايضا ، وذلك كلما لمس من فوزى اهتماما اشد بالقضايا العسكرية ٠

ومع ذلك لم تقترب السياسة من الجيش ٠٠ ولم تنسج العلاقة بين الضباط والجنود من جهة وبين الاتحاد الاشتراكى من جهة اخرى ٠٠ عارض عبد الناصر ذلك فى حزم رغم أن محمد فوزى ـ كما يقول ـ كان يطالب بسدس مقاعد اللجنة المركزية لرجال الجيش ٠

ما زال العمل السياسى ضـوءا أحمر يحظر على الجنود والضباط الاقتراب منـه ٠

ولكن النظرة العلمية والواقعية بدأت تغير من واقع القوات المسلحة ٠٠ فقد أصبح من أهم عوامل الاستعداد للمعركة الا تكون الهوة الفكرية والاجتماعية واسـعة بين الضباط والجنـود ٠٠ وأن يخـلق شعور موحد مشترك يجمـع كل المقاتلين ٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى أنه اقنع جمال عبد الناصر الـذى عارض فى البداية ولمدة أسبوع فكرة عمل الجامعيين كجنود عاديين فى القوات المسلحة ٠٠ أقنعه بأن احتياجات الأسلحة المتطورة تجبره عـلى استخدام خريجى الجـامعات ٠

صدرت أول خطة تجنيد سنوية عام ١٩٦٨ لتحديد مطالب القـوات المسلحة من التخصصات المختلفة ، وتحديد المستويات الثقافية والمهنية لكل وظيفة عسكرية ٠

وحدث ارتقاء واضح فى المجندين ٠

قبل يونيـو ١٩٦٧ كانت نسـبة الجنـود الحـاصلين على مؤهلات عليـا ومتوسطة تبعا لتقرير هيئة التنظيم الحـربى ٥ر٧٪ تقريبا ٠

وبعد يونيو ١٩٦٧ الغى نظام الاقتراع ، وتم تجنيد أصلح الشـباب بنظـام تنازلى ٠٠ كما خصص ٩٠٪ من جنـود المؤهلات للعمـل فى التشكيلات المحـاربة ٠

وحدث تطور جديد فى الكشف الطبى ٠

فى الماضى كان ضعف الابصار يسقط من ٨ الى ١٠٪ من المقترعين ٠ ولكنه صدرت تعليمات بالسماح بتجنيد لابسى النظارات ٠

ويظهر الجدول التالى مستويات الجنود الثقافية مع تطور الوقت بالنسبة المئـــوية ٠

التاريخ	تعليم اكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ الى ٩ سنوات	تعليم اقـــل من ٦ سنوات
يونيو ١٩٦٧	٦ر٣	٣٨ر٤	٥٥ر٣
ديسمبر ١٩٦٧	١٥	٣٨ر٣	٤٦ر٧
عام ١٩٦٨	٢٧ر٥	٣٨ر٥	٣٤
عـــام ١٩٦٩	٢٨	٣٩	٣٣
عام ١٩٧٠	٢٦	٤٠	٣٤

ويظهر هذا الجدول الصادر عن هيئة التنظيم ان ارتفاعا ملحوظا وحادا قد ظهر فى نسبة المجندين الذين درســـــوا أكثر من ١٢ سنة أى خريجى الجامعات وأن نسبة الزيادة منذ الهزيمة حتى نهاية العـــــام فقط ، وهى الفترة التى اعتبر فيها الماريشال زخاروف والفريق أول محمد فوزى والجنرال لارشكو والفريق عبد المنعم رياض ٠٠ اعتبروا أن القوات المسلحة المصرية قد أصبحت قادرة على الدفاع عن غرب القناة وصـــد أى هجوم اسرائيلى ٠ ارتفعت النسبة خلال هذه الفترة البسيطة الى ٢٣٨ اذا اعتبرت ١٠٠ فى شهر يونيو ٠

كمـــا ارتفعت النسبة أكثر من أربعة اضـــعاف فى العـــام التـــالى مباشرة ١٩٦٨ وحافظت على ارتفاعها بعد ذلك ٠

أما التعليم المتوسط (من ٦ الى ٩ سنوات) وهم خريجو المدارس الابتدائية والاعدادية فقد احتفظوا بنسبتهم تقريبا ولم يزيدوا سوى من ٣٨ر٤٪ الى ٤٠٪ ٠

بينما هبطت نسبة الأميين والذين لم يكملوا دراستهم الابتدائية من ٣ر٥٥٪ الى ٣٣٪ أى ما يقرب من النصف تقريبا .

وهذا يوضح ويؤكد تغلب ميزان المتعلمين بداخل القوات المسلحة نسبيا بالمقارنة مع الوضع السابق ومع نسبة تعداد المتعلمين الى تعداد السكان العـــام ٠

ويوضح الجـدول التالى مقارنة هذه النسب بين مصر وبعض الدول الأخـــرى :

الدولة	التاريخ	تعليم أكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ ــ ٩ سنوات	تعليم أقل من ٦ سنوات
مصـــر	عام ١٩٦٧	٦ر٣	٣٨ر٤	٥٥ر٣
	عام ١٩٧٠	٢٦	٤٠	٣٤
اســـرائيل	عام ١٩٦٧	٥٠ر٣	٣٤ر٤	١٥ر٣
الاتحاد السوفيتى	عام ١٩٣٩	١٢	٢٧ر٥	٦٠ر٥
	عام ١٩٧٥	٤٦	٥٤	صفر

أصبحت القوات المسلحة فى تكوينها الاجتماعى من ناحية التعليم أكثر تميزا من واقع المجتمـع ٠

والتطور الذى حدث للجنـــدى المصرى تركز على قدرته القتالية وتدريبه وحسن استخدامه للسلاح الى جانب المواصفات التى تميز بهـا من صبر وقدرة على التحمل واخلاص للوطن ٠

حـرب لا تتوقف

تعددت مظاهر القتال ٠٠ ولم يكد يمر اسبوع ثم يوم دون سـقوط شهيد بقذائف العدو ٠

نشرت الصحف فور انتهاء مؤتمر القمة بالخرطوم وقوع اشتباكات عنيفة بين قواتنا وقوات العدو يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٧ عندما حاول العدو ادخال ٤ قطع بحرية فى اتجاه مدخل قناة السويس فتصدت لها قواتنا ٠

ضرب العدو مدينة السويس فأصاب ٣٠ منزلا ومستشفيان وقتل ٤٢ وجرح ١٦١ ٠

وفى هذا الوقت بالتحديد كان الفريق عبد المنعم رياض قد سافر الى يوغوسلافيا لزيارة الجيش اليوغوسلافى لمدة خمسة أيام ٠

والفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان الحرب هو الذى قام بدور بارز فى اعادة بناء القوات المسلحة وأعد مع الجنرال السوفيتى لاشنكو خطة تحرير مصر ، كما قال لى الفريق أول محمد فوزى القائد العام السابق للقوات المسلحة ٠٠٠ وتصادف انتحار المشير عبد الحكيم عامر القائد العام السابق للقوات المسلحة يوم ١٥ سبتمبر ١٩٦٧ بابتلاع سم الاكونيتين ، بعد أيام فقط من عودة الحياة الى القوات المسلحة ٠ عن طريق المشاركة فى القتال ٠

كان شهر سبتمبر ١٩٦٧ هو شهر البداية الحقيقية لعودة الحياة الى القوات المسلحة ، فقد تجدد القتال يوم ٢١ ويوم ٢٨ ، وقامت معركة بالمدافع مع العدو فى منطقة القنطرة ٠٠ الأمر الذى جعل يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة يطلب من أودبول كبير المراقبين الدوليين قطع اجازته والعودة فورا الى القاهرة ٠٠ وقد أعلنت الصحف وقتها أن خسائر اسرائيل قد بلغت من ٨٠ الى ١٠٠ قتيل و ٢٥٠ جريحا ٠

وعندما تصاعد القتال واتجهت الأنظار من جديد الى منطقة القناة عين على صبرى وزيرا مقيما فى منطقة القناة لتحقيق أمن المواطنين وبدأ عمله هناك يوم أول أكتوبر ، وهو نفس اليوم الذى حضر فيه الملك حسين الى القاهرة فى طريقه لأول مرة الى الاتحاد السوفيتى حين زار موسكو ومن بعدها واشنطن ٠

ولم يقتصر القتال على القوات المسلحة فقد شن الفدائيون هجوما ليليا يوم ٣ اكتوبر على مستعمرة اسرائيلية فيما وصف بانه أجرأ غارة للفدائيين ٠

وتصادف أن حملت الأخبار نبأ مصرع الزعيم الثورى شى جيفارا اثناء قتاله مع زملاء له لتحرير قرى بوليفيا يوم ١٠ اكتوبر ٠٠ وغمر الناس نوع من الأسى والأسف ٠٠ ولكنه قدم لهم مثالا للتضحية ٠

ووصل القتال ذروته عندما اقتربت المدمرة الاسرائيلية (ايلات) من ميناء بور سعيد فى تحد سافر خلال شهر اكتوبر ١٩٦٧ ٠

والمدمرة (ايلات) كانت مصرية تحمـــل اسم (ابراهيم) ضمن وحـدات الأسـطول المصرى وقد كلفت يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ خلال فترة العدوان الثلاثى بالتوجه لضرب ميناء حيفـــا الا ان قطعا من الأسطول الفرنسى كانت فى الانتظار فاسرتها بعد معركة غير متكافئة ، وضـمتها اسرائيل بعد ذلك الى قواتها البحرية ٠

كان ضرب ايلات ضرورة تفرضها الناحية العسكرية ، ولكن قرار الضرب يقتضى البحث فى ردود الفعل المحتملة لعدو منتصر ومتفـــوق تفوقا ساحقا فى القدرة القتالية ٠

واغراق مدمرة حربية لاسرائيل أمر لايمكن أن يمضى فى بســاطة ، لأنه يجرح الكبـرياء الذى تعيش فيه بعـــد انتصار يونيو ٠٠ ولكنه فى الجانب الآخر يجدد الأمل فى الحياة المصرية ويبعث نوعا من الثقــة فى نفوس الجماهير والمقاتلين ٠

وتم تقدير سريع للموقف تبين منه أن رد فعل العدو ســوف يكـون أكثر احتمالا فى ضرب معامل تكرير البترول بالسويس وهى ذات قيمـــة استراتيجية كبيرة للمعركة ، وفى مدى مدفعية العدو وهاوناته ٠

ورفع الأمر الى جمال عبد الناصر الذى أصدر الأمر باغراق ايلات دون التعرض لوحدات الانقـــاذ ٠

وطلب من وزارة الداخلية تعزيز وحدات المطافىء بالسويس استعدادا لمجابهة رد فعل العدو المنتظر ٠

وقبل الغروب أعطيت اشارة البدء ، وتحـركت زوارق الطوربيـد المصرية ، وفوجئت المدمرة بأشباحها الصغيرة تقترب منهـا ٠٠ وما هى الا لحظات حتى كانت الطوربيدات قد انطلقت فشطرت المدمرة التى تحمـل عددا يتراوح بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ مقاتل الى نصفين ، وبعد دقائق كانت المدمرة (ايلات أو ابراهيم سابقا) قد استقرت نهائيا فى قاع البحر الذى غطى سطحه ببقع كبيرة من الزيت ٠

وبدأت محاولات الانقـــاذ تحت أضواء المشـــاعل التى أسقطتها الطائرات الاسرائيلية ٠

وبعـد يومين كان رد الفعـــل المنتظر قد تحقق وبدأت القـــذائف الاسرائيلية تشعل النار فى معامل تكرير البترول ٠

ونبتت فكرة الانتقام بعملية فدائية توجه لضرب ميناء ايلات ولم يوافق جمال عبد الناصر على تصعيد الموقف بأكثر مما تحتمله امكانياته الحربية

فى مرحلة أعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة ٠٠ ويقول الفريق محمد فوزى أن السوفييت كان لهم دور فى التحذير من خطر الاندفاع ٠

ويعتبر البعض أن التصعيد نفسه بضرب المدمرة ايلات كان مبكرا أكثر من اللازم لأن رد الفعل قد أصاب الانتاج المصرى بخسارة فادحة ٠٠ ولكن التأثير المعنوى كان هائلا وبلا حدود ٠

ويقول أمين هويدى وزير الحربية فى ذلك الوقت ان فكرة ضرب ميناء ايلات الاسرائيلى قد تحولت من عملية عسكرية الى عملية سرية فدائية يقوم بها مجال الضفادع البشرية منطلقين من ميناء العقبة الأردنى ٠

تم ذلك فعلا بعد أسابيع وتفجرت الميناء واحترقت خزانات البترول وغرقت بعض السفن الصغيرة ٠

ونتيجة لذلك أعلنت أمريكا الغاء الحظر على تزويد اسرائيل بالأسلحة وقدمت لها ٤٨ طائرة سكاى هوك ٠

وفى يوم ٣١ أكتوبر ١٩٦٧ بدأت محاكمة الفريق صدقى محمود وكبار ضباط القوات الجوية الذين كانوا سببا فى كارثة الهزيمة بلا قتال، واستبدل فى نفس الوقت اللواء مدكور أبو العز قائد القوات الجوية الجديد الذى عين مستشارا لرئيس الجمهورية ، باللواء مصطفى شلبى الحناوى ٠

وطوال هذه الفترة كان يعيش فى مصر الماريشال السوفييتى زخاروف الذى حضر مع بودجورنى فى زيارته لمصر بعد الهزيمة ، ثم بقى بها للاشراف على عملية اعادة بناء وتسليح وتنظيم القوات المسلحة المصرية ٠

وقد حرص جمال عبد الناصر على استبقائه طوال هذه الفترة ثقة منه فى كفاءته وقدرته ، ولم يسمح له بالعودة الى بلاده الا أياما قليلة خلال شهر يوليو ذهب فيها لزيارة أسرته فى الاتحاد السوفيتى ٠

وفى أحد أيام شهر نوفمبر استقبل جمال عبد الناصر الماريشال زخاروف ومعه ثلاثة جنرالات سوفييت حيث قال له ان الجبهة المصرية قد تماسكت وانها قادرة على صد أى هجوم اسرائيلى ٠٠ وكان ذلك استئذانا منه بالعودة الى بلده بعد انتهاء مهمته ٠

وعاد الماريشال زخاروف الى موسكو وبقى عدد من الخبراء والمستشارين كان فى مقدمتهم الجنرال اوكينوف مستشار الفريق أول محمد فوزى والذى كان عضوا احتياطيا فى اللجنة المركزية ثم أصبح عضوا بها ، والجنرال لاشنكو الذى وضع خطة القوات المسلحة مع الفريق عبد المنعم رياض خلال عام ١٩٦٨ ٠

صدق جمال عبد الناصر على الخطة التى اشترك فيها القـــادة المصريون والسوفييت والتى عرفت باسم (الخطـــة الدفاعية ٢٠٠) فى ديسمبر ١٩٦٨ وكانت تقضى بوصول قواتنا خلال ١٢ يوما من بدء القتال ـ الذى حدد له جمال عبد الناصر مدة أربع سنوات كحد أقصى بعـــد العدوان الى الحدود الدولية مع مقـابلة جميع الهجوم المضاد المحـلى والعـام الذى تقوم به اسرائيل ٠

قال لى الفريق أول فوزى وهو يوضح ان اطلاق اسم الخطة الدفاعية لا يعنى انها دفاع فقط ، فخطة تحرير الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية أطلق عليها اسم الخطة الدفاعية أيضا ٠

قال لى ان الخطة وضعت فى غرفة العمليات وكانت دائمـة التطور بناء على المعلومات المتجددة والمؤثرة ٠٠ وكانت المرحلة الأولى منها قـد اطلق عليها اسم (جرانيت) وتقضى بتحقيق هدفين ٠٠ أولهما ٠٠ العبور ٠٠ وثانيهما احتـلال الممرات ٠

وقد استدعى تنفيذ هذه الخطـــــة وضع جـــدول زمنى للتسليح والتدريب الذى كان يحتاج الى خبراء مؤهلين ٠

وكان جمال عبد الناصر مدركا حالة القوات المسلحة الموروثة من الفترة السابقة تحت قيادة المشير ٠ وكان حريصا فى نفس الوقت عـلى تحـرير الأرض ٠

ولذلك فكثيرا ما كان يطلب مساعدة السوفيت فى مجالات مختلفة ٠

عندما زار موسكو فى يوليو ١٩٦٨ طلب من بريجنيف أن يتولى قادة سوفييت قيادة قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية ٠٠ كمـا طالب أيضا بوضع خبراء سوفييت حتى مستوى السرية ٠

ولكن بريجنيف اعتذر عن عدم تلبية ذلك ـ كما قال لى الفريق أول محمد فوزى ـ قائلا اننا مطمئنون على قدرة القيادات المصرية الموجودة، وانها كافية لأداء واجبها بكفاءة ٠

لم يكن السوفييت براغبين فى توريط أنفسهم فى معــــركة الشرق الأوسط بأكثر مما تسمح به قواعد اللعبة الدولية للمحافظة على السـلام العالمى ٠٠ بينما كان جمال عبد الناصر حريصا على توريط السـوفييت معــه فى المعــركة ضمانا لمســاعدتهم فى تحرير الأرض خـــلال أقصر وقت ممـــكن ٠

ومع ذلك بدأ توافــد الخبــراء والمســتشارين مع موجات الأسلحة المتدفعـــة ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان هؤلاء الخبـــراء والمستشارين الذين وصل تعدادهم فيما بعد بناء على طلب القيادة المصرية الى ١٦٫٠٠٠ مستشار سوفيتى ، ٣٠٠٠ خبير فى قوات تضاعف عددها حتى تجـاوز نصف المليون · هؤلاء كانوا يلبسون مثل ملابس الجنود تماما (أوفرول وطاقية وقايش) ·· الأحذية فقط هى التى كانت من عندهم ·

ويقول الفريق أول محمد فوزى أيضا أن جمال عبد الناصر كـان يطلب منهم الخـروج من المعسكرات للفسحة ومشـــاهدة معالم مصر ، ولكنهم كانوا يعتــذرون فى أدب حتى لا يقول المصريون عنهـــم انهم مستعمرون ·

وتعتبر هذه المرحلة من اهم واشق المراحل فى حياة القوات المسلحة ذلك انها كانت تقيم بناء جديدا تماما يحتاج الى جهد وجدية فى ظروف كان يتعالى فيها كبرياء المنتصرين وخيلاؤهم وما يظهر فى معظم الصحف العالمية من حديث يسبغ الفخر على الاسرائيليين ، ويشين سمعة العــرب ويحط من قــدرهم ·

كانت المرحلة تماما كما عبر جمـــال عبد الناصر مرحلة صـــمود عسكرى ونفسى أيضا ·· كان هناك ما يمكن اعتباره (دفاعا صامتا) أى ضبط النفس وعدم الرد على استفزازات العدو الذى كان جنوده يسبحون عراة فى القناة ، ويوجهـون خلال مكبرات الصوت كلمات جارحة للجنود المصريين ·

وكانت قد صدرت الى الوحدات خلال هذه الفترة أوامر مشددة بعدم اطلاق النيران ·· وقد حرص الفريق أول محمد فوزى على أن ينسب الأمر الى القائد الأعلى جمال عبد الناصر لأن الجنود والضباط ما كانوا ليقبلوا ذلك · ومع ذلك فقد حدثت عـــدة مخالفات حوكم فيهـا بعض المسئولين عن مخالفة هذه التعليمات ·

كان الجنود فى شوق شديد للقتال بعد وصول الأسلحة الى أيديهم مرة أخرى ·· وبعد ارتفاع قدرتهم القتالية نتيجة للتدريب العنيف الذى اصر عليه الماريشال زخاروف معتبرا أن الخطـــة الناجحة تنهض على التسليح والتدريب معا ·

وينسب الى الفريق عبد المنعم رياض قوله (اذا لم نقاتل فسيتحول رجالنا الى عبيـد ونساؤنا الى عاهرات) ·

قرار مجلس الأمن ٢٤٢

وكان صدور قرار مجلس الأمن صدمة لبعض الذين غلبهم الشوق للقتال ، ولذا فقد عقد جمال عبد الناصر يوم ٢٥ نوفمبر أى بعد صـدور القرار بثلاثة أيام اجتماعا مع كبار قادة القوات المسلحة قال لهم فيه أن قبول قـرار مجلس الأمن هو مسألة لا تتعـلق بهم ·· لأن ما يفعـله الاسرائيليون فى الأرض المحتلة يؤكد انهم لن يخـرجوا منهـا الا اذا أجبروا على ذلك ·· وان عليهم أن يستعدوا بالتدريب الشاق لمدة ثلاث الى خمس سنوات ليكـونوا فى مستوى القـدرة على تحرير الأرض المغتصـبة ·

وتأكيدا لهذا المعنى أعلن فى خطبتـه أمام مجلس الأمة فى نفس الشهر قولته الشهيرة (ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) ·

وبدأ جونار يارنج سفير السويد فى موسكو يؤدى دور وسيط هيئة الأمم المتحدة بين اسرائيل والدول العربية بتكليف من السكرتير العـام يوثانت تنفيذا لقرار مجلس الأمن · ·واتخذ له مقرا رئيسيا فى جزيرة قبرص ·

ولكن سرعان ما تبين أن مهمة يارنج لا تحمل أملا حقيقيا فى السلام وأن حكومة اسرائيل تلقى حولها المصاعب التى تجعل الوسيط الدولى يدخل فى متاهات تثير اليأس والدوار · وفى مقدمتها الاصرار على القيام بمفاوضات سرية مباشرة ·

وقد عبر جمـال عبد الناصر للملك حسين يوم ١٣ يناير ١٩٦٨ عن رأيه فى فقدان الأمل فى مهمة يارنج وذلك كما ذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) وهو يقول أيضا ان عبد الناصر كان يعتقد أن الوصول الى اتفاق مرض يعتبر أمرا طيبا ، وان علينا أن نقنع الرأى العـام العالمى بنوايانا الطيبة · وهو ما كانت اسرائيل تحققه فى الماضى بنجاح كبيـر ·

وكان عبد الناصر يعتقد أن قبوله الاستمرار فى مباحثات يارنج انما يستهدف اقناع السوفييت بأنه لا سبيل الى حل دبلوماسى وذلك رغبـة منه فى تقريبهم من المشكلة وشبكهم بها ·

وفى زيارة قام بها وزير الخـارجية السوفييتى جروميكو الى مصر فى ديسمبر ١٩٦٨ قال لمحمود رياض بأن هناك اتصالات ثنائية بينهم وبين الولايات المتحدة ·· وتساءل عن موقف مصر بالنسبة لمباحثات يارنج ·

وكان محمود رياض أكثر ميلا لاستمرار مهمة يارنج باعتبارها تتم تحت ضوء واشراف الأمم المتحدة ٠٠ وعندما سأل جروميكو عن نقطة ضعف يارنج قال له جروميكو (ليس هناك خطأ ما بالنسبة ليارنج سوى أنه لا يملك أساطيل فى البحر ولا صواريخ فى الهواء) ٠

ولكن جمال عبد الناصر أيد رأى جروميكو قائلا انه من الناحية الواقعية فان يارنج لن يستطيع أن يفرض حلا وأن ما قد يتوصل اليه لابد وأن يكون أتفاقا بين الدولتين العظميين من خلف ستار ٠

وكان شهر نوفمبر ١٩٦٧ هو بداية مرحلة الردع ٠٠ المرحلة التى عادت فيها مدافعنا للانطلاق ٠

وكان اعداد القوات المسلحة للمعركة يسير متوازيا مع الاشتباكات المتكررة مع العدو ٠٠ وكان التدريب والمناورات التى تشترك فيها فرق كاملة بالذخيرة الحية تستهلك أموالا طائلة وأحيانا يسقط ضحية لها بعض الشهداء ٠

وعندما أثار بعض المسئولين ضخامة التكاليف التى تبذل فى التدريب قال لهم جمال عبد الناصر : (ان الهزيمة أغلى) ٠

وقد أدى تصاعد القتال فى منطقة القناة الى قرار التهجير الذى أجبر ٤٠٠ر٠٠٠ مواطن على الرجوع للخلف فى المحافظات الأخرى حرصا على أمنهم ومنعا لهم من أن يكونوا سدا أمام انطلاق قواتنا المسلحة ٠

ووصلت الأمور فى القناة الى الحد الذى جعلها منطقة قتال حقيقية تتعرض فيها القوات يوميا الى قذائف المدفعية ، وقنابل الطائرات ٠ ويسقط المقاتلون المصريون كل يوم تقريبا وهم يؤدون أشرف واجب وطنى ٠

هذا بينما كانت الأمور فى الداخل تهدأ يوما بعد يوم ٠٠ وتضاء الأنوار تدريجيا ، وتتسرب الأغنيات العاطفية الى الاذاعة ، ويقتنع الناس بأن الثأر طويل والمعركة مستمرة ٠

وقد أدت هذه الحال الى تجسيم البعض لهذه الظاهرة بأن هناك فى مصر دولتين ٠٠ دولة محاربة فى القناة ، ودولة مسالمة فى العاصمة٠

وارتفعت نبرة المطالبة بالحرب الشعبية وامداد الشعب بالسلاح لتكوين جيش شعبى ، ولكن جمال عبد الناصر رفض هذه الفكرة علنا فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٨ بدعوى عدم توافر السلاح ٠٠ ولكن الحقيقة أنه كانت هناك خشية حقيقية من تسليح الجماهير ٠

وكانت القيادة العسكرية قد أعلنت في سبتمبر ١٩٦٨ أيضا سياسة (الدفاع الوقائى) التى لا تسمح لاسرائيل بأن تحول خطوط المواجهة الى خطوط للبقاء تقوم بتحصينها وحشد القوات فيها ٠

وفى نفس الوقت حرص جمال عبد الناصر على تطعيم المسئولين عن أجهزة الاعلام بالصورة الحقيقية للموقف ، فطلب من أنور السادات رئيس مجلس الشعب أن يجمع رؤساء تحرير الصحف ويسافر معهم الى منطقة القناة لزيارة مصانع التكرير بعد تدميرها ٠

وكنت وقتها رئيسا لتحرير مجلة روز اليوسف وذهبت مع أنور السادات فى وفد ضم الزملاء : محمد حسنين هيكل واحسان عبد القدوس ويوسف السباعى وفتحى غانم وموسى صبرى حيث استقبلنا هناك على صبرى الذى طاف بنا أرجاء المصنع الذى كانت تتلوى فيه الأنابيب من الحريق كالثعابين الهامدة ٠٠ وأعد لنا لقاء فى مبنى المحافظة مع عدد من الشباب كانوا جميعا فى قمة الروح المعنوية العالية ٠

وتبين من الأحاديث والمناقشات أن هناك عتابا في نفوس المقيمين بالمنطقة من أسلوب الحياة اللاهية فى العاصمة ٠

ولكن تطور المعركة لم يجعلها تقتصر على منطقة القناة ٠٠ فقد استشعر العدو فى مرحلة الردع بأن مدفعيتنا ترهق قواته المرابطة على الضفة الشرقية وتكبدها خسائر مستمرة ، وان دورياتنا التى تتزايد يوما بعد يوم تصل عبر سيناء الى خطوطه الخلفية وتشن عليه هجمات مفاجئة خاطفة لا يستطيع لها دفعا فى هذه الأرض الشاسعة وتحت ظلام الليل المنسدل ٠٠ فقد كانت نوعا من القتال الذى يشبه حرب الأنصار أو حرب العصابات ٠

ولجأ الاسرائيليون الى استخدام سلاحهم الذى يملكون السيطرة الكاملة فيه وهو القوات الجوية ٠

كانت الولايات المتحدة تواصل امداد اسرائيل بالأسلحة المتقدمة رغم انتصارها الكبير ٠

قال جمال عبد الناصر للمبعوثين المصريين أثناء اجتماعه بهم فى الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٦٩ (أمريكا تعهدت لنا بتنفيذ قرار مجلس الأمن ، وانها ستعمل بكل الوسائل على أن ينفذ ، ولكن ما حدث بعد هذا كان يثبت العكس من ذلك فقد حصلت اسرائيل على طائرات سكاى هوك عام ١٩٦٨ ، وعلى طائرات فانتوم عام ١٩٦٩) ٠

وكتب الفريق محمد على فهمى فى كتابه (القوة الرابعة) عن تحول اسرائيل الى استخدام القوات الجوية ما يأتى :

(مع استمرار تصاعد العمليات العسكرية وتزايد حجم الخسائر فى القوات الاسرائيلية أدركت اسرائيل أن مصر وان كانت قد خسرت معركة عسكرية فى يونيو ١٩٦٧ الا أنها لم تفقد الارادة والتصميم على القتال ، وأيقنت اسرائيل أن القتال سيستمر ما لم تقهر هذه الارادة عن طريق الردع الجسيم فكان قرار اسرائيل باستخدام قواتها الجوية ، أو كما يسمونها الذراع الطويلة لجيش الدفاع الاسرائيلى) •

وبدأ يشنون غارات على الداخل •• على قناطر نجع حمادى والقناطر الخيرية مستخدمين ألغاما تجرى مع تيار المياه • الأمر الذى دفع قواتنا الى استخدام مصائد ومصدات للالغام لحماية القناطر المختلفة بلغت تكاليفها سبعة ملايين من الجنيهات •

وبدأ الاتحاد السوفيتى فى امداد مصر بصواريخ ستريللا أو سام ٧ ضد الطيران المنخفض المحملة على عربات مدرعة مجهزة بأجذزة اطلاق الصواريخ •

وصلت أول شحنة فى يناير ١٩٦٩ مع اسكندر شليبين عضو المكتب السياسى ، وتوالت الشحنات بعدها تحمل أنواعا متطورة من هذا الصاروخ •

ويذكر من باب المقارنة أن الملك حسين قد سافر الى امريكا خلال هذه الفترة عدة مرات لاقناع الرئيس الأمريكى جونسون بالحصول على أسلحة أمريكية ولكنه لم يحصل على طائرة واحدة •

وكتبت صحيفة جويش أوبزرفر البريطانية فى عدد ٢٣ اغسطس ١٩٦٩ تقول :

(تؤكد العمليات الجوية التى بدأت فى يوليو ١٩٦٩ أن مصر تخوض غمار حرب استنزاف ضد السلاح الجوى الاسرائيلى وان استمرار الصدام الجوى مع استمرار الغارات الجوية الاسرائيلية على الجبهة المصرية وتصدى وسائل الدفاع الجوى المصرى لها انما يعنى أنه من الممكن القضاء على التفوق الجوى الاسرائيلى فى المدى الطويل بفرض أن اسرائيل لن تستطيع تعويض خسائرها) •

وخلال هذه المرحلة سقط الشهيد الفريق عبد المنعم رياض رئيس هيئة اركان الحرب يوم ٩ مارس ١٩٦٩ برصاص قناص للعدو وهو مجتمع

مـع عـدد من القادة على الشاطىء الغربى للقناة ومديرا ظهره للعـدو محاولا بعث روح الاقدام فى نفوس زملائه ٠

سقط عبد المنعم رياض ضابط المدفعية الذى زاملته فى مدرسة المدفعية قائدا للجناح المضاد للطائرات ، ثم خريجا فى كلية أركان الحـرب ، والذى أكمل دراسته فى كليـة مانوبير العسكرية الأمريكية ، وكلية فرونز العسكرية السوفييتية ٠

كان عبد المنعم رياض قائدا محبوبا يتميز بشخصية شديدة الحيوية والتفتح ٠٠ وكان مصرعه رمزا للشجاعة أمام الجنود وأمام الشعب فى أيام كنا نحتاج فيها للمثل والتضحية ٠

ولذا كانت جنازة عبد المنعم رياض من أكبر الجنازات الشعبية التى عرفتها مصر ٠٠ سار فى مقدمتها جمال عبـد الناصر وسط حشد من الجماهير التى أخذت تهتف للشهيد وللتحرير ٠

وفى عهد عبد الناصر لم تخرج فى مصر جنازات شعبية سوى جنازة صلاح سالم ومصطفى النحاس وعبد المنعم رياض ٠

وسمعت من شعراوى جمعة أن عبد الناصر قال عندما شاهد مئات الألوف يشيعون جثمان عبد المنعم رياض ان هذا يعتبر استفتاء شعبيا على ثقة الناس فى أستمرار المعركة ٠

حرب الاستنزاف :

ولم تكد تمضى عدة شـهور حتى بدأت حرب الاستنزاف فى ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لى الفريق أول محمد فوزى ٠

وكان دخول هذه المرحلة دليلا على جدية قتال القـوات المسلحة المصرية ٠

قال لى اللواء عبد المنعم خليل أحد قادة الجيوش خلال هذه المرحلة المرحلة ان اشتداد الغارات الاسرائيلية كان يحقق عدة نتائج هامة ٠

أولا ٠٠٠ تطعيم الجنود على القتال وتعويدهم على جو المعركة مما يرفع من تدريبهم وقدرتهم القتالية ٠

ثانيا ٠٠٠ تقليل الخسائر الى أدنى حـد اذ يعتـاد الجنود على مقاومة الغارات ٠٠٠ وضرب لى مثلا بأن غارات اسرائيلية قد امتدت يوما كاملا بلا انقطاع على احدى المناطق ولكن لم يقتل أحد ٠

ثالثا ٠٠٠ ارتفاع الروح المعنوية كنتيجة حتمية لاستمرار البقـاء والحياة رغم استمرار الغارات ٠

وكتب دكمجيان فى كتابه (مصر ٠٠ تحت حكم عبد الناصر) أن حرب الاستنزاف التى شنتها مصر كانت تستهدف عدة أهداف عسكرية وسياسية تتضمن :

١ ـ الحاجة الى تهدئة الشعور الشعبى المتزايد وخاصة فى الجيش لاتخاذ اجراءات عسكرية واسعة ضد العدو ٠

٢ ـ تدمير المواقع الاسرائيلية شرق القناة لمنع تحويل خطوط وقف اطلاق النار الى حدود دائمة ٠

٣ ـ زيادة خسائر الاسرائيليين الحربية وخاصة فى الجنود ٠

٤ ـ الحاجة الى زيادة الضغط على القوى العظمى لفرض تسوية قائمة على انسحاب الاسرائيليين ٠

ويقول دكمجيان أيضا أن اسرائيل قد ردت بتعاظم الغارات الجوية والفدائية لمنع المصرين من تدمير الأسطورة التى تقول بأن الاسرائيليين لا ينهزمون ٠

وكان جمال عبد الناصر قد رفض فى خطابه فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ فكرة وقف اطلاق النار وسط نشاط سياسى متزايد لاحداث نوع من التوازن بين موقف الدولتين العظمين ٠

كما أن جولدا مائير وأبا ايبان قد أعطيا تصريحات نشرتها صحيفة الموند الفرنسية بتاريخ ١٨ ـ ١٩ يناير ١٩٧٠ تعبر عن رغبتهما فى رؤية نظام عبد الناصر يصاب بالشلل من غاراتهم المتلاحقة ٠

وكانت جولدا مائير قد سبق ان قالت فى ٢٦ يوليو ١٩٦٩ (اننا على اسعداد لاحترام وقف اطلاق النار) ووجهت الرجاء لمصر والدول العربية بوقف اطلاق النيران على الجانبين ٠

كانت الحرب تتصاعد ٠٠ ونشرت الأهرام يوم ١٧ يوليو اننا أسقطنا ١٧ طائرة للعدو وحدث خلال هذه الفترة حرق المسجد الأقصى يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ ، واقترح عبد الناصر على فيصل المبادرة بدعوة مؤتمر قمة اسلامى ، وكان فيصل يحاول تهدئة علاقته بمصر فسلم شقيقين من الأطباء أجبرا طائرة مصرية على الاتجاه للسعودية تحت تهديد السلاح يوم ١٨ أغسطس وعادت الطائرة والمختطفان وجميع الركاب ٠

وكانت عمليات اختطاف الطائرات هى (مودة المرحلة) فقد حدث بعد عشرة ايام من هذا الحادث ان اختطف فدائيان فلسطينيان احداهما سيدة ، طائرة أمريكية بها ١٧ اسرائيليا هبطت فى دمشق ٠

كما دعا عبد الناصر الى مؤتمر قمة لدول المواجهة انضم اليه الجزائر والسودان .

كانت المعركة قد أصبحت خشنة وكثيرة الضحايا .

وتطورت الأمور الى الحد الذى جعل الفريق أول محمد فوزى يعلن فى مؤتمر القمة لدول المواجهة الذى عقد فى أول سبتمبر ١٩٦٩ وحضره الملك حسين ونور الدين الأتاسى وفريق أول صالح مهدى عماش وجعفر نميرى . ثم الرئيس بومدين الذى لحق بالمؤتمر بعد انعقاده .. يعلن فى التقرير الذى أعدته هيئة أركان الحرب أنه بالتنسيق الفعال بين دول المواجهة يمكن أن تبدأ المعركة ـ أى معركة تحرير الأرض ـ خلال ١٨ شهرا من ذلك التاريخ .

وينطبق ذلك على رؤية عبد الناصر التى أعلنها للقادة العسكريين فى مؤتمر ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ فور قبول قرار مجلس الأمن من أن القوات المسلحة المصرية يمكن أن تكون جاهزة لمعركة التحرير خلال فترة تمتد من ثلاث الى خمس سنوات .

وقد قال لى الفريق أول محمد فوزى ان خطة التحرير كانت قد وضعت خلال وجود زخاروف وباشتراك كبار الخبراء والمستشارين السوفييت مع هيئة أركان الحرب المصرية بقيادة عبد المنعم رياض .. وانها اعتمدت من جمال عبد الناصر بصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة .

كانت هذه الخطة تقضى بتحرير الأرض المحتلة والوصول الى الحدود المصرية وتأمينها فى مدة أربع سنوات فقط أى فى منتصف عام ١٩٧١ تقريبا .

وقد أكد لى الفريق أول محمد فوزى ان هذه الخطة لم تكن تستهدف تحريك المشكلة سياسيا وانما كانت تستهدف تحرير الأرض المصرية والعربية كلها وتأمينها تماما .

وما كادت تنقضى ستة أيام على انتهاء مؤتمر قمة دول المواجهة الذى اقترن بحدوث الحركة العسكرية الليبية فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ حتى قام الاسرائيليون بهجوم على الزعفرانة على شاطىء البحر الأحمر شمال رأس غارب يوم ٩ سبتمبر استخدموا فيه المدرعات والعربات البرمائية .

وتصادف ان كان عبد الناصر فى ذلك اليوم يراقب احدى المناورات على طريق السويس .. وقد اعتاد جمال عبد الناصر حسب رواية الفريق أول محمد فوزى على المشاركة بنفسه فى حياة القوات المسلحة . فكان يتناول العشاء فى القيادة العامة مرتين كل أسبوع .

وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر استفسر من الفريق أول محمد فوزى الذى كان حاضرا معه فى المناورة فلم يكن يعرف شيئا عن طريق قواته • وأن مصدر المعلومات كان وكالات الأنباء العالمية كما ذكر هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) •• وغادر جمال عبد الناصر مكان المناورة فورا ليعود الى القاهرة لمتابعة الموقف •

والواقع أن عملية الزعفرانة قد تمت من الجانب الاسرائيلى بتركيز شديد • فقد سيطرت قواتهم الجوية سيطرة كاملة على المنطقة • وأنزلت ٩ دبابات على ثلاثة لنشات فى غسق الفجر تحت الأضواء الكاشفة • وسارت من أرض الانزال جنوب العين السخنة على الطريق العام حتى وصلت الى الزعفرانة • مستغلة كونها دبابات مصرية استولى عليها فى سيناء فى يونيو ١٩٦٧ وظلت تحمل علامات الجيش الثالث • الى الحد الذى جعل بعض الجنود يصفقون عند مشاهدتهم لها قبل أن يحصدهم الرصاص •

شهد عملية النزول جندى من الحدود ، أطلق ساقيه للريح • وأبلغ الحدود فالعمليات • فرئيس أركان الحرب اللواء أحمد اسماعيل الذى اعتقد أن الجندى المبلغ قد فعل ذلك تحت خدر أوهام خاصة • ولم يصدر أوامر بمتابعة الموقف أو التعرف على حقيقة أبعاده •

ولم يكن جندى الحدود هو مصدر التبليغ الوحيد •

يقول أمين هويدى مدير المخابرات العامة فى ذلك الوقت أنهم تلقوا أخبار عن العملية من أحد أفرادهم فى منار الزعفرانة • وان الاشارات حولت للجهات المختصة •

ويقول أحد كبار ضباط الصواريخ أن المراقبة بالنظر التابعة لهم قد أبلغت أيضا بهذه العملية •

ولكن أحدا لم يقدر جسامة العملية • ولم يبادر باتخاذ موقف ايجابى للمقاومة • ووقفت المعلومات عند حدود رئاسة أركان الحرب فقط •

وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر أثناء المناورة كان الاسرائيليون ما زالوا فوق الجانب الغربى لخليج السويس ، فقد امتدت غاراتهم من الخامسة صباحا حتى الثالثة مساء ، دون أية مقاومة •

وتصدف أن كان محافظ البحر الأحمر اللواء حسين كامل فى طريقه من الغردقة الى القاهرة ، وعندما واجهته القوات الاسرائيلية فهشمت الدبابات سيارته ، ولحقته نيران المدافع الرشاشة فأردته قتيلا ، كما دمرت أوتوبيسا مدنيا كان يحمل ٤٠ راكبا •

ويقول هيكل ان جمال عبد الناصر وهو يتصل به حوالى السابعة من مساء نفس اليوم كان هابط المعنوية ، وقال له (يبدو أننا ما زلنا نتصرف بأسلوب حرب ١٩٦٧) ٠

كانت الصدمة شديدة لجمال عبد الناصر فى وقت يبذل فيه كل جهده وطاقته فى الاهتمام بالقوات المسلحة ٠ وعادة تسليحها وتنظيمها وتدريبها ٠

ولذا فقد أصيب فى اليوم التالى مباشرة (١٠ سبتمبر ١٩٦٩) بذبحة صدرية مفاجئة ، وكانت آخر صورة نشرت له فى الصحف يوم ١١ سبتمبر مع أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة السودانية (مأمون عوض أبو زيد) ٠

وعندما أمره الأطباء بأن يعتكف فى الفراش ، ولا يمارس أى عمل مجهد شكل لجنة برئاسة أنور السادات وعضوية شعراوى جمعة والفريق أول محمد فوزى وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف للقيام سرا بواجبات رئيس الجمهورية بعد فرض حظر يحول دون تسرب خبر المرض المفاجىء للصحافة وأجهزة الاعلام ٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة ، انه لم يعرف حقيقة المرض يوم وقوع الذبحة الصدرية ، وانما تصور فعلا أنها انفلونزا حادة ٠

ويقول ان عبد الناصر كان قد اعتاد أن يتصل به مساء كل يوم قبل أن يأوى الى فراشه أو فى الصباح الباكر ليسأله عن حالة القوات المسلحة وانه انقطع عن ذلك بعد مرضه لمدة أسبوع واحد فقط ٠

وعندما علم فوزى بحقيقة المرض ، لم يتصور خطورته ، لأنه ـ كما يقول ـ خرج مع جمال عبد الناصر بعد شفائه للمرور على الجيش الثانى والثالث فى قناة السويس فى أواخر شهر أكتوبر ، وذهب معه الى الموقع الذى استشهد فيه الفريق عبد المنعم رياض شمال الاسماعيلية بعد أن أصدر تعليمات بأن تتحرك عربة القيادة المسماة (٦٩ أ) وحدها من بور توفيق تحمل جمال عبد الناصر وفوزى ، وقد نشرت الأهرام لهما صورة وهما يتطلعان الى الشاطىء الشرقى ٠

حرص فوزى على ألا تتحرك العربات فى قول حتى لا يلفت نظر الاسرائيليين كما وقع فى حادث الفريق عبد المنعم رياض الذى خرج من راس العش فى خمس عربات اجتذبت أنظار الاسرائيليين فصوبوا قنابلهم عليها بعد وقوفها ، حيث استشهد الفريق عبد المنعم رياض بصدمة تفريغ الهواء دون أن يصاب بجرح أو ينزف دما ٠

لم يؤثر مرض القلب على نفسية عبد الناصر ولم يضعف صحته ٠٠ وكل ما كان يجهده هو التهاب أعصاب الساق اليسرى من مرض السكر التى عولج منه فى تسخالطوبو عام ١٩٦٨ ٠

وقد اقترن هذا الشهر من شهور الخريف بمتاعب عبد الناصر الصحية والنفسية ٠٠ ففى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ حدث الانفصال السورى وتمزقت الجمهورية العربية المتحدة ، وأصيب عبد الناصر بمرض السكر ٠

كانت اسرائيل تستهدف من هذه العمليات العسكرية ذات الصبغة المسرحية والدعائية أحباط الأمل المصرى فى معاودة المعركة ، وتعقيم الجهد المكثف ، وتهبيط الروح المعنوية ٠ وقطع الطريق على تقدم القوات المسلحة مما يصيب النظام بالشلل والانهيار ٠

ولذا حرص جمال عبد الناصر على اجراء تغييرات هامة فى المناصب القيادية ٠

أحال اللواء أحمد اسماعيل رئيس أركان الحرب الى التقاعد ، وعين بدلا منه اللواء محمد أحمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية ، كما عين العميد محمود فهمى قائدا للقوات البحرية ٠

كما حرص على رفع الروح المعنوية للجنود الذين تعرضوا لغارات ثقيلة ٠٠ وزادت عمليات الهجوم الفدائى والتسلل الى سيناء ٠

واصبحت حرب الاستنزاف تشمل دوريات المشاة المتسللة والتى وصلت الى حد الكتيبة ، ونيران المدفعية وقذائف الصواريخ ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى أنهم كانوا يقدمون لكل جندى يعبر القناة نيشان العبور ، ويلبسه كميدالية تزين صدره وقت الاجازات ٠٠ وقال ان هذا النيشان قد منح لعدة آلاف من الجنود ، الأمر الذى يظهر النشاط العسكرى الهجومى ٠

ومع ذلك فكلما زاد الهجوم المصرى كلما زاد عنف رد الفعل الاسرائيلى ، حتى وصل الى حد نزول قوات اسرائيلية فى رأس غارب على ساحل البحر الأحمر والاستيلاء على أحد أجهزة الرادار ٠٠ وكان يصحب هذه القوات كاميرات التصوير أيضا لتنسج بين الدعاية والعمل العسكرى ٠

وحدث ذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربى فى ديسمبر ١٩٦٩ فى الرباط بعد ثلاثة شهور تقريبا من حادث الزعفرانة وأصاب جمال عبد الناصر بالذبحة الصدرية ٠

وقد كان هدف العملية الاسرائيلية الى جانب الدعاية العالمية الضخمة التى أحيطت بها ، مواصلة التأثير النفسى العميق لعمليـة الزعفرانة وما يصحب ذلك من اهتزاز ثقة القوات المسلحة فى نفسها ٠٠ الى جانب الحصول على جهاز رادار سوفييتى حديث الصنع ٠

ولكن العملية الاسرائيلية رغم نجاحها لم تحصل على هذا الجهـاز وانما حصلت على جهاز قديم B 12 سبق لهم أن حصـلوا على ثلاثة منه فى سيناء فى بلاد (نخل وتمادا والعريش) ٠

ومع ذلك كانت العملية الاسرائيلية تمثـــل عارا للقوات المسلحة وسمعتها ٠٠ فقد تمت العملية بغير اشتباك من جانب القوات المسـلحة المصرية ٠

ولذا شكلت فى الغردقة محاكمة عسكرية ميدانية عالية رأسها اللواء سليمان مظهر ، وحاكمت ٦ ضباط ، ٢٨ صف ضابط وعسكرى وأصدرت أحكامها باعدامهم جميعا عدا ضابطين وأربعة صف ضـباط فحـكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ٠

ولكن الضابط المصدق على الأحكام الفريق أول محمد فوزى استبدل أحكام الاعدام بالأشغال الشاقة التى بدأت أول يناير ١٩٧٠ ٠

وكان العميد محمود بركات سيد أحمد هو اقدم رتبة قدمت للمحاكمة ثم افرج عنه فيما بعد وعاد للقوات المسلحة برتبة اللواء ٠

وتمادت اسرائيل فى هجماتها داخل الأجواء المصرية ، فاغارت على مصنع فى أبو زعبل حيث محطات الارسال للاذاعة ، وعلى مدرسة بحر البقر وسقط فى هذه الغارات عدد كبير من الضحايا ٠

كان هدف الاسرائيليين من تصعيد المعركة والهجوم على الأغراض المدنية المسالمة ، قهر الروح المعنوية المتصاعدة للشعب ، وبث روح الخوف والهـــزيمة ٠

ولكن هذا الأمر لم يتحقق أبدا ٠

وأمكن تثبيت واقامة مواقع الصواريخ الجديدة تحت ضغط ظروف قاسية وغارات عنيفة ٠٠ وسقط اكثر من ٤٠٠٠ عامل مصرى كانوا يقيمون دشم الصواريخ ٠٠ تعصف بهم الغارات كل يوم ولكنهم يعودون للعمـل بلا خوف أو تردد ٠

وأراد جمال عبد الناصر أن يخطو بالموقف خطوة أخرى الى الأمام توقف غارات العدو التى تحاول احباط خطة تحرير الأرض ٠

عبد الناصر يطلب قوات سوفييتية للدفاع عن مصر :

وقرر السفر الى موسكو فى رحلة سرية يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ صحبه فيها الفريق أول محمد فوزى الذى ودع حماته وهى فى لحظات الاحتضار قائلا أنه مسافر الى أسوان وشيعت جنازتها فى غيابه ومحمد حسنين هيكل ومعهما السفير السوفييتى سيرجى فينوجرادوف والجنرال السوفيتى كاتشين الذى خلف الجنرال لاشنكوف كبيرا للخبراء بعد اصابة الأخير بذبحة صدرية عولج منها فى القاهرة ٠

سافرت هذه المجموعة سرا على طائرة سوفيتية حيث بدأت المباحثات عصر نفس اليوم بعد أن انضم مراد غالب سفيرنا فى موسكو الى عضوية الوفد ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر كان حريصا على أن يتحدث مع القادة السوفييت فى صراحة تامة ، وانه قال لهم ان اسرائيل قد عجزت عام ١٩٦٧ عن تركيع مصر ولكنها بغارات الأعماق تريد تحطيم النظام وهزيمة شعب مصر ٠٠ كما أنها تحول دون اتمام بناء قواعد الصواريخ فى المساحة المحددة لها غرب القنال بمسافة ٣٠ كيلو مترا ٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى ان عبد الناصر قد أبلغهم بأننا فى سباق مع الزمن وانه لا يثق فى قدرة القوات المصرية بتسليحها الحالى على صد الهجمات الاسرائيلية ٠

وفى هذا الاجتماع تم الاتفاق على امداد مصر بصواريخ سام ٣ بدلا من صواريخ سام ٢ التى أمكن للاسرائيليين الهرب من تأثيرها بالطيران المنخفض ٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى انه عندما عرض على جمال عبد الناصر أسماء المناطق الحيوية التى يجب الدفاع عنها فى أنحاء الجمهورية ، تبين أن مصر لا تملك أطقما جاهزة مدربة على استخدام الصواريخ الجديدة ٠٠ وأن تحويل أطقم صواريخ سام ٢ الى سام ٣ يحتاج الى وقت وتدريب لا يتناسب مع الظروف الضاغطة القائمة ، اذ ان الأمر يستغرق ستة شهور تكون الخطة الاسرائيلية فيها قد حققت أغراضها ٠

وتبلورت فى ذهن عبد الناصر أمام هذه الحقائق فكرة لم يلبث أن عرضها على القادة السوفييت دون تردد ٠

طلب جمال عبد الناصر من السوفييت امداد مصر بالصواريخ

المناسبة مع أطقمها السوفيتية على ألا تتواجد فى منطقة القناة المواجهة للعدو ، وانما تتولى حماية الداخل من الغارات الاسرائيلية المتصاعدة ·

كان تقدير موقف جمال عبد الناصر قائما على أساس أنه يدخل مع الاسرائيليين فى سباق مع الزمن ، وانه اذا كانت مصر قد صمدت ما يقرب من ثلاث سنوات بعد العدوان · وطورت قواتها المسلحة الى الدرجة التى تجعلها قادرة على تنفيذ خطة تحرير الأرض · فانها اليوم وأمام غارات الأعماق تتعرض لموقف جديد يمكن أن يؤدى الى التأثير الخطير على معنويات الجماهير مما قد يحدث شللا وانهيارا للنظام ·

وكان الطلب مفاجئا تماما للقيادة السوفييت لأنه يتجاوز حدود الاستعانة بالخبراء والمستشارين الى مجال جديد هو الاستعانة بالقوات السوفيتية ذاتها ، وهو أمر لا يمكن للقادة الحاضرين وحدهم أن يتخذوا فيه قرارا ، لأنه أمر يتصل بالاستراتيجية السوفيتية المبنية بارادة الحزب الشيوعى السوفيتى وموافقته ·

ولم تكن هناك سابقة لتواجد قوات سوفيتية محاربة خارج حدود المعسكر الشيوعى مطلقا ·· ولم تكن هناك دولة من دول منطقة التحرر الوطنى قد حظيت مثل مصر بما حظيت به من مساعدات عسكرية واقتصادية شجعتها على مزيد من المطالبة ·

ولكن لا يمكن القول بأن القيادة المصرية قد طالبت بتواجد القوات السوفيتية تهربا من أداء واجبها الوطنى ، ولا اتكالا على قوة الأصدقاء فقط· وانما طلبت ذلك ادراكا منها بأن خطة الامبريالية الصهيونية المشتركة التى فشلت فى اسقاط النظام بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، قد بدأت فى تنفيذ خطة جديدة هى حرب مباشرة ضد معنوية واقتصاد الشعب المصرى ·· فقد كان هدم القناطر يعنى طوفانا من الماء يغرق الأرض ، وكان تعريض السد العالى لخطر القنابل الاسرائيلية يعنى تحطيم أعظم انجاز اقتصادى فى تاريخ مصر وما يصحب ذلك من أخطار مدمرة ·· وكان تعرض المصانع ومحطات الكهرباء لاخطار الغارات المعادية يعنى تعجيز الاقتصاد المصرى ·

ولم تكن مصر قد استعدت لمواجهة هذه الأخطار بطريقة جادة سواء قبل العدوان أو بعده ، فقد تركزت كل الأنظار والجهود على القوات المسلحة ، باعتبارها الركيزة الأساسية لتحرير مصر ·· دون الاهتمام بتعبئة طاقات الشعب المصرى وتدريبه على القتال كما حدث فى فيتنام مثلا ·

وكان ذلك نتيجة لطبيعة قيادة ثورة يوليو المنبعثة من القوات

المسلحة وواقعها الطبقى الذى كان منتميا للبرجوازية الصغيرة التى حرصت على الانفراد بالسلطة وحدها دون اتاحة الفرصة الكاملة للفلاحين والطبقة العاملة ٠

وعندما فاجأ جمال عبد الناصر القادة السوفييت بهذا الطلب تهامس بريجنيف وجريتشكو كما كتب محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ثم قال :

(ان المشكلة ليست فقط فى الصواريخ وأطقمها ، ولكن الأمر يرتبط بنظام معقد للدفاع يحتاج الى طائرات أيضا) ٠

وهنا بادر جمال عبد الناصر قائلا (حسنا ٠٠ أرسلوا الطائرات ايضا) ٠

وأوضح بريجنيف أن مثل هذه الخطوة قد تكون لها تعقيدات دولية وعالمية خطيرة ٠

وهنا أوضح لهم جمال عبد الناصر أفكاره فى صراحة قائلا ان الولايات المتحدة تمد اسرائيل بكل ما تحتاجه دون تردد ، أما مصر فهى تتعرض الآن لخطر اسقاط النظام ٠٠ ومن جهتى - أى عبد الناصر - لا يمكن لى أن استسلم لأمريكا ، وانما على أن أصارح شعبى بحقيقة الموقف ثم اتنحى لرئيس جديد يكون قريبا من أمريكا ، يمكن له أن ينقذ الشعب مما يتعرض له ٠

ويقول هيكل ان كلمات عبد الناصر قد كهربت الجو الى الحد الذى جعل بريجنيف يقف قائلا (يا رفيق عبد الناصر ٠٠ لا تتحدث هكذا ٠٠ فانت القائد) ٠

ويتبادل الزعيم المصرى والزعماء السوفييت الحديث الذى وصل النقطة الحرجة وانتهى الأمر الى المطالبة بتأجيل الاجتماع لأنه ليس من سلطة القادة الحاضرين وحدهم أن يتخذوا قرارا ٠

كان لابد من دعوة المكتب السياسى واللجنة المركزية ٠

قال لى مراد غالب سفيرنا فى موسكو أن أعضاء المكتب قد استدعوا فجأة بالطائرات من أنحاء الاتحاد السوفيتى وهو ما لم يحدث من قبل فى حدود علمه ٠

وقال لى الفريق أول محمد فوزى انه نظرا لخطورة القرار فقد حضر اجتماع المكتب السياسى ١٢ ماريشالا سوفييتيا ٠٠ وفى احدى قاعات الكرملين وقبل أن يتوجه الوفد الى الطائرة عقدت جلسة ختامية فى

السادسة مساء أعلن فيها بريجنيف أن الاتحاد السوفيتى قد اتخذ قراراً تاريخيا لم يسبق له مثيل يحتاج من مصر الى ضبط النفس ٠

وافقت قيادة الاتحاد السوفييتى على امداد مصر بصواريخ سام ٣ على أن تتبعها الطائرات بعيدة المدى ميج ٢٥ المرتبطة معها فى نظـام الدفاع الجوى ٠

وحدد السوفييت اعداد الصواريخ وموقع اقامتها وعدد الجنـود الذين يعملون عليها ٠٠ كما اتفق على ارسال حـــوالى ١٨٠٠ مصرى للتدريب هناك مدة ستة أشهر ٠

وعبر عبد الناصر عن شكره وتقديره للقرار التاريخى الذى يحقق لأول مرة مجالا لتعاون الدول الاشتراكية العظمى مع دولة من دول التحرر الوطنى فى معركة مشتركة ضد الامبريالية والصهيونية التوسعية ٠

وأعلن أن تواجد هذه القوات سوف يدفعه الى تهدئة الموقف وضبط النفس حتى يعطى لقواته فرصة اتمام التدريب حتى لا تمتد اقامة الجنود السوفييت بأكثر مما تحتاجه الظروف ٠ وكان هناك اتفاق على أن يتـم سحب الخبراء والمستشارين السوفييت من ميدان المعركة عند نشوب القتال تنفيذا للخطة الدفاعية ٢٠٠ ٠

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان بريجنيف قد انتقل من مقعده ووقف بجانبه قائلا له (ان هذا الأمر يجب أن يبقى فى اطار السرية الى أطول وقت ممكن) ٠

ويلاحظ فى كتاب هيكل أن بريجنيف كان يخاطب عبد الناصر بلقب رفيـق Tovarich بينما يخاطب هيكل بلقب سيد Gospodin

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان صـــواريخ سام ٣ مع أطقمها السوفييتية بدأت تصل مع شهر ابريل ٠

وفى يوم ١٨ ابريل ١٩٧٠ تصدت طائرات مصرية يقودها طيارون سوفييت لطائرات اسرائيلية مهاجمة ٠٠ وعندما التقطت الأجهزة اللاسلكية الاسرائيلية لغة الطيارين الروسية عادت فوراً الى سيناء ٠

وأعلن موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى نفس اليوم ان اسرائيل لن تهجم على أعماق مصر لأنها لا تريد أن تحارب السوفييت ٠

وهكذا أبلغ الســـوفييت الأمريكان بتواجـدهم فى مصر بطريقتهم الخاصة ٠٠ واصبحت مصر كلهـا مدنا وقرى وقنـاطر ومصـانع فى

أمان ·· وانحصرت المعركة والمواجهة فى منطقة القناة بين القوات المصرية والاسرائيلية ·

ولم تقتصر المجابهة على منطقة القناة وحدهـا · ولكنها امتدت فى عملية فدائية لتصل الى ابيدجان عاصمة ساحل العاج على الشاطىء الغربى لافريقيا ·

كانت المخـابرات العامة قـد وصـلتها معلومات عن استئجار الاسرائيليين لحفار اسمه (كينتنج) من شركة أمريكية كندية مشـتركة وذلك لاستخراج البترول فى منطقة خليج السويس ·

وتابعت المخابرات خط سير الحفار الى أن علمت بوجوده فى ابيدجان يوم ٣ مارس فتحركت مجموعة فدائية من مصر لتدميره هناك حيث تم التنفيذ فعلا فى الساعة الواحدة من صباح ٨ مارس ١٩٧٠ فى وقت كانت المدينة مشـغولة برواد الفضاء الأمريكيين الذين كانوا يزورونها فى نفس اليـوم ·

ويروى أمين هويدى قصة متابعة هـذا الحفار تفصـيلا فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) وهى توضـح أن روح القتال كانت تدفع كافة الأجهزة الى استغلال كل طاقاتها لاستنزاف العـدو وانهاكه استعدادا لتنفيذ خطة تحرير الأرض ·

توقفت مشروعات اسرائيل لاستخراج البترول فى خليج السـويس بعد نجاح العملية التى دمرت الحفـار ·

وتصاعدت حرب الاستنزاف ، وبدأ الاسرائيليون يفقدون سيادتهم الجـوية تدريجيا ، وتعـرضت طائراتهم للسـقوط بوسـاطة الصـواريخ السـوفييتية ·

وكانت أرقام الطائرات الاسرائيلية التى تتسـاقط تهدد السيادة الجوية تهديدا جادا وحقيقيا ·· ولكن القيـادة العسكرية كانت تريد أن تصل الصواريخ الى شاطىء القناة حتى تضمن دفاعا عن القوات غرب القناة ، وتضمن أيضا حماية للجنود عندما يعبرون القناة ·

وكان الموقف قـد تغير تمـاما بعـد وصـول القـوات السوفييتية ، وأمكن للصواريخ المصرية أن تتفرغ تماما لمجابهة الطـائرات الاسرائيلية المغيـرة ·

واعتبرت قوات الدفاع الجوى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ عيدا لهـا تحتفل به الآن كل عام لأنه فى هذا التاريخ فوجئت الطائرات الاسرائيلية بالصواريخ المصرية وتكبد السلاح الجوى الاسرائيلى خسائر فادحة لم تكن فى الحسبان

كما ذكر الفريق محمد على فهمى فى كتابه (القوة الرابعة) والذى قال فيه أنه طبقا للبلاغات الرسمية المصرية فان خسائر العدو خلال الفترة من ٣٠ يوليو الى ٨ اغسطس بلغت ١٦ طائرة ٠

ويبدو أنه كان هناك (حرص مصرى) على عدم الاعلان عن سقوط طائرة الا بعد التأكد التام من وقوعها وذلك كرد فعل للبيانات المضللة التى صدرت خلال أيام العدوان الاسرائيلى فى يونيو ١٩٦٧ ٠٠ فان مجلة (افيش ويك) نشرت فى عددها الصادر فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ أن خسائر اسرائيل بلغت ٥١ طائرة منها ١٧ تم تدميرها تماما ، ٣٤ أصيبت ٠

هذه الحالة دفعت جولدا مائير الى القول بأن (كتائب الصواريخ المصرية كعش الغراب كلما دمرنا احداها نبتت بدلها أخرى) ٠ ودفعت أيضا أبا ايبان وزير الخارجية الى القول (لقد بدأ الطيران الاسرائيلى يتآكل) ٠

هذا يؤكد الحقيقة التى سبق أن نشرتها مجلة تايم الأمريكية فى حديث مع حاييم بارليف فى عدد ٢٩ مارس ١٩٧٠ صرح فيه قائلا :

(على المرء الا يقع فى تصور ان صواريخ سام دفاعية انها اقيمت لاعطاء مصر قوة هجومية ٠٠ ان مجرد اقامة هذه الصواريخ سيخلق فى مصر شعورا بالحرية لفعل ما تريد) ٠

يقول دكمجيان فى كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ان الغارات الاسرائيلية فى مطلع عام ١٩٧٠ كانت تستهدف اسقاط نظام حكم جمال عبد الناصر ، تماما كما حدث فى غارة غزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ (وحرب السويس) ١٩٥٦ ٠ (وحرب الأيام الستة) عام ١٩٦٧ ٠

وفى كل مرة ـ كما يقول دكمجيان ـ كانت تبنى هذه السياسة على الادراك غير السليم لحقيقة المجتمع النفسية ، ويقول أيضا ان رجال الاستراتيجية الاسرائيلية فشلوا فى معرفة سحر زعامة جمال عبد الناصر ٠٠ وقوة الروح القومية ، وقدرة المصريين التاريخية على استيعاب الهزيمة وامتصاصها ٠

ويفسر دكمجيان الموقف فى هذه المرحلة بأنه الى جانب المصاعب الدبلوماسية والعسكرية ، وضعف التنسيق بين الدول العربية ٠ فان المصريين قد وجدوا أنفسهم وحدهم يواجهون عدوا قويا فى غياب فرصة فرض تسوية من الخارج بمعرفة القوى العظمى ، وعدم قبول سلام تفرضه اسرائيل ، وأن عليهم مواصلة النضال ضد اسرائيل رغم التضحيات الكبيرة ورغم جسامة المشاق المطلوبة ٠

وانتهت سلبيات السنوات الأولى للثورة عندما تبين أن زعامة جمال عبد الناصر لا تملك مفتاحا سحريا لحل المشاكل دون مشاركة جماهيرية٠

وفى الماضى كان كل ما يطلبه جمال عبد الناصر من الشعب هو المساندة والتأييد وبعض تضحيات محدودة ٠٠ وكانت انتصاراته تعتبر انتصارات شخصية لا تحتاج ولا تعتمد على مشاركة شعبية ٠٠ ولكن رفض الاسرائيليين للانسحاب بدأ يفرض على مصر واقعا جديدا هو أهمية المشاركة الشعبية فى النواحى الحربية والسياسية ٠

واذا اعتبرنا النواحى الحربية هى (معركة الخطوط الأمامية) فان نجاحا كبيرا قد تحقق فى باب المشاركة ، وتغيرت طبيعة القوات المسلحة٠ ولم تعد اسرائيل قادرة بأى شكل من الأشكال على تنفيذ ما اعتادت عليه ى تصريحاتها من (تلقين العرب درسا) يتعلمون به قبول الوجود الاسرائيلى بالصورة التى يراها الاسرائيليون ٠

تجاوزت الظروف مرحلة الغارات أو الحروب المفاجئة التى كانت تشنها اسرائيل (للتأديب أو تلقين الدروس) وأصبحت المعركة سجالا بين طرفين ٠

ومما لا شك فيه أن استمرار هذه الصورة من الحرب وتصاعدها تنفيذ (للخطة الدفاعية ٢٠٠) كان سيؤدى الى تغيير هائل فى (السلوك القومى كان محتملا أن يصل تأثيره الى الخطوط الخلفية فى المجتمع أيضا) ٠

وهكذا كانت حرب الاستنزاف نضالا مشرفا للقوات المسلحة ، وتمهيدا جادا لعبور القناة وتحرير الأرض فى سيناء ٠ ووسيلة لبعث الحيوية فى الخطوط الخلفية حيث الجماهير كانت لا تزال تلعب دور المتفرج على معركة تزداد سخونتها يوما بعد يوم ٠

وكما كانت فى الخطوط الأمامية معركة ٠٠ كانت هناك فى الخطوط الخلفية معركة أيضا ٠

الفصل الثانى

معركة الخطوط الخلفية

« اننى لا اعتبر التناقض بيننا وبين الماركسيين تناقضا عدائيا ، واننى استعنت فى تحضير افكار الميثاق بكلمات ماركس ولينين وستالين ، وماوتسى تونج ولاسكى وغيرهم ·

جمال عبد الناصر

كان التركيز على بناء القوات المسلحة واعدادها للمعركة هو الأساس الذى قامت عليه خطة عبد الناصر بعد الهزيمة ·· ولكن المعركة لم تقتصر على ميدان القتال فقط ·· بل امتدت الى المجتمع أيضا ·

كان استيعاب النظام لصدمة الهزيمة ، وبقاء جمال عبد الناصر فى قمة القيادة · دليلا على أن ثورة يوليو قد قدمت الى الجماهير ما يدفعها الى التشبث باستمرارها ·

ولكنكان صعبا وعسيرا أن تمضى الأمور كما كانت عليه ·· فقد اهتز سحر شخصية الزعيم ، وكشفت محاكمات مؤامرة المشير ، وجهاز المخابرات · طفحا يسىء الى طهارة الثورة والثوار ·

كان ضروريا أن تتغير طبيعة النظام ·· وان يشعر الناس بمزيد من الحرية والديموقراطية ·· وأن تحاصر الأخطاء والانحرافات ·

ولكن شعار (التغيير) الذى رفعته الجماهير ، لم يطبق بالأسلوب الذى يحمل الاقتناع بها ·· ولم يطبق أيضا بالأسلوب الجاد الذى تحقق

فى القوات المسلحة ، ووصل بها الى خوض المعركة من جديد بعد شهور فقط من الهزيمة القاسية ٠

كل شيء فى البداية مضى فى الطريق القديم ٠٠ لم يتغير أحد من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ٠٠ زكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ومحمد صدقى سليمان٠ هذا اذا استثنينا سقوط المشير عبد الحكيم عامر وهذا أمر يتصل بالحياة العسكرية أكثر مما يتصل بالحياة المدنية ٠

وقد أوضحت فى الباب الثالث ـ الفصل الأول ـ سطحية ما حدث من تغييرات لم تجمل وجه النظام ، ولم تبعث فيه الجدية أو الحيوية ٠

وقد كان المجتمع فى هذه الفترة يموج بمختلف الاتجاهات ، وتتصارع فيه مختلف الآراء والطبقات ٠

انتعشت الرجعية المضروبة خلال سنوات الثورة من اثر الهزيمة على القيادة ٠٠ وشعر الاشتراكيون وأصحاب المصلحة الحقيقية فى التغيير الاجتماعى بالخطر الذى يمكن أن يهدد طموحهم وأملهم فى الوصول الى مجتمع السلام والاشتراكية ٠

وأصبح الصراع الطبقى واقعا لا يمكن انكاره أو تجاهله رغم فكرة تحالف قوى الشعب العاملة ٠٠ وكاد يتمزق الغطاء الذى حاول جمال عبد الناصر أن يستر به عوامل الصراع الكامنة ٠

وبرزت قضية حماية الثورة بصورة رئيسية ٠

وكتبت مقالا تحت هذا العنوان فى مجلة روز اليوسف عندما كنت رئيسا لتحريرها فى ٣١ يوليو ١٩٦٧ قلت فيه (ان ثورة ٢٣ يوليو تتميز بخاصية فريدة هى انطلاقها من الجيش تعبيرا عن ارادة الشعب المعبأ نفسيا ضد النظام الملكى ٠٠ والمفتقرة فى نفس الوقت الى تنظيم يكسب ثقتها ويقود نضالها) ٠

وأشرت فيه الى (الحاجة الى جهاز سياسى صلب ومتماسك تتوافر له وحدة الفكر وسلامة الاتجاه) ٠

وكان الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت يعتبر أكثر يسارية وتقدمية من الحكومة ومن القوات المسلحة أيضا ٠

كانت قد شكلت مكاتب تنفيذية من المتفرغين ٠٠ وضمت منظمة الشباب ٢٠٠ر٠٠٠ عضو ، وأنشىء المعهد العالى للدراسات الاشتراكية الذى أداره الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الأمانة العامة ، وانتشرت المعاهد فى المحافظات بعد أن كانت قاصرة على السويس ، وتمت دورات تدريبية تخرج فيها الوف العمال والفلاحين ٠

ومع ذلك فقد عانى الاتحاد الاشتراكى من سلبيات كثيرة تمثلت فى عدم اعطاء الطبقة العاملة والفلاحين ثقلهم الطبيعى فى مراكز القيادة وحل التناقض القائم بينهم وبين البرجوازية ونقص الوعى والقدرة السياسية عند أغلبية أعضاء المكاتب التنفيذية ، وعدم انتظام الاجتماعات ، وغياب الديموقراطية داخل التنظيم ، وتعثر تكوين جهازه السياسى (طليعة الاشتراكيين ، ووضع أشخاص غير سياسيين فى قمة المسئولية) ٠

وكانت الرجعية المتربصة بثورة يوليو قد وجدت فى الهزيمة فرصتها الهائلة ، وأحاطت النظام بالشكوك والاتهامات ٠٠ ونشط ما سبق أن أشار اليه جمال عبد الناصر من أن هناك حزبا رجعيا لا ينقصه التنظيم ٠

وأسجل مناقشة دارت بين عبد الناصر وعامر فى أحد اجتماعات الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦٥ ٠

قال عبد الحكيم عامر :

توجد مشكلة سوف تواجه الاتحاد الاشتراكى حتى بعد عملية التنشيط والاستكشاف وهى أن الاتحاد الاشتراكى كقوة ليس أمامه قوة مضادة ظاهرة ولذلك لا يشعر الاتحاد الاشتراكى بأنه يوجد تحدى) ٠

واجاب جمال عبد الناصر بقوله :

(ان العناصر المضادة موجودة داخل الاتحاد الاشتراكى وهى عناصر (حركية) ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكى وجود العناصر الاشتراكية الحركية المخلصة) ٠

وقال لى شعراوى جمعة أن عبد الناصر كان يتصور دائما أن الرجعية تشكل قوة تنظيمية متربصة لا يقابلها تنظيم تقدمى مماثل ، وان هذا كان عاملا مؤثرا فى بعض قراراته ٠

كان ذلك قبل الهزيمة ٠٠ أما بعد الهزيمة فقد تضاعف نشاط هذه العناصر الكامنة المتربصة فى أرجاء الاتحاد الاشتراكى ٠

ولقد أحست القوى الوطنية والديموقراطية بقلق شديد من موقف قيادة النظام وقدرتها على حماية الثورة وبث الحيوية فيها واستمرارها ، رغم ما قاله جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ٠

(اذا استطعنا أن نحمى الثورة الاجتماعية فى مصر وندعم الثورة العربية الشاملة ٠٠ فاننا نستطيع تحرير الأرض المحتلة) ٠

نعم ٠٠ حماية الثورة الاجتماعية كانت قضية رئيسية تؤرق القائد وتؤرق الوطنيين الديموقراطيين أيضا ٠

وتبلورت هذه القضية فى ضرورة وأهمية تكوين تنظيم سياسى ملتزم ، عبرت عنه فى مقال نشرته فى روز اليوسف عدد ٢٨ أغسطس ١٩٦٧ تحت عنوان (حزب واحد) ناقشت فيه أفكار الذين يخشون من وجود حزب واحد على مسار الديموقراطية ومضمونها ، وقلت فيه :

(ان الحزب لا يعمل بعيدا عن الاتحاد الاشتراكى وليس منعزلا عنه بل انه يؤدى فى داخله دور الجهاز العصبى القادر على نقل توجيهات القيادة ودفع ارادة الجماهير ·· والاتحاد الاشتراكى يضم ملايين الأفراد الذين لا يمكن أن تتوافر لهم جميعا صفة الالتزام الحزبى ·· أى الرغبة الصادقة فى التضحية والبذل من أجل العمل السياسى ·· وضرب المثل فى كافة التصرفات العامة والشخصية ·· وهى الصفات الضرورية لعضو الحزب) ·

وقلت أيضا :

(عضو الحزب يلتزم بواجبات ومسئوليات تزيد كثيرا عن واجبات ومسئوليات الانسان العادى عضو الاتحاد الاشتراكى ·· وعضو الحزب مسئول أمام الجماهير ، هى التى تقتنع به أو ترفضه وتسقطه تبعا لما يظهر به فى مواجهتها ·· والحزب ليس تعاليا على الناس ولكنه عمل دائب فى خدمة الجماهير) ·

ورد يوسف السباعى على ذلك بمقال جاء فيه ان هذه الدعوة تعنى تكوين حزب شيوعى وحزب يمينى وحزب الاتحاد الاشتراكى ·· وهو أمر لا تشير اليه كلماتى مطلقا ·· ولم تكن هذه الفترة التاريخية الحرجة هى أنسب الفترات لاطلاق الدعوة لحرية تكوين الأحزاب بصورة مطلقة ·

ولذا فقد رددت عليه بمقال نشر فى روز اليوسف فى ١٨ سبتمبر ١٩٦٧ قلت فيه :

(هل هو وقوف على رأى جامد وثابت ؟

هل هو محاولة لتمزيق الوحدة الوطنية والشعبية ؟

أم هو استخفاف بمعالجة القضايا السياسية الحيوية ؟

لست أدرى أين كان يقف يوسف من هؤلاء ·· ولكننى أدرى أنه افتعل أساسا واهيا للمناقشة وبنى عليه هرما من الورق لا يحتمل البقاء أمام تيار الحق والصدق) ·

وربما كان يوسف السباعى معذورا فى فزعه من فكرة الدعوة الى الحزب معتقدا اننى ادعو الى تكوين حزب له صبغة شيوعية ·· فانه فى

حدود علمی لم یکن عضوا مسئولا فی طليعة الاشتراكيين ، ولكنی اشك فی أنه لم یکن یعرف تماما القصد مما جاء فی الميثاق عن تشكيل جهـــاز سیاسی داخل الاتحاد الاشتراکی ٠

لا شك أن يوسف السباعی کان یعرف ما ورد فی الميثاق ، ولكنه كان یعبر عن فكر اليمين المتخوف من اتجاه الثورة الى اليسار ، وخاصة بعد الهزيمة التی كان مفروضا أن تعقدها وتصيبها بالجمود فلا تتحرك نحـــو مزيد من التقـــدم ٠

ولا یمکن انکار أن يوسف السباعی قد نال من ثورة يوليو ومن جمال عبد الناصر شخصيا اكثر مما كان يراود أحلامه كضابط من ضـــباط الجيش الذين استكانوا الى نظامه السابق ولم يرتبطوا بالضباط الأحرار من أجل الثورة على النظام الملكی ٠

ولا یمکن انکار أن يوسف السباعی قد أصبح علما من أعلام الضباط الذين تولوا مراكز رئيسية حساسة فی مجال السياسة (سكرتير عـــام منظمة التضامن الآسيوی الافريقی) ومجال الأدب والفن (سكرتير عام المجلس الأعلى للفنون والآداب) ومجال الصحافة (رئيس تحرير الرسالة وصحف أخرى) ٠٠ ومع ذلك فانه فيما يبدو ظل حريصا على (فرملة) ثورة يوليو عن الاتجاه نحو أهداف التقدم الاجتماعی ، متشبثا بأحـــلام طبقته التی انتمى اليها فی الماضی وفی عهد الثورة أيضا ٠

ولست أعيب على يوسف السباعی موقفه أو دعوته ، فهـــو اختياره الخاص الذی لا نملك أمامه شيئا ٠

ولكنی أتخذ من هذا الموقف مثالا على انه كان فی صفوف المنتمين الى ثورة يوليو ، المرتبطين بجمال عبد الناصر شخصيا ، القائلين له فی مقدمة كل مقالاتهم (أهلا) ٠٠ كان منهم من يأخذ موقفا اجتماعيا مغايرا للاتجاه المعروف عن قيادة الثورة ٠٠ ومع ذلك تقابل كلماتهم واتجاهاتهم بالصمت ٠٠ وربما بالرضا أيضا ٠

وكان هذا دليلا على أنه بعد سنوات من قوانين يوليو ١٩٦١ وصدور الميثاق عام ١٩٦٢ ما زالت هناك آراء متناقضة ومتنافرة ٠ ومعبرة عن واقع طبقی مختلف ٠٠ وان تحالف قوى الشعب العاملة لم يعد قادرا على خلق وحدة فكرية وتنظيمية متجانسة ٠

وعلى قدر ما كان اليمين متربصا للثورة يريد الانقضاض عليها ٠٠ على قدر ما كان اليسار قلقا على المكاسب الاجتماعية التی حصلت عليهـــا الطبقات الكادحة ٠

وقد سقط القناع عن الجانب القبيح للثورة بعد محاكمات ضباط مجموعة المشير · فقد أعلن بعضهم فى صراحة وهم الذين كان مفروضا انهم حماة الثورة بالسلاح انهم يلجأن الى أمريكا ·· ولذا فلم يكن غريبا أن نسمع هذه النغمة من آخرين ·

كانت الدعوة لتكوين الحزب هى أول اشارة الى الأحزاب منذ أسقطتها الثورة وأصدرت قرارا بحلها فى يناير ١٩٥٣ ·

وكانت هذه الدعوة تعنى بعث الحياة فى جهاز (طليعة الاشتراكيين) لممارسة دوره النضالى فى هذه المرحلة الصعبة من مراحل الثورة ·

ولكن أمانة طليعة الاشتراكيين لم تكن تجتمع ·· وأمينها العام شعراوى جمعه لم يوجه لها الدعوة للانعقاد ·· ولذا حرصت على اثارة هذا الموضوع معه أكثر من مرة مندهشا ومستفسرا عن الأسباب التى تدعو الى وقف اجتماع الأمانة التى تمثل القلب فى جهاز العمل السياسى · وكان يعتذر بكثرة مشاغله ومسئولياته فى وزارة الداخلية ·

وعندما دعيت الأمانة للاجتماع فى نوفمبر ١٩٦٧ قال شعراوى جمعة بصراحة فى أول جلسة (ان فلانا – يقصد كاتب هذه السطور – كان يسقينى كأسا من السم فى كل لقاء معه من أجل دعوة الأمانة للاجتماع) ·

كانت عودة أمانة طليعة الاشتراكيين للانعقاد مؤشرا طيبا ولكنه لم يكن دليلا على ان الأمور فى الجبهة الداخلية يمكن أن تنطلق بنفس الجدية التى تندفع بها فى الجبهة العسكرية أو القوات المسلحة ان صح التعبير ·

عندما عادت الأمانة الى الاجتماع مارست أسلوبها القديم الذى يدور فى حلقة مفرغة من المناقشات دون جدول أعمال أو متابعة للقضايا المختلفة بطريقة علمية مدروسة ، مع عقد اتصالات بيروقراطية مع المحافظين الذين كانوا فى أغلب الأحوال هم المسئولون الأساسيون فى طليعة الاشتركيين ·

واحتفظت الأمانة حتى ذلك الوقت بأعضائها السابقين أمين هويدى ومحمد فائق وسامى شرف وعبد المجيد فريد وحلمى السعيد واحمد شهيب وشوقى عبد الناصر وكمال الحناوى ومحمد عروق وعبد المعبود الجبيلى · ومحمود العالم ويوسف غزولى وعلى السيد على واحمد كامل وكاتب هذه السطور تحت ادارة أمينها العام شعراوى جمعه (١٠ ضباط ، ٦ مدنيين) ·

وكان شوقى عبد الناصر قد ابعد شقيقه عن مركز الأمين المساعد للاتحاد الاشتراكى بمحافظة القاهرة ، كما أبعد شقيقه الليثى عبد الناصر عن أمانة الاتحاد الاشتراكى بمحافظة الاسكندرية ٠

ويذكر أن شوقى عبد الناصر كان قد حاول الانتحار عقب هذا القرار الذى اعتبره جائرا ، لأنه كان يؤدى واجبه فى اعتقاده بما يرضى ضميره دون تأثر بموضوع الأخوة ٠٠ وأن جمال عبد الناصر لم يقم بزيارته خلال مرضه ووجوده فى مستشفى المعادى ٠

كان كل ما حدث من تغييرات فى الاتحاد الاشتراكى هو تطعيم المكاتب التنفيذية للمحافظات بشخصيات من مختلف الاتجاهات فأمانة القاهرة مثلا أضيف اليها أحمد بهاء الدين وفتحى غانم ويوسف السباعى وكاتب هذه السطور من الكتاب وسمير حلمى وزير الصناعة السابق وسيد يوسف وزير التربية والتعليم السابق وعدد آخر من الشخصيات فى مكاتب الأقسام والمراكز ٠

وكانت بعض القرارات المختلفة الاتجاهات قد بدأت تصدر أيضا ٠

صدر قرار بتأميم تجارة الجملة فى ١٦ أكتوبر ١٩٦٧ ، وفى اليوم التالى مباشرة صدر قرار بعودة الدكتور عزيز صدقى وزيرا للصناعة بعد خروجه من الوزارة فى أثناء رئاسة على صبرى لها ٠

وفى بداية نوفمبر ١٩٦٧ حضر الى مصر مبعوث الرئيس الأمريكى جونسون المالى الكبير (روبرت اندرسون) حيث اجتمع به جمال عبد الناصر مرتين مهدت لصدور قرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر من نفس الشهر ٠

وكان جمال عبد الناصر رغم الهزيمة ورغم ثبوت المساندة الأمريكية الايجابية لاسرائيل حريصا على عدم قطع صلات الاتصال مع الحكومة الأمريكية ٠

وكان القادة السوفييت ينصحون جمال عبد الناصر دائما بتحاشى اتخاذ مواقف شديدة الاثارة للامريكيين الذين لا شك أن لهم دورا فى حل المشكلة وعودة السلام للمنطقة ٠

قال لى صلاح نصر أن جمال عبد الناصر قد طلب منه بعد الهزيمة عدم قطع علاقته بواشنطن ، ولذا فقد استبقى فى مصر بعد قطع العلاقات (وليم بروميل) ضابط المخابرات الأمريكى لأنه كان حلقة الاتصال بين صلاح نصر ورئيس المخابرات المركزية ، كما أنه استبقى أيضا وليم بيرجس الذى كانت تربطه علاقات طيبة مع بعض المسئولين فى مصر ٠

ويقول صلاح نصر أيضا أنه تلقى رسالة من جونسون فى أواخر يونيو تقول :

(بالرغم من العلاقات المتدهورة بين البلدين فان الولايات المتحدة على استعداد لأن تدخل فى مفاوضات لازالة حدة التوتر القائم ، فاذا ما وافقت مصر فان سفيرنا فى روما على استعداد لمقابلة مندوب مصر لوضع الخطوط الرئيسية لمحادثات على مستوى أكبر فى واشنطن) .

ويذكر صلاح نصر أنه حدثت موافقة مبدئية على أن يتولى هذه الاتصالات أحمد حسن الفقى وكيل وزارة الخارجية ورينهارت السفير الأمريكى فى روما ولكن لم ينفذ ذلك فى اللحظة الأخيرة .

كما يقول أن المخابرات الايطالية وكانت على علاقة طيبة بصلاح نصر والمخابرات المصرية قد توسطت فى ٢٤ يونيو حول مشروع كانت أبرز النقاط فيه هى :

١ ـ ان يستبعد نهائيا اجراء أى مفاوضات مباشرة للصلح بين العرب واسرائيل .

٢ ـ الاعتراف بالكيان الاسرائيلى .

٣ ـ انسحاب القوات الاسرائيلية وعودتها الى ما وراء الحدود على جميع الجبهات حتى يوم ٤ يونيو .

٤ ـ أن تضمن قوات الطوارىء الدولية ذلك .

٥ ـ حرية المرور بمضيق تيران .

٦ ـ تعويض البلاد العربية عن الخسائر .

٧ ـ تعويض اللاجئين الفلسطينيين .

٨ ـ تعهد من جانب أمريكا والدول الغربية بتنفيذ برنامج اقتصادى مالى وصناعى لمدة ٣٠ سنة بهدف رفع مستوى المعيشة فى جميع الميادين بين شعوب المنطقة العربية وفى مقدمتها مصر مقابل استعادة وتدعيم العلاقات والتعاون الشامل فى الميدان السياسى والاقتصادى بين دول العالم العربى والدول الغربية .

وغنى عن البيان ان هذا المشروع المقترح ـ اذا صح ما ورد فيه ـ لم يصل الى نتيجة ، بعد اعتقال صلاح نصر .

ومع ذلك فقد ظلت العلاقات المصرية الأمريكية متصلة لا تنقطع حتى وصلت الى حد السماح للضابط السابق علوى حافظ عضو مجلس الأمة

بحمل اتصالات شخصية خلال شخصيات لا تخفى صلتها بالمخابرات المركزية الأمريكية كما نشر فى مجلة أخبار اليوم ٠

وكان وصول روبرت اندرسون لمصر هو نهاية لهذه المرحلة من الاتصالات التى يبدو انها لم تغير شيئا فى طبيعة العلاقات ازاء اصرار أمريكا على مساندة اسرائيل وامدادها بطائرات سكاى هوك الأمر الذى دفع جمال عبد الناصر الى القول فى خطبته يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٨ (لايستطيع أن يجاهر الآن بصداقة أمريكا الا عميل واضح صريح)٠

وقد اقترن شهر نوفمبر الذى صدر فيه قرار مجلس الأمن باثارة عدة موضوعات داخلية ، كانت تمثل حساسيات خاصة لثورة يوليو هى :

١ ـ رفع الحراسات ٠

٢ ـ عودة المفصولين ٠

٣ ـ الافراج عن المعتقلين ٠

وقد شكلت لجان خاصة لذلك ، ورفع فعلا العزل السياسى عن أكثر من ألف مواطن ، ورفعت الحراسات أيضا عن بعض الأسر ٠

وأعلن شعراوى جمعة فى بيان خاص أن عدد المعتقلين من ٥ يونيو الى ١٩ سبتمبر ١٩٦٧ قد بلغ ١٨١ عسكريا ومدنيا منهم ٤٤ فلاحا من قرية المشير ، ٢٤ كتبة منشورات ١٦٠ ضابط ، ١٧٠ مدنيا من أقارب المشير ، وضابط شرطة ٠

كما أعلن يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧ ان دراسة شاملة لأوضاع جميع الذين ما زالوا فى المعتقلات حتى الآن تتم تمهيدا لتصفية المعتقلات ٠

كما شكلت لجنة ثلاثية لرفع الحراسات التى وضعتها لجنة تصفية الاقطاع وغيرها ٠

وأذكر ان موضوع الحراسة قد أثير فى اجتماع لجنة الاتحاد الاشتراكى لمحافظة القاهرة، وانى وقفت ضد مبدأ (الحراسة بالتقارير)٠

وكتبت فى روز اليوسف مقالا بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ جاء فيه :

(الحراسة كانت اجراء من اجراءات الحماية الثورية ضد بعض الذين يستقر الرأى على انهم وقفوا موقفا عدائيا من التطور الاجتماعى والوطنى ٠٠ أو الذين هربوا الأرض وخالفوا قانون الاصلاح الزراعى ٠٠ ولكن وضع الناس تحت الحراسة لم يكن يستقر تحت مبدأ قانونى واضح وانما كان يتم بعد دراسات تعتمد على تقارير ، والبعض فيها يحتمل التأويل ، والبعض يتعرض للخطأ والصواب ٠٠ مما أدى فعلا الى قبول بعض التظلمات ورفع الحراسة عنها ٠٠ وهذا الموقف نشأ أساسأ عن عدم

وجود قانون يسمح بالنظر فى أخطاء وأخطار البعض مما يمكن أن ينتهى بهم الى الحراسة خضوعا لمواد القانون وعدالة القضاء كضرورة ثورية حاسـمة) ٠

كما قلت أيضا فى نفس العدد :

(ليس منطقيا أن يظل الانسان معتقلا طوال عمره لأنه كان عضـوا فى جماعة الاخوان المسلمين فى يوم من الأيام) ٠

كان بعث هذه القضايا فى هذا التوقيت يمثل نوعا من النقد الذاتى، وشعورا بخطر استمرار الاجراءات الاستثنائية المؤقتة ٠

وقد وجدت بعض العناصر فى اثارة هذه القضايا ما يمكن ان يمثل تراجعا من قيادة الثورة تحت ضغط اليمين ٠

وهو قلق مشروع عند هؤلاء ٠٠ ولكن الاجراء لم يكن يمثل تراجعا حقيقيا عن الموقف الاجتماعى لثورة يوليو ٠٠ بل كان يمثل محاولة لتجميل وجه الثورة أمام أخطاء استمرت أكثر من التوقيت اللازم لها ٠

كما أن هذه القضايا (الحراسة ـ الاعتقال ـ العزل السـياسى ـ الفصل من العمل) لم يكن الاعتداء عليها يمثل اعتداء على اليمين فقط ٠٠ ولكنه كان يمثل اعتداء على اليسار ايضا ، واعتداء على الديموقراطية أساسا ٠

والديموقراطية هدف من الأهداف الرئيسية التى يناضل من أجلها اليسار ضمانا لحـركته ٠

ويبدو أن الصحافة كانت قد بدأت تلعب دورا هاما فى مناقشـــة القضايا الرئيسية بجرأة فرضتها الهزيمة ، ولم تعرفها الثورة من قبل ، نفرضت الرقابة على الصحف ، وعاد الرقيب منذ نوفمبر ١٩٦٧ يمارس صلاحيات كانت قد اختفت من الصـحافة تماما منـذ ما بعد عـدوان ١٩٥٦ ٠

الحقيقة انه لم تكن هناك رقابة رقيب على الصحف حتى ذلك الوقت، وانما كانت هناك رقابة ذاتية يمارسها المسئول عن التحرير ، والمعين من السـلطة ٠

وكان المبرر لعودة الرقابة هو تحاشى التعرض للشئون العسكرية ، ولكن المبرر الحقيقى كان تهدئة وتبرير الآراء المتفجرة الحارة على صفحات الصحف ٠

ومع ذلك لم تكن الرقابة مانعا من نشر مقالات تدعو لدعم القطـاع الخاص ، ودعوة رأس المال الأجنبى ٠

وقد تصديت لذلك فى عدة مقالات منها مقال نشر فى أول يناير ١٩٦٨ تحت عنوان الاشتراكية المفترى عليها) جاء فيه :

(كل من يلحق به الظلم ، يدين الاشتراكية ٠

الاشتراكية المفترى عليها ٠٠ التى أصبحت مشجبا تعلق عليه كل الأخطاء والانحرافات التى يرتكبها بعض المسئولين فى مجالات العمل) ٠

وقلت ايضـــا :

(الديموقراطية سلاح من أسلحة الاشتراكية ولكننا نبقيه فى الجراب خشية منه ، مع انه فى قبضة يدنا) ٠

(لقد قضى الاستعمار نصف قرن يشوه بدعايته كل ما هو اشتراكى، وهو ما زال ينشط بكافة الوسائل فى هـــذا الاتجاه ، وعلينا وقد تبنينا الاشتراكية الا نتطوع بتشويهها نحن أيضا من جانبنا ٠٠ كأنما يعز علينا أن ندعه بلا ذخيرة يضربنا بها) ٠

وعن الدعوة لرأس المال الأجنبى كتبت تحت عنوان : (هــل تهـدم الثورة ما بنته ؟ مقالا جاء فيه :

(رأس المال الأجنبى اذا تسرب الى اقتصادنا قضى على تطوره فى مهده وهدد نموه ٠٠ لأن رأس المال الأجنبى لا يحضر الا مصحوبا بشروطه محصنا بضغوطه ٠٠ ومع ذلك فاننا يجب الا نرفض ذلك رفضا باتا قاطعا ٠٠ هناك مشروعات تحتاج فعلا الى رأس المال الأجنبى لعدم قـــدرة اقتصادنا القومى على تنفيذ كل المشروعات ٠

قال لى الدكتور عزيز صدقى أن رأس المال الأجنبى كان يتعاون معنا فى مشروعات البحث عن البتـــرول ٠ وتصـــنيع الدواء ، وغيرها من الصناعات التى تتكلف الملايين الكثيرة من الجنيهات فى الأبحاث ومتابعة أحدث التطـورات ٠

كانت حصيلة مصر من البترول تصل الى ٧٥٪ بعد اتمام كشــفه واستخراجه على أساس تجارى ٠٠ وكان رأس المال المصرى فى بعض شركات الأدوية لا يتجاوز ٦٠٪ ٠

حرصت على اعادة نشر بعض ما ظهر فى الصحف خلال هذه الفترة لاعطاء صورة عن النبض الحقيقى للصراع المستتر ــ رغم ما قد يكون فى

ذلك من اطناب ـ بين قوى الردة وقوى التقدم المجتمعة تحت عباءة ثورة يوليو ٠

وكان وجود جمال عبد الناصر فى ذاته ضمانة للتقدم لأن الزعيم يكون مكبلا بتاريخه دائما ، يصعب عليه التراجع عنه أو الارتداد عليه ٠

وحماية الثورة كانت تعتمد عليه شخصيا وعلى رؤيته للامور ٠٠ ولم تنطلق أبدا الى ساحة الجماهير للتفاعل الحى معها ٠

كان جمال عبد الناصر يتطلع الى تعديل الميثاق عام ١٩٧٠ بعد ثمانية سنوات من التجربة ٠٠ وكان قد طلب من على صبرى قبل الهزيمة كتابة مقالات تثير مناقشات حية حول تعديل الميثاق ٠

ويقول فتحى غانم الذى كان رئيسا لمجلس ادارة التحرير أن مقال على صبرى الأول الذى نشر عام ١٩٦٦ كان مقالا تقليديا عن ثورة يوليو، وأن جمال عبد الناصر قد اتصل بعلى صبرى بعد ذلك وطلب منه أن تفتح المقالات ابوابا عريضة لمناقشات جدية ٠

وبدأت مقالات على صبرى تثير اهتمام الكثيرين وتفتح بابا عريضا لتعليقات مختلفة ٠٠ اعتبرها البعض تطرفا الى اليسار ٠ وقال محمد حسنين هيكل لجمال عبد الناصر (ان هذه المقالات ستشعل حربا أهلية) وأجاب عبد الناصر فى هدوء (طيب ٠٠ ما تردوا عليه) ٠

كان جمال عبد الناصر يستهدف من ذلك جس نبض حالة المجتمع والتعرف على الاتجاهات الكامنة فيه تمهيدا لتعديل الميثاق ٠

ولكن الأمر بالنسبة للقوات المسلحة كان شديد الحساسية ، فقد ظهر عداء المشير عامر لعلى صبرى بعد هذه المقالات بطريقة اكثر وضوحا٠

انتهز المشير فرصة تقرير وصل اليه يفيد بأنه فى معسكر الشباب بأبو قير التابع لمنظمة الشباب يدرس سؤال حول هذا الموضوع ٠

كيف يرد الشباب على محاولة انقلاب عسكرى مضاد ؟

واعتبر المشير عامر ان فى تدريس وتلقين الشباب لمثل هذه الاتجاهات تعريضا بالقوات المسلحة ٠

وصدر فى ابريل ١٩٦٧ قرار يقضى بتشكيل لجنة للشباب يراسها المشير عبد الحكيم عامر ـ الى جانب اختصاصاته المتعددة ـ وتضم كلا من على صبرى وشعراوى جمعة ٠

لم تجتمع هذه اللجنة مرة واحدة · ولكن تشكيلها كان يعتبر صفعة لعلى صبرى ·

وتوقف على صبرى عن الكتابة ·· أبلغ ذلك الى فتحى غانم يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ معلنا تخليه عن صلاحياته الاشرافية على جريدة الجمهورية ·· حيث أصبح المشير فى هذه المرحلة هو المسئول عن الاستعداد الحربى والاعلامى أيضا ·

ويقول فتحى غانم انه قد بدأ تجميع مقالات على صبرى فى كتاب تم طبعه والاعلان عنه ·· ولكنه لم يوزع أبدا ·· فقد توقفت الاعلانات عنه يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ ، وبقيت أكداس الكتاب فى المخزن لا ترى النور ·

أوقفت الهزيمة الاتجاه لتعديل الميثاق ·

وأصبح جمال عبد الناصر حذرا فى هذه المرحلة ـ ما بعد الهزيمة ـ من ظهور آراء قد يتهمها البعض بالتطرف وتستقطب العناصر المتهادنة أو المعادية فى وقت تلعق فيه الثورة جراح الهزيمة ، وتتحمل مسئوليات شاقة لاعادة اكتساب ثقة الناس بها من جديد بعد تجربة مأساوية فظيعة ·

وكان الموقف يتبلور فى قضية حماية الثورة حول مطالبة الجماهير بمراجعة أخطاء التطبيق الاشتراكى ·· بينما تحاول قوى أخرى ان توقع الثورة فى الفخ عن طريق هدم ما بنته ، والارتداد عن الطريق الذى قطعته ·

وقد فجر جمال عبد الناصر هذا الموقف عندما قال فى خطبته أمام مجلس الأمة يوم ٢٣ نوفمبر ٦٧ ان البعض يتحدث عن أن زكريا محيى الدين الذى يمثل اليمين وعلى صبرى الذى يمثل اليسار ·

المظاهرات ·· وبيان ٣٠ مارس

لم يكن ممكنا أن تستمر التناقضات التى فجرتها الهزيمة مكبوتة فى الصدور ·

ولم يكن معقولا ان تمضى المقالات والآراء المختلفة التى نشرتها الصحف وكأنها سحابة صيف تمضى بلا أثر ·

ولم يكن سهلا أبدا أن يجتمع قلق الثوريين ، وتربص الرجعيين فى هدوء تحت خيمة الاتحاد الاشتراكى ·

وتفجر الموقف بصورة عملية فى بداية عام ١٩٦٨ فى أوساط الطلبة، حدث يجتمع حماس الشباب وطهارة الوطنية والحرص على سرعة التغيير ·

وجمع توقيت واحد بين حدثين يعتبران أخطر ما تعرض له النظام بعد الهزيمة ·· محاكمات ضباط مؤامرة المشير ومظاهرات الطلبة ·

وكانت مظاهرات فبراير ١٩٦٨ التى أوضحت جذورها فى (الباب الثالث ـ الفصل الأول) ·

كانت مظاهرات العمال والطلبة هى أول مظاهرات تخرج فى مصر منذ عام ١٩٥٤ ، وهى أول لقاء ايجابى بين الطلبة والعمال منذ عـام ١٩٤٦ الذى شكلت فيه (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال) ·

وعندما ذهب جمال عبد الناصر ليخطب فى عمال حلوان يوم ٣ مارس ١٩٦٨ كان يبدو فى مظهر من يريد أن يثبت مساندة الطبقة العاملة له فى مواجهة مظاهرات الطلبة ·

ومع ذلك لم يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سلبيا من مظاهرات الطلبة ولم يفقد أعصابه أمامها ·· بل اعتبرها فورة شباب وطنى يتلمس الطريق للخروج من كآبة الموقف وغموض المستقبل ·

وبدأت محاولات لاحتواء الطلبة ، كان أولها مقابلة جمال عبد الناصر لرؤساء اتحادات الجامعات مثل عاطف الشاطر (الاسكندرية) وحلمى نهنوش (عين شمس) وعبد الحميد حسن (القاهرة) رغم عدم اشتراكهم فى المظاهرات ، وعدم قدرتهم على التأثير فى جماهير الطلبة ، بعد أن وثبت اللجنة المنتخبة من مؤتمر ٢١ فبراير ١٩٦٨ الى مركز القيادة الفعلية ·

وقد وافق بعد ذلك جمال عبد الناصر على تشكيل اتحاد عام لطلبة الجمهورية بعد لقائه مع المثقفين بجامعة القاهرة فى سلسلة اجتمـاعاته مع قوى الشعب ·

وأعاد جمال عبد الناصر تشكيل وزارته فى ٢٠ مارس ١٩٦٨ وهى الوزارة التى لم يدخلهـا زكريا محيى الدين ، واقتصرت على حسـين الشافعى نائبا للرئيس ووزيرا للاوقاف ·· وأدخل فيها ٩ وزراء جـدد من أساتذة الجامعة هم الدكاترة : محمد حلمى مراد وأحمد مصطفى أحمد والسيد جاب الله والمهنـدس حسن مصـطفى ومحمد بكر أحمـد وعبد العزيز حجازى · ومحمد حافظ غانم ومحمد صفى الدين أبو العـز وعبد العزيز كامل نائبا لوزير الأوقاف · وذلك كمحاولة من النظام لبعث الهدوء فى نفوس الطلبة وأشعارهم بمشاركة الجامعة فى سلطة الحكم ، وخاصة ان عددا من المختارين كان له دور نشيط فى الاتصال بالطلبة ·

كان عدد الضباط السابقين فى هـذه الوزارة ١١ وزيرا ، وعدد الوزراء من أساتذة الجامعة السـابقين أو الجدد ١٢ وزيرا ، وهى المرة

الأولى التى تغلب فيها النسبة العددية لأى فئة من الفئات نسبة العسكريين فى الوزارة التى ضمت ٣١ وزيرا ٠

ولم تقف الاجراءات عند حدود محاولة اقناع الطلبة بأن السلطة تقترب منهم وتفتح أبوابها لهم ، وانما تجاوزت ذلك الى تنشيط (طليعة الاشتراكيين) داخل الجامعة فى محاولة للسيطرة عليها ٠٠ وقد صحب ذلك بعض الأخطاء التى أثارت الطلبة وأبرزت ألوانا من التناقض بينهم وبين عناصر (طليعة الاشتراكيين) الذين كانوا يعملون سرا حتى ذلك الوقت ٠

كما اكتشفت وزارة الداخلية أن قواتها أعجز من القدرة على مقاومة مظاهرات طلابية جارفة ، فشكلت (قوات الأمن المركزى) بعد بلوكات النظام لتكون قوة ضاربة قادرة على تفريق المظاهرات قبل نزول القوات المسلحة وما يشكله نزولها من أخطار تهدد استقرار النظام ، وأرسلت عددا من ضباط الشرطة الى فرنسا للتدريب على مواجهة المظاهرات ٠

وفرضت مظاهرات الطلبة وما صاحبها من تأييد شعبى على جمال عبد الناصر أن يعيد النظر فى الموقف السياسى ٠

وفتح جمال عبد الناصر المناقشةحول الأوضاع الراهنة فى مجلس الوزراء ، وطلب من الجميع أن يتحدثوا فى صراحة مطلقة باعتبارهم مشاركين فى قمة المسئولية ٠

ويقول ضياء الدين داود وزير الشئون الاجتماعية والذى كان امينا للاتحاد الاشتراكى بمحافظة دمياط أن جميع أعضاء المجلس قد ادلوا بآرائهم فى مختلف الأساسيات والفرعيات ايضا ٠

وانبرى أساتذة الجامعة والوزراء الجدد يطرحون آراءهم ٠

وتحدث الدكتور عبد العزيز كامل عن المعتقلات والسجون وعما تعرض له هو شخصيا ٠

وأثار الدكتور حلمى مراد كثيرا من القضايا ومن ضمنها الصلاحيات المعطاة لبعض العسكريين ومواقفهم الخاطئة ٠٠ وخاصة ما حدث من سفير مصر فى أسبانيا أحمد انور قائد الشرطة العسكرية السابق فى سنوات الثورة الأولى من اعتداء بالضرب على مستشار السفارة مصطفى توفيق الذى كان ضابطا صغيرا تحت قيادته فى الشرطة العسكرية أيضا ٠

ويقول ضياء الدين داود ان جمال عبد الناصر قد قال له ان الضباط الاحرار الذين قاموا بالثورة كانوا ٩٠ ضابطا تقريبا ، وأن له التزاما معنويا قبلهم ٠ وخاصة أن منهم من تعرض للاعتقال والمحاكمة ، ومنهم من أبعد لثبوت عدم كفاءته ، ومعظمهم ترك القوات المسلحة ليشق طريقا جديدا فى الحياة المدنية ربما لم يتعود عليه ٠

دافع جمال عبد الناصر عن أخطاء زملائه الذين قاموا بالثورة معه من موقع انسانى ٠٠ وكان يدرك انه يتحمل فى النهاية أخطاء وانحرافات البعض منهم ٠٠ ولكنه لم يقبل التخلى عنهم ٠

كان الاعتماد على الضباط بكل مافيهم من ايجابيات وسلبيات هو الطريق الذى اختاره جمال عبد الناصر ، بديلا عن تكوين كادر سياسى فى اطار حزبى ٠٠ سواء منهم أو من غيرهم دون تفرقة بين العسكريين والمدنيين ٠

كانت المناقشات الصريحة التى دارت فى مجلس الوزراء تعبر عن رغبة جمال عبد الناصر فى التعرف على نبض الجماهير ٠

وتبلورت محصلة الآراء وغيرها فى بيان عرضـه عليهم ووافقوا عليه ، ثم قال لهم بعد الموافقة : (مفيش حـد نفسـه فى حاجه نضيفها للبيان) ٠

هكذا دارت المناقشات وانتهت الى اقرار جماعى للبيان ٠

وقد حاول الدكتور حلمى مراد فيما بعد ان يصور الامـور وكان عبد الناصر قد أخذ منه موقفا لانتقاداته ٠

ولم يكن هذا صحيحا على اطلاقه ٠٠ كما ان صـدور قرار منع اشتغال الوزراء فى تعاقدات خارجية الا بعد ترك الوزارة بخمس سنوات لم يكن موجها ضـد الدكتور حلمى مـراد ٠٠ وانما كان موجها ضـد تصرفات اثنين من الضباط السابقين ٠

الأول : أمين شاكر وزير السياحه السابق ، الذى سجل عليه أحد كبار الصحفيين اللبنانيين فى دار صحفيه تمولها مصر ، حديثا مليئـا بالتهجم والسباب فى جمال عبد الناصر ٠ فى الوقت الذى كان قد بدأ فيه تعاونا وثيقا مع بعض الاثرياء فى دول الخليج ٠

ولم يجد جمال عبد الناصر سبيلا للرد على هذا الضابط الذى كان مديرا لمكتبه سنوات طويلة الا تحديد اقامته فى منزله ٠

والثانى : محمود يونس الذى دعته هيئـات ومؤسسات أمريكية

لزيارة بعض مدنها ، وساعدته فى فتح مكتب يعمل فى شئون البترول والنقل والتجارة فى بيروت ، وذلك فور خروجه من الوزارة فى ٢٠ مارس ١٩٦٨ ٠

وكان القرار بمنع اشتغال الوزراء مستهدفا عدم التأثير عليهم مثل وزراء العهود السابقة للثورة الذين كانت ترتبط مصالحهم بالشركات المحلية أو الأجنبية ٠

وقبل أن يمضى أربعون يوما على مظاهرات الطلبة كان جمال عبد الناصر يخاطب الشعب من الاذاعة والتليفزيون يوم ٣٠ مارس ١٩٦٨ الموافق لرأس السنة الهجرية فى بيان اشتهر بهذا التاريخ ٠

كان البيان محاولة من جمال عبد الناصر لتوضيح الموقف للشعب عامة وللطلبة والعمال خاصة ، وأبرز للناس ماتحقق من اعادة بناء القوات المسلحة ، والنجاح فى تحقيق الصمود الاقتصادى ، وتصفية مراكز القوى ومحاكمتها وما صحب ذلك من كشف للانحرافات ٠ وخلق علاقات صداقة مع كثير من الدول وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ٠

وتحدث جمال عبد الناصر عن اعادة تشكيله للوزارة معتبرا (انه جاء الى مواقع الحكم بصفوة من شباب هذا الوطن ، لايدين أحد منهم بمنصبة لأى اعتبار) ٠٠ كما وعد باجراء تغيير فى كافة المجالات ٠٠ الانتاج والسلك الدبلوماسى والادارة المحلية قائلا :

(ان التغيير المطلوب لابد وأن يكون تغييرا فى الظروف وفى المناخ والا فان أى أشخاص جدد فى نفس الظروف وفى نفس المناخ سوف يسيرون فى نفس الطريق الذى سبق اليه غيرهم) ٠

وبعد أن ركز جمال عبد الناصر على أهمية المعركة باعتبارها ، اختيارا للنصر والشرف والحياة) ٠٠ قال ان الاتحاد الاشتراكى هو الصيغة الملائمة لتجنب (دموية الصراع الطبقى) وأعلن عن ضرورة اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب من القاعدة الى القمة ، على أن يظل المؤتمر القومى قائما الى ما بعد ازالة آثار العدوان ، وأن تظل اللجنة المركزية المنتخبة فى حالة انعقاد دائم وأن يوكل اليها الى جانب مسئولياتها المتعددة واجب بناء التنظيم السياسى لطلائع الاتحاد الاشتراكى ٠

كما اشار البيان الى ضرورة انشاء المجالس المتخصصة ، وعدد بعض المبادىء التى لا خلاف عليها ليتضمنها الدستور الجديد ٠

أعلن جمال عبد الناصر ان البيان سوف يكون موضع استفتاء

الجماهير يوم ٢ مايو ١٩٦٨ ، وانه منذ ذلك التاريخ سوف تشكل لجنة مؤقتة تشرف على انتخابات الاتحاد الاشتراكى من خمسين عضوا ثم تضم بعد ذلك الى المؤتمر القومى ·

كان هذا البيان محصلة لتفكير جمال عبد الناصر فى هذه المرحلة ·· وهو فى مضمونه كان وثيقة هامة تضاف الى الميثاق بعد ست سنوات من صدوره ·

وافق الشعب على بيان ٣٠ مارس فى الاستفتاء العام الذى أجرى يوم ٢ مايو ، وانتهت أعمال أمانة الاتحاد الاشتراكى ، كما انتهت أعمال أمانة منظمة الشباب · واعيد أحمد كامل محافظا قبل أن تكتمل خطته التى شجعه جمال عبد الناصر على تنفيذها ، والتى حاول بها تجميع الشباب ، وبعث الامل فى نفسه ·

وحدث أن قرر جمال عبد الناصر الذهاب الى جامعة القاهرة لالقاء خطبة فى قاعة الاحتفالات ، ولم يكن فى البرنامج دعوة ممثل عن الطلبه لالقاء كلمة ·

وهدد أعضاء اتحاد جامعة القاهرة بالاستقالة اذا لم يتحدث ممثلهم فى حضور جمال عبد الناصر ، وأبلغنى ابنى علاء بذلك محتجا على اهمال ممثل الطلبة وكان قد أصبح عضوا فى الاتحاد عن كلية الآداب ، فاتصلت بشعراوى جمعة موضحا له ان مظهر الاستقالة سوف يكون مسيئا ، وانه لابد من اتاحة الفرصة لممثل الطلبة بدعوته للحضور والحديث ·· وبعد ساعة تقريبا اتصل بى وأبلغنى بأن جمال عبد الناصر قد وافق على ذلك ، فابلغت ابنى علاء الذى أبلغ أعضاء الاتحاد الذين قرروا ان يكون الدكتور عبد الحميد حسن رئيس اتحاد جامعة القاهرة هو المفوض فى الحديث باسم الطلبة ·

طالب عبد الحميد حسن فى خطبته برفع الوصاية عن الاتحادات الطلابية بتشكيل اتحاد عام لطلبة الجمهورية ·

تم تشكيل أول اتحاد عام لطلبة الجمهورية فى أغسطس ١٩٦٨ ، وانتخب الدكتور عبد الحميد حسن ممثل جامعة القاهرة رئيسا له بفارق صوت واحد عن الدكتور حلمى نهنوش رئيس اتحاد جامعة عين شمس ·

وقد صدرت لائحة عن المؤتمر تنص على الغاء رواد الاتحاد من الاساتذة واعتبر ذلك من أكبر المكاسب التى حصل عليها الطلبة ·

ولكن هذا المكسب لم يستمر طويلا ، فقد أصدر جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا من مادة واحدة فى نوفمبر ١٩٦٨ ينص على تعيين رواد

من هيئة التدريس فى لجان الاتحاد ومجالسه بالنسبة للكليات والمعاهد· وأن يعين رائد للاتحاد العام من أمانة التنظيم ·

كما أن عبد الحميد حسن كان قد استقال من رئاسة الاتحاد العام، تفاديا لطلب بسحب الثقة منه ، نظرا لسفره فى مهمات الى الخارج عن طريق مكتب سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات دون الحصول على موافقة أعضاء الاتحاد العام ·· وتولى رئاسة الاتحاد من بعده حسن عيـــد ·

بدأ عام دراسى جديد ومشاعر الطلبة لم تهدأ تماما ، رغم بيـــان ٣٠ مارس ، وما حصلوا عليه من مكاسب ·

وتفجر الموقف فى المنصورة ، اثر قرار لمحمد حلمى مـــراد وزير التربية والتعليم خاص بسياسة القبول فى المدارس الخاصة ·

قامت المظاهرات فى المدارس الثانوية لمدة يومين ، ثم تصدى لها رجال الشرطة وأطلقوا الرصاص ، فقتل ثلاثة وأصيب آخرون وتعاطف الاهالى مع الطلبة فى هجومهم على مديرية الأمن ·

اشترك طلبة طب المنصورة فى اليوم الثالث للمظاهرات ، واعتقلت الشرطة عددا منهم ·· وعندما انتقل الخبر للقاهرة خرجت مظاهره من جامعة القاهرة تصدى لها البوليس عند كوبرى الجامعة وتم تفريقها ·· أما الاسكندرية فقد أصدرت اتحادات الطلاب تحت ضغط جماهير الطلبة بيانات تطلب التحقيق مع المسئولين عن اطلاق الرصاص ومحاكمة وزير الداخلية ، والتساؤل عن السبب فى عدم تطبيق بيان ٣٠ مارس ·

اعتصم طلبة هندسة الاسكندرية ومعهم بعض الطلبة الآخرين بعد قيامهم بمظاهرة حاصرها البوليس الذى اعتدى على عاطف الشـــاطر رئيس اتحاد الطلبة الذى يحمل علم الاتحاد ·

هرع أحمد كامل محافظ الاسكندرية وأمين الشباب الســـابق الى الجامعة لمواجهة الموقف بنفسه ، ولكن المشاعر الثائرة دفعت الطلبة الى اعتقاله الى حين الافراج عن عاطف الشاطر ·

توتر الموقف فى المدينة توترا شديدا ، وتجمعت قوات الصـــاعقة للقوات المسلحة فى استاد الاسكندرية ، وحلقت طائرات هليوكبتر فوق مبانى الكلية · وكاد يحدث صدام دموى لولا استجابة السلطات لرغبة الطلبة ، وتم الافراج عن أحمد كامل ·

دعا جمال عبد الناصر الى دورة طارئة للمؤتمر القومى لمناقشـــة

أحداث الطلبة حيث تلا تقريرا من وزير العدل ووزير الداخلية ضد المظاهرات ٠

وفى نهاية الدورة الطارئة أصدر جمال عبد الناصر القرار الجمهورى الذى اشرت اليه والذى يقضى بعودة نظام (رواد الاتحاد) ٠

لم تنته المظاهرات الى تصفية سلمية بين السلطة والطلبة ٠٠ وبرز دور أصحاب الاتجاهات اليسارية فى تحريك جموع الطلبة والحصول على ثقتهم ٠

وكانت هذه هى المرة الأولى التى يظهر فيها يسار جديد خارج عن حدود تنظيمات ثورة يوليو لمحاولة لعب دور سياسى قيادى ٠٠ وفى مقابل ذلك نشطت (طليعة الاشتراكيين) فى محاولة فرض قيادة من بين صفوفهم ٠

وبدأ تنافس واضح فى مؤتمر اتحاد طلبة الجمهورية الذى عقد فى ابريل ١٩٦٩ لمناقشة قضايا الطلبة وانتخاب مجلس جديد ٠٠ ولكن المؤتمر انجرف تماما نحو الانتخابات ولم يناقش أية قضية أخرى ٠

ودارت المنافسة على رئاسة الاتحاد بين جمال عفيفى رئيس اتحاد جامعة القاهرة والمرتبط بتنظيم طليعة الاشتراكيين وبين علاء حمروش نائب رئيس اتحاد جامعة القاهرة والذى لم يكن عضوا فى طليعة الاشتراكيين ٠

تكتلت كل القوى غير المنتمية لطليعة الاشتراكيين رفضا منها لمحاولة هذا التنظيم فرض أعضائه ٠٠ ورغم اختلاف الانتماءات والاتجاهات السياسية فأنهم اتفقوا على انتخاب علاء حمروش المعروف بميوله اليسارية ٠

وتصادف بعد ذلك أن توقفت المظاهرات خلال عامى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ حيث بدأ اتحاد طلبة الجمهورية يلعب دورا سياسيا ، ويبادر الى اتخاذ مواقف تعبر عن ارادة الطلبة وترضى مشاعرهم الثورية ٠

وخرج اتحاد طلبة الجمهورية عن الاطار المحلى لأول مرة ، فقرر الانضمام الى اتحاد الطلبة العالمى ، واستجابت السلطة الى ذلك حرصا على تفادى الصدام ، كما ظهر نوع من التعاون الأوثق مع المقاومة الفلسطينية نتيجة بروز دورهم المتزايد فى ساحة النضال العربى ٠

وقد فطنت القيادات السياسية فى طليعة الاشتراكيين الى أنه من الافضل أن يحدث تجاوب مع الطلبة فى تنظيماتهم الخاصة دون محاولة

فرض بعض الافراد عليهم ، أو اجبارهم على الخضـوع الكامل لارادة السـلطة ·

وقد حدث نوع من التناسق السليم بين شعراوى جمعة أمين طليعة الاشتراكيين ، وبين علاء حمروش رئيس اتحاد طلبة الجمهورية ، أمكن فيه عن طريق النقاش والمصارحة تفادى كثير من الازمات ·

ولاشك ان ظهـور الجدية فى مجابهـة الامبريالية والصهيونية التوسعية ، والقتال المستمر فى جبهة القتال كان عاملا مؤثرا فى تهدئة الطلبة وابتعادهم عن المظاهرات الى حين ·

الاتحاد الاشتراكى ·· والانتخابات

الاجراء العملى الوحيد الذى بادرت القيادة الى تنفيذه من بيـان ٣٠ مارس هو اجراء الانتخابات فى الاتحاد الاشتراكى ليكتمل تنظيمه الهرمى وتمارس لجنته المركزية ـ التى نص البيان على ان تكون فى حالة انعقاد دائم ـ تمارس صلاحياتها ومسئوليتها السياسية ·

جرى الاستفتاء على بيـان ٣٠ مارس فى شـهر مايو ، وجـرت انتخابات الاتحاد الاشتراكى خلال شهرى يونيو ويوليو ١٩٦٨ ·

كان التكالب واضحا على الترشيح ، ولم تتدخل أى جهة مسئولة لوقف هذا الاندفاع الذى وصل فى بعض الشركات الى حد تقديم ٢٣٠ شخصا لانفسهم كمرشحين للجنة العشرين أمـام ١٧٠٠ ناخب فقط ·· ولم تظهر فكرة الاعتراض على أى من المرشحين كما كان قد حـدث من اعتراض على عضوية الاتحاد الاشتراكى عند بدء تأسيسه عـام ١٩٦٢ ثم سحب هذه الاعتراضات ·

وتشير هذه الظاهرة الى ان العمل السياسى خلال السنوات السابقة لم يحدث تأثيرا ونضجا سياسيا يفرز العناصر القادرة على تحمل عبء مسئولية العمل السياسى ، واما انه كان مرفوضا لان الهزيمة حدثت خلال هذه السنوات ·

تمت الانتخـابات فى مرحلة فقـد فيهـا الناس كثيرا من ثقتهم ، وأصبحوا يقدمون الشك على اليقين ، ويرفضـون أن يسلموا بشىء دون اقتنـاع ··· ويتشبثون بالديموقراطية التى أصبحت هـدفا يتطلع اليه الناس فيما يشبه التحدى ·

ولـكن الانتخابات وحـدها لـم تكن كفيلة بتحقيق الديموقراطية

الصحيحة فى هذا الجهاز الجماهيرى الضخم الذى يضم عدة ملايين ، والذى تسيطر عليه فى القمة شخصيات معروفة لم تتغير ٠

وكتبت فى روز اليوسف عدد ٢٤ يونيو مقالا تحت عنوان (ليس بالانتخابات وحدها) جاء فيه :

(اننا يجب ان نضع الانتخابات فى موضعها الصحيح ٠٠ لانقلل من اهميتها كوسيلة لاكتساب ثقة الجماهير ومحاولة الوصول الى صورة صحيحة لارادتها ٠٠ ولا نجسم منها باعتبارها فى ذاتها سوف تخلق الثقة وتحقق الديموقراطية ٠

فانه ليس بالانتخابات وحدها ٠٠ تتحقق الثقة ، وتزدهر الديموقراطية) ٠

أذكر ان طليعة الاشتراكيين قد تدارست موضوع الانتخابات والترشيحات ٠٠ وأن هذا الموضوع قد أثير فى لجنة الاعلام التى كان يراسها محمد فائق وزير الاعلام وكانت تضم أحمد بهاء الدين وفتحى غانم ومصطفى بهجت بدوى ومحمد عروق وهمت مصطفى ومحمود العالم وكاتب هذ السطور ٠

ونظرا لزيادة الراغبين فى الترشيح فقد اقترحنا أن يدخل الراغبون فى ذلك دون قيود وان تترك لهم فرصة الاتصال المباشر مع الناخبين ٠ وخاصة فى الدوائر التى تضم عددا كبيرا من الشخصيات المنضمة لطليعة الاشتراكيين مثل دوائر قصر النيل وعابدين ومصر الجديدة وغيرها حيث كان مطلوبا فى النهاية نجاح ٤ فقط فى دائرة القسم للمؤتمر القومى ٠

تم الاتفاق على ذلك ولم تصدر تنظيمات طليعة الاشتراكيين فى هذه الدوائر قوائم ترشيحات بالمرشحين الذين سوف يساندهم أعضاؤها ٠٠٠ وأذكر اننا دخلنا الانتخابات بناء على ذلك متوجهين الى الناخبين فى مؤسساتهم الجماهيرية ومواقع عملهم ٠

ولكن تدبيرات سرية كانت قد اتخذت لانجاح أسماء واسقاط أخرى ٠

واذا أخذنا دائرة قصر النيل مثالا لوجدنا ان الاتحاد الاشتراكى فى القسم كان متحيزا مسبقا ضد بعض المرشحين وانا واحد منهم ٠

وكان الأمر المثير انى كنت مازلت عضوا فى أمانة طليعة الاشتراكيين وعضوا فى لجنة الاعلام ايضا ٠٠ وصلتى كانت وثيقة بشعراوى جمعة ، ومحمد فائق ٠

وفى احد الاجتماعات بمكتب قسم قصر النيل فوجئت بمحاولة بعض الاعضاء بالتدخل لمنعي من الخطابة ، ولكنى اخـذت منهم موقفا جـادا وهاجمت هؤلاء الذين يحاولون ان يقتلوا تجربة ديموقراطية داخل التنظيم الواحـد وهى مازالت بعد فى مهدها ، فتراجعوا الى مقاعدهم وســاد الصمت والهدوء ٠

وكان ضمن قائمة المرشحين بعض المنتمين لطليعة الاشتراكيين مثل محمد فائق والدكتور حسين كامل بهـاء الدين سكرتير منظمة الشـباب السابق وضابط الشرطة السابق صلاح عبد المعطى الذى كان يعمل موظفا اداريا معنا فى الامانة وكان أمينا للاتحاد الاشتراكى بالقسم والدكتور عـزت سـلامة وكاتب هـذه السـطور ٠٠ ثم الدكتور ثروت عكاشـة ويوسف السباعى والدكتور زكى هاشم وآخرين ٠

وعندما تبينت موقف العداء غير المبرر منى اتصلت بشعراوى جمعة ومحمد فائق وأكد لى الاثنان ان المعركة حرة ومفتوحة ٠

وخضت المعركة الى نهايتها فى حماس شـديد ٠٠ ثم تبين لى أن أربعة أسماء قد وزعت على الجميع لتصعد الى المؤتمر وأن عشرين اسما أخرى قد حددت أعضاء لجنة قسم قصر النيل ٠

وظهرت النتيجة مطابقة تماما لهـذه الاختيارات السرية ، ونجح ابراهيم سعد الدين عضو الامانة العـامة لمعهد الدراسـات الاشتراكية والذى رشح نفسه فى دائرة على صبرى وعبد العزيز حجازى بالشرقية وفوجىء أيضا بتدبيرهم لعملية اسقاطه ٠٠ كان هذا اتجاها واضحا ضد اليسار والذى يمكن ان يحمل كلمة المعارضة ٠

وتبينت فيما بعد ان هذه الانتخابات قد تمت فى وقت كانت صلتى فيه بامانة طليعة الاشتراكيين قد انقطعت دون اخطار ٠٠ فقد حدث قبل أن تنفجر مظاهرات الطلبة وأثناء اجتماع للامانة فى مكتب شعراوى جمعة بمقر الوزارة المركزية سابقا فى هليوبوليس أن نبهت الحاضرين وشاركنى فى ذلك احمد كامل الذى كان أمينا للشباب وقتها وكان عائدا لتوه من رحلة الى الوجه القبلى ٠٠ نبهت الى خطـورة الموقف ليأس الناس من احتمالات تغيير حقيقى فى المجتمع يـؤدى الى تحرير الأرض المحتلة ، وقصد كل الدم الفاسد فى مواقع المسئولية وليس فى القوات المسـلحة وحدها كما كشفت الهزيمة ٠

وكان اجتماعا ساخنا ٠٠ اعلنت فيه مسئوليتنا التاريخية فى هذا المستوى التنظيمى الذى يمثل القلب ٠٠ وطالبت بضرورة مصـــارحة جمال عبد الناصر بالموقف باعتباره قائدا للتنظيم ٠

ولم يجد شعراوى جمعة من سبيل أمام هذا التيار الذى اشترك فيه عدد من أعضاء الامانة سوى اقتراح تشكيل لجنة من أحمد كامل وسامى شرف ومحمود أمين العالم وكاتب هذه السطور لصياغة تقرير سياسى لجمال عبد الناصر عن حقيقة الوضع واقتراح مايمكن ان نراه من علاج لتفادى مايمكن ان يحدث فى المستقبل .

واجتمعت هذه اللجنة الفرعية فى مساء اليوم التالى مباشرة بمكتب سامى شرف ، وبدأنا فى تدارس الموقف .. واذا بمنير حافظ أحد كبار الموظفين بمكتب سامى شرف يدخل علينا معلنا أن هناك تجمعات فى أماكن كثيرة تعلن احتجاجها على بساطة الاحكام الصادرة ضد قادة الطيران .

واعتبرت أن فى ذلك دعما لموقفنا . واثباتا لسلامة تصورنا ... ولكننى فوجئت بمحمود أمين العالم وكان وقتها مقربا جدا من قمة السلطة . ومتوليا مسئولية رئاسة مجلس ادارة أخبار اليوم .. فوجئت به يطلب انهاء الاجتماع حتى تتفرغ القيادة لمباشرة مسئولياتها .

وتلفت حولى باحثا عما يقصده ، فاذا به يشير الى سامى شرف الذى لم يكد يسمع هذه الكلمات التى اتت اليه كطوق الانقاذ حتى تشبث بها ، وأعلن تأجيل الاجتماع الى موعد يحدد فيما بعد .

ولكن طال الزمن بلا تحديد لموعد اجتماع جديد .

وقامت المظاهرات ووضحت اتجاهات الجماهير .

وكانت هذه هى صلتى الأخيرة بأمانة طليعة الاشتراكيين .. لم يبلغنى أحد اننى أقصيت عنها .. ولم أعرف انها تجتمع .. وعاودت محاولاتى السابقة مع شعراوى جمعة مطالبا باجتماع الامانة ولكنه كان دائما يعتذر بكثرة مشاغله .

وعرفت بعد وقت طويل انه منذ هذه الجلسة الساخنة ، ومنذ ذلك الاجتماع فى مكتب سامى شرف ، انه قد أقصى عن الامانة كل من أمين هويدى والدكتور عبد المعبود الجبيلى وكاتب هذه السطور .

وليست هذه الصورة الا نموذجا لفقدان الديموقراطية داخل التنظيم ، والاصرار على التعاون مع الذين لايعرفون النقد او المعارضة .. فى محاولة لتثبيت سلطة شخصيات معينة .

أذكر اننى أثرت هذه القضية مع على صبرى أثناء مقابلتى له خلال مظاهرات الطلبة ، واننى اقترحت عليه أن يتم الترشيح لانتخابات

الاتحاد الاشتراكى بتفاعل ديموقراطى داخل طليعة الاشتراكيين حتى يمكن أن تفرز الانتخابات عناصر صالحة تكتسب ثقة القاعدة ٠٠ وانه كان هادئا ومطمئنا وفيما يبدو واثقا من النتيجة ٠

والحقيقة ان انتخابات الاتحاد الاشتراكى قد جرت فى ظروف ملائمة تماما لعلى صبرى ٠٠ فكان خروج زكريا محيى الدين فى مارس ١٩٦٨ ابعادا لشخصية قوية يؤهلها تاريخها وأقدميتها وعضويتها السابقة لمجلس قيادة الثورة أن تكون البديل لجمال عبد الناصر فى أى ظرف مفاجىء ٠ وخاصة بعد ترشيح جمال عبد الناصر له ليكون بديله فى رئاسة الجمهورية أثناء خطاب التنحى ٠

ولم يكن زكريا محيى الدين قريبا من الاتحاد الاشتراكى ، فقد انتهت صلته به بعد الجهد الذى بذله فى تكوين منظمة الشباب فى عهدها الأول ، وبعد انتهاء اشرافه على محافظة الجيزة فى الفترة الأولى لتكوين الاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦٣ ٠

كان ابعاد زكريا فرصة لتثبيت أقدام على صبرى فى أرض المسئولية ٠٠ فقد كان هو الوحيد المرتبط بالاتحاد الاشتراكى وطليعة الاشتراكيين من بين نواب رئيس الجمهورية السابقين ٠

أنور السادات كان رئيسا لمجلس الأمة ٠٠ وحسين الشافعى اقتصر عمله فى وزارة ٢٠ مارس ١٩٦٨ على أن يكون نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاوقاف ٠٠ وعبد المحسن أبو النور الذى كان مسئولا فى الاتحاد الاشتراكى أصبح وزيرا للادارة المحلية ٠

وهكذا كانت الفرصة متاحة لعلى صبرى ٠٠ بعد انتحار المشير عامر ، وابعاد زكريا محيى الدين وقد صدرت وزارة ٢٠ مارس وهو ليس عضوا بها بعد ان كان فى وزارة ١٩ يونيو ١٩٦٧ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للادارة المحلية ٠

وكان هذا يعنى تخصصه فى الاتحاد الاشتراكى ومسئوليته عنه ٠

وكتبت فى روزاليوسف تعليقا على انتخابات أعضاء المؤتمر العام قبل انعقاده بيوم واحد فى ٢٢ يوليو ١٩٦٨ قائلا :

(علينا أن نفرق بين الالزام والالتزام ٠

الالزام يعنى التبعية المطلقة دون حوار أو مناقشات ٠٠ وهو مايؤدى الى الغاء الشخصية الذاتية ٠٠ أما الالتزام فهو الحرص على الارتباط بتنظيم ديموقراطى يحقق هدف أعضائه ، ويتيح لهم فرصة

التعبير والمناقشة وتوضيح الرأى الخاص مع الالتزام برأى الأغلبية ٠٠ وهو مايؤكد شخصية العضو وارتباطه بالآخرين) ٠

ولكن الأمر كان قد انقضى ٠٠ وتشكل المؤتمر القومى بأسلوب الاختيار تقريبا ٠٠

ويبدو ان جمال عبد الناصر قد استشعر مدى المعارضة والرفض لأسلوب الانتخابات فآثر أن يؤجل انتخاب اللجنة المركزية حتى يتعارف أعضاء المؤتمر القومى ـ على حد تعبيره ـ وأجريت الانتخابات ٠

ويمكن القول بأن على صبرى كان له الرأى الأول فى اختيار معظم أعضاء المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ولجنته المركزية ، بل وفى لجنته التنفيذية العليا أيضا التى تم انتخابها يوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٨ ٠ فقد حصل على أعلى الأصوات ، وكان ترتيب اللجنة من حيث عدد الأصوات كما يلى من بين ٢٠ مرشحا منهم ٧ ضباط :

على صبرى (١٣٤ صوتا) ـ حسين الشافعى (١٣٠) ـ محمود فوزى (١٢٩) ـ أنور السادات (١١٩) ـ رمزى استينو (١١٢) ـ ضياء الدين داود (١٠٤) ـ عبد المحسن أبو النور (١٠٤) ـ لبيب شقير (٨٠) ٠

أما بقية المرشحين فلم يدخلوا اللجنة اذ حصلوا على أقل من ٥٠٪ من الأصوات ٠٠ كمال الحناوى (٦٤) على السيد على (٦٢) كمال رفعت (٥٠) ـ حسن عباس زكى (٣٧) جابر جاد عبد الرحمن (٣٤) سيد مرعى (٣٣) ـ عزيز صدقى (٣٣) أحمد فهيم (٣٠) خالد محى الدين (٢٠)أحمد سيد درويش (١٤) مصطفى أبو زيد فهمى (١٢) ـ فهمى منصور (١٠) ٠

وكانت فرصة على صبرى فى الحصول على أعلى الاصوات نابعة من صلته ومعرفته الشخصية بمعظم أعضاء اللجنة المركزية فقد عين سكرتيرا عاما للاتحاد الاشتراكى بعد استبداله كرئيس للوزراء بزكريا محيى الدين عام ١٩٦٥ ٠

أجل جمال عبد الناصر انتخاب الاثنين اللذين يكملان عدد أعضاء اللجنة التنفيذية الى عشرة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكى لفترة قادمة ٠

واستقال من الوزارة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكى أيضا أربعة وزراء نجحوا فى انتخابات اللجنة التنفيذية العليا وهم : حسين الشافعى وضياء الدين داود وعبد المحسن أبو النور ولبيب شقير ٠

ويلاحظ ان نسبة الضباط فى اللجنة التنفيذية العليا ، وهى قمة السلطة فى الجمهورية العربية المتحدة مازالت عالية (٤ ضباط غير عبد الناصر وأربعة مدنيين) .. بينما لم يتجاوز عدد الضباط فى اللجنة المركزية (١٢ ضابطا من ١٥٠ عضوا) .

كما انه لم ينجح أحد من العمال والفلاحين ، ولم يتقدم للترشيح سوى عاملين واحد الزراعيين ، بينما بلغ عدد المرشحين من الوزراء والوزراء السابقين ١٢ مرشحا .

والنظرة الى اسماء الناجحين والراسبين تؤكد ان هناك قوة منظمة كانت تتحرك بايحاء معين مؤثر فى توجيه الانتخابات .. وكل الذين فازوا كان قد أوحى لهم بترشيح أنفسهم ، استمرارا وتاكيدا لأسلوب الاختيار من اعلى بعيدا عن التفاعل الديموقراطى السليم .

قال لى عدد من الذين سقطوا ان أحدا لم يهمس لهم بالترشيح .. والقاعدة كانت أن ينتظر الأعضاء تعليماتهم من المستويات الأعلى دون أية مبادرة منهم .

وكان شعراوى جمعة أمين التنظيم هو الذى رأس اللجنة التى تتلقى طلبات الترشيح ، واستمر بعد ذلك منضما الى رؤساء اللجان الخمس الدائمة التى انبثقت عن اللجنة التنفيذية العليا ليشكلوا اللجنة الدائمة للاتحاد الاشتراكى ، والتى تعتبر بمثابة اللجنة الهامة التى تملك مفتاح الاتحاد الاشتراكى .

كان توزيع اعضاء اللجنة التنفيذية العليا قد تم على النحو الآتى :

انور السادات رئيسا للجنة السياسية ـ على صبرى رئيسا للجنة التنظيمية ـ عبد المحسن ابو النور رئيسا للجنة الشئون الداخلية ـ لبيب شقير رئيسا للجنة التطور الاقتصادى ـ ضياء الدين داود رئيسا للجنة الثقافة والاعلام .

وكان جمع شعراوى جمعة بين عمله المسئول فى التنظيم واستمراره وزيرا للداخلية هو الاستثناء الوحيد الذى يشير الى اهمية الدور الصاعد الذى كان يدفعه اليه جمال عبد الناصر .. هذا الى جانب كونه امينا لطليعة الاشتراكيين أيضا .

كانت كل الظروف تهيىء شعراوى جمعة ليصبح رجل السلطة ورجل التنظيم القوى بعد جمال عبد الناصر وعلى صبرى .

ولكنه كان وحده من امانة طليعة الاشتراكيين الذى أوكل اليه هذا

الدور ، فلم يصل أحد من أمانة الطليعة الى اللجنة التنفيذية العليا ٠٠٠ وشعراوى نفسه لم يكن عضوا رسميا بها ، واذا حضر اجتماعاتها فليس له حق التصويت ٠

الظاهرة الملحوظة ان عدد الضباط قد انحسر فى نسبتهم باللجنة المركزية ٠ وان بعض العناصر المدنية قد بدأت تلعب دورا أساسيا مسئولا يزيد فى واقعه ومضمونه عن الدور الذى يلعبه بعض العسكريين أصحاب التاريخ والارتباط بسلطة الثورة ٠

قال لى شعراوى جمعة ردا على استفسار عن الأسلوب الذى اتبع فى أنتخابات اللجنـــة المركزية واللجنـــة التنفيذية العليا بأن طليعـة الاشتراكيين كانت تستقر على ترشيح أعضاء معينين وتطلب من أعضائها مساندتهم وتاييدهم ، دون تدخل أو تزييف فى الانتخابات ٠

وعن انتخابات اللجنة التنفيذية العليا قال ان جمال عبد الناصر كان قد ارتضى ترشيح ستة أعضاء هـــم أنور السادات وعلى صبرى وحسين الشافعى وضياء داود ورمزى استينو والدكتور محمود فوزى وقام شعراوى بابلاغ اعضاء طليعة الاشتراكيين بمساندة هؤلاء مضيفا اليهم اسمى لبيب شقير وعبد المحسن أبو النور ٠

لم يعترض جمال عبد الناصر على ترشيح أحد للجنة التنفيذية العليا سوى خالد محيى الدين الذى كان قد ارتضى دخوله اللجنة المركزية رغـم اتجاهاته اليسارية ٠ ولم يخنق فى انتخابات الاقسام والمراكز كما حدث مـ الدكتور ابراهيم سعد الدين ومع كاتب هذه السطور ٠

كانت الرغبة مازالت قائمة فى منع اليســاريين من الوصول الى مراكز المسئولية القيادية ٠

ويقول شعراوى ان الانتخابات بعد ذلك قد تمت دون توجيـه أو تدخل فى اختيار بقية الأعضاء ٠

ويقول ايضا ان جمال عبد الناصر كان ينوى تغيير اقدمية أعضاء اللجنة التنفيذية تبعا للاصوات التى يحصلون عليها ٠٠ ولكنه بعد ظهور النتيجة تراجع عن ذلك (حتى لايزعل أنور السادات) على حد تعبيره ٠

خلافات على المسرح

كان هناك حرص على ان تدور الخلافات بين أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الكواليس ولاتظهر مطلقا امام الجماهير ٠

كانت أزمة مارس ١٩٥٤ استثناء فجرته استقالة محمد نجيب ·· ثم مضت الأمور بعد ذلك فى مظهر يوحى بالوحدة والاتفاق وتقدير زعامة جمال عبد الناصر ·

لم يعرف الناس أن هناك خلافا بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ·· ولم يطلع أحد على دوافع استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى ثم حسن ابراهيم ·

كل الخلافات دارت فى الكواليس · ولم تظهر أبدا على خشبة مسرح الحياة السياسية ·

ولكن الهزيمة غيرت هذا الأسلوب ·

محاكمة ضباط مجموعة المشير أسقطت القناع عن الوجه القبيح للثورة ·· وأظهرت كثيرا من الاخطاء والانحرافات ·· وكشفت ان عددا من المسئولين عن حماية الاستقلال الوطنى فى القوات المسلحة كانت قلوبهم تميل الى الولايات المتحدة رغم دورها البارز فى التحضير للعدوان والمساهمة فيه بمساعدة اسرائيل ·

ولم تتورع الصحف عن نشر أنباء المحاكمات · والتشهير بما دار فيها من وجهات نظر مختلفة ·

ومع ذلك عندما تمادى أحد الكتاب ـ موسى صبرى ـ فى التعليق على محاكمة عباس رضوان · وقال ان حقيبة النقود الضائعة تظهر (ان ماخفى كان أعظم) ·· نقل من جريدة الاخبار الى جريدة الجمهورية كاتبا بعد ان كان رئيسا للتحرير ·

ويبدو أن الهزيمة قد غيرت من أسلوب المواجهة فلم تعد كلمات التجريح الصريح تحمل لصاحبها الا تغيير موقعه مع الاحتفاظ بقلمه وحقه فى الكتابة ·· بعد أن كان البعض يبعد تماما عن مجال الصحافة ويقصف قلمه لغير سبب رغم انه صديق للثورة فى اتجاهها الرئيسى وهدفها الاجتماعى ·· كما حدث فى جريدة الجمهورية عام ١٩٦٤ أيام تولى رئاسة مجلس ادارتها حلمى سلام ونقل منها الى مؤسسات غير صحفية عدد من كبار الكتاب والصحفيين مثل عبد الرحمن الشرقاوى وعبد الرحمن الخميسى ، ونعمان عاشور وسعد الدين وهبه ومحسن محمد وغيرهم ·

وكما حدث عام ١٩٦٦ ايضا للدكتور رشوان فهمى الاستاذ بكلية طب الاسكندرية ونقيب الاطباء عندما خطب فى حفل اقامته النقابة ، وقال فيه ان الذين يقارنون بين قصر العينى وقناة السويس عليهم أن يوفروا

لقصر العينى من الأموال ماهو متوافر لقناة السويس ، وكان يلمح دون تصريح لكلمات قالها جمال عبد الناصر فى معرض نقده لتخلف الحال فى القصر العينى وما يرزح تحته من اهمال وقذارة ٠

ورغم ان الدكتور رشوان فهمى كان أحد أساتذة جامعة الاسكندرية الذين بادروا بالاتصال بنا فى منطقة الاسكندرية فور وقوع الحركة العسكرية وبادر بارسال برقية تأييد ، وبقى يحتفظ بعلاقات ودية مع قادة الثورة لسنوات طويلة ٠

رغم ذلك ٠٠ ورغم علاقات صداقة خاصة كانت تربطه بعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وشمس بدران فانه قد صدر قرار جمهورى بوضعه تحت الحراسة ، وابعاده عن منصبه فى كلية طب الاسكندرية ٠

وتبين بعد الحراسة انه لايملك مليما فى البنوك ، وانه يعيش فى شقة متواضعة الاثاث ، وانه معروف عند الناس جميعا انه رجل شريف وصريح معا ٠

لم يكن هناك مبرر لصدور هذا القرار العصبى ٠

وقد قصدت الى المقارنة بين أسلوبين ٠٠ أسلوب لم يكن يتحمل كلمة نقد قبل الهزيمة ٠٠ واسلوب يرتضى الصبر على كلمات التجريح بعدها ٠

ليس هذا فقط ٠

قال لى فتحى غانم ان على صبرى قد اتصل به ، وكان حريصا على توفير كل وسائل الراحة النفسية لموسى صبرى فى جريدة الجمهورية ٠٠ كما اكد لى موسى صبرى حسن معاملته خلال هذه الفترة ٠

وكان الاتحاد الاشتراكى بتشكيله الجديد قد بدأ يلعب دورا بارزا فى توجيه الأمور ، وساعد على ذلك سيطرته الفعلية على الصحف عدا جريدة الاهرام ٠

كان محمد حسنين هيكل قد تولى مسئولية ادارة مؤسستى الاهرام واخبار اليوم رغم تنافسهما التقليدى ، ومهل هيكل الطبيعى الى مؤسسته التى باشر تطويرها ٠

وحرص هيكل على ان يبدو فى مظهر الحياد أثناء ادارة المؤسستين، بل انه حرص على منح موسى صبرى علاوة شهرية كبيرة باعتباره أحد رؤساء تحرير الاخبار ، وذلك ضمن علاوات أعطاها لعدد من محررى أخبار اليوم ٠

واذكر خلال هذه الفترة ـ وكنت مازلت عضـوا فى أمانة طليعـة الاشتراكيين ـ اننى دعيت الى مكتب سـامى شرف حيث وجدت هنـاك الزميـل حسن فؤاد وكان مرتبطا فى التنظيم الطليعى بمنير حافظ أحـد مديرى مكتب سامى شرف ٠

عرض سامى علينا قرارا أصدره محمد حسنين هيكل بابعاد عدد من الزملاء عن مؤسسة أخبار اليوم وفى مقدمتهم سعد كامل وصلاح حافظ وآخرين جملتهم حوالى ٢٠ كاتبا وصحفيا ٠

ولما طلب سامى الرأى رفضنا مجرد فكرة قبول ابعاد الصحفيين عن العمل الصحفى ٠٠ واستجاب سامى لذلك واتصل بجمال عبد الناصر الذى أوقف قرار محمد حسنين هيكل الذى كان قد سافر فى نفس اليوم فى رحلة الى الهند والشرق الأقصى ٠

وكانت أجهزة الاتحـاد الاشـتراكى قد تحركت لرفع يد هيكل عن أخبار اليوم ، ونجحت فعلا فى ذلك ، حيث صدر قرار تعيين محمود أمين العالم رئيسا لمجلس ادارتها ٠

عادت الى على صبرى مسئولية الاشراف على الصحف وتوجيهها خلال قيادات عينها وارتضاها ٠٠ محمود العـالم مسئولا عن صـحف أخبار اليوم فى الوقت الذى اسـتمرت فيه عضـويته فى أمانة طليعـة الاشتراكيين ٠٠٠ وفتحى غانم فى مؤسسة الجمهورية أو دار التحرير ٠٠ وامتـد ذلك الى روز اليوسف عندما عين كامل زهيرى رئيسـا لمجلس ادارتها بعد أحمد بهاء الدين فى الوقت الذى بقيت فيه رئيسا لتحريرها ، متعرضا لأساليب صغيرة من الادارة الجديدة ٠

وبدأت الخـلافات تظهر على خشبة المسرح فى هـذه الصراعات الفكرية التى ظهرت على صفحات الصحف ٠

وقع خلاف آخر بين الاهرام وهيئة المخابرات العامة عندما صدرت الاهرام يوم ١٣ أكتوبر ١٩٦٨ وفيها مقال افتتاحى فى الصفحة الأولى تحت عنـوان (واقعـة خطيرة) يتحدث عن اعتقال نيـابة أمن الدولة والمخابرات لمدير مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بالاهرام نتيجة بلاغ من اللواء جمال عسكر مدير الجهـاز المركزى للتعبئة والاحصـاء الذى اعتبر ان مدير مركز الاهـرام قد خالف القانون بتبليغه معلومات محظورة الى احدى الشركات اليابانية ٠

وقد أثارت الاهرام اعتراضات شتى على سـلطة الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ، وعلى أسلوب الاعتقال وزوار الفجر ، وعلى عـدم

وجـود حدود مرسـومة لجهـاز المخابرات • مطالبه بأن يكون الحبس الاحتياطى والاعتقال فى أضيق نطاق ومحاطا بكافة الضمانات •

وكانت هـذه المقالة تعتبر أول مقالة تهاجم علنا وصراحة جهـاز المخابرات •• وهـو أمر ماكان يمكن ان يحـدث بهذه الصـورة قبل الهزيمة •

ويجدر بالذكر ان مقال الاهرام قد أشار الى ان مدير المركز لـم يتعرض الى أى نوع من الضغط أو التعذيب •

وانبرى أمين هويدى الذى تولى هيئة المخابرات العامة الى جانب وزارة الحربية ثم وزارة الدولة بعد الهزيمة بالرد على الاهـرام موضـحا ان الاعتقال والتحقيق قد تما بأمر النيابة ومعرفتها ، وأن جهاز المخابرات لم يقم سوى بمهمة جمع الادلة وتقديمها لنيابة أمن الدولة •

وأوضح فى رده تمسكه ببيان ٣٠ مارس الذى أعلن تصفية مراكز القوى وحماية الثورة فى ظـل سـيادة القانون من أعدائها الخارجيين والداخليين •

الظاهرة البارزة فى هذا الصراع الحوارى انه يعطى دلالة على أن النقد حتى لأكثر الاجهزة خطرا لم يعد أمرا محظورا •• ويقدم برهانا أيضا على أن محمد حسنين هيكل كان يحارب فى أكثر من جبهة •

وبعد أيام من نشر هذا النقد العنيف ، ورد أمين هويدى الذى قام فعلا بتصفية هيئة المخابرات من كثير من الأساليب القذرة التى كانت تلجأ اليها والتى لاتعتبر شيئا قبيحا فى مخابرات العالم كله تقريبا •• بعـد أيام نشر محمد حسنين هيكل مقالين بتاريخ ١٨ ، ٢٥ اكتوبر ١٩٦٨ فى الاهرام يدعو فيها الى (المجتمع المفتوح) ومحمود أمين العالم يرد عليه بمقالات أخرى فى أخبار اليوم مناقشا فكرة المجتمع المفتوح فى الدول الاشتراكية •

عدد من السياسيين مثل ضياء الدين داود والدكتور محمد انيس وعبد الهادى ناصف يكتبون فى جريدة الجمهورية مقالات مضادة للآراء التى ينشرها هيكل فى الاهرام •

تراشق الآراء كان يعتبر أمرا جديدا فى حياة الثورة •• ومظهرا من مظاهر الانفتاح النسبى الذى فرضته الهزيمة •

كان محمد حسنين هيكل هو الكاتب الوحيد الذى أعطيت له فرصة الكتابة دون رقابة مطلقا ، وذلك لصلته الوثيقة بعبد الناصر ••• ولكنه

أصبح الآن معرضـا لكلمات ومقالات النقد ‥ بل ان لجـان الاتحـاد الاشتراكى لم تكن تتورع عن مناقشة مقالات هيكل أسبوعيا ‥ ومعارضة مافيها من اتجاهات اعتبرها البعض مؤثرة على صلابة الجبهة الداخلية، ومضعفة للروح المعنوية ٠ وباعثـة على ممالاة حكومة الولايات المتحدة تحت شعار (محاولة تحييد أمريكا) ٠

ولم يكن هذا الصراع العلنى أمرا يمكن ان يمضى بغير دلالة ‥ فمحمد حسنين هيكل قريب الى جمال عبد الناصر الى الحد الذى لم يكن خافيـا على أحـد ‥ ومقالاته فى مضمونها ان لم تكن معبرة عن رأى عبد الناصر شخصيا فهى بمثابة مجس يتعرف على حقيقة نبض المجتمع وردود الفعل فيه ٠

ولذا طفا الخلاف بين الاتحـاد الاشـتراكى ومسئوله القـوى على صبرى وبين محمد حسنين هيكل الى السطح ‥ وأصبحت المبارزة بينهما مشهدا تتابعه الجماهير المرتبطة بالسياسة وتعلق عليه ٠

ودفع هذا الموقف محمد حسنين هيكل الى الاستهانة بفكرة التنظيم السياسى مقتنعا بأن تأثير شخصية الزعيم خلال أجهزة الاعلام هو أشد تأثيرا وأعمق نفوذا ٠

لم يجد هيكل فى الاتحاد الاشتراكى تنظيما مقنعا له رغم اقتناعه به من الناحية الشكلية ٠

كان هيكل متاثـرا أو مؤثـرا فى جمـال عبد الناصر بمـا رواه لفؤاد مطر فى كتابه (بصراحة) حول دور الحزب والتنظيم السياسى عندما قال :

(ان وسائل المواصلات أثرت الى حد ما فى مفاهيم دور الحزب ‥ ان لينين عندما أنشأ الحزب كان يستهدف أمـرين : الأول أن ينقل الحزب عبر كوادره أفكار القيادة الى القواعد ، والثانى ضمان استمرار قوة الجماهير المنظمة وتوجيهها بحيث تكون حامية للسلطة بعد الاستيلاء عليها ‥ وعبد الناصر لم يكن يحتاج الى ذلك لانه باسـتمرار ـ على عكس لينين أمام الجماهير يخاطبها ويوجهها ، وعندما لا يكون أمامها ، يتوجه اليها ساعة يريد عبر الاذاعة والتليفزيون ‥ ولقد حرك الجماهير فى معظم ارجاء الوطن العربى بالمخاطبة الاذاعية ‥ واسقط حلف بغداد بالكلمة المذاعة على الهـواء وأرهق الوجود الاستعمارى البريطـانى فى الجنوب العربى بالكلمة المذاعة أيضا ، وليس بواسطة القيادات الحزبية التى كانت تنتقل من مصر الى الجنوب العربى) ٠

ويتابع هيكل شرح رأيه قائلا : (كانت لعبد الناصر القـدرة على تعبئة الجماهير عن طريق الحزب ولو أن العناصر المثقفة سـاعدته على انشاء الحزب المطلوب لما كان تأخر فى التجاوب مع تلك العناصر ٠

(وفى أى حال كان رأيه ان تعبئة الناس بالانجازات أكثر فعالية من تعبئتها عن طريق الحزب) ٠

هكذا كان يفكر محمد حسنين هيكل ٠٠ وسواء كان متأثرا أو مؤثرا فى عبد الناصر فان الحقيقة أن المثقفين الثوريين لم يترددوا لحظة فى التجاوب مع عبد الناصر فى محاولته لتكوين (طليعـة الاشـتراكيين) بـل ان حزبى الطبقـة العـاملة الحركة الديموقراطية للتحـرر الوطنى والحزب الشيوعى) قد اتخذا قرارا بحل تنظيمهما وهو حدث نادر وغير متكرر فى تاريخ الحـركة الشيوعية ثقة منهمـا فى أن عبد الناصر كان مخلصا فى تبنيه لفكرة (طليعـة الاشتراكيين) أو الجهـاز السياسى للاتحاد الاشتراكى ٠

ولكن يبدو ان الأمور كانت تمضى فى غير هذا السبيل ٠٠ فالحكم الاوتوقراطى الفردى لايرحب بتكوين حزب يحد من صـلاحيات الحاكم المطلقة ٠

وصحيح ان كثيرا من الانجـازات الهائلة قد تمت فى غير وجـود حزب ٠ ولكنها أصبحت كالبناء الذى يقوم بلا حارس ٠٠ يمكن ان يتسلل اليه اللصوص من الرجعيين ٠

ولم يمض هذا الخلاف على صفحات الصـحف وحدها ٠٠ ولكنه اتخذ أحيانا صدامات شرسة ٠٠ فقد اعتقل الدكتور جمال العطيفى لمدة عشرة أيـام وعندما اثار الزميل الكاتب الصـحفى صـلاح حافظ هـذا الموضوع فى اجتماع الاتحاد الاشتراكى فى قسم قصر النيل متسائلا عن أسباب اعتقال العطيفى كان نصيبه الاعتقال أيضا فى معتقل القلعة لمـدة تسعة أيام ٠

أذكر انى لجأت الى شعراوى جمعة وزير الداخليـة محتجا على اعتقال الزميل الصديق ، فاذا بى أتلقى منه وعدا بسرعة الافراج دون تعليل مقنع لأسباب الاعتقال ٠

وانى ذهبت الى محمد حسنين هيكل مستفسرا عن أسباب الاعتقال باعتباره قريبا من جمال عبد الناصر وان أحد المعتقلين يعمل معـه فى مؤسسة الاهـرام ، فوجدته لايخفى دهشـته مما حـدث ولا يجـد له تفسيرا ٠

وهكذا قام بناء الاتحاد الاشتراكى فى بعض جوانبه على ديموقراطية غير سليمة مستهدفا الزام أعضائه دون البحث الجاد فى تقديم مايؤدى الى حسن التزامهم ٠

أبرز ماقام به المؤتمر الأول للاتحاد الاشتراكى فى تنظيمه الجديد هو اعادة تعريف العامل والفلاح والذى ينص على أن يكون العامل غير منتميا الى نقابة مهنية ولا متخرجا فى الجامعة أو المعاهد العليا أو الكليات الحربية ، وأن يكون الفلاح هو من يمارس الزراعة ولايملك هو وأسرته أكثر من ١٠ أفدنة ٠

وجاءت هذه التعريفات خطوة فى سبيل تحديد نوعية العامل والفلاح بعد أن كانت تعريفات مؤتمر ١٩٦٢ تسمح لبعض الفنيين وخريجى الجامعات والضباط أن يرشحوا أنفسهم بصفتهم عمالا ٠٠ وأن يجلس تحت عباءة الفلاح من يملك ٢٥ فدانا ٠

كان هذا التغيير دليلا على أن الرغبة فى تغيير الميثاق وتطويره الى مزيد من التقدم فكرة قائمة وموجودة ٠

والواقع أن موقف هيكل الذى جعله يستخف بالاتحاد الاشتراكى ولا يحاول وصف العلاج السليم له هو موقف لم يكن يستند الى حقيقة واقعية أو علمية ٠٠ فمهما عظم سحر شخصية الزعيم واشتد تعلق الناس به ، فان هـذا لايغنى مطلقا عن ضرورة التنظيم الملتزم الذى يعبىء الجماهير ويحشدها وينال ثقتها ويعبر عن ارادتها ٠

والاستناد الى شخص ـ أيا كان هذا الشخص ـ لايمكن أن يعتبر فى ذاته كافيا لاستمرار الثورة ٠٠ وأمامنا مثال واضح فى حياة جمال عبد الناصر شخصيا ٠٠ فما أظن ان سوريا قد شهدت مظاهرات وهتافات من القلب تحيط بزعيم مثلما أحاطت بعبد الناصر خلال فترة الوحدة ٠٠ ومع ذلك وبعد ان رفعت الجماهير عربته فوق الاكتاف فى حلب عادت بعد سنوات فأخذت موقفا سلبيا من سقوط نظامه دون مقاومة تقريبا بانقلاب عسكرى محدود لم تلعب الجماهير فيه دورا مؤثرا للدفاع عن وحدتها وارادتها التى تعتبر شديدة التأييد والثقة بعبد الناصر اذا أخذنا مظهرها وهى تتظاهر وتحتشد وتهتف له ٠

كان الخلاف الذى يدور على خشبة المسرح معبرا عن وجود تناقض فكرى أصيل بين الاتحاد الاشتراكى الذى كان يعتبر بحكم تكوينه وارتباطه بالجماهير وحرصه على ان يظهر فى مظهر المعبر عن ارادتها أكثر يسارية من أجهزة الدولة الأخرى ٠٠ وبين الاتجاه المبتعد عن

التنظيم المســتخف بدوره ، المســتمد لقوته من الســلطة وليس من الجماهير ٠

وقد وقف هيكل موقفا مضادا فى مقال نشره فى ديسمبر ١٩٦٨ من محاولة انشاء مجلس أعلى للصحافة فى الاتحاد الاشتراكى ٠

ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد ٠

كان هناك خلاف آخر أظهرته انتخابات اللجنة التنفيذية العليا التى وضعت على صبرى فى المركز الأول وأنور السادات فى المراكز الرابع ٠

كان أنور السادات بعيدا فعلا عن موقع المسئولية فى الاتحــاد الاشتراكى ، ولم يسهم خلال عمله فى مجلس الأمة بدور مؤثر فى تنظيمات الاتحــاد ٠

ولكن أقدميته فى مجلس الثورة لم تكن تسمح له بقبول التراجع الى المركز الرابع فى اللجنــة التنفيذية العليا ٠٠ ولذا أراد الانســحاب من العمل السياسى ليستتر فى قريته ٠٠ ولكن عبد الناصر أقنعه بالبقاء ٠

وهكذا تولدت خميرة تناقض نفسى حاد بين أنور السادات وعلى صبرى ٠

ولعب جمال عبد الناصر دور حامل الميزان فى هذه اللعبة ٠٠ يثقل كفة الشخص الذى يريد فى الوقت الذى يريد ٠

أعطى لأنور الســادات مسئولية اللجنــة السياسية فى الاتحــاد الاشتراكى أما على صبرى فقد أعطى مسئولية أمانة اللجنة التنظيمية ، وبدأ بكلفة ببعض المسئوليات السياسية الخاصة التى لم يعتد تكليفه بها من قبل ٠

كان التناطح واضحا وشــديدا بين هــذه الشــخصيات الرئيسية الثلاث ٠ أنور السادات وعلى صبرى ومحمد حسنين هيكل ٠

أنور السادات يستند الى تاريخه القديم وصلاته الطيبة ٠

وعلى صبرى يستند الى أجهزة الاتحاد الاشتراكى ٠

ومحمد حسنين هيكل يستند الى علاقته الوثيقة بعبد الناصر والى مقالاته التى كان يتابعها الناس بكل تأكيد ٠

وكان يجمع الثلاثة فى تناقضاتهم ولاء كامل لجمال عبد الناصر ٠ لايستطيعون أن يخرجوا عن حدوده ٠ فلم يكن أحد منهم ليجــرؤ على

اتخاذ موقف خلاف حاد لان معنى ذلك نهاية لدوره السياسى ·· وخروج زكريا محيى الدين لم يكن بعيدا عن أنظارهم ·

ولايمكن القول بأن هذا الخلاف كان محصورا فى دائرة المنازعات والمنافسات الشخصية ·· ولكنه كان تعبيرا عن واقع اجتماعى ورؤية سياسية ·

والى جانب هذه التناقضات الرئيسية فى قمة السلطة كانت هناك تناقضات ثانوية ·

لم يكن على صبرى مطلق السراح والصلاحيات فى الاتحاد الاشتراكى بل كان الى جانبه بعض الذين وثق بهم جمال عبد الناصر من رجال الصف الثانى ، وفى مقدمتهم شعراوى جمعة أمين طليعة الاشتراكيين والذى كان يملك من النفوذ مايتيح له الوقوف مع على صبرى فى صف واحد ، ولكنه لم يغامر باللجوء الى مناطحته بل حرص على أن يلعب دور (الشخصية المقبولة) من جميع الاطرف ولو أن هذا لاينفى أنه لم يكن يعطى ولاءه الكامل لعلى صبرى أو أنه كان يشكل معه فريقا متجانسا رغم تأكيد شعراوى لى بأنه لم يكن هناك بينهما تنافس سياسى وأنه كان يحمل احتراما وتقديرا لافكاره التى لم تكن تتناقض مع أفكاره ·

وكذلك كان سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، الذى كان مسئولا فى أمانة طليعة الاشتراكيين ، ومسئولا فى الاتحاد الاشتراكى عن منطقة شرق القاهرة (هليوبوليس والحلمية والزيتون ومدينة نصر وغيرها) وهى منطقة ازداد التركيز عليها لتبدو فى صورة المنطقة النموذجية من ناحية العمل السياسى ·· وكان نفوذ سامى شرف نابعا من (موقعه الجغرافى) ان صح التعبير ·· أى من مكتبه الذى كان يطل منه على غرفة نوم الرئيس ويستطيع ان يتصل به فورا وفى اية لحظة ·

هذه التناقضات الثانوية لم تجعل من الاتحاد الاشتراكى تنظيما صلبا متجانسا ، وانما ادخلت اليه نوعا من صراعات المماليك امتدت الى المحافظات ايضا فى صورة تناقضات كثيرة بين عدد من المحافظين وامناء الاتحاد الاشتراكى فى محافظاتهم ·

كان بعض المحافظين فى ابهة السلطة الادارية لايطيقون تدخل امناء ولا أجهزة الاتحاد الاشتراكى فى اعمالهم ·

وفى هذا الجو المشحون بالخلافات الرئيسية والفرعية ، كان جمال عبد الناصر يعطى تركيزه الأول على بناء القوات المسلحة ، ولكنه لم يغفل أبدا عن القطاع المدنى ، مهتما اشد الاهتمام بكل ما يتعلق بأمن الثورة·

وهو الأمر الذى كان يتزايد حتى حوصر بتقارير الأجهزة المختلفة التى تحولت عنده الى منظار لايرى المجتمع الا خلاله ٠

وكان هذا فوق ماتطيقه قدرة فرد واحد ، سبق له أن أصيب بمرض السكر خلال فترة الأزمة التى قامت بين الثورة المصرية والثورة العراقية فى عهد عبد الكريم قاسم ٠

ولذا كانت تتم بعض الاجراءات بطريقة لايجد أقرب المقربين اليه لها تفسيرا مقنعا ٠٠ مثل اعتقال الدكتور جمال العطيفى وصلاح حافظ ٠٠ ووضع الدكتور رشوان فهمى تحت الحراسة ٠

ومثل هذا الاجراء الذى سمى فيما بعد باسم (مذبحة القضاء) والذى أفضل ان أسميه (معركة العدالة) ٠

معركة العدالة :

كانت معركة العدالة من أهم معارك الخطوط الخلفية التى ظهرت على مسرح الحياة السياسية ٠

فوجىء الناس يوم ٣١ أغسطس ١٩٦٩ بصدور أربعة قوانين : ٨١ ــ ٨٢ ــ ٨٣ ــ ٨٤ باعادة تشكيل الهيئات القضائية وتعديل قانون مجلس نادى القضاة ٠٠ وقبول استقالة محمد أبو نصير وتعيين مصطفى كمال اسماعيل وزيرا للعدل ٠

وعندما اعيد تشكيل الهيئات القضائية من جديد تجاوز التشكيل ١٨٩ من رجال القضاء من بينهم رئيس محكمة النقض ، ١٥ مستشارا بمحكمة النقض ، وأعضاء مجلس ادارة نادى القضاة ٠

المظهر الذى تمت به هذه العملية كان يوحى بأن شيئا خطيرا لابد وانه يختمر فى جهاز القضاء ٠

واللجنة التى شكلت كانت من قمة السلطة ٠٠ يرأسها أنور السادات وتضم كلا من شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف والمستشار عمر الشريف المستشار القانونى لرئاسة الجمهورية ٠

وكانت القضية المطروحة على اللجنة تحمل جذورا تاريخية ٠ فالتطهير لم يقترب من القضاء طوال عهد ثورة يوليو٠وحادث الاعتداء على السنهورى رئيس مجلس الدولة كان دائما بمثابة النور الأحمر الذى يحذر من اعتداء جديد ٠٠ والقضايا التى كانت تحتاج الى رؤية واحكام سياسية ــ من وجهة نظر الثورة ــ أوكلت الى محاكم خاصة رأسها بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة مثل محكمة الثورة برئاسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية أنور

السادات وحسن ابراهيم ومحكمة الشعب لمحاكمة الاخوان المسلمين برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعي ثم المحاكم العسكرية التي حاكمت الشيوعيين وغيرهم من السياسيين ورأسها ضباط من الجيش كان أشهرهم الفريق محمد فؤاد الدجوى •

وبعض الذين أدينوا مسبقا في الخطب العامة أو الصحافة ومنهم محمد السمني وكيل وزارة الزراعة ، ورئيس مجلس ادارة شركة المجمعـــات الاستهلاكية ، وصلاح الفقي الذى سلطت عليه الاضواء باعتباره مسئولا عن اغتيال الشهيد صلاح حسين في كمشيش •• كل هؤلاء أصدر القضاء حكما بتبرئتهم رغم اتهامهم علنا واتخاذهم مثلا للفساد حتى في بعض خطب جمال عبد الناصر •• ومع ذلك لم يتخذ اجراء ادارى واحد نحو أحد من القضاة أو المستشارين •• ولم ينقض حكم أية محكمة •

اذن لم تكن للقضاء مع الثورة مشكلة •

ولكن الميثاق كان ينص على أن رجال الجيش والشرطة والقضاء لهم مكان في الاتحاد الاشتراكي •

ورغم ان هذا النص لم ينفذ وبقى أعضاء هذه الهيئات الثلاث بعيدين عن الانضمام رسميا للاتحاد الاشتراكي ، الا أن على صبرى قد تعرض لهذه المشكلة في سلسلة مقالاته التي كان ينشرها في جريدة الجمهورية ، فكتب خمس مقالات عن تصوره لانضمام القوات المسلحة انتهت يوم ١٧ مارس ١٩٦٧ لتبدأ تسع مقالات عن تصوره لانضمام رجال القضاء ، كما أعطى تصريحا للاهرام نشر بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٦٧ قال فيه (على ان يكون للقضاء تنظيم سياسى خاص) •

ومضت المقالات بلا أثر ايجابي حتى حدث العدوان ووقعت الهزيمة في شهر يونيو ، وأوقف نشر الكتاب الذى ضم هذه المقالات كما سـبق ان ذكرت •

والحقيقة ان هذه المقالات قد كتبت بايحاء من جمال عبد الناصر لاحداث صدمة في المجتمع يتبين بعدها ردود الفعل ، ويكتشف الطريق الصحيح بعد تعديل الميثاق الذى كان مفروضا ان يتم مع حلول عام ١٩٨٠ •

ولذا فقد وجد بين القضاة من يؤيد فكرة الانضمام للاتحاد الاشتراكي ووجد من يعارض الفكرة •

وكان بدوى حمودة الذى عين رئيسا للمحكمة الدستورية على سبيل المثال من الذين انضموا للاتحاد الاشتراكي معتبرا انه تنظيم قومى وليس حزبيا •• وان ذلك لا يتعارض مع استقلال القضاء •

ويقـول المستشار صـادق المهدى الذى كان يشغل منصب وكيـل مجلس نادى القضاة · كما ورد فى كتاب الزميل عبد الله أمام (مذبحة القضاة) انه أثناء نشر هـذه المقالات عقـد مجلس ادارة النادى اجتماعا للمناقشة انتهى الى الموافقة على انضـمام القضـاة ولـكن بطريقة تجعل انضمامهم له مظهره واستقلاله الخاص ·

ولم يحدث بعد ذلك ما يمكن ان يفرض هذه المشكلة ·· فجمـال عبد الناصر قد استغرقته عملية اعادة بناء القوات المسلحة وتماسك المجتمع ·· بل انه خطب فى المنصورة يوم ١٨ ابريل ١٩٦٨ قائلا :

(اننى لست ميالا فى الوقت الحاضر لاشتراك القضاء أو القـوات المسلحة أو الشرطة فى التنظيم السياسى) ·

ولكن الاتحاد الاشتراكى فى محاولته لفرض نفوذه أراد أن يقتحم ـ فيما يبدو ـ مجـال القضـاء أيضا ، مستندا الى تصرفات قام بها بعض القضـاة خرجت بهم عن قدسيتهم واسـتقلالهم ، وأدخلتهم فى معتـرك السياسة الذى يتعرض فيه كل من يدخله الى المتاعب والمصاعب والاحجار ·

وكان السبب فى ذلك هو تعيين محمد أبو نصير وزيرا للعدل فى وزارة ٢٢ مارس ١٩٦٨ ، وهو شخصية غير محبوبة من رجال القضـاء لأنه انغمس فى العمل السياسى بعد أن كان فى مجلس الدولة ، وعين فى فترة ما وزيرا للتجارة ، وتصور البعض انه سوف يحمل معه تغييرا يجبر القضاة على الارتباط بالاتحاد الاشتراكى ·

ورغم أن محمد أبو نصير قد نفى ذلك ، الا ان بعض القضاة قـد اعدوا بيانا دون معرفة أعضاء مجلس ادارة نادى القضاة أو موافقته ، وأن هذا البيان قد تلى على الحاضرين فى اجتماع الجمعية العمومية للنادى يوم ٢٨ مارس ١٩٦٨ وانه استقبل بالموافقة مع التصفيق الشديد ·

وبعض كلمات البيان لا يمكن أن يعترض عليها أحد ·· فهى تدعو الى أن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وانه لابد من تأكيـد مبـدأ الشرعية الذى يعنى فى الدرجة الأولى كفالة الحريات لكل المواطنين وسيادة القانون على الحكام والمحكومين على السواء ، وضرورة سيـادة القـانون واستقلال القضاء ·

وبعض ما ورد فيه يستحق المناقشة مثل (رفض منح سلطة الحكم الى غير القضاة المتخصصين المتفرغين) وهـو رفض لمبـدأ اشراك الشعب فى القضـاء المعـروف فى بعض دول الغرب بالمحلفين والمعـروف فى الدول الاشتراكية ·· وكذلك رفض الانضمام للاتحاد الاشتراكى ·

لم ينحرك الاتحاد الاشتراكى الحركة السياسية اللازمة لتهدئة القضاة والاقتراب منهم ، وتأجيل أى خطوة نحو ربطهم بالاتحاد الاشتراكى الى ما بعد ذلك .. وانما بدأ كعادة أجهزة الأمن يتوثب للانقضاض على اعداء قد لا يكونون موجودين وانما يخلقهم خلقا .

وكان اتجاه الثورة وقتئذ يسمح باحتضان دعاة سيادة القانون ، بعد قرارات رفع الحراسة والعزل ومنع الفصل والافراج عن المعتقلين .

وكذلك فان الجمعية العمومية لمستشارى محكمة استئناف القاهرة المنعقدة يوم أول ابريل ١٩٦٨ قد اعترضت على بيان نادى القضاة عدا عضو واحد وأصدروا بيانا أعلنوا فيه ان بيان النادى يعتبر (خروجا على حياد القضاة ومهمته) .. واعتبروا أن بيان ٣٠ مارس هو المعبر عن أرائهم .

كما ان مجلس القضاة الأعلى قد اجتمع برئاسة عادل يونس رئيس محكمة النقض وتوجه أعضاؤه الى القصر الجمهورى حيث سجلوا (تحيتهم وتقديرهم الى قائد النضال الوطنى الرئيس جمال عبد الناصر .. وأشادوا بما جاء فى بيان ٣٠ مارس من كفالة حصانة القضاء) .

كان ممكنا استغلال هذه المواقف والعمل على تصفية بذور الخلاف النابتة فى أرض القضاء .. ليس بالاجراء الادارى ولكن بالعمل السياسى والمناقشة والاقتناع .

ولكن تطورت الأمور بطريقة تدل على عجز الجهاز السياسى عن كسب ثقة المعارضين .

والموجود فى السلطة عنده دائما فرص أكبر للحوار والمناورة واتخاذ الاجراءات التى تتلاءم مع الظروف القائمة .

ولكن الاتحاد الاشتراكى ومحمد أبو نصير أكثر انتماء اليه من الانتماء الى رجال القضاء ، أهدر ذلك ، وآثر ان يسلك سلوك أجهزة الأمن فيقيم مجموعة من طليعة الاشتراكيين تضم بعض المقربين من رجال القضاء ليتحركوا بطريقة سرية ـ كما كان متبعا فى التنظيم حينذاك .

وانتهز البعض فرصة هذا التناقض فحاول ان يركب موجة الخلاف ليبدو فى مظهر المدافع عن حقوق المظلومين .. مثل حلمى مراد الذى كان وزيرا وأفشى بعض مداولات مجلس الوزراء التى أقسم على سريتها . ولما وصل ذلك الى زميله محمد أبو نصير لم يجد سبيلا سوى كتابة تقرير ضده رفعه الى جمال عبد الناصر ، الذى استثاره ما حدث واعتبر أن ما يقوم به

بعض القضاة هو نوع من التخريب الذى صبر عليه سنة كاملة ، وأصدر قرارا يوم ٩ يوليو ١٩٦٩ باعفاء حلمى مراد من منصبه الوزارى ٠

وقال لعلى نور الدين أثناء حواره معه (أنا هابص للجيش اللى بيحارب ولا للى عاوزين يعملوا لى ثورة مضادة فى الداخل) ٠٠

نعم ٠٠ كانت حرب الاستنزاف تقترب من ذروتها ٠

وكان ممكنا ان تكون هناك بذور ثورة مضادة فى مجال القضاء استغلتها بعض السفارات الأجنبية المعادية التى أعادت طبع بيان النادى ٠

ولكن القضاء عليها لم يكن أبدا باثارة الرأى العام حول فصل ١٨٩ قاضيا منهم رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس الدولة ورؤساء لبعض محاكم الاستئناف ٠٠ والناس تحمل تقديرا خاصا للقضاة ولذا لا يسهل اقناعهم بأن الاعتداء عليهم كان تفاديا لثورة مضادة ٠

والاجراءات الادارية كانت أسهل كثيرا بالنسبة لقيادة الثورة حتى بعد الهزيمة ٠

أصدرت اللجنة التى شكلها جمال عبد الناصر هذه القرارات التى خلقت ١٨٩ شهيدا فى المجتمع فى وقت كان يتساقط فيه الشهداء الحقيقيون على ضفاف القناة ٠

وهكذا أظهرت هذه التراجيديا السياسية التى ظهرت على المسرح واستمرت عليها التعليقات فترة طويلة ان قيادة الثورة لم تستفد كثيرا من خبرة الهزيمة ٠٠ وأن جمال عبد الناصر كان يائسا من المحيطين به الذين حولوا العمل السياسى الى صورة باهتة مما تقوم به أجهزة الأمن ، ولم يحاولوا كسب مختلف الفئات بالعمل السياسى الناضج ٠

أسدلت الستار على هذه التراجيديا السياسية ، ولكنها ظلت حديث المجتمع ٠٠ تثبت ان بعض المعارك الداخلية التى لا تسيل فيها الدماء تكون أحيانا أشد تأثيرا من معارك القتال فى نفوس الجماهير ٠

ظهرت قرارات القضاء فى أول يوم من أيام سبتمبر ١٩٦٩ ٠٠ نفس اليوم الذى انطلقت فيه الحركة العسكرية فى ليبيا لتسقط حكم الملك السنوسى وتبنى الجمهورية العربية الليبية ٠٠ وذلك فى الوقت الذى كان مجتمعا فيه ملوك ورؤساء ومندوبو دول المواجهة فى القاهرة ٠٠ الملك حسين ونور الدين الأتاسى وهوارى بومدين وجعفر نميرى وحردان التكريتى ٠

وكان توافقا غريبا ٠٠

سبقت حركة القضاء ، الحركة العسكرية الليبية بيوم واحد ٠

وانتقل جمال عبد الناصر من تقارير محمد أبو نصير وأعضاء لجنة القضاء الى تقرير الفريق أول محمد فوزى الذى أعده مع رؤساء أركان دول المواجهة والذى ينتهى الى خلاصة تقول بأن دول المواجهة تكون جاهزة للمعركة خلال ١٨ شهرا ٠

مسئولية التحرير تدخل مرحلة حاسـمة من الجـدية ٠ والحركة العسـكرية الليبية يمكن أن تمنح مصر عمقـا استراتيجيا هائلا جهـة الغرب ، كما منحتها الحركة العسكرية السودانية فى ٢٥ مايو من نفس العام عمقا استراتيجيا جهة الجنوب ٠

والاندفـاع الى المعركة كان يمضى فى سرعة متزايدة ، منذ بـدأت حرب الاستنزاف فى ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لى الفـريق أول محمـد فـوزى ٠

مرض عبد الناصر :

كان حارا صيف ذلك العام ٠٠ أمضى جمال عبد الناصر معظم الأيام فى القاهرة قريبا من القيادة العامة للقوات المسـلحة ٠٠ تعكر عليـه أخبار الغارات الاسرائيلية المتزايدة الصفو والهدوء ٠٠ ويفقد بين حين وآخر ضابطا من الشباب الذين اعتـــاد أن يلتقى بهم فى مناقشـــات التحضير للمعركة ٠

قال لى اللواء حسن البدرى الذى عمل مستشارا عسكريا لجمال عبد الناصر ثم اشتغل فى ميدان الصـحافة والتاليف بجريدة الاهـرام ومركزها للدراسات الاستراتيجية ٠٠ ان جمال عبد الناصر كان يحضر ندوات للقيادات المسئولة لمناقشة أخطاء ودروس عدوان ١٩٦٧ ، ومتابعة آخر التطورات فى فن وتكتيك الحروب الحديثة ٠٠ وان المناقشة فى هذه الندوات كانت تتميز بالصراحة المطلقة الى حد مواجهة الذين أخطأوا عام ١٩٦٧ بأخطائهم فى حضورهم ٠٠ وتحذيرهم من أى أخطاء جديدة ٠

كان الجهد الذى يبذله جمال عبد الناصر اكثر مما يحتمله فرد حتى ولـو كان فى عمر الشـــباب ٠٠ وجمـال عبد الناصر كان قد تجـاوز الخمسين ٠

وكان الأسلوب الذى اعتمد عليه فى نظام حكمه ينهض على أساس المركزية المطلقة ، والاعتماد الكبير على تقارير الأمن من شتى المصادر ٠

ولذا كانت تختلط أحيانا المواقف الوطنية الكبيرة ، بمواقف داخلية صـغيرة ٠٠ وكان جمـال عبد الناصر يلبس غالبا ثياب رجـل الدولة

المتمرس الذى تصقله التجارب والاحداث وخاصة بعد النكسة ٠٠ ولكنه أحيانا يظل فى ثياب البكباشى الذى يتعامل مع الآخرين فى حذر ، تؤرقه التقارير وتدفعه الى اتخاذ اجراءات لاتتناسب مع شخصيته البارزة ٠

لم يدرك جمال عبد الناصر أن أمنه الشخصى وأمن النظام ينبع أساسا من المواقف الوطنية والاجتماعية الصلبة والمتقدمة ٠٠ وانما ظلت المخاوف والهواجس تحيط به ، وتدفعه الى تصرفات لاتخدم فى المدى الطويل أمن النظام ولا تبعث فى أنصار الثورة الاطمئنان ٠

ولذا أصاب الارهاق جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد تأثير مرض السكر عليه وتصلب الشرايين الذى عالجه فى أغسطس ١٩٦٨ بمصحة تسخالطوبو فى الاتحاد السوفييتى وكان مفروضا أن يعاود السفر الى هناك فى نفس الوقت من العام التالى ١٩٦٩ ٠

ولكن تلاحق الاحداث وزحمتها ٠٠ واختلاط المسئولية العسكرية مع تخوفات الأمن ، والحذر الشديد من الاشخاص المقربين اليه وخاصة بعدما لمسه من صراع بين الشخصيات البارزة حوله ٠٠ وما كشفه من ضغوط فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى كانت لاتخرج عن طاعته ، ولكنها لاتمثل كامل ارادته ، وتظهر له عنصر منافسة يبدو كبرعم صغير أمام شجرة باسقة ٠

كل هذه الاحداث ٠٠ والاخبار اليومية المتلاحقة عن حرب الاستنزاف ومؤتمر قمة دول المواجهة ، وحركة الفاتح من سبتمبر فى ليبيا ٠٠ احاطت عبد الناصر بجو من القلق والتوتر ٠

وصل هذا القلق ذروته يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ عندما هاجم الاسرائيليون الزعفرانة كما أوضحت فى الباب السابق ٠

وفى يوم ١٠ سبتمبر سقط جمال عبد الناصر فى القاهرة فريسة أول ذبحة صدرية واستدعى الى منزله فى هذا اليوم كلا من أنور السادات والفريق أول محمد فوزى وشعراوى جمعة وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف حيث شكلت منهم لجنة للاشراف على شئون الدولة خلال فترة المرض التى منع فيها الاطباء جمال عبد الناصر عن الحديث أو الحركة أو مباشرة أية مسئولية ٠

ويلاحظ أن على صبرى لم يستدع لعضوية هذه اللجنة ٠

ولم تقتصر العناية الطبية على المصريين ٠٠ حضر الى القاهرة الطبيب السوفييتى الدكتور شازوف أخصائى أمراض القلب الذى نصح

بالغاء رحلة عبد الناصر الى تسخالطوبو ٠٠ فلم يعد القلب يحتمل ٠٠ ونصح بالبقاء فى الفراش لمدة ستة أسابيع مع أبطال التدخين وابعد عن التوتر ، ونشرت الاهرام خبر حضوره يوم ٢١ سبتمبر ٠

كانت تعليمات الأطباء تعنى النهاية لكل مايحب عبد الناصر ٠٠٠ مباشرة المسئوليات المختلفة بنفسه ، ومقابلة الشـخصيات السياسية ، والتدخين أيضا ٠

وبقى المرض سرا لايذاع مما اضطر جمال عبد الناصر الى مقابلة بعض الشخصيات وهو فى فراش المرض مثل بهجت التلهونى رئيس وزراء الاردن الذى هدد بالاستقالة اذا لم يقابل عبد الناصر وبابكر عوض الله الذى كان جعفر نميرى يدبر خطة لاخراجه من الوزارة وكان عبد الناصر يريد منه أن يكون صبورا فيقبل منصب وزير العدل الذى أعده له نميرى بعد أن كان نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة ٠

بقى الدكتور شازوف عشرة أيام فى مصر عاد بعدها الى موسكو ٠

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد اتصل به تليفونيا فى اليوم الثالث لمرضه ٠٠ وانه لم ينفذ تعليمات الأطباء بالبقاء ستة أسابيع فى الفراش فعاد الى ممارسة عمله فى أواخر سبتمبر ٠

ويقـول أمين هويدى أن عبد الناصر لم ينقطع انقطاع المرضى عن مباشرة العمل ، فقد ظل على اتصال مستمر به ٠

ويقول شعراوى جمعة انه كان حريصا على عدم الاتصال بجمال عبد الناصر خلال هذه الفترة ، ومع ذلك كان يتلقى منه مكالمات تليفونية تحمل تعليماته وتوجيهاته ٠

وخلال الفترة القاسية للمرض ودون ان تعرف الجماهير شيئا عن الحالة الصحية للزعيم فوجىء القراء صباح يوم ٢١ سـبتمبر بأخبـار مثيرة فى جريدة الاهـــرام تقول ان وكالات الانبـــاء الغربية تروج ان على صبرى كان يعد لانقلاب فى مصر ، وان الاتحـاد السـوفييتى كان ضالعا فيه ٠

وكانت الاهرام نفسها قد نشرت قبل ذلك بيومين أن لجنة التنظيم للاتحاد الاشتراكى تجتمع (غـدا) للبحث فى موضوعات يتحتم البحث فيها قبل المؤتمر القومى ٠

ونشرت صحيفة الاهرام تفسيرا لما حدث جاء فيه ان على صبرى

قد حمل أمتعة كثيرة فى طريق عودته من موسكو خلال شهر يوليو وانها خرجت فى أحد لوريات الاتحاد الاشتراكى ، ولم تدفع عنها جمارك ٠

وقالت الاهـــرام ان تحقيقا قد بدأ فى هـــذه الواقعــة ٠٠ وأن على صبرى قد رأى أن يدفع كل المطلوب منه للجمارك حتى على الامتعة التى لا تخصه شخصيا ، وأن يضع استقالته تحت يــد جمال عبد الناصر من جميع مناصبه ٠

وأصدر جمال عبد الناصر قرارا بأن يتولى شعراوى جمعة أمانة اللجنة التنظيمية بدلا من على صبرى الذى استمرت عضويته فى اللجنــة التنفيذية العليا ٠

ونشرت الاهرام صورة للجنة الدائمة للاتحاد الاشتراكى برئاســة أنور السادات وحضور على صبرى وعبد المحسن أبو النور ولبيب شقير٠ وضياء الدين داود وشعراوى جمعة ٠٠ وذكرت أن كمال ستينو لم يحضر لوجوده فى بلغاريا ٠٠ وفى هذا الاجتماع تقرر قبول استقالة على صبرى وتعيين شعراوى جمعه بدلا منه ٠ الأمر الذى أقرته اللجنــة المركزية فى أول اجتماع لها بتاريخ ٤ فبراير ١٩٧٠ ٠

كانت الاجراءات التى اتخذت ضد على صبرى دليلا على ان ثقــة جمال عبد الناصر فيه قد تبددت نهائيا ٠ وانه اثر تحطيمه بفضيحة تتصل بالسلوك ٠٠ وهو الأمر الذى يثير مشاعر الجماهير ٠

كان الاجراء مدبرا ومتعمدا ومثيرا لأكثر من علامة استفهام ٠

هل نجح أحد فى اثارة جمال عبد الناصر ضد مدير مكتبة الصامت والمخلص له طوال سنوات الثورة ؟

هل ارتكب على صبرى عملا أثار شكوك عبد الناصر لانه لم يبلغه عنه ؟

هل علت موجة احتجاج الذين سقطوا فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى حتى جرفت المسئول الأول فيه ؟

هل صدق عبد الناصر ماقاله البعض من ان على صبرى كان يروج لخلافته وخاصة بعد مرضه ؟

هل اثر المرض على قرارات جمال عبد الناصر فجعلها تصدر فى صورة عصبيه ؟

المؤكد ان الحدث فى ذاته ـ أى تمرير بضائع دون دفع جمارك ـ

لم يكن ليؤدى الى هـذا الاجـراء العنيف ٠٠ فكثير من ضـباط الثورة والمقربين من السلطة قد قاموا بذلك بصورة معروفة ومتكررة ٠

ولم يعرف عن جمال عبد الناصر انه حاسب واحدا من زملائه فى المجلس على عدوانه على الاموال العامة ٠

كما لم يعرف عنه انه قد اتخذ من التشهير العلنى سلاحا للقتل ٠

ولم يكن أكثر الناس اقترابا من السلطة يتصـور ان على صبرى يمكن أن يعامل فجاة هذه المعاملة الفظة ٠

قال لى أمين هويدى انه عندما عرف النبأ اتصل بجمال عبد الناصر قائلا له فى دهشة : (والله أنا مانا عارف حاجه) ٠

وقال جمال عبد الناصر : (احسن)

واستأذن هويدى فى زيارة على صبرى مع شعراوى جمعه ، ووافق عبد الناصر على ذلك ٠

وعندما ذهب الاثنـان الى زيارته كان هنـاك طبيب القلب اللواء رفاعى كامل الذى ذهب لعيادته خوفا عليه من آلام ربما كانت من معاودة الذبحة الصدرية له وهى التى أصيب بها أثناء عودته جوا من رحلة الى نجع حمادى عقب الغارة الاسرائيلية عليها قبل ذلك بشهور ٠

وفى هذه الزيارة كان على صبرى فى غاية الضيق ٠٠ يكيل السباب بلا حساب ٠٠ وتستبد به الدهشة من هذه المعاملة الشاذة ٠

طبعا لم يكن استغلال النفوذ أو التهرب من الجمارك هو السبب فى توجيه هذه الضربة القاضية للشخصية السياسية المؤهلة لقيادة العمل السياسى ٠٠

ويقول البعض ان ذلك كان نتيجة لما حدث فى امانة القاهرة عندما تقدمت فنانة معروفة متزوجة من أحد الصحفيين بتقرير قالت فيه أن بعض أعضاء أمانة القاهرة يتهجمون على جمال عبد الناصر ٠

واصدر عبد الناصر اوامره باخراج امين عز الدين وسامى الليثى من أمانة القاهرة ، وكذلك اخـراج عبد المجيـد فريد من أمانة رئاسـة الجمهورية ، وقصر عمله على الاتحاد الاشتراكى ٠

وذهب عبد المجيد فريد الى على صبرى يطلب منه أن ينفذ الأمر فى هدوء وعلى مراحل ، وليس دفعة واحدة ، ووافقه على صبرى على رأيه

·· ولكن الأمر بعد ذلك وصل الى جمال عبد الناصر وكأنه يكسر أوامره ·

ولعل خلافات سامى شرف (التحتية) مع على صبرى كانت سببا فى تجسيد هذه القضية ·

وقال لى شعراوى جمعه ان صورة على صبرى ربما تكون قد اهتزت أمام جمال عبد الناصر عندما أبلغه حسين الشافعى بواقعة الجمارك والتى عرفها من شقيقه الذى كان يعمل فى الاتحاد الاشتراكى والتى تتلخص فى أن سكرتير على صبرى مصطفى ناجى قد اتصل تليفونيا من موسكو وطلب عربة لورى تنتظر فى المطار محمل الحقائب الكثيرة ، والاتصال بشركة مصر للطيران لتدفع العفش الزائد ·

ويقول شعراوى ان على صبرى عندما علم بأن سكرتيره قد أرسل الاشارة طلب الغاءها ·· ولكن بعد فوات الاوان ·

ولما استثارت هذه الواقعة التى أبلغها حسين الشافعى حفيظة جمال عبد الناصر طلب شعراوى جمعه مقابلته للتحدث معه فى هذا الموضوع قبل ظهوره فى صحيفة الاهرام ·· ويقول ان عبد الناصر كان غاضبا وكان يردد (ان صبرى كان يعمل لى والآن يعمل معى) ·· وكان بذلك قد تجاوز حدودا رسمها عبد الناصر له ·

صدر قرار (كسر) على صبرى بعد ان كانت الظروف قد أقصت من أمامه عددا من أخطر المنافسين ·

انتحر المشير عبد الحكيم عامر ، وهو الذى لم يقتنع يوما بأهمية الاتحاد الاشتراكى ، والذى اتخذ موقف العداء من منظمة الشباب التى أنشأها على صبرى ·

واستقال زكريا محيى الدين وهو الشخصية المؤهلة بعد عبد الناصر فى تاريخ الثورة لتكون (رجل دولة) ·

كان الطريق ممهدا أمام على صبرى ليؤدى دور الرجل الذى لاتقدر المنافسة على النيل منه ·

ولكن أنور السادات وحسين الشافعى ومحمد حسنين هيكل كانوا من الشخصيات التى لاتقبل من على صبرى أداء دور أكبر من طاقته ·· كما أن شعراوى وسامى شرف كانا لايريدان الذوبان فى شخصية على صبرى

كان التنافس واضحا ، وصراع القوى لايهدأ

ولم يكن اخراج على صبرى ـ فى يقينى ـ رد فعل لحادث الجمارك، فقد سبق ذلك تغييرات تعتبر مؤشرا لنية جمال عبد الناصر ٠

كان قد أعاد حسن التهامى سفير مصر فى فيينا لمدة سبع سنوات للعمل مستشارا له ثم أمينا لرئاسة الجمهورية فى ١٥ يوليو ٦٩ بدلا من عبد المجيد فريد الشخصية القريبة من على صبرى أيضا ، والذى ظل مع ذلك فى موقعه أمينا للاتحاد الاشتراكى بالقاهرة ، وسكرتيرا لجلسات مجلس الوزراء ٠

وحسن التهامى هو أحد الضباط الاحرار الذين كانوا يعملون فى ادارة المخابرات الحربية قبل الثورة ، وكان فى نفس الوقت مقربا من جمال عبد الناصر ٠٠ اشترك معه هو وحسن ابراهيم وكمال رفعت فى محاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر قبل أسابيع من قيام حركة الجيش ٠

وقد أبعد الى فيينا بعد صدور قرارات يوليو ١٩٦١ لموقفه المضاد لها حيث كان يعتبر ان مثل هذه الاجراءات تعتبر انحرافا نحو الماركسية بعيدا عن الاسلام ٠٠ على حد تصريحه بذلك فيما بعد ٠

ولذا كان استدعاء جمال عبد الناصر له وتعيينه فى هذا المنصب الحساس بدلا من شخصية كانت تؤدى دورا بارزا فى العمل السياسى ـ عبد المجيد فريد ـ كان الاستدعاء يعتبر مؤشرا ودليلا على تغيير كان يختمر فى صدر جمال عبد الناصر ٠

ربما أسرع المرض فى اخراج قرار على صبرى الى العلانية ٠

ولكن الموقف فيما يبدو لم يكن قاصرا على على صبرى وحده ، ولكنه تجاوزه الى المرتبطين به ارتباطا سياسيا ٠٠ الأمر الذى يعطى أبعادا جديدة للموقف ، رغم محاولة الاهرام تفسير ذلك بانه تم نتيجة أمور ادارية ٠

صدر قرار أيضا فى نفس اليوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ باقصاء رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم محمود أمين العالم ، ولم يعين أحد بدلا منه

الذى كلف من عبد الناصر بتنفيذ الأمر ٠٠ كان أنور السادات الذى اعتمد على احسان عبد القدوس وموسى صبرى ٠٠ وبقى اسم محمود أمين العالم مكتوبا على صحف الدار ببنط صغير لايكاد يقرأ الى ان عين رئيسا لمؤسسة المسرح ٠

كان أنور السادات قد بدأ يؤدى دورا متزايدا فى الحياة السياسية ٠

ولم يعد له بين الرسميين من أعضاء مجلس الثورة منافس سوى حسين الشافعي الذى ظل محتفظا بموقفه الفكرى الذى لم يتطور مع تطور الثورة

مثل انور السادات مصر فى اجتماع القمه الاسلامى فى الرباط ٠٠ يوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ ٠

وفى يوم سفره نشرت صورته وهو يراس اللجنة الدائمـة بحضور على صبرى فى آخر اجتماع له بعد استقالته ٠

ومما يذكر انه قد حدث خلاف فى هذا المؤتمر حول تمثيل الهند التى سبق ان وجهت الدعوة الى رئيس جمهوريتها فخر الدين على احمد ولكن المؤتمر رفض قبول تمثيله رغم سفره للمغرب ٠

وكانت هذه هى المرة الأولى بعد الهزيمة التى يقوم فيها أنور السادات بتمثيل مصر فى مؤتمـر دولى تحضره ٢٥ دولة يمثل عشرا منها الملوك والرؤساء ٠

كما قام جمال عبد الناصر بتكليف أنور السادات بعمل اجتماعات اسبوعية مع السفير السوفيتى سيرجى فينوجرادوف لمناقشة القضـايا السياسية والتعرف على أبعادها ، ونقل صورة عنها الى جمال عبد الناصر حسب قوله فى تصريحات مختلفة

وهكذا دخل انور السادات فى دائرة المسئولية العليا للعمل السياسى وخاصة بعد أن اقتصر عمله على اللجنة التنفيذية العليا بعد حل مجلس الأمة فى ٧ نوفمبر ١٩٦٨ بعد انتهاء اجتماعات المؤتمر القومى فى دورته الثانية وتغيير تعريف العامل والفلاح ، قبل أن تنتهى مدته الرسمية بعدة اشـــهر ٠

جرت انتخابات المجلس الجديد يوم ٩ يناير ١٩٦٩ وتغيرت معـالم المجلس الجديد فقد نجح من الأعضاء القدامى ٩٢ نائبا من ١١٧ رشحوا انفســهم ٠

وتغيرت التركيبة الاجتماعية للمجلس ٠

وفى عام ١٩٦٤ كان هناك ٧٥ عاملا و ١٠٨ فلاحين أما فى مجلس ١٩٦٩ فقد نجح ١١٩ عاملا ، ٦٤ فلاحا ٠٠ وكان هذا دليلا على أن فرص النجاح قد أصبحت أقل للفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة فدادين حسب التعريف الجديد للفـــلاح ٠

كما نجح ٢٣ نائبا من المنتمين للاتحاد الاشتراكي باعتبار ذلك شرطا للترشيح ولكنهم لم يكونوا من مرشحى قيادة الاتحاد الاشتراكى ٠

وانتخب لبيب شقير رئيسا للمجلس الجديد ٠٠ وتفرغ السادات للمهام السياسية وكلف أنور السادات بالسفر مع محمود رياض وزير الخارجية وفريق أول محمد فوزى الى موسكو يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٩ لمناقشة القادة السوفييت فى بعض القضايا السياسية والعسكرية ٠

أذكر اننى التقيت به قبل سفره وطلب منى اعداد ورقة له عن (لينين وقضايا التحرر الوطنى) لأنه ينوى مناقشة كادر الحزب الشيوعى السوفييتى فى موقف الشرق الأوسط ٠ وأعددت له بحثا مختصرا حول هذه القضية ٠

وبعد أيام من عودته وبعد ثلاثة شهور من اقصاء على صبرى ، وفى يوم سفر جمال عبد الناصر بعد شفائه الى مؤتمر الرباط يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ ، طلب عبد الناصر من أنور السادات وهو فى منزله ليرافقه الى المطار أن يحلف اليمين القانونية نائبا لرئيس الجمهورية ٠

قال لى حسين الشافعى انه كان حاضرا وقت حلف اليمين الذى تم بطريقة مفاجئة له ودون حضور مصور أو اتخاذ أى اجراءات رسمية ٠٠ هذا رغم أن جمال عبد الناصر قد أبلغهما فى الليلة السابقة أنه سيعين نائبا لرئيس الجمهورية دون تحديد اسمه ٠

ويقول محمد حسنين هيكل الى فؤاد مطر فى كتابه (بصراحة) أن عبد الناصر عندما عين أنور السادات نائبا له كان بسبب معلومات وصلته ومفادها أن هناك مؤامرة لاغتياله فى الرباط خلال مشاركته فى مؤتمر القمة العربى الخامس ٠٠ وهو ما رواه لهيكل فى الطائرة ٠

سواء صح خبر المؤامرة أم لم يصح فقد اختار جمال عبد الناصر من بين زملائه أنور السادات ليكون نائبا له ، وبالتالى يكون أقرب المرشحين لرئاسة الجمهورية فى حالة وقوع القدر ٠

ولم يقتصر دور أنور السادات على الشئون الخارجية فقط ، ولكنه أصبح الشخصية الرئيسية فى اللقاء مع الجماهير ٠٠ عقد فى شهر يناير ١٩٧٠ اجتماعين مع قيادات الاتحاد الاشتراكى بالوجه القبلى والوجه البحرى حضرهما عبد المحسن أبو النور ولبيب شقير وضياء داود وشعراوى جمعة ٠

ولذا فقد وافقت اللجنة المركزية دون تعقيب فى اجتماعها يوم ٤ فبراير ١٩٧٠ على استقالة على صبرى من أمانة لجنة التنظيم واستبداله

بشعراوى جمعة ٠٠ وذلك لما لمسته من تغيير فى أهمية الأدوار التى يلعبها المحيطون بعبد الناصر ٠

وكان من أهم مظاهر معركة الصفوف الخلفية ما يرتبط بالناحية الاقتصادية والاتجاهات التى فرضتها الهزيمة :

أولا ـ اصطدمت قضية التنمية المخططة منذ نهاية الخطة الخمسية الأولى بمشكلات حادة منها : أزمة شديدة فى النقد الأجنبى منذ عام ١٩٦٣ وصلت لأقصى حد عام ١٩٦٥ بقطع اتفاقيات القمح الأمريكية والاضطرار لاستيراد القمح والدفع بالعملات الحرة (٦٠ مليون دولار سنويا) ثم هجوم القوى المحافظة على التجربة ورفض أسلوب التنمية المخطط ٠ واستجابة نظام الحكم جزئيا لهذه الدعاوى وتأجيل الخطة الخمسية الثانية (وضع خطة لمدة سنتين انكماشية مع وزارة زكريا محيى الدين ورفع أسعار بعض السلع الغذائية مثل الأرز) ٠
وأخيرا بدء تقديم بعض التنازلات للرأسمالية الزراعية برفع أسعار السلع الزراعية ٠

ثانيا ـ ارتفع الناتج القومى الاجمالى فيما بين عامى ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٥ بمتوسط ٥٪ ٠ ارتفع ما بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٦٥ وأخذ فى الهبوط وبخاصة بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ٠

ثالثا ـ حدث تدهور مطلق فى حجم الاستثمار الحقيقى بعد عام ١٩٦٥ وتأكد هذا الاتجاه الانكماشى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ٠ وهكذا تعثرت التنمية الاقتصادية منذ منتصف الستينيات وارتفع الدين الخارجى وأصبح التمويل الخارجى أكثر صعوبة فاضطر النظام لتخفيض الواردات وأصاب التخفيض مستلزمات الانتاج أساسا مما اضر بالصناعة ٠ أما قيمة الواردات الغذائية فقد ارتفعت نتيجة لارتفاع أسعارها أساسا بمعدل ١١٫٥٪ سنويا فيما بين عامى ٦٤/٦٥ وعامى ٦٦/١٩٦٧ كما أرتفعت أيضا نتيجة للتوسع فى استيرادها إسكاتا لأصوات الطبقة الجديدة الساخطة ٠

رابعا ـ بعد الهزيمة كان لابد من تمويل انفاق عسكرى متزايد ٠ وكان أمام الحكومة أسلوبان : أما الحد من الاستهلاك وخاصة للطبقات القادرة وتخفيض الاستهلاك العام المدنى واما الاقتطاع من مخصصات الاستثمار ٠ وقد اختارت الحكومة البديل الاسهل فنيا وسياسيا عن طريق التخفيض فى الموارد الاستثمارية ودون المساس بالاستهلاك الخاص والعام المدنى لتمويل عبء الزيادة فى الانفاق الحربى ٠ فتحمل الاستثمار « عبء المعركة » وهو بديل يحافظ على مصالح البرجوازية أساسا ٠

وقد انخفض الاستثمار عام ١٩٦٨ بمعدل ٥٠٪ عن مستواه سنة ١٩٦٧. واستمر الانخفاض بعد ذلك . وقد ترتب على الانخفاض المستمر فى حجم الادخار والاستثمار الانخفاض فى معدل تكوين الطاقة الانتاجية وبالتالى الانخفاض فى معدل زيادة الناتج القومى .

خامسا - انخفض الدخل الحقيقى للفرد فى العام الأول بعد الهزيمة بنسبة ٥ر٧٪ وتدهور استهلاك السلع الغذائية الأساسية (بالرغم من المعونات الخارجية الكبيرة من الدول الاشتراكية بعد عام ١٩٦٧ لسند النظام المصرى) وانخفض متوسط نصيب الفرد اليومى من السعرات الحرارية من ٢٩٤٢ سعرا عام ٦٤/٦٥ الى ٢٨٩٦ سعرا عام ٦٨/٦٩ واتجهت الأسعار للارتفاع . ومن جهة أخرى تضاعفت أرباح الرأسمالية فزادت عوائد التملك بمعدل ٦ر٨٪ فى العام الأول بعد الحرب ثم بمقدار ١١ر٣٪ فى العام الثانى وزادت أرباح التجار ومقاولى الباطن بنسبة ٣٩٪ ثم ٧٨٪ فى أعوام ٦٨/٦٩ و ٦٩/٧٠ على التوالى . وهكذا فان التضحية تحملها أساسا الشعب العامل من استهلاكه .

سادسا - ان النمط الجديد لاستخدام الموارد بعد ١٩٦٧ لم يقتصر على الموارد المحلية بل امتد ليشمل موارد النقد الأجنبى النادرة . فقد تمت التضحية بموارد النقد الأجنبى المتاحة للاستثمار والاستهلاك الوسيط (أى مستلزمات الانتاج) اللازمة لتشغيل الطاقة الانتاجية فى المجتمع وقد ترتب على ذلك انخفاض الواردات من السلع الرأسمالية مما ترتب عليه انخفاض معدل زيادة الطاقة الانتاجية .

وانخفاض حجم الواردات من مستلزمات الانتاج مما ترتب عليه انخفاض تشغيل الطاقة الانتاجية القائمة وظهور الطاقة العاطلة فى كثير من الصناعات ووصلت الى ما يزيد عن ٦٠٪ من الطاقة الانتاجية لبعض الصناعات مثل الصناعات الكيماوية والهندسية وصناعة الأدوية .

وقد ترتب على ماسبق انخفاض معدل نمو الانتاج الصناعى من ٥ر٨٪ سنويا خلال فترة الخطة الخمسية الأولى الى ٢٪ سنويا خلال الفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٣ .

ولقد ترتب على العبء الدفاعى والوفاء بالاحتياجات الاستهلاكية - نتيجة لعجز الانتاج الزراعى عن الوفاء بمتطلبات الزيادة عن الطلب على المواد الغذائية - أن وقع عبء مواجهة هذه المستلزمات على الواردات مما ترتب عليه الازدياد فى عجز ميزان المدفوعات وذلك لعدم قدرة الحكومة على وضع خطة لاستخدام القطاع الصناعى وتوجيهه لخدمة أغراض الدفاع . (نودى بقوة فى ذلك الوقت من جانب القوى الوطنية بوضع نظام

لاقتصاد الحرب ولم تحاول الحكومة الإستجابة لهذا الأمر أبدا الا فى حدود شكلية وذلك لعدم استعدادها لتحميل الطبقات القادرة بأى تضحية بحجة جماعية التحالف الوطنى) ٠

وكان يواجه هذا الاتجاه الانكماشى الذى قاوم ضرورة فرض اقتصاديات حرب ٠٠ اتجاه آخر لتنمية السلع الوسيطة ٠٠ والاتفاق على اقامة مجمع الحديد والالمونيوم ٠٠

كان جمال عبد الناصر هو الراغب فى اقامة مشروعات صناعية كبيرة تبدد وهم الانحسار الكامل ، وتدفع الطاقة الانتاجية للامام : كما قال لى وزير التخطيط ٠

وهكذا تحددت معالم الصراع بعد الهزيمة فى الناحية الاقتصادية ٠

وكان هناك صراع آخر ٠٠

اليسار ٠٠ واليمين

لم تحسم المعركة بين (مماليك السلطة) اذا صح التعبير لمصلحة شخص دون الآخرين ٠

كان جمال عبد الناصر يلعب لعبة التوازن بمهارة اكتسبها من أسلوب قيادته خلال السنوات السابقة

عاد على صبرى للظهور من جديد ، بعد أن كانت صوره وأخباره قد اختفت من الصحف تماما ٠

كان الاحتفاظ به عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا دليلا على أن له دورا يمكن أن يؤديه فى مرحلة قادمة ٠٠ وان وجوده مهم فى نجاح لعبة التوازن ٠

ظهر على صبرى فى حفل افتتاح الدورة البرلمانية يوم ٦ نوفمبر وهو يستقبل عبد الناصر واقفا بعد أنور السادات وحسين الشافعى ٠

وكان عبد الناصر قد عاد لممارسة عمله الطبيعى واستقبال الشخصيات السياسية ٠٠ وأول صورة ظهرت له كانت مع الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة الليبية يوم ٢٣ اكتوبر ١٩٦٩ ٠

وفى خطبته أمام مجلس الأمة تحدث جمال عبد الناصر لأول مرة عن (لجنة المواطنين من أجل المعركة) ، وقال وفى ذهنه تصاعد حرب

الاستنزاف (اذا كان العدو لا يملك أن يخسر معركة · فنحن لم نعد نملك أن نخسر معـركة) ·

وعقب عودة عبد الناصر من رحلته السرية الى موسكو التى قام بها يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ دعا الى مؤتمر قمة لدول المواجهة عقد فى القاهرة يوم ٨ فبراير ١٩٧٠ حضره جعفر نميرى أيضا ·· وتشكل الوفد المصرى من حسين الشافعى وعلى صبرى ·

ويوم ٢٦ ابريل ١٩٧٠ حدث تغيير جديد فى مواقع السلطة ·· تغيير فوجىء به أقرب الناس الى عبد الناصر ، فقد حدث تغيير وزارى عين فيه كل من حسن التهامى وسعد زايد وسامى شرف وزراء دولة ، كما عين محمد حسنين هيكل وزيرا للارشاد ·

وعين أيضا حافظ اسماعيل رئيسا لهيئة المخابرات العـامة بدلا من أمين هويدى الذى اقتصر عمله على وزارة الدولة ، وأصبح محمد فايق وزير دولة للشئون الخارجية ·

كانت هذه التغييرات تظهر اتجاها جديدا لصراع السلطة ·· محمد حسنين هيكل لم يكن راغبـــا فى منصب وزارى ·· وكان مكتفيا بدوره رئيسا لتحرير الأهرام وصديقا مقربا من رئيس الجمهورية ·· وعنـــدما حاول الاعتذار عن عدم القبول رفض جمال عبد الناصر ، وارتضى له أن يجمع بين المنصبين بصفة استثنائية ·

ولم يقف التغيير عند هذا الحد ·· عاد على صبرى الى موقع هام فى الاتحاد الاشتراكى ·· أنشئت فى نفس اليوم لجنة سادسة منبثقة عن اللجنة التنفيذية العليا هى (اللجنة الدائمة للشئون الخارجية) وانتدب على صبرى أمينا للجنة الجديدة ·· وبعد ذلك عين على صبرى فى منصب فريق بالقوات الجوية ·· ولكن حرص جمال عبد الناصر على أن يؤكد لمحمد فوزى أنه منصب شرفى ليست له أية أقدمية ، وأن يوجه نظره الى الحذر من ناحية مرور على صبرى على القوات الجوية ·

لعبة التوازن لا تحتمل السكوت الطويل ·· وعودة على صبرى مقلم الأظافر تشير الى أن له دورا ، ولكنه ليس دور البطولة ·· وربط هيـكل بالوزارة يضعف من قدرته على الحركة والمناورة ويضـعه تحت سلطة الرقابة الشعبية فى مجلس الأمة · وينهى فرصته فى نقد أجهزة الاعـلام الأمر الذى أطاح بمحمد فائق بعيدا عنها ·

وحدث خلال هذه الفترة أن ظهرت صراعات المماليك بصورة غريبة ·· فقد سجلت أجهزة الأمن حديثا دار فى شقة لطفى الخولى رئيس تحرير

(الطليعة) ونوال المحلاوى السكرتيرة الشخصية لهيكل والسيدة صاحبة النفوذ فى المؤسسة ، وهما يتبادلان مع بعض الأصدقاء حديثاً حول تعيين هيكل وزيرا ، يجمع بين نقد الأجزاء منسوجا ببعض السباب ·· واصدر عبد الناصر أوامره باعتقال لطفى وزوجته ونوال المحلاوى ·· واستمر الاعتقال عدة شهور ·

وكان ذلك الاجراء صدمة لهيكل ، واضعافا لمركزه ، فهو لم يستطع أن يفعل شيئا للمعتقلين وهم من أقرب الناس اليه ·· ولكنهم ضبطوا متلبسين بتهمة الهجوم على رئيس الجمهورية الذى يضم هيكل فى كنف حمايته ·

ولذا كان موقفه حرجا ·· وتدخله شديد الحساسية ·

ويتضح من ذلك أن جميع الأقوياء فى هذا الوقت لم تكن الأرض ثابتة تحت أقدامهم ·· فلم يكن أحد منهم يستمد سلطته الا من الزعيم الذى كثيرا ما كان يوجه لهم كلمات النقد سواء فى حضورهم أو غيابهم ·

هكذا كانت تبدو معركة الخطوط الخلفية ·· لم أشأ أن أدخل فى فرعياتها وجزئياتها وتفاصيلها ·· مكتفيا بتوضيح هذا القدر الذى يؤكد أن التجانس والتنسيق كان غائبا فى دائرة السلطة العليا ·

ولكن معركة الخطوط الخلفية لم تكن (صراع مماليك) فقط ·· فقد دفعت الهزيمة بالمعركة الى خارج حدود السلطة ، وأصبحت تعبر بصورة أكثر وضوحا عن (صراع طبقات) ظل هادئا أو مكبوتا خلال فترة ما قبل الهزيمة التى حفلت بتغيرات اجتماعية ملحوظة ·

كان صراع المماليك فى دائرة السلطة يعبر عن تناقضات وخلافات شخصية أكثر مما يعبر عن مواقف طبقية واجتماعية ·· كان الجميع ينتمون الى الطبقة نفسها التى ينتمى اليها جمال عبد الناصر (البرجوازية الصغيرة) ولكن مواقعهم فيها تختلف ·· البعض أكثر اقترابا للطبقة العاملة والفلاحين والبعض معبر عن مصالح طبقته خير تعبير ، والبعض يجذبه اغراء البرجوازية الكبيرة بكل ما تحفل به حياتها من بريق ·· ولكنهم فى النهاية أبناء طبقة واحدة ، تجمعهم رؤية واحدة ، قد تكون محدودة وضيقة عند البعض · وأكثر اتساعا وشمولا عند البعض الآخر ·

وقد وضحت هذه الظاهرة تماما فى المجالات القيادية للاتحاد الاشتراكى الذى كان يعتبر اكثر اجهزة السلطة تقدما ويسارية ·· فلم يكن بين اعضاء اللجنة التنفيذية العليا عامل او فلاح ·· ولم يحتفظ

بهذه النسبة فى المكاتب التنفيذية بالمحافظات وخاصة القاهرة والاسكندرية ـ رغم ذلك لا يعتبر مؤشرا فى ذاته على القدرة القيادية عند العامل أو الفلاح دون تأهيل ونضج سياسى ٠

لم يكن التحالف قائما على أساس الثقل والوزن الطبيعى للطبقات التى يمثلها المجتمع ٠٠ ولكنه كان تحالفا يتحرك بقبضة الطبقة الوسطى للسيطرة على بقية الطبقات ٠

ولذا فان الخلافات التى بدأت تظهر بين الشخصيات الكبيرة على مسرح الثورة لم تجذب الجماهير اليها ، ولم ينفعل بها أحد من المشاهدين كانت كل الشخصيات تتحرك من موقع السلطة دون اعتماد أو ارتباط مع الجماهير ٠

ولم يكن على صبرى مختلفا عن الآخرين ٠٠ فانه رغم تأثيره ونفوذه فى الاتحاد الاشتراكى وارتباط عدد من قادته به شخصيا ٠٠ الا أنه لم يكن شخصية جماهيرية ٠٠ ولذا فان الاجراء العنيف الذى اتخذ ضده فى سبتمبر ١٩٦٩ لم يحرك أحدا للدفاع عنه ٠٠ ونظر الناس اليه على أنه ضربة خاطئة تحت الحزام وجهت اليه فى مباراة للملاكمة ، سرعان ما ينفض ـ الناس عنها ويعودون الى بيوتهم ٠

ولكن معركة الخطوط الخلفية ٠٠ لم تكن محصورة فى حدود (صراع المماليك) ٠٠ كانت فى مضمونها الحقيقى معركة بين أنصار التقدم ٠ وبين المحافظين والرجعيين ٠٠ معركة فى داخل دائرة السلطة وخارجها ٠

وكانت الرجعية تتربص بالثورة المهزومة المثخنة بالجراح ٠ تعمل على أن تنزف دمها لتسقط منهية دورها التاريخى كما أرادت اسرائيل والامبريالية ٠٠ وكانت قوى اليسار والتقدم تناضل من أجل استمرار الثورة مع فصد دمها الفاسد ٠

وكان جمال عبد الناصر يمارس لعبة التوازن بمهارة ، بين مماليك السلطة ٠٠ وبين القوى الاجتماعية المختلفة ٠

وكان فى هذه الممارسة (سجينا لتاريخه) ٠٠ أى أنه لم يكن قادرا على التراجع بأهدافه الى حد اسقاطها منحازا لليمين ٠٠ بل ظل مدافعا عن أفكاره وعقائده مستلهما الظروف التى يمكن أن تنقذ ثورته ٠

وفى نفس الوقت لم يندفع جمال عبد الناصر الى اليسار ليصبح فيدل كاسترو آخر فى العالم الثالث ٠

لم يكن واقعه ٠٠ ولم تكن ظروف مصر تسمح بذلك ٠

حدثت الهزيمة فى مصر ٠٠ والأحزاب الشيوعية قد حلت نفسها وارتضت قيادة جمال عبد الناصر ٠٠ وبذلك غاب تأثيرها وضعف دورها فى الطبقة العاملة والطبقات الكادحة الأخرى ٠

لم يتوافر تنظيم ثورى مناضل ، يستطيع أن يجذب بقوته جمال عبد الناصر الذى كان يقف فى يسار طبقته ٠

وكان بعض أعضاء التنظيمات الشيوعية السابقة قد عينوا فى أماكن ومراكز هامة ٠ ولكنهم كانوا يتصرفون كأفراد دون انتماء ٠ يحسنون ويخطئون بلا حساب ٠٠ يتلمسون الثقة بهم من المسئولين وليس من الجماهير التى يتعاملون معها ، أو من التنظيمات التى سبق لهم أن ربطوا حياتهم بها ٠

ولم تحدث بعد الهزيمة معاودة نظر سريعة لقضية حل الأحزاب والتنظيمات الشيوعية ٠٠ بل استكان الكثيرون الى وضعهم الجديد ٠٠ لم يتضامنوا مع الذين أهملتهم السلطة ولم تعدهم الى أعمالهم ٠

كانت الثورة أكثر ميلا لاجتذاب الشيوعيين المثقفين منها الى اجتذاب الشيوعيين من العمال أو الفلاحين ٠

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا انه عندما كلف بصفته مسئولا عن الدعوة والفكر باختيار أساتذة معهد الدراسات الاشتراكية اختار عددا من الشيوعيين السابقين ٠ وعرض أسماءهم على جمال عبد الناصر ، قال له :

(اننى لا أعتبر التناقض بيننا وبين الماركسية تناقضا عدائيا ٠٠ واننى استعنت فى تحضير أفكار الميثاق بكتابات ماركس ولينين وستالين وماوتسى تونج ولاسكى وغيرهم) ٠

(اننى أعتقد أن التعاون معهم أولى من كسب عدائهم ٠٠ ورأيى أن نلمهم جميعا فهذا أفضل من أن نخسرهم) ٠

ورغم ذلك فقد بذل معظم هؤلاء ــ كل فى موقعه ــ غاية ما يملك من جهد لتغليب تيار اليسار والتقدم ٠٠ وتعاون بعضهم باخلاص مع عناصر السلطة اليساريين ٠

وأمكن خلال هذا التعاون تقليل الحساسية والصدام بين أفكار يوليو وبين الماركسية ٠٠ ولو أن أحدا لم يحاول وضع حل للمعادلة التي يمكن أن تجمع بين كل قوى اليسار والتقدم فى جبهة واحدة ٠

كان الحذر من الماركسية والماركسيين يكاد يستوى عند بعض

المسئولين بالحذر من الرجعية والاخوان المسلمين ·· وكلما تأزمت الأمور حول قضية أو قامت مظاهرات ، أسرعت أصابع الاتهام تشير للاتجاهين معـــا ·

ورغم كل التغييرات الاجتماعية التى قامت بها ثورة يوليو ، الا ان البرجوازية المصرية ظلت متأثرة ومرتبطة بنموذج الحيــاة الغربية · واستمرت الجامعات ترسل بعثاتها الى انجلترا والولايات المتحدة ، ويعود الخريجون متأثرين بالأفكار والاتجاهات الرأسمالية · فينشرون ذلك بين طلبتهـــا ·

وظل معظم أساتذة الجامعة من الناحية السياسية عنصرا من عناصر اعاقة التطور الفكرى ·· وكانت عيون الكثيرين منهم تنجذب الى جامعات الدول البترولية التى تغدق الأموال على الأساتذة ·

وعرفت مصر فى هذه الفترة هجرة بعض أبنائها الى الخارج ، بعد أن كان هذا أمرا نادر الحدوث فى مصر ·

كآبة الهزيمــة ، وصـعوبة الحياة ، وعـدم حدوث تغيير جـذرى حقيقى · يضع المجتمع على الطريق الصحيح للتقدم ·· كل ذلك دفع المثقفين الى الاتجاه للهجرة بصورة متزايدة ·

ومصر تؤثر وتتأثر بالوطن العربى ·· لها دور قيادى لا شك فيه ·

وكما فرضت الهزيمة ظروفا صعبة فى مصر ·· خلقت اتجـــاها واضحا نحو الأفكار الماركسية فى الحركات السياسية العربية ·

وحلت بعض الدول معادلة تعاون النظم الوطنية الديموقراطية ·· مع القوى الشيوعية · ونادى حزب البعث فى العراق بانشاء جبهـــة وطنية وقومية تقدمية ينضم اليها الحزب الشيوعى والحزب الديموقراطى الكردستانى ، واستمر فى ندائه حتى تحقق هدفه ·

وفى قوى المقاومة الفلسطينية نما الاتجاه الماركسى وأصبح عقيدة لعدد من المنظمات ، واعداد متزايدة من الشباب ·

ولكن هذا الاتجاه الجديد لم يؤثر كثيرا فى مصر ·· وغيبة الأحزاب والتنظيمات الشيوعية لم يفرض واقعا جديدا على النظام ·· والعناصر الماركسية استغرقتها مسئولياتها ولم يعد يربط بينها روح الانتماء ولا وحدة التنظيم ·

وجمال عبد الناصر ما زال هو الزعيم المؤهل لقيـــادة أى تغييــر اجتمـــاعى ·

وبعد أن قرر تحديد مواصفات العامل والفلاح بصورة أكثر واقعية أدت الى اعادة انتخاب مجلس الأمة ·· وافق مؤتمر الاتحاد الاشتراكى فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ على النزول بالحد الأقصى للملكية الى خمسين فدانا · مع اقرار قيام شركات عامة لادارة ٧٠٠ر٠٠٠ فدان وهو ما يؤدى الى ظهور بشائر المزارع الجماعية ·· كما اتخذ المؤتمر قرارا بأن تخصص دورته القادمة لقضايا التحول الاشتراكى ·

ولكن جمال عبد الناصر فى نفس هذا المؤتمر قاوم اتجاها لفكرة حرب التحرير الشعبية بدعوى نقص السلاح كما ذكرت سابقا ·· وكان عبد الناصر منطقيا مع نفسه وواقعه ·· فهو لم يكن هوشى منه ، ولم يكن الاتحاد الاشتراكى هو حزب العمل الفيتنامى ، ولم تكن هناك جبهة مثل جبهة تحرير فيتنام تضم كل القوى الوطنية بتضاريسها وقدراتها الطبيعية ·

كانت قدرات جمال عبد الناصر فى الخروج من طبقته والاندفاع الى اليسار مع الفلاحين والطبقة العاملة قدرات محدودة بطبيعته الشخصية والأسلوب الاوتوقراطى الذى اعتمد عليه حكمه ، وعدم توافر تنظيم سياسى ملتزم يمكن أن تتبلور الأفكار الجديدة فى صفوفه بطريقة ديموقراطية ·

ولم يكن مطلوبا من جمال عبد الناصر فى هذه المرحلة أن يتحول الى فيدل كاسترو جديد ·· ولكن كان مطلوبا منه أن يساند وينمى قوى التقدم صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ·

ولكنه ظل حبيس نظامه ، أسير الشخصيات التى فرضها ، يلعب لعبة التوازن ·· ويخشى أن يأخذ خطوة أكثر راديكالية الى اليسار ·

كانت فرصة تاريخية لنظام ثورة يوليو يمكن بها أن يتدعم وتمتد جذوره الى الطبقات الكادحة التى لو شعرت بالمشاركة الحقيقية فى النظام لنبتت منها طاقات هائلة ·

ولكن النظام ترك هذه الطبقات فى الظل ·· تعانى من الأمية والتخلف ولا يربطها بالنظم وبعبد الناصر شخصيا ·· سوى الأمل وما حصلت عليه من مكاسب نسبية ·

كانت فرصة عبد الناصر لبناء أساس صالح لقيام مجتمع اشتراكى موجودة وليست مستحيلة ·· ولكنه ترك التناقضات والحساسيات والصراعات مكبوتة وغير محلولة ·

وأصبحت الاشتراكية هى المشجب الذى تعلق عليه كل أخطاء النظام وهى بريئة ومفترى عليها ·· وأصبح المحافظون والرجعيون وعملاء

الامبريالية يصورون أن ما يحدث فى مصر هو ماركسية شيوعية ·· وهم يعرفون تماما أن الشيوعيين والماركسيين كانوا بعيدين تماما عن مـركز التأثير فى السلطة ولكنهم كانوا يقيمون سدودا أمام احتمالات انطـلاق القوى الكادحة من عمال وفلاحين للقيام بدور مؤثر فى النظام طالما أن اسرائيل ترفض السلام والمعركة الوطنية محتدمة ·

ويقول دكمجيان فى كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ان هناك خمسة أسباب حالت دون اختيار طريق أكثر يسارية وهى :

١ ــ القوة المستمرة للدين الاسلامى والأزهر ·

٢ ــ الفئوية (الوسطى) عموما للقوات المسلحة ·

٣ ــ الضعف النسبى لليسار المصرى مقارنا بالقـوات المسـلحة والمؤسسات الدينية ·

٤ ــ الرغبة فى حفظ العلاقات مع الولايات المتحدة لاحداث توازن مع النفوذ السـوفييتى المتزايد ، ولتكون وسيطا محتملا مع اسرائيل ·

٥ ــ الزعامة المركزة حول شخص عبد الناصر ·

ويقول (دكمجيان) انه ما كان يمكن لعبد الناصر أن يرسو بنجاح على مرفأ أكثر يسارية حتى لو أراد ذلك نتيجة للعوامل الثلاثة الأولى ·· وانه لذلك لعب دورا رئيسيا لمنع أى تطور يسارى معتقدا فيما يبـدو بقدرة الصيغة المعتدلة التى وضعها لليسار العربى القومى فى التغلب على مشكلات مصر مع اسرائيل ·

ومع ذلك لا يستبعد (دكمجيان) فى المستقبل اختيار عبد النـاصر لبرنامج ايديولوجى يسارى أو شيوعى مشـيرا الى أن ذلك يعتمد على أسلوب الولايات المتحدة واسرائيل فى معالجة المشكلة ·· والى أن تمزق الحركة الثورية العالمية قد يعطل تطور الشيوعية فى مصر ويضرب مثـلا بالخلاف الصينى السوفييتى ·

ويعتقد (دكمجيان) أن رفض اسرائيل للانسحاب من سيناء قـد يدفع القيادة فى حالة اليأس الى الابتعاد عن الطبقة الوسطى والسـياسة الاشتراكية المعتدلة ومحاولة بناء حركة يسارية ثورية مشابهة لحـركة فيديل كاسترو القائمة على الطبقة العاملة والفلاحين ، والتى تواءمت مع الدين والوطنية وهو ما يمكن أن يتم فى مصر أيضا ·

ولكن عبد الناصر لم يتحول الى كاسترو ·

الهـــزيمة لم تدفعـــه الى اليســـار تماما ٠٠ كما اعلن كاســترو الاشتراكية بعد وضوح المساندة الأمريكية فى الغزو الفاشل لمنطقة (خليج الخنـــازير) ٠

وعبد الناصر لم يحاول دعم وتقوية الأحزاب الشيوعية او العناصر الشيوعية التى تعاون معها وانما عمل على احتوائها ٠٠ اما كاسترو فقد تعاون تماما مع الحزب الشيوعى الكوبى حتى انتهى الأمر باندماج الحزب مع قوته الثورية فى تنظيم ماركسى واحد ٠

وعندما لم يتخذ عبد الناصر الموقف الذى تحدث عنه (دكمجيان) ، وراصل لعبة التوازن ، ظهر ذلك فى عدة مجالات هامة بصورة انحراف الى اليمين ٠

اولا : الاقتصاد

اخذت صيحات الدعوة لاقتصاد حرب تخفت يوما بعد يوم ، وارتفعت الدعوة لدعم القطاع الخاص ، وتشجيع رؤوس الأموال الأجنبية كما سبق أن اشرت ٠

ووضح ذلك فى المنهج الذى سار عليه حسن عباس زكى ومن بعده عبد العزيز حجازى فى وزارة (اساتذة الجـــامعة) التى شكلت بعـــد مظاهرات الطلبـــة ٠

وفى مقابل التسهيلات التى اعطيت للقطاع الخاص ، اعطيت علاوات لعمال القطاع العام ٠٠ لعبة التوازن مستمرة ٠

ثانيا : الثقافة

تعرضت الثقافة بعد الهزيمة لهزات مثيرة ٠٠ وكان وزيرها عندئذ هو الدكتور ثروت عكاشة الذى كان قد بدأ يعيد تنظيم الوزارة التى عـــاد اليها على اسس واقعية وعلمية ، ويختار لاجهزتها شخصيات تنال احترام المثقفين ٠

الأديب نجيب محفوظ رئيسا لمؤسسة السينما والدكتور عبد الرازق حسن عضوا منتدبا والدكتور على الراعى رئيسا لمؤسسة المســرح ، وسعد كامل مديرا للثقافة الجماهيرية والدكتورة سهير القلمـــاوى ثم محمود امين العالم رئيسا لمؤسسة النشر ، وحسن فؤاد مديرا للســينما التسجيلية ٠ والمستشار مصطفى درويش رقيبا على المصنفات الفنية ٠

وكانت وزارة الثقافة قد بدات تستعيد ثقة المثقفين بها ٠٠ وتمارس

دورا هاما فى حياة الجماهير ·· وقد أدى رؤساء الأجهزة دورا بارزا فى هـذا المجـال ، وبدت الوزارة تعمـل فى تناسـق وتوافق الاوركسترا السيمفونى ·

ولكن الهزيمة أحدثت اضطرابا ملحوظا فى مجال الوزارة ، أعاده البعض الى صـلة الصـداقة الوثيقة التى كانت تربط بين المشير عامر وصلاح نصر وبين ثروت عكاشه ·

ولكن محاكمة المؤامرة مضت ·· وثبت أن ثروت عكاشـه لم يكن ضالعا فيها واستمر فى منصبه ·

ثم جاءت انتخابات الاتحاد الاشتراكى (يونيو ١٩٦٨) التى أشرت اليها وسقط ثروت عكاشه فى دائرة قصر النيل وكان هذا دليلا على وجود تناقض بينه وبين على صبرى أو أجهزة الاتحاد الاشتراكى ·

وهو الأمر الذى دفع ثروت عكاشـة الى التخلى عن بعض الذين عملوا معه فى اخـلاص دون أى تفسير لهم ، معتقدا بذلك أنه نفسـه من ملاحقـات أجهزة الأمن وأجهزة الاتحـاد الاشتراكى التى كانت تحاول تصوير نشاط الوزارة وكأنه نشاط شيوعى كما قال لى ·

وأفصح ثروت عكاشه للمسئولين فى الوزارة عن رغبته فى أن تقدم اجهزتها أعمـالا ترفيهية ، وهو اتجـاه يرتبط مع فكرة تدليك اعصـاب الجماهير حتى تبعد عنهم مرارة الهزيمة ·

أقول بدأت هذه الاتجاهات التى تتعارض مـع القيم الثقافية التى يؤمن بهـا المثقفون الذين يتولون مسئولية أجهزة الوزارة ، تتحول الى اجراءات ايجابية عن طريق حصار هذه الشخصيات ثم ابعادها عن مواقع المسئولية ·

تولى عبد الحميد جوده السـحار رئاسـة هيئة السينما بـدلا من نجيب محفوظ ، ووضع عبد الرحمن الشرقاوى وسعد مكاوى ومحمـود توفيق ورأفت الخياط فى قفص لجنة القراءة بلامسئولية تقريبا ·

وتولى عبد المنعم الصاوى رئاسة هيئة المسرح بعد أن كانت العلاقات قد توترت بينه وبين ثروت عكاشه ، بعد عمل مشترك امتد طوال سنوات الثورة تقريبا سواء فى مجال الصحافة أو الثقافة ، وأحيل الدكتور على الراعى الى المعاش رغم عدم وصوله الى الخمسين ·

وأقيل سعد كامل من منصبه كمدير للثقافة الجماهيرية وهى الادارة التى أنشـأها بجهـده وعرقه وتعـاون المثقفين معه ، وامتدت أجهزتها

ومراكزها الى معظم المحافظات فأحدثت فيها نهضة ملحوظة ·· لم تقابل من بعض المحافظين بالتأييد ، وبادروا بالقاء تهمة الشيوعية على عدد من الشباب الذين تولوا ادارة هذه المراكز باخلاص شديد ، واستجابت وزارة الداخلية لهذا الاتجاه أيضا ·

وحوصر حسن فؤاد فى ادارة الأفلام التسجيلية حتى لم يجد سبيلا الا الفرار والعودة للصحافة ·

أما محمود أمين العالم فكان قد انتقل من المسرح الى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم ·

وحلت السيدة اعتدال ممتاز محل المستشار مصطفى درويش أكثر المثقفين خبرة بفن السينما ·

ويلاحظ ان معظم الشخصيات التى أبعدها ثروت عكاشه تتميز باحترام المثقفين ، والفكر المتفتح المتقدم ·· وأن العناصر البديلة لم تكن من ناحية الثقافة فى المستوى الذى يؤهلها لاحداث (ثورة ثقافية) كان المجتمع فى أشد الحاجة اليها خلال هذه المرحلة الحاسمة ·

ولقد بدأت نضارة الثقافة تذبل ، وتدفع البيروقراطية العناصر المبشرة والمتفتحة للهجرة من مواقعها ·· وفقدت وزارة الثقافة دورها الذى خلقت من أجله ·

عبرت هذه (الردة الثقافية) عن نفسها فى رفض كثير من الافلام والمسرحيات التى حاولت نقد الأوضاع من موقع الحرص على الثورة ·· ومنعت مسرحيات ليوسف ادريس وسعد الدين وهبه وعبد الرحمن الشرقاوى ·

·· وخلت خشبة المسرح من فرسانها ·

وبدأ الانحدار فى هيئة السينما واستمر ذلك حتى وصلت الى القاع

وهكذا كان التغيير فى وزارة الثقافة رجوعا الى الوراء · وانحرافا الى الترفيه والتفاهة · وتغليبا للعناصر الرجعيه والمحافظه ، واطفاء لنور كان مفروضا أن يضىء ظلام الهزيمة ·

ويرتبط هذا الموقف فى الثقافة بموقف آخر فى الاعلام والصحافة ·

ثالثا : الاعلام والصحافة

لم يكن اهتمام جمال عبد الناصر بتعيين التقدميين فى مواقع المسئولية الصحفية نابعا من فراغ ·· فانه كان يدرك ان الصحافة هى

المشعل الذى ينير الطريق والموجه الذى يحدث التغيير الحقيقى فى عقول الجمـــاهير ، والقاموس الـــذى يفسر اتجاهات الثـــورة ٠ وان المثقفين الاشتراكيين هم أقدر الناس على التعبير فى اخلاص عن رؤية الجماهير لحركة المجتمع ٠

ويمكن القـــول بأن تغييرات الصـــحافة كانت بمثابة (الترمومتر) الذى يظهـــر حقيقة اتجاهات الثورة ، وهى بذلك كانت أكثر تقـــدميه لسببين :

أولا ـ انها كانت مثل المدفعيه الثقيله التى تمهد للهجوم ، وثانيا ٠٠ انها كانت مرتبطة بالاتحاد الاشتراكى وهو أكثر أجهزة الدولة تقدما ويسارية ٠

والعودة الى احسان عبد القدوس رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم بدلا من محمود أمين العالم ، وكامل زهيرى بدلا من أحمد بهاء الدين فى ادارة روز اليوسف ـ رغم مطالبة بهاء المتكررة بترك روز اليوسف والتفرغ لدار الهلال ٠٠ كان دليلا على أن اندفاع الصحافة الى اليسار قد وصل غايته وأن موجة المد قد آلت الى انحسار ٠

هكذا كانت المعركة فى الخطوط الخلفية تتضمن صراعا بين اليمين واليســـار ٠

ولكن وجود جمال عبد الناصر فى قمـــة القيادة كان يعطى ضمانة نســـبية بأن كفة اليمين لن ترجح ٠٠ وأن هـــذه الاجراءات كانت بمثابة انتزاع بعض الثقل من كفة اليسار حتى تتعادل مع كفة اليمين ٠

وهو دليل على أن جمال عبد الناصر لم يشأ أن يدخل معركة اليمين واليسار منحازا بكل طاقته وزعامته وتأثيره الى جانب اليسار الحقيقى ، خشية ان تخرج الأمور من يديه ومن طبقته ، لتصـــل الى أيدى العمـــال والفـــلاحين ٠

ودليل ذلك أنه عندما زادت الغارات الاسرائيلية على الداخل ، وناقش الأمر مـــع قادة الاتحـــاد الســـوفييتى فى زيارته السرية فى يناير ١٩٧٠ لم يفكر فى نقل المعركة الى يد الشعب فى حرب تحرير شعبية ، وانما هدد بأن يسلم الســـلطة الى من يستطيع ان يتفاهم مـــع امريكا كما أوضحت تفصيلا فى الفصل السابق (المعركة فى الخطوط الأمامية) وهو يدرك أن أمريكا لن تجلب ســـلاما فى مصـــلحة الشـــعب ، وانهـــا فى نفس الوقت عاجزة وحدها عن فرض حل ترضاه الجماهير ٠

كانت هذه المعركة بين اليمين واليسار هى أبرز المعارك مضمونا فى

المجتمع المصرى ·· ولكنها كانت تدور فى صـمت ، تعلو عليه أصـوات (صراع المماليك) فى فلك السلطة ·

ولم يكن أحد ليستطيع ان يتنبأ بما يمكن ان يفرضه موقف اسرائيل على المنطقة من اتجاهات سياسية فيما لو رفضت الانسحاب ·· ساعدت المعركة كما كان يحدث فعلا ·

ولكن كانت هناك الى جانب معارك الخطوط الأمامية والخلفية ··· محاولات جادة للسلام ·

الباب الخامس

السلام ••• من فوهة البندقية

الحرب والسلام

● (الى المطبخ يا جولدا ٠٠ الى القاهرة يا جولدمان)

هتافات المتظاهرين فى اسرائيل

أبريل ١٩٧٠

(ان مسالة جولدمان أحدثت خلافات حادة فى الراى داخل الكنيست وفى داخل الاحزاب نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف الوزارى داخل الحكومة) ٠

وكالة الأنباء الفرنسية

١٨ ابريل ١٩٧٠

لم يكن القتال وعودة المعركة هدفا فى ذاته ، ولكنه كان عند جمال عبد الناصر وسيلة للوصول الى السلام العادل فى المنطقة ٠٠ فقد كان مقتنعا بأن ما أخذ بالقوة لابد وأن يسترد بالقوة ٠٠ ولذا ركز جهده وطاقته كما أوضحنا فى اعادة بناء القوات المسلحة ، والدخول بها فى معارك متصلة وصولا الى مركز قوة يتيح له فرض السلام ٠

لم يكن هناك من سبيل للوصول الى السلام فى مواجهة عدو منتصر تغمره الغطرسة والكبرياء ٠٠ الا القتال ٠٠ ولذا لم يتردد جمال عبدالناصر لحظة فى تصعيد المعركة تبعا للخطة ٠٠ ولكنه لم يتردد أيضا فى البحث عن وسائل ايجابية لتحقيق السلام ٠

اثبتت عودة المعركة أن الحرب لم تعد (حرب الأيام الستة) ولكنها

اصبحت حرب شهور وأعـوام مستمرة ٠٠ يتراشق الطرفان فيها بقنابل المدفعية والطائرات ، ويتبادلان الهجـوم الخاطف بالدوريات والعمليات الفدائية ٠٠ وتتربص القيادة المصرية اللحظة المناسبة للانقضـاض على العدو وتحرير الأرض ٠

دماء الشهداء لم تتوقف عن ري الأرض في سيناء ومنطقة القنال ٠ والبحر الاحمر ٠٠ وفي داخل مصر أيضا قبل وصول قوات الدفاع الجوى السوفييتية في أبريل ١٩٧٠ ٠٠ لم يكن يمضى يوم دون قتـال يسقط فيه الضحايا من ابناء القوات المسلحة ٠٠ ومن المدنيين الذين اسـهموا في اعداد الدفاعات والذين بلغ عدد شهدائهم حوالى ٤٠٠٠ شهيد ٠

ومـع ذلك لم يكن الموقف السـياسي العربي مريحا تماما لجمـال عبد الناصر ٠

كانت ثورة ١٧ يوليو ٦٨ في العراق تأخذ موقفا متشددا ، وكانت المظاهرات كثيرا ما تجتاح بغداد مطالبة بالقتال ورفض محاولات التسوية السياسية ٠٠ وقد سرب جمال عبد الناصر الى الصحافة خطابا أرسله الى أحمد حسن البكر يقول فيه ان توحيد الجهد في قتال الاسرائيليين أفضل من اطلاق المظاهرات في الشوارع ٠

وكانت سوريا التى رفضت قرار مجلس الأمن ، ورفضت حضـور مؤتمر الخرطوم تأخذ نفس النهج تقريبا ٠ الأمر الذى دفع جمال عبدالناصر الى مواجهة نور الدين الاتاسي بذلك عند مقابلته له في ليبيا أثناء حضور الزعماء العرب لحفل جلاء الأمريكيين عن قاعدة (هويلس أو عقبة بن نافع) ومصارحته بأنه يشعر أن موقف الحكم في سوريا يشكل نوعا من نكران الفضل والجميل ٠٠ وذلك حسب ماجاء في كتاب ناتنج (ناصر) ٠

كمـا ان الجزائر واصلت سياستها المبدئية الرافضة أصـلا لوقف اطلاق النـار ٠

ولكن جمال عبد الناصر وجد انه يمكن ان يحضر مؤتمرا للقمة بعد نجاح الحركة العسكرية في السودان وليبيا ، وبعد نجاح الحركة العسكرية التى قادها محمد سياد برى في الصومال وأيدها جمال عبد الناصر في ١٩ اكتوبر ١٩٦٩ ، وبعد جلاء القوات البريطانية عن اليمن الجنوبية ٠٠ وبعد زيادة توثق العلاقات بينه وبين المقاومة الفلسطينية عقب تدخله في الأزمة اللبنانية فور شفائه من الأزمة القلبية التى تعرض لها ، الأمر الذى انتهى الى عقد ما عـرف باسـم (اتفاقية القاهرة) في ٢ نوفمبر ١٩٦٩ والتى وقعها ياسر عرفات ورئيس أركان حرب الجيش اللبناني ٠

ذهب عبد الناصر الى الرباط بعد أن اسقطت قوات الدفاع الجوى المصرية أول طائرة فانتوم اسرائيلية يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ من الطائرات التى سلمت لاسرائيل فى سبتمبر من نفس العام ·· ذهب وفى قبضة مصر أيضا عدد من الاسرى الاسرائيليين ·

ولذا وقف جمال عبد الناصر فى مؤتمر الرباط موقفا حازما من الذين كانوا يعارضون التسوية السلمية ، بينما قواتهم المسلحة لاتشترك فى القتال ·

سألهم ـ حسب ماورد فى كتاب انطونى ناتنج (ناصر) ـ عما اذا كانت عندهم خطط محددة للحرب ضد اسرائيل ·· وعما اذا كانت معارضتهم لقرارات الأمم المتحدة بصورة مطلقة سوف تؤدى الى استراتيجية بديلة تخرج اسرائيل من الارض المحتلة ·

وتساءل أيضا ··

هل ستقوم الجزائر مثلا بدعم قدرة الضربة الجوية الرئيسية ؟

وكم عدد القوات التى ستشترك بها سوريا والعراق فى المعركة ؟

وهل سيهاجمون من سوريا فقط ، أم ان هناك خططا للهجوم من الارض الأردنية ؟

ماهو الدور الذى رسم لتؤديه مصر ؟

ومن الذى سيدفع المال ·· ومن أين سيحصلون على الأسلحة لشن الحرب ضد العدو ؟ ·

كل هذه الأسئلة وغيرها أثارها جمال عبد الناصر طالبا عنها اجابة وافية قبل مطالبته بالابتعاد عن طريق البحث فى عقد تسوية سلمية ·

يبدو أن جمال عبد الناصر كان يريد ان تزداد استراتيجية مصر وضوحا ·· وهى الجمع بين القتال فى أشد صوره ، والبحث عن السلام فى شتى طرقه ·· واشعار الجميع بأنه ما لم يتوافر للعرب خطط بديلة ، قادرون على تنفيذها لتحرير الارض ، فان الأمر يدخل عندئذ فى باب المزايدة وعدم تقدير الأمر الواقع ، وتجاهل كل فرص الوصول الى تسوية ·

قال لى الفريق أول محمد فوزى الذى كان قد قرأ تقريرا امام قادة دول المواجهة فى بداية سبتمبر ١٩٦٩ يؤكد فيه الثقه فى قدرة مصر على الحرب التحريرية خلال ١٨ شهرا ان جمال عبد الناصر لم يشأ أن يفصح عن أسرار خططه القتالية حرصا على السرية الضرورية ·

ومن الجانب الآخر كانت تساور بعض القادة العرب الثوريين شكوك حول أسلوب النظام المصرى فى مواجهة الهزيمة ٠

كانت بعض الاحداث المثيرة تخلق شعورا بالشك فى قدرة القوات المصرية المسلحة ٠٠ مثل حادث الزعفرانه وشدوان وضرب قناطر نجع حمادى وغيرها ٠٠ كما ان عدم المعرفة الكاملة بتطورات الخطة المصرية كان يخلق نوعا من الغموض فى العلاقات ٠

واذا كان جمال عبد الناصر لم يشأ ان يفصح عن اسرار خططه القتالية فانه لم يشأ ان يفصح أيضا عن أسرار خططه السلامية ٠

كان مؤمنا بالسرية فى حركته سواء فى الحرب أو السلام ٠٠ تماما كما اعتمد على السرية المطلقة فى اعداد حركة يوليو ١٩٥٢ العسكرية ، وفى تأميم القناة ١٩٥٦ ، وفى اعلان قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية ٠

غادر جمال عبد الناصر مؤتمر الرباط تلاحقه بعض الشكوك وعلامات الاستفهام ٠

قال الفريق صالح مهدى عماش انه غادر بغداد بالطائرة الى القاهرة ، ودخل الاجواء المصرية دون تبليغ ، وأن أحدا لم يعترضه فى الجو ، ولم تطلق على طائرته طلقة انذار الى أن اقترب من القاهرة وأبلغ عن وصول طائرته ٠ وقد زرع ذلك فى نفسه شكوكا عميقة فى قدرة الدفاع الجوى المصرى ، وفى اتجاه جمال عبد الناصر للتسوية السياسية ٠

ذهب جمال عبد الناصر الى طرابلس حيث اجتمع مع القذافى ونميرى وهناك تم التوقيع على ماعرف باسم (ميثاق طرابلس) والذى يضمن لمصر عمقا استراتيجيا فى الغرب والجنوب ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان طائرات T.U. 16 البعيدة المدى كانت فى الجزائر وفى قاعدة العضم بليبيا ، وأن ميناء طبرق فتح أبوابه للبحرية المصرية ٠٠ كما انها تواجدت أيضا فى مطار وادى سيدنا شمال الخرطوم وهو مطار يخرج عن آخر مدى للفانتوم ٠

ويقول أيضا ان طائرات أخرى حديثة ـ ميج ٢٥ ـ كان لها دور فى الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، ولكنها كانت تقبع فى الاتحاد السوفييتى ، على أن تكون فى الاجواء المصرية بعد ٦ ساعات فقط من اشارة استدعائها للمعركة ٠

كان جمال عبد الناصر مهتما بتحسين العلاقات مع السودان وليبيا ،

تأمينا لحركتهما العسكرية ، وضمانا لأمنه الاستراتيجى ٠٠ ولــذا زار السـودان أيضـا بعد أيـام فى أول يناير ١٩٧٠ للاحتفال معهم بعيد الاستقلال ٠

كان جمال عبد الناصر يبحث عن السلام ٠٠ من فوهة البندقية ٠

ولذا لايمكن اضفاء شبهة الضعف أو التهاون على محاولات جمـال عبد الناصر السلمية ، للوصول الى تسوية سياسية ٠٠ بل انها يمكن ان تعتبر رصيدا لصقل شخصيته كرجل دولة مسئول ٠

اتصالات ٠٠ من أجل السلام

لايمكن القول بأن هناك اتصالا واحدا من أجل التسوية السياسية والسـلام ٠٠

ويؤكد ذلك أيضا مانشره النائب علوى حافظ من اتصالات قام بها مع الأمريكيين خلال شخصية هندية الاصل كانت تعمل لحساب المخابرات المركزية الأمريكية ٠٠ وهى اتصالات لايمكن أن تتم الا بمعرفة جمـال عبد الناصر شخصيا ٠٠ ورغم انها لم تنته الى شىء لصالح مصر الا انها أثبتت اليقين فى أن أمريكا ليست مخلصة فى تحقيق سلام عادل ، ويمكن الاطلاع على تفاصيل هذه الصلات فى كتاب نشره علوى حافظ حول هذا الموضـوع ٠

وقد نشطت اتصالات الأمريكيين فى الاتصـال بمصر بعد الهزيمة محـاولة من حكومتها فى تجسيد فكرة ان الولايات المتحـدة هى الدولة الوحيدة القادرة على فرض السلام عن طريق الضغط على اسرائيل ٠

ولم تقتصر محاولات الاتصال على صلاح نصر او علوى حافظ وانما وصل الى القاهرة أيضا المالى الأمريكى المعروف اندرسون بوصفه ممثلا شخصيا للرئيس الأمريكى جونسون ، وعقد مقابلة مع جمال عبد الناصر صدر بعدها قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ٠

كما انها لم تقتصر على المصريين فقط ٠

حاول بعض الزعماء من أصـدقاء مصر وعبد الناصر ان يسهموا بدور فى اقرار السلام بالمنطقة ٠٠ أرسل شاوشيسكو سكرتير الحـزب الشيوعى الرومانى نائب وزير الخارجية جورجيو ماكونسكو للاتصـال بعبد الناصر فى يونيو ١٩٦٨ ، بعد ان أمضى جدعون رافائيل أحد كبار المسئولين فى وزارة الخارجية الاسرائيلية فترة فى بوخارست لمحـاولة اقامة اتصالات مع القاهرة سواء سرية أو علنية ٠٠ وكانت رومانيا هى

الدولة الاشــتراكية الوحيدة التى احتفظت بالعلاقات الدبلوماسية مــع اسرائيل ٠

ولم يرفض جمـال عبد الناصر العرض وانمـا طلب من المسئول الرومانى أن يعود ومعه خريطة يوضح عليها الحدود التى تبغى اسرائيل أن يقوم السلام عليها ٠

وسافر المسئول الرومانى ولم يعد ٠٠ فلم يكن هناك رد من الحكومة الاسرائيلية ٠

وكذلك فعل عبد الناصر مــع هيلاسلاسى عندما حاول التدخل فى القضية خــلال يونيو ١٩٦٩ قبيل زيارة أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل لاديس ابابا فقد طلب من الامبراطور أن يناقش الأمر مع ايبان ويحصــل منه على خريطة بالحدود التى تتصورها اسرائيل ٠٠ ولم يصل الجواب أيضــا ٠

وأبلغ الملك حسين جمال عبد الناصر أنه تلقى رسالة من ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل عن طريق يارنج وسيط الأمم المتحدة ولكنه رفضها٠ وقال الملك انه يعتقد ان يارنج واقع تحت ضغط اسرائيلى يوجهه نحــو تواجد مندوبين سريين للدول العربية لمقابلة مندوب اسرائيلى فى حضور يارنج ٠

كانت اسرائيل تصرح علنا بأنه لابــد من مفاوضــات مباشرة بين الطرفين ٠ وكانت تمهد لذلك بفكرة الاجتماعات السرية ٠٠ التى رفضها العرب جميعا باعتبار أن مبدأ المفاوضة يعنى قبول الهزيمة أمرا واقعا يذعن له العرب بالجلوس مع المنتصرين على مائدة واحدة ٠

كان هذا المبدأ الذى اتفق عليه فى الخرطوم مازال ساريا ومؤكدا ، والشائعات التى لاحقت الملك حسين من انه قد عقد اجتماعات سرية فى هذه الفترة مع بعض المسئولين الاسرائيليين لم تثبت صحتها ٠٠ وكان الملك يقوم بدور الوسيط ليس بين الدول العربية واسرائيل ، وانما بين القاهرة والرياض حيث بقيت العلاقات باردة بعد مؤتمر الخرطوم الى أن زار الملك فيصل القاهرة أثناء ذهابه الى مؤتمر الرباط (ديسمبر ١٩٦٨) ٠٠ وكان الملك قد أخذ موافقة مؤتمر القمة بالخرطوم على ان يبذل كــل جهده وصلاته مع الغرب لمحاولة تحرير الضفة الغربية دون حرج ٠

ولكن صلات الملك حسين مع الغرب لم تثمر ٠

ومحاولات الأمريكيين مع القاهرة لم تقدم شيئا نافعا يغير من طبيعة دورهـا ٠

ووساطات اسرائيل لعقد اجتماعات سرية مع مندوبى الدول العربية كانت تمضى فى طريق مسدود ٠

اتصالات شعبية ٠٠ من أجل السلام

لم تتوقف اتصالات السلام عند الحدود الرسمية الحكومية ، وانما انطلقت الى مجال جديد ، هو مجال الاتصالات الشعبية داخل اسرائيل ٠ والتى كان الهدف منها هو تشكيل قوة ضاغطة ضد الحكومة الاسرائيلية التى كانت ترفض الانسحاب من الارض المحتلة ثمنا لاسرائيل ٠

وقد شاءت الظروف ان أكون طرفا فى هذه الاتصالات مفوضا من جمال عبد الناصر ٠

بدأ ذلك عقب زيارة الى فرنسا فى مايو ١٩٦٩ التقيت فيها بعدد من اليهود المصريين الذين أخرجوا من مصر بتهمة الشيوعية ، وفى مقدمتهم هنرى كورييل ٠

كان التحليل السائد حتى هذه اللحظة ان سكان اسرائيل يشكلون مجموعة متماسكة موحدة غير قابلة للانقسام فيما يختص بأهدافها أو أغراضها ٠٠ وهو تحليل خاطىء لانه ينكر وجود تناقضات رئيسية وفرعية داخل المجتمع الاسرائيلى :

كان الموقف العربى الذى دام سنوات طويلة يعتبر (سلبيا) لانه ينكر وجود اسرائيل وحقوق سكانها ، بل ورفض أى صلة مع أى شخص ينتمى الى هـذه الدولة حتى اذا كان معارضـا معروفا لسياسـة الحـكومة الاسرائيلية ومناصرا للمواقف العربية ٠

وفى كافة المؤتمرات الدولية ، كان (حضور) المندوب الاسرائيلى يفرض (انسـحاب) المندوب العربى تماما أو مطالبته باخـراج مندوب اسرائيل ٠

وكان هـذا الموقف يتجاهل تماما التناقضـات التى تهز المجتمع الاسرائيلى وتقوم بين اليهـود الشرقيين (سـفرديم) واليهـود الغربيين (اشكنازى) ، والتى تقوم أيضـا بين العرب واليهود حاملى الجنسـية الاسرائيلية ، وبين الاحزاب الدنية ـ الماباى والمابام ـ والاحزاب الدينية، وبين جبهة أنصار السلام التى تزداد اتساعا وتطالب بالانسحاب ثمنـا للسلام ٠٠ وبين الحكومة التى تنتهج سياسة توسعية معادية للسلام ٠٠ وأخيرا بين الاحزاب التقدمية وفى مقدمتها الحزب الشيوعى (راكاح)

الذى يتبنى سياسة مؤيدة للحق العربى ، وبين الاحزاب ألأخرى التى تتبنى سياسة صهيونية مغامرة ورجعية ٠

هـذه التناقضات ـ رئيسية أو فرعيـة ـ لم تكن موضـع اهتمام السياسة العربية ، ولم تأخذ حيزا مناسبا فى مجال الدعاية العربية ٠٠ ولذا فانه بعد مناقشات طويلة فى فرنسا تبينت انه يمكن للسياسة التى تستهدف السلام أن تلعب دورا مؤثرا داخـل اسرائيل لاجتذاب العناصر الديموقراطية والسلامية داخلها ، وانه يمكن لهذه العناصر بالتالى ان تلعب دورا مؤثرا فى الحيـاة السياسية والاعـلامية الاسرائيلية لتغيير العقيدة التى رسختها القوى الصهيونية بأن العرب يطلبون تدمير اسرائيل وهدم كيانها ووجودها ٠

وعندما عدت الى القاهرة خاطبت جمال عبد الناصر بهذا الرأى ، وأوضحت له انه يمكن خلال الاتصال بالعناصر المصرية الاصل فى باريس أن تلعب دورا ايجابيا مناصرا للسلام العادل ، داخل اسرائيل ٠

لم يتردد جمال عبد الناصر فى الموافقة على بدء هـذه الاتصالات متابعا سياسة (السلام من فوهة البندقية) فقد اقترنت هذه المرحلة بحرب الاسـتنزاف التى قال لى بعض من اتصلت بهم انهـا كانت تعنى كارثه للامهات اللاتى يذهب أولادهن لجبهة سيناء ٠

والتقيت خـلال الزمـلاء المصريين مـع أمنون كابليوك ـ الكاتب الصحفى المعروف عضو حزب المابام ومراسل الموند فى اسرائيل ـ وناتان يالين مور مؤسس جماعة (شتيرن) التى اغتال أعضـاؤها الولرد موين عـام ١٩٤٦ فى القاهرة ثم تحـول مـع الوقت ليصبح معاديا للارهاب ونصيرا للسلام ، والكاتب والأديب الاسرائيلى المشهور عاموس كينان ، رشالوم كوهين نائب الكنيست عن جماعة (القوات الجديدة) التى كان يرأسها (يورى افنيرى) عضو الكنيست أيضا ، ورئيس تحرير صحيفة (هاعولام هوزيه) ومؤلف كتاب (اسرائيل بلا صهيونية) ٠٠ هذا الى جانب عناصر قيادية من حزب راكاح ٠

كانت هذه الاجتماعات تأخذ طابع البحث الجاد فى طريق الوصول الى السلام العادل ٠٠ وكانت فرصة مفيدة لتوضيح استراتيجية جمـال عبد الناصر التى أصبحت محل اقتناعهم تماما بأهدافها السـلامية التى تقـوم على أسـاس قرار مجلس الأمن الذى يعترف فى مضمونه بوجود اسرائيل ٠

تكررت هذه الاجتماعات وتعددت حتى كسرت تماما حاجز الشك من ناحيـة السياسـة المصرية فى نفوس العناصر التقدمية اليهودية داخـل

اسرائيل · وبدأ تحول واضح فى أسلوب الكتابة ·· بل وفى أسلوب تجمع العناصر الديموقراطية داخل اسرائيل ·

وأصبح لسياسة مصر أنصار داخل اسرائيل ·

ولكن هذا لايعنى ان السـلام قد أصبح فى متناول اليد ·· ولكنه تحول من سراب الى هدف يزداد الاقتراب منه يوما بعد يوم ·

وقد دشن جمال عبد الناصر هذه الاتصالات ، ومنحها دفعة سياسية قوية ـ وهى التى ظلت مغلفة بالسرية الضرورية ـ بحديثه لأول مرة فى عيد العمال أول مايو ١٩٧٠ بشبرا الخيمة عندما ذكر دور العناصر أنصار السلام داخل اسرائيل ·

كانت هذه هى أول مرة فى تاريخ السياسة العربية بعد قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، يتحدث فيها زعيم عربى ·· بل أعظم زعماء المرحلة ·· عن العناصر المعارضة لسياسة الحكومة الصهيونية التوسعية ويشيد بدورها · ويثبت بذلك ان النظرة العربية السابقة الى اسرائيل ككيان موحد متماسك قد تغيرت ·

وقد وصلت هذه الاتصالات الى الحد الذى دفع ناتان يالين مور الى نشر حديث مع كاتب هذه السطور يوم ٣ مايو ١٩٧١ فى صحيفة (هاآرتس) اليومية ، ومجلة (اكتواليتيه) الفرنسية ، وقد أعادت نشره جريدة الاتحاد العربية التى تصدر عن حزب (راكاح) فى حيفا ، اتاح لى فيه فرصـة تفسير الموقف المصرى للمواطنين العرب واليهود داخل اسرائيل ، وادانة موقف حكام اسرائيل ·· وكان هذا أول حديث مع مصرى ةنشر فى الصحف الاسرائيلية ·

كان جمـال عبد الناصر يتابع خطـوات الاتصـال ، ويدخلها فى حساباته السياسية ، تماما مثل لاعب الشطرنج الذى يحسن استخدام كل القطع ، مستخدما المبدأ العسكرى (استغلال النجاح) ·

قضية جولدمان :

وتصادف أن انتقل موضوع هذه المقابلات الى مجال جديد لم أخطط له ، وانما جاء مصادفه وبمبادرة خاصة ·

ابلغنى الزميل الكاتب الصحفى ايريك رولو مسئول قسـم الشرق الأوسط بصحيفة (لوموند) الفرنسية ان ناحوم جولدمان يتبنى افكارا تتعارض مع سياسـة الحكومة الاسرائيلية ، وتلتقى مـع افكار جمـال عبد الناصر السلامية ·· وانه قد تلقى دعـوة لزيارة مصر عن طـريق

الماريشال تيتو ، وانه عندما علم بوجودى فى باريس ، وبالدور الذى اقوم به ، طلب مقابلتى ·

ولم يكن فى ذهنى أن ألتقى مع مثل هـذه الشـخصية الصهيونية الكبيرة التى ترأس (المجلس اليهودى العالمى) ، ولكنى عندما علمت أن هناك دعوة موجهه له لزيارة مصر لم أتردد فى مقابلته ·· واجتمعنا فى منزل ايريك رولو المطل على (البانثيون) مقبرة العظماء فى باريس ·

وجولدمان شخصية عالمية معروفة له صداقات مع عـدد كبير من زعماء العالم ، تجاوز السبعين ولكنه يمتلك صحة جيدة وحديثا فيه مرح الشباب وقدرا وفيرا من المعلومات ·

كتب هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) يقول ان ناحوم جولدمان حاول الاتصال بعبد الناصر عن طريق تيتو ، ولكنه بعد تبادل خطابين بين جولدمان والماريشال بدأ واضحا أن الأمر لايؤدى الى شىء ما ·

ولكن جولدمان كان قد بدأ يدرك الاخطار التى تتعرض لها اسرائيل نتيجة عناد سياسة حكومة جولدا مائير ·

قال لى انه أثناء محادثة تليفونية مع بنحاس سابير وزير الخزانة الاسرائيلى يسأله فيها عن زوجته المريضة بالسرطان قال له سابير : ان حالة زوجته ميئوس منها تماما مثل حالة الدولة الاسرائيلية ·

وأوضح لى ان عنده اقتراحات لتحريك القضية ودفعها نحو السلام ، بدلا من انفجار حربى قد يعرض الطرفين لاخطار شديدة ، ويزيد المرارة بينهمـا ·· وانه يوجد داخـل الدوائر الحاكمة الاسرائيلية عناصر تؤيد موقعه وتسانده ·· وطلب منى ان أحمل هـذه الرسالة الى عبد الناصر حتى يقرب ذلك من موعد زيارته المحتملة ·

واعتقدت ان الدعوة تمضى فى طريقها خلال وساطة تيتو ·· وان دورى لن يتعدى شرح وجهة نظره الى جمال عبد الناصر ·

وكانت هذه المقابلة ليلة سفره الى تل أبيب ·· ويبدو انها شجعته على مصارحة جولدا مائير بأن عنده دعوة لمقابلة عبد الناصر ·

ثارت جولدا مائير ، ورفضت ان تصرح له بقبول الدعوة ·· وقامت بين الاثنين ـ وهما من الرعيل الأول للصهاينة ـ مشادة انتهت الى حد التهديد بالتنازل عن جواز سفره الاسرائيلى وهو يحمل اربعة جوازات سفر (أمريكى وبريطانى وسويسرى واسرائيلى) ·

وعندما وصل الأمر الى أجهزة الاعلام تفجرت التناقضات داخـل اسرائيل فجـاة ، ونشرت الصـحف ان جولدمان قد صرح بأنه قد التقى

بمندوب مصرى فى باريس حمل له دعوة من جمال عبد الناصر ٠٠ وكان ذلك يوم عودتى من باريس الى القاهرة ، وقد فوجئت بذلك عندما طالعت الصحف الفرنسية ٠ وتخيلت التأثير المفاجىء لذلك على نفسية جمال عبد الناصر ٠

ولذا أسرعت فور عودتى بكتابة خطاب الى عبد الناصر شرحت له فيه ظروف المقابلة وما دار فيها ٠٠ وتلقيت فى المساء مكالمة تليفونية من صديق فى مركز السلطة يتساءل فى دهشة عن الأسباب التى دفعتنى لمثل هذا اللقاء ، وما قد يجلبه ذلك على من متاعب ٠

تصادف أن كان صديقى الشهيد عبد الخالق محجوب موجودا فى القاهرة بعد ابعاد جعفر نميرى له هو وصادق المهدى ٠ فاستمحت لنفسى أن أكسر حصار السرية التى تفرضها مثل هذه المقابلات على الانسان ، وصارحته بما حدث ، وبمكالمة الصديق وما يتوقعه من متاعب ٠٠ ولكن عبد الخالق كانت له وجهة نظر مختلفة ، وهى انه طالما ان جولدمان ينهج سياسة سلامية معادية للحكومة الاسرائيلية فان جمال عبد الناصر لن يقيم سدا فى هذا الطريق ، ولن يمنع أحدا من السير فيه ٠

وكانت خلافات جولدا مائير وناحوم جولدمان قد أثارت عاصفة حقيقية داخل اسرائيل وعبرت عنها صحيفة (الاهرام) بما نشرته صباح ١٨ ابريل ١٩٧٠ عندما قالت :

فجرت (حكاية جولدمان) والدعوة المزعومة التى قيل انه تلقاها لزيارة القاهرة خلافات عميقة داخل المجتمع الاسرائيلى وكشفت عن القشرة الدقيقة التى تغطى التمزق داخل الائتلاف فى حزب العمال وفى الحكومة وفى الحركة الصهيونية عموما ٠

وقالت عن وكالة الانباء الفرنسية (ان مسألة جولدمان أحدثت خلافات حادة فى الرأى داخل الكنيست وفى داخل الاحزاب نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف الوزارى داخل الحكومة ومن أبرز مظاهر هذا الخلاف :

١ ـ ان مجموعات من (العسكريين) والطلبة تظاهروا أمس أمام مبنى الوزارة وهم يحملون لافتات تؤيد جولدمان وتعارض مائير قائلة (الى المطبخ يا جولدا ٠٠ الى القاهرة يا جولدمان) ٠

٢ ـ الصحف تنقد الحكومة لانها أساءت معالجة الأزمة ٠

٣ ـ طالب بعض النواب بمناقشة الموضوع فى البرلمان ٠

٤ ـ جولدا دعت اللجنة المركزية لحزب العمل ٠

وذكرت يونيتدبريس (ان جلسة الكنيست كانت عاصفة وتبودلت فيها الاتهامات الى حد السباب ، وبادرت الحكومة الى اغلاق الباب على القضية) ٠

وكانت الحكومة قد هاجمت جولدمان لانه (أثار دراما كبيرة حول موضوع لا أساس له) ٠

كما ان أبا ايبان وزير الخارجية قال (انها فقاعة صابون كبيرة) ٠

وأخيرا صرح جولدمان بأنه (لم يتلق دعــوة وان كانت هنــاك اقتراحات بذلك) ٠

واكتملت القضية أو كادت عندما وصلت الى القاهرة برقية لوكالة الانباء الفرنسية تقول :

صحيفة اسرائيلية تتحدث عن مسألة الوسيط المصرى ٠

تل أبيب فى ٨ ابريل ٠٠ قالت صحيفة هاآرتس الاسرائيلية المستقلة ان الوسيط المصرى الذى قال الدكتور ناحوم جولدمان انه قابله فى باريس هو أحمــد حمروش رئيس التحرير الحــالى لمجلة روزاليوسف المصرية الاسبوعية الهامة ٠

وأضافت الصحيفة تقول ان أحمد حمروش يعتبر من الايديولوجيين المقربين من موسكو وأنه قام عدة مرات بزيارة الاتحاد السوفييتى ٠

وقالت صحيفة هاآرتس انه على الرغم من أن أحمد حمروش ليس مقــربا من الرئيس عبد الناصر مثــل محمد حسنين هيكل رئيس تحرير (الاهرام) فان الرئيس المصرى لم يكن ليعهد اليه برئاسة تحرير مثل هذه المجلة الاسبوعية لو لم يكن يقدره تقديرا كبيرا) ٠

وبقيت أنتظر ردود الفعل فى القاهرة ٠٠ وأحدث نفسى عما يمكن أن يقــوم به عبد الناصر فى معالجة الموضوع ٠٠ الى أن تلقيت مكالمــة تليفونية من الزميل أمين هويدى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يدعونى فيها الى مكتبه برئاسة مجلس الوزراء ٠٠ وما أن دخلت حتى قدم لى الخطاب الذى رفعته الى جمال عبد الناصر وعليه هذه التأشيرة (حمروش ٠٠ لمواصلة الاتصال بجولدمان ومحاولة أن يكون صديقا له) ٠

وهدأت أنفاسى ، وأدركت ان جمال عبد الناصر يتصرف بأسلوب

رجـل الدولة المسئول ، وأن ظروف مابعـد الهزيمة قد صقلت تجربته وخبرته ، وأنه فى حرصه على السلام العادل يسلك السبيل السليم ٠

وطلب منى أمين هويدى أن أستعد للسفر الى باريس لمقابلة جولدمان بناء على تعليمات عبد الناصر فقد كان مفروضـا ان يعـود من تل أبيب اليها فى اليوم التالى ٠

وهكذا بدأت قضية جولدمان ٠٠ وتعددت مقابلاتى معه فى منزله بباريس أو فى منزل ايريك لو ٠٠ وكان مصدرا من أهم المصادر الزاخرة بالمعلومات ٠ فكيسنجر ـ حسب قوله ـ هو ابن المربية التى كانت تشرف على بيت أسرة ناحوم جولدمان ٠

ولم يعلم بهـذه الصلة من المصريين غير الذين تتيح لهم مراكزهم فرصة معرفة مثل هذه الأمور سوى الزميل الكاتب الصحفى سعد كامل الذى وافق جمال عبد الناصر على تعريفه بما يدور ٠ لأهمية الدور الذى يمكن ان يؤديه حيث كان قد قرر الاقامة فى باريس عدة شهور للدراسـة والمراسلة الصحفية ٠٠ وهو صديق أيضا للمجموعة التى بدأت صلتى معها من اليهود المصريين فى فرنسا ٠٠

والاتصـال بناحوم جولدمان وهو مالى كبير ٠٠ مع الاتصـال بالتقدميين داخل اسرائيل كان يجمع فى نفس الوقت بين عناصر مختلفة سياسيا ولكنها متفقة فى النظرة الى ضرورة وأهميـة العمل من أجـل السلام ٠٠ وهو ما كان يتفق مع أهداف جمال عبد الناصر ٠

كتب ناحوم جولدمان خلال فترة اتصالى به ثلاث مقالات نشرت فى صحيفة الموند بتاريخ ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ مايو ١٩٧٠ بدأها بقوله :

(لم أكن أعتقد حتى بعد الانتصار السـاحق فى حرب الأيام الستة أن هذا النصر يمكن أن يؤدى الى تسوية للصراع العربى الاسرائيلى ٠ وينطبق نفس هذا الاعتقاد على الوسـائل التى يلجأ اليها المسئولون عن السياسة الخارجية فى اسرائيل ٠ ومع ذلك فقد امتنعت لـمدة سنتين ونصف عن الافصاح عن آرائى غير الملتزمة حتى لا أعقد مهمة الحكومة التى انتسب اليها) ٠

ويستطرد جولدمان فى شرح آرائه الجديدة قائلا :

(كان حاييم وايزمان ـ وهو من أكثر رجال الدولة الصهيونيين تبصرا وبعـدا للنظر ـ يرى أن الصراع العربى اليهودى ليس صراعا بين الحق والظلم ولكن بين حقين) ٠

ويقول أيضا :

(ان سياسة الانتقال التى نشأت بوحى من بن جوريون لم تؤد الا الى زيادة عداوة العرب وتوسيع الهوة التى تفصل بيننا وبينهم) ٠

ويعارض جولدمان مطالبة الحكومة الاسرائيلية بالمفاوضات المباشرة قائلا : (ان هذه الطريقة يجب أن تكون غاية وليست بداية ٠٠ لان العرب يرون ان المفاوضات المباشرة فى الوقت الحالى تساوى الاستسلام ٠٠ وقد ضعف موقف اسرائيل فى المجال الدولى بسبب سياستها المتشددة غير المرنة) ٠

كما يدعو الى ضمان الدول الكبرى بعدم انتهاك الحدود التى يتفق عليها ضمانا فعليا ملموسا ٠ وليس ضمانا (أفلاطونيا) كما ينادى بعقد اتفاقية دولية تحدد شحنات الاسلحة المرسله الى دول الشرق الأوسط ٠

وقد صرح جولدمان فى باريس بتصريح نقلته عنه رويتر يقول فيه :

(انه يعتقد انه من الممكن أن يسعى الزعماء المصريون والاسرائيليون الى التوصل لتسوية سلمية فى الشرق الأوسط عن طريق الاتصالات السرية) ٠

ثم يدون جولدمان عدة مقترحات تصلح أساسا للمناقشة لأنها تتضمن الانسحاب من الأرض العربية المحتلة ٠ وتتضمن اقتراحا عن القدس يقول فيه بجعل هذا القطاع منطقة مستقلة ذاتيا يتولى سكانها ادارتها ، ويكون لها وضع دولى ٠

ثم يطالب جولدمان حكومة اسرائيل بقبول قرار مجلس الأمن ــ دون غموض ــ وذلك اذا أرادت الاسراع فى التسوية ٠٠ وحكومة اسرائيل لم تكن قد قبلت قرار مجلس الأمن ٠

وأكد ان السرية أمر ضرورى ، وأضاف انه يعتقد أن جولدا مائير واقعة تحت ضغط من المثقفين الذين ينتقدونها لعدم بذلها القدر الكافى من الجهد لأجل السلام ٠٠ ولكن مثل هذه التصريحات من جانبها قد تسىء الى الفرص الممكنه لاجراء اتصالات سرية بين الممثلين المصريين والاسرائيليين وأضاف ان المصريين مستعدون للتوقيع على معاهدة سلام رسمية مع اسرائيل ، ولكنهم سيفعلون ذلك فقط فى حالة انسحاب الاسرائيليين من صحراء سيناء وتحويل شبه الجزيرة الى منطقة منزوعة السلاح ومن بينها شرم الشيخ وهى نقطة أساسية تحرس المدخل الى مضايق تيران وأضاف ان من بين الترتيبات أن يتم فتح قناة السويس وخليج العقبة للملاحة الدولية وأن تقوم قوة حفظ للسلام تابعة

للامم المتحدة تحت الاشراف المباشر لمجلس الامن لحراسة سيناء ٠٠ وأضاف ناحوم جولدمان ان المشكلة الكبرى هى القدس ويمكن التوصل الى حل بالنسبة لايجاد وضع خاص للقدس التى يمكن ان نحتفظ بأغلبيتها اليهودية) ٠

وقد نمت آراء جولدمان وانتشرت بين عدد كبير من اليهود داخل وخارج اسرائيل ٠٠ وقد أبلغنى خلال مقابلاتى معه ان عددا من المسئولين الاسرائيليين يهمسون له برغبتهم فى التوصل الى اتفاق ينقذ اسرائيل من ورطتها ــ على حد تعبيره ٠

وكان جولدمان يعتبر ان بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل هو أكثر الوزراء تفهما للموقف ورغبة فى السلام ٠٠ كما ان موشى ديان كان يحاول الاتصال عن طريق جولدمان ، وعندما أثرت مداعبا عصابة عينه السوداء التى تكشف كل محاولة سرية ، قال جولدمان انه قد أبدى استعداده للبس نظارات سوداء ، وانه قد سبق له ممارسة ذلك فى اتصالات خاصة ٠

ولكن جمال عبد الناصر لم يتخذ قرارا نهائيا فى حضور جولدمان للقاهرة أو فى السماح لى بمقابلة المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية مكتفيا بتكثيف الضغط على الحكومة خلال كماشة طرفها حرب الاستنزاف المتصاعدة وطرفها الثانى جماهير اسرائيل المتعطشة للسلام مع الشخصيات المفكرة من المثقفين والأدباء والعلماء والسياسيين الذين اتسعت جبهتهم حتى شملت أولياف سكرتير حزب ماباى والذى اتصلنا به فاقتنع رغم أفكاره الصهيونية بأهمية الانسحاب من الارض المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين كوسيلة لاقرار السلام الدائم وهو الموقف الذى انتهى به الى الاستقالة من حزب العمال وتشكيل حزب خاص ٠

وقد كانت الفرصة متاحة لناحوم جولدمان لعرض آرائه ونشرها فى مختلف صحف العالم باعتباره رئيسا للمجلس اليهودى العالمى ٠

وكان ناحوم جولدمان يفكر تفكيرا بعيدا عن الحكومة الاسرائيلية ٠٠ ولو انه ينبع من حرص على بقاء اسرائيل وضمان أمنها فى المستقبل ٠

آراء جولدمان التى ضمنها مقالاته ثم كتابه (رئيس دولة بدون دولة) اثارت ضجة فى اسرائيل والحركة الصهيونية ، لانها أظهرت ان سياسة حكومة اسرائيل تزداد افلاسا وافتقادا للحس التاريخى ، وانها تخلق تناقضا بين اسرائيل ويهود العالم ٠

ولا اريد ان اتعرض فى هذا الكتاب لآراء جولدمان بالنقد أو التحليل لان ذلك أمر يطـول ٠٠ ولكنى أقف فقط عند التناقض الذى اقتنصـه جمال عبد الناصر ولعب عليه ٠٠ فليس أمرا سـهلا ان يختلف زعمـاء الحركة الصهيونية حول مفهوم السلام ٠

وقد اراد جمال عبد الناصر ان يزيد التناقض حدة فكشف عن صلتى مع ناحوم جولدمان فى خطابه أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ مدللا بذلك على رغبة مصر فى السلام وعناد حكومة اسرائيل ٠

ولا نطـوى صـفحة هـــذه القضية قبل التأكيد بأن سياســة جمال عبد الناصر السـلامية قد اكسبته تأييدا كبيرا فى الرأى العــام العالمى ٠٠ وفى داخل اسرائيل ٠

مبادرة روجرز

وجاءت مبادرة روجرز بعد قضية جولدمان ٠

حـرب الاسـتنزاف مازالت فى عنفوانها ، وجمـال عبد الناصر لاينجرف لاحلام السلام وحدها ٠٠ ولكنه يقبض على بندقية لها فوهتان ، واحدة للحرب وأخرى للسلام ٠

كان جمال عبد الناصر قد اطمأن الى الدفاع الجوى عن داخل مصر منذ ١٨ أبريل ١٩٧٠ عقب وصول أطقم الدفاع السوفييتية واعلان موشى ديان وقف غارات الأعماق لأنه لا يريد مواجهة السوفييت ٠٠ كما سـبق أن أشرت ٠

ولكن المعركة فوق منطقة القناة كانت تزداد شـدة ٠٠ والغـارات الاسرائيلية لا تتوقف معظم ساعات اليوم ٠ والجنود يعانون من الجهـد والارهاق ولو أن الخسائر كانت تقل مع الوقت نظرا لاعتيادهم المعركه، وكذلك كانت ترتفع روحهم المعنوية ، عندما يكتشفون أن الغارات التى أعلن جمال عبد الناصر فى احدى خطبه انها تكلف اسرائيل مليون دولار يوميا قد انتهت بغير خسائر أو بخسائر محدودة ٠

وكان التركيز الشديد للغـارات الاسرائيلية يؤرق عبـد الناصر كثيرا ، لأنه يعطل ــ الى حد ما ــ ترتيبات انجاز الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، كما أنه كان يتاثر كثيرا لاخبار الضحايا من الضباط والجنود ، وخاصة الذين شاءت الظروف له أن يلتقى بهم ٠

قال لى الفريق أول محمد فـوزى ان جمـال عبد الناصر قد اعتـاد

فوق زياراته المتكررة للجبهة وحضور المناورات والتدريبات ٠٠ كان يذهب للقيادة العامة مرتين كل أسبوع ويتناول طعام العشاء هناك ٠

وخلال هذه الحرب المركزة المتصاعدة كانت الأعصاب مشـدودة واليقظة فى قمتها والتعاون مع الأصدقاء السوفييت فى أوثق صوره ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى انه حدث أن تحطم ١٢ ايريال رادار فى احدى الغارات ، فاتصل بالخبير السوفييتى الذى أرسل رسالة عاجلة الى موسكو بالشفرة ، ووصل المطلوب خلال ١٢ ساعة فقط ٠

كما يقول ان ٣٠ خبيرا ومستشارا سوفييتيا قد قتلوا أثناء المعارك ، وأن أربع طائرات ميج سوفييتية قد سقطت نتيجة توجيه سيىء من غرفة (الكنترول) فى بنى سويف ، حيث وضعتهم فى موقع الفريسة من طائرات اسرائيلية مهاجمة ٠٠ ولم يكن العيب فى الطائرات أو الطيارين كما حاول البعض التلميح لذلك ٠

ورغم أن جمال عبد الناصر كان قد سافر الى موسكو فى رحلته السرية يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ التى توصل فيها الى أخـــذ الموافقة على ارسال وحدات دفاع حديثة سوفييتية الى مصر لأول مرة فى تاريخ العلاقات بين الدول الاشتراكية ودول منطقة التحرر الوطنى ٠٠ رغم ذلك فانه سافر الى موسكو مرة ثانية يوم ٢٩ يونيو ١٩٧٠ على رأس وفد مشكل من على صبرى ومحمود رياض ومحمد حسنين هيكل ومراد غالب ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى وكتب محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) أنه فى بداية المحادثات قال جمال عبد الناصر لبريجنيف (ان عندى أخباراً سارة فقد أسـقط أولادنا أمس ثلاث طائرات اسرائيلية ٢ فانتوم وطائرة سكاى هوك – ولكن بريجنيف نظــر الى جريتشكو الذى أخرج ورقة من جيبه ونظر فيها ثم تحدث بالروسية مع بريجنيف الذى قال (يبدو يا رفيق ناصر أنك قد أخطأت فى الحســاب فانه بنـاء على معلوماتنا فانكم أسقطتم ٦ طائرات) وكان هناك خط ربط تليفونى بين وزارة الدفاع السوفييتية وقيـادة الخبراء السـوفييت فى القــاهرة ٠

وبين الزيارة الأولى ٠٠ والزيارة الثانية ٠٠ كانت قد حدثت فى مجال الاتصالات الدولية والسياسية أحداث هامة ٠

تحدث وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكية يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ فى أحد المؤتمرات قائلا :

(سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تهدف الى تشجيع العرب على

قبول سلام دائم وفى الوقت نفسه تشجع اسرائيل على قبول الانسحاب من أراض محتلة بعد توفير ضمانات الأمن اللازمة ، وان ذلك يتطلب اتخاذ خطوات تحت اشراف جونار يارنج وبنفس الترتيبات التى اتخذت فى رودس عام ١٩٤٨ ، وكمبدأ عام فانه عند بحث موضوعى السلام والأمن فانه مطلوب من اسرائيل الانسحاب من الأراضى المصرية بعد اتخاذ ترتيبات للأمن فى شرم الشيخ ، وترتيبات خاصة فى قطاع غزة مع وجود مناطق منزوعة السلاح فى سيناء) ٠

ويلاحظ ان هذا التصريح الذى يعتبر جديدا فى موقف الولايات المتحدة لم يصدر الا بعد اشتداد حرب الاستنزاف ٠ وتأثيرها على القوات الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلى ، وهو ما يجب أن نحرص على توضيحه دائما ، فقد كانت هذه المرحلة من أبهر مراحل نضال الجنود المصريين ٠

قابلت القاهرة تصريح روجرز بالصمت التام وبغير تعليق يظهر الرفض أو القبول ٠

أما اسرائيل فقد بادرت الى رفض مبادرة روجرز ٠

ويبدو أن حكومة اسرائيل فى صلتها مع الحكومة الأمريكية خلال هذه الفترة كانت تركن وتعتمد على هنرى كيسنجر الذى كان مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى فقط ٠٠ وذلك كما أبلغنى ناحوم جولدمان وهو يقول ان كيسنجر كان يستخف بروجرز ويسعى لأن يحل محله ٠

وقد وصل تأثير حرب الاستنزاف على اسرائيل الى الحد الذى دفع الحكومة الأمريكية الى تقديم مذكرة يوم ٢ فبراير ١٩٧٠ عقب أيام من عودة عبد الناصر من موسكو تطلب فيها وقف حرب الاستنزاف والعودة لوقف اطلاق النار والا فان اسرائيل سوف تستمر فى غارات العمق ولن تستطيع أمريكا أن تفعل شيئا ٠

وتابعت حكومة الولايات المتحدة دورها ، فصرحت مصادرها الرسمية بابداء الرغبة فى زيارة جوزيف سيسكو وكيل الخارجية الأمريكية للجمهورية العربية المتحدة اذا قبلت القاهرة ذلك ٠

رحبت القاهرة ٠٠ ووصل سيسكو اليها يوم ١٠ ابريل ١٩٧٠ أثناء انتقال معدات الدفاع السوفييتية سرا الى مصر ٠

بقى سيسكو أربعة أيام ، وقابل جمال عبد الناصر يوم ١٢ أبريل ، ويقول أمين هويدى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وعلى حرب الاستنزاف) :

(تحدث سيسكو عن رغبة حكومة نيكسون فى تحقيق سياسة متوازنة فى المنطقة فهى ـ فى رأيه ـ أكثر مرونة من غيرهـا من الحكومات التى سبقتها اذ انهـا ترفض مبدأ المفاوضات المباشرة الذى تتمسك به اسرائيل ·· وأضاف سيسكو ان المبادرة التى يعدها روجرز سوف تكون فى صف العـرب بمقدار ٩٥ بالمائة) ·

ولم تنته المحادثات الى نتائج مادية محددة ·

ومع ذلك فقد وجه جمال عبد الناصر رسالة مفتوحة الى نيكسون فى خطابه بشبرا الخيمة يوم أول مايو ١٩٧٠ اثناء الاحتفال بعيد العمال ، اشار فيها الى مقابلته مع سيسكو ، واعتبر أن الولايات المتحدة على وشك ان تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الأمة العربية عندما وافقت على عقد صفقة طائرات فانتوم وسكاى هوك جديدة لاسرائيل ، لأنها تؤكد التفوق العسكرى لصالح اسرائيل ، وهو ما (سوف يؤثر على علاقات الولايات المتحدة بالأمة العربية لعشرات بل مئات السنين) ·

وقال جمال عبد الناصر فى نفس الخطاب (انه اذا كانت الولايات المتحدة ترغب فى السلام فعليها أن تأمر اسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ·· ان ذلك فى طاقة الولايات المتحدة التى تأتمر اسرائيل بامرها لأنها تعيش على حسابها) ·

(والحل الثانى ·· اذا لم يكن فى طاقة أمريكا أن تأمر اسرائيـل فنحن على استعداد لتصديقها اذا قالت ذلك مهما كانت آراؤنا فيه ، ولكننا فى هذه الحالة نطلب طلبا واحدا هو بالتأكيد فى طاقة أمريكا ·· ذلك الطلب هو أن تكف عن أى دعم جديد لاسرائيل طالما هى تحتل أراضينا العـــربية) ·

وخلص عبد الناصر بأنه (اذا لم يتحقق الحل الأول أو الثانى فان على العرب أن يخرجوا بحقيقة لا يمكن المكابرة فيها بعد الآن وهى أن الولايات المتحدة تريد لاسرائيل أن تواصل احتلال أراضيها حتى تتمـكن من فرض شروطها علينا بالاستسلام ·· وهذا لن يحدث ·· وكل المؤامرات التى تجرى ضدنا لن تنجح) ·

وختم خطابه قائلا :

(اننى أقول للرئيس نيكسون ان هنـاك لحظـة فاصـلة قادمة فى العـلاقات بين بلدينا اما ان تكرس القطيعة ، واما أن تكون بداية أخـرى جادة ومحـددة) ·

بعد توجيه هذا النداء من عبد الناصر الى نيكسون دارت عـــدة

اتصالات بين سيسكو ودونالد بيرجس المشرف على رعاية المصالح الأمريكية فى السفارة الاسبانية وبين وزير الخارجية محمود رياض تضمنت رسالة من روجرز سلمها بيرجس الى صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية يوم ٢٠ يونيو ١٩٧٠ ٠

وتضمنت الرسالة الموجهة الى محمود رياض من روجرز المقترحات الآتيـة :

١ ـ ان توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لمدة محدودة ٠

٢ ـ ان توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن على التصريح التالى الذى يصدره يارنج فى شكل تقرير الى السكرتير العام يوثانت :

(أبلغتنى ج٠ع٠م٠ والأردن واسرائيل انها توافق على :

(أ) انه بعد أن قبلت وابدت رغبتها فى تنفيذ قرار ٢٤٢ بكل اجزائه فانها سوف تعين ممثلين لها فى المناقشات التى تعقد تحت اشرافى طبقا للاجراءات والمكان والزمان الذى قد أوصى به مع الأخذ فى الاعتبار ـ كلما كان ذلك مناسبا ـ ما يفضله الأطراف بالنسبة لأسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم ٠

(ب) ان الهدف من المناقشات المشار اليها عاليه هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى :

١ ـ الاقرار المتبادل من ج٠ع٠م والأردن واسرائيل للسيادة وسلامة الاراضى والاستقلال السياسى للطرف الآخر ٠

٢ ـ الانسحاب الاسرائيلى من أراض احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ وذلك طبقا للقرار ٢٤٢ ٠

(جـ) وانه لتسهيل مهمتى للعمل من أجل التوصل الى اتفاق كما تضمن قرار ٢٤٢ فانالأطراف ستحترم بكل دقة ابتداء من أول يوليو حتى أول أكتوبر على الأقل قرارات مجلس الأمن الخاصة بوقف اطلاق النار) ٠

هكذا كانت مبادرة روجرز الرسمية تقضى بوقف اطلاق النار لمدة ٣ شهور فور قبولها ٠٠ وكانت الجمهورية العربية المتحدة هى الدولة الوحيدة من دول المواجهة التى خرقت قرار وقف اطلاق النار الذى نص عليه قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، واستمرت المعركة كما أشرنا دون توقف ٠٠

ورفضت أكثر من محاولة قامت بها اسرائيل للارتداد الى قرار وقف اطلاق النـــار ٠

ولذا كان مجرد النظر والبحث فى وقف اطـــلاق النار من جانب القاهرة يعنى أن شيئا ما يدفع الأمور فى هذا الطريق ٠

وقد أبدى بيرجس لصلاح جوهر بعد تسليمه الرسالة ملاحظات تشير الى أهمية الالتزام بوقف اطلاق النار شكلا ومضمونا ، وقد كتب أمين هويدى هذه الملاحظات تفصيليا فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) وهى تشير أساسا الى أن وقف اطلاق النار يجب أن يشمل الأرض والبحر والجو وعدم تغيير الوضع العسكرى شرق أو غرب القناة بوضع صواريخ واقامة منشآت حربية ، كما أن الولايات المتحدة سوف تطالب اسرائيل بالدخول فى مفاوضات غير مباشرة والموافقة على مبـدأ الانسحاب قبـل المفاوضات ، وهو ما يعتبر تنازلا ـ من وجهة النظر الاسرائيلية ٠

كما تضمنت ملاحظات بيرجس استعداد الولايات المتحدة للمشاركة فى بذل الجهود من أجل السلام بعد بدء المفاوضات ، واستعدادها أيضا لتنفيذ تعهداتها مع اسرائيل للامداد بالسلاح دون زيادة اطلاقا (١٠٠ طائرة سكاى هوك تم التعاقد عليها عام ١٩٦٦ ، ٦٠ طائرة فانتوم تـم التعاقد عليها ١٩٦٨) ٠ وأن التوصل الى اتفاق سوف يخلق جوا ملائما لاستئناف العلاقات بين ج٠ع٠م والولايات المتحدة ٠٠ ويقول أنور السادات فى خطابه لأساتذة الجامعات يوم ٨ يناير ١٩٧٠ ان أمريكا تعهدت بعدم امداد اسرائيل بالأسلحة خلال شهور وقف اطلاق النار (٩٠ يوما) ٠

تسلم محمود رياض المبادرة أثناء زيارة جمال عبـد الناصر الى ليبيا خلال الفترة من ١٩ الى ٢٧ يونيو ولذا فقد أرسلت له رسالة روجرز فى طرابلس ٠

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) انه شعر بأن عبد الناصر قد وافق على المبادرة فور قراءتها دون أن يصرح لأحد بحقيقة رأيه ، وكان هيكل معه فى زيارة ليبيا ٠

وقال لى الفريق أول محمد فوزى انه عنـــدما استشير فى بنود المبادرة ضغط لقبولها من وجهة نظر عسكرية بحتة ٠٠ فقد كان يود الوصول بحائط الصواريخ الى الضفة الغربية للقناة وذلك لحماية قواتنا فى الغرب من الغارات الاسرائيلية وتهديد الطائرات المغيرة الى مســافة ١٥ كيلو مترا شرقها ، وهى مسافة كافية تتيح لقواتنا العبور تنفيذا للخطة الدفاعية ٢٠٠ بأمان نسبى ٠٠ وذلك لصعوبة نقل الصـواريخ تحت قنابل الغارات المستمرة ٠

كان تأمين القوات المسلحة المصرية من الغارات الاسرائيلية ، مع الاستعداد للعبور والهجوم هدفا من أهم الأهداف التى كانت تشغل فكر عبد الناصر فى ذلك الوقت ٠

وفور عودة جمال عبد الناصر من طرابلس عقد اجتماعا للجنة التنفيذية العليا ، عرض عليهم فيه مشروع مبادرة روجرز ٠

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنة فى ذلك الوقت ان جمال عبد الناصر أعطى المشروع لعلى صبرى وكان مكتوبا بالانجليزية ولم يترجم للعربية بعد ٠٠ وطلب منه قراءته ٠٠ ثم طلب بعد سماع اللجنة معرفة رأى أعضائها ، مبتدئا بالدكتور محمود فوزى مساعد رئيس الجمهورية ٠

وأدلى الأعضاء بآرائهم ٠٠ ولم تكن فى جملتها تميل ميلا واضحا لقبول المبادرة ، بل كان الاتجاه السائد هو التحفظ والرفض ٠

ولم يناقش جمال عبد الناصر الأمر ٠٠ طوى الأوراق بلا كلمة واحدة معلنا أنهم سيواصلون المناقشة بعد عودته من الاتحاد السوفييتى ٠

وسافر جمال عبد الناصر الى موسكو دون أن يفصح لأحد عن رأيه بالنسبة لقبول المبادرة ٠

وبعد المباحثات مع القادة السوفييت ذهب عبد الناصر الى مصحة (بربيخا) لمدة أسبوعين ، ولتغطية ذلك أعلن انه يقوم بمباحثات مطولة مع الزعماء السوفييت الذين كانوا يقومون بزيارته فى المصحة بين حين وآخر ٠

قال لى الدكتور مراد غالب سفيرنا فى موسكو ان عبد الناصر كان يطلب فى هذه الرحلة مزيدا من الأسلحة اقترابا لساعة تنفيذ الخطة ٠ قال لى الفريق أول محمد فوزى ان التدريب كان قد وصل الى ذروته فى كافة مستويات القوات المسلحة ٠

على مستوى الجنود ٠٠ وصلوا الى حد عبور (مصرف المحيط) عند برقاش فى الجيزة تدريبا على عبور القناة وهم معصوبو الاعين لعدة مرات ٠ كما درسوا مناطق العبور الأصلية فى القناة الى حد معرفة تفاصيل الأرض معرفة دقيقة ٠

على مستوى الدفاع الجوى ٠٠ سقطت الطائرات الاسرائيلية التى تحدث عنها عبد الناصر وبريجنيف فى لقائهما الأول يوم ٢٩ يونيو ، وسقط طيار اسرائيلى عند جنيفا حيث التقط بهليوكبتر اسرائيلى بعد اتصال لاسلكى معه كما أسر خمسة طيارين اسرائيليين أحياء لأول مرة

فى تاريخ المعارك ... واعتبر ذلك اليوم ٣٠ يونيو عيدا سنويا للدفاع الجوى .

وعلى مستوى القيادة درست كافة احتمالات خطط الهجوم المضاد الاسرائيلى ومنها محاولات الاختراق عند الديفرزوار التى عرفت فيما بعد باسم خطة (الغزالة) ونسبت الى الجنرال شارون الذى نفذها يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

كانت القوات المسلحة قد وصلت الى ذروة الاستعداد تقريبا ولم يعد باقيا الا دفع حائط الصواريخ الى الأمام .. الى الضفة الغربية للقناة .

واختلفت الآراء حول (مبادرة روجرز) بين الذين يعلمون تأثير قبولها على موقف قواتنا المسلحة .. وبين الذين لايعلمون .

يقول أمين هويدى فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) وهو يومها كان فى مركز يتيح له معرفة مايدور فى كواليس السياسة المصرية :

(حينما درست هذه الرسالة - يقصد مبادرة روجرز - بوساطة الجهات المعنية هنا فى القاهرة انقسمت الآراء بين مؤيد ومعارض . وأبلغت آراء المؤيدين والمعارضين للرئيس جمال عبد الناصر مع ذكر الأسباب التى تؤيد وجهات النظر المختلفة ، وأذكر اننى كنت أحد المؤيدين القلائل لهذه المبادرة) .

وقد وجد أنور السادات بصفته نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للجنة السياسية بالاتحاد الاشتراكى أن يعلن رأيه بالنسبة للمبادرة .. فدعا اللجنة السياسية للجنة المركزية الى اجتماع تقرر فيه بالأغلبية عدم قبول المبادرة .

ولكن جمال عبد الناصر كان له رأى آخر ، لانه كان يعلم كل شىء ويمسك كافة خيوط الموقف .

وفى اجتماع مع بريجنيف عقد يوم ١٦ يوليو وهو اليوم السابق لعودته الى القاهرة قال جمال عبد الناصر انه قرر قبول المبادرة الأمريكية، ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان بريجنيف كان مندهشا ولكنه تفهم الموقف عندما قال له عبد الناصر مجيبا على تساؤله عما اذا كان سيقبل اقتراحا عليه العلم الأمريكى (بالضبط .. اننى سأقبلها لان عليها علم أمريكى .. فاننا يجب ان نأخذ فترة لالتقاط الانفاس حتى نستطيع ان ننتهى من بناء مواقع الصواريخ .. اننا

نحتاج ان نعطى فترة راحة لقواتنا المسلحة ، وأن نقلل من خسائر المدنيين ـ نحن نحتاج الى فترة وقف اطلاق نيران · وهذا التوقف لن تحترمه اسرائيل الا اذا كان اقتراحا أمريكيا ·· ولكننى لا أعتقد ان لهذه المبادرة أى نصيب من النجاح ، وفرصتها فى ذلك لا تتجاوز ½٪ ·

كانت خسائر المدنيين الذين يشتركون فى بناء قواعد الصواريخ قد بلغت ٤٠٠٠ شهيد كما ذكرنا ·

كان هذا يعنى رفضا من جمال عبد الناصر لقرار نائبه فى عدم قبول مبادرة روجرز ،

سافر أنور السادرات الى قريته (ميت أبو الكوم) ·

قال لى أحد أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ان جمال عبد الناصر قد أعطى لهم توجيها بزيارة أنور السادات فى قريته ·· وان جمال عبد الناصر قد زاره هناك وصحبه معه فى عربته الى الاسكندرية ·

ودعا جمال عبد الناصر أعضاء اللجنة التنفيذية العليا مرة أخرى لمناقشة المبادرة فاجتمعت عدا أنور السادات وبدأت المناقشة بالدكتور محمود فوزى مرة أخرى ، وحدث تغيير فى اتجاه الأعضاء نحو القبول ، شعورا منهم بأن جمال عبد الناصر قد اتخذ قرارا بالقبول ·

وفى هذا الاجتماع دارت مناقشة طويلة أوضح فيها جمال عبد الناصر المبرر العسكرى لقبول المبادرة دون الدخول فى تفصيلات سرية ·· كما قدم للأعضاء المبرر السياسى لقبولها أيضا ، باعتبار أن ذلك سوف يحرج اسرائيل أمام الرأى العام العالمى ، وأمام أمريكا أيضا ·

ويقول ضياء الدين داود انه بعد أن انتهت المناقشات وانعقد اجماع الأعضاء على قبول المبادرة طلب منهم ان يتحدثوا مع الناس فى المبرر السياسى · دون أن يكشفوا عن المبرر العسكرى ، منبها الى أهمية ذلك ·

أعلن جمال عبد الناصر قبوله للمبادرة فى خطابه يوم ٢٣ يوليو فى العيد الثامن عشر للثورة ·· وتفجرت ردود الفعل فى مختلف أنحاء العالم · فقد كان الاعلان مفاجئا بعد فترة صمت امتدت الى أكثر من شهر ·

ولاحظ جمال عبد الناصر ان قبول المبادرة لم يصادف استجابة عميقه عند أعضاء المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، فقرر أن يعقد جلسة ثالثة سرية ، حتى لا ينفض المؤتمر والأعضاء على غير اقتناع ·

وفى هذه الجلسة السرية أفصح جمال عبد الناصر عن بعض الحقائق التى كانت مغلفة بالسرية حتى ذلك الوقت ·

والظاهرة التى يجب الوقوف عندها طويلا هى خروج الاسرائيليين الى الشوارع فى مظاهرات ترقص وتبتهج فقد انتهت بالنسبة لهم حرب الاستنزاف التى أرهقتهم نفسيا وماديا وكبدتهم خسائر كثيرة فى الارواح ·

أنقذ قبول المبادرة الاسرائيليين من تكرار ماحدث فى ذلك اليوم الذى أطلقوا عليه اسم (السبت الحزين) عندما وقعت احدى دورياتهم فى كمين للقوات المصرية المتسللة فى سيناء ، وقتل منها ٤٠ جنديا ، وعاد المصريون باثنين من الاسرى ·

رقص الاسرائيليون تصورا منهم ان المبادرة هى خطوة أولى نحو السلام فعلا ·· وهكذا كانت قناعة الرأى العالمى أيضا ·

كان محمود رياض قد سلم رد مصر الى دونالد بيرجس يوم ٢٣ يوليو ·

وبدأت مفاوضات وقف اطلاق النار ، فى وقت كان يتولى فيه محمد حسنين هيكل أعمال وزارة الخارجية بجانب وزارة الارشاد القومى لوجود محمود رياض فى رحلة بالخارج لزيارة دول البلقان ·

قال لى محمد حسنين هيكل انه فوجىء بأن دونالد بيرجس المشرف على المصالح الأمريكية فى القاهرة يطلب منه Stand Still Cease Fıve أى وقف اطلاق النار مع تثبيت الأسلحة والصواريخ فى مواقعها ·· وأنه عندما أبلغ عبد الناصر ذلك طلب منه أن يماطلهم عدة ساعات حتى يدفع صواريخ هيكلية الى الضفة الغربية للقناة ، ثم يستبدلها ليلا فيما بعد بصواريخ حقيقية ·· وكان الأمر يحتاج منه الى مدة لاتقل عن ٦ ساعات ·

وأبلغ هيكل بيرجس الذى كان يستعجله فى لهفة قائلا له ان واشنطن معه على الخط ، وروجرز ينتظر النتيجة ·

وقال له هيكل انه لايستطيع ان يعطى تأكيدا الا بعد ضمان وصول التعليمات الى كافة القوات المنعزلة والبعيدة فى منطقة البحر الاحمر ·

وهكذا حصل جمال عبد الناصر على الساعات التى طلبها ·

وقال لى الفريق محمد فوزى ان القوات أمضت الليل وهى تدفع

صواريخ هيكلية الى الامام ، حتى اذا أشرق الفجر بدت تحت عدسات الاقمار الصناعية ، وكأنها صواريخ حقيقية فى موضعها ٠

ويقـول هيكل ان الامريكيين قد انزعجوا من تحريك الصـواريخ وانهم ـ حسب قوله ـ فى كتابه (الطريق الى رمضان) قد اتهمـوا المصريين بالغش وانهم قرروا امداد الاسرائيليين بمزيد من الاسلحة ٠

يؤكد ذلك ان الدافع الرئيسى لقبول المبادرة الأمريكية كان دافعا عسكريا أساسا وهو تحريك حائط الصواريخ الى الضفة الغربية ٠

ووضعت المبادرة موضع التنفيذ مع وقف اطلاق النار فى الساعة الواحدة من صباح السبت ٨ أغسطس ١٩٧٠ لمـدة ٩٠ يوما ٠٠ وأبلغ جمال عبد عبد الناصر الفريق أول محمد فوزى بأن يستعد لتنفيذ المرحلة الأولى من الخطـة الدفاعية ٢٠٠ وهى ماسـميت بالاسـم الكودى (جرانيت ١) والتى تتضمن عبور القناة ودفع العدو الى الممرات ٠

وقد كتب الفريق محمد على فهمى فى الاهرام يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٧ يقـول :

(فى صباح يوم ٩ أغسطس ١٩٧٠ وهو اليوم التالى لوقف اطلاق النار دعـا قائد قـوات الدفـاع الجوى لاجتماع فى مكتبه حضره قادة التشكيلات وهيئة الاركان فى قيادة الدفاع الجوى) ٠

ثم يحدد محمد على فهمى مهمة الاجتماع بقوله :

(طلب من المعاونين اعداد دراسات تفصيلية كل فيما يخصه عن المشاكل والصعوبات المنتظر ان تلاقيها قوات الدفاع الجوى فى معركة انعبور والتحرير واعداد المقترحات كلها) ٠

ويعبر محمد على فهمى عن الروح التى سادت فى هذه الفترة بقوله أيضـا :

(ان التفوق الجوى الاسرائيلى حقيقة يجب أن نعترف بها ، ولكن ينبغى أيضا ألا ننسى اننا استطعنا تحدى هذا التفوق مرات عديدة خلال حرب الاستنزاف بل واستطعنا تحقيق بعض الانتصـارات عليه ، وفى معركتنا المقبلة لن يقتصر دورنا على مجـرد تحدى هـذا التفوق ، بل سيكون علينا أن نهزم هذا التفوق ونحطم الاسطورة) ٠

والفريق محمد على فهمى كان قائدا للدفاع الجوى خلال حـرب الاستنزاف وأثناء قبول مبادرة روجرز ٠٠ وهو مايؤكد جدية الاستعداد للعبور والتحرير خلال فترة وقف اطلاق النار التى فرضتها المبادرة ٠

ليس هناك شك فى ان السبب العسكرى كان فى مقدمة الأسباب الدافعة لقبول مبادرة روجرز ٠

انعكاسات قبول المبادرة :

كان قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز بمثابة (القنبلة السياسية) التى تفجرت فى أنحاء العالم ٠

بدأت الصحف الأجنبية تقرن اسم عبد الناصر بلقب (بطل السلام) ٠

انتعشت العناصر التقدمية داخل اسرائيل ، ورات ان حلمها فى السلام يقترب ٠٠ وصرح ناحوم جولدمان بأن قبول مبادرة روجرز هو خطوة هائلة للسلام من جانب عبد الناصر وأن على الحكومة الاسرائيلية أن تلتقى معه فى منتصف الطريق ، وخاصة ان قبولها يعنى ضمنيا قبول اسرائيل لقرار مجلس الأمن ٠

صدمت العناصر الصهيونية التوسعية بقبول القاهرة للمبادرة وبدأت فى محاولة تحطيم آثارها ، بتسليط الضوء على تحريك الصواريخ ، وجعله الموضوع الرئيسى المتكرر فى الصحف ٠٠ ومع ذلك تحطم الائتلاف الحكومى الاسرائيلى وانسحب وزراء حزب (جاحال) الستة ومنهم مناحم بيجين وزير الدولة وعزرا وايزمان وزير المواصلات ٠

وهكذا اهتزت الجبهة الداخلية الاسرائيلية ٠٠ وسافرت الى باريس بناء على موافقة جمال عبد الناصر لدفع التحركات الضاغطة على الحكومة الاسرائيلية ، ومحاولة اظهار موضوع الصواريخ كأنه موضوع فرعى لايستحق الضجة والاحتجاج التى تثيرها الحكومة الاسرائيلية وأعوانها من الأمريكيين ٠

ولكن موشى ديان أعلن فى الكنيست ان اسرائيل تنظر الى الوضع الجديد للصواريخ نظرة خطيرة ٠ وأن حكومته قد قررت وقف بدء الاتصالات مع يارنج حتى تسحب الصواريخ المصرية ٠

وفى يوم ٦ سبتمبر أعلنت اسرائيل انسحابها من الاتصالات مع المبعوث الدولى يارنج بدعوى (انتهاك مصر لترتيبات وقف اطلاق النار ٠ ورفضها العودة بالموقف الى ماكان عليه قبل بدء تنفيذ وقف اطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠) ٠٠ ويذكر أن اسرائيل لم تعد للاتصال بيارنج الا بعد حصولها على صفقة أسلحة أمريكية قيمتها ٥٠٠ مليون دولار ٠

ورغم أن قبول مبادرة روجرز كان يعتبر من الوجهة السياسية

انتصارا للسياسة السلامية أكسبت عبد الناصر تقديرا واسعا فى الرأى العام العالمى مما أعتبرته وقتها حسب مقـال نشرته فى روز اليوسف (ضربة معلم) ٠

ورغم انه كان يعتبر من الناحية العسكرية انتصارا حربيا لاشك فيه اذ ان العودة الى اطلاق النار كانت سوف تتم والقوات المسلحة المصرية فى وضع أفضل كثيراً عن ذى قبل ٠

ومع ذلك فان انعكاس قبول المبادرة من وجهة النظر العربية كان سـلبيا ٠

لم تقدر بعض القوى أهمية قبولها تقديرا واقعيا سليما ، وانجرفت الى رفضها ٠٠ أعلنت ذلك كل من سوريا والعراق ٠

وأصدرت (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) بيانا قالت فيه اذا كان بعض العرب قد أجهدهم النضال فعليهم ان يتنحوا للجيل الجديد المستعد للتضحيات الضرورية ٠٠ ووجدت المنظمات الأخرى نفسها منجرفة الى هذا الاتجاه خوفا من اتهامها بالتفريط فى القضية الفلسطينية ٠٠ وخرجت المظاهرات فى شـوارع الأردن ولبنان تهتف لأول مرة ضـد عبد الناصر وحسـين معـا وفى مواجهتها مظاهرات أخـرى تدافـع عن موقف عبد الناصر ٠

وانعكس ذلك فى اذاعة (صوت فلسطين) الصادرة من القاهرة ، والتى اتهمت الذين قبلوا المبادرة بالخيانة ، وهاجمت عبد الناصر الذى لم يحتمل مثل هذا الأسلوب ، وطلب وزير الارشاد محمد حسنين هيكل أن يبحث الأمـر مـع قـادة منظمة التحرير ، ويقـول هيكل انه قابل فاروق قدومى وابلغه بانه يمكن لهم أن يهاجموا المبادرة كما تشاء لهم نظرتهم السياسية ٠٠ أما أن يتعدى الأمر اتهام الذين قبلوها بالخيانة فأمر غير مقبول ٠

ويقول هيكل ان أجهزة اللاسلكى استقبلت بعد ذلك اشارة واردة لاذاعة (صـوت فلسطين) تقـول ـ لاتستجيبوا للضغط من أحـد ٠٠ هاجموا أى شخص تريدون) ٠

وصدر قرار جمـال عبد الناصر بوقف اذاعة (صـوت فلسطين) يوم ٢٩ يوليو ١٩٧٠ ٠

وكان الأمر فى حقيقته كارثة سياسية ٠٠ لان تفسير الأمر للقيـادة الفلسطينية لم يكن أمرا صعبا أو مستحيلا ٠٠ والعوامل التى دفعت لقبول المبادرة لايمكن ان يرفضها وطنى وخاصة بعد أن تكشفت الأمور عن موجة

الاحتجاج الاسرائيلية العارمة على تحريك الصواريخ ، وبعد أن صارح جمال عبد الناصر ابو عمار بان احتمالات نجاح المبادرة لاتتجاوز ½٪ وأن مدتها مشروطة بتسعين يوما فقط ·· وماكان سهلا على عبد الناصر أن يفقد بقبوله المبادرة حصاد ثلاث سنوات من القتال والنضال والتضحية ·

كانت كارثة سياسية ألا يتفهم القادة المصريون والفلسطينيون حقيقة الموقف ·· وكانت كارثة أيضا ان يخرج صدامهم الى الرأى العام · ولا يصفى بالاجتماعات الخاصة التى يمكن ان تزيد الأمور وضوحا وتفسيرا ، وتذيب الحساسيات والشكوك ·

كارثة سياسية ·· لم تبدأ فى الحقيقة مع قبول مبادرة روجرز وانما بدأت قبل ذلك بشهور ·

كان الفلسطينيون قد أصبحوا بقواتهم المسلحة المتزايدة ، ومقاومتهم الباسلة ، مثل قنبلة زمنية تخشى الانظمة أن تتفجر فوق أرضها ·

وكان ماحدث فى لبنان مما انتهى الى اتفاقية القاهرة فى نوفمبر ١٩٦٩ هو البداية التى كشفت التناقض بين القوى والتنظيمات السياسية العربية ·

العرب ·· يقتلون العرب

ثم كان ماحدث فى الاردن

قوات المقاومة الفلسطينية كانت تعيش أساسا فى الاردن ، وهناك نوع من التعايش السلمى وقبول الأمر الواقع بينها وبين السلطة الاردنية ·

الفدائيون المقاتلون يحتلون المواقع فى الوديان والجبال على حدود الارض التى تحتلها اسرائيل ·· والقيادات تقيم فى عمان ·· ومعسكرات التدريب تنتشر فى اكثر من مكان

ومع الوقت أصبح للمقاومة الفلسطينية نوع من النفوذ الادارى المباشر على الفدائيين ·· واصبحت بطاقاتهم صالحة كجواز مرور على الحدود ·

ولم تكن نظرة التنظيمات الفدائية موحدة فيما يتعلق بالنظام الاردنى · كانت (فتح) اكبر المنظمات تعلن انها لاتتدخل ولاتريد أن تتدخل

فى الأمور الداخلية للاردن ٠٠ بينما كانت هناك منظمات اخرى تعلن ان طريق التحرير الى تل أبيب يمر بعمان وعواصـــم الدول العربية التى تسيطر عليها أنظمة رجعية ٠٠ ولم يكن ياسر عرفات (أبو عمار) مسيطرا على كافة التنظيمات ٠

قمت خلال هذه الفترة بزيارة الى الاردن مدعوا من منظمة (فتح) ولمست ان المقاومة الفلسطينية قد اثبتت وجودها بالتاثير المعنوى والنفوذ التنظيمى بين جماهير الشعب الفلسطينى ٠ وان هناك قتالا حادا يتزايد داخل اسرائيل والأرض المحتلة ٠ وشعرت بأن هناك تناقضا بين السلطة وقوات المقاومة يحاول الطرفان أن يتحدثا به همسا ، دون أن يتفجـــر ويظهر فوق السطح ٠

ولكن كتمان هذا التناقض ، وانتصـــار الحكمة ، وتثبيت مبـــدأ التعايش كان صعبا وضد طبيعة الأمور ٠٠ فمما لاشك فيه ان نظاما فى السـلطة له حسابات تختلف تماما عن حسابات قوى ثوريه تعيش معـه فوق أرض واحدة ٠٠ ومما لاشك فيه أيضا ان بعض المزايدات والمواقف المتطرفه كانت تدفـع بقية المنظمات الفدائية للجنـوح الى انتهاج مواقف وأساليب لا تتفق مع الظروف الواقعية القائمة ٠ وذلك خشـــية اتهامها بالتفريط فى حق القضية ٠

كل قوى المقـاومة الفلسطينية أجمعت على رفض قرار مجلس الأمن ٠٠ ولكنها لم تتفق على نهج النضال وأسلوبه فى المستقبل ٠٠ والوحدة التنظيمية أصبحت هدفا عسيرا ٠

دخلت خلافات الانظمة العربية وتناقضاتها الى الساحة الفلسطينية ٠ فكل منظمة كان لها اتصال مع دولة أو قوة سياسية عربية ٠٠ الأمر الذى فتح فرصة التسرب الى صفوف المناضلين ، وتشتيت جهودهم بالخلافات المحليــة ٠

وظهرت بوادر صدام المقاومة الفلسطينية مع النظام الاردنى عندما أعلنت الصحف عن وجود خلاف بين المقاومة والملك حسين فى ١٢ فبراير ١٩٧٠ بعد اجتماع قمـة المواجهة الذى عقـــد فى ٧ فبراير عقب زيارة عبد الناصر السرية الى موسكو والتى تم الاتفاق فيها على زيادة التعاون مع الاتحاد السوفييتى فى مجال الدفاع الجوى ٠

وأسرع عبد الناصر بالتدخل فعادت الاسلحة الى وضع الراحة بدلا من وضـــع الاستعداد ٠٠ واســـتجاب الطرفان للزعيم الذى كان

الفلسطينيون يتحركون تحت مظلته · والذى كان الملك حسـين يخشى الصدام به ·

ولكن الهدوء لم يستقر طويلا ·· فرض الصدام نفسه ·· انطلقت ذخيرة البنادق نحو صـدور العرب بـدلا من الاسرائيليين ·· ونشرت الصحف ان القتال قد اندلع فى عمان وضواحيها ·· وبلغ عدد القتلى ١٢٢ قتيلا ، ٥٨٤ جريحا ·· وكان ذلك فى شهر يونيو ١٩٧٠ بعد أن رفضت المقاومة قرار السـلطات الاردنية بحظر حمل السـلاح الا لأفراد القوات المسلحة ·

ومرة أخرى أسرع الوسطاء ، وهدأت الأمور مؤقتـا بعد أن أبعـد الملك اثنين من كبار الضباط اشتهرا بالعـداء للفلسطينيين واجتمع مـع ياسر عرفات ·· ولكن الذخيرة لم تنزع من البنادق ·· وظل المرجـل يغلى ·

وجاء قبول القاهرة لمبـادرة روجرز ، وما صحب ذلك من ظهور معارضة المقاومة الفلسطينية ·

وتفجر الموقف دون تقدير سليم لأهـداف عبد الناصر من قبـول المبـادرة ·

عمت المظاهرات عـددا من المـدن العربية ·· وتبادل المتظاهرون شعارات ولافتات بعضها يؤيد عبد الناصر والبعض يهاجمه ·

وكتبت وقتها مقالا فى مجلة (الحوادث) ـ عدد ٧ أغسطس ١٩٧٠ ـ جاء فيه :

(الظواهر المثيرة التى حدثت فى الوطن العربى خلال هذا الاسبوع ليست جديدة أو طارئة ·· بل كانت متوقعة ·

انها تعبير عن خلافات أصـيلة فى الاستراتيجية الفكرية للقوى السياسية طفت الى السطح بعد أن كانت فى الأعماق ·· وتبادل الناس الحديث عنها علنا وصراحة · بعد أن كانوا يدورون حولها فى حـرص واستحياء ·

وتنبعث الخلافات ـ فى رأيى ـ حول تقدير قضية السلام فى المنطقة خلال هذه المرحلة التاريخية الحاسمة ·

وما أظن الحديث عن السلام ـ كما يتصور البعض ـ يمكن أن يكون موضع خجل أو حساسية ·· ولا أعتقد ان المناضلين من أجل السلام أقل تضحية من المغامرين ·

وقلت :

(الظاهرة المميزة لسياسة القاهرة التى قبلت الحل السلمى هى الاستعداد المستمر خلال السنوات الثلاث الماضية لتطوير قواتها المسلحة ، والوصول بها الى مستوى الكفاءة القتالية ٠٠ وكان الاستعداد العسكرى الجاد هو وسيلة الذين قبلوا الحل السلمى للضغط على العدو من أجل تحرير الارض المحتلة) ٠

ثم تساءلت :

(ماذا يحدث اذا فرضنا جدلا احتمال الوصول الى حل سلمى ؟

كانت الاجابة الغالبة استبعاد هذا الاحتمال ٠ ثم القاء كلمة صاخبة متطرفة بعيدة عن الاتزان المطلوب فى مواجهة أمور شديدة الحساسية والحيوية تتعلق بمستقبل الملايين ٠

مجرد توجيه السؤال كان يصيبهم بالحساسية ٠٠ وضاعت الشهور والسنوات دون محاولة جادة لمجابهة هذا الاحتمال الذى بدا فى ذهنهم خياليا كالسراب ٠

وهذه هى الاستراتيجية الفكرية التى يصعب تجريدها من الحماس والوطنية والتضحية ٠٠ ولكنه لايصعب تجريدها من عمق الوعى وأصالة الفكر الواقعى ٠

هذه الاستراتيجية الرافضة لكل شىء الا القتال حتى النصر ٠٠٠ أو الموت ٠

واذا تجاوزنا الخشية من أن تكون هـذه الاستراتيجية الفكرية امتدادا للظاهرة العربية التى سادت خلال ربع القرن الأخير ، واعتادت أن تقف موقف الرفض مع كل قرار لايتفق تماما مـع رغبتها ٠٠ والتى تجعل كلمة (لا) تسبق كل كلمات القاموس فى أى حوار سياسى ٠

أقول اذا تجاوزنا أن يكون موقف القـوى الجديدة امتدادا لهـذه الظاهرة القديمة ٠٠ فاننا نصل مباشرة الى قلب الموضوع فى صراحة وبلا حساسية ٠

هل يمكن ان يكون هناك تناقض بين الوصول الى حل سلمى وبين ماتصر عليه بعض قوى المقاومة ؟) ٠

وبالمنطق الهـادىء البسـيط لا يمـكن أن نجعل من تحـرير القدس وسيناء والضفة الغربية والجولان خطوة الى الوراء ٠٠ ولا يمكن أن

نقول ان تنفيذ قرارات الامم المتحدة فيما يتعلق بحقوق شعب فلسطين اعتداء على هذا الشعب ·

ولذا يصبح الرفض المطلق والتناقض المصطنع ظاهرة غريبة ·· مثالية وبعيدة عن الواقعية) ·

ظهر هذا المقال فى وقت عمت فيه الخلافات وسادت ، وتصارعت الآراء فى المنابر وفوق صفحات الجرائد ·· وتحولت فوهات البنادق من صدور الاعداء الى ظهور الذين يفترض فيهم أن يكونوا أصدقاء ورفقة نضال ·

وخشى عبد الناصر ان يستغل الملك حسين الفرصة ويوجه ضربته الى الفدائيين فطلب منه الحضور لمقابلته فى القاهرة ·· وحضر الملك يوم ٢٠ أغسطس يحمل سيلا من الشكاوى ضد المقاومة التى تحاول أن تخلق (دولة داخل الدولة) ·

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان عبد الناصر قد قال له :

(أنا لا أريد منك أن تصفى المقاومة ، ولا من المقاومة أن تصفيك ·· أنا أعلم ان لديك من القوة مايجعلك قادرا على ضربهم ولكن هذا سوف يدفعك الى تصفية ٢٠ر٠٠٠ شخص وبذا تصبح مملكتك ـ مملكة الاشباح ـ وسأبلغ الفدائيين بألا يعملوا ضدك لانهم لايستطيعون ان يوفروا ماتوفره حكومتك لهم من تعليم وتموين ومواصلات وغيره ·· وكلاكما يجب أن يتعايش فهذا هو الطريق الوحيد) ·

وحضر ياسر عرفات يوم ٢٤ أغسطس ··

لم يكن جمال عبد الناصر فاتحا صدره لهذه المقابلة ·· فقد كان ياسر عرفات قد زار العراق وقابل السيد أحمد حسن البكر ·

وكان عبد الناصر يقاسى من هجمات سوريا والعراق على مصر لقبولها المبادرة ·· ولذا اعتبر أن ذهاب أبو عمار لمقابلة البكر انحيازا منه الى الجانب الآخر ، وهو الذى قدم له كافة المساعدات السياسية والعسكرية الممكنة التى ثبتت أقدام المقاومة ·

رفض جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة اعادة فتح محطات صوت (فلسطين) التى أغلقها قبل ذلك بثلاثة أسابيع ·

وحذر أبو عمار من أنهم بسياستهم سوف لايلومون الا أنفسهم اذا انقض الملك حسين عليهم ·

وفى نفس الوقت أعطى لأبو عمار تفسيرا للدوافع التى أدت الى قبول مبادرة روجرز وأبلغه أن احتمالات نجاحها ــ كما قال لبريجنيف ــ لاتتجاوز ½٪ ·

وبعد هذه المقابلة التى قال عنها ناتنج فى كتابه ناصر انها كانت (باردة) ·

وبعد موقف الحكومة العراقية الذى كان يتبلور فى رفض المبادرة ·

بعد هذا وذاك أصبح موقف أبو عمار مرتبطا أشد الارتباط بموقف القوى الفلسطينية الأخرى وفى مقدمتها (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) التى كانت تدين المبادرة والانظمة وتجعل الفلسطينيين فى الساحة وحدهم يحاربون وظهورهم الى الحائط ·

واتخذ أبو عمار قرارا بأن المقاومة الفلسطينية لاتلتزم مطلقا بوقف اطلاق النار الذى تفرضه مبادرة روجرز ·

ويشير هيكل الى أن عبد الناصر لم يصارح الفلسطينيين (طبعا) بأن السيادة الجوية الاسرائيلية قد تجعلنا ننزف حتى الموت فى حرب الاستنزاف ، وأن حلقة النجاة هى الوصول بحائط الصواريخ الى الضفة الغربية ·

ولكن أمام تطور الاحداث السريع ، أرسل عبد الناصر وفدا يمثل الاتحاد الاشتراكى يضم أحمد بهاء الدين ومحمود أمين العالم وعبد اللطيف بلطية وعبد الهادى ناصف والدكتور وليم سليمان لمقابلة القيادات الفلسطينية أثناء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى الاردن ·· وقد حاول هذا الوفد اقناع هذه القيادات بالهدوء ، والتراجع عن موقفها المندفع ، ولكن الأمور كانت قد تجاوزت الحدود التى يمكن للعقل فيها أن يسيطر ويتحكم على جموح العاطفة ·

ويقول هيكل ان الملك حسين سافر وهو غير سعيد ·

وهنا لابد من الوقوف عند هذه الظاهرة ·· ظاهرة عدم الثقة وعدم المبادرة الى تنسيق العمل فى ظروف خطيرة ·

والحرص على السرية أمر مطلوب وضرورى وهام ··

وكان يمكن تفادى كثير من ردود الفعل التى حدثت نتيجة قبول المبادرة . بمصارحة القيادات الفلسطينية قبل اعلان قبولها بأهمية ذلك وحيويته من الناحية العسكرية ، والوصول معهم الى اتفاق كامل على موقفهم منها وحدود معارضتهم لها ·

ولكن تركيز القرار فى قمة السلطة ، وعدم وجود كادر حزبى متفهم وممارس للعمل السياسى ٠٠ صعب الأمور وعقدها ٠٠ وجعل بعض كبار المسئولين فى مصر يتأرجحون فجأة من موقف المعارضة للمبادرة الى موقف التأييد دون تفسير ٠٠ وجعل بعض المسئولين العرب تأخذهم المفاجأة والدهشة ويتصورون أن فى وقف القتال لعبة ما ٠٠ كما انه اعطى لبعض المتطرفين من قادة حركات المقاومة فرصة فريدة للهجوم والتشهير ٠

ربما كانت هناك اعتبارات أمن تدفع الى الحذر من التصريح أو التلميح بالأسباب الحقيقية الموحية بقبول المبادرة ٠٠ ولكن احتمالات ردود الفعل ما كان يمكن أن تخفى على القائد السياسى ٠

وما حدث فى الواقع كان تأكيدا بأن هناك نوعا من عدم الثقة لم يستطع النضال المشترك أن يبدده وأن هنـاك خطأ ما قد وقع فى انضاج وعى بعض القادة العرب والفلسطينيين من ناحية الاقتناع بقبول المبادرة ٠٠ وان ذلك قد انتهى الى كوارث مدمرة ٠

وخلق الثقة ، وتنسيق النضال ، أمور لا تنشأ فجأة ، وانما تتم عبر مراحل نضال طويلة ٠ وثلاث سنوات من القتال تعتبر مدة كافية لذلك ٠ ولكن غيبة التنظيم الحزبى والعمل السياسى من الجانب المصرى ٠٠ وغيبة الوحدة التنظيمية وتناقضات التنظيمات المختلفة من الجانب الفلسطينى كانت أسبابا جوهرية فى الحالة التى وصل اليها الموقف بعد قبول المبادرة ٠

وكل ماقام به جمال عبد الناصر من دعم للمقاومة الفلسطينية قد انتهى فى لحظة نتيجة لاخطاء ونقط ضعف سابقة ٠

ولم يقدر بعض القادة الفلسطينيين أن الحكومة الاسرائيلية نفسها قد أخذت تناور لتحطيم مبادرة روجرز التى خرج الشعب الاسرائيلى فى مظاهرات فرح صاخبة يوم اعلانها لانها انهت التوتر الذى ساد جبهة سيناء ، ووضعت حدا لخسائر حرب الاستنزاف اليومية ، وفتح باب الأمل فى تحقيق السلام ٠

ولكن الحكومة الاسرائيلية كانت تريد الخروج من (حصار السلام) فافتعلت من نقل الصواريخ قضية أحاطتها بدعاية هائلة ، وجعلت أمريكا تنقض شرطها الخاص بعدم امداد اسرائيل بالسلاح خلال أيام وقف اطلاق النار ، كما أعلن أنور السادات أمام أساتذة الجامعة يوم ٨ يناير ١٩٧١ عندما قال :

(انتهزت أمريكا هــذه الفرصة علشان تقول ان القضية مش قضية احتلال اسرائيل لارض عربية ·· ؟ دى قضية خرق مصر لوقف اطلاق النــار !) ·

(وعلى هذا الأساس بدأ سيل الأسلحة يتدفق على اسرائيل مخالفا الكلام اللى قالته أمريكا بأنها لن تسلم اسرائيل خلال فترة وقف اطلاق النار أى سلاح) ·

وهكذا تعثرت مبادرة روجرز ، ولم يقم يارنج بمهمته ·· ولم ينفذ منها سوى وقف اطلاق النار ·

والغريب ان المبادرة قد حوربت من بعض القيادات الفلسطينية ·· وحوربت أيضا من الحكومة الاسرائيلية ثم الأمريكية رغم انها قدمت من وزير خارجية أمريكا ·

وهذا دليل على أن المبــادرة كانت تحــوى فى مضمونها مايعطى لجمال عبد الناصر فرصة المناورة وحرية الحركة استعدادا لتوجيه ضربته التحريرية وتحقيق سلام من فوهة البندقية ·

خريف عبد الناصر

الخريف يبدأ فى سبتمبر .

أوراق الشجر تتساقط .. ويختلط اللون الأبيض للسحب الطائرة مع اللون الأزرق للسماء الصافية .. وترطب نسمات الهواء البارد حرارة شهور الصيف .. وتغتسل الأرض برذاذ المطر .. والخريف عندنا هو الربيع .. لايحمل الأتربة ولا يعرف الحر .. وهو الفصل الذى يستقبل الناس فيه العمل بعد استرخاء الاجازات .. يقبلون على الحياة فى نشاط وسلام .

ولكن خريف ١٩٧٠ فى الوطن العربى كان شيئا آخر .

بدأ شـــهر سبتمبر والموقف يتردى فى الاردن .. يسقط القتلى والدماء تروى الارض مع رخات المطر .

واللحظة التى تصور جمال عبد الناصر انه سوف ينتهى فيها من الوصول بالصواريخ الى ضفة القناة الغربية لتامين القوات المسلحة .. ليبدأ أياما يلتقط فيها النفس .. استعدادا لتنفيذ خطة التحرر .

هذه اللحظة لم تبدأ أبدا .

ولم يذق جمـال عبد الناصر طعم الراحة التى طلبها منه الأطبـاء حماية لصحته .

كان الأطباء المصريون والسوفييت قد ألحوا عليه فى أن يقضى شهرا كاملا بعيدا عن ممارســة المسئولية .. بعيدا عن المقابلات والاحاديث والتليفونات .

ورضخ جمال عبد الناصر .. واختار شـــهر سبتمبر ليمضى منه عشرة أيام فى مرسى مطروح .

ولكنه لم يخلع مسئولياته وهمومه قبل السفر ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى انه ذهب اليه هناك حاملا تفاصيل الموقف والخطة بعد الوصول بحائط الصواريخ الى شاطىء القناة ٠٠ وعندما حاول عرض الأمر عليه فى حضور حسين الشافعى ركله فى قدمه تحت المائدة ، ونظر اليه نظرة فرضت عليه الصمت ٠

لم يكن جمال عبد الناصر راغبا فى كشف أسرار الخطة لشخص غير مسئول عن تنفيذها حتى ولو كان عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا ، وزميلا فى مجلس قيادة الثورة ٠

هل هو الحرص على السرية الذى لازم جمال عبد الناصر فى كل قراراته وخطواته الهامة ؟

هل منحته مسئولية الحكم خبرة أن تكون المعلومات الهامة فى حدود المسئولين عنها فقط ؟

أم ٠٠ هل كان هناك موقف خاص من زميله السابق يدفعه الى هذا التصرف ؟

رويت لى قصة ما أظن ان مجال نشرها هذا الكتاب ٠٠ ولكنها تؤكد الحقيقة الموضوعية القائمة ٠٠ وهى ان الذين تربعوا فى قمة السلطة حول الزعيم ٠٠ لم يكونوا ـ رغم دورهم التاريخى ـ أكثر الناس قدرة ووعيا ٠٠ وانهم ظلوا فى مواقعهم رغم صيحات الشعب المطالبة بالتغيير ٠٠ لان الزعيم قد استكان اليهم وارتاح لتصرفاتهم ٠

لم يعرض الفريق أول محمد فوزى تفاصيل الخطة فى هذه الجلسة ، وعرضها بعد ذلك ٠

لم ينعم جمال عبد الناصر بلون البحر الفيروزى ٠٠ ولا بالهدوء الشامل فى مرسى مطروح ٠٠ اقتحمت الاحداث عليه خلوته ، وفرضت الكارثة نفسها عليه ٠

كان الملك حسين قد بدأ عملياته ضد الفدائيين ٠٠ وأسرع بعض قادتهم فى القاهرة ـ رغم موقفهم المعادى لعبد الناصر بعد قبول المبادرة ـ يقولون انه اذا لم يتدخل عبد الناصر ، فان هذا سوف يكون بمثابة الضوء الأخضر لمزيد من جموح السلطة الأردنية ٠

كان الموقف يتدهور ساعة بعد أخرى ٠٠ ونزيف الدماء بدأ يختلط بمياه الأمطار وتراب الأرض وعدد الذين تفقدهم المقاومة يتزايد ٠

واجتاح الغضب ارجاء الوطن العربى ٠٠ واخذت الدهشة الرأى العام العالمى ٠٠ لان العرب بدأوا تصفية المقاومة الفلسطينية ٠

وعقدت جلسة لمجلس الجامعة العربية ، بعد أن اتصل بهم خالد الحسن مندوبا عن منظمة التحرير ، موضحا لهم خطورة الموقف ٠
تشكلت فى نفس اليوم لجنة خماسية من سليم اليافى أمين الجامعة المساعد ، وأمين الشبلى سفير السودان فى الجامعة ، وعثمان نورى سفير مصر فى الجامعة وسفيرها السابق فى الاردن ٠ ومندوب الجزائر ٠ ومندوب ليبيا ٠

سافرت اللجنة الى عمان يوم ٧ سبتمبر واختارت أمين الشبلى رئيسا لها ٠٠ وكانت المناوشات قد بدأت ٠ ولكنها لم تصل حد المذبحة ٠

وقامت اللجنة باتصالات مكثفه بين الملك حسين من جهة وبين أبو عمار وقادة المقاومة من جهة اخرى فى محاولة مستميتة لتفادى تفجير الموقف ٠

كان الملك مصرا على تأكيد سلطته فى دولته ، وكان قادة المقاومة مصرين على عدم التراجع عما كسبوه من حقوق خلال سنوات مابعد العدوان ، معتقدين فى قدرتهم على هزيمة قوات الملك واحتلال عمان ٠

قال ابو عمار لأعضاء لجنة الجامعة العربية ان قواته تستطيع أن تحتل العاصمة الاردنية فى ساعتين ٠ لان نصف الجيش الاردنى سوف ينضم اليهم اذا حدثت بين الطرفين معركة ٠

وكان هذا تفاؤلا مبالغا فيه ٠

استقبل عبد الناصر الموقف فى أسى فظيع ٠٠ وتبددت أحلامه فى أن يهجع قليلا الى الراحة ، لمواجهة أعباء الحرب من جديد بعد انقضاء ٩٠ يوما على وقف اطلاق النار ٠

وكان جمال عبد الناصر فى هذه الفترة قد أصبح مريضا ٠٠ تثقله أعباء المسئوليات العديدة ٠

والنظام الذى فرضه على نفسه لم يتح له تفريخ أصدقاء جدد ٠ ولم يعد بجانبه الا عدد محدود من الاصدقاء القدامى ٠

بعد الهزيمة انتحر عبد الحكيم عامر ٠٠ وترك موته أثرا بالغا فى نفسه ٠٠ فقد كان رغم كل شىء ـ أقرب الأصدقاء وأعزهم ٠

واستقال زكريا محيى الدين ولم يلتق بجمال عبد الناصر مطلقا ٠

والذين استمروا فى العمل معه تعرضوا لمواقف منه ، صعب على بعضهم أن يجد لها تبريرا ·

الفضيحة التى وضع فيها على صبرى عمـدا ، لم تستخدم من قبل مع الاصدقاء · وعودته مرة أخرى الى العمل حتى وصل عضوا فى وفد مصر أثناء زيارته فى يونيو الى موسكو ما أظن انها قد جعلت الجرح يلتئم ·

وأنور السادات الذى عينه نائبا له أمضى أياما فى قريته بعد رفضه لمبادرة روجرز ·· وهو تصرف ما أظن أن نائب رئيس للجمهورية يغمره بسهولة فى بحر النسيان ·

وتعرض محمد حسنين هيكل أيضا الى موقف لم يتعرض له من قبل ، عندما فوجىء فى شهر أبريل ١٩٧٠ بتعيينه وزيرا للارشاد بدلا من محمد فايق الذى أصبح وزير دولة للشئون الخارجية ·· فى نفس الوقت الذى أصبح فيه حسن التهامى وسعد زايد وسامى شرف وزراء أيضـــا ·

وهيكل يقول الى فؤاد مطر فى كتابه (بصراحة) ـ كنت فى حالة صعبة من الضيق وقتها بسبب قرار توزيرى ·

وبعد أيام صدر قرار باعتقال لطفى الخولى رئيس تحرير الطليعة وسكرتيرة هيكل نوال المحلاوى وهما يتبادلان حديثا مليئا بالهجوم على عبد الناصر نتيجة لهذا التعيين الذى لم يوافق هوى فى نفوسهم ولا نفس هيكل أيضا ·

كانت تصرفات عبد الناصر قد تركت فى نفوس هؤلاء جروحا ·· اســـتطاع البعض أن يعلو عليها ويعبرها ·· وبقيت غائرة لا تلتئم فى نفوس البعض الآخر ·

وهى تصرفات تبدو فيها عصبية الارهـاق وتوتر المـرض · لان عبد الناصر كان يراجع نفسه فيها ، ولا يصر عليها ·

وفى هذه الفترة كان قد قرب اليه عبد اللطيف البغدادى ·· والتقى الاثنان كثيرا فى سهرات خاصة ·

قال لى عبد اللطيف البغدادى انهما كانا يتناقشان فى السياســة كثيرا لتقريب وجهـات النظر ·· وانه كان يعد له رحلة لزيارة الاتحـاد السوفيتى للتعرف على زعمائه الجدد وعلى أبعـاد الصداقة الوثيقة بين

الدولتين ·· وقال لى أيضا انه تحدث اليه فى موضوع ترشيحه رئيسا للوزراء ·

ولكن هذه الصلة لم تثمر شيئا ·· فقد كان البغدادى غير متحمس للتعاون مكتفيا بتجديد الصداقة ·· وعبد الناصر كان يريد صديقا يفكر مثـله ·

وتثبت هذه الصلة الطارئة ان جمال عبد الناصر قد حاصر نفسه خلال سنوات حكمه بقيود جعلته لا يتعرف الى شخصيات جديدة يمكن أن تصبح له فى موضع الصديق ·· وأسلوب يجعل الوصول الى صداقته أمرا عسيرا ·

وتثبت أيضا ان النظام لم يفرخ قيادات مؤمنة بالتحول الاشتراكى يمكن ان تفرض نفسها ·· وأن محاولة اعادة البغدادى للعمل ، تشير الى أنه كان يحاول تغيير أفكاره أولا ثم الاعتماد عليه بعد ذلك ·· وهذا أمر يتناقض تماما مع بعث القيادة فى مجتمع اشتراكى فهى لاتورث · ولا تتم بالاختيـار ·

ولذا يمكن القـول بأن جمـال عبد الناصر قد واجه كارثة محاولة تصفية المقاومة وحيدا ·· ومريضا ·· وتتنازعه عدة عوامل نفسية ·

الموقف يتدهور فى سرعة ·

وعلى الساحة العربية بدا جمـال عبد الناصر يستشعر أشـياء غريبة ·

المقـاومة الفلسـطينية التى احتضنها وفتح لها ذراعيـه أصـبحت تهاجمه بعنف ·· سوريا والعراق تشتد أيضا فى الهجوم ·

المواقف الاستفزازية لبعض المنظمات تعقد الأمـور وتجعل الصـدام امرا حتميا لا سبيل لتفاديه ·

وعبد الناصر فى أزمته النفسية حريص على بقاء المقاومة لدورها الايجابى فى معركة التحرير ·· تعيس للتمزق الذى تعيشه منظماتها ·· حزين لان أحدا فى صفوفها لم يعد قادرا على الدفاع عنه ·

كان جمـال عبد الناصر شـديد الايمان بما قام به ·· ولكنه كان عاجزا عن اقناع الآخرين ·

وأسهمت (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) فى اشعال الموقف المعادى لعبد الناصر وللانظمة العربية ·· وأسهمت أيضا بشكل رئيسى

فى استفزاز النظام الاردنى ·· وفى وضع المنظمات الأخرى وخاصة فتح تحت نيران الاتهام بالتفريط ·

وتعثرت العمليات الفدائية داخل اسرائيل ·· بعد أن أصبحت حماية المقاومة داخل الاردن هى المسئولية الأولى للجميع ·

واختارت الجبهة الشعبية طريقها (الخاص) لتصعيد المعركة بعيدا عن قبضة الملك حسين ·

وقامت يوم ٦ سبتمبر بخطف طائرة بوينج أمريكية كبيرة هبطت فى القاهرة ثم نسفت بعد اخلائها من الركاب ·

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد خطفت بعد أيام طائرتين واحدة أمريكية والأخرى سويسرية تبعتها ثالثة بريطانية وهبط الجميع فى مطار مهجور بالأردن أطلقوا عليه اسم (مطار الثورة) ·· وطلبت الجبهة من حكومات انجلترا واسرائيل وسويسرا وألمانيا الغربية اطلاق سراح الفدائيين المعتقلين قبل الافراج عن الركاب ·· ولكن جميع الحكومات رفضت الخضوع ·

ورغم أن منظمة التحرير والحكومات العربية قد أدانت هذا الأسلوب الا أن احدا لم يستطع أن يتدخل لانقاذ الركاب الذين اضطرت الجبهة للافراج عنهم بعد أربعة أيام عقب نسف الطائرات الثلاث ·

وكان هذا الحادث هو أكثر الحوادث استفزازا للنظام الأردنى ، استغله الملك حسين الذى قال له جمال عبد الناصر فى معرض مطالبته بأن يحافظ على المقاومة انه يمكن اطلاق لفظ (صبر حسين) مثل (صبر أيوب) ·· ولم يقبل الملك أن يصل الاعتداء على مملكته الى هذا الحد باقامة (دولة داخل الدولة) ·

وارتكبت الجبهة الشعبية بهذا الحادث خطأ تاريخيا ·· فهو عمل بعيد تماما عن مقاومة العدو ·· مثير لعداوة الشعوب والرأى العام العالمى ·

وكانت الجبهة الشعبية قد بدأت اسلوب خطف الطائرات منذ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت طائرة بوينج اسرائيلية كانت فى طريقها من روما الى تل أبيب ، وأجبرت بوساطة المسلحين الفلسطينيين على الهبوط فى الجزائر حيث بقى ١٢ راكبا اسرائيليا فى الحجز لمدة شهرين قبل اطلاق سراحهم ·

وبعد خمسة شهور استولى الفدائيون على طائرة بوينج اسرائيلية

اخـــرى في مطار اثينا حيث قتل احـــد الركاب قبل ان يعتقل البوليس اليونانى المختطفين ٠

ورد الاسرائيليون على ذلـك بتدمير ١٣ طائرة عربية فـوق أرض مطار بيروت ٠

ومع ذلك لم تتوقف الجبهة الشعبية عن انتهاج هـذا الأسلوب ٠٠ فقد هجم مجموعة من افرادها فى مطـار زيوريخ على طائرة اسرائيلية فجرحوا ستة من الركاب وافراد الطاقم ، وقتل احد الفلسطينيين واعتقل البوليس السويسرى الباقين وذلك فى فبراير ١٩٦٩ ٠

ولم تفلح محاولات أبو عمار فى وقف مثل هذه العمليات التي كانت تشوه وجه المقاومة وتسيء الى أهدافهـا النبيلة ، فقـد اختطفت طائرة امريكية كانت فى طريقها الى تل ابيب فى اغســطس ١٩٦٩ وهبطت فى دمشق ، وفى سـبتمبر هوجم مكتب شركة (العـال) فى بروكســل ودمر تماما ، وهوجمت بعد ذلك مكاتب اسرائيلية فى بون ولاهاى ثم فى اثينا خلال شهر نوفمبر ١٩٦٩ حيث هوجم مكتب شركة (العال) أيضا وجرح ١٥ شخصا ٠

وفى يناير ١٩٧٠ خطفت طائرة أمريكية أخرى فى طريقهـــا بين باريس وروما ، وفى فبراير هوجمت عربة شركة طيران فى مطـار ميونيخ ظنا بأن ابن موشى ديان هو أحد الركاب ٠

وقد اثارت هذه الحوادث المتكررة غضب كثير من الدول العربية ، ومنظمة فتح وغيرها ٠٠ وخلقت موجة من الرفض العالمى لهذا الأســلوب الذى يعــرض المدنيين للخطر ، ويفتعل احداثا مثيرة فى دول يحــرص العرب على كسب الرأى العـام فيها وليس تنفيره واجباره على اتخـاذ موقف العــداء ٠

واعلن رئيس وزراء الأردن ادانته لمثل هـــذه الأعمـال وأعلن انه ستعتبر القائمين بها خارجين على القانون ٠

واضطر ابو عمار لاصدار بيان فى يونيو ١٩٧٠ باســـم المجلس الوطنى الفلسطينى يعلن فيه أن عمليات خطف الطائرات المدنيـة منافيـة للهدف الفلسطينى ومتناقضة مع سياسة منظمة التحرير الرسمية ٠

ولكن الجبهة الشعبية ارادت أن تثبت استقلالية سياستها فخطفت طائرة يونانية لم تفرج عنهـا الا بعـد أن أفرجت الحكومة اليونانية عن سبعة من الفدائيين المعتقلين ٠

تاريخ طويل فى خطف الطائرات لايمكن تدوينه ضمن النضال ضد الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية ·

ولو كان خطف الطائرات سبيلا لتحرير الارض لكان الفيتناميون قد خطفوا كل الطائرات الأمريكية ، ولم يواصلوا النضال الشاق فى حرب مريرة اكثر من ثلاثين عاما ·

ولكنها فيما يبدو كانت فترة لم تنضـــج فيها بعض القيـــادات الفلسطينية ولم تصقل بالخبرة والتجربة ·· فأرادت أن تلفت نظر الرأى العام العالمى لقضية شعب فلسطين بهذه الاحداث المثيرة التى لم تثمر شيئا نافعا ·

وكان حادث الجبهة الأخير هو الفرصة النادرة للملك حسين ·· اذ ابلغ امين الشبلى رئيس لجنة الجامعـــة العربية عندما قابله يـوم ١٢ سبتمبر انه اذا لم يحدث اتفاق قبل يوم ١٥ سبتمبر فانه سوف يصدر الأمر لقواته المسلحة بضرب المقاومة ·

وكانت الجبهة الشعبية قد منحت بعض ركاب الطائرات المحتجزة (تاشيرات دخول) خاصة على جوازات سفرهم ·

وفى يوم ١٥ سبتمبر توصلت لجنـة الجامعـة الى اتفاقية مشتركة اعلنتها الاذاعة الأردنية ·

واعتقد البعض ان الأمور تمضى الى هدوء وسلام ·

ولكن الملك اصدر قرارا فى الثانية من صباح يوم ١٦ سبتمبر بتغيير وزارة عبد المنعم الرفاعى وتعيين اللــواء محمد داود رئيســا لوزارة عسكرية اعلنت الاحكام العرفية ·

ويقول امين الشبلى ان محمد داود قد امضى يوم ١٦ سبتمبر وهو يتصـل به فى نقابة المحامين بعمان · التى اختارها مقرا للجنة الجامعة العربيــة مطالبا بسرعة تنفيـذ الاتفـاقية التى كانت تنص على خـروج الفدائيين من المدن وعدم حملهم السلاح ·

ولكن اللجنـــة التنفيذية المشكلة من ١١ منظمة فلسطينية رفضت الحضـــور متخذة من التعيين الوزارى دليلا على عـدم جـدية النظام الأردنى ، أو رغبته فى اقرار الهدوء ·· واعتبرت أن تشـــكيل الوزارة العسكرية دليل لايعوزه التأكيد على أن الملك سـادر فى خطتــه لضرب المقاومة ·

واصـــدرت اللجنة التنفيذية التى اجتمعت فى الاشرفية بيانا بذلك

رغم محاولات امين الشبلى واعضاء اللجنة فى عقد اجتماع مشترك مع ممثلى السلطة لتنفيذ الاتفاقية ·

وفى يوم ١٧ سبتمبر الساعة الواحدة صباحا اتصل أبو عمار بامين الشبلى وأبلغه ان الضرب قد بدأ ·· وتفجرت العاصمة الاردنية باصوات القنابل وطلقات الرصاص ·· وانفضت اللجنة الخماسية للجامعة العربية ·

أصدر الملك الأوامر لقواته المسلحة بالهجوم على معسكرات الفلسطينيين ومراكز تدريبهم وقواعد المقاومة ومخابئها ·

وتحركت قوات البادية تدمر كل شيء وتقتل كل فلسطينى ·

ماساة ·· وكارثة ·

وتحركت القوات السورية الى بلدة (الرمثا) على الحدود الأردنية ·· ولم تقابل هذه الحركة بالصمت من جانب الولايات المتحدة · أبلغت عن طريق الاتحاد السوفييتى بانها لن تسمح بدخول القوات السورية الى الاردن ·· وانها سوف تحمى نظام الملك حسين ·

ووصلت الى جمال عبد الناصر معلومات تفيد بأن القوات الجوية الأمريكية فى تركيا قد وضعت فى حالة استعداد لسحب الأمريكيين من الأردن ·· واعتبر ان هذا غطاء لعملية غزو مرتقبة ·· وطلب من حافظ اسماعيل مدير المخابرات العامة فى ذلك الوقت متابعة كافة التحركات الأمريكية ·

وقد صرح نيكسون فيما بعد بأن الولايات المتحدة لم تقترب من خطر صدام عالمى مثلما اقتربت فى هذه الفترة ·

عاد عبد الناصر الى القاهرة ليواجه الموقف المتردى ·· وفكر للوهلة الأولى بالذهاب شخصيا الى عمان لفرض وقف اطلاق النار ، ولكنه أرسل الفريق محمد أحمد صادق رئيس الاركان فى ذلك الوقت الى عمان ليبصر الملك باخطار تصفية المقاومة ، وليقنعه بأن الحرب الاهلية لن تكون الا فى صالح اسرائيل ·

قال لى الفريق محمد أحمد صادق انه ذهب ومعه طائرتان تحملان الأدوات الطبية ، وانه وجد من الملك حسين رفضا واضحا لقبول تصرفات المقاومة الفلسطينية · وانه مصر على تحرير ارادة حكومته من كل هذه الضغوط ·

ظل الموقف يتدهور بطريقة مفجعة ، وساد الظلام فى الأردن ،

وتحول شهر سبتمبر الى شهر كئيب حزين اسود ·· وتجاوز عدد الذين سقطوا قتلى برصاص السلطة الاردنية ، عدد الفدائيين الذين استشهدوا فى عملياتهم داخل اسرائيل والارض المحتلة ·· وفى كافة المعارك الخالدة مثل (الكرامة) وغيرها ·

وصل رئيس سوريا نور الدين الاتاسى الى القاهرة يوم ٢١ سبتمبر، وهو يحمل معه الرغبة فى دخول الاردن ·· ولكن جمال عبد الناصر حذره من الموقف الامريكى ، ومن الخطوات غير المحسوبة ·

ولم يجد عبد الناصر سبيلا لمواجهة الموقف سوى بالدعوة لمؤتمر قمة عربى ·

مؤتمر القمة الأخير :

استجاب الملوك والرؤساء ، واجتمعوا فى القاهرة مع يومى ٢٢ و ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ ·

مؤتمر القمة ينعقد قبل مضى عام على مؤتمر الرباط (ديسمبر ١٩٦٩) ·

تجبر الظروف جمال عبد الناصر على عقد هذا الاجتماع ·· وهو الذى اطلق التساؤلات المحرجة فى وجه هؤلاء المجتمعين قبل تسعة شهور ·· ثم غادر اجتماعهم ليواصل الاستعداد للمعركة ·

ولكن فظاعة الكارثة كانت تفرض نفسها على الجميع ·· عار تاريخى يلحق بهؤلاء الرؤساء والزعماء ·· المقاومة الفلسطينية التى نمت وتضاعفت وفرضت نفسها على العالم بعد مؤتمر الخرطوم ـ اغسطس ١٩٦٧ ـ وبعد تغير قيادتها عقب استقالة احمد الشقيرى ·· تذبح اليوم علنا برصاص العرب ·· وكل القيادات عاجزة عن حمايتها ·

المؤتمر ينعقد فى ظروف قاسية ·· والدهشة تعقد الألسنة امام جسامة المأساة ·

الملوك والرؤساء يتوافدون الى فندق هيلتون على نيل مصر · والمذبحة مازالت مستمرة فى الاردن ·· واحرار العالم يحتجون فى مظاهرات صاخبة ·

التاريخ يسجل الأحداث بقلم من الدم ·· وانظار الجميع تتجه الى الفندق الكبير ، تتسابق لمعرفة الاخبار · وما يصدر عن المجتمعين من قرارات يمكن أن توقف النزيف · قبل أن يهمد جسد المقاومة ·

الملك حسين لايحضر ويرسل اللواء محمد داود رئيس الوزراء مندوبا عنه يوم ٢٣ سبتمبر ٠

البعض يحاول ان يدين النظام الاردنى ويتخذ موقفا ضد الملك حسين ، وخاصة معمر القذافى ٠٠ وجمال عبد الناصر يدرك ان هذه القرارات لن توقف نزف الدماء ، وستدفع الملك حسين لمواصلة مايقوم به ٠

ويرسل المؤتمر جعفر نميرى مندوبا عنه على رأس وفد يضم الباهى الادغم رئيس وزراء تونس وأمين الشبلى سفير السودان فى الجامعة العربية ووزير العدل السابق فى وزارة ٢٥ مايو والفريق محمد احمد صادق سافر الى عمان يوم ٢٢ سبتمبر ٠٠ وصرح نميرى لانطونى ناتنج بأنه لم يواجه موقفا أكثر صعوبة من هذا الواجب الذى كلف به ٠

لم ينجح الوفد فى وقف اطلاق النار ٠

كما يقول الفريق محمد أحمد صادق ان أسلوب العملية يدل على أن النية كانت مبيتة لها ٠

وعندما يعجز الوفد عن الوصول الى تسوية بين العرب المتحاربين ٠٠ أو بين جيش الملك ومعظمه من البادية وقوات الفدائيين ، يعود الى القاهرة ليفضى الى المجتمعين بصعوبة الموقف وخطورته ٠

وتتبلور عند جمال عبد الناصر معلومات تفيد ان مايحدث فى الاردن ، وما قاله عنه الباهى الادغم بأنه أمر لايحدث فى أية دولة متحضرة كعملية بوليسية وانما هو عملية حربية شاملة ٠٠ انما هو تدبير وتخطيط من المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مع بعض العناصر الاردنية مثل وصفى التل ٠٠ خاصة وأن بوارج الاسطول السادس كانت تواجه الشواطىء الاسرائيلية واللبنانية وضمنها حاملتا طائرات ٠

وكان جمال عبد الناصر على أشد الحذر من انزلاق الأمور الى تدخل أمريكى اسرائيلى مشترك ٠٠ ولذا فقد صارح السوريين عندما اظهروا رغبتهم فى دفع قواتهم للاردن بأن مصر لن ترسل أى قوات لسوريا أو الاردن فى حالة تدخل أمريكا ٠

وكان جمال عبد الناصر صائبا فى رؤيته ٠٠ فان الامريكيين اخذوا الأمر على محمل الجد ، وأوضحت التقارير الواردة من واشنطن ونيويورك أن نيكسون قد يرسل الى الاردن بقوات أمريكية فى أية لحظة

·· كما ان قادة الاتحاد السوفيتى قد طالبوا عبد الناصر بضبط النفس تفويتا للمؤامرة ·

أكد نيكسون ذلك بعد انتهاء الأزمة كما أشرنا ·· ولم تثبت المعلومات أن الملك حسين قد طلب مساعدة أمريكية ·

واضح أن القوات الاردنية كانت قادرة ـ وحدها ـ على تنفيذ المهمة التى كلفت بها ·

ولم يعد أمام المؤتمر من سبيل سوى الارتفاع عن كلمات الادانة ، ومطالبة الملك حسين بحضور المؤتمر ، وخاصة بعد أن عاود جعفر نميرى سفره الى الاردن يوم ٢٤ سبتمبر على رأس وفد يضم حسين الشافعى والباهى الأدغم والشيخ سعد العبداله الصباح وزير دفاع وداخلية الكويت ·

وكان محمد داود الذى عينه الملك حسين رئيسا لوزارة عسكرية قد أرسل الى الملك استقالته لان ابنته المتزوجة فى بيروت حضرت اليه اثناء انعقاد المؤتمر فى القاهرة وتمثيله للاردن وطالبته بألا يكون مخلب القط الذى يضرب الفدائيين ·· ولان معمر القذافى واجهه بمسئوليته فى خيانة القضية العربية ·

استقال وحصل على الجنسية الليبية ·

ويتصل جمال عبد الناصر بالملك حسين طالبا منه الحضور الى القاهرة مقتنعا بأن حضوره يخفف من غلواء بعض اقاربه والمحيطين به الذين يدفعونه فى تعصب أحمق الى تصفية الفلسطينيين ·· حتى الذين يعيشون المأساة فى خيام اللاجئين ·

تحدث عبد الناصر الى الملك حسين وبجانبه الامير صباح السالم الصباح امير الكويت ·· وحرص اثناء الحديث أن يثنى على الملك حتى يغريه على الحضور ·

وكان عبد الناصر مقتنعا بان مسئولية المذبحة البشعة تقع على عاتق النظام الاردنى اساسا ، ولكنه كان مقتنعا ايضا بأن تصرفات الجبهة الشعبية قد دفعت الأمور الى ذلك ·

الوفد المفوض من مؤتمر القمة يلتقى مع ياسر عرفات فى السفارة المصرية اثناء زيارته الأولى وخلال الزيارة الثانية يقوم الوفد بتهريب ياسر عرفات فى طائرتهم الى القاهرة بعد ان امر الشيخ سعد العبد الله ولى عهد الكويت حاليا ووزير دفاعها فى ذلك الوقت ـ احد اعوانه

بخلع جلبابه أو (دشداشته) والباسها لابى عمار الذى ما كان ليفلت من القوات الاردنية التى صوبت نيرانها على مقر اقامة وفد مؤتمر القمة عندما علمت انه لايريد أن يغادر البـلاد الا بعد وقف اطـــلاق النار تمـاما ٠

وعندما استجاب الملك حســين لرغبة عبد الناصر وحضر الى المؤتمر يوم ٢٥ سبتمبر ٠٠ دخـل قاعة الاجتماع يحمل مسدسه وكذلك أبو عمار ٠٠٠ وأراد الملك فيصل ترطيب الجو فقال انه يجدر بنا أولا نزع سلاح المتحاربين ٠

وتوصـل المؤتمر يـوم ٢٧ سبتمبر الى اتفـاق وقعـه الملك حسين وياسر عرفات ويقضى بالآتى :

أولا : الوقف الفورى لاطلاق النار ٠

ثانيا : انسحاب الجيش الاردنى والفدائيين من كافة المدن قبـل مغرب نفس اليوم ٠

ثالثا : تكليف لجنة برئاسة الباهى الادغم تســافر الى الاردن يوم ٢٨ سبتمبر لتشرف على اجراءات التنفيذ ٠

وانتهى أطـول مؤتمر قمـة فى تاريخ العرب ٠٠ امتد أسـبوعا كاملا ٠

وغادر جمال عبد الناصر فندق هيلتون يوم ٢٧ سبتمبر الى داره ليكون قريبا من المطار اثناء توديع الملوك والرؤساء ٠

عبد الناصر ... مات

انتهى مؤتمر القمـة الذى عقد تحت ضغط المذبحـة ، واختلطت كلمات المناقشة فيه بأصوات الرصاص ·

وافق الملك على وقف المذبحة ·· وقبل أبو عمار سحب الفدائيين من المدن ·

وأصبح واضحا أن الأردن لم تعد أرضا صالحة للفدائيين ·· ولم تعد نقطة انطلاق الى داخل الارض المحتلة ·

كان هذا المؤتمر هو أكثر مؤتمرات القمة ارهاقا لعبد الناصر ·· فقد أجبر على عقده لان قبوله لمبادرة روجرز هو الذى فجر الاحداث ، ووصل بها الى هذه المأساة الانسانية ·

ولذا حمل العبء كله ·· وفى أعماقه شعور بأنه مسئول ـ مسئولية غير مباشرة ـ عن التدهور الذى انزلقت اليه الأمـور ·· وعن دمـاء ألوف من الفلسطينيين قتلهم رصاص النظام الأردنى ·

ورغم أن عبد الناصر لم يكن مسئولا فى حقيقة الأمر عن شىء من ذلك ولكنه ارتبط بالمأساة · وأصبح طرفا فيها ·

ومع أن مذبحة الأردن لم تكن فى هول هزيمة ١٩٦٧ وبشاعتها ، الا أن مؤتمر القاهرة (سبتمبر ١٩٧٠) قد انعقد تحت ضغط عصبى

يفوق كثيرا · بما لا يقيم وجها للمقارنة مع مؤتمر الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) ·

كان شعب السودان قد اســـتقبل عبد الناصر استقبالا تاريخيا خالدا ، لايمكن ان يستقبله شعب لقائد مهزوم ·· وكان ذلك تعبيرا عن ثقة شعوب الأمة العربية فيه قائدا يتحمل مسئولية النضال والتحرير فى المستقبل ·

أما مؤتمر القاهرة فقـــد عقد ، وبعض القـــوى تهتف بسقوط عبد الناصر وتلقى جانبا من مسئولية المذبحة عليه ·

وكان الأمر على نفسه قاسيا ·· بل شديد القسوة ·· فقد أمضى السنوات الثلاث التى أعقبت الهزيمة فى كفاح مستمر لامتصاص الهزيمة وازالة آثارها ·· وانتصر فى ذلك بما جعل قواتنا المسلحة قادرة على الحاق الخسائر بالعدو ، واشعاره بأن نصره السريع فى يونيو ١٩٦٧ ليس دائما أو أبديا ·

وكانت فترة وقف اطلاق النار التى أتاحتها مبادرة روجرز ·· هى فترة التقاط الانفاس والاستعداد النهائى ·· لمواصلة القتال ، وتنفيذ خطة تحرير الارض ·

وعاش جمال عبد الناصر فى هذا الامل ·· ولم يتصـــور ـ فيما اعتقد ـ ان طعنة بمثل هذا العنف يمكن ان توجه اليه من هذا الاتجاه ، فتطيح بأمله وتهدد خطته ، وتجعله يقف وحيدا فوق بركة من الدماء ، يحاول دفع المأساة ·

ولاشـــك ان عـــدم تنسيق الاستراتيجية العربية بين كافة الانظمة والقـــوى السياسية ·· وعجز المقاومة الفلسطينية عن توحيد فصائلها بما يجعل لها سياسة واحدة ·· كان من الأسباب الرئيسية التى اتاحت لمؤامرة النظام الأردنى أن تنجح ·

حمل جمال عبد الناصر عبء المؤتمر ـ سياسيا ونفسيا وماديا ـ ووصل به ـ رغم كل شيء ـ الى تحقيق :

وقف اطلاق النار وقطع نزيف الدماء ·

تفويت الفرصة على اى تدخل امريكى مباشر ·

هذا مايمكن ـ رغم ســلبيته ـ ان يعتبر ايجابيا فى قرارات اطـــول واصعب مؤتمر للقمة العربية ·

ولعل ماقاله معمر القذافى ، اثناء المؤتمر ، من ان الملك حسين مجنون يقتل شعبه ، وان على المجتمعين ان يرسلوا من يقبض عليه ويدخله المستشفى ·· وما دار بعد ذلك من حوار سجله محمد حسنين هكيل تفصيلا فى كتابه (الطريق الى رمضان) ، والذى قال فيه الملك فيصل (ربما كنا جميعا مجانين) ثم ما انتهى اليه الحوار من قول جمال عبد الناصر :

(أحيانا عندما نرى ما يحدث فى العالم العربى ، فانى أعتقد ان ذلك قد يكون صحيحا ياصاحب الجلالة ·· ولذا فانى أقترح ان ننتدب طبيبا للكشف علينا دوريا ، ومعرفة المجنون فينا) ·

اقول ·· لعل هذا الحوار الذى خرج عن حده المعتاد بين الرؤساء والملوك ·· يعطى احساسا بسخونة الموقف داخل قاعة الاجتماع ·· ويدفع الى التساؤل فى نفس الوقت :

هل هو جنون فرد الذى فجر هذه المأساة ·· ام خيانة طبقة ونظام ؟

وهل افرخت المأساة والمذبحة بين المجتمعين فى قاعة المؤتمر ·· ام انها امتدت الى قادة بعض القوى التى الهبت المشاعر واخطأت التقدير ·· ولم تحضر المؤتمر ؟

مهما حاولنا من تعليق الخطايا فى رقاب المتهمين ·· فان الشهداء لن يعودوا للحياة ·· ووصمة العار لن تمحوها الأيام من جبهة النظام الاردنى ، ولا من حياة بعض الذين لجأوا الى الاستفزاز وحده من بين بعض فصائل المقاومة الفلسطينية ·

ضاعت الفرصة الى الأبد فى أن يعود الفدائيون أحرارا فى الاردن ·

واغلقت حدود الضفة الغربية فلم يعد يتهدد الخطر أحدا داخل اسرائيل من هذا الاتجاه ·

وبدات لجنة يراسها الباهى الادغم تشرف على تنفيذ الاتفاق الذى وقعه الملك حسين وياسر عرفات ·

وبدأ الملوك والرؤساء يغادرون القاهرة الى بلادهم فى نفس اليوم ·

واصبح يوم جديد ·· يحمل تاريخا له وقع حزين فى نفوس المهتمين بقضايا الأمة العربية ·

٢٨ سبتمبر ·· يوم انفصال سوريا عن مصر بانقلاب عسكرى ·· يوم تمزقت الجمهورية العربية المتحدة ·· التى اعتبرت ولادتها انتصارا تاريخيا للقومية والوحدة العربية ·

٢٨ سبتمبر ·· ذلك اليوم الذى انتقل فيه جمال عبد الناصر منذ تسع سنوات الى دار الاذاعة لأول مرة ليتابع اخبار الحركة الانفصالية ·

٢٨ سبتمبر ·· اليوم الذى أصدر فيه جمال عبد الناصر تعليمات بارسال قوات لمقاومة الانفصاليين فى سوريا ، ثم أصدر امرا بعودتها وهى بعد مازالت فى الطريق ·· حتى لايقتتل العرب ·· ويهدر الرصاص العربى دماء عربية ·

٢٨ سبتمبر ·· اليوم الذى أغلق فيه جمال عبد الناصر غرفته على نفسه ، واجهش بالبكاء لان دمشق التى احبها ضاعت ·· وكانت أول هزيمة للزعيم صاحب الانتصارات الصاعدة ·

استيقظ جمال عبد الناصر مرهقا فى ذلك اليوم ــ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ــ ولكنه لم يتردد فى توديع الملوك والرؤساء فى مطار القاهرة ·

وعند الوداع الأخير لأمير الكويت كانت طاقة جمال عبد الناصر على الاحتمال قد نفدت ·· ولم يعد قادرا على الوقوف ·· طلب الطبيب وهرعت اليه العربة التى أسرعت الى داره فى منشية البكرى فوصلت فى الثالثة والنصف ·

الاسرة تنتظره على الغداء ·· ولكنه مرهق ·· مرهق ·· يدخل غرفته ويخلع ملابسه وينام على السرير ويكتشف الطبيب أن أزمة قلبية قد هاجمته ·· وأن الموقف خطير ·

ويتوالى حضور الأطباء والمسئولين ·

وبعد أن كان يقف الى جانبه شعراوى جمعه وسامى شرف ومحمد أحمد توالى وصول محمد فوزى وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ·· وبقيت الاسرة خارج الغرفة ·

وبدات محاولات الطب لانقاذ حياة الزعيم ·· والذهول يعقد السنة الحاضرين ·

وقفوا ساعتين حول عبد الناصر ·· وهم لايتصورون أن عبد الناصر قد مات ·

وعندما انهار احـــد الاطبـــاء ، اكتشف الحاضرون الموقف ٠٠ وانفجر البكاء ٠

بكى رفاق عبد الناصر عليه ٠٠ فى نفس اليوم الذى بكى فيه هو منذ تسع سنوات لفراق سوريا ٠

عبد الناصر ٠٠ مات ٠

وليس امام الموت عظيم ٠

جنازة ٠٠ الزعيم ٠

اعلن انور الســادات نائب رئيس الجمهــورية الخبر الحزين على جماهير الشعب من ميكرفون الاذاعة وشاشة التليفزيون ٠

وكان الخبر صدمة مذهلة ٠٠ فقد شــاهده الناس منذ ساعات يودع امير الكويت فى المطار ٠

وزحف الناس الى بيته ٠٠ مئات الألوف ٠٠ ثم الملايين امتلات بهم شوارع القاهرة ٠

وعقدت الوزارة مــع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشــتراكى اجتماعا مشتركا فى قصر القبة لاعداد ترتيبات الجنازة التى تقرر ان تشيع يوم اول اكتوبر ٠

وتقاطر الزعماء والرؤساء على القاهرة لتوديع جمال عبد الناصر٠

وامضى الشعب المصرى ثلاثة ايام حزينة ٠٠ تسير جموعه تغنى اغنيات تنضح بالأسى والفجيعة ٠٠ كل الذين ارتبطت امالهم به اصابتهم الفاجعة فى الصميم ٠

ولم يعرف تاريخ مصر اياما مثل هذه الأيام الثلاثة التى سبقت الجنــازة ٠

ولم تفلح كافة الاجراءات والترتيبيات الادارية فى اخراج جنازة رسمية ٠٠ احتضن الشعب جثمان الزعيم ، واختلط البكاء مع الصراخ والنحيب والدعاء والهتاف ٠

ودفن جمال عبد الناصر فى المســجد الذى اقامه مجاورا للقيــادة العامة للقوات المسلحة التى زحفت اليها قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

عبد الناصر .. مات .

وشيع شعب مصر جنازته فى موكب تاريخى رهيب .

وانتهت صفحة قائد ثورة يوليو .

ولكن (قصة ثورة ٢٣ يوليو) لم تصل نهايتها بعد .

الباب السابع

تقييم لدور البطل الزعيم

عبد الناصر ·· مات ·

لم يعد صاحب الرأى والارادة ·· ومركز حركة الاحداث ·

نام فى صمت أبدى ·· وترك الحديث للناس ·

مفجر ثورة يوليو وقائد مسيرتها ·· مات ·· قبل أن ينتهى الطريق وتكتمل القصة فصولا ·

غاب المخرج والمؤلف والبطل ·· وبقى المشاهدون ·· لم يسدل الستار بعد ·

غاب الزعيم ·· وبقى الشعب ·· ولم تنته قصة ثورة ٢٣ يوليو ·

والدور الذى قام به جمال عبد الناصر ··· حفر له مكانا بارزا فى تاريخ مصر ·

لم يكن جمال عبد الناصر هو البطل الوحيد على خشبة المسرح ·· ولكنه كان يلعب دور الفتى الأول الذى جذب الأضواء وسحر الجماهير ، وتلقى أكاليل الغار ·· حتى وقع من الهزيمة القاسية ، ثم نهض كبطل اغريقى يحارب من أجل مجده وحرية وطنه ، فوق أرض روتها الدماء ·· وسط شعب اهتزت ثقته ·· ولكنه ظل يبلور أمله فى هذا الرجل الاسمر القادم من صعيد مصر ، الذى أقام الجمهورية وأصبح أول رئيس منتخب لها بعد حكم الفراعنة والأباطرة والخلفاء والملوك امتد آلاف السنين ·

فرض عبد الناصر نفسه على عصره ·· واصبح الناس فى الخارج يقولون (ناصر) اذا ذكرت (مصر) ·

كان بطلا قوميا الهب مشاعر العرب ·· وساند الحركات التحررية ·· ·· واقام اول دولة للوحدة ج·ع·م·

وكان احد ثلاثة من كبار زعماء العالم ، اسسوا الحيـاد الايجابى وعدم الانحياز ·· نهرو وعبد الناصر وتيتو ·

وكان زعيما وطنيا جريئا كسر القيود التى فرضتها الامبريالية على وطنه ·· وانتصر على العدوان الثلاثى ·· وتعاون مع الدول الاشتراكية فى مجالات التصنيع والاقتصاد والتسليح ·

وفوق أرض مصر ·· تغيرت معالم الحياة ·· ولعب عبد الناصر فى ذلك دورا رئيسيا ·

تحرر الفلاح من سيطرة الاقطاع ·· واصبحت ثلاثة أرباع الارض يملكها الذين يزرعونها ·· وسقط السيد المعبود الذى كان يملك الارض· ومن عليها ·

وارتفعت مداخن المصانع من الاسكندرية الى اسـوان ·· وقامت قاعـدة صناعية قـوية ، يعمـل فيها ٧ ملايين عامل ، واصبحنا ننتج ما يمكن تصديره للخارج ·· بعد أن كانت مصر تستورد كل شيء حتى ابر الخياطة ·

ودخلت مصر مجال الصناعة الثقيلة ·· واقامت بالتعاون مـع الاتحاد السوفييتى مجمع الحديد والصلب فى حلوان ، ومجمع الألمنيوم فى نجع حمادى ومئات المصانع ·

كما دخلت مصر الكهرباء باقامة السـد العالى الذى وفر لنا كل الكهرباء لمصانعنا ، واضاف مليون فدان لرقعتنا الزراعية التى تحاصرها الصـحراء ·

واخذ العمال بعض حقوقهم ·· اصبحت مـدة العمـل ٧ ساعات يوميا · وامتنع الفصل التعسفى ·· وشارك العمال فى الارباح وفى عضوية مجالس الادارة ·· وتشكل الاتحاد العام لنقابات العمـال بعـد تعذر تشكيله قبل ٢٣ يوليو ·

واصبح التعليم مجانا فى مختلف المراحل بما فيها الجامعات ·· ولم تعد هناك قيـود مادية او اجتماعية تحول بين الموهوبين ومواصلة التعليم ·

وضمنت الدولة حق العمل لكافة خريجى الجامعات والمعاهد ٠٠ وتراجعت البطالة التى كانت تزحف على المجتمع ٠

وانتشرت الجامعات فى الدلتا والصعيد ٠٠ واصبح لدى مصر مايكفيها من الاطباء والمهندسين والعلماء والاداريين ٠٠ وما يمكن توفيره ايضا لعدد من الدول العربية الأخرى ٠

كان جمال عبد الناصر هو القوة الدافعة الرئيسية وراء كل هذه المكاسب والانجازات ٠

ولكن الزعيم وحده ـ دون محاولة التقليل من دوره ـ لايستطيع ان يقبض على كل الخيوط ٠٠ ويعجز مهما كانت قدراته وعظم اخلاصه ٠٠ أن يبنى المجتمع وحده ٠

وجمال عبد الناصر اعتمد فى بناء المجتمع الجديد اساسا ، على الذين يحيطون به من العسكريين ٠٠ وتشكلت (اوتوقراطية عسكرية) تربع فى قمتها بغير منازع ٠

اختار الطريق السهل ٠٠ الذى يعتمد فيه على القرارات الادارية ، ينفذها له مجموعة من العسكريين ، الذين نشأوا ودربوا فى اجهزة الامن والمخابرات ، كما اوضحت ذلك تفصيلا فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ٠

والمعارك السياسية الداخلية التى خاضها اعتمد فيها على القرارات الادارية وحدها ٠

الغى الاحزاب جميعا ، دون ان يفرق بين التى لعبت دورا وطنيا ، والتى قامت لخدمة المحتلين والسراى (الوفد واحزاب الأقلية) ٠٠ وهاجم فكرة الحزبية فى مجتمع كانت الطبقات فيه مازالت تتصارع ٠٠ ولكنه احتكر العمل السياسى فى يد تنظيمات ورقية اشرف عليها العسكريون ٠٠٠ ولذا سقطت الحياة السياسية فى فراغ رهيب حتى عام ١٩٦١ ٠

حاكم الاخوان المسلمين والشيوعيين وبعض رجال الاحزاب السابقين ، ولم يدرك ان هذه الاجراءات الادارية لايمكن أن تعنى تصفية سياسية ٠٠ فالأفكار لاتقهرها الا أفكار اخرى ٠٠ والذين ينظمون أنفسهم فى خدمة طبقة لاينتهى دورهم الا اذا صفيت تماما هذه الطبقة ٠٠ اما اذا كانت طبقة لها مستقبل فان كل الاجراءات الادارية تنتهى الى عدم مع الذين ينظمون انفسهم فى خدمة حقوقها ٠

وجمال عبد الناصر مثل كل زغيم لابد أن ينتمى الى طبقة يعبر فى النهاية عن مصالحها ٠

واذا كانت حركة الجيش قد حاولت أن تكون مظهريا فوق كافة الطبقات ، فانها انتهت الى دورها الطبيعى فى خدمة البرجوازية الصغيرة التى انتمى اليها الضباط الاحرار ٠٠ وهى الطبقة التى مازال لها رصيد فى النضال الوطنى والاجتماعى ، والتى ترفع فى مراحل التغير الاجتماعى شعارات وطنية وتقدمية ولكن عناصر كثيرة فيها تظل حبيسة ضيق الأفق وقصر النظر ، وتنتهز الفرص المتاحة للانجذاب الى البرجوازية الكبيرة ٠

وجمال عبد الناصر كان ابنا وفيا لهذه الطبقة ٠٠ بل هو من اكثر ابنائها وطنية وميلا الى اليسار ٠٠ تطور مع الزمن ٠٠ فلم ينحرف الى اليمين ولم يتراجع عن اتجاهه التقدمى ولكنه كان يصر على ان يعمل من موقع طبقته للعمال والفلاحين ٠٠ وليس بهم ٠

وما اسفرت عنه حالة المجتمع من شعور طبقى عند جمال عبد الناصر من أن الأمور والنفوذ يعود من جديد الى البرجوازية الكبيرة ، وكبار الرأسماليين ٠٠ هو الذى دفعه الى قرارات وقوانين تاميم يوليو ١٩٦١ ٠

أصدر جمال عبد الناصر هذه القوانين (الاشتراكية) والاشتراكيون الحقيقيون المدافعون عن مصالح الطبقة العاملة والفلاحين ، قد اغلقت عليهم قضبان السجون والمعتقلات بتهمة الشيوعية ٠٠ واستمر الأمر كذلك اكثر من سنتين بعد صدور هذه القوانين ، مما يشكل انفصاما فى شخصية المجتمع الذى ينادى بالاشتراكية ٠٠ ويعتقل الاشتراكيين الحقيقيين ٠

وقد حول جمال عبد الناصر (الاشتراكية) من كلمة يدخل المبشر بها الى السجن قبل ٢٣ يوليو ، الى شعار ترفعه حركة الجيش ٠٠ يتغير مع الأيام من اشتراكية ديموقراطية تعاونية ٠٠ الى اشتراكية علمية كما ورد فى الميثاق ٠

وقد ادى هذا التطور الى موقف فريد ٠٠

حلت التنظيمات الشيوعية نفسها فى بداية عام ١٩٦٥ ، وهى ظاهرة لم تحدث من قبل ٠٠ تماما كما حل حزب البعث فى سوريا نفسه بعد اقامة دولة الوحدة فى فبراير ١٩٥٨ ٠

كان هذا دليلا مؤكدا على الثقة التى حصل عليها جمال عبد الناصر وقت اتخاذ هذه القرارات التاريخية الضخمة ·

عندما اعتقد الشيوعيون أنه بدأ عملية التحول الاجتماعى فى طريق الاشتراكية العلمية ، سلموا له علم القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاق نضال معه فى الاتحاد الاشتراكى وطليعته ·

وعندما قامت دولة الوحدة ، اطمأن البعثيون ، وسلموا له أيضا علم القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاقا له فى الاتحاد القومى ·

وكان القراران — من الوجهة السياسية — خطأ ·· فقد أثبتت الأيام أن الوحدة لم تدم ، وأن الاشتراكية التى بشر بها الميثاق لم تتحقق ·

وكانت الصخرة التى تحطم عليها الأملان هى (الديموقراطية) ·

وليس المقصود بالديموقراطية هذه الصورة الليبرالية المطلقة التى اقترنت بالنظام الرأسمالى فى الدول الغربية ·· فلم تكن الحالة فى مصر بعد الخطوات التى اتخذت تسمح بذلك ·

ويجب ألا نبتعد كثيرا عن الأصل الذى نهض عليه نظام جمال عبد الناصر ، حتى لانخطىء الحساب ·

حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو هى حركة عسكرية ، بدأت انقلابا ، ثم تحولت مع الوقت الى ثورة ، يقودها أصحاب الرتب الصغيرة من الضباط الذين لاينتمون للطبقات الحاكمة فى ذلك الوقت ·

وعسير أن يتحول انقلاب عسكرى الى نظام ديموقراطى وسليم ، مهما حقق من انجازات وطنية واجتماعية ·· لم يحدثنا التاريخ عن مثال واحد — الى الآن — بدأ الأمر فيه انقلابا ثم انتهى بنظام ديموقراطى ·

ولايعنى وجود دستور وانتخاب مجلس أمة عام ١٩٥٧ أن ديموقراطية قد تحققت فى مصر ·· فقد كان الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى يقبضان على حرية الترشيح والانتخاب بيد من حديد ·

والأوتوقراطية العسكرية كانت لها اليد العليا دائما ··

وفى التنظيمات التى قامت لم تتوفر الديموقراطية أيضا ·· فلم تكن المعارضة مقبولة ومستساغة داخل التنظيم ·· وظل الأمر فى قبضة العسكريين الذين تعجزهم طبيعتهم الصارمة عن التفاعل الحى مع

الجماهير ·· والذين اعتمدوا فى قهر بيروقراطية الدولة على الأسلوب الادارى الحازم وحده ·· وهو مايمكن اعتباره ـ اذا لم ينسج مع العمل السياسى ـ سرابا لايصل اليه انسان ·

كان غياب الديموقراطية هو نقطة الضعف الرئيسية التى جعلت البناء الاشتراكى يقوم على قاعدة سلبية ·

ساعد على ذلك أيضا أن جمال عبد الناصر لم يكن شديد الحرص على بناء حزب مناضل يحمل معه مسئولية التحول الى المجتمع الاشتراكى ·· وتجربة طليعة الاشتراكيين ـ رغم ماكانت تبشر به من أمل ـ انتهت الى طريق مسدود ·

غيبة الديموقراطية ، وغيبة الحزب السياسى المناضل ، وتغلغل الاوتوقراطية العسكرية فى أجهزة الحكم ، ونمو البرجوازية الصغيرة ورسوخ أقدامها فى قمة التنظيمات القائمة دون اهتمام باطلاق طاقات العمال والفلاحين السياسية والاجتماعية ·

كل هذا أضعف دور الرقابة الشعبية ، وفتح بابا عريضا للانحرافات · سرقة المال العام ، الاعتقال بغير حساب ، فرض الحراسة بالتقارير · تعذيب المعتقلين حتى الموت أحيانا ·

ورغم قسوة هذه الانحرافات وتأثيرها السيىء على نفسية الجماهير ·· فانها ظلت فى الأغلب الأعم ، تأخذ مركزا ثانيا من اهتمام الجماهير بعد ثقتها بالزعيم وتأييدها لخطوات الثورة الوطنية والتقدمية ·

كان البعض اذا سمع عن الخطأ أو الانحراف ، تصور انه لابد أن يزول اذا وصل الأمر الى سمع جمال عبد الناصر ·

وربما كان هذا صحيحا ·· ولكن ·

من الذى كانت تتاح فرصة وصول صوته الى الزعيم وحوله أعوان متورطون فى هذه الانحرافات ؟

ولو كان هؤلاء الاعوان يعرفون ان الزعيم ـ مثلا ـ يرفض الاعتقال والتعذيب ، فهل كانوا قد لجأوا اليه أسلوبا للتعامل ؟

وهل توقف التعذيب بعد مصرع عدد من الذين ضمتهم المعتقلات ومنهم شهدى عطية الشافعى وغيره ؟

يعيدنا ذلك الى الحديث عن عجز الزعيم ـ أى زعيم ـ حتى ولو بلغ مرتبة جمال عبد الناصر التى لم يرق اليها زعيم آخر فى بلد عربى

مع بداية انتصاراته الوطنية والقومية فى منتصف الخمسينيات ·· عجز الزعيم عن أن يلمس كل شيء ويحرك كل امر فى مجتمع كبير يزيد مليونا كل عام ·· وانما يصبح نفسه مع الوقت اسيرا لطبيعة تكوين النظام من حيث التركيب الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ·

ولاشك أن أكثر ظاهرة افرزها هذا المجتمع وضوحا ·· هى هزيمة ١٩٦٧ التى يتحمل جمال عبد الناصر مسئوليتها الأولى ـ كما أصر هو نفسه على ذلك ـ حيث جنح الى مراضاة صديق عمره المشير عبد الحكيم عامر معتمدا عليه فى قيادة القوات المسلحة ، رغم عدم توافر صفات القيادة العسكرية فيه ، ورغم أخطائه عام ١٩٥٦ · واثناء حركة الانفصال عام ١٩٦١ ·

قد يكون جمال عبد الناصر قد أدخل فى حساباته تأثير عامر الانسانى على الضباط ·· ولكن الأسلوب الأوتوقراطى الذى يرضى ويغضب ، يصفح ويعاقب ، بغير حساب الا الرؤية الشخصية ·· والذى يقاوم بناء مجتمع ديموقراطى أصيل ·· هو الطريق الذى يؤدى الى أن يصبح الزعيم أسير بعض أعوانه وأتباعه ·

وهنا نقول ان مثل هذا الزعيم يصعب عليه أن يحسن اختيار أعوانه · لانه يتيح فرصة التقرب للمنافقين ·· ويرضى عن الخاضعين ·· ولايحاسب أحدا على انحرافه لان هذا الانحراف يزيده خضوعا وركوعا ·

وليس التعميم صائبا فى هذا المجال ·· فهناك من يقترب من الزعيم بطاقته وكفاءته واخلاصه ونكران ذاته ·· ولكنه لايمثل الحركة المؤثرة فى مجال السلطة ·· ولا يرقى الى أكثر مما يسمح به الزعيم ·

وجمال عبد الناصر ـ رغم أسلوب حكمه الاوتوقراطى ـ لم يكن ديكتاتورا ·· بل كان زعيما يعمل من اجل مصلحة الجماهير ·· وقد استطاع أن يكسب ثقة كل الذين عاشوا وآمالهم معلقة بخطواته وقرارات هذا الرجل الذى لم يقف ابدا مع المستغلين ، وانما دافع دائما عن الفقراء والمستضعفين ·

وربما كانت نشأة جمال عبد الناصر فى أسرة متواضعة سببا من الأسباب التى جعلته يقف فى يسار طبقته ، اقرب الى أحلام الكادحين منه الى حياة المرفهين ·

واذا كان التطبيق الاشتراكى لم يستطع خلال سنوات حياته أن يتخلص مما لحق به من عيوب ·· وبقيت الفروق الطبقية قائمة وواضحة

٠٠ الفلاح التعيس فى بيت الطين الذى عاش فيه منذ آلاف السنين ٠٠ والفقير فى المدينة ضائع مسكين ٠٠ والعامل يتكدس مع أسرته فى غرفة واحدة ٠٠ والسيادة لبعض المنحرفين ٠٠ والامية تكبل اكثر من نصف المجتمع ٠

اقول اذا كان التطبيق الاشتراكى لم يستطع أن يفصد الدم الفاسد ٠ وأن يحقق أهداف الاشتراكية السامية ٠٠ فانه يكفى أن الانطلاق كان قد بدا ٠٠ وأن القاعدة الصناعية القوية قد رسخت ٠٠ وأن الطبقة العاملة قد وجدت ٠٠ وأن الفـــلاح قد تحرر ماديا ومعنويا من حق الملكيـــة المقدس ٠

المدة التى انقضت على ثورة يوليو ١٩٥٢ لم تكن قد تجاوزت ١٨ عاما حتى وفاة جمال عبد الناصر ٠٠ ومع صدور قوانين التأميم ١٩٦١ بـــدأت المؤامرات تضرب اول نظام يحاول الوصول للاشتراكية فى منطقة التحرر الوطنى خلال طريق خاص ٠٠ ويخطو فى هذا السبيل خطوات هائلة ٠٠٠ الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ٠٠ خطة استنزاف جهد مصر فى حرب اليمن بالتعاون بين الامبريالية والنظم الرجعية ٠٠ قطع المعونة الغذائية الأمريكية ١٩٦٥ ٠٠ واخيرا العـــدوان المســلح ١٩٦٧ الذى شنته الصهيونية التوسعية والامبريالية الأمريكية ٠

الوقت لم يكن كافيا لانضاج التجربة ٠

ومؤامرات الامبريالية لم تترك فرصة للنفس الهادىء ٠

وكان استمرار عبد الناصر بعد الهزيمة ، بارادة الشعب المصرى فشلا لمؤامرات اسقاط نظامه التقدمى وتاكيدا لدوره التاريخى وبلورة لثقة الناس به رغم كل شىء ٠

ولكن ٠٠ عبد الناصر مات ٠٠

وقصة ثورة ٢٣ يولية لم تكتمل بعد ٠

الاســـكندرية فى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٧

شـكر وعرفـان

ما كان لهذا الكتاب ان يظهر لولا هؤلاء السـادة الذين تفضلوا فمنحونى بعض وقتهم للبحث والمناقشة ومعذرة اذا كانت الأسماء قـد ظهرت بلا ترتيب تقتضيه التقاليد المرعية ، فانى قد حرصت على تدوينها تبعا للوقت الذى سجلت فيه ·

وكل الشكر والعرفان بالجميل لهم فردا فردا ·

١ ـ العسـكريون :

الاســم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
محمد نجيب	لواء اركان حرب	رئيس جمهورية مصر
عبد اللطيف بغدادى	قائد جناح	نائب رئيس جمهورية
زكريا محيى الدين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
كمال الدين حسين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
حسن ابراهيم	قائـد سـرب	نائب رئيس جمهورية
خالد محيى الدين	صـاغ	عضو مجلس الثورة ورئيس ادارة (أخبار اليوم)
يوسف صديق	قائمقام	عضو مجلس قيادة الثورة
عبد المنعم أمين	صاغ أركان حرب	عضو مجلس قيادة الثورة
كمال رفعت	صاغ	عضو مجلس رئاسة ثم سفير
ابراهيم الطحاوى	صاغ	رئيس جمعية الشبان المسلمين
احمد لطفى واكد	صاغ	رئيس تحرير جريدة (الشعب)
أحمد أنور	بكباشى	سفير بالخارجية
حسن فهمى عبد المجيد	صاغ	سفير بالخارجية

الاســـم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
احمد كامل	يوزباشي	رئيس المخابرات العامة
حسنى عبد المجيـد	صاغ أركان حرب	لواء بالجيش
حسين عرفة	صاغ	مدير المباحث الجنائية العسكرية
توفيق عبده اسماعيل	يوزباشي	مدير عام برئاسة الجمهورية
احمـد المصرى	يوزباشي	مؤسسة السينما
آمال المرصفى	يوزباشي	مدير المسرح القومى
امين هويدى	صاغ	وزير حربية ووزير دولة
توفيق عبد الفتاح	بكباشي أركان حرب	وزير شئون اجتماعية ثم سفير
ثروت عكاشة	صاغ أركان حـرب	مساعد رئيس جمهورية
محمد أبو الفضل للجيزاوى	صاغ	عضو مجلس امة
شوقى فهمى حسين	قائد سرب	وزارة الاسكان
شعراوى جمعة	يوزباشي	نائب رئيس وزراء ووزير داخلية
محمد رياض	يوزباشي	مندوب حكومة قطر فى مصر
سعيد حليم	يوزباشي	وزير مفوض بالخارجية
عبد المحسن مرتجى	فريق بالقوات المسلحة	قائد القوات البرية
محمد التابعى	بكباشي	سفير بالســودان
عبد المنعم النجـار	بكباشي	سفير بالعــراق
فؤاد المهداوى	يوزبـاشي	محافظ مرسى مطروح
محمود الحمزاوى	لواء بالشرطة	مدير ادارة الجوازات
حامد محمود	يوزباشي	محافظ الجيزة
عبد الرءوف نافع	قائمقام	عضو مجلس ادارة منتدب لدار الهـــلال
محسن عبد الخالق	صاغ	سفير باليابان
محمد البلتاجى	صاغ	محافظ بالسويس
زكريا العادلى امام	صاغ	سفير بالهند

الاســـم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
عبد الحميد صبور	عميـد	سفير بليبيا
فؤاد هـــلال	صاغ	سفير بقطر
حسن حافظ فهمى	بكباشى	عضو مجلس امة
صدقى سليمان	قائمقام مهندس	رئيس وزراء ثم رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات
طلعت حسين	يوزباشى	رئيس مجلس مدينة الجيزة
حسن الدمنهورى	صاغ	الجامعة العـربية
حسنى الدمنهورى	بكباشى	أعمال حرة
ابراهيم بغدادى	يوزباشى	محافظ القاهرة
فريد طولان	صاغ أركان حرب	نائب مدير المخابرات العامة
فؤاد حبشى	صول طيـار	أعمال حـرة
امين شـاكر	صاغ	وزير سياحة
عبد الفتاح أبو الفضل	صاغ	الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى
وفاء حجازى	صاغ	سفير بنجلاديش
عبد المجيد نعمان	قائد سرب	المحرر الرياضى لجريدة الأخبار
فتح الله رفعت	يوزباشى	رئيس مؤسسة الاقراض الزراعى
محمد أبو نار	يوزباشى	رئيس شركة الأخشاب
محمد فوزى	بكباشى	فريق أول ووزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة
مجدى حسنين	صـاغ	سفير فى تشيكوسلوفاكيا
عبد المجيد شديد	يوزباشى	أمين تنظيم الاتحاد الاشتراكى
منير موافى	ملازم اول	مؤسسة روز اليوسف
صلاح الحديدى	فريق أول	رئيس المخابرات الحربية
محمد على بشير	صـاغ	رئيس مجلس ادارة الشركة الشرقية للبترول

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
ممدوح جبه	صاغ	سفير سوريا
عبد الحميد الدغيدى	لواء جوى	قائد القوات الجوية بسيناء
حسن خليل	صاغ	قائد المباحث الجنائية العسكرية
مصطفى بهجت بدوى	صاغ	رئيس مجلس ادارة دار التحرير

٢ ـ السياسيون :

الاسم	آخر منصب
احمد فؤاد	رئيس مجلس ادارة بنك مصر
عز العرب عبد الناصر	رئيس مكتب الجمهورية بالاسكندرية
محمد رياض	وكيل وزارة الداخلية
فتحي رضوان	وزير الثقافة
محمد شـطا	عـامل
فؤاد سراج الدين	وزير داخلية سابق
فتحى خليل	صحفى بروز اليوسف
محمود امين العالم	رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم
موسى صبري	رئيس تحرير الأخبار
سعد كامل	محرر بالأخبار
ابراهيم فرج	وزير دولة
زكى مراد	محـام
عزيز صدقى	مساعد رئيس الجمهورية
حسين فهمى	رئيس تحرير الأخبار
محمد الغتيت	وكيل بنك الإئتمان العقارى
مصطفى مرعى	محـام
محمـود الشريف	وكيل وزارة الاعلام بقطر
كمال ناجى	وكيل وزارة التعليم بقطر
مراد غالب	وزير خارجية ثم سفير ليوغسلافيا
ابراهيم سعد الدين	عضو امانة الاتحاد الاشتراكي
احمد بهاء الدين	رئيس تحرير الأهرام
عبد المنعم الصاوى	نقيب الصحفيين المصريين
احمـد سعيد	مدير صوت العرب
دكتور فؤاد مرسى	وزير التموين السابق

المراجع العربية

الكتـــاب	المؤلف
فلسفة الثورة	جمال عبد الناصر
خطب جمال عبد الناصر	
أسرار الثورة المصرية	انور السادات
أسرار معركة الحرية	حسن عزت
حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر	راشد البراوى
الثورة العرابية	لورد كرومر
حرب التحرير الوطنية	كمال رفعت
الناصرية	عبد الله امام
ما الذى جرى فى سوريا	محمد حسنين هيكل
عبد الناصر والعالم	محمد حسنين هيكل
مذكرات ايدن	
صلاح ســالم	الدكتور محمد المعتصم
العالم الثالث (قضايا وآفاق)	س. جوكوف وآخرون
تاريخ الأقطار العربية الحديث	لوتسكى
من أسرار الساسة والسياسة	محمد التابعى
انجلترا وقناة السويس	الدكتور محمد مصطفى صفوت
عبد الناصر والحركة النقابية	محمد خالد
ميلاد ثورة	محمد عـودة
السياسة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية	فاخرة شيف
ثورة ٢٣ يوليو	عبد الرحمن الرافعى
محاضر محادثات الوحدة	
المشاكل المعاصرة للتحرير الوطنى	لينين
التورط السوفيتىفى الشرقالأوسط	ميلز كوبلند و هـ . هانتر
اسرار معركة بورسعيد	أحمد حمروش
قصة ملك واربع وزارات	موسى صبرى
ثورة ٢٣ يوليو	دكتور ثروت بدوى
سنوات التحول الاشتراكى	على صبرى
مصر منذ الثورة	فاتيكيوتس
بيانات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء	

غروب يوليو

الاهـــــداء

الى صديقة رحلة العمـــر ·· زوجتى

التى اوحت لى بتكملة القصــــة

من اجل الذين اشرقت شمس يوليو بحركتهم

ثم غربت وهم فى موقف المشاهدين

مقـــدمة

كنت أنوى أن تكون آخر كلمة فى قصة ثورة ٢٣ يوليو ، مقترنة بآخر نبضة فى قلب زعيمها جمال عبد الناصر ٠

وصدرت الأجـزاء الخمسة الأولى مهتدية بهـذه الفكرة ، معبرة عن هذه المرحلة ٠

ولكنى وجدت أن قصة ثورة ٢٣ يوليو لم تصل بعد الى النهـاية رغم وفاة جمال عبد الناصر ٠٠ وأنا أكتب هذه الكلمات بعد مرور سبع سنوات على وفاته وربع قرن على انتصار الثورة التى ما زالت أعلامها مرفوعة ، ومصر تحتفل رسميا بعيدها كل عام ٠

أمور كثيرة جدت على حياة الثورة ، وغيرت من معالمها ، وجمحت مسيرتها ٠٠ حتى يكاد الانسان يشعر أنه غريب عنها ، أو أنهـا غريبة عليـه ٠

اتلفت حولى وأتساءل :

أين قادة هذه الثورة وضباطها الأحرار ؟

أى فارق بين الصورة التى عاشها الناس قبل سنوات ، والصورة التى نشاهدها اليوم ؟

ماذا حـــــدث ؟

وأعود الى القلم من جديد ، محاولا أن أمضى مع القصة بكل الصدق والموضوعية ، متحاشيا الانجذاب الى العواطف والانفعالات ، متشبثا بما اهتديت به منذ البداية ، من أن ما نكتبه ليس ملكا لنا ٠٠ وانما هو لأبناء مصر والأمة العربية واجيالها القادمة ٠

وأكتب هذا الكتاب مكملا « قصة ثورة ٢٣ يوليو » ولكنى لا أدفع به الى دار النشر ، فالموقف لم يكن يحتمل ذلك عام ١٩٧٧ ·

وأختار للكتاب اسم (غروب يوليو) رغم أن أحد أبنائها (أنـور السادات) كان ما زال وقتها رئيسا للجمهورية ·

واتساءل بعد مراجعة هذا الكتاب فى نهاية عام ١٩٨١ عما اذا كان صحيحا هذا الاسم الذى اخترته (غروب ثورة يوليو) أم أن الثـــورة التى غربت قد تشرق من جديد على غد ليس فيه سحب ولا ضباب ·· غد منزه من الأخطـــاء ·

هذه قضية أخرى وانتهز هذه الفرصة لكى أشكر من الأعماق هؤلاء الذين تفضلوا بمنحى بعضا من وقتهم لرواية الدور الذى قاموا به فى قصة الثورة بعد وفاة زعيمها فساعدوا بذلك على كشف أسرار هذه المرحلة الهامة والحاسمة فى تاريخ مصر والأمة العربية ·

احمـد حمروش

الاسكندرية ـ ٧ ديسمبر ١٩٨١

الباب الأول

التركة .... والميراث

(اذا مات الاسد جلس الثعلب على العرش)

مثل بريطانى

الفصـــل الأول

التركة ... والميراث

كان يقف الى جوار جمـــال عبد الناصر فى لحظات حياته الأخيرة الأطباء فقط .. أما الزملاء والرفاق فقد توالى وصولهم بعد أن كانت الحياة قد فارقت الزعيم وفقد القدرة على الكلام .. ولكن دون أن يتصور أحد من الواقفين حول فراشه أنه قد مات .

لحق به قبل أن يودع الحياة فى صمت محمد أحمد وسامى شرف ثم حضر بعد النهاية شعراوى جمعة ومحمد حسنين هيكل والفريق أول محمد فوزى وعلى صبرى وحسين الشافعى ثم أنور السادات .

ولم يستوعب هؤلاء حقيقة الموت الا بعد أن انهار أحد الأطباء وانفجر بالبكاء .. وساد الغرفة جو من العويل والنحيب .. واقترب الحاضرون من الفراش .. قبل البعض جبهة الزعيم ، والبعض قبل يده .. وانتحى حسين الشافعى جانبا من الغرفة يصلى ركعتين لله .. وغطت الملاءة وجه الفقيـــد .

خرج الجميع الى غرفة الاستقبال ، لتدخل أسرة عبد الناصر تواجه المأساة المفاجئة .. فلم يكن أحد يتوقع الموت لجمال عبد الناصر رغـم ما كان يعانيه من أمراض وآلام جسمية ونفسية .

وواجه المجتمعون موقفا جديدا .

كانت ثورة يوليو قد وضعت حدا للنظام الملكى ووراثة العرش .. لم تعد هناك ولاية للعهد .. لم يكن لهذا الموقف فى حكم مصر سابقة منذ آلاف السنين .. فرعون يخلفه ابنه أو فرعون آخر من أسرته .. والوالى يسمى خليفته .. والسلطان العثمانى يعين حاكم مصر .. والمملوك يتولى الحكم بحد السيف .

كان جمال عبد الناصر اول رئيس لجمهورية مصر تلحقه الوفاة وهو فى قمة جهاز الحكم ٠٠ ولذا وجد المجتمعون أنفسهم فى حيرة لا يعرفون الأسلوب الصحيح للتصرف فى مواجهة هذا الموقف الكبير ٠٠ ولم تمض الأمور فى يسر كما حدث عام ١٩٣٦ عندما توفى الملك فؤاد ، فارتفعت الصيحة التقليدية (مات الملك ٠٠ عاش الملك) وأصبح فاروق ابن السادسة عشرة ملكا على مصر ٠

ولكن الأمر يختلف الآن ٠٠ هؤلاء المجتمعون كانوا مرتبطين أوثق ارتباط بالزعيم صاحب الشخصية القوية الذى كان يحرك الأمور والمصير أيضا ٠٠ وهم الآن فى غرفة واحدة يحمل كل منهم أفكاره فى صدره تغلفها مشـاعر الحــزن والصدمة ٠

لم يكن المجتمعون هم أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ٠٠ المسـتوى القيادى الأعلى للاتحاد الاشتراكى ، ولكنهم كانوا المجموعة القريبة المنتقاة من الزعيم ٠٠ وكلهم من العسكريين عدا مدنى واحد ٠

وتقرر فى هذا الاجتماع الذى حدد القدر موعده أن يعقد اجتمـــاع مشترك فى نفس الليلة يحضره أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء فى قصر القبة ، حيث نقل أيضا جثمان عبد الناصر ليحتفظ به فى ثلاجة طبيــة ٠

حضر بعض الوزراء بملابس الجنود الكاكى ، فقد كانوا فى زيارة للجبهة ٠

كان هذا أول اجتماع لمثل هذا المؤتمر ، لا يشارك فيه عبد الناصر، وانما يقبع قريبا منه فى صمت النهاية ٠٠ الجميع يتحدثون عنــه ٠٠ هو النقطة الوحيدة فى جدول الأعمال بعد أن كان هو الذى يحدد الجــدول ويدير المناقشــة ٠

واستقر الرأى على أن تكون الجنازة يوم الخميس أول أكتـــوبر حتى تتاح فرصة لوصول وفود الدول المختلفة ٠٠ وأن يكون الدفن فى المسجد الذى أقيم فى كوبرى القبة مجاورا للقيادة العامة للقوات المسلحة التى سقطت فى يد الضباط الأحرار ليلة ٢٣ يوليو ٠

وكان الشعب قد بدأ يشعر أن شيئا جسيما قد حدث عندما أصــدر محمد حسنين هيكل بصفته وزيرا للاعلام قرارا بوقف كافة البرامج واذاعة القرآن الكريم ٠٠ ولكن أحدا لم يتوقع هذه الفاجعة الى أن ظهر على شاشة التليفزيون أنور السادات نائب رئيس الجمهورية يقرأ بيانا قصيرا للشعب عن وفاة جمال عبد الناصر جاء فيه :

(فقدت الجمهورية العربية المتحدة ، وفقدت الأمة العربية ، وفقدت الانسانية كلها رجلا من أغلى الرجال وأخلص الرجال. وهو الرئيس جمال عبد الناصر الذى جاد بأنفاسه الأخيرة الساعة السادسة والربع من مساء اليـــوم ٢٧ رجب ١٣٩٠ الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بينما هو واقف فى ساحة النضال يكافح من أجل وحدة الأمة العربية ، ومن أجل يوم انتصارها) ٠

وتابع أنور السادات القراءة بين الذهول وانفجار الصيحات وانهمار الدموع ٠٠ حتى لم يستطع الناس متابعة كلمات البيان ٠

وهكذا شاء القدر أن يقرأ أنور السادات البيان الأول لحركة الجيش صباح ٢٣ يوليو ، وأن يقرأ أيضا بيان نعى زعيم ثورة يوليو ٠

خرجت جموع الشعب الى الشوارع ، وكأنما تستنجد المجهول ، وتبحث عن حقيقة الخبر ٠٠ وتسير مذهولة وتغنى أغنيات حزينة تقــول (الوداع يا جمال يا حبيب الملايين) . وتتبادل كلمات الضياع والفجيعة ٠

ثلاثة أيام ، والوفود تتدفق على القاهرة ، والشوارع لا تخلو فى الليل أو النهـــار ٠

الملايين سدت الطرقات ، وتسلقت الأشجار ، وازدحمت الشــرفات تنتظر لحظة وداع الرجل الذى ملك قلوبهم ٠٠ مشهد حزين ربما لم تعرفه مصر فى تاريخها الطويل العريق ٠

ولم يكن الحزن فى مصر فقط ، ولكنه كان فى كل البلاد التى قدرت الدور التاريخى الهائل للزعيم الراحل ٠٠ قاد نيريرى رئيس جمهورية تنزانيا مسيرة شعبية فى دار السلام ٠٠ وأعلن راديو جبهة تحرير فيتنام أن الثوار نكسوا أعلام الجبهة فى الغابات والأدغال حدادا ، وبكى شعب الجزائر بعد أن كان يهاجم عبد الناصر لقبوله قرار مجلس الأمن ووقف اطلاق النار ٠٠ وخرجت من ميدان الأوبرا مسيرة لأبناء السودان سار فيها لفترة جعفر نميرى ومضى من بعده حتى نهايتها بابكر وهاشم العطا وخالد حسن عباس وفاروق أبو عيسى وأبو القاسم هاشم ٠٠ أعضـــاء مجلس الثورة ومجلس الوزراء فى ذلك الوقت ٠

ويقول محمد حسنين هيكل ان أنور السادات قـد اتصل به طالبا مناقشة اقتراح بالغاء ترتيبات الجنازة خشية انفلات الأمور وتعــرض العاصمة للخطر ٠٠ ولكنه تراجع عن ذلك عندما قال له هيــكل ان مثل هذا الاقتراح يمكن أن يسفر عن كارثة لأن الناس سوف تستقبله استقبالا خاطئــا ٠٠

واستدعى الفريق أول محمد فوزى قوات من الجيش للمساعدة فى حفظ الأمن ٠

كان قد تقرر أن ينقل الجثمان بطائرة هليوكبتر من قصر القبة الى نادى الجزيرة بعد تعذر مسيره فى الشــوارع لتبدأ الجنازة من مجلس قيــادة الثورة ٠

فى هذه الأيام المشحونة بالقلق والتوتر طلب أنور السادات بناء على اقتراح محمود رياض وزير الخارجية تشكيل لجنة لدراسة موضوع وقف اطلاق النار الذى فرضته مبادرة روجرز اعتبارا من ٨ أغسطس ، والذى كان مفروضا أن ينتهى يوم ٧ نوفمبر ، وذلك لأن عددا كبيرا من الشخصيات الأجنبية الذين سيحضرون للعــــزاء مثل اليكسى كوسيجن رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ، ويوثانت سكرتير الأمم المتحدة وشابان دالماس رئيس وزراء فرنسا ، وسير اليك دوجلاس هيوم رئيس وزراء بريطانيا ، والبرت رتشارد سون وزير الصحة الأمريكى وغيرهم من الملوك والرؤساء من المحتمل أن يسألوا بعد الجنازة عن موقف مصر بعد انتهاء الفترة الأولى لوقف اطلاق النار ٠

شكلت اللجنة واجتمعت ليلة تشييع الجنازة مساء يوم ٣٠ سبتمبر فى مكتب الفريق أول محمد فوزى وحضرها محمود رياض وزير الخارجية ، وشعراوى جمعة وزير الداخلية ، وأمين هويدى وزير الدولة ، ومحمــــد حسنين هيكل وزير الاعلام ، وسامى شرف وزير الدولة ، وحافظ اسماعيل مدير هيئة المخابرات العامة ٠

وخلال هذا الاجتماع الذى عقد فى جو نفسى غير ملائم ودون تمهيد كاف لدراسة مثل هذا الموضوع الخطير ، الذى سبق بحثه فى نطاق ضيق أثناء حياة عبد الناصر وكان الاتجاه وقتها الى مد وقف اطلاق النـــار فترة أخرى اظهارا للحرص على السلام ، وتكملة للاستعدادات الحـــربية بعد وصول الامدادات السوفيتية ٠

خلال هذا الاجتماع انقسمت الآراء بين محبذ لمد فترة وقف اطـــلاق النار وبين معترض على ذلك ٠٠ ولكن حسم الأمر أن الفريق فوزى قال ان مدة أخرى تقوى قدرته القتالية ، وأن وفاة عبد الناصر تعتبر عذرا قهريا يبرر وقف اطلاق النار ٠

يقول محمد حسنين هيكل انه بعد انتهاء الاجتماع طلب شــعراوى جمعة منه أن يصحبه فى عربته وركب فيها أيضا أمين هويدى وســـامى شرف ، وتوقفت العربة عند معهـــد الشرطة قريبا من مدينة نصر وقال شعراوى انهم يريدون أن ينسقوا سياستهم معا باعتبارهم أكثر المسئولين

قريبا من عبد الناصر ٠٠ ولكن هيكل كان حذرا فلم يقبل ـ على حد قوله ـ الظهور فى مظهر ورثة عبد الناصر لما يمكن أن يحدثه ذلك من ردود فعل عنيفة حول السعى من أجل السلطة ٠

وانفعل سامى شرف محتجا على رغبة هيكل فى الاستقالة قائلا (اما أن نبقى جميعا أو نخرج جميعا) ٠

أما أمين هويدى فقد ظل صامتا لأنه فوجىء أولا بدعوته للركوب ، وثانيا لأنه كان قد بدأ يفكر فى الابتعاد عن مراكز المسئولية ٠٠ ويعلق على هذه الواقعة بقوله ، انه يتذكر أن هيكل قد اقترح ضمن الحديث التفكير فى زكريا محيى الدين ولكن الاقتراح قوبل بالرفض المنفعل ٠

بينما يفسر شعراوى جمعة تفسيرا آخر فيقول انه قد فتح هذا الحديث حرصا منه على تماسك الذين اعتمد عليهم جمال عبد الناصر فى حياته ، وأن حديثه لم يكن موجها ضد شخص أو ضد اتجاه ٠٠ فلم تكن الأمور قد أسفرت بعد هذا الوقت الضيق عن شىء يستحق موقف الحذر أو العداء ٠٠ والشعور السائد فى هذه الأيام التى سبقت الجنازة كانت مزيجا من الحزن والقلق والضياع مع الحرص على سلامة الوطن وتحرير أرضه ٠

على أية حال ٠٠ كان واضحا أن أفكارا جديدة قد بدأت تستولى على عقول الذين احاطوا بعبد الناصر فى حياته ٠٠ وهم الذين اعتادوا أن يتركوا له التفكير غالبا ، ويكتفوا بالتنفيذ دائما ٠

والوقت قبل الجنازة ضيق ومشحون بالمسئوليات الادارية لمواجهة هذا الحشد الشعبى المرابط فى الشوارع ليل نهار ٠

وكان يوم الجنازة مشهودا فى تاريخ مصر ٠٠ يوم لن يضيع من ذاكرة الذين عاشوا هذه الفترة ٠٠ ولن يهمله التاريخ لانه كان أسمى تعبير عن وفاء شعب ٠

شعر المشيعون الأجانب بنوع من الذهول والدهشة ٠٠ فلم يتوقعوا أن تكون الجنازة بهذه الصورة الشعبية الرهيبة التى عجزت كل قوات الأمن وبعض وحدات الجيش عن تنظيمها ٠٠ فقد كان الناس يندفعون نحو الجثمان يريدون أن ينطلقوا به من فوق عربة المدفع لولا قوات الأمن التى بذلت جهدا خارقا لحماية النظام ٠

استغرقت الرحلة الأخيرة للجثمان فى شوارع القاهرة خمس ساعات ولم ينتظم سير المسئولين ولا المشيعين الأجانب فيها ، وأثر الانفعال والزحام فى حالة أنور السادات وعلى صبرى الصحية فلم يشتركا بالسير فيها ٠٠ وكان الأول قد أصيب بذبحة صدرية عقب زيارته لفيينا عام ١٩٦٠ عاودته مرة ثانية ، كما أن الثانى كان قد تعرض لأزمة قلبية حادة أثناء

عودته من زيارة قناطر نجع حمادى عقب هجوم اسرائيلى جوى عليها عام ١٩٦٩ ٠

انتقل أنور السادات وعلى صبرى الى سراى القبة بعـــد الجنازة بطائرة هليوكبتر حيث لحق بهما حسين الشافعى وأمضى الثلاثة ليلتهم هنـــاك ٠

ويقول عبد اللطيف البغدادى انه ذهب بعد الجنازة الى قصر القبة للسؤال عن صحة أنور السادات فوجده مستريحا على سرير فهمس له أن هناك تيارات وانه يطلب مقابلته فحدد له موعدا يوم الثلاثاء ٠

كان أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقون الذين وصلوا الى منصب نائب رئيس الجمهورية ثم استقالوا ، يعتبرون أنهم مشاركون فى مســار ثورة يوليو ومسئولون عن مصيرهم ٠٠ ولذا أرادوا أن يكون لهم رأى بعد وفاة الزعيــم ٠

وكانت صلتهم محدودة ومقطوعة بمجموعة الصف الثانى التى تتولى مراكز المسئولية فعلا ، ولذا اعتبر البغدادى أن السادات أقرب اليهم من الآخـــرين ٠

ويقول البغدادى أيضا ان زكريا محيى الدين قد حضر اليه ليلة الوفاة فى منتصف الليل ، ومكث عنده حتى الساعة الثانية صباحا ، حيث كان كمال الدين حسين فى الاسكندرية ٠٠ واتفق الاثنان على ألا يتجـاوز دورهم السير فى الجنازة فقط ٠

ولكن البغدادى فوجىء بتأبين خاص لجمال عبد الناصر يظهر فى اليوم التالى بصحيفة الأهرام حاملا توقيع زكريا محيى الدين ٠

وكان هذا التأبين ضمن ظواهر تستلفت النظر ٠٠ محاولة هيكل الاشارة الى زكريا محيى الدين ـ ان صحت ـ أثناء حواره مع شــعراوى وسامى وهويدى وتركيز عدسات التليفزيون على زكريا أثناء سير الجنازة حتى مواراة الجثمان فى المقبرة واتصال أمين شاكر وزير السياحة السابق ومدير مكتب جمال عبد الناصر خلال فترة ما ، بالرئيس جعفر نميرى طالبا منه زيارة زكريا محيى الدين وابلاغ نميرى ذلك لشعراوى وسامى وعــدم اتمـــام الزيارة ٠

كل هذه الظواهر أثارت قلقا فى نفوس الذين وقفوا الى جوار جمال عبد الناصر حتى النبضة الأخيرة فى حياته ٠٠ وكانت لها ردود فعل متبـاينة ٠

استدعى هيكل الى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى

للاستفسار منه عما وراء هذه الظواهر ٠٠ فأنكر أن يكون له قصد أو علم ٠٠ وقال لي انه لم ينظر الى الموضوع خلال هذا المنظار ، وأنه كـــان حريصا على الالتزام بما يفرضه الدستور ٠٠ كما أنه لم تكن هناك دوافع معينة تدعوه الى ترجيح زكريا ٠٠ وقال ايضا انه عندما كثر اللغط حـول تركيز عدسات التليفزيون على زكريا ، أمر بصفته وزيرا للاعلام اجراء تحقيق تبين منه أن العدسات كانت مسلطة على خالد عبد الناصر الذى كان يستند الى ذراع زكريا ٠

أما الاشاعة التى سرت حول ترشيح عبد الناصر لزكريا ، والتى نبتت بما كتبه هيكل من أن عبد الناصر طلب قبل وفاته سماع نشرة أخبار الخامسة ، الأمر الذى جعل منه مروجو الاشاعة وحيا بأن عبد الناصر كان ينتظر سماع هذا القرار الأخير الذى أصدره ٠٠

لم تكن هذه الاشاعة صحيحة ، فقد قال لى محمد أحمد الوحيد الذى وقف مع الأطباء الى جوار جمال عبد الناصر قبل موته ، انه طلب سماع الأخبار لأنه كان يتابعها دائما ، ولم يكن يتصور طبعا أن الموت يقترب منه ٠٠ ولذا فقد فارق الحياة فى صمت دون كلمة واحدة ٠

وعندما فوجىء البغدادى بقراءة التأبين الخاص الموقع باسم زكريا محيى الدين بعد اتفاقهما على دورهم المحدود ، والمقتصر على المشاركة فى تشيع الجنازة ٠٠ طلب من زكريا الذهاب معه الى منزله بعد مقابلته فى منزل جمال عبد الناصر مساء نفس اليوم ٠

اجتمع الاثنان ومعهما كمال الدين حسين لتدارس الموقف الذى انتهى بصدور بيان وقع عليه الثلاثة ٠

وكما كانت القوى الداخلية تحاول معرفة خطوات المستقبل والتفاعل معها كانت القوى الخارجية تتطلع الى ذلك أيضا خلال المقابلات التى رتبت بين المسئولين المصريين ، وعدد من كبار الضيوف الأجانب ٠

قابل أنور السادات وزير الصحة الأمريكى البرت ريتشارد سون مندوب نيكسون الذى كان يقـــوم بزيارة يوغوسلافيا وايطاليا فى ذلك الوقت ٠

استمرت المقابلة يوم الجمعة ٢ أكتوبر ٤٥ دقيقة اتجه الوفد الأمريكى بعدها الى الطائرة مباشرة ٠٠ وتطـــرق الحـــديث الى موضوع سحب الصواريخ التى دفعت للأمام بعد قبول مبادرة روجرز ووقف اطـــلاق النيران ٠٠ ولكن محمود رياض أعلن رفض مناقشة هذا الموضوع معلنا أيضا أن مصر لن تقبل تحويل وقف اطلاق النار المؤقت الى هدنة دائمة ٠

وقال السادات لريتشارد سون (أرجو أن تجربوا التعامل معى) ٠٠ ولكن الانطباع لدى الوزير الأمريكى لم يكن ايجابيا بالنسبة لأنور السادات فقد كتب تقريرا الى حكومته أشار اليه أنور السادات فى كتاب (البحث عن الذات) بقوله (ان ريتشارد سون عندما عاد الى بلاده كتب تقريرا بأن السادات لن يبقى فى الحكم لأكثر من أربعة أسابيع أو ستة أسابيع)٠

كما أن كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى طلب من السادات مقابلة المسئولين المصريين ، وعقدت ثلاثة اجتماعات فعلا كان أولها فى اليوم التالى للجنازة ٢ أكتوبر وحضره من الجانب المصرى أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ، والفريق أول محمد فوزى ومن الجانب السوفيتى كوسيجين والماريشال زخاروف رئيس الأركان السوفيتى الذى أسهم فى اعادة بناء القوات المسلحة المصرية عقب هزيمة يونيه ١٩٦٧ ، ولاتشنكوف الرئيس السابق لبعثة الخبراء السوفيت والجنرال كاتشكين الرئيس الذى خلفه ، وفلاديمير فنيوجرادوف الذى عين بعد ذلك سفيرا للاتحاد السوفيتى فى القاهرة ٠

اقتصر هذا الاجتماع على مناقشة الشئون العسكرية مع الوعد بزيادة معدل تدفق الأسلحة ٠

وفى هذا الاجتماع أشار زخاروف الى ضرورة بذل كل الجهد الممكن لاحلال المصريين بدلا من السوفييت قبل بدء المعركة حتى لا يؤدى ذلك الى تصعيد الموقف مع الولايات المتحدة ، ويبرر اشتراكها العسكرى فى المعركة وهو ما كان قد تم الاتفاق عليه فعلا بين بريجنيف وجمال عبد الناصر أثناء لقائهما فى موسكو ٠

وعقد اجتماعان آخران بين القادة السوفييت والمصريين صباح ومساء يوم ٣ أكتوبر حضرهما من الجانب المصرى كل من أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ومحمود رياض ومحمد فايق والفريق أول محمد فوزى وشعراوى جمعة وسامى شرف ومحمد حسنين هيكل وحسن التهامى ٠

كما التقى كوسيجين مع القذافى والسادات ونميرى وعرفات ٠

كان حرص كوسيجين شديدا على عودة الهدوء والتوازن للمسئولين المصريين الذين حملوا المسئولية بعد غياب عبد الناصر حتى لا يحدث فراغ سياسى يمكن أن يستغله الاستعماريون المتربصون ، كما أشار صراحة الى ضرورة التمسك بالوحدة بين الجميع ، وطلب أن تكون العلاقة بين الدولتين قائمة على المصارحة الكاملة دون محاولة اخفاء أى أمر من الأمور ، ودون

اللجوء الى الكذب والخداع لأن حبلهما قصير ، كما تحدث عن العـــلاقة الطيبة التى كانت تربطهم بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر ٠

وغادر كوسيجين القاهرة بعد أن قام بزيارة ضريح جمال عبد الناصر فى مسجد كوبرى القبة ٠٠ وهى الزيارة التى تحاشاها الوفد الأمريكى ٠

وبدأت الحياة تمضى بلا عبد الناصر ٠٠

وأصبح غياب عبد الناصر حقيقة لابد من مواجهتها ٠٠

من الوريث ؟

كان الدستور يسمح بأن يبقى أنور السادات رئيسا للجمهورية العربية المتحدة بالنيابة حتى انتهاء مدة جمال عبد الناصر ٠ وهو ما كانت تتجه اليه الأمور عقب الوفاة ٠

ولكن الظروف تجعل هذا الرأى هو أفضل الحلول ٠٠ لأن الدولة كانت فى مواجهة معركة تحرير تقترب يوما بعد آخر ٠٠ مما يفرض أن يكون هناك رئيس منتخب يشـغل منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، التى اصبحت له تبعا للقانون صلاحيات واضحة ومسئوليات محددة بعـــد استقالة المشير عامر وتعيين الفريق أول محمد فوزى ٠

ولم يكن منصب نائب رئيس الجمهورية هو المؤهل الوحيد للترشيح لمنصب الرئيس فليس فى الدستور ما ينص على ذلك ٠٠ وفى أوقـــات كثيرة كان للرئيس عبد الناصر أكثر من نائب ٠

ولذا أصبح الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية موضع بحث ومناقشة فى كواليس السياسة العليا ٠

والمفروض أن يتم الترشيح عن طريق اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ثم يوافق مجلس الشعب على هذا الترشيح بأغلبية ثلثى عـــدد الأعضاء ، ويتم الاستفتاء بعد ذلك على اسم المرشح ٠

ولم يكن أعضاء اللجنة التنفيذية العليا قد اجتمعوا على اسم مرشح واحد ، فقد كان الطموح يداعب خيـــال بعضهم ، خاصـــة وأن الدســـتور لا يحدد مرشحا بحكم منصبه ٠

ولم يكن على صبرى واحدا من هؤلاء ، فقد أعلن أن الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية لم يكن واردا فى ذهنه لأنه ـ على حد قوله لشعراوى جمعة ـ لا يريد أن يقسم البـــلد نصفين فى هـــذه الظروف التاريخية الحســـاسة ٠

أما حسين الشافعى فلم يكن الأمر بعيدا عن ذهنه ، ولكنه لم يكن يملك العناصر الايجابية التى تجعله يفرض نفسه مرشحا لرئاسة الجمهورية ·

وخلال الأيام التى تلت الوفاة ، ظهر تناقض جديد بين الموجودين فى السلطة بحكم مناصبهم ، وبين عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين أرادوا أن يكون لهم رأى أمام الشعب بعد وفاة عبد الناصر ·

يقول عبد اللطيف البغدادى انه بعد اجتماعه فى منزله مع زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين ـ وهو الاجتماع الذى أشرت اليه ـ تم الاتفاق على كتابة مذكرة الى أنور السادات ، رفض حسن ابراهيم التوقيع عليها مصارحا زملاءه بأنه قد قطع علاقته بالسياسة ليتفرغ الى الأعمال الاقتصادية ، كما لم يوقع عليها بقية أعضاء مجلس القيادة السابقين ، حيث كانت الصلة بينهم مقطوعة ، وليس لهم انتماء فكرى مشترك ·

جاء فى هذا البيان ، بعد مقدمة طويلة عن ضرورة ملء الفراغ الذى خلفه عبد الناصر ما يلى :

(اننا على يقين من أن تحرير الضمير والفكر والحرية وحرية الكلمة والشعور بالأمن فى ظل سيادة القانون العادل وتحمل مسئولية الرأى والعمل السياسى لكل مواطن عن طريق مجلس أو مجالس منتخبة انتخابا حرا ومؤسسات دستورية حرة تمثل تمثيلا صادقا وحقيقيا ارادة الشعب ، نحن على يقين من أن كل ذلك هو سلاح الشعب فى معركة الحياة التى يخوضها وفى كل معركة ، وهو سلاحه ضد جميع القوى والتيارات التى تتربص بأمتنا الدوائر ويسعدها شل ارادة الشعب) ·

ويخلص البيان من ذلك الى المطالبة بما يلى :

(لذلك نرى أن نضرب مثلا لشعبنا بأن تتوحد كلمتنا وأن تتكاتف جهودنا فى تحمل مسئولية قيادة جماعية تقود الخطوات الأولى لخلاص امتنا من المحنة التى تجتازها وهذه المسئولية تعلمون ، ويعلم المواطنون جميعا أنها لا تغرى أبدا الا بالتضحية ·

وتكون الوظيفة الأولى لهذه القيادة أن تهيىء الفرصة لكل مواطن لكى يتحمل مسئولية معركة حياته ، وان ينتخب انتخابا حرا جمعية وطنية تمثل سيادة الشعب بسلطاته الدستورية والتشريعية المختلفة ، وان تقوم هذه الجمعية الوطنية بعمل الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة الذى طال انتظار الشعب له ، وأن تقيم المؤسسات الدستورية اللازمة لحياة دستورية وديمقراطية سليمة ومستقرة وتضمن كفالة الحرية للفرد وللمجتمع ، على أن يكون نصف أعضاء هذه الجمعية من الفلاحين والعمال ، وأن يشرف

على انتخابها جهاز قضائى مستقل الارادة ، وان يتم تشكيل هذه الجمعية الوطنية فى ظرف ستة أشهر على الأكثر ٠٠ وان تكون سلطة السيادة فى هذه الفترة للقيادة الجماعية والتى يرأس جلســاتها الرئيس المؤقت للجمهورية ، وتكون قراراتها بأغلبية أعضائها ، ولا يصدر قرار من قرارات سلطة السيادة الا منهـا ٠

وخلال هذه الفترة يكون واجب هذه القيادة أن تقود معركة الشعب لتحرير أرض الوطن ٠٠

وبمجرد اجتماع الجمعية الوطنية تطرح هذه القيادة الثقة عليها ، وتنتهى مهمة هذه القيادة بمجرد انشاء القيادة الدستورية حسب الدستور الدائم) كمال الدين حسين ـ زكريا محيى الدين ـ عبد اللطيف البغدادى ٠

وهكذا أسفر المستقيلون من أعضاء مجلس قيادة الثورة عن موقف جديد يبدو التناقض فيه أكثر عمقا مما هو موجود بين المجتمعين فى اطار قيادة الاتحاد الاشتراكى ٠٠ مضمون هذا البيان رغبة فى فرض قيـادة جديدة تكون امتدادا للمجلس السابق للثورة ٠٠ والغاء لما هو قـائم من تنظيمات متمثلة فى الاتحاد الاشتراكى ٠

ويقول عبد اللطيف البغدادى ان أنور السادات قد حدد له يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر موعدا ولكنه آثر أن يرسل له المذكرة مبكرا يوم الأحد حتى يكون رأيهم معروفا فى وقت تتصارع فيه الآراء ٠

وكان هذا التبكير فى ارسال المذكرة سببا فى تسربها ، وظهور ردود فعل سريعة لها ، فكتب الدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة بيانا وزعه على الصحف ، ونشر فى صبيحة يوم الثلاثاء المحدد للمقابلة ، وفيه يهاجم أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ٠

ويقول الدكتور عزيز صدقى انه اتخذ هذا الموقف اقتناعا منـه بأن تعيين جمال عبد الناصر لأنور السادات نائبا له ، هو أمر لابد أنه نبـع من ثقة يجب أن تكون موضع تقدير واحترام ٠٠٠

وقد عارض الدكتور عزيز تحرك الأعضاء السابقين لمجلس الثـورة حرصا منه على التزام الشرعية ، وتحاشيا لمواقفهم المضادة لتطور الصناعة التى يعتبرها أساسا للتحول نحو الاشتراكية ٠

يقول ان سيد مرعى قد زاره فى مكتبه واقترح عليه زيارته هو ومحمد حسنين هيكل لمناقشة موضوع عودة مجلس قيادة الثورة ضمانا ـ حسب قوله ـ لاستمرار ثورة يوليو ، ولكن الدكتور عزيز لم يتردد فى اظهار معارضة لهذا الاتجـاه ٠٠

ويقول ان شعراوى جمعة قد زاره فى مكتبه أيضا مستفسرا عن موقفه فلم يتردد فى مصارحته برفضه لاتجاه عودة أعضاء المجلس السابقين ، والتزامه بالشرعية ومواد الدستور المؤقت ··

ويقول عبد اللطيف البغدادى انه كان غاضبا من مقال الدكتور عزيز صدقى الذى تهجم فيه عليهـم ·

ولكن أنور السادات الذى كان من مصلحته فى ذلك الوقت تجسـيم التناقضات بين زملائه القدامى فى مجلس قيادة الثورة ، وبين رجال الصف الثانى الموجودين فى مقاعد الحكم ، قال له ان هذه المذكرة تعنى (انهـاء أسلوب عبد الناصر تماما) ·

وقال البغدادى (ولكن ·· يجب أن نعطى المسئولية للشعب بعد وفاة عبد النـاصر) ·

لم يصـل الزميلان القـديمان الى اتفاق بعـد أن تعارضت بينهما المصـالح ·

وكان صدور هذا البيان بمثابة الضوء الأحمر الذى يمثل خطرا على جميع الذين احاطوا بجمال عبد الناصر فى أيام حياته الأخيرة ·

وكان ذلك دافعا أيضا الى ضرورة ترشيح رئيس الجمهورية ، بعيدا عن هؤلاء الذين طالبوا بالغاء الاتحاد الاشتراكى العربى ركيزة الحكم الرئيسية ، وعدم الاستكانة الى ما يسـمح به الدستور من استمرار نائب رئيس الجمهورية رئيسا بالنيابة حتى انتهاء المدة القانونية ، وذلك تثبيتا للوضع الشرعى ، وتحاشيا لأى نوع من أنواع القلق ·

وتشاور هؤلاء الذين يملكون السلطة الفعلية ، واستقر قرارهم على ترشيح أنور السادات ·

وتوجه اليه شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف لابلاغه ذلك فى الثانية بعد منتصف الليل حيث كان يقيم بقصر القبة ·

هكذا تحددت الأمور ، رغم أن البعض كان معترضا على ترشيحه فى البداية أشد الاعتراض ·

والمثير أن أنور السادات قال لهم فى هذا اللقاء انه مريض ولا يضمن عمره ، ولذا فهو يريد أن يوصيهم بأمر هام ·· هو ألا يرشحوا من بعده اذا لحقه القدر أيا من حسين الشافعى أو على صبرى ·

كانت الكلمات عند بعضهم بمثابة الصدمة ·· ولكنها عند البعض الآخر مضت فى صورة طبيعية تظهر التناقض والتنافس بين الشخصـيات

الثلاث التى تولت منصب نائب رئيس الجمهورية فى مرحلة من المراحل ·

ولكن هذه الكلمات كانت فى حقيقتها تعبيرا عن ادراك مبكر من جانب أنور السادات لفقدان التناسق بين هذه المجموعة من جانب ، وبين علـى صبرى وحسين الشافعى من جانب آخر ·· وهو ادراك أثبتت الأيام صحته فيما بعـد ·

وعندما عرض الأمر على اللجنة التنفيذية أيد على صبرى ترشـيح أنور السادات بينما طلب حسين الشافعى تأجيل موعد الاستفتاء ·

ويروى أنور السادات فى كتابه (البحث عن الذات) قصة اعتراض حسين الشافعى على ترشيحه فيقول :

(أحدهم مثلا وكان العضو الباقى معى من أعضاء مجلس قيـادة الثورة طلب أن يظل الوضع كما هو وقال لى : « أنا أخشى لو قدمنا اسمك أن تكون محرجا فالبلد ترفضك ، واذا حدث هذا فسيكون معناه أن البلد بترفض ثورة ٢٣ يوليو » ·

لم يكن أنور السادات ـ فى رأى حسين الشافعى ـ رجلا حسـن السمعة ، ولذا أثار فى اعتراضه موضوع فيللا العميد صلاح الموجى فى الهرم التى حاول السادات الحصول عليها ، وعندما رفض صاحبها أصدر أمرا بوضعه تحت الحراسة أثناء وجود جمال عبد الناصر فى الاتحـاد السوفيتى ، وهو ما كان حديث المجالس فى كل مكان ·

ولكن المجموعة الأخرى التى تبنت ترشيحه وقفت معه بلا تردد ··· لأنها وجدت فيه الاختيار الأفضل بالنسبة لهم ·

وكان حسين الشافعى قد سبق له أن تحدث مع سامى شرف فى حياة عبد الناصر عن خلو منصب نائب رئيس الجمهورية وضرورة شغله ، الأمر الذى كان ـ فيما يبدو ـ عاملا من العوامل التى دفعت عبد الناصر الى اختيار السادات نائبا له ·

لم يحضر حسين الشافعى جلسة مجلس الأمة التى أقرت الترشيح ، وان كان قد ذهب بعد ذلك الى أنور السادات وقام بتصفية الجو معه ·

وهكذا أقرت اللجنة التنفيذية العليا قرار ترشيح أنور السادات رئيسا للجمهورية وعرض الترشيح بعد ذلك على اللجنة المركزية فوافقت عليه ·

وتحقق ما قاله أنور السادات لعبد اللطيف البغدادى فى لقائه معه يوم ٦ أكتوبر من أن المذكرة التى وقع عليها الثلاثة ، قد دفعت الى اختصار اجراءات كان مفروضا أن تتم خلال ٦٠ يوما لتتم فى أسبوع واحد ·

أصبح أنور السادات هو المرشح الوحيد لمنصب رئيس الجمهورية:

وتوجه الى مجلس الأمة فى اليوم السابع لجنازة عبد الناصر حيث عقدت جلسة استثنائية ليلقى بيانا أمام المجلس نسجل بعض ما ورد فيه :

(لقد جئت اليكم على طريق جمال عبد الناصر ، واعتقد أن ترشيحكم لى بتولى رئاسة الجمهورية ، هو توجيه بالسير على طريق جمال عبد النـــــاصر ، واذا أيدت جماهير شعبنا فى الاستفتاء العام (بنعم) فاننى سوف أعتبر ذلك أمرا بالسير على طريق جمال عبد الناصر ، الذى أعلن أمامكم بشرف اننى ساواصل السير فيه على أية حال) ٠

وقال أنور السادات فى بيانه أيضا

(اننى جئت الى هذا المجلس بوثيقة واحدة أودعها فيه وأمشى، قائلا لكم هذا برنامجه وهو برنامجى أيضا لأنه ارادة الشعب ، اننى أودع فى هذا المجلس بيان ٣٠ مارس فذلك آخر برنامج متكامل قدمه جمال عبد الناصر) ٠

قال ذلك وهو يرفع بيده بيان ٣٠ مارس أمام الأعضاء وينهى خطابه بالحديث عن توزيع المسئوليات فيقول :

(واصارحكم القول أنه ليس بمقدورى ولا مقدور اى شخص أن يتحمل ما كان يتحمله جمـــال عبد الناصر ، ولذلك فانه من الضرورى اعادة توزيع المسئوليات ، ضمانا لأداء الأمانة كما يجب أن تؤدى الأمانة وفاء لحق الشعب ، وتكريما لذكـــرى قائـــده) ٠

وبعد أن انتهى أنور السادات من القاء بيانه وقف أمام تمثال نصفى لجمال عبد الناصر قريبا من باب الخروج ، وانحنى أمامه فى مشـــــهد سجلته عدسات التليفزيون وأثار عند الناس تساؤلا عن هذا الانحناء الذى أخذ شكلا وثنيا ٠٠ وهو الأمر الذى دفع الى الغاء هذا المشهد عند اذاعة البيان مرة أخرى ٠

أيد ٣٥٣ عضوا من أعضاء مجلس الأمة ترشيح السادات وهم جميع من حضر الجلسة ٠

الوريث يعلن صراحة انه سيمضى على طريق الزعيم الراحــل ٠٠٠ وكلمات البيان لا تحتمل الشك والتأويل ٠٠٠ والشعب حريص على منح ثقته للمرشح الجديد تعبيرا عن ارادته فى أن يمضى الرئيس الجديد حاملا

اعلام ثورة يوليو ، منفذا أهدافها ومواثيقها ، مجـــددا ذكرى الراحـل العظيم ٠

ويتم الاستفتاء ٠٠٠

وظهـــرت النتيجة على أنها ٩٠٫٠٤٪ ســـتة ملايين قالوا نعم ، ٧١١٫٢٥٢ قالوا لا ٠

أصبح أنور السادات رئيسا للجمهورية العربية المتحدة منذ يوم ١٨ أكتوبر ٧٠ بعد عشرة أيام استقبل فيها مختلف الطوائف والهيئات ، فى مقابلات بلغت ثمانية فى اليوم الواحد ، وسلطت على هذه المقابلات عدسات التليفزيون ، كما لم يحدث من قبل ، وظهر أنور السادات على الشـــاشة الصغيرة كما لم يظهر من قبل أيضا ، وهو يتحدث للجميع أحاديث معطرة بالوعود ، عامرة بذكرى الزعيم الراحل ٠

كانت مسئولية شاقة على أى شخص أن يحتل مكان جمال عبد الناصر الذى بنى تاريخه خلال نضال طويل ، اكتسب فيه ثقة الناس رغم الهزيمة، ونال احترام الأصدقاء والأعداء معا ، واصبحت كلمة (الرئيس) معروفة عند الأجانب أيضا تستخدم فى صحفهم وكتبهم ، واذا ذكرت كان المقصود هو جمال عبد الناصر ٠

هل يمكن أن يكون هناك (رئيس) آخر ؟

ذلك ما وصل اليه أنور السادات رسميا وشعبيا فى الاستفتاء ٠٠٠ ولكن ما زال ــ الناس يقرنون تلقائيا بين اسم جمال عبد الناصر ولقب (الريس) ٠

وهى قضية نفسية شاقة ٠٠ ولكن أنور السادات لم يحاول استعجال الأمور ، فقد حرص على اثبات وجـــوده عن طـــريق الخطب والبيانات والاجتماعات مع ممثلى رجال الاعلام والجامعة والقضاء والدين وغيرهم، والتى بدأت خلال فترة ترشيحه ، واظهرته على شاشـــة التليفزيون أمام الجماهير الراغبة فى رؤية المرشح الجديد لمنصب رئيس الجمهـورية ، ثم اتصلت بعد ذلك ليبلغ عددها ٢٦ لقاء خلال سبعة شهور ، أى بمعدل مرة كل أسبوع تقريبا ٠٠ عدا الاجتماعات المتكررة مع رجال القوات المسلحة٠

ردد أنور السادات كثيرا كلمـــــات الديموقراطية والحرية وسيادة القانون ٠٠ وهى كلمات شديدة الجاذبية للجماهير التى تعتبرها حصنا واقيا لها من شطحات الحكام الفرديين ٠٠ وأثار قضية الحراسة ورفعها عن المظلومين ، وتحديد فرضها بقانون ٠٠ والحراسة كانت تعلن بقرارات تحتمل الخطأ والصواب ، وليس بناء على قانون ٠٠

ولا شك أن أنور السادات كان يجتذب بهذه الأحاديث كل القــوى والطبقات التى عانت من التطبيقات الادارية فى بعض المجالات ٠٠ فكان الاعتقال على سبيل المثال ظاهرة مقترنة بارادة الحاكم تنفذ بلا قيــد أو حساب ٠٠ وربما كانت فى محصلتها النهائية ذات ثمرة نافعة للجماهير وحركة الثورة ، ولكنها فى حقيقتها كانت تبعث ذعرا وخوفا يسكن القلوب، ويطفىء جــذوة الحماس عند النــاس ، ويذبل الطاقة الخــلاقة عند الجمــاهير ٠

ويؤكد شعراوى جمعة أنه أيضا كان متجها الى تسريح المعتقلين وتقنين الحراسة وسيادة القانون ٠٠ ولكنه ظل مع ذلك فى صورة وزير الداخلية تحيط به شبهات الرجل المسئول عن الأخطاء المرتكبة ضد الحرية ، رغم تأكيده بأن عدد المعتقلين يوم تعيينه فى الوزارة كان ٦٦٠٠ معتقـل وصل فى نهاية عام ١٩٧٠ الى ٤٠٠ معتقل فقط كانت الاجراءات تتخذ فى سبيل اخلاء سراحهم ٠

وحرص أنور السادات على اثبات وجــوده أيضا باختيار مرشح يرتضيه لمنصب رئيس الوزراء بعد أن وعد بتوزيع المسئوليات ٠

والتقت الترشيحات عند الدكتور محمود فوزى عضو اللجنة التنفيذية العليا ووزير الخارجية السابق ٠

يقول هيكل انه رشحه عندما استشاره أنور الســادات وروى له مطالبة حسين الشافعى وعلى صبرى بالمنصب وعدم موافقة أنور السادات على ذلك ٠

وأبدى السادات دهشته من هذا الترشيح لأن الدكتور فوزى كان قد قدم استقالته من اللجنة التنفيذية العليا يوم ٣ أكتوبر بدعوى كبـر السن ولكن اللجنة رفضتها بالاجماع واقنعته بالاستمرار فى موقعه ٠

وتمكن هيكل من اقناع الدكتور فوزى بالموافقة على قبول المنصب ٠٠ وتوجه معه الى قصر الطاهرة حيث التقى بهما أنور السادات فور عودته من القاء بيانه أمام مجلس الشعب ٠

يقول هيكل انه رشح الدكتور محمود فوزى لما يمثله من أبوة تريح الجماهير وما يتوفر له من شــخصية دبلوماسية معــروفة فى العالم الخــارجى ٠

ويقول شعراوى جمعة انه وافق على ترشــيحه تجنبا لحساسيات وتناقضات قائمة حاول أمين هويدى تفاديها أيضا بترشيحه أنور السادات للمنصبين رئيسا للجمهورية ورئيسا للوزراء ٠

ولكن الأمر يتعدى هذه الأسباب بلا شك ولا يؤخذ بهذه البساطة ٠٠ فالدكتور فوزى شخصية مدنية ليس لها طموح العسكريين المنافسين ٠٠

ولا تتوفر فيه القـــدرة على المعارضة أو المقـــاومة ‧‧ بل ويحذر أحيانا المصارحة ‧‧ وترشيح هيكل له يتيح من خلال علاقتهما الوثيقة فرصـــة التعرف على الأمور وتوجيهها ‧‧ وترشيح شعراوى ينبع من أنه كان يراه شخصية هادئة لا تؤثر فى تغير الموقف ‧‧ وموافقة حسين الشافعى وعلى صبرى تنبع من نظرتهما الى أنه رجل لا يصلح لأداء دور البطولة ‧

وهكذا تم ابعاد العسكريين لأول مرة منذ ثورة يوليو عن موقع رئيس الوزراء ‧‧ بعد تعيين اللواء محمد نجيب فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ، والتقى فى ذلك هيكل الذى لا يضمن حسن علاقته بهم ‧‧ وشعراوى الذى كـان يشعر بتطلع الكثير من العسكريين للمنصب ‧

وجد هذا الترشيح قبولا من السادات ، لأنه وجد فيه تفضيلا عـن اختيار أحد من مجموعة العسكريين السابقين الذى لا يضمن ولاءهم ولا يثق بطواعية حـــركتهم ‧

ارتضى الجميع الدكتور محمود فوزى رغم معرفتهم أنه ليس المعبـر عن أهداف وأفكار ثورة يوليو ، وانه لا يمكن أن يكون الشخصية التى تمثلها فى المحافل الدولية ، فهو دبيلوماسى لا يتجاوز حـــدود مهنته الى عالم السياسة المضطرب ، ولم يعرف عنه يوما أنه كان متحمسا لاجـــراءات ثورة يوليو السياسية أو الاجتماعية ‧

ويجدر بنا الاشارة الى أن الدكتور فوزى كانت تربطه علاقة شخصية وثيقة بمحمد حسنين هيكل ، والاثنان يمتلكان عزبة مريحة فى ضواحى القاهرة بمنطقة الأهرام ‧

قدم هيكل الدكتور محمود فوزى بحديث فى الأهرام يوم أول نوفمبر ١٩٧٠ ، استغرق ٤ صفحات كاملة ، وهـــو ما لم يقم به مع أى رئيس وزراء سـابق ‧

وفى الجانب الآخر لم تكن هناك علاقة وثيقة تربط الدكتور محمود فوزى مع العسكريين ‧‧ كما أنه لم تكن تتوفر لدى العسكريين مثل هـــذه العزب ولم تتوفر لهم أيضا حياة الصالونات الاجتماعية بل ان بعضـهم كان ينفر من ذلك نفورا واضحا ويعيش حياة انطوائية لا تخلق صـداقات اجتماعية مؤثرة ، وهم فى ذلك متأثرون بالأسلوب الذى ارتضاه جمال عبد الناصر لنفسه فى حياته ‧‧ صداقات محدودة وشبه عزلة عن حيـاة الصالونات الاجتماعية ‧

تجمع المدنيين الأكثر ثراء يمكن أن يعطى مدلولا طبقيا ولونا معينـا من ألوان الحياة الاجتماعية ذات تأثير خاص على أنور السادات الذى كان كثيرا ما يزور عزب هيكل وسيد مرعى فى الهرم حيث كان يقيم هو الآخر ‧

وتفاديا لأية تعقيدات أصدر أنور السادات قرارا بتعيين كل من حسين الشافعى وعلى صبرى فى منصب نائب رئيس الجمهورية فى ٣١ أكتوبر

١٩٧١ ، كما صدر قرار بتعيين عبد المحسن ابو النور أمينا عاما للاتحـاد الاشتراكى فى ٢١ اكتــوبر ٠

الوزارة الجـديدة :

شكل الدكتور محمود فوزى وزارة لا تضم نوابا لرئيس الوزراء ٠

ضمت الوزارة ١٣ عسكريا ، ١٩ مدنيا هم أعضاء الوزارة التى كان يرأسها جمال عبد الناصر ٠٠ كان الرأى قد استقر على أن تبقى وزارة عبد الناصر بتشكيلها حتى تمضى أربعون يوما على وفاته ٠

الوحيد الذى طلب الخروج من الوزارة وأجيب الى طلبه كان محمـد حسنين هيكل الذى اكتفى برئاسة مؤسسة الأهرام ، وعين بدلا منه محمـد فايق الذى عاد الى منصبه القـديم ، بعد أن كان قد عين وزير دولة للشئون الخـارجية ٠

كانت وزارة الدكتور فوزى تضم شخصيات غير منسجمة فى اتجـاه سياسى واحد ٠٠ ولكنها كانت مرتبطة بجمال عبد الناصر ، مثل المهندس صدقى سليمان (وزير الكهرباء والسد العالى) والذى كان رئيسا سـابقا للوزراء عام ١٩٦٦ ولكن لم يرشحه أحد ، وكمال رفعت (وزير العمـل) والدكتور عزيز صدقى (وزير الصناعة والبترول والثروة المعدنية) والدكتور ثروت عكاشة (وزير الثقافة) والمهندس سيد مرعى (وزير الزراعة والاصلاح الزراعى) وحسن عباس زكى (وزير الاقتصاد) وشعراوى جمعة (وزير الداخلية) وأمين هويدى وحسن التهامى وسامى شرف (وزراء دولة) ٠

كان واضحا منذ البداية أنها وزارة انتقال وملء فراغ ، ولم يتخيـل احد أن هذه الوزارة التى ضمت كل الشخصيات التى عملت مع عبد الناصر دون تغيير يمكن أن تستمر وأن تخمد فى أعضائها روح المنافسة ٠

ولم يكن متوقعا من الدكتور فوزى أن يقود بنجاح وزارة عبد الناصر بمن فيها من شخصيات بعضها مارس العمل السياسى سنوات طويلة وأصبح له رصيد حافل ٠٠ ولذا بدأت تظهر بعض التناقضات ويوجه النقد لرئيس الوزراء الذى عرف عنه خلال تاريخه فى الوزارة أو العمل الدبلوماسى أنه يتحـاشى الصـدام ويتجنبه ولا يطيقـه وان له وسائل تقليدية فى معـالجة الأمــور ٠

كانت شخصية الدكتور محمود فوزى بعيدة تماما عما كان يتمتع به جمال عبد الناصر ٠٠ كان حالما وهادئا ٠٠

ولم يطل عمر هذه الوزارة كثيرا ، فقد أدت دورها كوزارة انتقالية

وتشكلت وزارة جديدة برئاسة الدكتور محمود فوزى فى ١٩ نوفمبر بعد مرور الأربعين ·

كان التعديل بعيدا عن ارادة رئيس الوزراء ·· وكان معبرا عن قوة ونفوذ المجموعة التى أحاطت بعبد الناصر ·· ولكنه لم يجعل منها القـوة المطلقة الوحيدة فى الوزارة ·

لعب سامى شرف وشعراوى جمعة الدور الرئيسى فى اجراء التعديلات وان كان الأول قد انفرد بتعديلات خاصة مثل ترشيح محمد أحمد وزيرا للادارة المحلية ليتخلص منه وهـو فى درجة وزير من العمـل برئاسة الجمهورية حيث كان سكرتيرا خاصا لعبد الناصر دون ابلاغ شـعراوى بذلك مقدما ·

ولم يقترح الدكتور فوزى سوى اسم الدكتور عصمت عبـد المجيد السفير بوزارة الخارجية ليكون وزيرا للدولة ·

وواضح أن أنور السادات قد استجاب ووافق على هذه التعديلات ، متحملا مسئولية مواجهة بعض الخـارجين ، مدركا أنه يتمتع بالمنصب الشرعى ، ولكن خيوط القوة والنفوذ لم تتجمع بعد فى يديه ·

خرج من العسكريين صـدقى سليمان الذى عين مستشارا لرئيس الجمهورية ، ثم رئيسا لجهاز المحاسبات ، وكمال رفعت سفيرا فى لندن ، وثروت عكاشة مساعدا لرئيس الجمهورية ، وأمين هويدى الذى آثر الابتعاد عن الحكم رغم ترشيحه وزيرا للادارة المحلية ، وحسن التهامى الذى عين مستشارا لرئيس الجمهورية أيضا ·

كان مفهوما أن يخرج كل هؤلاء العسكريين للتناقض القائم بينهم وبين مجموعة عبد الناصر ، ولكنه لم يكن مفهوما أن يخرج أمين هويدى أيضا ، وهو أحد أفراد هذه المجموعة التى لم يتصور أحد أن التناقض قد وصل اليهـا أيضا ·

أذكر أنى ذهبت الى أمين هويدى وقتها متسائلا عن سبب رفضـه دخول الوزارة فقـال لى انه لا يريد أن يعمـل مع رئيس للوزراء بعـد عبد الناصر ولم يشأ أن يفصح وقتها عما كان يختزنه فى صدره ·

وأذكر أن شعراوى جمعه كان حريصا على وجود أمين هويدى فى الوزارة ، فقد طلب منى عندما سألته عن سبب رفضه أن أحاول اقناعه ·

ولكن ترشيح هويدى لوزارة الادارة المحلية كان يعنى رغبة فى تعيينه وزيرا لوزارة خدمات لا سلطة لها ·· بعد أن كان وزير دولة لشـئون رئاسة الوزارة ، ومديرا سابقا للمخابرات العامة ··

لحق هويدى بمحمد حسنين هيكل ، وابتعد اثنان من المجموعة التى اختارها جمال عبد الناصر أثناء مرضه فى سبتمبر ١٩٦٩ لمباشرة السلطة والاشراف على شئون الدولة والتى كانت مشكلة من انور السادات وشعراوى جمعة وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل والفريق أول محمد فوزى وسامى شرف ٠

ودخل الوزارة من العسكريين المهندس حلمى السعيد وزيرا للكهرباء وتربطه صلة نسب بشعراوى جمعة ومحمد حافظ اسماعيل مدير المخابرات العامة الذى كان جمال عبد الناصر قد عينه فيها تمهيدا لتعيينه رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة ، ومحمد أحمد ٠

وعين أحمد كامل مديرا للمخابرات العامة بترشيح من سامى شرف ٠٠

وخرج من المدنيين حسن عباس زكى الذى عمل بعد ذلك مستشارا لامارة أبو ظبى ٠

وأصبح هناك أربعة نواب لرئيس الوزراء هم الدكتور عزيز صدقى للانتاج والتجارة ووزيرا للصناعة ، وسيد مرعى للزراعة ، ومحمود رياض للخارجية ، وشعراوى جمعة للخدمات ووزيرا للداخلية ٠

ضمت الوزارة ١٢ عسكريا ، ٢٠ مدنيا ٠

ورغم هذا التغيير الذى ثبت قبضة مجموعة عبد الناصر على الوزارة ، الا أنه كان واضحا أنها لا يمكن أن تكون وزارة دوام واستقرار لعدم وجود عنصر الاقتناع برئيس الوزراء ، ووجود طموح عند بعض الوزراء للوثوب الى المنصب ٠

وتشكل مع الوزارة الجديدة مجلس للدفاع الوطنى يوم ١٩ نوفمبر برئاسة أنور السادات وعضوية حسين الشافعى وعلى صبرى والدكتور محمود فوزى وعبد المحسن أبو النور ومحمود رياض وشعراوى جمعة والفريق محمد أحمد صادق ٠

بلورة الجبهات :

كان جميع المشتركين فى جهاز الحكم الجديد يتعلقون بعبد الناصر ، ويتشبثون بصلتهم به ٠

أنور السادات اتصل بجريدة الأخبار حسب رواية موسى صبرى رئيس تحرير الأخبار فى كتابه (وثائق ١٥ مايو) وطلب أن يوضع رسم ثابت لجمال عبد الناصر فى صدر الصحيفة ، وان يكتب تحته (مؤسس مصر

الحديثة) ، وقد استمر نشر هذا الرسم سنة كاملة حتى الذكرى الأولى لجمال عبد الناصر ٠٠ وكل خطب السادات تؤكد أنه يمضى على طـــريق عبد النــاصر ٠

سامى شرف كان يزور قبر عبد الناصر صباح كل يوم قبل أن يتوجه الى مكتبه وكذلك كان يفعل الآخرون فى أحيان كثيرة ٠٠ وانفرد هيـكل بالحديث عن عبد الناصر فى مقالاته ٠

كان عبد الناصر رغم موته ما زال مصدر الالهام للبعض ، وقنــاعا مناسبا للبعض الآخـــر ٠

ولكن الواقع كان يفرض حقيقـــة هامة ٠ وهى أنه لا يمكن الحكم بأسلوب عبد الناصر فى غيبته وبعد موته ٠

وكان توزيع المسئوليات ٠٠ السادات لرئاسة الجمهورية ، ومحمــود فوزى لرئاسة الوزراء ، وعبد المحسن أبو النور لأمانة الاتحاد الاشتراكى مظهرا من مظاهر التغيير ٠٠ ولكنه كان تغييرا سطحيا ، فقد اســـتمر مركز الحكم يتركز فى أجهزة رئاسة الجمهورية التى كان يديرها سامى شرف ، والتى كانت تتصرف كما لو كان عبد الناصر حيا ٠

وكان أنور السادات يرقب الموقف فى هدوء ، يتلمس طريق المستقبل بين هؤلاء الذين لا تجمعهم وحدة ، ولا يضمن اخلاصهم له ٠٠ والذين يملكون فى نفس الوقت السيطرة على كل أجهزة القوة والسلطة ٠

كان أنور السادات يعرف ماذا يريد ، وما يمكن تلخيصه فى أنه يريد أن يحكم دون أن يكون مقيدا بالخيوط التى يحيطه بها الآخرون ٠٠ وكان الآخرون لا يعرفون ما يريدون ٠٠ فهم يمارسون السلطة دون نقصان عن عهد عبد الناصر بل زاد انفرادهم بالعمل ، ولم يكن السادات يمثل لهـــم عائقا أو قيدا حتى هذه اللحظة ٠

ولذا كانت حركة السادات مرسومة ٠

فى اجتماع المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى الذى عقد فى ١١ نوفمبر ١٩٧٠ تم انتخاب السادات رئيسا للاتحاد ٠

وبدأ السادات عملية اقتراب للقوات المسلحة ، فعقـــد سلسلة من الاجتماعات بدأت يوم ٢٠ أكتوبر باجتماع مع القادة أعلن فيه أنه (لن يقبل تجميد وقف اطلاق النار ، كما لن يقبل مد فترة الوقف الا مرة واحدة بشروط) ٠٠ ثم زار الجبهة يوم ٢٨ أكتوبر حيث تحدث ٤ مرات الى الضباط والجنود ، وتبع ذلك بزيارة يوم أول ديسمبر امتدت تسع ساعات٠

كان أنور السادات يهـــدف من ذلك الى ممارسة ســـلطات رئيس

الجمهورية فى المجال السياسى رئيسا للاتحاد الاشتراكى ، وهو الذى كان بعيدا عن كافة تنظيماته خلال عهد عبد الناصر سوى عضوية اللجنة التنفيذية العليا ، وفى المجال العسكرى باعتباره قائدا أعلى للقوات المسلحة وهو الذى عاش معظم حياته قبل الثورة ضابطا مفصولا من الجيش اذ عمل ٤ سنوات ، وأبعد عن الجيش ٨ سنوات ·· ونجح فى امتحان الترقى بمساعدة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ·· وعاش حياته بعد الثورة فى أعمال لا تتصل بالقوات المسلحة من قريب او بعيد ··

ولم تقتصر خطوات السادات على هذين الاتجاهين فقط ·· ولكنه واصل سلسلة الاجتماعات مع أفراد الهيئات المختلفة التى بدأ فى عقدها قبل انتخابه رئيسا للجمهورية فالتقى خلال شهر يناير مثلا مع رجال الاعلام وهيئات التدريس بالجامعة والقيادات السياسية فى أسيوط ، ورجال الهيئات القضائية الذين اجتمع بهم فى قاعة محكمة القاهرة التى حوكم فيها أثناء اتهامه بالاشتراك فى اغتيال أمين عثمان ، وكان بذلك يحاول تطهير نفسه من تبعة الاشتراك والمسئولية عن فصل عدد كبير من القضاة والمستشارين كما أوضحنا فى الجزء الخامس (خريف عبد الناصر) ثم عاد ورأس فى نفس الشهر يوم ٢٨ يناير اجتماعا للمجلس الأعلى للهيئات القضائية تسلم فيه وساما من رجال القضاء ·

وكان أنور السادات يحاول أن يكتسب شخصية جديدة تتحدث عن الحرية والديموقراطية وسيادة القانون ، وكان يستقطب بذلك اتجاهات كانت تتطلع الى هذه الفضائل خلال حكم عبد الناصر ·

وكتب محمد حسنين هيكل مقالا فى الأهرام يوم ٦ نوفمبر فى ذكرى الأربعين تحت عنوان (عبد الناصر ليس اسطورة) تضمن تحليلا سليما حول دور الزعيم بعد وفاته ، ولو أن بعض فقرات جاءت فيه كانت تشكل طعنة معنوية لهؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم أكثر الناس اخلاصا لعبد الناصر وتشربا للناصرية ·

(ان جمال عبد الناصر ليس له خلفاء ولا صحابة يتقدمون باسمه أو يفسرون نيابة عنه ·· لقد كان له زملاء وأصدقاء ، وقيمة ما تعلموه منه ، مرهونة بما يظهر من تصرفاتهم على أن تكون محسوبة عليهم دون أن يرتد حسابها عليه ··

ان خلفاء عبد الناصر هم كل الشعب وليسوا الأفراد) ·

ويستطرد هيكل قائلا :

(واكاد أقول ان تأثير جمال عبد الناصر فيمن لا يعرفهم شخصيا أعمق منه فيمن عرفهم شخصيا ذلك لأن الذين لم يعرفهم كان استيعابهم

لفكره خالصا ، وأما الذين عرفهم فان استيعابهم لفكره كان مشوبا فى بعض الأوقات وفى بعض الظروف بمطامحهم الذاتية) ٠

واضح من هذا الحديث أن المقصود بهؤلاء هم المجموعة التى ارتبطت بعبد الناصر من رجال الصف الثانى ، وليس السادات ٠

أذكر أنى كنت فى زيارة لشعراوى جمعة بمكتبه فى وزارة الداخليـة وكان عند سامى شرف الذى فتح موضوع المقال ، وتحدث ثائرا ضد هيكل، معبرا أن فى كلماته اعتداء على عبد الناصر ، وتسميما للآبار أمامهم ٠٠ وختم حديثه منفعلا (نعم ٠٠ عبد الناصر اسطورة) ٠

وكان شعراوى جمعة هادئا وغير منفعل ، وعندما طلب رأيى قلت له ان الرد على مقال لا يكون الا بمقال مثله ، والرأى لا يهزمه الا الرأى ٠

ووضح لى أن هيكل قد اختار بمقاله الابتعاد عن هذه المجموعة ، والاقتراب من أنور السادات ٠

وقد أثار الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة موضوع هذا المقال أمام اللجنة التنفيذية العليا ، مهاجما لهيكل بحيثيات معدة ومرتبة ، وطلب السادات تأجيل الموضوع الى اجتماع آخر بعد أن طلب شقير النظر فى اتخاذ اجراء ضد هيكل ٠

فاتح هيكل فى الموضوع فزاده بعدا عن الآخرين ٠٠ ورتب له مواجهة مع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، ليبقى بعيدا فى مركز الحكم ٠

وفى الاجتماع الثانى فوجىء الأعضاء باستدعاء السادات لمحمـد حسنين هيكل ومواجهته لمنتقديه الذين أخذتهم المفاجأة ٠ فلم يجـد الدكتور لبيب شقير التعبير عن نفسه كما فعل فى الجلسة السابقة ، وبعد تفسير هيكل لمقاله انتهى الموضوع كبالون كبير تسرب منه الهواء ، وتساءل ضياء الدين داود عما اذا كان هذا الاجـراء سـوف يتبع مع كل صحفى يوجـه له اتهــام ٠

ولكن هيكل لم يكن فى عهد عبد الناصر مثل بقية الصحفيين ، والاتهام الموجه له كان يحمل معنى الخيانة للزعيم ٠

أدى هذا الموقف الى بلورة للجبهات فقد انحـــاز هيكل الى جانب السادات الذى ظهر وكأنه يبسط حمايته عليه ، ولم يكن هيكل قد تعـرض لهذا الموقف من قبل خلال حياته الصـــحفية ٠٠ الأمر الذى أشعره بأن التناقضات بينه وبين هذه المجموعة المركزة أساسا فى الاتحاد الاشتراكى يمكن أن تهدد أمنه الشخصى وتعرضه لمتاعب شديدة ٠

لم يشترك على صبرى فى هذه الموقعة لأنه فوجىء أيضا بما أثاره

لبيب شقير ولم يكن على صبرى قائدا لهذه الجبهة أو مسيطرا عليها رغم انه كان مؤهلا لذلك ·· ولم يكن تاريخ شعراوى جمعة يسمح له بأن يكون قائدا لهذه المجموعة بلا منافسة ·

كان أفراد هذه المجموعة تربطهم علاقة الانتماء الى طليعة الاشتراكيين الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى ·· وهى علاقة قد توفر ايديولوجية متقاربة وصلات تنظيمية ، ولكنها لم تكن توفر انضباطا حزبيا بمعناه الأصـــيل ·

لم يكن على صبرى اذن هو الشـخصية المواجهة لأنور السادات أو المناطحة له حيث ان هذه المجموعة لم تكن تشكل فريقا منسجما ، أو (شلة) مترابطــة ·

كما أن أنور الســادات كان قد أصبح مطلعا ومســئولا عن طليعة الاشتراكيين بعد أن قررت أمانتها رفع الأمر اليه للتصديق على وجودها وأسماء أفرادها فصدق على ذلك وبدأت نشراتها وتقاريرها ترفع اليه ، بعد أن كانت صلته بها فى الماضى لا تتجاوز وصول نشراتها اليه هو وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى دون التعرف على تنظيمـــاتها أو حركتها السياسية ·

ومع الارتباط السياسى الجديد لأنور السادات فان ذلك لم يمنعه من أن يتخذ له مكتبا فى قصر عابدين لأول مرة يوم ٦ ديسمبر وهو ما لم يحدث فى تاريخ الثورة منذ عزل محمد نجيب ·· واقام حفــل عشاء للسفراء وزوجاتهم يوم ١٦ ديسمبر فى نفس القصر وهو ما لم تجر عليه تقـــاليد الثورة أيضا ·

كانت الاتجاهات السياسية والاجتماعية والشخصية تتبلور ··

وخلال نفس الشهر تحرك عدد من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا فى رحلات للخارج لدراسة احتمالات الموقف بعد انتهاء الفترة الثانية لوقف اطلاق النار ·· فسافر الى موسكو على صبرى على رأس وفد من دكتور عزيز صدقى ومحمود رياض والفريق محمد فوزى وتوجه حسين الشافعى لمقابلة تيتو ·· بينما سافر محمود رياض بعد ذلك لدول غرب أوروبا ومحمد فايق للدول الافريقية ولبيب شقير للدول الآسيوية ·

بيــان ٤ فبراير ١٩٧١ :

كانت أهم القضايا التى تواجه المجموعة الحاكمة الجديدة رغم تبلور جبهاتها هى قضية وقف اطلاق النار بعد أن تقرر امتداده ثلاثة شهور كــان مفروضا أن تنتهى فى ٧ فبراير ·· وواضح من اجتماع اللجنة التى شكلت

وانعقدت قبل جنازة عبد الناصر أن الآراء لم تكن موحدة رغم اتفاقها على مد وقف اطلاق النار ثلاثة شهور أخرى ٠

وأصبحت الآراء بعد ذلك أكثر وضوحا فى مواجهة هذه القضية الحساسة ٠

كان هناك اتجاه شديد للعودة الى القتال وتنفيذ الخطة الدفاعية ٢٠٠ يمثله الفريق أول محمد فوزى ويؤيده فى ذلك شعراوى جمعة وسامى شرف وعدد من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ٠

ولكن أنور السادات كان يفكر تفكيرا آخر ٠٠ حرص على اعلانه أمام مجلس الأمة دون أن يستشير فيه أحد من الذين لمس فيهم روح الرغبة فى العودة للقتال ٠

وكان بيان ٤ فبراير ١٩٧١ الذى يقول هيكل ان السادات لم يطلع عليه أحد من أعوانه الا قبل قراءته بوقت قصير ٠٠

تضمن البيان اقتراحا بمد وقف اطلاق النار لمدة شهر ، وأن يتم انسحاب اسرائيلى محدود تفتح خلاله قناة السويس على أن يتم ذلك فى نطاق جدول زمنى لانسحاب كامل من الأرض المحتلة بناء على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ٠

ويتطابق الاقتراح مع عرض سبق أن تقدم به موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى في حياة عبد الناصر ، ورفض لأنه يمثل حلا جزئيا لا يعيد السلام الى المنطقة ولأنه كان يستهدف وقف العمل العسكرى وحرب الاستنزاف والدخول فى اتصالات ومفاوضات مباشرة أو غير مباشرة تستهلك الطاقة وتبدد الأمن دون أن يكون هناك أساس واضح لحل نهائى ٠

ولا شك أن أنور السادات قد اعتقد أنه اذا اقترح ما سبق لديان بأن اقترحه وربط ذلك بالمطالبة بجدول زمنى للانسحاب الكامل بناء على قرار مجلس الأمن ، فان ذلك لابد أن يجد ترحيبا وقبولا من أمريكا واسرائيل ٠

ويقول هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان أنور السادات قد حرص على ابلاغ الأمريكيين بأن هذا الاقتراح هو مبادرة خاصة منه بعيدة تماما عن أى تدخل سوفيتى ٠٠ واستقبل من أجل ذلك دونالد بيرجس المشرف على رعاية مصالح الأمريكيين فى مصر ٠٠ وكان الوسيط فى هذه المقابلة عبد المنعم أمين عضو مجلس القيادة السابق والذى جمع على مائدته لأول مرة السفير الأمريكى جيفرسون كافرى مع محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى فى أول لقاء يتم بين مجموعة من قيادة الضباط الأحرار ، ورجال السفارة الأمريكية فى مصر ٠٠

عاد عبد المنعم أمين يؤدى دور الوسيط مع رئيس الجمهورية بعد ١٨ عاما من حركة الجيش ، وبعد أن انتهى دوره القديم وأبعـــد عن مجلس القيادة ليعمل فترة سفيرا فى بون قبل أن يحال الى المعاش •

وكان اتجاه أنور السادات عسير الهضم على المجموعة التى تشربت افكار عبد الناصر واقتنعت بأسلوبه فى حل المشكلة عن طريق القتـــال بالتعاون الصادق مع السوفييت ، ورفض النصيحة الأمريكية التى كـانت تطالب بمد وقف اطلاق النار مع محاولة الوصول الى (اتفاق مؤقت) •

كانت هذه المجموعة تدرك أن جمال عبد الناصر قد قبل مبادرة روجرز لا لتكون بداية لوقف اطـــلاق نار نهائى ، وانما لتـكون فرصة لتحريك الصواريخ الى شاطىء القناة الغربى ، استعدادا لعملية العبور وتحرير الأرض ، فى توقيت كان محددا له ربيع عام ١٩٧١ فى يوم تحدده الطبيعة خلال فترة رياح الخماسين •

ولذا كان غريبا أن يغير أنور السادات هذا الاتجاه بقرار فردى يحرص على عدم مناقشته ويعلنه يوم ٤ فبراير قبل موعد انتهاء وقف اطلاق النـــار بيوم واحد •

ويقول على صبرى فى محضر التحقيق معه ان السادات قد عرض مكرة البيان على مجلس الدفاع الأعلى وان كان لم يذكر تفاصيلها قائلا انها ستكسبنا الرأى العام فى أوروبا ، وانه ــ أى على صبرى ــ قد قال له :

(لا مانع من أن تذكر فى هذه المبادرة موضوع قناة السويس على أن تذكر اننا سنبدأ فى تطهيرها عند اتمام المرحلة الأولى من الانسحاب بدلا من ذكر فتح قناة السويس ، ولم يعترض السيد أنور السادات على هذا الرأى آنذاك ولكنى فوجئت فى خطابه ــ بخلاف ما اتفق عليه فى مجلس الدفاع من احالة موضوع المبادرة الى لجنة فرعية) •

وصرح على صبرى فى التحقيق ايضا بانه كان ضد الفكرة ، وانه ابلغ السادات بعد ذلك بأنه غير موافق على طريقة المبادرة وان السادات قال له (انا عارف انت ومحمود رياض معارضين لكن رأيى انها مفيدة) •

ويضيف على صبرى قائلا (كان رأيى انه لا موجب للمبادرة وكان يجب الاكتفاء بمبادرة يارنج التى طالب فيها بالانسحاب الكامل ، ولقـد ابديت رايى بان المبادرة المصرية لا تحقق اى كسب لأن دول أوروبا يهمها فتح القناة ولا يهمها أرض مصر •

وكما فوجىء على صبرى بالبيان يلقى فى مجلس الشعب ، فوجىء به ايضا اعضاء اللجنة التنفيذية العليا •• ولكن الفرصة كانت قد اتيحت

لشعراوى جمعة ومحمود رياض وسامى شرف لقراءة البيان قبل القائه بوقت قصير ٠٠ وصدمهم ما ورد فيه من هجوم شديد على العرب ومن اقتراح بفتح قناة السويس ٠

ويقول شعراوى جمعة انهم اداروا معه مناقشة صريحة فى صالون انتظار مجلس الأمة حول مضمون البيان قبل القائه ٠٠ وانه قبل ان تحذف فقرة الهجوم على العرب ، بينما تشبث بفكرة فتح قناة السويس ٠٠ ويؤكد على صبرى هذه الواقعة بقوله فى التحقيق ان المناقشة كانت بعيدة عنه ، وتدور بين السادات وشعراوى ومحمود رياض وسامى شرف ، كما يقول انه عندما استفسر من شعراوى جمعة عن موضوع المناقشة قال له انهم عارضوا السادات فى اقتراحه ولكنه أصر على رأيه ٠

ظهر تماما أن أنور السادات قد تأثر بالآراء التى تدعو الى التهدئة وعدم العودة الى حرب الاستنزاف ومحاولة الاقتراب من أمريكا فى وقت كان محمد حسنين هيكل يطلب فيه محاولة تحييدها فى الصراع بين مصر واسرائيل ، وهى دعوة جوبهت بمعارضة شديدة لبعدها عن الواقعية ، حيث ترتبط أمريكا واسرائيل برباط مصالح استراتيجية لا تسمح لها بالوقوف موقف الحياد بين دولة تقدمية متحررة مثل الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية المرتبطة بها من جهة ٠٠ وبين اسرائيل التى تقوم بدور الشرطى الأمريكى فى المنطقة من جهة أخرى ٠

كان محمد حسنين هيكل مندفعا فى هذا الاتجاه معتقدا انه لا يمكن حل مشكلة الشرق الأوسط بعيدا عن الدولتين العظميين ، وراغبا فى نفس الوقت فى عدم التورط فى صراعيهما ٠

وفى غمرة هذا الاندفاع اقترح على أنور السادات فى أحد الاجتماعات ـ حسب رواية شعراوى جمعة ـ بأنه لو كان فى موقعه لطلب السفر الى أمريكا ليظهر لهم رغبة القاهرة الصادقة فى اقرار السلام ٠

واذا كانت الدعوة الى تحييد أمريكا تعتبر أمرا مقبولا فى عهد عبد الناصر الذى لا تشوب وطنيته أو قوميته أية شائبة ٠٠ والذى لم يتردد فى اجراء أية اتصالات تدفع اخطارا تدبرها الامبريالية الأمريكية لضرب نظامه مع المحافظة الكاملة على الاستقلال الوطنى ٠

أقول اذا كانت الدعوة مقبولة فى عهد قائد وطنى وقومى له رصيد وتاريخ ٠٠ فان استمرار الدعوة لها بعد موت الزعيم وانتخاب رئيس جديد لم يختبر بعد فى معارك وطنية أو قومية ، هو أمر يقترب من المخاطرة أو المغامرة ، لأنه قد يجذب القائد الجديد أمام الوعود المعسولة والأقوال الخادعة الى الهدوء ، وتفريغ شحنة النضال ، والتصور بأن السلام وتحرير الأرض يمكن أن يتحقق بعيدا عن التضحيات والعمل العسكرى ٠

ولم يكن جمال عبد الناصر راغبا ـ دون سبب ـ فى اشعال روح العداء مع أمريكا ، بل أنه كان حريصا على تحسين العلاقات معها واعطائها فرصة المشاركة فى اقرار سلام عادل ٠٠ وكان قبوله لمبادرة روجرز دليلا على ذلك ٠٠ ولكنه كان حريصا فى نفس الوقت على عدم الانزلاق فى تيار السياسة الأمريكية ، والتنكر لموقف الصداقة السوفيتية الذى يدعم قـوته القتالية ، ويتيح له تشكيل قوة ضغط على اسرائيل تعتبر دعامة هامة من دعائم اقامة السـلام ٠

وكذلك لم يكن الاتحاد السوفيتى راغبا فى تعميق الجفاء أو اشعال روح العداء بين مصر وأمريكا فكثيرا ما كان القادة السوفييت ينصـحون عبد الناصر بأن يهدىء من عنف حملاته على السياسة الأمريكية لما لها من تأثير مباشر على الحكومة الاسرائيلية وفائدة ذلك فى اقرار السـلام بالمنطقـة ٠

ولذا يعتبر بيان ٤ فبراير بداية ظهور اتجاه جديد يميل نحو تسكين الوضع وتجميده والاعتماد على الحركة السياسية وحدها مع التقـرب من امريكا دون العودة الى القتال وحرب الاستنزاف ٠٠ وكان ذلك تعبيرا عن أن تغييرا جديدا قد بدأ يطرأ على أسلوب السياسة الخارجية ٠

كان البيان نقطة تحول خطيرة ، انفرد السادات فيها باعلان رأيه دون الاهتمام بآراء الآخرين أو احترام أصول القيادة الجماعية ٠

واختلفت الآراء فى استقبال البيان ٠٠

الأغلبية المشتغلة بالسياسة والمثلة أساسا فى أجهزة الاتحـاد الاشتراكى وجدت أنه لا يعبر عن الرغبة الوطنية الجارفة فى تحرير الأرض وأنه يحرف موقفنا الى نوع من التهدئة التى تسلب الشعب روحه المعنوية وقوته النضـالية ٠

وعقدت اللجنة المركزية اجتماعا لمناقشة بيان ٤ فبراير وكان رأى الأغلبية مختلفا مع روح البيان وأهدافه ٠٠ الأمر الذى أشعر السادات بأن قراراته الفردية يمكن أن تصطدم بمعارضة فى الاجتماعات التنظيمية ٠

وكانت هناك أقلية لا تجد فرصة التعبير ، تتطلع الى وقف القتال والجنوح الى المحادثات مع مداعبة أمريكا ومحاولة تحسين العـلاقات معها ٠٠ وقد وجدت فى هذا البيان بعض ما يبعث الأمل فى صدورها ٠

المعارضة للبيان أو عدم الحماسة له كانت أكثر شـمولا ونفاذا ، ولكنها لم تصل الى حد العلانية أو الظهور فوق صفحات الجرائد ٠

ولم يكن منتظرا أن تكون هناك استجابة فورية للمبادرة ، ولم يكن متوقعا أن تتغير مواقع القوى السياسية ومعالمها فور صدور البيان ٠

لم يأخذه البعض على انه أكثر من محاولة لجس النبض والتعرف على امكانات تحريك غير دموى للقضية ٠

ووصل الى أنور السادات رسالة من نيكسون بتاريخ ٤ مارس ١٩٧١ يرفض فيها أسلوب تحديد موعد لاطلاق النار كنوع من الضغط على الولايات المتحدة ، ويطلب مزيدا من الوقت حتى تستطيع الحكومة الاسرائيلية أن تقنع شعبها بقبول أى تنازلات ٠٠ واشار نيكسون فى رسالته الى اقتناعه بانه لابد من الوصول الى حل لمشكلة الشرق الأوسط ، ولكن الأمر يتطلب فسحة أطول من الوقت ٠

كان الشيء الايجابى الوحيد فى رسالة نيكسون اشارته الى انسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل عدوان ١٩٦٧ ٠

ولذا فقد جمع أنور السادات اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الدفاع الوطنى يوم ٦ مارس فى اجتماع مشترك باستراحة القناطر الخيرية لدراسة الموقف بعد أن تبين له أن بيان ٤ فبراير الذى انفرد به كان بالونة اختبار غير ناجحة ، وردود فعلها لم تكن بادية ٠٠ ولم يبق سوى يومين على انقضاء الشهر الذى حدده البيان ٠

وأسفر هذا الاجتماع عن تغلب فكرة العودة للقتال ، وتحدد يوم ٢٦ ابريل ليكون بمثابة الضوء الأخضر الذى يمكن أن تبدأ بعده المعركة فى أية لحظة ، حيث تكون القوات المسلحة قد استكملت كل تجهيزاتها على امتداد الجمهورية ٠

وشكلت مجموعة عمل من عبد المحسن أبو النور وشعراوى جمعة ومحمد فائق والفريق أول محمد فوزى وسامى شرف وحافظ اسماعيل وأحمد كامل كانت تجتمع يوميا فى قصر الطاهرة الذى أعد بالاتصالات السلكية واللاسلكية ليكون مقرا للقيادة العليا للقوات المسلحة ٠

وظلت هذه المجموعة تجتمع يوميا وتناقش استعدادات العودة للمعركة ٠

واتخذ أنور السادات موقفا جديدا فى بيانه للأمة يوم ٧ مارس تاريخ انتهاء الشهر الذى تحدد بانه امتداد لوقف اطلاق النار ٠٠ لم يثر وضع المبادرة من جديد ٠٠ بل قال ان فرصة الشهر الذى مضى وفكرة المبادرة ذاتها (لم يكن ذلك من وجهة نظرنا حلا للأزمة ولكنه كان تحريكا عمليا لبدء الحل واختبارا للنوايا ، ولكن ما قلناه وما توقعناه لم يلق الا آذانا صماء) ٠

وكانت اسرائيل قد خاطبت سكرتير الأمم المتحدة قائلة انها لن تعود الى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ ٠

لم يكرر أنور السادات الحديث عن المبادرة ولكنه قال (أعلن لكم وللعالم قرارنا اننا لا نعتبر أنفسنا مقيدين بوقف اطلاق النار ولا بالامتناع عن وقف اطلاق النار) ٠

ولكن هذا البيان لم يكن يعنى العودة المباشرة للقتال ، فقد جاء فى نفس البيان ما يأتى :

(ليس معنى ذلك أن العمل السياسى سيتوقف وأن المدافع وحدها سوف تنطلق ولكن معناه أننا سوف نراقب ، وسوف نتابع ، وسوف نقرر لأنفسنا ما نعتقده أنه واجبنا فى زمانه وفى مكانه) ٠

يمكن القول ان بيان ٤ فبراير كان بداية ظهور خلافات علنية فى وجهات النظر كما أنه كان بداية وضوح اتجاه جديد يمثله أنور السادات ويختلف فيه عن اتجاه عبد الناصر ، فلم يكن معقولا أن يمد جمال عبد الناصر فترة وقف اطلاق النار مرة ومرتين ثم ينهى ذلك ببيان غير محدد ، وهو الذى كان يحشد كل قدرات القوات المسلحة للقتال ، بل ويندفع فى سبيل ذلك بأكثر مما كانت تسمح به الظروف ٠

ويمكن القول ايضا بانه اصبح صعبا تحديد (طريق عبد الناصر) فى غيبة الرجل نفسه ٠٠ فكل رأى أو اتجاه يمكن أن يدعى أنه يسلك هذا الطريق ٠٠ والحقيقة أن طريق جمال عبد الناصر قد انتهى فى لحظة وفاته ٠٠ وأن الحركة السياسية بعد موته تمضى فى طريق يختاره الأحياء من خلفائه ٠٠ وان غاية ما يمكن التعلق به هو تطبيق مواثيق ثورة يوليو وتطويرها تبعا للظروف المتغيرة ٠٠ وهنا تصبح المسيرة أقرب ما تكون الى طريق عبد الناصر ٠

والظاهرة التى تجعل من هذا البيان نقطة تحول وعلامة من علامات تحرك أنور السادات نحو اثبات وجوده رئيسا للجمهورية ٠٠ هى اصراره على اعلان المبادرة رغم معارضة الآخرين لها ٠

وكان أنور السادات قبل ذلك قد اختار أسلوب الصمت والحذر والبعد عن الأصدقاء القدامى ، مثل محمد عبد السلام الزيات سكرتير مجلس الأمة الذى لم يتصل به منذ تولى الرئاسة لمدة أربعة أشهر كاملة ٠٠ ثم بدأ يعاود الاتصال به فى فبراير ، وهو توقيت يقترن باعلان البيان أو المبادرة ٠

أمريكا ٠٠ والحكام الجدد

كانت فرص أمريكا لاستعادة نفوذها فى المنطقة خلال حكم عبد الناصر ورغم هزيمة يونيو ١٩٦٧ محدودة جدا ، فقد كانت خبرته فى التعامل معها قد أثبتت له بالحقائق والمواقف ، انها تريد فى المنطقة دولا تفتح الأبواب لنفوذها ، وتدور فى فلكها ٠

ولذا كانت وفاة جمال عبد الناصر فرصة لأمريكا لا تهدر ··

وبدأت أمريكا تبحث عن أبواب يمكن أن تتسرب منها الى مصر لتقضى على الوجود السوفيتى وتستعيد بعض أو كل نفوذها ·

لم تتـأخر ··

فتح البرت ريتشاردسون وزير الصحة الأمريكى ومندوب نيكســون فى جنازة عبد الناصر موضوع الصواريخ ووقف اطلاق النار أثناء اجتماعه بالسادات الذى قال له انه يرجو أن يغير الأمريكيون من نظرتهم الى مصر، وأنه يتطلع الى أن يجربوا التعاون معه ·

ويبدو أن انطباع الوزير الأمريكى كان سلبيا – كما ذكرنا – فقد كتب تقريرا الى حكومته وذلك بناء على ما ورد فى كتاب السادات (البحث عن الذات ، الفصل الثامن) قال فيه :

(ان السادات لن يبقى فى الحكم لأكثر من أربعة أو ســتة أســابيع) ··

وعندما اختار السادات الدكتور محمود فوزى رئيسا للوزراء أرسل له ريتشارد نيكسون برقية تهنئة ، رغم أن العــلاقات الدبلوماسية بين الدولتين مقطوعة ·

وكان أول حديث صحفى للسادات مع سولز برجر مسئول تحرير نيويورك تايمز فى أوربا ونشر يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٠ ، وقال فيه لا يوجد تناقض بين مصر وأمريكا سوى اسرائيل ·· وقال أيضا انه فوض يحيى خان رئيس الباكستان فى مخاطبة نيكسون ·

وكان يحيى خان فى زيارة للقاهرة قبل الحديث بعدة أيام ··

ودخل الأمريكيون من باب جديد أيضا ، فقد زار القاهرة فى بداية نوفمبر ١٩٧٠ كمال أدهم مستشار الملك فيصل وشقيق زوجته والمسئول عن المخابرات السعودية والوثيق الصلة بالمخابرات المركزية الأمريكية ·

تحدث كمال أدهم الى السادات وتربطهما صلة صداقة قديمة عن الوجود السوفيتى فى مصر وما يسببه للامريكيين من هلع ، وما يحاوله السعوديون من جذب الاهتمام الأمريكى لحل مشكلة الشرق الأوسط ·

تجاوب هذا الحديث مع أفكار السادات وانعكس أثره فى بيان ٤ فبراير الذى اقترح انسحابا جزئيا لاسرائيل مقترنا بفتح قناة السويس ·

ويروى محمد حسنين هيكل المقرب الى السادات فى ذلك الوقت فى كتابه (الطريق الى رمضان) أن السادات قد أعطى وعدا لكمال أدهم بانهاء الوجود السوفيتى اذا نفذ الاسرائيليون المرحلة الأولى من الانسحاب ·

وعندما سأله كمال أدهم اذا كان يمكنه تمرير هـــذه المعلومات الى الأمريكيين وافق على ذلك ٠٠ ويقول هيكل أن السناتور الأمريكى جاكسون قد تعمد تسريب هذه المعلومات للوقيعة بين مصر والاتحاد السوفيتى لصالح اسرائيل ٠

وطلب الملك حسين الوثيق الصلة بالأمريكيين فى ذلك الوقت ، والذى تواترت الأنباء بأنه قد قابل ايجال آلون نائب رئيس الوزراء الاسرائيلى ٠٠ طلب زيارة مصر ٠٠ ولكن أنور السادات ـ فضل بنصيحة من هيـكل ـ أن يقوم الفريق محمد أحمد صادق رئيس أركان حرب القوات المســلحة بزيارة عمان للتعرف على حقيقة هذه الزيارة ، حتى لا يحضر الملك الى القاهرة بعد مذابح سبتمبر وهو على اتصال سرى بالاسرائيليين ٠

عاد الفريق محمد احمد صادق وعنده انطباع بأن لقاء سريا قد تم بين الملك حسين وايجال الون دون أن يصرح الملك ٠

وتأجلت الزيارة ٠٠ ولكن لتتم بعد ذلك بعد أول ديسمبر حيث عقد اجتماع خاص بين السادات والملك حسين لم يتسرب شىء عما دار فيه ٠

الاتصالات مع الأمريكيين تتعدد وتتم خلال طرق مختلفة ٠٠ وبيان ٤ فبراير أصبح أساسا ومنطلقا لهذه الاتصالات ٠

وكتب السادات خطابا الى نيكسون أشار اليه فى بيانه يوم ٤ فبراير ١٩٧١ عنـــدما قال :

(اقول أمامكم اننى رغبــة فى تحــريك الأمور وتقديرا للمسئوليات التاريخية للفترة التى نعيشها بعثت برسالة الى الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون وتلقيت منه ردا على رسالتى ، ويؤسفنى أن أقرر أمام حضراتكم أن الموقف على ما هو عليه من انحياز كامل لاسرائيل) ٠

ووصل عمر السقاف وزير الخارجية السعودية الى مصر يوم ٥ مارس حاملا رسالة من الملك فيصل الى أنور الســــادات ٠٠ يفسر فيها الموقف السعودى ٠

كما اجتمع السادات مع عدد ملحوظ من أعضاء الكونجرس ، وكان أبرزهم اجتمـــاعه مع مســـتر دافيد روكفـــلر رئيس مجلس ادارة بنك تشيزمانهاتن الذى التقى به فى اجتماع طـــويل يوم ٦ مارس ٠٠ ونشرت (الأهرام) صورة جمعت بين السادات وعقيلته وبين دافيد روكفلر وعقيلته فى اجتماع بدار الرئيس ٠٠ وكانت هذه أول مرة تنشر فيها صـــورة حرم الرئيس فى مناسبة اعتبرت جديدة على الحياة السياسية المصرية ، حيث كانت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بين الدولتين ، وكانت القـــاعدة

والتقاليد تقضى بألا تظهر حرم الرئيس فيصورة ترتبط بنشاط سياسى خارج عن قواعد البروتوكول التى تفرض على زوجة الرئيس مقـــابلة زوجات الرؤســــاء ٠

ولعب رئيس مجلس ادارة شركة (بيبسى كولا) دورا نشـــــطا فى اتصالات سرية عقدها مع السادات ودكتور محمود فوزى ومحمد حسنين هيكل ٠٠ وحاول أيضا الاتصال بشعراوى جمعة الذى اعتذر عن عـــدم المقـابلة ٠

تعددت وتضاعفت مقابلات السادات مع الأمريكيين أو مندوبيهم ٠٠ بينما كان الآخرون يعتذرون عن مثل هذه المقابلات ٠

وكان عنوان الأهرام الرئيسى فى صدر صفحتها الأولى يوم ١١ مارس ١٩٧١ هو (الدبلوماسية السرية على أشدها) ، وذلك بعد تصريح لنيكسون نشر يوم ٩ مارس يقول (ان أمريكا سوف تستمر فى جهودها للخروج من الموقف الذى وصلت اليه الأزمة) ٠

ويقول أحمد كامل مدير المخابرات العامة فى ذلك الوقت ان مسئول المخابرات المركزية فى مصر قد طلب منه رسميا معرفة قرارات الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا ومجلس الدفاع الوطنى ، وان أحمد كامل قد أجل موعده معه حتى يستأذن فى ذلك رئيس الجمهورية الذى أذن له ووافق على ابلاغ مسئول المخابرات المركزية بالنتائج التى توصل اليهـا الاجتمـــاع ٠

وقد تثير عملية وجود مسئول معروف للمخابرات المركزية الأمريكية فى مصر علامات استفهام ٠٠ ولكن أمين هويدى يقول ان هذا المندوب كان موجودا ومعتمدا من عهد جمال عبد الناصر الذى كان حريصا دائما عـلى وجود صلات وقنوات مفتوحة مع كافة القوى السياسية ٠٠ وليس هذا التواجد بدعة ولكنه كما يقول مدير المخابرات أمر معروف بين مخابرات الـدول ٠

وحاول وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكى وصاحب المبـــادرة التى عرفت باسمه ، أن يدعو الدكتـــــور محمود فوزى أو وزيرا مصريا مسئولا للحضور الى واشنطن لعقد محادثات معه ، ولكن ذلك كان أمرا صعبا يستحيل الموافقة عليه ٠

ولذا تطلع روجزر لزيارة مصر منذ شهر يناير كما نشرت مجـــلة روز اليوسف فى عددها بتاريخ ٤ يناير ١٩٧١ ، والذى قالت فيه ان مصر تعلق الزيارة على استئناف مهمة يارنج التى توقفت نتيجة رفض اسرائيل

٠٠ وكان روجرز يربط بين استئناف اتصالات يارنج وبين تجديد مصر أو تثبيتها لوقف اطلاق النار ٠

كانت رغبة روجرز فى الاتصال بمسئول مصرى فى واشنطن ، أو الحضور الى مصر ، تعبيرا عن السعى للعـــودة الى المنطقة بكل وسيلة ممكنة ٠٠ وكان حرص أنور السادات على معرفة مدى تغير الموقف الأمريكى يستولى على فكره أكثر من أى شىء آخر ٠

ونضجت الظروف لاستقبال روجرز فى مصر بعـــد أن ساد الجو السياسى نوع من الهدوء تجاه أمريكا رغم مساعداتهـا التى لم تتوقف لاسرائيل والتى كان آخرها ما أعلنته رسميا فى ٢١ أكتوبر ١٩٧٠ من عقد صفقة أسلحة مع اسرائيل بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار تزيد الى مليـار دولار ، وتسليمها ٢٠٠ دبابة و ١٨ طائرة فانتوم ضمن هذه الصفقة ٠

وتقررت زيارة روجرز للقاهرة يوم ٤ مايو ١٩٧١ أى بعد يوم ٢٦ ابريل وهو التاريخ الذى اتفق عليه فى الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا ومجلس الدفاع الوطنى ليكون بمثابة الضوء الأخضر لبدء القتـال فى أية لحظة مناسبة ، وهو التاريخ الذى تسرب الى المخـابرات المركزية الأمريكية كمـا أوضحنا ٠

وكان طبيعيا أن تتراجع فكرة عودة القتال الى ما بعد حضور روجرز والتعرف عما اذا كانت هناك اقتراحات أو مشروعات أمريكية جديدة ٠

ويقول شعراوى جمعة عندما سألته عما اذا كان تحديد موعد الزيارة قد تم صدفة وعن درجة اقترانه بالتاريخ الذى تحدد لامكانية عودة القتال ٠٠ فقال انهم لم يقفوا طويلا عند الربط بين الاثنين لأن التاريخ المقتـرح لم يكن تحديدا لموعد بدء المعركة ، وانما يرتهن الأمر برأى القائد العـام للقوات المسلحة ودرجة استعدادها ٠

وكانتزيارة روجرز فى ذاتها عاملا هاما فى زيادة الفرقة والانقسام بين الرافضين لاتجاه الانزلاق نحو أمريكا ، وبين المنـــادين بتحييدها أو التعاون معها باعتبارها القوة الرئيسية المؤثرة على حـــكومة اسرائيل ، والذين جذبتهم تصريحات روجرز التي أدلى بها يوم ٢٣ ابريل قبل حضوره للقاهرة وقال فيها :

(ان دور الولايات المتحدة لا يقتصر فيما يتعلق باعادة فتـح قنـاة السويس على نقـل الاقتراحات والاقتراحـات المضادة بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحـــدة ٠٠ ان الولايات المتحدة مستعدة الآن لتلعب دورا فى حفظ السلام فى الشرق

الأوسط اذا ما أرادت مصر وغيرها من الدول المعنية مثل هذه المشاركة الأمريكية) ٠

أمريكا تتقدم اذن بالحديث خطوة كبيرة الى الأمام تتجاوز مهمة يارنج ومهمة الوسيط ٠٠ وفى هذه الدعوة اغراء لكل العناصر التى تثق فى أمريكا أو تتطلع للتعاون معها فى أن تتحرك كوسيط للضغط من أجل تغيير موازين القوى أو تعـــديلها ٠

وكان جاكوب ماليك مندوب الاتحاد السوفيتى فى هيئة الأمم المتحدة قد انتقد الدور الامريكى المقترح قائلا : (ان قيام الولايات المتحدة بدور الوسيط فى المفاوضات الدائرة بشأن اعادة فتح قناة السويس انما تغتصب لنفسها مهمة عهد بها السكرتير العام للأمم المتحدة للسفير يارنج) ٠

ورد عليه تشارلز براى المتحدث الرسمى باسم الخارجية الأمريكية قائلا (اننا نعتقد أن مبادرتنا لا تتعارض بأى شكل من الأشكال مع مهمـة السفير جونار يارنج الذى يحاط علما بكل ما يجرى) ٠

وأخيرا ٠٠ كانت زيارة وليم روجرز للقاهرة يوم ٤ مايو ١٩٧١ التى اعتبرت مفاجأة فى العلاقات المصرية الأمريكية ٠٠ فلم يسبق لوزير خارجية أمريكى أن زار مصر بعد جون فوستر دالاس عام ١٩٥٣ فى وقت كانت العلاقات فيه بين الدولتين ودية ، وفى ظروف كانت أمريكا تسعى فيهـا الى ضم أكبر عدد من الدول الى أحـــلافها العسكرية ، وتتهم فيه الذين يتحدثون عن الحياد الايجابى بأنهم يسلكون سلوكا غير أخلاقى ٠

ولكن زيارة روجرز تتم والعلاقات بين الدولتين مقطوعة منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ ، ومساندة أمريكا لاسرائيل في المجال العسكري والسياسى تتم صراحة وبعيدا عن كافة وسائل التمويه ٠٠ والاتهامات العربية الموجهة لأمريكا يتردد صداها فى كافة أرجاء الوطن العربي ٠٠ وأنور الســادات شخصيا كان قد جمع اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكي العربى واتخذ قرارا برفض مبادرة روجرز أثناء وجود جمال عبد الناصر فى موسكو ، وعندما قبل عبد الناصر المبادرة آثر السادات أن يعتكف فى قريته ٠

ويبدو أن أنور السادات كان ميالا لعودة العلاقات الدبلوماسية مـع أمريكا فهو يقول فى كتابه (البحث عن الذات) ان بيان ٤ فبراير كـان فيه وعد باعادة العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا ٠٠ وهو أمر لا يشير اليه البيان الذى لم يتضمن كلمة واحدة عن عودة العلاقات بين الدولتين ٠

بل ان أنور السادات كثيرا ما هاجم الموقف الأمريكى فى خطبه ٠٠ قال فى أسوان مثلا يوم ١٥ يناير أثناء الاحتفال بانتهاء السد العالى فى حضور بودجورنى رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية :

(ان الوعود الأمريكية المكسورة والمنقوضة فى كل ناحية لم يكتف أصحابها بكسرها ونقضها فقط ولكنهم تمادوا فيما هو أكثر من ذلك ووقفوا بالعمل موقفا معاديا لكل ما حاولوا تزيينه بالقــول ٠

سنة ١٩٥٣ كان وعد منهم بالسلاح ٠٠ كسروه ونقضوه ٠٠ وأعطوا السلام لاسرائيل ٠

سنة ١٩٥٦ كان وعد بالمساعدة فى بناء السد العالى ٠٠ وما حدث تعرفونه جميعا ٠

سنة ١٩٥٧ كان منهم وعد ترك التطور السياسى والاجتماعى يأخذ طريقه الحر فى المنطقة بحيث لا يفرض عليها وهو مضاد لارادتها ٠

فى نفس السنة كان منهم مؤامرة محاولة غزو سوريا ٠٠

ومع ذلك مالنا ٠٠ والتاريخ البعيــد ٠

سنة ١٩٦٧ كان منهم وعد التعهد بالمحافظة على السلامة الاقليميــة لدول المنطقة ٠٠ فى نفس الوقت كان عملهم كله تأييدا للعدوان الاسرائيلى ومباركة مخططاته ٠

سنة ١٩٦٨ كان وعدهم بالمساعدة فى تنفيذ قرار مجلس الأمن ٠٠٠ وفى نفس السنة أعطوا لاسرائيل طائرات فانتوم ٠

سنة ١٩٦٩ كان وعدهم بضرورة حل الأزمة ٠٠ وفى نفس السنة كان انحيازهم كاملا لاسرائيل ٠

سنة ١٩٧٠ كان وعدهم الذى تمثله مقترحات روجرز ٠٠ وفى نفس السنة أعطوا لاسرائيل ٥٠٠ مليون دولار لكى تزداد صلابة وكبرياء فى رفض كل محاولة للسلام القائم على العدل ٠٠ بل فى هذه الأيام من ســنة ١٩٧١ نسمع رغبتهم فى السلام ٠٠ وفى نفس الوقت نجد دعمهم للعدوان ولاستمرار الاحتلال ضــد أراضينا والاهــدار الكامل لحقــوق شعب فلســطين) ٠

الأقوال المعلنة والخطب الصاخبة لم تكن تنبىء ــ فيما يبدو ــ عن النوايا الخاصة والأعمال المستترة ٠

حضر روجرز الى القاهرة ومعه جوزيف سيسكو دون أن يحمــل مقترحات جديدة وانما ركز أحاديثه على الحل الجزئى القديم مع المطالبة بمد وقف اطلاق النار الى أجل غير مسمى وفتح قناة السويس مع انسحاب اسرائيلى محدود ٠

استقبل أنور السادات وليم روجرز فى منزله مرتين ، وعقد معــه

اجتماعات خاصة مغلقة الى جانب اجتماعات للوفود ضمت من الجانب المصرى : دكتور محمود فوزى ومحمود رياض نائب رئيس الوزراء ٠

وزار روجرز محمد حسنين هيكل فى مكتبه بجريدة الأهرام ، وهى زيارة لا شك أنها تعبير عن معنى من معانى التقدير لدور قام به هيكل فى تقريب العلاقات بين مصر وأمريكا ، وهو ما كان مقتنعا به ، ومعبرا عنه فى مقالاته ٠

اصبحت لعبة التقارب اذن ، تتم ـ على المكشوف ـ ولا تقتصر على الاجتماعات والتدابير والهمسات السرية ٠

وكان الموقف المصرى حتى ذلك الوقت كما عبر عنه وزير الخارجية محمود رياض هو انسحاب اسرائيل الى خط العريش رأس محمد كمرحلة أولى حتى يمكن فتح قناة السويس وعبور القوات المصرية الى شرق القناة، ثم تكتمل المرحلة الثانية بانسحاب اسرائيل من سيناء وقطاع غزة تحت اشراف قوات الأمم المتحدة التى يمكن لها أن تعسكر فى شرم الشيخ وقطاع غزة ٠٠ وبعد أن تنتهى المرحلتان يمكن البحث فى نزع سلاح بعض المناطق، ومد وقف اطلاق النار لمدة ٦ شهور ٠

ولكن روجرز ربط ذلك بضرورة ضمانات لأمن اسرائيل وسلامها ، وعندما أشار محمود رياض الى اقتراحات يارنج الأخيرة الخاصة بردود مكتوبة عن تصور السلام من جانب مصر والانسحاب من جانب اسرائيل بناء على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وقبول مصر لذلك ورفض اسرائيل واستمرار أمريكا مع ذلك فى امدادها بالسلاح ٠

عندما أشار محمود رياض الى ذلك قال روجرز ان حكومته تطلب السلام ولكنها لا تستطيع الضغط على اسرائيل ٠

وهنا قال محمود رياض غاضبا (ألا يوجد فرق بين الولايات المتحدة وفولتا العليا أو الجابون ان اسرائيل ترفض وتتحدى الضغوط فكيف تفسرون ذلك ؟) ٠

واقترح محمود رياض لأول مرة أن تفرض أمريكا حظرا على تصدير الأسلحة لاسرائيل فهذا هو الضغط الوحيد المؤثر ٠

ومحمود رياض وزير الخارجية كان من أكثر الوزراء خبرة بالقضية الوطنية فقد عاصر المشكلة الفلسطينية منذ كان ضابطا فى الجيش حضر توقيع اتفاقية الهدنة فى رودس عام ١٩٤٩ ، وتولى المسئولية السياسية عن قطاع غزة الى أن ارتبط بالعمل فى وزارة الخارجية سفيرا فى دمشق ثم وزيرا ٠

ولذا كان على فهم تام بالأسلوب الأمريكى ·· وكان له فى ذلك رأى واضح معلن ·· وهو أن حكومة الولايات المتحدة لم تغير سياستها فى مساندة اسرائيل مطلقا ، وانها لم تظهر أية نوايا طيبة تجاه الحق العربى ·

واقترح روجرز على انور السادات وصول خبراء أمريكيين الى مصر لدراسة خطة قواتنا المسلحة فى سيناء تدليلا على حسـن النية والرغبة فى تنفيذ المبادرة ·· وذلك فى وقت كانت العلاقات الدبلوماسية ما زالت مقطوعة ، والامدادات العسكرية تتدفق على اسرائيل ·

وقد اعترض محمود رياض على ذلك اعتراضا حادا وصريحا عندما عرض انور السادات فكرة هذا الاقتراح ، وايده فى اعتراضه الفـريق أول محمد فـوزى ·

سافر روجرز عائدا الى واشنطن ، وعاد سيسكو للقاهرة بعد زيارة اسرائيل حاملا معه مقترحات اسرائيلية تقضى بالموافقة على الانسحاب لمسافة من ٥ الى ١٠ كيلو شرق القناة مع المحافظة على خط بارليف بكل تحصيناته والاشراف عليه بقوات مدنية ترعاها الأمم المتحدة ·· تماما كما كانت اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا عام ١٩٥٤ ، تنص على انسحاب القـوات البريطانية من قاعدة قناة السـويس والاشراف عليها بخبراء بريطانيين فى ملابس مدنية ·

وكانت اسرائيل قد دعمت تحصينات خط بارليف بعد وقف اطلاق النار كما دفعت مصر صواريخها الى الشاطىء الغربى للقناة ·

كان واضحا أن زيارة روجرز لم تحمل جديداً الى مصر ، ولم تسهم فى دفع السلام خطوة واحدة الى الأمام ·· وانما استهدفت أن تقر وضعا جديدا فى المنطقة تؤدى به أمريكا دورا مؤثرا ·

انتقلت الصلة بين مصر وأمريكا بعد هذه الزيارة ورغم عدم وضوح نتائجها الفورية الى مرحلة جديدة لأول مرة منذ عدوان ١٩٦٧ ·· وأصبحت عوامل الاغراء بالتدخل الأمريكى من أجل السلام قوة جذب فعالة للعناصر التى ضاقت بعملية التحول الاجتماعى التى تبنتها ثورة يوليو ، والتى نفد صبرها من ضغط القتال ، واعتقدت أن قوة أمريكا يمكن أن تؤثر على مصر مزيداً من الدمار والتضحيات ·

ووصلت نتائج اللقاء المباشر بعد الاتصالات السرية الى الحد الذى أبلغ فيه السـادات سيسكو ـ كما ثبت من التسـجيلات التى قامت بها المخابرات المصرية فى السفارة الأمريكية خلال حديث بين سيسكو وبيرجس ـ بانه سوف يغير كمرحلة أولى محمود رياض وزير الخارجية الذى كان يأخذ موقفا صلبا ضد السياسة الأمريكية ، والفريق أول محمـد فوزى

الذى كان يلح عليه دائما فى ضرورة العودة الى القتال ، وهو الأمر الذى يتعارض مع الرغبة فى الانجراف الى تسوية سلمية بجهود أمريكية ٠

وأظهرت التسجيلات أيضا انه عندما علم أن سيسكو فى طريقه الى القدس حمله تحياته الى موشى ديان وابلاغه تطلع السادات لأن يكون رئيسا للوزراء حتى يمكن تحقيق السلام ٠٠ وموشى ديان هو صاحب اقتراح الانسحاب المحدود كأساس لحل جزئى فى عهد عبد الناصر ، وهو ما تبناه السادات تقريبا كما سبق أن أشرنا فى بيان ٤ فبراير ٠

انتهت زيارة روجرز التى اعتبرت قمة فى طريق الصعود الى تسوية للعلاقات بين مصر وأمريكا ٠

انتهت دون نتائج عملية معلنة ، ولكنها أذابت حساسيات كثيرة فى العلاقات بين أمريكا وبين بعض الحكام الجدد ٠٠ فلم تكن لروجرز أو سيسكو جلسات خاصة مغلقة الا مع السادات ومحمود رياض وهيكل ٠٠ ولم يحدث أى لقاء خاص بينه وبين أعضاء اللجنة التنفيذية العليا أو شعراوى جمعة وسامى شرف ٠٠ أما على صبرى فكان قد صدر قرار باقالته يوم ٢ مايو قبل الزيارة بيومين كما سيأتى تفصيلا فيما بعد ٠

ويمكن القول بأن موقف أمريكا قد تحول من الدفاع السلبى الى الهجوم الايجابى بعد مرحلة استطلاع كاملة خلال الشهور السابقة ٠

السوفييت ٠٠ والحكام الجدد :

مات جمال عبد الناصر بعد أن أقام علاقة فريدة بين دول التحرر وبين الدول الاشتراكية وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى ٠

وصلت الأمور خلال تعاون مشترك الى حد اقامة صناعة مصرية متميزة لم تتوفر لدولة من دول العالم الثالث ، ودخول مصر عصر الكهرباء ببناء السد العالى ، وامداد القوات المسلحة بالأسلحة السوفيتية المتطورة، وتعويض الخسائر الفادحة التى منيت بها بعد عدوان ١٩٦٧ دون مقابل ثم المساهمة بالخبرة والتدريب فى اعادة بناء القوات المسلحة حتى وصلت الى حد مصادمة العدو ومجابهته فى حرب الاستنزاف ٠

ولم يقف التعاون عند هذه الحدود ، بل إن العلاقة بين الدولتين قد وصلت الى ما لم تصله بين دولة اشتراكية ودولة من دول التحرر الوطنى قبل ذلك ، فقد تحركت قوات سوفيتية مسلحة للدفاع عن أعماق مصر بناء على طلب ملح من جمال عبد الناصر بعد أن ازدادت شراسة الهجمات الاسرائيلية على الجبهة الداخلية ، الأمر الذى كاد يعرض النظام لخطر الانهيار أكثر مما حدث بعد الهزيمة العسكرية المفاجئة فى يونيو ٠٠ وتوقفت

الغارات الاسرائيلية على داخل مصر اعتبارا من ١٨ ابريل ١٩٧٠ عقب تصريح ديان الذى قال فيه ان اسرائيل لن تحارب السوفييت ٠

وصلت الأمور الى هذا الحـد من الثقة والتضامن ، وتفرغت القوات المسلحة المصرية لاعداد الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، والتى كان قبول مبـادرة روجرز عاملا لتأكيد نجاحها وذلك بدفع الصواريخ المصرية خلال فتـرة وقف اطلاق النار الى شاطىء القناة لحماية القوات المهاجمة عند عبورها قنـاة السويس ٠

وشاء القدر أن يختطف عبد الناصر فى مرحلة وقف اطلاق النـار الأولى وقوات مصر المسلحة على أهبة الاستعداد لعودة القتال ٠

ولم يكن فى مصر من ينكر الدور السوفيتى فى دعم الدفاع المصرى وفى مساندة الهجوم المنتظر ، والذى كان مفروضا أن ينفذ بقوات مصرية بعد أن اتفق القادة السوفييت مع عبد الناصر على أن ينسحب الخبـراء والمستشارون السوفييت من أرض المعركة قبل بدء القتال والعبور حتى لا يتصاعد الموقف ويصل الى حد المجابهة بين جنود سوفييت وأمريكيين تجلبهم اسرائيل ايضا للدفاع عنها ٠

كان الجميع يطلقون على السوفييت لقب (الأصدقاء) ٠٠ وكانت العلاقات بينهم وبين القيادة السياسية والعسكرية العليا متميزة بالصدق والوفـاء ٠

ولكن اختفاء جمال عبد الناصر منشىء هذه العلاقة ومؤسسها ، والذى حصل منهم على أكبر قدر من العون دون أى تدخل من جانبهم ، والـذى عبر عنه مرة بقـوله :

كان اختفاء جمال عبد الناصر صدمة شديدة لهم وباعثا على الحذر من احتمال تأثر العلاقات المصرية السوفيتية ، وذلك لعدم وجود حـزب مختبر ومكتمل التنظيم يتبنى استراتيجية واضحة للسياسة المصرية ٠

لم يكن الاتحاد الاشتراكى بجهازه الطليعى تنظيما يمكن الاعتماد عليه فانه رغم اخلاص وصدق نوايا بعض قيادته الا أنه كان بعيدا عن التنظيم الحزبى بمفهومه النضالى والعلمى ، فهو لم يكن يعبر عن مصالح الطبقة العاملة ، ولم يكن قد وصل الى بلورة مفهوم (تحالف قوى الشعب العاملة) ، كما أن مبادىء الديمقراطية المركزية لم تكن قد تأكدت بعد فى صـفوفه ٠

ويجدر بنا القول بأن العلاقات بين الدولتين على الصعيدين الرسمى والحكومى كانت قد وصلت الى مستوى متميز بين الدول ذات الأنظمـة

الاجتماعية المختلفة ، ولكنها على الصعيد الشعبى الجماهيرى كانت تعانى نواقص كثيرة ٠

التحذير من اخطار الشيوعية كانت هى الرسالة والوصية الأخيرة التى يحملها من مصر المبعوثون الى الاتحاد السوفيتى ٠٠ ومراقبة الخبراء والمستشارين السوفييت فى المصانع والسد العالى والقوات المسلحة كانت قاعدة دفعت بهم الى التقوقع والانعزال عن المجتمع خوفا من أن يتهموا بأنهم يروجون دعاية للشيوعية ، وهو ما لم يظهر حقيقة الطبيعة الانسانية لهؤلاء القادمين من الشمال ٠

وفى القوات المسلحة لم يفسر الفرق بين وجود ضباط أجانب فرضوا أنفسهم على الجيش المصرى بقوة الاحتلال كما كان أمر البعثة العسكرية البريطانية قبل الثورة ٠٠ وبين ضباط أصدقاء طلبتهم مصر بارادتها الحرة لارشاد وتدريب الجنود والضباط على الأسلحة والتكنولوجيا المتطورة ٠

لم تبذل القيادة السياسية جهدا ملحوظا ــ رغم علاقتها الجيدة مع المسئولين فى الاتحاد السوفيتى ــ لدعم العلاقة بين الشعبين ٠٠ حذرا من اندفاع الجماهير الى خطوط لا يريد النظام لها أن تتعداها ٠

ولذا استشعر السوفييت منذ اللحظة الأولى لغياب عبد الناصر نوعا من القلق عبر عنه كوسيجين رئيس الوزراء السوفييتى اثناء لقائه بالمسئولين الجدد أيام الجنازة عندما أوضح لهم أن تمسكهم وترابطهم وتاكيد دور الاتحاد الاشتراكى هو الكفيل الوحيد بعدم خلق فراغ بعد غياب عبد الناصر لابد أن تحاول القوى المضادة والرجعية الوثوب اليه ٠

وقال أيضا ان العلاقات بين الدولتين يجب أن تقوم على الصدق والمصارحة لأن حبل الكذب قصير ، والموقف فى جملته خطير ٠

ولكن القضية في عمومها كانت قضية داخلية يصعب على السوفييت التدخل فيها خاصة وأن علاقتهم كانت طيبة بمعظم الحكام الجدد ٠

كان أنور السادات يلتقى أسبوعيا بالسفير السوفيتى الراحل سيرجى فينوجرادوف بتعليمات من جمال عبد الناصر لتبادل المعلومات وتنسيق الأفكار ٠٠ وكانت أسرة أنور السادات تمضى جانبا من أجازتهم السنوية فى الاتحاد السوفييتى ٠٠ وأذكر أنه كان أول من تحدث علنا عن الجسر الجوى السوفييتى الذى قام بتعويض خسائر قواتنا المسلحة عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ فى حديثه مع طلبة الجامعة فى مجلس الأمة أثناء مظاهرات فبراير ١٩٦٨ وقال لهم ان طائرة سوفيتية محملة بالأسلحة كانت تهبط كل دقيقتين على مطارات مصر ٠

وكان على صبرى على صلة طيبة بهـــم أيضا ، فقد حضر معظـم المفاوضات مع جمال عبد الناصر ، وقام بزيارة موسكو ومقابلة بريجنيف على رأس وفد مصرى فى يوليو ١٩٦٩ قبل خلاف عبد الناصر معه والذى ظهر فى حادث الحقائب والجمرك المعروف ، ثم زار موسكو مع عبد الناصر فى رحلته الأخيرة ٢٩ يونيو ١٩٧٠ بعد أن كان قد عين فريقا فخريا فى القـوات الجـــوية ٠

وكذلك كانت علاقة شعراوى جمعة طيبة أيضا بالقادة السوفييت ، فقد قابل بريجنيف أثناء زيارته للاتحاد السوفيتى فى يوليو ١٩٦٨ ، وكانت تربطه علاقات وثيقة بقادة ألمانيا الشرقية ٠

وينطبق هذا القول على الآخرين جميعا ٠٠ فلم يشتهر عن أحـــد منهم اتخاذ موقف العداء أو الجمود مع السوفييت ٠

ولذا اتخذ السوفييت منذ البداية موقف الترقب والانتظار لما تأتى به الأحداث ٠٠ وإن كانوا وبلا شك ، قد عرفوا أن هناك تناقضات تتصـــارع فى القمة بين الحكام الجدد ٠

وسرعان ما استشعروا نوعا من القلق ــ الصامت ــ عندما وصلتهم معلومات عن مضمون مقابلة أنور الســادات لكمـــال أدهم التى سربها السناتور الأمريكى جاكسون وفيها وعد بانهاء الوجود السوفيتى اذا حقق الاسرائيليون مرحلة فى الانسحاب ٠

وأراد السوفييت أن يكذبوا ظنونهم بمزيد من التحرك فقام وفـــد سوفييتى برئاسة بوناماريف العضو المرشح للمكتب السياسى بزيارة مصر على رأس وفد يوم ١٠ ديسمبر استمرت عدة أيام تمهيدا لزيارة بودجورنى رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية التى بدأت يوم ١٢ ينـاير أثناء الاحتفال بانتهاء بناء السد العالى ٠

استقبل بودجورنى استقبالا حافلا ، وحـــــرص على زيارة أسرة عبد الناصر وقبره وزار بعد زيارة السد العالى الترسانة البحرية التى أقيمت بمساعدة السوفييت فى الاسكندرية ٠٠ وكانت خطب أنور السادات خلال الزيارة شديدة الوضوح فى الاشادة بموقف السوفييت ٠٠ وكانت هذه هى النغمة التى يتحدث بها ، فقد قال ــ على سبيل المثال ــ فى المؤتمر الشعبى بطنطا يوم ٤ يناير :

(فى القرية عندنا لما حد يموت كل واحد بيجيب صينية لأهل الميت ، والاتحاد السوفييتى فى ميتم جمال عبد الناصر جـاب الصينية وجه ٠٠ كانت هناك تعاقدات لن تنفذ الا فى عام

١٩٧١ جابها على الصينية عام ١٩٧٠ علشـــــان يقول أنا وياكـــم) ٠

وكرر هذا المعنى فى خطبته يوم عيد العمال أول مايو ١٩٧١ عندما قـــال :

(جه الاتحاد السوفييتى وجاب صينيته معاه فى ميتم جمال ٠٠ صفقات كانت مفروض متأخرة جابها وجه ٠٠ ده عسكريا واقتصاديا ويكفى أذكر لكم شىء واحد فى الشهر الماضى ٠٠ الدكتور عزيز صدقى وقع اتفاقية بـ ٤٦٠ مليون دولار مـع الاتحاد السوفييتى تنفذ على خمس سنوات) ٠

التصريحات المعلنة والخطب المذاعة لا تنبىء عن جديد فى العـلاقات المصرية السوفيتية ولكن اعلان أنور السادات لمبادرة ٤ فبراير دون تشـاور مع السوفييت ٠٠ يختلف عن أسلوب عبد الناصر الذى ناقش مع القـادة السوفييت قبوله لمبادرة روجرز قبل اعلان ذلك ٠

السوفييت يشعرون أنهم قد بدأوا يتخذون موقف الدفاع فى وقت كان الأمريكيون قد بدأوا فيه الهجـــوم ٠

ولكن تحول الأمور لم يكن حتى هذه اللحظة ممكنا فى يسر ٠٠ فالأمور كانت أعقد من أن تتحول مصر من جانب الى جانب كما نطفىء النور بزر الكهرباء ٠

عقب بيان ٤ فبراير وعدم حدوث صدى ايجابى له ، أرسل السادات شعراوى جمعة فى مهمة سرية الى موسكو للمطالبة بالطائرات الصاروخية (تى يو ١٦) بعيدة المدى ٠

وكان الاتفاق قد تم بين عبد الناصر والمسئولين من القادة السوفييت على أن يكون لهذه الطائرات الصاروخية البعيدة المدى دور فى تنفيذ الخطة الدفاعية ٢٠٠ دون أن تتواجد فى المطارات المصرية حيث قال بريجنيف ان وجود مثل هذا اللواء الجوى الصاروخى فى مصر ــ عشر طائرات ــ سوف يدفع الولايات المتحدة الى امداد اسرائيل بصواريخ لانسى أرض أرض بعيدة المدى ، واقتنع جمال عبد الناصر بذلك ٠

واختير مطار وادى سيدنا فى السودان حيث يبعد عن مدى طائرات الفانتوم الاسرائيلية وكذلك مطار أسوان الذى اعتبر قاعدة امداد لاستقبال هذا اللواء الصاروخى عند بدء العمليات ٠

يقول الفريق أول محمد فوزى ان مليونا ونصف مليون من الجنيهـات قد صرف على اعداد هذين المطارين بانشاء تجهيزات أرضية وفنية ومخابىء تحت الأرض تتحرك بينها السكة الحديد ٠٠ وكان هذا ضمن الاتفـــاق الذى وافقت عليه القاهرة وموسكو بناء على اقتراح وزارة الدفاع السوفيتية

والذى يقضى بتجهيز كافة المعدات الادارية والفنية والأفراد واعداد مسرح العمليات لتكون جاهزة لاستقبال اللواء الصاروخى عند وصوله من موسكو فى زمن حددته الخطة بست ساعات فقط ٠

كانت المطالبة باحضار طائرات (تى يو ١٦) الى مصر مخالفا للخطة الموضوعة فى عهد عبد الناصر ، واثارة لقضية لم تعد خلافية بعد أن تم الاتفاق على أدق تفاصيلها مع جمال عبد الناصر ٠

استقبل شـــــعراوى جمعة فى زيارته السرية كـــلا من بريجينيف وجريتشكو وبوناماربيف ٠٠ ولكن القادة السوفييت لم يوافقوا على ارسال اللواء الصاروخى لمصر حتى لا يكون ذلك دافعا للتعجل فى استخدامه قبل الاستعداد للمعركة ، أو لامداد أمريكا لاسرائيل بصـــواريخ لانسى بعيدة المدى ٠

وبعد عودة شعراوى قرر السادات السفر فى زيارة سرية الى موسكو أيضا لاثارة الموضوع مرة أخرى ، وتوجه الىهناك يوم أول مارس ١٩٧١ على رأس وفد يضم شعراوى جمعة والفريق أول محمد فوزى والســـفير السوفييتى الجديد فلاديمير فينوجرادوف دون أن يصحب معه على صبرى الفريق الفخرى بالقوات الجوية ٠

وخلال هذا اللقاء وتحت الحاح أنور السادات وافق بريجنيف على اعطاء مصر هذه الطائرات الصاروخية بعيدة المدى ، على ان تصدر الأوامر لها بالتحرك والضرب من القادة السوفييت بعد التشاور مع المصريين ٠٠ ولكن أنور الســـــادات رفض ذلك وطلب أن تكون تحت القيادة المصرية المباشرة معتبرا أن فى ذلك انتقاصا من السيادة المصرية، وهو ما لا ينسجم مع الحقيقة القائمة من أن القوات السوفيتية كانت تدافع فعلا منذ ١٨ أبريل عن الأرض المصرية دون اعتداء على السيادة ٠٠ بل كان ذلك بتفاهم كامل مع القيادة المصرية فى عهد عبد الناصر ٠

ويقول هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان السادات قد أبلغه أنه قام بمشهد تمثيلى غاضب ، ولكنه حصـــل فى النهاية على ما يريد ٠

وصرح السادات فى بيانه للأمة يوم ٧ مارس بعد عودته بايام بقوله بعد أن أعلن عن رحلته السرية (عدت الى القاهرة راضيا تماما عما تم انجازه واثقا من أن الاتحاد السوفيتى يؤيد حقنا العادل تأييدا مطلقـا وايجــابيا) ٠

وقد شعر شعراوى جمعة بنوع من العتاب لأنهم لم يوافقوا له خلال رحلته على ارسال الطائرات ، الأمر الذى كان يمكن أن يتحاشى الصدام المفتعل الذى حدث بين أنور السادات والقادة السوفييت ٠٠٠ ولكن هذا العتاب مردود لأن الاتفاق فى مثل هذه الأمور شديد الحساسية لا يكون

الا بين رؤساء الدول ·· كما أنه كان واضحا أن أنور السادات قد افتعل الخلاف حول جهة اصدار الأوامر بعد قبول القادة السوفييت ارسالها لمصر، وهو ما يتجاوز الحدود المتفق عليها سابقا والتى تحفظ للاتحاد السوفيتى أمنه القومى ، ويؤكد عدم الاستهانة باستخدام هذا السلاح الخطير ·· دون أن يكون فى ذلك مساس بسيادة مصر مطلقا ·

وما كان الفريق أول محمد فوزى ليتحمل تبعة المسئولية عن المعركة لو أنه استشعر ان تواجد هذا اللواء الصاروخى بعيدا عن المطارات المصرية يمكن أن يعطل الخطة أو يضعف فعاليتها ·

ولذا فانه رغم موافقة القادة السوفييت على تواجد اللواء الصاروخى فى مطارى وادى سيدنا وأسوان الا أنهم اعتبروا أن اصرار السادات على رأيه هو تجاوز للمدى الذى يحتمله أمنهم القومى وتفرضه الثقة المتبادلة ·

ويقول الفريق أول محمد فوزى انهم اعتبروا هذه الزيرة (زيارة فقدان الثقة) ·· فقد شرخت الثقة فعلا ·· ويؤكد ذلك ما ذكر من أن الموقف كان مفتعلا دون تقدير ـ أو بتقدير مسبق ـ لما يمكن أن يبذره من خلاف أو فقدان ثقة ·

وموضوع الامداد بالسلاح كان دائما من أهم المواضيع الحساسة التى لم تحسم بصراحة ولم يتوصل الطرفان فيها الى نظرة مشتركة ·

من الجانب المصرى ·· كان القادة يطلبون السلاح وعيونهم على الامدادات الأمريكية المتطورة التى تتدفق على اسرائيل ·· وهدفهم هو القتال فى أقرب فرصة من أجل تحرير الأرض ·

ومن الجانب السوفيتى ·· كان الموقف يتلخص فى امداد القوات المسلحة المصرية باحتياجاتها الضرورية للدفاع عن مصر بتحرير أرضها المحتلة ، دون التورط فى قتال مبكر يتيح لاسرائيل فرصة رد الفعل المتصاعد العنيف الذى قد يربك الخطة الأساسية للتحرير ، أو اتاحة المبرر لها للحصول على أسلحة أمريكية اكثر تطورا ·· الأمر الذى يصعد ويلهب سباق التسلح فى المنطقة ويعرضها لأخطار اكثر جسامة وبشاعة ·

ورغبة القادة المصريين مشروعة ·· ورؤية القادة السوفييت سليمة ·· ولكن التزاوج بينهما لم يتحقق تماما ·· لأن العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى لم تكن أبدا مثل علاقة اسرائيل بأمريكا ·

النظم الاجتماعية مختلفة بين مصر والاتحاد السوفيتى ·· بل ان الحساسية من الشيوعية ظلت قضية غير محسومة ·· وقوانين العقوبات فى العهد الملكى ظلت سارية رغم تبنى الدولة للاشتراكية بمفهومها العلمى كما هو واضح فى مواثيق ثورة يوليو وبياناتها ·

هذا بينما تؤدى اسرائيل دورا واضحا نشطا فى خدمة الامبريالية الأمريكية حيث يتوفر انسجام كامل فى النظم الاجتماعية وتطابق واضح فى المصالح المشتركة ٠

ولذا ظلت العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى رغم تطورها مشوبة بالحذر ٠٠ واصبح صوت الالحاح فى الحصول على أسلحة جديدة اكثر ارتفاعا من كلمات الشكر والتقدير على ما أصبح فى يد الجنود فعلا ٠٠ ولم تبذل القيادة العسكرية جهدا فى سبيل تعميق النظرة السياسية للضباط والجنود وتوضيح أن كل من يتعاون معنا فى معركة التحرير،وكل من يقدم لنا السلاح هو صديق بالفعل وليس بالكلام وحده ٠

وكما خشيت الثورة على مدار سنواتها من التفاعل الحى مع الطبقات الكادحة واطلاق طاقاتها والعمل معها وبها ـ وليس لها ـ فان الموقف فى القوات المسلحة كان أكثر تعقيدا ٠

كانت هناك ـ ولا شك ـ أسلحة سوفيتية متطورة يمكن أن تساعد على دخول المعركة بصورة افضل ٠٠ ولكن الأمن القومى السوفييتى كان يفرض أيضا ـ وبلا شك ـ حسابات اخرى على أسلوب الامداد بالسلاح ، وخاصة للدول غير الاشتراكية أو غير المرتبطة بحلف وارسو ٠

وكانت مأساة هروب الطيار العراقى منير روفا الى اسرائيل بطائرة ميج ٢١ ما زالت عالقة فى الأذهان وتفرض نفسها ـ دون أن تذكر ـ على كل حوار ٠٠ فان وصول أسرار هذه الطائرة الى الولايات المتحدة عن طريق اسرائيل قد فرض على السوفييت متاعب شديدة فى فيتنام لمدة سنتين بعد أن عرف الأمريكيون الخواص الدقيقة لهذه الطائرة ٠

ولذا أصبح قلق السوفييت وحذرهم مشروعا من ناحية مدى الامداد بالسلاح وخاصة فى ظروف يشعرون فيها أن توثيق العلاقات على أساس فكرى وطبيعى هو أمر غير متوفر ٠

كما أن أسلحة الردع أو الضرب فى الأعماق كانت تمثل خطرا خاصا لأنها تتجاوز حدود الدفاع عن مصر ، وهو الحد الذى التزم به الاتحاد السوفييتى بوضوح ، وتصل الى أعماق اسرائيل ، وهو ما يتعارض مع استراتيجية الاتحاد السوفييتى وقناعته ببقاء اسرائيل دولة فى المنطقة ٠ كما انها اسلحة من النوع الذى لا يجوز التفريط فى وضعه ضمن اطار خطة محكمة ومسيطر عليها من القيادات السوفيتية المسئولة حتى لا يتعرض استخدامه لأوامر انفعالية قد تهدد الانفراج الدولى والسلام العالمى ٠

وكانت القضية محسومة وواضحة فى عهد جمال عبد الناصر ٠٠ ووصل الطرفان فيها الى موقف موحد بعد مواجهة طويلة ومناقشات صريحة ٠٠ ولكن مسالة المطالبة باسلحة جديدة متطورة اصبحت بعد

وفاته تشكل صداعا للقادة السوفييت ، كما أنها أصبحت من جانب أنــور السادات ، مبررا أيضا لاتخاذ مواقف جديدة ٠

وضخمت أحيانا بعض الخلافات الفردية بين الضباط المصريين وبعض المستشارين والخبراء ، دون أن تحسم ويتم تصفيتها باجراءات سياسية ومعنوية وليست ادارية ٠

ولم تصل قواتنا المسلحة الى حد التقدير الحقيقى لكل من يقدم لها قطعة سلاح ٠٠ ولم تعمق فى النفوس مشاعر التقدير لمصرع ٣٠ خبيرا سوفيتيا اختلطت دماؤهم بدماء المصريين اثناء حرب الاستنزاف ٠٠ ولم تفسر للجميع أسباب سقوط أربع طائرات يقودها سوفييت أثناء الاشتباكات نتيجة توجيه سيىء من غرفة الكنترول فى بنى سويف كما قال لى الفريق أول محمد فوزى ٠٠ وليس نتيجة سوء تصميم الطائرات أو عدم كفاية الطيارين السوفييت كما حاول البعض اشاعة ذلك بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة ٠

وأثناء اجتماع عقده أنور السادات فى مبنى وزارة الحربية بعد عودته من موسكو يوم ٢٥ مارس وحضره الفــــريق أول محمد فوزى ، والجنــــرال فاسيلى اوكينوف مستشاره الســــوفيتى والذى كان عضوا احتياطيا للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ثم أصبح عضوا بها ٠٠ وذلك عقب مقال نشره محمد حسنين هيكل فى الأهرام يوم ١٢ مارس تحت عنوان (تحية للرجال) واثار عاصفة من النقد سنناقشها فيما بعد ٠

أثناء هذا الاجتماع أثار بعض القادة تساؤلات عن التسـليح وقدرة الأسلحة السوفيتية ، وانبرى الجنرال اوكينوف للاجابة ٠٠ ورغم أن الاجتماع قد مضى فى هدوء الا أن شيئا ما قد رسب فى نفوس السوفييت لأن أنور السادات لم يوضح الأمور كما كان يفعل عبد الناصر ٠

وفى أوائل شهر ابريل طلب سامى شرف السفر الى موسكو لحضور مؤتمر الحزب الشيوعى السوفييتى ضمن وفد رأسه عبد المحسن أبو النور وهناك طلب مقابلة خاصة مع بريجنيف بدعوى أنه كان مسئولا فى عهـد عبد الناصر عن تقوية علاقات الصداقة بين الدولتين ٠

وكان أنور السادات قد صرح له بمحاولة تهدئة الجو وتصفيته بينه وبين القادة السوفييت ، ولذا تحدث معهـــم عن الرغبة فى عقد معاهدة صداقة ، وكذلك مناقشة موضوع اقامة قاعدة بحرية فى مرسى مطروح ، وهو ما كان السادات قد فوضه للتحدث فيه ٠

واستقر الرأى على أن يحضر فى المستقبل مسئول سوفييتى كبيـر الى مصر لمناقشة الموضوعين ٠

كان أنور السادات حريصا على عدم خلق جفوة بينه وبين السوفييت تضاعف من تنافر الثقة عقب زيارة مارس السرية ٠٠ وحاول اشـــعارهم

بسلامة علاقته بهم ٠٠ ولذلك فانه عندما قرر عزل على صبرى بعد اجتماع اللجنة التنفيذية العليا يوم ٢١ ابريل ١٩٧١ ـ كما سيأتى تفصيلا فيما بعد ـ استدعى السفير السوفييتى وأبلغه عن نيته منبها الى أن هذا الاجراء لا يمثل أى هجوم على الاتحاد السوفييتى كما قد تحاول بعض الجهات المعادية أن تثيره ٠

تلقى السفير السوفيتى الخبر فى دهشة لأنه تساءل عن السر فى هذا الابلاغ وفيما يمكن أن يتبع ذلك من أحداث ، ولأنه اكتشف أن التناقضات بين الحكام الجدد قد وصلت الى نقطة الانفجار ٠

ولكن السفير السوفييتى احتفظ بالأمر سرا ، فأبلغه الى القادة السوفييت فى موسكو دون أن يسرب الأمر الى على صبرى أو أى فرد آخر ٠٠ وهو ما يؤكد أن على صبرى لم يكن رجل موسكو كما حاولت الدعاية المضادة دائما أن تصنفه ٠

ويقول على صبرى فى التحقيق معه ان عبد المحسن أبو النور وشعراوى جمعة قد أبلغاه أن أنور السادات قد استدعى السفير السوفيتى وطلب منه ابلاغ موسكو أنه سيعزله ٠٠ ولكنه ـ أى على صبرى ـ لم يعط لذلك اهتماما كبيرا لأنه عندما سأل عن مصدر المعلومات قال له شعراوى انه سمع من سامى شرف ، وانه لما اتصل بسامى قال له ان مصدر المعلومات هو محمد حسنين هيكل ٠

واعتبر على صبرى ان الخبر غير صحيح من أساسه (لأنه من غير المعقول أن يقول هيكل لسامى شرف كلاما فى موضوع خاص بى لكى يبلغنى) ٠

وكان شعراوى قد وعد بأن يستبين صحة الخبر من السفير السوفيتى، ويقول على صبرى ان شعراوى قد أبلغه أن السفير قد أكد له أن الموضوع غير صحيح ٠٠ وهو ما ذكره لى شعراوى أيضا ٠

الأمر الذى يثبت بعد ذلك هو صحة الخبر كما ذكر أنور السادات فى كتابه (البحث عن الذات) من أنه قد أبلغ السفير فعلا يوم ٢٢ أبريل قائلا له انه يبلغه حتى لا يتأثر الاتحاد السوفييتى بما قد تذيعه اذاعات الغرب من أن هذا الاجراء قد يكون موجها للاتحاد السوفييتى ، وطلب من السفير ـ حسب قوله ـ ان يبلغ القادة السوفييت أنه يسره توثيق العلاقات معهم ٠

وحرص السفير على الاحتفاظ بالخبر كسر من الأسرار التى لا يجوز اذاعتها حتى لا يتورط ويصبح طرفا فى نزاعات داخلية ٠

ويروى هيكل أن سامى شرف بعد عودته من موسكو ، وعقب الاجتماع

العاصف للجنة التنفيذية العليا يوم ٢١ ابريل طلب من السفير السوفييتى ايضا عدم اقامة علاقات مباشرة مع أنور السادات ·· ولم يتورط السفير فى اعطاء أية وعود كما لم يتورط فى ترديد هذا الحديث ·

هذا يثبت ·· ان الحكام الجدد كانوا عند السوفييت سواء ·· يسمع منهم ولا يتورط فى مشاكلهم الداخلية ·· وأن على صبرى لم يكن (رجل السوفييت) كما لاحقته الدعايات ، والا كان السفير قد بادر الى ابلاغه حتى يتدبر الأمر ويتفاداه ·· وأن هذه الأحداث مضافة الى اتصـالات السادات السرية مع الأمريكيين التى كانت تتسرب أخبارها اليهم لم تؤثر فى موقفهم من ناحية تأييد مصر فى معركتها العادلة لتحرير الأرض ·· مكتفين بما كان يرد فى التصريحات والخطب الرسمية ·

وهكذا مضت الأمور بين الدولتين كل شىء هادىء على السطح ·· وفى الجوف تبعث الخـلافات بين ورثة عبد الناصر ، والاتصـالات مع الأمريكيين دون التشاور معهم ·· تبعث الضيق والقلق ·· مـع الترقب والحـذر ·· والانتظـار ·

اضـواء على الورثة :

لم يكن ما حاولت الصفحات السابقة أن تكشف عنه الستار الا بوادر الخلاف بين الورثة ·

ولم يكن حدوث هذه الخلافات مفاجأة أو أمرا غير منتظر ··

كان هذا هو المصير المتوقع ، بعد رحيل جمال عبد الناصر الذى عاش فترة حكمه يقبض كافة الخيوط فى يديه ·· وكان فى ذلك مصدر قوته فى حياته ، ومكمن الضعف بعد مماته ·

عندما تهاوت القبضة بعـد أن توقف القلب ·· انفـرطت الخيوط واستبدت الحيرة بهؤلاء الذين عاشوا ينفذون كلمته ويحققون ارادته ·· خصوصا وأن نظرتهم جميعا لم تكن لتضع الرئيس الجديد مباشرة فى موضع التقدير والاحترام كما كان الرئيس القديم ·

الاتحاد الاشتراكى تنظيم جماهيرى لا يعرف الالتزام ··

وطليعة الاشتراكيين تنظيم سرى لا يعرف الرقابة الشعبية ··

والتنظيمان يتحركان بارادة علوية ، وليس فى صفوفهما نوع من الديموقراطية الحقيقية وليس لها عند الشعب دور تاريخى يبعث عـلى الثقـة ·

وهكذا طبيعة الحكم الذى لا يعتمد على تنظيمات سياسية راسخة ويبتعد فى ممارساته عن الحريات الديموقراطية الأصلية ٠

ومنذ الأيام الأولى للوفاة تبين أن مواجهة الموقف لا تقوم على أساس القيادة الجماعية رغم الكلمات البراقة عن توزيع المسئولية ٠٠ وتبين أن كل فرد يحاول أن يتصرف بحسابات فردية ، وليست جماعية ٠

وأسلوب عبد الناصر فى الحكم ترك طابعه وبصماته على تصرفات خلفائه ٠٠ فأنور السادات كان يريد أن يصبح حاكما له صلاحيات عبد الناصر ولكن بأسلوبه الخاص ٠

والمجموعة الباقية كان يتطلع كل فرد فيها الى ان يكون له دور رئيسى علنى ٠٠ بدعوى أنه ليست هناك ميزة لأحد على الآخر بعد موت عبد الناصر ٠

ولذا نخطىء اذا اعتمدنا فى تحليل الموقف على أساس أنه كانت هناك مجموعة منظمة تواجه مجموعة منظمة أخرى ٠٠ ونقترب من الصواب اذا تعرفنا على المواقف الخاصة لهؤلاء الأفراد ٠

كانت استقالة محمد حسنين هيكل المبكرة من وزارة الاعلام دليلا على مكابدته لهذا الوضع فى عهد عبد الناصر ، وحذرا من تورطه فى مسئوليات السلطة وما قد تجلبه من صراع ٠

وكانت استقالة الدكتور محمود فوزى المبكرة من اللجنة التنفيذية العليا دليلا على شعوره أن الأمور بعد غيبة عبد الناصر سوف تدخل فى متاعب لا يتحملها الرجل الدبلوماسى العجوز ٠٠ ولولا الضغوط والاغراءات التى أحاطت به لما قبل منصب رئيس الوزراء ليقوم بدور شرفى أكثر منه دور تنفيذى ٠

وكانت استقالة أمين هويدى ورفض اشتراكه فى الوزارة وزيرا للحكم المحلى دليلا على أنه لم يكن مرتبطا ارتباطا تنظيميا مع الآخرين رغم أنه كان أحد الجماعة التى اختارها عبد الناصر لتصريف شئون الدولة عندما هاجمه المرض فى سبتمبر ١٩٦٩ ٠

وكان اخراج مجموعة الضباط من وزارة الدكتور محمود فوزى الثانية ٠٠ المهندس صدقى سليمان والدكتور ثروت عكاشة وكمال الدين رفعت وحسن التهامى دليلا على أنهم كانوا بعيدين عن الصلة بالمجموعة التى اختارها جمال عبد الناصر ، رغم قربهم النسبى منه خلال حياته ٠

ومن الأخطاء الشائعة أن على صبرى كان ذا تأثير ونفوذ على هذه المجموعة ٠٠ والحقيقة أنه لم يكن كذلك ٠٠ فقد تدهورت العلاقات معه عندما اتخذ منه عبد الناصر موقفا جادا فى قضية الجمارك ٠

ولذا آثر منذ البداية أن يبعد نفسه عن قضية الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية رغم حصوله على أعلى عدد من الأصوات فى انتخابات اللجنة التنفيذية العليا ، ورغم سهولة حصوله على أغلبية أصوات مجلس الأمة اللازمة للترشيح ٠٠ وأمر الاستفتاء بعد ذلك سهل فى يد السلطة الادارية ٠

آثر على صبرى الابتعاد مدركا أنه لا يملك سلطة على هذه المجموعة ٠٠ وتبين صدق ذلك حسب روايته فى التحقيق عندما قال انه استدعى سامى شرف الى منزله أثناء رحلة أنور السادات السرية الى الاتحاد السوفيتى فى مارس وسأله عن الرئيس فقال انه فى الجبهة ٠٠ ورد على صبرى قائلا انه يستنتج أن الرئيس فى الاتحاد السوفيتى ، لأنه لو كان فى الجبهة لعرف على صبرى بحكم مركزه كفريق شرف فى القوات الجوية ٠٠ ولما سأله عن شعراوى جمعة سمع منه نفس الجواب ٠٠ وكان شعراوى ضمن الوفد الذى صحب أنور السادات ٠

ويقول على صبرى (عرفت أنه يخفى عنى الحقيقة وبالتالى لم أعد أتناقش معه فى مسائل سياسية متعلقة بالحكم) ٠

وعلى صبرى من الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى السياسة المصرية رغم أنه لم يكن عضوا فى مجلس قيادة الثورة فقد عين مديرا لمكتب جمال عبد الناصر ثم وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ومسئولا عن المخابرات العامة ، ثم رئيسا للمجلس التنفيذى ورئيسا للوزراء فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢ بعد الانفصال وتشكيل مجلس الرئاسة ثم أمينا عاما للاتحاد الاشتراكي فى أول أكتوبر ١٩٦٥ ، ومسئولا عن أمانة القاهرة لطليعة الاشتراكيين الى اللحظة الأخيرة ٠٠ وفى جميع هذه المناصب اشتهر عنه الاقبال الشديد على العمل ، والانطوائية التى لا تظهر على وجهه أية عواطف أو انفعالات، وكأنه يملك (وجه لاعب بوكر) ٠

وكان عبد الناصر يردد فى أحاديثه الخاصة أنه استطاع أن يغير أفكار اثنين من معاونيه الى الاشتراكية هما على صبرى الذى تخرج فى مدارس الفرير وعمل فى القوات الجوية ضابطا للمخابرات قبل الثورة ، ومحمد حسنين هيكل الذى بدأ حياته الصحفية بعيدا تماما عن الأفكار الاشتراكية ، ونما فى مؤسسة أخبار اليوم حتى أصبح رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة قبل الثورة ٠

ولكن عبد الناصر لم يستطع أن يوحد بين الشخصيتين فقد كان بينهما تناقض متجدد ، يتضح من مواقف هيكل من الالتزام التنظيمى فى الاتحاد الاشتراكى ، وثقته بقدرة الزعيم على تحريك الجماهير خلال أجهزة الاعلام والتليفزيون والصحافة وحدها ٠٠ يقابله من الجانب الآخر نقد عنيف لبعض

مقالات هيكل يستشرى فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكي وترفع عنه التقارير الى عبد الناصر ٠

عندما نقل الى جمال عبد الناصر بعد انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة قول هيكل (سقط بيان ٣٠ مارس ونجح على صبرى) واجه هيكل مواجهة حازمة طالبا منه ألا يلجأ الى مثل هذا الأسلوب فى النقـــد ٠

ولكن على صبرى تعرض بعـــد ذلك للموقف المؤسف الذى صاحب عودته من موسكو فيما عرف باسم (حادث الجمارك) والذى اتخذ ذريعة لابعاده فى سبتمبر ١٩٦٩ عن لجنة التنظيم بالاتحاد الاشتراكى ، واهتزاز نفوذه أمام رجال الصف الثانى ، وابعاد بعض الذين ارتبطوا به مثـــل عبد المجيد فريد سكرتير رئاسة الجمهورية الذى استبدل بحسن التهـامى، ومحمود أمين العالم رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم الذى عين احســان عبد القدوس خلفا له ٠

ولكن على صبرى لم يبتعد طويلا عن الحياة العامة ، فقد احتفظ رغم هذا الموقف منه بعضوية اللجنة التنفيذية العليا وعاد ليرأس وفدا مصريا الى موسكو فى الذكرى المئوية لميلاد لينين فى ١٧ ابريل ١٩٧٠ ، ثم عين بعد ذلك فريقا فخريا فى القوات الجوية فى شهر يونيو ١٩٧٠ ٠

وأجاب عبد الناصر على سؤال فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ بان على صبرى سيسافر مرة كل ثلاثة شهور للاجتماع بالقيادة السوفيتية ٠

كان على صبرى قد أصبح مقتنعا بالمبادىء الاشتراكية فيما عبّـر عنه بمقالاته التى نشرها فى جريدة الجمهورية والتى وصفها هيكل بأنها نواة لاشعال حرب أهلية ٠

ولكن القول بأنه كان رجل موسكو فهو تحميل للأمور فوق ما تحتمل، ومحاولة للتشهير بالرجل ، وتشويه شخصية معبرة عن الجانب التقـدمى فى فكر عبد الناصر ٠

وقد احتفظ على صبرى دائما بخط فاصل بين أفكاره الاشــتراكية الخاصة ، وبين الانفتاح على الماركسية ٠٠ وان كان قد حاول هو ومحمـد حسنين هيـــكل أن يدعما موقفهما من الاشتراكية بالتعـــاون مع عدد من الماركسيين سواء فى مجلة الطليعة أو بعض تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ٠

ومع ذلك لا يمكن القول بأن الحساسية من الماركسية قد انحسرت من فكر هيكل أو على صبرى ٠٠

آخر زيارة قام بها على صبرى خارج مصر كانت الى الاتحاد السوفيتى يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٧٠ فى نطاق الجولات التى زار فيها بعض أعضاء اللجنة التنفيذية العليا عددا من الدول ·· وهناك استقبله القادة السوفييت الثلاثة فى اجتماع استمر أكثر من ثلاث ساعات ·

والموقف الذى اختاره على صبرى بعد وفاة عبد الناصر بابتعاده عن محاولة الترشيح لرئاسة الجمهورية دليل على وعيه بحقيقة موقعه بين زملائه ·

ويؤكد أمين هويدى ذلك بحديث على صبرى معه بعد اقالته ـ كما سيأتى تفصيلا فيما بعد ـ وقوله من أنه سوف يبتعد تماما عن السياسة ، ويتفرغ للعب الجولف فى نادى الشمس ، وأنه سيتحاشى مقابلة أحد من زملائه السابقين غضبا وعتابا ·

أما سامى شرف أحد الورثة الذين وثبوا من الصفوف الخلفية ، فقد بدأ حياته فى الجيش عام ١٩٤٩ ضابطا بالأنوار الكاشفة فى المدفعية ، ثم اعتقل فى يناير ١٩٥٣ مع عدد من ضباط المدفعية ، وخرج دون محاكمة ليعمل مع زكريا محيى الدين الذى كان مسئولا عن الداخلية والمخابرات ، والذى رشحه للعمل فى مكتب عبد الناصر أثناء ادارة على صبرى له حتى وصل الى مركز سكرتير الرئيس للمعلومات ، وهنا أصبح شخصية شبه أسطورية يتحدث الناس عنه وعن نفوذه وهم لا يكادون يعرفون صورته أو يقرأون اسمه ·

كان سامى شرف مخلصا لجمال عبد الناصر أشد الاخلاص الى الحد الذى أبلغ فيه عن شقيقه طارق الضابط فى الجيش بدعوى أنه مشترك فى احدى المؤامرات ·

ومن ممارسة الاخلاص المستمر ·· ومن اختبار عبد الناصر لذلك ·· ومن موقعه الجغرافى القريب ـ ان صح التعبير ـ حيث كان يظل ساهرا فى مكتبه حتى يرقب انطفاء النور فى غرفة نوم عبد الناصر ·

من كل ذلك أصبح سامى شرف شخصية قوية يتعامل مع كافة المسئولين باسم الرئيس ·· وأصبح له جهاز معلومات خاص لرئاسة الجمهورية الى جانب المخابرات والمباحث العامة ·

ولم يعرف الناس اسم سامى شرف الا بعد أن دفع به جمال عبد الناصر الى دائرة الضوء حين عينه وزيرا للدولة فى ٢٦ أبريل ١٩٧٠ ·

لم يتخيل سامى شرف أن عبد الناصر يمكن أن يموت ·· ولم يتصور أن نفوذه المستتر القوى يمكن أن يتبدد ·

وأراد سامى شرف أن يواصل العمل خلال رئاسة السادات بأسلوبه القديم ولكن مع بزوغ طموح شديد ورغبة فى أن يلعب دورا رئيسيا ٠

لم تكن تتملكه حالة الرغبة فى الانسحاب من العمل السياسى التى راودت على صبرى ٠

كانت علاقة سامى شرف طيبة مع شعراوى جمعة أحد كبار الورثة لأن الأخير كان يبلغه كل شىء يتحدث فيه مع عبد الناصر مدركا ان عبد الناصر لابد أن يبلغه له بصفته سكرتيرا خاصا لحفظه فى الملفات أو لتذكيره به فى المستقبل ٠

ولذا لم تنبت بينهما تناقضات ملحوظة مثل تلك التى كانت تظهر بينه وبين أمين هويدى الذى كان يحجب عنه معلومات يبلغها فقط لعبد الناصر ٠

وظهر نفوذ سامى شرف مبكرا فى الدور الذى لعبه فى تشكيل وزارة الدكتور محمود فوزى الثانية ٠٠ فهو الذى رشح الوزراء الجدد بالتعاون مع شعراوى جمعة ، وانفرد بترشيح محمد أحمد وزيرا للحكم المحلى ، ورشح أحمد كامل مديرا للمخابرات العامة ٠٠ وهو الذى أسهم بدور رئيسى فى ابعاد مجموعة الضباط الذين خرجوا من الوزارة لتنافر علاقته بهم ٠٠ وهو الذى دفع أمين هويدى لرفض التعاون معهم بعرضه منصبا وزاريا هامشيا عليه ٠

أصبح سامى شرف بعد ذلك قادرا على التأثير والتوجيه فى المخابرات العامة ومعرفة تحركات القوات المسلحة مع امكانية التأثير فيها أيضا بحكم صلة القرابة بالفريق أول محمد فوزى ٠٠ والذى ساند موقفه مرة بابلاغه ما يدور فى خلد عبد الناصر عن تصرفات خاصة له ٠٠ وذلك ليكون مستعدا للنقاش قبل المقابلة ٠٠ وهو أمر ما كان يجرؤ سامى شرف على الاقدام عليه لولا صلته الخاصة بفوزى ومحاولة اكتساب ثقته ، والاحتفاظ به فى موقعه الهام ٠

هذا الى جانب ما كان يسيطر عليه فعلا من أجهزة أمن الرئاسة والحرس الجمهورى ٠٠ وما يربطه من صلة وثيقة بالمباحث العامة ووزير الداخلية شعراوى جمعة ٠

وكان شعراوى جمعة أيضا أحد البارزين وأصحاب النفوذ من الورثة الذين قربهم عبد الناصر منه ، بعد أن جعل منه أمينا للجنة التنظيم بالاتحاد الاشتراكى وله حق حضور اللجنة التنفيذية العليا دون تصويت، وأمينا لطليعة الاشتراكيين ووزيرا للداخلية ٠

وشعراوى جمعة كان ضابطا فى المخابرات العامة ثم عين محافظا للسويس وهناك أمضى فترة لامعة حيث أقام معهدا للدراسات الاشتراكية حاضر فيه عدد من المثقفين الذين كانوا يحضرون من القاهرة ، وخلق صلات بين المحافظة وخريجى المعهد ، كما اهتم بمشاكل الجماهير اهتماما كبيرا وصل الى مجال الثقافة حيث استعان بمؤسسة المسرح والموسيقى التى كنت مديرا لها فى ذلك الوقت لانشاء فرقة مسرحية ودعم قصر الثقافة يساعده فى ذلك مهندس البترول يوسف غزولى الماركسى السابق ، ومحمد عروق الاذاعى الذى خلف أحمد سعيد فى ادارة صوت العرب .. وقد أصبح الاثنان فيما بعد عضوين فى أمانة طليعة الاشتراكيين .

وكان تكليف شعراوى جمعة بأن يكون أمينا لطليعة الاشتراكيين عام ١٩٦٥ هو بداية تركيز عبد الناصر عليه ليكون شخصية سياسية جماهيرية .. ولكن جمعه بين وزارة الداخلية والعمل السياسى عام ١٩٦٦ قيد حركته وجعلها أكثر اقترابا من الحركة الادارية .

هؤلاء هم الورثة الذين كانوا عند الوفاة فى مركز السلطة والنفوذ.

ولم يكن هؤلاء هم كل الورثة ..

كان هناك حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة السابق والذى تولى الوزارة مبكرا عام ١٩٥٦ وبقى فى أجهزة الحكم يؤدى دوره بعيدا عن الصداقات .. وتولى أمانة الاتحاد الاشتراكى فترة ما خلال أعوام ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ولكنه لم يبعث فى التنظيم الفعالية اللازمة ، وعاد الى المناصب الوزارية من جديد .

وحسين الشافعى كان بعيدا دوما عن المناصب صاحبة النفوذ والسلطة المؤثرة حيث السلاح أو أجهزة الأمن .. وكان مشهورا باتجاهاته الدينية الخالصة التى جعلته متميزا بنوع من التفكير البعيد عن حيوية التطور ورؤية المستقبل خلال مواثيق ثورة يوليو .

وهو لم يكن يستند الى شىء أكثر من تاريخه كعضو سابق فى مجلس الثورة ونائب سابق لرئيس الجمهورية .. له فى نفسه حق المنافسة والوثوب الى مقعد الرئيس الراحل .

وكان هناك ورثة آخرون لا يملكون الوسائل التى تجعلهم يفرضون رأيهم ، والبعض منهم لم يكن يدفعه الطموح الى القفز فى الهواء مثل عبد المحسن أبو النور ، ولبيب شقير وضياء داود .

وكان أمرا طبيعيا أن تتناقض مصالح هؤلاء فيما بينهم ·· كما تتناقض مصالحهم مع أنور السادات ·

غاب الأب الذى كان يجمع الأسرة حوله ·· وبدأت الخلافات والتناقضات تفرض نفسها على الموقف ·· خلافات شخصية فيما بينهم ·· ولكنها مع أنور السادات كانت قد وصلت الى مستوى الخلافات السياسية ·

الباب الثانى

اختلاف الورثة

(انتظر على حافة النهر تصل جثة عدوك اليك)
مثل صينى

لم يتاخر ظهور الخلاف بين الورثة على المسرح طويلا ·· لم تنجح محاولات تغليفه بالسرية وكتمان صوته فى الدائرة العليا للحكام الجدد ·

كان الخلاف فى وجهات النظـــر والاعتـــراض على بعض القرارات والاجراءات لا يتجاوز حدود الهمس ··

ولكن الأمور كانت تندفع الى تفجير الموقف ، والخروج به عن حدود السرية وعن اطار كبار الورثة ·

والأسلوب الذى حكم به عبد الناصر لم يكن صالحا للتطبيق بعـــد موته ·· فان شخصيته وزعامته التى نمت وصقلت خلال مواقف ومعارك وطنية وقومية واجتماعية وفرت له خبرة ورصيدا يتيح له أن يحكم دون معارضة من المشاركين له فى جهاز الحكم والسلطة ·

ولذا كان انفراد رئيس الجمهورية الجديد باتخاذ القرارات الفردية رغم الاعتراض عليها فى الاجتماعات الرســـمية أمرا مثيـــرا للزملاء المتعاونين معه الذين لا يحملون فى صدورهم من التقدير له مثلما كانوا يحملون لعبـــد الناصر ·

قال على صبرى فى التحقيق معه انه فوجىء بانور السادات يقـــول لبوناماريف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى والعضو المرشح للمكتب السياسى اثناء زيارته لمصر فى ديسمبر ١٩٧٠ (أود ابلاغك لكى تكونوا على بينة انه يوم ١٥ يناير فى احتفالات انتهاء العمل فى السد العالى سنعلن عن قيام دولة اتحاد بين مصر وسوريا وليبيا والسودان)·

ويقول على صبرى (لقد فوجئت بكلام السيد أنور لأننى لم اكن اعرف شيئا عن الأمر واستغربت كيف أن أجنبيا يعرف بالتاريخ والقـــرار قبل أن أعرف به بصفتى عضـــو اللجنة التنفيذية العليـــا ونائب رئيس الجمهـــورية ·

ويقول على صبرى انه لم يعلق بشىء ولكنه التقى بالسادات فى منزله قبل سفره المقرر الى موسكو فى نفس الشهر وناقش موضوع الاتحاد معه ، فاقتنع وقال انه قد صرف النظر عنه ، وطلب منه ابلاغ أعضاء المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى بذلك ·

ولكن ·· لم تكد تمضى عدة أسابيع حتى انفرد أنور السادات بقرار آخر خطير هو اقتراح بفتح قناة السويس فى بيان ٤ فبراير ١٩٧١ رغم عدم موافقة مجلس الدفاع الوطنى على ذلك وقراره باحالة الاقتراح الى لجنة فرعية لدراسته ·

كان الانفراد بالرأى مفاجأة للجميع كما ذكرنا ·· وكان اصرار السادات على اعلان اقتراحه رغم معارضة الجميع له دليلا على تشبثه بهذا الاسلوب فى الحكم ·

مثل هذه المواقف التى تجاوزت حدود الخلافات الشخصية والمطامع الذاتية أنبتت فى صدور المشاركين فى الحكم قلقا مشروعا من ناحية تحملهم المسئولية التاريخية لقرارات لا يوافقون عليها أو لا يشتركون فى مناقشتها ·

ولم تلبث الأحداث أن تلاحقت ·· وانفجر الصراع علنا حول موضوع الاتحاد أو الوحدة بين الدول العربية ·

والموقف فى الدول العربية كان قد تغير بعد وفاة عبد الناصر ··

قام الفريق حافظ الأسد وزير الدفاع السورى بانقلاب عسكرى فى اطار حزب البعث عزل به نور الدين الأتاسى رئيس الجمهورية ووضعه هو وصلاح جديد ويوسف زعين فى السجن وتولى رئاسة الحكومة فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٠ ·

واعتبر أن فى هذا الانقلاب اعتداء على التقاليد الحزبية ، واضعافا للحركة التنظيمية لحزب البعث ، وعودة لحكم العسكريين الذين يرتدون ثيابا مدنية حزبية ·

ولم يكد يمضى يومان على هذا التغيير حتى أعلنت سوريا انها سوف تنضم للاتحاد الثلاثى الذى كان يبنى على أساس ميثاق طرابلس الذى وقع فى عهد عبد الناصر بين مصر والسودان وليبيا ·

والمدهش أنه فى نفس اليوم ١٧ نوفمبر حدث شىء مثير فى السودان ايضا ·

صدرت الصحف السودانية وفيها قرار باعفاء بابكر النور وفاروق

عثمان وهاشم العطا من مجلس قيـــادة الثورة السودانى بدعوى عقد صلات مع عناصر مضــربة ٠

ولا يملك الواحد نفسه من الربط بين ضرب حـــكام سوريا الذين اشتهروا باتجاهاتهم التقدمية ٠٠ وبين عزل أكثر أعضاء مجلس قيـادة الثورة السودانى تقدما وتفتحا وارتباطا بالحزب الشيوعى السودانى ٠

وقفز معمر القذافى فوق سطح الأحداث ٠٠ حضر الى القاهرة مرتين خلال ٢٤ ساعة زار خلالها دمشق للاتصال بقادة النظام الجديد ٠

والقذافى فى ذلك الوقت كان يحمل لواء المعاداة للشيوعية والهجوم على الاتحاد السوفييتى وربط ذلك دون مبرر بدعوة دينية اسلامية ٠٠ الأمر الذى كثيرا ما حاول جمال عبد الناصر أن يثنيه عنه بتفسيره لقضايا التحرير الوطنى وعلاقة ذلك بالنضال ضـــد الامبريالية وليس ضـــد الشيوعية ٠

وأسرع حافظ الأسد بعد نجاح انقلابه الى القاهرة حيث زارها يوم ٢٧ نوفمبر ليعطى نظامه الجديد دفعة ثقة ، وليعلن انضمامه لدول الاتحاد ٠٠٠ ثم قام بزيارة لطرابلس والخرطوم عاد بعدها الى القـــاهرة مرة أخـــرى ٠

واجه بعض الدول العربية تغير ٠٠ واختلفت الحركة السياسية فيها عما كانت عليه فى عهد عبد الناصر ٠

وأصبح من الواجب أن يكون هـــذا التغير حافزا على التريث فى عمليات الاندفاع نحو الوحدة أو الاتحاد ٠٠ فقد كانت هناك شبهات ــ ولا شك ــ فى هذه الحركات المضادة فى الدول المحيطة بمصر ومدى تأثيرها على النظام المصرى فى غيبة عبد الناصر ٠

صحيح أن مصر عضو رئيسى مؤثر وكبير فى الساحة العـــربية ولكن الحذر من الانزلاق الى تجارب وحدوية جديدة هو أمر فطن جمال عبد الناصر اليه ، فوقف فى حسم ضد بعض الاجراءات التى حاول البعض تضمينها فى ميثاق طرابلس الذى أعلن فى ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩ استعجالا للوحـــدة ٠

قال لى فاروق أبو عيسى وزير الخارجية السودانية فى ذلك الوقت ٠٠ والعضو السابق فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السودانى ان عبد الناصر قد أثار ثورة عارمة عندما علم أن بعض معاونيه الليبيين قد حاولوا فرض قرارات وحدوية شكلية ٠

وكان جمال عبد الناصر قد تراجع فى اللحظة الأخيرة عن السفر فى شهر يوليو ١٩٧٠ من بنغازى الى دمشق ليعلن قيام الاتحاد ، بعد

أن كان قد اتصل بأعضاء اللجنة التنفيذية العليا كما قال لى ضياء داود ليستعدوا للسفر الى دمشق لمناقشة الموضوع هناك ٠

تراجع جمال عبد الناصر فى اللحظة الأخيرة ولم يقدم على تجربة جديدة للوحدة لم تنضج أسسها بعد ٠٠ وقال لى شعراوى جمعة ان عبد الناصر أبلغ على صبرى بعد ذلك أثناء وجوده فى الاتحاد السوفيتى أن الاندفاع الى الاتحاد قبل المعركة كان سيعتبر خطأ سياسيا ٠

ولكن ما حدث كان شيئا آخر ٠٠

مضت الاتصالات نشطة لتحويل ميثاق طرابلس الى مشروع اتحاد رباعى وسافر السادات الى الخرطوم يوم ٢٧ مارس وتعددت اجتماعات رؤساء الدول الأربع فى نوفمبر ١٩٧٠ ، يناير ١٩٧١ ، وكان يحضر معهم احيانا ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين ٠٠ وسافر سامى شرف الى سوريا وليبيا أكثر من مرة تأكيدا لدوره كمسئول يقوم بدور سياسى علنى ، وليس كسكرتير معلومات يقوم بدوره بعيدا عن الأضواء ٠

وأسرعت الخطوات نحو الاتحاد عن الخطوات نحو المعركة ٠٠

ولم تكن هناك اجتماعات دورية للجنة التنفيذية العليا يمكن فيها مناقشة هذا الموضوع الكبير الذى يعتبر نقطة تحول فى الكيان الدستورى للدولة ٠٠ فان اللجنة لم تجتمع منذ انعقادها فى اجتماع مشترك مع مجلس الدفاع الوطنى لمناقشة قرار وقف اطلاق النار الذى أعلن يوم ٦ مارس الا يوم ٢١ ابريل ١٩٧٠ لمناقشة مشروع الاتحاد بعد أن تم التوقيع عليه بين السادات والقذافى والأسد فقط ٠

وسبق ذلك اجراءات وتحركات هامة بدأت يوم ١٢ ابريل باجتماع فى القاهرة جمع الرؤساء الأربعة ٠

ولكن السودان لم تمض مع الدول الثلاث فى الطريق ، وسافر جعفر نميرى الى موسكو بينما تحرك السادات والقذافى والأسد الى بنغازى ٠

كان ابتعاد السودان عن الدخول فى مشروع الاتحاد ناتجا من موقف الرأى العام الداخلى الذى كان يتحاشى التورط فى اتحاد مع ليبيا أو سوريا ، وكان مفروضا أن يكون ابتعاد السودان عنصرا من العناصر الهامة التى تؤثر على موقف مصر فان الدولتين هما الأقرب لبعضهما ووحدة وادى النيل شعار كان مرفوعا لسنوات طويلة ولكن اندفاع السادات للاتحاد لم يتأثر بموقف السودان ٠

وقادة ليبيا كانوا ايضا على تردد فى هذا الاندفاع المتسرع ٠٠ فلم يكن الموقف صافيا بين ليبيا وسوريا ، والقذافى يذكر كلمات قالها

عبد الناصر زعيمهم الروحى من أنه لا توجد بوصة فى جسمه الا وفيها طعنة من حزب البعث ٠

وحافظ الأسد يعلن صراحة أنه لن يسمح لنشاط سياسى أن يقوم فى سوريا الا من خلال قيادة حزب البعث ٠

صارح القذافى على صبرى كما قال فى التحقيق معه عما اذا كانت مصر تتعرض لمتاعب داخلية فلما أجابه بالنفى تساءل (اذن لماذا هددنى السادات بانه يجب أن نتحد مع سوريا والا يعتبر ذلك خروجا على ميثاق طرابلس) وعلق على صبرى بأن القذافى قد وافق ارضاء لمصر ٠

وقال لى شعراوى جمعة ان القذافى حاول أن يفلت من سفر الرؤساء الثلاثة معه الى بنغازى حتى اللحظة الأخيرة ، وأنه طلب منه فى المطار أن يرجو السادات فى أن يعتبر حضوره للمطار توديعا له فقط ٠٠ ولكن شعراوى أقنعه بأن الموقف لا يسمح بالتغيير وأنه يمكن مناقشة كل الأمور فى بنغازى ٠٠ وأبلغ السادات بذلك ٠

ولم يكن الارتجال مقصورا على هذا الحد ، فقد استدعى حسين الشافعى ، وعلى صبرى للسفر دون أى اتصال أو مناقشة سابقة ٠٠ وفوجىء الاثنان بأن احدا لم يناقش معهما مثل هذه القضية الوطنية الكبرى ٠٠ واتفق الاثنان على أن تتم الخطوة التى سيتم التوصل اليها خلال ثلاث سنوات ٠

ولكن مفاجأة أخرى كانت تنتظرهما فى بنغازى ٠٠

اجتماعات القمة مغلقة كما كان الحال فى فندق شيراتون بالقاهرة ٠٠

وعندما قال على صبرى للسادات انه معترض على خطوة الاتحاد وانه يجب عرض الأمر على الاتحاد الاشتراكى قال له السادات (أنا لازم أرجع بورقة) ولما سأله (أى ورقة ؟) قال (ورقة الوحدة) ٠

السادات يضغط بسرعة تلاحقها علامات الاستفهام لانهاء مشروع الاتحاد وفورا رغم معارضة زملائه التى تتلخص فى أنه طالما أن نيران المعركة ينتظر أن تنطلق بين يوم وآخر فانه لا مبرر لاستنفاد الجهد فى اتمام الاتحاد ٠٠ ويحسن أن يتحقق ذلك بعد المعركة ٠٠ كما أن التجارب مع حزب البعث كانت تدعو الى التريث فى الاتحاد مع سوريا ، لأن فى اتمامه اضعاف القوى الناصرية والقومية الأخرى فى سوريا ٠٠ كما أن قادة ليبيا كانوا يمثلون اندفاع الشباب غير المحسوب ، بالاضافة الى موقفهم غير المبرر والمعادى للشيوعية والاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت٠

وجهات النظر كان يمكن أن يتبادلها الورثة فى اجتماعاتهم التنظيمية بروح وطنية هادفة ·· ولكن الانفراد بالرأى والاصرار على الارتباط بدول كانت تعتبر فى ذلك الوقت رجعية كان أمرا مثيرا للتساؤل والدهشة ·

تم توقيع الرؤساء الثلاثة السادات والأسد والقذافى على اعـــلان (اتحاد الجمهوريات العربية) فى الثانية وعشر دقائق فجر السبت ١٧ ابريل ١٩٧١ بعد أن كانت وكالة أنباء الشرق الأوسط قد وزعت بيـانا فى اليوم السابق ١٦ أبريل لا يعلن قيام الاتحاد وانما يتضمن أن المحادثات قد تناولت عرضا كاملا للموقف السياسى والعسكرى وتقييما له مع القول بانه تم الاتفاق على الخطوات المقبلة لزيادة التفاعل بين دول ميثـــاق طرابلس ·· ثم عادت الوكالة وسحبت البيان حيث استمرت الاجتمـاعات الى أن صدر الاعلان فى هذا الوقت المتأخر ·

عاد السادات الى القاهرة يوم السبت ١٧ أبريل حيث توجه من الطائرة الى ضريح جمال عبد الناصر ومعه سامى شرف لقراءة الفاتحة·

لم يكن اعلان البيان وحده كافيا لتنفيذه ·· كان لابد من موافقة الأجهزة والمؤسسات الدستورية ·

وعرض الأمر على اللجنة التنفيذية العليا يوم ٢١ أبريل ·· ولم تكن اللجنة قد اجتمعت منذ وفاة عبد الناصر الا مرتين فقط ·· الأولى عندما رشحت أنور السادات رئيسا للجمهورية ، والثانية قبل أكثر من شـــهر فى اجتماعها المشترك ـ الذى أشرنا اليه ـ مع مجلس الدفاع الوطنى ·

كان أعضاء اللجنة يشعرون بحيرة بالغة فى مواجهة هذا الموقف ·· يغلبهم الأسى عندما يطالعون فى الصحف أو يسمعون مصادقة أهـم الأنباء ·· وتتمزق نفسيتهم عندما يفاجأون ببيان لا يؤمنون باتجاهاته السياسية ·· ويبعدهم الخجل عن الاتصال المباشر بالجماهير والتعرض لأسئلة لا يعرفون لهـا جـوابا ·

وبعد أن كانت اللجنة فى عهد عبد الناصر تجتمع مرة كل أسـبوع أو أسبوعين ، وتناقش جدول أعمال محددا أصبحت فى عهد الســادات اقل مستويات الاتحاد الاشتراكى انتظاما فى الاجتماعات ·

ويقول عبد المحسن أبو النور أمين عام الاتحاد الاشتراكى انه فعل الكثير من أجل اقناع السادات بالمواظبة على عقد الاجتماعات ، ولكنـه كان يمهله أحيانا ، ويهمله أحيانا أخرى ·

وردا على سؤال قال لى ضياء الدين داود انه أرسل خطابا صريحا الى السادات بعد بيان ٤ فبراير يطلب فيه عقد اللجنة التنفيذية العليا لمناقشة كثير من المواضيع الهامة التى تطويها الصدور ·

واتصل به أنور السادات فى اليوم التالى وعقد معه اجتمـــاعا فى القناطر الخيرية امتد خمس ساعات ، قال له فيه انه لا يثق فى حسين الشافعي أو على صبرى ولا يريد أن يبدد وقته فى مناقشات عقيمة معهما • كما قال له انه لا يضيع وقته في الانكباب على التقارير والأوراق ، وانما هو يحلق بخياله وأفكاره ليركز على القضايا الهامة ويجد الحلول المناسبة لها ، ولذا فانه يفكر فى حل جذرى تستقيم معه الأمور عن طريق حل تنظيمات الاتحاد الاشتراكى واجراء انتخابات جديدة يشرف عليها عبد المحسن أبو النور •

وعندما صارح ضياء الدين داود شعراوى جمعة بمخاوفه ، توجـه شعراوى لمقابلة السادات وقال له ان قوانين الاتحاد ولوائحه لا تسمح بهذا الاجراء •• وقال له السادات انه قد صرف النظر عن الموضوع •

لم يستطع أنور السادات أن ينسى نتيجة انتخابات اللجنة التنفيذية العليا التى حصل فيها على صبرى على المركز الأول وجاء ترتيبه هـو الرابع •• ولذا جمد اجتماعات اللجنة وجعل مختلف القضايا تحل بينــه وبين الآخرين فى اجتماعات خاصة ، يتعرف فيها على مواقعهم الفكرية، ويقدم لهم ما يرضيهم ، ويحتفظ لنفسه بما يرضيه •

وواضح من هذه الاجتماعات الخاصة أنه كان عالما بالتناقضـات الموجودة بين الآخرين •• ولذا يشهر أمامهم بحســين الشافعى وعلى صبرى دون خشية لموقف موحد بينهم •• ويتراجع عن هدفه فى حل الاتحاد الاشتراكى مؤقتا منتظرا الفرصة المناسبة •

ولا شك أن عدم انتظام اجتماعات اللجـــان التنظيمية على مختلف المستويات هو أمر يضعف الوحـــدة التنظيمية ، ويخلق التنـــاقضات ويجسدها ، ويعطى فرصة سانحة لاتخاذ قرارات دون مناقشة موضوعية، الأمر الذى يهيىء ظروفا مواتية للحكم فى أن يصبح فرديا وديكتاتوريا•

كان اجتماع اللجنة التنفيذية العليا بمثابة انفجار حدث فى قمة السلطة فقد وصلت الأمور الى حد لم يعد فيه من ســبيل الا المصارحة الجادة والحادة أيضا •

كان يعيش فى صدور بعض الأعضاء ـ ان لم نقل كلهم ـ نوع من الاحتجاج على تجاهل دورهم ومسئولياتهم والانفراد باتخـاذ القرارات الكبيرة والخطيرة •

وبدأت الجلسة باعلان على صبرى عدم موافقته على اشتراك مصر فى اتحاد الجمهوريات العربية ، واعتراضه على اسلوب السادات فى

الموافقة على اشتراك مصر دون أن يستشير أحدا .

وأراد السادات أن يحسم الاجتماع العاصف الذى امتد سبع ساعات بالتعرف على رأى الأعضاء بالتصويت ، معتقدا أنه سيحرز الأغلبية الى جانبه .

ونظرا لغيبة كمال رمزى استينو فى بلغاريا فقد طلب السادات من شعراوى جمعة أن يدلى برأيه .

وحاول شعراوى جمعة أن يفلت من هذه المجابهة فقال انه ليس عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا وأنه يحضرها بصفته أمينا للتنظيم دون أن يكون له حق التصويت ولكن السادات ألح عليه فى ضرورة ابداء الرأى .

ورد شعراوى جمعة أنه متفق مع وجهة نظر على صبرى ..

وهكذا وقف السادات فى الأقلية مع حسين الشافعى والدكتور محمود فوزى ، بينما عارضه الى جانب على صبرى كل من ضياء الدين داود ودكتور لبيب شقير وعبد المحسن أبو النور .

لم يعتبر السادات أن هذه هى نهاية الموقف .. ولم يقبل الاستسلام لرأى الأغلبية ، بل أعلن أنه سوف ينقل القضية الى اللجنة المركزية .

كان الصراع قد انفجر داخل قاعة الاجتماع المغلقة .. ولكن الصحف لم تنشر سوى أربعة سطور فقط عن هذا الاجتماع الخطير .

وتقرر اجتماع اللجنة المركزية بعد أربعة أيام يوم ٢٥ أبريل .

ويبدو أن أنور السادات لم يكن يتوقع هذا الخذلان ، ولم يتصور أن أغلبية اللجنة يمكن أن تقف فى موقف المعارضة له .

يقول شعراوى جمعة ان أنور السادات قد اتصل به تليفونيا بعد انتهاء الاجتماع معاتبا على موقفه ، ومتسائلا (انت عملت ايه ؟) .

وضرب له مثلا بنفسه (لقد كنت دائما أوافق على رأى جمال عبد الناصر فى النهاية ، ولم يحدث أن أخذت رأيا مخالفا لرأيه) .

وحاول شعراوى جمعة بعد هذا الحديث تهدئة الموقف وعدم جمع اللجنة المركزية والسعى للتوفيق بين السادات وعلى صبرى وتصفية الجو بينهما ، معتقدا انه لو تأجل نظر المشروع عدة أسابيع فان العمليات العسكرية لابد أن تكون قد ابتدأت .. ولكنها كانت محاولة توحى بتفاؤل شعراوى جمعة اكثر مما ينبغى ، كما أنها كانت دليلا على أن العلاقات بين السادات وشعراوى ما زالت طيبة وتحتمل المصارحة .

ولكن أنور السادات أصر على جمع اللجنة المركزية ، والخـــروج بالموضوع عن دائرة النوايا الحسنة ٠

وانتقل الصراع من القاعة المغلقة التى تضم سبعة أعضاء الى القاعة الواسعة التى تضم أكثر من ١٥٠ عضوا ٠

عرض السادات الموضوع ، وروى الأسباب والظروف التى جعلته يوافق على انضمام مصر الى اتحاد الجمهوريات العربية ، وقال أيضا أن هناك معركة قبل سبتمبر ١٩٧١ ، وأن اللجنة التنفيـذية العليا قد درست موضوع الاتحاد ولكنها لم تصل الى نتيجة ولذا فهو يرفع الأمر الى اللجنة المركـزية ٠

وقرأ عبد المحسن أبو النور وثائق الاتحاد ثم طلب على صـــبرى الكلمة ، وبدأ يشرح الملابسات التى سبقت اعلان الاتحاد ٠

وطلب السادات منه أن يقصر حديثه على الموضوع الأساسى ، وهو الاتحاد واشتراك مصر فيه ٠ ولكن الأعضاء طالبوا باتاحة الفرصـــة كاملة لحديث على صبرى ٠

ولعل هذه هى أول مرة يشعر فيها أعضاء جهاز قيادى بأن أمــور الدولة وخلافات الرأى فيها تعرض عليهم صراحة ٠٠ ولذا حرص الأعضاء على سماع كل شىء ٠

وعندما تطـــــرق على صبرى الى الأحاديث التى دارت بينه وبين القذافى ، والتى أبدى القذافى فيها دهشته من رغبة مصر فى الاتحاد مع حزب البعث قاطعه السادات قائلا ان هذا حديث جرى بين رؤساء دول لا يجوز الكشف عنه ٠

ومرة أخرى ارتفع صوت الأعضاء مطالبا باستمرار على صــبرى فى الحديث ٠٠ رغبة منهم ألا يكون هناك حاجز يحول دون معرفتهم لكل ما يدور فى الخفاء حتى ولو كان بين رؤساء الدول ٠

ورضخ السادات ووافق على أن يواصل على صبرى الحديث ٠

وطال حديث على صبرى واستمر ما يقرب من ساعتين وقف خلالهما الدكتور أحمد سيد درويش الأستاذ بكلية طب الاسكندرية معلنا (نقطـة نظام) ومطالبا بمنع على صبرى من الحديث لخروجه عن الموضوع ٠

والتقط السادات هذه الرغبة ، وعرض اقتراحا على اللجنة المركزية بوقف على صبرى عن الحديث ٠٠ وكانت النتيجة مفاجأة له اذ صوت ١٤٦ مؤيدين استمرار على صبرى بينما صوت أربعة على منعه عن الحديث

وهم محمد حسنين هيكل وسيد مرعى ومحمد الدكرورى واحمد السـيد درويش ٠

وأظهرت نتيجة التصويت أن القلة المحدودة التى وقفت مع السادات تربطه بها علاقات شخصية أكثر منها سياسية ٠٠ وان محمد حسنين هيكل قد اختار أن يقف الى جانبه علانية ضد الآخرين ٠٠ وهو ما يؤكد بلورة الجبهات واختلاف الورثة ٠

وواصل على صبرى حديثه الذى يمكن ايجازه فى النقط التالية :

١ ـ ضرورة الحذر من التعامل مع حزب البعث السورى نتيجة لتجارب ثورة يوليو معه ، ولاعتماد حافظ الأسد على الأسلوب الانقلابى داخل الحزب ٠

٢ ـ تساءل عن موقف مصر من العناصر النـــاصرية والوحدوية فى سوريا اذا قويت وأصبحت قادرة على تسلم السلطة ٠٠ وهل تتحرك القوات المصرية لمساندة البعث ، وخاصة بعد اعلان الأسد للقذافى أن القوة السياسية فى سوريا هى البعث ولن يسمح بنشوء قـوة أخرى ، وأن الجبهة الوطنية ستكون فرصة لانضمام عناصر وطنية وتقدمية ، واذا رفضت أرسلت للخارج أو اعتقلت ٠٠ وأن عنده فى الجيش ١٠ر٠٠٠ بعثى ٠٠ وأكد الأسد أنه يقول ذلك صراحة حتى لا يقال ان الأسد قد خرب الاتحاد ٠

٣ ـ الاعتراض على تساوى عدد أعضاء مجلس الأمة الاتحادى (عشرون لكل دولة) رغم التفاوت النسبى لعدد السكان ٠

٤ ـ الاعتراض على الفقرة التى تنص على أن تكون القرارات بالأغلبية والمطالبة بأن تكون بالاجمـــاع ٠

٥ ـ الاشارة الى أن قادة ليبيا لم يصلوا بعد الى مرحلة النضج السياسى المطلوب ٠

٦ ـ الاعتراض على أسلوب وضع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا أمام الأمر الواقع دون مناقشة مسبقة ٠

٧ ـ لا داعى للاسراع فى اتمام الاتحاد ما دامت هناك معركة للتحرير ستبدأ قبل سبتمبر كما أعلن السادات ٠

استطاع على صبرى أن يكون نجم الجلسة فقد جذب اهتمام وتأييد أعضاء اللجنة بحديثه المنطقى الهادىء الذى حرص على أن يكون بسيطا وموضـــوعيا ٠

وعندما انتهى على صبرى حاول امين الاتحاد الاشتراكى بالجيزة فريد عبد الكريم المحامى الحديث فمنعه شعراوى جمعة وتربطهما صلة قوية ، ولكنه صرخ قائلا (يجب أن نرضخ لارادة الشعب) ٠

وطلب حسين الشافعى الكلمة فقال مؤيدا الاتحـاد (أشعر اننـا اخطانا فى حق حزب البعث ففى الحزب عناصر جيـدة ، وعملية نشر محاضر محادثات الوحدة لم تكن مناسبة) ٠٠ وهنا تصدى له ضـياء الدين داود قائلا ان هذا كلام يخالف راى الزعيم الخالد جمال عبد الناصر واستشهد ضياء ببعض اقوال عبد الناصر ٠

وكان أنور السادات قد حاول منع ضياء الدين من الكلام ، ولكنـه رد عليه بلهجة عنيفة (من حقى أن أتكلم ويجب أن تسمح لى بالكلام ٠٠) وكشف ضياء الدين داود أن اللجنة التنفيذية العليا قد رفضت الاتحـاد بأربعة أصوات ضد ثلاثة وليس كما قال السادات من أنها لم تصـل الى نتيجـة) ٠

أعضاء اللجنة التنفيذية العليا يتصارعون أمام أعضاء اللجنـة المركزية الذين أخذتهم الدهشة لهذا الموقف المثير الذى يحدث فى تاريخ الحياة السياسية لثورة يوليو من قبل ٠

تبلورت الاتجاهات ، وتبين أن أنور السادات لا يقف معه الا أقلية ضئيلة ٠٠ ولكنه لم يرضخ ٠

قال لأعضاء اللجنة المركزية بعد أن اقفل باب المناقشة :

(لقد عقدت اتفاقا يقضى بانضمام مصر الى اتحاد الجمهـوريات العربية ومن حق رئيس الجمهورية أن يبرم المعاهدات ٠٠ وانتم عليكم أن تصادقوا أولا لا تصادقوا ٠٠ وفى الحالة الثـانية اما أن استقيل أو تستقيلوا ٠٠ ولقد قلت هذا الكلام فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا ، ويبدو أن أحدا منكم لن يستقيل وأنا لا أريد أن أستقيل ٠٠ انما عليكم أن تتاكدوا اننى هنا باسم الشعب ، وسأحول الأمر الى المؤتمر القومى والى مجلس الأمة حتى الى الاستفتاء ٠٠ ان الشعب هو الذى له الحق فى أن يقرر ويحكم ٠٠ واننى أعرف تماما الظروف التى جاءت بكم أعضـاء الى اللجنة المركزية) ٠

وصل الأمر الي حد الصدام بين رئيس الجمهورية وبين أعضـاء اللجنة المركزية الذين بذلوا غاية جهدهم فى تأييدهم له فى الانتخابات للرئاسـة ٠

وأسفر أنور السادات بذلك عن موقف لا تراجع فيه ، وعن خطة يريد أن يفرض بها رأيه ، متحديا كل الجبهات ٠

تكهرب الجو ٠٠ ورفعت الجلسة للاستراحة وصعد السادات ومعه أعضاء اللجنة التنفيذية العليا وشعراوى جمعة وسامى شرف ومحمود رياض ومحمد حسنين هيكل الى مكتب الأمين العام للاتحاد الاشتراكى عبد المحسن أبو النور لمحاولة رأب الصدع الذى يكاد يهدم البناء ٠

وبعد مناقشات برز فيها موقف شعراوى الذى حاول حصار الموضوع بالتهدئة ٠٠ وموقف هيكل الذى قال ان مشروع الاتحاد هو ما سبق لعبد الناصر أن وافق عليه وموقف السادات الذى لا يريد التراجع ٠٠ وموقف على صبرى الذى أرضى ضميره بالمصارحة التاريخية التى قالها ٠٠ وصل المجتمعون الى قرار بالموافقة على مشروع الاتحاد مع ادخال بعض تعديلات عليه ، وشكلت لذلك لجنة يرأسها عبد المحسن أبو النور ٠

وعادت الجلسة للانعقاد وأعلن أنور السادات قرار تشكيل اللجنة ، وانفضت الجلسة الحاسمة لتصبح أحداثها ووقائعها موضع أحاديث المجتمع وتعليقاته ٠

وعادت اللجنة المركزية للاجتماع يوم ٢٩ ابريل بعد أن تنبه على الأعضاء بأن تمر العاصفة ، لاقرار التعديلات التى أقرتها اللجنة والتى تتلخص فى :

١ ـ تغيير كلمة (دولة اتحادية) لتصبح اتحاد ٠

٢ ـ استبدال كلمة (السلطات الاتحادية) بدلا من كلمة (الحكومة الاتحادية) فى الفقرة (د) من المادة ٧ ٠

٣ ـ استبدال اتخاذ القرارات (بالاجماع) بدلا من (الأغلبية) ٠

وهكذا أقرت تعديلات لا ترتبط كلها بالجوهر ، ولا تؤثر على حقيقة قيام الاتحاد كعمل سياسى ٠

ووافقت اللجنة المركزية بالاجماع ، بعد أن كانت قد اعترضت قبل ذلك بأيام على مشروع الاتحاد بما يشبه الاجماع أيضا ٠٠ ولم يتغير شىء فى الموقف سوى ادخال تعديلات هى أقرب الى الشكل منها الى المضمون ٠

وعقد مجلس الأمة أيضا جلسة خاصة أصدر بعدها قرارا جماعيا (بالتأييد الكامل للرئيس أنور السادات فى سياسته الحكيمة ، وفى جميع الخطوات التى اتخذها نحو تحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة) ٠

وأعلن لبيب شقير أحد أعضاء اللجنــــة التنفيذية العليا الذين عارضوا المشروع أنه ســـينقل موافقة مجلس الأمة بنفســـه الى رئيس الجمهـــورية ٠

وكان أنور السادات قد كلف كلا من سامى شرف والدكتور حافظ غانم وزير التربية والتعليم بالسفر الى دمشق وطرابلس لابلاغ حـــافظ الأسد ومعمر القذافى بالتعديلات التى أدخلتها اللجنة المركزية فى مشروع الاتحاد ، وذلك قبل نشر بيانها فى الصحف يوم ٣٠ ابريل ، والذى جـاء مخالفا لما قرأته الجماهير يوم ١٨ أبريل فور عودة السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى من بنغازى ٠

لم تشر الصحف المصرية الى وجود أى تعـــديلات ٠

وهكذا انتهت قصة اتحاد الجمهـــوريات العربية بعد أن وصلت بالصراعات والخلافات بين الورثة الى ذروتها ٠٠ وفرضت موقفا جديدا على المشتركين فى السلطة ، وخاصة بعد أن أعلن السادات أنه سيذهب الى آخر المدى مســـتندا الى الشعب ـ حسب قـــوله ـ دون تفكير فى الاســـتقالة ٠

وكان التراجع عن المعارضة العنيفة لمشروع الاتحاد وقبول المساومة بادخال التعديلات ، دليلا على أن المعارضة للاتحاد لم تكن قد تبـلورت ونسقت بين كافة المعارضين ٠٠ وأن الرغبة فى التهدئة وتمرير العاصفة كانت أقوى من الثبات المبدئى اذا كان الاقتناع به كاملا ٠٠ وهو ما قد يشير الى أن المعارضة لمشروع الاتحاد والمعركة حوله قد أخذت حجمـا أكبر من حجمها ٠٠ وأنها أدت بالتأكيد الى فقدان ثقة كامل بين الورثة ٠

ولاشك أن أنور السادات كان يعرف ما يريد ويخطط له من موقـع السلطة الشرعية ٠٠ وأن الآخرين فى حيرتهم لا يعرفون ماذا يريدون ، ولا يحسمون ما فيه يفكرون ، ولا يتقدمون خطوة نحو توحيد آرائهـــم أو تنسيق خططهـم ٠

وخـلاف حول المعركة :

كان مفروضا أن تكون العودة الى القتال والمعركة قضية محسومة بعد قبول جمال عبد الناصر لمبادرة روجرز ودفع الصواريخ الى الشاطىء الغربى للقناة خلال فترة وقف اطلاق النار الأولى التى كان مقررا لهـــا ثلاثة شهور ، لتحمى القوات المسلحة أثناء عملية العبور ٠

ولكن وفاة جمال عبد الناصر بعد ٥٢ يوما فقط من وقف اطـــلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ وضعت المسئولين الجدد أمام حيرة كبيرة ٠

ولا شك أن وفاة القائد الأعلى للقوات المسلحة الذي ركز كل جهده ووقته بعد صدمة الهزيمة على بناء القوات المسلحة والتعرف على قادتها والمشاركة بالتوجيه في حل مشــاكلها ، والسـعى الدءوب على تطوير تسليحها وامدادها بالخبراء والمستشارين السوفييت ذوى الخبرة العالية ٠٠ ولا شك أن وفاته قد أحدثت صدمة كبيرة للقـــادة الذين اعتادوا أن يناقشوا معه كل المصاعب خلال فترات اللقاء معهم سواء فى النـدوات المحدودة أو الاجتماعات الكبيرة ٠٠ وكان جمال عبد الناصر قد اعتــاد أن يتناول العشاء مرتين كل أسبوع فى القيادة العامة للقوات المسلحة خلال اجتماعاته ٠

وجمال عبد الناصر كانت عنده المعرفة والكفاءة العسكرية قبــل أن تجرفه السياسة بعد ثورة يوليو ، فقد شارك فى حرب فلسطين وحصل على نجمة فؤاد العسكرية ـ أعلى الأوسمة الحربية ـ وكان مدرسا فى مدرسة الشئون الادارية للجيش ، ثم أستاذا فى كلية أركان الحـرب حتى قامت حـركة الجيش ٠

أما القائد الأعلى الجديد فانه أمضى حياته العسكرية مفصولا من الجيش اذ تخرج عام ١٩٣٨ وعمل ضابطا فى أحد الأسلحة المســاعدة غير المحاربة ـ سلاح الاشارة ـ ثم فصل من الجيش بعد ضبطه فى حادث جهاز اللاسلكى والجواسيس الألمان بعوامة الراقصة حكمت فهمى عــام ١٩٤٢ ، ولم يعد ثانية للقوات المسلحة الا عام ١٩٥٠ فى عهد الوفـد ، ونجح فى امتحان الترقى بمساعدة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كما ذكر فى كتابه (البحث عن الذات) ٠٠ أى أنه أمضى حوالى ٦ سنوات فقط فى خدمة الجيش قبل الثورة ، وبعد الثورة انقطعت صلته بالقوات المسلحة نهائيا كما انقطعت صلة الآخرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة فى ١٨ يونيـو ١٩٥٣ وترقيته من رتبة رائد الى رتبة لواء دفعة واحدة ٠

ولكن الفريق أول محمد فوزى كان هو الشخصية الرئيسية المسئولة عن المعركة وقد حمل هذه المسئولية فور هزيمة يونيو ١٩٦٧ بعد أن كان رئيسا لأركان الحرب وأسهم بدور حاسم فى اعادة بناء القوات المســلحة على أساس متين من الانضباط العسكرى والتطور الذى شمل مسئوليات التعليم للمجندين والقدرة على استخدام الأسلحة الحديثة بما فيها الأجهزة الأليكترونية ٠

وقد اشتهر محمد فوزى بجديته فى القـوات المسلحة ٠٠ تخـرج

فى كلية أركان الحرب عام ١٩٥٢ وعمل قائدا للكلية الحربية ثم رئيسا للأركان بلا دور ايجابى ملحوظ فترة قيادة المشير عبد الحكيم عامر اذ كانت تعقيدات الأمور وحساسيتها أقوى منه الى الحد الذى جعله يقـول عن نفسه باستهانة انه خلال هذه الفترة كان (طرطورا) وذلك أثنـاء استجوابه أمام لجنة كتابة التاريخ ٠

واصل الفريق أول محمد فوزى أسلوب العمل الذى اعتاد عليه فى حياة عبد الناصر ، ووصل بالتدريب الى مستوى مناسب لخوض المعركة بكل الثقة والمقدرة ، الى الحد الذى درب فيه الجنود على عبور الموانع المائية وهم معصوبو العيون والذى تعرف فيه الجنود على مواقع القتـال والعبور المحتملة معرفة دقيقة ٠

وكان الجنود قد وصلوا خلال حرب الاستنزاف الى قدرة قتالية وروح معنوية عالية رغم التضحيات ٠

قال لى اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثانى خلال هذه الفترة والذى حصل على ترقية استثنائية فى حرب اليمن ان جنوده استطاعوا رفع العلم المصرى جنوب البلاح يوم ٣٠ مايو ١٩٧٠ بعد عبور القناة لمدة خمسة شهور عجز فيها الجنود الاسرائيليون عن نزع العلم لأنه كان محميا بالمدفعية والدوريات المسلحة والقناصة ٠

واستطاعت القوات المسلحة أيضا أن توقع فى قبضتها بعض الأسرى الاسرائيليين وأن تسقط عددا متزايدا من الطائرات بلغ ١٤ طائرة (٨ فانتوم ، ٦ سكاى هوك) فى الأسبوع السابق لقبول مبادرة روجرز ، وأن تأسر عددا من الطيارين ٠

وخلال احدى العمليات يوم أول يونيو ١٩٧٠ شرق القناة تكبد العدو خسائر فادحة ، وأسر بعض رجاله مما جعل الاسرائيليين يطلقون على هذا اليوم اسم (السبت الحزين) ٠

يتطابق هذا مع ما سمعته من بعض الاسرائيلين أنصار السـلام العادل الذين كنت أتصل بهم فى باريس اذ كانوا يقولون ان شر خبر يمكن أن تسمعه الأم الأسرائيلية هو ارسال ابنها الى جبهة القناة لما يتعرض له من خطر المـوت ٠

وتظهر صحة ذلك فيما نشرته الصحف من أخبار وصور عن الفرحة التى اجتاحت اسرائيل يوم قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز ووقف اطـلاق النار ، فقد خرجت النساء يرقصن فى الشوارع ٠

هكذا كانت الروح المعنوية عالية لم تتأثر بالغـارات الاسرائيلية

المتصاعدة بل كان العكس هو الصحيح كما أكد لى اللواء عبد المنعم خليل أيضا الذى قال ان جنوده كانوا يتعرضون احيانا لغارات تستمر طوال النهار ·· ولكن خسائرهم كانت تقل يوما بعد يوم لاعتيادهم على المعركة وتشبثهم بمبادىء الأمن والقتال ، وكان ذلك يرفع من روحهم المعنوية، ويضاعف من حماستهم للقتال ·

كان جمال عبد الناصر قد وافق على الخطة الدفاعية ٢٠٠ لتحرير الأرض ، بعد أن اطمأن الى مستوى الجنود وقدرتهم القتالية ·· وكان الموعد المحدد لزحف الجنود الى سيناء كما قال لى الفريق أول محمد فوزى هو ربيع عام ١٩٧١ فى يوم تحدده الطبيعة عندما تهب رياح الخماسين الرملية ·

وعندما عين أنور السادات قائدا أعلى للقوات المسلحة التزم الفريق أول محمد فوزى بتنفيذ كل القواعد التى سار عليها فى عهد عبد الناصر ·

وكان فوزى قد جمع القادة فى فترة ترشيح السادات وطلب منهم الوقوف معه لأنه اعتبر أن كل من خالف أو عارض جمال عبد الناصر فى حياته لا يجوز أن يخلفه بعد مماته ·· وكان يقصد بذلك موقعى العريضة التى رفعت للسادات من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق ·

ويدلل محمد فوزى على موقفه هذا خلال التحقيق معه بأن (نسبة التأييد من أفراد القوات المسلحة وعددها ما يقرب من المليون هو ٩٩٫٨٪) ·

استغرقت هموم الاعداد للمعركة معظم وقت الفريق أول محمد فوزى ، الذى كان يحضر اجتماعا يوميا ضمن مجموعة العمل التى شكلت من عبد المحسن أبو النور وشعراوى جمعة ومحمود رياض ومحمد فايق وأحمد كامل وسامى شرف وحافظ اسماعيل والفريق محمد أحمد صادق وسكرتيرها هو مدير المخابرات الحربية ·· وواجبها هو الاستعداد لعودة القتال ·

أول قرار وقعه أنور السادات بصفته قائدا أعلى كان قرار وقف اطلاق النار فى نوفمبر ١٩٧٠ لمدة ثلاثة شهور ثانية ·

كان قانون رقم ٤ لسنة ١٩٦٨ ملزما للقائد الأعلى بأن يوقع أوامر كتابية للقتال والانسحاب ووقف اطلاق النار وغيرها ·

وهكذا كان موعد بدء المعركة مرتهنا بكلمة وقرار القائد الأعلى واستعداد القائد العام للقوات المسلحة ·

بعد انتخاب السادات رئيسا للجمهورية تجددت صلته بالقوات

المسلحة لأول مرة بعد ما يقـــــرب من ١٨ عاما ٠٠ وبدا حريصا على الاقتراب منها فتعددت زياراته لها وتتالت اجتماعاته مع القادة للتعرف على النبض الحقيقى للقوات المسلحة ٠

ولكن السادات لم يكن راغبا فى عودة القتال كما كان الأمر مع عبد الناصر ٠٠ وان كان لم يصرح بذلك علنا فى خطاباته الرسمية ٠

وكان هذا الاتجاه مسايرا لموقفه المعلن فى بيان ٤ فبراير الذى جنح فيه الى تقديم مبادرته بفتح قناة السويس ، كما كان منسجما مع بيـــان ٧ مارس الذى اعلن فيه (أننا لا نعتبر أنفسنا مقيدين بوقف اطلاق النار ، ولا بالامتناع عن اطلاق النار) ٠٠ والذى قال فيه ايضا (ان الولايات المتحدة الأمريكية تعهدت لنا مباشرة وخصوصا فى الشهر الأخير بأنها تعـــارض وسوف تعارض مبدأ الاستيلاء على الأرض بالقوة ولا تستطيع الولايات المتحدة أن تتهرب من هذا التعهد أو أن تفلت منه) ٠

كان مضمون هذا الاتجاه هو تغليب المساعى الدبلوماسية وخاصة مع أمريكا فى محاولة للوصول الى السلام ٠٠ بدلا من الاصرار على القتال فور انتهاء وقف اطلاق النـــار ٠

ولم يكن متصـــــورا أن يتم ذلك بطريقة أوتوماتيكية ٠٠ بمعنى أنه فى الدقيقة الأولى بعد انتهاء وقف اطلاق النار ، يسمع صوت القذيفة الأولى فى المعركة ٠

ولكن كان مفروضا أن نعود الى حرب الاستنزاف حتى يتم تحديد ساعة الصفر فى اليوم المحدد للقتـــال ٠

وكان الاتجاه الى تأجيل القتال وعدم وضوح ارادة الاصرار عـــلى العودة اليه باعثا على تساؤلات كثيرة حول احتمالات المستقبل ٠

وكان الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية العليا ومجلس الدفاع الوطنى قد اتفق على الصيغة المناسبة لبيان ٧ مارس ، كما اتفق عـــلى تحديد يوم ٢٦ ابريل موعدا يضـــــاء فيه النور الأخضر لعودة القتال فى أية لحظة مناسبة ٠

كانت العودة الى القتال قد أصبحت تتجسد كمطلب هـــام بين جانب من الجماهير وخاصة المتصلين بتنظيمات الاتحاد الاشتراكى ، وبين القوات المسلحة التى تتأهب فعلا لعودة المعركة ٠

وفوجىء القراء بمقال نشره محمد حسنين هيكل يوم ١٢ مارس ١٩٧٠ بعد أن أوقف سلسلة مقالات كان يكتبها تحت عنوان (تأملات حول الصراع

الكبير) ·· نشر المقال تحت عنوان (تحية للرجال) ثم عاد يواصل التأملات من جديد ·

كان مضمون المقال شرح العقبات التى سوف تخوضها القوات المسلحة وتجسيم مخاطر القتال فى معركة تحرير الأرض والوطن ·· وتحدث هيكل كرجل عسكرى أكثر منه كاتب سياسى ، وأشار الى أن هناك مانعا مائيا وكثبانا رملية يرقد فوقها خط دفاعى ثم رمال مفتوحة ، وقال ان الجيش المصرى سوف يواجه المعركة وحده أمام الجيش الاسرائيلى بأكمله ·· وختم مقاله قائلا (انهم هناك على خط النار لا يزايدون لأنهم على خط النار) ·

وهكذا اعتبر هيكل أن المطالبة بالعودة للقتال ضربا من المزايدة ·· بينما القتال كان دائرا فعلا فى حياة جمال عبد الناصر أثناء حرب الاستنزاف ·

كان مضمون المقال وتوقيته غريبا ، اذ انه نشر يوم الجمعة الأول بعد بيان ٧ مارس الذى انتهت به مدة الشهر الذى أعلنه السادات فى بيان ٤ فبراير كامتداد لوقف اطلاق النار ·· وفى وقت كان يتطلع فيه الناس الى عودة المعركة ، ويستعد فيه الجنود للقتال ·

كان واضحا أن المقال نشر تعبيرا عن رؤية جديدة للموقف ، فهو فى أهدافه محاولة لاقامة السدود أمام عودة المعركة ، وهو ما ثبت من اقوال محمد حسنين هيكل فيما بعد أثناء تحقيق المدعى الاشتراكى العام معه عام ١٩٧٨ عندما قال انه كان يعبر بهذا المقال عن القيادة السياسية للدولة بما يعنى أنه قد أوحى اليه من السادات بكتابة هذا المقال ·

وانبرى عدد من الكتاب يردون على محمد حسنين هيكل فى جريدة الجمهورية ومجلة روزاليوسف مثل الدكتور ابراهيم سعد الدين والدكتور محمد أنيس وفتحى خليل وعبد الهادى ناصف وغيرهم ·

لم تكن مثل هذه المعركة الفكرية بين الكتاب جديدة على الصحافة ، فقد سبق أن حدث ذلك حتى فى حياة عبد الناصر ·· ولكنها فى هذه المرة كانت تمس موضوعا شديد الحساسية ·

ولم يتوقف صدى المقال عند حدود الصحافة ، وانما امتد الى القوات المسلحة حيث أثار الغضب عند بعض القوات المسلحة الذين اعتبروا المقال مثبطا للعزائم ، باعثا على اليأس والقنوط ·

ويبدو أن محمد حسنين هيكل لم يكن يعرف جدية الخطوات التى اتخذت فى مجال التدريب ، ولم يتابع تفصيلا تدفق الأسلحة واكتمال العوامل المساعدة على تنفيذ خطة التحرر ، واعتبر أن الدعوة الى عودة

القتال الفورى نوع من المغامرة غير المحسوبة ، وأنه شعار يرفعه الـذين يريدون أن يحرجوا السادات ، وأن يجدوا فى المعركة طوق انقاذ للمشاكل الداخلية ·

وأوضح المقال أن هيكل قد اختـــار جانب السادات ، وبدأ يروج لسياسته بأسلوب يدعو للتهدئة ، ومحاولة تأجيل المعركة ، اعتقادا بأنه يمكن الوصول الى حل سلمى اذا لعبت أمريكا دورا ايجابيا فى ذلك ·

وفى غمرة هذا الاتجاه وانشغالا بما يدور خلف الكواليس ومتابعة للشئون اليومية وضعفا فى قيادة الاتحاد الاشتراكى مضى يوم ٣٠ مارس مثل بقية الأيام ·· لم يتحدث عنه أحد ·

وكتبت فى روز اليوسف تحت عنوان (ملحوظة سياسية) :

(ما هكذا تمنيت ليوم مضى فى تاريخنا ، جابهنا فيه حركة الثورة المضادة ببيان تاريخى قدمه جمال عبد الناصر ووجد فيه أنور السادات خير أمانة يودعها فى مجلس الأمة يوم انعقد الاجتماع على ترشيحه ·

أسلحتنا فى المعركة ضد العدوان ليست المدافع والطائرات فقط ، ولكنها أيضا الكلمة الثمينة النابعة من ارادة شعبنا ·· والتى يجب أن نناضل من أجل تجسيدها كواقع حى يحرك نضال الجماهير)

كل الصحف أغفلت الحديث عن الذكرى الثانية لهذا اليوم ، حتى جريدة الأهرام رغم أن محمد حسنين هيكل هو الذى صاغ البيان ، ورغـم أن الجريدة فى مبناها الجديد قد طبعت كلمات من بيان ٣٠ مارس على جميع منافض السجائر فى الدار ·

كان الاتجاه لدعوة تحييد أمريكا ، ومحاولة الايهام بأن هنـــاك نوعا من الاتفاق بين الدولتين العظميين حول مشكلة الشرق الأوسـط ، قد بدأ يتردد صداه فى بعض المقالات ·· الأمر الذى جعلنى أكتب كلمـة قصيرة فى روز اليوسف عدد ١٢ ابريل ١٩٧٠ أقول فيها تحت عنـــوان (كفــاية !) ·

(أعتقد أنه قد أصبح من واجبنا ومسئوليتنا أن نتجاوز هـذه المرحلة التى طفحت بمناقشـــات وآراء مختلفة حـول تحديد طبيعة العدو والصديق ·· وأن ذلك لم يعد الحديث المناسب ونحن نتأهب لمواجهة أخطر معركة فى حياتنا ·· وليس معقولا أن يكون محور النقاش أمام الرأى العام بعض ما يجب أن يكون محفورا فى القلوب) ·

أشاع هذا الجو نوعا من الضباب حول احتمالات المعركة ٠٠ وفرضت الخلافات التى أشرنا اليها حول قضية اتحاد الجمهوريات العربية نفسها على الموقف ٠٠ مما خلق نوعا من السباق الزمنى حول قيام الاتحاد وبدء المعـــركة ٠

وقد فرض موضوع الاتحاد نفسه على القوات المسلحة بما عبـر عنه أحمد كامل أثناء اجتماعه مع أنور السادات يوم ٢٦ أبريل ١٩٧٠ بعد اجتماع اللجنة المركزية بقوله حسب ما ورد فى التحقيق معه بصفته مديرا للمخابرات العامة ، ومعبرا عن تقاريرها :

(الرأى العام فى الجيش يتساءل كيف تتم وحدة بيننا وبين سوريا وفيه ثأر بيننا وبينهم ويقصدون الانفصال ٠٠ والنقطة الثانية تحرك القوات من مصر الى سوريا لمحاربة من يقوم ضد النظام البعثى فى سوريا ، ومعنى هذا أن الأمر قد يتطور بضرب الناصريين اذا تحركوا ضد البعث ٠٠ والنقطة الأخيرة كانت أن الرأى العام فى الجيش يتساءل أيضا كيف تتم الوحدة بين ليبيا والليبيين بيعاملوا المصريين معاملة سيئة جدا) ٠

وقال أحمد كامل لأنور السادات فى الاجتماع الوحيه الذى عقده معه منذ عين مديرا للمخابرات انه يرى أن يشرح السادات وجهة نظره فى هذه الأمور للقوات المســلحة ٠٠ وأنه يجب تفضـــيل المعركة واعطائها الأسبقية مع تصفية الموقف الداخلى بعد ذلك ٠

الرأى العام فى الجيش كان قد بدأ يتابع الحركة السياسية ويناقشها الى جانب المعركة التى كان مفروضا أن تستغرق كل وقته وجهده ٠ ٠

وقد عقد الفريق أول محمد فوزى اجتماعا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٩ أبريل١٩٧٠قبل انعقاد الجلسة المتفجرة للجنة التنفيذية العليا وتحدث مع القـــادة عن المشروع الذى نشرته الصحف يوم ١٨ ابريل ٠٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى فى التحقيق معه انه كان يؤيد فكرة الاتحاد وأن البعض قد طلب بأن تكون الفقرة العســكرية الموجودة فى مشروع الاتحاد مشابهة للفقرة الموجودة فى الاتفاقية الثنائية بين مصر وسوريا المنعقدة فى ٢٦ نوفمبر ١٩٦٩ ، وأنه رفع تقريرا بذلك فى حينـه الى السيد رئيس الجمهورية ٠

وعقد الفريق أول فوزى اجتماعا آخر مع ٤٠٠ قائد كرر لهم فيـه ما سبق قوله كان الفريق فوزى أكثر اهتماما بتنفيذ خطة التحرير عن الدخول فى تفاصيل القضايا السياسية ٠

ويقول الفريق فوزى أيضا انه كان قد وضع خطة القتال على أساس أن تبدأ من بعد يوم ٧ أبريل ١٩٧١ وكانت معدة فعلا للتنفيذ ٠٠ ولكن تأجل تنفيذها لمدة أربعة أسابيع نظرا لتوسيع نطاقها ٠

وفى يوم ٢٨ أبريل ١٩٧٠ ذهب الفريق أول محمد فوزى الى أنور السادات لكى يتلقى – على حد تعبيره – التلقين من القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وهو ما يمكن التعبير عنه بالتوجيهات السياسية والعسكرية لتنفيذ الخطة ٠

لم ينته التلقين فى هذه الجلسة ٠٠ وتحدد موعد آخر هو يوم ٦ مايو حيث ذهب الفريق أول فوزى للحصول على الكلمة النهائية فى موضوع عودة القتال ٠

قطع المقابلة وصول الدكتور محمود فوزى ومحمود رياض وأشرف غربال المشرف فى ذلك الوقت على رعاية المصالح المصرية فى أمريكا ومعهم جوزيف سيسكو وكيل الخارجية الأمريكية الذى كان قادما من اسرائيل بعد زيارة روجرز ٠

طلب السادات من فوزى أن ينتظر انتهاء الاجتماع فى غرفة قريبة فربما يحتاج اليه ٠٠ ثم التقى الاثنان بعد ذلك ، وتحدد موعد بدء المعركة يوم ٢ يونيو ١٩٧١ ٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى انه توجه الى مكتبه مباشرة حيث اجتمع مع رئيس أركان حرب الفريق محمد أحمد صادق وأبلغه الاتفاق الذى تم بينه وبين القائد الأعلى على تحديد تاريخ بدء المعركة ٠

واقترح الفريق صادق أن يدون فى أمر القتال الأسبوع الأول من يونيو بدلا من ٢ يونيو ووافق فوزى على ذلك ، واستدعى العميد أمير الناظر حيث كلفه بكتابة أمر القتال من صورة واحدة على الآلة الكاتبة ليحمله فوزى الى السادات للحصول على توقيعه تنفيذا للقانون رقم ٤ عام ١٩٦٨ ٠

ولكن الفريق أول محمد فوزى لم يحصل على توقيع أنور السادات مطلقا ٠

فى يوم ١١ مايو كان أنور السادات فى زيارة للقيادة العامة بمدينة نصر وبعد اجتماعه مع القادة طلب منه فوزى أن يشرب فنجانا من القهوة فى مكتبه حتى يقدم له الأمر لتوقيعه ولكنه قال له (بعدين ٠٠) ومضى دون أن يوقع ٠

وفى يوم ١٢ مايو صحب الفريق أول محمد فوزى أنور السادات فى

زيارته للقوات المسلحة ببلبيس ، ويقول انه يحمل معه أمر القتـال لتوقيعه بعد وصوله معه الى المنزل ، ولكن ما أن هبط السادات من الطائرة حتى نادى سكرتيره الخاص فوزى عبد الحافظ بدلا من الفريق أول محمد فوزى ليصحبه فى العربة قائلا لفوزى (اقعد انت لمشاكلك) ٠

وهكذا لم يوقع السادات أمر القتال ، وشعر فوزى أن تغييرا ما قد حدث فيما تم الاتفاق عليه حول الخطة الدفاعية ٢٠٠ ٠

وعندما سألت الفريق أول محمد فوزى :

(هل كانت هذه الخطة لتحريك الموقف السياسى أم لتحرير الأرض ؟) أخذته الدهشة قائلا (انها كانت خطة متكاملة لتحرير سيناء حتى حدود عدوان يونيو ١٩٦٧ على مراحل أطلق على كل مرحلة منها لفظ (جرانيت ١) ، (جرانيت ٢) ٠

وهكذا أصبح القائد العام للقوات المسلحة فى وضع حرج ٠٠ اذ يحفز قادته وجنوده على الاستعداد للقتال ويطالبهم بمضاعفة الجهـــد والبذل ٠٠ بينما يواجه من جانب القائد الأعلى للقوات المسلحة والذى كان يعتبر غريبا عليها الى ما قبل عدة شهور ٠٠ يواجه اعراضا ونفورا وتهربا من توقيع أمر القتـال ٠

وهكذا تجسدت الخلافات حول عودة المعركة فى صمت وسرية ٠٠٠ كما تجسدت فى مشروع الاتحاد الثلاثى بصفة علنية ٠

وخلافات فـردية :

لم يكن معقولا أن تمضى الأمور فى هدوء الى ما بعد هذه المرحلة ٠

المواجهة التى تمت فى اللجنة التنفيذية العليا واللجنة المركزية بددت الأمل فى التهدئة ٠

ولم يكن الأمر بعيدا عن توقع أنور السادات ، فهو يعلم منذ اللحظة الأولى أنه يتعامل مع ورثة مثله تماما ٠٠ كانوا جميعا حول عبد الناصر ، وبعضهم كان أقرب اليه منه ٠٠ وليس بينهم أحد يمكن القول بأنه رجـــل السادات سواء الذين اقتربوا منه مثل الدكتور محمود فوزى ومحمد حسنين هيكل ، أو الذين ابتعدوا عنه ونفروا منه ٠

الوزراء جميعا كانوا نتيجة اختيار لم يتدخل فيه السادات ، ورئيس الوزراء لم يرشح سوى الدكتور عصمت عبد المجيد وزيرا لشئون مجلس الوزراء ٠٠ وهم جميعا كانوا من رجال عبد الناصر الذين تعاونوا معه ، وعملوا تحت قيادته واستلهموا زعامته ٠

لم يكن بين الوزراء من يمكن توصيفه اذن بأنه رجل السادات ·· حتى هؤلاء الذين كانوا على غير وفاق كامل مع شعراوى جمعة وسامى شرف ·

وعندما ضم وزير جديد للوزراء يوم ٣ يناير ١٩٧١ كان أحمد نوح الضابط الطيار الذى كان مديرا لمكتب الفريق أول محمد فوزى ، والذى عين وزيرا للدولة لشئون الطيران المدنى ·

لم يدخل الى الوزارة وزير يمكن أن يوصف بانه قريب جدا للسادات سوى محمد عبد السلام الزيات الذى عين وزيرا للدولة لشـــئون مجلس الأمة فى ١٠ أبريل ١٩٧١ والذى سبق له أن عمل سنوات طويلة سكرتيرا لمجلس الأمة ·

كل أجهزة الأمن ، وأجهـــزة السلطة التنفيذية موجـــودة فى أيدى شخصيات لا يمكن القول بأنها كانت مقتنعة بأنور السادات رئيسا مثـــل اقتناعها بجمال عبد الناصر ·· أو أنها يمكن أن تكون أداة تنفيذ فقط كما كانت فى الماضى ·

الفريق أول محمد فوزى كان وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة ، وشعراوى جمعة أمينا للتنظيم ووزيرا للداخلية ، وأحمد كامل مديرا للمخابرات العامة ومحمد فايق وزيرا للاعلام ، وسامى شرف مسئولا عن الحرس الجمهورى وأمين الرئاسة وعبد المحسن أبو النور أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى ·

ويلاحظ أنهم جميعا من العسكريين · وأنه تربطهم صلة تنظيمية فى الاتحاد الاشتراكى أو طليعة الاشتراكيين ·

ولذا كان يبدو على السطح أن الصراع غير متوازن ، وأن القابضين على أجهزة الأمن والسلطة التنفيذية هم الذين يمكن أن يكونوا مصـــدر الخطر على الطرف الآخر وأنهم لو تحركوا فان شيئا لا يمكن أن يقف فى طـــريق حـــركتهم ·

ولكن أثبتت الأحداث أن التمزق الذى شمل المجموعة الناصرية كان عميقا فى النفوس الى الدرجة التى يصعب معها توحيد حركتهم أو تنسيق أهدافهم ·

وقد عمد أنور السادات الى استغلال الخلافات بينهم ، ودبر خطـة للتخلص منهم واحدا بعد الآخر ·

وليست هناك مبالغة فى كلمة التدبير ، فان القرارات الســياسية

المنفردة التى كان يتخذها أنور السادات ، كانت تدل على عدم قبوله لأن يكون رئيسا شكليا للجمهورية مثل ملك يملك ولا يحكم ٠

ويبدو أن أنور السادات كان مصمما على أن يضع نفسه فى مكان جمال عبد الناصر رغم اختلاف الظروف التاريخية والشخصية ٠٠ فـان جمال عبدالناصرقاد حركة سرية فى الجيش وصل بها الى الحكم مع زملاء اقتنعوا برئاسته فانتخبوه مرتين رئيسا لقيادة الضباط الأحرار واستطاع بمواقفه الوطنية والقومية أن يبرز عن بقية زملائه ، فارتفع شأنه فى الوطن العربى ، وأصبح أحد ثلاثة من قادة عدم الانحياز مع نهرو وتيتو ٠

ولم يتخلص جمال عبد الناصر من محمد نجيب سوى بعد ٢٨ شهرا من قيام الحركة ، ولم يصدر قرارا باقالة أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وانما كان البعض يقدم استقالته مختارا بعد تنافر فى المـواقف أو الآراء مثل يوسف صديق وجمال سالم وصلاح سالم وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وعبد اللطيف البغدادى ٠

أما أنور السادات فكان يدبر خطة للتخلص من هذه العناصر المناوئة التى ضاق صدره بتصرفاتها بعد شهور قليلة من التعامل معها ، ودفعه الى ذلك أنه لم يكن يستند سوى على الشرعية لحماية مقعده ، وهى عملة نادرة لا يتداولها أحد فى صراع القوة ٠٠ اما عبد الناصر فكان يستند الى قيادته للضباط الأحرار ، وتعيينه لصديقه المخلص عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة ، وترقيته من رتبة رائد الى لواء فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ ٠

ويؤكد ذلك محمد حسنين هيكل الذى قال لى انه كان يعـلم أفـكار السادات نحو الآخرين ، وأنه بدأ منذ مارس يعد خطته للتخلص منهـم ٠٠ كما يكتب موسى صبرى الصحفى المقرب فى كتابه (وثائق ثورة يوليو) أن السادات (كان مستعدا دائما لأى تحرك من جانبهم ٠٠ كان الرئيس مستعدا بخطة عسكرية كاملة ٠٠ تحددت فيها التحركات والتكليفات كاملة، وقد تم ذلك منذ شهرين كاملين) ٠

شهر مارس اذن كان بداية التفكير والتخطيط لفرض أنور السادات لنفسه رئيسا فعليا للجمهورية يملك ويحكم كما كان يفعل سلفه عبد الناصر ٠٠ وواضح أن ذلك كان نتيجة للمعارضة التى واجهت السادات بعد بيان ٤ فبراير ، وأظهرت له أن أفكاره وقرارات يمكن ألا تمضى فى سهولة مما يضعف سلطته كحـاكم ٠

واذا أخذنا بصحة هذا التوقيت الذى يؤكده صحفيان كانا من أقرب المقربين الى السادات فى ذلك الوقت ، لأدركنا أن بداية التفكير فى التخلص

من الآخرين قد سبقت وقوع الخلافات حول مشروع الاتحاد الثلاثى ، أو حول العـودة للمعركة ·

وقد وقع الاختيار على على صبرى ليكون الفريسة الأولى بعد أن أصبح التخلص منه ضرورة بعد المواجهة الساخنة فى اللجنة التنفيذية العليا ·· فى وقت لم يكن فيه هناك أى نوع من أنواع التدبير المضاد لرئيس الجمهورية ·· فقد كان الآخرون ما زالوا يعتقدون أنهم قادرون على تهدئة الأمور ، والتعاون مع السادات بأسلوب يمنحهم مزيدا من السلطة ويحفظه فى موقعـه ·

ولا شك أن بعض التصرفات من جانب السادات لم تكن تبعث فى نفوسهم الرضا ، بل وتبذر فيها القلق ·· ولكنهم كانوا لا يفكرون فى تجاوز حدود المصارحة معه ، أو المعارضة الهامسة فيما بينهم الى نطاق آخر يكون فيه تدبير للتخلص من صاحب المنصب الشرعى فى رئاسة الدولة، وهم الذين مهدوا له الطريق ·

وعلم سامى شرف بنية السادات فى عزل على صبرى من محمـد حسنين هيكل الذى سمع الخبر من السادات نفسه ، فأبلغ شعراوى جمعة ·· ووصل الخبر الى على صبرى عن طريق عبد المحسن أبو النور ·· وكان ذلك بعد اجتماع اللجنة التنفيذية العليـا وقبل اجتماع اللجنـة المركـزية ·

لم يحاول أنور السادات اخفاء الخبر ·· فقـد أبلغ به السـفير السوفيتى كما ذكرنا ، وسربه الى هيكل ·· واثقا ـ فيما يبدو ـ من انه لن يواجه مقاومة فى تنفيذ القرار ·

ويقول شعراوى جمعة انه حاول القيام بدور المهدىء ، فطلب من على صبرى ألا يتكلم فى اجتماع اللجنة المركزية ، وأن ينحنى للعاصفة ·· ولكنه رفض وأصر على توضيح الأمور كمسئولية تاريخية ·

كما قابل السادات محاولا اقناعه بتأجيل اجتماع اللجنة المركـزية ، ولكنه اصر على عقده للخروج بالخلاف الى دائرة أوسع ·

وعندما حاول اقناعه بتأجيل اقالة على صبرى حتى لا ترتبط بزيارة روجرز التى كان مقررا لها يوم ٤ مايو لأنه لو حدثت قبلها فانها ستعتبر (عربونا للزيارة) واذا تمت بعدها فانه سيقال انها كانت (ثمنا للزيارة) · رفض السادات أيضا فى اجتماعين استغرق أحدهما ساعة ، والآخر ساعة ونصف السـاعة ·

ولم يتخذ شعراوى جمعة أو أحد من زملائه أى موقف ، وآثروا ان

يتركوا الأمر للزمن ·· لم يعـــرض الأمر للمناقشة فى أى مستوى من مستويات الاتحاد الاشتراكى او طليعة الاشتراكيين ·

ورغم أن على صبرى قد بلغته نية أنور السادات باقالته فانه لم يأخذ الأمر أولا مأخذ الجد كما سبق أن ذكرنا ·· وهو فى كل الحالات كـان أعجز من أن يوقف صدور القرار ، لأنه لم يكن يستند الى أية سلطة ، ولـم يكن يعتمد حتى على هؤلاء الذين صنفوا بأنهم رجاله ·

ولم يطل الانتظار ·· بعد أيام قليلة من الاعلان عن نيته ، حضـــر السادات احتفال العمال بعيد أول مايو فى حلوان ·· وحرص على أن يضمن خطابه فقرة ضد مراكز القوى من كلمات جمال عبد الناصر ·· فقرة لم يكتبها محمد حسنين هيكل الذى أعد الخطاب ·· ولكن أحضرها له محمد عبد السلام الزيات من منزله فى ساعة متأخرة من الليل ·

كان الاحتفال متميزا بالصـــور المرفوعة لجمـــال عبد الناصر ، والشعارات والهتافات التى تتردد باسمه ·· ومع ذلك خطب السـادات قائـلا :

(ليس من حق أى فرد أو جماعة مهما كان هذا الفرد أو تلك الجماعة أن تزعم لنفسها قدرة منفصلة عن قدرة هذا الشعب، أو تدعى لنفسها موقعا تستطيع أن تفرض من خلاله رأيها على جموع الشعب ، أو أن تتستر وراء شعارات أو مناورات تحاول أن تشكل من خلالها مراكز قوة تفـــرض منها وصايتها على الشعب بعد أن أسقط هذا الشعب مع جمال كل مراكز القوة ليبقى الشعب وحده سيد مصيره) ·

السادات يستند الى موقف عبد الناصر ويستخدم كلماته ·· والهجوم على مراكز القوة يظهر أن هناك مراكز قوة أخرى جديدة سوف يطاح بها ·· والكلمات تصدم هؤلاء الذين يشاركون فى السلطة ·

وفى اليوم التالى مباشرة طلب السادات من سامى شرف أن يعـــد قرارا جمهوريا باقالة على صبرى على أن ينشر ببنط صغير ·· وتصادف أن كان الفريق أول فوزى وشعراوى جمعة معه فى مكتبه حين أبلغه القرار·

لم يتردد سامى فى التنفيذ ولم يعتـــرض ·· فقد فات الأوان ·· واستفسر فقط من فوزى عن منصب على صبرى فى القـــوات المســلحة ليضمنه قرار الاقالة ، وكان مساعدا للرئيس لشـــئون القوات الجـــوية والدفاع الجـــوى ·

وقد تبين من تحقيقات مايو أن الفريق محمد فوزى قد أبلغ السادات بأن هذا القرار لن يثير رد فعل سلبى فى القوات المسلحة ·

وهكذا تهدم مرة أخرى نظرية هذه المجموعة التى ارتبطت بعبد الناصر ويثبت أن أفرادها كانوا يحملون فى صدورهم عواطف متناقضة ٠٠ ويثبت أن على صبرى كان أبعد ما يكون عن أن يعتبر قائدا لهذه المجموعة ٠٠ ولا يقلل من صحة هذا الحديث أنه كان دفاعا عن النفس أثناء الاعتقـــال فان أحدا لم يتحرك أمام هذه الخطوة ، وابلاغ فوزى للسادات بترحيب القوات المسلحة بالاقالة أمر له دلالته ٠

وربما تصور بعض أفراد المجموعة أن تنحية على صبرى هى ازاحة لشخصية كان يمكن أن تسد عليهم طريق طموحهم ، ولم يدركوا انها كانت مثل حركة سكين يقترب من أعناقهم ٠

وكان سامى شرف فيما يبدو هو أكثر أفراد هذه المجموعة طموحا ٠٠ والذى يرصد خطواته يدرك أنه كان يريد أن يجسد لنفسه شخصية قوية معتمدة على ماضيه مع عبد النـــاصر ، وما تجمـــع فى يده من معلومات ومسئوليته عن أجهزة أمن الرئاسة بما فيها الحرس الجمهورى كما ذكرنا٠

ولذا طلب من مدير المخابرات العامة أحمد كامل أن يراقب بعض تليفونات الاتصال الداخلى المباشر وعددها محدود جدا وعلى وجه التحديد عند كل من جمال عبد الناصر وأنور السادات وحسين الشافعى وعـلى صبرى وسامى شرف وشعراوى جمعة ومحمد حسنين هيكل وأمين هويدى ومحمد فايق ومدير المخابرات العامة والمخابرات الحربية ٠٠

كان أحمد كامل يرسل تفريغا يوميا للمحادثات المراقبة الى مكتب رئيس الجمهورية أى سامى شرف ٠٠ دون أن يعرف ما اذا كانت تعرض على السادات أم لا ٠٠ وهو يقول ان معرفته بسامى شرف كانت تؤكـد له أنه يمرر كل المعلومات مهما كانت تافهة وبسيطة الى رئيس الجمهورية ٠٠ ويقول أيضا انه قابل أنور السادات فى أحد الاجتماعات فبادره بقوله ان كل تقاريرك تصل اليه ، فبعث هذا فى نفسه الضمان والاطمئنان الى أن تسجيلات الرقابة قد صدرت بتعليمات منه وأنها تصل اليه أيضا ٠

ونفذ أحمد كامل الأمر ووضع تليفون على صـــبرى وأمين هويدى الداخلى تحت المراقبة الى جانب عدد من التليفونات العادية عند معظـم المسئولين متلمسا لنفسه العذر بأنه تصور أن هذا الأمر لابد أن يكون صادرا من السادات شخصيا ٠٠ وهو الذى عجز عن مقابلته رغم الحاحه فى ذلك ، وكانت صلته الوحيدة بالرئيس من خلال سامى شرف ٠

مفروض أن تكون العلاقة بين هذا العدد المحدود قائمة على الثقة التى لا تحتاج الى رقابة ٠٠ ومفروض أيضا أنهم قد يتناقشون فى أمور بالغـــة السرية ٠٠ ولذا فان مراقبة بعض هذه التليفونات يؤكد أن سامى شرف

كان يريد التعرف على حركة وافكار الذين لا يســـتريح اليهم ، أو يريد شـــيئا ما لهـم ٠

ويروى أنور السادات فى كتابه (البحث عن الذات) وموسى صبرى فى كتابه (وثائق ١٥ مايو) أن سامى شرف وزير رئاسة الجمهورية ، قد قام بعرض تسجيل لبعض المكالمات التليفونية على أنور السادات ، ولكنــه طلب الا يعرض عليه شيئا منها مستقبلا الا ما يتصل بأمن الدولة ٠

ويقول السادات فى كتابه (وقبل خروجه ـ أى سامى شرف ـ كنت قد أصدرت أمرى اليه بالغاء جميع المراقبات التليفونية ، وأن لا تتم أى مراقبات الا بأمر القضاء وفعلا تم هذا) ٠

ويقول شعراوى جمعة انه كان على علم بوجود تسجيلات للمخابرات وأنه يؤكد أنه لم يكن يعرف أسلوب تنفيذها ٠٠ ولم يكن يعـرف أسـماء الشخصيات الموجهة ضدها هذه المراقبة ٠٠ وقد كانت لشعراوى مراقبة خاصة تقوم بها المباحث العامة كاجراء روتينى ضرورى لحماية أمن الدولة دون اذن من النيابة العامة ٠

وبدأ سامى شرف الخروج الى دائرة الضوء ، فقام بأدوار سياسية هامة فى المجال العربى حيث سافر أكثر من مرة الى سوريا وليبيا ، كمـا حرص على زيارة الاتحاد السوفيتى ضمن الوفد المصرى لحضور مؤتمـر الحزب الشيوعى فى شهر أبريل ١٩٧٠ حيث استطاع مقابلة بريجنيف على انفراد محاولا تأكيد قيمته ودوره عند القادة السوفييت ٠٠ وهى أمور لـم يكن يمارسها أو يعهد اليه بها فى عهد عبد الناصر ٠

وبدأت الصحف فى مصر والخارج تنشر له مقالات وأحاديث خاصة يتحدث فيها بلهجة الشخص المسئول ٠

ويبدو أن هذه الحالة قد بعثت مشاعر الثقة الزائدة عن الحـد فى نفس سامى شرف أصغر الورثة سنا ، فقد عرف سامى شرف أن السادات قد اتصل بقائد الحرس الجمهورى اللواء محمد الليثى ناصف ، وطلب منه اعداد خطة الدفاع عن القاهرة التى وضعت فى عهد عبد الناصر لتكون جاهزة للتنفيذ ٠٠ ومع ذلك فلم يفعل شيئا ، واثقا ـ فيما يبدو ـ من أن ابلاغ الليثى ناصف له معناه موت المحاولة ٠٠

وقد أبلغ سامى هذه الواقعة الى أحمد كامل ، دون اتخاذ أى موقف حيال هذا التهديد المباشر الناتج من اتفاق رئيس الجمهورية مع الحـرس الجمهورى خلف ظهره ، لتنفيذ خطة تحركات لجانب من القوات المسلحة٠

ولا تفسير لهذا الموقف الا أن سامى شرف لم يتوقع أن توجه له اية

ضربة من جانب أنور السادات ·· بل ان الضربات التى يمكن أن يوجهها قد تضعف أو تبعد بعض المنافسين له ·· ولذا كانت الثقة المبالغ فيها هى رد الفعل على هذا التدبير الذى وصل الى أذنيه فلم يحرك فيه شيئا ·

ولكن اقالة على صبرى ·· والطريقة التى تمت بها ، كانت بمثابة الصدمة الكهربائية التى أيقظت أفراد هذه المجموعة من خدر الاستكانة الى سلطة الوظيفة وأنبتت بينهم شعورا بالقلق ، غلب على شعور الرضا الذى استقر فى نفوس البعض منهم ·

وبدأت الحركة تخرج الى التفكير فى مواجهة رئيس الجمهورية ·

جاء هذا التفكير متأخرا ·· وعلى أساس من عدم الثقة ·

ودعيت الأمانة العامة لطليعة الاشتراكيين الى اجتماع خاص صباح يوم ١٢ مايو فى مكتب شعراوى جمعة بمقر الحكومة المركزية فى هليوبوليس ، حاولوا احاطته بالسرية بابعاد عرباتهم بعد الحضور ·

ولم تكن اجتماعات الأمانة تتم بطريقة منتظمة ·· تماما كما كانت اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا لا تعقد بصفة منتظمة ·

لم تجتمع الأمانة منذ وفاة عبد الناصر سوى مرتين ·· وكان هذا الاجتماع ثالثهما ·

وكانت النقطة الوحيدة فى جدول أعماله هى مواجهة أنور السادات ·

حضر هذا الاجتماع شعراوى جمعة وسامى شرف ومحمد فايق وحلمى السعيد وأحمد كامل وأحمد شهيب وسعد زايد ومحمود أمين العالم ويوسف غزولى ومحمد عروق ··

وشرح شعراوى جمعة فى بداية الاجتماع حصيلة ما حدث بينه وبين أنور السادات عندما التقى به صباح ٢ مايو عندما حاول تصفية الموقف أو تهدئته ·· ويلاحظ أن ذلك كان بعد عشرة أيام من المقابلة ·

ذكر شعراوى أنه فسر للسادات موقفه فى اللجنة المركزية وعدم اعتراضه على حديث على صبرى ـ كما كان يرجو أنور السادات ـ وذلك حتى لا تحدث فرقعة فى اللجنة تنعكس على الجماهير ·· كما ردد ما قاله للسادات وما ذكرناه سابقا من أن اقالة على صبرى قبل حضور روجرز سوف تعتبر عربونا للزيارة ، واذا تمت بعدها سوف تعتبر ثمنا لها ·· وقال ايضا انه أبلغه بعدم اعتراضه على الاقالة وانما على التوقيت ·

وقال شعراوى انه فوجىء رغم هذا الحديث ، ووعد السادات له بالتفكير ·· بصدور قرار الاقالة فى الخامسة من مساء نفس اليوم ·

كما أبلغ شعراوى المجتمعين برغبة السادات فى اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى حيث يعتبر الموجودين أنصارا لعلى صبرى ٠٠ ووعد شعراوى له بدراسة الموضوع ٠

وصارح شعراوى أعضاء اللجنة بأنه يطرح الموضوع للمناقشة لتحديد خطة التحرك السياسى مبديا اعتراضه على فكرة حل الاتحاد الاشتراكى ، وادانته لسياسة التقرب من أمريكا التى لن تؤدى ـ حسب رأيه ـ الى حل للمشكلة أو سلام عادل ٠

واختلفت المواقف بين آراء أعلنها سعد زايد وأحمد شهيب من ضرورة التخلص من أنور السادات ٠٠ وبين آراء تطالب بالنشاط وسط الجماهير كما طلب محمود العالم ٠٠ أو النزول للعمل السرى كما طلب يوسف غزولى ٠

وانتهى الاجتماع دون تحديد خطة للعمل ، أو الاتفاق على اتخاذ اجراء معين واكتفى بتشكيل لجنة من أحمد شهيب ويوسف غزولى ومحمد عروق لوضع أسلوب الحركة فى الفترة المقبلة ٠

انفض الاجتماع الهام الذى حاولوا احاطته بالسرية ، دون اتخاذ قرارت أو بلورة آراء ٠٠ بعد أن قال شعراوى انه يستبعد أى اجراء ضده يتخذه أنور السادات ٠

كانت هذه هى أول مرة تناقش فيها تصرفات رئيس الجمهورية فى اجتماع تنظيمى على هذا المستوى ٠٠ حيث كانت الأمانة العامة لطليعة الاشتراكيين تعتبر هى القلب المحرك للاتحاد الاشتراكى وأجهزته المختلفة ٠٠ وفيها يجتمع وزير الداخلية ووزير رئاسة الجمهورية ، ووزير الاعلام٠

وكانت اثارة هذا الموضوع بصفة علنية دليلا على أن الكيل قد فاض بهذه المجموعة التى عانت من المواقف الفردية لرئيس الجمهورية ٠٠ ثم تلقت ضربة باقالة على صبرى بعد رفضه كافة محاولات التهدئة ٠

ومحاولة عقد الاجتماع بصورة سرية يظهر أنه كان هناك خطر من وجود عيون لرئيس الجمهورية قد تبلغه بما يدور ٠٠ وهو حذر مشروع ٠

انفض الاجتماع دون توجيه أو قرار ٠٠ وذلك لأن الأمانة لم تكن قد عقدت أى اجتماع منذ شهر مارس ، وبذا لم تكن الأفكار مهيأة لمناقشة هذا الموضوع الخطير أو اتخاذ قرار فورى فيه ٠

ولو كانت الاجتماعات تعقد بصفة دورية منتظمة ، ويتوفر لها جدول أعمال واضح ، وتناقش فيها كافة المواضيع السياسية بحرية كاملة ، ويشعر الأعضاء انهم مشاركون فى بناء تنظيم ديموقراطى لاختلف الوضع

تماما ·· حيث كانت الخلافات سوف توضع على المائدة فى وقتها ، وتتبلور حولها وجهات النظر ، وتخلق وحدة فكرية وارادة تنظيمية واحدة ·

انفض الاجتماع وفى الصدور رغبة مكبوتة فى التخلص من أنـور السادات لا يريد أحد التعبير عنها فى اجتماع تنظيمى لا يضمن الثقـــة الكاملة فى أعضائه ·

يظهر ذلك موقف سامى شرف فى هذا الاجتماع عندما اعترض على أصحاب الرأى المنادى بالتخلص من أنور السادات فورا ·· ويقول أحمد كامل فى التحقيق معه أن سامى اعترض قائلا (اذا كان الكلام حيكون كده بلاش نتكلم بقى) ويعلق بأن سامى لم يكن يقصد معارضة التخلص من السادات ، وانما معارضة الأسلوب الصريح فى الكلام ·

وقال لى أحمد شهيب انه عنـــدما اقترح التخلص من الســـادات واستعداده للذهاب لاعتقاله حيث كان معروفا من ضباط الحرس ، قـــال له شعراوى (أنت تريد أن تتصرف مثل الضباط الأحرار) ··

وهكذا انفض الاجتماع ·· وبدأ شعراوى جمعة يتلمس نبضـــات جديدة للرأى العـــام ·

مساء يوم ١٢ مايو فوجئت به يطلبنى تليفـــونيا لمقابلته فى مكتبه بوزارة الداخلية وكانت علاقتى به ما زالت علاقة الأصدقاء رغم ابعاده لى من الأمانة العامة ، وتدبيره لاسقاطى فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى ، وكثيرا ما كنت أتصل به وأناقش معه موضوعات عامة كثيرة ·

وفى هذه المقابلة سألت شعراوى عن هذا الضجيج الذى يطغى على كل أحاديث المجتمع حول خلافات مع السادات ·· وقال شعراوى انه يبذل جهده لتسوية وتهدئة الأمور ولكن حسين الشافعى يشعلها ·

أذكر أننى قلت لشعراوى جمعة ان أحدا لو أبعد عن السلطة ، فان كرسيا لن يتحرك فى مقهى من مقاهى القاهرة ·· وفاجأنى رده بالقـــول أنه حتى لو حل الاتحاد الاشتراكى فان أحدا لن يتحرك ضد هذا الاجراء ·

وتلقى شعراوى جمعة مكالمة تليفونية أثناء جلوسى معه بأن السادات قد قرر الغاء زيارته الى دمنهور والاسكندرية وهى الزيارة التى كان مقررا أن يفتتح فيها محطة طلمبات فى البحيرة ، ويزور فيها جامعة الاسكندرية ·· والتى دبر له فيها أن يستمع الى أصوات معارضة رتبها بعض أعضاء الأمانة ·

وتحدثت معه بحرص الصديق على سلامته طالبا منه أن يكون على

حذر وإلا يأخذ الأمور ببساطة ·· ولكنه قال ان السادات لا تصله تقارير المباحث العامة وأن كثيرا من الأمور محجوب عنه ·

وخلصت من المقابلة أيضا أن شعراوى يريد أن يتعرف على رأى اليسار فى الموقف بأسلوب غير مباشر ·

وخرجت من المقابلة وقلبى ثقيل واعتقادى أن شيئا ما يختمر بعيدا عن الجماهير والتنظيم ·· هناك فى كواليس السلطة ·

ويؤكد رغبة شعراوى فى التعرف على رأى اليسار دعوته للدكتـــور فؤاد مرسى لمقابلته فى مكتبه بوزارة الداخلية صباح ١٣ مايو ـ أى اليوم التالى مباشرة ومناقشته الموقف معه ، دون دخـــــول فى تفاصيل تكشف احتمالات صراع قريب ·

ويقول الدكتور فؤد مرسى ان شعراوى جمعة كان هادئا ·· لا يتوقع حدوث مفاجأة ··

محاولة الاتصال باليسار تأتى متأخرة ·· وفى اللحظة الأخيرة ·

وكانت القوى اليسارية الشيوعية التى انضوت تحت تنظيم الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى والحزب الشيوعى المصرى ، والتى حلت نفسها عام ١٩٦٥ بعد العرض الذى قدمه عبد الناصر لانضمامها الى طليعـــة الاشتراكيين ، ثم تراجعه عن ذلك كما أوضحت فى الجزء الخامس (خريف عبد الناصر) ·

هذه القوى كانت قد بدأت تتلمس أسلوبا جـــديدا تشق به طريقها الخاص بعد ما كشفته الهـــزيمة فى يونيو ١٩٦٧ ، وما أحـــدثه غياب عبد الناصر بعد ذلك ···

لم يعرف شعراوى جمعة أنه فى ذلك الصباح ، وربما أثناء هـــذه المقابلة كان أنور السادات قد بدأ فى تنفيذ خطته للاطاحة به ·

الباب الثالث

مؤامـرة مايو

(الأسد الميت يرفصه حتى الحمار)

مثل المـانى

الجـولة الأخيرة ...

كانت الأمور تتحرك بسرعة نحو الصدام الحتمى .. افراد المجموعة الناصرية بدأوا التفكير فى طريق للخلاص من أنور السادات دون أن يستقر أمرهم على شىء .. وكان أنور السادات قد بدأ يقتحم الجـــولة الأخيرة ، مطمئنا الى أن اقالته لعلى صبرى لم تحدث شيئا من ردود الفعل الخطيرة أو المقلقة .

كل ما حدث .. كان غضبا من جانب على صبرى .. وعتابا أو شبه عتاب منه لسامى شرف وشعراوى جمعة لأنهما لا يتحركان .. ومحـاولة من جانبهما لتهدئته واعطائهما الفرصة لتدبير أمر ما .. وكتابا صـدر منه يوم ٣ مايو الى عبد المحسن أبو النور بصفته أمينا عاما للاتحـاد الاشتراكى قال فيه بعد عرض موجز لما حدث :

(استخلص من هذا أن كل من يريد أن يبدى رأيه بصـــراحة تستهدف مصلحة الوطن ويتعارض رأيه مع وجهة نظر رئيس الجمهورية يناله العقاب .

لذلك فانى أرى ـ والوضع على ما هو عليه وعلى ما سارت عليه الأمور ـ أن الأمر يســـتوجب أن أتقدم باستقالتى من عضوية اللجنة التنفيذية العليا .. أقدمها الى اللجنة المركزية التى انتخبتنى فى هذا المنصب .

رجاء عرض استقالتى هذه على اللجنة المركزية لتنظر فيها بما تراه ، وانى أرجو أن تعملوا على عقد اللجنة المركزية فورا ، كما أرجو أن توزعوا خطابى هـــذا اليكم على جميع الأعضـــاء .

توقيع : على صبرى عضو اللجنة التنفيذية العليا)

كان على صبرى يريد أن ترفض اللجنة المركزية استقالته وتعطيه ثقتها فيكون فى ذلك حجب غير مباشر عن الثقة فى السادات ٠

لم يجمع عبد المحسن أبو النور اللجنة المركزية ٠٠ ولم يتحمس لذلك بدعوى الأمل فى التهدئة ، بل وعلق على خطاب على صبرى بأنه (كـلام فارغ) وذلك فى الاجتماع الذى دعا اليه أنور السـادات أعضاء اللجنـة التنفيذية العليا لمقابلته فى منزله مستثنيا من الدعوة على صبرى وضـياء الدين داود ، وداعيا معهم سامى شرف رغم أنه لم يكن عضوا باللجنـة العليـا ٠

وفى هذا الاجتماع عرض السادات على اللجنة ما دار من مباحثات مع روجرز ٠٠

وعقب الاجتماع توجه أنور السادات مع الدكتور لبيب شـقير الى مستشفى مجدى لعيادة ابن الدكتور شقير الذى كان قد أجـرى جراحة المصران الأعـور ٠

لم يكن شعراوى جمعة يشعر بالقلق أو الخطر يوم اجتماع أمانة طليعة الاشتراكيين يوم ١٢ مايو ، وكان يستبعد أن يتخذ السادات أى اجـراء ضـده ٠

ولكن الأحداث كانت تتحرك بسرعة ٠٠

استمع الرائد طه زكى المسئول عن مراقبة التليفونات بالمباحث العامة بوزارة الداخلية بعض التسجيلات التى كانت تتم بأمر من وزير الداخلية، واستشعر منها هجوما على رئيس الجمهورية ٠٠ فقرر أن يبلغه ذلك ٠

اتصل طه زكى بالعقيد محمد جاد المولى رئيس قسم الضباط بادارة كاتم الأسرار ٠٠ الذى اتصل بدوره بحسن رشوان سليمان مسئول تجميع معلومات الشرق الأوسط فى المخابرات العامة وذلك يوم ٨ مايو ٠

واتفق الثلاثة على أن يكون وسيلتهم للاتصال بالسادات هو زوج شقيقته الرائد أحمد طه الذى دبر لقاء بين فوزى عبد الحافظ سكرتير رئيس الجمهورية وبينه هو وطه زكى يوم ٩ مايو ٠

وفى يوم ١١ مايو أحضر طه زكى أشرطة التسجيل حيث حملها معهما فوزى عبد الحافظ الى مكتبه فى منزل أنور السادات ، حيث عرضت عليه لسماعها بعد منتصف الليل ، عقب توفير جهاز تسجيل له نفس الذبذبة ، وذلك حسب رواية موسى صبرى فى كتابه (وثائق ثورة مايو) ٠

لم يطق السادات صبرا بعد سماعه التسجيل الذى التقط حديثا تليفونيا بين فريد عبد الكريم المحامى وأمين الاتحاد الاشتراكى بالجيزة ،

ومحمود السعدنى رئيس تحرير صباح الخير ، والصحفى المقرب فى ذلك الوقت لشعراوى جمعة ٠٠ وقرر توجيه ضربة قاضية ٠

كان الحديث يروى تفاصيل ما دار فى اجتمـــاع اللجنة المركزية ، ويتحدث عن محاصرة الاذاعة خلاله ، ويواجه سبابا وألفـاظا ساخرة ضد رئيس الجمهورية ٠

وقرر السادات أن يتخلص من شعراوى جمعة ٠٠ وكان قد اسـتقر رأيه على ذلك عندما بلغه أنه يعارض فكرته فى حل واعادة انتخاب تشكيلات الاتحاد الاشتراكى ٠٠ ولكنه ظل يتحين الفرصة المناسبة ٠

وكان مفروضا حسب حديث له مع سيسكو سجلته المخابرات العامة فى السفارة الأمريكية من حديث بين سيسكو ودونالد برجس ٠٠ كـان مفروضا أن يتخلص أولا من الفريق أول محمد فوزى الذى كان يلح عليه بتحديد موعد المعركة نظرا لاستعداد القوات ، وهو ما لم يكن راغبا فيـه ٠٠ ومحمود رياض وزير الخارجية الذى كان يصرح دائما بأن سياسة الحكومة الأمريكية لا تتغير ، وهو ما لم يكن الســـادات موافقا عليه أو راضيا عنه ٠

قرر أنور السادات الاسراع فى اقالة شعراوى جمعة حتى يتخلص من رجل يمكن أن يسبب له المتاعب لمسئوليته عن وزارة الداخلية ، وعن الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى ٠

وقبل أن يتخذ هذا الاجراء كان قد جذب اليه اللواء محمد الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى حيث قابله فى استراحة القناطر ، وأوقع بينه وبين الآخرين بقوله انهم يرشحونه لمنصب محافظ ، ولكنه يفضـــل الاحتفاظ به قائدا للحرس ٠٠ ثم طلب منه الاستعداد لتنفيذ خطة كان قد أعدها جمال عبد الناصر لحماية القاهرة من أى انقلاب مضاد ٠

وفهم اللواء الليثى ناصف أنه ينوى التخلص من بعض العنـاصر المعوقة دون تحديد للأسماء ٠٠ وأنه سوف يعتمد عليه فى حالة حدوث أى حركة مضادة من جانب هذه العناصر ٠

ولما كان اللواء محمد الليثى ناصف بعيدا عن الحركة الســياسية ، منضبطا فى خدمة السلطة الشرعية ، فقد أعلن موافقته على تنفيذ الأوامر التى تصدر اليه ٠٠ ولكنه أسرع كما ذكرنا بابلاغ سامى شرف الذى كان بمثابة رئيسه المباشر فى حياة عبد الناصر وبعد موته ، وكانت تربطهما الى جانب ذلك عاطفة ود مشتركة ٠

ولم يتحول هذا الخبر عند سامى شرف الى صدمة محركة ٠٠ فقـد

اعتقد فى الغالب أن الضربة لن توجه ضده وانما ضد على صبرى كما حدث فعلا بعد أيام ٠٠٠

لم يستشر أنور السادات أحدا فى اقالة شعراوى جمعة سوى محمد عبد السلام الزيات الذى قال لى أنه عرف بهذا قبل حدوثها بيومين ٠٠ وان السادات كان يرشح لمنصب وزير الداخلية كلا من صلاح مجاهد محافظ دمياط أو ممدوح سالم محافظ الاسكندرية ٠٠ ولكنه رجح الثانى لأن الأول كان يتصل بضياء الدين داود قريب حسن طلعت مدير المباحث العامة ٠

أرسل أنور السادات يستدعى ممدوح سالم صباح الخميس ١٣ مايو ليعينه وزيرا للداخلية ٠٠ ولم يغب الخبر عن سامى شرف ٠٠ وكثرت التوقعات الى أن طلبه السادات وابلغه بقرار اقالة شعراوى جمعة وتعيين ممدوح سالم ٠٠ وكان قد حلف اليمين القانونية فعلا بعد أن ذهب عضو مجلس الأمة محمود أبو وافية عديل أنور السادات الى الدكتور محمود فوزى وأحضره من منزله بالهرم ليحضر حلف اليمين ٠

وكان محمود أبو وافية أحد أعضاء مجلس الأمة النشطين الذين تجمعوا خلال الفترة السابقة حول أنور السادات فى مواجهة المجموعة المسيطرة فعلا على مجلس الأمة ، واجهزة الدولة الرسمية ٠

واعتمد أنور السادات عليهم فى خلق رأى عام حوله سواء فى مجلس الأمة أو اللجنة المركزية او خارج هذه الهيئات والمؤسسات ٠٠ وخاصة بعد اجتماع ٢٥ ابريل ٠

رغم كل شىء ٠٠ فوجىء سامى شرف بابلاغ السادات له بخبر اقالة شعراوى جمعة وطلب منه أن يبلغ شعراوى وأن ينشر الخبر على أنه استقالة حفظا لماء الوجه ٠

انهار سامى شرف وغلبه البكاء ٠٠ فقد اكتشف أن أقرب العناصر اليه والذى كان يعتمد عليه الى حد كبير فى السيطرة على أجهزة الأمن والدولة قد اقيل ٠٠

وشعر السادات أنه فى سبيل الانتصار النهائى ٠٠ فطلب من سامى شرف أن يتماسك ويقوم باجازة لراحة أعصابه ٠

وذهب سامى شرف الى مكتب الفريق أول محمد فوزى حيث كان شعراوى جمعة قد ذهب أيضا بعد سماعه خبر استدعاء ممدوح سالم للقاهرة ، واستدعاء سامى لمقابلة السادات ٠

وعندما أبلغهم سامى خبر الاقالة ، فوجىء شعراوى جمعة ــ حسب قوله ــ باقتراح سامى شرف بأن يقوم الجميع بتقديم استقالاتهم احتجاجا

على الاقالة ·· وانه اما ان يتم التعاون بينهم كمجموعة واما ان ينصرفوا الى منازلهم كمجموعة ايضا ·

انتشر الخبر وتوالى حضور عبد المحسن ابو النور وسعد زايد الى مكتب الفريق أول محمد فوزى ·· وقرر الجميع تقديم استقالاتهم في تسرع ملحـــوظ ·

وكان سامى شرف قد اتصل بالسادات وابلغه ان شعراوى يقول انه تحت أمر الرئيس وأنه سوف يلزم داره فى هدوء ·

فكرة الاستقالة الجماعية نبتت بطريقة شيطانية فى ذهن سـامى شرف وأوحى بها للآخرين ، فنفذوها فى انقياد غريب دون تفكير ، اذ يبدو أن هول المفاجأة (المحتملة) قد شل فيهم التفكير ، خاصة وانهم حتى هذه اللحظة لم يكونوا قد نسقوا أو اتفقوا على أى عمل للمقاومة أو لحماية أنفســـهم ·

ولم تكن فكرة الاستقالة بعيدة عن ذهن البعض منهم ·· فكر فى ذلك ضياء الدين داود عندما دعيت اللجنة التنفيذية العليا للاجتماع بالسادات دون اخطاره ·· وفكر فيها الفريق أول محمد فوزى عندما شعر بحرج موقفه نتيجة عدم توقيع السادات لأمر المعركة ·

وفى حديث مسجل قال على صبرى لمحمد فايق عندما أبلغه برغبـة ضياء الدين داود فى الاستقالة (وبعـــدين أنا يعنى مش عايز استقالة جماعية ، دى تبسطه قوى على الأقل مؤقتا تؤدى له هدفه) ·

وكان ممدوح سالم قد توجه الى وزارة الداخلية حيث وجد أبوابها مفتوحة له بلا معارضة ·· وقوات الحرس الجمهورى فى حالة طوارىء تؤدى دورها المرسوم لمساندة رئيس الجمهورية ·

وكان اعلان نبأ استقالة شعراوى جمعة فى نشرة الساعة الثـــامنة والنصف مفاجأة حتى لبعض المسئولين ·

أذكر أنه اجتمع فى منزلى فور سماع هذا النبأ وعلى غير موعد كل من محمد سليمان سفير السودان فى القاهرة ، والمرحوم أمين الشبلى سفير السودان فى الجامعة العـــربية وأحمد فؤاد وكانت تربطنا صداقة طيبـة وعلاقة وثيقـــة ·

وخلال جلستنا معا ومحاولتنا عبثا الاتصال بشعراوى جمعة أو غيره من المسئولين فوجئنا تماما فى نشرة الحادية عشرة مساء بنبأ اســتقالة عبد المحسن أبو النور وضياء الدين داود ودكتور لبيب شقير من عضـوية اللجنة التنفيذية العليا وكل من الوزراء الفريق أول محمد فوزى وزير

الحربية ، ومحمد فايق وزير الاعلام وسعد زايد وزير الاسكان ، وسامى شرف وزير الدولة ، وحلمى السعيد وزير الكهرباء وعلى زين العابدين وزير المواصلات ٠

كل هؤلاء كتبوا استقالاتهم ، وحمل أشرف مروان هذه الاستقالات الى انور السادات حيث قابله قبيل الحادية عشرة مساء أى قبل اذاعة الخبر بعـدة دقائق ٠

كان محمد عروق مدير صوت العرب قد غير البرنامج وأخذ يذيع اغانى واناشيد وطنية قبل اعلان الاستقالات وبعدها ٠

كان آخر الذين غادروا مكاتبهم من الوزراء المستقيلين محمد فايق وزير الاعلام بعد أن اطمأن الى اذاعة النبأ ٠

وكلف انور السادات محمد عبد السلام الزيات فى العمـل وزيرا للاعلام بالنيابة فى مواجهة موقف صعب لا يعرف فيه المؤيد من المعارض، وفى موقع ليست له به خبرة ٠٠ وفى ظروف عمل تحتمل كل الأخطار ٠٠ ولكنه ادى دوره بمقدرة أعادت للاذاعة طبيعتها ٠

رفض بعض الوزراء تقديم استقالاتهم مثل عبد اللطيف بلطية وزير العمل وحافظ بدوى وزير الشئون الاجتماعية ٠٠ وكذلك رفض احمـد كامل مدير المخابرات العامة ، الذى فكر فى النزول الى مكتبه ، ولكنه تلقى مكالمة من اللواء أحمد اسماعيل رئيس الأركان السابق الذى أحيـل الى المعاش فى عهـد جمـال عبد الناصر عقب هجـوم الاسرائيليين على شدوان ، تلقى منه مكالمة تليفونية يبلغه فيها أنه عين مديرا للمخـابرات العامة بدلا منه ، وأنه يتحدث اليه من مكتبه ٠ وكان قد دخـل فى حماية قوات من الحرس الجمهورى ٠

ذهب أحمد كامل الى ادارة المخابرات لتهنئة أحمد اسماعيل وجمع أوراقه الخاصة فى مساء نفس اليوم ٠

كانت استقالة هذه المجموعة بلا مقدمات صدمة للمتعاونين معهم، وللمقتنعين بافكارهم ومبادئهم ٠٠ تمـاما مثلما كانت استقالة مجلس قيادة الثورة فى أزمة مارس ١٩٥٤ صدمة لضباط الصف الثانى الـذين تكتلوا وحاصروا سلاح الفرسان واجبروا أعضاء المجلس على البقـاء فى مواقعهـم ٠

ولكن الموقف فى هذه المرة يختلف ، لأن رجال الصف الثانى لـم يكونوا من ضباط القوات المسلحة ولا يقبضون على السلاح ٠٠ وانمـا كانوا منتمين الى تنظيم طليعة الاشتراكيين ٠

ولذا فكروا فى أن ينزلوا الى الجماهير فى محاولة لتحريضها على المقاومة والتظاهر ضد هذه القرارات ٠٠ ولكن قدرتهم على ذلك

كانت محدودة ، وموقفهم كان مثل رجل يحمل السلاح ثم يسلمه لعدوه ويبدأ بعد ذلك فى مقاومته كانت الشرطة والقوات المسلحة قد انتقلت الى قيادات جديدة أتيحت لها فرصة لبناء مستقبلها الخاص ، اذ لا تربطها بالمستقيلين الا روابط العمل الباردة ٠

كانت ظاهرة تقديم الاستقالات ثم محاولة المقاومة ، ظاهرة غريبة وشاذة تدل على الاضطراب وعدم الاستقرار ٠

وتصادف أن كان اليوم التالى لاقالة شـــعراوى جمعة واستقالة الآخرين هو يوم الجمعة ١٤ مايو وفى أيام العطلة تخـــلو المصانع من العمال والموظفين ولا يحتشد الناس الا فى الجوامع حيث قامت فعـلا عدة مظاهرات محدودة بدفع من المسئولين فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ٠٠٠ ولكنها بدت غريبة على الجماهير التى لم تكن متفاعلة اطلاقا مع ما يدور فى كواليس السلطة من صراع ٠

لم تدرك الجماهر أن هناك تحولا يمكن أن يحدث فى مسار الثورة مرتبطا بابعاد عدد من الأشخاص ، واثبت الاتحاد الاشتراكى انه عاجز عن قيادة الجماهير وتحركها ، فبدت المظاهرات وكأنها فقاعات هواء تطفو على سطح فنجان ثم تتبدد ٠

ويقول شعراوى جمعة انه منذ اقالته لم يطلب من أحد أن يتحـرك للمقاومة بعد أن ضاعت الفرصـة ، وأنه كان فى سـبيله للسـفر الى الاسكندرية ٠

ولكن أنور السادات وقد قدم خصومه أسلحتهم له ، لم يتردد فى مواصلة التقدم للتخلص منهم نهائيا ودفعة واحدة ٠٠ فأصدر أمرا بتحديد اقامتهم يوم الجمعة ٠٠ والقى بيانا على الناس من شاشة التليفزيون فسر لهم فيه الموقف من وجهة نظره منذ حدث الخلاف حول مشروع الاتحاد الثلاثى الى اللحظة التى أصدر فيها أمرا بتحديد اقامتهم والتحفظ على بعض أعضاء مجلس الأمة قبل رفع الحصانة البرلمانية عنهم كما يقضى الدســتور بذلك ٠

وتحركت مجموعة النواب المرتبطة بالسادات ، ونشطت بين الأعضاء ٠٠ ولعب محمد عبد الســلام الزيات ومصـــطفى كامل مراد ومحمود أبو وافية وغيرهم دورا هاما فى تأليب النواب على رئيس المجلس ووكيليه ٠

وعقدت جلسة استثنائية للمجلس يوم ١٥ مايو تقرر فيها فصـــل الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة ، ووكيلى المجلس كمال الحنـاوى وعلى السيد على وكل من النواب ضياء الدين داود ومحمد فايق ، وصبرى عبدى ، واحمد شهيب ، وعبـــد الهادى ناصف ، وعـــلام عبد العظيم ،

وعبد العاطى نافع ، وجابر عبد العزيز ، ونبيل نجم ، ومحمد البـديوى فؤاد ، واحمد كمال الحديدى ، وحمدى حراز ، واحمد ابراهيم موسى ، محمد عبد المنعم ، ومتولى النمروسى ٠

لم يكن النصاب قانونيا في جلسة مجلس الامة اذ لم يتجاوز عـدد الحاضرين ٥٢ عضوا من ٣٦٠ وفصل العضو يحتاج الى اغلبية الثلثين ٠

وانتخب الأعضاء حافظ بدوى وزير الشـئون الاجتمـاعية رئيسا للمجلس ، ومعه مصطفى كامل مراد وكيلا للمجلس ٠٠ وأعلن عن خـلو دوائر المفصـولين ٠

وبادر البعض من الذين كانوا محسوبين على هذه المجموعة الى اعلان الولاء للسادات ، مثل احمد الخواجة نقيب المحامين الذى طلب مقابلة السادات لتاييده فى موقفه ضد الآخرين ٠٠ فتحدد له موعد بعد بيـان التليفزيون فى التاسـعة مساء ٠٠ بينما يعتبر الخـواجة ابنا شرعيا لهذه المجمـوعة ٠

شجع ذلك السادات على اتخاذ خطوات اخرى ٠

خرجت فى القاهرة مظاهرات عمالية ، لعب الدكتور عزيز صـدقى وزير الصناعة دورا بارزا فى اخراجها ٠٠ وارتفعت هتافات للسادات لأول مرة فى انحاء العاصمة ٠

اتخذ السادات خطوات سريعة متلاحقة بعد قرار تحـديد اقامة المستقيلين وغيرهم ٠٠ اعاد تشكيل الحكومة فى نفس اليوم أيضا برئاسة الدكتور محمود فوزى ٠٠ ودخلها فى مكان المستقيلين عبد القادر حـاتم نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاعلام بدلا من محمد فايق ٠٠ وممدوح سالم بدل من شعراوى جمعة ٠٠ والفريق محمد أحمد صادق بدلا من الفريق أول محمد فوزى وزيرا للحربية ٠٠ والمهندس احمد سلطان محافظ المنوفية وزيرا للكهرباء بدلا من حلمى السعيد ، والمهندس على السـيد وزيرا للاسكان بدلا من سعد زايد ، والمهندس سليمان عبد الحى بدلا من المهندس على زين العابدين ٠

وتم استبدال عدد آخـر من الوزراء الذين لم يستقيلوا ، ولكنهم مرتبطين بالمستقيلين بعلاقات وثيقة ٠

وكانت المفاجأة هى تعيين الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله نائبا لوزير التخطيط وكان وقتها مديرا لمعهد التخطيط ، وفى رحلة بالخـارج

فى الاتحاد السوفيتى ٠٠ فقد كانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ ثـورة يوليو التى يدخل فيها ماركسى وعضو قيادى فى تنظيم شيوعى سابق الى مجلس الوزراء ٠٠ وهى خطوة لم تحدث في عهد جمال عبد الناصر الذى تعاون مع عدد كبير من الماركسيين والشيوعيين ، ولكن ليس في مثل هذه المناصب السياسية البارزة ٠

وصدر بعد أيام أيضا قرار بتعيين الدكتور فؤاد مرسي عضوا فى الأمانة العامة المؤقتة التى شكلت برئاسة الدكتور عزيز صدقي ٠٠ ويقول الدكتور فؤاد ان الذى اتصل به كان محمد حسنين هيكل ٠

وكان محمد عبد السلام الزيات الذى عين وزيرا للدولة متأثرا بعلاقته الخاصة مع صهره الدكتور محمد الخفيف الماركسى والشيوعى السابق ٠٠ فكان حريصا على اتخاذ النهج الاشتراكى مثل شقيقته الدكتورة لطيفـــة الزيات التى كانت عضوا نشطا فى حركة الطالبات الجامعيات عام ١٩٤٦٠

اراد أنور السادات بذلك أن يجنب اليسار الماركسى من الدخـــول معه فى هذه المعركة التى أراد أن تكون مقصـــــورة على ضرب العناصر المناوئة له فى جهاز الحكم والتى اصطلح على تســـميتها باسم (مراكز القـــوى) ٠

عاد الهدوء الى مصر ٠٠

هكذا قال أنور السادات أيضا للذين هرعوا الى القاهرة للاستفسار عن الموقف جعفر نميرى واللواء خالد عبـــــاس قائد القوات المسلحة السودانية ٠٠ ونائب رئيس الجمهورية السورية ومعه نائب رئيس الوزراء أيضا ٠٠ واثنان من نواب رئيس وزراء ليبيا ومعهما وزير الارشاد ٠

تغيرت الوجوه فى مواقع المسئولية ومراكز السلطة ٠ ٠

وبقى كل شيء هادئا فى مصر ٠٠

نقل الوزراء المستقيلون ومعهم على صبرى الى السجون ٠٠

وبدات تتشكل خيوط المؤامرة وتظهر فكرة المحاكمة ٠٠

ولا شك ان استقالة وزير الحربية مع المستقيلين قد اضفت على العملية

نوعا من الرهبة ·· لأنها أدخلت القوات المسلحة فى هذه العملية غير المحسـوبة ·

ويمكن القول بأن أنور السادات قد خرج منتصرا فى هذه الجـولة الأخيرة انتصارا يفوق كل التوقعات ·· وأن خطته التى دبرها للاطاحة بخصومه قد نجحت نجاحا كاملا ·

ولكنه لم يتوقف عند هذه الاجراءات الادارية وحدها ·· كان يريد تصفية فكرية أيضا ··

الفصل التاسع

المحاكمـة

بعد أن اطمأن أنور السادات الى أن معظم العناصر التى استهدفها قد أصبحت خلف القضبان ، وأن ممدوح سالم قد أصبح فى مكتب وزيـر الداخلية ، والفريق محمد أحمد صادق وزيرا للحربية ، واللواء أحمـــد اسماعيل الذى كان رئيسا سابقا لأركان حرب القوات قد أصبح مديرا للمخابرات العامة ، ومحمد عبد القادر حاتم وزيرا للاعلام ، وظهر عندئذ على شاشة التليفزيون مساء ١٤ مايو يخاطب الجماهير من قصر القبة ٠٠ وكان يجلس معه فى نفس الغرفة بعيدا عن عدسة التليفزيون كل من حسين الشافعى ومحمد حسنين هيكل ٠

وهذا يظهر أن لقاء جديدا بين الأشخاص بدأ يتم على أساس المصالح المشتركة ٠٠ فحسين الشـــــافعى الذى اعترض فى البداية على ترشيح السادات وجد أنه أقرب اليه من المجموعة الأخرى ٠٠ وكذلك محمد حسنين هيـكل ٠

ولعل حسين الشافعى كان سببا من الأسباب غير المباشرة لسرعة تعيين جمال عبد الناصر لأنور السادات كنائب لرئيس الجمهورية ٠٠ ذلك أن حسين الشافعى كان قد طلب من سامى شرف أن يبلغ جمال عبد الناصر ان حسين يطالب بتعيينه فى المنصب الخالى كنائب لرئيس الجمهورية ثقة منه فى نفسه ، واعتبارا منه بأنه أحق بالمنصب من أنور السادات ٠٠ وهنا ابلغه سامى شرف أن هذا أمر لا يســـتطيع أن يتوسط فيــه وأن حســين الشافعى يجب أن يتصل بعبد الناصر شخصيا ٠

ورغم ذلك ولأن سامى شرف لم يكن يخفى شيئا عن عبد الناصر فانه لما بلغه رجاء حسين الشافعى كان له رد فعل معاكس أدى الى سرعة تعيينه لأنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية وتم ذلك صباح سفره الى الرباط ودون وجود مصور أو أى اجراءات رسمية وفى حضـــور حسين الشافعى الذى فوجىء بذلك كما ذكرنا سابقا ٠

قدم أنور السادات خطبة طويلة فى صورة حديث مفتوح استمر اكثر من ساعتين شرح فيه للمستمعين قصة الخلاف من وجهة نظره ، منذ بدأت فكرة الاتحاد الى أن وضع المعتقلين خلف القضبان ٠

ما زال الاتحاد الاشتراكى ـ على حسب تعبير أنور السادات فى خطبة ١٤ مايو ـ هو (الصيغة اللى يجب أن نتمسك بها جميعا هى تحالف قوى الشعب ، لا الأحزاب تصلح لنا ، ولا طريقة الحزب الواحد تصلح لنـــا) ٠

ومع ذلك فهو يعلن عن ضرورة اعادة الانتخـــابات فى الاتحـــاد الاشتراكى ٠٠ وينقد أسلوبها القديم غامزا بقوله (بصراحة مش بالأسلوب اللى تم الدور اللى فات لا وانتو فاهمين) ٠٠ ثم يغازل جماهير الشعب يوم ٩ و ١٠ يونيو قائلا (أنا عايز انتخاب حر ، أنا عايز جماهير ٩ و١٠ التى خرجت ٩ و ١٠ يونيو قائلا (أنا عايز انتخاب حر ، أنا عايز جماهير ٩ و ١٠ يونيو اللى طلعت وماحدش طلعها) ٠٠ ويؤكد (لن أرحم أحـد يحاول يزور فيها أبدا) ٠

وهو يصور ما حـــدث بأنه مؤامرة على الجبهـــة الداخلية ، وهنا استخدم تعبيرا جديدا لم يستخدم من قبل فى الحياة السياسية المصرية سواء قبل أو بعد ثورة يوليو اذ قال :

أنا قلت لأولادى فى انشاص ـ يقصد الضباط ـ ان اللى حيحاول يعمل شىء فى الجبهة وراكم حافرمه ٠٠ اللى حيحاول يعمل شىء فى الجبهة الداخلية ووحدتنا الوطنية اللى صنعها شعب ٩ و ١٠ يونيـــو مش حفرط فيها ، وحافرم كل انسان ـ اذا اقتضى الأمر ـ يتعرض لها) ٠

كلمة (الفرم) كانت جديدة ٠٠ وكانت فى ذلك الوقت مجالا للتندر، ودليلا على النية فى استخدام الشدة عند الحاجة ٠

وتابع أنور السادات أسلوبه الذى تميز به بعد ترشيح مجلس الشعب له لمنصب رئيس الجمهورية من مقابلة مندوبى الطوائف والهيئات والظهور معهم على شاشة التليفزيون ٠٠ فقد استقبل يوم ١٤ مايو وفدا من رجال القضاء ، ووفدا من المحامين ، ويوم ١٦ مايو وفدا من علماء الأزهر ، ويوم ١٧ مايو وفدا من ضباط الشرطة الى أن وقف على منبر مجلس الشعب يوم ٢٠ مايو ١٩٧١ ٠٠ حيث أعلن عن نيته بتكليف مجلس الشعب وضع دستور جديد دائم لمصر ٠٠ وكان جمال عبد الناصر يؤجل ذلك الى ما بعد ازالة آثار العدوان ٠

وفى هذا الخطاب ترددت كلمة (العيب) لأول مرة عندما تحدث عن بعض ما حوته الأشرطة من أحاديث خاصة تسجل فضائح شخصية ٠٠ وتحدث أيضا عن واقعة سرقة خزانة جمال عبد الناصر التى أبلغتها اليه

فدى عبد الناصر ٠٠ واشار الى طموحه فى أن تكون مصر مثل مجتمع القــرية ٠

ووقع فى هذا الخطاب شىء مثير اذ قال انور السادات فجأة وهــو يكلف مجلس الأمة بوضع دستور جديد هذه الكلمات :

(ومن هنا يجب أن تتأكد سلطة مجلس الشعب ـ اللى هوه مجلس ـ ما هو اتغير اسمكوا ٠٠ بقى اسمه مجلس الشعب) ٠

هكذا فجأة وبلا مقــدمات تحول اســم مجلس الأمة الى مجلس الشـعب ٠

خلال هذه الخطب المتكررة السريعة تبين أن أسلوب أنور السادات قد بدأ يفرض نفسه ٠٠ وأن جمال عبد الناصر لم يعد يحكم بعد أن ضـمه القبر ، وسجن بعض العاملين معه ممن ارتبطوا به فى حياته ، واعتمدوا على اسمه بعد مماته ٠

وانعكس ذلك على الاعلانات التى غطت صفحات الصحف فى اليوم التالى وبدأت تنشر اسم أنور السادات وحده بالبنط العريض ، وقليلة هى الاعلانات التى اشارت الى جمال عبد الناصر ٠

أسلوب أنور السادات بدأ يتضح تماما ٠٠ اذ أن هدم البناء التنظيمى للاتحاد الاشتراكى واعادة الانتخابات فيه من القاعدة الى القمة دون استفتاء قانونى هو أمر يتعارض تماما مع نص المادة ٢٩ من الدستور ٠٠ والتهديد (بالفرم واستخدام منتهى القسوة) أعاد الى الأذهان فترات مرت بالثورة كانت المعتقلات فيها هى أسلوب التعامل مع الأعداء السياسيين من الوفديين الى الشيوعيين والاخوان المسلمين ٠٠ وبدأت مطاردة أعضـاء (الجهاز السياسى) فى الاتحاد الاشتراكى (طليعة الاشتراكيين) باعتبارهم أعضاء فى (جهاز سرى) ٠ وليسوا أعضاء فى جهاز نص عليه الميثاق ٠

ثم هذه القرارات المفاجئة التى تحدث صدمة غير متوقعة مثل ضرورة وضع (دستور دائم) ثم تغيير اسم مجلس الأمة ليصبح مجلس الشعب، واصدار قرار بأن يتحول الى لجنة مركزية (مؤقتة) للاتحاد الاشــتراكى بعد صدور قرار حله تمهيدا لاعادة انتخابه ٠

كل هذه القرارات أشعرت الناس أن أنور السادات أصبح هو الذى يحكم ٠٠ وليس اسم جمال عبد الناصر ٠

وخلال هــــذه الفترة كانت التحقيقات قد بدأت تتم مع المعتقلين ، بوساطة النيابة العامة وكان منصب النائب العام هو أحد المناصب الهامة التى لحقها التغيير فقد صدر قرار يوم ١٤ مايو بتعيين محمد ماهر حسن

نائبا عاما بدلا من على نور الدين ·· وكان ذلك ضمن قائمة تعيينـــات جديدة شملت أشرف مروان ليكون سكرتيرا للرئيس لشئون المعلومات بدلا من سامى شرف ، ومحمد دكرورى عين أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى بالنيابة بدلا من عبد المحسن أبو النــور ، ويحيى عبد القادر الذى تولى منصب رئيس هيئة الاســـتعلامات بدلا من منير حافظ وذلك الى جانب رئاسته لاتحاد الاذاعة والتليفزيون ، والفريق سعد الشاذلى رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة ·

وبدأت النيابة العامة تحقيقاتها ونشرت الصحف يوم أول يونيو أن النائب العام محمد ماهر حسن سوف يلقى بيانا عن (المؤامرة) أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى أثناء انعقاده فى ٢٣ يوليو ·· ولكن ذلك لــم يحـــدث أبدا !

لم يجد النائب العام محمد ماهر حسن فيما قـــدم له من اتهامات ما يشكل جريمة يعاقب عليها القانون ·· فاستقالة الوزير ليست محرمة قانونا ، والمعلومات التى حقق فيها لا توفر اطارا صالحا للمؤامرة ·

وعندما صارح النائب العام محمد ماهر حسن الرئيس الســادات بوجهة نظره تطوع الدكتور مصطفى أبو زيد عضو اللجنة المركزية والأستاذ بكلية حقوق الاسكندرية بوجهة نظر تفيد بأنه يرى فيما تم ، جريمة خيانة عظمى ·

وهنا استأذن السادات من النائب العام أن ينقل التحقيق الى الدكتور مصطفى أبو زيد وصدر قرار بتاريخ ٦ يونيو ١٩٧١ بتعيين الدكتور مصطفى أبو زيد فهمى الأستاذ بجامعة الاسكندرية الذى وقف مع أنــور السادات فى اجتماع اللجنة المركزية فى ابريل ١٩٧١ ·· فى منصب جديد أنشىء لأول مرة هو منصب المدعى العام الاشتراكى والذى تحدد اختصاصه فى أنه (سيتولى مهمة الادعاء فى قضايا سلامة الشعب وقضــايا افساد الحياة السياسية أو تعريض الوحدة الوطنية للخطر ، كما يتولى الادعاء فى قضايا الحراسة) ·

أول قرار أصدره المدعى الاشتراكى العام كان التحفظ على أمــوال وممتلكات على صبرى وسامى شرف وأمين هويدى والفريق محمد فوزى ، ومحمد فايق ، وعبد المحسن أبو النور ، ومحمد سعيد ·· ثم شعراوى جمعة وضياء الدين داود وفريد عبد الكريم ومحمود السعدنى وحرمه ·

وتمسكا بمنصب النائب العام نشرت الصحف يوم ٢٥ يونيو خبرا يقول بانه سيعلن نتائج التحقيق أمام مجلس الشعب ·· ولكن ذلك لم يحدث

أيضا ، فالتحقيقات كانت قد نقلت من مكتبه فعلا ، وأصبح المدعى الاشتراكى هو المسئول عن هذه القضية ·

وأخيرا اضطرت الصحف الى اعلان هذه الحقيقة عندما نشرت بتاريخ ١١ يوليو ١٩٧١ أن النائب العام قد أحال جميع أوراق التحقيقات الى المدعى العام الاشتراكى لاعداد تقريره عنها فيما يتعلق بحوادث الافساد السياسى ، وعقد د· مصطفى أبو زيد فهمى مؤتمرا صحفيا يوم ٣١ يوليو سلطت فيه عليه عدسات التليفزيون وهو يوجه الاتهامات للمعتقلين ·

وتقرر أن تقدم القضية الى محكمة خاصة اسمها (محكمة الثورة) أعلن تشكيلها يوم ٢٢ يوليو ١٩٧١ · برئاسة حافظ بدوى الذى كان وزيرا للشئون الاجتماعية ثم أصبح رئيسا لمجلس الأمة (الشعب بعد ذلك) عقب ابعاد الدكتور لبيب شقير من رئاسة المجلس واعتقاله ضمن المعتقلين ، وعضوية بدوى حمودة رئيس المحكمة العليا ، والضابط السابق حسن التهامى الذى عينه جمال عبد الناصر سكرتيرا لرئاسة الجمهورية ثم أصبح بعد وفاته مستشارا برئاسة الجمهورية ·

تشكيل المحكمة الخاصة كان يبدو غريبا على جو ثورة يوليو فقد انتهت فترة الانتقال التى اتسمت بتشكيل عدة محاكم خاصة حملت أسماء مختلفة مثل محكمة الغدر لمحاكمة بعض المنحرفين ، ومحكمة الثورة لمحاكمة المعتقلين من رجال الاحزاب السابقين ، ومحكمة الشعب لمحاكمة الاخوان المسلمين ·

اختار أنور السادات أن يطلق على المحكمة اسم (محكمة الثورة) ·

كان يبدو عهد المحاكم الخاصة قد انتهى الى أن أعيد تشكيل هذه المحكمة التى اختلف تشكيلها عن سائر المحاكم السابقة التى كان أعضاؤها دائما من العسكريين أعضاء مجلس قيادة الثورة ·

أما هذه المحكمة فقد شملت عسكريا وحدا كان من الضباط الأحرار هو حسن التهامى الذى اشترك قبل الثورة مع جمال عبد الناصر وحسن ابراهيم وكمال الدين رفعت فى محاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود يوم ٨ يناير ١٩٥٢ ، ثم بعدت صلة حسن تهامى عن مركز الثورة ، وعين سفيرا فى النمسا ، حيث بدت عليه اهتمامات غيبية كانت موضع ملاحظة الذين يتصلون به ، الى أن أعاده عبد الناصر لغير سبب معروف الى منصب سكرتير رئاسة الجمهورية ، وكانت له قبل ذلك صلة سابقة بأنور السادات حيث عمل الاثنان معا فى المؤتمر الاسلامى خلال فترة الخمسينيات قبل انتخاب أنور السادات وكيلا ثم رئيسا لمجلس الأمة ·

اما حافظ بدوى رئيس المحكمة فقد كان امينا للاتحاد الاشتراكى فى محافظة كفر الشيخ ثم وزيرا للشئون الاجتماعية ، واشتهر عنه اسم حافظ (الميثاق) لأنه كان يحفظه تقريبا عن ظهر قلب ·· وكان في موقعه كوزير مطواعا للمسئولين سواء فى الوزارة أو فى الاتحاد الاشتراكى ·

عضو اليمين بدوى حموده كان رئيسا لمجلس الدولة ثم وزيرا للعدل ·· ثم رئيسا للمحكمة الدستورية العليا ·

هكذا بدات المحاكمة بعد اعتقالات مفاجئة لعدد من كبار المسئولين ، اضطر بعضهم الى خلع ملابسهم كاملة والوقوف عرايا فور دخولهم الى زنازين معتقل القلعة من أجل التفتيش ·· وهو امر لم يحدث من قبل مع المعتقلين من أبناء ثورة يوليو ·

صحيح أنه كانت هناك تجاوزات قاسية وعمليات تعذيب ارتكبت ضد المعتقلين من الشيوعيين والاخوان المسلمين ، ولكن وقفت حدود ذلك عند رجال ثورة يوليو ·· ولذا كانت صدمة نفسية شديدة لهم ان يضطروا الى خلع ملابسهم كاملة لمدة لحظات ·· وكانت معاناة نفسية لهم ايضا أن تدور الأيام ، ويدخل بعضهم الى معتقلات وسجون سبق أن أشرفوا عليها ، بل واعدوها ضد خصومهم ·· الى الحد الذى قال لى فيه واحد منهم بأنه لو عرف أن الأيام ستدور به وتدفعه الى هذه الزنزانات المظلمة لهدمها وأقام بدلا منها سجونا صحية تليق بكرامة الانسان ·

وخلال فترة التحقيق مع المعتقلين داخل السجون كانت تغييرات متلاحقة تحدث فى المجتمع ·· فى مجالات العمل السياسى والحكومى والمهنى ·

توالت التغييرات الى حد ملفت للنظر ·· فبعد أن تقرر اعادة الانتخابات فى الاتحاد الاشتراكى كما سبق أن ذكرنا ، وتشكلت له أمانة عامة مؤقتة برئاسة الدكتور عزيز صدقى وعضوية الدكتور حافظ غانم ومحمد عبد السلام الزيات ودكتور محمد فتح الله الخطيب ومحمد دكرورى ودكتور فؤاد مرسى وصلاح غريب ومحمد عبد الحكيم موسى ودكتور احمد كمال أبو المجد الذى استدعى من منصبه كمستشار ثقافى فى سفارة مصر بواشنطن ·

تحدد أول يوليو موعد لبدء انتخابات الاتحاد الاشتراكى ·

وتقرر اجراء الانتخابات فى جميع النقابات المهنية ·· كانت الرغبة شديدة فى تغيير الشخصيات التى تعاملت مع رجال الحكم السابقين ، أو التى انتخبت فى عهدهم ·

وبدأت الانتخابات فى نقابة الصحفيين يوم ١١ يونيو ١٩٧١ حيث فاز على حمدى الجمال (٤٧٥ صوتا) على (موسى صبرى ٢٩١ صوتا) · وتحدد جدول زمنى لبقية النقابات ·· يوم ٢٠ يوليو للمهن العلمية ، ونقابة المحاسبين ، يوم ٢١ للصيادلة والبيطريين ، يوم ٢٢ للاطباء ، يوم ٢٤ للمهندسين ، يوم ٢٥ للزراعيين ، يوم ٢٦ للمحامين ، يوم ٢٨ للمعلمين ·

لا يقف التغيير عند حدود النقابات المهنية فى هذا الجدول الزمنى السريع ولكنه يتجاوزها أيضا الى الأندية والاتحادات الرياضية !!

وتصل الرغبة فى التغيير الى النقابات العمالية التى تحدد لها يوم ٢٠ يوليو ثم مجالس ادارة الشركات التى تمت بعد ٢٣ يوليو ·

ورغم هذه الموجة المجنونة من اعادة الانتخابات الا أنه عندما وصل الأمر الى انتخابات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى تأجل ذلك الى أجل غير مسمى ·· والتبرير هو (حتى تتاح لأعضاء اللجنة المركزية أن يتعارفوا) ·· وكان جميع المستويات التنظيمية قد تم تعارف أعضائها قبل الانتخابات ·

أصبح الاتحاد الاشتراكى هرما بغير قمة تنظيمية ·· وأصبح أنور السادات بذلك مخولا ـ وحده سلطة اللجنة التنفيذية ·

يبدو أن تجربته السابقة مع اللجنة التنفيذية العليا هى التى ألحت عليه فى عدم انتخابات مستوى تنظيمى يكون فى مستوى الند وله حق مناقشة السياسة العامة للدولة خارجيا وداخليا ·

كان انطلاق السادات فى هذا السبيل ناتجا من عدم ارتفاع أصوات معارضيه له فى البداية تحت تاثير ما كان ينادى به من ديموقراطية وحرية ، من جهة ·· وهو حلم أسعد البعض أن يعيش فيه ·· وما كان يسلطه على الآخرين من فزع بتهديده بالفرم وتشكيل محكمة الثورة ، وهو شبح بعث الخشية فى النفوس ·

واهتمت صحف الغرب منذ اللحظة الأولى بخطوة السادات وحركته لضرب المجموعة التى وضعها فى المعتقلات والسجون ·· فنشرت مجلة تايم عددا خاصا يوم ١٨ مايو ١٩٧١ ظهرت صورة أنور السادات على غلافه ، ونشرت الأهرام صورة له ذاكرة ان المجلة تتحدث عن (لغز الشرق الأوسط وكفاءة أنور السادات فى مواجهة الأزمات) ·

أعلن قرار الاتهام يوم ٢١ أغسطس وتقرر تقديم ٩١ متهما أمام محكمة الثورة ، وعقد دائرة ثانية لمحاكمة الفريق أول متقاعد محمد

فوزى وقد تشكلت برئاسة اللواء عبد القادر أحمد حسن نائب وزير الحربية ، واللواء محمد عوض الأحول مدير القضاء العسكرى ، والعميد بحرى أحمد عبد الرؤوف جمال الدين مدير القضاء بالقوات البحرية ٠

قدم الى المحاكمة ٩١ فقط من مئات كان قد تم اعتقالهم ٠

ونقل المتهمون الى السجن الحربى تمهيدا لمحاكمتهم فى قاعة خاصة أعدت بمبنى الحكومة الاتحادية بهليوبوليس ٠

وبدأت المحاكمات فى ٢٥ أغسطس مع ١٢ متهما رئيسيا هم حسب ورود أسمائهم فى قرار الاتهام شعراوى جمعة وزير الداخلية السابق ، وسامى شرف وزير الدولة السابق وعلى صبرى نائب رئيس الجمهورية السابق ، وعبد المحسن أبو النور أمين عام الاتحاد الاشتراكى السابق ، ولبيب شقير رئيس مجلس الأمة السابق ، وضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا السابق ، ومحمد فايق وزير الاعلام السابق ، وسعد زايد وزير الاسكان السابق ، وحلمى السعيد وزير الكهرباء السابق ، وعلى زين العابدين وزير المواصلات السابق ، وفريد عبد الكريم أمين الاتحاد الاشتراكى بالجيزة السابق ، وأحمد كامل مدير المخابرات العامة السابق٠

ثم تحولت المحاكمة لتصبح سرية يوم ٥ سبتمبر ١٩٧١ وطالب فيها المدعى الاشتراكى باعدام تسعة والمؤبد لثلاثة هم حلمى السعيد وسعد زايد وعلى زين العابدين ٠

وخلال فترة المحاكمة وما فرضته من جو ثقيل ، أعلن فى الأهرام يوم ٥ سبتمبر أن تحقيقات قد بدأت مع بعض العاملين فى مجال الاعلام وهم فتحى غانم وكامل زهيرى ورجاء النقاش وعبد الوهاب قتابة الأمر الذى أبعد عن المراكز المؤثرة عددا كبيرا من الذين ارتبطت أفكارهم بأفكار عبد الناصر ، دون أن يرتبطوا بالمجموعة التى أحاطت به ٠

وشكلت بعد اعلان الدستور وزارة جديدة رأسها أيضا الدكتور محمود فوزى وكان له أربعة نواب ٠٠ دكتور عزيز صدقى نائبا أول ومحمد عبد القادر حاتم وسيد مرعى ومحمود رياض ٠

وعين الدكتور مراد غالب وزير دولة للشئون الخارجية بعد أن كان سفيرا لمصر فى موسكو لمدة ١٢ عاما ٠٠ والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ما زال نائبا لوزير التخطيط ٠

وبدأت محاكمة الفريق أول محمد فوزى يوم ٢٥ أكتوبر أمام المحكمة العسكرية الخاصة ٠٠ نفس التهمة الخيانة العظمى ٠

وقبل أن يصدر حكم محكمة الثورة كانت تعقد اجتماعات محدودة

بين أنور السادات ومحمد عبد السلام الزيات لمناقشة تحديد الأحكام النهائية التى سوف يصدرها رئيس المحكمة ·

وفى ليلة صدور الأحكام اجتمع أنور السادات مع أعضاء محكمة الثورة ·· واعتراض بدوى حموده المستشار الوحيد بين أعضاء المحكمة على اصدار حكم الاعدام الذى كانت النية مبيتة على اصداره قائلا ان محاكمات الرأى لا يجوز أن تنتهى الى اعدام ·· وأخيرا وافق أنور السادات على أن يصدر حكم الاعدام مقترنا تخفيفه على أنه صادر منه ، رغم أن المحكمة عمليا لم توافق أو تقرر حكم الاعدام ··

واجتمع أيضا بأعضاء المحكمة العسكرية التى لم تنجرف الى اصدار قرار بالاعدام على الفريق أول محمد فوزى صاحب الفضل الكبير فى اعادة بناء القوات المسلحة بعد هزيمة ٥ يونيو ·

الظاهرة الغريبة أن الصحافة لم تنشر كلمة دفاع للمتهمين ، ولم تقدم للرأى العام حقيقة ما يدور فى قاعة المحكمة ، ولم تذكر عدد المعتقلين ·

كان الجو المحيط بالمحاكمة مشابها للجو المحيط بمحاكمات الثورة السابقة مع اختلاف الظروف ، واختلاف طبيعة المتهمين ·· وكان هذا الأمر متناقضا فى جوهره مع كلمات الحرية والديموقراطية وسيادة القانون ورفع الحراسات وهى الأهداف التى بشر بها أنور السادات ، والتى جذبت كثيرا من أصحاب النوايا الطيبة ·

وأعلنت الأحكام يوم ٨ ديسمبر ·

حكم بالاعدام على أربعة شعراوى جمعة وسامى شرف وعلى صبرى وفريد عبد الكريم وتحول الحكم الى المؤبد ·

وفاروق خورشيد وأحمد جنين ومحمد رجائى ووجيه الشناوى وسامية عبد العزيز وصبرى يس وجلال السيد وعلاء الديب وسعد لبيب رسيد الغضبان وصلاح زكى وجلال معوض ·

وكانت النتيجة المباشرة لهذا الاعلان هى نزع هؤلاء الصحفيين ورجال الاعلام من مناصبهم ، وقد لعب فى ذلك محمد عبد القادر حاتم دورا خاصا مؤثرا اذ أنه كان قد عاد نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاعلام بعد أن كان قد عزل من كافة مناصبه التى تولاها خلال عهد جمال عبد الناصر ، وتقلص نفوذه الى الحد الذى أشرف فيه على مسئولية الاعلام فى اليمن ·

ولم يكن محمد عبد القادر حاتم على صلة وثيقة بأنور السادات ولكنه حصل على منصبه نتيجة تزكية من أحد الصحفيين الذين لعبوا

دورا ايجابيا فى مؤامرة مايو وكان أول اجراء له هو نزع الذين وقفوا منه موقف التحدى ورفض التبعية خلال فترة عمله السابق كوزير للاعلام.

وخلال المحاكمة قدم ١١ الى محكمة الحراسة وهم على صبرى وسامى شرف وشعراوى جمعة ، وضياء داود ، ومحمد فائق ، وأمين هويدى ، ومحمود السعدنى ، ومحمد السعيد ، وفريد عبد الكريم ، وعبد المحسن أبو النور ، وضياء الدين داود .

كما واصل أنور السادات أسلوبه فى التغيير ، فأصدر قرارا بحل مجلس الشعب فى ٩ سبتمبر ، وحدد موعدا للانتخابات ٢٧ أكتوبر على أن يعقد المجلس فى ١١ نوفمبر ١٩٧١ .

اقترن هذا التغيير باستفتاء الدستور الجديد الذى أقره مجلس الشعب وتم الاستفتاء عليه فى ١١ سبتمبر ١٩٧١ ووصل عدد المؤيدين الى ٧٫٨٦٢٫٠٠٠ بنسبة ٩٩٫٩٪ . فنسب الاستفتاء لا تتغير كثيرا .

صدر دستور ١٩٧١ يغير اسم الدولة من (الجمهورية العربية المتحدة) الى (جمهورية مصر العربية) ويعلن أنها (دولة نظامها ديموقراطى واشتراكى يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة ، والشعب المصرى جزء من الأمة العربية يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة) .

ويفسر أنور السادات هذا التغيير فى خطاب له يوم ٢٣ يوليو قبل اقرار الدستور بقوله (وقام اتحاد الجمهوريات العربية ليكون أقوى وأقدر على استكمال رسالة الوحدة العربية الشاملة لذلك كان من الطبيعى أن يعود الشعب المصرى الى حمل اسم مصر العظيمة) .

والعودة الى اسم مصر وجدت تجاوبا من الكثيرين .. حتى من أنصار القومية العربية ، حيث لم يكن هناك مبرر لاختفاء الاسم التاريخى لمصر .. وأضاف الى أنور السادات رصيدا يفرق بينه وبين ما كان يتمسك به جمال عبد الناصر من حرص على الاحتفاظ باسم (الجمهورية العربية المتحدة) .

لم تعد فى مصر هيئة سياسية أو تشريعية أو ثقافية أو مهنية أو رياضية لم تلحقها يد الحل ..

والفريق فوزى مؤبد خفض الى ١٥ سنة .

وعبد المحسن أبو النور ١٥ سنة .

ومحمد فايق ١٠ سنوات .

وضياء الدين داود ١٠ سنوات .

واحمد كامل ٧ سنوات خفضت الى ٣ سنوات ٠

وحلمى السعيد وامين هويدى ولبيب شقير سنة مع ايقاف التنفيـــذ لـــدة ٣ سنوات ٠

وبراءة على زين العابدين ، ١٣ آخرين ٠

ومجموع الأحكام يتلخص بعد ذلك فى :

٣ لـــدة ٣ سنوات ٠

١٢ لمدة ٥ سنوات ٠

٢ لـــدة ٧ سنوات ٠

٢ لمدة ١٠ سنوات ٠

٢ لمدة ١٥ سنة ٠

٤ لمدة ٢٥ سنة ٠

أعلنت الأحكام وطويت صفحة المحاكمة وبدأ المسئولون السابقون حياة جديدة داخل قضبان السجون ٠

الفصل العاشر

من هو الرئيس الجديد ؟

بعد أن أصبح المسئولون السابقون خلف قضبان السجون ، ومقاليد الحكم فى يد الرئيس الجديد ، سلطت الأضواء عليه وحده ، فلم يعد فوق خشبة المسرح منافسون ·

من يكون الرئيس الجديد ·· ؟

من هو أنور السادات ؟

لم يكن اسما انشق من المجهول ، كما كان الأمر مع محمد نجيب ، أو جمال عبد الناصر ، عندما انتصرت حركة الجيش ، وبرزت أسماء جديدة تستلفت النظر ، وتستقطب الاهتمام ، لأنها أصبحت فى السلطة تحرك الأمور ·

كان أنور السادات معروفا قبل الثورة ·· له تاريخ طويل ·

وكان بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ·· عضوا فى مجلس قيادة الثورة ·

ومثل معظم الضباط الأحرار نشأ أنور السادات فى أسرة متواضعة من الطبقة الوسطى الفقيرة ·· الأصل من قرية صغيرة من قرى المنوفية (ميت أبو الكوم) والوالد كان يعمل موظفا بشهادة (الكفاءة التى كانت تعادل السنة الثالثة الثانوية) فى وحدة طبية فى الجيش البريطانى ·· ثم انتقل بعدها الى الخدمات الطبية بالجيش المصرى ، وأخيرا أنهى حياته وهو مدير لحسابات مستشفى الدكتور مظهر عاشور ·

ولد أنور السادات يوم ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ ، ومضى فى طريق الدراسة رغم الظروف الصعبة التى أحاطت بالأسرة حتى وصل الى مدرسة فؤاد الأول الثانوية ، ثم فصل منها لأسباب نكتفى بما سجله هو عنها فى كتابه (البحث عن الذات) :

(كانت تلك نقطة تحول فى حياتى ، وقد أدركت أن سقوطى كان

علامة على أن الله غير راض عنى ، ربما لسبب اهمالى ، أو ربما بسبب ثقتى الهائلة فى نفسى ، وهكذا فانى بهذا الشعور بالشك الممتزج بالاحساس بالخطأ حاولت طريق التوبة وقدمت أوراقى الى مدرسة أخرى) ٠

وعندما حصل أنور السادات على شهادة البكالوريا ، دخل الكلية الحربية فى الفترة التى كانت قد فتحت فيها أبوابها لأبناء الطبقة الوسطى الصغيرة بعد معاهدة ١٩٣٦ ٠

كانت الكلية الحربية قد بدأت تستوعب أعدادا كبيرة من الطلبة ، تتاح لهم فرصة التخرج بعد فترة دراسية قصيرة كانت تصل أحيانا الى عدة شهور ، ولا تزيد على ثلاث سنوات وهى أقصى مدة دراسية والتى طبقت لأول مرة على دفعتنا التى دخلت فى ديسمبر ١٩٣٩ وتخرجت فى يونيو ١٩٤٢ ٠

الدفعة التى تخرج فيها أنور السادات أمضت سبعة شهور فى الكلية فقط وتخرجت فى فبراير ١٩٣٨ ٠

وتصادف أن عين أنور السادات ضابطا فى المشاه ، وعمل فى منقباد مع جمال عبد الناصر وقد سجل هذه الفترة فى كتاب له صدر عام ١٩٥٦ يحمل اسم صفحات مجهولة فيقول :

(كان جمال عبد الناصر بيننا صورة حلوة للاخاء والصداقة والاتزان والهدوء والكرامة ، فكان لهذا كله يستأثر باحترامنا جميعا ، فكان فى سكونه وهدوئه وطابعه الخاص معنى مجسم حى لكل المعانى ، وهكذا ، وحول هذا الرجل ، التأمت مجموعة من الضباط الصغار الأصدقاء ، لم يكن أحد يدرى أنها ستكون نـواة لمجموعة أكبر وأكبر وان اجتماعهـا فى تلك التبـاب البعيدة لن يكون صدفة تمر ويتشتت من بعدها شمل الأصدقاء وانما سيكون البدء الحقيقى لجهاد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطير ٠ وكان جمال عبد الناصر يقول انهم الانجليز أصـل بلائنا كله) ٠

صحيح أن أنور السادات قد سجل بعد ذلك فى كتابه (البحث عن الذات) عن هذه الفترة معنى يخالف ما ورد فى كتابه السابق اذ قال :

(وبالرغم من أننى تعرفت على جمال عبد الناصر حينما كان كلانا فى سن التاسعة عشرة ، فاننى لا أستطيع أن أقول أن علاقتنا تجاوزت الثقة والاحترام المتبادل ، كان من الصعب أن أسميها صداقة على الاطلاق ، ان عبد الناصر لم يكن بالشخص

السهل الذى يمكن أن يصادقه أحد بالمعنى الحقيقى للصداقة ، وذلك بسبب نزوعه الى الشك والمرارة ، والى جانب أعصابه المشدودة باستمرار) ٠

الخلاف نشأ من تغير الظروف ٠٠ الكتاب الأول صدر فى وقت كانت مصر تجمع فيه على زعامة جمال عبد الناصر ٠٠ والكتاب الثانى ظهر بعد أن كان عبد الناصر قد انتقل الى رحاب الله وأصبح أنور السادات رئيسا لجمهورية مصر ٠٠ أكثر من عشرين عاما مضت بين الكتابين مرت فيها ظروف متغيرة على أنور السادات ٠

ومسيرة أنور السادات بعد منقباد تبدأ بانتقاله الى سلاح الاشارة، حيث دخل تجربة مثيرة فى حياته ، عندما تعرف على جاسوسين ألمانيين أحدهما كان ابنا لزوجة المانية تزوجت من المستشار صالح بك جعفر ، الذى تبناه ورعاه وأعطاه أسمه فأصبح (حسين جعفر) بدلا من هانز ابلر ٠

ولكن المخابرات الألمانية جندت حسين جعفر أو (هانز ابلر) وأرسلته الى مصر مع ألمانى آخر متخفين فى ثياب ضباط بريطانيين ٠٠ وتعرف عليهما أنور السادات عن طريق عبد المغنى سعيد الذى تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من ألمانية تعرف عائلة ابلر ٠

ارتبط أنور السادات بالجاسوسين الألمانيين ، وأصبح مسئولا عن اصلاح جهازهما اللاسلكى الذى كان موضوعا فى عوامة تعيش فيها الراقصة حكمت فهمى صديقة (حسين جعفر أو هانز ابلر) الذى كان يعيش قبل سفره الى برلين قبل تجنيده فى المخابرات الألمانية ، حياة عريضة لاهية وعندما وصل مصر خلال الحرب العالمية الثانية ليؤدى دوره الجديد جاسوسا فى خدمة الرايخ ، كان معه أموال طائلة من الجنيهات الاسترلينية التى أجيد تزييفها ٠

ويروى أنور السادات قصة هذه الفترة فى كتابه (صفحات مجهولة) ويشير الى حياة (ابلر وساندى) وهما يحاولان تقليد أساطير شهريار من ناحية البذخ والترف وتغيير النساء ، ويقول ان معظمهن كن من اليهوديات ٠

ولم يستمر هذا التعاون طويلا ٠٠ فقد انكشف أمر الجواسيس الألمان ، وانتهى الأمر الى اعتقالهم جميعا فى أغسطس ١٩٤٢ ٠

ولا شك أن أنور السادات كان يعرف طبيعة الدور الذى يقوم به فى خدمة الألمان ، حيث كان يتعاون مع جواسيسهم ٠

صحيح ٠٠ أنه كان هناك شعور وطنى سائد بين عدد من الضباط يدفعهم الى التعاون مع الألمان باعتبار أن فى ذلك معاداة للاحتلال

البريطاني ٠٠ ولكن قلة نادرة من الضباط هي التي انجذبت الى ذلك ٠٠ واذا استثنينا حادث محاولة عزيز المصرى الهرب مع الطيارين عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين ذو الفقار صبرى بعد ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، فان أحـــدا لم يقبض عليه بتهمة التجسس للألمـــان سوى أنور السادات

قال لى اللواء محمد نجيب انه عندما كان مساعدا لنائب الأحـكام برتبة (بكباشي أو مقدم) ، وهو من الذين حصلوا على ليسانس الحقوق عام ١٩٢٨ وأعد ، ٢ ماجستير ٠٠ قال لى أن اليوزباشى أنور السادات قــد اعتقل بتهمة أنه كان يعمل جاسوسا للألمان ٠٠ وجاء اليه والده منزعجـا للتهمة التى أسندت الى ابنه ، فطمأنه وأعد مذكرة رفعها الى ابراهيم باشا عطا الله رئيس أركان حرب الجيش أوضح فيها أنه حتى لو ثبتت تهمـة التجسس فانها ليست ضد مصر ، بل ضد عدوتنا بريطانيا لصالح الألمان٠

ويقول محمد نجيب انه هدد بتقديم استقالته من وظيفة نائب الأحكام بل من الجيش اذا حوكم أنور السادات ٠٠ وكان ابراهيم عطا الله قد رفض وجهة نظـــــر محمد نجيب ٠٠ وانتهى الأمر باحالة أنور السادات الى الاستيداع ثم طرده من الجيش فى ٨ أكتوبر ١٩٤٢ واعتقاله بعد ذلك فى معتقل ماقوسة بالمنيا ٠

وفى هذه الفترة كانت السراى تريد التخلص من وزارة الوفد التى رأسها مصطفى النحاس فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وسط شحنة هائلة من الدعاية للملك فى محاولة لتصوير الأمر بأن الوفد قد وصل الى الحكم على رماح الانجليـز ٠

وهو ادعاء روجت له صحف أخبار اليوم بشدة ، وترك بلا شك تأثيرا فى نفوس بعض الضباط ، الذين وجدوا فى ذلك اعتداء على العـــرش الذى هو رمز لمصر ٠

واذا كانت أحداث التاريخ ووثائق الحكومة البريطانية قد أثبتت كذب هذا الادعاء بعد سنوات طويلة ٠٠ فالأمر الذى لا شك فيه أن السراى كانت تسعى لخلع الوفد من مقعد الحكم ، وسلكت فى سبيل ذلك وسائل متعددة ، منها تخريب العلاقة بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد سكرتير عام الوفد ٠٠ ومنها اللجوء الى الارهاب ومحاولة تصفية مصطفى النحاس وأعوانه تصفية بدنيـة ٠

وهنا حدث اتصال بين السراى وبين أنور السادات الذى لم يحاكـم بتهمة التجسس ، والذى اعتقل فى عهد حكومة الوفد ، وانعكس أثر هذا الاتصال فى نقله من معتقل ماقوسه الى معتقل الزيتون ، حيث تيسرت له حياة أفضل ، بلغت الحد الذى استطاع فيه أن يخرج من المعتقل ليمضى

ليلة فى القاهرة ، يذهب بعدها الى سراى عابدين ليسجل اسمه فى دفتر التشريفات متظلما من المعاملة فى معتقل الزيتون ٠

لم يقف الأمر عند هذا الحد ٠٠ بل استطاع أنور السادات أن يهرب من المعتقل ، ويعيش حياة سرية ، ثم يظهر فجأة فى قضية اغتيال أمين عثمان عام ١٩٤٦ ، حيث قدم للمحاكمة مع حسين توفيق ومجموعته ، وصدر الحكم بتبرئته ٠

ولا شك أن الصلة السرية التى انعقدت بين السراى ممثلة فى الدكتور يوسف رشاد ياور الملك البحرى وبين أنور السادات وكانا قد خدما معا فى بداية عملهما بالجيش فى مرسى مطروح قد انتهت الى نوع من التعاون التطوعى المشابه لما قام به أنور السادات مع الجواسيس الألمان ٠

كان هناك فارق واحد ٠٠ انه كان يساعد الجواسيس الألمان فى اهدافهم ، وكان يساعد السراى فى عملياتها الارهابية التى تمثلت فى اغتيال أمين عثمان ٠

وخلال هذه الفترة كان قد وقع فى الجيش حادث مثير ٠

تجمع عدد من الضباط عام ١٩٤٧ وأعدوا منشورات هاجموا فيها ابراهيم باشا عطا الله ٠

اعتقل ٢٣ ضابطا وصولا ذكرت بعض أسمائهم فى الجزء الأول من قصة ثورة ٢٣ يوليو (مصر والعسكريون) فى الباب الثانى (الجيش والحركة السياسية فى مصر قبل الثورة ـ صفحة ١١٢) ٠

لم ينته اعتقال هذه المجموعة الى محاكمة عسكرية كما كان منتظرا ٠٠ وانما انتهى الأمر الى الافراج عنهم وعودتهم الى أعمالهم ، واعفاء ابراهيم باشا عطا الله من منصبه ، وتعيين اللواء عثمان المهدى بدلا منه ، كما عين محمد حيدر ياور الملك وزيرا للحربية ٠٠ وهو ضابط السجون الذى اشتهر بقسوته على ثوار ١٩١٩ ٠

كان تعيين محمد حيدر ، خطوة لمزيد من سيطرة السراى على الجيش ٠٠ وكان ثمن الافراج هو انضمام هؤلاء الضباط لتنظيم تشكل فى ذلك الوقت باسم (الحرس الحديدى) ٠

كان تنظيما سريا خاصا يرتبط بالسراى عن طريق يوسف رشاد ، ونسجت الصلة بينه وبين المجموعات الارهابية التى تبنتها السراى ودفعت بها الى طريق الاغتيال ، فوقفت فى قفص الاتهام فى قضية أمين عثمان ٠

تطور أسلوب الارهاب والاغتيال بعد انضمام الضباط ٠٠ وبدأت محاولات اغتيال مصطفى النحاس التى قام بها الضباط فقط ٠

ويلاحظ أن هذا (الحرس الحديدى) قد تشكل فى فترة من أعظم فترات المد الثورى لشعب مصر ، وهى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية

الثانية ، وتفجرت فيها المطالب الشعبية ، التى عبرت عنها الطوائف المختلفة بالاضراب والتظاهر حتى وصل الأمر الى حد اضراب ضباط البوليس فى شهر ابريل ١٩٤٨ ٠

واتجه ارهاب (الحرس الحديدى) الى الزعامة الشعبية ممثلة فى مصطفى النحاس رئيس الوفد حيث تمت محاولتان لاغتياله فى شهر واحد، هو نفس الشهر الذى وصل فيه المد الثورى الى ذروته ٠٠ يوم ٥ أبريل ١٩٤٨ كانت المحاولة الأولى عندما أطلق اليوزباشى عبد الرؤوف نورالدين الرصاص على النحاس باشا ومعه فى العربة التى كان يقودها اليوزباشى حسن فهمى عبد المجيد والتى أحضرها من عربات القصور الملكية اليوزباشى عبد الله صادق الذى كان ضابطا فى المطافىء الملكية ٠٠ كان معه أنور السادات الذى خرج من السجن بتدبير من السراى ليعود اليه ثانية ٠

وكانت المحاولة الثانية يوم ٢٥ أبريل لنسف سراى النحاس باشا بسيارة حملت كميات كبيرة من المفرقعات ٠٠ وقام بها الضابطان عبد الرؤوف نور الدين ومصطفى كمال صدقى ٠

هكذا ارتبط أنور السادات بالتنظيم الحديدى رغم أنه لم يكن ضابطا عاملا فى الجيش ٠

وقد تراجع دور (الحرس الحديدى) مع قيام حرب فلسطين ٠٠٠ ولم تتجدد أعمال ارهابية ٠

وعندما عاد الوفد الى الحكم بعد الانتخابات التى تمت فى بداية يناير ١٩٥٠ خشيت السراى من استمرار بقاء (الحرس الحديدى) خوفا من افتضاح أمره أمام التحقيقات القانونية ، فحدث تجميد له ، وانفض بعض الضباط منه ، وخاصة عندما سادت البلاد الروح الوطنية المصاحبة للكفاح المسلح فى القناة ٠

ويشير محمد حسنين هيكل فى كتابه (خريف الغضب) الذى يحوى تفصيلات دقيقة عن الحياة الخاصة لأنور السادات منذ نشأته الأولى ٠٠ يشير الى حقيقة تؤكد انحسار دور (الحرس الحديدى) وهى أن أرنست بيفن وزير الخارجية البريطانية فى حزب العمال استدعى السفير المصرى فى لندن وقتها عبد الفتاح عمرو ٠ وطلب منه السفر الى القاهرة ليبلغ الملك أنه لا يليق بالجالس على عرش البلاد أن تكون لديه فرقة لقتل خصومه وارهابهم يسخر فيها بعض ضباط حرسه أو جيشه ٠

وخلال هذه الفترة لم يحدث الا حادث ارهابى واحد عندما خرج من الحرس الحديدى أحد أعضائه ليقظة ضمير وطنى هو الملازم عبد القادر طه الذى أغتيل بيد زملائه من الضباط أفراد الحرس ٠

وعندما لم يعد للحرس الحديدى دور فعال ٠٠ قررت السراى عودة

أنور السادات الى القوات المسلحة ، وتم ذلك يوم ١٥ يناير ١٩٥٠ عن طريق محمد حيدر الذى كان قد عين فى منصب جديد خلق له هو (قائد عام القوات المسلحة) بعد أن رفض الوفد تعيينه وزيرا للحربية امتدادا لما كان حادثا فى وزارات محمود فهمى النقراشى وابراهيم عبد الهادى وحسين سرى ·· حيث كان محمد حيدر وزيرا للحربية فيها جميعا ·

وكان محمد حيدر بحكم منصبه الجديد هو القوة الفعالة فى القوات المسلحة ·· وليس الوزير الوفدى مصطفى نصرت ·

وهكذا فصل أنور السادات من الجيش فى عهد الوفد عام ١٩٤٢ وعاد أيضا فى مطلع عام ١٩٥٠ دون موافقة مباشرة من الوفد ·

عاد أنور السادات فى رتبة اليوزباشى وأنهى فترة شاردة من فترات حياته مارس فيها أعمالا مختلفة ، أشار اليها فى كثير من خطبه ·

عمل سائقا ومقاولا وارهابيا وصحفيا ·· وكان فى مطلع حياته يهفو لأن يكون نجما سينمائيا ·

وخلال فترة عمله الجديدة فى الجيش التقى بجمال عبد الناصر الذى ساعده فى امتحانات الترقى ليحصل على أقدميته التى فقدها أثناء فترة طرده من الجيش ·· وتعرف على عبد الحكيم عامر ·· الذى كان يخدم برئاسة القوات المسلحة فى رفح والعريش ·

وعلامات الاستفهام التى تحيط بالأسباب التى أدت الى ضم أنور السادات الى الضباط الأحرار تظل قائمة لا يستطيع أحد الاجابة عليها الا جمال عبد الناصر ·· ولكن يبدو أن المعاناة التى لبست ثيابا وطنية قد أغرت جمال عبد الناصر الى ضمه وهو الحريص على ضم كل الاتجاهات فى تنظيم جبهوى واحد ·· من الاخوان المسلمين ·· الى الشيوعيين ··

والغالب أنه لم يكن يعرف الدور الحقيقى لأنور السادات فى محاولة اغتيال النحاس ·· فما أظن أنه كان يمكن أن يفصح عنه ومصطفى النحاس رئيس للوزراء ·· وجمال عبد الناصر فى ذلك الوقت كان من المقتنعين بدور الوفد فى الحركة الوطنية ، عندما كان يتبنى حركة الكفاح المسلح فى القناة ويشجعها ·· وفيها عناصر من الضباط كانت على اتصال مع جمال عبد الناصر ·

اصبح أنور السادات عضوا فى اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ·· وحده ، وليس معه أحد فلم يكن قد جند أحداً للدخول معه فى هذا التنظيم الوطنى الجديد ·

ولم يكن دخوله موضع ترحيب من الذين تعرفوا عليه وعملوا معه وخاصة ضباط الطيران ·· عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم ··

ولكن التنظيم فى ذلك الوقت وهو ما زال جنينا لا يحتمل المواقف الحادة فى رفض عضـــوية ضابط ، فى وقت كانت الثورة فيه ما زالت حلمــا بعيـدا ٠٠

ومضت الأيام ٠٠ وعندما تحدد موعد الحركة فجأة نتيجة للظروف الضاغطة التى تسربت الى جمال عبد الناصر من أن الملك ينوى توجيـــه ضربة لمن يعرفهم من الضباط الأحرار ٠٠

وكان قرار الحركة يوم ١٩ يوليو على أن تتم خلال ثلاثة أيام ٠٠ وابلغ أنور السادات فى العريش ٠

وحضر فعلا ليلة الحركة ، ولكنه ــ فيما يبدو ــ لم يتصور أنها ستكون فى هذه الليلة ذاتها فذهب مع زوجته الى السينما وعندما عاد وجد ورقة من جمال عبد الناصر تستدعيه للحضور فلبس ملابسه الرسمية ، وخرج ٠

وعندما وصل الى كوبرى القبة ، وجد أن الحركة قد احتلت القيادة العامة عندما اقتحمتها قوات البكباشى يوسف صديق ٠٠ ومنعه الجنـــود من الدخول لأنه كان يحمل رتبة (بكباشى) وجميع الضباط من هذه الرتبة فما فوق ، كانت قد صدرت الأوامر بمنعهم من الدخول ٠٠ ولكنه سمع صوت عبد الحكيم عامر فنادى عليه ، وسمح له عبد الحكيم عامر بالدخول والانضمام الى زملائه ٠

اندمج أنور السادات بعد ذلك فى مجال الثورة ٠٠ وأصبحت حركته تحت دائرة الضـــوء ٠

طلب منه جمال عبد الناصر أن يلقى البيان الأول للثورة من الاذاعة بصفته ضابطا للاشارة ولأن لغته العربية سليمة ٠٠ وسافر الى الاسكندرية ضمن القوات التى وصلت تمهيدا لخروج الملك ٠

ولم يكن له دور خلال الأيام الثلاثة التى قضاها فى الاســـكندرية مع اللواء محمد نجيب وجمال سالم ويوسف صديق وزكريا محيى الدين ٠٠ رغم ما حاول أن يضفيه على نفسه فى بعض كتاباته ٠

والملاحظ أنه لم يذهب مع اللواء محمد نجيب لوداع الملك على اليخت المحروســـة ٠

وعندما بدأ الضباط يتحملون مسئوليات مختلفة وتولى عدد منهـم منصب الوزراء فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ عند اعلان الجمهورية ، كلف أنـــور السادات بالاشراف على جريدة الجمهورية ، وهناك تبين أنه يتطلع الى حياة مرفهة عبر عنها بقوله للدكتور يوسف ادريس الذى كان قريبا منـــه

خلال هذه الفترة (لقد نجحت الثورة فى وقت كنت قد انتهيت فيه أنا من الثورة) ٠

لم يكن حريصا الا على حياته الخاصة ٠٠ وكان معروفا انه لا يكتب مقالاته ، بل انها أحيانا تنشر دون أن يقرأها ٠٠ وقد عملت معه فترة - كما يقول محمد حسنين هيكل - فى كتابه خريف الغضب انه عندما واجه السادات بألفاظ كتبها عن جون فوستر دالاس وأثارت غضب السفير الأمريكى حيث قال فيها (اننا نريد أن نصفع دالاس على قفاه الخنزيرى) ٠٠ تبين له أن أنور السادات لم يكتب المقال ولم يقرأه ٠

وكان هذا أمرا شائعا ومعروفا لنا فى دهاليز الصحيفة اليومية التى صدرت معبرة عن الثورة ٠

وخلال عمله فى المؤتمر الاسلامى توثقت علاقاته ببعض العرب الذين حرصوا على عقد صلات معه ٠٠ فكان شاهدا على زواج كمال أدهم ٠٠ وأغدقوا عليه كثيرا من الهدايا ٠

ويصدمنا محمد حسنين هيكل فى كتابه (خريف الغضب) عندما يقول (لكن الحق يقال أنه كان كريما فى تقديم الهدايا قدر كرم الآخرين فى تقديمها له ، ولقد قدم أنور السادات فى تلك الفترة أكثر من سيارة كاديلاك كهدايا لعبد الحكيم عامر ٠

لابد وأن هذه الصورة كانت معروفة تماما لدى جمال عبد الناصر وزملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، والمؤسف أن أحدا لم يتوقف عند المدلول الأخلاقى والسلوكى لقبول مثل هذه الهدايا من رجل يعمل بالسياسة ٠٠ ولم يتنبأ أحد بما يمكن أن تحدثه من تخريب فى نفس أنور السادات وغيره وهو الذى أصبح رئيسا لمجلس الأمة عام ١٩٥٨ ٠

واستمر أنور السادات فى منصبه حتى وفاة جمال عبد الناصر ٠٠ وهى أطول مدة قضاها عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى منصب واحد ٠

كان فيما يبدو مريحا لجمال عبد الناصر الذى كان - بالتأكيد - يعرف الكثير من أخطائه ٠٠ ولكنه لم يتخذ ضده أى اجراء ٠٠ تماما كما كان يعرف قدرات عبد الحكيم عامر القيادية والعسكرية وتركه فى مكانه قائدا عاما للقوات المسلحة بعد أخطائه عام ١٩٥٦ ، وبعد ما تسبب فيه من انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١ ، وبعد مأساة مصر الكبرى فيما حدث من القيادة العسكرية عام ١٩٦٧ ٠

كما سكت جمال عبد الناصر على أخطـــاء عبد الحــكيم عامر الشخصية ، سكت أيضا على أخطاء أنور السادات الشخصية ·· بــل انه اختاره نائبا لرئيس الجمهورية ·

هذه لمحة موجزة عن حياة أنور السادات الذى وضعته الظــروف رئيسا للجمهورية العربية المتحدة ·· وسط رجـــال عملوا مع جمـــال عبد الناصر ·· ثم أصبح بعد مؤامرة مايــو رئيسا لجمهورية مصر مع رجال يدينون له بالولاء ·

الفصـل الحادى عشر

حركة ١٩ يوليو ٧١ فى السودان

كان من أهم الظواهر التى صاحبت اعتقال مجموعة مايو ، وصول نيكولاى بودجورنى رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتى بعد تسعة أيام فقط ، على رأس وفد يضم بوناماربيف سكرتير اللجنة المركزية للحـزب الشيوعى فى ذلك الوقت ، وأندريه جروميكو وزير الخارجية ، والماريشال بافلوفسكى نائب وزير الدفاع ٠

وصل هذا الوفد الكبير الى القاهرة يوم ٢٣ مايو ١٩٧١ ، وكانت هذه هى الزيارة الثانية لبودجورنى فى نفس العام ٠٠ زيارته الأولى كانت يوم ١٢ يناير ١٩٧١ احتفالا بانتهاء بناء السد العالى ، وزار فيها الى جانب السد فى أسوان الترسانة البحرية التى ســاعدت السوفييت فى انشائها بالاسكندرية ٠

ورغم كل الحسابات تمت الزيارة من باب المفاجأة ، ولا شك أن ما حدث قد أثار نوعا من الشكوك لدى السوفييت ٠٠ فالرجال الذين اعتادوا الاتصال بهم فى عهد جمال عبد الناصر ٠٠ بل وفى عهد أنور الســادات قد اختفوا من الساحة السياسية ينتظرون المحاكمة ٠

على صبرى كان ضمن آخر وفد رأسه جمال عبد الناصر فى زيارة موسكو يوم ٢٩ يونيو ١٩٧٠ وكان قد عين فريقا فخريا ، القوات الجوية ٠٠ وشعراوى جمعه أرسله أنور السادات الى موسكو بعد بيانه يوم ٤ فبراير وعدم حدوث صدى ايجابى له للمطالبة بالطائرات الصـاروخية (تى يو ١٦) بعيدة المدى ، وفى هذه الزيارة قابل بريجنيف وجريتشكو وباناماربيف ، ثم سافر مع أنور السادات مرة ثانية الى موسكو فى زيارته التى تمت فى أول مارس ١٩٧١ فى الوفد الذى ضم أيضا الفريق

اول محمد فوزى ٠٠ وسامى شرف أوفده أنور السادات الى موسكو لحضور مؤتمر الحزب الشيوعى السوفيتى ضمن وفد يرأسه عبد المحسن أبو النور فى أوائل شهر ابريل ١٩٧١ ، وفى هذه الزيارة كان يحمل تكليفا من أنور السادات بمحاولة تهدئة الجو وتصفيته مع القادة السوفييت ، ولذا طلب مقابلة بريجنيف وتحدث مع القادة السوفييت عن الرغبة فى عقد معاهدة صداقة ، وكذلك مناقشة موضوع اقامة قاعدة بحرية فى مرسى مطروح ، وهو ما كان السادات قد فوضه للتحدث فيه ٠٠ واستقر الرأى على أن يحضر فى المستقبل مسئول سوفيتى كبير الى مصر لمناقشة الموضوعين ٠

كان هذا المسئول هو نيكولاى بودجورنى الذى حضر فى الشهر التالى مباشرة لزيارة سامى شرف ، وبعد أيام من اعتقال هؤلاء المسئولين الذين تعرف عليهم القادة السوفييت خلال زياراتهم المتكررة ٠

وقال أنور السادات تعليقا على ما أثير حول الزيارة من علامات استفهام خلال خطبته التى ألقاها تكريما للرئيس السوفييتى يوم ٢٦ مايو ١٩٧١ ٠

(ان الاستعمار وأصدقاءه ـ وهم يتابعون زيارتكم الثانية لنا هذا العام قد أثبتوا مرة أخرى عجزهم عن فهم طبيعة العلاقات العربية ـ السوفيتية ومحتوى هذه العلاقات وأهدافها النبيلة ٠٠ ولعلنا نعذرهم فيما يتخبطون فيه ٠٠ لأنهم لم يفتحوا بعد عيونهم على القيم الجديدة فى العلاقات الدولية ، ولا على الحتمية التاريخية لاستقلال وحريات الشعوب ٠٠ ولا على الضرورة الملحة والحيوية للطريق الاشتراكى سبيلا الى التحولات العظيمة فى مجالات البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى) ٠

وقال أيضا :

(اسمحوا لى أن أدعوكم الى الوقوف تحية للصداقة العربية ـ السوفيتية وقيمتها العظيمة ، ودورها الخلاق ، وازدهارها المستمر) ٠

وخلال هذه الزيارة تم التوقيع على معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية التى فوجىء الناس بها وربطوا بينها وبين ما حدث قبل أيام من اعلانها ٠

ولم يكن فى الأفق ما يشير الى احتمال حدوث تغيير فى العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى ٠٠ وخاصة بعد أن تم التوقيع على هذه المعاهدة ٠٠ مع ذلك فقد حضر معمر القذافى فى زيارة خاطفة للقاهرة

لمدة أربع ساعات بعد سفر بودجورنى ·· جاء ليطمئن على ما تحمله هذه المعاهدة من معان فى وقت لم تكن فيه علاقة ليبيا مع الاتحاد السوفييتى علاقة طيبة اذ كانت ترفع شعارات معادية للشيوعين ·

وكتب محمد حسنين هيكل فى جريدة الأهرام يوم ٢٥ مايو مقالا جاء فيه :

(كيف نستطيع أن نخلق الظروف التى يمكن أن تحول دون تكرار الكابوس المخيف الذى رزح على كاهل مصر طوال الشهور الأخيرة الماضية ، حتى استفاق منه شعبها وقلبه يدق بعنف وأنور السادات يهزه برفق ليقول له : لقد سقط سلاطين الظلام ، وتبددت أشباح الخوف ، ونحن الآن على الطريق ، وعلى المسيرة ، وأمامنا المعركة ، والبناء الاجتماعى والاقتصادى والأمل ، والنصر) ·

هكذا صور محمد حسنين هيكل الحالة التى كانت فيها مصر بعد أيام من اعتقالات مايو ·· وهى صورة تعبر عن رأيه الشخصى ·· وهو رأى لا أظن أنه انفرد به ، بل كان يشكل شعورا موجودا ، لما صاحب أعتقالات مايو من حملات شخصية مضادة على (مراكز القوى) وهو التعبير الذى أطلق عليهم ، وما وجه اليهم من اتهامات فى صورة شائعات كانت تنطلق بتدبير ·

ولم يكن سهلا اقامة خط فاصل بين الاتهامات التى توجه لمراكز القوى ، وبين ما يلحق عهد جمال عبد الناصر نفسه ·· بعض الناس كانت تردد بيت الشعر العربى :

اذا كنت تدرى فتلك مصيبة   واذا كنت لا تدرى فالمصيبة أعظم

وفى شهر يونيو زار مصر زيارة طويلة امتدت ثمانية أيام الملك فيصل ملك السعودية ، جاء ليطلع السادات على نتائج محادثاته مع نيكسون ·· وكان فى ذلك توثيق للصلات المصرية الأمريكية التى بدأت منذ لقاء انور السادات مع وزير الصحة الأمريكى الذى حضر فى جنازة جمال عبد الناصر ، ثم مقابلة روكفلر ، وكمال أدهم الذى قام بدور الوسيط لتحسين العلاقات المصرية الأمريكية من موقعه الهام بصفته مديرا للمخابرات السعودية وثيقة الارتباط بالمخابرات المركزية الأمريكية ·

كانت مصر تتعرض لمحاولات جذب من جانب الدولتين العظميين ·· الاتحاد السوفييتى من موقعه الذى يساند فيه مصر بكل مطالبها

العسكرية والولايات المتحدة التى أنشأت جسورا شخصية بين واشنطن والقـــاهرة ·

وحدث يوم ١٩ يوليو فى الخرطوم حدث أبرز هذا الصراع على السـطح ·

فوجىء الناس بأخبار حركة عسكرية قام بها بعض أعضاء مجلس قيادة حركة ٢٥ مايو ١٩٦٩ التى رأسها عندئذ جعفر محمد نميرى ·

سمعت أخبار هذه الحركة أثناء ســـهرة فى منزل الصديق أمين الشبلى الذى كان وقتها سفيرا للسودان فى الجامعة العربية ·· وفوجئت بأن الذى قام بها هو الرائد هاشــــم العطا ، الذى كثيرا ما زارنى فى القاهرة وفى مكتبى بروز اليوسف للتعرف على طبيعة تكوين الضباط الأحرار فى مصر ، والأسلوب الذى قامت به حركة الجيش عام ١٩٥٢ ، والذى التقيت به بعد ذلك فى الخرطوم بعد نجاح حركة ٢٥ مايو ١٩٦٩· وكنت معجبا بشخصيته الجادة المتزنة ·

لم تكن لى فى ذلك الوقت علاقة بالمسئولين فى السلطة ، فقد أصبح جميع الذين أحاطوا بجمال عبد الناصر فى السجون ··

واستشعرت مسئوليتى كمصرى وطنى يرقب حركة عسكرية يقوم بها صديق فى السودان ··

ولم تكن علاقتى بالسودان محدودة ·· فمنذ ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ وعلاقتى بالسودان تزداد وثوقا ، وكانت تربطنى صلات شخصية متينة مع كثير من الزعماء السياسيين من مختلف الاتجاهات ·· وازدادت هذه الصلة عندما أوفدنى جمال عبد الناصر مندوبا عنه لمقابلة جعفر محمد نميرى وقادة حركة ٢٥ مايو ١٩٦٩ ·

اذكر أنه قال لى مبتسما فى مرارة ، أثناء مقابلته لى فى مكتبــه قبل السفر الى الخرطوم مع الصديق أحمد فؤاد :

(تصور ·· كانوا بيطلقوا علينا نكت ·· اننا نؤيد ثورة السفينة بونتى (اسم فيلم سينمائى) والآن تجبرنا الظروف على تأييــد ثورة السودان بطريقة سرية) ·

وأذكر أيضا قـــوله :

(قل لهم اننى على استعداد لوقف الحرب فى القناة وارســـال أى قوات لدعم الحــركة) ·

جاءت حركة الجيش فى السودان بارقة أمل فى الظلام الذى أحاط بمصر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وكانت العلاقة التى قامت بين القاهرة والخرطوم تمثل جسرا قويا من الصداقة ، يعطى لمصر عمقا استراتيجيا ·· وعبر جمال عبد الناصر عن ذلك بقوله لجعفر نميرى (ثورة السودان أعطتنى قوة وعزيمة ومنحتنى أملا) ·

وتابعت عن قرب الخلافات التى وقعت فى صفوف قادة حركة مايو ، والتى أدت الى حدوث نزاع وصدام بين جعفر نميرى وبين الشهيد عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى ·

وفوجئنا فى القاهرة يوما بوصول طائرة سودانية عليها راكبين ·· الصادق المهدى وعبد الخالق محجوب ·· أرسلهما جعفر نميرى الى مصر دون سابق انذار ·

وأوفد جمال عبد الناصر شعراوى جمعة وسامى شرف وأمين هويدى لمقابلة الزعيمين السودانيين ·· ثم كلف محمد حسنين هيكل بأن يرعى الصادق المهدى ويقدم له كل التسهيلات الممكنة ·· كما كلفنى بأن أرعى الصديق عبد الخالق محجوب وأقدم له أيضا كل التسهيلات اللازمة ·

واستضافت رئاسة الجمهورية عبد الخالق محجوب فى شقة بالزمالك قريبة من منزلى ·

والتقى مع جمال عبد الناصر أكثر من مرة ·· وقامت بين الاثنين علاقة احترام متبادل ·

ونجح جمال عبد الناصر فى اقناع جعفر نميرى بأن يعيد عبد الخالق محجوب الى السودان ، لأنه ليس من مصلحة الوحدة الوطنية أن يبقى منفيا بعيدا عن وطنه ·

وكان عبد الخالق محجوب قد لعب دورا رئيسيا فى تحسين العلاقات بين شعب السودان وشعب مصر ·· وكانت المظاهرات التى حشدها الحزب الشيوعى السودانى لاستقبال جمال عبد الناصر فى الخرطوم اثناء عقد مؤتمر القمة العربى فى أغسطس ١٩٧٠ علامة بارزة من علامات رفض الهزيمة ، والتشبث بعبد الناصر زعيما مناضلا ·

ولكن الجو بين جعفر نميرى وعبد الخالق محجوب لم يعرف الصفاء ، وصدر أمر جديد باعتقال عبد الخالق محجوب بعد وفاة عبد الناصر ولكنه استطاع أن يهرب من الاعتقال يوم ٢٩ يونيو ١٩٧١

الى مكان أمين لا يمكن أن يتطرق اليه الشـــك ٠٠ لأنه كان منزل مدير الحرس الجمهورى ٠

كان جعفر نميرى قد أبعد أيضا هاشم العطا وبابكر النور وفاروق عثمان حمد الله فى ١٧ نوفمبر ١٩٧٠ بدعوى عقد صلات مع عنـــاصر مخربة ٠٠ وقد سبق أن ربطت بين هذا التـــوقيت الذى تم بعد وفـــاة عبد الناصر وبين عزل نور الدين الأتاسى رئيس سوريا وتولى حافظ الأسد رئاسة الحكومة فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٠ ٠

البيان الأول للحركة الذى سمعته فى منزل أمين الشبلى فى العاشرة والربع مساء جاء فيــه :

(قبل ٢٥ مايو ١٩٦٩ كانت جماهير أكتوبر تخوض صراعا عاتيا شاملا ومرهقا ضد تسلط الحكم الرجعى القائم على تحالف الرأسمالية والاقطاع من خلال رأس المال الأجنبى الضالع فى خدمة الاستعمار القديم والحـــديث ٠

ونحن أفراد القوات المسلحة نعد شعبنا بأننا سنعمل على قيام نظام سياسى ديموقراطى يستهدف المشاركة الفعـــالة من قبل الجماهير بكل الأشكال) ٠

وبمسئولية المصرى الذى يسمع أخبار حركة عسكرية تقوم فى أقرب البلاد الى وطنه ، وعلى رأسها صديق أعتز بصداقته وأحترم شخصيته ٠٠ ناقشت الأمر مع أمين الشبلى ، ووجدنا أنه من المهم والمفيد أن نحـــاول القيام بدور مؤثر فى مجرى الأحداث ٠

ولما كان جميع من أعرفهم من المسئولين قد أصبحوا داخل السـجن منذ أكثر من شهرين ، ولم تكن لى صلة جديدة مع المسئولين الجدد فى مكتب أنور السادات فقد طلبت رقم التليفون القديم لمكتب جمال عبد الناصر والذى كان يرد على طرفه الآخر سامى شرف ٠

وتبين أن النمرة لم تتغير ٠٠ وأن المجيب يعرفنى ٠٠ فأبلغته بما سمعت فى الاذاعة وهو معروف لديه طبعا ٠٠ ولكنى أضفت توضيحا للعلاقة الخاصة التى تربطنى بزعيم الحـــركة حتى ذلك الوقت الرائد هاشـم العطـا ٠

وعندما وصلت منزلى بعد منتصف الليـــل ، وجدت أن رئاســـة الجمهورية قد اتصلت بى أكثر من مرة ٠٠ وعندما طلبت نمرة التليفون التى تركها المتحدث ، كان على الطرف الآخر أنور السادات ٠

وبعد كلمات التحية والمجاملة ، سألنى أنور السادات عما اذا كنت

أعرف هاشم العطا ، فأجبت بالايجاب ·· واضفت أنه من أنبل الشخصيات واكثرها اخلاصا للعلاقة بين شعبى مصر والسودان ·

وهنا سأل أنور السادات عما اذا كان ممكنا لى السفر الى هناك ، لأن ضغوطا ومكالمات كثيرة تلح عليه من طرابلس ودمشق معادية لما حدث هناك ·· وأنه يريد معرفة الحقيقة ·

وأجبت بأنه يمكن لى السفر طبعا ·· ووجدت فى ذلك فرصة نادرة لمقابلة الأصدقاء فى الخرطوم لمحاولة تثبيت جسر الصداقة بينهم وبين القـــاهرة ·

وبدات تنهمر على المكالمات التليفونية من الفريق أول محمد صادق وزير الحربية ، وكنا نستذكر دروس القبول لكلية أركان الحرب معا ·· يعطينى معلومات عن الطائرة العسكرية الخاصة التى سوف تقلنى الى هنـــاك ·

ومن اللواء على بغدادى قائد القوات الجـــوية ·

ومن اللواء أحمد اسماعيل قائد المخابرات العامة الذى استفسر منى عن السبب فى غياب اسم مصر من البيان الأول للحركة ومحاولته معرفة الأسباب الداعية لذلك ·

ومن الدكتور عبد القادر حاتم الذى أبلغنى أن أنور السادات قد وافق على اقتراحه الخاص بأن يسافر معى الى السودان الصديق أحمد فؤاد الذى سبق أن سافر معى الى الخرطوم يوم ٢٥ مايو ١٩٦٩ ·

لم يعرف النوم طريقه الى عينى ·· فقد وردت اشارة للقوات الجوية تمنع نزول أية طائرة مصرية أو غيرها فى مطار الخرطوم ·· وهنا طلبت منهم أن يرسلوا اشارة للمسئولين هناك تفيد بأنى القادم على الطائرة ·

وعندما عرف الأصدقاء فى الخرطوم أنى ذاهب لزيارتهم سمحوا لطائرتنا بالهبوط ·

وتحركت الى مطار الماظة دون أن يكون هناك أى نوع من أنـــواع التوجيه سوى المكالمة التليفونية التى تمت حوالى الســـاعة الثانية بعـــد منتصف الليل مع أنور السادات ·

تحركت الطائرة وهبطت فى الأقصر ، ثم وصلنا الخرطوم بعد ٧ ساعات شاقة ، وكان الليل قد هبط هناك ·

عندما نزلنا من الطائرة فوجئنا بجنود مسلحين يحيطون بنـــا ،

وتقدم أحد الضباط يبلغنا بأن الرائد هاشم العطا ســوف يقابلنــا فى الصــباح ٠

ولكنى ألححت على مقابلته فورا حتى نستفيد من الوقت ، ونتعرف على حقيقة الأمر ٠

وعند منتصف الليل كنا نلتقى مع هاشم العطا فى مقر القيــادة العامة للقوات المسلحة السودانية بمعسكر الشجرة ٠٠ ودار بيننا حديث طويل ، تأكدت فيه من صدق العلاقة بين الحــركة السودانية والشعب المصرى ٠

أشهد أن هاشم العطا قال لنا انه قادم من مقابلة جعفر نميــرى وكان يقرن اسمه دائما بكلمة (الرئيس أو الأخ) وكان يتحدث عنه باحترام يتسق مع خلقه القويم ٠

وعندما سألته عما اذا كانت له رســالة أحملها معى للقاهرة ، استمهلنى للصباح حتى يتشاور مع زملائه مكررا أن ما تم هو حــركة تصحيحية لمسار حركة مايو العسكرية ٠

وفى الصباح خرجت الى شوارع الخرطوم ٠٠ كل شىء هادىء ، وبعض المدرعات والعربات المصفحة تقف فى بعض الأماكن بغير ضجيج ٠٠ وطالعت مجلة (القوات المسلحة) التى صدرت منها ثلاثة أعداد فقط ٠

توجهت الى منزل الصديق عبد الخالق المحجوب فى أم درمان فلم أجده هناك ، وخرجت زوجته تبحث معنا عنه فى منزل الدكتور مصطفى خــوجلى ٠٠٠

٠٠٠ وكنت قد علمت من هاشم العطا انه قد خرج من المكان الذى أختبأ فيه ٠٠ والمدهش انه كان حتى ذلك الوقت يختبىء فى منــزل قائد الحــرس الجمهورى ٠

قابلت هاشم العطا مصادفة وهو يصافح الجنود وأفراد الشعب ٠٠ وقال لى أن عملية تسلم السلطة من الطغمة البادة لم تستغرق أكثــر من ٤٥ دقيقــة ٠

كان مجلس قيادة الثورة قد تشكل برئاسة بابكر النور وعضــوية هاشم العطا الذى عينه قائدا عاما للقوات المســلحة ، وفاروق عثمان حمد الله وزير الداخلية السابق والثلاثة أعضاء سابقون فى مجلس قيادة الثورة ٠٠ وكان معهم مقدم محمد أحمد الريح الشيخ قائد احدى وحدات

المدفعية المضادة للطائرات ، ورائد محمد احمد الزين قائد احدى وحدات المدرعات ، ورائد محمد محجوب عثمان شقيق عبد الخالق محجوب ، وعقيد معاوية عبد الحى من الحرس الجمهورى ·

ولكن مجلس الوزراء لم يكن قد تشكل بعد ·· صرح هاشم العطا بأن الوزارة الجديدة ستؤكد سلطة الجبهة الوطنية الديموقراطية ، وستشترك فيها كل قوى الثورة ، التى ستختار ممثليها فى السلطة حتى تحاسبهم على جهدهم داخل السلطة ·

كان مجلس قيادة الثورة ذا صيغة يسارية ·· وكان تأخير تشكيل الوزارة باعثا على عدم تجميع كل عناصر الجبهة الوطنية الديموقراطية ·

أمضيت صباح اليوم فى جولة بالخرطوم انتهت بلقاء عند الظهر مع هاشم العطا وعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ·· ولم يكن لهم من طلب الا الرجاء بارسال الوزراء أو أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق المتواجدين بالقاهرة الى الخرطوم حيث تقرر محاكمتهم محاكمة علنية ·

وحملنى هاشم العطا تحياته الى أنور السادات مع تأكيده بأن أول وفد سودانى توفده الثورة سوف يتجه الى القاهرة التى يحرص على حسن العلاقة معها من منطلق مبدئى ، وأن عدم ورود اشارة لذلك فى البيان الأول لم يكن عن قصد مطلقا ·

وبعد المقابلة عدت الى الفندق ، وبدأنا نستعد لرحلة العودة ·· وفيما أنا جالس بعد تناول الغداء فى بهو فندق السودان اذا بالصديق عبد الخالق محجوب يحيط عينى بيديه ، ونعيش لحظات نادرة من الشوق المتوهج ، بعد شهور لم نلتق فيها منذ حضر الى القاهرة للتعزية فى وفاة جمال عبد الناصر ·

روى لى عبد الخالق المحجوب ما سمعه عن قصة الحركة التى تمت لأول مرة فى العصر مخالفة تقاليد الانقلابات التى تتم غالبا مع أول ضوء فى الفجر ، أو تحت ستر الظلام ·

وأكد لى ثقته بسلامة العلاقة بين شعبى مصر والسودان ، وذلك من جهة الذين تحركوا فى اليوم السابق لتغيير وجه السلطة فى السودان ·

رافقنى عبد الخالق المحجوب من الفندق الى المطار ، وودعنى حتى سلم الطائرة ·· تعانقنا طويلا ، وكانت عيناه آخر ما رأيت فى السودان حتى اليوم ·

وصلنا القاهرة ليلا ، ووجدنا فى المطار ضابطا من الرئاسة يبلغنا بأن أنور السادات يفضل أن يلتقى بنا غدا صباحا ·· وكان ذلك عكس ما توقعت اذ كنت أريد نقل صورة سريعة وكاملة لمشاعر وآراء الأصدقاء فى السـودان ·

وفى العاشرة صـباحا ذهبت لمقابلة أنور السـادات فى القناطر الخيرية ·· دون أن أكتب تقريرا عما حـدث ·

ولما تأخر فى الحضور قليلا طلبت ورقة وقلما كتبت عليها فى كلمات موجزة ما طلبه منى الأخوة فى السودان ، وحرصت على أن أنبه أنـور السادات بأن يشيد بما تم فى السودان ضمانا لحسن العلاقة وذلك فى خطاب ٢٣ يوليو وكنا يومها ٢٢ يوليو ·· ووقعت على المذكرة مع أحمـد فؤاد الذى رافقنى طوال الرحلة ، وكنا معا فى المقابلة ·

وجلسنا معا فى الحديقة تحت شجرة عتيقة ، وكانت هذه أول مرة أذهب فيها الى استراحة القناطر الخيرية بعد وفاة جمال عبد الناصر ·

وشعرت بفارق كبيـر ·

لم يقرأ أنور السادات الورقة التى قدمتها له وانمـا وضعها بجانبه على المائدة ·

لم يتحدث فيما ذهبنا اليه ·· وانما فتح موضوع انتخابات نقابة الصحفيين ، وقال لى انه نصح موسى بعدم الدخول ·· وتحدث أيضـا عن الروح السائدة فى الصحافة عموما ، والتى لا تتفهم طبيعة دوره ··

كان غريبا أن يتشعب بنا الحديث بعيدا عن محور الرحلة ·· وكان مثيرا أن تكون الجلسة بعيدة أساسا عن تفاصيل ما حدث فى السودان·

قال لنا أنور السادات فى مفاجأة مذهلة أن طائرة الخطوط الجوية البريطانية التى كانت تقل بابكر النور وفاروق عثمان حمد الله قد أجبرت بوساطة معمر القذافى على الهبوط فى طرابلس ·

وكدت أقفز من مقعـدى وأنا اطالبه بسرعة التدخل للافـراج عن الضابطين السودانيين اللذين كان أحدهما وهو بابكر النور قد عين رئيسا لمجلس الثورة ، وذلك لمعرفتى بطبيعة السودانيين الذين يرفضون الغدر ·· ولكن السادات كان هادئا ولم يشأ أن يفتح بابا عريضـا للحـديث فيما وقـع ·

ودهشت عندما وجدت أن بوناماريف قد وصل مع الوفد السوفييتى الى استراحة القناطر فنهضت معتقدا أن أنور السادات لابد وأن يتحـرك

لاستقبال ضيوفه ٠٠ ولكنه طلب منا الجلوس ، بما معناه أنه لا بأس من أن ينتظروا قليلا ٠

دخل الضيوف السوفييت الى المبنى الذى اعتـــدنا أن نلتقى فيه بجمال عبد الناصر ٠٠ وتحرك أنور السادات ببطء ليرحب بضيوفه ٠

وفى الطريق لم نتمالك أنفسنا أحمــــد فؤاد وأنا من المقـارنة بين جمال عبد الناصر وأنور السادات ٠٠ وبين الشعور بالدهشة والقلق من أسلوب الحوار ، ومن حادث اجبار الطائرة على الهبوط فى ليبيا ٠

وتوالت الأخبار علينا كالصواعق مع عصر ذلك اليوم ، تتنبأ بما حدث فى الخرطوم ٠٠ سقوط طائرة عراقية فى السعودية كانت فى طريقها من العراق الى السودان ٠٠ وقيام حركة فى القوات المسلحة السودانية ٠٠ واغتيال عدد من الضباط المعتقلين ٠٠ وهروب جعفر نميرى من القصر الجمهورى ٠٠ ثم اعدام أربعة من ضباط الحركة وهم هاشم العطـا ، ومعاوية عبد الحى ، وعبد المنعم محمد أحمد ، وعثمان حاج حسين قائد الحرس الجمهورى ٠

وكان قادة الانقلاب الذين اختطفت طائرتهم فى ليبيا قد أرسلوا الى السودان تحت حراسة مشددة ، حيث أعدم فاروق عثمان حمد الله يوم ٢٦ يوليو وأعدم بابكر النور يوم ٢٧ يوليو واعدم معه فى نفس اليوم الشفيع أحمد الشيخ رئيس اتحاد نقابات عمال السودان ٠

وفى وسط هذه الأخبار المؤلمة التى غيرت وجه السودان وأغرقته فى مذبحة دموية رهيبة ، فوجئت بصوت أنور السادلت يطلبنى فى مكتبى بروز اليوسف ، للحضور لمقابلته فى استراحة القناطر ٠

ذهبت الى هناك متسائلا عن السبب فى هذه الدعوة المفاجئة ٠

وفى الساعة الثانية ظهرا قابلت أنور السادات ، وكان يجلس على باخرة نيلية تقف على سطح النيل أمام حديقة الاستراحة ، وفوجئت به فور مقابلتى له قائلا (كنت أنوى تعيينك فى اللجنة المركزية لولا تقريرك عن السودان ٠٠ مثل صديقك الذى كان هنا الآن ٠٠ لطفى الخولى) ٠

ودهشت ٠٠ فلم أكن قد كتبت له تقريرا، وانما سجلت له فقط مطالب هاشم العطا وزملائه ، وحرصى على أن يشير اليهم مؤيدا فى خطاب ٢٣ يوليـــو ٠٠ وعندما قلت له اننى لم أكتب تقريرا ، تبين أنه لم يقرأ الورقة التى قدمتها اليه ٠

ودار بيننا حديث طويل كان يشكل عندى ما يشبه الصدمة لما حواه

من اتجاهات معادية تماما لما حدث فى السودان ، ورغبة فى القاء العبء فى عدم القتال الى نقص فى الأسلحة السوفيتية ، وتبسيط لما يطلبه منـه الأمريكان لحل المشـكلة ٠

ودارت بيننا منـاقشة طويلة انتهت فى الرابعـة والربع مساء وهو يردد (انت تعبتنى يا أحمد) ثلاث مرات ٠٠ وكانت هذه هى المقابلة الأخيرة مع أنور السادات حتى وافاه القدر ٠

وكان أنور السادات قد أشار فى خطابه يوم ٢٣ يوليو الى ما حدث فى السودان قائلا : (بس انا يهمنى أقول قدامكم حاجة عايز أسمعها للكل ٠٠ عايز أقول ان اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة ولدوله أسنان وعلى أى واحد وأى قوة بتفكر انها تعمل أى حاجة فى أى دولة من دول ميثاق طرابلس أنها تفكر عشر مرات) ٠

كشف التواطؤ الذى قام به أنور السادات مع معمر القذافى عندما أرسل له الفريق أول محمد صادق ليدبر خطة انزال طائرة الخطوط الجوية البريطانية واعتقال زعماء حركة ١٩ يوليو عن موقف حريص على ضرب أى حركة يسارية ٠٠ وبذلك يمكن القول بأن النظام فى مصر قد تراجع خطوة عن موقفه ليتساوى مع النظام الليبى والسورى فى ذلك الوقت ، حيث كان موقعهما أقل تقدمية من موقف النظام المصرى فى عهد جمـــال عبد الناصر ، الذى كان حريصا على اســـتيعاب الحركات اليســـارية والتقدمية والتعاون معها دون تناقضات دموية ٠

ويلاحظ أيضا أن ما حدث فى السودان ما كان يمكن أن يتم لو كان جمال عبد الناصر لم يلحقه القـــدر ٠

وانتهزت بعض الصحف المصرية وخاصة الأخبار فرصة ما حـدث فى السودان للتشهير باليسار عامة وبالحزب الشيوعى السودانى خاصة، فى اثارة ملحوظة ، رغم الأسى الذى عم الوطن العـربى حزنا على اعدام مجموعة من خيرة المناضلين والمثقفين العـــرب ، والذين كان آخـرهم عبد الخالق محجوب يوم ٢٨ يوليو بعد محاكمة بدأت علنية ثم انقلبت سرية أمام ثباته وشجاعته ٠٠

وفى اليوم التالى مباشرة سافر أنور السادات الى طرابلس ٠

خلال هذه الفترة حاول بوناماربيف وقف الاندفاع الجنونى نحو الاعدام فى السودان بالتوسط لدى أنور السادات أثناء زيارته القاهرة للمشاركة فى الاحتفال بالعيد التاسع عشر للثورة ، ولكنه لم يستجب له٠

وكان من أول الأعمال التى قام بها جعفر نميرى ابعاد سفير بلغاريا

واخراج مستشار السفارة السوفيتية ، وذلك بعد سحب سفيرى السودان من موسكو وصوفيا ·

وقد شرح الكاتب الصحفى ايريك رولو بعض ما حدث أثناء رحلتنا الى السودان فى مقالاته التى نشرت بصحيفة الموند الفرنسية تحت عنوان (انهيار الكميونة فى السودان) بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٧١ اذ قال :

وحتى يتم وضع وتنفيذ مشروع التدخل فى السودان ، أراد الرئيس السادات أن يخدع خصمه ويضلله · فبينما صدرت الأوامر الى الصحف المصرية بالتزام الحياد الكامل بشأن انقلاب ١٩ يوليو ، أرسل الرئيس السادات ، فى يوم ٢٠ يوليو أيضا ، اثنين من الشخصيات اليسارية المصرية « فى مهمة استعلامية » الى الخرطوم ، حتى يبعثا الثقة والطمانينة فى نفس هاشم العطا واخوانه ·· وهكذا سافر الى الخرطوم احمد حمروش رئيس تحرير مجلة روز اليوسف الأسبوعية · وأحمد فؤاد رئيس مجلس ادارة بنك مصر ، وهما من الأصدقاء المقربين لعبد الخالق محجوب السكرتير العام للحزب الشيوعى السودانى ، وهكذا أظهر عبد الخالق محجوب وهاشم العطا علامات الود والصداقة تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، وأعلنا أنهما يتمنيان أن يستمر التعاون بين البلدين ولكن خارج نطاق اتحاد الجمهوريات العربية ، لأنهم لا يؤيدون قيامه ، وأكدا أنهما لا ينويان أبدا اقامة نظام شيوعى فى السودان ، ووعدا بالمحافظة على حياة اللواء جعفر نميرى ، وفقا لرغبة الرئيس السادات ·

وبينما كان مبعوثا الرئيس المصرى يطيلان فى الأحاديث الودية مع الزعماء السودانيين ، كانت مصر وليبيا تستعدان لاسقاط هاشم العطا · وقد تم تخطيط التدخل على فترتين فوزير الدفاع السودانى ، خالد عباس حسن ، الذى كان موجودا فى بلجراد ، توجه يوم ٢٠ يوليو سرا الى القاهرة على متن طائرة خاصة · وفى اليوم التالى سافر الى طرابلس بصحبة الفريق صادق ، وفى العاصمة الليبية اكتملت العملية المزدوجة ، التى كان يجب أن تفتح الطريق أمام الانقلاب المضاد يوم ٢٢ يوليو :

تحويل خط سير الطائرة التابعة لشركة الخطوط البريطانية والتى كانت تقل القائدين الرئيسيين للحكومة السودانية الجديدة ، بابكر النور وفاروق عثمان حمد الله ·

ليس هذا فقط ·· بل يقال انه تم نقل الفين من رجال المظلات السودانيين ، فى طائرات مصرية · أما الجسر الجوى ــ اذ أن ١٥ طائرة كانت قد هبطت بالقرب من الخرطوم على قاعدة تستخدمها القوات الجوية

المصرية ـ فقد استخدم فى ساعة مبكرة من صباح يوم الخميس ٢٢ يوليو، اى قبل الانقلاب المضاد بعدة ساعات وليس فى صباح الجمعة كما تؤكد السلطات الرسمية ، وعلى ظهر هذه الطائرات كان هناك حوالى أربعين ضابطا ، أغلبهم من المصريين) ٠

وموقف أنور السادات من حركة ١٩ يوليو ١٩٧١ والتدبير الـذى اشترك فيه مع الدول الأقل تقدمية من مصر فى ذلك الوقت (ليبيا وسوريا) يظهر اتجاها يحمل فى مضمونه عداء غير مباشر للسوفييت ٠٠ عداء لا يمكن أن تغلفه عبارات المجاملة الرقيقة ، ولا مواد معاهدة الصـداقة التى لم يجف مدادها بعد ٠٠

الباب الرابع

الدوران الى اليمين

الصمت افضل ستار
مثل هندى

الفصل الثانى عشر

الدوران لليمين

كانت القضية المحورية هى معاودة القتال مع اسرائيل ٠٠ بعد أن توقف اطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ ولم يتجدد مرة أخـــرى ٠٠ وبقى الجنود فى خنادقهم تضيق منهم الصدور . وهم يتطلعون الى يـوم ينطلقون فيه الى المعركة ، حتى ولو بالصورة التى كانت خلال حـــرب الاستنزاف ٠٠ حيث كانت ترتفع روحهم المعنوية يوما بعد يوم نتيجـــة لكثافة الغارات الاسرائيلية ، وقلة معدل الخسائر فى الجانب المصرى ٠٠ كان ذلك يعتبر نوعا من التطعيم للمعركة ، والتأهب لتحرير الأرض ٠

لم يكن مقبولا عند جماهير الشعب أو جنود القوات المسلحة ، أن يمتد وقف اطلاق النار بلا حدود ٠٠ وخريجو الجامعات والمعاهد تمضى بهم السنين وهم فى ملابس الجنود ٠٠ البعض منهم أمضى سبع سنين ٠

كان القتال يقترن باسم جمال عبد الناصر ٠٠ وبدأ الناس يقرنون العزوف عن القتال باسم أنور السادات ٠

ولم تكن العودة الى القتــال عملية ســهلة ، يمكن أن تتم بطريقـة أوتوماتيكية ، وخاصة بعد مؤامرة مايو والتخلص من القائد العام للقوات المسلحة الذى تركزت فيه رؤية المعركة ، وتوثقت علاقته مع الخبـــراء السوفييت ٠٠ والذى كان يستعد استعدادا نهائيا لعمليات التحرير ، ولم يكن ينتظر كما ذكرنا الا توقيع أنور السادات على قرار المعركة بصـفته قائدا أعلى للقوات المسلحة ٠

كان أنور السادات أكثر اهتماما بترتيب البيت من الداخل ، والعمل على استقرار الأمور ٠

وبدأت مرحلة من مراحل التغيير الشامل ٠ حرص فيها أنور السادات

على أن يثبت وجوده باتخاذ قرارات مفاجئة تنسب اليه ، وتظهر أن هناك جديدا قد دخل الحياة السياسية فى مصر ، بعد وفاة جمال عبد الناصر ٠

أول قرار أصدره أنور السادات بعد مؤامرة مايو كان يوم ٢٠ مايو ١٩٧١ كما سبق أن ذكرت عندما أعلن أمام مجلس الأمة رغبته فى وضع دستور دائم ٠٠ وأعلن فجأة تغيير اسم (مجلس الأمة) ليصبح (مجلس الشعب) قائلا :

(ومن هنا يجب أن تتأكد سلطة مجلس الشعب ، اللى هو مجلس ـ ما هو اتغير اسمكو ٠٠ بقى اسمه مجلس الشعب) ٠

هكذا فى بساطة تغير اسم المجلس الذى نص عليه الدستور ٠

لم يكن الالتزام بالدستور مهما عند أنور السادات فى هذه المرحلة ٠٠ كل ما كان يهمه هو تغيير الأمور بما يضمن له الولاء الكامل وتثبيت اقدامه ٠٠ ولذا أقدم على مخالفة دستورية أخرى عندما أصدر قرارا بحل كافة تنظيمات الاتحاد الاشتراكى دون استفتاء قانونى كما تنص المادة ٢٩ من القانون ٠

وبدأت عملية انتخاب شاملة فى جميع مستويات الاتحاد الاشتراكى ٠٠ ولكنها توقفت عند القمة ٠٠ لم تتم انتخابات اللجنة التنفيذية العليا ٠٠ وقال أنور السادات فى تبرير ذلك أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى فبراير ١٩٧٢ (اننا سوف نؤجل ذلك الى ما بعد المعركة ، ودور كل واحد فيها هى التى ستحكم الانتخابات من أجل اختيار اللجنة التنفيذية العليا ، وهى اللى تحكم أيضا اختيار الجهاز الطليعى) ٠

وغنى عن البيان أن ذلك كان يعتبر قصورا فى التطبيق الديموقراطى داخل الاتحاد الاشتراكى ، حيث ركزت كل سلطات القمة فى يد رئيس الجمهورية ٠٠ ولعل تجربة أنور السادات السابقة مع اللجنة التنفيذية العليا قبل مايو ١٩٧١ هى التى دفعته الى تأجيل انتخاباتها بصورة مطلقة ٠

كما أن تأجيل تشكيل الجهاز الطليعى الى ما بعد المعركة كان يعنى فى مضمونه الغاء هذا الجهاز الذى نص عليه الميثاق ، والذى كان يعتبر بمثابة العمود الفقرى للاتحاد الاشتراكى . والذى طاردت الصحافة أعضاءه باعتبارهم أعضاء فى (جهاز سرى) ! رغم أن الذين تعاونوا مع أنور السادات خلال هذه المرحلة كان معظمهم أعضاء فى هذا الجهاز الطليعى الذى عرف باسم (طليعة الاشتراكيين) ومنهم على سبيل المثال دكتور عزيز صدقى وزير الصناعة ومحمد حسنين هيكل وممدوح سالم

وزير الداخلية ، وحافظ بدوى رئيس مجلس الشعب الذى جلس فى مقعد الدكتور لبيب شقير بعد مؤامرة مايو ، وعبد اللطيف بلطية وزير العمل.

كان أنور السادات يريد أن يحدث هـــزة فى الكيانات التنظيمية القائمة لتسقط منها العناصر الواضحة الاخلاص لجمال عبد الناصر ومن احاط به ممن أصبحوا خلف قضبان السجون ، وليستبدلهم بالعنـــاصر الأكثر استعدادا للتعاون معه .

وشغلت هذه التغييرات والانتخابات اهتمـــام الناس ، وصرفتهم مؤقتا عن قضية عودة المعركة والقتال من جديد .

والغريب أن أنور السادات كان يعلن فى نفس الوقت الذى انشـغل فيه المجتمع بكل هذا السيل من الانتخابات أن عام ١٩٧١ سوف يكـون عام الحسم ، وفسر ذلك بقوله فى خطاب الى الأمة يوم ١٢ يناير ١٩٧٢ بعد أن مضى العام دون حسم ودون قتال (ان هذا القرار يعنى أنه اذا لم يتوصل الى الحسم فى سنة ١٩٧١ ستظل القضية معلقة الى ما بعـــد ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤) .

لماذا ؟ لم يفسر سبب ذلك وانما قال :

(فى أكتوبر دعيت المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وفى هـــذا المجلس ، وفى هذه الجلسة بالذات تدارســـنا كل الموقف . ســـياسيا وعسكريا ، وانتهينا الى قرار وأصدرت تعليماتى للتجهيز للعمل قبل انتهاء ٧١ ، ولكن الضباب حجز كل شىء) .

لم يفهم الناس معنى لهذا الضباب الذى حال دون الانطلاق للقتال.

ولكن أنور السادات يعطى صورة جديدة للموقف فى نفس خطابه ، تشير الى أن الولايات المتحدة كانت تفكر من وقت مبكر فى انتزاع مصر من اطار الأمة العربية ، وأن ما قصده بمبادرته فى فبراير كان يستهدف حلا شاملا للمشكلة .

ولكن أمريكا كانت تنظر اليها على أنها حل جزئى مع مصر لأنها ـ حسب قوله ـ (هى القلعة والأساس) .. ثم يواصل تفسيره قائـــلا (راحوا واخدين المبادرة بتاعتى ولوينها وقلبوها انها حل جزئى مـــع مصر ولما تقدمت المفاوضات وتقدم الموقف شوية طمعوا أكتر مبقاش حـــل جزئى كمان مع مصر (بقى حل جزئى للحل الجزئى مع مصر) يعنى ايه؟ أنا حانبسط قوى وأرضى لما يقولوا لى نفتح لك قناة السويس ، وخلاص ، وحتى سموا هذا الحل فتح قناة السويس .

لم يكن مضمون الحسم اذن هو العودة للقتال ، وانما كان الرغبة فى حسم المشكلة عن طريق المبادرة · وبدأت المفاوضات السرية مـــع أمريكا ـ حسب ما جاء فى خطابه ـ ولكنها عندما انتهت الى لا شىء ، أعلن أن الضباب قد انسدل فحال دون الحسم ·· وعلل ذلك بحرب الهند والباكستان التى انتصرت فيها الهند وقامت دولة بنجلاديش ··

هذا وقد أسفر أنور السادات عن طبيعة هذه الاتصالات والخطابات المتبادلة بينه وبين نيكسون فى خطابه فى عيد العمال أول مايو ١٩٧٢ عندما قال انها توقفت فى نوفمبر ١٩٧١ وبدأت حملة مضادة ·

واذا كان أنور السادات لم يحقق هدفه فى أن يكون عام ١٩٧١ هو عام الحسم فى القضية الوطنية ·· فانه حقق ذلك فى القضية الداخلية، فقد استقرت الأوضاع الجديدة وبدات الأجهزة السياسية والتشريعية والتنفيذية والمهنية والرياضية تمارس عملها بقياداتها الجـــديدة مـــع بداية عام ١٩٧٢ ·

وصدر قرار جمهورى يوم ٢٣ سبتمبر يحمل رقم ٦٥ لعام ١٩٧١ فى غيبة مجلس الشعب بشأن استثمار المال العربى والمناطق الحرة ··· وهو قرار يعيد قضية الاستثمارات الأجنبية الى السطح ، والدعاية التى صاحبت ذلك هى الرغبة فى الانتفاع بروؤس الأموال العربية المتزايدة، والحرص على دعم الوجوه الاقتصادية العربية ، وقد صدر هذا القانون تحت عنوان (فى شأن استثمار المال العربى والمناطق الحرة) ، وهـــو يعفى المستثمرين العرب من الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية وملحقاتها لمدة خمس سنوات ، كما يعفى مبانى هذه المنشآت من قانون المساكن . ويسمح بتحويل صافى الربح الى الخارج ·

ولم يقتصر القانون على ذلك بل سمح لرأس المال الأجنبى بنفس المزايا والضمانات شرط الحصول على موافقة مجلس الوزراء واعتماد رئيس الجمهورية ·

ولكن ما ورد فى هـــذا القانون لم يكن كافيا لاغراء الرأسماليين العرب أو الأجانب على استثمار أموالهم فى مصر التى كان مجتمعها ما زال يعيش فى ظل قوانين يوليو . ولم يكن نظام أنور السادات ـ حتى ذلك الوقت ـ قد استطاع أن يبدد الشكوك ويكسب الثقة فى أنه قد أصبح قادرا على تغيير بنية المجتمع ·

عموما كان صدور القانون مؤشرا لا يريح الاشتراكيين الذين آمنوا بتجربة التطبيق فى مصر ·· وفى نفس الوقت لا يغـــرى الرأسماليين

الأجانب بالحضور الى هذا البلد الذى سبق الدول النامية فى محاولته وتوجهه الاشتراكى .

ولعل أبرز ما تم خلال هذه الفترة كان اقرار الدستور الدائم الذى جرى الاستفتاء عليه يوم ١١ سبتمبر ١٩٧١ ، وافتتح مجلس الشعب باسمه الجديد فى ١١ نوفمبر ١٩٧١ .

وقد نص الدستور على تغيير اسم الدولة كما كانت فى عهد جمال عبد الناصر اذ تغيرت من (الجمهورية العربية المتحدة) التى قال جمال عبد الناصر يوم ٥ أكتوبر ١٩٦١ بعد الانفصال انها ستظل محتفظة باسمها (رافعة أعلامها مرددة نشيدها مندفعة بكل قواها الى بناء نفسها لتكون سندا لكل كفاح عربى ولكل حق عربى ولكل أمل عربى) ..

أصبح اسم الدولة فى الدستور الجديد (جمهورية مصر العربية) .. ونص الدستور على أنها (دولة نظامها ديموقراطى واشتراكى يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة. والشعب المصرى جزء من الأمة العربية يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة) .

تفسير أنور السادات لهذا التغيير يقترن بقيام اتحاد الجمهوريات العربية مع سوريا وليبيا فهو يقول فى خطابه أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى يوم ٢٣ يوليو ١٩٧١ (وقام اتحاد الجمهوريات العربية ليكون أقوى وأقدر على استكمال رسالة الوحدة العربية الشاملة ، لذلك كان من الطبيعى أن يعود الشعب المصرى الى حمل اسم مصر العظيمة) .

الدستور الجديد يبعث على الاطمئنان من ناحية انتهاج طريق ثورة يوليو ، واختيار طريق التحول نحو الاشتراكية ، وبقاء الاتحاد الاشتراكى تنظيما وحيدا لتحالف قوى الشعب العاملة مع الاحتفاظ بنسبة النصف للعمال والفلاحين .

وقد استبقى هذا الدستور مضمون معظم مواد دستور ١٩٦٤ غير أنه سحب حق رئيس الجمهورية فى حل مجلس الشعب ، وأعطى ذلك للشعب فى استفتاء عام ، كما أنه قيد سلطة مجلس الشعب فى سحب الثقة من رئيس الوزراء الذى يستمد وجوده وسلطته من رئيس الجمهورية ، أو من الوزراء .

لم يعد للمجلس حق سحب الثقة ، واذا حدث خلاف بين المجلس والحكومة وانحاز فيه رئيس الجمهورية الى جانب الحكومة ، فان الفصل عندئذ يكون فى استفتاء تجريه أجهزة الحكومة (وزارة الداخلية) والذى

سوف يحسب أعضاء المجلس حسابه ألف مرة لأنه يمكن أن ينتهى الى حل المجلس نفسه ·

والاستفتاء بذلك يصبح وسيلة للقفز فوق السلطة التشريعية واقرار ما يطلبه رئيس الجمهورية ·

وعلى هذا الأساس الذى أقر فيه الدستور الجديد ، بدأ عام ١٩٧٢ والمؤسسات والهيئات والاتحادات بمجالس ادارة جديدة ·

ولكن بدايته مع ذلك كانت مقترنة بمظاهر اعتراض واضحة تجسدت فى تحركات ومظاهرات للطلبة احتجاجا على التقاعس عن دخول المعركة ·· وكانت التنظيمات القيادية فى الجامعة حتى ذلك الوقت من الذين تخرجوا فى منظمة الشباب ، وبلوروا أفكار مواثيق ثورة يوليو فيما عرف باسم (الناصرية) ·

ولم يكن للنظام عندئذ كلمة دفاع يمكن أن يدافع بها عن نفسه ·· فمعركة التحرر الوطنى كانت ضاربة الجذور فى أعماق الشعب الذى بلغ عدد أبنائه العاملين فى الجيش ما يزيد على ٨٠٠ر٠٠٠ مقاتل ·

ولم تكن كلمة الديموقراطية التى طالما ترددت فى الخطب ذات تأثير عميق ، وخاصة بعد أن صدر الدستور الجديد مشابها تقريبا للدستور القـــديم ·

لا يستطيع أحد القول حتى هذه المرحلة بأن الانحراف عن طريق ثورة يوليو كان واضحا أو مؤكدا ، فكثير من القيادات كانت من المؤمنين بمنهج ومواثيق ثورة يوليو ··

وأدرك أنور السادات والقيادات المتعاونة معه أنه رغم التخلص من اقرب أعوان جمـــال عبد الناصر فان اســـتقرار السلطة والأوضـــاع الاقتصادية يتطلب الابقاء على بنية المجتمع كما كانت فى عهد عبد الناصر لمرحلة معينة يمهد فيها للانقضاض بعد تجسيد الأخطاء والانحـــرافات وضمان السيطرة تماما على السلطة السياسية والادارية ·

وكان النقد الذى تعرض له النظـــام يأتى من جبهتين ·· الطلبة والعمال الذين يطالبون بالسير الثابت فى طريق عبد الناصر ·· وبعض السياسيين الذين كان لهم رأى خاص فيما يدور بمصر فكانت هـــذه المذكرة التى كتبت فى ابريل ١٩٧٢ ووقعها عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين والوزراء السابقون عصام الدين حسونة والمهندس أحمد الشرباصى ودكتور مصطفى خليـــل والمهندس عبد الخالق الشناوى والمحافظون السابقون صلاح دســوقى

وأحمد كمال أبو الفتوح ، والتى طالب فيها الموقعون بقاء أنور السادات فى مركزه مع تشكيل جمعية تأسيسية لاقرار اســــلوب وقواعد جديدة للحكم ، كما تضمنت المذكرة دعوة الى عدم تجاوز الحدود فى التعــامل مع الاتحاد السوفيتى نفيا لشبهة التبعية ·· وقد قال لى عبد اللطيف البغدادى ان فكرة تقديم هذه المذكرة قد نبتت قبل لقاء القمة المرتقب بين بريجنيف ونيكسون فى مايو ١٩٧٢ رغبة فى اتخاذ موقف يعيد لجبهـة القتال حرارتها ، وتحاشيا لعدم حدوث اتفاق بين الدولتين العظميين يعطل تحرير الأرض العربية المحتلة ·· وأنه لم يكن هناك أى اتجاه لتغيير علاقة الصداقة الوثيقة مع الاتحاد السوفيتى ·

النقد من الجانبين ·· والاجراءات تختلف ·

السلطة تعتقل بعض الطلبة وتبدأ التحقيق معهم ، وتغير قيادات بعض الصحف ، وقد سبقت روز اليوسف غيرها فى هذا المجال ، فأبعد كاتب هذه السطور من رئاسة تحريرها وأبعد أيضا نائب رئيس التحرير صلاح حافظ ، ومدير التحرير فتحى خليل فى يناير ١٩٧٢ ·· كما بادر الدكتور عبد القادر حاتم باصدار قرار فى فبراير ١٩٧٢ باجراء (مذبحة) تخلص فيها فى الاذاعة والتليفزيون من بعض أفضل أصحاب الخبرة المهنية والوعى السياسى مثل سعد لبيب وصلاح زكى وسميرة الكيــلانى وطاهر أبو زيد وعبد الوهاب قتاية وابراهيم عبد الجليل وغيرهم ··· وكانت هذه المرة الثانية التى تتم فيها حالات ابعاد فى ظل وجود الدكتور عبد القادر حاتم فى وزارة الاعلام فقد سبق أن اتخذ مثل هذا الاجــراء عام ١٩٦٤ ضد عبد الرحمن الشرقاوى ونعمان عاشور وعبد الرحمــن الخميسى وغيرهم ·

اما المذكرة فقد تحدث عنها أنور السادات أمام مجلس الشعب يوم ١٤ مايو ١٩٧٢ ، وأنقل نص حديثه :

(انا افهم أن الثورة والانفعال والتشنج يبقى على أمريكا اللى بلا حياء ولا خجل واقفة وبتقول ندى فانتوم وتصنيع لاسرائيل وعليــــكم يا تسلموا بشروط اسرائيل ويادوبك نفتح لكم قناة السويس وهى قاعدة لكم على الضفة ، وتفاوضوها مفاوضات مباشرة يا مافيش حاجة وتحطوا راسكم مطرح ما تحطوا رجليكم ·· بتقول لنا كده أمريكا علشان التشنج يبقى على أمريكا ·· الصديق الوحيد اللى وقف معانا وبنى السد العالى وناخد منه السلاح وبيساعدنا سياسيا ، ونختلف معاه ونرجع نصطلح، وماشية علاقتنا شريفة النـد للند هو ده اللى نتشنج عليه دلوقت ونسيب الأمريكان) ·

هذه العبارات تؤكد المرارة التى شعر بها أنور السادات من رد الفعل الأمريكى على مبادرته التى تقلص تاثيرها الى حد اقتراح اعـادة فتح قناة السويس فقط ٠

ومع ذلك انبعث فى هذه الفترة بالتحديد نوع من الهجوم داخل صفوف القوات المسلحة ، ضد الاتحـــــاد السوفييتى يتحمل مسئوليته بالتأكيد الفريق أول محمد أحمد صادق القائد العام ٠٠ ذلك أن الخلافات بين بعض الضباط المصريين وبعض الخبـــراء السوفييت هى من طبيعة الأمور ، واختلاف المشارب ، وتباين النظرة احيانا الى بعض القضايا ٠٠ ولكنها كانت تعالج دائما من جانب قيادة القوات المسلحة وقيادة الخبراء أيضا ، بأسلوب حريص على نسج تعاون سليم بوعى وطنى عميق ٠٠٠ ولكن ما حدث فى هذه الفترة قد تجاوز حدود القوات المسلحة فأصبح حديث المجالس ومثيرا لعلامات التعجب والاستفهام ٠

وهنا لابد من الاشارة الى أن الفريق أول محمد أحمد صادق قـد سلك سلوكا حرص فيه على اكتساب محبة الضباط عن طريق مساعدتهم وتقديم الخدمات لهم ، فتجاوز شعور رجال الجيش نحوه ، شعورهم نحو المشير عبد الحكيم عامر الذى كان يغدق على كل من يلجأ اليه ٠٠ وساعد على ذلك أنه خلف الفريق أول محمد فوزى الذى تميز بعسكريته الشديدة وانضباطه الذى استطاع بهما أن يعيد بناء القوات المسلحة بعد أن كانت قد تشردت تقريبا بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ٠

ولذا كان تولد هذا الشعور وتناميه فى صفوف القوات المسلحة ، أمرا يدعو الى التساؤل عما يمكن أن يثمره ذلك فى مجال التعـــــاون والاستعداد للمعركة ٠٠ كما أنه يعطى مؤشرا لموقف أنور السادات ، فقد كانت هناك مثل هذه الخلافات تنبعث فى عهد جمال عبد الناصر ، ولكنه كان حريصا دائما على مداواتها فى لحظة ، وسد أى ثغرات يمكن أن تنجم عنهـا ٠

ولذا كانت هذه الفترة من عام ١٩٧٢ حافلة بالمتناقضات ٠

الطلبة يتظاهرون ويحتجون على هذا الركود الذى غمر الموقف الى الحد الذى ذاعت فيه نكتة تقول ان أنور السادات ركب أتوبيسا ولما قال له المسارى انه ذاهب الى (التحرير) نزل مسرعا وقال (لا أنا ذاب الى (العتبة) ٠

التحرير ٠٠ لم يكن يعنى ميدان التحرير ٠٠ وانما يعنى تحـــرير الوطـن ٠

والعتبة ·· لم تكن العتبة الخضراء ·· وانما يقصـــد بها عتبـــة الآمريكان ·

جريدة الأهرام تفتح باب المناقشة فى سلسلة مقالات تحمل عنوان (لا حرب ولا سلم) ·· وفيها ظهر تلميح ونقد لموقف الاتحاد السوفييتى باعتباره مستفيدا من هذه الحالة ·· حالة الجمود التى سيطرت على الموقف ·

والمراقب لأجهزة الاعلام تأخذه الدهشة من المفارقات المثيرة ·· الخطب الرسمية وكلمات أنور السادات ما زالت تمجد ثورة يوليو ، وتتحدث بتقدير عن دور جمال عبد الناصر ، وتشيد بالصداقة المصـرية السوفيتية ·· ولكن مقالات بدأت تظهر فى الصحف تنقد ارهاب من أطلق عليهم اسم مراكز القوى وهى فى مضمونها هجوم على جمال عبد الناصر بطريق غير مباشر ، واقترن ذلك بعودة على أمين من الخارج وافســاح المجال له للكتابة فى أخبار اليوم ··

وأثارت هذه الحالة عددا من الكتاب ، فأصدروا بيانا نقـــدوا فيه الموقف الذى ساد مصر فى هذه الفترة ، حيث انحسرت موجة القتال ، ولم يظهر بعد فى الأفق ما يدل على اقتراب المعركة ، الأمر الذى يلقى أعباء مادية ونفسية على الجماهير ·

وقع هذا البيان توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ولويس عوض ويوسف ادريس وعباس الأسوانى وثروت أباظة وعدد من شباب الأدباء ·· ولـم تتح فرصة تداوله فى مصر حيث فرضت عليه الرقابة ، فوجد طريقه للنشر خارج مصر ·

ولا يمكن الادعاء بأن ما ورد فى هذا البيان كان تجاوزا للحـدود الطبيعية لدور المثقف المسئول · كما لا يمكن القول بأن فيه تهجما على النظام ، وأخيرا يصعب تصنيف الموقعين بأنهم من اليساريين ·

وقوبلت عريضة الكتاب التى صدرت منبعثة من مظاهرات الطلبـة وتحقيق النيابة معهم ·· قوبلت بمثل ما قوبلت به عريضة السياسيين ·· الرفض والادانة واتهام توفيق الحكيم أنه مخــــرف ، وأن البيان جسر للأحقاد والانهزامية ·

ولكن مجلس نقابة الصحفيين أصدر بيـــانا مؤيدا لحق الطلبة المشروع فى التعبير عن رأيهم ، ومطالبا بالحرية والديموقراطية ·

وأصبحت المعركة أيضا فى ساحة نقابة الصحفيين ، حيث يروى موسى صبرى (فى كتابه وثائق حرب أكتوبر) أنه عقد فى مواجهة مجلس

النقابة اجتماع فى منـــزل الفنان رخا حضره موسى صــــبرى ويوسف السباعى وعبد الرحمن الشرقاوى ومحمد صبيح ومصطفى بهجت بدوى وحافظ محمود ، وتم فيه الاتفـــــاق على أن يحضر الصحفيون اجتماع الجمعية العامة التالى لنقابة الصحفيين (وأن تكون معركة حياة أو موت لكشف الاتجـــاه اليسارى وأهدافه) حسب نص كلمات موسى صبرى ٠

والواقع أن الاتجاه اليسارى المعبر عن مواثيق ثورة يوليو كان ما زال سائدا ومسيطرا فى صفوف الطلبة والمثقفين والمهنيين ٠٠ وأن المعركة لم تكن قد حسمت بعد لصالح طرف دون الآخر ٠

ومحاولة من أنور السادات فى احتواء غضب بعض الكتاب طلب من الدكتور عبد القادر حاتم أن يلتقى مع توفيق الحكيم ـ حسب رواية محمد حسنين هيكل فى كتابه خريف الغضب ـ وتم اللقاء فعلا بين حاتم وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة ٠

ويبدو أن حاتم قد أفصح عن أسرار السياسة بأكثر مما يجب فقـد قال لهم (ان المعـركة فى الحقيقة لن تكون أكثر من مناوشـة محـدودة لاستلفات نظر العالم الى خطورة الموقف المتفجر فى المنطقة ليسرع الى منع الكارثة بتسوية مقبولة) ٠

وصل نص هذه العبارة الى أنور السادات عبر خطاب كتبه توفيـق الحكيم ليفسر موقفه أمام رئيس الجمهورية وحمله اليه محمـد حسنين هيـــكل ٠

فوجىء أنور السادات بما قال حاتم مما كان يتمنى أن يظل سرا من الأسرار ٠٠ وبناء على أسلوبه الذى يجيد التمويه فقد قال لهيكل لقد اكتشفت أن حاتم لا يصلح لمنصب رئيس وزراء ـ وكان فيما يبدو يؤهله لذلك ـ وطلب مقابلة توفيق الحكيم ٠

وعندما تمت المقابلة فى القناطر الخيرية ، أحسن أنور الســـادات استقباله وطاف معه فى حلم فنى حول دار الأوبرا الجديدة ٠٠ ولم يتعرض لما أصدره الحكيم من بيان ، أو يردد ما سبق أن وجهه له من اتهامات ٠

كانت المقابلة محاولة ناجحة لتصفية أثر كلمات عبد القـــادر حاتم ٠٠ ورغبة فى اجتذاب هؤلاء الكتاب ٠٠ وفعلا أصدر توفيق الحكيم بعد ذلك كتابا تهجم فيه على جمال عبد الناصر تحت اسم (عودة الوعى) ٠٠ وحصل من السادات على أرفع وسام (قلادة النيل) ٠

كان أنور السادات بارعا فى كبت مشاعره أحيانا ٠٠ لا تـكاد كلماته تفصح عما يطويه صدره من اتجاهات ٠

ولكن شيئا ما كان يختمر ، وخاصة بعد زيارتين قـــام بهما أنور السادات الى موسكو الأولى فى ٢ فبراير ١٩٧٢ والثانية فى ابريل ١٩٧٢ وكانت زيارته الأخيرة الى موسكو ٠٠ وقد سبق هذه الزيارة مؤتمـر قمة الدولتين العظميين بين نيكسون وبريجنيف الذى عقد فى ٢٠ مايو ١٩٧٢ بموسكو ، والذى اعتبر خطوة هامة فى طريق التعايش السلمى بين الدولتين العظميين والذى يقول أنور السادات انه لم يسترح الى ما ورد فى بيانه من كلمات عن الاسترخاء العسكرى فى المنطقة ، رغم أن البيان قد نص فقط على (ان التوصل الى تسوية سيؤدى الى انفراج الموقف العسكرى فى المنطقة ، وان كوسيجين قد صرح بأن شرط التسوية هو انسحاب اسرائيل ومع ذلك فلم يتضمن البيان المشترك الذى صدر يوم ٢٩ مايو نصا على انسحاب اسرائيل ٠٠ وهذا دليـــل على رفض الجانب الأمريكى الالتزام بهذا الموقف ٠

لم يعد سرا أن أنور السادات قد بدأ يغير علاقته مع السوفييت ٠٠ فقد كان يعلم ويتسامح ٠٠ بل ويشجع بالصمت ما كان يقوم به الفريق أول محمد أحمد صادق من هجوم على الخبراء السوفييت والأســـلحة السوفيتية داخل صفوف القوات المسلحة ٠٠ ولكنه ظل يخفى ذلك علانية، بل ويظهر علاقات صداقة خاصة مع بعض الزعماء السوفييت الذين يزورون مصر ، مثلما حدث مع الماريشال جريتشكو الذى حضر الى مصر فى أعقاب زيارة أنور السادات لموســـكو للتأكد من ســـلامة المساندة السوفيتية للقوات المسلحة المصرية ٠٠ وكان ذلك يوم ١٥ مايو ١٩٧٤ ٠

كان الفريق أول محمد صادق قد دعا الماريشال جرييتشكو وزيـر الدفاع السوفيتى الى حفل عشاء بنادى الضباط بالزمالك ، والمواجـه تقريبا لمنزله ، واضطر للانتظار حتى الحادية عشرة مساء لأن جريتشكو كان ضيفا منذ السابعة مساء فى منزل أنور السادات يحتفى به ٠ وتغنى له احدى بناته اغنية روسية تعلمتها عندما كانت تحضر معسكرا للشباب فى موسكو ٠

كان الماريشال جريتشكو قد حضر ومعه قائد الطيران السوفيتى ومعه طائرة جديدة هى سوخوى ١٧ ، قاموا بتجربتها ٠٠ ومنحهم أنور السادات نياشين تقديرا لهم ٠

الى هذا الحد اجاد أنور السادات أسلوب التمـــويه ٠٠ فى وسائل الاعلام وعلى صعيد العلاقات الشخصية ٠

وتميز شهر يونيو بعدد من الأحداث الهامة ٠٠ وبدأت بقرار ابعاد اسماعيل فهمى وتحسين بشير من وزارة الخارجية لموقفهما من السوفييت

فى ندوة عقدت بجريدة الأهرام ·· وشارك فيها السفير محمد عوض القونى والدكتور أسامة الباز وأحمد بهاء الدين وتحسين بشير وحاتم صادق وعبد الملك عودة ثم حدثت فى منطقة الشرق أحداث هامة تستحق الرصد لتأثيرها غير المباشر على مصر فى علاقتها الجديدة والسرية مع الولايات المتحدة ، فقد أصدرت العراق قرارا بتأميم البترول العراقى فى هذا الشهر ، واعتبر هذا القرار ضربة موجهة للامبريالية مشابهة لتأميم قناة السويس ، كما أن الموقف السياسى تغير فى اليمن الديموقراطية الى الحد الذى جعل الصحف المصرية تعلن فى مانشيت يقول (النجمة الحمراء فوق اليمن الجنوبية) ، وهنا قام وليم روجرز وزير خارجية أمريكا بزيارة اليمن الشمالية فى أول يوليو وأعاد العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين البلدين ·

وبدأت خطوات أنور السادات تتجه نحو طريق جديد ، لم تطرقه ثورة يوليو منذ بدأت علاقتها مع السوفييت ، بعد أن كسرت احتكار السلاح وحطمت قيود التبعية للدول العربية فى معركة الأحلاف العسكرية، واتخذت موقفا صلبا من قضية الاستقلال الوطنى ، وتبنت سياسة عدم الانحياز ·

خطا أنور السادات خطوة كانت مفاجئة لعامة الناس ، ولكنها كانت متوقعة من الذين يعرفون خبايا السياسة المصرية ، وان لم يتوقعوا بالتأكيد أن تتم بهذه السرعة ·

قابل أنور السادات السفير السوفيتى يوم ٦ يوليو ٢٧ الذى سلمه رسالة من القادة السوفييت ، وبعد أن لم يجد فيها ردا على بعض مطالبه – حسب قوله – اتخذ قرارا منفردا لم يستشر فيه أحدا من معاونيه ، رفض فيه الرسالة شكلا وموضوعا – حسب ما كتبه فى كتاب البحث عن الذات – وقرر الاستغناء عن جميع الخبراء العسكريين على أن يعودوا للاتحاد السوفيتى خلال أسبوع ، وأن يحملوا معهم طائرات الميج ٢٥ ومحطة الحرب الاليكترونية اذا رفضوا بيعها لمصر ·

لم يبلغ أنور السادات وزير الحربية الفريق أول محمد أحمد صادق الا بعد أن كان قد اتخذ القرار وأبلغه للسفير السوفييتى فعلا ، وأرسل وفدا الى موسكو برئاسة الدكتور عزيز صدقى ليقنع السوفييت بأن يصدروا معا بيانا مشتركا يدل على أن القرار قد اتخذ بالتفاهم ، ولكن السوفييت رفضوا ذلك تماما ، وشاءوا للأمور أن تمضى بصورتها الطبيعية ·

وكان معروفا كما ذكرنا أن السوفييت أنفسهم كانوا حريصين على

لا تبدأ المعركة وهناك خبراء ومقاتلون من عندهم ، حتى لا تتصاعد الأمور الى درجة الصدام مع الولايات المتحدة ٠

ونفذ السوفييت رغبة أنور السادات قبل الموعد المحدد ، وأفحموا بذلك دعاوى هؤلاء الذين كانوا يرددون بلا انقطاع أن الوجود السوفيتى فى مصر قد زاد عن حده ، وأنه أصبح نوعا من الاستعمار المقنع ٠

وقد انعكس هذا القرار الذى آثر أنور السادات أن يطلق عليه تعبير (وقفة مع الصديق) ، انعكاسا مثيرا للدهشة والريبة معا ٠٠ اذ كيف يستقيم هذا القرار مع عبارات المديح والتقدير للسوفييت التى لم تنقطع أبدا فى مجال العلاقات الرسمية ، وكيف يمكن أن يكون هذا العمل خطوة فى طريق معركة التحرير ٠

زادت الشكوك فى نفوس الجماهير . بهذا القرار الذى سبق به أنور السادات كل الخطوات التى قام بها القائد العام الفريق أول محمد صادق فى محاولة الاساءة والتشهير بالخبرة والأسلحة السوفيتية ٠٠ وهو فيما يبدو كان قد استشعر الشعبية التى حصل عليها الفريق أول محمد صادق فى صفوف القوات المسلحة ، فأراد أن يسبقه فى مجاله فكان توقيت هذا القرار ٠

المثير أن الاتحاد السوفيتى لم يستبد به الغضب نتيجة لهذا الموقف الذى أساء الى وجوده بكل تأكيد ٠٠ وأعلن أنه ملتزم بتوريد كل ما تم التعاقد عليه من أسلحة ومعدات ٠٠ ولعلهم فى ذلك كانوا حريصين على صدق التعامل مع الشعب المصرى وقواته المسلحة ٠

ويقول أنور السادات فى الجانب المقابل عندما زادت موجات التساؤل عن السر وراء اخراج الخبراء السوفييت أنه فعل ذلك لأنه لم يكن من الطبيعى أن يدخل الحرب وفى مصر خبراء عسكريون سوفييت ٠

ولكن هذه الفترة لم تثمر الهدوء فى المجتمع ٠٠ العكس هو الصحيح ٠٠ الكل يطلب المعركة ٠٠ كلمات النقد تزيد ٠٠ السنوات تمر على خريجى الجامعة وهم فى ملابس الجنود يعيشون حياة الخنادق الجافة ٠

أحد الضباط يعبر عن المشاعر المكبوتة ، عندما قاد وحدته من السيارات المدرعة الى مسجد سيدنا الحسين مخترقا شوارع العاصمة يوم ١٢ اكتوبر ١٩٧٢ ٠٠ فكان هذا الحدث فى ذاته دليلا على امكانية حدوث أى تصرف من جانب الجماهير أو الجنود ٠

وفى هذا المضمار اتخذ أنور السادات خطوة مفاجئة أخرى اذ أصدر قرارا فى ٢٨ أكتوبر أعفى فيه الفريق أول محمد صادق بدعوى أنه قد

أبلغه ضرورة أن تكون القوات المسلحة جاهزة يوم ١٥ نوفمبر ، ثم تبين له ـ حسب قوله ـ أثناء اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٤ أكتوبر أن الفريق أول صادق لم يبلغهم بأمر هذا الاستعداد ٠

تعين الفريق أحمد اسماعيل قائدا عاما للقوات المسلحة ، واستطاع حسب قول أنور السادات ـ أن يجهز القوات تماما فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٢ ثم سافر فى فبراير ١٩٧٣ الى موسكو حيث عقد أكبر صفقة سلاح مع السوفييت منذ وفاة عبد الناصر ، وهكذا واصل السوفييت امداد مصر بالأسلحة ٠

أسرار التسليح والاستعداد للمعركة ظلت خلف ستار ، وفى أرجاء المجتمع يزداد الغليان ٠٠ وتلح المطالبة بالعودة للقتال ٠

ومع بداية ١٩٧٣ وفى شهر فبراير ١٩٧٣ بالتحديد أرسل أنور السادات مستشار الأمن القومى حافظ اسماعيل الى واشنطن لمقابلة نيكسون تحت أضواء الاعلام والدعاية ، مع لقاء سرى تم مع هنرى كيسنجر لم يسفر عن شىء حيث كانت المشكلة خامدة وباردة ولا تغرى أحدا بالاقتراب منها ومحاولة حلها ٠

وفى نفس الشهر الذى كان فيه حافظ اسماعيل يقابل نيكسون كان أنور السادات قد أصدر قرارات مثيرة فى عالم الفكر والثقافة لا يستطيع الكاتب أن يعزلها عن هذه الاتصالات المصرية الأمريكية المتزايدة والمتنقلة من عالم السرية الى العلنية ٠٠ فقد وجهت القرارات ضد الكتاب ورجال الاعلام الذين اشتهروا بأنهم من أبناء ثورة يوليو وأنصارها ٠

صدر يوم ٤ فبراير ١٩٧٣ قرار هيئة التنظيم بالاتحاد الاشتراكى برئاسة حافظ بدوى رئيس مجلس الشعب ، وعضوية محمد حامد محمود وأحمد عبد الآخر والدكتور أحمد كمال أبو المجد ، ويوسف مكاوى ، ويمثل أمانة التنظيم محمد عثمان اسماعيل باسقاط العضوية العاملة عن ٦٤ من المهنيين أعضاء التنظيم السياسى بحيثيات تقول (من المعروف أن الفصل من العضوية العاملة للاتحاد الاشتراكى يترتب عليه اسقاط عضوية أى تنظيم نقابى ، أو مجلس ادارة ، أو وحدة اتحاد اشتراكى ، أو أى مستوى من مستويات التنظيمات السياسية المساعدة كما يترتب عليه ابعاده عن أى عمل تكون العضوية العاملة شرطا للممارسة مثل الصحفيين، وذلك حسب قانون الصحفيين ولا يجوز تبعا لذلك أن يعتبر صحفيا لأن ممارسة العمل الصحفى تشترط أن يكون عضوا عاملا بالاتحاد الاشتراكى على أن تسرى حالته فى المؤسسة الصحافية التابع لها ويحال الى المعاش) ٠

وفيما يلي نسجل أسماء هؤلاء الذين أبعدوا قسرا عن الاتحـــاد الاشتراكي : فيليب جلاب ـ محمد عودة ـ حسين عبد الرازق ـ مصطفى نبيل ـ كمال سعد ـ محمود المراغي ـ يوسف ادريس ـ عادل حسين ـ أحمد عبد المعطى حجازى ـ فريدة النقاش ـ مكرم محمد أحمد ـ سمير تادرس ـ الأمير العطار ـ صلاح عيسى ـ صافينـــاز كاظم ـ مصطفى الحسينى ـ محمد العربى ـ أمير اسكندر ـ سعيد حبيب ـ نبيل زكى ـ محمد محسن الخياط ـ فتحى عبد الفتاح ـ جمال الغيطانى ـ شـــوقى مصطفى ـ أسعد حسنى منصور ـ أحمد فاروق الطويل ـ زيد الشريف ـ الامام الجميعى ـ محسنة توفيق ـ سامى السلامونى ـ على عبد الخالق ـ صلاح السعدنى ـ عدلى فخرى ـ فؤاد التهامى ـ محمد رجائى الميرغنى ـ أحمد فؤاد نجم ـ الدكتور على الراعى ـ محمود أمين العالم ـ الفـريد فرج ـ أمل دنقل ـ ابراهيم فهمى منصور ـ دكتور لويس عوض ـ زكى مراد ـ عبد الله الزغبى ـ يوسف درويش ـ حامد رضوان الأزهرى ـ أحمد نبيل الهلالى ـ عادل حسين ـ عبد المحسن شاشة ـ عادل كـامل فانوس ـ سعاد حماد ـ جلال محمد رجب ـ عبد العظيم الجـزار ـ محمد عبد العزيز علوان ـ لوقا قلدس النخيلى ـ رشوان فهمى ـ دكتور على تويجى ـ دكتور مصطفى السماع ـ مهندس عبد المحسن حمودة ـ عبـد الرحمن شـــوقى ـ نزيه أحمد أمين ـ عبد الرازق عبد العـال ـ بديع الشرملى ـ سمير عبد البـاقى ٠

(يلاحظ استثناء توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة فقط من الموقعين على بيان الأدباء) ٠

قرار هيئة النظام كان صدمة شديدة لكل القوى الوطنية والتقدمية فقد اتخذت اجراءات لم تعرف من قبل فى تاريخ العمل الصحفى أو المهنى ٠٠ فلم يحدث مطلقا أن أزيلت صفة الصحفى عنه نتيجة عزله من الاتحاد الاشتراكى ٠٠ ولم يحدث أن استتبع ذلك تســوية حالته واحالته الى المعـــاش ٠

أقصى ما وصل اليه الأمر كان القرار الذى أشرنا اليه وصدر بناء على تعليمات الدكتور عبد القادر حاتم بتحويل عمل بعض الصحفيين من دار الجمهورية خلال رئاسة حلمى سلام لمجلس ادارتها الى مؤسسات اخرى غير صحفية مع المحافظة على مرتباتهم وعضويتهم فى النقـــابة ٠٠٠ والقرار الذى صدر أثناء جمع محمد حسنين هيكل لرئاسة مجلس ادارة الأهرام وأخبار اليوم بابعاد بعض الصحفيين من أخبار اليـــوم ثم الرجوع عنه بعد توقيعه وقبل نشره ٠

أغلبية هذه الأسماء كما تلاحظ من العاملين فى مجال الصحافة ٠٠

وعدد منهم عاش سنوات فى معتقلات ١٩٥٩ ـ ١٩٦٤ فيتحت للشيوعيين واليساريين · ولذا أثبتت هذه القرارات أن الاتحاد الاشتراكى قد تحول الى قبضة أخرى معادية لليسار واليساريين ، وأنه قد بدأ حملة للتخلص منهم مصاحبة لمحاولة فتح أبوابه للعناصر المعادية لثورة ٢٣ يوليو ·

أصبح الاتحاد الاشتراكى هو وسيلة السلطة التنفيذية لعزل وفصل المغضوب عليهم دون تحقيق أو محاكمة ·· ودون اعتقال أيضا ·

كان الاتحاد الاشتراكى قد أثخنته الجراح ، وهزت قواعده كثـرة التغييرات والتعديلات غير القانونية ، وأصبح أداة ادارية فى يد السلطة التنفيذية ·· الأمر الذى جعل الحديث عن محاولة بعض الديمقراطية فيه نوع من الهراء ·· فقد أصبح مريضا بدرجة مستعصية يستحيل معهـا الشـفاء ·

وتأكدت حقيقة العدوان على الاعلام والثقافة عندما صدر قـرار آخر بنقل ١٠٤ من العاملين فى الصحافة والثقافة والاعلام الى مصـلحة الاستعلامات فى نفس التاريخ ٤ فبراير ١٩٧٣ ، وهو ما يعنى حرمانهم من العمل أو الكتابة أو التردد على دور الصحف ·

ونسجل فيما يلى أسماء الصحفيين الذين طبق عليهم هذا القرار · وبعضهم كان فى منصب رئيس مجلس ادارة (أحمد بهاء الدين ـ دار الهلال) وبعضهم كان رئيسا للتحرير (أحمد حمروش ـ روز اليوسـف ـ ولطفى الخولى ـ الطليعة) عبد الرحمن الخميسى ـ سعد كامل ـ صلاح حافظ ـ رجاء النقاش ـ محمد ثروت اباظة ـ مصطفى بهيج طه·نصار ـ ابتسام الهوارى ـ أمينة محمد شفيق ـ ميشيل كامل ميخائيل ـ خيرى عزيز خليل يوسف ـ الفريد مرقص بشارة ـ علاء الديب ـ فاروق القاضى ـ عايدة العزب موسى ـ السيد عبد الحميد محمد عزت ـ فتحى خليل ـ الهام سيف النصر ـ زهدى العدوى ـ نجاح عمر ـ عبد الله امام ـ حسنين سيد كروم ـ رعاية النمر ـ محمود سالم ـ فاروق أبو زيد ـ محمد بركات ـ محمد البيلى ـ رشدى عبد الله ـ أحمد مالك ـ فتحى شريف ـ عـلى ماهر عبد العزيز ـ عفاف الجبيلى ـ محمود السعدنى ـ محمد عبد الجواد ـ كمال عامر ـ على سلطان ـ انس جاد الحـــق ـ عادل عامر ـ أمين المعداوى ـ صلاح عبد اللطيف ـ حمدى الشـــامى ـ محمـــد نجيب عبد العليم ـ سيد الجبرتى ـ عبد الوهاب مرسى ـ محمود عبد العـزيز حنفى ـ سعيد الشرقاوى ـ سعد التائه ـ فاروق عبد السلام ـ حلمى التونى ـ ابراهيم عامر ـ راجى عنايت ـ عدلى برسوم عبد الملك ـ محمد أبو الحديد على ـ مصطفى كمال فؤاد ـ عبد العال محمد ـ عبـدالعـال

الباقورى ـ أمية محمد أبو النصر ـ عبد الله نوار ـ كامل زهيرى ـ حسن الشرقاوى ـ محمد محمود حمدى ـ عبده مباشر ـ غالى شكرى ـ ناصر حسين ـ زكريا نيل ٠

وبقية الأسماء هم من الذين كانوا يعملون فى الاذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما وهيئة النشر ٠

وصحب هذه الحملة الجائرة أو تبعها اغلاق المجلات الثقافية (الفكر المعاصر ـ المسرح والسينما ـ الفنون الشعبية ـ المجلة ـ سلسلة المكتبة الثقافية ـ سلسلة المسرحيات العالمية) ٠

كان هذا الموقف الجديد دليلا على دخول مرحلة صدام مع المثقفين والمفكرين التقدميين ٠٠ فى وقت ازدادت فيه المعارضة لصمت النظام وعدم دخوله المعركة ٠

ويلاحظ خلال هذه الفترة أنه كان هناك نوع من (الشيزوفرانيا السياسية) ٠٠ فالدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء كان يتجه تماما فى طريق ثورة يوليو يحرص على دعم الصناعة ويتجه الى التطبيق الاشتراكى ويواجه الجماهير فى التليفزيون مرة كل أسبوع ، يناقش القضايا الحيوية، ويتصارح مع الجماهير فى مشاكلها ٠

وشعر الناس لأول مرة أن هناك وزارة لا تطل فقط الا من تحت جناح رئيس الجمهورية ٠٠ وأن لها سياسة واضحة ٠٠ مفتوحة وصريحة ٠

ولم يكن الأمر كذلك فى الاتحاد الاشتراكى الذى كان يتولى أمانته العامة المهندس الزراعى سيد مرعى المقرب من أنور السادات ٠٠ فقد تشكلت أمانته التنظيمية والعامة من عناصر لم تعرف عنها التقدمية ولا الاشتراكية ٠٠ وهى التى تهدد بدور رئيسى بارز فى (مذبحة رجال الاعلام) التى أشرنا اليها ٠

ويذكر على سبيل المثال أن سيد مرعى كان يدعو السفير البريطانى لحضور ندوات فى الاتحاد الاشتراكى ، بينما كان يذهب الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء الى مواقع الصناعة والطبقة العاملة !!

وقد استند أنور السادات الى هذه (الشيزوفرانيا السياسية) الى حد بعيد فى محاولة بألا يظهر أنه قد استدار لخط عبد الناصر فى جهاز الدولة ، بينما حاول أن يخضع الجهاز السياسى لمفاهيمه واتجاهاته الشخصية ٠

ولم تكن الأمور تمضى فى هدوء ٠٠ الخلافات والمنافسة بين دكتور عزيز صدقى وسيد مرعى أصبحت حديث المجالس ٠

وأذكر أن عزيز صدقى كان حريصا على الاندفاع فى عمله واثقا ان انجازاته سوف تكون هى الحامية له ·· وأن سيد مرعى كان حريصا على التنصل من القرارات التى أصدرتها أمانة التنظيم باخراج وعزل رجال الفكر والاعـــلام ·

واحتدم الموقف الى الحد الذى جعل أنور السادات يعين عزيز صدقى وسيد مرعى مساعدين لرئيس الجمهورية ، ويتولى هو رئاسة الوزراء فى ٢٦ مارس ١٩٧٣ ·

ويعتبر خروج الدكتور عزيز صدقى من رئاســـة الوزارة دورانا ملحوظا الى اليمين وبداية لمرحلة جديدة ، فقد تم قبل خروجه من الوزارة زيارات هامة الى موسكو ، رغم أن الدكتور عزيز صدقى كان هو رئيس الوفد الذى سافر الى الاتحاد السوفيتى يوم ١٣ يوليو ١٩٧٢ للاتفاق على صيغة مشتركة لاخراج الخبراء السوفييت ، ورفض الزعماء الســوفييت لذلك ·

سافر خلال رئاسته للوزارة كل من حافظ اسماعيل مستشار الأمن القومى ، وأحمد اسماعيل وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة ·· سافر الاثنان الى موسكو كل على حدة خلال شهر فبراير ١٩٧٣ وتم لقاء بين كل منهما وبين بريجنيف ·

عبر أنور السادات عن هاتين الزيارتين بقوله (اننا وضعنا علاقاتنا فى اطارها الصحيح الذى نرضى عنه جميعا) ·

صحيح أن حافظ اسماعيل قد اتجه بعد زيارته لموسكو الى لنــدن ثم واشنطن فى رحلته التى أثارت كثيرا من الأقاويل حول الهدف منهـا باعتبارها أول زيارة يقوم بها مسئول مصرى كبير الى واشنطن منذ عدوان يونيــو ١٩٦٧ ·

وفسر السادات ذلك بأنها تمت فى اطار التشاور مع القوى الخمس العظمى فى الأمم المتحدة ·· وكان سيد مرعى قد قام أيضا بزيارة لبعض الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز ·

ولكن هذا النشاط الدبلوماسى لم يصل الى قلوب الجماهير ·

كان الشعب المصرى قد اعتاد منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ أن يســـمع ويتابع أخبار معارك حرب الاستنزاف التى امتدت ثلاث سنين وشهرين ، الى أن تم وقف اطلاق النار يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠ ·

ولكن الأيام تمضى ·· وحديث المعركة يخفت ·· وهمس الاتصالات مع الأمريكيين يعلو ·· والأمل فى تحرير سيناء يكاد يتحول الى سراب ·

والمظاهرات ما زالت رغم اعتقالات الطلبة عنصرا من عناصر التأثير .. وأنور السادات لم يعد عنده فى ميدان السياسة جديد يمكن أن يقدمه وصولا الى حل سلمى بعد مبـــادرته فى ٤ فبراير التى لم تفتـح أمريكا ذراعيها لهـا .

وهو يهاجم نيكسون فى حديث صحفى أدلى به فى مايو لصحيفـة يوغوسلافية قائلا ان مطالبته من الرئيس نيكسون أمام الكونجرس بحلول وسط من الجانبين هو أمر (فيه مغالطة عنيفة / مغالطة شديدة جدا ، يسوى بين المعتدى والمعتدى عليه ، بيسوى ما بين اللى بيحتل الأرض واللى أرضه محتلة) .

لم يعد لدى أنور السادات ما يمكن أن يقدمه بعد مبادرته ، وطرده للخبراء السوفييت ، واقتلاعه المفكرين والمثقفين اليساريين من مواقعهـم القيادية فى توجيه الرأى العـــام .. ولذلك بدأ يتحـــدث عن المعركة واحتمالاتها وخاصة بعد فشل مهمة حافظ اسماعيل فى واشنطن ، حيث لم يسمع كلاما مشجعا وانما سمع فقط مطالب فى صالح اسرائيل .

وهنا نلتقط كلمة قالها السادات فى نفس هذا الحديث الصـحفى لم تتردد من قبل فى عالم السياسة المصرية .. ومجرد ذكرها يعطى ايحاء خاصــا .

قال أنور السادات (لو أن حافظ اسماعيل جلس مع جولدا لكان الأمر أقل سخافة مما سمعه فى واشنطن) .

هذه العبارة التى قيلت فى معرض الاستنكار ، تلتقى مع نداء كانت قد توجهت به جولدا مائير لأنور السادات من الولايات المتحدة فى فبراير ١٩٧٣ ، ثم فى الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام اسرائيل فى مايو ١٩٧٣ تطلب فيه مفاوضات مباشرة دون أية شروط مسبقة .

لم توجه جولدا مائير النداء الى جميع الزعماء العرب ، وانمـــا قصرت الأمر على أنور السادات الذى كان حتى هذ اللحظة يعترض عـلى فكرة المفاوضات المباشرة باعتبارها (عروضا للدعاية والاستهلاك العالمى) مقارنا بينها وبين النداء الذى وجهه هتلر الى تشرشل بعد أن احتـــل أوربا كلها خلال الحرب العالمية الثانية .

عاد أنور السادات اذن للحديث عن الحرب ، والاستعداد للمعـــركة بعد أن حصل فى الاتحاد السوفيتى خلال رحلة الفريق أحمد اسماعيل وزير الدفاع على صفقة أسلحة اعتبرت أكبر الصـــفقات التى حصلت عليها مصر .

وكان أنور السادات خلال هذه المرحلة بين ضغطين .. ضغط من

الطلبة والشباب الذين استمرت مظاهراتهم ، والذين التمس لهم العـذر فى بعض خطبه بدعوى أن ذلك من تأثير حالة (اللاسلم واللاحرب) ، وان كان يتهجم ـ حسب قول السادات امام مجلس الشعب فى يناير ١٩٧٣ ـ على القيادة السياسية ولجوئها الى الحلول الاستسلامية ، والمطالبة بما سموه الحرب الشعبية واقتصاد الحرب الحقيقى ٠

وضغط آخر غير معلن من داخل القوات المسلحة التى أمضى معظم جنودها الذين وصلوا الى عدد يقترب من المليون ، عدة سنوات وهم فى الخنادق ينتظرون معركة تحرير الأرض ٠

لم يكن ممكنا للجنود الذين شاركوا فى حرب الاستنزاف ، وطعموا على المعركة ، وحطمت أمامهم أسطورة (الجندى الاسرائيلى الذى لا يقهر) وارتفعت معنويتهم بارتفاع قدرتهم القتالية ، واستخدامهم أحدث الأسلحة التكنولوجية ٠٠ لم يكن ممكنا لهؤلاء الجنود أن يقبلوا فى صمت وهدوء أن يعيشوا حياة الخنادق بلا أمل فى الانطلاق نحو المعركة ٠

وبين هذين الضغطين وقع أنور السادات ٠

وأمام ضغط التعبير من جانب الشباب ، تم اعتقال عدد من الطلبة والعمال ، وأحيلوا الى التحقيق ٠٠ وتمت (مذبحة رجال الاعلام) ٠٠ ونشط الحديث عن التحركات الدبلوماسية ٠

وأمام ضغط الجنود اتجهت القوات المسلحة الى التدريب فى جدية يستلزمها بقاء الأمل فى صدور المحاربين ٠

طريق السياسة والدبلوماسية مسدود ٠

وطريق الحرب والمعركة لم يفتح بعد ٠

والدوران الى اليمين أصبح واضحا الى الحد الذى جعل الصحيفة اليوغوسلافية دارا يانكوفيتش تصارح به السادات بقولها ان الناس تعتبركم أميل الى اليمين ٠

وجاء رد أنور السادات مشـيرا الى تيتو الذى قيلت عنه النكتة الشهيرة انه كان يخرج يده من العربة كأنه سوف يتجه الى اليسار ثم يدور بها الى اليمين ٠٠

نفى أنور السادات عن نفسه صفة اليمينى ولكنه قال (تيتو فى معركة الانفتاح الاقتصادى اللى عملها قالوا عليه يمينى ٠٠ اذا كان ده تعريف اليمينى ٠٠ اذا كان تيتو يمينى يبقى انا يمينى) ٠

يلاحظ أن هذا الحديث كان قبل حرب اكتوبر ، وقبل أن يظهر الانفتاح الاقتصادى فى مصر عند الأفق ٠

بقى الأمر على ما هو عليه ·· حالة (اللاسلم واللاحرب) تمتـــد وتمتد ·· والضيق والتوتر يسود المجتمع ، والتدريب يشغل القـــوات المسلحة ·· والشعب ينتظر ·

وفوجىء الصحفيون ورجال الاعلام والثقافة الذين أبعدوا عن الاتحاد الاشتراكى ، أو نقلوا الى مصلحة الاستعلامات بأن أنور السادات يعلن عودتهم الى أماكن عملهم فى خطابه يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ الذكـرى الثالثة لوفاة عبد الناصر ·

كانت هذه نهاية طيبة لفترة مؤلمة ، تمهيدا لحدث كبير ·

وبعد أن مضت ثلاث سنوات وشهران دون قتال منذ ٨ أغسطس ١٩٧٠ ·· نفس المدة تماما التى استغرقت حـرب الاستنزاف منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ الى وقف اطلاق النار ·

بعد ثلاث سنوات وشهرين ، انطلقت الرصاصة الأولى بعد أن كان قد أفرج عن الطلبة المعتقلين ، وعاد الصحفيون ورجال الاعـــلام الى مواقعهـــم ·

وكانت حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ·

الباب الخامس

حـــرب أكتـــوبر

(من الصعب تصور أن ينجح الجيش المصرى فى عبور قناة السويس بهـذا الأداء ثم يكتفى بأن يجلس هنـاك)

شـيلزنجر
وزير الدفاع الأمريكى
٧ اكتـــوبر ١٩٧٣

تحضيرات المعـركة

لم تكن العودة الى القتال بعد ثلاث سنوات وشهرين من سـكوت المدافع أمرا سهلا على الجنود الذين اعتادوا القتال ثلاث سنوات وشهرين أيضا منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ الى أن أعلن وقف اطلاق النار فى مبـادرة روجرز يوم ٨ أغسطس ٠

خلال حرب الاستنزاف كان الجنود مهيئين لدخول المعركة بين يـوم وآخر ٠٠ كانوا ينتظرون الحرب الشاملة ، اما من جانب العدو الذى قـد يختارها ردا على خسائره المتزايدة ، واما من جانب قيادتنا التى كانت تعد خطة تحرير الأرض المحتلة ٠

ولكن سنوات الصمت ووقف القتال لم تضع عبثا ، ولم تعطل كثيرا من استعداد القوات المسلحة لدخول المعركة ٠

ومنذ عين الفريق أول أحمد اسماعيل قائدا عاما للقوات المسـلحة فى نوفمبر ١٩٧٢ وهو يحمل على كتفيه عبء العودة للمعركة ، وفى خلفية ذاكرته قطعا محاولة استرداد كرامته ، بعد أن كان قد عـزل من منصب رئيس أركان الحرب فى عهد جمال عبد الناصر بعد حادث الزعفـرانة فى سبتمبر ١٩٦٩ ٠٠ وفى ذاكرته أيضا الدور الباسل الذى قامت به القوات المسلحة فى مواجهة العدو بعد هزيمة يونيو حيث تمت عدة معارك بارزة عام ١٩٦٧ مثل معركة رأس العش فى يونيو ، ودخول معركة جوية مع العدو يوم ١٤ يوليو ثم اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات فى أكتوبر ، وتصاعد الحرب عام ١٩٦٨ حيث تحتفل المدفعية بيوم ٨ سبتمبر الذى هدمت فيه معظم خط بارليف ثم الوصول الى حرب الاستنزاف التى بدأت فى مارس ١٩٦٩ حيث استشهد الفريق عبد المنعم رياض على شاطىء القناة فى نفس الشهر وأمكن تحطيم ٨٠٪ من خط بارليف ، وما أن أهل عام ١٩٧٠ حتى كانت القوات المسلحة المصرية قادرة على مواجهة متعادلة نسبيا مع القوات الاسرائيلية ، فأرسلت دوريات وصل بعضها الى كتيبة حيث قاتلت خلف خطوط العدو فى سيناء ، ورفعت العلم المصرى ثلاثة شهور على تبة فى القنطرة شرق دون أن يستطيع الاسرائيليون انتزاع العلم من موقعه ،

وهجموا على ميناء ايلات الاسرائيلى يوم ١٦ نوفمبر ١٩٦٩ وأغرقوا ثلاث قطع بحرية ، وكرروا ذلك فى فبراير ١٩٧٠ وأغرقوا قطعتين بحريتين ، أما القوات الجوية فقد وصلت الى اصابة وتدمير ٢١ طائرة معادية خلال شهر يوليو ، مما كان له أكبر الأثر فى تحرك أمريكا وعرضها ما سمى باسم (مبادرة روجرز) ·

كان كل ذلك قطعا فى ذهن الفريق اول أحمد اسماعيل وهو يسترجع أيضا تصريحات بعض الزعماء الاسرائيليين أثناء حرب الاستنزاف ·

قالت جولدا مائير (ان كتائب الصواريخ المصرية كعش الغــراب كلما دمرنا احداها نبتت بدلها أخرى) ·

وقال أبا ايبان (لقد بدأ الطيران الاسرائيلى يتآكل) ·

وقال حاييم بارليف فى حديث نشرته مجلة (تايم) يوم ٢٩ مارس ١٩٧٠ (على المرء الا يضع فى تصوره أن صواريخ سام دفاعية ، وانما أقيمت لاعطاء مصر قوة هجومية) ·

ولابد أن الفريق اول أحمد اسماعيل قد قرأ ما قاله الجنرال ماتيتيا هوبيليد الذى كان فى هيئة أركان الحرب الاسرائيلية ، وهو عضو فى حزب العمل ومعروف بجفائه للسوفييت والشيوعية كما ذكر الكـــاتب الفرنسى جاك كوبار فى كتابه (من حرب الأيام الستة الى حرب الساعات الست) ·· قال بيليد علنا فى الصحف الاسرائيلية (سياسة الجنرال ديان أدت الى هزيمة اسرائيلية فى حرب الاستنزاف) ونشرت صحيفة ها آرتس عـــام ١٩٧١ رأى الجنرال الاسرائيلى بقوله (من الوجهة العسكرية فشل الجيش الاسرائيلى فى حرب الاستنزاف ، وبالتالى كانت هذه أول مرة يهزم فيهــا الجيش الاسرائيلى فى الميدان منذ قيام دولة اسرائيل) ·

وعلل ذلك وقتها بقوله ان اسرائيل لم تنجح فى اسقاط النظام المصرى عن طريق الضرب بالطائرات فى العمق المصرى . لأنها فقدت السيطرة على الأجواء المصرية ، ولأن الروس التزموا بتسليح مصر ومساعدتها فى الدفاع عن نفسها ··

ولابد أن الفريق أول أحمد اسماعيل كان يتابع الحركة السياسية التى صاحبت حرب الاستنزاف ورفعت أصواتا فى اسرائيل تطلب الانسحاب من الأرض العربية المحتلة ثمنا للسلام ·· وغيرت موقف الولايات المتحدة. ودفعتها الى تقديم مبادرة روجرز فى محاولة لوقف القلق والتوتر الــذى ساد المجتمع الاسرائيلى من خسائر حرب الاستنزاف ·

ولا شك أن الفريق أول أحمد اسماعيل كان يدرك معنى خروج افراد الشعب الاسرائيلى ليرقصوا فى الشوارع يوم أن أعلن وقف اطلاق النار ·

ولذا كانت حركة الفريق أول احمد اسماعيل نحو المعــركة تتميز بالجدية والمسئولية والحرص على تحقيق هدف عزيز ·· هو تحرير الأرض المحتـلة ·

وقد حصل الفريق أول أحمد اسماعيل خلال زيارته موسكو فى فبراير ١٩٧٣ على صفقة سلاح تعد من اكبر الصفقات التى حصلت عليها مصر ·· وكان الفريق أول أحمد اسماعيل قد عين قائدا عاما للقوات الاتحادية يوم ١٠ يناير ١٩٧٣ ·

وأفرغ القائد الجديد طاقته كلها فى تدريب الجنود ورفع مســتواهم القتالى ·· اذ لم يكن سهلا فى وقت تخرج فيه مظاهرات الطلبة والشباب فى الشوارع تطالب بالمعركة ، ويبعد الكتاب والصحفيون عن مواقعهم ، أن تمضى الأمور فى الجيش دون تاثر بما يحدث فى المجتمع ·

كانت حالة (اللاسلم واللاحرب) مؤثرة فى صفوف القوات المسلحة التى طال شوق أفرادها لأداء مهمتهم الوطنية ·· وأمكن التغلب على ذلك بالتدريب الجاد والشاق وبذر الأمل والثقة فى صدور الجنود بأن المعــركة قادمة لا ريب فيها ·

قطعا لم يدر فى ذهن أحد ان تعود حـــــرب الاستنزاف بصورتها السابقة ·· فتلك مرحلة مضت ولا تعود ·· ولا يمكن أن يثمر صمت ثلاث سنوات وشهرين معركة مشابهة لما كانت عليه المعارك قبل وقف اطـــلاق النـــار ·

وحافظ اسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومى فى ذلك الوقت يقول:

(لقد كانت الحرب ضرورة معنوية للقوات المسلحة ولطاقة جماهير شعبنا ، فلم يكن مقبولا ــ حتى لو أن تسوية سياسية مرضية كانت محققة ــ أن تبقى مرارة هزيمة ١٩٦٧ على شفاهنا ، وتصبح آخر كلمة فى ســـجل (العلاقات) المصرية الاسرائيلية تصفع وجه الأجيال القادمة) ·

كانت كلمات عبد الناصر (ما أخذ بالقوة لابد وأن يسترد بالقوة) ما زالت ترن فى الآذان ·

ومع ذلك تحرك حافظ اسماعيل الى أمريكا فى فبراير ١٩٧٣ فى محاولة للبحث عن حل للمشكلة ·· قد يكون سياسيا أو لا يكون ·

وقد سلطت الأضواء على زيارة حافظ اسماعيل الى واشنطن فقــد كانت أول زيارة يقوم بها مسئول مصرى كبير الى الولايات المتحدة لمقابلة نيكسون وكيسنجر ·· ويقول محمــد حسنين هيكل انه اعتذر عن عــدم

الذهاب لهذه المقابلة رغم الالحاح عليه لأنه لم يكن يريد أن يكون طرفا فى مباحثات سرية ، وموقفنا التفاوضى ضعيف ·

ويقول حافظ اسماعيل ان نيكسون أبلغه أن الوصول الى تسوية شاملة فورا أمر غير ممكن ، وأنه يجب الربط بين متطلبات السيادة المصرية ومتطلبات أمن اسرائيل ·· وطلب منه أن يتصل مع الخارجية علنا ومع كيسنجر سرا ·

أما وزارة الخارجية الأمريكية فلم تغير موقفها من البحث عن اتفاق جزئى على أساس مبادرة أنور السادات فى فبراير ١٩٧١ ·

وأخيرا يقول حافظ اسماعيل ان كيسنجر فى لقائه السرى معه خارج نيويورك نفى أن أمريكا قادرة على عمل أى شىء مع اسرائيل ، وأنها لا يمكن أن تخلق موقفا يؤدى الى (اختلال التوازن لغير مصلحتها) ·· وقال ان قدرة الولايات المتحدة على اقناع اسرائيل يتوقف على قدر (التغييرات الملموسة فى المواقف العربية أو المصرية ·· وهذا هو المفتاح) ·

والتقى حافظ اسماعيل مرة أخرى مع كيسنجر بعد ثلاثة شهور فى مايو ١٩٧٣ بباريس ، حيث وجد أنه أصبح أكثر اقترابا لوجهة نظر الخارجية الأمريكية التى تطلب تسوية جزئية ·

ولعل هذا هو ما أثار وقتها أنور السادات ، وجعله يهاجم أمريكا حيث تقلصت مبادرته ليس الى حل جزئى ·· بل الى مجرد فتح قناة السويس كما سبق أن ذكرنا ·

وهكذا كما يقول حافظ اسماعيل كنا قد استنفدنا آخر جهد فى سبيل تسوية سلمية ·

ويبدو التساؤل مشروعا عن مدى الاتفاق الذى تم بين المسئولين المصريين والأمريكيين فى هذه الاجتماعات العلنية والسرية ، وخاصة بعد أن صرح أنور السادات فى احدى خطبه الى أن خلاصة حديث كيسنجر وحافظ اسماعيل وهى أننا (جثة هامدة) الأمر الذى يوحى بأن كيسنجر طلب من المصريين تحريك الموقف ·

ويفسر محمد حسنين هيكل ما تم فى هذه الاجتماعات ، وخاصة السرية منها بقوله ان مجرد انشاء هذه القناة السرية كان بداية مشاكل وتعقيدات لا أول لها ولا آخر ·· ولكنه يتفق مع حافظ اسماعيل فى نفى أن تكون حرب اكتوبر حربا ملفقة ·

تأكدت بعد زيارة حافظ اسماعيل لأمريكا أن حدوث أى تسوية سلمية

بناء على الواقع القـــائم فى ذلك الوقت ، وصمت المدافع ثلاث سنوات وشهرين ‥ هو أمر يدخل تحت باب الوهم أو السراب ٠

وكان ذلك واضحا أيضا عند الاتحاد السوفيتى حيث يقول حافظ اسماعيل ان بريجنيف قد أرسل برسالة الى نيكسون قال له فيها :

‥ انه يمكن أن تكون هناك تسوية فى مراحل ضمن خطة (شاملة)٠

‥ وأنه لا يمكن أن تكون هناك تسوية جزئية مصرية ـ اسرائيلية ٠

‥ وانه توفر لدى السوفييت انطباع محادثاتهم مع حافظ اسماعيل بأن العرب يمكن أن يتجهوا الى اســـتخدام الوسائل الممكنة الأخـــرى لحلهـــا ‥ أى الحرب ٠

وقد قام بريجنيف بعد ذلك بزيارة الى واشنطن فى ١٦ يونيو ١٩٧٣، ويروى هنرى كيسنجر فى مذكراته أنه فى اليوم الأخير للزيارة وبعد تناول العشاء وعودة كل من بريجنيف ونيكسون الى مكان اقامته فى استراحة الرئيس الأمريكى فى سان كليمنت ‥ فوجىء كيسنجر بأن بريجنيف يطلب مقابلة عاجلة مع نيكسون ٠

واعتبر كيسنجر أن مجرد هذا الطلب يعتبر (شرخا فظا وغليظا فى قواعد البروتوكول) ومع ذلك تمت المقابلة فى استراحة نيكسون فى الحادية عشرة الا الربع مساء وحضرها كيسنجر مع نيكسون من الجانب الأمريكى وبريجنيف وجروميكو ودوبرلفين من الجانب السوفيتى ٠

وفى هذه المقابلة قدم بريجنيف (أكثر اقتراحاته أهمية) فى الرحلة كلها ـ على حد تعبير كيسنجر ـ وهو :

(أن تتفق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الآن ‥ وهنا على تسوية شاملة لأزمة الشرق الأوسط تقوم على أساس الانسحاب الاسرائيلى الكامل الى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ فى مقابل انهاء حالة الحـــرب ٠٠٠ أما السلام فيعتمد على ما يتلو من مفاوضات مع الفلسطينيين ‥ ويمــكن ضمان ذلك بوساطة القوى العظمى) ٠

ويقول كيسنجر أن بريجنيف أضاف قائلا اننا نستطيع اذا اتفقنا على هذا أن نجعله اتفاق جنتلمان أو اتفاقا رسميا ‥ معلنا أو سريا لا يعرف به الا الموجودون فى هذه الحجرة فقط ٠

ورد نيكسون بمحاولة تسويف الموضوع ، ولم يلق ذلك حماسا من بريجنيف الذى قال صراحة (اننا سنواجه صعوبة فى منع الموقف العسكرى بالمنطقة من الاشتعال) ٠

ويقول كيسنجر (لقد كان بريجنيف حادا وعنيفا وهو يقول ذلك ٠٠ ويعلق بقوله انه رغم الاتفاق والتوقيع على نبذ التهديد بالحرب فى اتفاقية منع الحرب النووية ، الا أن بريجنيف (يهددنا بحرب فى الشرق الأوسط الا اذا قبلنا شروطه وهى التى تمثل نفس المطالب العربية) !

ولكن الواضح أن الاتحاد السوفييتى كان حريصا على الوصول الى اتفاق لتسوية سلمية فى اجتماع القمة ، بينما كانت أمريكا غير راغبة فى هذا التورط الذى يميل لتحقيق المطالب العربية العادلة ٠

وهكذا لم يعد هناك من سبيل بعد هذا الاجتماع الا انتظار المعركة ٠

مضى عهد المحاولات ٠٠ ومضى عهد المعجزات أيضا ٠

ونعود الى خنادق الجنود غرب القناة لنكتشف ظروف المعركة المنتظرة التى كان عبور القناة أول مراحلها ٠

كان هناك مئات الألوف من الجنود المصريين ينتظرون اشارة بدء المعركة ، وفى قلوبهم ثقة بعدالة الحرب واصرار على تحرير الأرض ٠٠ وعلى الجانب الشرقى من القناة فى سيناء كان هناك عدد محدود من الجنود الاسرائيليين يستندون الى تحصينات خط بارليف ، ويطمئنون الى أن كل شىء هادىء فى ميدان القناة ٠

وكانت القيادة الاسرائيلية ما زالت تعانى من ثقة مفرطة بالنفس تصل الى حد الغرور فى قدرتها على ردع أى تحرك عسكرى عربى ، بما يتوفر لها من تفوق تكنولوجى ، ورصيد من الانتصارات ، ومناعة فى خط بارليف لا يمكن لقيادة مصرية أن تغامر بالهجوم عليه ٠

كان الفريق أول أحمد اسماعيل يدرك نقط القوة عند العدو ٠٠ ونقط الضعف أيضا التى تتمثل فى طول خطوط المواصلات عبر سيناء ٠٠ وطول مواجهة الدفاع على امتداد القناة ٠٠ واحتفاظه بقوات محدودة فى خط بارليف ٠٠

ومع ذلك استغرقت دراسة عملية العبور عدة شهور فقد كان مجرد التفكير فى عبور القناة كمانع مائى يحتاج الى معرفة كل التفاصيل ودقائق الأمور ٠

وطول القناة يصل الى ١٧٥ كيلو مترا ، ويتراوح عرضها بين ١٨٠ ، ٢٢٠ مترا ، وعمقها بين ١٦ ، ١٨ مترا ٠٠ ويحدها شاطىء شديد الانحدار مغطى بستائر من الأسمنت والحديد تمنع نزول المركبات البرمائية الى سطح الميا التى تنخفض مترين عن حافة الشاطىء الا بعد تجهيزات هندسية خاصة ٠

وقناة السويس تنفرد بهذه الخاصية عن مختلف قنوات وانهار العالم ·· أولا لأنها قناة صناعية ، وثانيا لأنها تستخدم فى عبور ناقلات ذات عمق كبير ·· وشواطئها ليست للرياضة او السياحة ·

ولا يشترك معها فى هذه الظاهرة سوى قناة بناما ·

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد حرص العدو على أن يصل السد الترابى لخط بارليف الى حافة القناة بزاوية ميل ٤٥ درجة ليزيد من صعوبة عبوره وليخفف من تواجد الجنود فيه بعد أن انهكتهم حرب الاستنزاف خلال الفترة السابقة ·

وشكل العدو منطقة دفاعية تمتد شرقا مسافة تتراوح بين ٣٠ ، ٣٥ كيلو مترا حتى منطقة المضايق الحصينة ، وتناهز مساحة هذه المنطقة ٥٠٠٠ كيلو متر مربع ، تحتشد فيها قواته المدرعة ومدفعيته ودفاعه الجوى التى تتعاون جميعا مع القوات الجوية الاسرائيلية ·

وخط بارليف يتكون من ٣٢ موقعا حصينا تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض ، وتعلو حتى تصل الى قمة الساتر الذى يرتفع حوالى ١٨ مترا ·

وجهزت وسائل الدفاع بخزانات وقود تخرج منها مواسير الى القناة ليتسرب خلالها الوقود لتغطية سطح القناة ثم يتم اشعاله لتتحول الحياة الى لهب حارق ·

وباختصار كان خط بارليف قد جهز بأحدث الوسائل التكنولوجية مستندا الى تحصينات دفاعية هائلة ·· تضع القائد الذى يفكر فى اقتحامه أمام مشكلة شديدة الصعوبة ·

ولكن التدريب الشاق الذى انكبت عليه القوات المسلحة المصرية ، والروح المعنوية العالية التى كانت تنتظر لحظة الانطلاق عمرت الصدور بالثقة والأمل ·

وفى مجال التدريب وصلت الأمور الى حد تعويد الجنود على اقتحام المانع المائى وهم معصوبى الأعين ·

وبقى اختيار التوقيت المناسب للهجوم ·· بعد أن فشلت كل محاولات التسوية السلمية ·· ولم تعد هناك فرصة لمعجزة ·

وبعد دراسات وصلت القيادة المصرية الى اختيار شهر أكتوبر موعدا للهجوم ، بعد أن كان المقرر فى الخطة الدفاعية ٢٠٠ أن يكون موعد الهجوم هو ربيع عام ١٩٧١ ·

اسرائيل فى هذا الشهر كانت تستعد لانتخابات الكنيست يوم ٢٨ ، وفيه ثلاثة أعياد اسرائيلية ٠٠ الغفران (كيبور) والمظال والتوراة ٠٠ وفيه أيضا شهر رمضان حيث لا يتصور العدو احتمال هجوم فيه ٠٠ كما أن ليل أكتوبر طويل يصل الظلام فيه الى حوالى ١٢ ساعة ٠

وبقى تحديد اليوم ٠٠ فكان السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث تتوقف الحياة فى هذا العيد الذى يأتى يوم سبت ويوافق ١٠ رمضان حيث القمر ساطع ومضىء من غروب الشمس حتى منتصف الليل ٠

وتم تحديد الساعة الثانية بعد الظهر موعدا لبدء القتال بعد دراسة دقيقة للاحتياجات الفعلية للقوات المسلحة المصرية والسورية معا ٠

ويبقى التساؤل عما اذا كان ممكنا للقيادة المصرية أن تنهى كل هذه التدريبات ، وتستعد للمعركة ، وتبدأ القتال ، محققة مبدأ المفاجأة ، الذى يعتبر من أهم مبادىء الحرب ٠٠

وكانت درجة الاستعداد الكاملة قد أعلنت فى القوات المسلحة من الساعة الثامنة أول أكتوبر ١٩٧٣ وأعلن أنها رفعت الى هــــذه الدرجة لأغراض التدريب وتنفيذ مشروع استراتيجى تعبوى ٠

وتم تحديد الساعة السادسة من صباح يوم ٥ أكتوبر موعدا تكــون القوات المسلحة المصرية فيه قد استعدت للعمل ٠٠

آلة الحرب منذ ذلك الوقت بدأت فى الدوران وأصبح من المســتحيل ايقافها ٠٠ ليس على ضفة القنال فقط ، وانما فى الجولان السورية أيضا ٠

وكان مجلس رئاسة الجمهوريات العربية قد قرر فى العاشر من يناير ١٩٧٣ تعيين الفريق أول أحمد اسماعيل قائدا عاما للقوات الاتحادية ، وتشكلت هيئة عمليات مشتركة ٠

وبدأ الاستعداد للمعركة والموافقة على الخطط منذ شهر مارس ١٩٧٣ حيث وافق الفــريق أول أحمـــد اسـماعيل على تخطيط الضربة الجوية المشتركة ضد الأهداف الاسرائيلية يوم ١٠ مارس ، وفى أول ابريل تمت المعلومات بينهما ٠

وفى صباح الثانى من مايو اجتمعت القيــادتان الاستراتيجيتان المصرية والسورية للاتفـــاق مبدئيا على توقيتــات المعــركة ، وحصر الامكانيات التى يمكن تخصيصها للمعركة ٠

وفى ٧ يونيو حدد الفريق أول أحمد اسماعيل الهدف الاستراتيجى العسكرى للعملية الهجومية ٠

وفى أغسطس اجتمع القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية فى الاسكندرية برؤساء أركان القوات المسلحة السورية والمصرية ورؤساء هيئات العمليات والأفــرع وتم فيه الانتهـــاء من كل شىء تفصيليا ٠٠ توقيتات الهجوم ، تفاصيل الخطة ، تطورات المعركة ٠

وفى يوم الثالث من اكتوبر وبعـــد أن وضعت القـــوات المسلحة المصرية على أهبة الاستعداد من أول أكتوبر كما ذكرنا ، سافر الفـريق أول أحمد اسماعيل الى دمشق حيث التقى مع زميله وزير الدفـــاع السورى اللواء مصطفى طلاس وتم وضع اللمسات النهـائية للعملية الهجومية (بدر) ٠

بدر ٠٠ هو الاسم الكودى للعملية العسكرية ٠

وموعد الهجوم تحدد نهائيا ٠٠ الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ٠

ولم تتم كل هذه التدبيرات بعيدا عن احتمالات معرفة العـــدو بأخبار الخطة فيجهضها بحرب وقائية هو قادر عليها ٠

كانت المفاجأة والاحتفاظ بسرية المعركة من الهموم التى تثقل كاهل القيادة العامة ٠

واتخذت فى سبيل ذلك عدة اجراءات حاولت بها أن تبعث الخدر فى عقل العدو ، وتجعله يواصل نشـــوة غروره وصلفه الكبـــريائه ، وتصوره بأنه يواجه عدوا يثقله التخلف والتـــردد ، وعدم القدرة على اعطاء القرار ٠

ويتبلور التساؤل حول ما اذا كنا قد نجحنا فعلا فى خداع المخابرات الاسرائيلية (الموساد) التى اشتهرت بدقة معلوماتها عن الدول العربية٠

ويجيب الفريق أول أحمد اسماعيل عن ذلك حديثه مع محمد حسنين هيكل الذى نشر فى الأهرام يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٣ فيقول :

(فى كل حرب هناك خطة العمليات وهناك خطة الخداع وأعتقد أننا نجحنا ٠ فلقد وضعنا خطـــة الخداع على المســـتوى التعبـــوى والاستراتيجى ووضعت لها جداول وتوقيتات سارت جنبا الى جنب مـــع خطة العمليات وتوقيتاتها بجداولها ٠٠ ولقد وصلنا فى الكتمان الى درجة أن يوم (ى) لم يكن معــــروفا بعد تحديده مبدئيا الا لاثنين : الرئيس وأنا ٠

وحتى عندما بدأنا العد التنازلى من يوم (ى) بالناقص وكـــان ذلك قبل شهر من بدء العمليـــة (ى) ناقص ٣٠ ، (ى) ناقص ٢٨ ، وهكذا فان السر ظل محصورا ٠

وعندما بدأنا الحشد وأنا أعرف أن العدو يستطلع كل يوم فلقد كنت أدفع الى الميدان بلواء مثلا ٠٠ وأعود فى الليل بكتيبة ، لكى يشعر العدو أن القوات التى ذهبت كانت فى مهمة تدريبية أدتها وعادت منها ٠

ولقد أخرت ارسال معدات العبور الى أقصى حد ممكن ، فقد كان مؤكدا أن خروج هذه المعدات من مخازنها كفيل بتنبيه العدو الى نوايانا، وقد صنعنا لبعض هذه المعدات صناديق خاصة لا يشعر أحد أن اللوارى الضخمة التى تحملها لوارى مهندسين ٠ ثم رتبنا لهذه المعدات حفرا على جانب القناة نزلت اليها فور وصولها ليلا ٠

كانت الخطة خلال هذا كله بالطبع قد اكتملت الى آخر التفاصيل ٠ بل الى تفاصيل التفاصيل ، وكان ذلك طول الوقت بالتنسيق مع سوريا ٠

وقبل أيام قليلة من يوم (ى) كانت تفاصيل الخطة تنزل من قادة الجيوش الى قادة الفرق ثم قادة الألوية ثم قادة الكتائب ٠٠

« بعض الجنود من طلائع الهجوم عرفوا قبلها بثمان واربعين ساعة وبعضهم عرفوا يومها فى الصباح » ٠٠

« ولقد تتذكر أنا تعمدنا تسريب بعض الأنباء لصرف الأنظار تماما عن نوايانا : أذعنا مثلا أن وزير دفاع رومانيا قادم فى زيارة لى يوم ٨ أكتوبر ٠ وطلبنا منكم فى الأهرام مثلا نشر خبر بأننى فتحت الباب لقبول طلبات الضباط والجنود الراغبين فى أداء العمرة » ٠٠

هذا ما ذكره الفريق أول أحمد اسماعيل ، ولكنه لا يتطرق الى تفاصيل عمليات الخداع التى اتبعت ٠

شملت عملية الخدع عدة اجراءات منها على سبيل المثال :

اختار أنور السادات أن يقيم فى برج العرب بعد عودته من مؤتمر عدم الانحياز حيث تمت هناك عدة مقابلات رسمية مع وفود أجنبية وعربية ، الأمر الذى يشير الى أن كل شىء هادىء فى مصر ٠

أرسل مبعوثون الى أوربا للبحث عن مكان لائق لرئيس الجمهورية ليقضى فيه فترة استشفاء ، وقد حاولوا أن يحيطوا حركتهم بالسرية ، وهم على ثقة من أن المخابرات الاسرائيلية تتابع حركتهم وتتسقط اخبارهم ٠

نشر أخبار سباق للزوارق الشراعية فى أواخر سبتمبر بين قادة القوات البحرية الحاليين والسابقين ٠

أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة تعليمات بتسريح دفعة

من الجنود الذين أتموا خدمتهم العسكرية فى اليوم الآخير من شـــهر سبتمبر على أن يعودوا للحياة المدنية فى اليوم الاول من أكتوبر · ومن الطبيعى أن يتسرب هذا الخبر ·

الاعلان عن اجراء مناورة كبرى لجميع القوات المسلحة كنهـــاية لموسم التدريب السنوى ، غطت فعلا على اجراءات لبدء المعـركة مثـل الغاء اجازات الجنود من أواخـر ســبتمبر الأمر الذى فسرته القيادة الاسرائيلية على أنه طبيعى لظروف المناورة الكبيرة ·

خلال المناورات كانت تعيد القوات المسلحة احدى كتائب لواء مثلا الى الخلف ليلا ، ويبعث ذلك الاطمئنــــان فى نفوس الاسرائيطيين حيث لا يمكن أن يكون هناك استعداد للهجوم وترسل احدى الكتائب ليلا الى الخلف ·

اهتمام القيادة بمظهر تقوية الدفاعات غـــرب القناة ، ومن يقوى دفاعاته لا يمكن أن يكون على استعداد للهجوم ·

اخفاء معدات العبور فى صناديق مغلقة وابقائها فى الخلف حتى اللحظة الأخيرة ، لأن ظهورها كان لابد وأن يشى باقتراب المعركة ·

تسريب أخبـــــار للدبلوماسيين الأجانب بأن مصر تتوقع هجوما اسرائيليا ردا على ما قام به الفلسطينيون فى النمسا ، الأمر الذى يخلق تبريرا لوجود هذه الاستعدادات والتحركات المصرية ·

ويقول الفريق صلاح الدين الحديدى فى كتابه (حرب اكتوبر فى الميزان العسكرى) أن القوات المصرية فى سيناء قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ كانت ترفع درجة استعدادها كلما لاحظت نوعا من النشاط عند العدو) ويقول (وكم قاسينا ، وقاست معنا القوات والمعدات ، من كثرة هذه الحالات التى كانت تنتهى دائما دون رد فعل من العدو ، حتى صار رفع درجات الاستعداد اجراء عاديا ، أدى فى النهاية الى عدم عناية العدو به تحسبا بأنه لا لزوم له) ·

ويواصل الريق الحديدى تفسيره لعـــدم اهتمام العدو كثيرا بما قامت به القوات المسلحة من استعداد يقول (كان استنتاج مخـابراتها عن النشاط العسكرى الكبير الذى بدأ منذ حوالى ١٩٧٣/٩/٢٠ لا يخرج عن كونه اجراء لن ينتهى الى شىء ، مثله فى ذلك مثل ما حدث فى شهرى يناير ومايو من نفس العــام ·

ومع ذلك تبقى عدة تساؤلات عن امكانية اتمام كل هذه الاستعدادات والتحركات بعيدا عن عيون المخابرات الاسرائيلية أو الأمريكية ·

يقينا لا يمكن القول بأن كل ذلك قد تم فى خفاء ، وبعيدا عن معرفة الحكومة الاسرائيلية ، خاصة بعد أن رحلت بعض أسر الخبراء السوفييت وأجانب آخرين من مصر وسوريا يوم ٣ أكتوبر ٠٠ كما أن وزارة الطيران المدنى تسرعت فى اصدار أمر بايقاف حركة الطيران المدنى فى سماء مصر وايقاف مساعدات الملاحة الجوية المدنية ظهر يوم ٥ اكتوبر ٠٠ وان كانت القيادة العامة للقوات المسلحة قد أصدرت أمرا فوريا باستئناف حركة الطيران المدنى بشكلها المعتاد ٠

الشواهد تشير الى أن هناك تحركات فى الجانب المصرى ٠

واجتمعت الحكومة الاسرائيلية ظهر ٣ اكتوبر برئاسة جولدا مائير وبحثت الموقف ٠٠

وكان موشى ديان وزير الدفاع قد اتخذ على الجبهة السورية اجراء كان حاسما فى حرب أكتوبر اذ أصدر أمرا سريا بنقل اللواء السابع المدرع من مركز تجمع القوات المدرعة فى بئر سبع الى الجولان وذلك بعد زيارة تفتيشية قام بها يوم ٢٦ سبتمبر عاد منها وهو يقول (هناك مئات من الدبابات والمدفعية السورية تقف على مرمى خطوطنا فضلا عن شبكة دفاع جوى كثيفة شبيهة بتلك التى أقامها المصريون عند قناة السويس) ٠

واستجابة لشكوك ديان أطلق الأمريكيون من قاعدة فاندنبرج فى كاليفورنيا أحد أقمار التجسس الصناعية من طراز ساموس فوق منطقة الشرق الأوسط ٠

وعندما اجتمعت الوزارة لم تكن الحشود المصرية السورية هى النقطة الوحيدة فى جدول الأعمال ٠٠ كانت هناك العملية الفدائية التى قامت بها مجموعة أطلقت على نفسها اسم (نسور الثورة الفلسطينية) وهاجمت قطارا على الحدود النمسوية يحمل بعض المهاجرين اليهود القادمين من موسكو فى طريقهم الى تل أبيب ، وأخذت خمسة يهود وموظف جمارك نمسوى كرهائن ، وطالبوا النمسا بأن تغلق مركز استقبال المهاجرين اليهود فى فينا الذى كان يعرف باسم قلعة شوناو ٠٠ واستجاب برونو كرايسكى رئيس جمهورية النمسا اليهودى الى ذلك ، وأطلق سراح الرهائن ٠

وقع هذا الحادث فى وقت كانت المعركة فيه محتدمة بين رجال الثورة الفلسطينية والمخابرات الاسرائيلية خارج اسرائيل ٠٠ ففى ١٠ ابريل اغتالت قوات فدائية اسرائيلية تابعة للموساد ثلاثة من الزعماء الفلسطينيين فى منازلهم وهم الشهداء كمال ناصر ويوسف النجار وكمال

عدوان ، الأمر الذى أدى الى سقوط الحكومة اللبنانية وانفجار الاشتباكات بين المقاومة الفلسطينية والجيش اللبنانى ٠

كان حادث قطار النمسا حلقة فى سلسلة عمليات الصراع بين الموساد ورجال الثورة ٠

وقد نشرت (الصانداى تايمز) أن المخابرات الاسرائيلية اضطرت خلال هذا الصراع الى سحب كثير من عملائها فى البلاد العربية ـ خصوصا سوريا ومصر ، الأمر الذى وصفه دبلوماسى بريطانى بأنه (غلطة تقليدية للمخابرات) ٠

وعندما عقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعها يوم ٣ أكتوبر كانت جولدا مائير عائدة لتوها من ستراسبورج حيث ألقت خطابا أمام المجلس الأوربى تحدثت فيه فقط عن حادث النمسا ٠٠ وقابلت كرايسكى فى طريق العودة محاولة اقناعه بالرجوع عن قراره الذى خضع فيه للتهديد ولكنه لم يستجب ٠

لم تتجاوز مناقشات مجلس الوزراء الاسرائيلى فى هذا اليوم مناقشة عملية القطار فى النمسا ٠

وفى الجانب الأمريكى الذى ينسق معلوماته مع الجانب الاسرائيلى وعبر المعلومات التى وصلت له من القمر الصناعى سامرس ، قال كيسنجر الذى كان قد أصبح وزيرا للخارجية قبل أسبوعين فقط الى جانب كونه مستشارا للأمن القومى ٠

(لقد سألنا مخابراتنا كما سألنا المخابرات الاسرائيلية ثلاث مرات منفصلة خلال الأسبوع الذى سبق نشوب القتال عن تقديرهم للموقف ، وما قد يحدث وكان ردهم جميعا أنه لا يوجد أى احتمال قط لنشوب القتال) ٠

وقد نشرت مجلة (يواس نيوز اند ورلد ريبورت) بعد ذلك أن ثلاثة من كبار الضباط فى وكالة المخابرات المركزية قد أقيلوا من مناصبهم بصورة مفاجئة فى نهاية شهر أكتوبر ١٩٧٣ ٠

وكان كيسنجر وقتها يحاول تصوير نفسه فى صورة رجل سلام بعد أن حصل على جائزة نوبل ، فأعلن لوزراء الخارجية العرب الذين التقى بهم لأول مرة يوم ٢٥ سبتمبر (أن أمريكا مستعدة للبدء فى عمل ايجابى لتحقيق تسوية سلمية فى الشرق الأوسط) ٠

ولم يكد يمضى اجتماع الوزارة الاسرائيلية يوم ٣ اكتوبر حتى

اجتمعت مجموعة من وزراء الحلقة الداخلية يوم الجمعة ٥ أكتوبر برئاسة جولدا مائير ونائبها ايجال آلون ووزير الدفاع موشى ديان واسرائيل جاليل ووزير التجارة ورئيس الأركان السابق حاييم بارليف ، ورئيس الأركان لم يستجب له ٠

لم يكن كبار المسئولين الاسرائيليين قد اخذوا كل هذه الاستعدادات المصرية السورية مأخذ الجد ، ومنطلقا للخطر ٠

لم ينته تحليل المعلومات المتوفرة الى تقدير للموقف بأن العـــرب يمكن أن يشنوا حربا تحررية ٠٠ فقد كانت اسرائيل ما زالت تعيش نشوة النصر وكبرياء الغرور ٠٠ وتصريحات المسئولين كانت تقول (ان العرب ربما ـ يسيئون التقدير ـ ويشنون هجوما ، ولكنهم لو فعلوا فسـوف يهزمون فورا) ٠٠ وتقول أيضا (اسرائيل ليست مهتمة بالحرب ، ولذلك ليس على العرب أن يهتموا بذلك) ٠

لابد أنه كان من عوامل اتخـــاذ القرار الاسرائيلى لعـــدم دعوة الاحتياط ما حدث فى شهر مايو عندما أعلنت اسرائيل (التعبئة الجزئية) فى شهر مايو عقب توتر الموقف فى لبنان ، الأمر الذى كلف الخـــزانة الاسرائيلية خمسة ملايين جنيه اســـــترلينى وهو ما لا تحتمل الميزانية الاسرائيلية تكراره دون مبرر ٠

٦ أكتوبر بعد أن تبين من التقاط الاشارات اللاسلكية أن هناك تدبيرا ما لعملية عسكرية ، رفضت جولدا مائير الاقتراح باعتباره اقتراحا عدوانيا قائلة (من سيبقى لنا من الأصدقاء بعد ذلك) ٠

وحتى هذا الاقتراح ما كان ليثمر نتائج عدوان ١٩٦٧ حيث أن الطيران المصرى لم يكن نائما كالبط فى الممرات ، وانما كان على أهبـــة الاستعداد للتحليق ٠٠ وأى ضربة اجهاض ما كانت لتلغى الهجوم ، وانما كانت تربك بعض توقيتاته فقط ٠٠ وقد تقدمه عدة ساعات ٠

وهكذا يمكن تلخيص الموقف فى أن اجراءات الخداع الاستراتيجية والتكتيكية التى اتبعتها القوات المسلحة المصرية ، كانت ناجحة تماما فى عدم اثارة شبهات العدو ، واكمال استعداده ، وتمزق تفكيره حول ما اذا كان المصريون يستعدون للحرب أو المناورة أو التدريب ٠

وحكومة اسرائيل استندت فى قرارها الى العجز العربى الســـابق وغرور الانتصار الاسرائيلى الساحق ، معتمدة فى نفس الوقت على خط بارليف الذى كان يتحمل صد هجوم مفاجىء الى حين استدعاء الاحتياطى الذى يشكل الى جانب الجيش الاسرائيلى ١١٪ من الســـكان اليهود

والدروز فى اسرائيل ٠٠ كما أنها تحاشت فى اللحظة الأخيرة بناء على تقدير جولدا القيام بهجوم وقائى يجهض خطة الغزو حتى لا يتكرر ظهور اسرائيل فى مظهر الدولة المعتدية ٠

لم يعد هناك من سبيل لوقف الحرب ٠

وكانت آخر عمليات الخـــــداع المصرية هى نزول جنود مصريين يستحمون فى الساعة الواحدة بعد الظهر فى هدوء فى مياه قناة السويس ٠٠وكان كل شىء هادئا فى الميدان ٠

وفى نفس هذا الوقت كان أنور السادات القائد الأعلى للقـــوات المسلحة يصل الى مركز قيادة العمليات ويأخذ مكـــانه على رأس هيئـة القيادة العامة فى القاعة الرئيسية ، وعن يمينه الفريق أول أحمـــــد اسماعيل القائد العام وعن يساره الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان ومعهم اللواء عبد الغنى الجمسى مدير العمليات ٠

وفى الساعة الثانية وخمس دقائق بدأت الحرب ٠

بدأت الحـرب ٠

تم الاقتحام بانطلاق ٢٠٠ طائرة مصرية ضد الأهداف الاسرائيلية فى سيناء ، وفى نفس الوقت فتح أكثر من ٢٠٠٠ مدفع هاون النيران على طول جبهة قناة السويس لمدة ٥٣ دقيقة مستمرة ، تحت ستر هذه النيـران الكثيفة ، عبرت جماعات الصاعقة واقتناص الدبابات لبث الألغام وشـل حـركة العـدو ٠

وفى الساعة الثانية والثلث مساء (١٤٢٠) بدأت الموجات الأولى لخمس فرق مشاه فى الاقتحام مستخدمة حوالى ألف قارب اقتحام مطاط ٠٠ وبعد عدة دقائق كان قد وصل الى الضفة الشرقية ٨٠٠٠ جندى بدأوا نسلق الساتر الترابى المرتفع ، واقتحام مواقع العدو وهم يهتفون (الله أكبر ٠٠ الله أكبر) ٠

أول علم مصرى ارتفع فوق الضفة الشرقية فى السـاعة الثانية والنصف فى نطاق هجوم الجيش الثالث ، ثم توالت الأعلام ترتفع واحدا بعد الآخر ، لترتفع روح جنودنا المعنوية الى السماء ٠

وأول حصن من حصون العدو سقط فى الساعة ١٤٤٦ وتهاوت بعد ذلك قلاع وحصون خط بارليف واحدا بعد الآخر ٠

وقام المهندسون العسكريون تحت ستر قوات المشاه ونيران المدفعية بفتح الممرات فى الساتر الترابى باستخدام طلمبات المياه القوية التى أطلق عليها اسم (مدافع المياه) وتم ذلك فى زمن قياسى لم يتجاوز الساعة ٠٠ وبعد ذلك قامت وحدات أخرى من المهندسين بانشاء ١٠ كبارى ثقيلة ، ١٠ كبارى مشاه الى جانب معابر أخرى ٠

كان الاقتحام يجرى بجرأة ودقة متناهية ، وتبعا للتوقيتـات التى تضمنتها خطة العمليات ٠٠ وسـقط أول ضابط اسرائيلى أسـير فى السـاعة ١٧١٠ ٠

وفى نفس الوقت كان دفاعنا الجوى قد حطم ١٣ طائرة اسرائيلية ٠

وقبل غروب شمس يوم ٦ اكتوبر ، أو آخر ضوء على حسب التعبير

العسكرى كانت عشرات من طائرات الهليوكبتر المصرية تعبر قناة وخليج السويس وهى تحمل مجموعات من قوات الصاعقة تم ابرارها على أعماق مختلفة وصلت الى حوالى ٣٠ الى ٤٠ كيلو مترا خلف خط بارليف ٠

وفى أقل من ست ساعات ٠٠ وبالتحديد فى الساعة ١٩٣٠ أتمت خمس فرق من المشاه اقتحام قناة السويس بقوة ٨٠ ألف جندى ٠

ودمر خط بارليف الدفاعى تحت وطأة قواتنا المسلحة خلال ست ساعات فقط ٠

خلال هذه الساعات الست كانت قد انهارت تماما أسطورة إسرائيل التى لا تقهر ٠

وأعلن البلاغ المصرى رقم ٧ الذى أذيع فى الساعة السابعة وخمس وثلاثين دقيقة مساء ٦ أكتوبر هذه الكلمات :

(نجحت قواتنا المسلحة فى عبور قناة السويس على طول الجبهة وتم الاستيلاء على معظم الشاطىء الشرقى للقناة ، وتواصل قواتنا حاليا قتالها مع العدو بنجاح كما قامت قواتنا البحرية بحماية الجانب الأيسر لقواتنا على شاطىء البحر الأبيض المتوسط وقد قامت بضرب الأهداف الهامة للعدو على الساحل الشمالى لسيناء وأصابتها اصابات مباشرة)٠

وكان البلاغ الأول قد أذيع فى الساعة الثانية والربع بعد الظهر ليعلن :

(قام العدو فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم بمهاجمة قواتنا فى منطقتى الزعفرانة والسخنة فى خليج السويس بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية عندما كانت بعض زوارقه البحرية تقترب من الساحل الغربى من الخليج وتقوم قواتنا حاليا بالتصدى للقوات المغيرة)٠

حرصت القيادة المصرية على أن تظهر القوات المسلحة المصرية فى مظهر المدافع المعتدى عليه ، رغم أنها كانت تخوض حربا تحررية عادلة ٠٠ والفارق فى صيغة البيان الأول وآخر بيان قبل انسدال الظلام يظهر الجهد العسكرى الخارق الذى قامت به قواتنا المسلحة ٠

وبعد أن كان الجنرال ديان يقول عن خط بارليف (انه أكثر تحصينا وتنظيما من أى خط بارليف (انه أكثر تحصينا وتنظيما من أى خط مشابه وأنه منيع لدرجة تسمح لنا بالاحتفاظ به الى الأبد) ٠٠ قال بعد الانهيار المفاجىء (انه كان كقطعة الجبن المليئة بالثغرات) ٠

كان خط بارليف السند الذى تستند عليه اسرائيل فى دفاعها ، وقال

عنه الجنرال بارليف (ان المصريين لا يعرفون أى جحيم سينصب عليهم بمجرد أن يضعوا أقدامهم خارج الضفة الغربية للقناة) ٠

ويصف الفريق أول أحمد اسماعيل صورة القيادة العامة المصرية أثناء هذه اللحظات المجيدة فى حديثه الذى قال فيه :

(كنا جميعا فى مقاعدنا ٠٠ وكانت الخطة أمامنا والعمليات تجرى أمام عيوننا ، تحملها الينا البلاغات من الجبهة : المهمة كذا بدأ تنفيذها ، المهمة كذا تم تنفيذها ٠

(من الساعة الثانية بعد الظهر كان المشهد فى غرفة العمليات مثيرا الى أبعد حد : كان العمل دقيقا بأكثر مما يتصور أحد ٠ أثبتت الخطة كفاءتها وكانت المهام تنفذ بجسارة واقتدار ، وكانت هناك لحظات تهز المشاعر الى الأعماق ٠ ولكننا لم نسمح لأنفسنا بأى انفعال ٠

(ضربة الطيران الرئيسية الأولى ـ تمهيد المدفعية ونيرانها الكثيفة ـ موجات العبور الأولى عمليات الاقتحام المبكرة لخط بارليف ـ بداية اقامة الجسور ـ الجيش الثانى يفرغ من اقامة جسوره فى الموعد المحدد ـ الجيش الثالث يتأخر بعض الشىء بسبب طبيعة الأرض فى اتمام اقامة جسوره ٠ الهجمات المضادة للعدو بالدبابات تجىء فى الموعد الذى ترقعناه فى الخطة ـ جسور الجيش الثالث لابد من تركيبها بسرعة لكى تعبر الدبابات قبل أن تبدأ الهجمات المضادة للعدو وأمام الموجات الأولى التى عبرت بالأسلحة المضادة للدبابات لابد أن تجىء دباباتها وراءها بسرعة ، أعصابنا يجب أن تظل قوية لأن أى ارتباك فى مركز القيادة ٠٠ يحدث خللا فى توازن العمليات كلها ـ العدو يقاوم على الجسور وأمام الحصون ـ قواتنا تواصل تنفيذ مهماتها ـ أبطال من رجالنا يستشهدون على الجسور وأمام الحصون ولكنهم يعبرون ويقتحمون ـ خسائر أقل مما توقعنا ـ خسائر العدو أكبر مما توقعنا ٠ لم يعد هناك شك فى أننا حققنا انتصارا كبيرا) ٠

نعم تحقق الانتصار بروعة الأداء البطولى للمقاتلين ٠٠ وتوفر السلاح الذى قالت عنه مجلة نيوزويك يوم ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ (ان ثقة اسرائيل فى تفوقها التكنولوجى على العرب قد سقطت) ٠

وقالت الأوبزرفر يوم ٢٠ أكتوبر (يبدو الآن أن مصر قد لحقت باسرائيل بل وسبقتها تكنولوجيا) ٠

ونشرت مجلة تايم يوم ٥ نوفمبر (أن التكنولوجيا المصرية قد جعلت العصر الذى كانت الدبابات والطائرات تسود فيه ميدان القتال يذهب فى ذمة التاريخ) ٠

ويفسر الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة الذى حصل من الاتحاد السوفيتى على أكبر صفقة سلاح متطورة خلال زيارته موسكو فى فبراير ١٩٧٣ كما سبق أن ذكرنا ٠٠ يفسر العلاقة بين الرجل والسلاح ٠٠ ويفسر أيضا الظروف التى كانت فيها القوات المسلحة قبل اقتحام قناة السويس وتحطيم خط بارليف خلال هذا الزمن القياسى ٠

قال الفريق أول أحمد اسماعيل :

كانت المشكلة بالنسبة لقواتنا أن الظروف فرضت عليها أن تعيش ست أو سبع سنوات فى الدفاع ٠٠ معظمها فى الدفاع الجامد ، والقوات على هذا النحو ، أى قوات فى الدنيا ، معرضة لما نسميه فى العسكرية « بمرض الخنادق » ٠ كان لابد أن نتخلص من تأثير مرض الخنادق وعقده وركزت فى تلك الفترة (فترة الاستعداد للمعركة) على مجموعة ضرورات رأيت أننا بغيرها لن نستطيع عمل شىء ٠٠

أول هذه الضرورات أن تقتنع القوات بأنه لا مفر من القتال ولا حل بدونـــه ٠

وقمت بزيارات للقوات المسلحة فى مواقعها أشرح الظروف للرجال وأقول لهم أن الوضع الذى نحن فيه لابد من تغييره ، واذا لم نغيره نحن فان العدو قد يفرض علينا التغيير ، ومعنى ذلك أننا اذا لم نبدأ القتـــال فان العدو سوف يبدأ هو القتال لأن حالة اللاسلم واللاحرب غير قابلة للاستمرار الى ما لا نهـــاية ٠

وكانت الثانية بين الضرورات أن يأخذ الرجال ثقة فى سلاحهم ٠ وكنت أريد تغيير المفهوم القديم ، بأن الرجل بالسلاح والحقيقة أن السلاح بالرجل ٠٠ اذا لم يكن واثقا من نفسه فلن يحميه أى سلاح واذا كان واثقا فان كل سلاح فى يده يحميــه ٠

ربما نستطيع أن نفهم فى التطبيق العملى اذا تذكرنا ان طائرة من طراز ميج ١٧ تمكنت أثناء القتـــال من اسقاط طائرة فانتســوم ، وهذا ما أقصد بأن السلاح بالرجل وليس الرجل بالسلاح ٠

وثالث هذه الضرورات وهى تتصل بذلك مباشرة : أن يكون التدريب كثيفا فاذا كان السلاح بالرجل فذلك يعنى أول ما يعنى قدرة الرجل على استيعابه والسيطرة الكاملة عليه ٠

وكانت الرابعة بين الضرورات ٠٠ أن نجعل قوات أدركت حتمية القتال ، وعرفت قيمة سلاحها واحسنت التدريب عليه ــ ترى رأى العين ما سوف تواجهه وتكسر الرهبة ما بينها وبينه ، وهـــكذا بدأنا نختـــار

للتدريب ميادين قريبة الشبه الى أقصى حد بظروف وطبيعة المهمة التى سوف تقوم بها القوات وأولها عبور القناة ، اخترنا مناطق للتدريب فيها مجار مائيه ، بعمق القناة تقريبا ، وعليها سواتر بارتفاع القناة وفيهـا تيارات بقوة تيارات القناة • بل اننا فى بعض المرات أجرينا تدريباتنا على القناة ذاتها فى منطقة فيها تمتد فى فرعين أحدهما الى ناحيتنا وكانت تحت السيطرة الكاملة لقواتنا •

تحقـــق الاقتحـــام الرائع ببســالة الجنــود المصريين وبالســلاح الســـوفيتى •

المعركة تدور •• الانتصارات المصرية تذهل المراقبين •• الموقف فى اسرائيل يفور بالقلق والتوتر وصدمة المفاجأة •

ولكن السياسة والاتصالات الدبلوماسية تدخل بشـــدة الى ميدان المعركة بين واشنطن وموسكو والقاهرة : وتل أبيب •

عندما أيقظوا هنرى كيسنجر من نومه فى الثامنة صباحا (بتوقيت نيويورك) يوم ٦ أكتوبر ، وأبلغوه بهجوم المصريين والسوريين ، بـدأ سلسلة من الاتصالات مع السفير السوفيتى دوبرينين ، وكورت فالدهايم أمين عام الأمم المتحـــــدة ، ووزير خارجية اسرائيل أبا ايبان ، ووزير خارجية مصر محمد حسن الزيات ، ونائب وزير الخارجية السورى ، وكانوا جميعا فى نيويورك •

أول خاطر لكيسنجر كان دعوة مجلس الأمن لاتخاذ قرار بعـــودة القوات المتحاربة الى أماكنها •• وتـــكلم فى ذلك مع دوبرينين السفير السوفيتى ، وقال وتبعا لما جاء فى مذكراته ـ أنه يضع الخط الســـاخن بين واشنطن وموسكو تحت تصرفه كسبا للوقت •• ولكنه لم يتلق ردا سريعا من الاتحاد السوفيتى نتيجة الاتصالات العربية •

وأعدت الولايات المتحدة مجموعة عمل برئاسة كيسنجر ونائبيه فى الأمن القومى والخارجية ، ووزير الدفـــاع شـــيلزنجر ، ورئيس هيئـة أركان الحرب المشتركة ، ورئيس المخابرات المركزية ، وعدد محدود من المسئولين •• وعقدت اجتماعها الأول يوم ٦ أكتوبر •

وتحرك الأسطول السادس الأمريكى نحو مناطق القتال ••

ورغم وصول الأنباء عن الاقتحام المصرى ، الا أن الأمل فى هجوم اسرائيلى مضاد سريع كان يعمر قلب كيسنجر حتى ذلك الوقت ، وخاصة بعد أن وصلته رسالة من جولدا مائير تطلب اليه فيها أن يؤجل عرض الموضوع على مجلس الأمن عدة أيام ريثما تتمكن اسرائيل من ســـحق الهجومين المصرى وسورى ••

وطلبت منه فى نفس الرسالة أسلحة تكنولوجية متطورة · وخصوصا الصواريخ المضادة للطائرات (سايد ويندر) ·

وكان رأى شيلزنجر أن اسرائيل لا تحتاج الى مزيد من السلاح ·· وأن شحن أمريكا لهذه الأسلحة سوف يضعف دورها كوسيط ، ويفسد علاقتها مع بعض الدول العربية ·

ولكن كيسنجر يقنع نيكسون بامداد اسرائيل بهذه الأسلحة المتقدمة على طائرات شركة العال (بوينج ٧٤٧) من قاعدة فرجينيا بعد أن أزالت العلامات الاسرائيلية المميزة للطائرات ·

وهكذا شحنت فى اليوم التالى مباشرة ٧ أكتوبر أسلحة أمريكية وصواريخ متقدمة الى اسرائيل ·

وفى نفس هذا اليوم وبينما الجنود المصريون والسوريون يندفعون فى قتال شديد ، ويسجلون تضحيات فريدة ، وانتصارات مجيدة ·

فى نفس هذا اليوم ٧ أكتوبر وصلت الى كيسنجر من أنور السادات عبر قناة الاتصال السرية التى نظمتها أجهـــزة المخـــابرات بين مصر والولايات المتحدة بعد زيارة حاظ اسماعيل الى أمريكا ومقابلته لنيكسون وكيسنجر فى شهر فبراير ·

كان هذا الاتصال المبكر بالولايات المتحدة مثيرا للدهشة فى وقت فاقت فيه الانتصارات المصرية كل التوقعات ·

ورغم أن مجرد ارسال الرسالة يثير علامات استفهام حول الشكل والتوقيت ، الا أن كلمات الرسالة التى ننقلها بالحرف فيما يلى والتى حصل عليها محمد حسنين هيكل خلال صديق أمريكى أحسن اســـتخدام ثغرات فى القانون الأمريكى تتيح للمواطن الأمريكى الحصول على مثـل هذه الرسائل ··

الرسالة موقعة من حافظ اسماعيل الذى لم ينكر أنه كتبها ·· وهى تقول بالحرف الواحد :

عزيزى الدكتور هنرى كيسنجر

(ا) لقد ابلغنا الدكتور الزيات وزير الخارجية المصرية ـ آنذاك، وكان وقتها فى واشنطن وقابل كيسنجر قبل المعارك وفور نشوب المعارك ـ بما تم بينكما من محادثات ومناقشات خلال الأيام القليلة الماضية ·

(ب) ووفقا لروح الصراحة التى كانت تسود اجتماعاتنا (حافظ هنا يشير الى لقاءاته السابقة بكيسنجر) فانى أود أن أبدى ملاحظـــات

فلائل بصدد النقاط التى أثيرت خلال مباحثاتكم (أى مباحثات كيسنجر مع الزيات) ·

١ ـ أن الاشتباكات التى تحدث حاليا فى المنطقة لا يصح أن تثير أى دهشة لدى جميع أولئك الذين تتبعوا الاستفزازات الاسرائيلية المستمرة ، ليس على الخطوط العربية أو اللبنانية فحسب ، بل أيضا على الجبهة المصرية ، وكثيرا ما لفتنا النظر الى مثل هذه الاستفزازات التى لم تتوقف قط رغم الادانة الدولية ·

٢ ـ وعلى ذلك قد كان على مصر أن تتخذ قرارا بمواجهة أى استفزازات اسرائيلية جديدة بالحزم وبالتالى أن تتخذ الاحتياطات الضرورية ، لكى تواجه أى تصرف اسرائيلى من قبيل ذلك الذى جرى فوق سوريا يوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ ·

٣ ـ المصادمات التى حدثت على جبهة القنال كنتيجة للاستفزازات الاسرائيلية كان المقصود منها من جانبنا أن نظهر لاسرائيل أنه لم يكن يساورنا الخوف ، أو أنه لا حول لنا ولا قوة ·

٤ ـ وكنتيجة للاشتباكات ، فان موقفا جديدا قد نشأ فى المنطقة ، ولقد كان طبيعيا ترفع تطورات جديدة فى خلال الأيام القائل القادمة ، فاننا نود توضيح اطار موقفنا ·

٥ ـ ان هدفنا الأساسى لا يزال ـ كما كان دائما ـ تحقيق سلام فى الشرق الأوسط وليس تحقيق تسويات جزئية ·

٦ ـ أننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة ؟

(جـ) واذ أحسب أنكم تلقيتم من مستر روكفلر رد رئيسنا على رسالتكم ، ذلك الرد الذى أعيد فيه تأكيد موقفنا ، كما توضح منذ أول اتصال بيننا ، أرجو أن تسمحوا لى أن أوضحه بجلاء مرة أخرى ·

١ ـ ان على اسرائيل أن تنسحب من جميع الأراضى المحتلة ·

٢ ـ وعندئذ سنكون على استعداد للمساهمة فى مؤتمر سلام بالأمم المتحدة ، على أى شكل مقبول ، سواء كان ذلك تحت اشراف السكرتير العام ، أو ممثلى الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن أو اى هيئة أخرى ممثلة ·

٣ ـ اننا نوافق على حرية الملاحة فى مضايق تيران ونقبل كضمان تواجدا دوليا لفترة محدودة ·

(د) وانى لأستشعر الثقة من أنكم سوف تقدرون أن هذه العودة

لشرح موقفنا مبعثها رغبة حقيقية مخلصة فى تحقيق السـلام ، وليست منبعثة عن استعداد لبدء سلسلة من التنازلات والحق اننا نذكر أن المستر روجرز قد أضر بفرص الســلام حين أخطأ تفسـير مبادرتنا للسلام فى فبراير ١٩٧١ ، بطريقة انحرفت بتلك المبادرة عن طريقها وهدفها الحقيقى ٠

وتفضلوا بقبول أطيب تحيـــاتى ٠٠

(حافظ اسماعيل)

تظهر هذه الرسالة التى وصلت الى كيسنجر قبل أن تمضى أربـع وعشرون ساعة على القتال عدة حقائق تستحق الوقوف عندها :

أولا ٠٠ اهتمام أنور السادات بارسـال هذه الرسالة يظهر حرصه على عقد صلة مبكرة مع الأمريكيين خلال الحرب ٠

ثانيا ٠٠ تكشف هذه الرسالة أيضا مصدرا من مصادر الاتصـال المصرى الأمريكى ، وهو دافيد روكفلر الذى حضر الى مصر فى ٦ مارس ١٩٧١ ، ونشرت (الأهرام) صورة جمعت بين الرئيس وعقيلته وروكفلر وعقيلته فى اجتماع بدار الرئيس ٠٠ وكانت هذه كما سبق أن ذكرت أول مرة تنشر فيها صورة حرم الرئيس فى مناسبات اعتبرت جديدة فى الحياة السياسية المصرية٠٠ وأصبح دافيد روكفلر من أقرب الشخصيات الأمريكية للسادات حتى قيل انه يتولى توجيه أعماله المالية ٠٠ ومعروف أن كيسنجر قبل دخوله البيت الأبيض كان يعمل مع روكفلر أيضا ٠

ثالثا ٠٠ تظهر هذه الرسالة ان قناة الاتصال المصرى ـ الأمريكى السرية خلال أجهزة المخابرات كانت تعمل بكفاءة وسرعة ٠

رابعا ٠٠ مربط الفرس فى الرسالة هو الفقرة السادسة التى تقول :

(اننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة) ٠

هذه العبارة تعطى للعدو الاسرائيلى مباشرة الخطة الاستراتيجية لهذا الهجوم الذى حقق به المقاتل المصرى اعجازا وانتصارا رائعا ٠٠ اذ يكشف من اللحظة الأولى أن الهجوم لن يصل الى أهداف بعيدة مثل تحرير سيناء كلها ، أو الوصول الى المضايق على أقل تقدير ٠

وبناء على هذه المعرفة ، وهذا الوضوح ، بدأ كيسنجر يضع خطتــه فى مساندة اسرائيل ٠

لم يرد كيسنجر على رسالة السادات فى نفس اليوم ٠٠ ولابد أنه قد سرب فورا ما فيها من معلومات الى السفير الاسرائيلى سيمحا دينتز الصـــديق المقرب له ٠

اجتمعت مجموعة العمل الأمريكية مساء نفس اليوم ٧ اكتوبر ، واجتمع رأى الحاضرين ومنهم شيلزنجر وزير الدفاع على أنه (من الصعب تصور أن ينجح الجيش المصرى فى عبور قناة السويس بهذا الأداء ، ثم يكتفى بأن يجلس هناك) ٠

المجتمعون فى مجموعة العمل يدركون أن لكل حرب فرصتها الذهبية التى يتوقف عليها المصير ٠٠ ولكن كيسنجر كان يملك رأيا خاصا مختلفا عبر عنه عندما رد عليهم بقوله ، حسب ما ورد فى مذكراته :

(اننى متأكد من أن السادات بعد أن عبر القناة بجيشه ، سيجلس هناك فقط ٠٠ اننى لا أعتقد أنه سيتقدم داخل سيناء أكثر من ذلك) ٠

هكذا كانت خطة الحرب قد وضحت أمام كيسنجر وأمام الاسرائيليين الهجوم المصرى لن يكتمل ٠

السياسة بدأت تلعب دورا مؤثرا فى سير المعركة ٠

عملية (بدر) التى قال الفريق أول أحمد اسماعيل انه اختار اسمها تيمنا بمعركة بدر التى تمت فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، تحولت عند أنور السادات الى عملية (الشرارة) ٠٠ هكذا اختار الاسم ، ولا نريد أن نتجاهل احتمال كونه يوحى بمعنى معينا ٠ ٠فالشرارة تضىء فجأة وقد تشعل اللهب أو تنطفىء ٠

ولم يكن الاندفاع الى الممرات أمرا عسيرا ، أو خارجا عن قمة قواتنا المسلحة ٠

العكس هو الصحيح ٠٠ ففى الوقت الذى كان كيسنجر يبدأ فيه رسالة السادات ، كانت قواتنا المسلحة تنطلق بجرأة نحو الممرات ٠

وأنقل هنا بعض ما جاء فى كتاب حرب رمضان للواء حسن البدرى واللواء طه المجدوب ، وعميد ضياء الدين زهدى ٠

وفى الساعة ٨١٠ من صباح السابع من اكتوبر أبلغت قيادة قوات ميتلا أن الدبابات المصرية تحاصرها من كل جانب ٠ ولذلك قصة يحسن روايتها ٠٠ اذ اندفعت أقسام صغيرة من المفرزة البرمائية التى عبرت البحيرات المرة ــ اندفعت دباباتها لتبث الذعر فى مواقع العدو ولتخل سيطرة العدو على قواته ٠ فانطلقت سرية ميكانيكية برمائية ومعها بعض الدبابات الفردية صوب مضيق ميتلا ، بينما اتجهت سرايا أخرى صوب مضيق الجدى ٠

وتابعت السريتان تقدمهما ، وقامت الأولى بمهاجمة قيادة القطاع الجنوبى المتمركزة عند مدخل مضيق ميتلا وذلك فى الساعة ٨١٠ من صباح

السابع من أكتوبر ، ثم واصلت هجومها ضد أهـــداف العدو الخلفية ، فباغتت موقعا للرادار فى منطقة ميتلا فى الساعة ١٣٥٠ ·· وكبدت العدو خسائر لا يستهان بها قبل أن تعود لتنضم الى قواتنا الرئيسية فى رؤوس الكبـــارى ·

أما السرية الأخرى فقد تابعت هجومها فى اتجاه مضيق الجدى ، وهاجمت بعض المواقع الصغيرة للعدو ، وتجنبت الدخول معه فى معارك طويلة · اذ كانت تهدف الى الوصول الى مطار تمادا لتباغته ·· ونجحت فعلا فى الوصول اليه فى الساعة ١٠١٠ من صباح الثامن من أكتوبر ، وهاجمته فأحدثت به خسائر جسيمة مما اضطر العدو الى توجيه طيرانه للبحث عن تلك القوة الصغيرة الجريئة التى اندفعت بعيدا فى أعمـاقه لأكثر من ٨٠ كيلو مترا ·

الا أن هـــذه السرية تمكنت من الافلات بعد تنفيذ مهمتها وعادت للانضمام الى قواتها الرئيسية ·· ولم تكتف بذلك بل قامت بمهاجمة موقع رادار للعدو أثناء عودتها ··

لقد كان لأعمال تلك القوات الصغيرة أكبر الأثر فى ارباك سيطرة العدو واخلال تحركاته ·· بل وانهيار قيادته فى بعض الأوقات ، اذ تصور العدو أن الدبابات المصرية لن تتوقف قبل أن تصل الى الحـــدود ·· رغم أن هذا لم يكن واردا فى مهمتها ·

هذه الكلمة التى جاءت فى كتاب « هؤلاء العسكريين » تؤكد أن المهمة اذن كانت محدودة منذ البداية ، وأن أنور السادات قد حرص على طمأنة الأمريكيين والاسرائيليين من خلفهم بأنه لن يعمق أبعاد هجومه ·

وهنا يصبح التساؤل مشروعا عن الأســـباب التى أدت الى هذا الاختيار منذ البداية ، بينما كانت القوات المسلحة قادرة على تحقيـــق أهداف أكثر فعالية فى تحرير الأرض ، أو فى الدفاع عن مصر ·

يصبح التساؤل مشروعا أيضا عما اذا كان القرار قد اتخذ بقـرار منفردة من أنور السادات وحده ، أم أن ذلك قد تم خلال اتصالات خاصة وسرية مع الأمريكيين ·

ويصبح مشروعا أيضا أن نتساءل عما اذا كان هذا القرار قد اتخذ بموافقة وتأييد جميع القادة المسئولين ·· أم أنه قرار القائد الأعـلى أنور السادات ، الذى يجب على الجميع احتـــرام كلمته تبعا لتقـــاليد الانضباط العسكرى ·

وهنا أشير الى ما بدأ يتردد بعد بدء القتال حسب ما ورد فى كتـــاب « حرب رمضان » للواء حســـن البدرى وزملائه فى أجهزة الاعـــلام

الاسرائيلية من زعم بأن القيادة العسكرية الاسرائيلية كانت تعلم بلحظة الهجوم وموعده ٠٠ وأن القيادة السياسية هى التى قررت ترك المبادأة للعرب طواعية لأسباب سياسية واقتصادية ٠٠ !!

لا أحد يستطيع أن يثبت ذلك الآن ، فقد كان الهجوم مفاجأة وزلزالا فى داخل اسرائيل ٠

والمعارك الحربية لا تتحرك مثل عرائس المسرح ٠٠ والطاقة والقدرة التى أظهرها جنودنا وضباطنا فاقت كل خيال ٠

خمس فرق مصرية عبرت القناة الى الضفة الشرقية وتم الاستيلاء على خط بارليف تماما ، وأقيمت رؤوس الكبارى القوية ٠

وفى الجبهة السورية اقتحم الجيش السورى الجولان ، وكاد يصل الى حدود يونيو ١٩٦٧ ، وهناك ركزت اسرائيل مجهودها الرئيسى ودفعت جزءا كبيرا من احتياطياتها التعبوية والاستراتيجية صوب الجبهة السورية ، ويقول كتاب « حرب رمضان » ان القيادة المصرية قد اتضح لها أن العدو سوف يكتفى بتثبيت الجبهة المصرية وذلك بصفة مؤقتة ، لحين ايقاف التهديد السورى وتصفيته قبل أن يحول مجهوده الرئيسى صوب الجبهة المصرية ٠ وظهر ذلك جليا من هبوط وتيرة هجمات العدو المضادة واضمحلال حجمها على الجبهة المصرية فى نهاية المرحلة الأولى ٠ وتحول بعض قوات العدو الى تجهيز خطوط دفاعية جديدة الى الشرق من رؤوس الكبارى ، بعيدا عن قواتنا ٠

وفى صباح ١١ أكتوبر الباكر أتمت أجهزة القيادة العامة المصرية تقدير الموقف والتخطيط لتطوير الهجوم شرقا بجزء من القوات المدرعة والميكانيكية ، للوصول الى المداخل الغربية لسلسة المضايق الجبلية ٠

كان مفروضا أن تنتهز قواتنا هذه الفرصة للتحرك الى المضايق والاستيلاء والسيطرة عليها لحرمان العدو من التدخل بهجوم مضاد على قواتنا العابرة والمقتحمة غرب القناة ، ولكن خطة (الشرارة) لم تتضمن هذه الخطوة الطبيعية ، ولذا واجهت القيادة العامة موقفا جديدا : حاولت به تخفيف الضغط على القوات السورية بجزء محدود من قواتنا ٠٠ وجاء فى كتاب حرب رمضان (ولذلك نصت التوجيهات الصادرة على استخدام — مفارز صغيرة الحجم نسبيا — ولكنها ذات قوة نيران كبيرة ، على أن تكون — من خارج التكوين الأصلى للفرق المشاه الخمس — التى كان عليها أن تستمر فى التمسك برؤوس الكبارى) ٠

التطور الذى حدث خارج الخطة كان يلتزم بالفقرة السادسة التى

وردت فى رسالة أنور السادات الى كيســـنجر والتى نصت على (أننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة) ٠

وهنا يثور تساؤل مشروع عن السبب فى عدم قبول وقف اطلاق النار بعد أن تم تحريك المشكلة ، وحققت القوات المسلحة المصرية انتصـــارا رائعا خلال الأيام الأولى للمعركة ، عبرت به القناة واستقرت فى ضفتها الشرقية ، وأمكن للقوات السورية أن تكتسح الجولان فى أول يومين ٠

ووقف اطلاق النار أمر لا يتحدد فى جبهة القتال ، وانما يتقرر فى خوائيس السياسة ٠٠ وفى الدول التى تملك حق الفيتو على أى قرار يصدره مجلس الأمن ٠

عندما بدأ القتال كان تفكير الوهلة الأولى عند كيسنجر قبل وصول رسالة أنور السادات اليه هو المطالبة بوقف اطلاق النار مع (عودة القوات المتحاربة الى مواقعها الأصلية) ٠٠ أى انسحاب القوات المصرية الى شرق القنـــاة !!

ولكن هذا القرار لم يجد أذنا صاغية من جانب السوفييت الذين كانوا يرقبون الانتصارات العربية ويجدون فيها عاملا حاسما فى دائرة اللعبة السياسية ٠٠ ولم يجد قبولا مباشرا من جولدا مائير التى ما أن وصلتها الأسلحة والصواريخ المتطورة فى اليوم الثانى للمعركة حتى تصـــورت أنها قادرة على توجيه ضربة مضادة للقوات العربية السورية والمصرية، ولذا طلبت من كيسنجر تأجيل ذلك عدة أيام ، وعلق كيسنجر على ذلك فى مذكراته قائلا (مع انتظارنا للضربة الاسرائيلية الحاسمة أصبحت خطتنا الآن هى تأجيل اجتماع مجلس الأمن الى أن تسيطر اسرائيل على الموقف عســـكريا) ٠

أما فى سوريا فقد همست الحكومة السورية للاتحاد السوفيتى قبل بدء المعركة يوم ٤ أكتوبر بطلب وقف اطلاق النار بعد ٤٨ ساعة على الأكثر من بدء المعركة وذلك لادراكهم أن اجراءات اتخاذ القرار سوف تأخذ عدة أيام ، يكون فيها هجومهم قد حقق أغراضه ٠٠ وقبل أن تحشد اسرائيل جنودها بعد وصول الامدادات الأمريكية لتوجيه ضربة مضادة ٠

ولم يكن للاتحاد السوفيتى مطلق السراح فى تلبية الطلب السورى ٠٠ اذ المعركة ترتبط بمصر أيضا ٠٠ ولذا أبلغ فلاديمير فينوجرادوف سفير الاتحاد السوفيتى أنور السادات بهذه الرغبة ٠

رفض أنور السادات الفكرة فى وقت كان الانتصار العربى فيه قد بلغ الذروة ، وكان السفير الاسرائيلى فى فجر ٩ أكتوبر يهـرع لمقـابلة كيسنجر لابلاغه أن اسرائيل قد خسرت ٤٩ طائرة منها ١٠ فانتوم، وخسرت

٥٠ دبابة منها ٤٠٠ دبابة على الجبهة المصرية ، وأن جولدا مائير تفكر في زيارة واشنطن ٠٠ وارتفع النداء (انقذوا اسرائيل) ٠

وكتب كيسنجر في مذكراته أنه طلب عدم حضور جولدا مائير لتبقى في اسرائيل لاتخاذ القرارات الحاسمة في وقت كان موشى ديان فيه قد ابتدأ يقترح مزيدا من الانسحاب الى الشرق ٠٠ وكان ذلك دافعا لاعداد مزيد من المساعدات لاسرائيل ، رغم توفر أسلحة وذخيرة عندها تكفى للحرب مدة أسبوعين كما ذكر ذلك كولبى مدير المخابرات المركزية ٠

وهنا فعلا يثور تساؤل شديد حول الأسباب التى دعت أنور السادات الى عدم قبول وقف اطلاق النار ، فى وقت كان فيه منتصرا ٠٠ وفى وقت كان فيه كيسنجر حريصا على (قيام الاسرائيليين بدفع المصريين والسوريين الى الخلف بأسرع ما يمكن بهدف اعادتهم الى خطوط ما قبل الحرب أو ما خلفها حتى فى جبهة واحدة على الأقل) ٠

كان أنور السادات قد رفض الطلب السورى وقال للسفير السوفيتى كما ورد فى كتابه (البحث عن الذات) :

(سوف أرسل للرئيس الأسد أسأل فى هذا الموضوع ، ولكن أرجو أن تبلغ القيادة السوفيتية أنه حتى اذا كان هذا الطلب سوريا فعلا فانتى لن أوقف اطلاق النار الا بعد الانتهاء من الأهداف الأساسية المحددة لمعركتى) ٠٠

وتدور القضية فى حلقة مفرغة ، عندما يعود السفير السوفيتى لمقابلة أنور السادات ، وابلاغه بالطلب السورى الذى تكرر للمرة الثانية ٠

وهنا يقول السادات فى كتابه « البحث عن الذات » .

قلت للسفير السوفيتى (اسمع ٠٠ أرجو أن تقفل هذا الموضوع وتعتبره انتهى عند هذا الحد فانتم تعلمون منذ الأمس أننى لن أوقف اطلاق النار الا بعد أن تتحقق أهداف المعركة) ٠

وبعد ذلك كان السفير السوفيتى يزورنى يوميا فى قصر الطاهرة لتبادل المعلومات ولكنه لم يكف عن الالحاح على وقف اطلاق النار وأنا أنهره وأقول له (ليس قبل أن أحقق هدفى وهو ضرب نظرية الأمن الاسرائيلى) ٠

ويظل التساؤل قائما ومشروعا حول السبب فى رفض قبول وقف اطلاق النار ، رغم أن السادات يذكر فى كتابه أن اسرائيل فقدت ثلث

سلاح طيرانها خلال الأيام الثلاثة الأولى للمعركة ، ويشير الى أن طائرات ميج سرعتها أقل من سرعة الصوت كانت تهزم طائرات الفانتوم ٠

المعركة مستمرة ٠٠ ولكن النصر الساحق الذى تحقق فى الأيام الأولى بدأ يتحول الى حرب تصادمية طاحنة ، تعتبر أكبر معركة دبابات فى التاريخ فقد تراجع الهجوم السورى على الجولان ، وباتت دمشق ذاتها مهـددة ، وتحول الهجوم الاسرائيلى على جبهة سيناء ٠

كانت الامدادات السوفيتية قد بدأت تتدفق على مصر وسوريا ٠٠ كما بدأت الامدادات الأمريكية تتدفق على اسرائيل ٠

بدأ الجسر الجوى السوفيتى يوم ١٠ أكتوبر بطائرات بلغت ٨٤ طائرة يوميا كانت تقطع مسافة طويلة بعد أن رفض الشاه عبور الطـائرات السوفيتية للمجال الجوى الايرانى خدمة لاسرائيل ٠٠ ثم ارتفع الرقم الى ١٤٠ طائرة امداد يوميا ٠

أما الجسر الجوى الأمريكى الذى بدأ اليوم الثانى للحـرب ٧ اكتوبر فقد كان يحمل الى اسرائيل يوميا ألف طن من الأسلحة والمعدات ٠ وحرص كيسنجر على أنه (حينما يجىء وقف اطـلاق النار ويوقف الجسر الجوى لكل جانب ، لا ينقطع فجأة شريان الحياة لاسرائيل) ٠

الامدادات تتدفق ٠٠ والمعركة تحتدم ٠٠ وكيسنجر يفسر ذلك قائلا (اننا كنا مستعدين للمغامرة والمجازفة بأكثر مما كانت موسكو مستعدة ، فبمجرد أن أصبح المأزق واضحا فاننا تحركنا بطريقة حاسمة بل حتى بطريقة قاسية ووحشية لكى نكسر هذا المأزق) ٠

ومع ذلك لم تكن قد ضاعت بعد كل الفرص المواتية لطلب وقف اطلاق النار ، والقوات المصرية غرب القناة ٠٠ ويذكر أنور السادات أن بريجنيف حاول توسيط تيتو لاقناعه بوقف اطلاق النار ، وأن السفير البريطـانى طلب ايقاظ أنور السادات من النوم فجر يوم ١٣ أكتوبر لتسليمه رسـالة عاجلة من رئيس وزراء بريطانيا ادوارد هيث ٠

يقول السادات ان الرسالة كانت من كيسنجر لأن العـلاقات كانت مقطوعة بين مصر وأمريكا ٠٠ وينفى هذا القول ما تبين بعد ذلك من وجود صلات سرية خلال أجهـزة المخـابرات وما توفر من رسائل متبادلة بين السادات وكيسنجر شخصيا ٠

عموما يقول أنور السادات ان هيث كان يريد التأكد من قبل أنور السادات لوقف اطلاق النار ٠ وأنه أجاب عليه بقوله (بلغ كيسـنجر أن هذا لم يحدث فأنا لم أوافق على وقف اطلاق النار لا للسوفييت ولا

غيرهم وقد سبق أن أخبرته بأن يتصل بالقاهرة اذا كان ثمة ما يخص مصر وليس بموسكو) ٠

اذا تغاضينا عما فى رغبة أنور السادات من اظهار أنه لم تكن هناك اتصالات سرية بين مصر وأمريكا ٠٠ ووقفنا عند رفضه لقبول وقف اطلاق النار ، لوجدنا نوعا من التطابق بين موقف هنرى كيسنجر فى واشنطن، وموقف أنور السادات فى القاهرة ٠

كان كيسنجر حريصا على عدم فرض وقف اطلاق النار واسرائيل فى موقف المهزوم ٠٠ وحتى عندما بلغه من شيلزنجر وزير الدفاع بأن السعودية سوف ترسل لواء الى سوريا للمشاركة فى الحرب ، الأمر الذى يعتبر تغيرا جوهريا فى الموقف السعودى وفى سياسة المنطقة ، فان كيسنجر أخذ الأمر باستخفاف قائلا ان اللواء السعودى لن يصل قبل يومين ، تكون فيهما اسرائيل قد دفعت الهزيمة عن نفسها ٠

وفى اجتماع مجموعة العمل الأمريكية قال كيسنجر (اننى باسم الرئيس أطلب استقالة أى مسئول غير راغب فى مساندة الاجراءات التى اتخذناها لدعم اسرائيل عسكريا) ٠

ويقول أيضا (اذا اعتقد العرب أنهم فعلوها بأنفسهم ٠٠ فاننا نكون قد غرقنا) ٠

ويتصادف فى هذا اليوم ١٣ اكتوبر اجراء عدة تحركات عسكرية غير متوقعة ، اذ حركت مصر الفرقة ٢١ المدرعة الى شرق القناة ولم يعد هناك احتياطى استراتيجى غرب القناة ٠٠ وهذا دليل فى ذاته على احتدام المعركة ، وبداية تحرك مؤشرها من الانتصار المصرى الساحق الى الحرب ذات الخسائر ٠٠ فقد لحقت بالمدرعات المصرية أيضا خسائر ملحوظة بلغت ٤٠٠ دبابة ٠

كيسنجر يكرر فى مذكراته القول (اننا لا نستطيع أن ندع اسرائيل تخسر الحرب) ٠

وهو لذلك يستصرخ اسرائيل قائلا لسفيرها سيمحا دينتز (الآن قررنا أن نرفع الجسر الجوى الى قدرته القصوى وبالطائرات العسكرية الأمريكية دعنى أحثكم على الاسراع بهجماتكم العسكرية بحيث يمكن اتمامها خلال ٤٨ ساعة من ذهابنا الى مجلس الأمن ٠٠ اننا لا نستطيع تجميد الأمور أكثر من ذلك) ٠

موقف كيسنجر فى المماطلة ، يتفق بطريقة غير مباشرة مع موقف أنور السادات فى الرفض ٠

لم يكن من مصلحة أمريكا ولا اسرائيل قبول وقف اطلاق النار الفورى حتى ذلك الوقت ·· ولكنه كان من مصلحة مصر بكل تأكيد حيث كانت قواتها ما زالت تحارب معركة عظيمة فى سيناء بعد اقتحام القناة ·

ولذا يبدو موقف أنور السادات غريبا ومثيرا للتساؤلات ·

وعندما استشعر السوفييت الخطر الذى يهدد مصر من رجحان كفة اسرائيل بعد الجسر الجوى الهائل الذى تدفق منذ يوم ٧ أكتوبر ·· طلب كوسيجين زيارة القــاهرة ·

ويقول السادات فى كتابه البحث عن الذات (كان مطلبه الأساسى وقف اطلاق النار على الخطوط الحالية) ·· ويفسر السادات بعض نقده له لعدم وصول أسلحة ومعدات سوفيتية كافية للمعركة ·· وهو أمر ــ حتى لو صدق ــ لكان مدعاة الى قبول وقف اطلاق النار بعد الانتصار الذى لعبت فيه الروح المعنوية للجندى المصرى دورا هائلا ·

ولكن السادات ما زال يرفض ·· وكيسنجر ما زال يماطل ·

وما أن بزغ فجر يوم ١٥ أكتوبر حتى كان مجرى القتال قد بدأ يتحول قايلا الى صالح اسرائيل ·· وفى هذا اليوم تلقى كيسنجر خطابات من بعض الحكام العرب الذين أرسل اليهم خشية ردود فعلهم على الجسر الجوى الأمريكى ولكنه يقول (جاءت ردود الفعل أكثر اعتدالا ممــا توقعنا) ·

ويقول المؤلفون العسكريون المصريون لكتاب (حرب رمضان) ان العــدو دفع فى هذا اليوم بحوالى ١٢٠٠ دبابة هاجمت معظمها القطاع الأيمن للجيش الثانى الميدانى ·

ثم يقول الكتاب (ان العدو تمكن خلال نفس الفترة من عبور بعض القوات الصغيرة ، حوالى سرية مشاة ميكانيكية وسرية دبابات برمائية عبر الطرف الشمالى للبحيرات المرة عند مطار الدفرزوار المهجور مستغلا ظلام ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر) ·

بدأت الثغرة ·· وكوسيجين فى القاهرة يلح على أنور الســادات فى أن يقبل وقف اطلاق النار ·· قضى أربعة أيام كان يلتقى معه فيهــا مســاء كل يوم ·

وما من شك فى أن فرصة وقف اطلاق النار والقوات المصرية فى موقف القوة وجميعها غرب القناة قد بدأت تتهدد بهذا التسرب الاسرائيلى من الثغــرة ·

وضاعت فرصة فريدة لقبول وقف اطلاق النار ، أو على الأقل للتقدم به الى مجلس الأمن ، ثم كشف موقف أمريكا برفضه ·

والمثير أن رسالة من أنور السادات قد وصلت الى كيسنجر عبر قناة الاتصال السرية وقعها حافظ اسماعيل كرد على طلب السفير البريطانى ·· والجديد فيها من وجهة نظر كيسنجر هو :

أولا لا يوجد أى طرف آخر يتكلم باسم مصر · ثانيا : أن السادات يقدر جهود الولايات المتحدة لوقف اطلاق النار كاجراء «تمهيدى» لتسوية سياسية · ثالثا : السادات يدعو كيسنجر لزيارة مصر !

ويعبر كيسنجر عن سعادته بهذه التطورات بقوله : « لقد كان السادات يعرف أننا نعمل على احباط خطط مصر العسكرية · لقد كان يستطيع بسهولة أن يستخدم الجسر الجوى الأمريكى كعذر للنكسات التى جعلت الهزيمة فى سيناء حتمية ، وكان يستطيع أن يطلق الغوغاء فى العالم العربى ضدنا ، كما فعل عبد الناصر مع استفزاز أقل سنة ١٩٦٧ · ولكن السادات كان متعبا من اراقة الدماء فى سبيل قضية عديمة الجدوى · لقد كان مستعدا لأن ينبذ اتخاذ مواقف من أجل تقدم ممكن ·

هذه النقاط الثلاث تشكل اتجاها مفاجئا وجديدا فى السياسة المصرية ، لأنه فى الوقت الذى كانت تتزايد فيه التضحيات المصرية فى ميدان القتال ، لم يعبأ أنور السادات بالهجوم على الجسر الجوى الأمريكى الذى أمد اسرائيل بسلاح نزفت به دماء المصريين ، وقتل الألوف منهم دفاعا عن الوطن ·· وانما اتخذ القرارات التى تعنى :

أولا ·· ان الولايات المتحدة لا يجوز أن تقيم وزنا للاتحاد السوفيتى حليف مصر حتى ذلك الوقت ، وصديقها الذى أمدها بالسلاح الذى حققت به معجزة الاقتحام ، حيث ينفى حق أى طرف فى الحديث باسم مصر ·

ثانيا ·· دعوة كيسنجر لزيارة مصر تفسر العلاقة السرية الوثيقة التى قامت بين الرجلين على يد روكفلر أو غيره ·· والدعوة فى هذا الوقت الذى استشفت فيه القيادة المصرية بداية دخول المعركة فى مرحلة صعبة ، هو أمر يضيف الى جانب التقدير للدور الأمريكى فى اتمام التسوية ، تغيرا جذريا فى اتجاه السياسة المصرية ·

كانت هذه الرسالة مظهرا لتحول مفاجىء وخطير ·

ولا شك أن كيسنجر قد سعد جدا بتلقى هذه الرسالة مثل سعادته بتلقى رسالة ٧ اكتوبر التى علق عليها بقوله فى مذكراته :

(اننى لم أكن آخذ السادات بجدية من قبل الى أن جاءتنى منه تلك الرســـالة) ٠

ويبدو غريبا أن توجه دعوة مفتوحة لكيسنجر للذهاب الى القاهرة ثمنا لادارته المعركة لصالح اسرائيل !!

ويبدو الأمر أكثر غرابة فى أن جميع المحيطين بأنور الســـادات فى ذلك الوقت اما أنهم كانوا لا يدركون خططه وأهدافه ٠٠ أو كانوا يدركون ولا يقدرون جسامة الخطر أو يفضلون الصمت البليغ !!

ويشعر الانسان بنوع من الاحباط ، حيث ضاعت على مصر فرصة قبول وقف اطلاق النار فى وقت كانت فيـــه قادرة على فرض شروطها لتسوية سلمية عادلة وشاملة ٠

أما الآن ٠٠ وقد تسربت فصيلة اسرائيلية الى شرق القناة كمقدمة لثغرة غير منتظرة ٠٠ فالموقف تنسدل عليه كآبة شديدة ٠

ومع ذلك فقد ذهب أنور السادات الى مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر ليفتتح دورته الاستثنائية وهو بلباسه العسكرى ومعه الفريق أول أحمد اسماعيل ٠

وقدم أنور السادات مشروعا للسلام من خمس نقاط هى بالتحديد :

أولا : اننا قاتلنا وسوف نقاتل لتحرير أراضينا التى أمسك بها الاحتلال الاسرائيلى سنة ٦٧ ، ولايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ٠ ونحن فى هذا نقبل التزامنا بقرارات الأمـم المتحدة فى الجمعية العامة ومجلس الأمن ٠

ثانيا : اننا على استعداد لقبول وقف اطـــلاق النار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الأراضى المحتلة فورا وتحت اشراف دولى الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ٦٧ ٠

ثالثا : اننا على استعداد فور اتمام الانسحاب من كل هذه الأراضى أن نحضر مؤتمر سلام دولى فى الأمم المتحدة ٠ سوف أحاول جهدى أن أقنع رفاقى من القادة العرب المسئولين مباشرة عن ادارة الصراع مع العدو ، كما أننى سوف أحاول جهدى أن أقنع به ممثلى الشعب الفلسطينى وذلك لكى يشارك معنا ومع مجتمع الدول فى وضع قواعد وضـــوابط السلام فى المنطقة يقوم على احترام الحقـــوق المشروعة لكل شـــعوب المنطقـــة ٠

رابعا : اننا على استعداد هذه الساعة ، بل هذه الدقيقة ، أن نبدأ

فى تطهير قناة السويس وفتحها أمام الملاحط الدولية لكى تعود الى أداء دورها فى رخاء العالم وازدهاره ، ولقد أصدرت الأمر بالفعل الى رئيس هيئة قناة السويس بالبدء فى هذه العملية غداة اتمام تحرير الضـــفة الشرقية للقناة ، وقد بدأت بالفعل مقدمات للاستعداد لهذه المهمة ·

خامساً : اننا لسنا على استعداد فى هذا كله لقبول وعود مبهمة أو عبارات مطاطة تقبل كل تفسير وكل تأويل وتســـتنزف الوقت مما لا جدوى فيه وتعيد قضيتنا الى جمود لم نعد نقبل به مهما كانت الأسباب لدى غيرنا أو تضحيات بالنسبة لنا ، ما نريده هو الوضوح ، الوضوح فى الغايات والوضوح فى الوسائل ·

هذا المشروع قدم فى وقت كانت القوات الاسرائيلية المحدودة التى نفذت من الثغرة قد بدأت تهاجم صواريخنا فى الضفة الشرقية ، بعد أن لم تعد عندها حماية أرضية اثر دفع الفرقة المدرعة يوم ١٣ أكتوبر الى الضفة الشرقية ، الأمر الذى جعل القوات بغير احتياطى استراتيجى ·

كان مفروضا أن تخطب جولدا مائير فى الكنيسـ ى نفس اليوم ·· ولكنها أجلت خطبتها الى المساء ، حيث أعلنت أن قوات اسرائيل تحارب الآن فى الضفة الشرقية ؟؟

هنا بدأ موقف أنور السادات يتغير ·

وهو يفسر ذلك فى كتاب (البحث عن الذات » بتصويره خطـــورة أسلحة الجسر الجوى الأمريكى ·· وهو أمر صحيح ولكن لم يكن له مردود ·· اذ كان مفروضا أن يكون الجسر دافعا لقبول وقف اطلاق النار فى وقت مبكر أولا ·· وأن يكون محل اثارة مضادة لهذا التدخل الأمريكى الذى وصفه كيسنجر بقوله انه كان (قاسيا ووحشيا) ··

كان ذلك معروفا لدى أنور السادات من اليوم الثانى للحرب ·· ولو افترضنا جدلا بعدم استشعاره لخطورة هذا الجسر فى توقيت مناسب، فان وقف اطلاق النار كان قضية ترتبط ارتباطا وثيقا بالموقف فى ساحة المعركة ·· ولا تقترن بضرورة الحصول على وعد من العدو بالانســحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة ، فى وقت كانت فيه خطة (الشرارة) أو عملية (بدر) لا تستهدف أكثر من التحريك وليس التحرير ·· من اقتحام القناة وليس ركوب المضايق ·· من تثبيت جسور الكبارى شرق القناة وليس الانطلاق الى الحدود المصرية ·

قبل أنور السادات وقف اطلاق النار بعد ١٣ يوما من بداية القتال، يوم ١٩ أكتوبر بعد أن ضعفت زهوة الانتصار الساحق ·

ويقول أنور السادات (بعد عودتى من غرفة القيادة فى الســـاعة

الواحدة والنصف من صباح ١٩ / ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ كتبت للرئيس الأسد شريكى فى القرار برقية أخطره فيها أننى قررت الموافقة على وقف اطلاق النار ، وسجلت فى هذه البرقية موقفى وهو أننى لا أخاف مواجهة اسرائيل ولكنى أرفض مواجهة أمريكا) ٠

واذا تغاضينا عن هذه الفكرة التى تقول بعدم الخوف من مواجهة اسرائيل مع رفض مواجهة أمريكا ٠٠ لأنها تفرق بين الدولتين ٠٠ وتحاول تثبيت فكرة امكانية حرب مع اسرائيل لا تدخلها أمريكا بكل ثقلها ٠

أقول اذا تغاضينا عن ذلك لوجدنا أن الحرب قد بدأت تتحول من محاولة اقرار تسوية سلمية عادلة وشاملة ٠٠ الى محاولة البحث عن وسيلة انقاذ بوقف اطلاق النار ٠

الثغــرة

قرر أنور السادات قبول وقف اطلاق النار يوم ١٩ اكتوبر وجنــود اسرائيل فى غرب القناة ٠

تحولت الحرب من محاولة لفرض تسوية سياسية ، الى البحث عن وسيلة لوقف اطلاق النار ٠ وكما يقول حافظ اسماعيل (اقتصرت الجهود على تحقيق وقف اطلاق النار ، بعد أن توقفت المناقشة حول تســوية سياسية ، وكما ذكر كيسنجر فى مذكراته ، فانه لم يكن على استعداد لقبول انتصار يحققه السلاح السوفيتى) ٠

واحداث ثغرة فى جدران الدفاع المصرى لم تكن أمرا خارجا عن دائرة الاهتمام ، أو بعيدا عن احتمالات الوقوع ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى القائد العام السابق ان تدريبات ومناورات ومشاريع القوات المسلحة كانت تتعرض لاحتمالات حدوث ثغرة شرق القناة ، وفى منطقة الديفرسوار بالذات ٠

وكان الالحاح فى طلب الموافقة على وقف اطلاق النار من جانب السوفييت وغيرهم ، أثناء الانتصار الباهر للقوات المصرية ، يستهدف تفادى خطر هجوم مضاد اسرائيلى مدعم بكافة ترسانة الأسلحة الأمريكية المتقدمة ٠٠ ويعنى أيضا استشعار الخطر من هذا الهجوم المضاد ، الذى كانت الأقمار الصناعية السوفيتية ووسائل الاستكشاف الأخرى بدأت تسجل الاستعداد له ٠٠ الأمر الذى دفع كوسيجين الى الحضور بنفسه الى مصر ، والبقاء أربعة أيام فى محاولة اقناع السادات بقبــول وقف اطلاق النـــار ٠

رفض السادات لقبول وقف اطلاق النار وهو منتصر ، كان يلتقى بطريق غير مباشر ، مع مماطلة كيسنجر حتى ينفذ خطته لدعم اسرائيل ، وما صرحت به جولدا مائير من أنها لن تقبل وقف اطـــلاق النار وهى منهزمة ٠

أضاع أنور السادات فرصة فريدة لتحقيق مكسب سياسى نابع من الانتصار العسكرى ٠

واضطر اخيرا للبحث عن وسيلة بوقف اطلاق النيران الاسرائيلية،

وقد بدأت تتحول الى خطر حقيقى منذ أعلن أول بيان مصرى عن الثغرة، بعد أن خطبت جولدا مائير فى الكنيست يوم ١٦ أكتوبر الساعة ٤ مساء وقالت ان الجنود الاسرائيليين يحاربون شرق القناة فى عملية هجـــوم مضاد أطلق عليها اسم (الغـزال) ·

أول بيان أذيع عن الهجوم المضاد الاسرائيلى كان يحمل رقم ٤٣ وأذيع فى الساعة السادسة ، ٥ دقائق وجاء فيه :

حاول العدو ظهر اليوم (الثلاثاء) تجميع حشد كبير من المدرعات على المحور الأوسط ، وقام بهجمات مضادة قوية محاولا التقدم من خلال رأس جسر أحد تشكيلاته وتجرى حاليا معركة ضارية باستخدام مدرعاتنا وقواتنا من المشاه والمشاه الميكانيكية تعاونها قواتنا الجوية لصد اختراق العدو وتدميره · وقد تكبد العدو خسائر جسيمة وما زالت المعركة مستمرة حتى الآن ·

ثم أذيع بيان رقم ٤٤ فى الساعة التاســـعة و ٥٠ دقيقة مســـاء (الحاقا بالبيـــان رقم ٤٣ قامت مدرعاتنا بتدمير جزء كبير من مدرعات العدو التى قامت بالهجوم المضاد ظهر اليوم ·

وقد اشتركت تشكيلاتنا الجوية بأعداد كبيرة فى هذه المعركة ، وقامت بقذف مركز على دبابات العدو مما أجبره على الانسحاب تاركا وراءه دباباته محترقة ·

وقد اعترضت طائرات العدو تشكيلاتنا الجوية ودارت معركة جوية أسقطنا للعدو فيها احدى عشرة طائرة · وعادت جميع طائراتنا الى قواعدها سالمة عدا طائرتين ·

وأثناء القتال قام العدو فى الساعة الثانية والنصف بعد ظهر اليوم باغارة يائسة متسللا بسبع دبابات عبر البحيـــرات المرة فى محاولة للاغارة على المواقع غرب القناة وقد صبت عليها مدفعيتنا نيرانا كثيفة وتم تدمير ثلاث دبابات منها وتشتت الباقى وتقوم قواتنا حاليا بمطاردتها للقضاء عليها نهائيا) ·

وبدأ الشعب المصرى يتساءل عن حقيقة هـــذه الدبابات المتسربة ، وتثور فى صدره الشكوك ، من سبب الوجود الاسرائيلى غرب القناة ، بعد أن كانت الانتصارات قد رفعت روحه المعنوية الى عنان السماء ، وأعادت اليه الثقة بالنفس والكبرياء ·

البيانات العسكرية المصرية أصبحت تتضمن أخبارا عن عمليـــات ومعارك غرب القناة ، ومحاولة لوقف التسلل الاسرائيلى ·

والتفكير فى احداث الثغرة من الجانب الاسرائيلى بدأ من جانب الجنرال شارون الذى تحمل مسئولية تنفيذها رغم معارضة بعض ضباط القيادة الاسرائيلية ، باعتبارها عملا عسكريا غير تقليدى ومحفوف بالمخاطر ، الا أن الاغراء لتنفيذها كان مبنيا على أساس امكانية التعامل بالمدرعات الاسرائيلية مع حائط الصواريخ المصرية على الأرض بعد أن فشلت القوات الجوية فى التغلب على هذا الحائط القوى ..

ويقول الفريق صلاح الدين الحديدى فى كتابه (حرب أكتوبر فى الميزان) وهو يقدر الموقف الذى كان وراء فكرة الثغرة انه (قد يساعد الحظ فى الاستيلاء على أنواع الصواريخ سام المتخلفة سليمة ، لتكون هدية ثمينة للخبراء والفنيين فى كل من اسرائيل وحلف الأطلنطى كما أن نقل المعركة الى الضفة الغربية يؤثر على النجاح فى الضفة الشرقية وقد يغير ميزان الموقف الاستراتيجى كله اذا أمكن تطويق الجيشين الثانى والثالث) .

ويفسر الجنرال شارون القائد الاسرائيلى الذى قاد العملية فكرته ووجهة نظره بقوله :

« كان الموقف بالغ السوء ، استطاع المصريون أخذ المبادأة والمفاجأة ثم ألحقوا بنا خسائر فادحة ، وكانت هذه حربا حقيقية ، ولقد أحسست بأن الحرب سوف تتوقف فى أى ساعة ، والموازين الدولية تتحرك ، وفى أية لحظة فانه قد ينزل علينا وعلى ميدان القتال كله قرار بوقف اطلاق النار ، ووقف اطلاق النار على الوضع الذى كنا فيه سوف يكون كارثة ، وكان لابد من عمل جرىء ، قبل وقف اطلاق النار ، عمل يمكن عنده من جانبنا أن نقبل وقف اطلاق النار ، وفى نفس الوقت لا نكون عنده قد فقدنا كل سمعتنا ، وكان الحل هو عبور قناة السويس الى الغرب ، وعندما كنت قائدا لجبهة سيناء حتى يوليو من هذه السنة ، فاننى كنت أفكر فى هذا الحل فيما لو حدث وأقدم الجيش المصرى على عبور القناة . وقد استطلعت الجبهة على شاطىء القناة واخترت موقع العبور المحتمل ، وطلبت من سلاح المهندسين تقليل كثافة الحاجز الترابى عنده ، وطلبت بناء علامة حمراء من الأحجار الحمراء تشير الى هذا الموقع وتذكرنا به ، وهكذا ذهبت ليلة ١٢ أكتوبر الى اجتماع فى القيادة الجنوبية اقترح السماح لى بتنفيذ خطتى فى الغرب ، ولم يكن الجنرال جونين قائد جبهة سيناء متحمسا لفكرتى ، ولا كان الجنرال بارليف المسئول عن التنسيق فى الجبهة متحمسا لها ، لكننى صممت وأظن أننى نجحت » .

مخاطرة الجنرال شارون ، وموافقة القيادة الاسرائيلية عليها — ولو فى باب المغامرة — كانت ضرورة لانقاذ مستقبل اسرائيل السياسى فى حالة فرض وقف اطلاق النار عليها كما ذكر صراحة الجنرال شارون .

ويؤكد هذا مرة أخرى أن رفض السادات لوقف اطلاق النار لم يكن قرارا ناضجا نابعا من رؤية استراتيجية سليمة لأحـــداث المعـــركة ، وانتصارات المصريين ٠

كل يوم يمضى ٠٠ وكل تغير فى مسار المعركة ٠٠ كان له ثمن فى المستقبل السياسى لمصر واسرائيل معـا ٠

رفضت مصر وقف اطلاق النار وهى فى ذروة الانتصار ٠٠ وماطلت اسرائيل وهى فى نكبة المفاجأة ومعاناة الهزيمة ٠

ولم تتوقف الأمور عند الرفض المريب لأنور السادات ٠٠ فلم تكن مصالح مصر منعزلة ومنفصلة عن مصالح قوى أخرى عربية وعالمية ٠

ويقول ريتشارد نيكسون فى مذكراته :

السبت ١٣ أكتوبر الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر على وجه التحديد كانت هناك ٣٠ طائرة من طراز « سى ــ ١٣٠ » فى طريقها الى أسرائيل ٠

وبحلول يوم الثلاثاء فاننا كنا نرسل الى أسرائيل ما حمولته ١٠٠٠ طن من المعدات يوميا ٠ وفى خلال الأسابيع القليلة القادمة ســـيكون عدد عمليات النقل الجوى الأمريكى الى اسرائيل قد فاق ٥٥٠ عملية ، وهو رقم يزيد فى ضخامته على الجسر الجوى الذى أقيم فى برلين ســنة ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ ٠ وبالاضافة الى ذلك فقد أصدرت أمرا بارسال ١٠ طائرات فانتوم أخرى الى اسرائيل ٠

وفى الحقيقة فان الاسرائيليين كانوا قد بدأوا بالفعل فى تحـــويل تيار المعركة لصالحهم ، وتمكنوا ــ بما حصلوا عليـــه من الامدادات الجديدة ــ أن يندفعوا عبر الطريق الى مشارف دمشق ، وأن يوشكوا على تطويق القوات المصرية فى سيناء ٠

وفى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء يوم ١٨ أكتوبر تلقينا كلمة عن اقتراح يعتزم السوفييت أن يتقدموا به لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة خاص بمشروع قرار مشترك لوقف اطلاق النار فى الشرق الأوسط ، فقد ثبت أن النجاح الذى حققه الاسرائيليون بعون من الجسر الجوى الذى أقمناه أكبر من أن يتحمله العرب ومؤيدوهم السوفييت الذين اقترحوا مشروع قرار مبنى على ثلاثة مبادىء هى : وقف اطلاق النار فى مواقع القوات الحالية ، وانسحاب القوات الاسرائيلية الفورى الى الحدود المنصوص عليها فى قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ــ وبمعنى آخر الانسحاب الى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ ــ والبـــدء فى اجـــراء مشاورات بشأن اتفاق سلام ٠

وقد عكست هذ المقترحات اصرار السوفييت المعتاد على أنه لابد للاسرائيليين قبل البدء فى اجراء أى محادثات بشأن الســـلام من أن يتخلوا عن الأراضى التى كسبوها فى حرب سنة ١٩٦٧ · وهذا المطلب مطلب غير واقعى على الاطلاق · لأن الاسرائيليين لم يكونوا ينظرون الى هذه الأرض باعتبارها سندهم فى أية مفاوضات وحسب وانما باعتبارها ضرورية لأمنهم القومى فى المحيط الذى يعيشون فيه ·

وفى ١٩ أكتوبر وصل الينا خطاب من بريجينيف ، قال فيه ان الموقف فى الشرق الأوسط يزداد خطورة يوما بعد يوم ، وأنه يقترح أن يسافر كيسنجر الى موسكو لاجراء محادثات مباشرة ·

وكنا قد وصلنا الى مرحلة حرجة فى الحرب · فالاسرائيليون كانوا قد بدأوا يهزمون العرب على أرض المعركة ، ولابد للسوفييت خلال الأيام القليلة القادمة من أن يتخذوا قرارهم بشأن ما سيفعلونه فى هذا الصدد · وبعد ظهر ذلك اليوم بعثت الى الكونجرس بطلب اعتماد ٢٢٠٠ مليون دولار كمعونة عاجلة لاسرائيل) ·

هكذا يؤكد نيكسون أن الاتحاد السوفيتى كان يستشعر الخطــر الذى يتهدد مصر ، وأنه بدأ يتخذ الخطوات اللازمة لوقف اطلاق النار قبل أن تصل الأمور الى حافة الهاوية وحد الكارثة ، الأمر الذى يصيب السلاح السوفيتى بهزيمة لا مبرر لها بعد أن حقق انتصارا يشبه الاعجاز فى يد الجنود المصريين ، والذى قال عنه نيكسون فى مذكراته أيضـا (وبطبيعة الحال فان رسالة بريجينيف لم تذكر شيئا عن الجسر السوفيتى الشامل الذى كان فى ذلك الوقت يزود سوريا ومصر بما يقرب من ٧٠٠ طن من الأسلحة والمعدات يوميا) ·

بريجنيف يعمل على وقف اطلاق النار قبل وقوع الكارثة ، ويطلب حضور كيسنجر الى موسكو مزودا بكل صلاحيات الرئيس الأمريكى بعد أن عجز كوسيجين عن الوصول الى حل مع أنور السادات يدفعه الى حسن تقدير الموقف وقبول وقف اطلاق النار ، رغم ما ذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه خريف الغضب بقوله :

وننقل عن كتاب (البحث عن الذات) لأنور السادات ما قاله عن كوسيجين :

(وسافر بعد ٤ أيام وقلت له وأنا أودعه (لن أوقف اطلاق النار الا بعد اتمام المرحلة النهائية من الخطة ·· أرجو أن يكون ذلك واضحا لـكم) ·

وهنا أيضا تساؤل مشروع عما يسمى (المرحلة النهائية من الخطة)

ما هى ؟ وماذا تكون ؟ وقوات اسرائيل تتـدفق من الثغـــرة فى هجوم مضـــاد واسع ·

الموقف بين القوتين الأعظم لا يحتمل الصدام المباشر ·· ولذا يطلب بريجينيف من نيكســـون يوم ١٩ أكتوبر أن يرســـل له كيسنجر مزودا بصلاحيات كاملة للتفاهم على تسوية مشتركة للموقف ·

وفى الوقت الذى وصل يه كيسنجر الى موسكو ، كان أنور السادات قد اتخذ قراره بقبول وقف اطلاق النار بعد أن ترددت الأوضاع الى حـد بعيــد ·

أرسل برقية الى حافظ الأسد يبلغه القرار قائلا (انى لا أسمح بأن تدمر قواتى المسلحة مرة أخرى أو أن يدمر شعبنا ومنشئاته ، وفى آخـر البرقية قال له (اننى مسئول عن هذا القرار يحاسبنى عليه شعب مصر وتحاسبنى عليه أمتنا العربية) ·

وأبلغ أيضا السفير السوفيتى بالقرار بعـــد أن كان كوسيجن قد وصل الى موسكو ·

لم يعد هناك عائق اذن أمام وصول مجلس الأمن الى قرار لوقف اطلاق النار ، بعد أن تقدم بريجينيف وكيسنجر يوم ٢١ أكتوبر بمشروع اتفاق مقترح لوقف اطلاق النار ·

ولكن الأحداث كانت تفرض نفسها فى هذ الأيام الدقيقة والبـالغة الحساسية ·

ومن ١٩ أكتوبر الى ٢٢ أكتوبر وهو التاريخ الذى أصدر يه مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٨ كانت الصورة قد تغيرت ·

بذل الاسرائيليون غاية جهدهم لكسب نصر سريع ·· ولكن بسالة قواتنا المسلحة فى القناة لعبت دورا كبير خلال هذه الفترة الحاسمة ·

حاول الاسرائيليون اتمام الضغط والوصول الى مدينة الاسماعيلية لتحقيق نصر سياسى وعسكرى ، ولكن رجالنا اســـتماتوا فى التشبث بالارض · وتعاونت عناصر المظلات والصاعقة والمشاة ، فأحبطت كـل محاولات العدو لاقتحام مدينة الاسماعيلية ··

واعتبارا من ٢٠ أكتوبر عاود العدو محاولات التســلل بعناصر صغيرة فى اتجاه الجنوب الا أن قوات الجيش الثالث الميدانى تصدت له ببسالة منقطعة النظير ، وصدت كل محاولاته ، ودمرت قواته التى حاولت الانتشار صوب مؤخرتها ، وردت ما بقى منها على قيـد الحياة صـوب الشـــمال ··

واستمرت محاولات العدو طوال يومى ٢١ و ٢٢ أكتوبر لمواصلة التسلل جنوبيا ، ولكنها لم تحقق النجاح المأمول ، كما لم يشكل أى تهديد جدى على قوات الجيش الثالث سواء الموجودة منها فى رأس الكوبرى القناة أو الموجودة غربهـا ٠

وكان كل ما نجح العدو فى تحقيقه حتى ذلك الوقت هو تدمير عدد من مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ، مما دفع القيادة المصرية الى سحب باقى الصواريخ المنتشرة فى المنطقة الملاصقة للجزء الجنوبى من قناة السويس حتى لا تتعرض للتدمير ، وللمحافظة على سلامة نظـام الدفاع الجوى ٠٠

وقد أدت هذ الأحداث الى كشف الغطاء الجوى بالصواريخ عن قوات الجيش الثالث شرق القنـاة ، مما أتاح للعـــدو فرصة مهاجمتها بالقوات الجوية بتركيز شديد وتجاوزت طلعاته الجوية خلال يوم ٢٢ أكتوبر على الجبهة المصرية وحدها ٨٤٥ طلعة / طائرة ، الأمر الذى لم يحدث مثله طوال الحـرب ٠٠

وفى الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر بدأ سريان وقف اطلاق النار ونصت توجيهات القيادة المصرية على ما يلى :

« بناء على قرار مجلس الأمن ، وموافقة جمهورية مصر العربية ، بوقف اطلاق النار ، وبناء على أوامر القائد العام للقوات المسلحة يوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ١٨٥٢ اليوم ٢٢ أكتوبر اذا التزم العدو بوقف اطلاق النار ٠ جميع القادة مسئولون عن اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لتأمين قواتهم بما فى ذلك المفارز المتقدمة ٠ تبقى القوات المسلحة فى الحالة الكاملة للتأهب لحين صدور تعليمات أخرى » ٠

وما أن صدر هذا القرار حتى اتضح للقيادة الاسرائيلية أنها رغم الخسائر الفادحة والثمن الباهظ الذى تكلفته ـ فانها لم تحقق أهدافها المنشـــودة ٠

فهى لم تنجح حتى صدور القرار فى أن تفتح ثغرة ذات قيمة فى نظام الدفاع الجوى المصرى بالصواريخ ، ولم تستول على أى من مدن القناة ، ولم تحدث فقدا الاتزان الاستراتيجى كما كانت ترجوه ، ولـم تستدرج قوات كبيرة من رؤوس الكبارى شرق القناة ، ولم تحقق تهديدا ما لأى من طرق الامداد والمواصلات ٠

وكان أنور السادات قد رفض اعادة أى قوات من شرق القنـــاة ويقول فى كتابه (البحث عن الذات) :

(فى هذه الليلة أعطيت تعليماتى لأحمد اسماعيل بعزل الشاذلى من رئاسة الأركان على أن لا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الاسرائيليين ·· وفى نفس الليلة استدعيت الجمسى وعينته رئيسا للأركان) ·

وكان الفريق الشاذلى قد عاين الموقف وطلب اعادة بعض القوات التى قد دفعت الى الشرق ·

والواقع أن دفع الفرقة المدرعة قوة الاحتياطى الاستراتيجى للقوات المسلحة الى شرق القناة كان مسألة تحتاج الى بحث عسكرى ·· اذ أنها تركت القوات المسلحة فى غرب القناة بلا سند ·

قرار وقف اطلاق النار لم يحترم لأن كيسنجر استثمر منصبه كوزير لخارجية الولايات المتحدة وزار تل أبيب فى طريق عودته من موسكو ، حيث عقد اتفاقا مع القادة الاسرائيليين كى يواصلوا هجومهم لاستكمال خطتهم فى تحقيق انتصار يساعد فى فرض تسوية سياسية مناسبة ، وقد أشار كيسنجر الى ذلك فى مذكراته عندما كتب :

(لكى أحظى بمساندتهم فاننى أشرت اليهم بأننى سوف أتفهم الأمور اذا أفلتت ساعات قليلة من موعد سريان وقف اطلاق النار ، وأن تفلت تلك الساعات وأنا عائد بطائرتى الى واشنطن) ·

ويؤكد كيسنجر ذلك بما جاء فى مذكراته عندما وصل الى تل أبيب من (أن احتمال اسرائيل كان يصل الى درجة الانهيار) ·

يقول حافظ اسماعيل (هكذا خلق الدكتور كيسنجر بنفسه الظروف المناسبة لاسرائيل لكى تتشبث بمواقف التطرف التى ظهرت فيما بعد) ·

انتهز الاسرائيليون الفرصة وشددوا هجومهم بقوات جديدة عبر القناة الى الغرب وانتشروا جنوبا نحو مدينة السويس وطريق الامداد والمواصلات الرئيسى الذى يربطها بالقاهرة ·

حاول العدو يوم ٢٣ أكتوبر اقتحام السويس ولكن المقاومة الشعبية الباسلة ردته مدحورا ، فاندفعت قواته جنوبا ، وتسللت عناصر الى ميناء الأدبية التى لم يكن بها سوى قوات قليلة من البحرية ·

أخطار التسلل تهدد الكيان العسكرى ، لولا بسالة الجنود المصريين ·

وتحركت القوى العالمية التى وافقت على قرار مجلس الأمن ·

ويقول نيكسون فى مذكراته :

(وفى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ٢٣ اكتوبر تسلمت رسالة عاجلة من بريجينيف عبر « الخط الساخن » بين واشنطن وموسكو ·· وكانت كلمات الرسالة قاسية ويسودها البرود · وقد اتهم بريجينيف الاسرائيليين بتمزيق وقف اطلاق النار ، وحث الولايات المتحدة على التحرك بحزم لوقف هذا التمزق · وردت بحث بريجينيف على أن يفعل الشىء نفسه بالنسبة للجانب المصرى) ·

ويجتمع مجلس الأمن مرة أخرى يوم ٢٣ أكتوبر ليصدر القرار رقم ٣٣٩ لاجبار اسرائيل على احترام قرار وقف اطلاق النار ·

وحوصرت مدينة السويس ، وقطع الطريق بينها وبين القاهرة ، واستولى العدو على الأدبية ·· وحاول مرة أخرى الهجوم على السويس يوم ٢٤ ، ودار قتال متلاحم ، آثر العدو بعده الانسحاب مستترا بالظلام، تاركا خلفه دبابات محترقة وعددا من جثث القتلى ·

وفى مساء هذا اليوم وبعد أن كان الخطر قد أصبح شديدا من عدم التزام اسرائيل بوقف اطلاق النار ودفعها لمزيد من القوات لتحقيق أكبر قدر من المكاسب العسكرية والسياسية ، أصدر قرار وقف اطلاق النار ، ويستنجد فيه بالمقاومة الشعبية للدفاع عن الوطن ·

كان البيان يعطى صورة دقيقة عن الموقف الحرج الذى تردت اليه الأمور ·· كما تضمن أول طلب علنى للنجدة من الولايات المتحدة ·

ويقول نيكسون فى مذكراته :

وفى تلك الأثناء وردت تقارير جديدة من المخابرات مثيرة للازعاج : كانت المعلومات التى تضمنتها تقول ان هناك ٧ فرق سوفييتية محمولة جوا قوامها نحو ٥٠ ألف جندى قد وضعت فى حالة تأهب و٨٥ سفينة سوفيتية بينها سفن انزال جنود وطائرات هليكوبتر من ناقلات الجنود الآن فى البحر الأبيض المتوسط) ·

وفى الساعة التاسعة من تلك الليلة وصلت رسالة جديدة من بريجنيف ، يزعم فيها أن القوات المسلحة الاسرائيلية تقاتل القوات المصرية على الضفة الشرقية لقناة السويس ·

وبعد ساعة من وصول هذه الرسالة وصلت رسالة أخرى من بريجنيف ، تضمنت ربما أخطر تهديد للعلاقات الأمريكية ــ السوفيتية منذ أزمة الصواريخ الكوبية قبل ١١ عاما · وطلبت الرسالة بأن ترسل كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بسرعة وحدات عسكرية الى المنطقة · كما طالبت برد فورى عليها وقالت اننا اذا لم نوافق على

الاجراء المشترك المقترح اتخاذه فان السوفييت سيبحثون أمر اتخـــاذ اجراء منفرد من جانبهم ·

ويفسر كيسنجر التهديد السوفيتى فيقول فى مذكراته :

(اننا اذا تركنا ذلك يستمر ، لكانت المواجهة مع السوفييت أمرا محتما وانتهت جميع الآمال بعقد صداقة جديدة مع مصر ومعها جميـع احتمالات المفاوضات · وقد أصدر السوفييت فى وقت متأخر من الليـلة الماضية بيانا رسميا الى اسرائيل يحذرون فيه من « العواقب الوخيمة » اذا لم تتوقف عن « عدوانها » ·

أن جميع العوامل التى نتج عنها رفع درجة الاستعداد لدى الوحدات السوفيتية المحمولة جوا وزيادة الاسطول السوفيتى فى البحر المتـوسط قد تزايدت معها الأهمية المنذرة بالسوء بعد التدخل الشخصى لبريجنيف)·

ومع صباح يوم ٢٥ أكتوبر حاول العدو مهاجمة مدينة الســـويس مرة ثالثة فدمرت جماهير المدينة عشر دبابات فى قتال عنيف استمر حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ارتدت بعده بقايا العدو لتقف على مشـارف المدينـــة ·

وهكذا استمرت المحاولات الاسرائيلية بعد وقف اطلاق النار لاقتحام المدينة تواجه الفشل ·· ورغم أن قائد قوات الطوارىء الدولية قد أفاد بأن وزارة الدفاع الاسرائيلية توافق على وقف اطـــلاق النار اعتبارا من الساعة السابعة صباح يوم ٢٤ أكتوبر الا أن القوات الاسرائيلية (لـم تتوقف عن التدفق خلال الثغرة وتوسيع الجيب الاسرائيلى غرب القنـاة فى حماية قرار وقف اطلاق النار ، واستطاعت بالغش والخداع أن تزيد من مكاسبها فى الأرض بمقدار يزيد على ضعف ما كانت تحتله عندما سرى قرار وقف اطلاق النيران يوم ٢٣ أكتوبر) كما جاء فى كتـــاب حرب رمضان للواء حسن البدرى وزملائه ·

وهكذا أعلنت الولايات المتحدة حالة التأهب النووى عندما علمت أن الاتحاد السوفيتى قد أعد سبع فرق محملة جوا وعلى استعداد للتحرك الى مصر لاجبار اسرائيل على تنفيذ وقف اطلاق النار ·

واضطر مجلس الأمن للانعقاد مرة ثالثة يوم ٢٥ أكتوبر ليصــدر القرار رقم ٣٤٠ لتشكيل قوة طوارىء دولية تابعة للأمم المتحدة وفى الساعة ١٦٥٠ بتوقيت جرينتش يوم ٢٢ أكتوبر ·

وهكذا وصل الأمر غايته ، وكسبت اسرائيل أرضا استطاعت بهـا محاصرة السويس وقوات الجيش الثالث شرق القناة ·· ولكنها عجزت رغم كل ما بذلته من محاولات عن احتلال مدينة من مدن القناة ·

وكانت الخسائر المصرية عند اقتحام القناة لم تتجاوز ٧٠٠ جندى ارتفعت الى ثمانية آلاف شهيد وخسارة ضخمة من الأسلحة والصواريخ بعد نجاح الاسرائيليين فى احداث الثغرة ، نتيجة تردد أنور الســـادات فى وقف اطلاق النار والقوات المصرية منتصرة ·

وبدأت صفحة جديدة ·

تمت الموافقة يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ على عقد اجتماعات عسكرية بين الجيش المصرى والاسرائيلى تحت اشراف قوات الطوارىء الدولية وتحت علم الأمم المتحدة ·

وفى الساعة ١٤٥ بعد منتصف ليلة ٢٨ اكتوبر عقد الاجتماع الأول فى منطقة الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة ـ السويس واستمر الاجتماع حتى الساعة الرابعة صباحا ·

وكانت هذه هى الخطوة الأولى فى طريق جديد طويل ·



فض الاشـتباك

قال الجنرال بارليف بعد وقف القتـال :

(ان اسرائيل قد دفعت ثمنا باهظا من الخسائر فى عملية الجنرال شارون وذلك ضد عقائدنا ، لقد خالف هذا الجنرال عقيدة هامة نسـير عليها ، وهى أن تكون الخسائر البشرية فى أقل حد ممكن) ٠

كان الجنرال شارون يعمل ـ حسب تعبير الفريق صلاح الحديدى ـ وهو ينظر الى ساعته ، خوفا من انطلاق صفارة الحكم معلنة وقف القتال من نيويورك ، وقواته فى أوضاع غير سليمة ، فلما صدر القرار الأول ٣٣٨ مساء يوم ٢٢ أسقط فى يده لتكبده خسائر فادحة وعـــدم تحقيق أغراضه ٠

ولكن ٠٠ وبعد أن تمت العملية بالصورة التى انتهت اليها ، ووقف اطلاق النار فعلا ، وصلت قوات الأمم المتحدة ٠٠ فان الموقف قد بدأ يدخل مرحلة جديدة من مراحل الصراع ٠٠ مرحلة ليست عسكرية أو قتالية ٠٠ وانما مرحلة سياسية ٠

وقبل أن يلتقى العسكريون المصريون والاسرائيليون عند الكيلو ١٠١ على طريق السويس يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣ ، كانت المعركة السياسية قد بدأت فى مجالات أخرى ٠٠

فمنذ ١٦ أكتوبر اتخذت دول الأوبيك قرارا بتعديل جذرى فى سعر البترول ، بينما رفعت ٦ دول خليجية السعر بنسبة ٧٠ بالمائة ٠

وفى ١٧ أكتوبر ، قررت الدول العربية الأعضاء فى منظمة الأوبيك تخفيض انتاجها بنسبة ٥٪ فورا ، وأن يستمر الخفض بهذه النســبة شهريا حتى تنسحب اسرائيل من جميع الأراضى المحتلة ٠

وفى ١٨ أكتوبر قررت المملكة العربية السعودية مضاعفة نســبة الخفض من انتاجها الى ١٠٪ حتى تتحقق شروط مرضية ٠٠

وفور اعلان الولايات المتحدة دعم اسرائيل بـ ٢٢٠٠ مليون دولار، قررت الرياض حظر صـــادراتها من البترول الى الولايات المتحـــدة ، وهولنـدا ٠٠

كان الحظر العربى للبترول الى الولايات المتحدة قد أدى الى قول الرئيس نيكسون فى ٨ نوفمبر فى حديث تليفزيونى للشعب الأمريكى ان الولايات المتحدة تواجه بسبب قطع الدول العربية لامداداتها البترولية لأمريكا ، أسوأ أزمة طاقة منذ الحرب العالمية الثانية ، وأنها قد تستدعى توزيع البنزين بالبطاقات لأول مرة فى الولايات المتحدة منذ فترة الأربعينات • وبالفعل فقد قررت لجنة الشئون الداخلية فى مجلس الشيوخ الأمريكى فى ١٢ نوفمبر بالاجماع فرض نظام اجبارى لتوزيع البترول بمختلف أنواعه بالبطاقات •

وهكذا أصبح البترول سلاحا اقتصاديا استراتيجيا وأداة ضغط فى سبيل تحقيق أهداف سياسية •

وهكذا أيضا تتجسد قومية المعركة ، التى قرر أنور السادات أن يقبل فيها وقف اطلاق النار وحده دون استشارة بعد أن كانت الأمور قد ترددت الى مرحلة الخطـر •

وهنا قد يثور تساؤل عما اذا كان ممكنا الوصول فعلا الى وقف اطلاق النار ، والقوات المصرية والسورية منتصرة ، أو ليست فى هذه الحالة التى وصلت اليها بعد الثغرة ، وبعد أستمرار الاسرائيليين فى القتـال دون اكتراث لقرار مجلس الأمن ••

والتساؤل مشروع ••

والاجابة عليه تأتى من أن مصر لو كانت قد أعلنت اسـتعدادها لقبول وقف اطلاق النار منذ البداية ، واسرائيل فى حالة الزلزال والدوار العسكرى ، وقبل أن تنجدها القوات الأمريكية بالصورة المكثفة التى بدأت منذ اليوم الثانى للقتال ، ووصلت الذروة يوم ١٣ أكتوبر •• لكان الموقف قد تغير عسكريا وسياسيا ••

رفض اسرائيل لوقف اطلاق النار كان سيعرضها لمعارضة دوليـة جارفة ، ومساندة الدول العربية البترولية كانت ستتم فى وقت مبكر يشعر العالم بالخطر الذى يتعرض له الأمر الذى يشكل قوة ضغط على الولايات المتحدة الى جانب ضغط الاتحاد السوفيتى حتى لا تستخدم أمريكا حق النقض •

ولا شك أن الأمر لم يكن يزيد سوءا من الناحية العسكرية لو كانت مصر قد وافقت على وقف اطـلاق النار وهى منتصرة ، وأن المعـركة السياسية كانت ستصبح الى جانب مصر وسوريا بصورة أكثر ايجابية •

وبسط أنور السادات موضوع الثغرة تبسيطا شديدا فيقول عنها فى

كتابه (البحث عن الذات) انها كانت (مجرد عملية تليفزيونية كما سماها بحق الجنرال بوفر رئيس معهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسية ومن الناحية السياسية كان واضحا ان الهدف منها هو اعطاء اسرائيل نقطة انطلاق تحفظ ما تبقى لها من كرامة فى المفاوضات بينها وبين مصر بعد ان وصلوا على الجبهة المصرية الى الحضيض كما قالت مسز مائير وقتذاك ·· لقد حشدوا قوات كبيرة فى الثغرة فى منطقة صغيرة لاتحتمل هذه القوات وكانوا يأملون أن يخيفنى هذا فأعتقد أن القاهرة مهددة ·· طبعا خاب ظنهم فالحرب النفسية قد تصلح مع غيرى ولكنها لا تصلح أبدا معى لأنى أعرف ما أفعل وأعد لكل خطوة أخطوها عدتها ··

كنت واثقا كل الثقة من أن عملية الثغرة مغامرة طائشة ساذجة ومكتوب لها الفشل المحقق ·· فلو أنى صفيت الثغرة حسب الخطة الموضوعة والتى وقعتها بنفسى كانت اسرائيل ستفقد ٤٠٠ دبابة وعشرة آلاف عسكرى ما بين قتيل وجريح ولم يكن هذا بالأمر الصعب أو المحتمل بل الأكيد ·· ففى هذه المعركة لم يكن أمامى قناة أعبرها أو خط بارليف اقتحمه ·· العدو أمامى وعلى مساحة ضيقة من الأرض ظهره للبحيرة ووراءه على الضفة الشرقية خمس فرق كاملة لى ومدخل الثغرة من الضفة الشرقية فتحة هى ستة كيلو مترات فقط عند نقطة الارتكاز بين الجيشين الثانى والثالث ·· كل الحسابات العسكرية كانت تشير الى أن هذه المعركة لو تمت فستكون مذبحة التاريخ ··

ولكنها لم تتم ·· لماذا ؟ لأنها كانت ستعنى المزيد من الدم والكراهية والأحقاد ·· وأنا أكره كل هذا ··

بل اننى لأذهب الى آخر العالم ـ كما يعرف شعبى وقواتى المسلحة ـ اذا كان ذلك من شأنه أن أتفادى جرح ـ ولا أقول قتل ـ فرد واحد) ·

هكذا صور أنور السادات لنفسه ، وشاء أن يستند الى هذه (الرؤية الانسانية) فى تحريك الموقف ··

والرؤية الانسانية مطلوبة فعلا ·· بل ان من واجب ومسئولية القائد الأعلى أن يتحاشى الخسائر فى قواته ما وسعه الأمر ·

وهنا يصبح التساؤل مرة أخرى ضرورة :

لماذا لم يقبل أنور السادات وقف اطلاق النار بعد أن حقق هدفه وهو تحريك القضية ، وترك قواته تتعرض للخسائر ، وخاصة بعد فتح الاسرائيليين للثغرة ؟ ··

ونعود الى ما حدث ·· الى أول لقاء بين العسكريين المصريين والاسرائيليين منذ هدنة ١٩٤٩ ·

تم اللقـــاء ـ للأسف ـ فوق أرض مصر ، على طـــريق السويس الصحراوى والموقع الذى ثبتت فيه القوات بعد وقف اطلاق النار كان متشابكا الى الحد الذى لا يمكن أن تستقر فيه الأمور ٠

كانت معظم قوات الجيش الثانى والثالث شرق القناة ، ولكن القوات الاسرائيلية استطاعت أن تقطع الطريق لامداد الجيش الثالث باستيلائها على طريق الســـويس ٠٠ واقامتها جسر العبـــور للقنـــاة فى منطقة الديفرسوار ٠

لم يكن موقف القوات المصرية مريحا ، ولم يكن موقف القـــوات الاسرائيلية أيضـــا ٠

كان فض الاشتباك بين القوات المتداخلة أمرا ضروريا ٠

وكانت الولايات المتحـــدة هى الدولة المؤهلة لذلك نظـرا لعلاقتها الخاصة مع اسرائيل ٠

وتحقق للسادات ما كان يتطلع اليه ٠

وقد لخصت دراسات قام بها مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام صدرت فى كتاب يحمل اسم (مصر وأمريكا) هذا الموقف الجديد ، بما نوجزه فيما يلى :

ذكر الرئيس السادات فى مؤتمره الصحفى يوم ٣١ أكتوبر ، أن الولايات المتحدة برغم تدخلها فى اليوم الحادى عشر وتزويدها لاسرائيل بما لم يستخدمه بعد الجيش الأمريكى ، فانه يستطيع القول انه الى تلك اللحظة فان موقفها من أجل الوصول الى سلام (**موقف بناء**) ٠ وازاء هذا التقييم فقد اتصلت مصر بالولايات المتحدة عقب ارسال قوة الطوارىء الدولية فى ٢٧ أكتوبر ، واقترح الرئيس نيكسون أن يوفد وزير خارجيته هنرى كيسنجر للاجتماع بالرئيس السادات واقترح يوم ٦ نوفمبر موعدا لهـــذه الزيارة ٠

ولكن الرئيس كان قد اتخذ قراره بايفاد مبعوث خاص للاجتماع بالرئيس نيكسون ، وقرر أن يكون اسماعيل فهمى وزير الخـــارجية بالنيابة مبعوثه فى المهمة فى أول لقاء مباشر بين مصر والولايات المتحدة بعد حرب أكتوبر ووصل اسماعيل فهمى الى واشنطن فى يوم ٣٠ أكتوبر وعندئذ صرح روبرت ماكلوسكى المتحدث باسم الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة تأمل أن تكون زيارة فهمى بمثابة بداية للمباحثات التى تستهدف اقرار السلام فى الشرق الأوسط ٠ وصرح كيسنجر بأن الولايات المتحدة تعتقد بأن فرص السلام أفضل لأن مأساة الحرب الرابعة أكدت استحالة استمرار الظروف التى أدت الى الصدام ٠ وأن الدول الخارجية

قد تعلمت من هذه الحروب أن عليها التزاما بازالة الأخطار التى يمثلها الموقف فى الشرق الأوسط ، وأن الولايات المتحدة مستعدة لبذل جهد كبير فى سبيل اقرار سلام دائم وعادل ٠

وفى اليوم التالى اجتمع الوزير المصرى بالرئيس الأمريكى وأكد أن مصر تريد أن تبدأ علاقات جديدة مع الولايات المتحدة وأن مصر تريد فك « الاشتباك الحالى » ، وأن اتمام فك الاشتباك سوف يعطى لأمريكا فرصة مناقشة موضوع تبادل الأسرى ٠ وكانت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية قد وصلت الى واشنطن فى نفس اليوم ٠ وفى أول نوفمبر اجتمعت بنيكسون الذى بحث معها موضوع الانسحاب الى خطوط ٢٢ اكتوبر ولكن مائير قالت أنه لا توجد قوة تستطيع أن تحدد هذه الخطوط وأنها لا تمانع فى فك اشتباك فى سيناء اذا وافقت مصر على تبادل الأسرى ، أما موضوع العودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر فهذا أمر مستحيل ٠ واقترحت أن تنسحب القوات المصرية الى الضفة الغربية مقابل انسحاب القوات الإسرائيلية من هذه الضفة ٠

وقبل أن يغادر اسماعيل فهمى واشنطن فى الثانى من نوفمبر كان قد حصل من نيكسون على التزام أمريكى بالاستمرار فى بذل الجهود من أجل تحقيق السلام فى المنطقة وايفاد د٠ كيسنجر فى زيارة لمصر ٠

وكتب أنور السادات عن هذا اللقاء :

كان ذلك فى أواخر أكتوبر سنة ١٩٧٣ واستغرقت الجلسة الأولى ثلاث ساعات ٠٠ بعد الساعة الأولى شعرت أنى أمام عقلية جديدة وأسلوب جديد فى السياسة وأنى أرى لأول مرة وجه أمريكا الحقيقى الذى كنت فيما مضى أتمنى أن أراه ــ لا الوجه الذى صنعه دالاس ودين راسك وروجرز ٠٠ وأعتقد أنه لو رآنا أحد بعد الساعة الأولى من اجتماعنا بقصر الطاهرة لاعتقد أننا أصدقاء منذ سنوات وسنوات ٠

وكان الموضوع الرئيسى فى المباحثات بين كيسنجر وبين الرئيس السادات هو تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وانسحاب اسرائيل من المناطق التى احتلتها بعد وقف اطلاق النار الى خطوط ٢٢ أكتوبر ، وموضوع حصار مصر لمضيق باب المندب ٠ وفى اليوم التالى صدر بيان فى كل من القاهرة وواشنطن جاء فيه « ان حكومتى مصر والولايات المتحدة اتفقتا من حيث المبدأ على استئناف العلاقات الدبلوماسية فى موعد مبكر كذلك اتفقت الحكومتان على أن يتم رفع قسمى رعاية المصالح لكل من البلدين الى مرتبة سفارة ، وقد عينت حكومة مصر السفير أشرف غربال ليتولى هذا المنصب ، وعينت الولايات المتحدة هيرمان ايلتس لهذا المنصب فى القاهرة وسيتسلمان منصبهما فى الحال ٠

وفى نفس اليوم سافر جوزيف سيسكو نائب الوزير الأمريكى الى تل أبيب لمناقشة نفس الموضوعات التى ناقشها كيسنجر فى القاهرة وتمخضت هذه المباحثات عن صدور بيان فى شكل رسالة موجهة من كيسنجر الى كورت فالدهايم فى يوم ٩ نوفمبر متضمنة النقاط الست التالية :

١ - توافق مصر واسرائيل على الاحترام الدقيق لوقف اطلاق النار الذى أمر به مجلس الأمن ٠

٢ - يوافق الطرفان على مناقشة موضوع العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر فى اطار الموافقة على الفصل بين القوات المتحاربة وذلك تحت اشراف الأمم المتحدة ٠

٣ - تتلقى مدينة السويس يوميا امدادات من الغذاء والماء والدواء وجميع الجرحى المدنيين فى مدينة السويس يتم ترحيلهم ٠

٤ - يجب ألا تكون هناك أى عقبات أمام وصول الامدادات غير العسكرية للضفة الشرقية ٠

٥ - نقط المراقبة الاسرائيلية على طريق القاهرة - السويس يستبدل بها نقط مراقبة من الأمم المتحدة ٠ وفى نهاية طريق السويس يمكن لضباط اسرائيليين الاشتراك مع الأمم المتحدة فى الاشراف على أن الامدادات التى تصل القنال تكون ذات طبيعة غير عسكرية ٠

٦ - بمجرد تولى الأمم المتحدة نقاط المراقبة على طريق القاهرة - السويس يتم تبادل جميع الأسرى بما فيهم الجرحى ٠ وبعد أن أذاع اسماعيل فهمى بيان النقاط الست أعقبه ببيان نص فيه على المبادىء التالية :

١ - ان هذا البيان يعتبر تطبيقا لقرارات مجلس الأمن الخاصة بوقف اطلاق النار والعودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر كما ينص القرار ٣٣٨ ، ٣٣٩ ٠

٢ - ان جميع الخطوط التى تضمنها وقف اطلاق النار تتم تحت اشراف الأمم المتحدة ، وبناء على تعليمات من سكرتيرها العام ٠

٣ - ان هذه الخطوات هى تنفيذ لالتزام الأطراف بتعهداتها طبقا لاتفاقيات جنيف الخاصة بالأسرى والمدنيين أثناء الحرب ٠٠

وهكذا تغيرت العلاقة تماما ببساطة بين مصر وأمريكا فى لحظة ٠٠ فى مقابلة بين السادات وكيسنجر ٠٠

ولا يعقل أن يكون هذا التغيير المفاجىء نتيجة انبهار بشخصية كيسنجر فقط ، ولا تفلح فيه ادانة السادات لدالاس ودين راسك وروجرز .. الأمر لا بد وأن تكون له أبعاد أخرى .

ولم تكن دلالة وأبعاد هذا التغير غائبة عن أنور السادات ، ولكنها كانت اختيارا شاء أن يمضى فيه الى النهاية .

وهو يشرح ذلك فى كتابه (البحث عن الذات) قائلا :

كان الاتفاق على النقاط الست بداية قيام علاقة فهم مشترك بيننا وبين أمريكا تبلورت فيما نسميه بعملية السلام التى سارت فيها أمريكا معى وما زالت حتى اليوم .

نفس هذه البداية اعتبرها السوفييت نهاية للعلاقات بينهم وبيننا ـ أو هكذا يبدو ـ على أى الأحوال كان الاتفاق على النقاط الست بينى وبين كيسنجر بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير ـ كما نقول فى العربية ـ بالنسبة للسوفييت .

كان السادات اذن قد قرر أن يواصل سياسته المعادية للسوفييت دون تقدير لدورهم فى مساندة مصر ، أو لأن أسلحتهم هى التى ساعدت الجنود المصريين على اقتحام القناة ، أو لحشد سبع فرق محملة جوا كانت على استعداد للتعاون مع القوات المسلحة المصرية لاجبار اسرائيل على الانسحاب ، الأمر الذى دعا الى اعلان أمريكا حالة التأهب الذرى كما ذكرنا .

موقف جديد فرضته ارادة السادات وحدها على شعب مصر .. اقتحام ناجح بأسلحة سوفيتية .. ومحاولة للوصول الى السلام بعلاقات أمريكية .

وتم ترقيع اتفاقية النقاط الست المتعلقة بتثبيت وقف اطلاق النار فى يوم ١١ نوفمبر عند الكيلو ١٠١ فى طريق السويس ـ القاهرة بين الفريق عبد الغنى الجمسى والجنرال أهارون ياديت وما أن بدأت المباحثات الخاصة بتنفيذ الاتفاقية حتى وصلت الى طريق مسدود يوم ١٥ نوفمبر نتيجة رفض اسرائيل العودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر مما جعل الجنرال انزيو سيلاسفو قائد قوات الأمم المتحدة يؤجل الاجتماعات يوم ١٧ نوفمبر ١٩٧٣ الى أجل غير مسمى .

وقررت مصر وقف المباحثات يوم ٢٩ نوفمبر نظرا لمراوغة اسرائيل فى الانسحاب ، واصرارها على وضع الامدادات المرسلة للجيش الثالث تحت سيطرتها وتدخلاتها .

وصدر يوم ١٢ ديسمبر قرار جمهـــورى بتعيين اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ، مكان الفريق سعد الشاذلى الذى عين سفيرا فى لندن ٠

وفى اليوم التالى مباشرة ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ وصل هنرى كيسنجر مرة ثانية الى القاهرة بعد أن أعلنت الولايات المتحدة على لسان المتحدث الرسمى باسم الخارجية الأمريكية يوم ٥ ديسمبر أن هنرى كيسنجر سوف يقوم بجولة فى منطقة الشرق الأوسط فيما بين ١٣ ، ١٧ ديسمبر لاجـراء مشاورات مع حكومات دول المنطقة تمهيدا لعقد مؤتمر السلام ٠

تحدد فى اللقاء بين كيسنجر والسادات عقد مؤتمر جنيف تنفيذا لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ يوم ١٩ ديسمبر ١٩٧٣ ثم تأجل الموعد ليكون ٢١ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

وهنا نرجع الى صفحات كتبها وليم كوانت مساعد مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى خلال هذه الفترة عن مباحثات كيســنجر فى المنطقة فى كتابه (جبل من القرارات) ٠

يقـــول كوانت :

(اذا كان قد ظهر أن اعتبار الاتحاد السوفيتى سيظل منخفضـــا فيجب أن تبقى سيطرة الولايات المتحدة على المفاوضات ، وعلى هــذا نصح كيسنجر الاسرائيليين بالابطاء فى مباحثات الكيلو ١٠١ والاحتفاظ بموقفهم المتعلق بفض الاشتباك حتى مؤتمر جنيف وقد بدا ذلك لبعض المراقبين بعيدا عن القضية ولكنه كان يتفق مع خطة كيسنجر الدبلوماسية الأوسع ، ويجب أن يضاف الى ذلك أن اسرائيل لم تعارض فى هـــذه النصيحة) ٠

ويقول كوانت أيضا فى نفس الكتاب عن مهمة كيسنجر التى شملت مصر وسوريا واسرائيل فيما سمى باسم (الرحلات المكوكية) ٠

(وجد كيسنجر الأسد يتميز بالذكاء والصلابة والجاذبية وحاسة المرح ولكنه كان فى نفس الوقت أقل الزعماء العرب الذين قابلهم تساهلا وألمح الأسد الى أنه لا يعترض على عقد مؤتمر جنيف فى ٢١ ديسمبر ، ولكن سوريا لن تحضره الا اذا تم الاتفاق على فض الاشتباك أولا وهــو (الأسد) يعتقد أن فض الاشتباك يجب أن يشمل جميع مرتفعات الجولان، كذلك لم يكن الأسد مستعدا للرضوخ لالتماسات كيسنجر أن يسلمه قائمة بأسماء أسرى الحــرب الاسرائيليين ، وبعد ست ســاعات ونصف من المحادثات سافر كيسنجر الى اسرائيل وهو خاوى اليدين) ٠

وهكذا اكتشف كيسنجر والاسرائيليون الفرق فى أسلوب كل من السادات والأسد ·· الأمر الذى كان ذا أثر ولا شك على سير المفاوضات وعلى مؤتمر جنيف ··

مؤتمر جنيف ···

انعقد المؤتمر فى جنيف والقوات الاسرائيلية ما زالت متداخلة غرب القناة مع القوات المصرية ·· والقوات المصرية ما زالت شرق القنـــاة متداخلة مع القوات الاسرائيلية ·

حضرت الى المؤتمر الذى عقد تحت اشراف الأمم المتحدة وسكرتيرها العام كورت فالدهايم وفود مصر والأردن واسرائيل والاتحاد السوفيتى وتغيبت سوريا عن الحضور ·

كان غياب سوريا محاطا بعلامات استفهام كثيرة خاصة وان الرئيس الأسد كان قد قام بزيارة الى القاهرة يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٧٣ للتبـاحث مع السادات فى تطورات الموقف فى الشرق الأوسط قبل ذهابهما معـــا لحضور اجتماع القمة العربية السادس فى الجزائر ·

حتى هذه اللحظة كان ممكنا وضع اسرائيل أمام الضوء الكاشف للرأى العام العالمى فى اطار الأمم المتحدة ·· ولكن حافظ الأسد لم يكن قد توصل الى اتفاق مع كيسنجر مثل الذى توصل اليه السادات ·· ولم يكن الاتفاق قد تم بينهما على مبدأ عودة العلاقات الدبلوماسية ·

انعقد مؤتمر جنيف يوم ٢١ ديسمبر والقوات المصرية والاسرائيلية ما زالت متداخلة ومتشابكة ·· وحضر جلسة الافتتاح الى جانب فالدهايم وفد سوفيتى يرأسه أندريه جروميكو ووفد أمريكى يرأسه هنرى كيسنجر ووفد مصرى يرأسه اسماعيل فهمى ووفد أردنى يرأسه عبد المنعم الرفاعى ووفد اسرائيلى يرأسه أبا ايبان ·

وضعت جلسة الافتتاح تحت حراسة مشددة ·· وكان الجو السائد فيها كما لمسته يدل على أن الوفد الاسرائيلى لا يجد صديقا صريحا يدافع عنه ، على عكس الوفود العربية التى انبرى جروميكو للدفاع عن حقها بحسم ·· فقد كانت خطبة كيسنجر حريصة أشد الحرص على عـــدم اغضاب مصر ، وعلى عدم اغضاب اسرائيل أيضا فى محاولة توفيقية أخذت طابعا انشائيا ، ذكر فيه ضرورة الاسراع بالفصل بين القـــوات كخطوة أولى لدعم وقف اطلاق النار ·

كان جروميكو فى هذه الجلسة يحـــرص على الاحتفاظ بالموقف المبدئى الثابت للاتحاد السوفيتى ، وهو يعلم أن أنور السادات قد بدأ يدير

عجلة القيادة الي اليمين ، ويقترب من أمريكا ·· وجروميكو فى ذلك كان يواصل السياسة السوفيتية الحريصة على عدم حدوث استفزاز يؤدى الى مزيد من جنوح السادات الى واشنطن ، امتدادا للموقف الذى امتصوا فيه أسلوب اخراج الخبراء السوفييت فى يوليو ١٩٧٢ بعد اتفاقهم على ذلك مع رئيس الوزراء الدكتور عزيز صدقى كان قد فوجىء أيضا بالقرار، وأرسله السادات فى بعثة الى موسكو لاصدار بيان مشترك ·· وامتدادا لتقبلهم موقف السادات من رفض وقف اطلاق النار رغم اقتحام القوات المسلحة للقناة ، وبقاء كوسيجن فى القاهرة ثلاثة أيام محاولا اقناعه أن فى ذلك فائدة لمصر وللسلام دون جدوى ·

وكان كيسنجر فى هذه الجلسة يحرص أيضا على مواصلة اقترابه واكتسابه ثقة السادات بعد أن كسرت الحواجز بينهما تماما منذ أول لقاء فى ٧ نوفمبر والذى يقول محمد حسنين هيكل فى حديث له نشر بتاريخ أول يونيو ١٩٨٣ ان جميع أعضاء وفد المفاوضات لم يجلسوا مع كيسنجر وأنه انفرد بالسادات الذى قال له حسب رواية محمد حسنين هيكل التى نشرت كما يلى :

(انه ضاق ذرعا بالاتحاد السوفيتى وأنه قرر أن ينفض يده نهائيا من أى علاقة مع الاتحاد السوفيتى ، ثم قال لكيسنجر ـ الذى استبدت به الدهشة ـ انه يعتبر أن الاتحاد السوفيتى الآن هو العدو الحقيقى ، ثم أضاف نقطة أخرى ذكرها لى هو نفسه فى اليوم التالى وهى أن هذه سوف تكون آخر الحروب بين مصر واسرائيل ·

كان كيسنجر أمام نقطتين يستطيع هو أكثر من غيره أن يقدر الاحتمالات الاستراتيجية الخطرة والمترتبة عليهما الأولى : أن العدو بالنسبة للسادات هو الاتحاد السوفيتى وأن حرب أكتوبر سوف تكون آخر الحروب) ·

ويواصل هيكل كشف أسرار هذه المقابلة الأولى الحاسمة بين السادات وكيسنجر والتى استمرت ثلاث ساعات فيقول ان السادات قد تحدث عما سماه (فشل التجربة الاشتراكية فى مصر) وأنه يريد تنمية من نوع جديد ·· ذكر أنه تحدث فيها مع ديفيد روكفلر ·

وفى هذه المقابلة تبنى أنور السادات دون كلمة مناقشة أو اعتراض النقاط الست التى أرسلتها جولدا مائير مع كيسنجر وقال عنها أمام الصحفيين (نقاطى الستة) ·

هكذا كان كيسنجر يجلس فى قاعة مؤتمر جنيف وهو حريص على استمرار هذه الحالة التى وضعت مصر فى يد أمريكا والتى كان قد قال

عنها لمندوب مجلة نيوزويك ردا على سؤال : كيف استطاع فى ثلاث ساعات فقط أن يقنع السادات بقبول نقاط جولدا مائير ؟

وكان جواب كيسنجر : اننى لم أبذل أى مجهود ، فما كدت أدخل ، حتى وجدت الرئيس السادات جالسا على حجرى !!!

جروميكو اذن كان يستشعر الخطر الذى يهدد علاقة الاتحـاد السوفيتى بمصر ٠

وكيسنجر كان يستشعر احتمالات المستقبل التى سوف تقرب الولايات المتحدة مع مصر ٠

لم يعقد مؤتمر جنيف جلسات أخرى عامة ، قد اقتصر بعد الجلسة الافتتاحية على محادثات اللجنة العسكرية المنبثقة عن المؤتمر والتى لم ينجح المشاركون فيها فى التوصل الى فض للاشتباك ٠

ولا شك أن الولايات المتحدة واسرائيل معا قد جمعهما الحرص على افشال مؤتمر جنيف ، فالفرصة أمامهما متاحة لابعاد الاتحاد السوفيتى، والانفراد بمحادثات خاصة مع مصر بعيدا عن الأمم المتحدة ٠

ولذا ما أن أعلن عن تعثر مفاوضات مؤتمر جنيف لفض الاشتباك حتى أعلن كيسنجر يوم ١٠ يناير ١٩٧٤ عن رحلته الثالثة للمنطقة ٠

وأعلن متحدث باسم الخارجية الأمريكية تعليقا على هذه الرحلة المفاجئة (لقد تملكنا شعور بضرورة الاسراع فى محاولة لتحقيق الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية لأن الوضع الحالى للقوات وتداخلها يهدد بحدوث انفجار ٠٠ وقد توصلنا الى قرار بأن الفصل أصبح مسألة هامة وعاجلة ٠

وحتى يبعد كيسنجر الشبهة عن رحلته قال ان هدفه فقط هو اعداد اقتراحات محددة تتم مناقشتها بعد ذلك فى جنيف ٠

ولكن شروط الاتفاق لم تصل أبدا الى جنيف ٠

واعداد الاتفاق لم يأخذ وقتا طويلا ٠٠ زيارتان لاسرائيل يومى ١٢ ، ١٥ يناير ، وزيارتان لمصر يومى ١٣ ، ١٦ يناير ٠٠

كان اللقاء بين كيسنجر والسادات يتم فى أسوان ٠٠ وكان السادات يوافق على الاقتراحات الأمريكية الاسرائيلية دون تردد طويل ، ودون استشارة أحد من معاونيه العسكريين ٠

وافق السادات فى لقاء خاص مع كيسنجر على سحب جميـع

الوحدات المصرية المدرعة من شرق القناة عدا ٣٠ دبابة ، ٣٦ مدفعا ٠٠ وعندما علم بذلك الفريق عبد الغنى الجمسى تساقطت الدموع من عينيه نى فندق كتراكت وهو يستدير ليمسحها فى كبرياء الضابط الجريح وهو يذكر مدى الجهد والعناء والعذاب الذى لاقاه جنود وضـــباط القوات المسلحة المصرية لعبور هذه القوة ٠

ولكن الجمسى لم يكن يملك من الأمر شيئا سوى التنفيذ ٠

وهكذا مات مؤتمر جنيف بالسكتة القلبية وان كانت لم تعلن وفاته تماما حتى هذه اللحظة ٠٠ فقد تمت العملية الأولى لفصل الاشتباك فى غرفة عمليات أمريكية ، ولم تعد هناك حاجة عملية لوجود الأمم المتحـدة أو الاتحـاد السوفيتى ٠

أذاع تحسين بشير المتحدث الرسمى يوم ١٧ يناير بيانا جاء فيه :

(طبقا لقرار مؤتمر جنيف فان حكومتى مصر واسرائيل ـ بمساعدة حكومة الولايات المتحدة قد توصلتا الى اتفاق لفك الاشتباك والفصـــل بين قواتهما المسلحة وسيوقع على هذا الاتفاق كل من رئيس أركان حرب القوات المسلحة لمصر واسرائيل يوم الجمعة ١٨ يناير بالكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة / السويس ، وقد طلبت الأطراف من قائد قـــوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة الجنرال انزيو ســـيلاسفو أن يشهد التـــوقيع ٠

وفى نفس اليوم صرح الرئيس الأمريكى نيكسون قائلا : ان الاتفاق يشكل خطوة مهمة جـدا ٠

وبعد سحب الدبابات والمدافع تم اطـــلاق سراح جميع الأسرى الاسرائيليين (٢٠٠ ضابط وجندى بينهم ٣٠ طيارا) ورفع الحصار عن باب المندب ، مع التعهد بعدم تكرار ذلك مهما كانت الظروف مع السماح للبضائع المتجهة الى اسرائيل بالمرور والتعهـد أيضا بعدم الســماح للفلسطينيين بأى عمليات فدائية ضد اسرائيل ٠

وتم الاتفاق أيضا على البدء فـورا فى تعمير مدن القناة واعادة السـكان المهجرين اليها ٠٠٠ الأمـر الذى ينفى تماما احتمال القيـام بعمليات حربية أخرى ٠

ولكن ٠٠٠ على قدر ما كان اتفاق كيسنجر والسادات سهلا ٠٠ على قدر ما أخذ اتفاق كيسنجر والأسد وقتا أطول ومفاوضات أشـد صعوبة ٠٠ فقد قام كيسنجر بجولة رابعة فى المنطقة بدأت يوم ٢٧ فبراير ١٩٧٤ بزيارة دمشق ٠٠ وفى يوم ٢٨ فبراير ١٩٧٤ التقى كيسنجر مـع السادات ودار النقاش بينهما حول أنسب الطرق لتشييع جنازة مؤتمر

جنيف ·· وفى ذلك الاجتماع أذيع فى كل من القاهرة وواشنطن البيـــان التـــالى :

(اتفقت حكومتا مصر والولايات المتحدة على استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما فى ٢٨ أبريل ١٩٧٤) ·

رشحت الحكومة المصرية أشرف غربال سفيرا لها ورشحت الولايات المتحدة هيرمان ايلتس ·

وعاد كيسنجر الى الولايات المتحدة بعد أن فشل فى اعداد اتفاقية لفصل القوات على الجولان ·· وكل ما نجح فيه هو قبول سوريا اعلان أسماء ٦٥ أسيرا اسرائيليا والسماح للصليب الأحمر بزيارتهم ·

وفى يوم ١٨ مارس ١٩٧٤ قرر وزراء البترول العرب فى فيينا رفع الحظر عن تصدير النفط للولايات المتحدة

وبدأت جولة خامسة لكيســـنجر فى المنطقـــة يوم ٣٠ أبريل ١٩٧٤ استمرت الى ٣٠ مايو ١٩٧٤ حيث قام كيسنجر بزيارة السادات يوم ١٠ مايو ·· وتبعا للعادة أحرز كيسنجر كسبا جديدا فقد صدر البيان التالى:

« ان مصر لترحب بالتوصل الى اتفاق حول فك الارتباط على الجبهة السورية ، كخطوة أخرى على الطريق نحو سلام دائم قائم على العدل وفقا لقرارات مجلس الأمن · ان الاتفاق ــ وان كان مجرد اتفاقية عســـكرية تدعم وقف اطلاق النار ــ فهو خطوة هامة فى سبيل دفع الموقف نحـــو تحقيق الهدف العربى القومى بانســـحاب اسرائيل الكامل من الأراضى العربية المحتلة ، وتحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى كما أنه يضع جميع الأطراف أمام مسئولياتهم ، ويفتح المجال أمام تنشيط مؤتمر جنيف ·

ونحن نشيد بصفة خاصة بحكمة وبعد نظر الرئيس حافظ الأسد ، وبالدور الايجابى الفعال للولايات المتحدة التى أثبتت أنها قادرة ومؤهلة فى ظل قيادة الرئيس نيكسون، لأن تتحمل مسئولياتها كقوة عظمى وتجسيدا لهذه المعانى ، فاننا نرحب بالزيارة المرتقبة للرئيس ريتشارد نيكسون ، ونثق فى أنها ستكون خطوة أخرى فى سبيل زيادة التفاهم وترسيخ أسس الصداقة بين الشعب الأمريكى والشعوب العربية ·

ان الجهود الجبارة والمضنية التى قام بها د· هنرى كيسنجر وزملاؤه لتفتح صفحة جديدة فى مجال الانجاز الانسانى الخلاق ، الذى ما كان يمكن أن يتحقق الا اذا كانت وراءه انسانية عميقة والتزام حقيقى بقضـــية الســـلام » ·

مشاهد سريعة متتالية ٠٠ لم تكن متوقعة ٠

قبل أن تنقضى عدة شهور على حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان الرئيس ريتشارد نيكسون يصل الى مصر يوم ١٢ يونيـــو ١٩٧٤ فى وقت كانت تلاحقه فيه اتهامات قضية ووترجيت ٠٠ وفيما يبدو انه حاول أن يخفف من هذا الهجوم بزيارة مصر ٠

كان أنور السادات قد مهد لهذه الزيارة بشن هجوم على الاتحـــاد السوفييتى لأنه قصر ـ حسب قوله ـ فى تعويض مصر عن خسائرها فى القتـال ٠

وحسب ما هو معروف وذكرناه سابقا فان الاتحاد السوفييتى كان قد حشد سبع فرق سوفيتية قوامها ٥٠ ألف جندى لنجدة مصر بعد نداء أنور السادات ووضعت هذه الفرق فى حالة تأهب ومعها ٨٥ سفينة سوفيتية بينها سفن انزال جنود فى البحر الأبيض المتوسط ٠

وكان الاتحاد السوفيتى فور الحرب قد قدم لمصر ٢٥٠ دبابة من طراز (تى يو ٦٢) هدية من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى تعويضا لها عن خسائر الحرب ، كما أنه باع اليها فيما بعد ثلاثة أسراب من طائرات ميج ٢٣ المتطورة كما جاء فى كتاب (خريف الغضب) لمحمد حسـنين هيـكل ٠

وتظهر مساعدات الاتحاد السوفيتى لمصر رغم وضوح التغير فى موقف أنور السادات الذى بدأ يتجه الى الولايات المتحدة ٠٠ تظهر أن الاتحاد السوفيتى قد وضع كثيرا من الصبر فى تعامله مع أنور السادات، وهو يستشعر مواقفه المعادية التى افتعلت افتعالا ٠٠ والتى انتهت بالهجوم الواضح على موقف الاتحاد السوفيتى فى أبريل ١٩٧٤ ٠

كان كيسنجر قد أعد لرحلة نيكسون مع السادات أثناء وجوده بمصر ٠٠ وكانت الرحلة متعمدة الأهداف ٠٠ محاولة تحسين سمعة نيكسون بعد فضيحة ووترجيت ٠٠ واظهاره فى صورة الرجل الذى استطاع أن يعيد مصر أقوى دولة فى المنطقة الى أحضان أمريكا ٠٠ وظهـــور المنطقة فى أوضاعها الجديدة فوق مسرح الأحداث العالمى ٠٠ وتقديم أمريكا قبل أن ينتهى عام على حرب أكتوبر الى الشعب المصرى باعتبارها دولة صديقة ٠

كانت زيارة نيكسون وما صاحبها من ضغوط واغراءات لخـــروج الجماهير الى الشوارع لاستقباله فى ترحيب ، وهو المطارد فى بلده ، نقطة تحول واضحة وبارزة فى مسار ثورة يوليو ٠

كانت شمس يوليو قد بدأت تتجه الى الغروب ٠

الباب السادس

الدوران للخلف

(لا تبصق فى بئر قد تحتاج الى مياهها)

« مثل روسى »

(غــــرب نــور الآله رع ليشرق من جــديد)

« حكمة فرعونية »

الدوران الى الخلف

كانت زيارة الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون للقاهرة مظهرا واضحا وأكيدا من مظاهر التغيير فى مصر ، جذبت اهتمام الدوائر العربية والعالمية ٠

فى اليوم التالى مباشرة لمغادرة نيكسون أرض مصر ، وصل الرئيس الجزائرى هوارى بومدين لبحث تطورات الموقف بعد لقاء أنور السادات ونيكسون ٠

ولم يكن الأمر فيما يبدو حتى هذه اللحظة ناضجا للافصاح عن الاتجاه الجديد الذى كان يختمر فى عقل أنور السادات ، فقد حرص أنور السادات فى نفس الشهر على زيارة رومانيا لمقابلة شاوشيسكو ، وبلغاريا لمقابلة تيودور جيفكوف ٠٠ كما توالى حضور عدد من حكام الدول العربية الى مصر ٠٠ العقيد ابراهيم الحمدى رئيس مجلس القيادة فى الجمهورية العربية اليمنية ، والشيخ خليفة بن حمد آل ثان أمير دولة قطر ، والملك حسين والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، ومعمر القذافى وسالم ربيع رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية ، والأمير سالم الصباح أمير الكويت ٠

كل هؤلاء حضروا لزيارة مصر خلال شهور الصيف اعتبارا من ١٥ يونيو ١٩٧٤ ٠

كان الجميع يتطلعون الى التعرف على الطريق الجديد لأنور السادات ٠٠ والذى حرص حتى ذلك الوقت على عدم الاعلان عنه ، رغم وضوح الاتجاه ٠٠ واستمر يحاول الظهور فى مظهر التوازن ٠

ولذا يلاحظ أنه استقبل كيسنجر للمرة السادسة يوم ٩ أكتوبر ، وفى يوم ١١ أكتوبر قرر منح وسام النجمة العسكرية من الدرجة الأولى الى كبير الخبراء العسكريين السوفييت فى مصر ٠

لم تكن الأمور الداخلية قد نضجت بعد لاعلان تغيير واضح ٠

ورصد أنور السادات فى ميدان السياسة لم يبدأ الا بعد حرب أكتوبر وما صاحب ذلك من دعاية ضخمة حول ما تحقق من انتصارات ، أزالت

وصمة الهزيمة المفاجئة فى يونيو ١٩٦٧ ، وأثبتت قدرة الجندى المصرى على الاقتحام الباسل لتحرير الأرض ، وأنهت أسطورة المحارب الاسرائيلى الذى لا يقهـر ٠

وبدأ أنور السادات يشق طريقه الجديد بالعمل والتغيير خطـوة خطوة فى عدة اتجاهات رئيسية :

مجال التنظيم الجماهيرى والسياسى فى الاتحاد الاشتراكى العربى ٠

ومجال التحول والرجوع عن محاولة التطبيق الاشـتراكى ورسم سياسة الانفتاح ٠

ومجال الاقتراب من أمريكا والابتعاد عن سياسة عدم الانحياز ٠

ومجال وقف التعامل مع الاتحاد السوفيتى وخاصة فى مجال التسليح بعد عشرين عاما تقريبا كان فيها المصدر الرئيسى للسلاح فى مصر ٠

وأخيرا ٠٠ محاولة حل المشكلة الوطنية بانتهاج أسلوب جديد فى التعامل مع اسرائيل ٠

لم تحسم جميع هذه القضايا فجأة وبمفتاح سحرى ، وانما بدأ الاعداد لها خطوة خطوة ٠

الاتحـاد الاشتراكى :

واذا أخذنا مجال الاتحاد الاشتراكى وهو التنظيم الوحيد الذى شكل بناء على الميثاق فاننا نجد أن خطوات قد اتخذت لتغيير معالمه ، بدأت فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى ١٦ فبراير ١٩٧٢ حيث ظهرت فى هذا الاجتماع لأول مرة فكرة المطالبة بتعدد الآراء والاتجاهات بنـاء على تقرير مقدم من سيد مرعى أمين عام الاتحاد الاشتراكى ٠

وكانت الدعوة تبدو بريئة لولا عدة حقائق نجملها فيما يلى :

حقيقة اولى :

الغاء الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى (طليعة الاشتراكيين) ومطاردة أعضائه اعلاميا وسياسيا وكأنهم ارتكبوا جرما بانتمائهم لجهاز سرى ٠٠ وكان هذا الالغاء نهاية للتنظيم الاشتراكى الملتزم الذى يقوم بدور المحرك الرئيسى للتنظيم الجماهيرى والذى يمثل حدا أدنى من ضمان تحرك الاتحاد الاشتراكى حركة صحيحة فى اتجاه التطور نحو الاشتراكية ٠

ويلاحظ أن عددا من كبار المسئولين كانوا أعضاء فى هذا الجهـاز

الطليعى الذى توقف منهم على سبيل المثال دكتـــور عزيز صدقى رئيس الوزراء وممدوح سالم وزير الداخلية وحافظ بدوى رئيس مجلس الشعب وعبد اللطيف بلطية وزير العمـــل وغيرهم ٠

حقيقة ثانيـة :

كانت تنظيمات الاتحاد الاشتراكى على مختلف المسئوليات ومنـــذ عهد جمال عبد الناصر لا تمثل الوزن الصحيح للطبقات الاجتمـــاعية المنتمية اليه ، فاللجنة التنفيذية العليا مثلا لم تكن تضم عاملا أو فلاحا ٠٠ وكذلك لجان المحافظات والأقسام كانت قيادتها بعيدة عن العمال والفلاحين ونســبة الموجودين فيها منهم محدودة وواقعهم الاجتمـــــاعى كان تبعا لتعريفات العامل والفلاح القديمة قبل تغييرها فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى (يوليو ١٩٦٨) ٠

كانت الطبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة هى المسيطرة عــلى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ٠٠ وهو وضع كان يجب النضال من أجــل تغييره ٠٠ ولكن الدعوة المفاجئة لفتح باب الحوار فوق منبر حر كان يعنى عمليا تغليب أفكار هذه الطبقة المسيطرة ٠

حقيقة ثالثة :

لم تنتخب للاتحاد الاشتراكى لجنة تنفيذية عليا ، وعلل أنور السادات ذلك فى اجابته على سؤال أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى (فبراير ١٩٧٢) بقوله (اننا سوف نؤجل ذلك الى ما بعد المعركة ٠٠ نتائج المعركة ودور كل واحد فيها هى التى سوف تحكم الانتخابات من أجل اختيـــار اللجنة التنفيذية العليا ، وهى التى تحكم أيضا عملية اختيار الجهـــاز الطليعى) ٠

وغنى عن البيان أن الاعداد للمعركة والدخول فيها يحتاج الى قيادة جماعية تتحمل مسئوليتها الى جانب رئيس الجمهورية ٠٠ وان غيابها وعدم انتخابها ، يجعل دعوة سيد مرعى للمناقشة الحرة تصب فى النهاية عند رئيس الاتحاد الاشتراكى وحده ، الأمر الذى يجعل الأمور تتحـــدد برؤيته الشخصية دون مناقشة ٠

ولعل تجربة أنور السادات السابقة مع اللجنة التنفيذية العليا قبل مايو ١٩٧١ هى التى دفعته الى تأجيل انتخاباتها بصورة مطلقة ٠

حقيقة رابعة ٠٠

وضع سيد مرعى فى دعوته بعض المسلمات على انها مصالح قومية

لا يجوز أن تكون موضع خلاف ·· ومنها استمرار التطور على الطريق الاشتراكى ·· ولا شك أن عملية الاستمرار فى التطور الاشتراكى تختلف واقعيا تبعا للطبقات المتحالفة ، ولا يندفع الجميع اليها بنفس الحماس اذ ان مدى هذا التطور ومفهومه يقترن بمصالح هذه الطبقات بدرجات متفاوتة ··

كان تقرير سيد مرعى يقر ويعترف لأول مرة بأنه ليس هناك فكر موحد داخل الاتحاد الاشتراكى ، ولكنه بدلا من محاولة صهر الطبقات المتحالفة فيه ديموقراطيا فانه يفتح الباب لتعدد الآراء واختلاف الأفكار متخذا موقفا يشبه الحياد فى وقت كان مفروضا عليه فيه أن يحفظ للاتحاد الاشتراكى وجوده ، ويعالج نقط الضعف فيه ·

هذه هى الحقائق التى قفز فوقها التقرير ، وأثارت فى حينها شكوكا فى صدور المقتنعين لفكرة الاتحاد الاشتراكى ·

واقترنت بهذا التقرير وباللجنةالتى شكلت لدراسته فى ١٩ مارس ١٩٧٢ لاعداد مشروع دليل للعمل السياسى ، ظهور اتجاهات جديدة تضعف قبضة الاتحاد الاشتراكى بل ولا تجعل منه التنظيم الذى يضم الطبقات والفئات الوطنية وحدها صاحبة المصلحة فى التطور الاستراكى ، فقد طرح رأى ينادى بهدم العضوية العاملة فى الاتحاد الاشتراكى كشرط للترشيح فى مجلس الشعب أو غيره من المنظمات الجماهيرية ·

ظهر اتجاه ينادى بأن الوحدة الوطنية يجب أن تتسع وتمتد خارج اطار الاتحاد الاشراكى أو العزل السياسى عليها ·

صحيح أن الاتحاد الاشتراكى كان قد أصبح مسيطرا على الحركة السياسية وكل من لا ينتمى اليه لا يجد فرصة لدخول مجلس الشعب أو المجالس المحلية أو مجالس النقابات والجمعيات ·· ولكن كسر هذه السدود كان يعنى هدم (فكرة التنظيم الوطنى المتحالف) والخروج على مواثيق وبيانات الثورة ·

وقد نما هذا الاتجاه فى مجلس الشعب ، فقرر المجلس الغاء العزل السياسى الذى جاء فى قانون مجلس الأمة (نوفمبر ١٩٦٣) والذى كان يقضى بألا تكون أملاك وأموال المرشح قد وضعت تحت الحراسة ، وألا يكون ممن حددت ملكيتهم الزراعية طبقا لقانون الاصلاح الزراعى ، أو يكون ممن طبقت عليهم القوانين الاشتراكية بما لا يزيد على عشرة آلاف جنيه ، وذلك بناء على القانون رقم ٣٨ عام ١٩٧٢ ، الذى أصدره مجلس الشعب ·

هكذا أهدر مجلس الشعب حقا من حقوق الطبقات الوطنية المتحالفة

فى الاتحاد الإشتراكى ، وفتح حق الترشيح لأبناء الطبقات الرجعية التى أضيرت من قوانين ثورة يوليو ٠

ولم تقتصر حركة مجلس الشعب على الغاء العزل السياسى كمانع من موانع الترشيح ، وانما امتدت لتلغى شرط عضوية الاتحاد الاشتراكى أيضا ٠

هذا التغيير الذى سبق حرب اكتوبر كان يعطى مؤشرا لنية هجوم على الاتحاد الاشتراكى لم تتبلور فى صورة نهائية بعد رغم اعتدائها الواضح على المادة الخامسة من الدستور التى تنهض على فكرة تحالف قوى الشعب العاملة ٠

والغريب أن هذه الآراء المضادة للاتحاد الاشتراكى كانت تظهر وتتحرك رغم مظاهرات الطلبة ٠

ولم تجد السلطة فى مواجهتها سوى وضع الاتحاد الاشتراكى فى قبضة العناصر الرجعية ٠٠ وفى تشجيع الجمعيات الدينية المتطرفة التى بدأت تثبت وجودها فى الجامعة بالاعتداء على الطلبة بالضرب والسلاح تحت حماية واضحة من رجال الأمن والمباحث ٠

ولذا اتخذ بعض أصحاب النوايا الديموقراطية الطيبة موقف الدفاع عن تعدد الآراء داخل الاتحاد لاشتراكى ، واضعاف كيانه التنظيمى ، بسبب الاجراءات التى كانت تظهر ـ بغير بحث عميق ـ أن هناك اتجاها لتصفية العناصر المدافعة عن الاشتراكية أو التى ارتبطت بجهاز طليعة الاشتراكيين ٠

وما كادت تنتهى حرب أكتوبر ويتوفر لأنور السادات رصيد سياسى كاف حتى أعلن موقفه الجديد فى ورقة أعدها للمناقشة بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٧٤ تحت عنوان (تطوير الاتحاد الاشتراكى العربى حتى يكون اطارا فعالا لتحالف قوى الشعب العامل) ٠

حافز السادات لاصدار هذه الورقة هو ما عبر عنه بقوله :

(ولقد أخذنا انفسنا بعد حرب أكتوبر المجيدة بمنهج اعادة النظر والتقييم فى كل مظاهر حياتنا وكل نواحى العمل الوطنى) ٠

ونصت الورقة على بقاء الاتحاد الاشتراكى وأظهرت بعض ايجابياته بقولها : (ومهما يكن من مستوى عمل الاتحاد الاشتراكى فانه قد طرح على الجماهير قضية التحول الاشتراكى وقضية طريقنا الخاص اليه ، كما أن عددا لا يستهان به من المواطنين قد تدرب داخله على طرح القضايا العامة ومناقشتها ، واخيرا فقد أسهم الاتحاد الاشتراكى فى شرح الخطوط

الأساسية الوطنية وفى ايصال عدد من تطلعات الجماهير الى القيادة السياسية ، كما ساهم بنجاح فى الحشد والاعداد للمعركة وفى أثناء القتال ·

واقترحت الورقة فى نفس الوقت ومع هذه الايجابيات ما يأتى :

أولا ·· الغاء كل النصوص التى تجعل من عضوية الاتحاد الاشتراكى شرطا لتولى منصب ، أو للترشيح لمسئولية انتخابية ، أو التصدى لقيادة العمل النقابى ، أو الاجتماعى ·

وهكذا هدم السور أمام العناصر التى فرضت القوانين الثورية أن تبقيها خارج قوى الشعب العامل لدورها الرجعى أو المعادى للتقدم الاجتماعى ، والتحول الاشتراكى ·

ثانيا ·· اقرار مبدأ العضوية الجماعية للنقابات العمالية والمهنية

وهو مبدأ يجعل الاتحاد الاشتراكى عاجزا عن حماية نفسه من العناصر المتسربة اليه ، ويزيد من ترهله ·

وهنا أود وقفة للتفرقة بين سلامة التفكير من الوجهة النظرية لضمان تنظيم وطنى معبر عن قوى الشعب العاملة ·· وبين أخطاء للتطبيق قد تسيىء للتنظيم ولكنها لا تبرر هدمه ·

ثالثا ·· اطلاق حرية تعدد الاتجاهات داخل الاتحاد الاشتراكى مع منع أى حظر من الانتماء اليه ·

وقد ظهر هذا المفهوم فى هذه الكلمات التى وردت ضمن الورقة :

(وانني لأطرح هنا بصراحة قضية لكلمات يصنف الناس وفقا لها ·· هذا يمينى وذاك يسارى والثالث وسط ونحو ذلك ·· اننا يجب ألا نخشى الكلمات ، كما اننا يجب ألا نحولها الى قوالب جامدة يصب فيها الناس على نحو ينال من الوحدة الوطنية فنحن نعلم أنه من طبيعة الأشياء أن يختلف الناس حول القضايا السياسية والاجتماعية ·

فريق يغلب عليه طابع المحافظة ، يخاف الجديد أو يستنكره ، ويفضل السعى الوئيد ، وفريق آخر يقابله ، تحركه أساسا الرغبة فى التغيير والتجديد ويخطى واسعة وفيما بين الفريقين أغلبية تريد التقدم ولكنها تخشى القفز الى الأمام) ·

ولكن الورقة تزيد هذا الرأى تفسيرا بقولها :

(اننا نرفض بشدة دعاوى الثورة المضادة التى تريد تصفية منجزات الشعب المصرى العظيمة والعودة به الى ما قبل سنة ١٩٥٢ ·

ونرفض بنفس الشدة الدعاوى اليسارية المغامرة التى تنكر على تلك المنجزات حقيقتها الثورية ، لأن تلك الدعاوى تلتقى موضوعيا مع الثورة المضادة فى الرغبة فى ضرب تجربتنا الثورية الناجحة) ٠

وواضح أنه قد سقطت بذلك صفة اليسار عن الاتحاد الاشـتراكى العربى ، هو الصفة التى التزم بها الجميــع منذ اتجهت ثورة يوليو الى التحول نحو الاشتراكية ٠٠ وأن التقسيم الى يمين ووسط ويسار بهــذه الصورة هو تبسيط للأمور بشكل لا يتناسب مع واقع الحركة السياسية وما فتحته قوانين الانفتاح الاقتصادى من تناقضات وصراعات يصعب ان يسيطر عليها الاتحاد الاشتراكى بهذا المفهوم ٠

وبهذا هدم نهائيا الجهاز الاشتراكى ٠

ومرة أخرى اطلب التفرقة بين سلامة النظرية وبين عيوب تكــون قد لازمت التطبيق ٠٠ فلا شك أن الاتحاد الاشتراكى هذا التنظيم الجماهيرى العريض كان أحوج ما يكون الى جهاز سياسى يؤدى دور الأعصاب المحركة والقيــادة الواعية الملتــزمة الضاربة للمثل والقــدوة ٠٠ ولكن غيبة الديموقراطية داخل هذا الجهاز وعدم اعلانه أعطى فرصة فريدة لطبقــة من المعادين للتطور الاشتراكى ٠٠ ووجدوا فى بعض الأخطاء تبريرا لتأجيل أو اهمال ما نص عليه الميثاق ٠

طرحت ورقة أغسطس لتطوير الاتحاد الاشتراكى للمناقشة خلال جلسة استماع فى مجلس الشعب ، وتعددت الآراء واختلفت بين مدافعين عن بقاء الاتحاد الاشتراكى فى صورته المعروفة ، وبين راغبين فى العودة الى نظام الأحــزاب ٠

وأوضح السادات تفكيره بعد صدور الورقة بشهرين تماما عنـدما أدلى بحديث لمجلة الأسبوع العربى بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٧٤ قال فيه : (قد تأتى مرحلة مقبلة يكون فيها تعدد الأحزاب أمرا مطلوبا ، ولكننى لازلت أؤمن فى أن أمام التحالف مسئوليات ومرحلة أخرى عليه أن ينجزها ٠٠ ولكن أنا لست ضد تعدد الأحزاب فى مرحلة مقبلة) ٠

وهنا يبدو اتجاه أنور السادات واضحا ٠٠ سياسة عودة الأحزاب ٠٠ خطوة خطوة ٠٠ اليد القابضة على النظام لا تريد للاتحاد الاشتراكى ان ينفرط كمسبحة تتناثر حباتها ٠٠ وتريد أن يظل قائما الى أن يسـتبدل بتنظيمات أخرى جـديدة ٠

هذا التحول والتغيير التدريجى فى نظام الاتحاد الاشتراكى يتناسق مع التحول والتغير التدريجى فى اتباع سياسة الانفتاح ٠

ووصل الأمر الى حد اقرار المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي في يوليو ١٩٧٥ لفكرة وجود المنابر داخل الاتحاد الاشتراكي ، ويمكن الرجوع الى كتاب (البحث عن الديموقراطية) لكاتب هذه السطور لمزيد من الافاضة حول هذا التطور الذى انتهى الى تشكيل (لجنة مستقبل العمل السياسي) من ١٨٠ عضوا رأسها سيد مرعى وعقدت اجتماعاتها خلال شهرى فبراير ومارس ١٩٧٦ ٠

فرضت لجنة مستقبل العمل السياسي رأيها وأعلنت ولادة قسرية لثلاثة منابر فقط اختارتها بطريقة سلطوية ، وأجبرت المشتغلين بالعمل السياسي اما على قبول الانتماء لها اجبارا ، أو الانصراف عن العمل السياسي ٠٠ وصحب ميلاد المنابر تراجع ديموقراطى ٠٠ فالاتحاد الاشتراكي قد أنهى مهمته ولم يعد ممكنا بعث الحياة فيه بدفقات ديموقراطية ٠٠ والمنـــابر ولدت في اطار السلطة مقيدة الفكر محدودة العدد ٠

وأعلن أنور السادات عن قيام المنابر الثلاثة وترحيبه بها في خطابه يوم ١٤ مارس ١٩٧٦ وهو نفس الخطاب الذى أعلن فيه الغاء المعاهدة المصرية السوفيتية ٠

لجنة مستقبل العمل السياسي كانت قد اشترطت توقيع عشرين عضوا من اللجنة المركزية ومجلس الشعب كحد أدنى لقبول طلب تأسيس المنبر ، ولكن هذا العدد لم يتوفر لمنبرى اليمين واليسار حرصا من الأعضاء على الارتباط بتنظيم السلطة والحكومة القائمة ، وتعرضت تجربة المنابر في بدايتها للفشل ، الأمر الذى جعل الهيئة البرلمانية في اجتماعها يوم ١٧ مارس ١٩٧٦ تنزل بالحد الأدنى الى عشرة أعضاء فقط تمكينا لظهـور ثلاثة منابر ، حتى تلبس التجربة ثياب الديموقراطية ، ويظهر تنـــوع الآراء ٠

أعلنت المنابر في الاجتماع المشترك لمجلس الشعب واللجنة المركزية يوم ٢٩ مارس ١٩٧٦ ، وتم اعلان أسماء المقررين الثلاثة ، بصفة مؤقتة محمود أبو وافية مقررا لمنبر الوسط ، وخالد محيى الدين مقررا لمنبر اليسار ، ومصطفى كامل مراد مقررا لحزب اليمين ونشرت الأهرام ذلك يوم ١٨ مارس ١٩٧٦ ، ثم أعلن اختيار ممدوح سالم مقررا للوسط يوم ٢٩ مارس ١٩٧٦ ٠

تم اختيار المقررين بموافقة أنور السادات بصفته رئيسا للاتحـــاد الاشتراكي باعتبار المنابر تنظيمات داخلية منبثقة عنه ٠

ويلاحظ أن المقررين الثلاثة ضباط سابقون ٠٠ ممدوح سالم ضابط

شرطة وخالد محيى الدين ومصطفى مراد من ضباط الجيش ·· بل من الضـــباط الأحـــرار ·

ولا شك أن الثلاثة كانوا موضع رضاء أنور السادات ، لأنه كان قادرا فى ذلك الوقت على اختيار من يشاء ·

وهكذا طويت صفحة الاتحاد الاشتراكى نهائيا بعد محاولات امتدت خمس سنوات تقريبا ، وبدأت بالغاء (طليعة الاشتراكيين وانتهت الى اعلان المنــابر) ·

سياسة الانفتـــاح

لم تنعزل محاولات ضرب الاتحـــاد الاشتراكى عن محاولة ضرب التجربة الاشتراكية ذاتها ·· بل اقترنت بها ونسجت معها ·

أسفر هذا الاتجاه عن نفسه فى وقت مبكر عندما قدم أنور السادات يوم ١٨ ابريل ١٩٧٤ ورقة الى مجلس الشعب واللجنة المركزية للاتحــاد الاشتراكى (كوثيقة تحدد استراتيجية العمل الوطنى فى المرحلة المقبلة) ·

وورقة اكتوبر هى أول فكر مكتوب يصــــدر بعد الميثاق وبيان ٣٠ مارس ··

ماذا تقول هذه الورقة ؟

الورقة تدعو الى دعم القطاع الخاص وتدين لأول مرة ـ ما سـبق أن حدث بقولها (لابد من أن نقر بأننا لم نف دائما باحتياجاته ـ اى القطاع الخاص ـ ولم نوفر له كل الظروف التى تشجعه على مضاعفة نشـــاطه الانتاجى) ·

وتعلن الحاجة لرأس المال الأجنبى بقولها (نحن فى أمس الحاجة الى موارد خارجية وظروف عالم اليوم تجعل من الممكن أن نحصل على تلك الموارد بالشكل الذى يدعم اقتصادنا ويعجل بالتنمية وتفسر ذلك قائلة (اننا نوفر للمستثمر العربى كل الضمانات التشريعية ، ونوفر له ما هو أهم من ذلك وهو القدرة الاستيعابية للاقتصاد المصرى فى ظل استقرار سـياسى واقتصادى) ·

وتشير الورقة الى أهمية الترحيب بالاستثمار الأجنبى لما يحمله معه من معرفة تكنولوجية متقدمة تحتاج اليها ونقول (فى ظروف عالم اليوم بعد اعادة تشكيل العلاقات الدولية وظهور أقطاب دولية متعددة ، والمكانة التى أصبحت لمصر والعرب بعد حرب أكتوبر ·· كلها أمور تتيح لنا فرصة للاستفادة من الاستثمار الأجنبى ولا يمكن بأمانة الوطنية ـ أن نضيعها) ·

وهكذا تربط الورقة بين الانفتاح وبين أمانة الوطنية ٠٠ وتكاد تصور أعداء هذا الاتجاه بأنهم لا يحسنون فهم الوطنية ٠٠

وكانت ورقة أكتوبر حصادا لمناقشات دارت خلال عام ١٩٧٣ حول المتغيرات الدولية وأثرها على مسار العمل الوطنى ٠٠ وهى مناقشات أظهرت رغبة كامنة فى احداث تغيير سياسى ٠٠ ولكنها قدمت فى اطار عبارات مبتسرة من كلمات الميثاق مثل الذين يقولون « لا تقربوا الصلاة » ولا يكملون الآية بقولهم (وأنتم سكارى) ٠

هذه بعض عبارات الميثاق التى اتخذتها الورقة أساسا لدعوتها فى فتح الأبواب للاستثمارات الأجنبية (سيادة الشعب على أرضه واستعادته لقدرات أموره تمكنه من أن يضع الحدود التى يستطيع من خلالها أن يسمح لرأس المال الأجنبى بالعمل فى بلاده) وجاء فيها أيضا هذه العبارة (وقد أوضح الميثاق أننا نقبل المساعدات غير المشروطة والقروض كما نقبل الاستثمار فى النواحى التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطور الحديثة وهذا بالدقة هو خطنا) ٠

الورقة ما زالت تستند الى الميثاق ، وتجربة عبد الناصر ما زالت تفرض نفسها بما لا يتيح فرصة للانقضاض عليها بطريقة سافرة ٠٠ ولو كانت الورقة تهتدى بالميثاق فعلا فماذا كانت الحاجة للاستفتاء ٠

وحرصا على عدم الظهور فى مظهر الانحياز الى جانب دون آخر فقد نصت الورقة على أن الانفتاح المنشود هو (انفتاح على العالم كله شرقه وغربه) ٠٠ وهنا يجب التذكير بأن تجربة التنمية فى عهد عبد الناصر لم تقم على جانب دون آخر أيضا ، بل ان الانتاج الصناعى فى مصر قد قام أساسا على مساعدات من الشرق والغرب وانفتاح كامل على الجبهتين لكل ما هو فى صالح مصر ٠

حصلت مصر من الشرق على مساعدات تكنولوجية ومعونات فنية فى بناء السد العالى، واقامة صرح الصناعة المصرية، وادخال الكهرباء الريف ٠٠ كما اتفقت مع الغرب فى اقامة صناعة الدواء ، ومصانع الحديد والصلب فى مرحلتها الأولى ، ومصانع كيما للسماد ، ومصانع السيارات، وعمليات استخراج البترول وغيرها ٠

لم تكن أبواب مصر مغلقة ، ونهضتها الصناعية وخططها للتنمية لم تعتمد على جانب دون الآخر ٠٠ ولكن ما ورد فى هذه الورقة كان يعنى اتاحة مزيد من الفرص للاستثمار الأجنبى ، والاستثمار الخاص الذى لا يتعامل مع الدول الرأسمالية فقط بحكم طبيعة نظامها ٠

ورقة اكتوبر اذن كانت تمهيدا بأننا نقبل على مرحلة جديدة ٠

سرعان ما قدمت ورقة أكتوبر الى استفتاء شعبى عام يوم ١٥ مايو ١٩٧٤ حصلت بموجبه على موافقة تزيد عن ٩٩٪ ٠

وكان فى تقديم هذه الورقة للاستفتاء حرص على ألا تغير الحكومة من نظام المجتمع الا بعد موافقة شعبية تستند اليها ٠٠ الأمر الذى يؤكد أن قواعد التجربة القائمة كانت ما زالت تحتاج فى هدفها الى الاستناد الى الارادة الشعبية وهى عملية رغم أنها ذات مظهـــر ديموقراطى ، الا أن تجربتنا مع الاستفتاء تدل على أنها عملية ادارية تخرج بها السلطة ما تشاء من قرارات فى اطار شعبى بنسبة مئوية عالية تحددها السلطة ٠

الاستفتاء بنعم على ورقة أكتوبر دفع بها الى مجلس الشعب لتتحول الى أول قانون يصدر كدستور لسياسة الانفتاح ٠٠ وهو القانون رقـــم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ ثم أصدر مجلس الشعب يوم ٢٥ يوليو ١٩٧٤ القانون رقم ٩٤ لعام ١٩٧٤ بتفويض رئيس الجمهورية لمدة ٤ شهور فى اصدار قرارات لها قوة القانون فى شئون التصدير والاستيراد استثناء من القانون ٦٥ عام ١٩٦٣ الذى كان ينص فى مادته الأولى على أن (يكون استيراد الســـلع من خارج الجمهورية بقصد الاتجار ، أو التصنيع مقصورا على شركات وهيئات القطاع العام أو التى يساهم فى القطاع العام) ٠

صدر هذا القانون يحمل اتجاه العودة الى الحرية الاقتصادية ، رغم أن نصف مجلس الشعب ما زال من العمال والفلاحين الذين يرتبط مستقبلهم ببناء الاشتراكية ٠

وقد صاحب هذا القانون ارتفاع صوت القـــوى المؤيدة لسياسة الحرية الاقتصادية والردة عن المكاسب الاشتراكية ٠

نشرت أخبار اليوم التى كان مصطفى أمين قد عاد اليها بعد الافراج عنه من حكم المحكمة بتهمة التجسس لصالح المخابرات الأمريكية قبـــل صدور القانون بأربعة أيام أى يوم ١٥ يوليو ١٩٧٤ عنوانا رئيسيا يقول (٢٠٠٠ مليون دولار ، أمريكا توافق على دعم الاقتصاد المصرى ، تعاون مشترك فى مجالات التكنولوجيا والسياحة والمواصلات والتعليم) ٠٠٠ وفى الصفحة الأولى نفسها موضوع رئيسى يحمل العناوين التالية (على أمين يكتب من أمريكا ـ ألف مليون دولار أخرى من أمريكا غير الألفى مليون دولار) ٠

الدعاية المرسومة لنشر هذه الأخبار المثيرة عن تدفق ألوف الملايين من الدولارات على مصر المطحونة بأزمتها الاقتصادية كانت عاملا من أهـــم العوامل لشق طريق الانفتاح الاقتصادى ٠

أغرقت الجماهير فى دعاية تقرن بين الانفتاح والرفاهية ·· بين تدفق رؤوس الأموال الأجنبية وتقدم المجتمع ودخول التكنولوجيا ·· بين اتاحة الفرصة للقطاع الخاص ، واطلاق الطاقات المكبوتة عند الأفراد ·

حرصت هذ هالدعاية على عدم التعرض للتنمية أو دور القطاع العام أو المكاسب الاشتراكية الا باظهار السلبيات وتجسيد الأخطاء والانحرافات ·

كانت فترة مثيرة فى تاريخ مصر ··

اتجاه دعائى جارف يهاجم الماضى بدعوى الانغلاق ، يبشر بالملايين التى سوف تتدفق مع الانفتاح ·

واقترن ذلك باضرابات ومصادمات فى جهات متعددة ·· المحلة الكبرى ودكرنس ودمياط وحلوان وغيرها ، مما أطلق عليه وقتها تعبير (الحوادث المؤسفة) ·

وأذكر اننى كتبت فى روز اليوسف بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٧٤ بعد أيام من تشكيل وزارة الدكتور عبد العزيز حجازى فى ٢٦ أكتوبر تحت عنوان (هذه الحوادث المؤسفة) اجتزىء منه بعض العبارات التى تظهر مدى القلق الذى كنا نشعر به فى ذلك الوقت :

(لا شك أن السماح بفتح البنوك الأجنبية ، والترحيب الشديد بالاستثمارات ورءوس الأموال الأجنبية ، هى أمور تبعث فى النفس القلق المخيف ·

ولكن تأكيد القيادة السياسية بأن ذلك لن يتم الا فى حدود الخطة والاحتياجات الفعلية للاقتصاد القومى هو أمر قد يبعث على الاطمئنان ·

ومع ذلك فان بعض أعداء الاشتراكية قد هاجموا الوزارة لأنها لم تسارع بالانفتاح الكامل كما يدور فى أحلامهم ·· وهو تحويل مصر الى لبنان أخرى ·· والتخلى نهائيا عن محاولة التطبيق الاشتراكى ·

ولكن الموقف اليوم ·· ومع انحسار هذه الموجة الرجعية ·· مازال يحمل بذور القلق ·

الذين بشروا بوصول الوف الملايين من الدولارات ، والذين كتبوا بأن تجمعا شديدا من المستثمرين الأجانب ، يزدحم على أبواب الدخول الى مصر ·· كانوا يستهدفون اثارة شهية جماهير شعب طال به الصبر والحرمان والقتال الى أموال سوف تتدفق عليه بلا حساب وتنهى عهد الفقر والاحتياج ·

وكان هذا الافتعال وهما وسرابا ، دفع الكثير الى التعلق بالأحلام والخيال . فقد تصور البعض أن الذهب الأمريكى سوف يغرق السوق المصرية .

كان المستهدف من هذه الموجة الجارفة المنحسرة أن تطعن محاولة التطبيق الاشتراكى فى مصر ، وأن ترجع كافة الأخطاء والانحرافات الشخصية والاجتماعية والسياسية الى الاشتراكية) .

واستطردت قائلا :

(والأحاديث غير المعلنة التى تدور فى المجالس عن وقائع مذهلة لاستغلال النفوذ والرشوة والسرقة من بعض كبار المسئولين فى مؤسسات الدولة التنفيذية والتشريعية والسياسية .

والناس فى حيرة .. لا يعرفون الصحيح من الخطأ ، ولا الصدق من الكذب .. لأنه ليست هناك مساءلة ولا محاكمة .

هنا تتحول هذه الأحداث الى ظاهرة مرضية تدفع بالمجتمع الى حافة الخطر .

صحيح أنها كانت مرحلة قلق وصراع وحوادث مؤسفة .. ولكن الحكومة قررت أن تمضى فى الطريق الى نهايته .

كانت هذه القوانين هى السند الذى قامت عليه سياسة الانفتاح فى مصر والتى أدت عمليا الى وقف خطة التنمية والتصنيع ودعم القطاع العام مع فتح الأبواب لرأس المال الأجنبى دون قيود توجهه الى الانتاج ومع اعفاءات ضريبية هائلة .

وهناك لابد من الاشارة الى أن الدكتور عبد العزيز حجازى الذى عين رئيسا لمجلس الوزراء يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٤ كان مهندسا رئيسيا من مهندسى الانفتاح ومع ذلك فانه لم يحقق رغبات أنور السادات فى الاسراع بالانفتاح دون قيود .

لم تكن قوانين الانفتاح مفتاحا سحريا يقلب المجتمع فى لحظة من مجتمع ينهض على اقتصاد اشتراكى ويعتمد على التخطيط العام الى مجتمع منفتح يعمل على تشجيع المال الأجنبى والقطاع الخاص .

حدثت عقبات فى تطبيق القانون من أصحاب النوايا الوطنية الطيبة الذين صدمتهم مفاجأة اصدار هذه القوانين التى تعيد البنوك والشركات الأجنبية وتحميها من التأميم وتعفيها من الضرائب .. ومن بعض الذين

تشربوا الفكر الاشتراكى ·· وأخيرا من الذين اعتبر القانون أن وجودهم ضمانة تحمى الاقتصاد القومى ·

حدثت عقبات أيضا من جانب الوزارة التى تصور رئيسها الدكتور عبد العزيز حجازى أنه يسيطر على الانفتاح عن طريق ما ورد فى المادة الثالثة من القانون من اشتراط اعتماد مجلس الوزراء للمشروعات المستفيدة من القانون ·· غير مدرك أن قوة دفع هذا الاتجاه الجديد كانت أكبر من أى محاولة لترشيده أو الحد من خطورته ·

بعد شهور من صدور هذا القانون تعرضت وزارة الدكتور عبد العزيز حجازى لمظاهرات مباغتة انتشرت فى القاهرة ، وانتهى الأمر الى (اقالة أو استقالة) الدكتور رئيس الوزراء ، وتعيين ممدوح سالم وزير الداخلية رئيسا للوزراء يوم ١٤ أبريل ١٩٧٥ ·

يبدو أن أنور السادات كان حريصا على سرعة الاندفاع فى طريق الانفتاح لأنه شيع وزارة عبد العزيز حجازى بقوله (عندما وجدت البطء والتلكؤ غيرت الحكومة وأتيت بممدوح ـ يقصد ممدوح سالم ـ وممدوح اليوم ينسف كل الاجراءات والقيود التى تعوق حرية الحركة الاقتصادية) ·

وكانت بعض الصحف قد بدأت تهاجم البطء فى اجراءات الانفتاح، تماما كما هاجمت التجربة الناصرية قبل صدور قنون عام ١٩٧٤ ·

ولا نريد أن نتعرض لمحاكمة الانفتاح الاقتصادى ، اذ يمكن الرجوع الى كتاب (البحث عن الاشتراكية) لكاتب هذه السطور فالمجال لا يتسع هنا لعرض كل مفاسد هذه السياسة التى غيرت طابع المجتمع ، وأفرزت أقبح ما فيه من غرائز وتطلعات ، وانتهت أحلام ثورة يوليو فى بناء مجتمع اشتراكى متقدم ·

الاقتراب من أمريكا

لا يحتاج الأمر بعد ما سردنا من أحداث الى توضيح أن أنور السادات كان يتطلع ويخطط من أجل تغيير سياسة عدم الانحياز التى انتهجتها مصر فى عهد جمال عبد الناصر ، لكى يقترب من الولايات المتحدة التى وضع ثقته وأمله فيها ·

والراصد للحركة السياسية فى مصر يدرك أن هذا الاقتراب بدأ سرا وفى حذر ، ثم انتهى علنا ودون خشية ··

والاقتراب من أمريكا ليس عيبا فى ذاته اذا أمكن أن يحقق ذلك نفعا

في مصلحة وطنية ، فالعلاقات بين الدول يجب أن تقوم على أساس المصلحة المشتركة والتعايش السلمى والحرص على اقرار السلام ٠٠

لم يكبح جماح الاندفاع للاقتراب من أمريكا استقالة الرئيس الأمريكى نيكسون بعد شهرين من زيارته للقاهرة نتيجة لما سمى بفضيحة ووترجيت وتولى فورد رئاسة الجمهورية الأمريكية فى أغسطس ١٩٧٤ ٠٠

أرسل فورد رسالة الى السادات يلتزم فيها بمتـــابعة الاستراتيجية الأمريكية الساعية نحو سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط بنفس القــوة التى ميزت جهودها عبر الشهور التسعة الأخيرة ٠

وفى ١٤ أغسطس حمل اسماعيل فهمى وزير الخارجية رد الرئيس السادات على رسالة فورد وسافر الى واشنطن حيث أعلن كيســـنجر عن التزامه بمساعى السلام والدعوة الى عقد مؤتمر جنيف ٠

ما زال الأمر لم يحسم بعد ٠٠ وما زال الحديث يدور عن عقد مؤتمر فى جنيف ٠

وقام كيسنجر بجولته السادسة فى المنطقة خلال الفترة من ٩ الى ١٥ أكتوبر ١٩٧٤ ، والسابعة من ٥ الى ٨ نوفمبر ١٩٧٤ ٠

علاقات مصر مع أمريكا كما سبق أن أوضح تسلسل الأحـــداث ، كانت تؤدى الى نقـــل مصر من الارتبـــاط بالأمة العــربية وامكانياتها وتحالفاتها ، ومن دول عدم الانحياز وأهدافها ومبادئها الى مكان آخــر ترتبط فيه بدول الشرق الأوسط التى ترتبط مع الولايات المتحدة بعلاقات وثيقـــة ٠

وتجسد ذلك فى صلة مصر بايران التى كانت تقدم البترول الى اسرائيل لتحرك به آلتها الحربية فى جميع الحروب التى اشتبكت فيها مع مصر ٠٠ عدوان يونيو ١٩٦٧ ، وحرب الاستنزاف ، وأخيرا حرب أكتوبر ١٩٧٣ ٠

ومع ذلك لم يتورع السادات من الاشادة بشاه ايران بدعـــوى أنه قدم بترولا لمصر !!

بل ان لقاء تم بينهما يوم ٨ يناير ١٩٧٥ ، بعد أن كان حجم التعاون بين مصر وايران قد بلغ مليار دولار !!

تمت زيارة شاه ايران بعد غياب طويل عن مصر فى وقت كان يؤدى

فيه دور الشريك الأساسي مع اسرائيل في خطط الولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة ·· ويذكر أنه كان ضمن برنامجه زيارة السد العالي ، ونزعت من أجل ذلك صورة كنت قد رفعت لجمال عـــبد الناصر الذي كان قد قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايران لمساندتها الفاضحة لاسرائيل ·

واندفع أنور السادات في الطريق الأمريكي مناديا بمشروع شبيه بمشروع مارشال لمصر نتيجة أزمتها الاقتصادية ·

كان مثيرا أن تظهر مصر اعتمادها الكامل على الولايت المتحدة ، وتهمل في مقابل ذلك المساعدات العربية التي كان تنظيمها والافادة منها أمرا يمكن أن ينقذ الاقتصاد المصري ويدعم خطة التنمية والتقدم ·

ولكن الأموال العربية التي تدفقت على مصر استهلكت في مشاريع غير انتاجية ، تدعم تثبيت الموقف على ما هو عليه مثل اعادة بناء مدن القناة المدمرة ، التي أطلق على بعض أحيائها اسم الملك فيصل والشيخ زايد ·· الخ ·

وعندما تشكل صندوق دعم عربي عام ١٩٧٥ لاعادة جدولة الديون المصرية تعاونت فيه كل الصناديق العربية المستقلة تحت اسم (صندوق الخليج) اقترح أنور السادات تعيين المليونير الأمريكي ديفيد روكفــلر رئيس مجلس ادارة بنك تشيز مانهاتن ، والذي كان قد التقى بأنور السادات في القاهرة عام ١٩٧١ وظهرت له صورة مشتركة مع زوجته وزوجــة السادات ، والذي عرف بعد ذلك أنه كان قد أصبح المسئول عن توجيه أموال الســادات ·

وتعين فعلا ديفيد روكفلر مديرا لصندوق الخليج يرعى مصــالح مصر ، في صندوق جمعت أمواله من العرب ·

وهكذا أسرعت خطوات السادات لجذب الأموال والنفوذ الأمريكي الى مصر ، بعيدا عن الاعتماد على العرب الذين علت شكاواهم من عــدم معرفة حقيقة أوجه الصرف للأموال التي تقدم منهم ·

ويروي محمد حسنين هيكل في ذلك قصته عن تصرف للسادات طلب فيه وضع ٥٠٠ مليون دولار قدمت لمصر في مؤتمر القمة العربي عام ١٩٧٥ في اعتماد خاص يخضع له شخصيا ، ولا يوضع في البنك المركزي تحت اشراف وزير المالية !!

وفي اختصار كان مؤشر البوصلة قد اتجه الى طريق مغاير لطريق عبد الناصر ·· طريق لا يرتبط بالعرب أو دول عدم الانحياز ·· وانمـا يرتبط بالولايات المتحدة ·

وكانت الخطوات فيه تسرع كل يوم نحو مزيد من الارتباط ، مما يحتاج فى تسجيله الى كتاب خاص ·

وهكذا أخذت سياسة ثورة يوليو القائمة على دعم القومية العربية، والتشبث بسياسة عدم الانحياز تنحسر وتغرب ·

التســـليح

ودعما لهذا الاتجاه الجديد توقفت صفقات السلاح مع الاتحـــاد السوفيتى والتى كانت قد بدأت قبل عشرين عاما ، اشترت مصر خـــلالها من السلاح السوفيتى ما قيمته ٢٢٠٠ مليون روبل ، لم تدفع من قيمـــتها سوى ٥٠٠ مليـــون فقط ·

بدأ الاتجاه لعقد صفقات أسلحة من الغرب ومعروف أن أكثر أنواع التجارة ربحا هى تجارة السلاح وهى مع الدول الاشتراكية تتم باتفاقات مع الدول الرأسمالية الغربية فتتم خلال اتفاقات فردية ينهمر فيها الربح على الأشخاص بالملايين ·· بل المليارات من الدولارات !

كان هذا التوجه متناسقا تماما مع الرغبة فى وقف العلاقات مـــع الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ·· ومتناسقا مع الرغبة فى دعم سياسة الانفتاح وما تحققه من أرباح ذاتية ·

الأسلحة السوفييتية وقيمتها ٢٢٠٠ مليون روبل خاضت بها القوات المسلحة خمسة حروب ·· العدوان الثلاثى وحرب اليمن ، وعدوان ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ·

ومعروف أن الاتحاد السوفيتى كان قد استعوض كثيرا من الأسلحة المتقدمة التى سقطت فى أيدى القوات الاسرائيلية دون أن يتقاضى الثمن كما اكد ذلك وزراء الحربية المصرية الفـــريق أول محمد فوزى وأمين هـــويدى ·

وللمقارنة فقط ودون الدخول فى تفاصيل هذا التحول نذكر أن مصر قد اشترت من الغرب خلال سنوات ١٩٧٥ الى ١٩٨١ أسلحة قيمتها ٦٦٠٠ مليون دولار كلها تشكل ديونا على مصر فى وقت لم تخض فيه مصر معركة حربية واحـــدة ·

كان هذا التحول استفزازا للحرص الوطنى على الأموال المصرية ، واغداقا لا مبرر له على تجار وسماسرة السـلاح ، وارهاقا لمصر بديون تراكمت وتضاعفت حتى زادت من ٣٨٠ مليون دولار ديون مدنية بما فيها السد العالى والمشروعات الصناعية الى أن بلغت ١٩ ألف ، ٥٠٠ مليون دولار فى خلال سنوات حكم السادات التى أعقبت حرب أكتوبر ٠

وكان التحول فى مجال التسليح ضربة أيضا للقوات المسلحة التى اعتادت على هذه الأسلحة ومارست الحرب فيها بكفاءة نادرة تجلت فى حرب الاستنزاف وفى حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما أتيحت لها فرصة القتال الحقيقى ٠

وتغيير السلاح يقتضى تغيير التدريب ، وتغيير العقيدة القتالية ٠٠ ودون أن يكون هناك مبرر حقيقى يدفع لذلك ٠٠ فالخبراء السوفييت عندما طلب منهم الخروج خرجوا جميعا خلال أسـبوع ، وصفقات الأسلحة السوفيتية رغم ذلك لم تتوقف ، والدعم السياسى لمصر لم يتراجع ، والديون المتراكمة على مصر من ثمن التسليح لم تتحول الى ضغط حقيقى ٠

ولذا كان التغير والتحول فى مصادر التسلح دون وجود مبرر حقيقى ظاهرة من الظواهر التى كانت تؤكد أن شمس يوليو لم تعد فى كبد السماء، وانما أخذت تأفل نحو الغروب ٠

الاتفاقية الثانية بين مصر واسرائيل

وأخيرا وصل الأمر غايته بتحول جديد فى أسلوب معالجة القضية الوطنية والقومية التى كانت ترى فى اسرائيل دولة للصهيونية التوسعية المدعومة من الامبريالية الأمريكية ٠

وبدأ أنور السادات يسـتخف ويسخر فى أحـاديثه من كلمات الامبريالية ويبسط الأمور تبسيطا يضعف من الخطر المتجسد والمتوثب للاستيلاء على المنطقة ٠

كانت الخطوات نحو الارتباط مع أمريكا تسرع وتلهث قبل أن تضيع الفرصة ٠٠ وزيارات كيسنجر لا تتوقف كما ذكرنا ٠

واتفاقية فصل القوات لم تعد كافية ٠٠

وخلال هذه الفترة توفى المشير أحمد اسماعيل على نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٤ وصدر قرار تعيين الفريق عبد الغنى الجمسى خلفا له ٠

حتى هذه اللحظة لم يكن الاتحاد السوفيتى قد فقد الأمل بعد فى وجود

توازن فى العلاقات الدولية ٠٠ فقد تلقى اسماعيل فهمى دعوة يوم ٢٨ ديسمبر لزيارة موسكو مع الفريق أول عبد الغنى الجمسى ، وفى هـــذه الزيارة التى تمت فى المستشفى حيث كان يقيم بريجنيف الذى اعتذر عن عدم الحضور الى القاهرة فى زيارة كان قد تم الاعداد لها ٠

وفى ٢ فبراير ١٩٧٥ وصل أندريه جـــروميكو فى زيارة للقــاهرة استغرقت ثلاثة أيام بعد أن كان أنور السادات قد قام بأول زيارة لرئيس مصرى الى دولة غربية حيث زار باريس يوم ٢٧ يناير ١٩٧٥ ٠

واصل السادات حركته نحو الغرب ٠

التقى يوم أول يونيو ١٩٧٥ مع الرئيس الأمريكى فورد فى سالزبورج بالنمسا ، حيث تم بعدها بأربعة أيام الاحتفال بافتتاح قناة السويس يوم ٥ يونيو ١٩٧٥ فى حفل شارك فيه الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودى والأمير رضا بهلوى ولى عهد ايران ٠

وكان كيسنجر قد أعلن يوم ٦ مايو أن الولايات المتحدة ســتضع سياسة جديدة للشرق الأوسط بعد مباحثات فورد مع السادات ثم اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل ٠

وعقب قيام مصر بافتتاح قناة السويس فى ٥ يونيو ، قامت اسرائيل بتخفيض قواتها من منطقة غرب ممرات سيناء ، وتعليقا على ذلك صرح كيسنجر فى ٧ يونيو أن العرب والاسرائيليين يتخذون حاليا موقفا بنــاء أكثر من السابق ولكنها لا تكفى بحيث تكون بمثابة خطوات من شأنها تحقيق تسوية فى الشرق الأوسط ، وأضاف كيسنجر أن هناك حاجــة للمزيد من الاجراءات التى يتخذها كل جانب اذ أن الخطـــوات من كلا الجانبين هى التى ستحقق حل المشكلة العربية الاسرائيلية ٠

وفى ٢٠ أغسطس بدأت الجولة العاشرة لهنرى كيسنجر فى الشرق الأوسط وبعد ١١ يوما من بدء جولته نجح فى التوصل الى الاتفاق الثانى بين مصر واسرائيل ٠

وكما يقول محمد كامل ابراهيم وزير خارجية مصر السابق فى كتابه (السلام الضائع فى اتفاقيات كامب دافيد) :

واذا كانت اتفاقية فض الاشتباك الأولى الموقعة فى ١٨ ينـــاير (كانون الثانى) سنة ١٩٧٤ قد اقتضتها ظروف ملحة حافلة بالمخــاطر بالنظر الى تشابك الخطوط العسكرية المصرية الاسرائيلية وتداخل قوات الطرفين فى منطقة الدفرسوار غرب قناة السويس ، مما يصعب معه التحكم فى الالتزام بوقف اطلاق النار نتيجة أى حادث استفزازى أو خطأ غيــر مقصود من ناحية ، ومن الناحية الثانية نتيجة وضـــع الجيش الثالث المحاصر الناشىء عن خرق القوات الاسرائيلية لوقف اطلاق النار وتجاوزها

للمواقع التى كانت تحتلها فى ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) وفقا لقرار مجلس الأمن · فلم يكن هناك من ضرورة أو سبب يدعو الى ابرام الاتفاقية الثانية بين مصر واسرائيل والتى اختاروا لها اسم اتفاقية (فض الاشتباك الثانية) من قبيل التمويه والخداع ، ذلك أن الاتفاقية الأولى تكفلت بنزع فتيل الخطر الناتج عن تشابك القوات وتسليحها وأصبحت تفصل بينهما منطقة عازلة تحت اشراف قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ·

كان الوضع الطبيعى والمنطقى بعد اتفاقيتى فض الاشتباك المصرية والسورية ، هو الاتجاه الى مؤتمر السلام فى جنيف سعيا وراء تسوية شاملة للنزاع العربى الاسرائيلى ·

لكن هذا لم يكن على هوى اسرائيل كما لم يكن ما يريده كيسنجر لاعتبارات عديدة لعل أهمها عدم اتاحة الفرصة للاتحاد السوفييتى للمشاركة فى جهود التســـوية ·

كان كيسنجر قد وجد ضالته المنشودة فى الرئيس السادات رئيس مصر مركز الثقل فى الجانب العربى، وكان تعامله السابق معه أثناء مناقشة اتفاقية فض الاشتباك قد أغراه وفتح شهيته للمزيد من التعاملات فاتجه نحو ابرام اتفاقية ثانية بين مصر واسرائيل ·

وقد تضمنت الاتفاقية وثيقة بين حكومة جمهـــــورية مصر العربية وحكومة اسرائيل ، وملحقا خاصا بالجوانب العسكرية بين مصر واسرائيل وملحقا آخر خاصا باجراءات الانذار المبكر الأمريكية بين الولايات المتحدة من جانب وكل من الطرفين العربى والاسرائيلى · وقد تضمنت نص الاتفاق تسع مواد :

١ ــ أن النزاع بين الطرفين وفى الشرق الأوسط لا يتم حله بالقـــوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية ·

٢ ــ يتعهد الطرفان بعدم استخدام القوة للتهديد بها أو الحصار العسكرى فى مواجهة الطرف الآخر ·

٣ ــ استمرار الطرفين فى مراعاة وقف اطلاق النار بدقة فى البر والبحر والجو والامتناع عن أى أعمال عسكرية أو شبه عسكرية ضد الطرف الآخـــر ·

٤ ــ المبادىء المحددة لتحريك القوات المسلحة للطرفين ·

٥ ــ تعتبر قوة الطوارىء الدولية سياسية وسوف تستمر فى عملهـــا وستجدد مدتها سنويا ·

٦ ــ ينشىء الطرفان لجنة مشتركة أثناء سريان الاتفاق وتعمل تحت رئاسة المنسق العام لعمليات الأمم المتحدة فى الشرق الأوسط ٠

٧ ــ سيسمح بمرور الشحنات غير العسكرية المتجهة الى اسرائيل ومنها فى قناة السويس ٠

٨ ــ يعتبر الطرفان هذه الاتفاقية خطوة هامة نحو سلام دائم وعادل مع مواصلة الأطراف بذل الجهود للتوصل بالتفاوض الى اتفاق سلام نهائى فى اطار مؤتمر جنيف للسلام وفقا لقرار مجلس الأمن ٣٣٨٠

٩ ــ تسرى الاتفاقية مع توقيع البروتوكول وتظل سارية المفعول حتى تحل محلها اتفاقية جديدة ٠

وقد صرح الرئيس السادات عقب توقيع الاتفاق مباشرة أنه يمثل نقطة تحول فى تاريخ النزاع العربى الاسرائيلى وفى حديث تليفونى بين الرئيس فورد والرئيس السادات ، وصف الرئيس الأمريكى الاتفاقية بأنها أهم وثيقة تاريخية فى السنوات العشر الأخيرة ، ان لم تكن فى القرن العشرين بأكمله ٠

الاتفاقية اذن لم تكن اتفاقية عسكرية بحتة كما حاول البعض تصويرها بأنها لفض الاشتباك وانما هى اتفاقية سياسية تنهى حالة الحرب عندما تنص فى مادتها الأولى على أن النزاع بين الطرفين وفى الشرق الأوسط لا يتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية مع تعهد الطرفين بعدم استخدام القوة أو التهديد بها ٠

واذا تغاضينا عما سمحت به من مرور البضائع الاسرائيلية فى القناة الأمر الذى يقوض نهائيا سلاحا هاما من الأسلحة العربية وهو مقاطعة اسرائيل فاننا يجب أن نتوقف عند المادة التاسعة التى تنص على سريان مفعول هذه الاتفاقية الى أن توقع أخرى بدلا منها ٠٠ وبذا أصبحت الزاما لمصر لا يسهل الخروج منه ٠

ويقول محمد ابراهيم كامل وزير خارجية مصر السابق :

ولكن المصيبة الحقيقية تكمن فى الاتفاقيات السرية الثلاث التى أبرمت مع هذه الاتفاقية وبسببها بين اسرائيل والولايات المتحدة واعتبرت من ملحقاتها وتتضمن العديد من الالتزامات الامريكية التى كبلتها وقيدتها اسرائيل ومنها :

ــ أن يتم التشاور بين الولايات المتحدة واسرائيل على موعد عقد مؤتمر جنيف ٠

ــ تستمر الولايات المتحدة فى التزامها بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية طالما لم تعترف هذه باسرائيل وبقرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وتنسق الولايات المتحدة مواقفها واستراتيجيتها فى

مؤتمر جنيف مع اسرائيل فيما يتعلق بهذه النقطة وكذلك فيما يتعلق باشتراك أية دولة أخرى فى المؤتمر ٠

- تستعمل الولايات المتحدة الفيتو فى مجلس الأمن بالنسبة لأية محاولة لتعديل قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ٠
- تلتزم الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بكل ما يلزمها من الأسلحة المتطورة مثل طائرات الفانتوم ١٦ ٠
- تتقدم الادارة الأمريكية الى الكونجرس سنويا بطلبات الموافقة على مساعدات عسكرية واقتصادية لاسرائيل ٠
- تلتزم الولايات المتحدة بتلبية احتياجات اسرائيل من العتاد الحربى ومستلزمات الدفاع وكل احتياجات اسرائيل من الطاقة وكل احتياجاتها الاقتصادية ٠
- تتفق الولايات المتحدة مع اسرائيل فى أن أى اتفاق فى المستقبل بين مصر واسرائيل يجب أن يكون اتفاق سلام نهائى ٠
- ان الولايات المتحدة سوف ترفض أية محاولة لطرح مقترحات تعتبرها هى واسرائيل ضارة بمصالح اسرائيل وفى نفس الوقت سوف تسعى لمنع جهود الآخرين من القيام بذلك ٠

تقر الحكومة الأمريكية بأن التزامات مصر ، بمقتضى الاتفاقية المصرية الاسرائيلية (سيناء الثانية) لا تتوقف على أى تصرف أو أى تطورات تجرى بين دولة عربية أخرى واسرائيل ٠

أما الطامة الكبرى فهى أن هذه الاتفاقيات وان كانت سرية بين الولايات المتحدة واسرائيل الا أن سريتها لم تمتد الى مصر فقد نصت الفقرة الأخيرة من الاتفاقية الثالثة على :

« أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قد اخطرت حكومة اسرائيل بأنها قد حصلت على موافقة مصر على ما تضمنه الاتفاق المشار اليه أعلاه » ٠ أى أن الرئيس السادات كان قد أحيط علما بها ووافق عليها قبل ابرامها ٠

كل ذلك حصلت عليه اسرائيل من مصر ، ومن الولايات المتحدة مقابل انسحاب اسرائيل بضعة كيلو مترات أخرى الى المرتفعات المطلة على شرق مضايق الجدى ومتلا وشمل الانسحاب عودة حقول البترول فى أبو رديس ورأس سدر الى مصر ٠

وقد حققت اسرائيل بالاضافة الى كل ذلك نجاحا لهدف من أهدافها الثابتة وهو بث الانقسام والفرقة فى المعسكر العربى اذ ادت هذه الاتفاقية الى زعزعة الثقة العربية فى مصر ودب الخلاف بين مصر وسوريا رفيقى السلاح فى حرب اكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٣ ٠

الدوران للخلف :

وهكذا وصلت الأمور غايتها واستدارت السياسة المصرية الى الخلف ١٨٠ درجـة ٠

بدأ التمزق فى العلاقات المصرية العـربية ٠

وصلت العلاقات المصرية السوفيتية الى حد وقف الامداد بالسـلاح ٠٠ وخلق الفرصة للتجار وسماسرة السلاح مع الغرب ٠

فتحت أبواب مصر للمستثمرين والبنوك الأجنبية وتوقفت التنمية ، وتدعمت سياسة الانفتاح ، وتراجعت وانحسرت محاولة التحول نحـــو الاشتراكية ، وشجع القطاع الخاص ، وأهمل القطاع العام وتعرض لحملات التشهير والنقـد ٠

انتهت تجربة الاتحاد الاشتراكى وتحـــول الى منابر لا تصل الى الديموقراطية الكاملة ، وانما تستهدف فقط انهاء صورة التنظيم الجماهيرى والسياسى الذى كان قائما فى عهد جمال عبد الناصر ٠

وهكذا تم الدوران الى الخلف تماما ٠

وتغيرت سياسة مصر ٠

الباب السابع

غروب يوليو

(يغرب نور الاله رع ٠٠ ليشرق من جديد)
« حكمة فرعونية »

أيمكن القول بعد كل ما حدث أننا نعيش فى ثورة يوليو ؟

أما زال حلم القائد والثوار هو المرشد والدليل لحركة الجماهير ؟

أم أن غياب جمال عبد الناصر ، وما طرأ على المسيرة بعده من ردة واضحة ، قد فرض على التاريخ أن يتوقف ليقول كلمته ٠

هل ما زلنا بعد فى عهد ثورة يوليو ؟

صحيح أن العيد القومى ما زال ٢٣ يوليو ، وأعلام الثورة ما زالت مرتفعة ٠

ولكن أين يوليو ٠٠ الفكر ، والمواثيق ، والتنمية ، والاستقلال الوطنى والارتباط القومى ، وعدم الانحياز ، والتحول نحو الاشتراكية ؟

أين ثورة يوليو ٠٠ حلم البسطاء فى مستقبل أفضل ؟

أين ثورة يوليــو ٠٠ الأمل المشرق ؟

أما زالت تضىء الأرض ٠٠ أم أنها غربت وأفلت ؟

صعب على من ارتبط بأهداف ثورة يوليو أن يتعرف عليها فوق أرض الوطن ٠

تفجرت الفوارق الطبقية فى حدة وسرعة ٠٠ وغيرت قوانين الانفتاح نمط المجتمع الذى أصبح يلهث وراء المظاهر الاستهلاكية فوق كل القيـم التى تقترن عادة بمحاولة بناء مجتمع جديد ٠

الاتحاد الاشتراكى تحول الى مبنى للبنوك الأجنبية، ترتفع على مدخله لافتة تحمل اسم (بنك فيصل الاسلامى) ، وهى لافتة فيها من المعـــانى ما يبرز حقيقة الموقف ٠

غمرت شوارع القاهرة أضواء البوتيكات التى تعرض البضـــائع

المهربة أو المستوردة ، وتدفقت فيها العربات الكبيرة الفارهة ، التى تسد المرور وتخنق المارة بالتلوث ٠

ارتفعت عمارات التمليك الفاخرة التى ظهرت فى مصر لأول مرة ٠٠ وفنادق الدرجة الأولى ذات الخمسة نجوم ٠٠ بينما توقف الاسكان الشعبى وضاقت الأزمة حول بسطاء الناس حتى سكنوا القبور ٠٠ وأصبح الحصول على سكن هو المستحيل ٠

توقفت التنمية ، وجمدت الصناعة ، واستهلكت آلات القطاع العام، وتعرض لنقد عنيف يستهدف الاطاحة به وتصفيته ٠٠ وعادت بنا الذاكرة الى الأيام التى أعقبت محمد على عندما أغلق الخديوى عباس الأول المصانع والترسانة الحربية وخفض عدد الجيش ونفى رفاعة الطهطاوى الى السـودان ٠

ولم ينقذ صناعة مصر الا المكاسب التى حققتها ثورة يوليو للعمال الذين دافعوا عن مصانعهم ومستقبلهم ٠٠ ورغم ذلك فقد أدى توقف التنمية وتجميد الصناعة المصرية الى ظهور البطالة والهجرة من مصر ٠

فتحت قوانين الانفتاح أبواب الجمارك للمهربين والمغامرين والمتصلين ٠٠ وعرفت مصر أصحاب الملايين الذين تضاعفوا بسرعة شرهة مذهلة ٠٠ فى وقت وصلت فيه معاناة الجماهير من الخدمات الى حد يطحن الأعصاب كل يـوم ٠

صعوبة المواصلات ، وتبديد الوقت ، وكهرباء تنقطع ، ومياه لا تصل الى السكان ، ومجارى ترشح فى كل الأحياء ، وتليفونات لا تعمل ، والتسيب يصبح هو الظاهرة التى تسود وتنتشر ٠

ضاقت الأحوال بالناس ٠٠ المسكن سراب والخـدمات ارهاق ، والأسعار ترتفع ، والأجور ثابتة ، والتنمية متوقفة ، والأمل فى المستقبل يتلاشى وينعدم ٠٠ وبدأت هجرة لم تعرفها مصر من قبل ٠٠ هاجر الفلاح الذى امتدت جذوره فى الأرض آلاف الأعوام دون التفكير لحظة فى الابتعاد عن مجرى النيل ٠

خلل شديد حدث فى الاستقرار الاجتماعى ٠٠ ونمو وحشى لفئـات طفيلية منحرفة ٠٠ واهدار للقيم الفاضلة ٠

أين دور مصر القومى الذى كان من مفاخر ثورة يوليو ؟

أين موقف مصر من معاداة الامبريالية والأحـلاف العسـكرية ، ومناصرة حركات التحرر الوطنى ؟

اين الحلم الذى عاش فيه الناس لتغيير المجتمع نحو الاشتراكية ؟

اين دور مصر الرائد فى عدم الانحياز ؟

عشرات الأسئلة يمكن اثارتها ·· والأجوبة سوف تشكل صورة لمصر تختلف تماما عن صورتها خلال سنوات ثورة يوليو ·

وغروب يوليو لم يأت قسرا من خارج مصر ·· فالعدوان عام ١٩٦٧ لم ينته الى انهيار النظام الوطنى ·· بل العكس هو ما حدث ·· اذ أن الصمود وبناء القوات المسلحة كان عاملا هاما فى رفض الهزيمة ، وبعث الطاقة الوطنية ، ومحاربة العدو فى حرب الاستنزاف المجيدة ·

وكل المحاولات التى حدثت لضرب النظام والاساءة اليه لاسقاطه باءت بالفشل ·

ولكن القدر كان أقوى ·· يوم انتقل جمال عبد الناصر الى رحـاب الله ، حدثت الردة من داخل الثورة ·· من بعض أبنائها ·

وكان هذا دليلا على نقص فى كيان الثـــورة وتنظيماتها ·· سمح لعناصر الثورة المضادة بالتسرب ·· بل بالقيادة ·

لم تحصن ثورة يوليو نفسها بالتنظيم الحزبى الثورى ·· ولم تحول (طليعة الاشتراكيين) الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى الى حـــزب ثورى سليم ·

لم تستفد ثورة يوليو من تأييد الجماهير العريضة لأهدافها الوطنية والاجتماعية باقامة ديموقراطية شعبية سليمة ، يشعر فيها الناس أنهـم مشاركون ولهم دور فى بناء المجتمع ·

لم تقم الثورة مؤسساتها السياسية والاقتصادية والصناعية عــلى اسس ديموقراطية ، تتيح لها حماية نفسها أمام عمليات الردة المضادة ·

ضرورى أن نتعرف على الأخطاء التى نمت مع ثورة يوليو ، فدفعتها الى الغروب ، وهى بعد ما زالت فى عمر الشباب ·

اليس واجبا الاعتراف بأن الأخطاء التى أغرقت ثورة يوليو عند الأفق لم تكن من الخارج فقط ·· بل كانت من الداخل أيضا ؟

الم يكن المرض المضاد الخطير كامنا فى بعض الضباط الذين رفعوا أعلام الثورة ثم انقضوا عليها عندما اتيحت لهم الفرصة ، بعد غياب جمال عبد الناصر القائد والرمز والدليل ؟

كم ضابطا من الضباط الأحرار جرفته تطلعات الربح من الاستثمار،

فأصبح من رجال الأعمال بعد أن بدأ حياته مناضلا ضد رأس المال ، ومن اجل العدالة الاجتماعية ؟!

كم ضابطا من الضباط الأحرار الذين رفضوا الانحراف الى هــذا التيار قد بقى فى موقع مؤثر سواء فى أجهزة الدولة أو غيرها ؟

ألم تتم تصفيتهم جميعا ، والبعض منهم كان ما زال قادرا عـلى العطاء ، ليصبحوا جميعا من « الضباط السابقين والسياسيين السابقين » أيضــا ! ؟

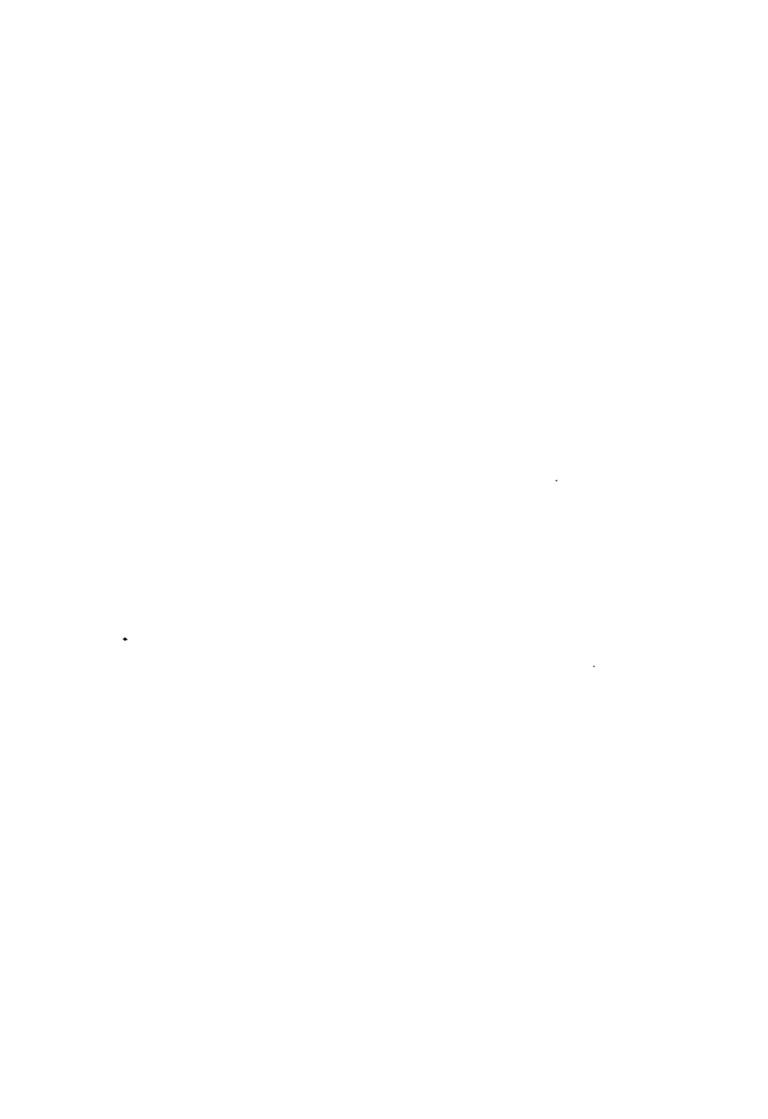
ويصدق القول على الذين ما زالوا يعيشون أحلام يوليو ويتمسكون بمبادئها ·· بأن (القابض على نفسه مثل القابض على الجمر) ·

نعم ·· القابض على نفسه فى هذا المجتمع الوحشى مثل القــابض على الجمر ·

وتقف كلمات هذا الكتاب بعد أن وصلت شمس يوليو الى أفق الغروب ·· لا توغل بعد ذلك فى ظلام عهد أدار ظهره لأمته ، وسافر الى القدس ليقف فى الكنيست ، ويعقد اتفاقيات كامب ديفيد ، لتفتح سفارة لاسرائيل فى القاهرة وتغلق الجامعة العربية ، وينتهى الأمر الى حادث الاغتيال على المنصة يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ ·

لا يوغل الكتاب فى ذلك ·· لأن ثورة يوليو كانت قد غربت ·· وساد مصر ظلام شديد ·· وهذه قصة أخرى ·

شهود ثورة ٢٣ يوليو



الاهـــــداء

« الى الأجيـــال التى ســوف

تملك الحــكم على ثورة يوليـــو »

مقدمة

ليست هناك حركة عسكرية يمكن أن تنتصر وتعيش وتغير نظام المجتمع الا اذا تجاوبت أهدافها مع ارادة الأغلبية الشعبية ، وفتحت للطبقات الكادحة المظلومة باب الأمل ٠

وثورة يوليو سوف تعيش نموذجا للانقلابات العسكرية التى تقوم بها فئة محدودة من العسكريين الوطنيين ، الذين ارتبطوا باتجاهات وتنظيمات ومدارس فكرية مختلفة ، ثم اجتمعوا فى تنظيم واحد ، حول أهداف بسيطة محددة ٠

والانتصار الذى تحقق ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يتم فجأة وبلا مقدمات ، ولم ينطلق من الفراغ ، ولكنه كان ثمرة ونتيجة طبيعية لموقف عدد من الضباط الذين شغلتهم السياسة ، خرجوا من حصار الانغلاق الذاتى ، الى التفكير فى الآخرين ، وارتبطوا بعضهم البعض قبل تشكيل (الضباط الأحرار) بتنظيمات مختلفة ٠٠ الاخوان المسلمين ومصر الفتاة والحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى والمجموعات الارهابية ٠٠ وكان البعض منهم مستقلا وبعيدا عن التنظيمات السياسية ٠

ولم يكن ممكنا لى ان أقدم للقارىء وللتاريخ (قصة ثورة ٢٣ يوليو (دون أن أرجع الى هؤلاء الذين تحركوا فى هذه الليلة الخالدة من أجل تحرير مصر ٠

واذا كان قد صدر حتى الآن ثلاثة أجزاء هى :

* قصة ثورة ٢٣ يوليو ٠
* مجتمع جمال عبد الناصر ٠
* عبد الناصر والعرب ٠

فان الصورة لا تكتمل الا اذا سجلت الاحاديث التي دارت مع الضباط الأحرار واعضاء مجلس قيادة الثورة والسياسيين الذين اضيروا من حركة الجيش أو تعاونوا معها ٠٠ والتى استفدت منها فيما قدمت من سرد أو تحليل فى الأجزاء الثلاثة السابقة ٠

هذا الجزء الرابع (شهود ثورة يوليــو) يسجل فى صــدق وأمانة أقوال هؤلاء الذين فجروا حركة الجيش ٠٠ وهو بذلك يعتبر توثيقا للأجزاء الثلاثة التى صدرت ، ويقدم للمؤرخ فى المستقبل مرجعا يعتمد عليه فى تحليله وكتاباته ٠

وليس الشهود الذين يضمهم هذا الكتاب هم كل الذين أسهموا فى الاعداد للحركة وانتصارها والسير بها لتصــبح ثورة تاريخية مؤثرة فى حياة الشعب المصرى والأمة العربية ٠

حاولت جاهدا أن يصدر الكتاب وبين دفتيه جميع الشهود ٠٠ ولكن البعض منهم كان القدر أسبق منى اليه فانتقل الى رحاب الله٠٠ والبعض آثر أن يلتزم الصمت ٠٠ والبعض تحدث فى صراحة ولكنه رفض أن يسجل شيئا باسمه ٠٠ والبعض عجزت عن الوصول اليه ٠

ومع ذلك فالكتاب يقدم معظم الذين أسهموا فى الثورة ، ويعطى نماذج للعناصر الباقية التى لم يتسع المجال للاتصال بها ٠

وربما يكون فى صدور هذا الكتاب دافعا وحافزا لبعض الذين لم تظهر أقوالهم فيه ، الى المبادرة بالاسهام فى ذلك عنـدما تحين الظروف لطبعة ثانية ٠

وأخـيرا ٠٠ فان أهمية الجزء الرابع (شهود ثورة يوليو) تعود الى تقديم كل شاهد لنفسه بأفكاره ورؤيته للحياة من وجهة نظره ٠٠ وقد حرصت فى نهاية الكتاب على تجميع هذه الاتجاهات المختلفة تحت عناوين الحوادث البارزة التى تعتبر المعالم الهامة فى تاريخ ثورة يوليــو بكل ما قدمته لشعبنا وأمتنــا من ايجابيات او سلبيـــات ٠

وهناك أسماء لم تظهر فى هذا الكتاب ٠٠ مثل الشاهد الراحل قائد ثورة يوليو جمال عبد الناصر ٠٠ ورئيس الجمهورية اليــوم أنــور السادات ٠٠ ولكل منهما كتبه وخطبه ومقالاته واحاديثه وهى ذاتها شهادة لا تحتاج لتاكيد ٠

وكل ما أطمع فيه أن أكون قد وفقت فى تقديم (وثيقة تاريخية ومرجعا حيا) لقصة ثورة ٢٣ يوليو ٠

احمــد حمــروش

الاســـم : ابراهيم بغـــدادى
تاريخ الميلاد : ١٩٢٦
مهنة الوالد : موظف فى القصور الملكية
متخرج فى : الكلية الحربية ١٩٤٤
الرتبة وقت الحركة : يوزباشي
آخـر عمــل : محافظ القاهرة
العمل الآن : المعـــــاش

س ١ : ما هو نشـــاطك الســياسى قبـــل الثـــورة ؟

ج ١ ـ كنت منتميا للاخوان المسلمين أقوم بتدريب متطوعيهم على ضرب النار خلف السجن الحربى بكوبرى القبة ، كما كنا نعقد جلســات لتحضير الأرواح عام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ٠

وعندما اقتربت حرب فلسطين ألغيت كل فرق الجيش التدريبية ، وكنا ضد التطوع لاحتمال اشتراك الجيش كله ٠

وخلال الحرب كنت فى كتيبة جمال عبد الناصر التى حوصرت فى الفالوجا وكنت أصدر مجلة خاصة للقوات المحاصرة ٠

وبعد فك الحصار نقلت الكتيبة الأولى والثانية الى منقباد ثم نقلت أنا بعد ذلك الى البحرية ٠

س ٢ : ما هو دورك ليلة الثورة وبعدها ؟

ج ٢ : لم أعرف بقيام الثورة قبل موعدها لان جمال عبد الناصر اختار أحمد حمروش من قوات الاسكندرية لتبليغه بالحركة وقد تم ذلك يوم ٢٢ يوليو ، ولم يتصل بى حمروش لانه لم تكن تربطنى به صـــلة تنظيمية ٠

ولكنه مع اذاعة البيان الأول للثورة اجتمع ضباط الاسكندرية فى الآلاى الثانى أنوار كاشفة ، واختاروا عاطف نصار مسئولا عن المنطقة وعبد الحليم الأعسر أركان حرب له ٠

وبدأت سيطرتنا الفعلية على المنطقة بعد ذلك ٠٠ وقد قمت باعتقال محمد حيدر ووضعته فى معتقل الضباط بالنادى الى أن أفرج عنه صلاح سالم ٠

ثم نقلت الى المخابرات التى كان الضباط يختارون لها بناء على نجاحهم السابق وتفوقهم فى فرق المخابرات ٠

وقد بدأت مع حسن التهامى وحسن بلبل وفريد طولان وعبد المجيد فريد فى مدرسة المخابرات التى أقيمت بقصر الأميرة فايزة فى حديقة الزهرية ، وكنا نستمع فيها الى محاضرات من رجال المخابرات المركزية الأمريكية ٠

وعندما انفصلت المخابرات العامة عن المخابرات الحربية نقلت اليها وعينت فى الاسكندرية ، حيث كتبت تقريرا قلت فيه أن الليثى عبد الناصر يستغل سلطته فنقلت من الاسكندرية الى فرع اسرائيل فى المخابرات العامة ٠

س ٣ : ما هى أبرز الأدوار التى عاصرتها خلال عملك فى هذا الفرع من فروع المخابرات ؟

ج ٣ : أذكر أن موشى شاريت كان أكثر رؤساء الوزارات الاسرائيلية ميلا للسلام فقد كان شرقيا ولد فى القدس ، ويعرف العربية ، ويحفظ المعلقات السبع ٠

ولذا فقد حدث التآمر عليه بتدبير الهجوم على غزة ، وربط ذلك بقضية التجسس « لافون » فى مصر ، ثم تولى بن جوريون الحكم وأبعد شاريت ٠

وقبل العدوان الاسرائيلى عام ١٩٥٦ أبلغت أنه قد صدرت تعليمات لشركات الطيران المدنية الأجنبية يوم ٢٧ أكتوبر بعدم النزول فى القاهرة وتحويل جميع الضباط الى مناطق أخرى ٠

وفى عام ١٩٥٧ ذهبت فى مأمورية الى أمريكا لمدة شهور وقابلت الحاخام راباى بالمربرجر من المجلس الأمريكى لليهودية ، والذى كان يقول بأن الصهيونية تفتعل ازدواجا فى الولاء ٠

وبقيت فى المخابرات بعد ذلك حتى عينت محافظا للمنوفية ثم كفر الشيخ فالمنيا فالقاهرة الى أن أحلت الى المعاش عام ١٩٧٣ ٠

الاســـم :	ابراهيم الطحاوى
تاريخ الميلاد :	٢ مايو ١٩١٩
مهنة الوالد :	مفتش فى مصلحة المساحة
الأمـــلاك :	لا شىء
متخرج فى :	الكليــة الحربية ١٩٤٠ ـ كلية اركان حــرب ١٩٥١
الرتبة وقت الحركة :	صاغ أركان حــرب
آخــر منصب :	وزير فى رئاسة الجمهورية
آخــر عمــل :	المعـــاش

س ١ : ما هو الدور الذى قمت به فى حركة ٢٣ يوليـــو ؟

ج ١ : كانت لى صلة بمجدى حسنين منذ عام ١٩٤٣ عندما كانت له خلية اخوانية انضممت اليها ، وكان يحضر اجتماعاتها الشيخ حسن البنا ومحمود لبيب ، وفى عام ١٩٤٦ أبلغنا محمود لبيب أن خلية اخوانية أخرى تريد الاتصال بنا ، وحضر جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، واقترحت فى هذا اللقاء عمل انقلاب مشترك بين الجيش والاخوان المسلمين ، وبعد الاجتماع انفرد بى جمال عبد الناصر وعرض على التعاون فى عمل تنظيم عسكرى موحد فوافقت فورا ، ومرت الأيام فى اجتماعات وزيارات متقطعة نتيجة حرب فلسطين ونقلى للجيش المرابط ثم دخولى كلية أركان حرب ٠٠ وفى عام ١٩٥٠ عدت لسلاح خدمة الجيش وبدأ النشاط مرة ثانية وكان لنا اجتماع أسبوعى فى منزل مجدى حسنين الذى أصبح أمينا للصندوق ، وكان هناك مندوبان لكل سلاح ٠ فكان عبد الحكيم عامر وزكريا عن المشاة ، وبغدادى وحسن ابراهيم عن الطيران وكمال الدين حسين وصلاح سالم عن المدفعية وأنا ومجدى حسنين عن الأسلحة الادارية ، وقبل الحركة بستة أشهر أبلغنا عبد الناصر أن منزل مجدى حسنين مراقب فانتقلت الاجتماعات لمنزلى بنفس التشكيل السابق ٠٠ وفى يوم ١٩ يوليو ١٩٥٢ مر على جمال

عبد الناصر فى المنزل الساعة ١١ ليلا وأبلغنى أن أحمد أبو الفتوح قال لثروت عكاشة أن الملك قد اكتشف التنظيم وأنه سيعين حسين سرى عامر للقبض على الضباط الأحرار واستقر الرأى على تحرك الجيش • وفى يوم ٢٠ ظهرا ذهبنا مع جمال الى منزل خالد محيى الدين وقد حضر الاجتماع معنا عبد الحكيم عامر وبغدادي وحسن ابراهيم وجمال سالم وصلاح سالم وكمال الدين حسين وزكريا محيى الدين وعرضت الخطة • وكان واجبى هو تحريك العربات ونقل المشاة والسيطرة على ثكنات العباسية وقد اتفقنا على أن نتحرك ليلة ٢١ ــ ٢٢ يوليو ثم تأجلت يوما • وكان مجدي حسنين قد وصل من الاسكندرية ، وفى يوم ٢٢ يوليو عقدت اجتماعات لحوالى عشرة من ضباط خدمة الجيش فى منزل معروف الحضرى • وذهبنا الى السلاح فى العاشرة والنصف مساء ، ونتيجة لتواجدنا • حركت العربات مبكرا للمشاة وأمنت بوابة العباسية ، وفى يوم ٢٣ يوليو صباحا ، كان المفروض أن ألتحق بالقيادة ، وبقيت أنا ومجدى حسنين لتجهيز حاملات المدرعات لنقل السوارى الى الاسكندرية •

وبعد أربعة أيام اتصل بى جمال عبد الناصر حيث عملت فى مكتبه لمدة شهور ، ثم كلفت بالاعداد لهيئة التحرير •

س ٢ : عندما كلفت بالعمل فى هيئة التحرير •• ماذا كانت حقيقة الموقف فى هذا التنظيم الشعبى الأول والجديد للحركة •• وما هى أبرز ادوارها ؟

ج ٢ ــ كانت الجماهير تستقبل جمال عبد الناصر بالهتاف « الله أكبر ولله الحمد » فى المحطات •• وكان هذا دليلا على نفوذ الاخوان الذين كان التناقض قد بدأ يظهر بينهم وبين أعضاء الحركة •

ولذا فقد حرصنا على أن نختار شعارا آخر هو « الله أكبر والعزة لمصر » •

وبدأت محاولة تكوين الهيئة بعد حل الأحزاب من بعض رجال الأحزاب السياسية مثل على ماهر ومحمد صلاح الدين وفكرى أباظة واللواء محمد فتوح وكان نائبا من نواب الوفد •

وبلغ عدد الذين اتصلنا بهم ووافقوا مبدئيا حوالى ٨٠ سياسيا •

كما استعنا بعدد من الضباط الأحرار وغيرهم للعمل فى الأقاليم التى يوجد لهم فيها نفوذ عائلى •

وهكذا بدأنا تشكيل « مجالس هيئة التحرير » وعملنا تنظيما أفقيا للقرى والأحياء ورأسيا للمهنيين والعمال ٠

كان محمد نجيب رئيس الهيئة وجمال عبد الناصر سكرتيرها العـام وأنا سكرتيرها المساعد ٠

وكنا فعلا خـلال حركتنا نسلط الضوء على جمـال عبد الناصر فى دعايتنا ٠

وأثناء أزمة مارس ١٩٥٤ طلب جمـال عبد الناصر منى الاتصـال بالثمانين سياسيا مرة أخرى حيث أن مجلس الثورة قرر الاستقالة والتقدم فى الانتخابات كحزب خاص ٠

وكانت المفاجأة شـديدة لى اذ قال محمـد صلاح الدين الذى كان مرشحا سكرتيرا عاما لهيئة التحرير أنه سيدخل الانتخابات وفديا ، وقال لى محمد فتوح « لماذا وضعتم حراسة على بيت سراج الدين ؟ » وقال فكرى أباظة « أنا حزب وطنى » ٠٠ وهكذا لم ينضم الينا أحد منهم ٠

أبلغت هذه الصورة لجمال عبد الناصر ٠٠ الذى قال لى أنه ليست عنده ثقة فى هيئة التحرير وأن الجيش منقسم وأنه لا يريد حربا أهلية ٠

وحضر لى بعد ذلك حسين الشافعى ليبلغنى أن مجلس الثـورة قرر الانسحاب والعودة للثكنات وعمل ثورة أخرى ٠٠ فاعترضت على ذلك قائلا أن الانسحاب معناه دخول السجن وقررت المقاومة فى وقت كانت الجماهير تهتف قائلة « لا ثورة بلا نجيب ــ الى السجن يا جمـال ــ الى السجن يا صـــلاح » ٠

وجاءنى صاوى أحمد صاوى وأبلغنى أن يوسف صديق قد اتصل به للخروج فى مظاهرات تطالب بالانسحاب الفورى لمجلس الثورة بدلا من تأجيل ذلك الى يوليو ٠٠ ولكن العمال كانوا حريصين على قانون العمل الذى صدر ويمنع فصلهم تعسفيا ٠

وتفقت مع صاوى أحمد صاوى على اعلان الاضراب العـــام لوسائل المواصلات وكان ذلك يوم ٢١ مارس ١٩٥٤ ٠

ذهبت لابلاغ جمال عبد الناصر فقال لى « أنا غير موافق حتى أكون بريئا من دمك وذنبك ٠٠ أنا لن أستطيع معاونتك ماديا أو سياسيا ومحمد نجيب يقسم أنه سيشنقك فى ميدان الجمهورية » ٠

وبدأ تنفيذ الخطة التى تكلفت ٢٠٠٠ جنيه فقط وزعت فى الأقاليم ولم يأخذوا نقودا فى مصر ، بينما نشرت مجلة « الجمهور المصرى » تقول أن هذه الحركة صرف عليها ٥ ملايين جنيه ٠

وبدأت مظاهرات العمال واتحاد الصعيد ثم نجحت الاعتصامات والاضراب ووقف البوليس موقفا حياديا هو الذى أنجح الحركة ٠

كنت خلال ذلك أتحرك بالميكروفون أوجه العمال وانتهى الأمر الى الحد الذى حمل فيه الناس جمال عبد الناصر على الأكتاف ٠٠ وقال جمال عبد الناصر وقتها « أنا كفاية على ابراهيم الطحاوى أحكم به مصر » ٠٠ وقالت تقارير المباحث والمخابرات أن ابراهيم الطحاوى عنده تنظيم سرى هو الذى أنجح الحركة ٠

ولما كانت الثورات تأكل أبناءها حسب الأهمية ، فقد انتظرت دورى بعد نجاح هذه العملية ٠

بدأ أعضاء مجلس القيادة ينقضون على الهيئة ويسيئون الى سمعتها ورفع جمال عبد الناصر يده عنها ، وبدأ عبد الحكيم عامر يهاجمها من خلال أحمد أنور ، وقال لى صلاح سالم بعد استلامه جريدة الشعب « لقد كنت أهاجمك وأشنع عليك » ٠

هذا فى الوقت الذى لم تتجاوز فيه الميزانية الشهرية لهيئة التحرير مبلغ ٨٠٠ جنيه ، وكنا نعتمد على الجهود الذاتية للأهالى فى اقامة السرادقات والعربات ، وقد اشترت هيئة التحرير جريدة الشعب من هذه التبرعات ٠

وأثناء خطاب جمال عبد الناصر فى المنشية فى أكتوبر كانت هناك ثلاث هيئات بارزة مكلفة باحتلال مقاعد السرادق هى هيئة التحرير ومديرية التحرير والحرس الوطنى ٠٠ وقد لاحظت عدم الانضباط فى هتافات الحرس الوطنى الذى كان يردد « تحيا مصر » فى وقت كانت توجد فيه معارضة لاتفاقية الجلاء وكنا قد اتفقنا على الهتاف « يعيش جمال عبد الناصر » ٠

قطعت سلك الكهرباء عن ميكروفون الحرس الوطنى ، وتعمدنا عند وصول الوفد السودانى اخلاء مقدمة السرادق منهم ، حيث احتلتها الجماهير العادية ٠

ويومها ضرب محمود عبد اللطيف ضربته وأطلق ٨ رصاصات على جمال عبد الناصر ٠

أحرق رجال هيئة التحرير المركز العام للاخوان المسلمين واستولوا على مقارهم ، ولكن الهيئة كانت قد بدأت تتعرض لمتاعب حقيقية ، انتهت بقرار حلها عام ١٩٥٧ وتعييني مصفيا لها ، ثم تشكيل الاتحاد القومي الذى عين كمال الدين حسين مشرفا عليه ٠

وأذكر فى النهاية أن الوفد كان قد عرض على هيئة التحرير الانضمام اليه قبل أزمة مارس على أن يكون جمال عبد الناصر سكرتيرا للوفد ·· وقد عرضت ذلك على جمال عبد الناصر فرفض ·

وهـــكذا انتهت هيئـــة التحـــرير ·

دكتــور ابراهيــم ســعد الدين

عضو الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى

ومدير معهد الدراسات الاشتراكية سابقا

س ١ ـ كيف بدأت صـــلتك بحـــركة الجيش ؟

ج ١ : كنت فى بعثة دراسية بالولايات المتحدة عندما بدأت تباشير حركة الجيش تطل علينا فى سلسلة مقالات كتبها جوزيف السوب بعـد حريق القاهرة فى فبراير ومارس ١٩٥٢ تحت عنوان « من نادى الجزيرة بالقاهرة » قال فيها أن الملك فاروق فقد أهميته ، وأن الوفد حزب لا يمكن الاعتماد عليه ، وأن الأمل الوحيد فى الجيش .

وقد أرسلت وقتها مقالا لمجلة « الكاتب » التى كان يصـدرها أنصار السـلام فى القاهرة ، نشر دون توقيع ، أشرت فيه الى احتمال حـدوث انقلاب عسكرى .

وعندما قامت حركة الجيش فى ٢٣ يوليو أيدها معظم الدارسين فى الولايات المتحدة ، ولكنى بعد ذلك كنت ضد ارسال برقية تأييد لمحمـد نجيب عن مؤتمر الطلبة العرب فى ريتشموند بولاية أنديانا بمناسبة خلع الملك أحمد فؤاد الثـانى واعـلان الجمهورية يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ وذلك لاعتقادى بأن جمهورية ديكتاتورية تتساوى مع ملكية ديكتاتورية .

وبعد ذلك عدت الى مصر مدرسا فى الجامعة فى ١٨ أبريل ١٩٥٥ ، وكانت الجامعة قد فصلت عددا من الأساتذة والمدرسين عام ١٩٥٤ بتهمة الانتماء الى الشيوعيين أو الاخوان المسلمين .

وفى فبراير ١٩٥٦ اتهمت فى قضية شيوعية خرجت بعدها من الجامعة ودخلت السجن حيث أمضيت خمسة أشهر ثم أفرج عنى بعد معارضة أمام المحكمة فى ٢ يوليو ١٩٥٦ .

وكان عام ١٩٥٦ قد تميز بتأميم القناة والعدوان الثلاثى وتصـدى السلطة القائمة له ، كما كان من معالمه البارزة أيضا المؤتمر العشرون للحزب

الشيوعى السوفيتى الذى أعاد تقييم دور البرجوازية الوطنية واعتبرها حليفا للقوى العاملة ، واتخذ قرارات بمناصرة حركات التحرر الوطنى ٠

وقد أدى هذا الى جانب محاولة الثورة الصينية احتواء البرجوازية الوطنية تحت شعار « دع مائة زهرة تتفتح » ٠٠ أقول أدى هذان العاملان الى حدوث تغير من أقصى اليسار حيث الرفض الكامل الى أقصى اليمين حيث التأييد الكامل ٠

وبعد تجميد القضية التى قدمت لها عدت الى الجامعة فى أكتوبر ١٩٥٧ ثم فصلت منها ثانيا فى أبريل ١٩٥٩ بعد حركة اعتقال الشيوعيين التى بدأت فى رأس السنة ٠

وفى عام ١٩٦٣ بعد الافراج عن الشيوعيين نقلت الى وزارة التخطيط وعينت فى صحيفة الرأى بجريدة الأهرام ٠

حتى ذلك الوقت لم أكن قد اتصلت بأحد من العسكريين قادة حركة الجيش الى أن فوجئت فى ديسمبر ١٩٦٤ وأنا معزول سياسيا عن دخول الاتحاد الاشتراكى ، بتعيينى عضوا فى الأمانة العامة عندما كان حسين الشافعى سكرتيرا عاما للاتحاد ٠

س ٢ : كيف مضت حياتك السياسية داخل الاتحاد الاشتراكى ؟

ج ٢ : كان محمد حسنين هيكل هو الذى أبلغنى خبر التعيين ، وأذكر وقتهـا أننى صارحته بأننى ماركسى معزول ،فرفع جمال عبد الناصر العزل عنى ٠

وانضممت بعد ذلك لمجموعة التنظيم الطليعى بالأهرام المشكلة بجوار هيكل من لطفى الخولى ودكتور ابراهيم الشربينى ، ودكتور عبد الرازق حسن ودكتور محمد الخفيف ٠

ثم انتقلت بعد ذلك الى معهد الدراسات الاشتراكية ٠

وكانت قضية التنظيم السياسى تعتمد على أمرين ٠٠ أولهما السرية وثانيهما الاختيار ٠٠ وكان هذا فى اعتقادى هو أول تنظيم علنى على الحكومة سرى على الجماهير ٠

وكانت الأمانة لها نوعان من الاجتماعات ٠

الأول يحضره جمال عبد الناصر وكان منتظما فى الحضور غالبا ، ويعطى فيه توجيهات وللأعضاء حق السؤال فقط ٠

والثانى مع حسين الشافعى لينفذ التوجيهات التى أعطاها جمال عبد الناصر وتكون المناقشات أكثر انفتاحا وبعض الآراء قد يخالف رأى عبد الناصر ٠

ولم تكن الأمانة تصدر أى نوع من القرارات ٠٠ بل تثير أسئلة فقط يرد عليها عبد الناصر وينتهى الموضوع ٠

أذكر أن جمال عبد الناصر تخلف مرة عن حضور الاجتماع ، وحضر بدلا منه عبد الحكيم عامر فقال (نتكلم فى أى حاجة على ما قسم) ٠

وبعد أن أعيد تنظيم الأمانة العامة بعد تعيين على صبرى فى مكان حسين الشافعى ، أصبح على صبرى هو الذى يتولى رئاسة الأمانة ، ولم يعد جمال عبد الناصر يحضر اجتماعاتها ٠

وخلال ذلك ظهرت بعض الانقسامات ٠٠ بين على صبرى وكمال رفعت فى حدود نشاط أمانة الدعوة والفكر ، وبين على صبرى وعباس رضوان مسئول اتصال وجه قبلى وصاحب الصلة الوثيقة بالمشير عامر ٠

وبعد فترة توقفت اجتماعات الأمانة بعد أن ناقشت ثلاثة موضوعات هى : الشباب ، وبرنامج معهد الدراسات الاشتراكية ، وبعض ترشيحات وبدلات التفرغ لأعضاء المكاتب التنفيذية ٠٠ ثم توقف الأمر عند هذا الحد دون مناقشة قرارات لجنة تصفية الاقطاع على سبيل المثال ٠

واستمر الوضع كذلك حتى هزيمة ٥ يونيو عندما عين على صبرى وزيرا ، وعبد المحسن أبو النور أمينا مساعدا ٠

وكان رأى اليسار خلال هذه المرحلة أن جمال عبد الناصر يسير فى طريق التحول ولكن هناك قوة معادية له ٠ وأن دخول اليسار الى التنظيم يتيح فرصة للصراع الداخلى يدفع خط التحول الاشتراكى الى الأمام ٠

ورغم أن جهاز السلطة فى مجموعه لم يكن جهازا اشتراكيا الا أن وجود عبد الناصر فى السلطة كان هو الضمان للعناصر التقدمية والثورية وأنه كان يفتح لها مجال النضال دون خوف انقضاض السلطة عليها ٠

ولكن بعد الهزيمة تغيرت هذه النظرة وبرزت حقيقتان :

الأولى : قلة تقدير قوة البرجوازية الموجودة فى السلطة ٠

الثانية : زيادة تقدير قوة العناصر اليسارية داخل السلطة ٠

ثم أثبتت انتخابات الاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦٨ أن جمال عبد الناصر لم يعد على رأس قوى التغير الاجتماعى ٠

ابراهيم فرج

سكرتير مساعد الوفد سابقا

ووزير الدولة

س ١ : تبلورت حركة الضباط الأحرار أثناء حكم وزارة الوفد الأخيرة ٠٠ وبدأت فكرة الانقضاض على نظام الحكم بعد حريق القاهرة واقالة الوزارة الوفدية ٠

هل كانت هناك صلة ما بين الوفد وضباط الجيش ؟

ج ١ : فى حدود علمى لم تكن هناك صلة مباشرة بين زعيم الوفد مصطفى النحاس وبين أحد من ضباط الجيش ، ذلك انه كان مؤمنا بالشعب والدستور والديموقراطية ، وكان مؤمنا أيضا بأن قيادات الجيش كانت تتحرك وتأتمر بأوامر السراى التى دخل النحاس معها فى خلافات شديدة طوال حياته من أجل المحافظة على الدستور ٠

وفى حدود علمى أيضا أن منشورات الضباط الأحرار لم تتعرض لحكومة الوفد الأخيرة التى ألغت المعاهدة ، وشجعت الكفاح الشعبى المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانى فى القناة ، واتخذت موقفا تقدميا نابعا من شخصية النحاس الذى كان أكثر عناصر الوفد تقدما ، وأسلمها شرفا ، فقد مات وهو لا يملك شيئا وبيع عفشه فى المزاد ، وكل ما كان يمتلكه هو منزل والده فى سمنود الذى باعه بعدة آلاف أعطاها لزوجته ٠

كلف مصطفى النحاس وزير التجارة والتموين أحمد حمزة بعقد معاهدات تجارية مع الاتحاد السوفيتى ، وكان غرضه من ذلك هو اشعار الرأى العام المصرى بأن الوفد يتحرك وأنه ليس خاضعا للعناصر الاقطاعية والرأسمالية فيه ، كما أنه كان يقول بأنه يجب أن يكون لنا صديق ، حتى لا ييأس الرأى العام المصرى ٠

وقد حرص النحاس على أن تتم اجراءات الغاء المعاهدة فى سرية تامة حتى انه حجبها عن أحد الوزراء (حسين الجندى) خوفا من تسربها للسراى أو البريطانيين ٠

كما أن فؤاد سراج الدين سكرتير عام الوفد ووزير الداخلية حاول الحصول على أسلحة للبوليس من بعض الدول الاشتراكية ، ولا شك أن هذا كان بموافقة مصطفى النحاس ٠

س ٢ ـ ما هى اذن ـ فى رأيك ـ العوامل التى أدت الى وقوع النزال بين الوفد وضباط الجيش ؟

ج ٢ ـ عندما وقعت حركة الجيش كان مصطفى النحاس فى جنيف وقد عاد فور سماعه بأخبارها على أول طائرة ، وكانت هذه هى أول مرة يركب فيها طائرة فى حياته ٠

وكان النحاس مبتهجا فعلا بقيام الحركة ، ولكنه ظل محافظا على ايمانه بالشعب والدستور ٠

وبعد أن ذهب مصطفى النحاس ومعه فؤاد سراج الدين لتهنئة رجال الثورة فى القيادة بكوبرى القبة ، فان أحدا لم يتصل به منهم ، وحمل فؤاد سراج الدين مسئولية الاتصالات ٠

والواقع أن مصطفى النحاس كان قد بلغ من العمر سنا لا يسمح له بالحركة الشديدة كما أن الوفد كان قد تجمد فلم تدخله عناصر شابة فكان أعضاؤه فوق الستين وهم سيد بهنسى ومحمد المغازى وفهمى حنا ويصا وعبد السلام جمعة وعبد الفتاح الطويل وعلى زكى العرابى وعثمان محرم وأحمد حمزة ومحمد سليمان الوكيل ٠٠ وذلك اذا استثنينا فؤاد سراج الدين ومحمود سليمان غنام ٠

وكان مصطفى النحاس قد أصدر قرارا عام ١٩٥٠ بتشكيل (لجنة اعادة تكوين الوفد) من فؤاد سراج الدين وعبد السلام جمعة وعبد الفتاح الطويل ولكنها لم تنجز شيئا فقد غلبتها حركة الأحداث اليومية ٠

وربما أثر هذا الوضع فى أسلوب التعامل مع ضباط الحركة ، لانهم فعلا كانوا من جيلين مختلفين فى العمر والتقاليد وأسلوب التفكير ٠

وقد تأثرت اتصالات فؤاد سراج الدين مع ضباط الحركة ببعض ما نشرته صحف أخبار اليوم من أخبار مدسوسة هدفها الوقيعة بينه وبينهم ٠

وقد ساعد على ذلك أن المناقشة كانت تدور حول قانون الاصلاح الزراعى وهو ما اعتبرته الحركة حجر الأساس لانطلاقها ، ولكن الوفد

ـ على غير ما أشيع ـ لم يتخذ قرارا برفض مشروع الاصلاح الزراعى ٠٠ بل العكس هو الصحيح ٠

برنامج الوفد الذى أصدر مصطفى النحاس تكليفا لى وللدكتورين رياض شمس ومحمد مندور باعداده كان يتضمن موافقة صريحة على المشروع بل وتأييدا له ٠٠ وكان هذا البرنامج تطورا جديدا فى أسلوب الوفد ، حيث كانت برامج الوفد تنبع من قرارات مؤتمراته الوطنية التى عقدت فى أعوام ١٩٢٨ ، ١٩٣٥ ، ١٩٤٣ والتى كان صداها يظهر فى خطب عيد الجهاد (١٣ نوفمبر) التى يلقيها مصطفى النحاس ٠

ولا شك أن من أهم العوامل التى أدت الى النزاع بين الوفد وضباط الجيش تسرع ضباط الحركة فى اعتقال فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد ، الأمر الذى أثار مصطفى النحاس ، وجعله يصدر قرارا بضمى أنا ومحمد صلاح الدين لعضوية الوفد ، مع تعيينى سكرتيرا عاما مؤقتا لحين الافراج عن فؤاد سراج الدين ٠

تطورت الأمور بعد حركة الاعتقالات ولم يعد سهلا رأب الصدع ، بينما كان ممكنا لحركة الجيش أن تعزل عن العمل السياسى كل الذين يطبق عليهم قانون الاصلاح الزراعى فيتهاوى معظم أعضائه ولا يبقى الا مصطفى النحاس وأبناء الجيل الجديد المتناسب فكرا وعمرا مع ضباط الحركة ٠

س ٣ : كيف مضت الأمور بعد وقوع النزاع بين الوفد وحركة الجيش ؟

جـ ٣ : لم يكد يصدر القرار بتعيينى سكرتيرا للوفد حتى اعتقلت بعدها بعدة شهور ثم صدر قرار تنظيم الأحزاب ، واتخذ سليمان حافظ موقفه المعروف من مصطفى النحاس برفض تعيينه رئيسا للوفد أو رئيس شرف له تبعا للقانون ٠

وأحاطت عناصر التوفيق بمصطفى النحاس مثل عبد السلام جمعة الذى كان مخدوعا من رجال الثورة حيث أفهموه بأنه يجب أن يكون الرجل الثانى المؤهل لقيادة الوفد ، والدكتور طه حسين الذى كتب بيان تنحى مصطفى النحاس ٠

ثم صدر قرار بحل الأحزاب ، وتقديم السيدة زينب الوكيل لمحكمة الغدر وتحديد اقامة مصطفى النحاس ، وتقديمى لمحكمة الثورة التى مثلت أمامها فى محاكمة سرية بلا اتهام ولا ادعاء ٠٠ أنا وأعضاء المحكمة وزكريا محيى الدين فقط ، وفوجئت بأنهم يتحدثون عن الاتصال بشخصيات أجنبية واذا بهم يقصدون الاتصال بنهرو الذى أصر على مقابلة النحاس عند زيارته لمصر ، وقد حاول النحاس الاعتذار له عن طريق سفير الهند عن عدم المقابلة

منعـا للاحراج ، ولكن نهرو أبلغ السفير بأنه لن يزور مصر اذا لم يقم بزيارة النحاس ، وفى هذه الزيارة أفاض مصطفى النحاس فى شكواه من تصرفات رجال الجيش ٠

وكان مصطفى النحاس يقول : (الجيش مثل وابور الزلط لا شىء يقف أمامه الا ما هو أقوى منه٠٠وهذه القوة هى شعب مؤمن بالديموقراطية والدستور ، وهو الأمر الذى اهتز كثيرا خلال حكم أحزاب الأقلية) ٠

حكمت محكمة الثورة على بالمؤبد بعد دفاعى عن السيدة زينب الوكيل ثم أفرج عنى فى يناير ١٩٥٦ ثم أعيد اعتقالى بعد عدوان ١٩٥٦ وأفرج عنى فى منتصف فبراير ١٩٥٧ ، ثم اعتقلت للمرة الثالثة بعد الانفصال أنا وفؤاد سراج الدين حيث بقينا حتى فبراير ١٩٦٢ ٠

الاســـم :	**أحمــــد أنــــور**
تاريخ الميلاد :	**يناير ١٩١٧**
مهنة الوالد :	**قاضى**
الأمـــــلاك :	**١٤ فدانا وعمارة ٤ أدوار**
متخرج فى :	**الكلية الحربية ١٩٤٨**
الرتبة وقت الحركة :	**بكباشى**
آخــر منصب :	**قائد الشرطة العسكرية بالجيش ثم وزير برئاسة الجمهورية**
العمل الآن :	**المعـــــاش**

س ١ ـ ما هو نشاطك السياسى قبل حركة ٢٣ يوليو ؟

ج ١ : لم يكن لى نشاط سياسى بالمعنى المعروف ، ولكن كانت لى ميول اخوانية وكنت أحضر اجتماعات مع على الدلة عضو مكتب الارشـــاد بجمـــاعة الاخوان المسلمين ، الى أن التقيت بجمال عبد الناصر مصادفة عام ١٩٥١ وكنت صديقا له ولم أره من ثلاث سنوات ، فسألنى عما اذا كانت منشورات الضباط الأحرار تصلنى ، فقلت له « نعم ٠٠ ولكنى ألقيها فى الزبالة » ، ولما استفسر منى عن السبب قلت له لان القائمين بها شوية عيال ٠٠ وهنا قال لى « أنا من الضباط الأحرار ٠٠ من الذى لا يعجبك ؟ » فقلت له « مصطفى كمال صدقى » ، وصمت جمال ولم يعلق ولكنه أخذ يفسر لى أهداف الضباط الأحرار قائلا « مهما كانت عقيدتهم السياسية أو الذين بدون عقيدة ، فان أمامهم غرضا واحدا هو اخراج الانجليز ٠٠ وبعد تحقيق هذا الغرض ، يصبح لكل منهم الحرية فى أن ينضم الى حزبه » ، وضرب لى مثلا بحركة المقاومة الفرنسية ٠٠ ومنذ ذلك اليوم أصبحت عضوا فى تنظيم الضباط الأحرار ومهتما بالشئون السياسية ٠

ولم يصرح لى جمال عبد الناصر بأنه كان الرئيس المنتخب للهيئـــة

التأسيسية ٠٠ ولكني سمعت شكواه من رشاد مهنا الذى رفض استلام التنظيم طالبا الانتظار حتى يترقى الى رتبة « اللواء » ٠

س ٢ : معروف أنك اتصلت بفؤاد سراج الدين سكرتير الوفد ٠٠ ما هى تفاصيل هذه المقابلة ؟

ج ٢ ـ كان جمال عبد الناصر يحاول الاتصال بكافة القوى السياسية وكان من عادته أن يعرض الأمر دون تكليف ، حتى يتطوع من أمامه بالعمل، فاذا لم يتطوع صرف النظر ٠

وكان جمال يشكو من أنه حاول أن يعرف مدى ما يمكن أن يقدمه الوفد للضباط الأحرار من مساعدة ، اذا تحرك الضباط الأحرار ، وذلك عن طريق رشاد مهنا الذى رفض أن يقوم بهذه المهمة ، وتطوعت للاتصال بفؤاد سراج الدين ٠

وطلبت من جمال القاضى أحد الضباط الذين كنت أجتمع بهم مع شمس بدران ووجيه رشدى أن يرتب لى مقابلة مع سراج الدين عن طريق قريبه محمود عبد اللطيف ٠

وتم الاجتماع فعلا فى أوائل ١٩٥٢ مع فؤاد سراج الدين وجمال القاضى وشقيقه فاروق القاضى الذى كان يعمل سكرتيرا لسراج الدين ٠

وقد حذرنى جمال عبد الناصر من الارتباط بأى شىء ، لان هناك زملاء يجب الرجوع اليهم ، ولان فؤاد سيحاول معرفة معلومات ولا يعطى شيئا ٠

واستمر الاجتماع ثلاث ساعات ، وكان سراج الدين وقتها وزيرا للداخلية والمالية والحربية بالنيابة ، وقد حاول أن يعرف منى اسم زعيم الحركة الذى يمكن أن يكون مؤهلا لمنصب رئيس أركان الحرب ، فخدعته وقلت له « محمد سيف اليزل خليفة » ٠

ودهشت عندما سألنى عن ضباط الفرسان ٠٠ ولم أصرح له بشىء فقد حاولت أن ألف وأدور معه ٠٠ وقد حملت له الصمت كجميل فقد كان ممكنا له بعد هذه المقابلة أن يضرنى ٠

وكانت هى المقابلة الأولى والأخيرة معه قبل الثورة ، فقد قام حريق القاهرة ، وخرج الوفد من الوزارة ، وفهم جمال عبد الناصر أن الوفد لن يكون معاديا لأى حركة ٠

س ٣ : ماذا كان دورك ليلة ٢٣ يوليو ؟

ج ٣ ـ علمت من عبد الحكيم عامر الساعة الخامسة مساء يوم ٢٢ يوليو أن الحركة سوف تقوم فى نفس الليلة ، وعندما استفسرت منه عن سبب التأخير فى ابلاغنا ، قال أنهم اضطروا لسرعة التحرك لظروف الأمان وقد كلفت باعتقال اللواء على نجيب وحافظ موافى ٠٠ ولكننى بدلا من اعتقال على نجيب قائد قسم القاهرة ، قمت باحتلال القسم فى منتصف الليل تماما وهو ساعة الصفر المحدد للعملية ٠

وبعد احتلال القيادة ذهبت لمقابلة جمال عبد الناصر ، وعندما رأيته هممت بتقبيل يده فلم يكن عندى أمل فى نجاح الثورة ، وقال لى جمال عبد الناصر وهو يكلف عربة رئيس أركان الحرب مع جمال حماد وسعد الدين توفيق بالذهاب الى محمد نجيب « لنقم بالثورة حتى لا يقال أنه لم يكن فى مصر رجال عام ١٩٥٢ ، ولو فشلنا فى تضحياتنا سوف تأتى ثمارها » ٠٠ كانت هذه ـ فى رأيى ـ أجمل أيام حياتنا ٠٠ الكل رجال ولا شىء يشغلنا سوى التضحية من أجل مصر ٠

بقيت محتلا لقسم القاهرة حتى يوم ٢٦ يوليو عندما أبلغنى جمال عبد الناصر بخروج الملك ، وطلب منى الذهاب الى عابدين لحماية السراى حيث ستكون قوات المدفعية تحت قيادتى ٠٠ وعندما كنت أتحدث فى تليفون السراى وأقول « الملك السابق » كان عامل التليفون يخرج هاربا ٠

وقد خرجت فى عربة اشارة بميكروفون كان فيها الحاج رفعت حسنين « وكيل المخابرات العامة الآن » وطفت بأحياء زينهم والسيدة زينب والخليفة أبلغهم بخروج الملك مطالبا بالهدوء ، وفى ذهنى صورة حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ، حتى ضاع صوتى ، فعدت للقيادة فى منتصف الليل ، حيث وجدت الملحق العسكرى البريطانى الذى علمت منه أنه قد حضر مهنئا بالثورة حاملا تهنئة جلالة الملكة ، مطالبا بالمحافظة على أرواح الأجانب ، وعندما أبلغت ذلك الى جمال عبد الناصر ، رفض مقابلته وأعطى تعليمات بعدم الاهتمام به قائلا « هما حيحطوا علينا ولاية » ٠٠ وانتظر الملحق العسكرى البريطانى لمدة ساعة ثم انصرف لعدم مقابلة أحد له تنفيذا لأوامر جمال ٠

وبدأت عمليات القبض على كبار ضباط البوليس ، وتولى أنور السادات مسئولية جنوب القاهرة ، لانه كان يريد القبض على اللواء امام ابراهيم ، وشكلت « مجموعة قبض » من كمال رفعت وزغلول عبد الرحمن ومحمد نصير قبضت على أحمد طلعت ، ومحمد يوسف والجزار ٠

وعينت بعد ذلك قائدا للبوليس الحربى ٠

س ٤ : أنت متهم بتعذيب المعتقلين ٠٠
ما هى أقوالك ؟

ج ٤ : لم يحدث تعذيب للمعتقلين مطلقا بوساطة البوليس الحربى كان ذلك يتم فى السجن الحربى ٠٠ بمعرفة حمزة البسيونى ، وعندما علمت بما يحدث طلبت حمزة البسيونى لمقابلتى فرفض الحضور ، وأبلغت جمال سالم بذلك ، ثم تخليت عن وضع السجن الحربى تحت اشرافى ٠

ان جميع الضباط والسياسيين الذين وضعوا فى المعتقل تحت اشراف البوليس الحربى لم يعذبوا اطلاقا ٠٠ بل ان محمود عبد اللطيف الذى اعتدى على جمال عبد الناصر أمضى أيامه بعد الاعتداء فى غرفة ملحقة بمكتبى ولم يدخل السجن ٠

س ٤ : هل تذكر تفاصيل هذا الحادث ؟

ج ٤ : كان الجو غير ملائم لاجتماع المنشية فى الاسكندرية ، وقد فوجئنا باطلاق النار على جمال عبد الناصر وتم اعتقال محمود عبد اللطيف وقد اعتدى عليه بعض الضباط بالضرب ، ولكنه رفض الاعتراف رغم أن كمال رفعت هدده بضرب الطبنجة حوله ٠

وعندما أمرت بتغيير هدومه وغسيل وجهه بدأ يعترف بجرأة وشجاعة وكان مثالا للمصرى الذى لا يخشى فى الحق شيئا ، وقد قال صراحة أنه اعتدى على عبد الناصر مقتنعا أن اتفاقية الجلاء لم تكن لصالح البلد وأن معاهدة ١٩٣٦ أحسن منها ٠٠٠ وبعد مناقشة طويلة اقتنع بخطأ رأيه ونقم على المحامى هنداوى دوير الذى ضلله ٠

وعندما فكرت فى ارسال عشرة جنيهات لزوجته ، قال لى جمال عبد الناصر « خليهم ١٥ جنيها كل شهر » ٠

س ٥ : ما هو دورك فى ازمة مارس ١٩٥٤ .

ج ٥ : البوليس الحربى كان بعيدا عن الشارع فى هذه الأزمة ، ولكنى مع عدد آخر من الضباط قاومنا فكرة انسحاب مجلس قيادة الثورة بعد حضور جمال عبد الناصر اجتماع ضباط السوارى ، وأصدرت أوامر باعتقال كل ضباط السوارى المتجهين فى عربات الجيش للسلاح ، كما أخرج وجيه أباظة طيارات سلاح الطيران ، وأحضر أبو الفضل الجيزاوى المدفعية المضادة للدبابات لمحاصرة سلاح الفرسان ٠

تراجع مجلس قيادة الثورة عن قراره بعد أن أحطنا بهم ورفضنا تنفيذ تعليماتهم باذاعة قرار الانسحاب ، وأذكر أن المشير عامر هددنا باطلاق الرصاص على نفسه اذا قامت حرب بين وحدات الجيش ، كما

أذكر ان صلاح سالم كان قد حضر لى فى مكتبى بالبوليس الحربى وقال لى اعتبرنا معتقلا هنا اذا لم يخرج محمد نجيب باعتباره رجلا ليس له مبدأ ٠

وكان جمال عبد الناصر يقول (البلد ستفقد ثقتها فينا وفى الثورة اذا نزعنا محمد نجيب) ٠٠ وقد فكر فى وقت ما أن يستقيل ويترك الحكم لنجيب لمعرفة أسلوبه فى تنفيذ وعوده المختلفة ٠

وبعد قرارات ٢٥ مارس واضراب عمال النقل بعد دفع فلوس لصاوى أحمد الصاوى ، أذكر أنه كان قد حشد بعض العمال لاستقبال عبد الناصر بعد عودته من باندونج وسب مأمور مصر الجديدة الذى أراد تنظيم الاستقبال ، وهنا طلبت منه تبطيل المواصلات ، ففوجئت برفضه وقوله (انتو عملتوا لنا أيه) ولم أتمالك نفسى (فلهفته قلمين) ٠٠ وقد أغضب موقفه جمال عبد الناصر ٠

س ٦ : ما هو تطور دورك فى التعاون مع حركة ٢٣ يوليو ؟

جـ ٦ : صدر قرار بتوزيع البوليس الحربى على فرق الجيش المختلفة ، تبعا للنظم المعمول بها فى الجيوش المتقدمة ، ولكنى رفضت الاستجابة للقرار ، وذهبت الى منزلى ، حتى فوجئت بتعيينى وزيرا فى الوزارة الاتحادية أيام الاتحاد مع سوريا واليمن ٠٠ وأذكر من كلمات جمال عبد الناصر فى هذا اللقاء بعد فترة غياب طويلة قوله لى :

ــ كلكم بتتآمروا عليه وتغضبوا منى ، وأنا كل يوم قاعد آكل جبنة على الطرابيزة دى ٠

ــ أعضاء البرلمان فاكرين انهم سند لى ٠٠ الحقيقة أنا سند لهم ٠

ــ أنا مش عاوز حد يكلمنى عن انسان بياخد أكثر من ٣٠ جنيه باعتباره مسكينا ٠٠ احنا مشكلتنا من لا يجد الغذاء والكساء ٠

وبعد انفضاض الاتحاد عينت سفيرا فى مدريد ٠ ثم كوبنهاجن ثم وزيرا فى القصر الجمهورى وأخيرا الى المعاش ٠

الاسم :	**أحمد حمروش**
تاريخ الميلاد :	**٤ سبتمبر ١٩٢١**
مهنة الوالـد :	**رئيس محكمة شرعية**
الامــلاك	**٤٠ فدانا**
متخرج في :	**الكلية الحربية**
الرتبة وقت الحركة :	**يوزباشي**
آخر منصب :	**رئيس تحرير روز اليوسف**
العمل الآن :	**كاتب بروز اليوسف**

س ١ : ما هو نشاطك السياسي قبـــل حركة ٢٣ يوليو ؟

ج ١ : انتميت الى مصر الفتاة أثناء الدراسة في المدارس الثانوية ، ورفت رفتا نهائيا عام ١٩٣٥ وأنا تلميذ في السنة الثانية بمدرسة التوفيقية الثانوية أثناء مظاهرات المطالبة باعادة دستور ١٩٢٣ وعدت مع عـودته ومعي خمسة وثلاثون تلميذا من المدرسة ·

وعندما دخلت الكلية الحربية عام ١٩٣٩ انقطعت صلتي بمصر الفتاة وبعد أن تخرجت عام ١٩٤٢ ارتبطت بحركة كان يدعـو اليها البكباشي محمد كامل الرحماني لمقاومة البريطانيين اذا ما انســحبوا أمام الغزو النازي ومنعهم من تدمير منشئات مصر الحيوية ، ولكن معركة العلمين حسمت هذا الموقف وانحسرت موجة الهجوم النازي ، واعتقل البكباشي الرحماني ·

وبدأ الموقف يتركز على الوجود البريطاني في مصر ، ومرت بي فترة حيرة ورغبة في الانتماء الى تنظيم مقنع يناضل ضد الاستعمار ، وكانت فترة حكم الوفد قد جذبت نظري الى قراراته الاجتماعية العادلة ، وما أن انتهت الحرب العالمية الثانية وأقال الملك حكومة الوفد ، حتى قدم محمد خطاب عضو مجلس الشيوخ مشروعه وقانونه لتحديد الملكية بخمســين

فدانا ، فكتبت اليه خطابا استفسر فيه عن أبعاد هذا المشروع ٠٠ فدعانى الى منزله ، حيث تعرفت بقائد تنظيم شيوعى كان يعرف باسم « القلعة » وتوطدت بيننا العلاقة ووجدت فيما يقدمه لى من كتب وافكار اجـــابة على ما كان يحيط بى من غموض وتساؤلات ٠

ومنذ ذلك اليوم من أيام ١٩٤٥ ارتبطت بالتنظيمات الشيوعية حتى تكونت (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى) ثمرة لوحدة هـــذه التنظيمات ٠ وتشكل قسم خاص للجيش ، كنت فيه مسئولا سياسيا فى لجنة قيادية كانت تضم بعض صولات وصف ضباط الطيران (واستطاعت (حدتو) أن تجند عددا ملحوظا من الضباط وصف الضباط وأن تصـــدر منشورات بتوقيع (رجال الجيش) ، وعندما بلغنـــا تكوين (الضـــباط الأحرار) عن طريق خالد محيى الدين عضو اللجنة التأسيسية ، والمنتمى الى قسم الجيش فى حدتو أيضـــا ، ناقشنا أســـلوب التعاون معهـــم ، ووجدنا ضرورة دعم هذه الحركة الوطنية بكل الطاقات ، وكلف أحمـــد فؤاد الذى كان قد أصبح مسئولا ثقافيا للجنة قسم الجيش بأن يكون حلقة الاتصال مع جمال عبد الناصر وكل من يرتبط به من الضـــباط الأحرار ٠ وقد اســـتطاع أحمد فؤاد أن يكتسب ثقته ، وأن يظهر له صدق تنظيمنا فى التعاون ، وخاصة بعد حريق القـــاهرة ، حيث كانت (حدتو) تقوم بطبع وتوزيع المنشورات ، وكتابة عدد منها ٠

واستمر نشـــاط قسم الجيش سريا ، وكلف بعض أعضـــائه ، بالانضمام للضباط الأحرار ، الذى كانوا أقرب ما يكون الى جبهة تضم مختلف الاتجاهات الوطنية ، وقد لعب جمال عبد الناصر الذى تعرفت به عن طريق أحمد فؤاد دورا بارزا فى كسب ثقة الضـــباط الأحـــرار ، وحشدهم جميعا فى تنظيم واحد مستقل ، له أهداف وطنية يتفق عليها الجميع مهما اختلفت مدارسهم الفكرية ٠

س ٢ : كيف عرفت بحركة ٢٣ يوليو
وما هـــو دورك فى هـــذه الليـــلة ؟

ج ٢ : لم يكن تعاون ضباط حدتو مع الضباط الأحرار قائما على أساس التفكير الانقلابى ، ولكنه كان قائما على اعتبار أن الجيش فصيلة من فصائل الشعب ، وأن العمل السياسى فى داخله يســـتهدف حماية الحركة الشعبية وعدم التعرض لمدها الصاعد ، كما حدث فى عام ١٩٤٦ عندما أخرج صدقى باشا قوات الجيش « طوارىء » لضرب حركة (اللجنة الوطنية للطلبة والعمـــال) التى اشعلت المظاهرات فى الجامعة وبعض المناطق العمالية مثل شبرا الخيمة ، واتفق الضباط من مختلف الاتجاهات السياسية على عدم اطلاق الرصاص على أية مظاهرات شعبية ٠

ولذا كانت مفاجأة لى عندما قابلت جمال عبد الناصر يوم ٢٢ يوليو فى الخامسة والنصف مساء أمام منزله ، بعد استدعائه لى بوساطة ارسال شقيقيه عز العرب وشوقى الى منزلى فى سبورتنج بالاسكندرية يوم ٢١ يوليو ٠

كانت مفاجأة لى قوله ان الجيش سيتحرك فى نفس الليلة لتقديم مطالب للملك ، فاذا لم يستجب لها قررنا النظر فى أمره ـ على حد تعبيره ـ وعلمت منه أنه كانت هناك ظروف ضاغطة ملحة تستدعى سرعة التحرك ٠ خوفا من أن يسبقهم الملك فى ضرب الضباط الأحرار ٠

وكلفنى جمال عبد الناصر بالاتصال بالضباط الأحرار فى الاسكندرية وكان قد سبق له أن اجتمع فى منزلى مع الشهيد صلاح مصطفى الملحق العسكرى الذى انفجرت فيه قنبلة اسرائيلية بعد ذلك فى عمان والصاغ عبد الحليم الأعسر وكنت قد جندتهما للضباط الأحرار ، وطلب منى أن نحافظ على منطقة الاسكندرية دون تحريك أية قوات ، وذلك حتى لا تبدو متنافرة مع حركة القوات فى القاهرة ٠٠ وبالاستفسار منه ترك المبادرة لنا تبعا للظروف التى يمكن أن تقوم ٠

وكان موجودا فى الاسكندرية قوات موالية للملك مثل الحرس الملكى وسلاح البحرية وخفر السواحل الى جانب تواجد حيدر باشا مع الوزارة وتأثيره على قادة الوحدات من الرتب الكبيرة ٠

عدت الى الاسكندرية فوصلتها حوالى منتصف الليل ، وذهبت فورا الى رئاسة الالاى الثانى أنوار كاشفة ، ووجدت أن صلاح مصطفى كان فى أجازة بالمنصورة بمناسبة زواج شقيقه وان عبد الحليم الأعسر كان فى أجازة أيضا ٠

وسرعان ما حضر قائد الالاى بكباشى جمال سلطان بناء على اشارة أرسلت الى قادة الوحدات من قيادة القوات فى مصطفى باشا ٠

ولم أجد سبيلا سوى الاتصال الشخصى ببعض المتعاطفين من الضباط الوطنيين واستدعيتهم للحضور فحضروا قبل الفجر ٠

وصارحت قائد الالاى بأن الجيش قد تحرك فى القاهرة تحت قيادة اللواء محمد نجيب للمطالبة ببعض المطالب الخاصة ، ووجدت منه استجابة وتفهما للوضع ٠٠ ومع ذلك فقد أعددت مع بعض الضباط خطة لمجابهة أى خطر قد نتعرض له ، وذلك باعتقال قادة التشكيلات اذا وجدنا منهم تصرفا مضادا للحركة ٠

وما أن أذيع البيان الأول حتى توافد علينا الضباط وأغلبيتهم أيدوه فى حماس ٠

وشعرت باطمئنان شديد لأني وجدت تيارا وطنيا متدفقا يتيح لنا التصرف المناسب بمبادرات خاصة أمام أى حركة مضادة ٠

واستدعى قادة الوحدات الى مقابلة حيدر باشا فى التاسعة صباحا ، وأعطانا ذلك فرصة ذهبية للسيطرة على الوحدات ٠

وعلمنا منهم بعد عودتهم أن حيدر باشا قد أبلغهم بحركة الجيش فى القاهرة ، وقرار الوزارة بالاستقالة ، وطلب منهم مراقبة الموقف ، ومحاولة تثبيت أوضاعهم القيادية ٠

ولكنهم عندما عادوا وجدوا موقفا جديدا من الضباط الذين تكتلوا ، وأجمعوا تقريبا على تأييد اللواء محمد نجيب الذى صدر البيان الأول باسمه ، وحاول بعضهم مثل قائد اللواء الثانى المضاد للطائرات أن يأخذ موقفا معارضا باعطاء تعليمات للمدفعية المضادة بضرب الطائرات ٠٠ فلم نجد بدا من مطالبته بالذهاب الى منزله حتى لا نعتقله فرضخ فى هدوء ٠

وتحول قادة الوحدات ــ من رتبة البكباشى ــ الى شبه أسرى ، وأخذ البعض منهم موقفا ايجابيا فى التأييد ٠

ودعوت الى عقد مؤتمر للضباط فى الالاى الثانى أنوار كاشفة حضره عدد كبير من ضباط المشاة ومدفعية السواحل الى جانب ضباط المدفعية المضادة للطائرات ، وكان عبد الحليم الأعسر قد حضر فور سماعه للبيان الأول ٠

وفى هذا المؤتمر شرحت ما قام به الجيش فى القاهرة ، ووجدنا أنه من الضرورى تعيين قيادة جديدة للمنطقة بعد ابعاد كبار الضباط ، والحقيقة أن موقف حيدر باشا لم يكن ايجابيا وفعالا فى معارضة الحركة ، فقد علمنا أنه قد تغيب عن مكتبه ٠

واختار الضباط البكباشى عاطف نصار قائدا للمنطقة وعبد الحليم الأعسر أركان حرب لها بعد أن أبلغتهم أن هذا الاختيار لا يعتمد على الرتبة أو الأقدمية وانما على حسن الاختيار والسمعة الشخصية ٠

وعقب الاجتماع مباشرة اتصل بى اللواء محمد نجيب والبكباشى جمال عبد الناصر من القاهرة ، وأبلغت الأول أن كل شىء يمضى على ما يرام فطلب منى مراقبة طريق مرسى مطروح لاحتمال هروب اللواء حسين سرى عامر الى هناك ، ورويت لجمال عبد الناصر تفاصيل ما حدث ، وموقف التأييد الكامل من صغار الضباط ، فأبلغنى بضرورة اليقظة وتفادى الصدامات التى لا مبرر لها ٠

ويمكن القول ان الأمور قد استقرت فى الاسكندرية سريعا على أساس تأييد الحركة فى القاهرة ، وان البيان الأول كان له مفعول سحرى فى التأثير على الضباط وتحديد موقفهم ، وان الاسكندرية قد حققت الغرض المطلوب منها وهو أن تأخذ موقفا غير متعارض مع قوات القاهرة ، والبعد عن استفزاز القوات الموالية للملك تحاشيا لحدوث مصادمات غير مطلوبة ٠

وبقيت مع عدد من الضباط ساهرا طوال الليل للتأكد من سلامة الموقف وأشرق صباح ٢٤ يوليو والأمور قد أصبحت أكثر استقرارا وخاصة بعد استقالة نجيب الهلالى وتكليف على ماهر مرشح الجيش بتشكيل الوزارة ٠

ويبدو أن مجلس القيادة فى مصر كان قد استقر رأيه على ضرورة عزل الملك ، وبدأت بعض القوات تتحرك من القاهرة الى الاسكندرية التى كانت القوات فيها محدودة (لواء مضاد للطائرات ولواء سواحل ومقدمة لواء مشاة وبعض وحدات للخدمات) بينما كانت هناك قوات ما زالت تحت قيادة قواد يؤيدون الملك مثل سلاح البحرية وخفر السواحل ٠

كان البكباشى عاطف نصار قد طلب ذلك بصفته مسئولا مؤقتا عن المنطقة ، ووصل الينا يوم ٢٥ وحدات من الجيش ومعها اللواء محمد نجيب والبكباشى يوسف صديق والبكباشى أنور السادات والبكباشى عبد المنعم أمين والبكباشى زكريا محيى الدين وقائد الجناح جمال سالم والبكباشى حسين الشافعى وحضر أيضا يوم ٢٦ البكباشى رشاد مهنا ٠

ووضحت خطة عزل الملك وقد علمت بها من الزملاء الذين حضروا من مصر ، وقد تولى مسئوليتها القوات الوافدة من القاهرة ٠

س ٣ : كيف مضت الأمور بك بعد ذلك ؟

ج ٣ : لما كانت حركة الضباط الأحرار قد تشكلت من مجموعات مختلفة انضمت جميعا فى تشكيل واحد خلف قيادة جمال عبد الناصر ، فان صلة الضباط الأحرار بالاسكندرية رغم انهم كانوا من المدفعية كانت بعيدة عن زملائهم من ضباط المدفعية فى مصر ٠

ولذا فوجئت فى احدى نشرات المدفعية التى كانت تصدر هى ونشرات الجيش تباعا دون تدقيق كبير فى الأيام الأولى للحركة ٠٠ فوجئت بنقلى الى القاهرة ، فاتصلت بجمال عبد الناصر الذى بادر بنقلى الى ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة لما كان يعلمه عنى من عمل سابق فى الصحافة كان يظهر فى صورة مقالات أو قصص وموضوعات مترجمة ٠

كان قائد الجناح وجيه أباظة هو قائد الشئون العـــامة ، وكانت تراودني فكرة اصدار مجلة تكون معبرة عن حركة الجيش ، وعرضت الفكرة على جمال عبد الناصر الذى كانت صلتى به أكثر وثوقا من غيره ، تقديرا لشخصيته وفكره ودوره ، فوافق عليها ٠

وبدأت التنفيذ فورا وليس لدينا فى ادارة الشئون العامة التى كان يتولى مسئوليتها الادارية الزميل اليوزباشى مصطفى بهجت بدوى ميزانية للتنفيذ ٠٠ ومع ذلك لم أتردد واتفقت مع مجموعة من الزملاء والأصدقاء هم عبد المنعم الصاوى وعبد الرحمن الشرقاوى وحسن فؤاد وصلاح حافظ وعبد الغنى أبو العينين وسعد التايه وسعد لبيب وفتحى غانم ويوسف ادريس على التعاون معا ، واستطعنا اصدار المجلة بعد ١٥ يوما فقط من التفكير فيها ، وعاوننا فى ذلك قسم الاعلانات بجريدة المصرى التى كان يرأس تحريرها أحمد أبو الفتح وكانت تربطنى به علاقة صداقة حيث كان من جناح الشباب المتحرر فى الوفد ٠

وسجلت المجلة أرقاما قياسية فى التوزيع فقد وزع عددها الأول ١٠٥ آلاف نسخة واحتفظ بهذه النسبة العالية لفترة طويلة ٠

ثم فوجئت بخبر منشور فى جريدة المصرى فى صباح يوم من أيام شهر نوفمبر ١٩٥٢ بأن ثروت عكاشة قد عين بدلا منى رئيسا لتحـرير مجلة التحرير ٠٠ وكان هذا الاسلوب بداية لما اعتادت عليه الثـورة بعد ذلك من استبدال الشخصيات فى المناصب المختلفة دون مناقشة سابقة ٠٠ وكنت وقتها ضابطا فى كلية أركان الحرب الدفعة ١٣ ٠

ولم تمض أسابيع حتى فوجئت أيضـــا باشارة تسـتدعينى الى القيادة فذهبت صباح ١٥ يناير ١٩٥٣ لأجد أن هناك أمرا بالقبض على ، ووضـــعت فى الحبس الانفرادى بسجن الأجانب لمدة خمسين يوما دون سؤال ، حتى استدعيت لمقابلة زكريا محيى الدين الذى قال لى ان أحدا من المعتقلين لم يذكر اسمك ، وكان هذا أمرا طبيعيا فقد كنت اليسارى الوحيد بين عدد من الضباط اليمينيين وفى مقدمتهم رشاد مهنا الذى كان وصيا على العرش ٠

وقد دفعنى هذا الاعتقال الى الابتعاد عن العمل السياسى حيث لمست انى موضوع تحت المراقبة الدائمة ، وكان جمال عبد الناصر قد طلبنى بعد الافراج عنى وأبلغنى أن ذلك قد تم تحت تأثير تقارير مراقبة على منزلى ، وطلب منى العودة للعمل فى مجلة التحرير كاتبا ، ولكنى اعتذرت له ، وقلت له اننى قد طلقت السياسة ، لأننى لم أتوقع أن يعتقلنى أصدقاء خرجت معهم منذ ستة أشهر ونحن معرضون جميعا لخطر واحد ٠

س ٤ : ماذا كان موقفك خلال أزمة مارس ١٩٥٤ ؟

ج ٤ : بدأت بوادر الأزمة تصل الى الاسكندرية مع اجتماعات عقدها حسن ابراهيم وكمال حسين مع ضباط المنطقة وتهجموا فيها على محمد نجيب ، وقد اعترض بعض الضباط على هذا الاسلوب ، وخاصة اليوزباشى آمال المرصفى ٠

وفى يوم استقالة محمد نجيب حضر الينا الصاغ الشهيد صلاح مصطفى الذى كنت قد جندته للضباط الأحرار ثم أصبح فى مكتب اللواء عبد الحكيم عامر ليستفسر عن موقف ضباط الاسكندرية ٠ وقد أبلغته صراحة اننا مع الديمقراطية وليس مع شخص نجيب وأننا نرفض ما عدا ذلك ٠

وقد سافر صلاح مصطفى فورا للقاهرة ، وكان لموقف ضباط الاسكندرية الى جانب عوامل أخرى منها المظاهرات التى قامت فى العاصمة والخرطوم واجتماع ضباط الفرسان سببا فى عودة محمد نجيب ٠

وأثناء زيارة الملك سعود لمصر فى مارس ١٩٥٤ حضر محمد نجيب معه الى الاسكندرية ومعه خالد محيى الدين وقابلتهما فى نادى الضباط بالاسكندرية ، ثم حضر خالد الى منزلى ٠٠ وبعدها قرر عدم النزول الى القاهرة انتظارا لما تنجلى عنه الأحداث ٠

كنت أقابل خالد يوميا بطريقة سرية ٠٠ وفوجئت بحضور البكباشى عبد الحليم الأعسر أركان حرب المنطقة وزميل دفعتى الصاغ حلمى عفيفى قائد الشرطة العسكرية بالاسكندرية (قائد الصواريخ الآن) ليبلغانى رسالة من جمال عبد الناصر تقول بأنى يجب أن أقنع خالد محيى الدين بالعودة للقاهرة ٠٠ وفى اليوم التالى حادثنى اللواء عبد الحكيم تليفونيا وطلب منى ذلك أيضا مؤكدا أن شيئا ما لن يمس خالدا ٠٠ وقد أبلغتهما معا انى لا أعرف شيئا عن خالد ٠

وفوجئت باختفاء خالد ثم ظهوره فى القاهرة ٠

ثم فوجئت بعد ذلك أيضا بنقلى من كبير المعلمين فى مدرسة المدفعية الى ضابط فى كتيبة أمن وحراسة (الجيش المرابط) فى قويسنا واستمر ذلك الى أن أرسل لى اللواء عبد الحكيم عامر كاتم أسرار الحربية البكباشى طلعت خيرى ليبلغنى بأنه قد تقرر عودتى للجيش فى أى مكان أختار ٠٠ وآثرت أن أكون بعيدا عن الوحدات واخترت ادارة التعبئة للقوات المسلحة ٠

س ٥ : هل بقيت فى الجيش لفترة طويلة ٠٠ وماذا عملت بعد ذلك ؟

ج ٥ : صدر قرار من مجلس القيادة بخروج الضباط الأحرار من الجيش بعد انتهاء فترة الانتقال ، على اعتبار أن ذلك سوف يكون حدا فاصلا لخروج الضباط للحياة المدنية ، وكنت واحدا من الذين ضمتهم آخر نشرة صدرت فى يوليو ١٩٥٦ ولكن هذه النشرة لم تكن سدا يحول دون تسرب وخروج الضباط الى الحياة المدنية بعد ذلك ٠٠ اذ استمر تدفقهم على الوزارات المختلفة وخاصة الخارجية والشركات وذلك تحت ضغط الرغبة فى التخلص من البعض أو مكافأة آخرين ٠

وقد عينت بعد الخروج فى المجال الذى بدأت به ٠٠ الصحافة ٠٠ وكلفت من أنور السادات رئيس مجلس ادارة دار التحرير باصدار مجلة اسبوعية أعطيتها اسم (الفجر) وعينت لها مجموعة ضمت محمود أمين العالم وسعد لبيب وسميرة الكيلانى وعبد المنعم القصاص وجورج البهجورى وراجى عنايت وبهيج نصار وعنايات الخرازاتى وصالح مرسى وفهمى حسين وغيرهم ٠٠ ولم تر المجلة النور رغم طبعنا لثلاثة أعداد تجريبية لها ٠٠ ولم نتلق جوابا شافيا على منع المجلة من الصدور سوى الهمس بأنها يسارية المظهر ٠

وخلال ذلك طلب منى وزير الثقافة فتحى رضوان بعد ترشيح يحيى حقى مدير مصلحة الفنون أن أعمل مديرا للفرقة القومية فقبلت بعد أن نقرر عدم ظهور المجلة ، وجمعت بين العمل فى جريدة الجمهورية ومجلة الرسالة الجديدة مديرا للتحرير مع يوسف السباعى رئيس تحريرها وبين ادارة المسرح القومى الذى بقيت فيه الى نوفمبر ١٩٦١ عندما استصدر ثروت عكاشة وزير الثقافة قرارا باقالتى من ادارته دون أى حوار معى ٠٠ ثم عرض على بعد ستة أشهر فقط أن أعمل مديرا عاما لمؤسسة المسرح فقبلت وصدر قرار بذلك فى أول مارس ١٩٦٢ حيث بقيت بها الى أن عينت رئيسا لتحرير روز اليوسف فى ديسمبر ١٩٦٤ ٠

أحمد سعيد

مدير اذاعة صوت العرب السابق

س ١ : كيف بدأت صلتك مع حركة الجيش ٠٠ وما هى أبرز أدوار اذاعة صوت العرب التى كنت مديرا لها ؟

ج ١ : بدأت اذاعة صوت العرب فى أكتوبر ١٩٥٣ بفترة اذاعية مدتها نصف ساعة تحدث فيها محمد نجيب رئيس الجمهورية وقتها وعبد الخالق حسونة أمين الجامعة العربية ، وغنى الفنان محمد عبد الوهاب ، وانتدبت للعمل فيها ، بعد أن كنت أقوم ببعض التسجيلات للفدائيين ٠

وفى شهر مارس وصلنى خطاب من جمال عبد الناصر موجها الى الأمة العربية يشرح فيه أهداف الثورة ، وقد حمل لى الخطاب ضابط المخابرات فتحى الديب ٠٠ وبعد اذاعة الخطاب طلبنى جمال عبد الناصر لمقابلته ، وأخذت منه توجيهات ملخصها الوقوف مع الثورات فى الوطن العربى لأن هذا يجذب الجماهير لاذاعتنا ، والاهتمام بالمناطق (الساخنة) فى العالم العربى ، وكانت وقتها قضية صالح بن يوسف فى تونس تجذب اهتمام العرب ٠

وقد أصبحت اذاعة صوت العرب تابعة للمخابرات اتصل مع فتحى الديب وعزت سليمان حيث كانا يأخذان توجيها سياسيا يوميا من وزير الداخلية ومدير المخابرات زكريا محيى الدين ٠٠ وفى هذه الفترة زادت ساعة الارسال لتصبح ساعة و ٤٥ دقيقة ، وكثيرا ما كنا نعقد اجتماعا شبه دورى مع جمال عبد الناصر ٠

وأخذت ساعات الارسال تتزايد حتى وصلت ٨ ساعات فى اليوم ، ثم زادت فى عهد صلاح سالم عندما عين وزيرا للارشاد وأصبح مسئولا عن الاذاعة بما فيها صوت العرب ٠٠ زادت الى ٢٢ ساعة منذ ذلك الوقت حتى اليوم ٠

وتحول صوت العرب الى « مغناطيس » يجتذب العناصر العربية ، وبوتقة يتبلور فيها فكر عبد الناصر ٠

وقد كان لصوت العرب تأثير متزايد في الحركة السياسية بالوطن العربي وكان موجها للوطنيين في مختلف الدول ٠

عندما قام (سلوين لويد) وزير الدولة البريطاني بزيارة البحرين اضطر الى اختصار الزيارة الى ٦ ساعات بدلا من ٤٨ ساعة ٠

وعندما زارت ملكة بريطانيا عدن أغلق الناس شبابيك دورهم في وجهها وخلت الشوارع من الجماهير ٠

وهرب جنرال تمبلر من الأردن ٠٠ وقال ابن هزاع المجالي لوالده بعد هجومنا عليه (أنت خائن) ٠

ولعب صوت العرب دورا رئيسيا في معركة حلف بغداد ، ولم تنجح اذاعة بغداد التي أطلقت على نفسها (صوت الوطن العربي) ٠

كما أسهم في تأييد ثورة الجزائر بوضوح شـــديد ، فقد كانت اذاعتنا لبيان جبهة التحرير في الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ هي ســـاعة الصفر التي تفجرت بعدها ٢٤ قنبلة في أماكن مختلفة في الجزائر ٠

وقد خصصنا اذاعة سرية للجزائر من نوفمبر ١٩٥٥ حتى أصـبح أحمد بن بللا رئيسا لحكومة الجزائر ، وهذه الموجة هي التي انتقلت عليها الاذاعة المصرية خلال عدوان ١٩٥٦ ٠

وابتـــداء من عام ١٩٥٨ وبعد اقرار مجلس العمـــوم للميزانيـة البريطانية ، خصص مبلغ ٢٥ مليون جنيه لانشاء محطات للتشويش على (صوت العرب) في الدول التي كان ما يزال فيها للنفوذ البريطاني مكان ٠

واستثار صوت العرب جماهير الأمة العربية خلال فترة العدوان حتى قالت عمان (هنا القاهرة) ٠

كما لعب صوت العرب دورا مؤثرا في مساعدة النضال الثوري في جنوب اليمن ٠

وعندما وقع الانفصـــال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ كنت ضـد فكرة الانسحاب من سوريا ، وبقيت في منزلي أسبوعا محتجا ٠

ولكني أعتبر أن النجاح الحقيقي لصـــوت العرب كان في يومي ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ حيث احتشدت جماهير الأمة العربية حول بقـاء جمال عبد الناصر في موقعه ٠

وكان سامي شرف قد اتصل بي وطلب عدم اذاعة بيان المشير عامر ٠

وقد قلت في يوم ١٣ يونية (جميع الأنظمة قد سقطت ولم يعد هناك ملك أو حاكم ، ونحن معرضون للابتلاع ، ولابد للشعب أن يوجد ليس وراء كل حاكم ، ولكن في قصر كل حاكم) ٠

وكان هـذا الاتجاه الى جانب بعض المحاضرات التى ألقيتها فى القوات الجوية ، الى جانب موقفى فى مجلس الأمة متضمنا نفس هـذا الاتجاه سببا في انهاء عملي في اذاعة (صوت العرب) ٠

وهكذا انتهت فترة عملي بعد حوالى ١٤ عاما سعيت فيها الى عرض الفكر الثورى على الجماهير العربية مع الدعوة للوحدة العربية وتأييد الثورات العربية ضد الاستعمار ٠

الاسم : **أحمد فؤاد**
تاريخ الميلاد : **١٩٢١**
مهنة الوالد : **مستشار**
متخرج فى **كلية الحقوق**
مدرسة الضباط الاحتياط
العمل وقت حركة الجيش : **قاضى فى طنطا**
آخر وظيفة : **رئيس مجلس ادارة بنك مصر**

س ١ : هل كانت لك صلة بحركة الضباط الأحرار قبل ٢٣ يوليو ؟

ج ١ : كنت فى ذلك الوقت منتميا الى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) ومكلفا بمسئولية التثقيف فى قسم الجيش ٠ وقد تعرفت بجمال عبد الناصر عن طريق خالد محيى الدين وكنت وقتها وكيل نيابة الجيزة ثم انقطعت الصلة لعدم وجود تليفون عنده الى أن التقيت به مصادفة فى أجازة عيد فى أحد بانسيونات البحر فى سيدى بشر وتوثقت بيننا الصلة ٠٠ وكانت لجنة قسم الجيش المشكلة منى ومن أحمد حمروش مسئولا سياسيا وشوقى فهمى حسين مسئولا تنظيميا قد وافقت على عقد صلة تنظيمية مع الضباط الأحرار ، وقد أصبحت المسئول عن ذلك ٠

وقد حاول جمال عبد الناصر معرفة أسماء الضباط المنتمين للقسم ولكننى لم أكن فى حل من ابلاغه بأسمائهم فلم يتعرف سوى على أحمد حمروس فى منزلى ، وكنا نشترك معا فى كتابة معظم منشورات الضباط الأحرار ، والقليل منها كتبه جمال عبد الناصر شخصيا ، وبعد حريق القاهرة أصبحت (حدتو) هى الجهة التى تقوم بطبع وتوزيع المنشورات ، وأذكر اننىقد قدمت لجمال عبد الناصر الأهداف الستة بناء على طلبه ونزل بها منشور ٠

وكان جمال عبد الناصر يحضر لنا أسلحة وذخيرة من ثكنات

العباسية من عند مجدى حسنين ويحملها الزميلان أحمد حمروش وعثمان فوزى الى الفدائيين المرتبطين بحدتو فى منطقة الشرقية والقنال ٠

وهكذا توطدت الصلة بين الضباط الأحرار وبين قسم الجيش ، وكنت أقوم بدور مسئول الاتصال ٠

وقد تعرفت خلال فترة اتصالى بجمال عبد الناصر على عدد من الضباط الأحرار منهم عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وصلاح سالم ، وقد كان حريق القاهرة هو بداية الحديث عن ضرورة التغيير الايجابى للسلطة دون أن يكون هناك وضوح فى اسلوب التغيير ٠

س ٢ : ماذا تعرف عن حركة ٢٣ يوليو واسلوب تنفيذها ؟

ج ٢ : كان حريق القاهرة هو بداية التفكير فى ضرورة تغيير السلطة ، ولكن خاطر الانقلاب العسكرى لم يكن واردا بوضوح ٠٠ وقد فوجئت فعلا مساء يوم ٢٢ يوليو بحضور أحمد حمروش ليبلغنى أن جمال عبد الناصر قد استدعاه من الاسكندرية وأبلغه منذ لحظات فقط بأن قوات الجيش سوف تتحرك الليلة وتقدم انذارا للملك ، وأنهم اضطروا لهذه السرعة بعدما بلغهم أن الملك قد يعتقل بعض أعضاء قيادة تنظيم الضباط الأحرار ٠

كان التبليغ مفاجئا تماما لى ، وقد ذهبنا معا لمقابلة خالد محيى الدين الذى كان عند أحد الأطباء فى ميدان التحرير واتفقنا على أنه فى حالة فشل الخطة فانه يمكن لهم أن يلجأوا لى فى محل اقامتى بطنطا ، وقد مررنا أيضا على منزل يوسف صديق فى شبرا ، ثم سافر أحمد حمروش للاسكندرية ، وأمضيت الليل أرقب تحركات الجيش من منزلى فى منشية البكرى الى أن أذيع البيان الأول للحركة فى السابعة من صباح ٢٣ يوليو ٠

س ٣ : هل كان جمال عبد الناصر يعرف أنه متصل بتنظيم شيوعى وكيف تطورت علاقته بهم بعد الحركة ؟

ج ٣ : طبعا ٠٠ كان جمال عبد الناصر يعرف هذه الحقيقة ، ولكننا لم نفصح أبدا عن الهوية السياسية لأعضاء التنظيم الذين انضموا للضباط الأحرار ٠٠ وقد ظلت صلته طيبة بعد نجاح الحركة ، فقد وافق على أن يكون أحمد حمروش رئيسا لتحرير مجلة « التحرير » أول مجلة تصدرها الثورة ٠ والتقى فى منزلى بعدد من قادة حدتو فى ذلك الوقت أذكر منهم

ميكانيكي الطيران السابق سيد سليمان رفاعي « بدر » الذى دهش عبد الناصر عندما عرف مهنته ، والشاعر كمال عبد الحليم الذى كشف علاقة يوسف صديق بنا ـ وكانت محجوبة عن عبد الناصر ـ عندما عانقه بحرارة ٠

وكانت حدتو قد أصدرت صباح ٢٣ يوليو منشورا تؤيد فيه حركة الجيش ٠٠ ولكن موقف الحزب الشيوعي التنظيم الآخر كان مستفزا لجمال عبد الناصر ، وقد حاولت تفسير الفرق بين التنظيمين له ولكنه لم يقتنع قائلا انه من الصعب توضيح هذه الفروق للمسئولين أو للجماهير ٠٠

وبعد اعدام خميس والبقرى توترت العلاقة ، ثم بلغت ذروتها بعد اعتقال أحمد حمروش وابعاد يوسف صديق لاسوان في يناير ١٩٥٣ ٠

وأثناء ذلك حضر لى جمال عبد الناصر مبكرا الى منزلى وسألنى عن موقعي السياسى فى ذلك الوقت فلما قلت له اننى عضو فى المكتب السياسى لحدتو قال لى أن بعض الناس اللي معاك مش كويسين ، وروى لى واقعة حديث كان قد دار بينى وبين أحد أعضاء المجلس فقط ٠٠ وهنا قررت أن أقطع علاقتى بحدتو ، وابتعدت عنها تماما بعد بداية ١٩٥٣ ٠ وأذكر أن (حدتو) قد أصدرت قرارا بعد ذلك بحل قسم الجيش ٠

س ٤ : كيف أصبحت علاقتك بعد ذلك مع حركة الجيش ؟

ج ٤ : عندما ابتعدت عن التنظيمات الشيوعية انتدبت من مركزى القضائى للعمل فى مجلس الانتاج ، وسافرت فى أول بعثة للدول الاشتراكية برئاسة حسن رجب وكيل وزارة الحربية لشئون المصانع وضمت صلاح هدايت وحسن ناجى والصاوى خليل ، وكانت هذه البعثة ضمن ثلاث بعثات اتجهت احداها للدول العربية والأخرى للدول الغربية ٠

أذكر أنه تم خلال هذه البعثة التى امتدت ٤ أشهر أن قدم الاتحاد السوفيتى عرضا باقامة مصانع فى مصر ، كما جاء رد تشيكوسلوفاكيا على تساؤل لحسن رجب عن امكانية تزويدنا بالأسلحة ، أنهم بلد يحب السلام ولا يعطى أحدا السلاح ٠

وعندما عدنا الى مصر وطلبت مع صلاح هدايت عقد اتفاقيات مع الاتحاد السوفيتى ثار جمال سالم ٠ وقال جمال عبد الناصر وكان الحديث وقتها يدور خلال أزمة مارس ١٩٥٤ (تبقوا تحكوا لى حييجرا بعدنا) ٠

وعندما عبر جمال عبد الناصر ومجلس الثورة أزمة مارس واستقر لهم الحكم بدأت تتكشف خطواتهم التقدمية ، وأذكر قانون الشركات الذى

صدر عام ١٩٥٥ وحرم عضوية مجالس الادارة بلا حدود ، كما قيد السن بستين عاما ، وحدد عدد أعضاء كل مجلس ٠

وقبل الاعتراف بالصين الشعبية أرسل جمال عبد الناصر بعثة الى الصين كنت عضوا فيها وكان يرأسها محمد أبو نصير وزير التجارة ٠

وعندما أشيع أن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية سوف يقدم انذارا الى جمال عبد الناصر بعد اعلان صفقة الأسلحة استدعانى جمال عبد الناصر وطلب منى الاتصال بزملائى القدامى استعدادا لنضال سرى مسلح ، ولكن وكيل الخارجية الأمريكية تراجع عن موقفه ٠

ومضت الأمور بعد ذلك بطريقة طبيعية ، وعينت عضوا منتدبا لبنك مصر ، ولكن جمال عبد الناصر لم يستدعنى ولم يناقش معى قوانين يوليو ١٩٦١ قبل صدورها وكان الشيوعيون فى ذلك الوقت داخل المعتقلات ٠

وفى صيف ١٩٦٣ استدعانى جمال عبد الناصر وقال لى أنه ينوى بناء تنظيم حديدى مثل « اللى كان عندكم » يقصد التنظيمات الشيوعية قائلا انه لا توجد خلافات جذرية بيننا وبين الماركسية فى الشئون الاجتماعية أو الاقتصادية ، وطلب أسماء ١٠ مرشحين ٠

ودار هذا الحديث فى حضور حسن ابراهيم ومحمد حسنين هيكل وعلى صبرى وسامى شرف وانتهى الى تكوين فرع خاص تقوده لجنة مشكلة منى ومن أحمد حمروش ودكتور عبد المعبود الجبيلى ٠٠ وتطور هذا التنظيم حتى اندمج فى مناطق جغرافية وعرف باسم « طليعة الاشتراكيين » وهو الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى كما ورد فى الميثاق ، وأصبحت عضوا فى لجنة القاهرة ٠

الاسم : أحمد قدرى

تاريخ الميلاد : ١٨ مارس ١٩٣١

مهنة الوالد : موظف فى وزارة المالية

الامـــلاك : ٣ فدادين

متخرج فى : الكلية الحربية فبراير ١٩٥٠ الكلية الجوية مايو ٥١ ـ ليســانس حقوق ١٩٦٤ ـ دبلوم اقتصـــاديات تكـاليف من الجامعة الأمريكية ١٩٦٦ ـ دبلوم آثار مصرية ١٩٧٢ ـ دبلــوم آثـار اسلامية ١٩٧٥ ـ سجل دكتوراه فى بودابست .

الرتبة وقت الحركة : ملازم ثان .

آخر وظيفة : وكيـــل وزارة الثقافة ورئيس قطاع انقاذ آثار النوبة .

س ١ : ما هى اهتماماتك السياسية قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : انحدرت من أسرة مشـايخ أزهر مستنيرين بثوا فى حب القراءة وخلالها حاولت ايجاد تفسير لظروف الواقع غير المقبول ، واقتنعت بالاشتراكية التى اعتبرتها جوهر الدين الاسلامى الحقيقى ، ووجـدت فيها حلا كحصيلة للتقدم العلمى ، وخلال دراســتى القانونية ارتبطت بتنظيم حدتو لفترة قصيرة .

(وبعد التحاقى بالقوات المسلحة كان المناخ الديموقراطى متوافرا خلال حكم الوفد ، الأمر الذى طرح القضية الوطنية بشكل عام ، خلال

نقاش اتصلت بأحد الضباط الأحرار وهو اليوزباشى المهندس جمال علام ثم الصاغ خالد محيى الدين والأستاذ أحمد فؤاد ، وكنا ضمن مجموعة مسئوليتها الأساسية التعامل فى منشور الضباط الأحرار وتوزيعه على مستوى القوات المسلحة حيث كنا نستلم ١٥٠٠ منشور ونرسلها للضباط على عناوين منازلهم بالبريد تبعا لقواعد أمن دقيقة جدا ٠٠ وكانت المجموعة تضم آمال المرصفى وصلاح السحرتي ورشاد عواد) ٠ وكنا نعد الخطابات فى غرفتى بجيش السوارى غرفة رقم ١ فى ميس اللواء وذلك لتوفيرها قدرا كبيرا من الأمن ٠

س ٢ : ما هو الدور الذى قمت به ليـلة ٢٣ يوليو ؟

ج ٢ : لم أبلغ بموعد الحركة حرصا من قيادتها على عدم اشراك العناصر الحركية التى كان يحتمل مراقبتها من جهات الأمن الملكية ٠٠ فلم أبلغ أنا وصلاح السحرتى ورشاد عواد ويوسف العشيرى ٠

ولكنى علمت بموعد الحركة ليلة ٢٢/٢٣ يوليو متأخرا من يوزباشى جمال عـــلام فهرعت الى الســـوارى حيث احتللت موقعى فى الوحـدة (مدرسة المدرعات) وأبلغنى الصاغ خالد انهم لم يبلغونى حرصـا على الأمان ٠

ثم كلفت بمسئوليات أمن داخل الوحدات ٠

س ٣ : ما هو الدور الذى قمت به بعد انتصار الحركة ؟

ج ٣ : بقيت فى وحدتى مهتما بواجباتى العســكرية حتى أبريل ١٩٥٤ حيث تركت القوات المسلحة بعد اعتقالى نتيجة لاتصالات قمنا بها لدعم الديموقراطية تحت قيادة الضباط الأحرار ، وقد بقيت فى الاعتقال أربعة اشهر ثم أفرج عنى بعد محاكمة عسكرية قررت فصلى من القوات المسلحة ٠

وكانت التهمة الموجهة لى هى (العلم بوجود انقلاب وعدم الابلاغ عنه) ٠

ثم عينت مع مجموعة من ١٠ ضباط فى عام ١٩٥٥ بوزارة الارشاد القومى حيث عملت فى وكالة الوزارة لشئون السودان وبدأت تاريخ عملى فى القطاع المدنى واضعا نصب عينى التزود من الثقافـة والمعرفة التى تؤهلنى للقيام بواجباتى ٠

الاســـم :	**أحمد كامل**
تاريخ الميلاد :	**٦ مايو ١٩٢٦**
مهنة الوالد :	**ضابط فى الجيش**
الامـــلاك :	**٢٦ فدانا .**
متخـرج فى :	**الكلية الحربية ١٩٤٦**
الرتبة وقت الحركة :	**يوزباشى .**
آخر وظيفة :	**رئيس المخابرات العامة**
العمل الآن :	**المعاش .**

س١ : ما هى ارتباطاتك الســـياسية قبل حركة الجيش ؟

جـ١ : لم تكن لى ارتباطات سياسية مع أى حزب أو هيئة لاتخـاذ موقف الرفض من كل ما هو موجود رغم أن مسكنى فى الحلمية الجديدة كان قريبا من مركز الاخوان المسلمين .

وكان يشغلنى بصفة ملحـة الفوارق الاجتماعيـة بين الناس ... ولكنى دخلت الكلية الحربية وعمرى ١٦ سنة ونصف عام ١٩٤٢ ، وأفرغت شحنة طاقتى فى القراءة لميلى الخاص للبعد عن الحياة الصاخبة ، متأثرا فى ذلك بوجود شقيقى فى كلية الآداب قسم الفلسفة .

وساعد ذلك على بلورة أفكارى السياسية والاجتماعية وخاصـة لما لمسته من فوارق شديدة بين أبناء الدفعة الواحدة فى الكلية الحربية التى أدخلها الوفد ، فمثلا كان ضمن دفعتنـــا زكى سراج الدين شقيق فؤاد سراج الدين وقد بقى طول مدة وجـوده معنـا عاجزا عن « لف القلشين » أو الانضباط فى الحياة العسكرية فكان يغيب شهرا ثم يعود ومعه أجازة مرضية مقبولة واستمر كذلك حتى استقال .

وعندما تخرجت فى الكلية الحربية اقتربت كثيرا من الجنـود ولذا اعتبر هذه الفترة من أخصب فترات حياتى حيث لمست التركيب الاجتماعى للشعب ومعاناة الفقراء .

وأعلنت حرب فلسطين وكنت متحمسا للقتال رغم معرفتى بطبيعة الجيش غير القتاليـــة وبقيت هنـــاك حتى هدنة ١٩٤٩ ، وعدت منهـا مشحونا بانفعالات شـــديدة ضد كل ما هو موجـــود فى حكم مصر : واتصل بى للانضمام للضباط الأحرار خلال هذه الفترة ثلاثة أشخاص هم يوزباشى محسن عبد الخالق فى العريش ، ويوزباشى زغلول عبد الرحمن من المشاة فى القاهرة ، ثم البكباشى محمـــد فوزى (وزيـر الحربية فيما بعد) ٠

واقتصرت صلتى بالضباط الأحرار على دفع الاشتراك (٢٥ قرشا شهريا) وقراءة المنشورات وتقديم الذخيرة ٠

وعقب حـرب فلسطين انضممت الى قوة مدرسة المدفعيـــة حتى قامت حركة الجيش بعد نجاح قائمـــة الضباط الأحرار فى انتخـابات نادى الضباط ٠

س ٣ : ما هو دورك ليلة ٢٣ يوليو ؟؟

ج ٢ : قبل الحركة بثلاثة أيام حدث اجتماعان أحدهمـا فى منزل اليوزباشى محمد أبو الفضل الجيزاوى ولم تكن هناك أية اجراءات أمن حيث وقف عدد كبير من عـربات الجيش أمام منزله فى منشية البكرى وكنا حوالى ٣٠ ضابطا من ضباط المدفعية ٠

والاجتماع الثانى فى منزل محسن عبد الخالق بنفس النقص فى الأمـان ٠

وأبلغنا بأن هناك حركة وعلينـــا البقاء بالمنازل لأى اســـتدعاء تليفونى ، وفعلا استدعيت يوم ٢٢ يوليو الساعة ٩ مساء لمنزل محسن عبد الخالق حيث أخذت التلقين النهائى وطلب منى الذهاب لكمال الدين حسين فى منزله المواجه لكلية أركان الحرب وكانت الســاعة قد بلغت الحادية عشرة ليلا وحضر جمـــال عبد الناصر وكان مرتديا ملابســـه العسكرية ٠

وفى هذا الاجتماع طلب منى جمال عبد الناصر اعتقال مدير المدفعية الاميرالاى حافظ بكرى فى منزله فرفضت لأنى لا أوافق على اعتقال انسان وسط أسرته كموقف انسانى ، وقبل عبد الناصر وجهة نظرى ٠

وهنـــا طلب منى انزال (مجمـــوعة الماظة) لتغلق طريق مصر ـ السويس ، ونزلت مع كمال حسين فمررنا على مصطفى فهمى عبد المحسن

ومحمد أبو الفضل الجيزاوى وخالد فوزى وجمـال الليثى وفؤاد حسن صالح ومصطفى كامل مراد واحتشدنا جميعا فى عربة بك آب فيات ·

وعند دخولنا ادارة المدفعية وصل اللواء على نجيب قائد قسـم القاهرة فكان أول المعتقلين وقد وضـعه فى ميس الاى ميدان كمـال حسين وأبو الفضل الجيزاوى ، ثم ذهبت أنا الى مدرسة المدفعية حيث كان النوبتجى هنـاك على فوزى يونس ومبـارك رفاعى من الضباط الأحرار حيث أخرجنا مدافع البوفرز على طريق السويس ، وقطعنا أسلاك التليفون ، ورجعت الى أول طريق الماظة مع مصطفى عبد المحسن حيث احتللنا نقطة البوليس الحربى هناك ·

وأوقفنا العربات التى كانت قد استدعيت لاحضـار كبار الضباط وسددنا الطريق بالعرض ، وفى هذه اللحظة وصل الأميرالاى حافظ بكرى مدير المدفعية ودارت بينى وبينه مناقشـة انتهت بوصول كمال حسين واعتقال حافظ بكرى وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل ·

ثم بدأ وصول المدفعية حيث احتلت منطقة ألماظة وشارع السويس ·

وعند الكيلو ٥ر٤ أوقفت قوات المدفعية بعض قوات الحدود التى حاولت التحرك بأوامر الاميرالاى حسين سرى عامر ·

وحوالى الساعة ٢ بعد منتصف الليل ذهب كمال حسين مع كبار الضباط المعتقلين الى معتقل الكلية الحربية ·· وحوالى الساعة الثالثـة بعد منتصف الليل وصل البكباشى عبد المنعم أمين فى عربة بويك مرتديا الملابس العسكرية وقال لنا (مبروك ·· الحركة نجحت) ·

س ٣ : ماذا تم بعد ليلة ٢٣ يوليـو وانتصار الحركة ؟

جـ٣ : يوم ٢٣ يوليو مساء ذهبت للقيادة للاجتماع مع كمال حسين لمناقشة موضوع تطهير سلاح المدفعية ، فطلب منى جمـال عبد الناصر الذهاب لمصلحة التليفونات للبحث عن برقية قيل انها ارسلت للخارج من مصطفى وعلى أمين مضادة للحركة ، وذهبت فعلا ، ولكنى لم أجـد شـيئا ·

وحدث اجتماع فى المدفعيـة وتمت عمليـة التطهير على أسس موضـوعية ·

وفى يوم ٢٤ ليلا طلب منى جمال عبد الناصر الذهاب مع خـالد فوزي الي الإسكندرية لتنسيق سفر بعض القوات والاتصال بالبكباشى

عاطف نصار والصاغ عبد الحليم الاعسر وفعلا وصلنا صباح ٢٥ يوليو دون نوم لمدة ٣ ليال ٠

وأبلغنا نصار والاعسر أخبار وصـول القوات ، وقال لنا زكريا محيى الدين أن يوم ٢٥ لن تكون فيه تحركات ، ولم نكن نعـرف شيئا عن خروج الملك ٠

وفى يوم ٢٦ يوليو عين البكباشى عبد المنعم أمين قائدا لقطاع رأس التين وعملت أركان حرب له خلال عملية طرد الملك حيث وضعنا بطارية مدفعية ٢٥ رطلا فى الانفوشى كان ضمن ضباطها فتح الله رفعت وعلى شريف وأحمد شهيب ٠٠ وكان قائد المشاة عبد المنعم عبد الرؤوف ٠

وحدث اطلاق رصـــاص من جانب بعض جنود الحرس لم نـرد عليـه ٠ ثم حضر اللواء عبـد الله النجومى والاميرالاى عبد الله رفعت وصفى الموضـــوع ٠

س٤ : ماذا كان موقفك بعـــد ذلك ، وخاصـــة عند اعتقال ضباط المدفعية فى يناير ١٩٥٣ ؟

ج٤ : رفضت العمل فى منصبين رشحت لهما ، الأول ياور لمحمد نجيب ، والثانى مدير لمكتب كمال حسين ورحبت بعملى فى مدرســة المدفعيــة ٠

وقد عينت رقيبا على مؤسسة أخبار اليـــوم الى أن حدث اجتماع فى ميس ضباط المدفعية تمهيدا لانتخابات نادى الضباط ، وكنا مختلفين كمجموعة مدفعية مع القيادة فى الترشيحات ، ونجح مرشحو مجموعة المدفعية يوم ١٥ يناير ٠

وفى صباح ١٦ يناير فوجئنا بالقبض على محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت وأحمد حمروش ورشاد مهنا الذى كان جمال عبد الناصر قد طلب منى أنا ومحسن عبد الخالق وفتح الله رفعت وعيسى سراج الدين الذهاب اليه لمعرفة طلباته حيث انه مختلف معنا ، وأذكر أن الكلمة التى مازالت تعلق بذاكرتى حتى الآن أنه قال : (أنا وصى على العرش أملك وأحكم)٠

وبدأنا نتساءل عن سبب اعتقال زملائنا ودعينا لاجتماع فى ميس المدفعية وحضر حوالى ٣٠٠ ــ ٤٠٠ ضابط وحاولوا اقناعنا باحضـــار عبد المنعـــم أمين ثم محمد حسين قائد المدفعية ثم كمال حسين ومعــه أبو الفضل الجيزاوى وكنت البارز فى التصـــدى لهم جميعا دفاعا عن

زملائنا المعتقلين · وقررنا بعد ما ذهب هؤلاء أن نعتصم بميس المدفعية وأن تشكل لجنة تحقيق انتخبني الضباط لاكون عضوا بها لسلامة الاجراءات ·

وفوجئنا أخيرا بحضور جمال عبد الناصر الذى سأل عنى فور دخوله ثم قال لى : (هل تثق بى ؟) فقلت : (نعم) ·· فقال : (هل تعرف صلتى بمحسن عبد الخالق ؟) فقلت : نعم ·· فقال هل يرضيك أن أشرف أنا على التحقيق ؟ فوافقت طبعا ·· وانتهى حديثه معنا بوعد بسرعة التحقيق ·

وبعد يومين استدعيت مع مبارك رفاعى ومصطفى فهمى عبد المحسن الذى أرسل الى سجن الأجانب ، بينما ذهبت أنا ومبارك الى ادارة الجيش حيث بقى كل منا فى غرفة خاصة مغلقة علينا حتى الساعة السادسة بعد الظهر حيث نقلنا البوليس الحربى الى ثكنات قصر النيل حيث حقق معى زكريا محيى الدين وعبد اللطيف بغدادى وكمال حسين وفهمت منهم أن التهمة الموجهة للمعتقلين هى محاولتهم القيام بانقلاب (ولم يكن هذا صحيحا لأنه كانت هناك اجتماعات لمجموعة الضباط الأحرار بالمدفعية مع كمال حسين كل يوم أربعاء ، ثم وسع كمال حسين هذه المجموعة باضافة ضباط آخرين ليسوا من الضباط الأحرار مثل سعد زايد وأبو اليسر الأنصارى وعماد رشدى وغيرهم وعندئذ بدأنا نتخلف عن حضورها عندما زاد عدد المشتركين فيها ·· وكنا نكتفى باجتماع مصغر مع جمال عبد الناصر ويحضره محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت وأنا ومصطفى فهمى ونناقشه حول ما يدور على ألسنة الضباط ، فكان يواجهنا بالضابط الذى يدور حوله الحديث من أعضاء مجلس القيادة ، وضمرت هذه الاجتماعات حتى تلاشت مع انشغال جمال عبد الناصر ·

واستمرت اجتماعاتنا كمجموعة منفصلة وهى التى اتهمت بأنها محاولة انقلاب ·

وبعد التحقيق معى أفرج عنى فى نفس اليوم · وحرصت على الاتصال بجمال عبد الناصر حول هذه القضية الى أن صدر الحكم فى القضية ونقلت مدرسة المدفعية الى الاسكندرية يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ ·

س ٥ : ماذا كان موقفك من أزمة مارس ١٩٥٤ ؟

ج ٥ : لم أحضر وقائع هذه الأزمة فى مصر حيث كنت فى مأمورية لشراء سلاح بفرنسا من سبتمبر ١٩٥٣ الى ديسمبر ١٩٥٤ ·

س ٦ : هل استمر عملك بالقوات المسلحة بعد ذلك ؟

ج ٦ : نعم ٠٠ استمر حتى عام ١٩٦٤ ٠

س ٧ : أين عملت خلال الوحدة بين مصر وسوريا ؟

ج٧ : أعلنت الوحدة وأنا طالب فى الدفعة ١٧ بكلية أركان الحرب وكان معنا بعض الضباط السوريين ومنهم فيما أذكر نور الدين الاتاسى وهشام العضم ٠

وأمضينا رحلة الكلية النهائية فى سوريا ٠

وانتدبت فى يناير عام ١٩٥٩ ، الى حلب لتدريب القوات السورية مع خبراء السوفييت ٠٠ وبقيت لديسمبر من نفس العام ٠

وخلال هذه الفترة تعلمت كثيرا ٠٠ اذ تبينت لى الاخطاء التى أدت الى الانفصال والتى صارحت بها المشير عبد الحكيم عامر فى لقاء لى معه بعد عودتى من سوريا وهى فى اختصار شديد ان الحالة فى الجيش قد وصلت الى حد امكانية جمع الضباط المصريين جميعا واعتقالهم اذا أخذ الجيش السورى موقفا عدائيا ، وهذا يرجع أساسا الى تصرفات الضباط المصريين التى تتمثل فى :

١ ــ عدم فهم طبيعة الخلافات فى الحياة السياسية السورية التى كانت متغلغلة فى الجيش ٠

٢ ــ ارتكاب بعض ما يثير حساسية الشعب السورى ٠

٣ ــ تضخيم بعض السوريين لاخطاء أفراد من المصريين دون محاولة جادة من القيادة للتوضيح أو الاصلاح أو العلاج ٠

٤ ــ العلاوات التى كان يحصل عليها الضباط المصريون فى سوريا تجعلهم يعيشون حياة أفضل من حياة زملائهم السوريين ، وكان هذا مطبقا أيضا بالنسبة للضباط السوريين فى مصر مع ملاحظة فرق التعداد بين دمشق والقاهرة ٠

٥ ــ محاولة القيادة المصرية الغاء بعض الامتيازات التى كان يحصل عليها الجيش السورى فى الجمارك والبنزين والخدمات وخلافه وهى أمور كان قد ورث أوضاعها من فترة وجود جيش الشرق أو الاحتلال الفرنسى ٠

٦ ـ الفرق فى المظاهر الديموقراطية فى الجيش السورى والتى لم تكن معروفة فى الجيش المصرى مما خلق كثيرا من التناقضات ٠

صارحت عبد الحكيم عامر بذلك فقال لى : (يبـــدو ان اعصـــابك مرهقة وتحتاج لراحة) ، ونقلنى ملحقا عسكريا فى الباكستان ثم المغرب وأســـبانيا ٠

س ٨ : لماذا خـــرجت من القـــوات المسلحة وما هو العمـــل الذى كلفت به بعد خروجك منها ؟

ج ٨ : كان خروجى من الجيش نتيجة لموقف ارادى اخترته لنفسى ٠ اذ عدت من مدريد فى أكتوبر ١٩٦٣ ، بعد انتهاء خدمتى كملحق حربى ٠ وطلبت مقابلة المشير عامر ففشلت ، وطلبت مقابلة جمال عبد الناصر فنجحت وقابلنى يوم ٤ يناير ١٩٦٤ ٠ وشرحت له فى جلســة طويلة انطباعاتى عن مدة خدمتى بالخارج ، وشـــعورى بالنســـبة للقوات المسلحة ، وطلبت اما ان أقوم بدور ايجابى فى القوات المسلحة أو انقــل الى وظيفة مدنية بشرط ألا تكون فى الخارجية أو الشركات ، فصدر قرار بنقلى الى رئاسة الجمهورية فى مارس ١٩٦٤ ٠

وفى نفس القرار الحقت على الاتحاد الاشتراكى وكان أمينه العام حسين الشافعى وبقيت به ثلاثة أشهر لم أعمل شيئا ٠

ثم طلبت العودة لرئاســـة الجمهورية فوافق جمال عبد الناصر والحقنى بمكتب المعلومات بلا عمل لمدة ٦ أشـــهر ، قرأت فيها كثيرا عن النظرية الماركسية والنظام الاشتراكى ٠

بعد ذلك شكلت أمانة طليعة الاشتراكيين برئاسة شعراوى جمعه وضمت كلا من أحمد حمروش وحسين كامل بهاء الدين وأحمـــد شهيب ومحمـــد المصرى وعبد المجيد شـــديد ومحمـــد عروق ويوسف غزولى وعبد المعبود الجبيلى وأمين عز الدين ٠٠ وبعد ذلك ضم اليها محمـــود أمين العـــالم ٠

س ٩ : ما هو رأيك فى عمل أول أمانة تشكل لتنظيم شبه حزبى فى مصر ؟

ج ٩ : بدأت الأمانة عملها فى منتهى النشاط وكانت منقسمة الى ثلاثة أقسام رئيسية : العمل السياسى وكنت مقررا له ، والعمل التنظيمى،

وكان مقرره محمد المصرى ، والعمل الثقافى وكان مقرره أحمد حمروش ٠٠
وكان التنظيم حتى قيام الأمانة معتمدا على أفرع فى قمتهـــا أشخاص أوكل اليهم جمال عبد الناصر مسئولية التجنيد مثل على صبرى وعباس رضوان وكمال رفعت وأحمد فؤاد ومحمد حسنين هيكل ٠

وتحول التنظيم بعد ذلك الى تنظيم جغرافى بدأ بالاسكندرية ثم البحيرة ٠

وكانت صلة التنظيم بعبد الناصر يومية ٠٠ يرفع اليه تلخيصـــا لتقارير المحافظات ويتلقى رده وتوجيهاته عليها ٠

وبدأت تصدر نشرات منتظمة ٠

ويمكن القول بأن الأمانة لم تنجح فى الوصـــول بالتنظيم ليكون تنظيما حزبيا مناضلا ٠

الاســـم :	**أحمد لطفي واكد**
تاريخ الميلاد :	**١٩٢٠**
مهنة الوالد :	**مزارع وعمدة وعضو مجلس نواب**
الامـــلاك :	**لا شيء يستحق الذكر**
متخرج فى :	**الكلية الحربية عام ١٩٤١**
الرتبة وقت الحركة :	**يوزباشي**
آخر وظيفة :	**رئيس تحرير جريدة الشعب**
العمل الآن :	**ناشر « دار القاهرة للثقافة العربية »**

س ١ : ما هى بداية صلتك بالحـركة السياسية وكيف تطورت ؟

ج ١ : كنت عضوا فى مصر الفتاة حتى دخولى الكليـة الحربية ثم انقطعت علاقتى بها تدريجيـا حتى تخرجت ، وارتبطت بتنظيم سرى فى الجيش كان يوجهه البكباشى محمـــد كامل الرحمانى عام ١٩٤٢ بهدف الدفاع عن المرافق المصرية ، وفى أوائل عام ١٩٤٣ تقرر نقلى الى الجيش المرابط فى دمياط والزقازيق بناء على طلب المخابرات البريطانيـــة التى اكتفت بنقلى لصغر سنى واعتقلت الرحمانى ٠٠ وفى عام ١٩٤٦ ارتبطت بالتنظيمات الشيوعية عن طريق زميلى فى الدراســـة الثانوية بالمدرسة التوفيقية وزميلى فى الجيش أحمد حمروش ٠

ثم حدث خلاف فى وجهات النظر حول الموقف من قضية فلسطين ، اذ قبلت الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى التى كنت عضوا فى قسم الجيش بها قرار التقسيم ، بينما اتجهت الى التطوع فى المقاومة ٠

ووصل الخلاف غايته بطلبى الاحالة الى الاستيداع من الجيش وأحلت فعلا للانضمام للمقاومة ، ولم أجد الا مصر الفتاة ، وتبين أنهم ضمونى الى شيخ طريقة واتباعه وبنادق هزيلة وسيوف ، ورفضت ٠

وحدث فعلا أن توجه هؤلاء القوم الى ميدان القتال وأبيدوا جميعا ٠

وعنـدما تقرر دخـول الجيش المصرى الى الحرب طلبت العودة من الاستيداع وعدت فعلا يوم ١٥ مايو حيث عينت حاكما اداريا للفالوجـا وبيت جبرين ، حيث تعرفت بجمال عبد الناصر لأول مرة ، وكان حديثنا يدور عن الجيش والسياسة ، وقد آثار حديثه معى اعجابى الشخصى به ٠

وفى بداية عـام ١٩٥٠ عينت أركان حرب الحاكم الادارى لغزه ، وبدأت صلتى بالضباط الأحرار عن طريق عبد الناصر ، الذى ظـل لمدة تربطنى به صداقة سـياسية وليست تنظيمية ، وفى هذا الوقت فكرت وبعض الزملاء فى رفع عريضة الى الملك وقعها حوالى ٨٠ ضابطا نعبر فيها عن رأينا باستحالة الاعتماد على الجيش ضد الشعب ٠٠ وأوقف جمـال عبد الناصر العريضة ورفض اعادتها أو التوقيع عليهـا قائلا أنهـا تضر الضباط ولا تضر النظام ثم فاتحنى فى الانضمام الى تنظيم الضباط الأحرار٠

وعندما ألغى مصطفى النحاس معاهدة ١٩٣٦ ــ ٨ أكتوبر ١٩٥١ ــ وتصاعدت حركة الكفاح المسلح بدأنا الحركة ضد الانجليز فى منطقة القناة ٠

كنا نحصل على الأسلحة والذخيرة من اليوزباشى مجـدى حسنين فى سلاح خدمة الجيش ، ومن الملازم كمال الحناوى فى الكلية الحربية ، وكان يقوم بالتدريب كمال الدين حسين بينما كنت أشترك فى العمليات مع كمال رفعت وحسن التهامى ٠

وكنت وقتها فى سلاح الحدود عندما طلبوا من محمد نجيب قائد السلاح كتابة تقرير لترقية حسين سرى عامر ترقية استثنائية ، وناقشنى محمد نجيب فى ذلك واتفقنا على أن يكتب تقريرا سريا يطالب فيه بعدم ترقيته لأسباب تتعلق بسوء أخلاقه وعدم نزاهته ٠

وكان رد الملك هو أولا ترقية الاميرالاى حسين سرى عامر الى رتبة اللواء وثانيا تعيينه مديرا لسلاح الحدود بدلا من (كاتب هذا التقرير) ٠

كان محمد نجيب ينوى الاستقالة وكتبها فعلا ، ولكنى أخذتهـا منه وأبلغت جمال عبد الناصر الذى أرسل له عبد الحكيم عامر المقرب منه ٠

ونقلت أنا الى منطقة الشط قريبا من السويس حيث كلفت بقيادة تنظيم الضباط الأحرار هناك ٠

س ٢ : ماذا كان تأثير حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ٥٢ على حركة الكفـاح المسلح ؟

ج ٢ : في اليوم التالي مباشرة حضر مندوب أخبـــار اليوم الذى علمت منه أن مصطفى أمين أبلغه أن المقـــاومة قد انتهت ، وعلمت مـــن الصاغ عبد المنعم الببلاوى مدير مكتب المخدرات بالسويس أن هنـــاك اجتماعا يضم كل ضـــباط البوليس فى منتصف الليـــل بالنـــادى لتلقى تعليمات من القاهرة ٠

وتوقعت حدوث حملة تفتيش لضبط أسلحة الفدائيين فاتصلت بهم فى الحال وطلبت منهم تجميع السلاح فى كابينتى وتجمع عندى فعلا ٤٢٠ قطعة سلاح ، وأبلغت جمال عبد الناصر فى اليوم التالى فطلب منى التحفظ على الأسلحة لاحتمال القيام بعملية أخرى ٠

هربت السلاح الى البر الشرقي وفشل البوليس السياسى فى معرفة مكانه ، حتى أخذه منى عبد الحكيم عامر وأرسله الى القاهرة حيث تحفظ عليه جمال عبد الناصر وسمعت أنه كان عند حسن عشماوى عضو مكتب الارشاد فى جماعة الأخوان المسلمين ٠

س ٣ : متى علمت بأخبار حركة الجيش ٠٠ وما هو دورك ؟

ج ٣ : قبل الثورة فاتحنى جمال عبد الناصر فى موضـــوع اغتيال حسين سرى عامر ولكنى رفضت الموافقة على ذلك من ناحية المبدأ ٠

ثم فوجئت بمحاولة اغتياله التى تمت بوساطة جمـــال عبد الناصر وحسن ابراهيم وكمال رفعت وحسن التهامى ٠

أما تحديد موعد الحركة فقد أبلغنى عبد الناصر يـــوم ١٩ يوليـــو بالاستعداد وطلب منى التوجه الى اسكندرية لاكتشاف المناخ العام واتصلت هناك بأحمد حمروش وأبلغته بالنية للتحرك ، وعدت الى القاهرة وطلب منى التوجه للسويس واستطلاع رأى الضباط وأثناء ذلك أبلغنى أحد الملازمين فى الفندق الذى أقيم به بوصول تعليمات بالتحرك واتجهت الى المكتبة حيث وجدت الضباط الأحرار يسيطرون عليها وعند اذاعة البيان طلبت وحدة السلاح البحرى الموجودة بالميناء الاتصال فتوجهت الى السفينة التى كانت مقر القيادة واجتمعت بالضباط جميعا وأبلغتهم بأهداف الثورة وكانت اسكندرية مقر قيادة البحرية وكان مفروضا أنهـــا موالية للقصر الا أن ضباط البحرية بالسويس أعلنوا صباح ٢٣ يوليو انضمامهم للثورة ٠

س ٤ : هل شاركت فى عمليات الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية بعد حركة الجيش كما شاركت قبلها٠٠وما هو الفرق؟

ج ٤ : نعم شاركت ٠٠ وطبيعة العمل الفدائى اختلفت بعد الثورة عنها قبلها ٠٠ فقد أصبح فى رعاية الدولة ، ويشرف عليه ضباط من الجيش أكثر تنظيما وقدرة على التدريب ، ولكنه أصبح مرتبطا بارادة المفاوض تشتد المقاومة أو تخف تبعا لاستجابة وفد المفاوضات البريطانى لرأى المصريين ٠

س ٥ : ماذا عملت بعد انتهاء الكفاح المسلح ؟

ج ٥ : بعد توقيع اتفاقية الجلاء فى يوليو ١٩٥٤ عينت مديرا لمكتب جمال عبد الناصر ٠

س ٦ : ماذا تذكر من مواقف لجمال عبد الناصر خلال هذه الفترة ؟

ج ٦ : أذكر أنه عندما تردد أن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية فى ذلك الوقت سوف يحمل الى جمال عبد الناصر انذارا عقب عقده لصفقة الأسلحة ، أنه قرر رفض الانذار ، والوصول بالأمر الى حد الكفاح المسلح السرى ضد أى تحركات أمريكية أو بريطانية ، وطلب منى الاتصال بالفدائيين الذين أعرفهم ، كما طلب منى ابلاغ أحمد حمروش ليبلغ من تكون له صلة بهم من اليساريين ٠٠ وكان جادا فى موقفه الى الدرجة التى جعلت الرجل الأمريكى يحضر الى مصر ويقابل جمال عبد الناصر ولا يقدم الانذار الذى أرسله دالاس ٠

وأذكر أيضا أنه كان يقبل النصيحة ولا يستبد برأيه ، فعندما اعترضت بعض أجهزة الأمن على تعيين الدكتور عبد الأحد جمال الدين فى أى وظيفة فى الدولة رغم أنه كان أول خريجى كلية الحقوق ، وزارنى هذا الشاب فى مكتبى قائلا انه اشترك فى مظاهرات مارس ١٩٥٤ وهتف بسقوط الثورة ، ومزق صورة جمال عبد الناصر ، ولكن موقفه من الثورة قد تغير بعد باندونج وعقد صفقة الأسلحة ، وعرضت الأمر على عبد الناصر فقرر رفض الاعتراض على تعيينه ٠

كما أذكر أننا كنا قد اجتمعنا ، عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وكمال رفعت وأنا ، لاعداد استقبال شعبى لجمال عبد الناصر بعد عودته من باندونج ، ولكن جمال سالم الذى كان يقوم بأعمال رئيس الجمهورية بالنيابة رفض ذلك ، ومع ذلك فقد أصررنا على أن يكون الاستقبال شعبيا وخرجت الجماهير لاستقبال عبد الناصر ، وتخلف عن الحضور الى المطار السفير الأمريكى هنرى بايرود ومعه بعض سفراء الدول الغربية ، وكان هذا دليلا على موقفهم المعادى لحركة مصر نحو الدول الآسيوية الافريقية ٠

وعندما عاد جمال عبد الناصر لم يعاتب جمال سالم على موقفه ، بل انه وافق على قيامه برحلة الى أندونيسيا ٠

س ٧ : كانت لك صلات معروفة بالدول العربية ٠٠ ما هى طبيعة هذه الاتصالات وماذا كان الهدف منها ؟

ج ٧ : تولدت علاقة جمال عبد الناصر بالدول العربية خلال معركته ضد الأحلاف العسكرية ، وكان تكليفه الأول لى بالسفر مع كمال رفعت الى الاردن أثناء زيارة تمبلر وكيل الخارجية البريطانية لمحاولة ادخالها الى حلف بغداد ٠

سافرنا بأسماء مستعارة ٠٠٠ كان اسمى « أحمـــد حسن نـوح » وكمال رفعت كان اسمه « عثمان » ، وقد تصـــادف أن ثار شعب الاردن ضد هذه الزيارة دون أن يكون لنا دور فى ذلك فعلا ٠٠ وظن عبد الناصر أن لنا يدا فى الثورة وأعلن ذلك فى مجلس الوزراء ولكننى حضرت وأبلغته أن الثورة كانت تلقائية ولا فضل لنا فيها ٠

وكانت الزيارة الثانية قبل انتخابات الاردن ، بعد أن استقبلنا جمال عبد الناصر فى قصر الطاهرة قائلا أنه فوجىء بالقول أن هناك معركة بين المخابرات المصرية التى تعمل على توحيـــد القوى المعادية للغـرب بينما المخابرات البريطانية تحاول توحيد القوى المؤيدة للانجليز ثم علق قائلا « أنا لا عنـدى مخابرات ولا عملت هنـــاك ٠٠ ولكن المعـــركة أصبحت منسوبة لنا » ٠

ثم طلب من كمـــال رفعت ومنى الذهاب لتجميع العناصر المعادية للاستعمار ، وبدأنا الاتصال بزعماء الأحزاب المختلفة البعث والشيوعى والوطنى الاشتراكى « حزب سليمان النابلسى » وعدد من المستقلين ٠

وتم أول لقاء بيننا وبين ميشيل عفلق وأكرم الحورانى والدكتـــور مصطفى أمين فى دمشق ثم اتجهنا الى عمان حيث قابلنا سليمان النابلسى

فى القدس ، وعقدنا اجتماعا سريا مع منـــدوب اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الاردنى استمر سبع ساعات وكذلك مع عبد الله الريماوى رئيس البعث الفلسطينى فى ذلك الوقت •

ولمسنا فى هذه الفترة التناقضات التى كانت موجودة فى ذلك الوقت بين الشيوعيين وغيرهم فقد اعترض عبد الله الريمـاوى على التعـاون مع الشيوعيين ، وعلمنا أيضا أن أكرم الحورانى لم يرحب بهذه الاتصالات • وأمضينا أســبوعا حتى أجريت الانتخـابات يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٥٦ •

وأذكر أن عبد الحكيم عامر كان فى زيارة لعمان ووصلنا تكليف من عبد الناصر بالاتصال به • ولكنه طلب منا الابتعاد بدعوى أننا نقوم بعمل غير قانونى •

س ٨ : أين كنت فى فتـرة العـدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ •• وما هى حقيقة حركة المقاومة الشعبية ودور الضـباط الأحرار فيهـــا ؟

ج ٨ : عندما بدأ العدوان تقررت المقاومة الشعبية فورا ، وأذكر أننا وزعنا السلاح على ثلاثة مستويات :

١ ــ توزيع السلاح على بعض الناس وتحديد واجبات لها فى حالة أى تقدم معاد شرق الدلتا •

٢ ــ مخازن احتياطية للسلاح •

٣ ــ مخازن سرية للسلاح لا يعلم أحد مكانها ولا تستعمل الا فى وقت الاحتــلال •

وأذكر أيضا أن جمال عبد الناصر كان قد اتصل بآمال المرصفى الذى كان يعمل معى كأركان حرب للمنطقة ، سائلا عنى ولما لم يجدنى لأنى كنت فى الخارج سأله عما اذا كان عنده سلاح فأجاب آمال « نعـم ٨٠٠٠ بندقية » •

وهنا قال له جمال عبد الناصر :

ــ وزعهم على الأهالى من أبو حمــاد الى نفيشــه ووزع الذخـيرة ، وعاوز ده كله يتم الليلة •

وقد نفذ ذلك فعلا •

وكان الضباط الأحرار يسهمون فى المقاومة ٠٠ كمال رفعت كان شمال القنطرة عند منطقة اسمها « بوز القرد » ، ولعب الشيوعيون دورا بارزا فى أعمال المقاومة ، عبد المنعم شاتيلا من الحركة الديموقراطيـــة للتحرر الوطنى « حدتو » استطاع مع بعض زملائه دخول بورسعيد عن طريق البحيرات ، وبدأوا عمليات ضـــد الانجليز والفرنسيين وفتحـوا طريقا لقوات فدائية من الجيش للتسلل الى بورسعيد ٠

ومن المؤسف أن السلطـات البوليسية شنت حمـــلة على المقاومة الشعبية لوجود عناصر يسارية بها ، فألغوا نشرة « المقـاومة الشعبية » وبدأوا كتابة سلسلة من التقارير الكاذبة ، وأضاعوا فرصـــة اللقاء بين العناصر الوطنية والشيوعية ٠

ودارت الأيام واستدعيت شاهدا فى محاكمة عبد المنعم شاتيلا عام ١٩٥٩ عندما قدم بتهمة « انه وزملاءه عملاء لدولة أجنبية ، وكانت المحكمة قد طلبت شهادة ١٣ ضابطا حاليا وسابقا ، واســتأذنوا جميعا للشهادة فلم يؤذن لهم ٠٠ وذهبت وحدى بلا اذن ٠

س ٩ : هل اتصلت بجمال عبد الناصر خلال معركة العدوان وما هو موقفه ؟

ج ٩ : كان جمال عبد الناصر مؤمنا بالمقاومة الشعبية خلال العدوان ولكنه لم يتحمس لاستمرارها بعد ايقاف القتال بل كان مؤيـدا لسحب الســـلاح من المواطنين حتى لا يضطرب الأمن ٠٠ أو هكذا كان موقف معاونيـــه ٠

وأذكر بعد العدوان مباشرة أنى زرته فى القناطر الخيرية وكان عنده ثروت عكاشة ٠٠٠ وقدم لى كشفا بخسائر قواتنا المسلحة فى سيناء التى تركتها بلا حرب ، وكان شديد الاستياء من كثرة الخسائر ٠٠٠ ويومهـا وجه كلمات عنيفة ضد عبد الحكيم عامر وصلاح ســـالم وصـــلاح نصر وصلاح دسوقى لأنهم كانوا من دعاة الهزيمة والاستسلام ٠

وأذكر أن الذين وقفوا بجانبه من مجلس الثـــورة كانوا البغدادى وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين فى الاسماعيلية ٠

س ١٠ : ما هى المسئولية التى توليتها بعد عملك مديرا لمكتب جمال عبد الناصر ؟

ج ١٠ : عينت فى أول يناير ١٩٥٧ رئيسا مسئولا لتحرير جريدة الشعب حيث كان حسين فهمى رئيسا للتحرير ، وعبد الرؤوف نافع (أحد الضباط الأحرار) عضوا منتدبا ٠

وأذكر أنه عند تعييني حدثني جمال عبد الناصر عن مصطفى أمين وقال لى أنه أحيانا يطلب معلومات عن بعض المسئولين أو غيرهم فيقدمها له مصطفى أمين خلال نصف ساعة بينما تتأخر المخابرات عدة أسابيع ، وطلب منى أن أعد جهازا خاصا للمعلومات مثله ، فقلت له اننى لا أصلح لهذا النوع من العمل ٠

وأذكر أيضا أن جريدة الشعب قد أدت دورا بارزا فى التمهيد للوحدة العربية والفكر التقدمي وفى تأكيد مبادىء باندونج ورفض مشروع ايزنهاور ، وأجرت استفتاء علنيا لنظام الحكم ، حبذ فيه وحيد رأفت النظام الملكى ٠

وأذكر أننى كتبت مقالا باسم (أضواء على مديرية التحرير) وذلك عقب مقابلة لى مع جمال عبد الناصر بعد حملة الهجوم على مجدى حسنين والتى قام فيها وجيه أباظة مثلا بجمع توقيعات من نواب الشرقية محافظتي لاسقاط عضوية مجدى بناء على طلب الرئيس ـ على حد قوله ٠

عندما راجعت عبد الناصر فى الموقف من مديرية التحرير ومن مجدى حسنين ، قال لى أن البغدادى عمل هذا الموضوع (من ورايا) واتفقت معه على نشر المقال المذكور مفسرا خط سير مديرية التحرير ٠٠ وقد ظهر المقال فى يوم اجتماع مجلس الأمة ٠٠ وكان جمال عبد الناصر قد اجتمع أيضا ببعض النواب وأبلغهم أنه لا يجوز اخراج مجدى حسنين أو أى نائب بطريقة غير دستورية ٠

وعندما تبين للبغدادى أن خطته فى اخراج مجدى لن تنجح ، أعلن للأعضاء أن هناك خللا دستوريا فطالب الأعضاء بأن تتحول الجلسة الى سرية ولكنه أصر على أن تكون علنية ولما فشل خرج غاضبا من الجلسة مقررا الاستقالة ومعه عدد من الوزراء ٠٠ ولكنه اكتشف أن عددا من هؤلاء الوزراء كان قد سبقه فعلا الى منزل جمال عبد الناصر ٠٠ فآثر السكوت ٠

وأذكر أننى أيضا كنت ضمن وفد صحفي سافر للاتحاد السوفيتى وكان مشكلا من خالد محيى الدين وفكرى أباظة ومحمد حسنين هيكل وكمال الحناوى ومصطفى أمين وجلال الحمامصى ومحمد صبيح ومصطفى المستكاوى ٠٠ وذلك أثناء زيارة جمال عبد الناصر الأولى للاتحاد السوفيتى ٠

وعندما عين صلاح سالم رئيسا لمجلس ادارة جريدتي الشعب

والجمهورية وتعيين أحمد بهاء الدين رئيسا لتحرير (الشعب) استقلت شفويا بمكالمة لعلى صبرى الذى طلب منى البقاء ، ولكنى رفضت ٠

س ١١ : هل انقطعت صلتك بالمناصب المسئولة بعد هذه الاستقالة ؟

ج ١١ ـ نعم وبقيت بعيدا حتى قبض على يوم أول نوفمبر ١٩٦١ بعد انفصال سوريا ، حيث كنت قد أعددت مشروع بيان يوقع عليه بعض الشخصيات نقدا لما هو موجود فى مصر من سطوة المخابرات ٠٠ وقد اشترك فى اعداده وحيد الدين جودة رمضان الذى كان سفيرا لمصر فى المجر ، وداود عويس الذى كان يعمل فى مكتب المشير عامر ٠

كتب داود عويس البيان من تسع نسخ وزعها سرا على مكاتب أعضاء مجلس قيادة الثورة وقد كشف أمره لوجود بصماته على الورق واعترف فورا ٠

وقد شكلت محكمة عسكرية برئاسة اللواء محمد فؤاد الدجوى ولم يسمح لى بتعيين محام ، وقد تطوع المحامى محمد سامى السيد للدفاع عنى فطرده رئيس المحكمة ٠

وأذكر أنهم سألونى عن المسئول عن انفصال سوريا فكان جوابى « هو الذى يصدر قرارات اشتراكية ويضع الاشتراكيين فى المعتقلات مما يتيح الفرصة لليمين للتحرك » ٠

وقد صدر الحكم علينا نحن الثلاثة بالسجن ١٥ عاما ، أمضيت منها ٢٧ شهرا فى سجن طره ثم خرجت بافراج صحى ، بعد توسط عدد من الزعماء العرب مثل أحمد بن بللا الذى كلم عبد الناصر فعلا ٠٠ وفى ١٦ مايو ٧١ أصدر الرئيس السادات قرارا بالغاء الحكم ٠

الاســـم : **آمـــال المرصـفى**

تاريخ الميلاد : **١٨ ديسمبر ١٩٢٨**

مهنة الوالد : **مفتش تعليم بمصلحة السجون**

الأمـــــلاك : **لا شيء**

متخرج في : **الكلية الحربية فبراير ١٩٥٠**

الرتبة وقت الحركة : **ملازم اول**

آخر وظيفة : **مدير المسرح القومى**

العمل الآن : **المعـــاش**

س ١ : ما هو نشاطك السياسى قبـل حركة ٢٣ يوليو ؟

جـ ١ : خلال الدراسة الثانوية تلمست الفهم واحترمت الكتـاب وبهرتنى الفنون وتعلمت القراءة ، ووجدت نفسى خلال صلتى ببعض الأصدقاء (الهام سيف النصر وحسن الجندى) قد أصبحت فى صيف ١٩٤٦ عاطفا فى منظمة (اسكرا) الشيوعية ، وفى بداية ١٩٤٨ لم أستطع استيعاب الخط السياسى لهم فيما يتصل بقضية فلسطين فابتعدت عنهم ودخلت الكلية الحربية فى أكتوبر ١٩٤٨ (وتخرجت فى ٥ فبراير ١٩٥٠ حيث التحقت بتنظيم الضباط الأحرار فى نوفمبر ١٩٥١ عن طريق بعض الزملاء ، ثم ما لبثت أن اتصل بى بعض الضـــباط حيث دخلت قسم الجيش فى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حـدتو) وبقيت به وبالضباط الأحرار حتى ليلة ٢٣ يوليو) .

س ٢ : ما هو دورك خلال ليلة ٢٣ يوليو ؟

جـ ٢ اتصل بى الزميلان توفيق عبده اسماعيل وأحمد حمودة يوم ٢١ للتواجد فى السابعة مســاء يوم ٢٢ يوليـو بالوحدة (الآلاى الأول سيارات) ، حيث كان حسين الشافعى وثروت عكاشة يعطيان التعليمـات لضباط الوحدات .

وبعد سقوط القيادة العامة فى يد الضباط الأحرار طلب منى التوجه ومعى السيارات المدرعة الى اليوزباشى كمال رفعت حيث اعتقلنا اللواء سعد الدين صبور ، ثم انضم الينا محمد البلتاجى ، وقبضنا على اللواء الجوى حقى هارون ، بعد معركة كسرت فيها ترقوته وأربع من أسنانه ،

س ٣ : هل استمرت صلتك التنظيمية بالضباط الأحرار أو (حدتو) بعد الحركة ؟

ج ٣ : يمكن القول بأن الرابطة التنظيمية للضباط الأحرار قد انتهت تقريبا بعد نجاح الحركة وخصوصا بعد حركات التنقلات التى وزعتنا على وحدات جديدة ، فقد عينت مثلا فى معسكر الفدائيين بالاسماعيلية الذى كان يشرف عليه كمال الدين حسين ، وقد كتبت تقريرا سياسيا بتسرب الأخوان الى المعسكرات ومحاولتهم السيطرة عليها عن طريق الشيخ فرغلى قائد الاخوان ٠ وكانوا قد كتبوا فى تقارير بأننى أشرب الخمر وهذا يهز من عقيدتهم وقد ساندنى فى موقفى وأيد وجهة نظرى كل من كمال رفعت ولطفى واكد وكانا من ضباط المخابرات المكلفين بالعمل معنا ٠٠ وأذكر أن المتطوع كان يوقع على طلب تطوع لمدة سنتين ولكن الاخوان المسلمين رفضوا ذلك بحجة أن لهم طبيعة خاصة ٠٠ ولكن كمال الدين حسين أخذ من ذلك موقفا واضحا ولم يتهاون مع الاخوان المسلمين ٠

وبعد ذلك عدت للسلاح فى ديسمبر ١٩٥٣ ثم نقلت الى الاسكندرية فى ينساير ١٩٥٤ ٠

أما من حيث الارتباط بحدتو ، فأذكر أننا عقدنا اجتماعا حضره أحمد فؤاد وخالد محيى الدين وصلاح السحرتى وأحمد قدرى وانتهت به صلتنا التنظيمية بحدتو ٠

س ٥ : بصفتك ضابط سوارى ٠٠ هل كان لك دور فى أزمة مارس ١٩٥٤ ؟

ج ٥ : كنت فى الاسكندرية بعيدا عن السلاح ، وقد حضر لنا حسن ابراهيم يوم اقالة محمد نجيب وعقد اجتماعا للضباط فى ثكنات مصطفى كامل هاجم فيه نجيب هجوما شخصيا شديدا ، وهنا انبريت له قائلا أننى أرفض أن أكون آلة فى أيديكم فأنا انسان عقلانى ، قدمت تضحيتى ورقبتى على يدى ليلة ٢٣ يوليو على أساس برنامج وخط سياسى واضح ٠٠ وأريد أن أعرف هدفكم ودرجة ابتعاد نجيب عنكم ، وهنا انفجرت الصالة بالتصفيق ثم توالت الكلمات ٠

وبعد ذلك اتصل بى خالد محيى الدين لنكون على استعداد ويقظة ٠

وأخيرا حضر كمال الدين حسين وعقد اجتماعا فى نادى الضباط شرح فيه أبعاد الأزمة ، وهنا عارضته أيضا وعارضت أيضا فى خدمة

الضباط بهيئة التحرير لأن هذا يؤثر على الضبط والربط داخل الجيش ، وهنا حدثت (هيصة) من بعض الضباط ، فانسحبنا نحن ضباط السوارى وحاول فريد عبد القادر قائد اللواء المضاد ارجاعنا ولكننا رفضنا ٠

وأثنــاء ذلك حدثت حركة اعتقالات ضباط السوارى التى أعقبت اجتماعهم بعد استقالة نجيب ٠٠ والتى نسبت الى اليوزباشى أحمد المصرى، وفوجئت باستدعاء قائد السلاح (أميرالاى عبد العزيز مصطفى) لى فى ٢٨ أبريل ١٩٥٤ وأبلغنى أن هناك أمرا بالقبض على فى مؤامرة أحمــد المصرى لانهم يأخذون على كلامى فى الاســكندرية ، وطلب منى الذهاب للبوليس الحربى حيث صدر الأمر باعتقالى لمدة ٢٨ يوما حبسا انفراديا ، استغنى بعدها عن خدمتى بعد ٤ سنوات ونصف أمضيتها فى الجيش وعمرى لا يتجاوز ٢٦ عاما ، وهكذا انتهت صلتى بالقوات المسلحة ، حيث عملت بعدها فى الجمعية التعاونية للبترول بعد متاعب شديدة ، الى أن اختارنى أحمد حمروش مــدير مؤسســة المسرح عــام ١٩٦٢ لأكون ســكرتيرا لدار الأوبرا ٠

الاســـم :	**أمــين هــويدى**
تاريخ الميلاد :	**٢٢ سبتمبر ١٩٢١**
مهنة الوالد :	**مــدرس**
الأمـــــلاك	**٥ أفدنة**
متخرج فى :	**الكلية الحربية عام ١٩٤٠**
الرتبة وقت الحركة :	**صــــاغ**
آخــر وظيفــة :	**وزير دولة سابق**
	ورئيس المخابرات العامة الأسبق
العمل الآن :	**المعــاش**

س ١ : ما هو ارتباطك بحركة الجيش ؟

ج ١ : لم أكن مرتبطا بتنظيمات أو هيئات سياسية ، ولكن دخلت تنظيم الضباط الأحرار عن طريق جمال عبد الناصر وكنت ضابطا فى رئاسة المشاة التى كان يقودها محمد نجيب والذى كان فى صراع مع السلطة فى ذلك الوقت ·· وأذكر أنه كان يقول عن جمال عبد الناصر (الراجل بتاع اسكندرية) ·· كما أذكر أن السلطات كانت تلاحقه بالأسئلة والاستدعاء لسؤاله عما يحيط به من نشاط يتجسم فى تجميع الضباط حوله فى رياسة المشاة ، فصدر فى أوائل يوليو قرار بالغاء انتدابى مع توفيق عبد الفتاح للعودة لوحداتنا ، فعدت الى كتيبتنا الرابعة مشاة وكانت هى أول كتيبة أنزلت صورة الملك فى منطقة العريش ورفع دون تعليمات فى الساعة التاسعة صباح يوم ٢٣ يوليو ، حيث كنا قد أبلغنا فى الفجر بواسطة يوزباشى فتحى خضير من رئاسة اللواء الثانى بأن الحركة قد نجحت فى القاهرة ، فقمت بابلاغ الضباط الأحرار فى الكتيبة وهم الملازمين محمود عبد السلام وعبد القادر عبد الوهاب وصلاح زعزوع ·

ثم ذهبت بعد ذلك فى بعثة دراسية لأمريكا عام ١٩٥٥ وعينت بعد العودة منها أركان حرب جيش التحرير للدفاع عن القاهرة تحت قيادة كمال الدين حسين ·

واتصل بنا صلاح سالم من رئاسة الفرقة وعبد الفتاح فؤاد وصلاح بدر من رئاسة اللواء وعقدنا مؤتمرا ظهر يوم ٢٣ يوليو فى رئاسة الفرقة حضره قائد الفرقة اللواء سيف الدين وقررنا ارسال برقية تأييد للحركة كما توقف قطار غزة عن النزول للقاهرة فى ذلك اليوم ٠

وفى ليلة العدوان على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ لم يكن هناك طوارىء فى القوات المسلحة وكان جميع ضباط العمليات فى منازلهم ، وكان أول خبر وصلنا من الصاغ توفيق عبد الفتاح ٠٠ وعقد مؤتمر فى الدور الأرضى بالقيادة حضره جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم٠٠ وتقرر فيه الانسحاب بعد التفكير فى انزال قوات خلف ممر متلا وهو ما كلفت بابلاغه للواء على عامر قائد القيادة الشرقية ٠

أذكر أن خسائرنا فى سيناء بلغت وقتها بعد الانسحاب ٢٨ دبابة فقط ٠

وبقيت فى الجيش فى العمليات الحربية الى عام ١٩٥٧ حيث نقلت بعدها للمخابرات العامة الى أن عينت مع شعراوى جمعة وطلعت خيرى نوابا لرئيس المخابرات ٠

س ٢ : ما هى المسئوليات التى عهد اليك بها بعد نجاح الحركة ؟

ج ٢ : بعد نجاح الحركة عدت الى رئاسة المشاه حيث عينت فى لجنة تطهير ضباط المشاة مع حمدى عيد وتوفيق عبد الفتاح وشمس بدران وآخرين ٠٠ ومنها نقلت مديرا لقسم الخطط بالعمليات الحربية وقت اجراء المفاوضات مع البريطانيين وكان من أهم الموضوعات التى تشغل بال المسئولين فى ذلك الوقت هو الضغط على البريطانيين عسكريا للوصول الى اتفاق سياسى ، الا أن قواتنا العسكرية التى كانت تحتل بعض المواقع الدفاعية فى سيناء كانت تشكل نقطة ضعف فى حركة الكفاح المسلح لوجود القوات البريطانية فى منطقة القناة وهى قادرة بالتالى على منع امداد قوات سيناء ، وعقد مؤتمر حضره جمال عبد الناصر واتخذ قرار باخلاء سيناء ونفذ ذلك فعلا ٠

س ٣ : ما هى أبرز الأعمال التى قمت بها فى المخابرات خلال هذه الفترة ؟

ج ٣ : كنا على اتصال مع كثير من الضباط العرب المقتنعين بمبادىء ثورة يوليو والمؤمنين بجمال عبد الناصر ٠

وكنت عضوا ، مندوبا للمخابرات ، فى لجنة عمل شكلت بأمر جمال عبد الناصر برئاسة على صبرى وعضوية حسين ذو الفقار صبرى ومراد غالب وعبد القادر حاتم وسامى شرف ، وكنا نعقد مؤتمرا يوميا يرفع تقريرا للرئيس عن الموضوعات الجارية ٠

وعرض علينا موضوع الوحدة مع سوريا وكان أغلب الأعضاء الى جانب التحفظ فى اتمام الوحدة ٠

وفى ذلك الوقت سافرت أنا وشعراوى جمعة لدراسة الموقف على الطبيعة وأذكر أنه ونحن نتناول طعام الغداء فى منزل ملحقنا العسكرى عبد المحسن أبو النور أن دخل علينا عبد الحميد السراج وأبلغنا بأن هناك مؤامرة على حياة جمال عبد الناصر وأن الملك سعود أرسل له شيكا بمبلغ مليونى دولار لتنفيذ المؤامرة ٠٠ قام مندوب خاص بتسليمه لجمال عبد الناصر فى القاهرة ٠

وأذكر أثناء قدمنا تقريرا ضد اتمام الوحدة بعد جس نبض الموقف فى كافة أنحاء سوريا وعلى مختلف المستويات وتقدمنا أيضا باقتراحات عديدة اذا ما تمت الوحدة ، ولكننا فوجئنا بوصول جمال عبد الناصر الى دمشق بعد أيام ، فقدمنا له تقريرنا ٠

كما أن من أهم الموضوعات التى كشفت عنها المخابرات فى ذلك الوقت هو اكتشاف المفاعل الذرى الاسرائيلى فى ديمونا وكان ذلك خلال ملاحظة وردت فى الصحف الاسرائيلية بمنع المرور بين بئر سبع وديمونا فى النقب خلال أوقات معينة ، وكانت الصحف تتحدث كثيرا عن مصنع نسيج يقام فى ديمونا كتغطية لانشاء المفاعل الذرى ٠٠ ولفت ذلك انتباهنا ووجهنا كافة المصادر لمعرفة حقيقة ما يدور هناك حتى توصلنا الى ذلك ٠ وسبقنا بذلك كافة أجهزة المخابرات العربية ٠

وكذلك كانت متابعة أنباء الحركة الثورية فى العراق تجذب اهتمامنا فى الوقت الذى كانت فيه المخابرات المركزية تؤكد استقرار النظام الملكى ٠٠ ولما قامت الثورة حصلنا على كافة الأوراق السرية للحلف المركزى والتى ظهرت فيها كافة المؤامرات التى كانت تدبر فى ذلك الوقت ضد الجمهورية العربية المتحدة كما ظهر فيها أن اسرائيل تشكل قاعدة هامة من قواعد هذا الحلف رغم عدم الاعلان عن ذلك ٠٠ وفى وقت انزال القوات الأمريكية فى لبنان والانجليزية فى عمان اشتركنا فى مساعدة القوى الوطنية العربية ٠

وأذكر أيضا أن الأوضاع فى اليمن كانت مضطربة وأن شيئا ما يختمر هناك وكان رأيى ألا تتدخل الجمهورية العربية فى مشاكل اليمن

سواء بقي الامام أو خلع أو قتل ٠٠ وهذا ليس نقدا لما تم بعد ذلك ولكنه توضيح لرأى قدم للجهات المسئولة فيوقتها فعلا ٠

وأذكر أيضا أن ثورة الجزائر كانت على أشدها وكانت مساعدتها تدخل ضمن اختصاص الهيئة التى كنت أشرف عليها وكان يتولى هذا العمل فتحى الديب الذى قام بجهد لا ينكر فى تنفيذ سياسة القاهرة فى مساعدة ثورة الجزائر ٠٠ وكم قضينا من ليال ساهرين فى محاولة لتذليل المشاكل والمصاعب التى تعترض طريق ثورة الجزائر ، وللدلالة على هذا أذكر أن معلومات قد وصلتنا عن سوء تخزين الذخيرة التى كانت مخصصة لثورة الجزائر فى مرسى مطروح والسلوم وكان يصلها حمولة قطار ذخيرة يوميا فهالنى الكمية الكبيرة الموجودة من الذخائر والتى تكدست نتيجة منع الحكومة الفرنسية لمرورها عبر حدودها التى كانت تواجه مانعا دفاعيا قويا أقامه الفرنسيون فوق أرض الجزائر من الأسلاك الشائكة المكهربة ٠

وقد دربنا الثوار الجزائريين على اقتحام هذا المانع فى سلاح المهندسين المصرى ٠٠ وبهذه المناسبة أذكر أيضا أن الجزائر احتاجت الى سكر فى وقت لم يكن متوافرا فى مصر وبالرغم من ذلك فقد أمر جمال عبد الناصر بارسال ما تحتاجه الجزائر وهو فيما أذكر حوالى ٢٠٫٠٠٠ طن ، الى جانب تقديم الانتاج المصرى من أحذية وبطاطين وملابس لثوار الجزائر ، وقد رفض الحبيب بورقيبة استلام هذه المساعدات من البواخر أو بأيد مصرية وأصر على أن يتسلمها بوساطة الصليب الأحمر الدولى وقد تم ذلك فعلا ٠٠ هذا الى جانب الشحنات السرية من الذخائر والأسلحة التى كانت ترسل عن طريق بواخر تتبع طرقا سرية ٠

وأذكر أيضا أن اهتمام مصر بافريقيا كان محدودا فى السودان الى أن فتح محمد فايق أبواب أفريقيا لمصر وعقد علاقات صداقة مع كافة حركات التحرر الوطنى فى أفريقيا ، وكان مكتب تحرير أفريقيا تابعا للهيئة التى كنت أديرها (هيئة المعلومات والتقديرات) ، ومن هذا المكتب فى الزمالك خرج معظم رؤساء حكومات الدول الافريقية التى حصلت على استقلالها ٠

وفى ذلك الوقت فتحت مصر خطوط الطيران والبواخر ومكاتب تجارية لشركة النصر والسفارات وبدأ عشرات الآلاف من الطلبة الأفارقة يلتحقون بالجامعات المصرية وخاصة الأزهر حيث غصت بهم معظم البيوت الاسلامية ، وتوطدت علاقة ثورة يوليو مع الدول الافريقية المتحررة ٠

هذه هى بعض الأعمال التى أسهمت فيها خلال عملى بالمخابرات العامة ٠

س ٤ : ما هى المسئوليات التى عهد اليك بها بعد عملك نائبا لمدير المخابرات العامة ؟

ج ٤ : عينت سفيرا فى يوغوسلافيا عام ١٩٦٢ ، الا أن ظروفا خاصة دفعتنى للاعتــذار عن عـدم القبول ووافق جمال عبد الناصر على ذلك ، وانتدبت من وزارة الخارجية للعمل برئاسة الجمهورية بناء على اقتراح من زكريا محيى الدين عضــو مجلس الرئاسة فى ذلك الوقت ، ثم عينت سفيرا بالرباط وبقيت بها ٨٠ يوما فقط عدت بعدها الى القاهرة حرصا منى على مصلحة العلاقات بين البلدين ٠

وحـدث فى ذلك الوقت أن قامت ثورة ٨ فبراير ١٩٦٣ فى العراق (١٤ رمضان) التى أنهت حكم عبد الكريم قاسم وسافرت الى بغداد فى ٢ مارس ١٩٦٣ ، ولم يكن هناك أى تفكير فى اقامة وحدة بيننا وبين بغداد الا أن الظروف اقتضت بضغط من الشارع فى سوريا بعد قيام ثورة ٨ مارس ١٩٦٣ ، وازالة حكم الانفصال ، البدء فيما عرف بعد ذلك بمباحثات الوحدة الثلاثية التى عينت عضوا فى الوفد المصرى بها تحت رئاسة جمال عبد الناصر التى انتهت باتفاقية ٧ أبريل ١٩٦٣ ، والتى ألغاها جمــال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٣ ٠

وعاصرت هناك حركة ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ التى قام بهــا عبد السلام عارف وأطاح فيها بحكم البعث واشتركت فى كافة محادثات الوحدة بين القاهرة وبغداد والتى انتهت باتفاقيتى مجلس الرئاسة المشترك والقيادة المشــتركة ٠

وأذكر أنه لأول مرة فى التاريخ تتلاقى بغداد والقــاهرة مما كان يبشر بتطور كبير فى المنطقة لولا الظروف التى حالت دون ذلك ٠

وعينت عضوا فى الوفد المصرى فى مؤتمر القمة الأول الذى عقد فى القاهرة ثم حضرت مؤتمر القمة الثانى فى الاسكندرية الى أن عينت وزيرا للارشاد القومى فى وزارة زكريا محيى الدين عام ١٩٦٥ ، ثم وزيرا للدولة فى وزارة صدقى سليمان ، ثم وزيرا للحربية ومشرفا على المخابرات العامة بعد النكسة ، ثم وزيرا للدولة حتى وفاة جمال عبد الناصر حيث اعتذرت عن عدم الاشتراك فى حكومة الدكتور محمود فوزى الأولى ٠

الاســـم : **توفيق عبده اسماعيل**
تاريخ الميلاد : **١٥ فبراير ١٩٢٩**
مهنة الوالد : **مزارع**
الأمـــــلاك **١٠٦ أفدنة**
متخرج في : **الكلية الحربية فبراير ٤٩**
الرتبة وقت الحركة : **يوزباشى**
آخـر وظيفـة : **مدير عام برئاسة الجمهورية**
العمل الآن : **وكيل وزارة برئاسة الجمهورية**

س ١ : ما هى صلتك بالعمـل السياسى قبل الثورة ؟

ج ١ : كان والدى عضوا فى البرلمان والهيئة الوفدية ، ولكنى كنت منضما للاخوان المسلمين ، وسكرتيرا لشعبتهم فى المدرســـة التوفيقية الثانوية (١٩٤٦ ـ ٤٧) ، وقد أدخلنى والدى الكلية الحربية ليبعدنى عن العمل السياسى ، ولكنى (ظللت مرتبطا بهم أدرب الفدائيين عام ١٩٤٨ حتى تخرجت فى أول فبراير ١٩٤٩ وغيرت انتمائى لهم ٠

وقد بدأت أتلقى منشورات الضباط الأحرار عام ١٩٥٠ واتصل بى خالد محيى الدين وسامى ترك حيث دخلت تنظيم الضباط الأحرار) ، وكان انتداب خالد محيى الدين للتدريب الجامعى قد ألغى يوم ٢٨ يناير ١٩٥٢ وعاد الى السلاح ٠

وعندما ألغيت معـــاهدة ١٩٣٦ فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ احتلت قوات المدرعات مواقع دفاعية على الكيلو ٧٧ ثم ٥٨ فى طريق السويس ، وكان حسين الشافعى أقدم الضباط فى الخط الدفاعى ٠٠ وبعد ٢٦ يناير ١٩٥٢ (حريق القاهرة) قرر عدد من ضباط السوارى أن يحركوا الدبابات الى عابدين دون وجود خطة أو تعليمات من قيادة الضباط الأحرار ، ولكن خالد محيى الدين أقنعنا بعدم جدوى ذلك ٠

س ٢ : كيف تمت حركة القوات المسلحة فى سلاح الفرسان ؟

ج : كنت أعمل أركان حرب فنيا ، بالآلاى الأول دبابات • وقد تواجدت لتجهيز الآلاى يوم ٢١ يوليو حيث أبلغنا بموعد الحركة وكنا ١١ ضابطا حرا فى الآلاى ، وكان ثروت عكاشة قد أبلغنا أن الحركة قد تأجلت يوما • وأذكر أننا قد أبلغناه بأنه اذا لم يتم التحرك غدا أى ليلة ٢٢/٢٣ فاننا سنتحرك وحدنا •• وهنا غادر الضباط مقر السلاح وبقيت ومعى الضابط النوبتجى وضابط طوارىء •

وكان الآلاى الثانى للدبابات جاهزا أيضا ، وبه خمسة من الضباط الأحرار ، وقد حرص الضباط الأحرار على الاقتراب من الجنود يوم الحركة واللعب معهم بعض الألعاب الرياضية ، كما تم تجنيد حوالى ٧ ضباط صف أذكر منهم شاويش محمد على بسيونى •

وفى الثامنة مساء قمنا بتبادل المرور فى معسكرات السلاح للاطمئنان على الزملاء الموجودين ، فى الساعة الحادية عشرة مساء اجتمعنا عند البكباشى حسين الشافعى قائد كتيبة سيارات مدرعة وكان معه خمسة من الضباط الأحرار فى كتيبته ، وذلك لوضع اللمسات النهائية لتنفيذ الخطة التى سميت (نصر) وصدرت الينا تعليمات الخطة بتوزيع الدبابات على مطار ألماظة وهليوبوليس وسلاح الحدود بكوبرى القبة ومدخل العباسية •

وكان على نجيب قد مر على السلاح وسأل ثروت عكاشة عن سبب وجوده فقال انه طوارىء ولما استفسر منه عمن أصدر الأوامر قال له قسم القاهرة •• وكان رد على نجيب (أنا قائد قسم القاهرة وليس عندى خبر) •• ومع ذلك فقد خرج على نجيب سالما ولم يعتقله ثروت •

وفى الحادية عشرة وأربعين دقيقة اعتقل جنود الشاويش محمد على بسيونى البكباشى زكريا محيى الدين حيث كانت عنده تعليمات باعتقال أى ضابط من رتبة البكباشى فما فوق •• ولكن زكريا طلب مقابلة حسين الشافعى وثروت حيث طلب منهما ارسال بعض وحدات السلاح الى الكتيبة ١٣ مشاة لرفع معنويات جنودها •

وقد اعتقل من الضباط حسن حشمت قائد الفرقة المدرعة ، وسعد الدين مأمور ، وعبد العزيز فتحى ، وكمال حبيب أيوب •

وقد خرجت الوحدات بعد ذلك لتنفيذ تعليمات الخطة ، وذهبت بعض المدرعات للكتيبة ١٣ كما ذهب تروب دبابات للاذاعة •• وكان صاغ خالد محيى الدين مسئولا عن كردون سينما روكسى ويوزباشى وجيه رشدى أمام المستشفى العسكرى ، وصاغ عثمان فوزى للاذاعة ، وملازم أول فؤاد قبودان وملازم أول محمد ابراهيم لمدخل العباسية •

ومن الساعة السابعة صباحا حتى الثامنة يوم ٢٣ يوليو بدأنا نعد لطابور استعراض فى شارع الخليفة المأمون وكان الضباط جميعا حريصين على اظهار مظاهر التأييد وكذلك العساكر ٠

وبقينا بعد ذلك فى المعسكر كقوات طوارىء فى خدمة الشعب ٠

س ٣ : هل استمر تنظيم الضباط بعد نجاح الحركة ؟

ج ٣ : لا ٠٠ استمرت اجتماعاتنا شبه منتظمة الى نوفمبر ثم توقفت بعد أن أبلغنا ثروت عكاشة أن ذلك يثير حفيظة بقية الضباط ، ولكن الواقع أن ذلك كان نتيجة لتمسك الضباط بحرية المناقشة والديمقراطية٠٠ وأذكر أن آمال المرصفى قال لهم انكم بذلك سوف تفتحون الباب للمؤامرات ٠

س ٤ : ما هى بذور الخلافات ضد مجلس القيادة فى سلاح الفرسان ؟

ج ٤ : بدأ ذلك عقب حركة اعتقالات ضباط المدفعية ومعهم رشاد مهنا يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ فقد عقد اجتماع بعد ظهر نفس اليوم لمناقشة الموقف٠ واستقر الرأى على أن هناك قانونا يجب أن يحقق معهم طبقا له بوساطة ادارة الجيش ٠

وكان قد سبق هذا الاجتماع مهاجمة ضباط السلاح لتصرف المجلس من رشاد مهنا واقالته له ، رغم توضيح الأمور لهم بأنه لم يكن وقت الحركة منضما لتنظيم الضباط الأحرار ، وان له تدخلات شخصية يحاول أن يفرض بها ارادته ٠

وكان نتيجة ذلك أن أصدر مجلس الثورة قرارا بنقل بعض ضباط السلاح ، جمال منصور للخارجية وسعد عبد الحفيظ للبحرية ، وعبد الحميد كفافى ومصطفى نصير للحدود ٠

وعندما دخل ضباط المدفعية السجن توتر الموقف ، وألغيت الطوارىء بالنسبة للآلاى الاول دبابات الذى أصبحت قائدا له ، وفى يوم ١٦ يناير أرسل البكباشى حسنى الدمنهورى ضابطا يبلغنا بأن ضباط المدفعية سيعدمون اذا لم نعمل شيئا لهم ، ولكن هذا الضابط (فؤاد أحمد الشاهد) أبلغ ذلك لبعض ضباط القيادة ، فعقد اجتماع حضره محمد نجيب وجمال عبد الناصر وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين وثروت عكاشة ، الذى حضر وأبلغنى أن هذه المجموعة قد وصلتها أخبار بأننى أهيىء لحدوث

انقلاب ونصحنى بمغادرة المعسكر بعد أن أنهى وجود الآلاى فى الطوارىء كما ذكرت ٠

وبعد منتصف الليل فوجئت بحضور أحمد أنور ومجدى حسنين وابراهيم الطحاوى وأحمد طعيمة الى المنزل حيث أخذونى الى القيادة بعد أن أخذوا معهم منشورات الضباط الأحرار ، وهناك قابلت عبد الحكيم عامر الذى قال لى همسا (الأولاد عاوزين يدبحوك ، خليك جامد واوعى تنخنخ) وشكلت لجنة تحقيق معى من عبد اللطيف البغدادى وصلاح سالم وزكريا محيى الدين ، الذين سألونى عما طلبه حسنى الدمنهورى فأنكرت معرفتى بأى شىء ٠

وقد كان حسنى الدمنهورى قد تعرض للضرب والتعذيب من حسن التهامى وكمال رفعت ومحمد أبو نار ، وكان زكريا محيى الدين يطلب اعدامى ولكن عبد الحكيم عامر طلب الافراج عنى ٠

ويوم ١٨ يناير قال لى عبد الحكيم (أنا نجحت فى اخراجك من الموضوع ، خذ عربتك ، وسافر الى بلدكم لمدة أسبوعين ، وبعدين تعالى) ٠

ومع ذلك وصلتنى اشارة للبلد بوساطة البوليس للحضور لمقابلة محمود ربيع عبد الغنى الذى كان يريد الحصول على معلومات منى ، وأثناء ذلك أخذنى حسين الشافعى وثروت عكاشة الى الآلاى أمام ضباطى وصبوا على الاتهامات ، وآثرت الصمت بناء على نصيحة خالد محيى الدين الذى كان يتوقع الاضرار بى ٠

وبعد ذلك نقلت الى مصلحة السواحل ، ثم الى الكلية الحربية فى سبتمبر ١٩٥٣ ، وفى يوم اعلان استقالة نجيب فوجئت بوجود حركة داخل السلاح أثناء نوبتجيتى فهرعت الى هناك حيث وجدت الضباط ثائرين مطالبين بعدم قبول استقالة نجيب ٠ وطلب الضباط الاجتماع مع حسين الشافعى فى المغرب ، ولكنه طلب الغاء الاجتماع ، ولم يستجب الضباط لذلك فقد كانوا قد بدأوا الحضور فعلا ٠

وفوجىء الضباط بحضور جمال عبد الناصر وشمس بدران ووجيه رشدى وبدأت مناقشة شديدة حول الديموقراطية والحياة البرلمانية وضرورة تكوين الأحزاب وانتهى الاجتماع فى الثانية بعد منتصف الليل بعد أن قال لهم عبد الناصر أنه سيعرض الأمر على مجلس القيادة ويعود لهم ، وفعلا عاد فى الثالثة صباحا حيث أعلن أن المجلس قد وافق على طلب واحد من طلباتهم وهو استقالة المجلس ، ولما كنا لا نثق فى محمد نجيب فاننى أقترح أن يشكل خالد محيى الدين الوزارة ٠

وأنهى جمال عبد الناصر الاجتماع قائلا أنه يمكن لكم الذهاب الى محمد نجيب فاذا وافق يتصل بخالد ويكلفه ٠٠ وانتهى الاجتمـاع عند الفجـــر ٠

وفعلا توجه عدد من الضباط الى نجيب الذى قال أنه يشرفه ذلك ٠٠ ولكن بعد عودة خالد محيى الدين من عنـده اعتدى عليه بعض الضباط واعتقل عدد من ضباط السوارى الذين كانوا فى القيادة كما اعتقل الضباط الذين كانوا فى طريقهم للسلاح بوساطة السجن الحربى ٠

وحوالى الظهر كان الموقف ميئوسا منه فى السوارى بعد أن كان فى قمة القوة عند الفجر ٠٠ ولم يكن قد بقى فى السلاح سوى ثمانية ضباط هم سامى ترك وعبد الفتاح على أحمد وأحمد المصرى وبهاء الحينى وعبد الله فهمى ومحمود حجازى وأحمد حمودة وأنا ، واتفقنا على توجيه انذار للقيادة بأننا سنضربها بنيران الدبابات وليكن ما يكون اذا لم يفرج عن زملائنا المعتقلين قبل الساعة ١٣٠٠ م ، وفعلا بدأ الافراج عنهم ٠ وحضر حسين الشافعى الى السلاح مستنكرا وجودى لانى لم أكن عندئذ من قوة السلاح ، ولكنى قلت له انى حضرت للدفاع عن زملائى ، ولكنه أمرنى بالخروج ٠

ونقلت بعد ذلك الى مصلحة السواحل ، وبعد حركة أحمـد المصرى أحلت الى التقاعد فى ٢٢ يونيو ١٩٥٤ وكل ما حصلت عليه من معاش هو ١٤٠ جنيها مكافأة ترك خدمة ٠

الاســـم : **ثروت عكاشة**

تاريخ الميلاد : **١٨ فبراير ١٩٢١**

مهنة الوالد : **لواء بالجيش**

متخرج فى : **الكلية الحربية عام ١٩٣٩ ـ كلية أركان الحرب دفعة ٧ عام ١٩٤٨ ـ دبلوم ماجستير من جامعة باريس ١٩٦٠**

آخر منصب : **مساعد رئيس الجمهورية**

العمل الآن : **كاتب**

س ١ : ما هو نشاطك السياسى قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : لم يكن لى نشاط سياسى قبل التحاقى بالكلية الحربية ، (وبعد تخرجى التقيت عام ١٩٣٩ أثناء خدمتى بمرسى مطروح بالملازم محمد وجيه خليل وكان شابا وطنيا شجاعا يؤمن بمصر أشـد الإيمان ويجهر بعدائه العنيف للاحتلال البريطانى والذى تجسد فى تمرده وتحديه للبعثة العسكرية البريطانية ، وشكل أول تنظيم من الضباط الوطنيين وظل يدعو ويناضل ويتلقى الضربات من الاستعمار ومن البوليس السـياسى ضاربا لنا القدوة المثالية فى الشجاعة والوطنية وانكار الذات ، واليه يرجع الفضل فى نشر الوعى الوطنى بين ضباط الجيش الشبان ، مما مهد فيما بعد الى تبلور تلك المبادىء فى تنظيم الضباط الأحرار · وقد استشهد فى حرب فلسطين على حدود أحدى المستعمرات الصهيونية ومات ميتة البطل التى تتفق وشرف جهاده دون أن يرى الثمرة التى نبتت من غرس يديه · وفى عام ١٩٤٥ التقيت بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أثناء دراستنا فى كلية أركان الحرب وتوطدت بيننا أواصر الصداقة يدعمها الشعور الوطنى المشترك ، كما كانت تربطنى خارج الكلية نفس الصلات بخالد محيى الدين زميلى بسلاح الفرسان · وخلال سعينا الوطنى الحائر كشباب يبحثون عن

حل لانقاذ الوطن مما تردى فيه آنذاك ، استقر بنا الرأى على الانضمام الى جماعة الاخوان المسلمين التى كانت تضم آخرين غيرنا من الضباط الشبان فى خلاياها المختلفة ، واستمرت صلاتنا بتلك الجماعة حتى نشبت حرب فلسطين التى اشتركنا فيها وانقطعت صلتنا بها منذ ذلك الحين) • وقد حـدث قبل اعـلان الحرب رسـميا على الصهيونية أن طلب منا جمـال عبد الناصر التطوع فى صفوف الفدائيين بصفته المشرف على تنظيمنا ، غير أن الحكومة ما لبثت أن أعلنت الحرب •

س ٢ : متى نشأ تنظيم الضباط الأحرار وما دورك فيه ؟

ج ٢ : بعد عودتنا من حرب فلسطين عينت برئاسة هيئة أركان حرب الجيش ، وعين جمال عبد الناصر مدرسا بكلية أركان الحرب ، وعبد الحكيم عامر برئاسة المشاه ، وبدأ كلاهما يدعو الى تشكيل تنظيم الضباط الأحرار، وانضممت اليهما بصورة تلقائيا نظرا للصلات القوية بيننا والتى سبق أن أشرت اليها ، فضلا عن القدوة الحسنة التى كان يضربها جمال عبد الناصر للجميع مما جعلنا نؤمن بقيادته • وقد بدأت منشورات الضباط الأحـرار تصدر تباعا منـذ عـام ١٩٤٩/١٩٥٠ تقريبا وتتضمن هجـوما عنيفا على الاستعمار البريطانى وعلى عناصر الفساد سواء فى القوات المسلحة أو فى السراى أو فى الحكومة) • وكان جمال عبد الناصر يحرر صيغة المنشورات ويحمل خالد محيى الدين أصلها الى منزل ناء حيث يتولى طبعها ثم توزيعها بمعاونة زملاء آخرين • وكانت هذه المنشورات تحض على التمرد والثورة والعصيان بين ضباط الجيش خاصة وتكشف عن الفساد والظلم للشعب عامة ، وذلك لايماننا بأن ثورة الشعب لا يمكن أن تظفر بالنجاح الا اذا آزرها الجيش ووقف حاميا لها •

وفى هذه الأثناء كان اللواء حسين سرى عامر دائم التحدى لمشـاعر الضباط الوطنية الى الحد الذى دفع بعض الضباط الأحرار الى محـاولة اغتياله غير أنه نجا ليكون فى امتداد عمره امتدادا لتحديه لهم • وعنـدما حل موعد انتخابات نادى ضباط الجيش رأى التنظيم أن يختبر مدى قوته وتأثيره بين الضباط فى معركة صريحة مع الملك وأعوانه ، فتقدم بمرشحيه وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب حيث أسفرت الانتخابات عن فشل مرشحى السراى مما دفع الملك الى اغـلاق النادى ، وقد أدى هذا الى ثقة التنظيم بنفسه وبأعضائه •

س ٣ : كيف تم تحـديد موعد الثـورة وما ذكرياتك عن ليلة ٢٣ يوليو ؟

ج ٣ : كان الموعد الذى اتفقت عليه الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار (لم أكن من بين أعضائها) للقيام بالحركة هو نوفمبر ١٩٥٢ ،

وذلك اذا لم يجتمع البرلمان فى موعده وتشكل الحكومة من حزب الأغلبية ، غير أن حريق ٢٦ يناير غير النظرة الى الأمور وتقرر فى شهر مارس أن يكون موعد الحركة هو الخامس من أغسطس بالتحديد مدخلين فى حساباتنا استقرار وحدات بعينها بعد نقلها من سيناء الى منطقة القاهرة وغير ذلك من العوامل ٠

وفى يوم ٢٠ يوليه كنا ـ أنا وصديقى حسين الشافعى ـ نتناول طعام الغداء معا فى منزلى واذا بأحمد أبو الفتح زوج شقيقتى ورئيس تحرير صحيفة المصرى يتصل بى تليفونيا من الاسكندرية ليبلغنى أن حكومة حسين سرى قد استقالت وكلف نجيب الهلالى بتشكيل الوزارة التى عين فيها اللواء حسين سرى عامر وزيرا للحربية وأن أربعة عشر ضابطا ينتظرهم التشريد والاعتقال والسجن ، وقد تعمد فى أسلوب حديثه الى أن يفهمنى تلميحا مدى الخطورة التى سوف تحيق بالضباط الأحرار ان لم يتحركوا بأسرع وقت ، فتوجهنا فورا ـ حسين الشافعى وأنا ـ الى منزل جمال الذى كان كالعادة مكتظا بالضباط ، وأبلغته بالرسالة ، ولما سألنى عن رأيى أجبته على الفور بقولى : يجب أن يتم الانقلاب غدا ٠ ورد قائلا : « فليكن وان كانت وحدات المشاة التى كنت أنتظر وصولها لم تصل بعد الا طلائعها » ٠ وقد طمأنه كلانا ـ حسين وأنا ـ أن القوة الضاربة لسلاح الفرسان التى يقودها الضباط الأحرار ، الآلات المدرع الأول (٤٨ دبابة) والآى السيارات المدرعة (٤٨ سيارة مدرعة) جاهزة وأنها كافية وحدها لتنفيذ الخطة ، فطلب منا اعدادها على الفور وأنه سيقوم من جانبه باعداد قوات المشاه والمدفعية ٠ وهكذا غدونا فى موقف جديد ، اذ كنا قد رتبنا أمورنا على أن تتم الحركة فى أغسطس فاذا بنا بين يوم وليلة نقوم باعداد نفس القوات المطلوبة ولكن فى عجلة وفى ظروف شائكة ، وكان علينا أن نعمل بسرعة وحذر ، وكم خشينا أن تصادفنا العقبات والعراقيل ، غير أننا سعدنا باكتشافنا أن الضباط والجنود كانوا جميعا فى لهفة شديدة وعلى اتم استعداد ٠ وأذكر أنى حين أردت أن أستشف نوايا بعضهم رد على ضابط صغير وكأنه يلومنا « ماذا تنتظرون ؟ » ٠ كانت اجابة مشجعة حتما وتدعو الى الثقة ٠ ومما ضاعف هذه الثقة أيضا أنه حين طبلنا من الضباط اعداد الدبابات والسيارات المدرعة فى يوم ٢٠ يولية استجابوا على الفور استجابة تدعو الى الدهشة والتفاؤل معا ، فلم يكتفوا بالاعداد والاستعداد وانما التزموا تكناتهم ولم يغادروها حتى غادر الملك أرض الوطن فى ٢٦ يوليو ٠ وفى يوم ٢١ يوليه مر بى جمال برئاسة أركان حرب الجيش فطمأنته بالأرقام ، الا أنه أبلغنى بأنه غير متأكد بعد من موعد العملية ، فقد تكون فى نفس اليوم أو فى اليوم التالى لأن احدى وحدات المشاه القادمة

من فلسطين والتى ستشارك فى العملية لم تصل بعد ۰ وفى نفس اليوم أى يوم ٢١ يوليه اجتمعنا حسين الشافعى وخالد محيى الدين وأنا فى منزل حسين نحرر كشوفا بأسماء سلاح الفرسان الذين سيشتركون فى العملية ووحداتهم ونستبعد أسماء المشكوك فى أمرهم ، وكونا قيـــادة ثلاثية تميزت بروح الفريق المتناسق المتحاب انعقدت رئاستها لأقدمنا رتبة وهو حسين الشافعى ، وقمت أنا فيها بدور أركان حرب العمليات على حين قاد خالد محيى الدين احدى الوحدات المشتركة فضلا عن دوره القيادى الذى يتمثل فى عضويته بالهيئة التأسيسية للتنظيم ۰ وفى نفس اليوم أخطرنا بتأجيل العملية لمدة أربع وعشرين ساعة ، فانطلقت الى الآلاى الأول المدرع لأجد جميع الضباط فى الانتظار والبسمة تعلو شفاههم والأمل فى ضمائرهم حبيس يترقب التحقيق على حين قلوبهم تجيش بالرغبة فى الخروج على متن مدرعاتهم لتغيير الأوضاع ، وأحسست أنهم قد كظموا غيظهم حين أعلنت اليهم قرار التأجيل ۰

وفى الخامسة مساء من يوم ٢٢ يولية اجتمعت قيادة الفرســـان بمنزلى وعكفنا على دراسة الخطـــة العامة التى حررها عبد الحكيم عامر بخط يده مع اضافات لزكريا محيى الدين والتعليقات النهائيـــة لجمال عبد الناصر ۰ واستخلصنا منها الواجبات المنوطة بسلاح الفرسان وكانت جسيمة وخطرة ۰ وقد دونت الخطوات التنفيذية بخط يدى على وريقات صغيرة عددها عشر يمثل كل منها عملية من العمليات يتصـــدرها اسم قائدها ، وظللنا نعمل حتى التاسعة مساء ۰ ولما كان ميعاد بدء العملية قد تحدد فى الساعة الثانية عشرة مساء ، فقد وجدنا أنه من الفطنة أن نبكر بالذهاب الى السلاح زيادة فى الاطمئنان الى سلامة الاســـتعداد وفاعليته ، فتوجهنا على الفور الى الثكنات وحالما وصلنا انطفأت الأنوار فجأة ۰ وكان أول خاطر مر بأذهاننا أنه متعمد وأن خطتنا قد انكشفت وأن اطفاء الأنوار ان هو الا وســـيلة لاحباط مخططنا ، غير أن ذلك لم يفت فى عضدنا بل دفعنا الى مزيد من الحماس ۰ وفى ضـــوء الشموع ومصابيح اليد بدأت أصدر الأوامر التنفيذية الى كافة الضباط المشتركين من وحدات الدبابات والسيارات المدرعة بينما كان حسين الشافعى يشرف على سلامة التنفيذ وسرعته ۰ ومن محاسن الصدف أن دور خدمة الطوارىء بين وحدات القاهرة فى تلك الليلة بالذات كان منوطا بسلاح الفرســان متمثلا فى كتيبة من الدبابات مما عاون على انجـــاح الخطـــة ۰ وليس المجال هنا هو الدخول فى تفاصيل العقبات التى اعترضتنا والمواقف التى اتخذت لتذليلها كى يؤدى سلاح الفرســـان دوره الوطنى ضمن الخطة العامة ، ففى الساعة الرابعة صباحا كانت كل الواجبات المنوطة بنا طبقا للخطة قد تم تنفيذها بنجاح كامل وصلينا الفجر فى العراء شـــكرا لله يؤمنا حسين الشافعى ۰

وبعد بضعة أيام استـــدعانى جمال عبد الناصر الى مقر القيادة بكوبرى القبة وعرض على عضوية مجلس قيـــادة الثورة تقديرا للجهد الذى أسهمت به فى انجاح الثورة ممثلا لسلاح الفرسـان ، واعتذرت عن قبول هذا الشرف ، مستندا الى أسباب ثلاثة ، أولهـا أنى لا أتطلع الى أى منصب نظـير أداء واجبى الوطنى ، وثانيهـــا أنى كنت المسئول عن الواجب المنوط بالمدرعات لحماية القاهرة من أى هجوم بريطانى محتمـــل والحركة ماتزال فى مهـدها وفى أمس الحاجة الى اليقظة ، وثالثهـا أنه لا يليق بى من الناحية الأدبية أن أمثل سلاح الفرسان فى مجلس قيـادة الثورة بينما يسبقنى الزميل الفاضل حسين الشافعى فى الأقدمية وهو صاحب دور تاريخى هام فى نجـــاح الثورة ، ومن ثم طلب منى جمال عبد الناصر ابلاغ حسين الشافعى باختياره عضوا بمجلس الثورة ٠

س ٤ : ما هي صلتك بالصحافة ؟

جـ ٤ : من قديم وأنا من هواة الأدب والثقافة ، وكنت أحرر المقالات فى صحيفة المصرى أسبوعيا منذ عام ١٩٤٣ تحت اسم ثروت محمود اذ كان ممنوعا على الضباط الاتصال بالصحافة ، وكذلك دفعت بعدة مترجمات للكتب الى المطبعة العربية فصدر لى منها الحرب الميكانيكيـــة للجنرال فولر وقائد البانزر (أى المدرعات) للجنـرال جوديريان ، وجنكيزخان الذى أعيد طبعه أربع مرات ، وكتب أخـرى فى القصص وعلم النفس ٠ وبعد فراغى من الدراسات العسكرية العليـــا فى كليـة أركان الحرب التحقت بمعهد الصحافة بكلية الآداب ونلت الماجستير منها فى عام ١٩٥١٠ وبعد الثورة وفى خريف عام ١٩٥٢ استدعانى جمال عبد الناصر بحضور خالد محيى الدين وطلب منى أن أتولى رئاسة تحرير مجلة التحرير التى كان أحمد حمروش رئيسا لتحريرها وقتذاك معللا ذلك بأن المجلة تسير فى اتجاه شيوعى ٠ وقد اضطررت تحت ضغط جمال عبد الناصر أن أقبل هذه المهمة بالاضافة الى موقعى فى سلاح الفرسان ٠ وقد حرصـت منذ اللحظة الأولى على الاحتفاظ بهيئة تحرير المجلة التى تخيرها أحمد حمروش كاملة لأنها كانت مجموعة وطنية ٠ وظللت رئيسا للتحرير حتى عيد الثورة الأول حيث كتبت مقالا بعنوان « هكذا قمنا بالثورة » تحدثت فيه عما اداه سلاح الفرسان فى ليلة الثورة ، وهى الجزئيـة التى اشتركت فيهـــا وأستطيع التحدث عنها دون أن أقلل من شـــأن أحد أو أسند اليه مالم يقم به ٠ وقبل مثول المجلة للطبع علمت أن أوامر قد صدرت بسحب المقالة ومنع نشرها بعد أن اطلع عليها صلاح سالم وزير الارشاد آنذاك فقابلت زكريا محيى الدين مدير المخابرات وقتذاك الذى حاول أن يثنيبى عن نشر المقال دون أن يفصح لى عن السبب وأغلب ظنى انه كان محرجا ولما سألته عما اذا كان هناك قول غير صحيح فى المقال أجاب بالنفى واقترح أن أعرض

الامر على عبد الحكيم عامر فتوجهت اليه فورا وبعد أن اطلع على المقال وأقر كل ما جاء به ووافقنى على نشره أبلغنى بحقيقة السبب وهو أن صلاح سالم كان غاضبا لأن اسمه لم يرد بالمقال • ولما سألته عما يمكن أن أضمنه مقالى عن دور صلاح سالم فيما كتبت لم يحر جوابا • وهكذا تم النشر ، ثم فوجئت بعد صدور العدد ببيان فى الاذاعة من وزير الارشاد يعلن فيه أن مجلة التحرير لم تعد تمثل حركة القوات المسلحة ووضعها تحت رقابة الصحف ، فقابلت جمال عبد الناصر محتجا على هذا القرار الشاذ ، ولكنه لم يتخذ فى هذا الأمر قرارا مما حدا بى الى تقديم استقالتى كتابة • ولدهشتى أن أعضاء هيئة تحرير المجلة قدموا استقالاتهم • وما لبث مجلس قيادة الثورة أن أصدر قرارا بتعيينى ملحقا عسكريا بسويسرا •

وبعد أربعة أشهر من عملى فى برن وخلال شهر يناير عام ١٩٥٤ اتصل بى عبد الحكيم عامر تليفونيا ليبلغنى أنه بحاجة الى فى باريس ، واذ وافقت صدر قرار بنقلى اليها حيث توليت عملى كملحق عسكرى بها حتى وقع العدوان الثلاثى على مصر وأذكر أنى عدت الى مصر فى زيارة خلال عام ١٩٥٥ وقابلت الرئيس عبد الناصر حيث قضينا ساعة فى مصارحة الصديق للصديق فعاتبنى على أننى استقبلت خالد محيى الدين فى مطار باريس واستضفته مع علمى بأنه مبعد سياسيا • فسألته بدورى : هب أنك كنت فى مكانه مبعدا سياسيا فهل كنت تتوقع منى الا ألقاك وأستضيفك فابتسم الرئيس الراحل وقال الحق معك •

س ٥ : هل اديت دورا خاصا خلال هذه الفترة ؟

جـ ٥ : أعمال الملحق العسكرى فى أغلبها أسرار لايجوز ان تذيعها غير الدولة نفسها حين تشاء ، ولهذا تجدنى غير مستطيع أن أبوح بكل ما أديته من واجبات فى تلك الفترة العصيبة التى انتفضت خلالها تونس والمغرب والجزائر بثوراتها ضد الاحتلال الفرنسى ، تخللها الحصار الذى ضربه الاستعمار الغربى على تسليح القوات المسلحة المصرية ووسط هذه الأفعال وردود الأفعال العنيفة استدعانى الرئيس عبد الناصر ليبلغنى ضمن قلة من الأجهزة الأخرى بنيته فى تأميم قناة السويس ، وكلفنى بأن أتبين من موقعى كل ما يحيط أو يرتبط أو يفيد فى هذا الأمر البالغ الحساسية والخطورة • وتم تأميم قناة السويس حين حانت الفرصة ، وكان على أن أتابع بدقة الحشود العسكرية وتحركاتها والموقف السياسى بفرنسا وابلاغ القاهرة أولا بأول بالمعلومات والرأى وتقدير الموقف • وقد توصلت بتوفيق من الله الى تفاصيل خطة العدوان الثلاثى على مصر عن

طريق مصادر يستحيل على أن أفضى بها أو أكشف عنها لأسباب تتعلق بسلامتهـا وأمنهـا وهذه أبسط قواعـد الوفاء · وقد أبلغت الرئيس عبد الناصر بتفاصيل خطة العدوان الثلاثى عن طريق رسالة شفوية حملتها عبد الرحمن صادق الملحق الصحفى بالسفارة تجنبا لتسجيل تلك المعلومات فى أوراق مكتوبة بخط يد تتضمن تقييما سياسيا لما يمور بنفوس الحكام من حقد ونوايا عدوانية ضد مصر بصفة خاصة · وبعد عودتى الى مصر فور انتهاء العدوان الثلاثى بادرنى الرئيس عبد النـاصر بقوله ضاحكا : « لقد نفذنا من سم الخياط » ثم اردف : الواقع اننى لم أصـــدق امكان حدوث هذا العدوان برغم ما أبنغتنى به ، لأن كل الحسابات كانت تؤدى الى استحالة حدوثه ، غير أنى أفدت مما بعثت به الى فى اتخاذى بسرعة قرار انسحاب قواتنا المسلحة من سيناء قبل الأطباق الكامل عليها ·

س ٦ : بعد أن عدت الى مصر عام ٥٦ ما الذى عهد اليك به من عمل ؟

ج ٦ : عهد الى الرئيس جمال شخصيا ببعض الاتصالات السياسية فى الخارج لم يحن الأوان بعد للكشف عنها الى آن عينت سفيرا لمصر فى روما عام ٥٧ ، وتتابعت الأحداث بما فيها ثورة العراق على الاســتعمار واسقاط نورى السعيد والتدخل الأمريكى فى لبنان ثم وحدة مصر مع سوريا عام ٥٨ · والحق أقول أنه برغم ضراوة العداء الغربى لمصر فى تلك الحقبة لمناهضتها للاستعمار فقد آنست من الحكومة الايطاليـة فى عهد فانفانى ودا وتفاهما انتهى الى زيارة فانفانى نفسه لمصر ، وكان بذلك أول رئيس وزراء فى دولة من دول الغرب الأطلسى يزور مصر ويعقد معها جملة اتفاقات ·

وفى سبتمبر ١٩٥٨ فوجئت باذاعة القاهرة تذيع قرار تعيينى وزيرا للثقافة ، وقد حاولت جـاهدا الاعتذار عن هذا المنصب غـير أن الرئيس الراحل أصر على موقفه ·

الاســـم : حسن ابراهيم
متخرج فى : الكلية الحربية ١٩٣٩
كلية الطيران
الرتبة وقت الحركة : قائد سرب
آخر وظيفة : نائب رئيس الجمهورية
العمل الآن : رجل أعمال

س ١ : ما هو نشاطك السياسى قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : صاحب تخرجنا فى الكلية الحربية اشتعال الحرب العالمية الثانية ، وظهور شعور معاد للانجليز ومؤيد لهجوم الألمان •

وقد تشكل فى ســلاح الطيران نوع من التنظيم ضم مجموعة من الأصدقاء والزملاء منهم عبد اللطيف البغدادى ووجيه أباظة وعبد المنعم عبد الرؤوف وحسين ذو الفقــار صبرى وعبد الحميد دغيدى ومصطفى مرتجى ••• وكان عزيز المصرى هو الرأس المفكر والمدبر لهذه المجموعة •

كما قمنا بالاتصال مع الاخوان المسلمين من خـلال الصاغ المتقاعد محمود لبيب وكان المرحوم حسن البنا يلتقى بنا •

ولكن نشاط هذه المجموعة توقف بعد هرب زميلنا محمد سنعودى الى الألمان فى الصحراء الغربية وما تبع ذلك من تحقيق انتهى الى اخراج ٢٢ ضابطا من الطيران ونقلهم الى الجيش وكنت واحدا من هؤلاء وقــد تأخرت أقدميتى أيضا •

وقبيل حرب فلسطين ذهبت فى مأمورية الى سوريا حيث أسهمت فى انشاء مطار قريب من دمشق فتعاونا مع فوزى القاوقجى •

وأثناء حرب فلسطين بدأ تجمعنا من جديد ، وتشـــكلت المجموعة التأسيسية للضباط الأحــرار من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامــر وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين ومنى ثم انضم اليها صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وجمال سالم وأخيرا انضم الينا أنور السادات عام

١٩٥١ وكانت له صلات سابقة هو وحسن عزت بتنظيم الطيران فى فترة الأربعينيات ولكنها توقفت بخروجه من الجيش واعتقاله •

وقد انتخبت هذه اللجنة جمال عبد الناصر رئيسا لها مرتين ••• المرة الأولى عند تشكيلها ••• والمرة الثانية بعد اثارة عبد اللطيف البغدادى لموضوع محاولة الاعتداء على حسين سرى عامر بعد حل مجلس ادارة نادى الضباط ، وهى المحاولة التى اشتركت فيها مع جمال عبد الناصر وكمال رفعت وحسن التهامى ••• وقد تكرر انتخاب جمال عبد الناصر بالاجماع عدا صوته الذى أعطاه لى على اعتبار انى ضابط طيران اشتركت فى العملية ، وكان رأى البغدادى ان مثل هذه المحاولة تعرض أمن التنظيم للخطر •

واستمرت اللجنة القيادية للضباط الأحرار تمارس مسئوليتها حتى قيام الحركة فى ٢٣ يوليو •

س ٢ : ماذا كان دورك خلال ليلة ٢٣ يوليو ؟

جـ ٢ : ذهبت أنا وعبد اللطيف البغدادى الى القيادة ساعة الصفر حيث وجدنا أن بعض وحدات الجيش بقيادة الضباط الأحرار قد احتلتها •

وبدأنا نوجه بعض الجماعات لاعتقال كبار ضباط سلاح الطيران •• ثم توجهنا الى المطار حيث سيطرنا عليه بلا مقاومة ••• وقد اعتقلنا مجموعة ضباط وصولات السرب الملكى بقيادة محيى الدين أبو العز الذى كان شديد الانضباط الى الحد الذى أصر فيه على تلقى الأوامر من حسن عاكف ياور الملك ، هذا رغم وطنيته المعروفة •

س ٣ : ما هى المناصب التى توليتها بعد نجاح الحركة ؟

جـ ٣ : أول منصب عينت فيه كان وزير دولة لشئون رئاسة الجمهورية وذلك بعد الخلاف مع محمد نجيب •

س ٤ : ما هو رأيك فيما عرف باسم أزمة مارس بين محمد نجيب وأعضاء مجلس القيادة ؟

جـ ٤ : أزمة مارس فى رأيى كانت صراعا على السلطة بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر الذى بدأ يتجاهل دعوة نجيب لاجتماعات

المجلس ، وكان نجيب يقوم بتصرفات لا يخطر بها أعضاء المجلس ، وتأزم الموقف الى درجة لم تعد فيها بارقة أمل فى الحل •

وقدم نجيب استقالته يوم ٢٣ فبراير وعندما أعلنت خرجت المظاهرات فى الشوارع هاتفة له وضد المجلس ، وأخذ ضباط الاسكندرية الذين زرتهم موقف التأييد له ، كما قامت مظاهرات فى الخرطوم وعقد ضباط الفرسان اجتماعا قرروا فيه ضرورة عودة نجيب ، واقترح عليهم جمال عبد الناصر عودته وتعيين خالد محيى الدين رئيسا للوزراء •

ثم حدثت بعد ذلك مقاومة من جانب ضباط الصف الثانى للضباط الأحرار واعتقال محمد نجيب ثم الافراج عنه وعودته الى منصبه ثم ظهور قرارات ٥ مارس برفع الرقابة عن الصحف ، ثم ٢٥ مارس باتاحة تكوين الأحزاب وأخيرا وضعت نهاية لهذه الأزمة باعتصام عمال النقل وتخلى نجيب عن رئاسة الوزارة وتواجده رئيسا شكليا للجمهورية فى وقت توليت فيه وزارة الدولة لرئاسة الجمهورية فأصبحت مطلعا على كل تحركاته ومقابلاته ومراسلاته •

واستمر الأمر كذلك حتى حادث اعتداء الاخوان على جمال عبد الناصر فى المنشية فى أكتوبر ١٩٥٤ وصدور قرار من مجلس الثورة بعزل نجيب وتحديد اقامته فقمت مع عبد الحكيم عامر بتنفيذ هذا القرار وأخذنا نجيب من قصر عابدين الى استراحة حرم مصطفى النحاس حيث حددت اقامته بعد ذلك •

س ٥ : هل ادى خروج محمد نجيب الى وحدة اعضاء المجلس ؟

ج ٥ : الواقع أنه بعد بداية ١٩٥٥ بدأ جمال سالم وصلاح سالم وبغدادى وأنا نكتشف الاتجاهات الفردية لجمال عبد الناصر وكنا نجتمع لمناقشة الموقف وأمامنا عدة عوامل مؤثرة فى القرار منها :

١ ــ انقلابات سوريا وما أدت اليه من تدهور •

٢ ــ نهاية فترة الانتقال •

ولم نفكر فى الاستقالة قبل عام ١٩٥٦ لأننا لو كنا قد استقلنا قبلها لحدثت هزة لأن البلد كلها كانت معجبة بالترابط •

وقررنا عدم المشاركة فى الحكم بعد نهاية فترة الانتقال •

ولكن صلاح سالم أخل بالاتفاق وقدم استقالته •

وبعد انتهاء فترة الانتقال التزمت بتنفيذ القرار أنا وجمال سالم وبعدنا عن المناصب الوزارية عقب انتخاب جمال عبد الناصر رئيســـا للجمهورية وتقليدنا قلادة النيل فى ٣٠ يونيو ١٩٥٦ وهى تعطينا أقدمية فى البروتوكول على الوزراء حتى ولو كنا خارج جهاز الحكم ٠

ولكن جمال عبد الناصر استدعانى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وأبلغنى بقرار تأميم قناة السويس واستطلع رأيى فوافقته على ذلك ، وفى غمرة الروح الوطنية التى أعقبت ذلك قبلت العمل فى المؤسسة الاقتصادية ، وتشكلت لجنة برئاستى لمشروع السد العالى بعد استقالة جمال سالم ٠

س ٦ : ما رأيك فى الخطوات التى اتبعت لتنفيذ مشروع السد العالى ؟

جـ ٦ : أذكر أننى سافرت الى ألمانيا الغربية عام ١٩٥٥ بعــد أن سمعنا احتمال تخلى الأمريكان عن تمويل مشروع السد العالى وقابلت المستشار أديناور وطلبت منه قرضا ألمانيا لتنفيذ المشروع ٠

ولكن أديناور قال لى انكم ستأخذون قرضا من البنك الدولى ٠٠٠ ولما أبلغته ان البنك قد يسحب عرضه نتيجة ضغوط سياسية ، رفض أديناور تمويل المشروع مع اهتمامه الشديد بالمشروع لفائدته للشركات الألمانية وذلك لأنه كان يدور فى فلك أمريكا ٠

ومشروع السد العالى لم ينفذ ارتجالا أو فى عجلة ، وانما قدم لمعظم بيوت الخبرة العالمية فاقرت بصلاحيته ونفعه ٠٠٠ وكل محاولة للاساءة الى المشروع مردودة من الناحية الفنية والعلمية ٠

وقد أشرف على خطواته بعد ذلك لجنة مشــكلة من الدكتور حسن زكى والمهندسين محمد أحمد سليم وسمير حلمى وهما من مهندسى القوات المسلحة ٠

س ٧ : ما هى المسئوليات التى عهد بها اليك بعد نجاح الحركة ؟

جـ ٧ : عملت أولا فى مجلس الانتاج الذى كان مفروضا أن يتولى مسئولية التفكير فى مشروعات استراتيجية من الناحية الاقتصادية مثل الحديد والصلب الذى يعتبر صناعة استراتيجية لا تحقق ربحا وانمــا تقوم عليها صناعات أخرى ٠

ثم عملت بعد ذلك فى المؤسسة الاقتصادية التى كان معروضا أن تتولى المشروعات التى لا يتوافر للقطاع الخاص فرصــة اقامتها لنقص المال والخبرة ٠

وقد أنشئت المؤسسة لتدير المشروعات الأجنبية التى مصرت وأممت بعد عدوان ١٩٥٦ . وكان مجلس الانتاج قد حل فتحولت اليها ادارة المشروعات التى كان يشرف عليها المجلس .

وفى هذه الفترة دعونا القطاع الخاص للمساهمة فى الانتاج ولكنه لم يساهم .

وفى عام ١٩٥٨ أنشأت شركة النصر لصناعة الأقلام وشركات البويات والصناعات الكيماوية وهما من صناعات القطاع الخاص ، وقد عبر جمال عبد الناصر عن تأييده لهذه الفكرة بالمساهمة فى هذه الشركات مساهمة رمزية .

س ٨ : هل واصلت عملك فى هذا المجال الاقتصادى حتى النهاية ؟

ج ٨ : قدمت استقالة أولى عام ١٩٥٨ بعد نقل اشراف البنك الصناعى من المؤسسة الاقتصادية لوزارة الصناعة دون علمى ... ولكن جمال عبد الناصر قابلنى فى القناطر وبعد عتاب مشترك سحبت الاستقالة .

ومع ذلك فعندما صدرت قوانين يوليو ١٩٦١ ذهبت لتهنئة جمال عبد الناصر رغم انه لم يكن عندى قناعة ايديولوجية كاملة بذلك ، وقد قال لى أنه (اجراء تأمينى للثورة) .

ولا شك أنه كانت لى ملاحظات على زيادة التأميمات وعدم توافر قيادات ادارية وذلك مثل تأميم بنزايون وعدس وشملا بعد عمر أفندى .

وعندما عينت بعد ذلك عضوا فى مجلس الرئاسة وأجمع عبد اللطيف البغدادى وكمال حسين على الاستقالة لم أكن موجودا بمصر ، وعندما عدت ذهبت الى جمال عبد الناصر وقلت له اننى لن أشارك فى المرحلة المقبلة ، ولكن جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وأنور السادات ألحوا على فى البقاء فتنازلت عن رأيى ، وقبلت المشاركة للمرة الثالثة حيث استقلت فى يناير ١٩٦٦ من منصبى كنائب لرئيس الجمهورية .

كنت قد طلبت مقابلته فى ١٣ يناير ١٩٦٦ ولكنه لم يحدد لى مقابلة لمدة خمسة أيام فأرسلت له خطاب الاستقالة التالى :

« السيد رئيس الجمهورية

تحية طيبة وبعــد

حاولت مقابلة سيادتكم لأحقق شفاهة ما سأكتبه الآن ، فاتصلت

بمكتب سيادتكم صباح يوم ٦٦/١/١٣ لطلب المقابلة ولكن للآن وبعد خمسة أيام لم يحدد لى موعد المقابلة الأمر الذى زاد اقتناعى اننى على حق فيما سأطلب ٠

تعلمون سيادتكم اننى عند تعيينى نائبا لرئيس الجمهورية فى مارس ١٩٦٤ كنت معارضا هذا التعيين فاثرت هذا الموضوع فى منزل سيادتكم أمام كل الزملاء ولكنى قبلت بعد مناقشة طويلة لسببين :

الأول : اننا كنواب لرئيس الجمهورية سنكون متابعين لمجريات الأمور ومشاركين فيها بالرأى مع اقتناعى الكامل أن نواب رئيس الجمهورية ليس لهم أى عمل تنفيذى سوى ما يكلفهم به رئيس الجمهورية ٠

الثانى : الابقاء على مظهر الترابط بين أعضاء مجلس الثورة القدامى وهو مظهر طيب له أهميته العامة وعملنا جميعا على الابقاء عليه وتطبيقا لمبدأ المشاركة بالرأى كانت الاجتماعات المتتالية للجنة التنفيذية العليا والأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى علاوة على الكثير من الاجتماعات المقفلة لنواب رئيس الجمهورية وكان يعرض فى هذه الاجتماعات للمناقشة الكثير من المسائل العامة التى تهم الشعب وتتصل بحياته ومستقبله ٠

وظلت الحال تسير فى هذه الحدود الى أن توقفت هذه الاجتماعات من أشهر كثيرة ان لم يكن بصفة عامة فبالنسبة لى على الأقل ٠٠٠ أما من حيث مظهر الترابط فقد كان يراعى دائما فى الاجتماعات العامة أن يظهر الجميع فى كل المناسبات خصوصا ما كان منها خاصا برئاسة الاتحاد الاشتراكى العربى تأكيدا لهذا المظهر الطيب ولكنى لاحظت أخيرا عدم التمسك بهذا المظهر فى كثير من المناسبات كان آخرها اجتماع سيادتكم يوم ٦٦/١/١٢ بالسادة أعضاء المكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى العربى ٠

ازاء ذلك شعرت أن السببين اللذين جعلانى أقبل مركز نائب رئيس الجمهورية قد سقطا وأصبح من حقى أن أرفع الى سيادتكم استقالتى من هذا المنصب وكل المناصب الأخرى التى أشغلها بهذه الصفة والمترتبة عليها ٠

راجيا المولى القدير أن يسدد خطاكم ومن أخترتم من الزملاء فى خدمة هذا الوطن وسيادتكم ٠

والله الموفق »

٦٦/١/١٨

س ٩ : عاصرت حرب اليمن مسئولا فى مجلس الرئاسة ماذا كان رأيك ورأى زملائك فى هذه الحرب ؟

ج ٩ : عندما عرض جمال عبد الناصر موضـــوع مســاندة مصر للثورة اليمنية لم يعترض أحد منا مطلقا على المساهمة فى ذلك •

س ١٠ : حتى ولا كمال الدين حسين ؟

ج ١٠ : لا ••• لم يعترض أحد منا مطلقا ••• وأذكر أن أنور السادات كان مشرفا على شئون الخليج واليمن ••• وأننا قد فهمنا من عبد الناصر أن العملية بســـيطة ولن تدفعنا الى تورط كبير ••• ولكن مجريات الحرب أدت الى ما حدث •

س ١١ : هل ابتعدتم عن المشـــاركة الشخصية مع ثورة يوليو بعد استقالتكم ؟

ج ١١ : قدمت مذكرة فى ١٧ مايو ١٩٦٧ عن الموقف الســياسى المتوتر قبل العدوان الاسرائيلى وقابلته فى ٢٧ مايو وقال لى جمال عبد الناصر (أنا لن أحارب ••• مش أنا اللى حاوديكم تل أبيب ••• ده اللى حاييجى بعد منى) ، ثم أعددت له مذكرة فى أول يونيو ، وفى ٥ يونيو طلبنــا جمال عبد الناصر بالتليفون من منزل عبد اللطيف البغدادى ، فقال لنا : اذهبوا لعبد الحكيم عامر فذهبنا فى الظهر ••• وحضر جمال عبد الناصر بعد الظهر وكانت عنده صورة حقيقية لما حدث •

وكان رأينا المشـــترك أنا وبغدادى وكمال حسين ألا ننسحب بل نلتحم لمنع سيادة العدو الجوية ونخسر المعركة بشرف •

وعندما تكشـــفت حقيقة الموقف قرر عبد الناصر ألا ســـبيل الا الانسحاب ، ولكن عبد الحكيم عامر الذى كان مسئولا عن تنفيذه نفذه بطريقة خاطئة •

الاسم : حسن فهمى عبد المجيد

متخرج فى : الكلية الحربية سبتمبر ١٩٣٩

الرتبة وقت الحركة : صاغ

آخر وظيفة : سفير بالخارجية

العمل الآن : سفير مصر فى دمشق

س ١ : ما هو نشاطك السياسى قبل حركة الجيش فى يوليو ١٩٥٢ ؟

جـ ١ : بدأ نشاطى الوطنى عندما بدأت مع مجموعة من الضباط والأصدقاء فى ضرب العساكر الانجليز بالرصاص أو القنابل أو القبضات الحديدية .

كانت هذه المجموعة تضم الضباط مثل حسن الطرزى وأحمد زيتون وسعد عثمان وحسن التهامى .

ومن المدنيين سعد كامل .. وهى لم تكن تنظيما بمعنى التنظيم .. وانما كان تجمعا تربطه الظروف الشخصية .

ولم نكن مرتبطين عمليا بأى تنظيم سياسى معروف .

كان تفكيرنا واشتراكنا فى العمليات الفدائية يدور حول فكرة ثابتة هى ضرورة خروج الانجليز من مصر ، وأن الأحزاب (بايظة) وأن الزعماء يضللون الشعب ، وأن قيادة الجيش غير وطنية ويجب أن تتغير .

وفى حدود هذه المفاهيم قررنا اعدام مصطفى النحاس لارساله برقية الى مجلس الأمن تعادى النقراشى الذى خطب قائلا للانجليز (أيها القراصنة أخرجوا من بلادنا) .

وفى احدى هذه المحاولات هاجمنا النحاس بعربة من عربات القصر كان يقودها يوزباشى عبد الله صادق من مطافىء القصر ومعه عبد الرؤوف

نور الدين وأنا ، وشخص رابع ، وقد أخطأنا الهدف ونحن على بعد مترين فقط من ظهر النحاس .

وفى المحاولة الثانية لنسف المنزل رفضت الاشتراك فيها لتعريض حياة بعض الأبرياء للخطر .

والقينا قنابل أيضا على منزل عبد الفتاح عمرو بالدقى ، وقنابل دخان على أخبار اليوم .

وتطور بنا التفكير الى ضرورة مساعدة الفدائيين فى فلسطين ، واعدام رئيس أركان الحرب اللواء ابراهيم عطا الله .

وتعرفنا بالحاج أمين الحسينى الذى طلب منا تهريب السلاح الى فلسطين عن طريق بورسعيد .

وخلال اتمام عملية تهريب السلاح ونقل حمولة عربتين من القاهرة الى بورسعيد ونزولنا فى فيللا الضابط عاطف عبده سعد وانزال الذخيرة فى ميس البطارية الخفيفة المضادة للطائرات ببورسعيد ، وبدء البحث عن مركب صيد لنقلها ، خلال ذلك أبلغ أحد الصولات (جمال الدين جلال) وكان يوزباشى مصطفى كمال صدقى قد اعتمد عليه حيث كان يعمل معه فى ادارة المخابرات الحربية فى طبع المنشورات التى كان يكتبها الصاغ أحمد يوسف حبيب .

وفى عام ١٩٤٧ اعتقلت مع رشاد مهنا وعبد الرؤوف نور الدين ، ومصطفى كمال صدقى وعبد المنعم عبد الرؤوف وأنور الصيحى وممدوح جبه وعاطف عبده سعد ومحمد أحمد حسن وعبد القادر طه وطيار محسن وأحمد يوسف حبيب ، وعثمان نورى ولم يكن ضمن مجموعتنا ، وأحمد فؤاد الذى قبض عليه خطأ بدلا من أحمد عبد المجيد فؤاد وضاعت عليه بذلك فرصة السفر فى بعثة الى كامبرلى .

وضعنا فى معسكر اعتقال ثبت السلك على نوافذه ، وحبسنا انفراديا لمدة اسبوعين واستمر الاعتقال لفترة تتراوح ما بين ٣ أسابيع الى شهر .

كان يحقق معنا حافظ سابق رئيس النيابة .

وأثناء وجودنا فى المعتقل خرجت أنا ومصطفى كمال صدقى وعبد الرؤوف نور الدين فى يوم خميس بلا أوامر حيث سلمنا أنفسنا للنائب العام محمود منصور وكان عنده فى نفس الوقت اللواء عثمان المهدى قائد قسم القاهرة بعد أن وصلته معلومات هربنا .

كان النائب العام متشددا بينما كان عثمان المهدى متسامحا ٠

وبعد مناقشة مع النائب العام حول ضرورة الافراج عنا قرر الافراج يوم السبت فعدنا الى المعسكر ٠

خلال فترة الاعتقال كان جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وعدد من الضباط يجمعون لنا نقودا لعائلاتنا ٠

وبعد الافراج عنا اتصل الدكتور يوسف رشاد الياور البحرى للملك بمصطفى كمال صدقى وأقنعه بأنه يمكن عن طريق الملك تنفيذ كل ما نريد ٠٠ واقتنع معظم الذين أفرج عنهم بهذا الاتجاه وشكلنا تنظيما خاصا بذلك ٠

وعندما قامت حرب فلسطين تطوعت مع مصطفى كمال صدقى وعبد الرؤوف نور الدين فى مجموعة كانت بقيادة القائمقام أحمد عبد العزيز وتضم كمال الدين حسين وخالد فوزى وقوات من المتطوعين ٠

كان الجيش هو الذى قدم لنا السلاح والعربات بعد رفع نمر الجيش ، واستبدلنا الملابس العسكرية بملابس المتطوعين ٠٠ وكان يساندنا في ذلك وزير الحربية محمد حيدر ، ومدير ادارة شئون فلسطين القائمقام اسماعيل شيرين زوج الأميرة فوزية ٠

أذكر أن أحمد عبد العزيز قد أرسلنى من فلسطين لمقابلة حيدر واسماعيل شيرين ويوسف رشاد لتسهيل بعض الأمور لنا فى ساحة القتال ٠

وأذكر أن صلاح سالم قد حضر لنا مندوبا عن القيادة أثناء توقيع الهدنة ، وأنه اختلف مع أحمد عبد العزيز حول موافقته على الانسحاب من بعض المناطق لتحتلها قوات الأمم المتحدة بعد اجتماع عقد فى دار القنصلية الانجليزية فى القدس القديمة ، وحضرته مع أحمد عبد العزيز وحضره من الجانب الاسرائيلى موشى ديان والأردنى عبد الله التل وعن الأمم المتحدة الجنرال رايلى لغياب برنادوت وعن المتطوعين عبد الله الافريقى وعن الصليب الأحمر دكتور لينهر ٠

وفى هذا الاجتماع تقرر وضع الكلية العربية والجامعة ؟؟ المندوب السامى تحت رعاية الصليب الأحمر ٠

كان صلاح سالم قد حضر وحده عابرا خطوط القتال وتساءل عن الأسرى وجنسيتهم وعن القتلى والجرحى ٠٠ وبعد رفضه لفكرة الانسحاب

تراجع أحمد عبد العزيز عن رأيه ·· وتصادف انه قتل ليلتها وهو يركب عربته الجيب وبجواره صلاح سالم برصاص الجنود المصريين ·

وبعد أن انتهت حرب فلسطين استمرت اتصالاتنا التنظيمية وقلت عملياتنا العسكرية أو الارهابية خاصة وأن الجنود البريطانيين كانوا قد رحلوا الى منطقة القناة ·

س ٢ : هل اشترك تنظيمكم المتصل بيوسف رشاد ياور الملك فى معركة الكفاح المسلح بالقناة ؟

ج ٢ : لم يشترك تنظيمنا بشكل كتائب محددة ، وان كان بعض الضباط قد أسهموا بدور خاص فى معركة الكفاح المسلح ، خاصة وأننا لم نكن فى وحدة واحدة ، بل كنا منتشرين فى أسلحة الجيش ووحداته ·

س ٣ : هل كان هذا التنظيم ينمو يوما بعد يوم ، أم أنه استقر على عدد محدود من الضباط ؟

ج ٣ : لم ينم التنظيم كثيرا ، بل استقر تقريبا عند العدد الذى اقتنع مع اقتراب حرب فلسطين واستمرارها بأنه يمكن عن طريق الملك تنفيذ كل مطالب الجيش ·

س ٤ : هل اشتركت فى حركة الضباط الأحرار ·· وهل اشترك بعض أعضاء تنظيمكم ؟

ج ٤ : لا· · لم أكن عضوا فى تنظيم الضباط الأحرار ·· ولا أستطيع أن أعرف مواقف الآخرين ·

الاسم : حسنى الدمنهورى

تاريخ الميلاد : ٣ مارس ١٩١٦

مهنة الوالد : من ذوى الأملاك

الأملاك : عقارات

متخرج فى : الكلية الحربية ١٩٣٧

الرتبة وقت الحركة : بكباشى

آخر وظيفة : محافظ مرسى مطروح

العمل الآن : المعاش

س ١ : ما هى الظروف التى ادت الى الحكم عليك بالاعدام ؟

ج ١ : عينت محافظا لمرسى مطروح بعد اعتقال محافظها السابق بعد محاولته تهريب حسين عامر الى ليبيا .

وعندما علمت بوجود على ماهر فى برج العرب أثناء رئاسته للوزراء ومعه الوزراء محمد على رشدى وابراهيم عبد الوهاب وكل من محمد عثمان خليل والدكتور عبد الله العربى والدكتور قدرى الذى كان مديرا لحدائق الحيوان ، ذهبت اليه هناك .

أثرت مع رئيس الوزراء موضوع (ترخيص الاقامة) للمصريين فى الصحراء الغربية وهى قاعدة كانت متبعة بالنسبة لكل مناطق الحدود ، كما تحدثت معه أيضا فى تصاريح التموين ، فاصدر أمره بصفته وزيرا للحربية بالغاء تصاريح الدخول والاقامة فى مناطق الحدود ، كما كلف لابراهيم عبد الوهاب بالغاء تراخيص التموين .

غضب مدير الحدود عبد المنعم صالح وأركان حربها محمد فؤاد الدجوى لتصورهما أننى أتخطى مدير الحدود باتصالى المباشر مع رئيس الوزراء .

وقد قاومت عدة تصرفات سخيفة من بعض صغار الموظفين المنافقين ، مثل محاولة رفع التليفون من استراحة رأس الحكمة الملكية . ومنع ناظر محطة المياه من رى عشرين فدانا تفاح تابعة للملك ·

ووصــل بعد ذلك الى مطروح على ماهر ومعه الفونس جريس وزير الزراعة وزهير جرانة وعبد الجليل العمرى وزير الاقتصاد ومحمد عثمان خليل مدير الجيزة ·

اجتمع على ماهر مع الضباط فى خيمة كبيرة وتناول معهم الشاى ، وأثيرت قضية طرد الضباط من الجيش فى محاولة للتعرف على رأيهم بعد قول عبد الجليل العمرى أن ذلك يكلف الخزانة معاشات كبيرة ·

وأثناء ذلك صرح على ماهر بأن رأيه أن يكون الحد الأقصى للاصلاح الزراعى هو ٥٠٠ فدان ·

وعقد على ماهر اجتماعا ثانيا مع الضباط فى ناديهم بالاسكندرية

نقلت بعد ذلك الى اللواء الرابع المشاة حيث عقد اجتماع لضباط الفرقة المشاة فى سينما هاكستيب حيث قال قائد الفرقة اللواء صــلاح حتاتة (الضابط اللى ما يعجبوش حنضربه بالجزمة) فنهضت وطلبت من ضباط اللواء الرابع الانصراف ·

وهنا استدعانى اللواء محمد نجيب الى مكتبه فكان أول لقاء معه فى أول يناير ١٩٥٣ وكان يقف خلفه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر · وعندما سألنى عن شكوى اللواء حتاته قلت له (الضباط يضربون بالرصاص وليس بالأحذية) ··· ثم أبديت احتجاجى على وقوف اثنين من الضباط أحدث منى رتبة أثناء التحقيق ·

وقد حذرنى نجيب من هذا التصرف وطلب منى عدم الحديث ، ولكنى استمررت فى نقل الصورة للضباط الذين أعرفهم ·

وفى يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ اعتقل رشـــاد مهنا وعدد من ضباط المدفعية ·

وذهبت لمقابلة اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الحرب لسؤاله عن سبب اعتقالهم فقال لى (لا أعرف ·· أنا طرطور) ·

خرجت من عنده متعمدا اثارة الضباط حول قضية وضع الضباط فى سجن الأجانب ·

وفى يوم ١٧ يناير فوجئت بحضـــور أحمد أنور ومجدى حسنين وأحمد طعيمة وابراهيم الطحاوى ومحمد أبـو نار الى منزلى بالمدافـــع

الرشاشة ليلا حيث اعتقلونى ، وذهبوا بى الى معسكر قصر اننيل حيث وجدت لجنة يرأسـها عبد اللطيف البغدادى وأعضاؤها عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وصلاح سالم ووقف خلفى حرس من كمال رفعت وحسن التهامى ومحمد أبو نار وهم يحملون المسدسات ٠

أدار أعضاء اللجنة لى شريطا مسجلا بصـوت الضـابطين فؤاد الشاهد وصفى الدين حسين وهما يبلغان عنى ٠

وفوجئت بهم يخلعون علامات الرتبة وكأنهم يصدرون الحكم قبـل التحقيق ٠

وانطلق صـلاح سالم يقذف فى وجهى كلمات قبيحة ، وتبادلنا السباب والاتهامات ولكنى تعرضت لضرب شديد قاس من ضباط الحرس الثلاثة من الرابعة فجرا حتى الرابعة مساء بلا أكل ولا ماء ٠٠٠ ثم أعيد التحقيق حتى السابعة مساء ٠

وبعد ذلك بدأت محكمة رأسها جمال عبد الناصر وحضرها أعضـاء مجلس الثورة عدا أنور السـادات ويوسف صـديق وعبد المنعم أمين ، وكان نائب الأحكام ابراهيم سامى جاد الحق ، وبدأت المحاكمة فى السادسة صباحا ٠

حاول صلاح سالم قذف كلام آخر ولكن جمال عبد الناصر منعـه بصفته رئيسا ، واستمرت المحاكمة حتى التاسعة صباحا ، ثم أدخلت غرفة جانبية لحقنى فيها البغدادى طالبـا منى الاعتراف للتخفيف ، ولكنى رفضـت ٠

نقلت الى سجن الأجانب ٠٠٠ وصباح يوم ١٩ يناير ١٩٥٣ تلى على حكم الاعدام فى غرفة مأمور سجن الأجانب ثم نقلت الى السجن الحربى حيث قيدت يداى ورجلاى بالحديد لمدة ثلاثة ساعات ٠٠٠ وكان معى فى الزنزانة ٣ عساكر وعلى الباب شاويش ٠

ويوم ٣٠ مارس أجريت لى عملية جراحية عاجلة لمصران أعور يوشك أن ينفجر ٠

وفى الاسبوع الأول من أبريل بعد التخلص من نجيب خفف الحكم الى أشغال شاقة مؤبدة ٠

نقلت الى سجن الاستئناف حيث كان رشاد مهنا ومحمود رشيد وعبد العزيز الشال وصبرى الحكيم من الذين حكم عليهم فى اعتقالات منتصف يناير ٠

ولم يفرج عنى الا فى ٦ أكتوبر عام ١٩٥٨ ٠

الاســـم : حسنى عبد المجيد

تاريخ الميلاد : ٢ فبراير ١٩٣٢

مهنة الوالد : مزارع

الأمــــلاك : ٣٨ فدانا ومنزلان

متخرج فى : الكلية الحربية سبتمبر ١٩٤٢

الرتبة وقت الحركة : يوزباشى

العمل الآن : لواء بادارة التوجيه المعنوى

آخر وظيفة : المعاش

س ١ : ما هو نشاطك السياسى قبل حركة الجيش وبعدها ؟

ج ١ : لم يكن لى ارتبـاط بأى حركات سياسية ، ولكنى دخلت الضباط الأحرار فى أواخر ١٩٤٩ مع مجموعة من ضباط سلاحى (خدمة الجيش) مثل معروف الحضرى وابراهيم الطحاوى ومجدى حسنين ٠

وفى السادسة صباحاً فجر يوم ٢٢ يوليو حضر لى مجدى حسنين وأبلغنى بأن الحركة سوف تقوم فى منتصف الليل وان واجبى هو تحريك عربات النقل لنقل الكتيبة ١٣ مشاة ٠٠٠ وقد حدث خلاف فى تحديد موقع التجمع ٠

وبعد أن نجحت الحركة كنا نعقد اجتماعا اسبوعيا عند المشير كل يوم جمعة بعد الصـلاة ، كما أن جمال عبد الناصر كان يعقد اجتماعات مع مجدى حسنين ومعروف الحضرى وحمدى عاشور ٠٠٠

وقد دخلت الدفعة ١٣ فى كلية أركان الحرب فى سبتمبر ١٩٥٢ وكان ضمن طلبتها حسين الشافعى الذى دخل بأمر من القيادة رغم عدم نجاحه فى امتحان القبول ٠٠٠ وأذكر بأننا قمنا بزيارة للولايات المتحدة بعد تخرج الدفعة ٠٠٠ وأذكر أيضا أن أحـد ضباط السلاح فى الدفعة (حمدى عاشور) قد طلب منى الحصول على معلومات عن اثنين من زملاء

الدفعة هما أحمد حمروش ومحمود الغراب وكان الأول قد أعتقل لمدة خمسين يوما فى يناير ٥٣ وعرف بأنه يسارى والثانى كان معروفا أنه من الاخوان المسلمين ... ولكنى رفضت الاستجابة لهذا الاسلوب الرخيص .

وفى عام ١٩٥٤ بعد محاولة الاعتداء على جمال عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤ من جانب الاخوان المسلمين أحيل سبعة ضباط الى المعاش مع معروف الحضرى ... وكان مدير السلاح الذى عينته الحركة (عبد الرحمن خليفة) قد أحيل الى المعاش لأنه كان له رأى صارح به المشير فى أحد اجتماعاتنا المحدودة معه خاص بموقف المجلس من محمد نجيب فى أزمة مارس ١٩٥٤ .

وتنيجة لهذا الجو الذى رأيت فيه الأخ يطعن أخاه ، آثرت البعد عن هذه الخلافات والتركيز على عملى كضابط فقط فى القوات المسلحة .

نقلت الى القيادة المشتركة مع سوريا فى أكتوبر ١٩٥٧ مع عبد المحسن أبو النور وأحمد زكى عبد الحميد وطيار طاهر زكى ، وبقيت هناك حتى الانفصال ، ثم عدت الى القاهرة عاملا فى ادارة الشئون العامة ، حتى النكسة ، واعتقلت مع الضباط المقربين من المشير فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٧ لمدة ١٨ شهرا .

الاسم : **حسين عرفة**

تاريخ الميلاد : **٢٥ ابريل ١٩٢١**

مهنة الوالد : **تاجر**

الأمـــلاك : **منزل**

متخرج فى : **الكلية الحربية أكتوبر ١٩٤٢**

الرتبة وقت الحركة : **يوزباشى (رئيس ادارة المبـــاحث الجنائية العسكرية)**

آخر وظيفة : **وكيل وزارة فى رئاسة الجمهورية**

العمل الآن : **أجازة بدون مرتب (أعمال حرة)**

س ١ : ما هو دورك قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : عينت ضابطا فى الحرس الملكى بعد حرب فلسـطين عقب اختيار حيدر باشا لثلاثة عشر من الضباط الذين قاموا بأعمال جيدة أثناء القتال ، وكنت قد حصلت على نوط الجدارة الذهبى ٠

عينت فى الحرس الخاص للملك الذى كان يرتدى الملابس المدنية ، ويحصل اليوزباشى فيه على مرتب ٥٣ جنيها (بينما مرتب نظيره فى الجيش لم يكن يتجاوز ٣٠ جنيها) ، ويقضى ستة شهور فى القاهرة وستة شهور فى الاسكندرية ، وكنا نؤدى الخدمة يوما ونحصل على أجازة يومين ٠٠٠ وأذكر أننا كنا نقضى أحيانا معظم الليل فى الشارع تحت وطأة البرد لأن الملك كان يقضى سهرته فى أحد النوادى أو أماكن اللهو ٠

كان معنا فى الحرص الخاص محمد أحمد صادق نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية السابق ، وسعد الشاذلى رئيس أركان الحرب السابق ، وسعد متولى كبير الياوران السابق ، كما كان فى بوليس القصور لواء على صلاح مساعد وزير الداخلية وحمدى الجريتلى وعصمت شفيق محافظ بنى سويف ٠

وكان أحمد كامل قائد بوليس القصور قد بدأ يثير ريبة الملك فى ضباط الجيش ، فأخذت حراسته تقتصر على ضـــباط البوليس الذين حصل بعضهم على رتب شرفية لم تمنح لضباط الجيش فى الحرس الملكى ٠

وكنت قد لاحظت أن اجتماعات تعقد فى منزل شـــقيق زوجتى البكباشى أحمد أنور ، وأن نقدا شديدا قد بدأ يوجه ضد تصرفات الملك المبتذلة ٠٠٠ وأذكر آننى قلت مرة لأحمد أنور أننى على استعداد لقتل الملك على شرط أن يوفروا معاشا لأولادى ولكنه لم يوافق ولم يواصـــل الحديث معى ، وقــد علمت فيمـــا بعد آن ذلك كان بتوجيه من جمال عبد الناصر ٠٠٠ ولذا فلم يكن عندى خبر عن حركة (الضباط الأحرار) ٠

س ٢ : هل كنت فى حراسة الملك أثناء فترة خروجه من مصر ؟

ج ٢ : كنت نوبتجيا فى قصر المنتزه صباح يوم ٢٣ يوليو ، وفى السابعة صباحا أبلغنى صاغ فى بوليس القصـــور عن حدوث انقلاب ، فصدرت لنا الأوامر بأن نكون فى خدمة مستمرة ٠

وفى يوم ٢٤ يوليو غادر الملك قصر المنتزه الى رأس التين ومعـــه الياور الجوى حسن عاكف ٠

وفى يوم ٢٦ يوليو وصلت الدبابات من القاهرة وحاصرت قصر رأس التين ، وقامت وحدات الحرس من الهجانة ومدافع الماكينـــــة التى كان يقودها البكباشى عبد المحسن كامل مرتجى (قائد القوات البرية فيمـــا بعد ورئيس النادى الأهلى) بالضرب على الدبابات وحدث تبادل لاطلاق النـــيران ٠

وقد حاولت اقناعهم بأن حركة الجيش من أجل التخلص من بعض رجال الحاشية ٠

طلب الملك رجال الحرس الخاص وبوليس القصور ، الى اجتمـــاع حضره محمد حسن والاميرالاى محمد أبـــو النصر مدير مشـــاة الحرس الملكى ، والياور على مقلد ، والياور حسن عاكف ورجال الحرس الخاص وكانت الملكة والأميرات يقفن على مسافة حوالى ١٠ ــ ١٥ مترا ، وقال لهم (عمروا مدافعكم وخذوا بالكم من الأولاد) ٠

ولما قيل له أن هناك مدفعية مصوبة على صالة القصر ، تراجع فورا وقال (طيب امنعوا الضرب) ٠

أسرعت بابلاغ الهجانة وتوقف الضرب فعلا ٠

وطلبت قوات الجيش تسليم بوللي وحلمي حسين ، ووافق الملك على تسليم حلمي حسين وطلب احضار بوللي ليكون بجانبه ٠

وقمت شخصيا بتسليم حلمي حسين الى ضباط المدفعية خالد فوزى الذى سلمه الى عبد المنعم أمين الذى كان موجودا فى طابية قايتباى ٠

وفى الحادية عشرة صباحا وصل على ماهر وسليمان حافظ ومعهما وثيقة التنازل التى وقعها الملك ٠٠٠ ثم نبت تساؤل عن الحرس الذى يسافر مع ولى العهد ٠٠٠ واقتنع الملك بخطورة أخذ بوللي طالما الجيش يطالب به فاستدعاه الملك وقال له (طيب يا بلبل مش حاقدر أخدك معايا والجيش مش حيعمل لك حاجة) ٠٠٠ وقمت مرة ثانية بتسليم بوللي لعبد المنعم أمين ٠

وقام كافاتسي بحرق الأوراق واعداد شنط صاج للرحيل ٠

وأعد عبد المحسن كامل مرتجي حرس شرف على رصيف الميناء ٠

وانتظر الملك حضور محمد نجيب ٤٠ دقيقة ، ولما أشارت الساعة الى السادسة الا دقيقة تحرك الملك حتى يركب اليخت فى اللحظة المحددة تماما لمغادرته البلد ٠٠٠ وكان فى وداعه على ماهر وجيفوســـون كافرى وعدد من رجال الحاشية والحرس ٠٠٠ وتعالى صوت البكاء على رصيف الميناء ٠

وبعد مغادرة اللنش للرصيف بدقائق وصل محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى ولحقوا باليخت المحروسة حيث قام نجيب بتوديع الملك ٠

وفى يوم ٢٦ يوليو نمنا جميعا فى السراى ٠٠٠ وفى يوم ٢٧ يوليو حضر لنا محمد نجيب ومعه اللواء عبد الله النجومى ، ومنعنا من الخروج أيضـــا ٠

وفى يوم ٢٨ يوليو وصلت اشارة لنقلى الى البوليس الحربى ٠

وعندما تحركت المحروسة التى قادها جلال علوبة ، لم يتحدث الملك مع أى ضابط من ضباط الحرس الذين خصصت لهم غرف غير مريحة ، ولم يسمح بنزول أى مصرى من اليخت مطلقا حتى عودته للاسكندرية ٠

س ٣ : ماذا كانت طبيعـــة عملك فى البوليس الحربى ؟

ج ٣ : بعد ستة شهور أخذت فرقة فى المباحث العسكرية فى (كامب جوردون) بولاية جورجيا فى الولايات المتحدة لمدة أربعة شهور ٠

وتوليت بعد ذلك ادارة المباحث الجنائية العسكرية التابعة للبوليس الحربى والتى قامت بأدوار متعددة وهامة بالنسبة لكشف المؤامرات ، ودعم سلطة الحكم ٠

س ٤ : هل تحركت المباحث الجنائية العسكرية فى حدود اختصاصاتها القانونية ؟

ج ٤ : يمكن القول بأن المباحث الجنائية العسكرية كانت دائما فى خدمة مجلس قيادة الثورة ، وانها كانت تنفذ التعليمات الصادرة اليها ٠

على سبيل المثال :

خلال أزمة مارس ١٩٥٤ مع محمد نجيب ، قمنا بطبع وتوزيع منشورات لمحاولة التشكيك فى سلوكه والاساءة الى شعبيته ٠ كما قام بعض جنود المباحث الجنائية العسكرية بمراقبته ، وابعاد الناس والجنود عنه ٠

كنا نقوم بهذا العمل ضد التيار الذى ساد بعض الصحف المصرية مهاجما لبعض ظواهر حركة الجيش ، وخاصة تصرفات البوليس الحربى ٠

وكنا نقوم باعتقال الشخصيات السياسية التى نكلف باعتقالها ٠

وخلال هذه الأزمة أيضا وبعد اجتماع سلاح الفرسان فى أواخر فبراير ٥٤ الذى عارض فيه الضباط اتجاهات مجلس القيادة ، وأعلن فيه جمال عبد الناصر ترشيح محمد نجيب رئيسا للجمهورية وخالد محيى الدين رئيسا للوزراء ، قامت المباحث الجنائية باعتقال ضباط الفرسان بعد أن أصدرت الأوامر لجنود البوليس الحربى بتحويل جميع عربات وأوتوبيسات سلاح الفرسان الى مبنى البوليس الحربى بمحطة مصر ، وقد تجمع حوالى ٢٠٠ ضابط فى ذلك اليوم بقوا تحت التحفظ حتى صدرت الأوامر بالافراج عنهم ٠

وكان بعض الضباط قد اجتمعوا خلال ذلك فى مبنى القيادة ، وأعلنوا رفضهم لقرار استقالة مجلس القيادة وانسحابه من الحياة السياسية ، ووصل الأمر الى حد وقوف (اللواء) عبد الحكيم عامر على مكتبه وتهديده للرافضين بقوله (سأضرب نفسى بالطبنجة لو ضربتم فى بعض) ٠

ومع ذلك تصرف بعض هؤلاء الضباط بمبادرتهم الخاصة ، فذهب كمال رفعت لاعتقال محمد نجيب وحمله الى ميس المدفعية فى الماظة ، واستدعى أبو الفضل الجيزاوى وسعد زايد وأحمد شهيب مدافع الميدان

لمحاصرة سلاح الفرسان من جهة الشارع ، وقامت قوات خدمة الجيش بأوامر من مجدى حسنين بحصـــاره من الخلف ، كما أصدر وجيه أباظة تعليمات للقوات الجوية بالطيران فوق سلاح الفرسان ٠٠٠ وضمن هذه الخطة قامت المباحث الجنائية والبوليس الحربى باعتقال ضباط الفرسان كما ذكرت ، وقام أحمد أنور أيضا بتعطيل اذاعة البيان الذى كان مقررا أن يذيعه المجلس بقراراته فى الصباح ، كما منع ارسال العربات لقادة الجيش ، فحضر اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الحرب بعربة تاكسى ٠

ولعل أبرز ما قامت به المباحث الجنائية هو حادث مجلس الدولة ، فقد نشر على أمين الذى كان يحضر يوميا لمقابلة أحمد أنور وبعض الضباط فى مقر البوليس الحربى خبرا فى جريدة الأخبار يقول فيه أن أعضـــاء مجلس الدولة سوف يجتمعون بصفة جمعية عمومية لاتخاذ قرارات خاصة ٠

وأذكر أيضا أنه عندما أبلغ أحمد أنور على أمين بقرب عزل نجيب نشرت الأخبار أن نجيب اتصل تليفونيا بالنحاس وسأله عن صـــحته وصحة زوجته ٠٠٠ وذلك فى محاولة للايقاع بينه وبين ضباط الجيش ٠

واستدعانى أحمد أنور قائلا (نحن نريد منع اجتماع مجلس الدولة بالعنف أو الحسنى) وحذرنى من وفاة أى شخص ٠

وأعددت خطة بالتعاون مع ابراهيم الطحاوى وأحمد طعيمة وطلبت منهما الا يتحرك أعضاء هيئة التحرير الا بأوامر شخصية منى ، ثم توجهت بعربة بوليس حربى وفى ملابس مدنية الى مقر مجلس الدولة بالجيزة ، وطلبت مقابلة رئيس المجلس ولما استفسر منى سكرتيره عن سبب المقابلة قلت له بعد أن عرفته بنفسى أن خبرا قد نشر اليوم وأننى أخشى من حدوث مظاهرات عمالية ضد المجلس ، فعاد السكرتير ليقول لى أن الرئيس السنهورى يبلغنى (انه لا يوجد أحد يفرض على مجلس الدولة ماذا يجب أن يفعل) ٠

وهنا أرسلت شاويشا كان يرافقنى الى طعيمة والطحاوى فتدفقت المظاهرات التى قاما بتدبيرها ، ومعها بعض جنود المباحث الجنائية فى ملابس مدنية نحو المجلس وهى تهتف (الموت للخونة) وتحاصر المجلس ، الذى كانت أبوابه مغلقة بسلاسل حديدية ٠

وطلب رئيس المجلس مندوبين عن المتظاهرين ففتحت الأبواب وتدفق المتظاهرون ، وهجموا يعتدون على أعضاء الجمعية العمومية ، وتظاهرت بأنى أمنعهم من ذلك ، ثم قمت باطـلاق طلقتين فى الســقف ، وأشرت باخراجهم من مبنى المجلس فخرجوا ٠

وهنا ظهر السنهورى سائلا عنى ، فقلت له (يا افنـدم أنا مش حضرت وقلت لك) .

وعندما حاول السـنهورى وأحـد المستشارين الآخرين مخاطبتهم من بلكونة المجلس ، اعتدوا عليهما بالضرب أيضا .

وتوتر الموقف ، فاقترحت أن يعد أعضـاء المجلس بيانا تذيعـه الاذاعة ، وفعلا كتبوا بيانا لا يؤيد الثورة ، قرأه مستشار اسمه عبد الخبير فضربوه أيضا هاتفين (تحيا الثورة ـ تسقط الرجعية) .

وأعاد المسـتشارون صياغة بيان جديد ، أخذته منهم وافتعلت تمثيلية بأنه قد أغمى على من الجهد وأنا فى موقف المدافع عن أعضـاء المجلس ... وهنا كان قد حضر صلاح سالم فأعطيته البيان الجديد وخرج به الى مجلس الثورة .

وأصبحت المشكلة هى اخراج الجماهير من المجلس ، وحضرت بعض عربات من البوليس الحربى تفرق على أثرها المتظاهرون .

وافتعلت جرحا فى نفسى ثم ذهبت الى دكتور لتوقيع الكشف الطبى على واثبات أنى جرحت أثناء مقاومة المتظاهرين .

وقد استدعيت للتحقيق أمام برهان العبد وكيل النائب العـام بالجيزة .

أذكر بعد هذا الحادث أنه كان مفروضا أن يعقد اجتماع بعد ظهر نفس اليوم فى نقابة الصحفيين ، فلم يحضر أحد .

وعندما نظرت محكمة الجنايات بعد ذلك تهمة التظاهر قال أحد المحامين مشيرا الى (هـذا هو المجرم الأول) ولكن الدفاع صرخ قائلا (هذا هو الوحيد الذى ضرب الرصاص مدافعا عن أعضاء المجلس ، وهو الوحيد الذي جرح وأغمي عليه) .

والى جانب ذلك قامت المباحث الجنائية بأعمال حمت بهـا الثورة وكشفت عن انقلابات محتملة ، مثال ذلك كشف المحاولة الانقلابيـة فى السوارى التى حاول قيادتها أحمد المصرى بعد ذلك بشهرين عن طريق تخفى بعض ضباط الصف والعساكر فى ملابس باعة الجرائد والبطاطة ووقوفهم أمام معسكر السوارى لرصد تحركات الضباط .

وأذكر أن موعد الانقلاب كان الواحدة بعد منتصف الليل وكان الانقلابيون ، قد نجحوا فى ضم ضابط البوليس الحربى (عفت عبد الحليم) الى صفوفهم ، ولما عرفنا ذلك أقنعه أحمد أنور بالاعتراف على زملائه لينجو بنفسه بعد أن أصبح (شاهد ملك) ٠

وكان مفروضا أن يجتمع الضباط الانقلابيون فى الساعة السادسة مساء ، وقد تم اعتقالهم أثناء الاجتماع ، وبدأ زكريا محيي الدين التحقيق معهم ، وقد قدمت لهم تقارير المخبرين الذين كلفوا بالمراقبة ٠

واكتشفت المباحث الجنائية العسكرية انقلابا آخر كان يدبره بعض ضباط صف سلاح الفرسان الذين طبعوا منشورين (على البالوظة) لم يوزعا لأن الكتابة كانت غير واضحة ٠

تم اعتقال ١٤ ضـــابط صف كان معظمهم منضمين الى الاخـوان المسلمين ، وكانت خطتهم تقضى بالاعتداء على أعضاء المجلس أثناء حضورهم لحفلة فى صالة السينما الصيفى بحديقة الأزبكية وخاصة جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين ٠

وقد قامت المباحث الجنائية العسكرية أيضا باكتشاف الجهاز السرى للاخوان داخل الجيش وقد اعتقلتهم ـ دون أوامر ـ وأرسلتهم الى السجن الحربى ، وكان عددهم ١٧ ضابط صف وعدد من ضباط الطيران ترقوا من تحت السلاح ٠٠٠ وكان ذلك قبل ضرب جمال عبد الناصر بالرصاص فى ميدان المنشية بأربعة أشهر ٠

وكان ذلك عقب اعتقال البكباشى عبد المنعم عبد الرؤوف وخليل نور الدين وأبو المكارم عبد الحى من ضباط الجيش وصلاح شادى من ضباط البوليس خلال أزمة مارس ١٩٥٤ ثم الافراج عنهم بعد التراجع عن حل الاخوان المسلمين الذى تم فى ينـاير ، وهرب بعض هؤلاء الى الخارج بعد الافراج ٠

وعندما أبلغنى أحمد أنور فى نوفمبر ١٩٥٤ انه تقرر عزل محمـد نجيب حاصرنا منزله ، وتبعناه الى مكتبه فى عابدين ، ودخل خلفه أحد ضباط البوليس الحربى الى مكتبـه ، وحاول محمـد نجيب الاعتراض والاســتنجاد بحسن كامل الياور ولكن أحدا لم ينجده حتى حضر له عبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم وأخذاه الى معتقله الجديد فى المرج فى منزل السيدة زينب الوكيل ٠

وكان ذلك عقب محاولة اغتيال جمال عبد الناصر والتى بدأت بعدها حملة اعتقالات الاخوان المسلمين ، وقد بدأنا نحن نحقق مع ضباط الصف

الذين كنا قد اعتقلناهم فى السجن الحربى ونقلناهم الى سجن الأجانب ، والذين كشف التحقيق انهم يشكلون الجهاز السرى للاخوان فى الجيش .

واكتشفنا أن اثنين من الطيران كانا قد كلفا بوضع قنبلة فى طائرة كان يستقلها عبد الحكيم عامر ولكن العملية لم تنفذ ، كما أن جماعة من المهندسين كانت تعد خطة لقتل أعضاء مجلس القيادة .

كل هذه المحاولات وغيرها أمكن للمباحث الجنائية اكتشافها وحماية الثورة من أخطارها .

ولم تتوقف أعمال المباحث الجنائية العسكرية عند هذه الحدود ، فقد اتصلنا أيضا بالعمال الذين كانت تفصلهم الشركات الأجنبية فصلا جماعيا بلا حساب ... فشركة شل مثلا فصلت ١١٠ عمال لجأوا الينا بعد أن عجزت نقابتهم عن عمل شىء لهم حيث كان معروفا أن أنور سلامة وعلى السيد على كانوا أعضاء جماعة (اخوان الحرية) التى شكلتها المخابرات البريطانية ... وقد تتبعنا الموقف حتى أمكن لنا معرفة أن امتياز شركة شـل كان يعطيها حق التنقيب فى ٥٣ منطقة ولم تنفذ ذلـك فى بلاعيم وتيران وغيرها ... وعقد اجتماع فى مجلس الثورة حضره الدكتور محمود أبو زيد وجمال سالم وابراهيم راتب وقرروا سحب الامتياز من شركة شل لعدم وفائها بالتعاقد ... وهنا ظهر أمين شاكر ومن خلفه بعض اليونانيين الذين حاولوا أخذ حق التنقيب ... ولكننا اكتشفنا أن فى الأمر لعبة ، فأسرعت الى جمال سالم فى السابعة صباحا وأبلغته بالمعلومات المتوافرة لدينا ، فأوقف التباحث مع أمين شـاكر واليونانيين ، وأعطى الحق للشركات المصرية والجمعية التعاونية .

واشتركت المباحث الجنائية أيضا فى معركة الكفاح المسلح ضـد قوات الاحتلال البريطانى فى القنـاة عندما استعان كمال رفعت وعمـر لطفى ببعض جنود البوليس الحربى للمقاومة الانجليز ... ومنعنا عنهم الخضروات الطازجة والمثلجات ... وفى هذه الفترة تنكرت فى زى تاجر مهرب وأجرت محلين فى السبتية ملأتهما بالمواد التجارية وأمكن لى خلال ذلك معرفة بعض التجار الذين كانوا يتعاملون مع القوات البريطانية .

كما قامت المباحث الجنائية العسكرية بالتسرب الى داخل صفوف الشيوعيين وذلك بناء على ما طلبه منى حسن بلبل الذى عرفنى بمهندس شيوعى اسمه حلمى لبيب .

وظهرت أمامهم كما لو انى أسهل لهم مأموريات السـفر للخارج عن طريق الرشوة وأخذ الفلوس حتى اشتهرت أمامهم بذلك ... وأذكر أن محمد محمود الذى كان مسئولا عن مكافحة الشيوعية قد شـكانى لجمال عبد الناصر باعتبارى (مرتشيا) دون أن يعرف حقيقة دورى .

وقد طلب مني جمال عبد الناصر جس نبض الاتحاد السوفيتي لمعرفة ما اذا كان يمكن أن يعطينا أسلحة ، فاتصلت بمحمد كامل البنداري (باشا) سفيرنا السابق في موسكو ورئيس المجلس المصري للسلام في ذلك الوقت ، والذي كنت قد تعرفت عليه خلال تسهيلي لحضور الوفد المصري لمؤتمر الدفاع عن شعوب الشرق الأوسط الذي عقد عام ١٩٥٣ وحضره وفد مشكل من الدكتور ابراهيم رشاد والدكتور محمد أنيس وعبد الرحمن الشرقاوي وحلمي لبيب .

اتصل البنداري بالسفارة السوفيتية وجاء الرد بأن الامداد بالسلاح عملية صعبة ما دام البريطانيون في القناة لأنهم سيأخذونه منا .

وبدأت صلاتي تتعدد مع الشيوعيين وأظهر اقتناعي بمبادئهم ثم تخليت عن أخذ النقود اظهارا لحسن نيتي ، وساعدت على ارسال ملابس للمعتقلين ، وحرصت على ألا يعتقل أحد من الذين صارحوني .

وأذكر أن حلمي لبيب قد أبلغني أن يوسف حلمي وسعد كامل الموجودين في السجن قد تراجعا عن رأيهما في البيان الذي صدر منهما ضد الثورة وأدى الى اعتقالهما ، واتصلت بهما فعلا ، وأرسلا برقية ثانية من السجن أفرج بعدها عنهما ، وهرب يوسف حلمي الى الخارج .

وأذكر أن زكريا محيي الدين قد قال لي أن هناك قضية شيوعية معروضة على المحاكم الآن تتهم عبد الناصر بأنه عميل وخائن ، وطلب مني اقناع يوسف وسعد بالذهاب للمحكمة والشهادة ضد زملائهم ، ولكن سعد كامل رفض ذلك بتاتا قائلا ان ذلك يعتبر بمثابة موت سياسي له ، ولما سألته عما اذا كان أحد قد أثر عليه لكتابة البرقية الثانية ، قال بل انه كتبها مقتنعا بكل حرف فيها ... ولما سألته عما اذا كان يعرف نتيجة رفضه ، قال نعم .

وكانت النتيجة فعلا محاكمته هو وزوجته ماري والحكم عليهما بالسجن خمس سنوات .

كانت للشيوعيين مواقف صلبة فعلا تختلف عن الانهيارات النفسية التي لمستها في كثير من القضايا .

أذكر انني اعتقلت عاملا يوزع منشورات شيوعية . وحاولت الضغط عليه للاعتراف فرفض تماما ، وأخذته الى الجبل خلف السجن وضربت

عليه أربع رصاصات فى الهواء فقال بثبات (لا أنت ستقتلنى ... ولا أنا سأعترف) .

كان مفهومى فى ذلك الوقت أن الشيوعيين أضعف من أن يشكلوا خطرا ، وأن التناقضات الداخلية بينهم تمزقهم .

وقد أسهمت فى تشكيل مؤتمر السلام الى ألمانيا الشرقية الذى ضم كامل البندارى ويوسف حلمى وسعد كامل والدكتور محمد مندور والدكتور محمد غالى وسعد التايه ، كما أسهمت فى تكوين فرقة تمثيل لحركة السلام تولاها حمدى غيث .

وأذكر أن أحمد أنور قد قال لجمال وعبد الحكيم عامر (حسين عرفة أصبح شيوعيا) وعقب جمال عبد الناصر قائلا (لولا اننى رئيس جمهورية وبأقول الكلام اللى بأقوله كانت المباحث حطتنى فى السجن على الكلام ده) .

وكان ذلك حقيقة ، فقد كانت المباحث تقبض على بعض الذين يرددون قول عبد الناصر وتضعهم فى السجن وتقدمهم للمحاكمة .

وعندما توترت العلاقات بين عبد الناصر والشيوعيين وخطب خطبته الشهيرة فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ فى بورسعيد ، بادرت ـ دون أوامر ـ باعتقال كافة الضباط ذوى الميول الشيوعية فى القوات المسلحة ، ثم أرسلت خطابا للمشير عامر للموافقة ووصلتنى موافقته بعد ٥ أيام .

أرسلنا خطابا لضباط الأمن لوضع الضباط المشتبه فيهم تحت المراقبة ... كما بحثنا حالة ٤٠٠٠ر٤٠ متطوع لمعرفة الآثار الشيوعية بينهم ... وتبين لنا أن أخا زوجة (محمود عبد اللطيف) الذى أطلق الرصاص على عبد الناصر كان جنديا فى الحرس الجمهورى .

وعندما تحركت المخابرات لاعتقال بعض الأشخاص تبين لهم أننا قد اعتقلناهم .

وقد قام شمس بدران شخصيا بالتحقيق مع المعتقلين الشيوعيين وقد كانت بعض هذه التصرفات تثير حساسيات عند الآخرين . الذين اعتقدوا أن حركتنا كانت غالبا بوحى من زكريا محيى الدين .

أذكر أنه حدث خلاف حول تأجير شقتين تابعتين لوزارة الاقتصاد كان يملكهما يهودى وأجرتا لـ (يس سراج الدين) وصاغ (جلال فؤاد) نسيب على صبرى ، وأمر جمال عبد الناصر بوقف عملية التأجير ، واتفق أحمد أنور مع المشير على اتخاذ موقف ضد القيسونى الذى كان متوليا هذه

المسئولية ، وفعلا ذهبت وحدة من البوليس الحربي وحاصرت وزارة الاقتصاد وانهت موضوع الشقق ·

س ٥ : هل استمرت المباحث الجنائية العسكرية في جموحها ؟

ج ٥ : أخذت سلطة المباحث الجنائية العسكرية تضعف بعد صدور قرار توزيع البوليس الحربي على وحدات ومناطق الجيش كما هو متبع في جيوش العالم ، ورفض أحمد أنور الاستجابة لهذا القرار وبقى فى المنزل بعد تعيين قائمقام سليمان مظهر مديرا للبوليس الحربي ، ثم عين وزيرا فى الوزارة الاتحادية مع سوريا واليمن عام ١٩٥٨ ·

تحولت المباحث الجنائية العسكرية الى ادارة الجيش عام ١٩٦٠ ، وانحسرت موجة اهتماماتها خارج الجيش ، واقتصر عملها على القوات المسلحة ، فى محاولة لاكتشاف السرقات والانحرافات ·

وتقلص نفوذ المباحث كثيرا عندما وجهت مكاتباتي الى شمس بدران مدير مكتب المشير فطلب منى أن تعرض عليه في طريقها الطبيعي عن طريق ادارة الجيش :

وأذكر أنه قبل وقوع الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ أن حضر لى ضابط بعثي ونبهني الى قرب حدوث عملية عسكرية في سوريا ، فاتصلت فورا بعلى شفيق لاسلكيا في دمشق ، ولكن رده أذهلنى فقد قال (دول ولاد ... عما يقدروا يعملوا حاجة) ثم سألنى (انت مش عاوز حاجة من هنا) ·

وبعد الانفصال ، أغلقت مداخل القاهرة ، وحظرت على القوات التحرك للتدريب أو للعمليات الا بمعرفة المباحث الجنائية العسكرية ·

وأذكر انى كتبت ١٩ تقريرا للمشير وشمس بدران بمعدل تقرير كل يوم ... واتجه المشير الى تقوية المباحث العسكرية وجعلها خطا ثانيا للأمن ، ولكن شمس بدران أقنعه بأن الصاعقة هي السلاح أو القوة التى يجب أن يعتمد عليها لشئون الأمن ، وبدأت تقويتها فعلا ، واغراء صغار الضباط عن طريق توزيع عربات جيش انجليزى (فانجارد) عليهم ·

وفوجئت بصدور قرار بنقل (المقدم حسين عرفة) الى ديوان وزارة الحربية على أن يتم التنفيذ فى نفس اليوم ·

وقد حوصر مبنى المباحث الجنائية العسكرية بقوات من البوليس الحربى تحت قيادة قائده القائمقام عبد العزيز سليمان ، الذى قلت له (لماذا تفعل هذا ونحن نخدم الرئيس جمـال عبد الناصر ؟) ولكنه قال (ونحن ننفذ أوامر المشير عبد الحكيم عامر) .

وقد طلبت مقابلة المشـير والرئيس اللذين استقبلانى بعد فترة ، وكان الخلاف بينهما قد بدأ عقب اسـتقالة المشير عندما حاول مجلس الرئاسة تقليص سلطاته ، وأجمع الاثنـان على انهما فى سبيل تصفية المباحث العسكرية .

وبعد ذلك فوجئت باستدعائى للمخابرات العامة ، والتحقيق معى فى ٥٦ صفحة ، ثم صـدر قرار باحالتى للمعاش فى بداية ١٩٦٣ ، ثم صدر بعد ذلك قرار باعادتى للعمل فى الرئاسة ومن يومها أصبحت (عاطلا بالرئاسـة) .

س ٦ : هل توقف نشاطك تماما بعد ذلك ؟

ج ٦ : عملت بعد ذلك فى طليعة الاشتراكيين فى مجمـوعة كمال رفعت مع كل من أحمد بهاء الدين ومحمد الخفيف وعبد الملك عـودة ومحمد عودة وأمين عز الدين ووجيه رشدى وسامى داوود ومحمـود عبد الناصر .

وقد عملت مساعدا لكمال رفعت عندما عمل أمينا للاتحاد الاشتراكى فى الجيزة الى أن تغير التنظيم بتعيين على صبرى أمينا عاما وكمال رفعت أمينا للدعوة والفكر ، فتوقف نشاطى السياسى تدريجيا الى أن أصبحت كما قلت لك أعمل فقط (عاطلا بالرئاسة) .

الاســـم : **خالد محيى الدين**

تاريخ الميلاد : **١٧ أغسطس ١٩٢٢**

مهنة الوالد : **مزارع**

الامــلاك : **٩٢ فدانا**

متخرج فى : **الكلية الحربية عام ١٩٥١**
كليـــة التجارة جامعـــة القاهرة عام ١٩٥١ « شعبة المحاسبة »

الرتبة وقت الحركة : **صـــاغ**

آخر وظيفة : **رئيس مجلس ادارة أخبار اليـــوم**

العمـــل الآن : **سكرتير المجلس المصرى للســـلام ، وعضـــو رئاســـة مجلس الســـلام العالمى ، ومقرر تنظيم التجمع الوطنى الديمقراطى الوحدوى ٠**

س ١ ماهو موقفك السياسى قبل حركة الجيش ؟

جـ ١ : كنت من أنصار مصر الفتاة ثم الوفد ، ومؤمنا بالفكرة الوطنية على أساس النضال ضد وجود البعثة العسكرية البريطانية ، وضد نزع سلاح الجيش وتسليم جانب منه مثل الدبابات للجيش البريطـــانى بعد هزيمة دنكرك ٠

وتصادف ان عينت حرسا على حسن عزت عام ١٩٤٢ ، بعد اعتقاله فحملنى رسالة لوجيه أباظة وعبد اللطيف البغدادى ، وأذكر انه كان أول من ربطنى بالسياسة فعلا ولذا فقد كتبت فى مقدمة لواحد من كتبه بأنه أســـتاذى ٠

ولما كان جدى شيخا من مشايخ الطرق ، وربيت شخصيا فى تكية النقشبندية فى شارع درب الجماميز رقم ١٠١ ، فقد قوى عنـدى الجانب الروحانى للدين ، وتعلمت أن الله يعطى أكثر مما يأخذ ٠

ولذا كان ارتباطى بالاخوان المسـلمين عام ١٩٤٤ ، سهلا وطبيعيا عن طريق البكباشى عبد المنعم عبد الرؤوف الذى عرفنى بجمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وصلاح خليفة وحسين حمودة وسـعد الدين توفيق من ضباط الجيش ٠

كنت ضمن المجموعة التى انضمت للجهاز السرى للاخوان برئاسة عضو مكتبهم عبد الرحمن السند ، والتى كانت مكونة من جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين ومنى ، وقد حلفنا على السيف والمصحف ليلا ٠

ولكن تأييد الأخوان لاسماعيل باشا صـدقى أضـعف من تأثيرهم علينا ٠ ولم نجد أجوبة شافية لتساؤلاتنا عن موقفهم من القضايا السياسية والاجتماعية ، فبدأ عقد تنظيمنا معهم ينفرط تدريجيا ٠

وأثنـاء ذلك ومع وجـودى فى الاخوان المسلمين قدم لى الصـاغ عثمان فوزى زميلى فى السلاح بعض الكتب الماركسية ، انتهت الى دخولى منظمة اسكرا عام ١٩٤٧ ، عن طريق أحمد فؤاد) ، ولكنى فى يونيـو ١٩٤٧ ، نقلت الى سلاح الحدود فانقطعت صلتى بالتنظيم ، الى أن انفجر الموقف بالنسبة لقضية فلسطين ، وشاركت فى معسكر تدريب المتطوعين العرب ، ودخلت كلية التجارة منتسبا فى نفس العام ٠

وفى عام ١٩٤٨ ، قطعت كل الاتصالات التنظيمية ٠

وفى عام ١٩٤٩ ، استدعى ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء اللواء عثمان المهدى لمقابلته ، ومعه البكباشى جمال عبد الناصر لشبهات أحاطت به حول انضمامه للاخوان المسلمين ، وفى المقابلة حدثه عن كتـاب عن القنابل اليدوية ، كان قد أعطاه (أى جمال عبد الناصر) للضباط أنور الصيحى الذى مات فى الحرب ، بينما عثر على الكتـاب فى احدى خلايا الاخوان المسلمين ٠

أرسل لى جمال عبد الناصر ثروت عكاشة محذرا وراغبا فى رؤيتى ، وفى المقابلة التى تمت فى عهد حكومة حسين سرى فى أواخر ١٩٤٩ ، وجدت عنده حسن ابراهيـم وكمـال الدين حسين ٠٠٠ وفى هذا الاجتماع قال جمـال عبد الناصر : (يجب ان نتكتل كضباط دفاعا عن وجودنا حتى لا نساق الى حرب أخرى وندخل فى لعبة السياسة ٠ ثم سألنا : (هـل أنتم مستعدون) ؟ ٠ وأجبنا بالايجاب ٠

انضم الينا عبد الحكيم عامر بترشيح من جمال عبد الناصر ، وعبد اللطيف البغدادى بترشيح من حسن ابراهيم ، وصلاح سالم فى عام ١٩٥٠ ٠

وفى يناير أحضر البغدادى معه جمال سالم ، ثم انضم الينا أنور السادات ٠

أول منشور للضباط الأحرار صدر بعد ذلك عام ١٩٥٠ ، وقد كتبته مع جمال منصور (وكيل الخارجية الأسبق) ، وطبع فى ماكينة جستتنر عند موظف مدنى اسمه شوقى عزيز ٠

المنشور الثانى ضبطه البوليس فى البريد ، فنقلت الماكينة الى عبد الرحمن عنان ٠

(وفى هذه الفترة اتصل بى أحمد فؤاد موفدا من قسم الجيش بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) ، وبدأت عناوين الضباط تكتب بوساطة الضباط الشيوعيين فى حدتو ، ونقلت ماكينة الكتابة الى حمدى عبيد ، وذلك بعد تقديمى أحمد فؤاد لجمال عبد الناصر الذى عقد معه صلة شخصية وثيقة ٠

وفى عام ١٩٥١ ، وقعت أنا وأسرتى عى ميثاق استوكهولم للسلام ،

وبعد حريق القاهرة تولى قسم الجيش فى حدتو طباعة منشورات الضباط الأحرار ٠

وبدأ الضباط الأحرار يشكلون لجان مناطق ٠٠ فمنطقة القاهرة شكلت من جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى ومجدى حسنين وابراهيم الطحاوى وأمين شاكر ومنى ٠

ولجنة الاسكندرية شكلت من أحمد حمروش وعبد الحليم الأعسر والمرحوم صلاح مصطفى ٠

وبعد حريق القاهرة بدأنا نعد خطتنا ونفكر فى الموعد المناسب للتحرك ٠٠ فكرنا أولا فى نوفمبر حيث كان مفروضا أن يجتمع البرلمان بحكم الدستور ، ولذا فكرنا فى عمل الانقلاب اذا لم ينعقد البرلمان ٠

ثم جاءت معركة نادى الضباط وحل مجلس الادارة الذى أيدنا فيه رئاسة محمد نجيب وانضم الى عضويته عدد من الضباط الأحرار ، وكان هذا الحل اعلانا لقيام صراع بين السراى من جهة والضباط الأحرار من جهة أخرى ٠

وبدأ التفكير فى عمليات اغتيال أو خطف ردا على هذا الموقف ٠

ثم تطور تفكيرنا من الاغتيالات الى المخاطرة بالاستيلاء على رئاسه القوات المسلحة دون التفكير فى احتلال الاذاعة عند البداية .

ثم بدأت دراسة احتمالات العملية ، وتقرر ٥ أغسطس موعدا لها لسببين أولهما خشية امتناع البنوك عن صرف مرتبات الضباط والجنود ، وثانيهما انتظار وصول كل قوة كتيبة مدافع الماكينة التى يقودها يوسف صديق من العريش .

س ٢ : كيف نفذت الخطة ليلة ٢٣ يوليو ؟

ج ٢ : استقر الرأى على تنفيذ الخطة ليلة ٢٣/٢٢ يوليو فى اجتماع عقد بمنزلى ظهر يوم ٢٢ يوليو وحضر أعضاء مجلس القيادة الموجودين بمصر وزاد عليهم ابراهيم الطحاوى وعبد المنعم أمين وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى .

وفى مساء نفس اليوم التقيت بأحمد فؤاد وأحمد حمروش الذى كان جمال عبد الناصر قد استدعاه من الاسكندرية لابلاغه بالخطة ، وقد اتفقنا ليلتها على انه فى حالة حدوث أى فشل للخطة فاننا يمكن أن نلجأ الى أحمد فؤاد الذى كان يعمل قاضيا فى طنطا .

وكان دورى فى الخطة هو قيادة الكتيبة الميكانيكية مع وجيه رشدى للسيطرة على كوبرى القبة عند المستشفى العسكرى ، ومدخل مصر الجديدة عند روكسى .. وقد نفذت الخطة تماما .

وكانت كتيبة مدافع الماكينة بقيادة يوسف صديق قد خرجت قبل الموعد المحدد بساعة واستولت على مركز رئاسة الجيش بكوبرى القبة .

س ٣ كيف مضت الأمور فى مجلس القيادة بعد ذلك ؟

ج ٣ : قررنا ضم محمد نجيب وزكريا محيى الدين ويوسف صديق وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين لعضوية المجلس لأدوارهم البارزة فى نجاح الثورة ، وذلك بعد ثلاثة أسابيع من نجاح الحركة .

وكنا قد جددنا انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا فى أول اجتماع لمجلس القيادة .

ولعل أبرز القضايا التى تعرض لها المجلس فى خطواته الأولى واختلفت فيها الآراء هى ما يأتى :

أولا : موضـــوع الوصاية وكان هنـــاك رأيان ٠٠ الأول بناء على دستور ١٩٢٣ الذى ينص على ضرورة اجتماع البرلمان لاقرار الوصاية ، فاذا لم يكن هناك برلمان يدعى آخر برلمان ، واستعمال هذا الحق كان يقتضى دعوة البرلمان الوفدى ٠٠ ورأى آخـــر يعارض دعـوة البرلمان الوفـــدى ٠

تحمس للرأى الأول وحيد رأفت ٠٠ وللرأى الثانى سليمان حافظ

وكان عبد الناصر مع رأى عودة البرلمان الوفدى ، ولكنـــه رضخ لرأى الأغلبية ، بحكم علاقات القوى ، ووجود حركة مضـــادة فى سلاح المدفعية ـ وكنت فى الاسكندرية ولم أحضر هذا الاجتماع ـ وقد أخبرنى عبد الناصر بما حدث بعد عودتى من الاسكندرية ٠

ثانيا : قضية كفر الدوار التى حكم فيهـا بالاعدام على العـــاملين خميس والبقرى من مجلس شكل برئاسة عبد المنعم أمين ، وقد أثار هذا الحكم ضجة واحتجاجات عالمية ، ولم يعارضه سوى جمال عبد الناصر ويوسف صديق وأنا ، وذلك تجنبا لاحتمال وجود خطأ ما ، الى جانب ان الاعدام باب ليس له نهاية ـ كما انه ليس من المصلحة ان تبدأ الثـــورة باعدام عمال ٠

ثالثا : الاصلاح الزراعى وقد حضر أحمد فؤاد وراشـد البراوى جلسة المجلس وشرحا القانون ، وقد حضرت مع جمال عبد الناصر وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى جلسة لمجلس الوزراء شرحنا فيهـا أهمية القانون ، ولكن على ماهر أصدر بيانا لم يشر فيه الى القانون ، ولم يحدد فبراير موعدا للانتخابات ٠٠ وهنا أصدرنا بيانا ضد على ماهر واستقر الرأى على التخلص منه ، وقد أصر عبد الجليل العمرى على رفـع الحـد الأعلى الى ٢٠٠ فدان + ١٠٠ فدان للأولاد مع حق التصرف بالبيع وذلك حتى يقبل دخول وزارة محمد نجيب التى أعقبت وزارة على ماهـــر فى ٩ سبتمبر ، وقد كنت من المصرين على اصدار القانون فى صيغته الأولى ٠

رابعا : قصة تشكيل الوزارة وكان قد رشح عبد الرازق السنهورى ولكن على صبرى دخل قائلا ان تعيين السنهورى ســوف يثير الأمريكان جدا لأنه وقع ميثاق استوكهلم الذى كنت قد وقعتـــه مع زوجتى عام ١٩٥١ عندما قدمه لى أحمد حمروش ٠٠ ووجدت التيار داخل المجلس حذرا من اغضـــاب أمريكا التى اعترضت على تعيين فتحى رضـــوان ونور الدين طراف باعتبار ان الوطنية المتطرفة تلتقى مع الشيوعية (فى لقائى بمنزل عبد المنعم مع سباركس مستشار السفارة الأمريكية قال : ان الوطنية المتطرفة تلتقى مع الشيوعية مشيرا الى فتحى رضوان وطراف٠

واذكر ان الحذر من اغضـــاب الأمريكيين قد بدأ من مارس ١٩٥٢ عندما بدأت تثور مناقشات حول استخدام كلمة الاستعمار الانجلو أمريكى فى المنشورات ، والرغبة فى اقتصار الحديث على الاستعمار البريطانى ٠

خامسا : محاكمة ضباط المدفعية فى ينـــاير ١٩٥٣ ٠ وقد اقترح جمال سالم أن تكون صورية ويتم اعدامهم فورا ، واعترض نجيب على أن يكون الخصم هو الحكم ٠

واعترض جمال عبد الناصر على السرعة فى اتخاذ القـرار ، وطلب منا النوم حتى الصباح ٠٠ وقد نمنا ليلتها على الأرض ، وفى الصـــباح عادت المناقشة من جديد ، ووافقنا على اقتراح من عبد الحكيم عامر بأن يكون حكم الاعدام بالاجمـاع ، وان يكون الســـــجن بأخف الأحكام المقترحة ٠

وأذكر أن جمـــال عبد الناصر نام ليلتهـــا الى جانبى على المخدة فقلت له :

ـ أنا مش موافق على الاعدام ولا المحاكمة بهذه الصورة ٠

وقال جمال : (أنا معاك ٠٠٠ فاستمر فى المعارضة) ٠

أما بالنسبة لقضية الدمنهورى فقد كان الحكم بالاجماع فعلا لأن ضابطا اسمه صفى الدين حسين كان قد دس عليه وسجل ما قاله ٠ وقد اعترف الدمنهورى واعترف عليه الشهود ٠

أما عن الباقين فقد كان الجميع مع اعدام رشاد مهنا وآخـرين عدا جمال عبد الناصر وأنا فقط ٠

سادسا : كان مشروع العمال المعد للصــــدور خطوة للخلف عن القانون السابق لأنه الغى حق الاضراب واباح فصل العمال ، وكانت حجة المدافعين عن المشروع ومنهم عبد المنعـم أمين المشرف على وزارة الشئون الاجتماعية وشئون العمال ان استجلاب رأس المال الأجنبى يحتـــاج الى ضغط على العمال ، وتساءل أعضاء المجلس عن السبب الذى يدفعهم لاعطاء العمال حق الاضراب ولمصلحة من يكون ذلك ووافق مجلس الثورة مبدئيا على هذه الأفكار ٠

وقد عرض المشروع على المؤتمر المشترك لمجلس القيـادة ومجلس الوزراء فى مارس ١٩٥٣ فأقره ٠٠ ولكن تصادف أن حكم مجلس القيادة على رشاد مهنا وضباط المدفعية كان قد أعلن ، ونزل جمال وحكيم لمراقبة أثر الأحكام ٠ وكنت المعارض الوحيد بعد اســـتقالة يوسف صديق ، وقد وجدنى جمال عبد الناصر فى مكتبى بالسوارى أكتب اســـتقالتى

احتجاجا على حرمان العمال من حق الاضراب ، واباحة الفصل التعسفى ٠٠ وقد قال لى جمال عبد الناصر (طيب ٠٠ لو رجعنا القانون وبدأنا نعيد النظر فيه تسحب استقالتك) فقلت له (نعم) ٠

وأعيد القانون فعلا للمجلس ونوقش ولم يقبل سوى منع الفصل التعسفى ٠٠ بالنسبة للنشاط النقابى ٠٠ وألحوا فى طلب تأجيل المناقشة حتى صدور الدستور الجديد ٠

سابعا : فوجئت فى أحد اجتماعات مجلس الثورة بمحاولة لفصلى منه بدعوى اننى أثير الضباط ضد مجلس الثورة وخاصة ضباط الفرسان وكان الصاغ صلاح العيداروس هو الذى أبلغهم ذلك ولكن ثروت عكاشة قال لهم (أنا لا أضمن السوارى من غير خالد) ٠٠ وقد طلبوا منى وقف اجتماعات الضباط الأحرار ، وقطع صلتى بأحمد فؤاد ٠

ثامنا : قاوم نجيب فكرة دخول أعضاء مجلس الثورة للوزارة فوقع تحت تهديدهم ، ورضخ لذلك فى اجتماع القيادة فى كوبرى القبة ، عندما اقترن ذلك باعلان الجمهورية وتعيينه رئيسا للجمهورية ورئيسا للوزراء ، وقد استتبع ذلك تعيين سليمان حافظ مستشارا لرئيس الجمهورية ، بدلا من نائب رئيس الوزراء ٠٠٠ وكنت مع الرأى المؤيد لعدم دخول أعضاء المجلس للوزارة ٠

تاسعا : موضوع عزل ثروت عكاشة من رئاسة تحرير مجلة التحرير وما سببه ذلك من محاولة بعض الضباط مساندته ولكنى أوقفت العملية لأنها لم تكن فى صالح ثروت ولم تكن مضمونة النجاح ٠

ثم نأتى أخيرا الى أزمة أعضاء المجلس مع محمد نجيب ٠

س ٤ : ما هى حقيقة موقفك من محمد نجيب ٠٠ وماذا حدث فيما عرف باسم (أزمة مارس) ؟

ج ٤ : لم تكن لى معرفة أو علاقة شخصية بمحمد نجيب قبل الحركة ، وقد قدرت فيه شجاعته خلال حرب فلسطين ، وساندته مع غيرى خلال انتخابات مجلس ادارة النادى ، ووافقت على أن يكون هو الواجهة الرسمية لحركة الجيش الى جانب جمال عبد الناصر رئيس الضباط الأحرار المنتخب ٠

وعندما شكلت محكمة الثورة بعد اعلان صلاح سالم لوثيقة ثبت أنها مدسوسة من المخابرات البريطانية ، وأعلنت حكمها الأول برئاسة عبد اللطيف البغدادى باعدام ابراهيم عبد الهادى ٠ ابتعد نجيب الى

الاسكندرية رافضا التصديق على الحكم · الذى لم أوافق عليه أيضا مع جمال عبد الناصر الذى اختلف مع صلاح سالم حول اعلانه للوثيقة قائلا أن ذلك سيحرج الحركة كلها ·

وكان نجيب قد أبلغنى برفضه قبل سفره للاسكندرية ، فذهب اليه جمال وحكيم واقنعاه بالعودة مع ابلاغه بعدم التصديق على الحكم ·

واستقر رأينا بعد ذلك على أن تعطى صلاحيات المجلس لجمال عبد الناصر فى أثناء عدم انعقاده ، وقد أدى هذا الى ترك جمال عبد الناصر لوزارة الداخلية وتفرغه نائبا لرئيس الوزراء ·

وقد اعترض على ذلك البغدادى وصلاح سالم لأنه كان يمكن لأى عضو أن يدعو المجلس للانعقاد ، ولكن الآن أصبح جمال عبد الناصر هو الرئيس الفعلى رغم وجود نجيب ·

وقد حدثت التعديلات الوزارية التى صاحبت تفرغ جمال عبد الناصر كنائب لرئيس الوزراء ، أثناء وجود نجيب فى الاسكندرية ودون علمه ، وهى تعيين زكريا محيى الدين وزيرا للداخلية وجمال سالم وزيرا للمواصلات ·

وأذكر أن الاثنين لم يحلفا اليمين أمام نجيب ·

وهنا بدأت تشتد الأزمات معه باعتباره رئيسا للوزراء ·

وأثناء رحلة قمنا بها الى النوبة معا رغم اعتراض صلاح سالم ، بدأ محمد نجيب يعبر لى عن ضيقه من مجلس قيادة الثورة ، واعتراضه على اتصال بعضهم بالوزراء دون علمه ، واعتبارهم أن البلد كلها ملك لهم ·

ودار نقاشنا حول التساؤل عن الأسباب التى تحول دون عودة الجيش الى الثكنات وممارسة واجباته الوطنية الرئيسية · وأن تقوم الثورة ببناء حزب سياسى ·

وعندما عدت من رحلة النوبة فوجئت بوجود اتجاه عاصف وغاضب ضد محمد نجيب ، وصل الى درجة التفكير فى اغتياله ، ولكن البغدادى اعترض فى حسم قائلا ان الثورة ستضيع ·

وفى جلسة ٢٥ فبراير طرح موضوع اخراج نجيب وقبول استقالته، وقد اعترضت لعدم وجود مبرر لذلك ،كما أبلغتهم أننى لن أذهب لاقناع أى ضابط فى سلاح الفرسان ، واننى سأستقيل بعد أسبوع ·

ولكن المجلس وافق ، وكانت الموافقة جماعية رغم الاعتراضات التى أبديت منى ومن عبد اللطيف البغدادى ، وأعلن قرار قبول اســـتقالة نجيب فى صحف صباح الخميس .

وفى يوم الجمعة عقد ضباط الفرسان اجتماعا لم أعلم عنه شيئا ، فقد خرجت مع الصـــباح الباكر ولم أعد للمنزل الا بعد السينما حوالى منتصف الليل ، فوجدت خبرا باستدعائى للمجلس .

عندما دخلت وجدت أعضاء المجلس واجمين ، وشعرت منهم بروح الكراهية وبدأ جمال عبد الناصر يحكى قصة ذهابه لاجتماع ضـــباط السوارى ، بعد محاولة حسين الشافعى اقناعهم وفشله فى ذلك ، فقال ان الضباط قد طالبوه بعودة محمد نجيب والحياة الديموقراطية ، وقال جمال انه سمع صوت دبابات تتحرك أثناء الاجتماع .

وقال جمال عبد الناصر أنه يقـــدم اقتراحا محددا بأن يتولى خالد محيى الدين رئاسة الوزارة ، ويعمل على سرعة عودة الحياة الدستورية ، ونستقيل نحن بعد توضيب الأمور لخالد .

وهنا قلت لهم (أنا غير موافق على تعيينى ومشيكم انتم) .

وقال جمال (البلد عاوزه نجيب ، ونحن لايمكن نتعامل معه) .

وتساءلت عن الأسباب التى تدعو لانســـحاب عبـد الحكيم عامر أيضـــا .

وقال عبد الحكيم عامر (أنا أقعد معاك يومين) .

وقال كمال الدين حسين (نحن نطلب من خالد الا يجعـــل البلد شـــيوعية) .

وقال جمال عبد الناصر (أنا متأكد أنه لن يحولها لشيوعية) .

وقال صلاح سالم (أنا شايف ان الانقاذ فى يد خالد محيى الدين ، وعلينا أن نتفادى حربا أهلية ، برجوع نجيب قبل الصباح) .

واقترح جمال أن نذهب لضباط السوارى لتهدئتهم .

وفعلا ذهبنا الساعة الثالثـــة بعد منتصف الليل وأعلن جمـــال عبد الناصر قرار اعادة نجيب وتعيينى رئيسا للوزراء ، وصفق الضباط طويلا .. وقال جمال فى حوار مع بعضهم (نحن نثق فى خالد ، ولانثق فى نجيب) .

ذهبت بعد ذلك مع يوزباشى شمس بدران وصاغ عماد ثابت لمحمد نجيب لابلاغه بقرار مجلس الثورة ، فاحتضننى وقبلنى .

وعندما رجعت الى مبنى القيادة فى الفجر وجدت أن السوارى محاصر بالمدفعية ، وان عددا كبيرا من الضباط يحملون أسلحتهم في غرفة المجلس، والبعض منهم يبكى ويطالب ببقاء المجلس ٠

وعندما ظهرت اعتدى على اثنان من الضباط وقالا (هو المسئول) ولكن جمال سالم ضربهم بالشلاليت وسحبنى عامر الى خلف مكتبه ٠

ولما وجدت الموقف متوترا طالبت بالغاء القرار السابق اصداره قائلا أن المهم هو تفادى حدوث مذبحة ٠٠ واقترحت على جمال عبد الناصر أن نذهب الى السوارى فوافق ٠

ولكن أحمد نور منعنى من الخروج رغم مطالبة عبد الحكيم عامر له بذلك ٠

واعتدى وحيد الدين جوده رمضان على بالسباب ، فعدت ثانيا الى غرفة المجلس بالطابق الثانى ٠

وهنا كان النهار قد أشرق ، وظهرت بعض الطائرات محلقة فوق السوارى ، فسأل جمال عبد الناصر (من الذى أعطى الأوامر للطائرات ؟) فقال على صبرى (أنا يا أفندم) ، وهنا ارتفعت الروح المعنوية عندهم ، وبعدها عين على صبرى مديرا لمكتب جمال عبد الناصر

نمت بعد ذلك حتى الظهر ٠ ثم عقد اجتماع اثيرت فيه مسئولبتى فى تشجيع ضباط السوارى واحداث شرخ في الجيش ـ حسب تعبيرهم ٠

وتعددت الاتجاهات ٠

فريق أيد اخراجى من المجلس واعتقالى وهم صلاح سالم وجمال سالم وكمال حسين وأنور السادات وحسن ابراهيم وقد اقترح تحديد اقامتى فى مرسى مطروح ٠

واقترح عبد الحكيم عامر سفرى الى الخارج ـ زكريا محيى الدين عارض اخراجى وقال ان اخراج خالد سيزيد التفكك ٠

وقال عبد اللطيف بغدادى أنه ضد اتخاذ أى اجراءات ضدى لأننى لم أخف آرائى عنهم ، وأننى قد سبق أن طلبت الاستقالة ٠

وهنا حسم جمال عبد الناصر المناقشة بقوله (هل أنتم تبحثون موضوع نجيب أم خالد ؟) ـ اذا كان نجيب حيرجع فضرورى خالد كمان يرجع ٠٠٠ وعليه نبحث موضوع نجيب أولا ٠

وانقسمت الآراء أيضا حول عودة نجيب فقد اعترض حسن ابراهيم والبغدادى الذى كان قد سبق له الاعتراض على اخراجه ٠

وهنا كانت الساعة قد بلغت الثالثة والنصف بعد الظهر وبلغ الاجهاد بنا حده الأقصى ، فطلب الجميع الذهاب للنوم عدة ساعات ٠

وهنا طلب منهم جمال عبد الناصر تفويضه فى التصرف فى الأمور فى حالة حدوث أى طارىء ووافقوا جميعا على ذلك ٠

ذهبنا جميعا الى منازلنا عدا جمال عبد الناصر ٠

وفى السادسة مســـاء أيقظونى على خبر فى الاذاعة بعودة نجيب وكان السبب هو أن ضباط حامية الاسكندرية جـــاء وفد منهم وقابل عبد الناصر وكانوا يؤيدون نجيب ، وان صلاح سالم شاهد الناس يملئون ميدان عابدين هاتفين بعودة نجيب ٠

وعاد صلاح سالم الى مبنى القيادة مسرعا لينقل الصورة الى جمال عبد الناصر وقال له :

ـ اما أن ينزل الجيش يضرب ، واما سيلتهب الموقف ٠

كان جمال عبد الناصر يضع رأسه بين يديه ولا يتحدث ٠

وقال صلاح سالم (سأبلغ الاذاعة خبر عودة نجيب) ٠

ولم يرد جمال عبد الناصر ٠

وكرر صلاح سالم (أنا سأبلغ الاذاعة) ٠

ولم يرد جمال أيضا ٠

وقام صلاح سالم بابلاغ الاذاعة التى أذاعت الخبر فورا وســمعه أعضاء المجلس فى منازلهم ٠

وفى يوم أول مارس سافر نجيب مع صلاح ســالم الى السودان ، وقال لى زكريا محيى الدين ان بعض ضباط الجيش يعتبروننى المسئول عن الشرخ الذى حدث فى الجيش ، واننى قد أتعـرض لاعتـــداء بعض الضباط ، وأن ذلك قد يؤدى الى رد السوارى عليهم ، مما يعرض الموقف لكارثة ٠٠ وطلب منى الابتعاد عن القاهرة ٠

ذهبت الى وادى النطرون وأثناء ذلك صـــدرت قرارات ٥ مارس ورفعت الرقابة عن الصحف ، فرجعت الى القاهرة ٠ وسألنى جمـــال عبد الناصر (هل ستدخل الانتخابات ٠٠٠ ومع من ستكون ؟) ٠

بدأ نجيب ينشط ويخطب ، وطالبنى أعضاء المجلس الذين كانـوا لا ينامون فى منازلهم ولا فى المجلس خـــلال هذه الفترة ، طالبونى بأن أتحدث مع نجيب وأحاول تهدئته ٠

وعندما حدثته قال اننى لا أقبل أن أكون طرطورا ، وطالب بـأن يعود رئيسا لمجلس الوزراء الى جانب مجلس الثورة ورئاسة الجمهورية وقد نفذ ذلك فعلا ٠

واشتدت المعركة بين المجلس ونجيب ، وقابلت الصحفى الفرنسى (روجيه استيفانو) مراسل (نوفيل أوبزر فاتور) فقال لى أن جمـال عبد الناصر سيكسب المعركة ، لأنه علم ذلك خـــلال صلاته بالسفارتين الانجليزية والأمريكية ، ذلك لأن جمال عبد الناصر وأعضاء المجلس قد أبلغوهم الموافقة على اتفاقية الجلاء ، وادخال الهجـــوم على تركيا أيضا مبررا لعودة القوات البريطانية الى القاعدة ٠

وبدأ الصراع يشتد ٠

كنا نطالب بعودة الحياة البرلمانية والديموقراطية ونحن على ثقـة من أن عودتها سوف تكون عاملا على نمو التيارات اليســارية والشعبية فى ظل ظروف ضعف الطبقة الوسطى والرأسمالية ٠

وكان هذا بالتحديد ـ فى رأى أعضـــــاء المجلس ـ هو ما يجب مقاومته ، وهو ما جعلهم يندفعون الى تسهيل عقد اتفاقية الجلاء ٠

أذكر ان صـــلاح سالم قال لى انه موافق ٠٠ على عـــودة الحزب الشيوعى ، ولكنى قلت له اننى أطالب بعودة الحياة النيابية فقط دون شروط وقد صور المجلس ذلك بأنه ردة لما قبل حركة الجيش وذلك غير صحيح ـ فاننى كنت أؤيد عودة الديموقراطية مع بقاء مكتسبات الثورة وأيدت تكوين حزب للثورة وأعلنت عن رغبتى فى الانضمام له ٠

والواقع أنه قد حدثت عدة أخطاء :

أولا : الجماهير كانت ترحب بالديموقراطيـــة ، ولكن حمـــلة الصحافة أعطت ايحاء بعودة الأحزاب القديمة على حســـاب الثورة ، ولم يوضحوا أن المطلوب هو ديموقراطية جديدة ، مغايرة تماما نتيجة لتطور الظروف عن الديموقراطية القديمة ٠

ثانيا : فتح الهجوم على الجيش كجيش أثار حفيظة الضباط وجعلهم يتكتلون خلف جمال عبد الناصر ٠

ثالثا : عدم وجود تنظيم أو تنظيمات مقابلة لهيئة التحرير تسعى لاقرار الديموقراطية ٠

وفى يوم ٢٥ مارس عقد مجلس قيادة الثورة اجتماعا اقترح فيه عبد اللطيف البغدادى الغاء قرارات ٥ مارس ٠٠٠ واقترح جمال عبد الناصر أن ينسحب مجلس الثورة يوم ٢٣ يوليـــو وتعود الأحزاب الى وضعهـا السابق ٠

ولكننى مع نجيب وافقنا على عودة الحيـــاة النيابية بشروط مع حرمان البعض من حقوقهم السياسية وهم :

١ ـ النواب الذين صوتوا ضد أى قوانين مقيدة للحريات ٠

٢ ـ النواب الذين رفضوا دفع ضريبة الأطيان ٠

٣ ـ رؤساء الأحزاب ٠

٤ ـ الذين طبقت عليهم قوانين الاصلاح الزراعى ٠

واقترحنا أن تعد الجمعية التأسيسية الدســـتور على أن تشكل الأحزاب بعد ٢٣ يوليو ٠

ولكن أعضاء المجلس رفضوا ذلك ، وجنحوا للتطرف لاســـتثارة حفيظة الناس ، وأصدروا قرارات ٢٥ مارس التى تعنى فى مضمونهـــا انهاء للثورة وعودة للقديم كما كان ٠٠٠ وهو ما لم نطالب به ٠

كان الملك سعود قد حضر فى زيارة لمصر ، وانتهز أعضــاء المجلس فرصة انشغال نجيب معه فدبروا مظاهرات قابلتنا أثناء السفر للاسكندرية فى محطات بنها وطنطا ودمنهـــور تهتف (لا أحزاب ولا برلمان)٠٠٠ وغير بعض الضباط مواقفهـم ووقفوا مع المجلس ، وقد قال لى جمـــال عبد الناصر ان كل المبالغ التى صرفت على المظاهرات والتى دفع معظمهـا لصاوى أحمد صاوى لم يتجاوز ٥٠٠٠ جنيه ٠

وفى الاسكندرية تبينت صورة الموقف ، ورجحت كفة أعضـــاء المجلس ، وتركت محمد نجيب يعود وحده مع الملك ســـعود ، واتصلت بأحمد حمروش وطلعت شعث ثم اختفيت فى الاســكندرية ، وقد اتصل عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بأحمد حمروش وطلبا منه ضرورة البحث عنى وابلاغى بضرورة العودة مع تأمينى على كل شىء ٠

ذهبت للقاهرة وقد قدمت اســـتقالتى فطلبنى جمال عبد الناصر وأبلغنى بقبول الاستقالة ثم سألنى (ما هى مشاريعك ؟) فقلت له : (مفيش) ٠٠٠ فقال لى لأ ٠٠٠ بقا هنا لأ ٠٠٠ لأن الذباب حيتلم عليك لأنك زى العســـل ٠٠ وأنا حابقى فى وضـــع محرج ٠٠٠ أمن البلد أو صداقتك ؟

وأنهى كلامه قائلا : (أنت تسافر للخارج فى بعثة مجلس الانتاج ثم نعينك بعد ذلك سفيرا) ٠

وبعد ذلك حدثت المحاولة الانقلابية التى قادها أحمد المصرى فى سلاح الفرسان ، وتعطل تعيينى سفيرا ، وأرسلوا يطلبون لى أن أختار بلدا للبقاء فيها عدا فرنسا وايطاليا ٠٠٠ فاخترت سويسرا ٠

س ٥ : كيف واجهت الحيـــاة فى الخارج ؟

ج ٥ : اتصل بى محمود أبو الفتح فى يوليو ١٩٥٤ وعرض على أن أتولى مسئولية جبهة مصر الحرة ، وعرض أن يدفع لى بدل ســـفر لمدة خمس سنوات ، على (أن نسيبنا من حكاية اليسارية والماركسية دى) ٠

رفضت العرض فورا ٠٠٠ وبدأ محمــود أبو الفتح يشن على حملة هجوم متهما اياى بأن عندى مبالغ كبيرة ، فى وقت كنت أحصل فيه على مرتب صاغ وبدل سفر ٦ جنيهات فى اليوم فقط ٠

وأثناء ذلك علمت أنه كانت هناك اتصالات سرية مع بعض المسئولين فى اسرائيل يقوم بها عبد الرحمن صادق المستشار الصحفى ، ومؤداها تطمين اسرائيل بأنه عند جلاء الانجليز يمكن حل المشكلة ٠

وعندما قرر عبد الناصر الذهاب الى باندونج أرسلت له خطـــابا أقول فيه ان شقة الخلاف تضيق بيننا ٠

وفى نوفمبر ١٩٥٥ اتصـــل بى ابن عمى عبد العزيز محيى الدين للاستفسار منى عما اذا كنت مستعدا للنزول أجازة لمدة شهر ٠

وافقت فورا ونزلت فى ٤ ديسمبر ١٩٥٥ وقابلت جمال عبد الناصر الذى دعانى للعشاء فى منزله مع عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين ٠

وأخيرا عدت للقاهرة ، وتوليت مسئوليـة اصدار جريدة المساء فى ابريل ١٩٥٦ والتى صدر عددها الأول فى ٦ أكتوبر ١٩٥٦ ٠

س ٦ : كيف كان دورك فى مصر بعد العودة ؟

ج ٦ : لعبت جريدة المساء دورا سياسيا هاما تبلورت فيه آراء الاشتراكيين والتقدميين المصريين ٠

وخلال عملى رئيســا لتحريرها عينت فى مجلس الســلام ، حتى أصبحت سكرتيرا له بدلا من المرحوم يوسف حلمى ، وقد أسهمت الحركة فى الدعوة لمصر أثناء فترة عدوان ١٩٥٦ ، وقامت بارسال وفد الى فينا ٠

وظلت المساء تواصل دورها حتى قامت ثورة العراق فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ ، وروى لى جمال عبد الناصر قصة زيارته لموسكو بعد ثورة العراق ٠٠٠ وكان قد أبلغنى قبلها فى مايو بأنهم على اتصال ببعض الضباط الأحرار العراقيين ٠٠٠ وقال لى ان خروشوف قد نصحه بالتعقل لعدم معرفة ما يمكن أن يؤديه الموقف من أزمات عالمية ٠

وبعد ذلك كتب الدكتور عبد العظيم أنيس مقالا عن (الحركة الوطنية العربية) وغضب جمال عبد الناصر واتصل بى قائلا ان هناك (الحركة القومية العربية) ٠٠٠ وقال لى أن القومية العربية قد انتهت بقيام ثورة العراق ، وقال لى بكره الجيش العراقى يدبح الشيوعيين ؛ ثم طلب منع الدكتور عبد العظيم أنيس من الكتابة ٠

وعندما قامت ثورة الشواف المضادة حرصت المساء على الا تنشر غير الأخبار المؤكدة التى تجمع عليها وكالات الأنباء ، ولما فشلت المحاولة ظهرت المساء بمانشيت يقول (انتهت الثورة) واعتبر جمال عبد الناصر ذلك خروجا على الخط ، وتقرر ابعادى عن المساء ، وقد أبلغنى بذلك أنور السادات يوم ١٢ مارس ١٩٥٩ ٠

وركزت بعد ذلك على نشاط حركة السلام حتى عينت مرة أخرى رئيسا لمجلس ادارة أخبار اليوم فى أكتوبر ١٩٦٤ ، حتى استقلت منها فى عام ١٩٦٦ ٠

الاسم : زكريا العادلى أمام

متخرج فى : الكلية الحربية

آخر رتبة فى الجيش : عميد ملحق عسكرى فى أنقرة

العمل الآن : سفير مصر فى الهند

س ١ : هل كانت لك ارتباطات سياسية قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : لم تكن لى ارتباطات أو اهتمامات سياسية . كما أنى لم أكن منضما لتنظيم الضباط الاحرار .

س ٢ : هـل يمكن عقد مقارنة بين حالة الجيش قبل الحركة وبعدها ؟

ج ٢ : لم تكن القوات المسلحة منظمة على أساس تشكيلات قتالية ، وانما كانت أسلحة متفرقة غير مندمجة .

أول محاولة لذلك كانت تشكيل ما سمي (المجموعة الضاربة) من المدفعية والمشاة الراكبة والطيران ، وعينت قائدا لها حيث قمنا بعمل مناورة اسمها (انتصار) على طريق مصر ـ اسكندرية الصحراوى ، وهى أكبر مناورة قام بها الجيش حتى ذلك الوقت ، وقمنا أيضا باستلام معسكرات الجيش الانجليزى فى القنال حيث ذهب جمال عبد الناصر ورفع العلم المصرى على الشلوفة .

أذكر أن اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الحرب قد سألنى عما اذا كنا نستطيع القيام بأعمال تعرضية ضد العدو ، وقد أجبته بتقرير من ١٧ صفحة يقول (لا) وفى رأيى أن هذا قد أجل التفكير فى أعمال هجومية كان لابد وأن تلحق بنا كارثة .

وكنت خلال أزمة مارس ١٩٥٤ قد استدعيت من مدرسة الضباط العظام للذهاب الى السوارى ، وبعد عودة الهدوء للسلاح ، إكتشفت أن صولا كان يتجسس على ، وكان قد حدث فعلا شبه انهيار عسكرى من جهة الضبط والربط .

ثم عينت بعد ذلك ملحقا عسكريا فى تركيا فى أوائل ١٩٥٦ ·

س ٣ : هل حدث العدوان الثلاثى على مصر وانت ملحق عسكرى فى تركيا ·· وما هو تقديرك لابعاد العدوان ؟

س ٣ : وصلتنى معلومات فى يوليو واغسطس ١٩٥٦ عن وجود حشود عسكرية فى قبرص واسرائيل فأرسلت مندوبا الى كل منها للحصول على معلومات ·

وعلمت أيضا أن الأتراك قد ألغوا الاجازات فى القوات المسلحة وانهم أعلنوا حالة الطوارىء · وأن قوات تركيا تتجمع فى أزمير للسفر الى القناة ، وتبين أنهم قد جمعوا (عمال لاسلكى وكتبة على الآلات الكاتبة) فى انتظار تعليمات السفر ·

وفى يوم ٥ أكتوبر علمت من مسئول تركى فى حفلة للسفارة الايطالية أن الانجليز والفرنسيين سوف يقومون بالهجوم على مصر حوالى منتصف نوفمبر ·

ربطت المعلومات المتيسرة من قبرص واسرائيل وتركيا وأرسلت برقية يوم ٦ أكتوبر هذا هو نصها الحرفى (ستوجه انجلترا وفرنسا انذارا نهائيا الى مصر يعقبه اعتداء جماعى بالتعاون مع اسرائيل فى منتصف نوفمبر ١٩٥٦) ·

ولم تكلفنى هذه المعلومات سوى ٣٠٠ جنيه دفعتها للعميل التركى سدادا لديون تراكمت عليه ·

وأعقبت برقيتى الأولى ببرقية أخرى قلت فيها (رغم أن المعلومات عندى أن الهجوم فى منتصف نوفمبر الا أن الظواهر تدل على أن الهجوم سيكون قبل آخر شهر أكتوبر) ·

وزيادة فى التأكد أرسلت الملحق العسكرى بهذه المعلومات يوم ٩ أكتوبر · وقد سافر وعاد فورا ليبلغنى رسالة من المخابرات الحربية تفيد باننى الملحق العسكرى (الوحيد) الذى أبلغهم هذه المعلومات ·

ثم سافرت يوم ١٩ أكتوبر بعد توافر معلومات عن تدريب بعض العملاء الاسرائيليين من العرب لمحاولة قتل جمال عبد الناصر ، وكذلك التأكد من نية الهجوم على مصر ·

وقد استخف مدير المخابرات الحربية فى ذلك الوقت بهذه المعلومات

قائلا ان هناك معلومات باحتمال هجوم من ليبيا وأن هناك خطة أعدت لاغراق غرب القاهرة ·

وقابلت فى هذه الزيارة اللواء عبد الحكيم عامر وطلبت منه ضرورة مقابلة جمال عبد الناصر ، ولكن انتظرت حتى يوم ٢٧ أكتوبر دون تحديد موعد · فرجعت الى تركيا ·

وسمعت فى الاذاعة خبر الهجوم على مصر كما هو معروف ·

واكتشفت بعد ذلك محاولة انقلاب مضاد قام بها العميد على حسن النكلاوى (أمه فرنسية) والقائمقام طاهر الشربينى ، وزكى عصمت الترنولى ·

استدعيت الى القاهرة فى أواخر ديسمبر ١٩٥٦ وأوائل ١٩٥٧ ، حيث عرض على محمد على عبد الكريم مدير المخابرات الحربية أن أعين قائدا للسوارى ·· ولكنى أمضيت شهرا ثم عدت الى منصبى ·

وفى يقينى أنه رغم توافر هذه المعلومات عند جمال عبد الناصر ، الا أنه لم يتصور أن انطونى ايدن يمكن أن يرتكب مثل هذا الخطأ ·

س ٤ : ما هى المناصب التى توليتها بعد ذلك ؟

ج ٤ : عينت سفيرا فى الصين فى يوليو ١٩٦٢ وبعد شهر واحد حدثت الخلافات بين الصين والهند ·· وكان جمال عبد الناصر ينحاز بدون مناقشة الى الهند ·

طلب شوان لاى منى أن أرجو جمال عبد الناصر التوسط شخصيا لدى الهند ·

وعقد فى ديسمبر ١٩٦٢ مؤتمر كولمبو من مصر وبورما وكمبوديا وسيلان وغانا وقد حضر هذا المؤتمر الأمير سيهانوك وعلى صبرى ممثلا لمصر فى محاولة للتوفيق بين الدولتين الاسيويتين الكبيرتين ·

ثم تطورت العلاقات بعد ذلك الى الأفضل بين مصر والصين خلال الاعوام الثلاثة التالية ، وزار شوان لاى مصر ثلاث مرات ·

ولكن العلاقات فترت مرة اخرى فى عام ١٩٦٥ بعد الموقف الذى اتخذه مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى بعد توتر العلاقات بين بكين وموسكو ، وانحياز المؤتمر للهند ·

اذكر أن شوان لاى قد ناقشنى فى سياسة وأسلوب مصر قائلا (اننا نحتفظ باحتياطى ٥ سنوات من القمح وأنتم تحولون المراكب اليكم

في آخر لحظة ٠٠ كما أنكم تعتمدون على الأسلحة الثقيلة بينما نحن نعتقد أن الانسب لكم هو استخدام الأسلحة الصالحة للحرب الشعبية) ٠

ويوم ٦ يونيو ١٩٦٧ في اليوم التالى للعدوان طلب شـــوان لاى مقابلتى قائلا (اذا صمدتم فسندفع لكم عشرة ملايين دولار ، و ١٥٠ الف طن قمح هبة ، وأى مساعدات عسكرية تطلبونها ، وذلك بشرط وحيد ٠٠ هو الصمود وعدم القاء السلاح) ٠

ولكن لم تصل لمصر سوى مركب واحدة تحمل ١٠٫٠٠٠ طن ، ولم يدفعوا الهبة المالية باعتبار أننا تورطنا في قبول قرار مجلس الأمن ٠

بعد ذلك عينت سفيرا في السويد ، ثم أصبحت الآن ســـفيرا في الهنـــد ٠

زكى مـراد

المحـامى

س ١ : معروف أنك كنت عضـوا فى الحـركة الديموقراطية للتحـرر الوطنـى لمدة سـنوات قبـل حركة الجيش كيف استقبلت حركة ٢٣ يوليـو .. وهـل كانت لك عـلاقة ببعض ضباط الجيش ؟

ج ١ : قامت حركة الجيش يوم ٢٣ يوليو وأنا وعدد من الرفاق فى معتقل الهاكستيب اعتقلنا بعد حريق القاهرة ٢٦ ينـاير ١٩٥٢ ومحاولة الوزارات المتعاقبة التى تلت الوفد تصفية حركة الكفاح المسـلح فى القناة ، وضرب الحركة الوطنية عامة .

وكنت أعرف خلال هذه الفترة بحكم عضويتى فى المكتب السياسى للحركة الديموقراطية الذى كان مشكلا فى ذلك الوقت من الزملاء سيد سليمان رفاعى ، كمال عبد الحليم ، ومحمد شطا وأحمد الرفاعى وجنيد أن هناك اتصالا تنظيميا بين قسم الجيش وبين حركة الضباط الاحرار . وأننا نقدم لهم تسهيلات ومساعدات فى طباعة المنشورات وتوزيعها .

ولذا استقبلنا حركة الجيش داخل المعتقل بتأييد فورى وعلقنا على جدران المعتقل بيانا بذلك .

وبدأت حركة الجيش تفرج عن المعتقلين فخرجنا جميعا خلال خمسة أيام من ٢٣ ـ ٢٨ يوليو وبقى معتقلا ١٤ شخصا فقط زادوا فيما بعد الى ١٧ ـ اذ أضيف اليهم ثلاثة انتهت مدة أحكامهم .

وكانت الحركة الديموقراطية قد وزعت منشور تأييد لحركة الجيش فى شوارع القاهرة صباح يوم ٢٣ يوليو .

وبدأت حركة اتصالات مع جمال عبد الناصر من خلال أحمد فؤاد وقد حضرت بعضها وتولى يوسف حلمى مسئولية الاتصـال بكل من فـؤاد سراج الدين وجمال عبد الناصر لتقريب وجهات النظر .

س ٢ : متى بـدأت تنشـب الخلافات بين حدتو وحركة الجيش ؟

ج ٢ : لم تكن حدتو هى التنظيم الشيوعى الوحيد فى السـاحة السياسية ، ولكنها كانت التنظيم الاقدم والأكبر والأكثر خبرة ٠

كان هناك تنظيم قد تشكل بمعرفة الدكتورين فؤاد مرسى واسماعيل صبرى عبد الله فى يناير ١٩٥٠ وانضم اليهم بعض الذين كانوا ضـد عدم تكوين الحزب مثل جلال كشك وعبد الرحمن شاكر ومجموعة المطبعة المكونة من مصطفى طيبة وصلاح هاشم ومجدى فهمى ٠

وأصدر هذا (الحزب) مجلة (الراية) حملت مسئولية المعارضة ضد حدتو باعتبارها مناصرة لحركة الجيش ٠٠ وكان هذا (الحزب) قد أصدر منشورا يدين فيه حركة الجيش يوم طرد الملك على اعتبار انهـا فاشية عسكرية ٠

وكان بعض أعضاء هذا الحزب الذين درسوا فى الخارج على صلة شخصية بعناصر من الاحـزاب الشيوعية الأوربية التى تأثر بعضـها بتفسيرهم للحركة ، فاصدر بيانات ادانة لها ٠٠ مثل بالم دات عضـو الحزب الشيوعى البريطانى الذى كتب تقريرا ضد حركة الجيش ردت عليه الحركة الديموقراطية فى مصر والحركة السودانية للتحرر الوطنى فى السودان ٠

وافق ايدريس كوكس عضو المكتب السياسى للحزب البريطانى على رأينا وتراجع بالم دات عن موقفه ٠

وقال تولياتى سكرتير الحزب الشيوعى الايطالى (علينا أن نضـع فى اعتبارنا ونحن ندرس حركة الجنرال نجيب رأى قادة حركة السلام المصرية) ٠

وقد أحرج موقفنا وزاد فى المعارضة ضدنا بين صفوف الحـركة الشيوعية الموقف الاجرامى للمجلس العسكرى الذى عقـد فى كفر الدوار واصداره حكما باعدام العاملين خميس والبقـرى وصـدق عليـه مجلس القيادة ٠

ومع ذلك ظلت هناك محاولات لاستمرار الصلة والتغلب على هـذه السقطة ولكن جمـوح حـركة الجيش فى تنفيـذ أهدافها فى غير طريق الديموقراطية ٠ انتهى بها بعد قانون تنظيم الاحزاب الذى صـدر فى أكتوبر ١٩٥٢ والذى استعددنا له بتكوين (حزب التحرر الوطنى) الذى شكلنا لجنة تحضيرية لهيئته التأسيسية من محمد كامل البندارى باشـا

رئيسا وخلفه فى رئاسة مجلس السلام الدكتور ابراهيم رشاد ، ومعه حنفى محمود باشا ويوسف حلمى وخالد محمد خالد وكمال عبد الحليم وأحمد الرفاعى وأحمد طه ومحمد على عامر والسيدة سيزا نبراوى وأنا وآخرين ٠

وقد تمت فى هذه الفترة مقابلتان طويلتان بين عبد الناصر وعامر والبندارى باشا ولكنها لم تصل الى نتائج عملية ٠

وبدأت اللجنة تعقد ندوات للمناقشة استعدادا لاعلان برنامج الحزب الجديد ، ولكن قانون حل الأحزاب الذى صدر فى يناير ١٩٥٣ لحق بنا فلم يعلن الحزب ، وصحب ذلك اعتقال بعض الضباط منهم احمد حمروش عضو قسم الجيش ، كما اقترن ذلك أيضا بصدور أوامر اعتقال لأعضاء حدتو فاختفى الزملاء ٠

وصودرت المجلات التقدمية : الكاتب ، والملايين ، والواجب ، وصوت الطالب ، والمعارضة ٠

وبدأت محاولات تشكيل (جبهة وطنية ديموقراطية) مثل الوفد فيها مندوبا عن مصطفى النحاس النائب حنفى الشريف ، والاخوان الدكتور خميس حميده وعبد الحفيظ الصيفى ، وحدتو أحمد الرفاعى وأنا وكان ذلك حوالى شهر أبريل ١٩٥٣ ٠

وفى أبريل ١٩٥٣ اعتقل البوليس بعض أعضاء المكتب السياسى ٠ ولكن كان قد هرب فى نفس الوقت سبعة أفراد من معتقل روض الفرج بينهم ٣ من اللجنة المركزية أحدهم مبارك عبده فضل ٠

واعتقلت أنا بعد سبعة شهور أثناء سيرى فى شوارع العجوزة يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٥٣ حيث دخلت السجن الحربى ، ثم رحلت فى أبريل ١٩٥٤ الى سجن مصر ٠

وعقدت محاكمة (قضية الجبهة الوطنية الديموقراطية) فى محكمة عسكرية عليا خاصة رأسها الأميرالاى فؤاد الدجوى فى يوليو ١٩٥٤ وكان قد طلب من المتهمين تأييد اتفاقية الجلاء فرفضوا ، ودارت فى ذلك مفاوضات معنا داخل السجن ، وكنا قد قمنا بمظاهرات تهتف بسقوط معاهدة (نجيب ــ هانكى) ٠

أفرج عن يوسف حلمى وكمال عبد الحليم ولم يقدما للمحاكمة لانهما كانا فى السجن قبل تحقيق قضية الجبهة ، كما أفرج عن أحمد الرفاعى من الحبس الاحتياطى ليعاد الى معتقل المنيا ٠

صدرت الأحكام التالية فى قضية الجبهة فى محكمة مصر بحضور ما يزيد عن ٣٠٠ متفرج ٠

عشر سنوات أشغال شاقة ـ محمد شطا وشريف حتاتة وحليم طوسون ٠

ثمانى سنوات أشغال شاقة ـ محمد خليل قاسم والبير أريبه وأنا ٠

خمس سنوات سجن ـ سعد كامل وزوجته وأحمد طه وزوجة كمال عبد الحليم ومصطفى كمال صدقى ومحسن محمد حسن وعبد اللطيف جمال ، ثلاث سنوات سجن ـ ابراهيم حسين (وفدى) وسيد البكار (وفدى) ٠ سنتان سجن ـ بكر سيف النصر (وفدى) ٠

وبقيت بعد ذلك فى السجن حتى اعتقال الشيوعيين فى يناير ١٩٥٩ ثم خرجت معهم عام ١٩٦٤ ٠

س ٣ : كل معروفا أن مصطفى كمال صدقى هو أنشط ضباط الحرس الحديدى المتصل بيوسف رشاد ياور الملك البحرى ٠ ما الذى غير اتجاهه للارتباط بالعناصر الديموقراطية ؟

جـ ٣ : كان عبد القادر طه زميل مصطفى كمال صدقى فى الحرس الحديدى قد بدأ يغير اتجاهه ويتحول الى الضباط الأحرار ، الأمر الذى دفع على حسنين الى قتله ٠٠٠ وهنا ثار مصطفى كمال صدقى وترك الحرس الحديدى ٠

وعندما قامت حركة الجيش لم يكن له فيها مكان ٠٠٠ وبعد الاتصال به كتب القصة الكاملة للحرس الحديدى وقدمها لنا ٠٠٠ وتوطدت الصلة به يوما بعد يوم حتى اعتقل هو وزوجته تحية كاريوكا فى قضية الجبهة الوطنية الديموقراطية المشار اليها ٠

س ٤ : كيف تغيرت القيادات فى حدتو بعد الاعتقالات المتكررة ٠٠٠ وكيف تطورت العلاقات مع حركة الجيش ؟

جـ ٤ : حدث تغيير فى القيادات بدأ بوقف سيد سليمان رفاعى فى اجتماع اللجنة المركزية أثر خلافات تنظيمية واتخاذه موقفا متطرفا يدعو الى تكوين لجان ثورية شعبية وكان هذا امتدادا لما عرف باسم (التيار الثورى) ٠٠٠ وقد نقد (بدر) وهو اسمه الحركى نفسه نقدا ذاتيا عاد بعده الى حدتو فى سنة ١٩٥٨ عضوا عاديا ٠

وبعد اعتقال جميع أعضاء اللجنة المركزية شكلت قيادة جديدة لحدتو فى خريف ١٩٥٤ مكونة من عبد الجبار خلاف وصلاح حافظ ومحمد توفيق وبدير النحاس ، وقد اعتقلوا وحكم عليهم بالترتيب : ١٠ سنوات، ٨ ، ٥ ، ٣ ٠

ثم شكلت قيادة ثالثة قادها كمال عبد الحليم ٠

ولم يحــدث أى لقاء مع حركة الجيش فلم يصدر عفو خاص عن اى قضية شيوعية طوال حكم الثورة الا فى مايو ١٩٦٤ ، اذا استثنينـا السودانيين الذين ألغيت الأحكام الصادرة ضدهم ليسافروا الى بلادهم ٠

ومنذ ديسمبر ١٩٥٢ لم تجتمع اللجنة المركزية لحدتو كاملة لوجود أكثر من نصفها داخل السجن ٠ وان كان قد تم اعداد أسلوب يسمح لمن هم داخل السجن بالمشاركة فى أعمال اللجنة سرا ٠

سعد كامل

سكرتير أول مجلس مصرى للسلام

الكاتب فى مؤسسة الاخبار حاليا

س ١ : هل كانت لك اتصالات بضباط الجيش فى حركتك السياسية قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟

جـ ١ : خلال النصف الثانى من الأربعينيات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كان هناك اتصال بعدد من ضباط الجيش مثل أنور السادات ومصطفى كمال صدقى وحسن فهمى عبد المجيد وعبد الرؤوف نور الدين وابراهيم عاطف ٠

كنا على اقتناع من الناحية الوطنية بان الارهاب والاغتيال وسيلة من الوسائل الهامة لمقاومة الاستعمار وأعوانه من أجل تحرير مصر ٠

ولذا فقد اشتركت عام ١٩٤٦ ومصطفى كمال صدقى وحسن فهمى عبد المجيد وعبد الرؤوف نور الدين فى القاء قنبلتين على منزل عبد الفتاح عمرو فى الدقى وكذلك قنبلة على مبنى الاتحاد المصرى الانجليزى فى الزمالك ، وكان ذلك احتجاجا على مشروع صدقى بيفن ٠

واشتركنا فى بعض الحركات الارهابية مع أنور السادات ، كما جاء فى أحداث محاولة القاء قنبلة على سيارة النحاس باشا وبعض أحداث الاعتداء على الجنود الانجليز بالمعادى وأماكن أخرى ٠

وعندما فكرت مجموعة من الضباط فى اغتيال ابراهيم عطا الله رئيس أركان حرب الجيش عام ١٩٤٧ ثم اعتقلوا بعد اكتشاف أمرهم وهم رشاد مهنا وعبد الرؤوف نور الدين وعثمان نورى وحسن فهمى عبد الحميد وممدوح جبة ومصطفى كمال صدقى وأحمد يوسف حبيب وأحمد حسن ٠

وفى هذه الفترة كنت مطلوبا للاعتقال لصلتى بمصطفى كمال صدقى وابراهيم عاطف ولكنى تمكنت من الفرار ، وعندما انتهت القضية ، حققت معى النيابة ٠

وعندما تغيرت أفكارى بعد ذلك نتيجة قناعة واعية بأن الارهاب بعيدا عن حركة الجماهير لا يمكن أن يحقق انجازات وطنية ، وأن الماركسية هى النظرية الانسانية المتكاملة للتحرير الوطنى ورفع قبضة الاستغلال عن الانسان .

أقول عندما تغيرت أفكارى ، دخلت الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) عام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ .

وابتعدت صلتى بذلك عن هؤلاء الضباط ، وكنت قد أصبحت عضوا فى اللجنة العليا للحزب الوطنى الجديد المشكلة من يوسف حلمى ومصطفى مرعى ونور الدين طراف وزهير جرانة وسليمان حافظ وحسين أبو زيد وأحمد صادق عزام وأحمد شوقى ومحمود الحناوى وابراهيم حسنين حلمى برئاسة فتحى رضوان .

وخلال عام ١٩٤٩ حضر الى مصر ميشيل بورجيه عضو حركة السلام الفرنسية وكان عضوا فى الحزب الشيوعى الفرنسى وقابل عددا من المثقفين المصريين مثل عزيز فهمى ويوسف حلمى وسلامة موسى ومحمد مندور وأنا ودعانا جميعا للسفر الى انجلترا حيث كان سيعقد أول مؤتمر للسلام ، فلم يقبل السفر سواى .

منع عقد المؤتمر فى انجلترا ، وعقد فى وارسو فى نوفمبر وديسمبر ١٩٤٩ وانتخبت عضو أول مجلس سلام عالمى .

وبعد ذلك تشكلت أول لجنة سلام من كامل البندارى (باشا) وحفنى محمود (باشا) وعزيز فهمى ومحمد مندور وسيزا نبراوى وانجى أفلاطون ومحمد يوسف المدرك والشيخ جبر التميمى ، وكمال عبد الحليم ويوسف حلمى وأنا .

وأصدرنا مجلة (الكاتب) فى أواخر ١٩٥٠ التى وصل توزيعها فى مصر ١٢٫٠٠٠ وفى السودان ١٠٠٠ نسخة أكثر من الاخبار والمصرى كما قال مصطفى أمين وبدأنا فى عقد اجتماعات مع الحزب الوطنى ومصر الفتاة (الحزب الاشتراكى) وشباب محمد ضد الاحلاف العسكرية ، وقمنا بمظاهرات ضد الحرب الكورية .

وعقب حريق القاهرة صدرت الأوامر باعتقالى وفتحى رضوان ويوسف حلمى وأحمد حسين وأودعنا فى سجن الاجانب وأودع عدد كبير من الوطنيين معتقل هاكستب .

وأفرج عنا بعد قيام حركة الجيش فى ٢٣ يوليو بأيام قليلة .

س ٢ : هل كانت هناك صلة مع الضباط بعد انتصار حركة الجيش ؟

ج ٢ : كان اصدار الحكم على طبيعة حركة الجيش فى البداية أمرا موضع مناقشة عامة بين القوى السياسية المختلفة فى الداخل والخارج — وكان موقف حدتو كلها تأييد حركة الجيش منذ اليوم الأول ٠

أذكر أن بايتا عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى الايطالى كتب فى صحيفة (الاونيتا) يقول ان واجبنا هو تقدير رأى أعضاء مجلس السلام والحزب الوطنى كذلك ٠ وعدم التسرع باتهام الحركة بالرجعية ٠

وكان موقف أنصار السلام هو تأييد حركة الجيش ، كما كان موقف (حدتو) أيضا ٠

ولكن تطورات حركة الجيش السياسية بعد اعدام خميس والبقرى من عمال كفر الدوار ، فتحت مجالا لتوجيه النقد اليها ، الأمر الذى دفعهم الى اقتحام مكاتب المجلة بواسطة عبد المنعم النجار (ضابط مخابرات فى ذلك الوقت وسفير مصر فى العراق حاليا) والاستيلاء على البروفات وحسابات المجلة لمعرفة كيف تمول المجلة ٠٠ فلما لم يجدوا ما يريب اعادوا الينا الأوراق ٠

ومنذ ذلك الوقت عين أنور السادات رقيبا على المجلة ، ولمعرفتى السابقة به كنت أذهب اليه فى منزله بالروضة ومعى مواد المجلة لمراجعتها معا فى جو ودى خالص ٠

ولكن الأمر لم يمض كذلك طويلا ، فقد اغلقت المكاتب عام ١٩٥٣ بعد حل الاحزاب ٠

ثم قامت حملة اعتقالات للشيوعيين ، وانصار السلام كان منهم يوسف حلمى ولكنى تمكنت من الهرب ٠

وأخيرا قدمت للمحاكمة بتاريخ يونيو سنة ١٩٥٤ وصدر الحكم ضدى أنا وزوجتى بالسجن خمس سنوات ٠

الاسم : سعيد حليم

متخرج فى : الكلية الحربية

آخر وظيفة : مدير مكتب وزير الداخلية

العمل الآن : سفير بالخارجية معار لهيئة اللاجئين بالامم المتحدة .

س ١ : ما هو دورك في حركة الجيش ؟

جـ ١ : كنت ذا ميول وفدية وقد حاول الاخوان ضمى اليهم ولكنى لم أستجب لذلك ، ودخلت حركة الضباط الاحرار فى الكتيبة ١٣ مشاة مع الصاغ صلاح نصر والصاغ صلاح سعده واليوزباشى عمر محمود على والملازمين واصف لطفى حنين ونهاد منير وفؤاد عبد الحى ومحمد السيد عفيفى ومصطفى عبد الباقى أبو القاسم .

وكان واجب الكتيبة ١٣ مشاة ليلة ٢٣ يوليو هو حماية مداخل العباسية من ناحية كلية البوليس واحتلال سلاح الحدود والاذاعة .. وقد استمر هذا الواجب حتى الساعة ٦ من مساء يوم ٢٤ يوليو ، وقد نفذت فى سهولة ودون مقاومة .

ثم عينت بعد ذلك أركان حرب الكتيبة تحت قيادة صلاح نصر بعد أن عين أحمد شوقى قائدها السابق أثناء الحركة قائدا لقسم القاهرة .. ثم نقلت بعد ذلك للعمل مع زكريا محيى الدين .

س ٢ : ما هى أهم مظاهر عملك أثناء وجودك فى وزارة الداخلية ؟

جـ ٢ : كانت العلاقة مع الامريكيين فى البداية طيبة ، وقد قالوا لنا أنهم سيعلموننا أسلوب محاربة الشيوعية بطريقة أمريكية حديثة .

وقد وضعوا لنا مشروع تنظيم أجهزة المخابرات على أساس تجميعها فى جهاز واحد ، ولكن وزارة الداخلية التى كانت تتبعها المباحث العامة ، والمخابرات الحربية قاومت ذلك .

وبدأ الاتجاه يظهر نحو تشجيع تعدد أجهزة الأمن فكانت هناك المخابرات العامة التى كان يشرف عليها زكريا محيى الدين ثم على صبرى (١٩٥٦) وأخيرا صلاح نصر (١٩٥٨) ، والمباحث العامة التى أشرف عليها صاغ الشرطة صلاح دسوقى ، والمخابرات الحربية التى أشرف عليها شمس بدران وصلاح السقا ، وأخيرا تشكلت مخابرات الطيران (عصام الدين خليل) والنيابة الادارية والرقابة الادارية ٠٠ وهكذا تعددت أجهزة الأمن والرقابة ، حتى أصبح هناك جهاز مخابرات خاص فى مكتب رئيس الجمهورية للمعلومات ٠

الاسم : شوقى فهمى حسين

تاريخ الميلاد : ٢ مارس ١٩١٩

مهنة الوالد : موظف فى التربية والتعليم

الاملاك : لا شىء

متخرج فى : الكلية الجوية ١٩٣٩ (مساعد طيار - صول)

الرتبة وقت الحركة : ملازم ثان

آخر عمل : مساعد مدير التصوير الجوى بالقوات الجوية

العمل الآن : موظف بشركة مبانى

س ١ : ما هو نشاطك قبل حركة الجيش ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟

جـ ١ : كنت فى سلاح الطيران برتبة صول ، وكانت لى ميول وفدية، دفعتنى الى الاتصال ببعض الزملاء من أفراد السلاح للتشاور فى الموقف الوطنى ، حتى تم اتصالنا عن طريق الزميل الصول ابراهيم العطار بالحركة المصرية للتحرر الوطنى عام ١٩٤٢ ، وكانت النتيجة نقله الى البوليس .

وزاد نشاطنا وسط الميكانيكيين الفنيين ، كما زادت صلتنا بالحركة المصرية التى أصبح الكثيرون منا أعضاء منتظمين فيها ، ونقلت مع ٥٤ من الضباط والصولات الى وحدات الجيش بعيدا عن الطيران وكنت واحدا منهم وذلك عقب هرب الصول رضوان فى حادث عزيز المصرى ثم عدنا بعد سنة .

ولم يتوقف النشاط السياسى داخل سلاح الطيران الذى كان يتبلور حول نشرة (الحقيقة) التى كانت تصدرها الحركة المصرية ، وحول عدد من الضباط الوطنيين .

توقف الطيران لفترة بالنسبة للطيارين بعد ذلك ٠

وفى عام ١٩٤٥ نقلت السلطات حوالى أربعين من زملائنا الميكانيكيين الى سيوه حيث أمضوا سنة ثم فصلوا ٠

واستمر نشاطنا السياسى بعد ذلك فى قسم الجيش بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) بعد اندماج الحركة المصرية مع اسكرا ، حيث كانت هناك لجنة قيادية من ميكانيكية الطيران واليوزباشى أحمد حمروش من المدفعية ثم شكلت لجنة قيادية بعد ذلك من أحمد حمروش مسئولا سياسيا وأحمد فؤاد مسئولا ثقافيا ومنى مسئولا تنظيميا ٠

وخلال هذه الفترة تم إتصالنا بالضباط الأحرار ، وكلفنا أحمد فؤاد بالاتصال ، كما قمت ببعض الاتصالات ، وكنت قد رقيت الى رتبة الملازم ، مع اليوزباشى شمس بدران حيث كنا نذهب الى الكتيبة ١٣ مشاة التى كان مسئولها الصاغ صلاح نصر ٠٠ واستمر نشاطنا حتى قامت حركة ٢٣ يوليو ٠

س ٢ : هل استمر التنظيم داخل الجيش بعد قيام الحركة ؟

جـ ٢ : توقف تنظيم الضباط الأحرار بأوامر من جمال سالم ، واستمر قسم الجيش فى حدتو يواصل نشاطه حتى اعتقل أحمد حمروش فى يناير ١٩٥٣ وتصادمت الحركة العسكرية مع الأحزاب والتنظيمات السياسية ، وخرج أحمد فؤاد من (حدتو) فصدر قرار من اللجنة المركزية بحل قسم الجيش حتى لا تفتعل تصادمات تؤدى الى نتائج سيئة ، وانفرط حبل تنظيم الجيش بعد ذلك ولم تعد لنا صلة بالتنظيم ٠

الاســم :	**صــلاح نصر**
تاريخ الميلاد :	**٨ أكتوبر ١٩٢٠**
مهنة الوالد :	**مراقب تعليم**
الامــلاك :	**١٠ أفدنة**
متخرج فى :	**الكلية الحربية أكتوبر ١٩٣٩ ·**
	بعثة تكتيك مشاة انجلترا ١٩٤٩ · ١٩٥٠ ·
	كلية أركان حرب دفعة ١١ عام ١٩٥١ ·
	بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية جامعة القاهرة ١٩٥٥ ·
آخر وظيفة :	**رئيس هيئة المخابرات العامة**
العمل الآن :	**المعاش ·**

س ١ : ما هو نشاطك السـياسى قبل حركة ٢٣ يوليو ؟

ج ١ : لم يكن لى أى نشاط سياسى أو ارتباط حزبى قبل ٢٣ يوليو لأن الصورة الحزبية فى مصر كانت غير مشرقة بالنسبة لى ·

وكانت لى علاقة صداقة مع صــــلاح سالم زميل الدفعة ومسئول جماعتنا فى الكلية الحربية عبد الحكيم عامر ·· وفى عام ١٩٤٩ علمت من عبد الحكيم أنهم يقدمون سلاحا للفدائيين ، ثم جنــــدنى عامر لتنظيم الضباط فى سبتمبر ١٩٤٩ · وأثناء وجودى فى فرقة تأهيل لكلية أركان الحرب بمدرسة المشاة · تعرفت بجمال عبد الناصر وكانت نقطة البداية مناقشة حول الكتاب الذى أصدرته مع كمال الحنــاوى باسم (الشرق الأوسط فى مهب الرياح) وكانت المقابلة فى منزلى وعلمت منه أنه يعرف علاقتى بعبد الحكيم عامر ·

ثم ارتبطت بمجموعة تضم صلاح سالم وعبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر حتى أغسطس ١٩٥١ عقب تخرجى من كلية أركان الحرب برتبة الصاغ وتعيينى أركان حرب الكتيبة ١٣ مشاة للتدريب والعمليات حيث كان مقرها (أبو عجيلة) فى سيناء ٠

وهناك طلب منى الاتصال بيوسف صديق فى العريش ٠ كما كلفت بتجنيد أكبر عدد من الضباط فى الكتيبة ١٣ مشاة ٠

وبعد اتصالى بيوسف صديق تشكلت مجموعة أو خلية منى ومن يوسف صديق وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم حيث كانا فى رفح وجمال سالم وعبد المنعم عبد الرؤوف وصلاح سعده والطيار بهجت وكنا نجتمع فى منزل يوسف صديق بمحطة العريش ٠

ووجدت أنه من الصعب تجنيد ضباط من الكتيبة ولذا فلم أجند سوى عدد محدود ، اليوزباشى عمر محمود على والملازم سعيد حليم كما وصل الينا صلاح سعده منقولا من القنطرة ٠

ولكن بعد شهر وصلت دفعة من الضباط المستجدين استطعت أن أجندهم جميعا وهم فؤاد عبد الحى ونهاد منير ومصطفى أبو القاسم ومحمد السيد عفيفى ومحمد على كامل ٠

ومع تنقلات الجيش العادية نزلت الكتيبة الى القاهرة فى يونيو ١٩٥٢ استعدادا للتحرك الى السودان فى شهر أغسطس ١٩٥٢ ٠

وعقب وصول الكتيبة للقاهرة عسكرنا فى ثكنات العباسية ٠ ومع يوليو عندما بدأت تتساقط الوزارات حضر لى عبد الحكيم عامر وأبلغنى أنه مراقب وان الاجتماعات ستكون فى منزلى ٠

وفى يوم ٢١ يوليو حضر لى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وسألانى عن مدى استعداد الكتيبة فأبلغتهم عن نقص الذخيرة ٠ وناقشت الخطة معهما وعلمت منهما الواجبات ، واقترحت على جمال عبد الناصر الجلوس مع ضباط الكتيبة عصر نفس اليوم فى منزلى وأثناء اجتماعه بهم فوجئت بأحمد شوقى قائد الكتيبة يحضر فجأة ومعه عبد الحكيم عامر ٠

وأعدنا مناقشة الخطة ثم اتجهنا الى منزل صلاح سعده فى المنيل حيث اجتمع بقية ضباط الكتيبة ٠

وقد علمت فيما بعد أن أحمد شوقى قد جند بوساطة جمال القاضى وتورط عبد الحكيم فى ذلك وأنه رغم ابلاغه بالخطة فقد وضع عليه حرسا لمراقبته حيث انه كان قريبا لأحمد طلعت حكمدار العاصمة ٠

وأبلغنا في هذه الاجتماعات أن الحركة قد تأجلت يوما ، وفي يوم ٢٢ يوليو كنا جاهزين تماما للتحرك ٠

س ٢ : ما هو دورك في ليلة ٢٣ يوليو ؟

ج ٢ : توليت قيادة الكتيبة ١٣ مشاة لتنفيذ المهام التي أوكلت اليها وتتلخص في وضع سرية ومعها تروب دبابات تحت قيادة صاغ صلاح سعده لاحتلال مبنى الحدود منعا لتصديه للحركة حيث كان تحت قيادة حسين سري عامر وسرية ثانية تحت قيادة يوزباشي عمر محمود علي ومعه ملازمين فؤاد عبد الحي ومصطفى أبو القاسم لاحتلال مبنى رئاسة أركان الحرب في كوبري القبة (مبنى القيادة العامة بعد ذلك) وفصيلة مشاة تحت قيادة يوزباشي جمال القاضي (الذي الحق من تنظيم الضباط الأحرار على الكتيبة) لاحتلال مبنى الاذاعة في شارع الشريفين ، وفصيلتين لتأمين بعض بوابات ثكنات العباسية ٠٠ وفي صباح ٢٣ يوليو أرسلت فصيلة لتأمين محطة لاسلكي أبو زعبل ٠

كانت ساعة الصفر منتصف الليل وتحركنا في الموعد تماما بالسرية المتجهة لسلاح الحدود ، ثم تحركت الوحدات بفارق توقيت نصف ساعة بين بعضها ٠٠ وعندما تحركت السرية المتجهة الى مبنى رئاسة الأركان وجدت بها قوات يوسف صديق ولم نتعرف حقيقتها فحاولت أن تطلق عليها الرصاص لولا تدخل عبد الحكيم عامر الذي كان موجودا خارج القيادة ٠

س ٣ : كان أحمد شوقي قائدا للكتيبة٠
أين كان موقعه في تلك الليلة ؟

ج ٣ : أوضحت طريقة ضم أحمد شوقي للضباط الأحرار ، وقد حضر في العاشرة مساء الى رئاسة الكتيبة في العباسية مع الصاغ جمال حماد (الذي الحق من التنظيم على الكتيبة) ثم استقل الاثنان سيارة جيب في الحادية عشرة مساء ، ثم قال لي أحمد شوقي (انت ضابط أركان حرب ويمكنك تحريك القوات) ثم اختفى ولم أره الا في ظهر يوم ٢٣ يوليو مع محمد نجيب حينما كان يمر على القوات التي قامت بالحركة٠

وفي يوم ٢٤ يوليو تشكلت مجموعة كتيبة من بطارية مدفعية بقيادة أنور ثابت وتروب دبابات والكتيبة ١٣ تحت قيادتي ، ومجموعة كتيبة أخرى تحت قيادة عبد المنعم عبد الرؤوف وتولى قيادة المجموعتين القائمقام أحمد شوقي وتحركنا في صباح ٢٥ يوليو الى الاسكندرية حيث عسكرت مجموعتي في استاد الاسكندرية ، وفي صباح ٢٦ توجهت الى سراي المنتزة حيث حاصرتها ٠

س ٤ : عينت فى ٢٣ يونيـو ١٩٥٣ مديرا لمكتب اللواء عبد الحكيم عامر بعد ترقيته وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة فى ١٨ يونيو ٠٠ ما هى أهم الأحداث التى مرت عليك فى هذه الفترة التى امتـدت الى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٦ ؟

ج ٤ : حينما صدر قرار تعيينى مديرا للمكتب كان هناك مدير آخر هو القائمقام حافظ اسماعيل وكان مسئولا عن فرعى العمليات والتدريب وكانت مسئوليتى فرع التنظيم والادارة وكاتم أسرار البعثـات وأمن القوات المسلحة ٠

والواقع أن مهمتى كانت سياسية أكثر منها عسكرية ، فقد خلفت فى هذا المنصب كلا من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ٠

ولعل أهم الأحداث التى عاصرتها أو اشتركت فيها هى :

أولا : أزمة مارس ١٩٥٤ وقد شـاركت فيها برفض قرار مجلس قيادة الثورة الذى اتخذه بالتنحى وترك رئاسة الجمهورية لمحمـد نجيب ورئاسة الوزراء لخالد محيى الدين وذلك بعد توتر الموقف واعتصـام ضباط الفرسان ، وأخذت مبادأة بالتحـرك دون تعليمات فاتصلت بالبكباشى محمد سيد عبد الرحمن الذى خلفنى فى قيـادة الكتيبة ١٣ مشاة ، وكذلك بقوات الأمن فى بعض الأسلحة الأخرى : لمحاصرة سلاح الفرسان بهذه القوات ، لأبطال تأثير خروج المدرعات ٠

وكذلك اتصلت بعلى صبرى وكان فى منزله وطلبت منـه اخراج طلعة جوية فوق معسكر سلاح الفرسان ٠

وقبل أن يظهر الطيران فى سماء المدرعات كان هناك بعض الضباط مجتمعين فى مكتب عبد الحكيم عامر ، والتفت لى جمال عبد الناصر قائلا (لا تفعل شيئا) وكنت فعلا قد أمرت بتحريك القوات ٠

كان الجو مكهربا بين أعضـاء المجلس والبعض منهم تدمع عيونه وما أن سـمعوا أزيز الطائرات حتى فهـم عبد الحكيم أننى قد فعلت شيئا فخلع علامات رتبه وألقاها على الأرض وقال (تعـالى اشتغل انت قائد بقى) وأمسك بطبنجته مهددا اياى ، فامسكه جمال سالم ، وحدث بيننا نقاش قلت له فيه ان قرار المجلس هو عملية تخلى عن الثـورة ، وكانت عمليـة محاصرة المدرعات بداية تصـفية الموقف ، اذ نـادى

عبد الحكيم عامر خـالد محيى الدين وطلب احضـــار جميع الضـــباط المعتصمين فى الداخل ، والا فانه سيتصرف ، وتوافد الضباط بعد ذلك على مبنى القيادة ٠

ثم استقرت الأمور بعد ذلك ٠

ثانيا : صفقة الأسلحة ٠

كانت علاقتى بعبد الناصر وثيقة للغاية الى الحد الذى كنت ألتقى فيه معه يوميا تقريبا مع انى كنت أعمل مع عامر ، وكثيرا ما كان يحضر للقيادة حتى فى غياب عامر ، ويتحدث معى فى المواضيع السياسية على أساس اننى كنت مسئولا عن التوجيه الســـياسى داخل الجيش وأعقد ندوات أجيب فيها على تساؤلات الضباط ٠

والواقع اننى علمت ببداية صفقة الأسلحة بعد عودة عبد الناصر من مؤتمر باندونج اذ أبلغنى عبد الناصر بأن شـوان لاى قد لمح بأن السوفييت يمكن أن يســـاعدوا مصر فى تسليح الجيش ، وهو هدف أساسى من أهداف الثورة ٠

وبعد ذلك قال لى عبد الحكيم عامر أن السوفييت قد وافقـوا على مد مصر بالسلاح عن طريق التشيك ، وفعلا تشكلت لجنة برئاسة حافظ اسماعيل وعضوية عباس رضوان وقائد جناح محمد شوكت ، وسافروا الى تشيكوسلوفاكيا لبحث ودراسة هذه العملية ٠

وقد كان اعلان هذه الصفقة محل سعادة ضباط الجيش ، وقد لمسنا ذلك من نشر هذا الخبر بين الضباط ، وأنا شخصيا كنت سعيدا جدا بهذا الاتجاه لأننى كنت على يقين من أن الغـرب لن يسلحنا الا بمســاومات وتنازلات ٠

ثالثا : العدوان الثلاثى ٠

عينت نائبا لرئيس المخابرات (على صبرى) فى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٦ ولكن العدوان الثلاثى بدأ يوم ٢٩ أكتوبر فعدت الى القيـــادة وخلعت ملابسى المدنية ولبست ملابسى العسكرية ولم أرجع الى المخابرات الا بعد أن انتهت الحرب تـــاما حيث طلب منى عبد الحكيم عامر الذهاب الى المخابرات ٠

وأذكر أن فترة العدوان قد أظهرت على السطح خلافا فى وجهات النظر ، وكانت هناك حساسية فى صدر عبد الحكيم عامر نبتت من عدم ابلاغ جمال عبد الناصر له بقـرار تأميم قنـــاة السويس الا فى القطار

وهما فى طريقهما الى الاسكندرية يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٦ ، حيث قال له عبد الحكيم عامر (اننى قائد عام القوات المسلحة وأنه كان ينبغى قبل اتخاذ هذا القرار السياسى أن تستشيرنى لتعرف ما اذا كانت القوات المسلحة قادرة على حماية هذا القرار .

وكانت المعركة تدار بطريقة بعيدة عن الأسلوب العسكرى العلمى الصحيح فقد احتشد أعضاء مجلس الثورة فى مكتب اللواء عبد الحكيم عامر الذى كان مفروضا أنه يدير المعركة ، وكان تعدد وجهات النظر يسبب ارتباكا للقائد الذى كان مفروضا أن يستلهم قراره من الدراسة وتقديرات موقف هيئة عمليات المعركة .

وقد كان لصلاح سالم رأى فى استمرار الحرب نبت بعد رسالة سليمان حافظ لجمال عبد الناصر فى أول يوم للعدوان مطالبا بتنحى مجلس الثورة عن الحكم انقاذا لمصر ، ولكن عبد الناصر وأغلب أعضاء المجلس قرروا التصدى للعدوان والاستمرار فى المقاومة لأن التخلى عن المعركة معناه ليس عودة نظام الحكم كما كان قبل الثورة فحسب بل تدهور الأمور الى أسوأ .

انتقلت القيادة من كوبرى القبة الى نادى مصر بالجزيرة المجاور لفندق عمر الخيام ، ثم عادوا الى كوبرى القبة .

وبعد الانذار البريطانى الفرنسى وعمليات انزال القوات المعتدية كان رأى صلاح سالم ان الاستمرار فى الحرب سيؤدى الى دمار مصر وان على المجلس أن يسلم لغيره انقاذا للبلد ، فوصمه جمال عبد الناصر بالجبن ، وقد أثر هذا فى صلاح سالم فاشتكى لى متألما بمرارة ، وقال لى أنا لست جبانا وسأتحرك الى السويس لأحارب كجندى تحت قيادة القائد العسكرى هناك ، وفعلا سافر وأصبح مسئولا عن الدفاع عن منطقة السويس كما كلف كمال حسين بالدفاع عن منطقة الاسماعيلية .

وقد كان هناك خلاف أيضا بين عبد الناصر وعامر حول مبدأ الانسحاب من سيناء اذ تمكن عامر من التنبؤ بأن قوة الطيران الاسرائيلى التى استخدمت منذ قيامها بالهجوم وكذا من الخسائر التى لحقت بالطيران الاسرائيلى أن هناك قوة خارجية تساندها وتوقع احتمال اشتراك قوات أنجلو فرنسية .

ولذا كان فى ذهن عامر مبدأ سحب القوات من سيناء حتى لا تقع فى مصيدة ، وحين أصدر القرار اعترض عليه عبد الناصر وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة مثل عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين الى الحد الذى جعل عبد الحكيم عامر يثور ويطلب التنحى عن قيادة القوات

لزكريا محيى الدين ٠٠ الأمر الذى دفع عبد الناصر للاستجابة لرأيه ٠ وقد ترك هذا الأمر أثرا سيئا فى نفس كل من عبد الناصر وعامر ٠

وفى نظرى أن هذه الواقعـة كانت بداية الحساسية التى استمرت بينهما حتى عام ١٩٦٧ رغم حدوث مصالحات بينهما خلال تلك الأعوام ولكن العلاقة بينهما اهتزت عما كانت عليه قبل هذا الحدث ٠

س ٥ : عينت نائبا لرئيس المخابرات فى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٦ثم رئيسا للمخابرات فى ٢٣ مايو ١٩٥٧ واستمرت مسئوليتك فى هذا الموقع أكثر من عشر سنوات حتى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ ٠

ما هى ـ فى رأيك ـ أهم القضايا التى نجحت فيهـا المخابرات فى حمـاية أمن الثورة واستمرارها ؟

ج ٥ : قبل أن أوضح هذه القضايا وهى عديدة أريد أن أقول أن مفهوم المخابرات فى ذهن الانسان العادى مشوش وهذا نتيجة الحملة الضارية التى تعرضت لها المخابرات منذ عام ١٩٦٧ حتى الآن ٠

ولكى تتبين حقيقة دور المخابرات فى حمـاية الأمن القومى (وهو غير مفهوم الأمن الداخلى) ذلك أن الأول يتعلق برفاهية الدولة ويشترك فيه جميع أجهزة ومؤسسات الدولة ابتداء من رئيس الجمهـورية حتى العامل فى مصنعه والفلاح فى حقله والجندى فى خندقه ، كما يدخل فى هذا الأمن القومى السياسة العليا للدفاع والاقتصاد والسياسة الخارجية وكذا العمليـات النفسـية التى تقوم بهـا الدولة للتأثير على سـياستها الاستراتيجية أما الأمن الداخلى فتقوم به أجهزة الأمن لحمـاية المواطن على ماله وكرامته وحريته ، ويدخل فى ذلك أيضا الأمن السـياسى أى نشاط الهيئات والنقابات والأحزاب وهذا من مسئولية مباحث أمن الدولة التابعة لوزارة الداخلية ٠

اذن ما هو دور المخابرات فى خطة الأمن القومى ؟

اذا سـلكنا سبيل الايجـاز نستطيع القول بأن دور المخابرات كما هو معروف فى عرف المخابرات الدولية ، اذ ليس لها قانون يحدد عملها ينحصر فى الآتى :

١ ـ الحصول على معلومات سياسية واقتصادية واستراتيجية عن الدول الأجنبية اما بالطرق السـافرة أو الطرق السرية ثم تحليل هذه

المعلومات وتقديمها الى واضع القرار السياسي في شكل تقارير أو تقديرات موقف كي تمكنه من وضع القرار السياسي السليم ٠

٢ ـ التجسس ، أى تكوين منظمات اما داخل دول الخصم أو فى دول أخرى تقوم بتجنيد عملاء لها وتزرعهم فى الدولة المطلوب حصول المعلومات عنها وهذا جهد ضخم يحتاج الى أموال ضخمة واعداد وتنظيم مرهق ، ومن ثم فان المخابرات تتجسس على دول الخصم وليس فى الداخل ٠

٣ ـ مكافحة التجسس وذلك بشل نشاط مخابرات العدو فى الخارج حتى لا تهدأ وتستمر فى تغيير مواقع أنشطتها ، وكذلك مقاومة نشاط التجسس فى الداخل أى متابعة جواسيس الدول الأجنبية ٠

٤ ـ العمل السياسى ، وذلك بأن تقوم المخابرات بالقيام بأعمال سرية فى الخارج وفقا للسياسة العليا للدولة كمساعدة حركات التحرر الوطنى أو معاونة الثورات التقدمية واذا كان القانون الدولى يحرم تدخل الدول فى شئون غيرها فليس هناك فى العالم جهاز مخابرات لايعمل داخل الدول الأخرى ٠

وتطبيقا لذلك فانه يمكن تلخيص أهم القضايا فيما يلى :

اولا : المعلومات

وهى أمور كثيرة ومتعددة وتعتبر صلب العمل لادارة المخابرات ، مما يصعب حصرها أو تحديد أسبقية خاصة لأهميتها ٠

ثانيا : مقاومة التجسس :

وقد نجحت المخابرات فى ضبط عدد كبير من الجواسيس وعلى سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ قضية ريموند لوتز وهو من أعظم جواسيس اسرائيل وكان قد حضر لمصر لتهديد العلماء والخبراء الألمان لكى يجبرهم على مغادرة البلاد وقد قام بارسال متفجرات لهم حتى قبضنا عليه عام ١٩٦٤ ، وقد اشترطت اسرائيل الافراج عنه بعد عدوان ١٩٦٧ وتسليمه لها فى مقابل تسليم الأسرى من المصريين ٠

٢ ـ قضية اسماعيل عباس العميل المزدوج الذى كان يعمل لحساب اسرائيل والذى كان هدفه تجنيد ضابط برئاسة القوات الجوية ٠

٣ ـ قضية العميل الاسرائيلى الطالب الألمانى فراولد فرانزينس ٠

٤ ـ قضية الصحفى مصطفى أمين عميل المخابرات المركزية الأمريكية والذى كان يتخابر مع ضابط المخابرات الأمريكى بروس تايلور .

٥ ـ قضية مصطفى أغا لحساب الصين الشيوعية .

٦ ـ قضية فيكتور يواقيم الموظف بشركة هيدروليك عميل المخابرات المركزية الأمريكية والذى شكل شبكة ضمت كلا من عبد الرحمن سليم بسكرتارية رئيس الجمهورية ، ومحمد المغربى سكرتير بالجامعة العربية ، وابراهيم شقوير مهندس بالمصانع الحربية ، ومحمد حافظ جودت الموظف بشركة مصر الخارجية ، وأحمد عبد الرازق موظف بتموين اسكندرية ، وقد اعدم فيكتور يواقيم وسجن الآخرون بأحكام مختلفة .

٧ ـ قضيتان لحساب اسرائيل ابطالهما من الجالية اليونانية بمصر ، الأولى ضمت ١٤ يونانيا بزعامة اسبيريدون قسطنطين ، وكان دافع التجنيد الأساسى فى هذه القضية هو الشذوذ الجنسى ، وقضية أخرى كانت تضم ٢٨ يونانيا وكان ضابط المخابرات الذى يشغلهم هو قنصل اليونان فى بورسعيد .

٨ ـ قضية البعثة الاقتصادية الفرنسية التى حفظت بقرار جمهورى حفاظا على العلاقات مع فرنسا بعد توسط مسيو لابراديل نقيب المحامين الفرنسيين .

هذا الى غير ذلك من القضايا التى يصعب حصرها .

ثالثا : مجال العمل السياسى

١ ـ مساندة ثورة الجزائر بالسلاح فى عمليات متعددة .
٢ ـ عملية تحرير الجنوب اليمنى المحتل بتدريب وتنظيم المتطوعين .
٣ ـ الاستمرار فى المحافظة على الصلة الطيبة مع المخابرات السوفيتية عند خلاف عبد الناصر مع خروشوف أيام الوحدة .

س ٦ : ما هى فى رأيك الظروف التى أدت الى سحب جمال عبد الناصر لقوات الطوارىء الدولية فى مايو ١٩٦٧ الأمر الذى انتهى الى العدوان الاسرائيلى فى ٥ يونيو ؟

ج ٦ : منذ أواخر عام ١٩٦٦ كانت فكرة سحب القوات الدولية تراود عبد الناصر بسببين .

أولا : الرد على دعاية السعودية والاردن التى كانت تتهم عبد الناصر بالاحتماء وراء قوات الطوارىء الدولية وتتهمه بأن أقواله أكثر من أفعاله ٠

ثانيا : الرد على استفزازات الغرب وخاصة الولايات المتحدة ٠

ولذا حدث فى خريف ١٩٦٦ وكنت عضـــوا فى الوفد الذى زار الباكستان برئاسة المشـــير عبد الحكيم عامر لتحسين العلاقات أن طلب عبد الناصر من عامر قبل السفر فى حضورى أن يرسل اشارة من الباكستان بواسطة الجهاز اللاسلكى الموجود بالسفارة المصرية يقترح عامـر فيهـــا سحب قوات الطوارىء الدولية ، وكانت وجهة نظره أن هذه الاشـــــارة ستلتقطها أجهزة (تحديد الاتجاه) الغربية ، ومن ثم تكون بمثابة نوع من المناورة السياسية ٠

وأثناء وجودنا فى باكســـتان حاولت أن أثنى عبد الحكيم عامر عن ارسال هذه الاشارة مبررا ذلك بأن الأمريكيين ليســـوا بالسذاجة التى تجعلهم يبتلعون هذا الطعم ويتأثرون بمثل هذه الاشـــارة ، ولكن عامر أصر على تنفيذ ذلك قائلا أنه وعد الرئيس بارسال الاشارة ٠

وفعلا استدعى ضابط الاشارة المرافق وهو الضابط مسعد الجنيدى وسلمه الاشارة ٠

ولذا لم يكن قرار سحب القوات وما تبعه نتيجة دراســة ولاسيما انه لم يطلب من أى أجهزة دراسة أو بحث لما يترتب عليــه سـحب هذه القوات ، بل اجتمع مع عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وحســـين الشافعى وأنور السادات وعلى صبرى وصدقى سليمان وأبلغهـــم بقراره الخاص بسحب القوات ٠

وفوجئت كرئيس جهاز المخابرات بصدور هذا القرار ٠

ولذا كان أول عمل قمت به أن أصـــدرت توجيهـــاتى لعمل تقدير موقف سريع لاثر هذا القرار السياسى ٠

س ٧ : الا ترى أن الفترة منذ خريف ١٩٦٦ حتى يونيو ١٩٦٧ كانت كافيـــة للدراســـة وتقـــدير الموقف مـــن جانب عبد الناصر بالنسبة لموضوع سحب قوات الطوارىء الدولية ؟

ج ٧ : لو نرجع بالذاكرة الى هذه الفترة نجد أن الظروف الدولية والعربية كانت تبدو لأى مراقب سياسى أنها لا تسمح باجـراء أى عمل تعرضى من جانب مصر ضد اسرائيل ، فعلاقتنـــا مع الولايات المتحدة

الأمريكية كانت قد انحدرت الى القاع ، وعلاقتنـــا مع السوفيت كانت فاترة ، وقد بدا ذلك لى أثناء مفاوضـــات عامر فى ديسمبر ١٩٦٦ مع بودجورنى وكوسجين وجريتشكو وكنت عضوا فى هذا الوفد وكان هدف الزيارة طلب كمية عاجلة من القمح تقدر بحوالى ٨٠٠ر٠٠٠ طن لحاجة مصر الماسة اليها وخاصة بعد قطع معونة أمريكا وكذلك تنفيذ بعض العقود المتأخرة الخاصـة بالطيران وأجهزة الدفاع الجوى وقد اعتذر السوفيت عن عدم توريد كمية القمح المطلوبة وبرروا ذلك بأن الوقت متأخر وان هناك طلبات سابقة من الدول الشيوعية ، ووافقوا على توريد عشر الكمية وبعض الزيوت ، أما الشق العسكرى فقد أثاروا طلبا قديمـــا كانوا قد تقدموا به لمصر وهو منح مصر تسهيلات اعاشة للأسـطول السوفيتى فى بورسعيد واقامة قاعدة للاستطلاع الجوى بعيد المدى على أن تهيىء مصر لهم المكان ويمـــد الروس القاعدة بالمعدات والأفراد ويقوموا بعمليـــات الاســـتطلاع ثم يسلموا صـــورة من هذه التقارير الى المصريين ، وكان عبد الحكيم عامر معارضا لهذه الطلبات فاقترح أن تقدم مصر للأسـطول السوفييتى حق الايواء والتموين وتخزين كمية من الوقود أما بالنسـبة لموضوع الاستطلاع الجوى فقد أصر على أن يقوم الطيارون المصريون بهذه المهمة بعد أن يقوم السوفيت باعداد المهمات وتدريب الطيارين ، ولكنهم رفضـــوا ٠

وعلى الرغم من أنهم أبدوا استعدادا فى المباحثات لتوريد الكميات المتأخرة والمتعاقد عليها وأعطوا موعدا لا يتجاوز أوائل عام ١٩٦٧ الا أن هذا لم يتحقق الا بعد العدوان ٠

أما الموقف العربى فلا يحتاج الى شرح مفصـــل فالجزيرة العربية كانت على حافة بركان بما كان يدور فى اليمن واليمن الجنوبى وعلاقاتنا مع المشرق العربى باستثناء لبنـان كانت تتسـم بالفتـــور ان لم يكن النفـــور ٠

أما الموقف الداخلى فحالتنا الاقتصـــادية كانت مهزوزة والقوات العسكرية ليس فى قدرتها أن تدخل معركة كبيرة مع اسرائيل ، هذا الى جانب الحرب النفسية التى كانت تتعرض لها البلاد من الخارج ٠

ولذا لم يكن فى ذهن عبد الناصر أى تفكير قاطع للدخـول فى أى معارك كبرى ، وفى رأيى أن قراره بسحب القوات جاء مفاجئـــا نتيجـة ما كان مختزنا فى عقله من رغبـــة قديمـــة فى ابعـاد قوات الطوارىء الدوليـــة ٠

وتثبت الأحداث أن عبد الناصر لم يتيقن أنه سيدخل الحرب الا فى مرحلة متأخرة نسبيا ٠

س ٨ : اذا كان هذا هو اتجاه القيادة السياسية حسب رأيك فما هي قصة الحشود الاسرائيلية على حدود سوريا وهل كانت عندك معلومات بها بصفتك رئيسا لجهاز المخابرات ؟

ج ٨ : أود هنا أن أضع خطا مميزا بين واجبات المخابرات العامة وهى سياسية وبين المخابرات العسكرية التى تسعى لمعرفة قوة وتحركات ومواقع وحشود العدو ٠٠ الخ ٠

أما موضوع الحشود الاسرائيلية على حدود سوريا فهى ـ فى رأيي ـ ما كان لها أن تغير فى موقف القيادة السياسية الذى كانت استراتيجيته عدم الدخول فى معارك كبرى ٠

الاســـم :	**طلعت حسين •**
مهنة الوالد :	**مدير تعليم سابق •**
تاريخ الميلاد :	**١٥ مارس ١٩٢٨ •**
الامــلاك :	**لاشيء •**
متخرج في :	**الكلية الحربية ١٩٤٩**
الرتبة وقت الحركة :	**ملازم أول**
العمل الآن :	**وكيل وزارة في الادارة المحلية •**

س ١ : بصفتك كنت ياورا لمحمـــد نجيب ما هي شهادتك فيما يتعلق بأزمة مارس ١٩٥٤ ؟

ج ١ : كان اجتماع مجلس الوزراء قد انتهى بعد منتصف الليل ، وأوصلت محمد نجيب الى منزله ، وفي الفجر حوالى الســـاعة الرابعـة صباحا اتصل بى البكباشي عبد المحسن أبو النور في المنزل وأبلغني أن الاخوان المسلمين قد هجموا على منزل محمد نجيب ، وطلب حضـــوري لقيادة الحرس الجمهوري في عابدين بعد أن أرسل لى عربته وكان سائقها يبكي ويقول (الراجل الكبير دبحوه) •

وعندما وصلت وجدت أن عساكر الحرس الخاص لرئيس الجمهورية جالسون على الأرض كالمساجين وحولهم عســـاكر الحرس الجمهـــوري الأصليون وعليهم كشافات أنوار •

قال لي عبد المحسن (ان رئيس الجمهورية قدم استقالته وقد قبلت ••• وعندما حاولت سحب الحرس قاوموا) •••• وهنا لم أتمالك نفسي فقلت له (ان التاريخ سيسجل عليك هذا العمل) •

وضعني عبد المحسن أبـو النـور تحت التحفظ وعين على حارسـا وسمعت باعة الجرائد التي صـــدرت ينادون بمانشـيتات الجرائد عن استقالة نجيب •

وحوالى العاشرة صباحا سمعت صوت مظاهرات ، فوجدت أن الحرس قد قاموا بمظاهرة ويريدون قتل عبد المحسن أبو النور حيث هرب ولم يعد ثانية للحرس الجمهورى ٠

وقد أعاد البكباشي صورة محمد نجيب فهدأ العساكر وأنقذ نفسه من القتـــل ٠

وخرجت من التحفظ الذى فرضـــه على عبد المحسن أبو النور ، وتوجهت الى منزل محمـــد نجيب فى اليـوم التالى بعد اجتماع ضباط الفرسان حيث كان كمـال رفعت وداود عويس قد حملوه قسرا الى ميس المدفعية في الماظة واعادة حسن التهامى بأوامر من عبد الحكيم عامر ٠

غير محمد نجيب رجال الحرس واســتبدلهم بعساكر من الحدود بعد قرار عودته ، وقد زاره أثناء ذلك كمال الدين حسين فقيل له أنه يغلق الباب على نفســه ، وكان عنده عدد كبير من السودانيين فعلا ٠٠٠ ولكنى أدخلت كمال الى منزل مدرس مجاور لمنزل نجيب الذى انتقل اليه هناك وقابله وطلب منه أن تكون الجمهورية رئاسية وأن يعود لقيادة الجيش ٠

ولكنه بعد ظهور قرارات ٥ مارس ، ٢٥ مارس وبعد حضور الملك سعود فوجئنا بأن مظاهرات قد خرجت على المحطـات تهتف هتـافات عدائية للديمقراطية والأحزاب ٠

عقب العودة للقاهرة شعر نجيب انه قد انتهى ، وقال (سأذهب الى الملك سعود) ٠

وفعلا ذهب للملك سعود فى قصر الطاهرة حوالى منتصف الليـل حيث استدعى الملك جمال عبد الناصر وبقوا جميعا ساهرين طوال الليل تقريبا ، ثم خرج جمال عبد الناصر حيث أوصل نجيب الى منزله ٠

وفى المطار أثناء وداع الملك سعود أغمى على نجيب وحملوه الى المنزل حيث عقد له كونستلو من خمسة أطباء ٠

وكان جمـال عبد الناصر يجلس على شرفة منزله ليفكر ويتـــابع حالته الصحية فى نشرة الأطباء ، حذرا من أن يقال أنه وراء مرضه ٠

الاســـم :	عبد الحليم الأعسر
تاريخ الميلاد :	٥ نوفمبر ١٩٢١
مهنة الوالد :	مزارع ببلبيس
الأمـــلاك :	٢٠ فدانا
متخـرج في :	الكلية الحربية عام ١٩٣٩ كلية اركان الحرب ١٩٥٠
الرتبة وقت الحركة :	صـــاغ
آخـر وظيفة :	أركان حرب المنطقة الشمالية
العمل الآن :	مدير بشركة مصر للحرير الصناعى

س ١ : ما هو نشاطك السـياسى قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : لم أكن منتميا الى أية تنظيمات سياسية خارجية ، وانمـا كنت منفعلا بالموقف الوطنى العام باحثا عن أسـلوب لتحرير مصر من الاستعمار البريطانى ، وبعد تخرجى فى كليـة أركان الحرب عام ١٩٥١ اتصل بى أحمد حمروش للانضمام للضباط الأحرار حيث شكلت خليـة منى ومنه ومن المرحوم الصاغ أركان حرب صلاح مصطفى الذى أستشهد عندما كان ملحقا عسكريا فى عمان ، وقد اتصل بنـا جمال عبد الناصر فى منزل حمروش قبل الثورة بأسابيع ٠

وأذكر أن شقيقى الشهيد عباس الأعسر عندما آستشهد فى منطقة القنال أثناء المعركة ضد قوات الاحتلال ، أن خرجت جماهير الاسكندرية ومعها أيضا ضباط الجيش فى طابور خاص دليلا على وجود رابطة وطنية وثيقة بين الجيش والشعب ٠

س ٢ : ما هو دورك فى نجاح الحركة ؟

ج ٢ : كان موعد الحركة قد تحدد نتيجة ضغط ظروف معـرفة السراى لبعض الضباط الأحرار ونيتها فى اعتقالهم ، فكان الأمر سباقا

مع الزمن ... وقد استدعى جمال عبد الناصر أحمـــد حمروش وأبلغه بموعد الثـــورة مســـاء يـــوم ٢٢ يوليو فقط ، وعندما حضر حمروش للاسكندرية وجدنى فى أجازة ووجد صلاح مصطفى أيضـا فى أجـازة بالمنصورة ، ولم يتيسر له الاتصال بى .

وعندما سمعت بيان الحركة فى السابعة صباح ٢٣ يوليو هرعت الى الآلاى الثانى المضاد للطائرات حيث كنت أعمـــل ضابطا لأركان الحرب فيه ، ثم أخذ الضباط يتجمعون من مختلف الوحدات وكان التيار العام السائد هو تأييد الحركة والوقوف معها .

وعقد مؤتمر للضباط فى آلاى الأنوار الكاشـــفة استقر فيه رأى الضباط على تعيين عاطف نصـــار مسئولا عن المنطقـة ، وتعيينى أركان حرب له ، وبدأت فعلا فى ممارسة مسئوليتى الجديدة من رئاسة المنطقة فى مصطفى باشا بعد قرارنا بابعاد القيادات القديمـــة ، وابتعاد حيدر باشـــا .

وقد أحبطنا كافة المحاولات التى بذلت لمقاومة الحركة ســـواء من جهة البحرية حيث وجهنا عليها المدفعيـة الساحلية ، أو خفر السواحل حيث أرسلنا لهم تحذيرا بعدم التحرك وكانـوا تحت أمرة اللواء وحيـد شوقى الذى اعتقل فى طريق مصر القاهرة الصحراوى .

واســـتقرت الأمور بعد ذلك لحركة الجيش وبدأنا نمـارس دورا قياديا فى المنطقة ... ليس دورا عسكريا فحسب وانمـا دور سياسى أيضـــا .

وأذكر أن أساتذة جامعة الأسكندرية وفى مقدمتهم الدكتور رشوان فهمى كانوا فى طليعة من أيد الثورة برقيـا ، وأذكر أيضا أنهم كانوا من المطالبين بحل الأحزاب ، واقامة الحكم العسكرى .

وأذكر أننى كنت قريبا من محمود عبد اللطيف عضو جماعة الاخوان المسلمين الذى أطلق النار على جمال عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤ وكنت أول من اعتقله وسلمه للشرطة العسكرية .

وقد خرجت من الجيش فى مايو ١٩٥٦ عملت بعد ذلك فى شركة مصر للحرير الصناعى ثم انتخبت نائبـا عن دائرة كرموز عام ١٩٥٧ ، وانتدبت للعمل فى الاتحاد القومى ثم الاتحـاد الاشتراكى حتى عدوان يونيو ١٩٦٧ .

الاســـم :
عبد الحميد صبور

س ١ : كنت نائبا لاحكام ســـلاح الطيران ، هل تمت فى عهــدك محاكمـات لأفراد السلاح ؟

ج ١ : بعد محاكمات كفر الدوار ، صـــدر قرار بتشكيل مجلس عسكرى عال لمحاكمة ١٢ صولا وميكانيكى طيران برئاسة جمال عفيفى وصورت المسألة كأنهـــا تمرد وفتنة ، ولكنها فى الحقيقة كانت مطالب مهنيـــة ٠

وكان ضمن الشهود عبد اللطيف بغدادى وجمال سالم ٠

أقصى حكم صدر لم يتجاوز الرفت من الخدمة والسجن ســـنة واحـــدة ٠

وأصاب قائد ســـلاح الطيران الهلع من خفة الأحـكام فذهب الى نسيبه الدكتور السعيد مصطفى السعيد عميد كلية الحقوق لاستشارته فأبلغه بأن الأحكام صحيحة ولا غبار عليها ، فقام بالتصديق عليها ورفت الجميع من الخدمة ٠

س ٢ : هل استمرت خدمتك فى سلاح الطيران ٠٠ وما هى أهم المواقف السياسية فى مجال عملك الجديد ؟

ج ٢ : نقلت الى وزارة الخارجية عام ١٩٥٦ ونقلت الى السعودية ، فوجـدت أن عددا من الميكانيكيـــة الذين حاكمناهم يعملون فى الطيران المدنى هنـــاك ٠

وقد حضرت هناك الفترة التى ثبت فيهـــا أن الملك ســعود كان يحاول تمويل انقلاب ضد وحدة سوريا مع مصر ٠

واتصلت أيضـــا بنجيب الربيعى سفير العراق فى السعودية وهو عسكرى سابق وذلك بناء على تعليمات من الرئاسة كانت تقول بأن هناك

صلة مع ضباط أحرار عراقيين يحضرون لثورة ، ويطلبون منا الاتصال به . وقد اتصلت به فعلا ووجدت أن روحه وطنية وثورية ٠

كان هناك موعد سابق محدد لثورة العراق هو ١١ مايو ١٩٥٨ ثم تقرر تأجيله ٠

ودار حوار طويل بيننا حول احتمالات نجاح الثورة ، والاسلوب الأصلح لها وهل تكون وحدة أو اتحاد والعلاقة مع الأردن والموقف من حلف بغداد ٠٠ وأذكر أنه اقترح اسم (الدول العربية المتحدة) لتفادى غضب الرجعية حسب قوله ٠

وقبل أيام من الثورة طلبت القاهرة منى ابلاغ نجيب الربيعى بأن الثورة « قائمة قائمة » ٠٠ ولما أبلغته لم يظهر اهتماما كبيرا ٠

وبعد اعلان الثورة واذاعة أخبارها ٠ رفع الربيعى سماعة التليفون وأغلق السفارة ، وبقى العلم الملكى مرفوعا عليها لمدة يومين ٠

ثم جاءت بعد ذلك من بغداد طائرة عراقية خاصة حملته الى بغداد حيث عين رئيسا لمجلس السيادة ٠

ثم عينت بعد ذلك سفيرا فى ليبيا عام ١٩٥٩ ٠

وكانت هناك حركة وطنية ٠٠ وأذكر أن الملحق العسكرى اسماعيل صادق كان يقود المظاهرات عام ١٩٥٦ وأن جمعية عمر المختار وحزب البعث العربى الاشتراكى كانا يمثلان اتجاها وطنيا يستقطب الشباب وأن عددا من الضباط كان يتصل بى ناقما على طبيعة المجتمع القائم فى ذلك الوقت ٠

الاســـم :	**عبد الرؤوف نافع**
تاريخ الميلاد :	**٥ مايو ١٩١٦**
مهنة الوالد :	**محام مختلطـخريج حقوق من فرنسا**
الامـــلاك :	**٩٠ فدانــــا**
متخـــرج فى :	**الكلية الحربية عام ١٩٣٨ « يونيو »**
الرتبة وقت الحركة :	**صــــاغ**
آخر وظيفة :	**العضو المنتدب لمؤسسة دار الهلال**
العمل الآن :	**المعـــاش**

س ١ : هل كان لك نشاط سياسى قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : لم أكن منتميا لتنظيمات أو قوى ســياسية ، ولكنى دخلت الضباط الأحرار عام ١٩٥٠ عن طريق جمال عبد الناصر زميلى فى الدفعة وكنت فى الكتيبة السابعة المشاة التى نقلت الى رفح حيث كان يعمل هناك عبد الحكيم عامر وصلاح ســــالم ، وكان معنــا عدد من الضباط الأحرار منهم أحمد عبد الله طعيمة وأحمد محمود وزغلول المصرى وابراهيم بغدادى وعبد القادر مهنا ٠

وبعد ذلك نقلت أنا وابراهيم بغدادى للبحرية ٠

س ٢ : أين كنت أثناء الحركة وما هو دورك بعدها ؟

ج ٢ : كنت فى الاسكندرية ، وفوجئت بسماع البيان الأول صباح ٢٣ يوليو ، فلم يكن لى اتصال بأحد من الضباط الأحرار خــــلال هذه الفترة بعد انتقال عبد القادر مهنا فى يونيو ١٩٥٢ مع اللواء المشاة ٠

وقد حضرت مؤتمرا من الضباط فى رئاسة آلاى الأنوار الكاشفة والذى قرر الضباط فيه تعيين عاطف نصار مسئولا عن المنطقة وعبد الحليم الأعسر أركان حرب لها ٠

وأذكر أننى اتصلت خلال الأيام الأولى للثورة بالقائمقام محمد أبو شبانة قائد مركز تدريب المكس لخفر السواحل لمنع نزول قوات السواحل للاسكندرية بتاثير وجود وحيد شوقى مديرا لها ٠٠ وأذكر أيضا أن سليمان عزت وأبو شبانة كانا يشتركان معا فى اغتيال العساكر الانجليز خلال الحرب العالمية الثانية ٠٠ ونتيجة لذلك عين أبو شبانة مديرا للسواحل بدلا من وحيد شوقى ٠

وخلال أزمة مارس ١٩٥٤ اتخذت موقف التأييد لجمال عبد الناصر وأعضاء المجلس ضد محمد نجيب الذى كان يؤيده معظم ضباط الاسكندرية ٠٠ وفى أكتوبر عينت مديرا لمكتب جمال سالم نائب رئيس الوزراء وعضو مجلس قيادة الثورة ٠

وكان لجمال سالم مواقف خاصة منها رفضه خروج مظاهرات شعبية لاستقبال جمال عبد الناصر عقب عودته من باندونج ، رغم اتفاق زملائه أعضاء المجلس على ذلك ٠٠ وأذكر أنه استدعى الى مكتبه زكريا محيى الدين وأحمد طعيمة وابراهيم الطحاوى لمناقشتهم فى ذلك فانكروا أمامه أنهم يدبرون استقبالا شعبيا ٠٠ وهنا قال لهم ساخرا (يبقى لازم السفير البريطانى هوه الى بيرتب الاستقبال) ٠

وأذكر أيضا أنه عمل تحقيقا مع خليل عبد الناصر عم جمال عبد الناصر أثناء وجود الأخير فى باندونج ٠

كما أذكر أن المجلس قد طلب من على الشمسى الاستقالة من عمله كمحافظ البنك الأهلى ، فلما رفض استدعاه جمال سالم لمكتبه واعتدى عليه بالسباب والضرب رغم قرابته لعلى صبرى ٠

وقد قدم شقيقه صلاح سالم استقالته من المجلس أثناء قيامه برحلة الى أندونيسيا صحبه فيها الدكتور رفاعى كامل وشيخ الأزهر فى ذلك الوقت ، وكانت الاستقالة قد قبلت ووافق عليها جمال بعد عودته ٠

وقد بقيت مديرا لمكتبه حتى فبراير ١٩٥٦ عندما عينت عضوا منتدبا لجريدة الشعب ، ومع ذلك بقيت مستمرا فى العمل فى الجهتين ٠٠ وقد لاحظت أن اختصاصاته قد بدأت تسلب منه ، وأن شيئا لم يعد يعرض عليه الا نادرا ٠٠ ولذا فقد قرر الاستقالة مع حل مجلس قيادة الثورة ، وقد أمضى جمال عبد الناصر معه ٦ ساعات فى محاولة للعدول

عنها ولكنه رفض ٠٠ وكان جمال قد اتفق مع زملائه أعضاء الطيران على الاستقالة ولكنهم لم يستقيلوا معه ٠

وانتهت صلة جمال سالم بالثورة فى آخر جلسة عقدها المجلس فى ٢٣ يونيو ١٩٥٦ ٠

س ٣ : ما هى المسئوليات التى أوكلت لك بعد ذلك ؟

ج ٣ : بعد أن عينت عضوا منتدبا لجريدة الشعب فى مجلس رأسه صلاح سالم الذى عمل أيضا رئيسا للتحرير مع حسين فهمى ، فوجئت باقالة صلاح سالم وتعيين لطفى واكد رئيسا للتحرير فى نهاية ١٩٥٦ ٠

وبعد ذلك أوكل لى جمال عبد الناصر مسئوليـة الاشراف أيضا على جريدة الجمهورية بعد حدوث انحرافات مادية بها وكانت تعليماته تقضى بالانضباط الادارى والمالى ، ولكنى فوجئت بعد ذلك بعودة صلاح سالم وتعيينه رئيسا لمجلس الادارة ، وهدمه للاسلوب الادارى والمالى الذى بذلت جهدا كبيرا فى اقراره لانقاذ الدار ، فقدمت استقالتى عام ١٩٥٩ ٠

وعقب صدور قانون تنظيم الصحافة ١٩٦٠ عينت عضـوا منتدبا لدار الهلال عندما كان يجمعها مع جريدة الأهرام مجلس واحد يرأسـه محمد حسنين هيكل ، وبقيت فى العمـل حتى تم فصـل الدارين عن بعضهما ، وتعيين على أمين رئيسا لدار الهلال وبقيت أعمـل هناك حتى استقال عبد اللطيف البغدادى فى مارس ١٩٦٤ وفوجئت بعـدها بأيام باحالتى الى المعاش ٠

ومن تجربتى خلال هذه الفترة أستطيع القول بأنه لم تكن هنـاك سياسة ثابتة للصحافة المصرية بعد قانون تنظيم الصحافة ٠ وأن الأمور كانت تعتمد على قدرات الشخص المسئول ، ونـوع الصلة التى تربطه برئيس الجمهورية ٠

الاســـم :	**عبد اللطيف البغدادى**
تاريخ الميلاد :	**١٩ سبتمبر ١٩١٧**
مهنة الوالد :	**عمدة شاوة ـ الدقهلية**
الامـــلاك :	**٦٠ فدانا**
متخــرج فى :	**الكلية الحربية ، يناير عام ١٩٣٩**
	مدرسة الطيران ، مايو عام ١٩٣٩
الرتبة وقت الحركة :	**قائد جنـــاح**
آخر وظيفـة :	**نائب رئيس جمهورية**
العمل الآن :	**المعــاش**

س ١ : يتصادف تخرجك مع اقتراب الحرب العالمية الثانيـة ٠٠٠ ماذا كانت حالة الجيش ٠٠٠ وما هى رؤيتك للحياة السياسية ؟

ج ١ : لم يكن فى الجيش المصرى سوى سربين طائرات جلاديتور مقاتلة ، وسرب طائرات لايسندر للاستكشـــاف ثم طائرات لا تصـــلح للقتـــال ٠

وعندما أعلنت الحرب فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ كلفنـــا بالدفاع عن القاهرة بأسراب انجليزية (طائرات جلاديتور) من مطار حلوان ٠٠٠ ولكن ذلك الأمر لم يستمر طويلا فقد انفرد الانجليز وحدهم بذلك ٠

وكانت رؤيتى فى ذلك الوقت الاعجاب بالنازية وشخصيات القادة فى ألمانيـــا ، وكنت أقرأ كثيرا عن ذلك فى مكتبـة نادى مصر الجديدة (هليوبوليس) ، حتى اننى عندما ذهبت الى ألمانيـا عام ١٩٦١ وجدوا عندى تفصيلات دقيقة عن حياة المجتمع الألمانى فى فترة الحكم النازى ٠

ولذا بدأت عداوتى للانجليز مبكرة ومنبعثة من فكرة أن النازيين يرغبون فى طرد الانجليز ، وأن الشعب المصرى بلا دور ٠

وبدأنا نبحث عن هذا الدور بعقد صلات مع الزملاء من الضباط الطيارين وغيرهم عام ١٩٤٠ مثل حسن ابراهيم ووجيه أباظة وأحمد سعودى حسين أبو على ومصطفى مرتجى وحسن عزت وأنور السادات .

وبدأت الخطوات الأولى فى العمل عن طريق محاولة الحصول على معلومات عن الجيش الانجليزى وتصوير المعسكرات على ورق الرسم أثناء الطيران .

س ٢ : هل كانت هذه الاتصالات بداية لتنظيم .. ما هى طبيعته .. وما هى صلاته ؟

ج ٢ : يمكن القول بأن هذه الاتصالات قد أدت الى تكوين الخلية الأولى فى سلاح الطيران ، وقد استأجرنا شقة خاصة فى مصر الجديدة (شارع السلطان سليم) . وبدأنا الاتصال عام ١٩٤٠ ببعض المدنيين الذين كان لهم دور فى النضال ضد الانجليز وفى مقدمتهم عبد العزيز على الذى كان فى ذلك الوقت موظفا فى الدرجة الثالثة ، ثم أصبح وزيرا للشئون البلدية فى وزارة محمد نجيب الأولى بعد الثورة ، وكان عضوا فى الحزب الوطنى ومنتميا لعصابة اليد السوداء التى نشطت خلال ثورة ١٩١٩ .

كان لقاؤنا الأول فى النادى النوبى . وبعد تنسيق أهدافنا أقسمنا اليمين فوق مصحف وطبنجة وبدأنا نتجه الى أعمال ايجابية بهدف ضرب خطوط ارتداد العدو ، والهجوم على مخازن أسلحة الجيش الانجليزى ، وانتقلنا من شقة مصر الجديدة الى فيللا فى منشية البكرى واشترينا مخرطة كهربائية لعمل قنابل يدوية من أعمدة السراير التى تحشى بالبارود .

وانضم الينا بعد ذلك عام ١٩٤١ أنور السادات عن طريق حسن عزت ، ودخل اللجنة الرئيسية التى بدأ كل واحد منها يشكل خليته الخاصة .

س ٣ : هل اقتصرت هذه المجموعة على سلاح الطيران ، وحددت ارتباطها ببقايا الجمعية السرية للحزب الوطنى فقط ؟

ج ٣ : كان نشاط مجموعتنا أساسا داخل سلاح الطيران ، وكان تنظيمنا قائما على أساس علاقات الصداقة والثقة ، ولكن هذا لم يمنع من قيام اتصالات مع بعض ضباط الجيش مثل أنور السادات وكمال حسين الذى اتصلنا به عن طريق عز الدين ذو الفقار الذى أصبح مخرجا سينمائيا فيما بعد ـ رحمه الله .

ولم ترتبط مجموعتنا بعبد العزيز على فقط ، بل تعددت صلاتنا ونحن نبحث عن طريق مقاومة الانجليز ٠

اتصلنا بعزيز المصرى فى منزله بحلمية الزيتون ، ودبرنا عملية هربه أثناء ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق حيث قاد العملية حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف ضابطا الطيران ، ثم تطورت اتصالاتنا تبعا لتطور الاحداث ٠

س ٤ : هل يمكن القاء مزيد من الضوء على حادث هروب عزيز المصرى الرئيس السابق لأركان حرب الجيش المصرى ؟

ج ٤ : لم يكن هناك من سبب يحول دون اتمام قصة هرب عزيز المصرى سوى خطأ الميكانيكى الذى أعد الطائرة فقفل مفتاح الزيت بدلا من فتحه ٠٠٠ وكان هدف عزيز المصرى من هربه هو الاتصال بالألمان وابلاغهم بخطته التى تتلخص فى النزول للفيوم ثم الهجوم على قناة السويس ، على أن تقوم تنظيمات الضباط بعرقلة انسحاب الانجليز ٠

ولم تكن هذه هى محاولة عزيز المصرى الأولى للهرب ، فقد حاول ذلك فى مرة سابقة عن طريق الواحات ولكن عربته التى كان يقودها حسين ذو الفقار صبرى أيضا تعطلت بعد مغادرتها القاهرة ٠

سقطت طائرة عزيز المصرى فى حديقة موالح بجوار قليوب ٠

وعندما عرف خبر سقوط الطائرة هرع الى هناك النائب العام عبد الرحمن الطوير ورئيس أركان حرب الجيش اللواء ابراهيم عطا الله واللواء الطيار عبد المنعم الميقاتى وكنت معهم أنا وبعض ضباط السلاح ٠

وقد اعتقدوا فى البداية أن الهارب هو على ماهر لأن الشهود قالوا انه رجل قصير ٠٠٠ ولكن الميقاتى تعرف على معطف عزيز المصرى الذى كان يحمل الحروف الأولى من اسمه ٠

وقصة هربهم بعد سقوط الطائرة طريفة تستحق الرواية ، فقد توجه عزيز المصرى وحده الى منزل مأمور مركز قليوب عندما علم انه كان تلميذا له أثناء عمله مديرا لكلية البوليس وطلب منه عربة توصله الى القاهرة بدعوى تعطل عربته ٠٠٠ وفعلا أعطاه عربة المركز التى نقلتهم الى ميدان الأوبرا حيث ركبوا تاكسى توجه بهم الى منزل شوكت التونى فى الجيزة الذى نصحهم بأن يسلموا أنفسهم ، ولكنهم رفضوا واتجهوا الى منزل مدرس فى امبابة اسمه مرزوق كان عضوا فى مصر الفتاة ٠

ومن سوء حظهم أنه كان مراقبا للبحث عن أحمد حسين الذى كان متخفيا فى صورة درويش من دراويش السيد البدوى فى طنطا ، وعندما تكرر تردده على محل جروبى لشراء أطعمة ، هاجمهم البوليس فى اليوم الواحد والعشرين لهربهم بقيادة اللواء محمد ابراهيم امام من البوليس السياسى حيث اعتقلوا ووضعوا فى العباسية ، الى أن أفرجت عنهم وزارة الوفد ، ونقل حسين ذو الفقار صبرى الى السودان ، وعبد المنعم عبد الرؤوف الى المهمات بعد أن أعيدوا الى الخدمة .

وهكذا انتهت قصة هرب عزيز المصرى وفشلت محاولاته المتكررة .

وقد انقطعت صلتى وصلة أغلب الزملاء به بعد ذلك .

س ٥ : هل كانت هذه هى محاولات الهرب الوحيدة ؟

ج ٥ : لا .. فقد قررنا ارسال الطيار أحمد سعودى الى الالمان طائرا ، وأعددنا له حقيبة بها كل المستندات ومفجر بزرار لتفجيرها عند اللزوم .. وتم الاتفاق بين سعودى وحسن ابراهيم على أن يقوم الأول بجولة تجريبية للطائرة وأن يحمل له حسن عزت الشنطة حتى لا يلفت الانظار وقد حدث ذلك فعلا .

وكان وجيه أباظة هو المسئول عن تحديد خط سير الطائرة ولكنه اخطأ فى اشراك اثنين من صولات سربه فى ذلك هما (رضوان وسويلم) .

طائرة سعودى لم ترجع ولم يعثر لها بعد ذلك على أثر .. ويقال انها قد سقطت فى حقل ألغام .

ولما كان الصول رضوان قد أخذ فكرة عن عملية سعودى من وجيه أباظة وبهرته الفكرة فقد نفذها وحده بنجاح وانضم الى الألمان حيث ظل ملازما لهم الى أن اعتقل فى برلين بعد دخول الحلفاء وحوكم بمجلس عسكرى مصرى حكم عليه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بالسجن ١٥ سنة وغرامة ٨٠٠٠ جنيه وأفرج عنه وعمل بعد الثورة فى ادارة الشئون العامة مع وجيه أباظة .

أوقف الانجليز عمليات الطيران للضباط المصريين وأخرجوا مجموعة ضخمة من سلاح الطيران ، وحوكم حسن ابراهيم وأخرت أقدميته ونقل الى المهمات لأن طائرته هى التى اقلعت .

لم تكشف هذه الحركات عن أحد من التنظيم سوى حسن ابراهيم .

ومع ذلك توقف نشاطنا داخل السلاح ٠

وعاود الانجليز السماح للضباط المصريين بالطيران على الا يحملوا بنزينا يسمح لهم بالطيران أكثر من ساعة واحدة ٠

وتوقفت محاولات الهرب الى الألمان نهائيا بعد ذلك ٠

س ٦ : هل كان ذلك يعنى توقفا لنشاطكم السياسى بصفة عامة ٠٠ أم انه بدأت مظاهر أخرى للنشاط ؟

ج ٦ : تطورت حركتنا ونشاطنا تبعا لتطور الاحداث كما ذكرت ، وعندما وقع حادث ٤ فبراير صدمنا باعتداء القوات البريطانية على قصر الملك ولم نتعمق فى الأمر الى أبعد من ذلك ، فعقدنا اجتماعا فى ميس ضباط الطيران ، وذهبنا الى نادى الضباط محتجين ، وقررنا تسجيل أسمائنا فى سجل التشريفات ٠

فكرنا فى ذلك الوقت وكنت مازلت فى رتبة الملازم فى أن نعمل مثل اليابانيين بتكوين خلايا سرية لقتل أى سياسى منحرف ٠٠ وذهبت مع الزميل الطيار عبد الحميد الدغيدى الى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى بعد أن طلبنا منزله تليفونيا من أحد محلات البقالة فى الدقى ٠

استقبلنا أحمد حسنين ، وقلنا له نريد أن نسألك سؤالا واحدا هو :

ـ هل يعتبر مصطفى النحاس بموقفه فى ٤ فبراير خائنا ٠٠ لأنه اذا كان خائنا وجب قتله ؟

وقال أحمد حسنين :

ـ هذه روح وطنية ، وسأبلغ مولانا حتى يتصرف بحكمته وأن هدف الانجليز عزل مولانا ولكنه بحكمته فوت عليهم غرضهم ٠

وانتهت المقابلة بلا نتيجة ايجابية ، وان كان الحادث قد أبعدنا عن الوفد ٠

س ٧ : وماذا كان موقفكم بعد ٤ فبراير ١٩٤٢ ثم هزيمة النازى فى العلمين ؟

ج ٧ : كانت هزيمة الألمان صدمة لاحلامنا ، وتحول نشاطنا الى عمليات فردية للاغتيال ٠٠ ونجح فى هذا الاتجاه حسن عزت

وأنور السادات وغيرهما ٠٠ وقد القى حسن عزت قنبلة على عربة فؤاد سراج الدين وزير الداخلية لأنه كان يعرف السائق معرفة شخصية ٠

وانتهت الأمور بأنور وحسن عزت الى الاعتقال بعد حادث اتصالهما المعروف بالألمان فى عوامة حكمت فهمى الراقصة ٠

وانتهى الأمر بى الى الاتصال بجمعية (الرياضة وأوقات الفراغ) التى كان يرأسها حسنى العرابى عضو الحزب الشيوعى القديم ، حيث استمعنا خلال رحلات قصيرة الى محاضرات عن الماركسية فى روض الفرج وأذكر انه كان معنا وجيه أباظة وماما سميحة مقدمة برامج الأطفال فى التليفزيون الآن ٠

ولكن لم يطل بى الانتماء الى هذه الجمعية حيث وجدت بعض قادتها يختلفون حول توزيع النقود وكنا ندفع جنيها واحدا اشتراكا شهريا ٠

س ٨ : وأين اتجه نشاطك بعد ذلك ؟

ج ٨ : اتجهت الى جماعة (الأخوان المسلمين) عن طريق أمين العزبى ومحمد الليثى الموظف بسلاح الطيران وقابلنا حسن البنا مباشرة الذى قال لنا فى أول لقاء (نحن لسنا رجال دين (برياله) ولكننا أصحاب هدف سياسى ، والدين طريقنا لزيادة الايمان) ثم قال (عندنا الجنود وينقصنا القادة) ٠

وانضم معى الى الأخوان المسلمين الطيارون حسن ابراهيم وعبد الرحمن عنان وعبد المنعم عبد الرؤوف وحمدى أبو زيد ، وكنا نحضر حديث الثلاثاء كل أسبوع ، واتبعنا نظام الأسرة ، كل أسرة من خمسة ، ولم نكن جميعا فى أسرة واحدة ٠

واستمرت صلتنا بالاخوان المسلمين قائمة عن طريق الضابط المتقاعد محمود لبيب الذى عاش فترة الحرب فى ألمانيا ، وذلك حتى مات أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ٠

س ٩ : وكيف تصرفتم أثناء حرب فلسطين ؟

ج ٩ : قبل اشتباكات حرب فلسطين كنت أعمل فى سرب النقل الذى كلف بتوصيل الأسلحة الى جيش التحرير بقيادة فوزى القاوقجى فى مطار المفرق بسبوريا ٠٠ وفى احدى الرحلات طلبت مقابلة فوزى القاوقجى ، وكانت وزارة الحربية المصرية قد رفضت انضمامنا الى جيش التحرير متطوعين ، ووجدته يشبه عزيز المصرى الى حد ما ٠

وقلت لفوزي القاوقجي أننا على استعداد للهرب اليكم بطائرات مقـاتلة ٠

فقال لى : (هل تعرف نتائج ذلك ؟ لو حدثت الهزيمة ستصبحون خونة واذا انتصرنا تصبحون ابطالا) ٠

كانت سوريا فى ذلك الوقت بغير سلاح للطيران الحربى ، وليس فيها مطارات حربية ٠

واتفقنا على أن نعد أنفسنا فى مصر لنكون تحت اشارة فـوزى القاوقجى عند استدعائه لنا فى المعركة الفاصلة ٠٠ وبدأنا فى تسـليح ١٥ طائرة (سبتفير) دون علم القيادة ٠

ووصل من الحكومة السورية خطاب يطلب انتداب بعض الطيارين المصريين ، وسافر حسن ابراهيم وزكريا سـليمان (فنى تسليح وليس عضوا فى التنظيم) وذلك تبعا لاتفاق مع فوزى القاوقجى حيث قـابلا وزير الدفاع وقاما بانشاء مطار سرى شرق دمشق بستين كيلو ٠

وكنت قد طلبت من القاوقجى ارسال مندوب كضابط اتصـال ، وفعلا حضر محمود الرفاعى وهو شاب تدرب فى ألمانيا ومعـه جهـاز لاسلكى وشفرة اتصال ، وأقام فى مصر فى فيللا خاصـة ٠

وانتظرنا طويلا للقيام بدور ايجابى حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ عندمـا قامت الحـرب فعـلا وكنت قائد محطة غرب القـاهرة ، واشتركت فى الحرب ، وحصلت على النجمة العسكرية مرتين ٠

س ١٠ : متى بدأ تنظيم الضباط الاحرار اذن ، ومتى بدأت صلتك به ؟

ج ١٠ : كان حسـن ابراهيـم يعمل فى ورش الطـيران ، وكانت مجموعتنا فى الطيران قد تبعثرت بعد قيام حرب فلسطين ، وان كنا قـد احتفظنا بعلاقاتنا الخاصة ٠

وقال لى حسن ابراهيم يوما ان قيادة لتنظيم جديد تطلب رؤيتى ، وذهبت مع حسن فقابلت جمـال عبـد الناصر وكمـال الدين حسـين وعبـد المنعم عبـد الرءوف وخـالد محيى الدين ، وكان ذلك فى بـداية عـام ١٩٥٠ ٠

وقال لى جمال عبد الناصر فى هذا اللقاء الأول :

ـ آن الأوان لتكون معنا ، لأن مصطفى لطفى ـ ضابط مدفعيـة دفعـة جمـال عبـد الناصر ـ قال لى اذا أردتم ضمان سلاح الطـيران فاعتمدوا على البغـدادى ٠

دخلت التنظيم الجديد .. ولكنى رفضت فكرة تكوين الخلايا ، أو دفع الاشتراكات ، وقلت لهم ان ثقة الزملاء موجودة فينا نتيجة المواقف السابقة .

وتطورت قيادة التنظيم فجمعت معنا عبد الحكيم عامر وصلاح سالم ثم أخذت معى جمال سالم الى أحد الاجتماعات قبل سفره الى الخارج للعلاج فى أمريكا ، ثم اقترح جمال عبد الناصر فيما بعد ضمه الى المجموعة قبل سفره أيضا .

وأخيراً اقترح جمال عبد الناصر ضم أنور السادات بعد عودته للجيش ، وكان آخر المنضمين للجنتنا التى سميت (اللجنة التأسيسية) .

وانتخبنا جمال عبد الناصر بأوراق سرية حصل فيها على كل الاصوات عدا صوته هو الذى أعطاه لحسن ابراهيم .

وانتظمت اجتماعاتنا وبدأت تصدر المنشورات بتوقيع (الضباط الاحرار) ، حتى اشتعل حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

س ١١ : ما هو تأثير حريق القاهرة على تنظيم الضباط الاحرار ؟

ج ١١ : اجتمعت اللجنة التأسيسية وقلت لهم لقد ثبتت وجهة نظرى فى ضرورة التحرك الفورى خاصة وأن سلاح الطيران كان مستعدا من رتبة بكباشى فما دون .

قلت لهم أن البلد كانت معرضة للفوضى وكان يمكن أن تدمر ويقودها الرعاع وأن نزول الجيش كان يجعل الأمر بسيطا ويسهل علينا ما نطلبه من تغيير شامل .

وصارحتهم بأنه اذا لم نتحرك الآن فانه يجب الا نربط الناس الى ما لا نهاية ، وقلت لهم اعتبرونى جنديا وسلاح الطيران معكم وسأكون فى البيت ، وسلام عليكم .

وفعلا بعدت عنهم فترة ولكنهم صالحونى بعد ذلك يوم ١٦ يوليو ١٩٥٢ بعد حل مجلس ادارة نادى الضباط واغلاقه .

س ١٢ : هل كان محمد نجيب الرئيس المنتخب لنادى الضباط ضمن تنظيم الضباط الاحرار ، وما هو تأثير حل المجلس المنتخب ؟

ج ١٥ : لم يكن محمد نجيب يحضر معنا اجتماعات اللجنة التأسيسية وان كنت أعرف أنه مرتبط بنا لأننا تجمعنا حول انتخابه لبروز شخصيته عن أبناء جيله ، ولأنه كان معروفا بشجاعته خلال حرب فلسطين ، وكانت صلته قوية بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .

وقد نجح حسن ابراهيم في انتخابات النادى ونجح أيضا زكريا محيى الدين وعدد آخر من الضباط الاحرار .

وعندما بدأت أزمة النادى الذى اعتبر انتخابه تحديا للملك ، طلب قائد سلاح الطيران اللواء شعراوى باشا من حسن ابراهيم الاستقالة من المجلس ولكنه رفض .. وكانت نتيجة الموقف الصلب لمحمد نجيب الذى يسانده الضباط الاحرار قفل النادى وحل مجلس الادارة ، وتعيين مجلس جديد برئاسة اللواء على نجيب شقيق محمد نجيب ، دخل فيه قائد الجناح على صبرى الذى كان ضابطا لمخابرات الطيران .

وعقب حل المجلس شعرت اننا نندفع الى صدام حتمى مع الملك .

أذكر اننى ذهبت الى الأستاذ مصطفى مرعى المحامى وعضو مجلس الشيوخ عند تقديم استجوابه عن اليخت المحروسة وكان معى حسن ابراهيم ومحمد شوكت ومصطفى مرتجى ، وقلنا له نحن معجبون بك وبموقفك ... وجفل مصطفى مرعى قائلا (كيف تتصلون بى وأنا تليفونى مراقب) وقلنا له (نحن نريد التعاون معك) ولكنه قال (انا مسافر للخارج ولما أرجع سأبلغكم كيف احتاج اليكم عن طريق الصحافة) .

وخلال هذه الفترة دبر جمال عبد الناصر وحسن ابراهيم وكمال رفعت وحسن التهامى محاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود والمقرب من الملك فاروق ورجال الحاشية يوم ٨ يناير ١٩٥٢ بعد يومين من اعلان نتيجة انتخاب مجلس ادارة نادى الضباط .

قام جمال عبد الناصر بهذه الخطوة دون الرجوع إلى اللجنة التأسيسية ، وقد نقدناه من أجل ذلك لان كشف المحاولة كان يعرض اللجنة للكشف أيضا وبالتالى انهاء التنظيم ... وطلب جمال عبد الناصر اعادة انتخاب رئيس اللجنة .. ولكننا أعدنا انتخابه بالاجماع مرة ثانية .

وهكذا فرض علينا حل مجلس ادارة نادى الضباط ضرورة التفكير فى تدبير ما .

فكرنا فى الاغتيالات يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ على أن نقوم بها نحن أعضاء الجمعية التأسيسية ضد قادة الاحزاب ورجال السراى والساسة

السابقين (حوالى أكثر من أربعين) .. ولكننا سرعان ما تراجعنا عن ذلك لاحتمال اعتقالهم لنا .

وهنا نبتت فكرة الانقلاب .

س ١٣ : كيف تبلورت فكرة الانقلاب العسكرى ... وكيف تم التنفيذ ؟

ج ١٣ : تبلورت فكرة الانقلاب العسكرى بعد تراجعنا السريع عن خطة الاغتيالات وتحدد ذلك فى اجتماعنا يوم ٢٠ يوليو ، وبعد ذلك تم وضع الخطة وقرأها علينا زكريا محيى الدين فى اجتماع يوم ٢٢ يوليو ظهرا فى منزل خالد محيى الدين وفى وقتها لاحظت أن جمال عبد الناصر قد انتحى بى جانبا مع حسن ابراهيم وقال ان الموضوع ليس موضوع أقدمية ، وذلك لأن زكريا محيى الدين كان أقدم من جمال عبد الناصر

ولكنه لم يكن قد انضم للجمعية التأسيسية فى ذلك الوقت بينما كان جمال هو الرئيس المنتخب .

تحددت الواجبات للوحدات المشتركة والضباط الأحرار المشتركين فى تنفيذ الخطة ، وكان واجب سلاح الطيران هو حماية المطارات ليلا ، مع التحليق صباحا مع أول ضوء .

وقد خرجت من منزلى ليلا وتوجهت مع حسن ابراهيم الى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة فوجدت أن يوسف صديق قد احتلها بقوات الكتيبة الأولى مدافع ماكينة ومن بعدها تدفقت قوات المشاة .

وفى الصباح الباكر تحركت بعض القوات مع عدد من الضباط لاعتقال كبار ضباط سلاح الطيران فى منازلهم ، وتوجهنا نحن الى قيادة السلاح التى خصصت لنا مباشرة .

س ١٤ : لماذا فكرتم فى تعيين على ماهر أول رئيس وزراء بعد نجاح الحركة ؟

ج ١٤ : فى رأيى أن ذلك تم تحت تأثير دعاية الصحافة له ، وكان دليلا على ظروف العجلة التى ضغطت علينا لاتمام الحركة وعدم تحديد الموقف كما أنه الى حد ما كان دليلا على عدم التعمق فى السياسة الداخلية .

س ١٥ : ماذا كان موقفك من طرد الملك؟

ج ١٥ : عندما حضر الينا جمال سالم بالطائرة من الاسكندرية للمناقشة فى موقفنا النهائى من الملك بعد اختلاف المجموعة التى سافرت

الى هناك مع بعض الوحدات لحصار الملك وانذاره بالتنازل عن العرش وكانت مكونة من محمد نجيب وجمال سالم ويوسف صديق وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين وعبد المنعم أمين وحسن ابراهيم .

أقول عندما حضر جمال سالم اتفقنا على الاكتفاء بطرد الملك دون قتله أو محاكمته تاركين للتاريخ الحكم عليه .

س ١٦ : وماذا كان موقفك من محمد نجيب بعد ذلك ؟

ج ١٦ : لم تكن لى احتكاكات شخصية مع محمد نجيب ، وان كانت الظروف قد أثبتت أن شخصيته لا تتميز بالرصانة الواجبة فيمن يشغل منصبه ، وبدأت التناقضات معه تطفو الى السطح بعد رحلة الى النوبة قام بها مع خالد محيى الدين عضو المجلس .

وعندما توترت الأمور وناقش مجلس القيادة الموقف منه اعترضت على قرار اخراجه واعلان استقالته ، وعندما نوقش موضوع نجيب تحت ضغط مظاهرات الشوارع ، ورفض بعض ضباط القوات المسلحة وخاصة الفرسان ومنطقة الاسكندرية ، ومساندة السودانيين له ، اعترضت أيضا على قرار عودته بدافع اننا اذا كنا قد اتخذنا قرارا فلا يجوز الرجوع عنه حتى لا يظهر اضطراب موقفنا وترددها ، وأيدنى فى ذلك جمال سالم فقط .

وقد أدى بى هذا الموقف الى تقديم استقالتى الأولى من المجلس فى ١٤ أبريل ١٩٥٤ .

س ١٧ : كيف مضت الأمور فى مجلس قيادة الثورة بعد تخلصكم من رئيسه اللواء محمد نجيب ؟

ج ١٧ : الواقع أن محمد نجيب كان رئيسا شكليا للمجلس فلم يكن يواظب على حضور جلساته أو التعمق فى مناقشاته وخاصة بعد تعيينه رئيسا للوزراء يوم ٨ سبتمبر ١٩٥٢ ، ولم تتأثر طبيعة المجلس كثيرا بخروجه واكتفائه بمنصبه رئيسا شكليا للجمهورية حتى تمت اقالته فى نوفمبر ١٩٥٤ .

وكنا قد مضينا فى اتخاذ عدة خطوات حاسمة فى تاريخ مصر منها الموافقة على ذهاب جمال عبد الناصر وصلاح سالم الى مؤتمر باندونج ،

وكسر احتكار السلاح وعقد صفقة الأسلحة التشيكية ، ورفض الدخول في أية أحلاف عسكرية ومقاومة حلف بغداد ، وتوقيع اتفاقية الجلاء ، ومحاكمة الأخوان المسلمين بعد محاولة الاعتداء على جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالاسكندرية ٠

وعقب انتهاء فترة الانتقال وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية اعتبر مجلس قيادة الثورة منحلا ، وأقام لنا جمال عبد الناصر حفل تكريم في نادى الضباط حصلنا فيه على قلادة النيل التي جعلتنا أقدم الوزراء ٠

وهكذا من الوجهة الرسمية اعتبر المجلس منتهيا ، وان كان من الوجهة الواقعية ظل قائما بصورة جزئية يعتمد جمال عبد الناصر على بعض أعضائه في مشاوراته وحركته ٠

ولعل آخر قرار بارز وافقنا عليه كان تأميم قناة السويس الذى أعلنه جمال عبد الناصر في خطبته الشهيرة في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، بعد رفض دالاس وزير خارجية أمريكا لمشروع السد العالى بعد موافقته الأولية ثم تشهيره بالاقتصاد المصرى ، الأمر الذى علمنا به أثناء العودة من رحلة الى يوغوسلافيا يوم ١٨ يوليو ومعنا جواهر لال نهرو ، حيث اختمرت في رحلة العودة فكرة تأميم القناة ٠

س ١٨ : خلال فترة وجودكم عضوا في مجلس قيادة الثورة راستم محكمة الثورة التي ضمت العضوين انور السادات عضو اليمين وحسن ابراهيم عضو اليسار ، واصدرتم احكاما بالاعدام على عدد من السياسيين كان أولهم ابراهيم عبد الهادى رئيس الحزب السعدى المنحل ٠

ما هو تصويرك لدورك في هذه المحاكمات وما هو ـ في رأيك ـ تأثيرها على حركة الثورة والمجتمع ؟

ج ١٨ : قامت هذه المحكمة في ظل الظروف المعادية للحركة التى تبناها وقادها السياسيون القدامى المنتمون الى الاحزاب المنحلة ٠

كان هدفنا من ذلك كشف انحرافاتهم وأخطائهم السابقة حتى تفقد الجماهير الثقة فيهم ٠

والحكم على ابراهيم عبد الهادى لم يكن يقصد به الاعدام فعلا ، وانما استهدف اشعار الجماهير بقوة الثورة وجديتها فى مقاومة التيارات المضـادة .

وفى رأيى أن هذه المحاكمات قد أسكتت الأصوات المعارضة المعادية .

س ١٩ : أين كنت فى فتـرة العـدوان الثلاثى ، ومـا هى رؤيتك لهـذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر ؟

ج ١٩ : كنت ملازما لجمال عبد الناصر وقريبا منه لا نكاد نفترق وكان معنا دائما زكريا محيى الدين أيضا ، ننام فى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة ، ونتابع المعركة وحركة القوات المسلحة .

والحقيقة أن مستوى قادة القوات المسلحة جميعـا لم يكن فـوق مستوى النقد ، بل انه تقرر فى هذه الفترة اخراج صدقى محمود قائد القوات الجوية ، ولكن عبد الحكيم عامر قاوم ذلك بحجة اعتماده عليـه وانه اذا كان قد أخطأ فهو كذلك قد أخطأ معه .

ولا شك انه لو تمت محاسبة القيادات العسـكرية الكبـيرة التى أخطأت لكان ذلك أفضل ، وانعكس على القوات المسلحة قوة وانضباطا فى المستقبل .

ومع ذلك فان الحـركة السـياسية لمصر خـلال هـذه الفترة التى تصادمت فيها مصالح الدول الكبرى قد أدت الى انسـحاب القـوات المعتدية مما اعتبر نصرا لا شك فيه ، والعبرة دائما بالنتائج .

وقد كان صد العدوان الثلاثى وانسـحاب القوات المعتدية بداية انطلاقة جديدة للسياسة المصرية فى طريق ثورة يوليو .

س ٢٠ : ما هـو المنصب الذى توليته بعد العدوان ... وما هى تجربتك فيه ؟

ج ٢٠ : أنتخبت رئيسا لأول مجلس أمة بعد الثورة ، وكان أنور السادات وكيلا للمجلس ، والواقع أن الفرصة كانت مهيأة تماما للسـير فى طريق الديموقراطية لأول مرة بعد الثورة ، وكانت هناك حرية ملموسة عنـد الأعضـاء فى السؤال والاستجواب ، الى الحد الذى دفـع عضـو المجلس الضابط السابق محمد أبو الفضل الجيزاوى الى المطالبة بتكوين معارضة رسمية فى المجلس .

ولكن عمر هذا المجلس لم يستمر طويلا فقد لحقت به الوحدة مع سوريا فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ الأمر الذى أوقف عمله انتظارا لتكوين مجلس تشريعى واحد للاقليمين ٠

وخلال هذه الفترة من العمل النيابى كنت واثقا أنه يمكن وضـع السلطة التنفيذية تحت ضوء الرقابة الشعبية ، وانه يمكن وقف جموح الارادة الفردية ٠

س ٢١ : هـل قمت بدور رئيسى فى اتمـام عمليـة الوحدة ٠٠٠ وكيف مضت التجربة من وجهة نظرك ؟

ج ٢١ : شاركت فى بعض اجتماعات جمال عبد الناصر مع الضباط والسياسيين السوريين ، ومصر كانت تطلب الاتحـاد ولـكن الأخـــوة السوريين أصروا على الوحدة ، وقد اضطررنا للاستجابة تفاديا لنفـوذ الشيوعيين المتزايد فى سوريا ٠

وعقب تقرير من مصطفى أمين صاحب جريدة الأخبار كان قد كلفه جمال عبد الناصر بكتابته ٠ ظهرت فكرة تعيينى مسئولا لسوريا ولـكنى اعتذرت ٠٠٠ وشكلت لجنة ثلاثية من أكرم الحورانى وزكريا محيى الدين ومنى ، ولكنها ظلت لجنة شكلية بلا سلطات ، فلم أذهب الى سوريا ٠٠٠ وانتهى الأمر بتعيين عبد الحكيم عامر مسئولا فى سوريا ٠

وتردت العلاقات كما هو معـروف نتيجة التناقضـات فى مركـز السلطة ٠ وانتهى الأمر بالانفصال أثناء وجود عبد الحكيم عامر هناك فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ٠

وعندما ظهرت فكرة دعم قوات المقاومة السورية المعادية للانفصال صدرت الأوامر بارسال قوات محملة جوا الى اللاذقية ٠ ولكن قيـــادة صدقى محمــود للقــوات الجــوية أدت مرة أخرى الى تعطيل ذلك عـدة ساعات حتى نزل فوج وأعيد الباقى بعد انتهاء المقاومة وانتصار القوات الانفصالية ٠٠٠ وكان مفروضا أن يخرج صدقى محمود وأن يحـاسب المشير ٠ ولكن شيئا لم يتم ٠

وقد أثبتت تجربة الوحدة أن فكرة الاتحاد كانت أكثر سلامة من الوحدة العضوية المباشرة قبل التهيؤ الكامل لها ٠

س ٢٢ : تقول ان عبد الحكيم عامر لـم يحاسب على تصرفاته ٠٠ ما هى الموانع التى حالت دون ذلك ؟

جـ ٢٢ : كان جمال عبد الناصر شديد التأثر والأسى لواقعة الانفصال وكان مدركا أن تصرفات عبد الحكيم كانت سببا رئيسيا من أسباب ذلك. ولذا قرر أن يحد من اختصاصاته باتخاذ قرار من مجلس الرئاسة الذى تشكل بعد الوحدة كنوع من - القيادة الجماعية - حسب تعبير جمال عبد الناصر .

كان مفروضا أن يتقدم عبد الحكيم عامر بهذا المشروع تنفيذا للولاء المتفق عليه للقيادة الجماعية ولكنه قدم مشروعا يطلب فيه زيادة صلاحياته واعطائه سلطة رئيس الجمهورية .

اتصل بى جمال عبد الناصر غاضبا من تفكير عامر وتقديمه لمشروعه وطلب منى العودة للقرار المتفق عليه والذى سبق اعداده فى نوفمبر ١٩٦٢ .

وقال لى جمال عبد الناصر : أنه لن يحضر الجلسة ولن يقوم بعمله كرئيس جمهورية الى أن يبت فى هذا الموضوع .

مشروع القرار يقضى بأن تكون سلطة تعيين ونقل قادة الكتائب والالويات فى القوات المسلحة من اختصاص مجلس الرئاسة .

وعرض المشروع على مجلس الرئاسة بحضور عبد الحكيم عامر فى جلسة رأستها لغياب جمال عبد الناصر ، ولكن عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين طلبا التأجيل بعد مناقشة المشروع الذى كان يشمل الداخلية والخارجية الى جانب القوات المسلحة . وهنا انسحب عبد الحكيم عامر من الجلسة . وخرج ليقدم استقالته . بعد أن غادر القاهرة الى مرسى مطروح دون أن يبلغ أحدا عن مكان اقامته .

تراجع جمال عبد الناصر عن قبول الاستقالة . كما تراجع عن تنفيذ القرار . واستمر القرار مؤجلا دون استئذان المجلس . حتى لحقت به ثورة اليمن . فركن نهائيا دون تنفيذ . وبقى عبد الحكيم عامر نائبا للقائد الأعلى للقوات المسلحة جمال عبد الناصر ...

س ٢٣ : هل أثر ذلك على حسن العلاقات بين اعضاء مجلس قيادة الثورة سابقا ؟

جـ ٢٣ : لا شك أن هذا الموقف قد فجر خلافات شخصية نابعة من رؤية موضوعية . ولا شك أيضا أنه كانت قد بدأت تظهر تناقضات انتهت الى استقالة كمال الدين حسين ثم استقالتى أنا أيضا .

س ٢٤ : ما هى الأسباب الحقيقية للاستقالات المتكررة ؟

ج ٢٤ : قدمت إستقالتى ثلاث مرات ·

الأولى كما ذكرت كانت فى ١٤ ابريل ١٩٥٤ اعتراضا على رجوع مجلس قيادة الثورة عن قراره بعزل محمد نجيب وقد وجهتها الى زملائى أعضاء المجلس ·

والثانية كانت احتجاجا على خطاب دورى فى ٢١ أغسطس ١٩٥٨ موقع من جمال عبد الناصر بمنع الدعاية الشخصية فى الصحف · وقد كتبتها بقلم كوبيا وسلمتها الى صلاح دسوقى · وبقيت معلقة حتى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٨ ولاحقتنى خلال هذه الفترة حملة اشباعات انتهت بحضور وفد من زملائى أعضاء المجلس مكون من زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وأنور السادات وحسين الشافعى الى المنزل موفدين من جمال عبد الناصر لاقناعى بالرجوع عن الاستقالة ، وقد استجبت لهم وعدت الى موقعى ·

اما الاستقالة الثالثة والأخيرة فكانت فى ١٦ مارس ١٩٦٤ احتجاجا على شكلية مجلس الرئاسة وعدم قيامه بمسئولياته كقيادة جماعية ، وكانت نقطة الخلاف قد بدأت حول تاميم بعض المطاحن ومضارب الأرز دون عرض الأمر على مجلس الأمة مما اعتبرته مخالفا للميثاق ·

س ٢٥ : هل انتهت صلتك بقيادة ثورة يوليو بعد هذه الاستقالة الأخيرة ؟

ج ٢٥ : عمليا يمكن القول نعم ··· ولكننى لم أتردد فى الذهاب مع بعض الزملاء المستقيلين أيضا (كمال الدين حسين وحسن ابراهيم) الى مقر القيادة العليا للقوات المسلحة بعد عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ لمقابلة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ومناقشة الأمر معهما ، ولكن كان السيف قد سبق العزل كما يقولون ، فقد ابلغنى زكريا محيى الدين بقرار الانسحاب قائلا انها أصبحت (مرحلة فى ذمة التاريخ) ·

وكنا قد ارسلنا مذكرة موقعا عليها منى ومن حسن ابراهيم بعد اعلان دخول قواتنا لسيناء فى ١٦ مايو ١٩٦٧ نحذر فيها من سحبنا لمعركة نحن غير مستعدين لها ·

وكذلك كنا قد ارسلنا خطابا ثانيا موقعا عليه من كمال الدين حسين وحسن ابراهيم بعد اعلان قفل شرم الشيخ وتوقعنا للحرب ، وطلبنا منه أن يكون لنا دور كوطنيين مصريين فى أى موقع ·

وقد أرسل لنا وقابلناه يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧ ثاني يوم لمؤتمره الصحفي وكان في ذلك الاجتماع يستبعد الحرب تماما ٠

ولما أعلن سياسة حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ أرسلت له مذكرة من ١٥ صفحة فيما يجب عمله ــ من وجهة نظرى ــ في هذه السياسة وضرورة احياء الجبهة الشرقية ٠

س ٢٦ : وكيف كانت علاقاتك الشخصية بجمال عبد الناصر بعد ذلك ؟

ج ٢٦ : حرصت بعد الاستقالة على ممارسة حياتى العادية الطبيعية ، ولم تكن هناك اتصالات شخصية الى أن دعانا جمال عبد الناصر الى حفلة عقد قران ابنته هدى وذهبنا جميعا ٠

وفى العام الأخير قبل وفاته وفى يناير ١٩٧٠ عادت علاقاتنا الشخصية الى صورتها الطبيعية وكنا نلتقى كثيرا ونناقش الموقف مناقشة حرة ودودة ، حتى انتهى الأمر بوفاته المفاجئة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ٠

الاسم : فريق عبد المحسن مرتجى

آخر وظيفة فى الجيش : قائد القوات البرية

العمل الآن : المعاش

ورئيس مجلس ادارة النادى الأهلى

س ١ : هل شاركت في حركة ٢٣ يوليو؟

جـ ١ : لا ٠٠ فاننى لم أكن منضما لتنظيم الضباط الاحرار ٠

س ٢ : عينت مديرا لمكتب اللواء محمد ابراهيم أول رئيس أركان بعد حركة ٢٣ يوليو ، ما هى رؤيتك للجيش قبل الحركة وبعـــدها ؟

جـ ٢ : هناك نواح سلبية وأخرى ايجابية ٠٠ فمثلا حدث انهيار فى الضبط والربط بسبب اتجاه كثير من الضباط للنواحى السياسية ودخولهم فى تنظيمات هيئة التحرير والحرس الوطنى والفتوة ، وشـــيوع هــذا التعبير (مندوب القيادة) الأمر الذى أضعف ثقة القادة فى أنفســـهم ودفعهم الى التغاضى عن بعض الاخطـاء ، وأدى الى تخلخل احترام الرتب وقد استمرت هذه الحالة حتى عام ١٩٥٤ عندما بدأ الحرس الوطنـى يأخذ شكلا مميزا ويختارون له أحسن الضـــباط تحت قيادة اللـــواء عبد الفتاح فؤاد ٠

أما النواحى الايجابية فقد بدأت مع عام ١٩٥٥ عقب الدخـول فى اشكالات مع اسرائيل عقب هجمة قواتهـــا على غزة فى ٢٨ فبراير ، وارسال قواتنا الى ســـيناء ٠٠ وقد دفعنا ذلك الى البحث المركـز عن السلاح لتزويد القوات المسلحة ٠

سافر العميد حسن النكلاوى الى أمريكا فى محاولة للحصول على تسليح كامل لفرقة مدرعة ، وسافرت فى سبتمبر ١٩٥٣ فى بعثة مع اللواء محمد ابراهيم رئيس الاركان والقائمقام مصطفى يوسف والبكباشى صبرى كمال فى محاولة أخرى للحصول على أسلحة ، ولكن بلا نتيجة ٠

وقد تمادت اسرائيل فى عدوانها فاحتلت منطقة العوجة التى نصت اتفاقية الهدنة على أن تتبادلها القوات المصرية والاسرائيلية كلا منهـا ١٥ يوما ، كما قاموا بهجوم على جبل الصابحة بعد زيارة عبد الحكيم عامر للقسيمة وصعوده على هذا الجبل وقتلوا وجرحوا عددا من جنود السرية التى كانت تحتله ٠

وقد تصاعدت عمليات الفدائيين بعد ذلك ، وصدرت تعليمـات بالهجـوم تحدد موعده فعلا تنفيذا لخطة استعادة العوجة ، وفى آخـر لحظة صدرت تعليمات بصرف النظر ٠

وعندما عقدت صفقة الأسلحة المصرية التشيكوسلوفاكية فى أواخر ١٩٥٥ بدأ الجيش المصرى يتلقى بعد طول حرمان أنواعا متقـدمة من الأسلحة التى وصلت به الى مستوى العصر الذى نعيش فيه ٠

وقد سافرت أول بعثة من الضباط المصريين الى الاتحاد السوفييتى فى مارس ١٩٥٧ بأسماء مستعارة منعا للاستفزاز الأمريكى ، كمـا بدأ وصول الخبراء السوفييت فى أواخر ١٩٥٨ باعداد محـدودة جـدا على مستوى القيادات العليا فقط ، واشتركوا فى اعادة تنظيم القيادات ٠

ويمكن القول بأن أفضل مستوى وصلت اليه القوات المسـلحة بفروعها الثلاثة كانت فى الفترة من ١٩٦٠ حتى ١٩٦٢ عندمـا تحققت ثمار اعادة التنظيم والتدريب ٠

س ٣ : هل يمكن القاء الضوء على دور القـوات المسلحة خـلال العـدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ؟

جـ ٣ : خلال عام ١٩٥٦ كانت الاحتكاكات مع اسرائيل قد خففت عن العـام السابق الى أن تم العدوان الثلاثى ، فاتخذ جمـال عبـد الناصر شخصيا قرار الانسحاب للقوات من سيناء وهى لم تكن تتعدى فرقة فى غزة والعريش ولواء فى أبو عجيلة وأم كتاف ٠

وقـــد حدثت بعض الاخطاء لاننا لم نأخـــذ الاحتياطات اللازمـة للقتال ومع ذلك فقد عطل اللواء السادس دخول اسرائيل ثلاثة أيام الى أن صدر له الأمر بعدها بالانسحاب ، ولواء رفح أيضا ظل يقـاوم رغم ضربه من البحر ٠

كان أول هجوم للاسرائيليين على ممر متلا بالمظلات ، وقد صدرت التعليمات باستعادة الممر ثم عادت فصدرت بالانسحاب ٠

ودار القتال كما هو معروف الى أن انتهى بانسحاب القوات الانجليزية والفرنسية فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ ثم الاسرائيلية فى مارس ١٩٥٧ بعد تنازلات مصرية أهمها وجود قوات بوليس دولية من غزة الى شرم الشيخ واخلاء شرم الشيخ لهيئة الرقابة الدولية ، وبذا فتحت تيران لتجارة اسرائيل • وكما رسمت حدود فى سيناء لا تتعداها أنواع ثقيلة معينة من الأسلحة •

والواقع أن عدوان ١٩٥٦ قد فاجأ قواتنا المسلحة وفيها خبراء المان ، وضباط دربوا فى دورات دراسية بأمريكا حتى مستوى قادة السرايا ، وأسلحة انجليزية قديمة وروسية متطورة ، وعقيدة موضع دراسة وتغيير •

س ٤ : هل كان جمال عبد الناصر يؤدى دورا فعالا فى قيادة القوات المسلحة مع وجود المشير عامر ؟

ج ٤ : كان جمال عبد الناصر مهتما بالقوات المسلحة متابعا لحركتها وتطورها بصفته مدرسا سابقا فى كلية أركان الحرب وهو صاحب فكرة الانسحاب الناجحة لقواتنا من سيناء عام ١٩٥٦ ، ورغم ظهور بعض الاختلاف فى تنفيذ الخطة الا أنه ظل محتفظا بالمشير عامر وكل قادة الأسلحة ، واستمر اهتمام عبد الناصر الشخصى وتدخله فى توجيه الأمور حتى عام ١٩٦٢ بعد الانفصال مع سوريا حيث حدثت جفوه بينه وبين المشير ابتعد بعدها نسبيا عن اهتماماته السابقة بالقوات المسلحة • وكان المشير عامر مثلا هو المسئول عن توجيه الشئون العسكرية فى اليمن •

الاســـم : عبد المجيد نعمان

تاريخ الميلاد : ١٨ أبريل ١٩١٥

مهنة الوالد : مزارع

الامـلاك : لا شيء

متخرج فى : مدرســـة اللاسلكى بالقوات الجوية

١٩٤٠ كلية حقوق عين شمس ١٩٥٦

الرتبة وقت الحركة : ملازم اول

آخـر عمل : مقدم مساعد مدير الاشـارة بالقوات الجوية

العمل الآن : المحرر الرياضى باخبار اليوم

س ١ : كنت مسئولا عن اللاسـكى فى السرب الملكى ٠٠ هل كانت لك اهتمامات سياسية ، وماذا كانت صلتك بالضباط الأحـرار ؟

ج ١ : لم أكن منضما لتنظيم الضباط الأحرار ، ولكنى كنت عضوا فى قسم الجيش بحدتو ، حيث كان المسئول هو ضابط المدفعية اليوزباشى أحمد حمروش ، والذى حرص على عدم ربطى بالضباط الأحرار ضـمانا للسرية المطلقة التى كان يجب أن تحيط بى ٠

وقد بدأت عضوا فى الحركة المصرية للتحـرر الوطنى مع عدد كبير من ميكانيكية السلاح ، قبل أن تندمج فى منظمة (اســكرا) وتصـبح (حدتو) ٠

وأذكر خلال هذه الفترة انى كنت أكلف بنقـل بعض الأشـياء السرية فى طائرة الملك ٠٠ كما أذكـر اننى أبلغت عن اعداد الملك لمطـار الواحات اسـتعدادا لهروبه بمعـرفة محمـد نجيب قائد الحدود ومدكور

أبو العز قائد الجناح : توقعـا منـه أنه قد يعزل أو يجبر على الفرار لأى سبب من الأسباب ٠

س ٢ : ماذا حدث لك ولضباط السرب يوم الحركة ؟

ج ٢ : كان العميد طيار صـالح محمود صالح قد بلغ حيدر باشا بموعد الحركة بناء على ما تسرب اليـه من حـركة شقيقه ضابط المدفعية عبد المجيد محمود صالح ٠

أبلغ حيدر ياور الملك حسن عاكف الذى كلم مدكور أبو العز قائد السرب الذى كان يضم ٩ طائرات ويعمـل به (قائـد سرب مهنـدس) عبد الحميد محمـود (وقائد جنـاح) عادل حافظ (وقائد أسراب) سعد الدين شريف (وقائد سرب) حسين فوزى الجبالى ، وأنا فى رتبـة الملازم أول ٠

أسرع مدكور فجـر يـوم ٢٣ بعد اسـتدعائنا بالذهاب الى مطار الماظة الحربى ، وهناك اعترض حسن ابراهيم طريقـه ومنعه من الدخول رغم كونهما أصدقاء ٠

كان مدكور من النوع المنضبط الذى ينفذ الأوامر الصـادرة له مهما كان مصدرها فأبلغ حسن ابراهيم انه لاشىء يمنعه من الدخول الا القوة ، فأشـار له حسن ابراهيم على مسدسـه وقال له (اعتبرنى استخدمت القوة معك) ٠

لم يرضخ مدكور وكرر المحاولة مع قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى الذى أمر بارسالنا الى معتقل الكلية الحربية الذى حملنا اليـه اليوزباشى كمال الحناوى ٠

اعتقد الضباط من رتبة اللواء أننا جواسيس عليهم ٠٠ ثم أفرج عنا يوم ٢٥ واستلمنا العمل يوم ٢٧ يوليو ٠

ومنذ ذلك التاريخ ابتعدت تماما عن الارتباطات السياسية ، وتفرغت بعد ذلك للعمل فى الصحافة مع عام ١٩٥٦ وما بعده فى الرياضـة التى أعشقها ٠

عبد المنعم الصاوى

نقيب الصحفيين

ورئيس مجلس ادارة دار التحرير

س ١ : كيف بدأت صلتك بحركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكيف استمرت ؟

ج ١ : بدأت صلتى بحركة الجيش منذ كنت فى لندن مراسلا لجريدة المصرى ، وكانت تصل الى بعض الجرائد البريطانية منشورات الضباط الأحرار ، وكنا نتوقع حدوث شىء ما فى مصر ٠٠ وعندما عدت من لندن وانتظمت فى عملى بالجريدة فى القاهرة تلقيت يوم ٢٢ يوليو مكالمة هاتفية من أحمد أبو الفتح رئيس التحرير فى السابعة مساء ويطلب منى الانتظار وتأخير الطبع قليلا لتوقع أخبار هامة ٠

ثم بدأت هذه الصلة بالضباط الأحرار عندما طلب منى اليوزباشى أحمد حمروش العمل مديرا لتحرير مجلة (التحرير التى كانت أول مجلة تصدرها حركة الجيش والتى ظهر عددها الأول فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ ٠

وقد بقيت بها الى أن صدر قرار بعزل اليوزباشى أحمد حمروش من رئاسة تحرير المجلة ، وتعيين الصاغ ثروت عكاشة بدلا منه ٠٠ وقد أحضر لى ثروت كشفا بالمطلوب فصلهم من المجلة بعد حمروش وهم عبد الرحمن الشرقاوى وحسن فؤاد وعلى الدالى وزهدى ، ولكنى اعترضت على ذلك لأن هذا كان يشكل انهيارا لطابع المجلة ٠

وعندما أبلغ ثروت عكاشة طلبى لجمال عبد الناصر طلب مقابلتى فذهبت اليه ، ودارت بيننا مناقشة قلت له فيها (ان سياستنا هى من وحى منشورات الضباط الأحرار) وقدمت له مجموعة كنت أحملها من هذه المنشورات ٠

وقد قبل جمال عبد الناصر استمرار المحررين والكتاب فى عملهم على الا يوقعوا بأسمائهم ٠

واستمر عملى فى مجلة التحرير الى أن اصطدم ثروت عكاشة بصلاح سالم وزير الارشاد وتقرر تغييره هو الآخر ، واخضاع المجلة للرقابة ، وتبعيتها لدار التحرير .. وهنا تركتها ومعى كل المحررين تقريبا .

وابتعدت بعد ذلك الى أن قام خالد محيى الدين بالتشاور معى لاصدار جريدة المساء ، ولكننا لم نتفق على نظام العمل ، فابتعدت الى أن عين الدكتور ثروت عكاشة وزيرا للثقافة ، وعرض على منصب وكيل الوزارة فقبلت .

الاسم : عبد المنعم النجار

تاريخ الميلاد : ٧ يوليو ١٩٢٠ ·

مهنة الوالد : تاجر

الأمـــلاك : لا شيء

متخرج في : الكلية الحربية أبريل ١٩٣٩

كلية أركان الحرب ١٩٥٠

آخر عمل : سفير مصر في العراق

العمل الآن : سفير بوزارة الخارجية

س ١ : كنت ضـــابطا في المخـابرات الحربية قبل حركة الجيش ·· ما هي رؤيتك لها وما هو موقف المخابرات منها ؟

ج ١ : المخابرات الحربية قبل حركة ٢٣ يوليو كانت تتكون من عدد محدود من الضباط (حوالى ١٥ ضابطا) ولم تكن لهم القدرة على الاحاطة بكافة أنواع النشاط السرى داخل الجيش ·· وكانت الادارة على صلة بالبوليس السياسى فى وزارة الداخلية (اللواء ابراهيم امام) الذى طلب منا معلومات عن الضباط الأحرار ، وقد حاولنا البحث عن ذلك بصـفة عامة ·· كما أن المخابرات الانجليزية والأمريكية التى كانت نشطة جدا فى البحث عن النشاط الشيوعى ، اتصلوا بنا عن طريق العلاقات العامة والصـلات الاجتمـاعية للبحث والتسـاؤل عن الضـباط الأحرار ، وكان أنشطهم فى ذلك الملحق العسكرى الأمريكى ومساعد الملحق الجوى ·

ولكن عددا من ضباط المخابرات الحربية كانوا على صـلة بحركة الضباط الأحرار ، فقد كانت تربطنى علاقة شـــخصية بصـــلاح سالم وعبد الحـــكيم عامر اللذين قدمانى لجمال عبد النـاصر ، وكذلك كان سعد الدين توفيق وهو الذى كلفه جمال عبد الناصر بابلاغ محمد نجيب فى منزله عن نجاح الحركة وسقوط قيادة الجيش فى يد الضباط الأحرار واحضاره من منزله ·

وقد طلب منى جمال عبد الناصر الاتصـــال بالأمريكيين وابلاغهم بأن أى تدخل لمصلحة الانجليز سوف يتحول الى مجزرة على مشـــارف القاهرة ، وقد قلت له اننى الوحيد المتصل بأجهزة الأمن ويحسن الا أتصل شخصيا ، واقترحت اسم على صبرى ضابط مخابرات الطيران ، الذى اتصلت به وطلبت حضوره وأبلغته رغبة جمال عبد الناصر فى الاتصال بالأمريكيين فقام فعلا بالاتصال بمساعد الملحق الجوى ٠٠ وقد رشحه عبد اللطيف البغدادى بعد ذلك للعمل سكرتيرا لمجموعة ضباط الطيران فى مجلس القيادة ٠

ويمكننى الجزم بأنه لم يكن هناك أى تخطيط بين جمال عبد الناصر والأمريكان كما لم تكن له صلة بهم قبل انتصار الحركة ٠

س ٢ : كيف تصرفت أجهزة المخابرات القديمة بعد نجاح الحركة ؟

جـ ٢ : وجه مجلس قيادة الثورة نشاط أجهزة المخابرات القديمة ضد النشاط الانجليزى فى منطقة القناة وكذا ضد نشاط اسرائيل ، ثم قرر تعيين زكريا محيى الدين مديرا للمخابرات وعينت نائبا له ، كمـا تقرر حل (القلم السياسى) واعادة تشكيله باسم (المباحث العـــامة) التى طعمت بعدد جيد من الضباط بعد اخراج الرتب الكبيرة منها وتعيين الأميرالاى رأفت النحاس مديرا لها وقد أشرف على اتمام هذه العملية كل من جمال عبد الناصر وجمال سالم ٠

وخلال هذه الفترة كانت هناك صـــلات ودية مع بعض الأمريكيين الذين قدموا لنا أبحاثا ودراسات عن طريق تنظيم ادارة المخابرات التى تولى زكريا محيى الدين مسئولية تكوينها فى صورتها الجديدة ٠٠ ولم يطل بى المقام فى المخابرات طويلا فقد عينت ملحقا عسكريا فى باريس ومدريد فبراير ١٩٥٣ ٠

وأذكر أن جمال عبد الناصر كان قد شكل جهازا اســمه (الأمن الداخلى) ضمن المخابرات تولى قيادته محيى الدين أبو العز ٠

وأذكر أيضا أن الماجور سانسون ضابط أمن السـفارة البريطانية والذى كان مشرفا على القلم السياسى المصرى ، وهو الذى كان قد أسس جمعية (اخوان الحرية) ، قد نقل بعد الثورة بشهور الى ليبيا بعد اتخاذ المخابرات المصرية موقفا وطنيا مستقلا ٠

الاسم : عز العرب عبد الناصر

س ١ : أنت شقيق الزعيم الخالد جمال عبد الناصر .. هل كانت لديك معلومات عن حركة الجيش ؟

ج ١ : تصادف اننى كنت فى القاهرة يوم ٢٠ يوليو ووجدت عددا كبيرا من الضباط يتصل بشقيقى ففهمت أن هناك تدبيرا ولكنه لم يصرح لى بشىء تفصيلى ، ولكنه طلب منى الذهاب للاسكندرية لمقابلة أحمد حمروش وابلاغه بالحضور الى القاهرة فورا ، واذكر أننى حاولت تدوين عنوان المنزل وكان فى شارع طيبة باسبورتنج ولكنه طلب منى أن أحفظه ولا أسجله لدواعى السرية ، وذهبت فعلا الى الاسكندرية وقابلت أحمد حمروش يوم ٢١ يوليو وأبلغته بذلك ، وكان شقيقى شوقى يقف فى الشارع أمام المنزل للتأكد من عدم مراقبة أحد لتحركاتنا .

وبعد ذلك عدت للقاهرة ووجدت أن شقيقى قد أمضى معظم يوم ٢٢ يوليو خارج المنزل ، وأذكر أنه عندما حمل طبنجته معه حاولت السيدة حرمه مناقشته فى الأمر ولكنه حسم الموقف بالخروج تاركا كل ما كان يملكه (خمسون جنيها) للأولاد ، وساد المنزل قلق وتوتر زاد عندما سمعنا صوت طلقات رصاص حول قيادة الجيش القريبة من المنزل فى كوبرى القبة .

وبقينا فى الشقة لم نغادرها حتى حضر لنا ثروت عكاشة فى الساعة السادسة من صباح يوم ٢٣ يوليو وضرب الجرس وأبلغنا ان جمال بخير وطلب منا التأهب لاستماع البيان الأول ثم خرج .

ولم يعد جمال للمنزل لمدة ٤٨ ساعة .

الاسم : **عبد المنعم أمين**

تاريخ الميلاد : **٢٤ نوفمبر ١٩١٢**

مهنة الوالد : **مدير ادارة فى وزارة الداخلية**

متخرج فى : **الكلية الحربية عام ١٩٣٥**

الرتبة وقت الحركة : **بكباشى**

آخر منصب : **عضو مجلس القيادة**

ثم سفيرا فى ألمانيا الاتحادية

العمل الآن : **رجل أعمال**

س ١ : ما هو نشـــاطك السياسى قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : لم أكن منتميا لتنظيم سياسى ولكن الموقف السياسى للبلد كان يؤثر علينا ، فعندما كنا فى مطروح عام ١٩٤٠ طلبوا منا النزول مع ترك أسلحتنا هناك ، ولكنى رفضت ذلك وكنت وقتها فى المدفعية المضادة للطائرات وشاركنى فى الرأى أحمد حسن الفقى وكان فى مدفعية الميدان ٠٠ وأخيرا رضخوا لموقفنا ونزلنا بأسلحتنا ٠

وذهبت بعـد ذلك فى بعثتين الى انجلترا حيث التهب شـــعورى الوطنى واعتبرت أن تأدية الواجب والمحافظة على الكرامة هى عنـــاصر الوطنية ٠٠ ثم عدت مدرسا فى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات ٠

وأذكر أنه كان هناك أمر للصولات البريطانيين بألا يعظموا الضباط المصريين أو الهنود أو الكومنولث واحتججنا على ذلك فأصدر حسين سرى أمرا لصف الضباط بعدم تحية الضباط الانجليز ٠

وأثناء حرب فلسطين ١٩٤٨ عينت قائدا لالاى مضاد للطائرات ، وأثناء ذلك ألقت طائرة يهودية ثلاث قنابل على القاهرة فكشفت نقص وسائل الدفاع الجوى ، وتم أثر ذلك تحقيق ونال الجزاء بعض الضباط

الذين كانوا فى الخدمة والآخرين الذين لم يكونوا فى الخدمة ٠٠ واعتبرنا ذلك ظلما صارخا لمن لم يكن عليهم الدور فى الخدمة ٠

وبعد ذلك سافرت فى بعثة مع حسين محفوظ ندا (مدفعية ميدان) لشراء أسلحة ولكن اللجنة أهملتنا كخبراء واعتمدت على المهربين ، الذين اشتروا مدافع ماكينة هوتشكس من التى استخدمت فى حملة السودان ١٨٩٩ ، واشتروا بمبلغ ثلاثة أرباع مليون جنيه قنابل يدوية من اعتماد جملته مليون ونصف لشراء الأسلحة عموما ٠

وأثارتنا هذه التصرفات ، فاتصلنا بعد العودة باحسان عبد القدوس الذى كان ينشر عدة تحقيقات صحفية عن هذا الموضوع وقدمنا له بعض المستندات والاثباتات ٠٠ وقد استدعينا للشهادة بعد ذلك امام على موافى وأحمد مختار قطب ٠

وعندما قدم مصطفى مرعى استجوابه الشهير الى مجلس الشيوخ اتصلت به على غير معرفة فقال لى (أنا هددونى بالقتل ، ومن أين أعرف أنك لست عميلا مدسوسا على) ، قال ذلك ثم سافر للخارج ٠

وفكرنا أنا والبكباشى ابراهيم عاطف وقائد الجناح عبد الحليم الدغيدى فى كتابة منشور موجه للملك باعتباره أملنا الوحيد ، هاجمنا فيه حيدر ٠

وفى منتصف عام ١٩٥١ اتصل بى كمال الدين حسين وعرض على الانضمام للضباط الأحرار ، وكانت تصلنى منشوراتهم ولكننى قلت له (ان المسألة ليست طبع منشـــورات ٠ اذا كنتم مستعدين للعمل نحن معكم) ٠

وفى أوائل ١٩٥٢ عند اجراء انتخابات نادى الضباط ومحاولة فرض السراى لنحدود كسلاح خاص القيت كلمة قصيرة قلت فيها انه لا يجوز لأحد أن يفرض ارادته علينـــا ٠٠ وقد لفت هذا الموقف انتباه قيـــادة الضباط الأحرار ٠

وأذكر أنى يوم ١٨ يوليو قد سافرت للاسكندرية فى أجازة محليـــة دون علم باى شىء وفى يوم ١٩ يوليو قال لى ابراهيم رشيد فى نادى السيارات (أن حسين سرى عامر سوف يلبسكم طرح) ٠

وعدت للقاهرة يوم ٢٠ يوليو فاتصل بى كمال الدين حسين الساعة الثالثة بعد الظهر وحضر لى فى منزلى مع جمال عبد الناصر الساعة العاشرة والنصف ليلا وتحادثا معى عن الظروف الضـــاغطة التى تدفعهم للحركة تحاشيا لاعتقال السراى لبعض الزملاء ، فوافقت على الاشـــتراك معهم

فورا ... وأذكر أن جمال عبد الناصر قد قال همسا لكمال الدين حسين وهو يطل على النيل من شقتى (هوه عاوز ثورة ليه ماهو عنده كل حاجة) .

وفى يوم ٢١ يوليو عقدنا اجتماعا فى منزل خالد محيى الدين بمصر الجديدة الساعة الثانية ظهرا حضره جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وحسين الشافعى وكمال الدين حسين وأحمد عبد الله طعيمة لمناقشة خطة التحرك التى خدت الاسم الكودى (نصر) وساعة الصفر منتصف الليل .

كنت أعمل فى ذلك الوقت قائد ثان الدفاع الجوى المضاد للطائرات .

س ٢ : ما هو دورك خلال ليلة الحركة وأيامها الأولى ؟

ج ٢ : أرسلت اشارة الى ضباط المدفعية بالتواجد باعتبارى ضابط عظيم السلاح فى هذه الليلة ، وقد وصلت الساعة ١٢ فى عربة ملاكى وبدأنا فى تنفيذ الخطة باحتلال مدخل طريق السويس وعمل موقع دفاعى عند الكيلو ٤٫٥ لمقاومة أى تحرك بريطانى محتمل ، وقد شارك معنا فى هذه التحركات كمال الدين حسين وكان وقتها يعمل مدرسا فى كلية أركان الحرب .

وبعد نجاح الحركة فى هذه الليلة الخالدة بعد اعتقال كبار الضباط من رتبة الاميرالاى واللواء تقرر أن نتوجه الى الاسكندرية لانذار الملك وخلعه .. وقد تأجل ذلك الى يوم ٢٦ يوليو لضرورات ادارية .

سافرت للاسكندرية مع محمد نجيب وحسين الشافعى وجمال سالم ويوسف صديق وأنور السادات وزكريا محيى الدين .. وناقشنا فى قيادة المنطقة الشمالية بمصطفى باشا مصير الملك .. واختلفنا فى الرأى حول اعدامه أو محاكمته أو الاكتفاء بترحيله ، وانقسمنا فريقين ، وسافر جمال سالم بالطائرة الى مصر ليتعرف على رأى بقية الزملاء الذين بقوا بالقاهرة وهم جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وصلاح سالم وكمال الدين حسين وعاد بعد ساعات ليبلغنا بانه تقرر انذاره واخراجه فقط .

وقد توليت قيادة القوات التى حاصرت قصر رأس التين .

وعدنا يوم ٢٨ يوليو من الاسكندرية ومعنا على نفس الطائرة انطون بوللى .

وبعدها تقرر ضمى أنا ويوسف صديق وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى الى مجلس القيادة .

س ٣ : كنت رئيسا للمجلس العسكرى الذى شكله مجلس القيـادة فى أغسطس ١٩٥٢ وحـكم بالاعـدام على خميس والبقرى .. ما هى ظروف تشـكيل هذا المجلس وما هى أقوالك عنه ؟

ج ٣ : عندما قامت مظاهرات كفر الدوار وقتل ثمانية عسـاكر وخمسـة عمال تطوعت لرئاسة المجلس العسكرى الذى تقرر تشكيله . واقترحت عقده فى موقع الحادث ، وكان من أعضائه حسن ابراهيم عضو مجلس قيـادة الثورة ، وكذلك عبد العظيم شحاتة وفتح الله رفعت من ضباط المدفعية .

تمت المحاكمة حسب قانون الأحكام العرفية الذى تنص مواده على انه اذا حدث تظاهر أو شغب ونتج عنه قتل فان رؤساء المظاهرة يحكم عليهم بالاعدام .

وقد ترافع مصطفى خميس عن نفسه دفاعا عظيما لمدة نصف ساعة ولما لم يكن هناك محام معين للدفاع عنه فقد انتدبت له الصحفى موسى صبرى مندوب الأخبار باعتباره متخرجا فى الحقوق ولكنـه (غرقه) باستدعائه زوجته للشهادة .

وحكم الاعدام لم يصدر بالاجماع من أعضاء المجلس ... وكذلك فان مجلس القيادة لم يصدق عليه بالاجماع فقد اعترض جمال عبد الناصر ولكن أغلبية المجلس وافقت .

بعـد ذلك كلفت بالاشراف على شئون العمـال وعلى وزارة الشئون الاجتماعية .

س ٤ : هل اقتصر دورك على المسـئولية عن العمال ؟

ج ٤ : كانت مسئوليتى عن العمال أمرا جانبيا بجانب المسئوليات السياسية التى كلفت بها ، فقد ذهبت الى السفارة البريطانية وقابلت القائم بالأعمال يوم ٢٣ يوليو وأبلغته باننا لا نوافق على الشئون الداخلية فى الجيش ، وان هدفنا هو اصلاح الجيش ثم مفاوضة الانجليز .

وقابلت أيضـا القائم بالأعمال الأمريكى ماكلنتوك الذى عرفنى بالسفير الأمريكى جيفرسون كافرى الذى دعوته الى منزلى مع عـدد من رجال القيادة فى دعوة رجالى عندما أبدى رغبته فى التعرف بمحمد نجيب

ثم رد السفير الدعوة بالسيدات وحضرت زوجات البغدادى وزكريا والشافعى وزوجتى فقط .

واستمرت الصلة مستمرة مع الأمريكيين الذين كانوا ضد النظام الملكى ، وقد أعد لنا مستر ماكلنتوك الذى قدم لنا خدمات كثيرة ، مقابلة مع وكيل وزارة الحربية الأمريكية حضرتها مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وتقرر بعدها سفر على صبرى والعميد حسن النكلاوى لمحاولة الحصول على أسلحة لمصر أمام ضغوط ومعارضة تشرشل الذى قابل ايزنهاور فى برمودا وحذره من تسليحنا حتى لا يستخدم السلاح ضد القوات البريطانية فى القنال .

ولذا تعثر موضوع السلاح بعد أن عرضوا علينا فقط عربات مدرعة لحفظ الأمن ... ونقل ماكلنتوك بعد ذلك من مصر لتعاطفه مع قضيتنا .

وأذكر خلال ذلك الوقت أيضا رغبة المجلس فى اصدار قوانين عمالية جديدة اعترض خالد محيى الدين على بعض موادها ، الأمر الذى عطل صدورها حتى خرجت أنا من المجلس .

س ٥ : ما هى أسباب خروجك من مجلس القيادة ؟

ج ٥ : قامت بين ضباط المدفعية حركة تستهدف عمل انتخابات فى الأسلحة لضباط القيادة ، وقد استخدم بعضهم فى هذه الحركة اسلوب التشهير ضد بعض أعضاء المجلس وقد تعرضت أنا وأنور السادات لهذه الحملة ... ولذا فانه عندما تم اعتقال هذه المجموعة فى ١٥ يناير ١٩٥٣ وحوكموا بوساطة أعضاء المجلس لم أحضر جلسات المحاكمة أنا وأنور السادات .

وقد حاول أعضاء المجلس تفادى هذه المشكلة فى بدايتها ، عندما طلبت الاستقالة فى نوفمبر ١٩٥٢ ولكنهم أوفدونى الى انجلترا لجس النبض فى مفاوضات الجلاء وكان وقتها دكتور محمود فوزى هو سفيرنا فى لندن .

وعقب عودتى كانت حركة ضباط المدفعية ما زالت متأزمة ، فقد تقرر عقد اجتماع لهم ولما ذهبت وجدت ان الاجتماع قد ألغى ، وعرفت أن مجلس القيادة قد اتخذ قرارا بعدم مقابلتى لهم ، عقب اجتماع للمجلس شن فيه المرحوم صلاح سالم هجوما شديدا على وطالب بعدم ظهورى فى المجلس ... وقدمت استقالتى الأولى التى حضر لى بعدها جمال وحكيم وكمال حسين وتم الاتفاق على قيامى بأجازة لمدة ١٥ يوما أعود بعدها ...

وفعلا اخذت أجازة لمدة شهر فى أواخر يناير ١٩٥٣ · وأرسل لى نجيب أثناء ذلك خطابا يدعونى فيه لحضور الجلسة الافتتاحية للجنة التأسيسية للدستور ··· ولكن كمال الدين حسين طلب منى عدم الذهاب فقدمت استقالتى الثانية ·

واستمرت الأجازة والابتعاد حتى شهر مايو ١٩٥٣! ·

وعندما بدأت مفاوضات الجلاء استدعونى قبل الجلسة الأولى بساعة للمناقشة ، فأثرت موضوعى ، وتزعم صلاح سالم الحملة ضدى وتأجل الاجتماع اسبوعا وفى الاجتماع الثانى ألقى زكريا محيى الدين وجمال سالم وصلاح سالم كلمات موجهة ضدى انتهت الى قولهم بأنه لا يمكننى العودة لمكانى فى المجلس قبل ستة شهور يحسن أن أسافر خلالها للخارج ·

ورفضت اقتراح تعيينى سـفيرا فى الخارج · ولكن أمام الحاح زملائى الذى وصل الى حد ذهاب أنور السادات لمقابلة والدى فى محاولة لاقناعى قبلت فى أكتوبر ١٩٥٣ وسافرت فى فبراير ١٩٥٤ وبقيت سفيرا فى بون حتى مايو ١٩٥٦ ، حيث انتهت صلتى بالأعمال الحكومية ·

س ٦ ـ هل انتهت صـلتك بعد ذلك بحركة الجيش ؟

ج ٦ : من الوجهة الرسمية نعم ··· أما من الوجهة الوطنية فقـد كان مستحيلا أن أبتعد عن رفاق النضال ··· فمثلا عندما أعلنت التعبئة فى ١٦ أبريل ١٩٦٧ شعرت بالقلق من ضعف الروح المعنوية والقدرة على القتال فذهبت الى أنور السادات الذى طمأننى وقال لى ان عبد الحـكيم عامر فتح المخازن ، وذهبت الى زكريا محيى الدين يوم ٢٧ أبريل فقال لى أن الحالة سيئة ·

وفى يوم ٥ يونيو ذهبت الى القيادة العامة فوجدت هناك عبد الحكيم عامر وشمس بدران وعلى على عامر وعبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم ··· ولم يكن هناك جمال عبد الناصر ·

وبعد الهزيمـة اتفق جمال عبد الناصر وعبد الحـكيم عامر على الاستقالة ، وفكر جمال عبد الناصر فى اختيار شمس بدران رئيسـا للجمهورية · ولكن شمس رفض وقال انه مسئول مثلكم ، وتم الاتفاق على زكريا محيى الدين ·

وخــــلال أزمة ما بعد النكســـة فكر جمال عبد الناصر فى تعيين عبد الحكيم عامر نائبا لرئيس الجمهورية بعيدا عن القوات المسلحة ، ولكن عامر رفض (حتى لا يكون طرطورا) حسب تعبيره ٠

وقد سمعت من عبد الحكيم عامر انه لم يكن له رأى فى اعـــلان التعبئة ٠٠٠ وان خروجه بالطائرة صباح يوم ٥ يونيو كان دليلا على عدم معرفته أو تأكده بموعد الهجوم الاسرائيلى ٠

الاسم :	**فتح الله رفعت**
تاريخ الميلاد :	**٢٢ يناير ١٩٢٢**
مهنة الوالد :	**مزارع**
الأمـــــلاك :	**٢٥ فدانا**
متخرج فى :	**الكلية الحربية ١٩٤٢**
الرتبة وقت الحركة :	**يوزباشى**
آخر عمل :	**رئيس هيئة الائتمان الزراعى**
العمل الآن :	**رئيس هيئة الائتمان الزراعى**

س ١ : ما هو نشاطك السياسى قبـل حركة الجيش ؟

ج ١ : كنت مرتبطا بالاخوان المسلمين منذ عام ١٩٤٥ وكان محمود لبيب يتصل بى مع عدد من الضباط فى اجتماعات دورية ، الى أن اعتقل بعض الضباط مع رشاد مهنا عام ١٩٤٧ ، وكنت وقتها فى العريش ، ثم أفرج عنهم دون محاكمة ، وأحيل ابراهيم عطا الله رئيس أركان حـرب الجيش الى المعاش وعين بدلا منه محمد حيدر .

وهنا بدأ بعض هؤلاء الضباط يأخذ اتجاها عبر عنه مصطفى كمال صـــدقى فى خطاب يدين فيه الأحزاب ، وانه وزملاءه يرون أن يكون النضال ضد الأحزاب خلال (الملك الشاب والقائد الأعلى) وتجمع معه الضباط أحمد يوسف حبيب وحسن فهمى عبد المجيد وسيد جاد وخالد فوزى وغيرهم من الذين عرفوا فيما بعد بصلتهم الوثيقة بيوسف رشاد واشتهروا بأنهم يشـــكلون تنظيما خاصـــا للسراى باسم (الحـرس الحديدى) .

أذكر خلال هذه الفترة أنهم حاولوا أن يجمعوا منا نقودا لعمل عصا الماريشالية للملك مقدمة من سلاح المدفعية ولكنى رفضت الدفع مع عدد من الضباط .

وعندما قامت حرب فلسطين قمت بتدريب بعض المتطوعين الاخوان واتصلت بعد ذلك بجمال عبد الناصر فى المجدل واسدود ، وأذكر انه حدثنى عن ثورة غاريبالدى ، ثم تبلور تنظيم (الضباط الأحرار) واتصلت بكمال الدين حسين .

وعقب حريق القاهرة فى ٢٦ ينـاير ١٩٥٢ عقدنا اجتماعا حضره خالد محيى الدين وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم ومحسن عبد الخالق وغيرهم ، وتقرر فيه أن يكون اتصـالنا بحسين الشافعى لأنه حديث الانضمام للتنظيم فى وقت كان البوليس السياسى يراقبنا فيه بنشاط .

س ٢ : ماذا كان دورك ليلة ٢٣ يوليو ؟

ج ٢ : اجتمع تنظيم مدفعية الميـدان يوم ٢١ يوليو ١٩٥٢ وكان مشكلا من اليوزباشية والملازمين أبو الفضـل الجيزاوى وجمال نظيم وربيع عبد الغنى وعلى شريف وعبد الستار أمين وأحمد المتينى ومنير شاش وعبد الرحيم حبيب وحمـدى محمود وكمال لطفى وأمين مظهر وعيسى سراج الدين وعبد الحميد عبد الخالق وأحمد شهيب وحضر أيضا عبد المنعم أمين وكمال الدين حسين الذى كان مسئولا عن مجموعة أخرى تضم أحمد كامل وعلى فوزى يونس وخالد فوزى وجمال الليثى وغيرهم من ضباط المدفعية المضادة للطائرات .

كانت قواتنا فى هاكستيب ، وكانت وحدات أخرى من المدفعية فى الماظة .

أبلغت الينا الخطة بصورتها النهائية يوم ٢٢ يوليو ، وكان مفروضا أن تحضر لنقل وحدتنا من هاكستيب لوارى من خدمة الجيش ولكننـا عندما ذهبنا لاستلامها من ابراهيم الطحاوى فى خدمة الجيش لم نجده هنـاك .

كانت نقطة تجمعنا للذهاب للوحدات أمام سينما روكسى السـاعة العـاشرة مسـاء وقد حضر كمال لطفى وعلى شريف ثم مررنا على عيسى سراج الدين .

عندما مررنا على القيادة فى التاسعة والنصف مساء كانت مضيئة وفيها حركة غير عادية فذهبت لكمال الدين حسين لابلاغه فلم أجده وتركت لزوجته رسالة بمضـمون ما رأيت ، وتوجهنا الى هاكستيب ، وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشر مساء .

وجدنا مجموعة من العساكر لابسين الخوذات من الكتيبة ٣ المشاة وتتأهب للحركة بقيادة البكباشى طاهر الشربينى الذى قال لنا ان تعليمات قد وصلت من حسين فريد تقول امنعوا أى تحركات بالقوة . ولما قلت

له اننا سنخرج رغم ذلك ، وان قوات الانقلاب سوف تنجح وتحاسب كل من يعترض طريقها ، وحقنا للدماء امنع عساكرك من التعرض لنا • واستجاب طاهر الشربينى لذلك •

ولكن عند اقترابنا من بوابة المعسكر وجدنا ان البوليس الحربى كان قد احتل أكشاك المدخل ، فقمنا باقتحام البوابات المغلقة بأحد جرارات المدافع ، وأطلقنا عدة طلقات من مدفع رشاش فى الهواء واعتقلنا جنود البوليس الحربى •

وعندما وصلنا روكسى اعترضتنا دبابتان فقلنا لهم كلمة السر وهى (نصر) •

وكانت الأوامر عندنا تقضى بمنع تحرك أى قوة غير قواتنا ، وارجاع كافة الضباط من رتبة البكباشى فما فوق أو اعتقالهم ••• ومع ذلك فقد اعتقلنا على صبرى عند حضوره رغم اعلانه كلمة السر الى أن اتصلنا بالقيادة فأعطونا تعليمات تصرح له بالمرور •

وفى يوم ٢٤ أخذت بعض البطاريات واجب الدفاع عن القاهرة ، وفى يوم ٢٥ يوليو تحركنا الى الاسكندرية برا حيث اتجهنا الى سراى المنتزه واستاد المدينة ، وتلقيت صباح يوم ٢٦ يوليو أمرا كتابيا من زكريا محيى الدين عن طريق خالد فوزى يطلب منا فيه التوجه الى قصر رأس التين مع كتيبة البكباشى (قائد الجناح سابقا) عبد المنعم عبد الرءوف الذى عرفنى عليه البكباشى عبد المنعم أمين الذى كان مشرفا عن حصار القصر •

كانت تعليمات زكريا محيى الدين تقضى بأنه اذا بلغت الساعة الثانية عشرة ظهرا ولم يوقع الملك وثيقة التنازل فعلينا أن تضرب السراى بالمدفعية •

وقد تحدثنا مع قادة ضباط الحرس (عبد الله النجومى وعبد الله رفعت) وحاولنا اقناعهما بأن الأمر جد ولا تردد فيه ، وذلك بعد أن كان قد حدث تبادل محدود لطلقات رصاص •

وقبل الثانية عشرة رفعت السراى العلم الأبيض • واتصل عبد المنعم أمين بالقيادة فوصل على ماهر وأنور السادات ثم وصل بعد ذلك جيفرسون كافرى سفير أمريكا • وبعد السادسة بدقائق وصل محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى ، وكان اليخت قد غادر المرسى فى تمام السادسة • واطلقت المدفعية ٢١ طلقة •

س ٣ : ما هى طبيعة دورك بعد ذلك فى ركب الحركة ؟

ج ٣ : قيل لنا ان رشاد مهنا يحاول التدخل في تحريك سياسة الدولة والانفراد بها ، فتشكلت لجنة من محسن عبد الخالق وكمال لطفى ومنى للمرور على المناطق وشرح هـذه الحقيقة ، وقد ذهبنا الى العريش حيث استقبلنا عبد الفتاح فؤاد ومحمد البلتاجى ومحمد أبو نار من المشاه كما قابلنا ضباط المدفعية ٠

ثم عدنا وقابلنا جمال عبد الناصر وفى اليوم التالى صدر قرار باحالة رشاد مهنا للمعاش ٠

وبدأنا نشعر بأهمية وضوح معالم المرحلة المقبلة ، وكانت تساؤلاتنا تمضى دائما بلا جواب ، وكنا نعجز بالتالى عن الاجـابة على تسـاؤلات الضباط ، الأمر الذى جعلنا نعقد عدة اجتماعات لمناقشة هـذه الأمـور ومطالبة القيادة بتفسير ٠

وللأمانة فانه فى أحد هـــذه الاجتماعات قال البعض بأنه اذا لم يستجب أعضـــاء المجلس لمـا نقترحه من أن يكون التمثيل بالانتخـاب ديموقراطيا ، فاننا نلقيهم فى البحر ٠

وبدأنا نعد العدة لانتخابات مجلس ادارة نادى الضباط مع التصميم على انجاح مرشحينا ٠

ووصـلت الصـورة الى مجلس القيـادة على أساس اننا نعد انقلابا من أجل فرض سيطرة الاخوان المسلمين ٠٠ وفوجئت بحضور حلمى السعيد وعبد المجيد شـــديد وفؤاد نصر الى منزلى واعتقالى ووضـعى فى سـجن الأجانب ، حيث بدأ التحقيق بعد ٢٨ يوما بلجنة مشكلة من عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وكاتب الجلسة صاغ حلمى عبد المعطى ٠

ثم تشكلت محكمة من مجلس قيادة الثورة برئاسة جمال عبد الناصر عدا أنور السادات وعبد المنعم أمين ، ولم يصرح لنا باحضـار محام وصدرت عدة أحكام تتراوح بين ١٥ سنة وسنة واحدة ٠

فتحى خليل

كاتب صحفى بمؤسسة روز اليوسف

س ١ : هل كان لك ارتباط مباشر بحركة الجيش ؟

ج ١ : كنت عضوا فى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو عندما قامت حركة الجيش ، وكنت معتقلا فى معسكر هاكستبب وكلفنى زملائى بصياغة بيان تأييد للحركة ليعلق أمام مكتب قائد المعتقل ، وكان عنوانه فى البداية (نحن نؤيد هذه الحركة) وقال لى زميلى زكى مراد بل يجب أن يكون فى العنوان معنى الابتهاج ، فاضفت الكلمة ببساطة ليصبح العنوان (نحن نؤيد هذه الحركة ونبتهج) ·· وأفرج عنا بعد ذلك عدا ١٧ زميلا ·

واستمر هذا هو موقف حدتو حتى أصدر المجلس العسكرى حكمه باعدام خميس والبقرى فى أحداث كفر الدوار فتدهور الموقف نتيجة موقف الأحزاب الخارجية ، وزادت لهجة الانتقاد والمخاوف على لهجة التأييد بعد يناير ١٩٥٣ مع قرار حل الأحزاب ، حيث قامت الحركة بحملة اعتقال للشيوعيين مع التركيز على (حدتو) ·

وقد أصدر التيار المؤيد لحركة الجيش وكان يتزعمه كمال عبد الحليم بيانا من السجن الحربى فى أقسى ظروف الصدام ، يؤكد موقف التأييد مع تحفظات خاصة بالديموقراطية ، واستمر الموقف على ما هو عليه الى أول سبتمبر ١٩٥٥ ·

فى ذلك اليوم استدعيت أنا والفنان زهدى والكاتب ابراهيم عبد الحليم من سجن أبو زعبل على انفراد ·· كانت ملابسنا ممزقة فقد كنا تحت ما يسمى (تكدير شديد) ننام على الأرض ، ونضرب ثلاث مرات يوميا ، وذلك عقب اضراب عن الطعام استمر ١٨ يوما لمطالب خاصة ·

اتجهنا الى وزارة الداخلية حيث وجدنا الكاتب الدكتور يوسف ادريس قادما من سجن القناطر الخيرية ، وتوقعنا حدوث مساومة ، وقد تركونا وحدنا ساعتين اتفقنا خلالهما على رفض المساومة بهدوء وذوق ·

أبلغنا وكيل الوزارة ما نعانيه من تعذيب شديد ٠

وأخذتنا عربة مع أحد ضباط مباحث الصحافة الى قصر عابدين ٠٠ حيث وجدنا أحمد عباس صالح وسامى الليثى من الزملاء الصحفيين الذين قدمونا الى محمد أبو نار الذى أدخلنا على صلاح سالم ٠

استقبلنا صلاح سالم استقبالا حارا ، وأبدى استنكاره لمظهرنا ، واتصل تليفونيا بزكريا محيى الدين وزير الداخلية ورجاه التدخل لوقف المعاملة الشاذة فى سجن أبو زعبل ٠

بدأ صلاح سالم حديثه بتقديم تحليل سياسى استغرق ثلاث ساعات ركز فيه على النقاط الآتية :

أولا : المفهوم العام لقيادة الثورة منذ البداية وتصورها لخط سيرها ، وتحفظات بعض العناصر على الاتحاد السوفييتى متأثرين بدعاية الغرب ٠

ثانيا : الموقف من الشيوعيين فى مصر لاختلاط التأييد والمعارضة وخشية اتهام حركة الجيش بالشيوعية ، الأمر الذى جعل الأمور لا تعالج بالحكمة اللازمة ٠

ثالثا : موقف الثورة من أمريكا مع التركيز على مفاوضات السلاح وموقفها من قضية الديموقراطية ٠

وقد وصل فى تحليله الى النتائج الآتية :

١ ـ استقرار الثورة على توثيق العلاقة مع الاتحاد السوفييتى والصين والدول الاشتراكية وهى معالم للتغيير فى العلاقة الخارجية ٠

٢ ـ استقرار الثورة أيضا على وضع دستور واجراء انتخابات عامة وبرلمان وهذا هو التغيير بالنسبة لقضية الديموقراطية ٠

وأوضح صلاح سالم بأن هذين العاملين سينطلقان بأقصى طاقتهما فى منتصف عام ١٩٥٦ ٠

وقال صلاح سالم انه تأكيدا للثقة فانه سيخبرنا بأخطر أسرارنا فى هذه اللحظة ، وهى انهم عقدوا مع الاتحاد السوفيتى صفقة سلاح ، ولم تكن قد أعلنت بعد ٠٠ كما أعطى وعدا بالافراج عن كافة الشيوعيين قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٦ وأن عمليات الافراج ستبدأ بعد أسابيع ٠٠ كما اعتذر بحرارة عن أسلوب معاملة الشيوعيين ، وأبدى استنكاره لحرمان المعتقل السياسى من قراءة الجرائد ٠

انتقل صلاح سالم من هذه المقدمة الى الوضع فى السودان ، وكيف كانت صورته عقب قيام الثورة ، وقال اننا قد اضطررنا للسير بنفس

أسلوب حكام مصر قبل الثورة ، وهو أسلوب (الفلوس) وتحدث عن تجربته مع الحزب الوطني الاتحادي وعن مهازل قيادة هذا الحزب وخاصة اسماعيل الأزهري ٠٠ ولخص موقف الأحزاب السودانية بأنها بعيـــدة عن الاخلاص ٠

ثم قال اننا نعرف ان هناك حزبا شيوعيا سودانيا ٠٠ ولكننـــا تجنبناه لموقفنا في مصر وقال انهم بدأوا بالتأييد ثم المعارضة ٠٠ ولكن بشرف ٠٠ ومع انقلاب الأزهري على السياسة المصرية بدأنا نفـكر في (الحزب الشيوعي السوداني) وكانت انطباعاتنا عنه أنه (حزب حقيقي وجاد وغير ملوث) واتصلنا ببعض قادة الحزب وعرضنا عليهم بالطريقة المصرية مســاعدات في حدود العمل الوطني مثل الصرف على المؤتمرات واقامة السرادقات ، ولكنهم رفضوا بشدة ٠٠

وعلق صلاح سالم قائلا (وهذه شهادة لهم) ٠٠ وقد علمنا انه قد بدأت خلال هذه الفترة قضية المعارضـــة أو التأييد لموقف مصر تدخـل مرحلة مناقشات ساخنة في قيادة الحزب ، وهي مرتبطة بقضية الاستفتاء للاستقلال ٠

وواصل صلاح سالم حديثه قائلا أن تيـــار التأييد يشكل أقلية ، والمعارضة أغلبية ثم قال انه لو تحول الموقف داخل قيـادة الحزب فان مسألة السودان تخرج من دائرة اليأس ٠

كان صلاح سالم يتحدث عن الموقف بيأس ومرارة شديدة ٠

ثم قال عند هذه النقطة ان بعض الأصدقاء قد أشـــاروا عليه بأن المدخل الى قلب الحزب الشيوعي السوداني هم الشيوعيون المصريون ولذا فقد استأذنت مجلس قيادة الثورة في الاتصال بكم ، وتقرر الافراج المؤقت عنكم على أساس هذا الشرح الطويل لسياسة الثورة المصرية عامة وبالنسبة للسودان خاصة ٠

ثم ختم حديثه بقوله (اذا اقتنعتم على أساس من الثقة تســـافرون الى السودان للقيام بمهمة اقناع قيادة الحزب بتأييد القاهرة وخط الاتحاد مع مصر ٠٠ واذا لم تقتنعوا لا تسافرون ٠٠) وفي الحالتين فان قضية الافراج الدائم عنا قضية لم تناقش ٠

وأحضر لنا صلاح سالم ساندوتشات تناولناها على مائدة في مكتبه واتفقنا على أن الموضوع يحتاج الى أمرين ٠٠ أولهما الاستيثاق من حديث صلاح سالم ٠٠ وثانيهما الاتصال ٠

وهذا يقتضي الخروج لفترة محدودة مدتها اسبوع ٠٠ وكانت قد تمت في هذا الوقت وحدة بين حدتو ـ نحشم (نحو حزب شــــيوعي

مصرى) – جات (جبهة اشتراكية تقدمية) فى حزب شيوعى موحد ·

اقترح صلاح سالم وضعنا فى مكان أمين نقوم فيه باتصالات مع عناصر مؤتمنة ·· ورفضنا ذلك العرض ، فوافق صلاح سالم بعد الاتصال بزكريا محيى الدين على أساس العودة الى مكتبه بعد اسبوع ·

فوجئنا بأن كمال عبد الحليم ينتظرنا فى مقهى بميدان الأزهر وكان فى ذلك الوقت منشقا على قيادة الحزب الموحد (شهدى عطية الشافعى وعبد المنعم شتلا ومحمود أمين العالم) ·

لم يكن لى سكن خاص فنمت عند يوسف ادريس ولكننا لم ننم لأن يوسف كان متصورا انها مؤامرة غامضة ·

وفى نفس الوقت تم اجتماع حضره كمال عبد الحليم وابراهيم عبد الحليم وحسن فؤاد وعبد الرحمن الشرقاوى ويوسف ادريس وأنا ، وأخذ حسن يشرح تفصيلا تطور موقف ثورة يوليو من قضية التحرر الوطنى وباندونج ، وبداية ظهور تحول فى موقف بعض الأحزاب الشيوعية العالمية من ثورة مصر ·

واتفق الرأى على أنه سواء من جهة قيادة الحزب الشيوعى الموحد أو مجموعة كمال عبد الحليم فانه لابد من العودة الى خط تأييد الثورة ، ونقل هذا الموقف الجديد الى قيادة الحزب الشيوعى السودانى ليصلوا الى رأى خاص بهم فى قضية الاتحاد مع مصر ·

وفى اليوم الخامس من المقابلة نشرت الصحف نبأ استقالة الصاغ صلاح سالم ·

اتصلنا بأحمد عباس صالح وسامى الليثى فقالا ان صلاح سالم فى المنزل وان اتصالاتهم به قد قطعت ·

مارسنا بعد ذلك حياتنا العادية ولم يتصل بنا أحد بشأن العودة للمعتقل ولا بشأن قضية السودان ·

الاسم : **فؤاد المهداوى**

تاريخ الميلاد : **٤ مارس ١٩٢٧**

مهنة الوالد : **عقيد فى سلاح الحدود ومحافظ الصحراء الغربية بالنيابة**

الأمـــــلاك : **منزل فى مرسى مطروح**

متخرج فى : **الكلية الحربية عام ١٩٥٠ (فبراير)**

الرتبة وقت حركة الجيش : **ملازم أول**

آخر وظيفة : **محافظ الصحراء الغربية**

العمل الآن : **المعاش**

س ١ : ما هو نشــــاطك السياسى قبل حركة الجيش ؟

ج ١ لم يكن لى نشـــــاط سياسى خارج الجيش ولكنى ارتبـطت بالضباط الأحرار وأنا فى رتبة الملازم بالعريش وكان مسئولى عبد القادر مهنا فى اللواء الأول مشاة الذى كان ضمن ضباطه كمال رفعت وابراهيم بغدادى وحسن عبد النبى ٠٠ والواقع أنه لم تكن لى أفكار أو اهتمامات سياسية جادة ٠

وقد نقل اللواء للاسكندرية عام ١٩٥١ ثم الى هاكستيب فى مايو ١٩٥٢ ، وفى ذلك الوقت نقل كمال رفعت الى الكلية الحربية وابراهيم بغدادى الى البحرية ٠

س ٢ : ما هو دورك ليلة الحركة وبعدها؟

ج ٢ : عندما تحدد موعد الحركة فجأة أبلغنا به المرحـوم الصاغ عبد القادر مهنا وجمعنا فى المعسكر ، وعندما علمنا بموقف المقـــاومة الذى اتخذه ضـــابط عظيم معسكر هاكستيب فى هـذه الليلة الصاغ المعتز بالله طلب منى عبد القادر أن أضربه بقنبلة يدوية ولكنى رفضت ، وفضلت أن نعتقله وقد تم ذلك فعلا ، واعتقلنا أيضـا البكباشى أنـور

القاضى أركان حرب عمليات اللواء الأول مشاة (الفريق أنور القـــاضى فيما بعد) .

سيطرنا على المعسكر بعد ذلك .. وكانت مقدمة كتيبة مدافع الماكينة بقيادة يوسف صديق قد خرجت لتنفيذ الخطة ، وكذلك قوات المدفعية .

وقد نقلت بعد ذلك فى سبتمبر ١٩٥٢ الى رئاسة اللواء الخامس مشاة فى الاسكندرية .

أذكر أننى كنت فى مرسى مطروح بعد نجاح الحركة (مدعيـــا المرض) عندما لجأ حسين سرى عامر الى منزل الاميرالاى سيد فرج محافظ مطروح وصدرت الأوامر لقائد القوات العسكرية باعتقال حسين سرى عامر فقرر مهاجمة منزل المحافظ وحدث خلاف بين الضـباط حول التنفيذ استغله حسين سرى عامر فى الهرب من النافذة الخلفية حيث حاول اللجوء الى ليبيا ولكن الملك ادريس السنوسى رفض ذلك ، وتمكنت قوات الحدود من اعتقاله وارساله مخفورا الى القاهرة .

وبعد ذلك نقلت الى سلاح الحدود تنفيذا لأوامر زكريا محيى الدين ولكنى وجدت أنور القاضى أركان حرب سلاح الحدود فنقلنى الى شرم الشيخ قائدا لقوات خليج العقبة وبقيت هناك الى أن حضر المشير عامر فى رحلة على اليخت (فخر البحار) وكنت قد تعرفت عليه هو وصلاح سالم أثناء اجتماعات الضباط الأحرار فى العريش ، فأخذنى معه فى اليخت حيث أصدر أمرا بتعيينى فى اللواء الخامس المشاة ، ومنه الى الكتيبة ١١٦ مشاة (الجيش المرابط) حيث كانت الوحدة التى أبعد اليها عدد من الضباط الذين عارضوا اتجاهات مجلس الثورة فى محاربة الديموقراطية ومنهم أحمد حمروش ومحب السمرة قنصلنا العـام فى لندن ، وذلك للتعرف على نوعية النشاط الموجود بالوحدة .

وفى عام ١٩٥٦ نقلت الى المنطقة الشمالية ومنها للعمل كضـابط مخابرات فى مطروح وعلى اتصال مباشر بمكتب المشير .

وفى عام ١٩٥٧ طلبوا منى الخروج من الجيش والترشيح لمجلس الأمة فى مطروح الى جانب فتحى رزق فى سيناء وأنور سلامة فى البحر الأحمر ومحمد أبو نار فى الـــوادى الجديد .. وعملت بعد نجاحى فى سكرتارية الاتحاد القومى مع أنور السادات فى مجلس قيادة الثورة مع كل من حمدى عاشور وقونى بدوى ومحمد أبو نار ، ثم نقلت الى الاسكندرية للعمل مع الليثى عبد الناصر سكرتير الاتحاد القومى بالمدينة وظلت علاقتى معه طيبة .

وعندما أنهت الوحدة عمل مجلس الأمة عينت مديرا لمشتريات شركة

الغزل الأهلية وعضوا فى مجلس ادارة تعمير الصحارى حيث بقيت الى أن عينت محافظا لمرسى مطروح فى نوفمبر ١٩٦١ ٠

س ٣ : معروف أن علاقتك كانت طيبة بالمشير عامر والصاغ شمس بدران ٠٠ ما هى معلوماتك عن علاقة الاثنين بالرئيس جمال عبد الناصر ؟

ج ٣ : فوجئت عام ١٩٦٢ بعد الانفصال بحضور المشير وحده الى مرسى مطروح وأبلغنى انه قد كتب استقالة من مناصبه وحذرنى من ابلاغ أى شخص عن مكان وجوده ، ولكن بدأت المكالمات تنهال علي من القاهرة صلاح نصر وعباس رضوان وشمس بدران يطلبون المشير الذى حاول عدم الاتصال بهم أولا ، ثم حضروا اليه وأقنعوه بالنزول بعد ثلاثة أيام ٠

وكانت هذه هى بداية معرفتى بأن هناك خلافات بين المشير والرئيس جمال عبد الناصر ، وكان شمس بدران يلعب دور مخفف الصدمة فقد كان موضع ثقة الاثنين ٠

وقد كان لشمس بدران شخصية مستقلة تتميز بالبعد عن انزلاقات بعض أعضاء مكتب المشير ، وهو الذى قدم قضية بعض أعضاء مكتب المشير (صاغ عبد المنعم أبو زيد) للتحقيق بعد ثبوت ارتكابهم لعدد من الانحرافات وقد أخذ موافقة المشير على ذلك ، وانتهى الأمر بخروج علي شفيق صفوت ٠

ولم يكن المشير يصرح بطبيعة خلافاته مع عبد الناصر وان كان الانسان المراقب يستطيع أن يلحظ الابتعاد النسبى فى علاقتهما وخاصة بعد أن تزوج المشير برلنتى عبد الحميد ٠

وعندما حدثت هزيمة يونيو ١٩٦٧ تم الاتفاق بين الرئيس والمشير على التنحى وترشيح شمس بدران لرئاسة الجمهورية ، ولكن شمس رفض قائلا اننا مسئولون مسئولية تضامنية عن النكسة ٠

وقد فوجىء شمس بجمال عبد الناصر يتصل به يوم ١٠ يونيو ويبلغه بقبوله العودة عن التنحى وانه سيرسل الى مجلس الأمة خطابا بذلك وأذكر أن شمس بدران قد قال لى انه رد عليه قائلا « يادى الداهية » ٠

وفى يوم ١٠ يونية توجه الضباط للمشير عامر طالبين عودته أيضا وذهابه الى مكتبه فى اليوم التالى مباشرة ، وقد وافقهم المشير على ذلك (ووزعوا الشربات) ٠

ولكن فى يوم ١١ يونيو ذهب شمس الى منزل حماته ولم يذهب المشير الى مكتبه ورشح الاثنان محمد فوزى قائدا عاما ٠

وقد أصر الاثنان على الاستقالة حسب قولهما (لأن البلد خربت ولا يمكن حتنحل الأزمة) ، وقد حاول شمس بدران اقناع المشير بالذهاب الى بلده (اسطال) فى المنيا تجنبا لجو النفاق والمجاملات الذى أحاط به الضباط المشير عامر ٠

ولكن المشير لم يبق هناك طويلا وتطورت الأمور الى حد التفكير فى وضع خطة بعد ذلك فى أغسطس لاعادة المشير الى موقع المسئولية مرة أخرى ، وكانت النتيجة هى اعتقال طنطاوى حرس المشـــير فى منزل عبد الناصر يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٧ وابلاغ عبد الناصر للمشير بأنه قد تم اعتقال جميع الضباط الموجودين فى منزله فى نفس الوقت بعد أن ذهب اليهم عباس رضوان موفدا من عبد الناصر طالبا منهم التسليم ، فسلموا فعــلا ٠

وفى يوم ٢٩ أغسطس أبلغنى على صبرى باحالتى الى المعاش ثم اعتقلت بعد ذلك لمدة عام ونصف دون محاكمة الى أن أفرج عنى بعد ذلك ٠

فؤاد حبشى

خريج مدرسة ميكانيكا الطيران

س ١ : ما هى حقيقة الحركة السياسية المبكرة التى ظهرت فى صفوف ميكانيكية سلاح الطيران قبل الثورة ؟

ج ١ : دخلنا مدرسة ميكانيكية الطيران عام ١٩٣٧ عندما كان مديرها بريطانيا من سلاح الطيران الانجليزى .

كان عدد الدفعة ٩٠ شخصا من حملة البكالوريا أو الكفاءة أو الفنون والصنايع .

بدأت المطالبة بافساح مجال الترقى لضباط الصف ليصبحوا ضباطا طيارين ... فجعلوا مدة دراسة الدفعة الخامسة خمس سنوات ... ولكن الطيارين القدامى عارضوا ذلك .

وهنا تولدت ثلاثة تيارات مضادة ... الأول مع السراى والألمان .. والثانى مع الاخوان المسلمين ... والثالث مع الشيوعيين .

وتبلورت الأمور حول مطالب اقتصادية لخريجى مدرسة ميكانيكا الطيران تتلخص فى المطالبة بمساواتهم مع نظام الخمس سنوات (الدفعة الخامسة) وكذلك تغيير الملابس ... وقد نوقشت هذه المطالب واستقر الرأى عليها بوساطة الماركسيين المنضمين الى الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى ذلك الوقت وكنت واحدا منهم .

نتج عن ذلك تكوين تنظيم على أساس كل سرب وحده لشرح البرنامج ... وقد تابعت المخابرات البريطانية ذلك .

وقد اتصل الاخوان المسلمون خلال هذه المرحلة بعبد اللطيف البغدادى ووجيه أباظة وحسن ابراهيم ومحمد سعودى .

وتكون التنظيم السرى من ٤٢ شخصا يمثل كل سرب أو قسم اثنان ، وتشكلت لجنة تنفيذية مسئولة من ١١ فردا كنت أول رئيس لها وأثناء ذلك توطدت العلاقة مع الشيوعيين .

بدأنا فى توسيع نشاطنا بالاتصال بميكانيكية سلاح الصيانة والطيران المدنى والكتبة العسكريين والموسيقيين ٠

ونتج عن نشاطنا تحقيق مطالبنا (اللبس والمساواة بالدفعة الخامسة) فارتفعت المعنويات وتوثق الاتصال فيما بيننا وبين سلاح الصيانة ٠

ووصلت الأمور الى حد تحرك ٦٠٠٠ خريج وطالب ميكانيكى فى سلاح الصيانة متجهين الى قصر عابدين ، ولكن قادتهم وعدوهم بتحقيق مطالبهم فانصرفت المظاهرة ، وبعد ذلك اعتقل بعضهم ، وانتحر واحد منهم ٠

وبعد هزيمة الألمان بدأ الضباط الذين كانت تبهرهم النازية ومظاهر هتلر العسكرية يبحثون عن اتجاه جديد ٠

اتصل بنا فى ذلك الوقت حسن ابراهيم وتساءل هل نسير مقتنعين بكتاب (كفاحى) لهتلر أو (البيان الشيوعى) لكارل ماركس ؟

وكان الانجليز فى ذلك الوقت قد اعتقلوا الصول رضوان سالم الذى هرب الخرائط للألمان بعد وقوع طائرة سعودى وعينه الألمان حاكما لسيوة حتى اعتقله البريطانيون وحوكم وصدر ضده حكم بالسجن ١٥ عاما ٠

ثم تناطحنا مع الادارة عندما طلبت منا (فرش متاع) ورفضنا باعتبار أن ذلك للجنود فقط ، وقد أصدرت تعليمات بصفتى رئيسا للجنة التنفيذية برفض تنفيذ هذا الطلب ، ونجحنا فى تأجيل ذلك ثلاثة شهور ، حتى أصدر قائد السلاح (شعراوى باشا) أمره بذلك ٠

ثم دخلنا معركة ثالثة حددت الأمور بشكل أوسع وكانت حول حرب فلسطين ٠

عقد شعراوى باشا اجتماعا تمهيديا لدخول حرب فلسطين مع الميكانيكية ٠

وتساءلنا (هل المناقشة حرة ؟) ٠

وأجاب شعراوى باشا (نعم) ٠

وقلنا ان سلاح الطيران المصرى تحت يد الانجليز فلا يمكن أن تكون لنا حرية الحركة ٠٠٠ كما أن الصهيونيين يتحركون بمعرفة الانجليز ٠

ورفعت الصالة كلها أيديها موافقة على عدم الحرب ٠٠٠ وتحدث شعراوى مهددا ومطالبا الموافقين على الحرب بالوقوف فوقفت أقلية ٠

صدرت أوامر بعد ذلك بنقل ٢٥ منا لواحة سيوة والواحات الأخرى فى أول مارس ١٩٤٨ حيث بقوا هناك حتى ٢٥ مايو ١٩٤٩ وبعدها فصلوا واعتقلوا .

وقد حاول النحاس باشا ارجاعنا للسلاح بعد الافراج عنا ولكن الملك رفض ذلك .

ومما يذكر أنه بعد اعتقالنا عقد شعراوى باشـــا اجتماعا ثانيـــا للميكانيكية قال لهم فيه (اننا قد تحررنا من الشيوعيين ، وان فؤاد حبشى كان يدعو عبد اللطيف البغدادى صراحة للشيوعية) .

تم كذلك أول اعتقـــال فى الجيش بتهمـــةالشـــيوعية لسبعة من الميكانيكيين و ١٥ مدنيا واحتجزوا لمدة تتراوح من ١٨ يوما الى شهر وحقق معهم بتهمة قلب نظام الحكم وتأليب طبقة على أخرى ... ثم حفظ التحقيق وأفرج عنهم .

وكانت حركة ميكانيكية الطيران قد انضمت الى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) قسم الجيش وذلك بعد توحيد الحركة المصرية للتحرر الوطنى واسكرا وذلك حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو .

فتحى رضوان

س ۱ : كيف بدأت صلتك بحركة الجيش المصرى ؟

ج ۱ : فى صباح يوم ۲۳ يوليو ١٩٥٢ ، كنت فى معتقل الهاكستب ، وكنت قد نجحت فى تهريب جهاز راديو سمعت فيه البيان المنسوب الى لواء فى الجيش اسمه اللواء محمد نجيب وخرجت لأنقل لزملائى فى المعتقل هذا الذى سمعته ، فاذا المعتقل كله فى حالة اضطراب عصبى ، فبعض العاملين فى المعتقل من المدنيين والعسكريين ، كانوا قد وصلوا اليه ، وحملوا معهم أنباء ما حدث ، فأصبح المعتقلون فى حالة من الحيرة مبعثها أنهم أحسوا أن السـلطة التى قبضت عليهم ، واعتقلتهم ، قد زالت ، فأصبح لا مبرر لبقائهم فى المعتقل ، فى حين أن الأسوار بقيت هى هى ، والحراس مدججون بالسلاح وواقفون على أهبـة الاستعداد : ليردوا أى معتقل تسول له نفسه فكرة الهرب ۰ ولما توالت الأنباء ، مؤيدة حصول الثورة وخروج الدبابات فى الشـوارع ، واحاطتها بقصر عابدين ثم بالاذاعة ، ثم بالأماكن ذات الأهمية فى نواح عديدة من العاصمة ، وان الجماهير تلتف حولها ، وتهتف لهـا ، وان رئيس الثورة ، يخرج فى الشوارع ، فيهتف له الناس ، ويدورون فى أعقاب سيارته ، فيلوح لهم بقبعته ضاحكا ، نسوا حالتهم الخاصة فى هذا الفرح العام ، وأدركوا ان الافراج عنهم ليس سوى مسألة ساعات ، ولما هدأت الأمور فى المعتقل بعـد ضجة النصف الأول من النهار ، أحس المعتقلون بألم شديد ، اذ انتابهم شعور الخوف من أن ينسوا وسط هذه الأفراح ، وان الانتباه اليهم ، قد يستغرق وقتا طويلا ۰۰ وانقضى يوما ٢٤ ، ٢٥ يولية ، على نفس المنوال ، وكان الثانى منهما يوم جمعة ، وهو بطبيعته يوم لا عمل فيه ، فيزداد الهدوء فيه ثقلا على نزلائه فى الظروف العادية ، فما بالك فى هذا الظرف الذى اضطربت ، بل اضطرمت فيه مصر كلها ، بل البلاد العربية ، بل العالم بأسره ۰ ولم يطل الانتظار ، انتظارى أنا على الأقل ، ففى لحظة القيلولة ، فى النصف الثانى من شهر يوليو فى مصر ، تطيب فيه الاغفاءة ، وقد حاولت فعلا أن أغفو قليلا ، فى الزنزانة المخصصة لى ، فعقد النوم جفنى لدقائق ، وفيما أنا أوشك أن أستغرق فى النوم ، سمعت صوت أقدام تتدافع على باب حجرتى ، أو زنزانتى ، والباب يفتح بشدة والنقيب

مصطفى كمال العياط ، ضابط المعتقل صاحب النوبة ، تكاد تطفر من وجهه علامات السرور ، ويعلن فى صوت يتخلله اضطراب السرور : أن المعتقل تلقى اشارة تليفونيةمن صاحب المقام الرفيع ، على ماهر باشـا رئيس الوزراء ، يأمر بالافراج عنى فورا ، مع اخطارى بأن رفعته قد حدد موعدا لمقابلتى ، غدا السبت فى الساعة السادسة بعد الظهر · ولست أستطيع أن أصف لك ، كيف كان وقع هذا النبأ ، فى هذا المعتقل النائى ، الواقع فى قلب الصحراء ، وراء حواجز وأسلاك شائكة ، وحرس شاكى السلاح · فهتف المعتقلون لى وللحـرية ، وقبلونى وعانقونى ، وشـــدوا على يدى مصافحين ، وقدموا لى التهنئة ، وخطبوا لى ، كأنى فعلت شيئا ، ولم آكن غافلا عن حوافزهم النبيلة ، فقد كنت لديهم فى هـذه اللحظة ، عنوان الحرية ، لأن خروجى من المعتقل بعد شهور طويلة ،هو ايذان بفتح أبوابه لهم جميعا ، ثم غلقه للأبد ··· وقبل أن أتمتع بسعادة هذا الخبر ، فوجئت بالشطر الثانى من اشارة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء وأدركت منها ، أنى خارج للعمل ، وأنه ليس من حقى أن أستمتع بأجازة · وحينما فهمت أن طائرة ـ لا يهم أن تكون عسكرية أو مدنية ـ فى انتظارى لأسافر فورا الى الاسكندرية ، رفضت رفضا باتا ، فقد أصررت على أن أذهب الى بيتى أولا ، وقد تم هذا وقضيت فى بيتى حوالى ساعتين أو ثلاث ثم سافرت فى طائرة شركة مصر للطيران المدنية التى أقلعت من مطار الماظة الساعة السادسة مساء · وخلوت الى نفسى ساعة ، أفكر فيها فيما جرى ، وفيما يمكن أن يجرى ، بعد هذه الرحلة القصيرة ·

ولما وصلت الى بولكلى ، قصر الوزارة الصيفى فى مدينة الاسكندرية تبينت شيئا جديدا غريبا ، فقد اتضح لى اننى لم آكن مطلوبا لذاتى ، وان رئيس الوزراء ، لم يكن متلهفا على مقابلتى لا تكريما لى ، ولا لرغبـة عنده فى اشراكى فى الحكومة ، كما تبادر الى ذهن بعض زملائى فى المعتقل ، وبعض من زارنى فى دارى عقب ذيوع الافراج عنى ، بل كان متلهفـــا للاطمئنان على مستقبله · فقد قابلت فى مقر الوزارة ، المرحوم الأستاذ سليمان حافظ ، وكيل مجلس الدولة آنذاك ، وكان صديقا كبيرا لى ، فانتحى بى جانبا وأفضى الى بأن على ماهر باشا قلق لأنه بعد أن اتفق مع اللواء محمد نجيب على كل شىء فى القاهرة ، وبعد أن أعلمه بانه مسافر الى الاسكندرية ليومين لمقابلة الملك يعود بعدهما الى القاهرة يوم السبت وهو اليوم الذى دار فيه الحديث بينى وبين سليمان حافظ ، أدهشه أن كتائب من الجيش زحفت الى الاسكندرية ثم حلقت الطائرات فى سمائها ، ولا معنى لهذا كله الا أن شيئا ما قد حدث بعد لقاء رئيس الوزراء باللواء محمد نجيب ولذلك ، فهو فى حاجة الى من يخرجه من هذا الظلام ، فورد على خاطر المرحوم سليمان حافظ ، فجأة فكرة أن يفرج عنى من المعتقل وأن

استدعى على عجل للاسكندرية ليفضي الى رئيس الوزراء بهواجسه ولأقوم بدورى بالاتصال بالضباط قادة الحركة ، الذين قام فى وهم سليمان حافظ انى صديق حميم لهم ، فأفهم منهم مراميهم من الزحف على الاسكندرية ، فأفهمت سليمان حافظ فى الحال ، انه لا صلة بهؤلاء الضباط ، وأنى لا أعرف منهم الا أنور السادات ، أما الباقون فلا أعرفهم ، بل لا أعرف أسماءهم • فابتهج سليمان حافظ لوجود علاقة بينى وبين أحد الضباط الثوار ، وتذكر انى كنت محاميه ، فنفيت فى الفور أنى كنت محاميه ، فقد طلب منى ذلك وبالحاح عن طريق شقيقه طلعت ، ولكنى اعتذرت عن ذلك لمانع قانونى ولكنى ترافعت عنه عرضا اذ ترافعت عن ستة من زملائه ، مرافعة هاجمت فيها الاتهام ، وانه قامت بينى وبينه (بين أنور السادات) علاقة فقد زارنى فى مكتبى للمحاماة أكثر من مرة ، فقال هذا يكفى ، وبعد قليل وصل رئيس الوزراء الى مكتبه فى ضاحية بولكلى • ودعيت لمقابلته ، فأحسن استقبالى ، وأظهر أسفه لأنه لم يسمع انى معتقل منذ كان رئيسا للوزارة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، عقب حريق القاهرة ، وكان هذا الاعتذار ، تلطفا منه ، ولكنه كان لا يمثل الحقيقة فى كثير أو قليل ، اذ أننى كنت قد نجحت فى استصدار حكمين من مجلس الدولة بالافراج عنى ، والمفروض ان هذين الحكمين صدرا ضده هو بوصفه رئيسا للوزارة ، وكان يتعين عليه تنفيذهما ، وقد قبلت منه هذا الاعتذار اذ لم يكن ثمة مجال للعتاب ، ونحن نعيش هذه الظروف السعيدة والشاذة معا ، وروى لى رئيس الوزراء ، ما سبق أن قاله لى سليمان حافظ وأضاف اليه أن جميع شروط الثورة قد قبلت ، وأن الملك لم يتلكأ فى قبول شيء منها الا فى ابعاد « بوللى » باعتباره خادما من خدمه ، وانه لا شأن له بالسياسة ، ولذلك فانه لا يوجد أى مبرر لهذا التطور الضخم • وأنهى حديثه بقوله : على كل حال الجنرال نجيب قادم لمقابلتى بعد قليل ، وسأرى معه ماذا يمكن أن يعنى هـذا التطور ، وخرجت من مكتب رئيس الوزراء ، وبعد ذلك بفترة قصيرة ، جاء اللواء نجيب ، والجماهير تعدو خلف سيارته ـ كانت سيارة جيب على ما أعتقد ـ وكان فى صحبته أنور السادات ، وبعد أن انتهت الزيارة ، تقدمت الى تحية اللواء محمد نجيب والبكباشى أنور السادات ، وطلبت من أنور موعدا فأخبرنى أن ذلك غير ممكن الليلة وأنه قد يكون ممكنـا ظهر الغد • ولما انصرفا ، التقيت بسليمان ، فأنهيت اليه ، أن أنـور السادات اعتذر عن تحديد موعد لى الليلة ، وأننا سنحاول تحديد الموعد غدا (٢٦ أغسطس ١٩٥٢) ، وفهمت منه بدوره أن الحديث الذى دار بين رئيس الوزراء ورئيس الثورة ، تناول تعديل بعض مواد فى قانون من قوانين الجيش ، وأذكر الآن أن هذه المواد تتعلق بلجنة الترقيات ، وأنه ذاهب لتوه الى ثكنات مصطفى كامل ليتحدث مع الضباط فى هـذه المواد ويعرف ماذا يريدون بالضبط ، وان ذلك سيتيح له فرصة التعرف

عليهم ، والوقوف على ما يدور في رءوسهم ، انصرفنا على أن أعيد الاتصال به تليفونيا في داره بالاسكندرية في نحو العاشرة مساء ٠ وقد اتصلت به فعلا في تلك الساعة ففاجأني ، بما كنت قد بدأت أتحسس وجوده في الجو ، اذ قال بصوته الهادىء على عادته : لا تعديل ولا قانون وستعرف كل شيء غدا صباحا ٠٠ تصبح على خير ، وبت الليلة بين النائم واليقظان ، حتى كانت الساعة السابعة ، سمعت بعض طلقات مدافع تأتي من بعيد ، فارتديت ثيابي على عجل ، ونزلت مسرعا الى مقر الوزارة في بولكلي ، وهناك استقبلني المرحوم الأستاذ محمد ماهر ، وهو ابن عم رئيس الوزارة ، فانهى الى أن قصرى المنتزه ، ورأس التين محاصران بالدبابات والسيارات المصفحة ، وبعض فصائل الجيش التي يحمل أفرادها البنادق والرشاشات ، وان الملك خرج في الليل من قصر المنتزه الى قصر رأس التين ، ومعه زوجته وولي العهد وباقي أسرته ، وان الملك مذعور في رأس التين ، اذ يخشى أن يكون في نية الجيش اقتحام القصر ، والقاء القبض عليه ، وربما قتله ، وأنه اتصل مرارا برئيس الوزراء ، في فندق سان استيفانو ، مستغيثا ، ومستنجدا ، وان رئيس الوزراء ، طمأنه ، وأنه يلبس ثيابه وقادم لتوه ، وفي مرة كاد رئيس الوزراء ينكفىء على وجهه ، وهو يضع ساقه في (بنطلونه) اذ رن التليفون في مكالمات متتابعة لم تدع له فرصة يرتدي بذلته وكان الملك ، في كل مرة هو المتكلم ٠ وأن رئيس الوزراء طمأنه بكل وسيلة ممكنة ، كما أن الملك اتصل بكل من سفير الولايات المتحدة وسفير بريطانيا ، وان كلا منهما أكد له ان قادة الثورة ، أعطوا وعدا صريحا بأن حياة الملك لن تمس ٠ فيما نحن نتكلم على هذه الصورة دخل مستشار سفارة الولايات المتحدة (مباركس) وقد كنت التقيت به قبل الثورة في منزل السيدة درية شفيق وعلى مائدة طعام ضمتني معه ومع زوج السيدة الدكتور نور الدين رجائي ، وكان ســـباركس بادي الاضطراب ، يكاد يلهث ، وهو يقول ان الملك خائف على حيـــاتي وان الســـفارة الأمريكية خائفة كذلك ، وفي هذه اللحظة دخل اللواء محمد نجيب ، فاتجه اليه ، مستشار الســـفارة الأمريكية ، وهو لا يكاد يجد ما يقوله فقال له اللواء محمد نجيب في هدوء تام لا تنزعج ثم دخل اللواء محمد نجيب مكتب رئيس الوزراء وبعد فترة غير طويلة خرج ، وقد عرفت من سليمان حافظ ، ان قائد الثورة ، طلب غلق باب المكتب ومنع دخول أي انسان وتم ذلك ، فقال الرئيس نجيب : ان الثورة قررت عزل الملك ، وانه عليه (أي على الملك) ان يغادر البلاد قبل الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم (٢٦ يولية) وأنه يجب اعداد اقرار بالنزول عن العرش ، لعرضه على الملك وتوقيعه قبل الساعة الثانية من ذلك اليوم ، فامتقع وجه رئيس الوزراء امتقاعا شديدا ، ثم ما لبث ان استعاد رباطة جاشه فقال : انه لم يكن في حياته قط من الفارين من الخدمة الوطنية ثم أضاف اني

لا أحس بأى أسف لقيامى بهذه المهمة الثقيلة مهمة ابلاغ الملك بهذا القرار ، وأنا الذى أعلنت ولايته للعرش عقب وفاة أبيه ، واتخذت كثيرا من الاجراءات لتقصير مدة الوصاية عليه اذ لم يكن قد بلغ سن الرشد ، وحاولت ان أجنبه الزلل وأن أبعد به عن بطانه السوء فلم ينتصح ، ولم يرتدع ، وكافأنى على حرصى على مصلحته أن أبعدنى عنه ، سأل على ماهر سليمان حافظ ، هل فيكم مثل عبد الحميد بدوى ـ وعبد الحميد بدوى باشا كان رئيس ادارة قضايا الحكومة فى عهد الملك قبل تعيينه قاضيا بمحكمة العدل الدولية وكان يعد واحدا من أقدر رجال القانون العام (الادارى والدستورى) فى مصر والبلاد العربية وربما أوروبا ـ فرد سليمان حافظ بأن الدكتور السنهورى لا يقل عنه وربما يبذه ـ وكان السنهورى باشا هو رئيس مجلس الدولة وذكر اسم وحيد رأفت مستشار وزارة الخارجية فقيل عنه ، أنه قارىء كتب ، ولكن الخبرة والكفاءة والرصانة تنقصه • فعدل عن اشراكه فى هذه المهمة •

ووضع السنهورى وسليمان حافظ اقرار الملك بالنزول عن العرش لولى عهده أحمد فؤاد الثانى ، وقد أصر جمال سالم على أن يتضمن هذا الاقرار ، ان نزول الملك عن عرشه تم بناء على رغبة الشعب . وقد حمل سليمان حافظ هذا الاقرار بعد اعداده وتبييضه تحت ابطه ، وكان يلبس آنذاك بدلة بيضاء وبنطلونا رماديا ، وحذاء أبيض بنعل من كاوتشوك (الكريب) السميك ولم يفكر سليمان حافظ فى ان يغير ثيابه بارتداء بدلة داكنة ـ ومضى الى قصر رأس التين ، وجاس خلاله ، وهو ملىء بحرس الملك المدججين بالسلاح ، دون ان يلقى باله للمخاطر الناجمة عن هذا الاقتحام وهو أعزل من السلاح ، ولا الى أن رصاصة طائشة من أحد خدم الملك أو موظفيه أو ذوى قرباه يمكن ان يندفع باطلاقها عليه •

وقد وقع الملك مرتين على أعلى الاقرار أو المرسوم فالأولى لم تكن مضبوطة وقد اعتذر عن ذلك لاضطرابه وقال لسليمان حافظ : أظننى معذورا • ثم أعاد التوقيع وأراد أن يعدل فى عبارة المرسوم باضافة عابرة معناها ان النزول عن العرش كان بناء على رغبته أيضا فاعتذر سليمان حافظ ، بأن صيغة هذا المرسوم استنفدت وقتا طويلا وانه ليس من الممكن ادخال أى تعديل عليها •

وفى نفس اليوم عدت بطائرة مدنية الى القاهرة فسمعت وأنا فى مطار النزهة ، فى اذاعة خاصة ان الملك غادر البلاد •

وبعد عودتى الى القاهرة سافرت مع أسرتى الى مصيف رأس البر ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى اصطاف فيها فى رأس البر وبعد ١٥ يوما عدت الى القاهرة وكنا فى اخريات شهر أغسطس ، فذهبت فى

المساء الى نادى مصر الجديدة ، وعند خروجى منه قابلنى شاب فى طريقه الى النادى فحيانى ، فرددت عليه التحية ، وهممت بالمضى فى طريقى وعددتها تحية عابرة ، فاذا الشاب يستوقفنى ويسألنى لماذا لم يرونى ؟ فاربكنى هذا السؤال تماما اذ خيل الى أن السائل هو شخص لى صلة بعيدة به ، وانى قد نسيته فاردت أن أجيبه اجابة لا يتضح منها اننى لا أعرفه ، ولكن بعد سؤالين مماثلين أفهمنى أنه ضابط من ضباط الثورة ، وأنه يسألنى لماذا لم يرونى ، يقصد لماذا لم يرونى فى مقر قيادة الثورة بكوبرى القبة ـ وانتهى الحديث بيننا ـ بعد أن أفهمته انى لم أجد ما يدعونى الى التردد على مقر القيادة على عكس المئات أو الآلاف من المشتغلين بالسياسة ، فاقترح أن يحدد لى موعدا مع أحد أعضاء القيادة وسألنى من أحب أن أقابل ، فقلت له : أنى لا أعرف الا أنور السادات فقال لى : رئيس اللجنة السياسية هو البكباشى جمال عبد الناصر وسأحدد لك معه موعدا ٠ وبعد ان انقطع عنى يومين حدد لى موعدا مع اثنين من الضباط لم أسمع باسميهما من قبل ٠ أولهما الصاغ عبد الحكيم عامر والثانى قائد الجناح جمال سالم ٠

وقد قابلت أولهما فى يوم جمعة وثانيهما فى مساء يوم السبت التالى ٠

وقد لاحظت ان المرحوم عبد الحكيم عامر قد تأثر تأثرا بالغا ، بكلامى وقد فهمت منه رحمه الله أن أحد أسباب تأثره ، أننى لم أطلب لنفسى شيئا ، ولم أزك نفسى بحرف ، ولم أهاجم أحدا ، وان كنت قد حذرت من استمرار وزارة على ماهر ، باعتبار ان رئيسها ملكى حتى النخاع ، وان أكثر من واحد من وزارته ممن لا يرتفعون عن مستوى الشبهات المعنوية العامة والخاصة ، ثم تحدثت معه عن برنامج وطنى طويل ، يستهدف تغيير اسلوب الحكومة فى الداخل وفى الخارج ٠٠٠ وقد طلب منى عبد الحكيم عامر أن أعيد ذلك على أسماع زملائه فقلت انى لا أستطيع أن أنقله اليهم بدقة ٠٠

أما مقابلتى مع المرحوم جمال سالم فلم تسفر عن أى شىء اذ لم يحسن الاستماع الى ، ولم يبد اهتماما بما قلت بل بدا عليه انه لايريد ان يسمعنى ، ولكن عند انتهاء الحديث أوصلنى الى الباب الخارجى للمبنى ، بعد أن أحسن توديعى تماما ٠

ثم حضرت فى مقر قيادة الثورة فى ظهر أحد الأيام اجتماعا شاملا للقيادة لم يتخلف عنه غير اثنين هما : الرئيس محمد نجيب ، وقائد الجناح جمال سالم ٠

وأعدت الحديث الذى أسمعته للمرحوم عبد الحكيم عامر ، فأحسن الجميع الاصغاء اليه ، وبدا عليهم الاهتمام به ، وخرجت وأنا موقن ان ما اقترحته سينفذ حالا ، وكان من أول ما اقترحته ان يعين سليمان حافظ رئيسا للوزراء لثلاثة أسباب :

الأول : انه وطنى مقاتل ، حارب الانجليز بيده ، وكاد يساق الى المشنقة ·

الثانى : انه مستشار رئيس الحكومة بحكم منصبه فاطلع بذلك على أساليب العمل الحكومى وأسراره ·

الثالث : انه قانونى من الطراز الأول باجماع آراء زملائه ومرءوسيه وتلاميذه ، وقد دعى فعلا سليمان حافظ لرياسة الوزارة ، ولكنه اعتذر ورشح اللواء محمد نجيب ، ولكن قيل لى فيما بعد انه كتب مذكرات قال فيها انه رشح السنهورى ، وان السنهورى كاد يعين رئيسا للوزارة لولا ان اعتراضا ما قام ضده لسبق توقيعه على منشور مجلس السلام العالمى الذى كان يعد كمنظمة شيوعية ·

والحق اننى مندهش لكل هذا الذى ورد فى مذكرات سليمان حافظ ، لأنه حينما لقينى فى يوم ـ مصادفة ـ بديوان ادارة قضايا الحكومة ، استوقفنى وافضى الى أنهم أخذوا باقتراحى وعرضوا عليه فعلا رياسة الوزارة ، وانه اعتذر بحجة ان الوزارة كبر مقامها ، وانه يجب ان يشغلها شخصية معروفة دوليا ، وأنه لم يجد من هو أصلح لهذه الرياسة سوى محمد نجيب ، الذى كان اسمه قد ذاع فى العالم كله ، وقد احتججت على هذا الترشيح من جانب سليمان حافظ ، لا غضا من شأن محمد نجيب، ولكن لأن سابقة رئيس وزراء عسكرى مما لايتفق مع مصلحة البلاد ، وقد انتهى الحديث بيننا ـ سليمان حافظ وأنا ـ على أننى مدعو لمقر القيادة فى الساعة الثانية ظهرا ، اذ انى مرشح للوزارة · ومطلوب منى المشاركة فى ابداء الرأى فيمن يرشح لها ·

ولما وصلت الى كوبرى القبة ، حيث توجد قيادة الثورة ، لم أجد هناك سوى الضباط الشبان ، واللواء محمد نجيب فى مكتب القائد العام ، وسليمان حافظ كان هو المدنى الوحيد ، ولم البث حتى أصبحت المدنى الثانى ، وبدأ يتوافد بعض الذين وقع عليهم الاختيار من جانب الضباط الشبان ، وكان أول من حضر من هؤلاء عبد الجليل العمرى ، وقد قضى أكثر الوقت مع جمال سالم ، وقد فهمت مما دار بينهما ، وكانا يتبادلانه بصوت مسموع ان لعبد الجليل العمرى شروطا كان

يرفضها جمال سالم ، ويصر عليهـــا العمرى ، وقد انتهى الأمر بقبول جمال سالم لها ، وهو يقول عبارة لا أذكرها الآن بالضبط ، وهي تتراوح بين اما قوله انه لايقبل شروطه لاقتناعه بهـــا ، بل حرصا على مشاركته في الوزارة ، أو انه لايحرص على مشاركته في الوزارة بقدر ما يحرص على قبول شروطه ، تدليلا على أنه يقبل آراء الغير ٠٠ ثم تـوالى حضـور المرشحين الآخرين وقد اعتذروا تباعا أذكر منهم حامد سليمان باشـــا وكان مرشـحا لوزارة الأشغال ، وابراهيم بيومى مدكور ومحمـــود محمد محمـــود ومريت غالى ، وكانوا قد دخلوا وزارة على ماهر ، وكان المفروض انهم من الشبان الذين يؤمل فيهم ، كما اعتذر حفنى محمود ٠ وقد رشحت يومذاك كلا من ـ بعد سليمان حافظ ـ صبرى منصـــور ، وحسين أبو زيد ، وأحمد فراج طايع ٠ ثم ألقيت لسليمان حافظ بفكرة ترشيح صديقه فريد انطون ، فلم يبد عليه الموافقة ، ولكن رشحه فيما بعد وقبل ترشيحه ٠ اما الترشيح الوحيد الذى وجدت فيه معارضة ، فهو ترشيحى للشيخ أحمد حسن الباقورى ٠ ذلك لأن جمال عبد الناصر كان يود ترشيح صديقه حسن العشماوى نجل محمد العشماوى والغريب أن جمال عبد الناصر كان حريصا أشـــد الحرص على ان يحصل منى على موافقة ترشيح المرحوم حسن العشماوى ، فافهمته انى لا أعارض فى هذا الترشيح ، وأن الأمر مرده اليه ، ولكنى أرشح الشيخ الباقورى ، لأنه كان من الاخوان المسلمين ، وكان مع شبابه ، معمما ، ولم يكن من المعممين المحافظين ، وان له ان يستبعد ترشيحه ، ولم يكن الباقورى مرشـــحا للاخوان لأن شيوخ الاخوان وعلى رأسهم حسن الهضيبى رشحوا ثلاثة هم : زكى شرف وكيل وزارة العدل ، وكمال الديب محافظ الاســـكندرية ، وأحمد حسنى وكيل محكمة النقض ، وقد اعتذر اليهما حينما حدثه فى ذلك اللواء محمد نجيب تليفونيـــا ، واستبعد ترشيح كمال الديب لأنه لم يكن موجودا فى القاهرة وكان جمال عبد الناصر حريصـــا على أن يتم تأليف الوزارة فى ذلك اليوم (١٩٥٢/٩/٧) وان يحلف الوزراء فى مساء اليوم ذاته ٠ أما أحمد حسنى ، فحينما اتصـــل به ، وافق على الدخول فى الوزارة ، وان كان اعترض على ترشيحه لوزارة المواصـــلات وقد قبل اعتراضه وحل محله فى المواصلات حسين أبو زيد الذى كان مستاء من هذا الترشيح بحكم كونه مستشارا سابقـــا بمجلس الدولة ومحاميا ٠ اما مرشـحا الشـــبان من الاخـــوان المسلمين فكانا حسن العشماوى ومنير دلة ، وكانا صهرين اذ أن ثانيهما زوج أخت أولهما ٠ وقد توفى كلاهما فى مقتبل العمر ، عليهما رحمة الله ٠

وقد حدثت ذلك اليوم مفارقات مضـحكة اذ أن بعض المرشحين ، ظنوا حينما اســـتدعوا أنهم مقبوض عليهم ، ولاســـيما ان أحدهم وهو

حفنى محمود لحقت بسيارته فى الطريق الصحراوى الى الاسكندرية سيارة (جيب) تابعة للشرطة العسكرية ٠

وكان اللواء محمد نجيب يجرى اتصالاته التليفونية مع المرشحين بعد ان يتلقى اسم كل منهم من الواقفين حوله من الضباط أو المدنيين المشاركين فى عملية الترشيح ، وحدث أكثر من مرة انه سمع اسم المرشح خطأ ، فاذا استدعى له على التليفون بدأ تحيته ، موجها اليه الخطاب بالاسم المغلوط ، فلا يلبث أن يتدخل أحد الذين حوله للتصحيح ، فلا يسمع التصحيح جيدا للجلبة المحيطة به وكثرة الواقفين حوله ، فيجرى له تصحيح التصحيح وهكذا ، والرجل الموجود على الطرف الآخر من الخط ، مندهش من هذا الذى يكلمه ولا يعرف اسمه ، ثم تزيد دهشته ، حين يتضح أن هذا الذى يكلمه هو قائد الثورة أولا وانه يرشحه للوزارة ثانيا ٠

وبعد أن تمت عملية الترشيح انتقلنا جميعا الى قصر عابدين حيث طلب منى ان أقوم بأول اجراء رسمى ، وهو كتابة بيان الوزارة ، ثم أدينا اليمين أمام مجلس الوصاية الذى كان مكونا من الأمير عبد المنعم ابن الخديو عباس حلمى ، ثم من الدكتور بهى الدين بركات باشا الذى كان وزيرا سابقا ورئيسا لمجلس النواب ولديوان المحاسبة ، وقبل ذلك أستاذا للقانون فى كلية الحقوق ، ثم من القائمقام ٠ (العقيد) رشاد مهنا٠ وكان أداء اليمين فى ساعة متأخرة من الليل ، وكنت منذ الصباح لم أتناول طعاما ولم أغير ملابسى ، ولم أغسل وجهى ، فكان شعورى بالتعب ، ممزوجا بشىء من الامتعاض لكثرة الأحداث التى مرت بسرعة وبلا انقطاع مما أرهق أعصابى ٠

فؤاد سراج الدين

سكرتير عام الوفد سابقا

ووزير الداخلية والمالية سابقا

س ١ : ما هى سياسة الوفد فى حكومته الأخيرة قبل حركة الجيش ٠٠ وهل كانت هناك علاقة ما بين الوفد والضباط ؟

ج ١ : حصل الوفد على أغلبية ساحقة فى انتخابات ديسمبر ١٩٤٩ التى أجراها حسين سرى وشكلت الوزارة برئاســـة مصطفى النحاس باشـــا ٠

وكانت سياسة الوزارة تقوم على الأسس الآتية :

أولا : نشر الحريات العامة واحترامها الى أقصى حد ممكن ٠

الغت الأحكام العرفية والرقابة على الصحف ، وانطلقت المظاهرات فى الجامعة تهتف بسقوط الملك وتمزق صورته وكذلك قامت مظاهرات من طلبة كلية الهندسة واتجهت الى وزارة الداخلية تطالب برأس سراج الدين ومع ذلك لم تتخذ أى اجراءات غير قانونية ٠

ووصلت الاثارة فى الصحف الى غايتها القصوى وخاصة فى مجلات الاشتراكية ، واللواء الجديد وروز اليوسف التى نشرت أن الدكتـــور أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعيـــة جاســـوس لأمريـــكا فى مجلس الوزراء ، ينقل مداولات المجلس الى الأمريكان فورا ، وبعد التحقيق أفرج عن رئيس التحرير بكفالة ، دون أن يحدث أى ضغط على النائب العام ٠

وفى جلسة لمجلس الوزراء حضر حافظ باشا عفيفى رئيس الديوان مطالبا باصدار قانون بفرض الأحكام العرفية للحد من جموح الجرائـــد والمجلات ، طالما أن القانون العادى لا يحمى ٠

وهنا اعترضت قائلا انى لا أوافق على ذلك مطلقا ٠٠٠ فطلب منى تبليغ الرسالة الى النحاس باشـــا ٠٠٠ فقلت له حتى لو وافق النحاس فانى لن أوافق وسأترك الوزارة ٠

وقد أبلغت الرسالة للنحاس باشا فكان أشد الرافضين لها ٠

ثانيا : الاشتراكية

اتخذت حكومة الوفد اجراءات اشتراكية تمثلت فى الآتى :

١ ـ ضرائب تصاعدية ٠٠٠ وقد تضاعفت جميع الضرائب بما فيها الضرائب العقارية ١٠٠٪ ووصلت ضرائب التركات الى ٩٠٪ فى الفئات العاليـــة ٠

٢ ـ مجانية التعليم ٠٠ وكنا قد قررنا مجانية التعليم الابتدائى عام ١٩٤٢ ، وقررنا مجانية التعليم الثانوى عام ١٩٥٠ ، وكانت مجانية التعليم العالى مستهدفة ٠

٣ ـ عمل مشروع لتعميم ميـــاه الشرب فى القرى خـلال خمس ســـنوات ٠

٤ ـ مكافحة الغلاء ، وتحميل وزارة التموين لفروق الأسعار حتى تكون فى مستوى محدودى الدخل ٠

٥ ـ اطلاق العلاوات الموقوفة ٠

٦ ـ عمل كادر جديد للموظفين للتوسعة على صغار الموظفين ٠

كانت ســياسة الوفد هى تقريب الفوارق بين الطبقات والأخذ من الغنى للنهوض بالفقير ٠

وقد أدى ذلك الى توجيه اتهـام للوفد بأنه ينزع الى الشيوعية ٠ والقصـــد من ذلك هو اثارة الملك على الوفد (لأنه سيقلب البلد الى شيوعية) وكتبت أحزاب المعارضة فى ذلك صراحة ٠٠ (وأذكـــر أننى خطبت فى شبرا ، وأشرت الى هذا الاتهـام قائلا هذه هى سياستنا ٠٠ فاذا كان يحلو لخصومنا أن يسموا هذه السياسة شـيوعية أو يسارية فنحن كذلك ٠٠٠ ونحن اشتراكيون) ٠

وأذكر أيضا أننى تحمست لزيادة الضرائب لدرجـة أننى طرحت الثقة بنفسى فى مجلس النواب بعد أن عرض المشروع وصـــوت ضـده أغلبية الحاضرين بعد معارضة النائب الوفدى أحمد أباظـة ولكن العدد لم يكن قانونيا ، فطلبت التأجيل لليوم التالى ، وقلت ان الميزانيـة قد وضعت على أساس هذا المشروع وعلى أســاس الحصيلة الماليـة التى ستدخل الخزينة ولذا فان رفضه يعتبر عدم ثقة بشخصى كوزير للمالية وكانت هذه هى أول مرة يوضع فيهـــا الأمر على هذا المستوى منذ عام ١٩٢٣ ، وعند أخذ الأصوات وافق المجلس بالاجماع عدا عضو واحد هو أحمد مفتاح معبد من الأحرار الدستوريين ٠

ثالثا : المفاوضة من أجل اجلاء الانجليز عن القاعدة قبل الموعد المحدد فى معاهدة ١٩٣٦ وهو عام ١٩٥٦ ، ومن أجل الوحدة بين مصر والسودان تحت التاج المصرى ٠

بدأت المباحثات فى أبريل ١٩٥٠ وكان يتولاها ابراهيم فرج ومحمد صلاح الدين ، واستمرت حتى أغسطس ١٩٥١ حيث توقفت ٠

الجلاء لم يكن مشكلة عند الانجليز ٠٠ ولكن المشكلة كانت السودان ٠

الانجليز عرضوا موضوع الاستفتاء ، وكان هذا مرفوضا من جانب الوفد على اعتبار أن مصر والسودان بلد واحد ، ولذا قطعنا المحادثات ، وكانت الظاهرة العجيبة أن الانجليز على عكس كل مفاوضاتهم السابقة لم يتزحزحوا خطوة واحدة عن رأيهم ٠

وقد اتفقت على أن أقوم بمباحثات جانبية مع السفير البريطانى سيررالف ستيفنسون فى منزلى بالاسكندرية دون محاضر أو قيود ، وقد عمل السفير مذكرة بذلك ، وطلبت منه أن يعلنها ولكنه أرسل الى لندن فرفضت كل ما ورد بها واتفقنا عليه ٠

وفى يوم من الأيام حضر لى أحمد عبود « باشا » وكانت له نزعة وطنية لاشك فيها وقال لى :

ـ « شوف الولد ابن ٠٠٠٠ فاروق ٠٠٠ كان كافرى يتعشى عندى وبعد ما شرب قال لى ان الفيلد ماريشال سليم القائد العام للقوات البريطانية قابل الملك الذى قال له « يا فيلد مارشال سليم انتم فى محادثات مع حكومتى لتعديل معاهدة ١٩٣٦ ، وأحب أن تبلغ حكومتك بأنه مهما كانت المباحثات فان نتائجها لن تؤثر على علاقاتنا معا » ٠

وعلق عبود باشا قائلا ان كافرى قد أبلغه أنه سمع هذا الحديث من الماريشال سليم شخصيا ، وأنه ـ أى عبود ـ يعتبره طعنة للحكومة الوفدية حتى يسهل على الملك اقالتها بسهولة ٠

وقد أكد لى هذه الواقعة بعد ذلك كريم ثابت « باشا » فى سجن الأجانب عام ١٩٥٤ وكان حاملا حملة عنيفة على فاروق ، وذكر أن الملك قد اعتاد فى المقابلات الهامة أن يحضرها رئيس الديوان أو كريم ثابت لتسجيل ما يدور فيها ، ولكنه فى مقابلته مع الماريشال سليم بالذات لم يطلب منا أحدا ٠٠٠ فتوقعت بعد المقابلة أن يبلغنا بما دار فيها ونحن من جانبنا لم نسأله ٠٠٠ وبعد أشهر طلب منى الملك أن أحضر له ورقة معينة من مكتبه ٠٠٠ وبالصدفة وجدت خطابا من الماريشال سليم قرأته من باب حب الاستطلاع وقد جاء فيه :

« بعد التحية .. رفعت الى حكومة جلالة الملكة الحديث الذى دار بيننا فى المقابلة ومن أنكم قلتم كذا وكذا ... وكان لهذا الحديث أطيب الشعور عند جلالة الملكة » .

عنــدما توقفت المباحثات اجتمعت مع محمد صلاح الدين وابراهيــم فرج في جناحي بسان ستيفانو لتقرير خطتنا وكان صلاح الدين قد صرح فى مجلس النــواب بأن الدورة لن تفض قبل أن يدلى بحديث للمجلس عن نتيجــة المفاوضـــــات ولذا فان المجلس لم يكن ينعقد ولكن الدورة لم تفض .

وأذكر أن السفير البريطانى كان قد قابلنى على العشاء عند الياس باشا اندراوس وقال السفير صراحة « أن عندنا انتخابات قريبـــة جدا ولأول مرة فى تاريخ انتخاباتنا تكون المسائل الخارجية محل مساومة بين الأحزاب ، وأى اتفاق يحتمل الا يمر فى مجلس العموم ورأيى أن نبقى نتبادل الكرة حتى تنتهى الانتخابات » .

فقلت له « هذا كلام غير منتج ياسير رالف ، لأنه لا يوجد ضمان لحصول الحكومة الحالية على الأغلبية ... وحتى فى حـــالة حصولها على الأغلبية ما هو الضمان لأن تقبل ما نطالب به » .

وعقدنا اجتماعا للوزارة لمناقشة الأمر فقلت لهم أننى ســـبق أن قدمت فى مجلس الشيوخ استجوابا ضد النقراشى وطالبت بالغاء المعاهدة بعد التسويف والمماطلة التى عانينا منها ... وتساءلت (هل كنا جادين فى موقفنا أم لا) ؟ .

وختمت حديثى قائلا (اذن نصدر قانونا بالغاء المعاهدة ، ونصدر تشريعات بتعديل موقف السودان) ... وهنا قام النحاس باشا وقبلنى والدموع فى عينيه .

واستدعينا وحيد رأفت المستشار الملكى لرئيس الوزراء لوضـــع المواد الخاصة لتعديل الدستور .

وطلب النحاس باشا حسن يوسف وكيل الديــوان يوم ٦ أكتوبر وقال له لقد قررنا الغاء المعاهدة وتعديل مواد الدســـتور ، ثم أعطـــاه الأوراق التى يجب أن يوقعها الملك .

وقال له النحاس باشا (شـــوف يا حسن المسألة دى فى منتهى الخطورة وأنا أحملك أنت شخصيا مسئولية تسرب هذه الأخبار الى أى انســـان وخاصـــة الى الانجليز الذين سيعرفون ذلك اذا قال الملك هذا

الى رجال الحاشية وخاصة الياس اندراوس ·· وعندئذ سأضطر الى مصارحة الأمة بكل ما يحدث) ·

وطلب النحاس من حسن يوسف أن تصله الأوراق قبل الثانية عشرة ظهرا ، والا فانني سأقول للأمة أنني أرسلت التشريعات للملك ولم تصلني بعد ·

ودعوت الهيئة الوفدية البرلمانية للاجتماع في البهو الفرعوني الساعة الرابعة والنصف وأخذت أحدثهم في تنظيمات خاصة بالوفد لضمان تجمعهم ··· ووصل النحاس باشا من الاسكندرية الى القاهرة ، والمظاهرات تقابله في المحطات هاتفة (الغي المعاهدة يا نحاس) ·

وفي مساء ٨ أكتوبر ١٩٥١ وهو نفس تاريخ اقالة الوزارة الوفدية ـ ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ـ وقف النحاس باشا على منبر مجلس النواب يقول (من أجل مصر أبرمت معاهدة ١٩٣٦ ، ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بالغائها) ·

سمع الملك البيان من الاذاعة واسمه مقترنا بلقب (ملك مصر والسودان) ·

توقع الانجليز أن تكون المسألة شكلية ، ولكن النية كانت غير ذلك فقد قررنا ان يكون الالغاء فعليا ·

ومن حسن الحظ أوحى الانجليز لنا بما يتبع ، فقد حدث خلال مناقشة مع سير رالف ستيفنسون أن عرضت عليه مغادرة القنال الى قبرص أو مالطة ، فأجاب بأنه لا يوجد في أي منهما المزايا التي تتوافر في قناة السويس والتي عددها بالآتي :

١ ـ الأيدي العاملة متوافرة ورخيصة ·

٢ ـ وسائل النقل برا بالسكة الحديد والطائرات والبحر متوافرة ·

٣ ـ الحياة الاجتماعية منتعشة في مدن القناة ، وهي مسألة جوهرية لقواتنا المسلحة ·

وأعددنا خطتنا على أساس افساد هذه المزايا ·

١ ـ أصدرنا تشريعا بسجن كل عامل يعمل في القاعدة البريطانية الى جانب اذكاء الروح الوطنية لعدد يتراوح بين ٤٠٫٠٠٠ ، ٥٠٫٠٠٠ عامل ··· وخلال أيام قليلة وصلت نسبة البطالة ١٠٠٪ ··· وقام وزير الشئون الاجتماعية بترحيلهم للقاهرة ودفع مرتباتهم كاملة ·

٢ ـ أصدرنا قرارا وزاريا بمنع السكك الحديدية المصرية من نقل أى مهمات أو مواد الى القاعدة ، وكذلك منعنا النقل النهرى ٠٠ وأصدرنا تشريعا بسجن كل من يتعاون مع أفراد القوات البريطانية ، الأمر الذى اضطرهم الى التموين بالطائرات من قبرص ٠

٣ ـ أما عن الحياة الاجتماعية فقد نشط فيهـا الفدائيون الذين كانوايصطادون أى ضابط أو جندى ينفرد بالظهور فى مدن القناة ، حتى اعتبرتها قيادة القوات محظورة على الجنود ٠

أذكر أن السفير أرسل خطـاب احتجاج شديد على مصرع أكبـر خبير لهم فى شئون حرب العصابات ، وكان قد حضر من حرب كوريا ٠

وكان عدد كبير من المحركين لهذه القوات من ضباط البوليس الذين يلبسون ملابس مدنية ٠

وهكذا بدأ الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية فى منطقة القناة وكان يتصاعد ٠

كنت أشترى الأسلحة من الصعيد وأخزنها فى بدروم المنزل ويسافر بها الفدائيون ٠

حاولت الحصول على أسلحة من الكتلة الشرقية ، قابلنا سـفراء يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحـاد السوفيتى ولكنهـم رفضـوا جميعا ٠

وأثنـاء المعـارك رفض الانجليز تدفق المازوت من السويس الى القاهرة خلال الأنابيب ، واذا خلص المخزون تتوقف المجارى والمصـانع والمخابز وكذلك اللوارى ٠

وهنا اسـتدعيت السفير الأمريكى كافرى وقلت له (ان الموقف البريطانى يهدد الرعايا الأجانب لأن المخزون يكفى فقط ٦ أيام ـ وكان المخزون فعلا يكفى ٣ أسابيع ـ وحذرته من خطر الهجوم على الأجانب) وتدخلت الخارجية الأمريكية فعاد تدفق المازوت ٠

وساءت العلاقات بين كافرى وستيفنسون ٠

وفى يوم ٢٠ يناير ١٩٥٢ حضر الى مكتبى بوزارة الماليـة نجيب باشا الراوى وقال لى انه يحمل رسـالة من نـورى السعيد مفادها ان الانجليز أفلسوا تماما وهم يطلبون حلا لا يريق ماء الوجه ، وهم موافقون على كل شىء شرط ايقاف أعمال الكفاح المسلح فى قناة السويس ٠

قلت لنجيب الراوى (لايوجد مصرى يجرؤ على هذا) ٠

نجحت معركة القناة الى الحد الذى دفع على ماهـر باشـا الى

القول بعد ذلك فى محكمة الثورة (اننى كنت أشعر اننى سأكون أقوى مفاوض مصرى نتيجة معركة القناة) •

وهكذا تحول الاسلوب التقليدى فى مفاوضة الانجليز الى كفاح مسلح فى القناة •

وهكذا أيضا كانت سياسة الحكومة الوفدية كما ذكرتها لك •

اما عن اتصال الوفد بضباط الجيش فلم تحدث صلات خاصة سوى مع قائد الجناح وجيه أباظة الذى قدمه لى الأستاذ فكرى أباظة وتعاون معنا وقدمنا للمتطوعين معه المساعدات خلال فترة الكفاح المسلح كلها •

وحضر لى البكباشى أحمد أنور عن طريق بعض أقاربى وتناقشنا حيث عرض لى عدم رضاء الجيش عن أوضاع السراى ، وأبدى الاستعداد لمساندة الوفد فى أى تصرف ••• ونتيجة لهذه المقابلة أبلغت مصطفى نصرت وزير الحربية استياء الضباط من حيدر باشا وعثمان المهدى باشا وأقنعته بمطالبة السراى بتغيير حيدر •

وفعلا تقدم مصطفى نصرت بمذكرة للملك تطالب بتغيير حيدر ، ولكن لم يصل الرد حتى اقيلت الوزارة •

وكان معروفا أن السراى تعتبر الجيش والأزهر حصنين لها ، وان كنا قد استطعنا التسرب الى الأزهر ••• اما الجيش فقد ظل مغلقا علينا فى خدمة السراى •

اذكر انه أثناء الاحتفال بعيد ميلاد الملك فى ١١ فبراير ١٩٥١ وأثناء معركة الكفاح المسلح أن أقيم حفل فى نادى الضباط ولم يعلن عن اسم مندوب الملك فيه •

وكنت استمع الى الحفل المذاع من الاذاعة مع النحاس باشا فى منزله ، وفوجئنا بحضور حيدر مندوبا عن الملك ، واستقباله بعاصفة من التصفيق ، بينما قوبلت كلمة وزير الحربية مصطفى نصرت بفتور واضح •

وفى اليوم التالى حضر لى كريم ثابت وقال لى (ان شاء الله تكون انت والنحاس سمعتم أم كلثوم فى نادى ضباط الجيش) •• وفهمت تلميح الملك الذى حمله كريم ثابت ، فلم أشأ أن أسعده وقلت له (الغريبة بالصدفة ان النحاس باشا كان تعبان وأنا كان عندى ضيوف) •

هكذا كان موقف الجيش من الوفد ، وهو يعتبر امتدادا لمواقفه السابقة عندما أرسل اسماعيل صدقى الجيش لمنع زيارة النحاس

للمنصورة ، وتحمل سنيوت حنا ضربة السونكى الموجهة للنحاس فى يده ، واستمر ذلك خلال سنوات ١٩٣١ ، ١٩٣٢ فى معظم المدن التى حاول النحاس باشا زيارتها .

وفى انتخابات ١٩٣٨ جزئت الانتخابات على يومين فى الدلتا والصعيد حتى يتواجد الجيش بضغطه خلالها .

وحدث بعد ذلك فى مارس ١٩٥٢ بعد اقالة الوفد أن حاصر الجيش البرلمان فى عهد وزارة نجيب الهلالى ، خشية اجتماع النواب عنوة فى اليوم المحدد لاجتماع المجلس وتكرار ما حدث فى عهد ويصا واصف من تكسر لسلاسل بوابة البرلمان .

هذه هى قصة الجيش والوفد .

س ٢ : ما هى العوامل التى أدت لخروج الوفد من الحكم .. وهل مهد ذلك لقيام حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ؟

ج ٢ : أثناء محاكمة كريم ثابت أمام محكمة الغدر استدعت هيئة المحكمة حافظ عفيفى كشاهد اثبات ، فقال ان الملك أبلغه أنهم يريدون التخلص من حكومة الوفد ، فقلت له أن المعركة الآن مع الانجليز ، ولابد من حدوث حاجة مهمة لاخراجها .. وعلق أحد المستشارين قائلا (وأظن يا باشا وجدتم فى حريق القاهرة الحاجة المهمة) .

كان الانجليز يريدون اخراج حكومة الوفد ، وقد وافق الملك على ذلك .

اصطنع الانجليز معركة البوليس يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ لأنه لم يكن هناك ما يستدعى الاجراء العنيف الذى اتخذوه لمحاصرة ثكنات بلوكات النظام فى الاسماعيلية الساعة الثانية بعد منتصف الليل وكان بها ١٠٠٠ عسكرى ومثلهم فى السويس وفى بورسعيد ومع كل عسكرى ١٠٠٠ طلقة .

تم الحصار بالدبابات والمدفعية وكان على رأس القوات البريطانية الجنرال ارسكين قائدها العام الذى أرسل انذارا للقوة المصرية بتسليم كافة أسلحتها خلال نصف ساعة وأن يخرج الجنود رافعين أيديهم ، والا فانه سيهدم الثكنات على من فيها بالمدفعية .

كان موقف القائد المصرى حرجا جدا فقد كان صعبا عليه أن يسلم سلاحه وصعبا عليه أن يقاوم لنقص التجهيزات .

قرر القائد استطلاع رأيى وكلف بذلك ضابطا صغيرا قفز فوق السور واتصل بى تليفونيا ، وكنت وقتها نائما ، ومضطرا لأعطاء القرار ٠

سألت الضابط (هل أنتم مستعدون للمقاومة حتى آخر طلقة ؟) فاجاب الضابط بحماس (نعم) فقلت له وأنا فى شدة التأثر (اذن قاوموا وربنا معكم) ووضعت السماعة وأنا أبكى ٠

بدأت المعركة ، أطلقت مليون طلقة ، وقتل ٧٠ عسكريا مصريا ، ٤٠ عسكريا بريطانيا ٠

ودخل الجنرال أرسكين المحافظة وسلم على قائد القوة قائلا له (اهنئك وأهنىء جنودك على الروح التى قاتلوا بها ، ولذا فلن أعاملكم كاسرى حرب فلا تخرجون رافعى الأيدى) ٠

وقد خرجوا فعلا وأرسلوا الى القاهرة فى السكة الحديد ٠

وما أن أذيعت الأخبار ، وبلغت للسفارات المصرية ، حتى ظهرت صحف انجلترا يوم ٢٦ يناير تقول أنها تخجل لأن جيشها يحارب البوليس ٠

وبدأت الخطوة الثانية ٠

اثارة الرأى العام فى القاهرة ٠٠٠ فاضرب الطلبة والعمال صباح يوم ٢٦ ، وخرجت بعض المظاهرات ، وكان هناك بيان مكتوب مبلغ لحكمدار العاصمة بمنع المظاهرات بشدة ولو أدى الأمر الى اطلاق الرصاص ٠

وقد أوقفت اللواء مراد الخولى لأنه لم يمنع المظاهرات ٠٠ أما وكيل الحكمدار اللواء امام ابراهيم فقد أعطى تعليمات بأن الوزير أصدر أوامره بعدم التعرض للمظاهرات ٠ وهذا غير صحيح ٠

وبدأت الحرائق فى القاهرة ، وتشتت عربات المطافىء من كثرة اشارات الحريق الواردة من مختلف الأحياء ٠

وطلبت حيدر باشا فى قصر عابدين حيث كان يحضر مأدبة الغذاء مع ضباط الجيش بمناسبة عيد ميلاد ولى العهد ، فرد على وحيد شوقى بدلا منه ، فطلبت منه ابلاغ حيدر باشا خطورة الموقف ، ومطالبتى له بانزال الجيش ٠٠ ولما تأخر ذلك ذهبت بنفسى الى قصر عابدين لمقابلته واستعجال ذلك ، كما أوضحت تفصيلا فى البيان الذى نشرته فى جريدة المصرى رغم اعتراض الرقابة عليه ٠

وكنت قد استدعيت حيدر باشا بعد الغاء المعاهدة وأبلغته أننا قد نضطر ألى الاستعانة بالجيش مع البوليس لحفظ الأمن ·

ولم ينزل الجيش الى حديقة الأزبكية قبل الخامسة مساء بعد أن كانت القاهرة قد احترقت ·

وفوجئت بحافظ عفيفى يحضر الى مكتبى متسائلا :

ـ هل قررتم قطع العلاقات السياسية مع بريطانيا ؟

وقلت له ـ لا ·· وهل هذا وقته ؟

واستطرد حافظ عفيفى قائلا (أصل فيه شيء خطير لأن السفير البريطانى حضر لى أمس فى منزلى وأبلغنى أن الحكومة البريطانية علمت بأن مصر تنوى قطع العلاقات وان هذا يعتبر بمثابة اعلان حرب بين الدولتين) ·

وضحكت قائلا له (حيبجوا القاهرة ·· طيب ياريت ييجوا واحنا نطولهم) ·

وقال حافظ عفيفى (لا ياباشا ·· ابسط حاجة ياخدوا الملك أسير حرب ، وبالطريقة دى يملوا شروطهم على البلد) ·

وهنا أيقنت أن عمر الحكومة الوفدية قد انتهى ·· وانه قد آن لنا أن نستريح ·

وقد علمت أنه فى مساء ٢٦ يناير اجتمع الملك وحافظ عفيفى والياس اندراوس ومحمد حيدر ، وانه تقرر فى هذا الاجتماع اقالة الوزارة الوفدية وتكليف نجيب الهلالى وذلك كما أبلغ حيدر عبد الفتاح باشا حسن بعد منتصف الليل عقب خروجه من الاجتماع ·

كان مجلس الوزراء قد اجتمع ليلة ٢٦ يناير بعد توقف أعمال العنف ··· وكان هناك احتمال قائم بتكرار العنف يوم ٢٧ يناير وخاصة خارج القاهرة فى الاسكندرية وبورسعيد ·· كما أن نوع الحوادث التى اشتعلت يوم ٢٦ والأساليب التى اتبعت ـ فمثلا فى شبرد كانت هناك مضخات تضخ الغاز ثم يشعله البعض فيحترق المكان دفعة واحدة ـ أعطت انطباعا بانها مسألة غير طبيعية وأنها مدبرة تدبيرا دقيقا ·

القوانين العادية لا تتيح للحكومة سرعة التصرف واتخاذ اجراءات سريعة وشاملة لمواجهة أى حوادث مماثلة تقع بعد ذلك ، فمثلا اذا كانت قوات الأمن تريد اعتقال بعض الشبان المعروف عنهم التهور أو الاشتراك فى الحوادث فان القوانين العادية لا تسعف ولذلك يصعب اجراء التفتيش عن المواد التى تستخدم فى النسف والحريق ·

وفكرنا فى نفس الوقت فى الآثار التى يمكن أن تترتب على فرض الاحكام العرفية ، وفكرنا فى قرار الاقالة الماثل أمامنا ٠٠ وكنا مدركين أننا ربما نكون أول من يكتوى بنار هذه الأحكام العرفية . لأن الحكومة ستتستر بها فى التنكيل بنا سياسيا ، وقد تبقيها فترة طويلة ٠

ومع هذا لم يكن أمامنا مفر صيانة للأمن واحتياطا للمستقبل من فرض الأحكام العرفية ، وهى التى رفضناها يوم طلبها حافظ عفيفى عند مظاهرات الطلبة ٠

وكانت هذه هى أول مرة يعلن الوفد فيها الأحكام العرفية طوال تاريخه ٠

وفى يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ صدر قرار الاقالة وكنت قد جمعت أوراقى الخاصة فى الصباح متوقعا هذا القرار ٠

س ٣ : ما سبب اعتقال أحمد حسين سكرتير الحزب الاشتراكى ، وفتحى رضوان سكرتير الحزب الوطنى الجديد ، ويوسف حلمى وسعد كامل سكرتيرى جمعية أنصار السلام وغيرهم من العناصر الوطنية ؟

ج ٣ : المقصود كان اعتقالهم عدة أيام حتى نتأكد من براءتهم ثم نفرج عنهم ، ولكن الاقالة لحقتنا ٠٠ وعين على ماهر باشا رئيسا للوزراء بدلا من نجيب الهلالى الذى كان قد تم الاتفاق عليه ، وذلك لأن الهلالى طلب أن يسبقه على ماهر لاتخاذ بعض الاجراءات ٠٠ وقد أيدنا على ماهر رغبة منا فى استمرار سياسة الوفد ومواصلة المعركة الوطنية ٠٠ ولذا لم يصدر قرار بحل البرلمان ٠

وعندما عين الهلالى رئيسا للوزراء أصدر قرارا بتحديد اقامتى فى بلبيس يوم ١٥ مارس ١٩٥٢ ، واستمر الاعتقال قائما الى أن زارنى الياس اندراوس سرا يوم ٣٠ يونيو ١٩٥٢ رغم وجود أمر عسكرى يعاقب كل من يتصل بى بالحبس ، وسهر معى حتى الساعة الواحدة صباحا ، واتفق معى على خروج الهلالى وتشكيل وزارة محايدة يرأسها حسين سرى لاجراء انتخابات حرة ، بعد أن رفضت وزارة يتولاها مرتضى المراغى الذى كان مرشحا لرئاسة وزارة من كبار الموظفين ومعهم عبد الرحمن البيلى ، وذلك لأنه كان قد قبل ادخال كريم ثابت للوزارة ، ولكنى أقنعته بأن حسين سرى سوف يقبل ذلك أيضا ، اذا تم الاتصال به من بابه المفتوح (محمد هاشم زوج ابنته) ٠

وكنت قد رفعت قضية أمام مجلس الدولة ضد قرار وزير الداخلية وصدر الحكم بالغاء قرار وزير الداخليـــة بتحديد الاقامة من الدوائـر مجتمعة برئاسة السنهوري باشـــا ، رغم اعتراضي السابق على تعيينه رئيسا لمجلس الدولة من ناحية المبدأ حيث كان وزيرا سعديا ٠

صدر القرار في التاسعة من صباح ١٥ يوليو ١٩٥٢ وفي السـاعة الحادية عشرة خرجت وزارة نجيب الهلالي ٠

ولاشك أن تدهور الموقف وتساقط الوزارات قد أضعف من سلطة نظام الحكم ، الأمر الذي مهد الطريق لحركة الجيش ٠

وقد عرف فيما بعد أن التفكير في هذه الحركة لم ينبت الا بعـد حريق القاهرة واقالة الحكومة الوفدية ٠

س ٤ : كيف بدأت صلتك بحـــركة الجيش ٠٠ وكيف تصرفت معك ؟

ج ٤ : غادرت الاسكندرية مع النحاس باشـــا يـوم ١٨ يوليو ووصلت جنيف يوم ٢٤ يوليو حيث علمنا بخبر حركة الجيش ، واتصل بنا بعض أعضاء الوفد من القاهرة طالبين منا العودة ، فقررنا السفر ، وحجزنا على أول طائرة تغادر جنيف بعد ظهر يوم ٢٦ يوليـو ، وكانت هذه هي أول مرة في تاريخ حياة النحاس باشا يركب فيها طائرة ٠

كنا نعتقد أن الملك مازال موجودا ، ولكن الطيار أبلغنـــا أن الملك سيخرج ثم أبلغنا أنه خرج ٠

ووصلنا القـاهرة في الواحـــدة بعـــد منتصف الليـــل وكان أحمد أبو الفتح ضمن المستقبلين ، وقد ركب مع النحاس باشا ، ووجهتنا جميعا الى المنازل ٠

ولكن رتل السـيارات توقف ، وحضر محمـــود شوقي ابن أخت النحاس باشا وطلبني للركوب مع رفعة الباشا ، حيث قال لنـــا أحمد أبو الفتح انه يقترح ذهابنا لتهنئة أعضاء مجلس الثورة ، وانهـــم في انتظارنا في أي وقت نحضر فيه ٠٠ فوافقت طبعا ٠

وصلنا القيادة في الثانية بعد منتصف الليل والصمت مطبق عليها ودخلنا في غرفة صغيرة في الدور الأرضي ، وصعد أحمد أبو الفتح حيث بقي أربعين دقيقة ، وكان هذا يعني انهم اما نائمون أو لا ينتظرون أحدا ٠

وصعدنا بعد ذلك الى الدور العلوي حيث دخلنـــا قاعة كبيرة وجدنا فيها محمد نجيب وأعضاء المجلس واقفين وكأنهم تماثيـــل من الشمع

حيث سلمنا عليهم وقدم لهم النحاس باشا التهنئة ، وكان مقبلا بصدره فعلا على الحركة مؤيدا لها ٠

طلبت بعد ذلك موعدا من محمد نجيب ، ولكن قريبى الضابط عيسى سراج الدين أبلغنى أن جمال عبد الناصر وصلاح سالم وعددا من الضباط سيقابلوننى فى منزله بالزيتون ٠

واستمر الاجتماع من الخامسة بعد الظهر حتى الواحدة صباحا ٠٠ وأذكر أنه فى هذه الليلة حوصر المصرى بالجيش لأنه كان قد نشر خبرا عن نية الاستغناء عن بعض الموظفين ٠٠ وأن أحمد أبو الفتح قد حضر أثناء الاجتماع ٠

وفى هذا الاجتماع نوقش موضوع تحديد الملكية ، وكان رأيى فى ذلك الوقت اقرار مبدأ الضريبة التصاعدية على الأراضى الزراعية ٠٠٠ واستمر النقاش هادئا وخرجنا على أن نلتقى بعد أسبوع ٠

سافرت الى الاسكندرية وعدت يوم الأربعاء حيث كان محددا للاجتماع يوم خميس ، وفى القطار وجدت أن مصطفى أمين قد نشر خبرا فى مجلة آخر لحظة التى كانت تصدر ملحقة بآخر ساعة يقول فيه (ان فؤاد سراج الدين استقبل رجال الحركة ، وأعلن أنه وضعهم فى جيبه)٠٠ وهو خبر لم يحصل ولم أقل مثلا هذه الكلمات ٠٠ وتأكدت أنهم لابد وقد تأثروا بهذه النميمة المدسوسة ٠

وفعلا اتصل بى أحمد أبو الفتح ليعلن لى ان الموعد المتفق عليه قد أجل ٠٠٠ وبعدها بأيام تم اعتقالى مع عدد آخر من السياسيين وضعنا فى الثانوية العسكرية ٠

وأذكر لقاء آخر تم مع جمال سالم وعبد اللطيف البغدادى فى منزل عديله عبد السلام حسن عضو لجنة الوفد ، وحدثت بينى وبين جمال سالم مشادة قائلا له (هل تفكر فى أن رجال الأحزاب جميعا لصوص ؟) ٠

وكما حدث أثناء تحديد اقامتى فى عهد نجيب الهلالى ، رفعت قضية أمام مجلس الدولة مطالبا ببطلان قرار الاعتقال ، واشترك فى رفع القضية أيضا ٢٥ معتقلا ، كانت النتيجة وضعهم فى الحبس الانفرادى وعدم السماح لهم بتناول الطعام من المنزل ، مع رفع هذه الاجراءات لكل من يتنازل عن القضية ٠

تنازل الكثيرون وبقيت أنا وسليمان غنام وحامد جودة وعدد قليل من المعتقلين ٠

وفوجئت يوما بدخول مصطفى أمين غرفتى فى المعتقل وقوله لى

صراحة (أنا قادم لاساومك ٠٠ تتنازل عن القضية ، وهم يفرجون عنك)
ويبدو أنهم كانوا عاملين حساب لمجلس الدولة ٠

وقلت لمصطفى أمين (أنا لا أتنازل عن القضية ، ولكن يفرج عنى فتسقط القضية ٠٠ وأنا لا أساوم على حريتى أبدا) ٠

وفعلا أفرج عنى قبل نظر القضية بليلة واحدة ٠٠ ثم أعيد اعتقالى بعد ذلك وقدمت لمحكمة الثورة حيث نظرت قضيتى فى أكثر من عشرين جلسة منشورة ثم صـــدر الحكم على بالمؤبد الى أن صدر قرار بالافراج الصحى عنى ٠

ثم أعيد اعتقالى مرة ثانية في فترة العدوان الثلاثى ٠٠ ومرة ثالثة بعد الانفصال ٠٠ ولم يصرح لى بالسفر الا عام ١٩٧١ ٠

الاســـم : **فؤاد هلال**

تاريخ الميــلاد : **١٦ أكتوبر ١٩١٨**

مهنــة الوالد : **عمــدة**

الامــــلاك : **٣٢ فدانا وبيت**

متخرج فى : **الكلية الحربية عام ١٩٣٩ (سبتمبر)**

الرتبة وقت حركة الجيش **يوزباشى**

آخـــر وظيفــة : **سفير بوزارة الخارجية**

العمل الآن : **المعاش**

س ١ : هل كان لك نشـــاط سياسى قبل الحركة ؟

ج ١ : لم يكن لى نشاط سياسى خاص ، كما أنى لم أكن منضما لتنظيم الضباط الأحرار ٠

س ٢ : ما هى الواجبات التى كلفت بها من حركة الجيش بعد نجاحها ؟

ج ٢ : نقلت الى المخابرات فى أكتـــوبر ١٩٥٢ حيث عملت فى (المجموعة الخاصة) مع محيى الدين أبو العز وكانت تضم محمد الســقا ووفاء حجازى وعبد الخالق شوقى ٠

وقبل توقيع اتفاقية الجلاء بأيام نقلت الى القنال مديرا للمخابرات هناك ، حيث قابلنى جمال عبد الناصر فى حضور جمال سالم وعبد الحكيم عامر وطلب منى الحصول بوسائلى الخاصة على معلومات تثبت تدخـل سلطات شركة القناة فى الشئون الداخلية فى المنطقة أولا وفى مصر أيضا٠ ويومها قال لى ان دخل مصر من القناة لايساوى شيئا ، وان دخل القناة يصرف فى التخابر علينا ، كما تؤخذ فوائد بعض الأموال العربية المودعة فى البنوك الأجنبية بلا فوائد للصرف منها على عمليات مضادة للعرب ٠

وقد تبين لى أن ميزانية الشركة التى كانت تبلغ لرئاستها فى باريس كانت تختلف عن تلك التى يخطرون بها الحكومة المصرية ٠

وأمكننى الحصول على كشف للمصروفات السرية التى كانت تصرف لبعض الموظفين وبعض المواطنين كمكافآت وصلت الى ٢٠٠ جنيه شهريا فى بعض الأحيان ٠

وأذكر أنه كان ممنوعا على غير موظفى الشركة الاشتراك فى عضوية نادى شركة القناة فطلبت من عشرات الجنود خلع ملابسهم والسباحة وهم عرايا تماما للضفة الغربية للنادى وعودتهم فورا ، ويومها هرع الى (نجم الدين شاهين) مندوب الحكومة فى الشركة حيث أبلغنى قبول الضباط المصريين أعضاء شرف بالنادى ، وتقرر السماح للمصريين بالاشتراك أيضا ٠

وفى شهر مايو ١٩٥٦ طلب منى جمال عبد الناصر تقريرا عن انطباعاتى ورأيى فى الاحتمالات التى يمكن أن تحدث فيما لو اتخذ اجراء ضد الشركة ولما سألته عن معنى هذه الاجراءات قال (سمها كما شئت) دون أن يفصح من الأمر شيئا ٠

وقد بقيت فى منطقة القنال حتى يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦ يوم جلاء القوات البريطانية ٠

وكان ذلك نهاية لفترة خاملة ، اذ أن متابعة القوات البريطانية قد هيأ وقوع وثيقة سرية للغاية توضح رأى القيادة البريطانية فى اتفاقية الجلاء كما يلى :

١ ـ اتفاقية الجلاء صورية وأنها غلطة يجب اصلاحها لأنها ستؤثر على عدن وسنغافورة ولذا يجب عدم ترك المنطقة ٠

٢ ـ انجلترا تنوى العودة لاحتلالها فى أول فرصة ولذا يجب الاعتماد على بعض العناصر الموالية ٠

٣ ـ مواصلة امداد اسرائيل بالأسلحة وتطوير العلاقات معها لاستخدامها فى عملية العودة للمنطقة ٠

٤ ـ تعطيل امداد مصر بأى سلاح اذ أن هناك احتمال عودة القوات خلال الشهور الستة الأولى بعد الانسحاب ٠

وقد أرسلت صورة هذه الوثيقة لجمال عبد الناصر الذى أطلع عليها السفير البريطانى سير رالف ستيفنسون بعد طمس نمرتها الخاصة

ليكشف له خطتهم ·· وبعد فترة فوجئت بأن الجنرال هل يطلب من على عامر نقلى من المنطقة (حتى لا يؤثر ذلك على تنفيذ الاتفاقية) ·· ولكن عبد الحكيم عامر رفض ذلك باعتباره تدخلا فى شئون مصر الداخلية ·

وقد استدعانى جمال عبد العناصر بعد ذلك بحضور المشير عامر وزكريا محيى الدين وجمال سالم وقال لى ان هذه الوثيقة كانت عاملا من عوامل تقدير موقفنا ، وتغيير سياستنا مع بريطانيا وطلبنا أسلحة من دول أخرى ·· وطلب منى الحصول على ذخيرة مدفعية مضادة للطائرات ومدفعية مضادة للدبابات من معسكرات الجيش الانجليزى ·

وعند محاولة الحصول على هذه الذخيرة تبينت أن القوات البريطانية تعد مخابىء تحت الأرض فى المعسكرات التى تجلو عنها لتكون مخازن تخزن فيها الأسلحة والدبابات ، وعندما تحققت من ذلك بنفسى بوجود سلم حديدى بعمق ٥ أمتار يوصل الى دهليز عرضه ١٠ أمتار وطوله نصف كيلو وملىء بالمدافع المشحمة وصناديق الذخيرة ، نزلت الى جمال عبد الناصر الذى حضر معى شخصيا الى المنطقة بطريقة سرية وأمضى اليوم فى شقتى حتى حل الليل وذهب الى المعسكر حيث شاهد خندق التخزين بنفسه ، وتأكد من أن تدبيرا ما تعده القوات البريطانية ·

س ٣ : ماذا كان عملك بعد مغادرة منطقة القناة يوم اتمام الجلاء ؟

ج ٣ : عينت ملحقا عسكريا فى الأردن بعد مصرع البكباشى صلاح مصطفى بقنبلة اسرائيلية استلمها فى طرد على هيئة كتاب ·

كان الموقف مع الأردن طيبا والقيادة المشتركة تؤدى دورها ، وقد وصل المشير عمان وغادرها الى دمشق ثم سافر للقاهرة ·

وقد سقطت الطائرة المرافقة للمشير فى رحلة العودة اذ التقطت بعض الاشارات وكان مفروضا أن تسقط طائرته لولا تأخره فى مطار دمشق ·

حدث الهجوم على مصر يوم ٢٩ أكتوبر وكان السفير بائسا ومتشائما محبذا تسليم الثورة لعلى ماهر ، فاستدعى للقاهرة حيث أحيل الى المعاش ·

وحضر الى عمان الصحفى مصطفى أمين ومعه الضابط محمد ياقوت للدعاية للقضية فى الخارج ، وقد طبعت لهما وثائق كانت قد وقعت مع طائرة اسرائيلية يستقلها الجنرال سمحونى رئيس أركان الجيش

الاسرائيلى فى منطقة جنوب اربد ، وهى تثبت خطتهم للهجوم على مصر ، وكنت قد أبلغت القاهرة بها فى حينه ·

س ٤ : ما هى طبيعة عملك فى الأردن بعد ذلك ؟

ج ٤ : كنا نقوم باعداد الأعمال الفدائية التى رد عليها الاسرائيليون بضرب قلقيلية وتدميرها ·

وقد استدعانى رئيس الأركان الأردنية على أبو نوار وأبلغنى ضرورة وقف أعمال الفدائيين الا عن طريق الملك والسلطة الأردنية حتى لا تتخذ السلطات الاسرائيلية اجراءات ضدهم وحتى لا تعتقلهم السلطات الأردنية أثناء عودتهم ، وقال لى مهددا انهم سيعتقلون الفدائيين ويقدمون بمحاكمتهم قائلا (لا يمكن أن نقبل تحويل الأردن الى حقل تجارب للمصريين) ·

وقد أعددت برقية بذلك للقاهرة ، ولكنه اتصل بى وطلب عدم ارسال برقية ، ثم اتصل بى ثانيا طالبا ارسال البرقية ·

وقد ردت القاهرة بموافقتها على وقف العمليات الفدائية ، كما استدعى المشير على أبو نوار للحضور لمقابلته ولكنه رفض الذهاب ·

وأثناء ذلك بدأت تنشط (جماعة انتفاضة الأردن) التى استطاعت أن تجنب على أبو نوار الذى قيل انه كان يعد لانقلاب أبلغ عنه ابن عمه (معن أبو نوار) واستطاع أبو نوار الهرب ومن بعده أيضا على الحيارى ·

واقيلت وزارة النابلسى وعين سمير الرفاعى ·

وكانت زيارة الملك سعود للاردن فى يونيو ١٩٥٧ هى بداية التنسيق بين الجبهتين فطرد على خشبة من السعودية وفى اليوم التالى وصل سعود لعمان وفوجئت بدخول ضابط اسمه (صفوت شقير) يطالبنى بأسلحة ومفرقعات لاغتيال الملك حسين وسمير الرفاعى وبهجت التلهونى ، واندهشت لهذا الموقف ، ففتشت الضابط فوجدت معه جهاز تسجيل أثبت أنه كان مدسوسا على من المخابرات الأردنية ·

احتجزت الضابط الأردنى وفوجئت بأن مكتبى قد حوصر بالمدرعات والمشاه ووصل مدير الأمن العام (حكمت مهيار) متسائلا عن صفوت شقير فانكرت وجوده منتظرا التعليمات من مصر التى أبرقت اليها ·

وعند الفجر وصل والد الضابط وعند الفجر بدأ المنزل يتعرض لالقاء الطوب ، حتى وصلت تعليمات القاهرة بتسليم الضابط فسلمته لهم بعد استحضار أطباء للكشف عليه وتسليمه بطريقة قانونية .

وبعد نصف ساعة اتصل بى سمير الرفاعى طالبا منى مغادرة الأردن أنا ومحمد محمود عبد العزيز قنصلنا فى القدس خلال ٤٨ ساعة .

ولما أبلغت مصر بذلك جاء الرد بأن جمال عبد الناصر قرر طرد السفير الأردنى عبد المنعم الرفاعى على الا يغادر القاهرة قبل وصولى سالما .

بعد ذلك نقلت للخارجية .

كمال ناجى

مدير التعليم فى قطر

س ١ : ما هى معلوماتك عن صلة الإخوان المسلمين بحركة الجيش قبل قيامها ؟

ج ١ : كانت هناك صلة وطيدة بين عدد كبير من الضباط وجماعة الأخوان المسلمين ، وعندما شب حريق القاهرة اتصل جمال عبد الناصر بحسن العشماوى لاخفاء أسلحة الفدائيين فى عزبته ... وهى الأسلحة التى ضبطت فيما بعد عند القيام بالحملة ضد الأخوان المسلمين .

وفى ليلة ٢٣ يوليو صدرت لنا التعليمات بحراسة الكنائس والمعابد اليهودية فى أيام الثورة الأولى لمنع الفتنة وقد استمر ذلك يوما كاملا .

س ٢ : ما هى فى رأيك الأسباب التى أدت الى تدهور العلاقة بين الأخوان وحركة الجيش ؟

ج ٢ : تعود الأسباب أساسا الى رفض الحركة العسكرية وجود عنصر تنظيمى منافس ، كما أن انشقاقا حدث فى صفوف الأخوان ، عندما اتخذ (عبد الرحمن السندى) رئيس الجهاز المسلح موقفا مضادا لحسن الهضيبى المرشد العام والشيخ سيد سابق ... وقد أدى ذلك الى تكوين جهاز سرى جديد بقيادة ابراهيم الطيب ويوسف طلعت والشيخ محمد فرغلى .

وحدث خلاف آخر فى صفوف الأخوان حول عودة الجيش للثكنات ورفض الحكم العسكرى .

وقد لعب جمال عبد الناصر على هذه التناقضات فقرب اليه عبد الرحمن السندى كما قرب اليه أيضا العناصر المتطلعة للحكم .

وقد ازدادت شقة هذا الخلاف مع الوقت ، الى أن بدأت مطاردة حركة الجيش للعناصر الأخوانية وحل الأخوان فى يناير ١٩٥٤ ثم عودتهم للعمل بعد استقالة محمد نجيب فى أواخر فبراير :

وتأزمت الأمور بعقد اتفاقية الجلاء التى انتهت بمحاولة الاعتداء على حياة جمال عبد الناصر وهرب عدد من قادة الأخوان ومحاكمة البعض الآخر وكنت وقتها فى السودان واعتذر الأزهرى عن تسليمنا .

الاســم : **كمال رفعت**

تاريخ الميلاد : **اول نوفمبر سنة ١٩٢١**

مهنة الوالد : **مهندس رى**

الامــلاك : **لا شيء**

متخــرج فى : **الكلية الحربية يوليو ١٩٤٢**

الرتبة وقت حركة الجيش : **يوزباشي (نقيب)**

آخر وظيفــة : **عضو مجلس رئاسة نائب ورئيس وزراء وسفير مصر بلندن**

العمل الآن : **المعــاش**

س ١ : مــا هى ارتباطاتك السياسية قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؟

ج ١ : لم تكن هناك ارتباطات محددة بالذات نتيجة عجــز الاحــزاب السياسية فى ذلك الوقت عن التعبير عن مصالح الجماهير ، وكذلك عجــز التنظيمات الجماهيرية أو السياسية الاخرى عن اشباع رغبات جيلنــا فى النواحى السياسية والفكرية ·· ومع ذلك فقد انضممت الى تنظيمات شباب حزب الوفد فى فترة الثلاثينيات ثم انفصـــلت عنهــا بعــد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ ·· كما كنت على اتصال ببعض التنظيمات اليسارية فى فترة الأربعينيات ·· كما كنت على صلة بالفريق عزيز المصرى منــذ عام ١٩٤٢ حتى وفاته · والاتصال بعزيز المصرى له قصة : فقد كنت فى ذلك الوقت بالسنة النهائية بالكلية الحربية وكانت قوات المحور تتقــدم نحو الاسكندرية ، وعلمنا أن الانجليز بدأوا يستعدون للجلاء عن مصر بعد تدمير الكبارى والقناطر فى الوجه البحرى واغراق الدلتا بالمياه لمنع تقدم قوات روميل الى القاهرة ·· وقــد أثارتنا هذه المعلومات فعقدنــا اجتماعا فى الكلية الحربية ليلا بعد نوبة نوم حضره عدد كبير من الطلبة ، وأخذنا نتشاور فى الأمر للحيلولة دون تنفيذ الانجليز لمخططهم ·· وبعد مناقشات طويلة قررنا ارسال وفد من طلبة الكلية الى الزعماء السياسيين

فى البلد لاستطلاع رأيهم ٠٠ وقد تكون الوفد منى ومن السيد أمين شاكر (وزير السياحة السابق وكان باشجاويش الكلية) ومن السيد جاد عبد الله سالم الذى يعمل محاميا الآن ٠٠ وتوجهنا الى الفريق عزيز المصرى فى منزله بعين شمس وأفهمناه أننا ضباط بالجيش ونريد الاستئناس برأيه فى الموقف ٠

وكان رأى عزيز المصرى هو تكوين فرق للمقاومة لمنع الانجليز من القيام بأية عمليات تخريبية ٠٠ توجهنا بعد ذلك الى السيد عبد السلام الشاذلى فى منزله والى السيد مكرم عبيد فى مكتبه ولكنهما لم يفيدانا برأى يمكن الاعتماد عليه ٠٠ وانما انصبت لمناتهما على حكومة الوفد التى جاءت الى الحكم تحت ضغط من الانجليز اثر حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ المعروف ٠ ومن الواضح أن عزيز المصرى كان من العناصر الثورية الصادقة النقية التى تؤمن بالنضال ، الا أنه كانت له بعض الآراء الجامدة ٠

بعد تخرجى فى يوليه سنة ١٩٤٢ عينت بالكتيبة الأولى فى السودان وهناك كنا على اتصال ببعض الضباط السودانيين فى قوة الدفاع السودانية بهدف الاستيلاء على السلطة فى السودان وطرد الانجليز منه ثم الزحف على مصر بعد ذلك لتخليصها من الحكم الاستعمارى ٠٠ وقد حاولنا أن نجدد مدة خدمتنا فى السودان مع الكتيبة الخامسة التى حلت محل الكتيبة الأولى عام ١٩٤٣ الا أنه لم يوافق لنا على التجديد ٠

بعد رجوعى الى القاهرة من السودان بدأنا فى عمل تنظيمات خاصة لمهاجمة أفراد قوات الاحتلال والاستيلاء على الأسلحة والذخائر من المعسكرات البريطانية التى كانت منتشرة فى ضواحى القاهرة خصوصا منطقة شارع الهرم ٠ وكان يشاركنى فى ذلك السيد حسن التهامى وبعض العناصر من طلبة الجامعات ٠٠ وكان من أبرز عملياتنا فى صيف ١٩٤٧ هو تدمير السفارة البرازيلية بالقاهرة وكانت بالدور الثالث بعمارة بشارع سراى الجزيرة بالزمالك ٠

وكان ذلك بسبب أن البرازيل كانت عضوا فى مجلس الأمن فى ذلك الوقت ابان نظر قضية مصر فى المجلس وكان صوتها دائما يرجح الجانب المعادى لمصر بالرغم من اعادة التصويت عدة مرات فقررنا القيام بهذه العمل اعلانا لاستنكارنا لهذا الموقف ٠٠ ومن الطريف أن البوليس السياسى حينما فشل فى معرفة الذين قاموا بالعملية ، اتهم المخابرات البريطانية بتدبير الحادث بهدف اساءة العلاقات بين مصر والبرازيل !

وقد كان أول اتصال لى بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى منطقة (أسدود) أثناء حرب ١٩٤٨ ٠ وبالرغم من عدم التكلم معا فى أية تفاصيل

الا أن كلا منا كان يفهم ما يدور فى ذهن الآخر ٠٠ وتوجه هو بعد ذلك الى منطقة (الفالوجة) وكنت أنا بمنطقة (المجدل) ولم نلتق ثانية الا فى القاهرة عام ١٩٥٠ ٠٠ وكنت قد انضممت الى تنظيم الضباط الاحرار عن طريق عبد الحكيم عامر •

س ٢ : ما هو الدور الذى قمت به فى الاعداد للحركة وفى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟

ج ٢ : منذ عام ١٩٥٠ كنت أعمل برئاسة اللواء الأول المشاه بمنطقة العريش ٠٠ وكان معى برئاسة اللواء كل من الصباغ (رائد) عبد القادر مهنا واليوزباشى (نقيب) حسن عبد النبي والملازم أبراهيم بغدادى وكنا جميعا من تنظيم الضباط الاحرار ٠٠ وقد تمكنا من هذا الموقع الاتصال وتجنيد عدد كبير من الضباط للتنظيم ٠٠ وكنت استلم المنشورات من المرحوم المشير عبد الحكيم عامر ــ وكان وقتئذ أركان حرب سلاح المشاه ــ بالقاهرة حينما أكون بأجازة الميدان ــ وكانت ثلاثة أيام كل شهر ــ ونقوم بتوزيعها فى منطقة العريش ونسلم جزءا منها الى المرحوم صلاح سالم فى منطقة رفح لتوزيعها بمعرفته ٠٠ وكنا قد لجأنا الى هذه الوسيلة حيث كانت المنشورات المرسلة بالبريد للضباط تصادر فى القاهرة ٠٠ هذا علاوة على بعض المنشورات التى كنا نطبعها بمعرفتنا فى منطقة العريش ٠

وقد فوجئت بنقلى الى الكلية الحربية فى أوائل عام ١٩٥١ بالرغم من أننى لم أسع الى ذلك ٠٠ وقد علمت أن المرحوم عبد الحكيم عامر قد أجرى هذا النقل وغيره بهدف تجميع أكبر عدد من الضباط الاحرار فى القاهرة ٠٠ ومنذ ذلك الوقت استمرت صلتى بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر حيث انه المرحوم عبد الحكيم عامر كان قد نقل الى رفح ٠٠ وكان تنظيم الضباط الاحرار بالكلية الحربية يبلغ حوالى خمسة عشر ضابطا على رأسهم السيد زكريا محيى الدين قبل نقله الى كلية أركان الحرب ٠٠ وكنت قد عرضت على الرئيس عبد الناصر حينما كان يفكر فى القيام بالثورة فى أعقاب حريق ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ أن تقوم الكلية الحربية بقوتها من الطلبة بالاستيلاء على رئاسة الجيش المواجهة لمبنى الكلية بكوبرى القبة وتأمين منطقة شارع الخليفة المأمون ٠٠ وكنا قد أعددنا كشفا بأسماء الطلبة من أبناء كبار رجال العهد الملكى لاعتقالهم عند بدء التحرك ٠٠ وقد وافق الرئيس عبد الناصر مبدئيا على هذا الرأى الا أن قيام الثورة فى شهر يوليو ١٩٥٢ لم يمكنا من استخدام طلبة الكلية فى الثورة حيث كانوا بالأجازة الصيفية ٠٠ ومن المعروف أن احتلال رئاسة الجيش قد أوكل بعد ذلك الى المرحوم البكباشى يوسف منصور

صديق قائد ثان كتيبة مدافع الماكينة الأولى ٠٠ وقد استخدم مبنى الكلية كمعتقل لقادة الجيش الملكى الذين استسلموا بلا أدنى مقاومة ٠

وعلاوة على النشاط الخاص بتوزيع المنشورات وتجنيد المزيد من الضباط الاحرار فقد شاركت فى عمليات الفدائيين بمنطقة القنال عقب الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى أكتوبر ١٩٥١ وذلك بمعرفة رئاسة التنظيم ٠ فكنت أقوم أنا والسيد حسن التهامى بتدريب بعض الشباب من طلبة الجامعات وصغار الموظفين على حرب العصابات بمنطقة طريق القاهرة ـ الفيوم الصحراوى سواء نهارا أو ليلا ثم نتولى قيادة بعض العمليات فى مناطق الاسماعيلية والقصاصين والتل الكبير ضد المعسكرات البريطانية وكانت رئاسة تنظيم الضباط الاحرار تمدنا بما نحتاجه من سلاح وذخيرة علاوة على ما كنا نشتريه بامكانياتنا الخاصة وقد استمرت عملياتنا حتى حدوث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ ٠٠ وقد قبض بعد ذلك على بعض أفراد التنظيم الفدائى كما ضودرت بعض أسلحة التنظيم ٠٠

ونظرا للعلاقة الوثيقة مع جمال عبد الناصر فقد اشتركت معه فى محاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر ٠٠ وكان هو شخصيا صاحب فكرة الاعتداء عليه ٠٠ فقد حضر الى بالمنزل مساء يوم ٨ يناير عام ١٩٥٢ وأخبرنى بفكرته وكان قد سبق ذلك بعض المناقشات فيما يتخذه تنظيم الضباط الاحرار لتأمين نفسه خصوصا أن بعض عناصر التنظيم التى اشتركت فى عمليات القناة أصبحت معروفة لدى السلطة القائمة فى ذلك الوقت ٠٠ كما دارت مناقشات أخرى بالنسبة للاسلوب الذى يتخذه التنظيم فى العمل خصوصا أن بعض العناصر قد بدأت تتحلل من ارتباطاتها بالتنظيم ٠٠ وعموما فقد ذهبت معه ومعنا حسن تهامى الى منزل حسين سرى عامر فى نفس الليلة لانتهاز أية فرصة لتنفيذ العملية ٠٠ ولما لم يتيسر ذلك ارجأنا العملية الى اليوم التالى حيث انضم الينا حسن ابراهيم حيث قام بعملية المراقبة وكان جمال عبد الناصر يقود عربته الاوستن الصغيرة وينتظرنا فى شارع مجاور وتوليت أنا وحسن تهامى تنفيذ العملية ٠٠ ولحسن الحظ لم يصب حسين سرى عامر وانما أصيب السائق فقط بطلقتين شفى منهما بعد ذلك ٠٠ لا شك أن العملية تمت فى ظروف نفسية وسياسية كانت تحيط بنا ، تحركها انفعالات مختلفة ارتبطت بالظروف التى كانت تجتازها البلاد فى ذلك الوقت ٠٠ وقد اتضح لنا بعد ذلك أن مثل هذه الأساليب لا تجدى وأن الأسلوب الوحيد هو الثورة الشاملة والتى تمت ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠٠ وقد عبر عبد الناصر عن حقيقة مشاعره تجاه هذا الحادث فى كتاب « فلسفة الثورة » والتى كانت فى الحقيقة تعبيرا عن مشاعر كل الذين اشتركوا فى العملية ٠

وقد استمرت زيارتي لعبد الناصر في منزله من حين لآخر مع بعض الزملاء بهدف الحث على القيام بالثورة خصوصا وأن النظام الملكي أخذ يترنح نتيجة الازمات التي يواجهها على المستوى السياسي والاقتصادي وتخلف القوى السياسية التي كانت قائمة في ذلك الوقت عن استيعاب حركة الجماهير وتفهم التغيير الذي حدث في طبيعة نضال الجماهير خصوصا بعد أحداث الحرب العالمية الثانية التي فرضت صورة جديدة للكفاح لم تكن موجودة من قبل .. حيث قامت حركات تحرر الشعوب من الاستعمار على أسس سياسية واجتماعية .. بمعنى ارتباط الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية وهذا فرض بالضرورة تطور أساليب الكفاح ونوع القوى الاجتماعية التي تقوم به .

وبالرغم من ذلك فان الضباط الاحرار لم يكفوا لحظة واحدة من الاتصال بكافة التيارات السياسية التي كانت دائرة في المجتمع وأن تتأثر بها او يتأثر بها بعض افرادها .. ومما لا شك فيه أن هذه التيارات السياسية انعكست بدورها في صفوف الحركة .. الا أن الحركة عموما لم تنجذب لواحد من هذه التيارات بعينه واستطاعت أن تحافظ على ذاتيتها كتنظيم ثوري يؤمن بالفكر والكفاح الثوريين ، لا بالفكر الاصلاحي وأسلوب الكفاح السلمي المشروع الذي ارتبطت به معظم التيارات والتنظيمات السياسية بعد ثورة ١٩١٩ وصدور دستور ١٩٢٣ .

كان حريق القاهرة في ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ بداية انهيار النظام الملكي الذي كان قائما بمؤسساته وأحزابه ومقوماته .. وسار الانهيار بخطوات سريعة غير منتظرة الى درجة أن الاستعمار الذي كان هذا النظام يعتمد عليه في البقاء والاستمرار بدأ يفكر في التخلي عنه .

في هذه الظروف كان تنظيم الضباط الاحرار مراقبا للاحداث عن كثب .. وأصدر منشورا بعد الحريق ينبه ضباط الجيش الى أن الخونة من المصريين يظنون أن الجيش أداة طيعة في أيديهم يمكنهم من البطش بالشعب .. وأكد المنشور أن مهمة الجيش هي الحصول على استقلال البلاد وصيانته .. وأن نزول الجيش في شوارع القاهرة بعد الحريق كان لاحباط مؤامرة الخونة .. وفي أوائل شهر يوليو ١٩٥٢ أصدر الضباط الاحرار منشورا آخر يبين أن من أهداف الضباط الاحرار الكفاح ضد الفساد وضد الرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ .. ولكن لا يتم ذلك الا بعد القضاء على الاستعمار .

كنت في هذه الاثناء على اتصال مستمر بجمال عبد الناصر وكنت معتادا أن أمر عليه حوالى الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر في منزله

بكوبري القبة المواجه للكلية الحربية (الفنية العسكرية حاليا) مع بعض الزملاء في التنظيم . وفي يوم ٢٠ يوليو كنت عنده أنا والصاغ عبد الحليم عبد العال . وحوالي الساعة الرابعة بعد الظهر حضر الصاغ ثروت عكاشة وكان بادي الانفعال وقال ان لديه أنباء ان وزارة حسين سري قدمت استقالتها وأن نجيب الهلالي سيؤلف الوزارة الجديدة وأن اللواء حسين سري عامر سيعين وزيرا للحربية . وهنا بدأ الاهتمام على وجه الرئيس وأمرنا بابلاغ خلايا التنظيم بالاستعداد القيام بالثورة في اليوم التالي ثم نزل من المنزل على عجل واتجهت أنا والصاغ عبد الحليم عبد العال للاتصال بأعضاء التنظيم واستكمال بعض التحريات عن منازل بعض كبار قادة الجيش الملكي حيث كان من واجبنا اعتقالهم بمنازلهم .

في يوم ٢١ يوليو توجهت مرة ثانية الى منزل عبد الناصر الذى أخبرني في منزله بالعباسية صباح يوم ٢٢ يوليو لتلقي آخر التعليمات . وفعلا أن اجراءات القيام بالثورة مستمرة وعلينا أن نتصل بعبد الحكيم عامر ذهبت أنا وعبد الحليم عبد العال وعباس رضوان واسماعيل فريد الى منزل عبد الحكيم حوالي العاشرة صباحا حيث أبلغنا أنه قد تقرر تأجيل العملية نظرا لأن اسماعيل شيرين قد عين وزيرا للحربية بدلا من حسين سري عامر . وقد اعترضت أنا على هذا التأجيل موضحا أن ذلك معناه كشف الحركة حيث أن عددا كبيرا من الضباط قد علم بأن الاجراءات تتخذ للقيام بالثورة ومن المحتمل أن تتسرب هذه المعلومات بطريقة ما الى السلطة القائمة وطلبت منه اعادة النظر في هذا الموضوع وافادتنا فورا . اقتنع عبد الحكيم عامر بوجهة نظري وحدد لنا ميعاد لقاء الساعة الثالثة بعد ظهر نفس اليوم في منزل محمد البلتاجي في العباسية .

توجهنا الى منزل البلتاجي في الميعاد المحدد وانتظرنا حضور عبد الحكيم عامر حتى حوالي الساعة السابعة والنصف لدرجة أن بعضنا غلبه النعاس نتيجة الارهاق طوال النهار . أخبرنا عبد الحكيم انه قد تقرر القيام بالحركة نفس الليلة وطلب منا التوجه الى سلاح الفرسان الساعة الواحدة صباحا لمقابلة الصاغ ثروت عكاشة لاستلام تروب عربات مصفحة للقيام بعملية اعتقالات كبار الضباط .

كان الوقت ضيقا لأنه من المفروض أن نبلغ خلايا الضباط الاحرار بالموعد الجديد ونجهز معتقل الكلية الحربية خصوصا انه لم تكن لدينا وسيلة مواصلات في ذلك الوقت .

ذهبنا الى مصر الجديدة حيث توجهت الى أحد الأصدقاء واستعرت عربته ، وبدأنا عملية مرور على منازل الضباط الاحرار لتبليغهم بضرورة تواجدهم في وحداتهم في الموعد المحدد . وقد استغرقت هذه العملية

جهدا كبيرا منا حيث أخذنا نتنقل فى أنحاء القاهرة من مصر الجديدة الى الجيزة وبالعكس واستطعنا أن نتصل بالبعض أو نترك لهم خبرا بالتواجد فى الكلية الحربية فى منتصف الليل . كما كان علينا أن نرتدي الملابس العسكرية ونستلم السلاح والذخيرة التى كانت موجودة بمنزلى فى ذلك الوقت والتوجه فى الميعاد المحدد الى سلاح الفرسان . أثناء مرورنا بشارع الخليفة المأمون لاحظنا حركة غير عادية فى مركز قيادة الجيش بكوبرى القبة حيث عقد الفريق حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت اجتماعا مع قادة الجيش الملكى بعد أن تسربت أنباء عن تحركات الضباط الاحرار تلك الليلة . توجهنا الى منطقة الماظة لاستطلاع الأمر فلاحظنا بتواجد قوات على الطريق ، ولكنا لم نتبين هل هى قوات الثورة أم ضد الثورة . عدنا مرة أخرى الى سلاح الفرسان بالعباسية ولحق الصاغ ثروت عكاشة فنزلنا فورا وتركنا عربة صديقى داخل سلاح الفرسان وكان تروب العربات المصفحة جاهزا بقيادة الملازم آمال المرصفى فاستلمته أنا ومحمد البلتاجى ، وانطلقنا الى مصر الجديدة . الا أننا فوجئنا بالمرحوم يوسف منصور صديق يقتحم مبنى القيادة فتوقفنا واستلمنا كبار القادة المعتقلين وتوجهنا بهم الى مبنى الكلية الحربية حيث كان فى انتظارنا هناك كمال الدين الحناوى وحمدى عاشور والصاغ حسين حمودة الذين تولوا العناية بهم . توجهت بعد ذلك ومعى تروب العربات المصفحة الى مصر الجديدة حيث تم اعتقال اميرالاى سعد الدين صبور فى منزله والاميرالاى طيار حقى هارون الذى حاول أن يقاوم ويستخدم مسدسه فى ذلك مما اضطرنى الى استخدام القوة معه وتم اعتقاله كما تم اعتقال بعض القادة الآخرين فى منازلهم بمصر الجديدة ونقلهم الى الكلية الحربية .

فى نفس هذا الوقت كانت قوى الثورة قد استطاعت أن تسيطر على العقد الرئيسية فى القاهرة بحيث يمكن القول أن العملية كلها لم تستغرق أكثر من ساعتين أمكن بعدها استدعاء اللواء محمد نجيب فى الثالثة صباحا كما أمكن اذاعة البيان الأول للثورة فى الساعة السابعة من صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

س ٣ : ما هى المسئوليات التى عهدت اليك بعد نجاح الحركة ؟

ج ٣ : عينت بالمخابرات الحربية وكلفت بمسئولية قسم بريطانيا ، وبدأت فى تنظيم حركة للكفاح المسلح فى منطقة القناة .

س ٤ : ما هى الفروق – فى رأيك – بين حركة الكفاح الشعبى المسلح التى قامت فى عهد الوفد ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، وبين حركة الكفاح المسلح التى تمت بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، حتى توقيع اتفاقية الجلاء ؟

ج ٤ : لم تكن حركة الكفاح الشعبى المسلح التى قامت فى عهد الوفد ١٩٥٠ ، ١٩٥١ تتسم بالجدية ، ولم تعبأ لها الجماهير التعبئة اللازمة • لذلك كانت مقتصرة على بعض العناصر الوطنية المتحمسة وأصبحت مجالا لابراز بطولات زائفة على صفحات الجرائد وكان بعضها يحاول أن يبرز أن الملك السابق كان هو الفدائى الأول وغير ذلك من سخافات • بل ان البعض الآن يحاول كتابة مذكراته عن هذه الفترة وهم لم يحملوا السلاح اطلاقا أو يشتركوا فى أية عملية من عمليات الفدائيين • هذا ومن المعروف أن الغاء معاهدة ١٩٣٦ كان تحت ضغط شعبى أكثر منه سياسة كانت الحكومة القائمة تنوى اتباعها تجاه الاحتلال البريطانى • لذلك لم تستمر حركة الكفاح الشعبى وأجهضت بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ واقالة حكومة الوفد • واعتقد أن حركة الكفاح الشعبى لو أخذت فرصتها فى ذلك الوقت ما كانت أية قوة تستطيع أن تتصدى لها •

أما حركة الكفاح المسلح بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ فقد كانت قائمة على أسس ثورية جندت لها أكفأ العناصر فى ثورة يوليو • واستخدمت فيها كافة الأساليب الثورية من حرب عصابات الى عمليات تخريب الى الحرب النفسية ضد العدو وغير ذلك من أساليب • علاوة على ارتباطها بالعمل السياسى الذى كان قائما فى ذلك الوقت مما جعلها تسير وفق استراتيجية متكاملة كانت من أهم أسباب نجاحها • وقد جاء فى خطاب للرئيس عبد الناصر فى أغسطس ١٩٥٤ بعد توقيع اتفاقية الجلاء :
« ••• منذ قامت الثورة فى سنة ١٩٥٢ الى يوم اتفاق الجلاء كانت هناك معارك وكان هناك فداء حقيقى • لا للشهرة ولا للتهريج والخداع والتضليل • هناك شهداء ماتوا فى منطقة القنال وقد وقف سلوين لويد فى مجلس العموم البريطانى وقال : ان حوادث القنال فى السنة الأخيرة أكثر من ألف على الأفراد والمنشآت والمستودعات •••• » •

س ٥ : معروف أنك لعبت دورا خلال ازمة مارس ١٩٥٤ ما هى حقيقة ما قمت به ؟

ج ٥ : من المهم معرفة حقيقة هذه الأزمة والظروف التى لابستها والعناصر التى اشتركت فيها • فبعض الآراء الآن تحاول ابراز أن هذه

الأزمة كانت صراعا بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر على السلطة ·
وهذا فى رأيي غير صحيح بالمرة · وانما هى فى حقيقتها صراع بين القديم
والجديد وصراع بين الثورة والثورة المضادة ·

فى هذه المرحلة بالذات كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ تناضل فى ثلاث
جبهات فى وقت واحد :

- النضال ضد الوجود الاستعماري في منطقة القنال وكانت المعركة بين الفدائيين والقوات البريطانية قد وصلت الى ذروتها منذ أوائل عام ١٩٥٤ تدعيما لموقف المفاوض المصرى فى مباحثات الجلاء ·
- المعركة ضد الاقطاع وقواه المترسبة فى الريف على أثر صدور قوانين الاصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ ·
- ظهور قوى الثورة المضادة التى بدأت تستعيد بعض قواها بعد الضربات التي لحقت بها من خلال التصفية الجارية لقوى الاستعمار والاقطاع والأحزاب الرجعية ومحاولتها الالتفاف حول بعض عناصر الثورة لاحتوائها ·

هذه هى المعارك التى كانت تخوضها الثورة والتي يتجاهلها البعض
عند الكلام عن أزمة مارس عام ١٩٥٤ ويناقشون الأزمة من وجهة نظر
واحدة ·

وكانت العناصر التى تشكل الأزمة ثلاثة :

- مجلس قيادة الثورة برئاسته الحقيقية المتمثلة فى جمال عبد الناصر والذى يتولى تحقيق مبادىء الثورة الستة بمفهوم ثورى وتقدمى ·
- محمد نجيب الذى كان يمثل دورا ثانويا فى الثورة ولكنه فى نفس الوقت كان رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس الوزراء ·
- القوى السياسية التى كانت قائمة قبل يوليو ١٩٥٢ والتى اعتقدت ان المجال أصبح مفتوحا أمامها لاستلام السلطة بعد طرد الملك والغاء النظام الملكى فى يونيو عام ١٩٥٣ ، وان الثورة مجرد انقلاب هدفه تغيير الوجوه الحاكمة دون أحداث أى تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية فى المجتمع ·

كنت فى ذلك الوقت أتولى عمليات الفدائيين فى منطقة القنال وكنت
احضر الى القاهرة من حين لآخر لأكون على اتصال بالأحداث التى تجرى
فى العاصمة ، ولقاء عبد الناصر اذا ما كان لديه أية تعليمات أو توجيهات
معينة · كنت أشعر بالألم والاسى فى نفس الوقت ، لما أجده فى القاهرة

من صراعات لا تقدر حقيقة الظروف التى تجتازها البلاد وكل قوة تحاول أن تعمل لنفسها ٠

محمد نجيب مثلا الذى استشعر قوته وشعبيته والتى عمل على تنميتها مستغلا انشغال مجلس قيادة الثورة والضباط الاحرار فى مهامهم الثورية ، بدأ يطالب بمزيد من السلطات بصفته رئيسا للجمهورية لاغيا فى ذلك اختصاصات مجلس قيادة الثورة بل مبادىء الثورة نفسها ٠ وكان يحاول باستمرار تفجير الأزمات وايصالها الى الشارع موهما الجماهير انه نصير الديموقراطية وان الذى يقف ضدها هو مجلس الثورة ٠ متناسيا انه هو الذى وقع قبل ذلك قرارات الاعتقال واعدام العاملين خميس والبقرى ، واصدار قوانين الغاء الدستور وحل الاحزاب وتشكيل محكمة الثورة ٠٠٠ الخ ٠

لقد أصبح محمد نجيب فى يوم وليلة حامى حمى الحرية والديمقراطية ، واستقطب بذلك كثيرا من العناصر المعادية للثورة حوله من فلول الاحزاب المنحلة وجماعة الأخوان المسلمين بل من بعض الشيوعيين الذين لم يكونوا على فهم بحقيقة التحولات التى تجرى فى المجتمع ٠ والذين كانوا يرون أن أية حركة فى الجيش هى بالضرورة حركة معادية للشعب ومتعاونة مع الاستعمار ووقفوا مع قوى الثورة المضادة ٠ وقد انعكس هذا الموقف على القوات المسلحة بالتالى فبدأت بوادر التمرد تظهر خصوصا فى سلاح الفرسان الذى كان معروفا انه يجمع الطبقات البورجوازية الحاكمة قبل يوليو ١٩٥٢ والذى كانت لهم صلات بالاحزاب المنحلة ٠ وقد ظهر ذلك واضحا بعد استقالة محمد نجيب فى ٢٥ فبراير ١٩٥٤ ٠

فى هذا الوقت كنت بالقاهرة وطلب منى عبد الناصر البقاء فيها بعض الوقت ٠ ذهبت الى منزل عبد الناصر صباح يوم ٢٦ فبراير عام ١٩٥٤ وكان يوم جمعة ، فوجدت انه كان متفائلا مبينا أن الأمور تسير بهدوء ٠ الا اننى فوجئت بالسيد زكريا محيى الدين يتصل بى حوالى الساعة الثامنة مساء فى المنزل ويطلب منى الحضور الى مبنى القيادة العامة فى كوبرى القبة لأمر هام ٠

توجهت فورا الى هناك حيث أبلغنى أن جمال عبد الناصر موجود داخل سلاح الفرسان منذ أكثر من ساعة وانه لا يعلم ماذا يجرى بالداخل ، وطلب منى استطلاع الأمر ٠

دخلت سلاح الفرسان فوجدت الرئيس عبد الناصر ومعه السيد

حسين الشبافعي في مناقشة حامية مع جمع كبير من الضباط • وكانت المناقشة تدور بعيدا عن قواعد اللياقة أو الضبط والربط وكان فيها كثير من التهجم على مجلس قيادة الثورة والضباط الاحرار خصوصا من صغار الضباط • وكان ضباط الفرسان يرددون كلمة الديمقراطية ومعظمهم لا يعرف معناها أو أبعادها • وكانوا يطالبون بعودة محمد نجيب الى رئاسة الجمهورية وعودة الضباط الى ثكناتهم • أبلغت ذلك الى السيد زكريا محيى الدين فى القيادة العامة الذى بدأ يتوافد عليها عدد من الضباط الاحرار من مختلف الأسلحة • ذهبت مرة أخرى الى سلاح الفرسان الساعة الواحدة ليلا وكانت المناقشات مازالت مستمرة • بعد ذلك عاد جمال عبد الناصر واجتمع مع أعضاء مجلس قيادة الثورة واتخذ المجلس قرارا بحل مجلس قيادة الثورة وعودة محمد نجيب رئيسا للجمهورية وأن يشكل خالد محيى الدين حكومة انتقالية لمدة ستة أشهر وتجرى الحكومة انتخابات جمعية تأسيسية لتضع دستورا دائما ويعود أعضاء مجلس قيادة الثورة الى وحداتهم •

فى نفس الوقت كان الضباط الاحرار مجتمعون فى نفس مبنى القيادة فى غرفة أخرى أذكر منهم عبد الحليم عبد العال ـ صلاح نصر ـ سعد زايد ـ مجدى حسنين ـ أبو اليسر الانصاوى وحسن تهامى ـ وجيه اباظة ـ أحمد أنور وغيرهم • وبالرغم من أن هذا الاجتماع كان تلقائيا دون سابق اعداد فقد قرر المجتمعون :

١ ـ أنه ليس لمجلس الثورة الحق فى انهاء الثورة دون موافقة الضباط الاحرار •

٢ ـ أن قوى الرجعية والثورة المضادة استطاعت أن تتسلل داخل الجيش بما يهدد وحدة القوات المسلحة •

٣ ـ ان ما يجرى فى سلاح الفرسان هو عملية تمرد يجب ايقاف القائمين عليها وتقديمهم الى المحاكمة العسكرية •

٤ ـ أن محمد نجيب خان الثورة وارتمى فى أحضان الرجعية ويجب تنحيه عن كافة المسئوليات التى يتولاها •

٥ ـ أن الثورة ستظل قائمة لتحقق الأهداف والمبادىء التى قامت من أجلها بقيادة جمال عبد الناصر •

فى هذه الأثناء أبلغ ضباط سلاح الفرسان بقرارات مجلس الثورة كما أبلغ محمد نجيب فى منزله بما انتهى اليه الرأى على أساس أن يتوجه

اليه فى الصباح خالد محيى الدين فى مظاهرة عسكرية من ضباط سلاح الفرسان لاصطحابه الى قصر عابدين .

فى نفس الوقت اتخذ الضباط الاحرار خطوات عملية لتنفيذ ما إتفقوا عليه . فقامت وحدات من سلاح المشاه والمدفعية بمحاصرة ثكنات سلاح الفرسان لمنع خروج الدبابات بالقوة .

كما إتخذت ترتيبات لكي يقوم سلاح الطيران بالتحليق فوق سلاح الفرسان فى أول ضوء . كما منعوا أعضاء مجلس قيادة الثورة من مغادرة مبنى القيادة العامة . واعتقل البوليس الحربى بعض الضباط الذين كانوا يتزعمون حركة سلاح الفرسان . وقد اتفقت مع الصاغ أبو اليسر الانصارى أركان حرب سلاح المدفعية لاعداد مكان بميس سلاح المدفعية بالماظة للتحفظ فيه على محمد نجيب ومنع أى اتصال به . وقد أخبرت السيد زكريا محيى الدين بما قررته ولكنه حاول اثنائى عن ذلك دون جدوى . وتوجهت ومعى اليوزباشى داود عويس بعزبة ملاكى الى منزل محمد نجيب بالزيتون ، وأخبرت قائد الحرس بالغرض الذى أتينا من أجله ، الا انه لم يوافق الا بعد استئذان صلاح نصر قائد الكتيبة التى كانت تنتمى اليها قوة الحراسة .

دخلنا منزل محمد نجيب وانتظرنا بغرفة الاستقبال الى أن حضر الينا وهو لابس البيجاما والروب حوالى الساعة الرابعة صباحا . وأبلغته بأن كل ما اتفق عليه قد ألغى لأن الضباط الاحرار رفضوا تنفيذ قرارات مجلس الثورة التى أبلغت له بهذا الشأن .

وكان خالد محيى الدين قد قام بزيارته هو وبعض الضباط وأبلغوه بقرارات مجلس الثورة فوافق عليها فورا وكان ذلك حوالى الساعة الثالثة صباحا - كما أبلغته أن سلاح الفرسان محاصر بواسطة المشاه والمدفعية وانه تم القبض على بعض ضباطه لمحاكمتهم . وأكدت كلامى هذا حينما بدأت طائرات سلاح الطيران فى تلك اللحظة يسمع صوتها فى الجو .

دهش محمد نجيب وقال انه اتفق مع صلاح سالم وطلب الاتصال به ولكنى أخبرته لا داعي للاتصال . وطلبت منه أن يصحبنا الى ميس سلاح المدفعية حيث يقيم مؤقتا فيه الى أن تنتهى هذه الأزمة ومنعا لحدوث أى صدام بين قوات الجيش المسلحة .

تردد محمد نجيب قليلا وذهب الى غرفة النوم ثم عاد بعد فترة وهو لا يزال بملابس النوم وأصر على الاتصال بصلاح سالم ولكنى

رفضت ذلك بتاتا . ثم سألنا عما اذا كان يلبس الملابس المدنية أم العسكرية ، فقلت له (كما تريد) فاختار الملابس العسكرية . وأخذ نجيب يتلكأ ويعاود مطالبة الاتصال بصلاح سالم ويوسف في الخروج من المنزل حتى يطلع النهار ويحضر ضباط الفرسان لاصطحابه الى قصر عابدين . وعند خروجه من باب المنزل وقف وتردد في ركوب العربة وكان ذلك أمام جنود الحراسة محاولا اثارة مشاعرهم .

ولكنى طلبت منه التعجيل بدخول العربة فسألنى (هل أعتبر نفسى معتقلا وهل أعتبر أنك أخذتنى بالقوة ؟) وقلت له (يمكنك اعتبار ذلك) .

ذهبت بمحمد نجيب الى ميس المدفعية وكان الصاغ أبو اليسر الانصارى قد جهز مكان اقامته تحت حراسة مشددة .. وطلب نجيب أن يجلس فى الشمس نظرا لبرودة الجو ولكننا تحفظنا عليه باحدى الغرف واحضرنا له دفاية .

تركت نجيب مع أبو اليسر الانصارى ثم ذهبت الى القيادة حيث أبلغت عبد الحكيم عامر بما قمت به فثار ضدنا وطلب منا عدم القيام بمثل هذا العمل الا بعد تلقى تعليمات بذلك . ثم أرسل حسن التهامى الى ميس المدفعية ليعيد محمد نجيب الى منزله .

وتقديرى ان ما اتخذه الضباط الاحرار من اجراءات لمواجهة هذه الأزمة من محاصرة لسلاح الفرسان واحتجاز محمد نجيب قد جنب البلاد فى هذه الفترة أحداثا كان لا يمكن التنبأ بها ، فقد منعوا صداما كان على وشك الحدوث بين القوات المسلحة وما كان يؤديه ذلك من انعكاسات على الجماهير والقوى المؤيدة لثورة يوليو . كما ثبت خلال هذه الأحداث صلابة الضباط الاحرار ووقوفهم ضد المد الرجعى الذى كان يجتاح البلاد فى هذا الوقت .

س ٦ : هل كان هناك خلاف فى وجهات النظر بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر خلال فترة العدوان وما بعدها ؟

ج ٦ : عندما أصدر جمال عبد الناصر قراره بانسحاب القوات المسلحة من سيناء بعد افتضاح مؤامرة الدول المعتدية الثلاث حتى لا تقع فى مصيدة خطتهم التى كانت تستهدف عزلها وتدميرها فى سيناء بين الهجوم الاسرائيلى من الشرق والاندفاع الى الجنوب بالقوات الانجليزية والفرنسية لاحتلال القناة .

عندما أصدر جمال عبد الناصر هذا القرار ، تسرع عبد الحكيم عامر بسحب القوات الى الدلتا لتكون على جانب القوات البريطانية فيما لو تقدمت للقاهرة ، ونقل قيادة القوات الى الزقازيق فعلا بدلا من الاسماعيلية ٠

وكانت فكرة ناصر تقضى بالانسحاب من سيناء والدفاع عن القناة لأن هذا كان هدف المعتدين ، وأوكل الدفاع عن الاسماعيلية لكمال حسين والسويس الى صلاح سالم ٠

وقد أراد جمال عبد الناصر اخراج الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية بعد تدمير الطائرات المصرية على أرض المطارات ولكن عبد الحكيم عامر تشبث به وقاوم فكرة اخراجه ٠

والواقع أن النصر الذى حققته مصر عام ١٩٥٦ كان سياسيا وشعبيا أكثر منه عسكريا ، فان القوات المسلحة لم تؤد واجبها كما تقضى الأصول والتقاليد العسكرية الأمر الذى أدى الى طرد الضباط الأربعة المسئولين عن قيادات الجيش المختلفة فى بورسعيد ٠

وقد استمرت الخلافات بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر خلال فترة الوحدة مع سوريا نتيجة لأسلوب عبد الحميد السراج بالرغم من أنه كان يسىء لعملية الوحدة بما كان يقوم به من تعذيب وقتل باسم جمال عبد الناصر ٠

وقد وصلت هذه الخلافات ذروتها بعد الانفصال وعقب تشكيل مجلس الرئاسة ٠

س ٧ : ما هى القصة الحقيقية للخلافات داخل مجلس الرئاسة ؟

ج ٧ : تشكل مجلس الرئاسة برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية عبد اللطيف بغدادى وكمال حسين وزكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى وحسن ابراهيم وعلى صبرى والشرباصى ونور الدين طراف وأنا ٠

كان الهدف من تشكيل المجلس هو الحد من الانفراد بالسلطة وتشكيل قيادة جماعية ٠

وكان جمال عبد الناصر قد بدأ يشعر بأن عامر قد أصبح له موقع قوى ٠

وفوجئت يوما بأن هناك اجتماعا لمجلس الرئاسة عرض عليه مشروع قرار بأن يكون تعيين قيادات الجيش حتى مستوى الكتائب وضباط الشرطة لمستوى مأمورى الأقسام من سلطة مجلس الرئاسة ٠

لم يحضر جمال عبد الناصر هذا الاجتماع وتولى البغدادى الرئاسة باعتباره النائب الأول لرئيس الجمهورية ، وعند المناقشة أعلن عامر رفضه للقرار لأن الجيش قائم على سلطة القيادات العليا فاذا مر ضابط من رتبة لواء على كتيبة ووجد قائدها مخطئا فانه يكون قادرا على تنحيته أما اذا أقر هذا المشروع فان ولاء ضباط الجيش وانضباطهم يتحول الى مجلس الرئاسة وليس الى قائد الجيش ٠

وقد أيد المشروع كلا من زكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ٠

وعندما طلب البغدادى الاقتراع على المشروع وافق عليه ستة وعارضه خمسة هم عبد الحكيم عامر وكمال حسين وحسن ابراهيم والشرباصى وأنا ٠

وطلب عندئذ كمال حسين التأجيل حتى يحضر جمال عبد الناصر ورفض البغدادى التأجيل ، وحدثت مشادة بين أنور السادات وكمال حسين ، وجمع عبد الحكيم عامر أوراقه وخرج ٠

وأنهى البغدادى الجلسة ، وبعدها ذهبت الى جمال عبد الناصر ، وشرحت له فكرتى فى معارضة القرار وخطأ اتخاذه وقواتنا فى اليمن ٠٠٠ وظل اجتماعى به ثلاث ساعات كان يدافع فيها عن فكرة القيادة الجماعية ، ولو انه خشى من وصول أخبار هذا الموضوع لليمن ٠

ثم ذهبت الى عبد الحكيم عامر فوجدته متأثرا جدا لعرض جمال عبد الناصر مشروع القرار دون ابلاغه ٠٠٠ وكان قد كتب استقالته ٠

وعدت الى عبد الناصر فى محاولة للتقريب بينه وبين عبد الحكيم عامر ٠٠٠ ولكننى لم أبلغه بما قاله عامر من كلمات كان يمكن أن تؤدى الى زيادة الفرقة والخلاف ٠

وقد أسهم حسن ابراهيم أيضا فى محاولة رأب الصدع غير انه كان ينقل الى كل طرف حديث الآخر ٠

وقد تغير رأى جمال عبد الناصر وبدأ يقترب من عامر عندما سمع من زملائه أعضاء المجلس السابقين انهم يقترحون سفره الى يوغوسلافيا ٠

وقد تخلف عامر عن اجتماعين من اجتماعات المجلس ثم حضر بعد

أن سوى الخلاف بينه وبين عبد الناصر الذى أعلن تأجيل موضوع تعيين قادة وحدات الجيش الى شهر مايو وكان هذا يعنى تأجيله الى أجل غير مسمى ٠

وفى رأيى ان ناصر تراجع عن رأيه نتيجة العوامل الآتية :

١ ـ تقديم قادة الأسلحة الثلاثة صدقى محمود وسليمان عزت ومحسن مرتجى استقالاتهم الى عبد الناصر ٠

٢ ـ انهيال البرقيات على عبد الناصر من الضباط تطلب بقاء عامر ٠

٣ ـ ملاحظة ان هناك محاولة من جانب أعضاء مجلس الثورة السابقين لفرض ارادتهم بعزل عامر ٠

س ٨ : هل حدثت خلافات أخرى بين جمال عبد الناصر وبعض أعضاء مجلس الرئاسة ؟

ج ٨ : كان هناك خلاف فكرى بين جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين اذ أن الأخير كان يرى فى التأميم أخذا لأموال المسلمين مع انه كان رئيسا للمجلس التنفيذى ٠

وأذكر انه فى يوم ٢٨ أبريل ١٩٦٢ حضر جمال عبد الناصر للعزاء فى وفاة والدتى وأخبرته ليلتها أننا نريد الاحتفال بعيد أول مايو ، فوافق على ذلك ٠

اتصلت بخالد فوزى مسئول العمال فى الاتحاد القومى ، كما اتصلت بكمال حسين المشرف على الاتحاد القومى ولم يكن عنده خبر بالموضوع ، فثار وحارب الاجتماع لأنه لم يكن موافقا على اشراك العمال ٠

وأقمنا فى أول مايو سرادقا كبيرا فى ميدان الجمهورية مثل سرادق الاحتفال بأعياد الجمهورية ٠٠٠ ولكنه ظل خاليا لمحاربة كمال حسين للاحتفال باعتباره ـ على حد قوله ـ عيدا شيوعيا ٠

وعندما وضحت أفكار كمال حسين وظهر تشبثه بها ، استبدله جمال عبد الناصر بعلى صبرى فى رئاسة المجلس التنفيذى وفى المناصب الادارية فتقلص نفوذه ، وحل جمال عبد الناصر بعد ذلك مجلس الرئاسة وعين عبد اللطيف البغدادى وكمال حسين وعبد الحكيم عامر نوابا لرئيس الوزراء ٠

والواقع أن مجلس الرئاسة كان شكليا أكثر منه قيادة جماعية ، فمثلا كان البغدادى مسئولا عن الشئون الاقتصادية ولكنه لا يعمل

شيئا ، وكنت مسئولا عن الشئون العربية دون أن أعمل شيئا .

وصلت الأمور بكمال حسين الى تقديم استقالته ، وأذكر اننى كتبت مقالا ناقشت فيه اليمين واليسار فى الاسلام ، وأوضحت أنه كان هناك صراع طبقى بين معاوية وعلى بن أبى طالب ، فطلبنى كمال حسين فى التليفون محتجا على هذا المقال .

وفى رأيى ان خلافات جمال عبد الناصر مع أعضاء القيادة كانت خلافات فكرية وليست شخصية .

س ٩ : عندما استقرت الأمور على تكوين الاتحاد الاشتراكى ، وعينت عضوا فى أمانته مسئولا عن الأمانة والفكر .. هل مضت الأمور فى طريقها السليم ؟

ج ٩ : مع الأسف لا ... فقد كانت هناك تناقضات واضحة منذ البداية ... كانت هناك أمانة للدعوة والفكر وأمانة أخرى للمعهد الاشتراكى .

ولم تكن الامانة تجتمع بصفة دورية للمناقشة وتوحيد الرأى .

وظهر تناقض بين الدعاة التابعين لأمانة الدعوة والفكر وبين أعضاء المكاتب التنفيذية الذين كانوا خاضعين تماما لعلى صبرى الأمين العام للاتحاد .

وحوربت مجلة (الاشتراكى) التى كانت تصدرها أمانة الدعوة والفكر فكنا نحصل بصعوبة على تكاليف طبعها التى لم تكن تتجاوز مائة جنيه ، بينما تكلف اعداد وتأثيث الدور الثانى عشر فى مبنى الاتحاد الاشتراكى مبلغا يقترب من ربع مليون جنيه .

وفى مجال الشباب ظهر خلاف حول التفاف أعضاء الاتحادات حول أمانة الدعوة والفكر نفورا من أسلوب تسرب نفوذ منظمة الشباب الى ساحة الجامعة .

وفى ظل هذه الظروف وغيرها لم يكن سهلا أن تمضى الأمور فى طريقها السليم ومع ذلك استطاعت أمانة الدعوة والفكر أن تؤدى دورا بالغ الأهمية بواسطة الدعاة فى مواقع الجماهير وليس بطريقة حشد الجماهير فى أماكن معينة والقاء المحاضرات والعظات عليها . كما كانت الندوات التى تعقد فى قاعة الشعب بالاتحاد الاشتراكى تجربة فريدة فى نوعها حيث روعى فيها أن تكون مجالا لحوار بين الآراء المختلفة وأساسا بين وجهات نظر اليسار واليمين ، ولفتت هذه الندوات أنظار الجماهير

بجديتهـا فـكان البعض من بعض المحافظـات الأخـرى يحـرص عـلى حضورها يوميا ٠

س ١٠ : كيف كان وقع عدوان يونيو ١٩٦٧ عليك ؟ وكيف كان موقف جمـال عبد الناصر ؟

ج ١٠ : لقد كنت أتوقع العدوان فى أى وقت ٠ وكان هـذا دائما شعورى منذ ابتداء ثورة يوليو ٠ باعتبار أنها ثورة لم تكن تستهدف فقط تحقيق آمال الشعب المصرى السياسية والاجتماعية ، بل ان لهـا بعدها القومى الذى يجعلها تتصادم ان عاجلا أو آجـلا مع قـوى الاسـتعمار وأداته اسرائيل ٠ وقد ازداد هذا الشعور قبيل العدوان حينمـا نشرت مجلة « النيوزويك » الأمريكية فى شهر ابريل عام ١٩٦٧ وقبيل الانقلاب العسكرى فى اليونان تقريرا عن منطقة الشرق الأوسط بعنوان « مثلث الخطـر » حددت رؤوس أضلاعه فى طهران ـ القاهرة ـ مقديشـيو ٠ وختمت التقرير بخبر صدور تعليمات الى قوة أمريكية خاصة لتكون على استعداد للتدخل فى المنطقة فى وقت قريب ٠

وكنت قد أشرت الى هذا التقرير فى كلمتى الافتتاحية فى مؤتمـر « الاشتراكيين العرب » الذى عقد فى شهر مايو ١٩٦٧ بالجزائر ٠ الا أن الذى لم أكن أتوقعه هو الهزيمة العسكرية التى حلت بنا يوم ٥ يونيـو ١٩٦٧ وهذا موضوع يحتاج الى تحليل سياسى وعسكرى ٠

وقد رأيت جمال عبد الناصر الساعة العاشرة صباحا يوم العدوان فى مقر القيادة بمدينة نصر ٠ وكان دائما كما عرفته رابط الجأش لم يهتز بما حدث ٠ وهو بحق ينطبق عليه حكمة نابليون الذى يقول « ان القائد الناجح هو ذو الرأس الباردة ٠٠٠ تتساوى عنده الاخبـار السـارة والمحزنة » ٠ الا أن المشير عبد الحكيم عامر كان بادى الاضطراب وكان يتلقى مكالمات تليفونية مستمرة تنبىء عن خسـائر الطـيران الاسرائيلى والتى بلغت أثنـاء تواجدى بالقيـادة حـوالى ٤٥ طائرة حسب المكالمات التليفونية ٠

وهنا أشار عبد الناصر بعدم اذاعة أى بيان عن خسائر الطائرات الاسرائيلية الا بعـد التأكد من ذلك ٠ الا اننى فوجئت بعـد عودتى الى مكتبى بالاتحاد الاشتراكى عند سماع البلاغات العسكرية ان خسـائر اسرائيل بلغت حوالى ٨٥ طائرة !!

أما المفاجأة الكبرى فكانت فى منطقة القناة حيث توجهت الى هناك وقابلت اللـواء « طيـار » عبد الحميد دغيـدى وكان قائدا للطـيران فى

المنطقة علاوة على مسئولية الدفاع الجوى وسألته عن تقديره لخسائر اسرائيل فى الطائرات فأبلغنى أنه يقدرها ما بين ٢٥٠ ـ ٣٠٠ طائرة !! أذكر ذلك لأوضح الى أى حد بلغ الاستهتار وعدم الجدية فى أشد الظروف صعوبة ٠

حتى تلك اللحظة لم أكن أتصور حقيقة الهزيمة الا حينما تلقيت مكالمة تليفونية من القاهرة حيث اتصل بى شمس بدران وزير الحربية واستفسر عن قوات المتطوعين والفدائيين الموجودة فأبلغته أننا فى سبيل تنظيمها فأبلغنى احتمال تقدم الاسرائيليين نحو الاسماعيلية وأنهى مكالمته بكلمة « شدوا حيلكم » ٠

بعد وقف اطلاق النار واذاعة بيان تنحى عبد الناصر عن رئاسة الجمهورية يوم ١٩٦٧/٦/٩ توجهت الى القاهرة وقابلت عبد الناصر صباح يوم ١٩٦٧/٦/١٠ فى منزله لمعرفة الموقف ولكنه أخبرنى أننا فقدنا حوالى ٨٠٪ من قواتنا وأسلحتنا ٠ الا أنه لم يكن منهارا بل كان ينظر الى المستقبل بأمل وكان يرى أن الثورة فى مسارها التاريخى تحقق انتصارات وتتلقى هزائم ولكنها ستسير حتما الى الامام لتحقق الأهداف التى قامت من أجلها ٠ وقد كان ذلك واضحا حينما أشرف مباشرة ـ بعد العدوان ـ على اعداد القوات المسلحة لخوض معركة جديدة لتحطيم الجيش الاسرائيلى ٠ مبتدئا بتسليم قيادة الجيش الى الضباط المحترفين وتوفير كافة المعدات والأسلحة اللازمة للمعركة ٠ بل خوض الجيش المصرى معركة الاستنزاف ضد العدو الاسرائيلى وتحطيم خط بارليف الأول فى عام ١٩٦٩ وغيرها من الاجراءات التى مهدت لمعركة العبور فى أكتوبر عام ١٩٧٣ ٠

س ١١ : ما هى أبرز الاتجاهات التى ظهرت فى مجلس الوزراء بعد النكسة ؟

ج ١١ : تشكلت وزارة جديدة يوم ١٩ يونيو عام ١٩٦٧ ، بعد النكسة برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر وفوجئت بتعيينى بها كوزير للعمل . وكنت فى ذلك الوقت بمنطقة القنال أحاول اعداد بعض القوات الفدائية للعمل داخل سيناء المحتلة ٠ وفى أول اجتماع للوزارة الجديدة استطلع عبد الناصر آراء الوزراء فيما يختص بأسلوب الحكم واقتراحاتهم بهذا الشأن ٠ وكان رأيى والذى أيدنى فيه بعض الوزراء أنه من الضرورى أن يكون الوزراء على مستوى سياسى فضلا عن مستواهم الفنى وهذا الأمر يتيح مناقشة كافة المسائل بعقلية سياسية وليست بعقلية ادارية أو فنية كما أن ذلك يحقق المسئولية الجماعية لمجلس

الوزراء فيما يختص بكافة المسائل المعروضة عليه • ولعل أخطر جلسات مجلس الوزراء كانت قبيل يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ والتى نوقش فيها قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ • لم يتكلم جمال عبد الناصر فى هذه الجلسة ولكن الذى طرح الموضوع كان الدكتور محمود فوزى الذى كان قد عاد لتوه بعد حضور جلسات مجلس الأمن فى نيويورك والذى دعا فى نهاية كلامه الى الموافقة على القرار • وطلب عبد الناصر مناقشة الموضوع • أيد خمسة أو ستة وزراء القرار • أذكر منهم الدكتور عزيز صدقى وأمين شاكر وأمين هويدى وكمال هنرى بادير علاوة على الدكتور محمود فوزى • وقد اعترضت أنا على الموافقة على هذا القرار وأيدنى فى هذا الموقف السيد عصام حسونة وزير العدل • وقد أوضحت وجهة نظرى على أساس أننا وافقنا على قرار وقف اطلاق النار وأن هذا كان كافيا فى حد ذاته فى هذه المرحلة لأنه لا يلزمنا بشىء • أما الموافقة على القرار ٢٤٢ فانه يقيدنا بالتزامات سابقة لأوانها فى حين انه لا يقيد اسرائيل بأى شىء ، وانه من الأوفق فى هذه المرحلة التركيز على عدم مشروعية احتلال أراضى الغير بالقوة واستخدام الالتزامات الواردة فى القرار ٢٤٢ كعامل ضغط على اسرائيل للانسحاب • أما بقية أعضاء المجلس فلم يوضحوا وجهة نظرهم وبذلك ووفق على قرار مجلس الأمن •

كما ظهر اتجاه فى أواخر عام ١٩٦٨ بين أعضاء لجنة الخطة التى كان يرأسها السيد زكريا محيى الدين يهدف الى التقليل من الاستثمارات والاستعانة برؤوس الأموال الأجنبية والعربية لتدعيم الاقتصاد الوطنى وتشجيع القطاع الخاص واعفاء شرائح منه من تطبيق قانون التأمينات • وقد ظهر اتجاه مضاد لهذا الاتجاه مما حدا بالرئيس عبد الناصر الى عقد اجتماعات محدودة من بعض الوزراء المختصين لمناقشة تقريرى لجنة الخطة وتقرير الدكتور عبد المنعم القيسونى وزير الخزانة فى ذلك الوقت • وكنت أحضر هذه الاجتماعات التى اقتصرت على عشرة أو اثنى عشر وزيرا • وقد رفض الاتجاه الذى تبنته لجنة الخطة مما حدا بالسيد زكريا محيى الدين الى تقديم استقالته وخروج معظم أعضاء لجنة الخطة من الوزارة •

ومن الجدير بالذكر أن السياسة الاقتصادية التى خططت فى ذلك الوقت حققت فائضا فى الميزان التجارى عام ١٩٦٩ يبلغ ٤٦ مليون جنيه • وقد أرجعت الدوائر الرأسمالية الغربية عوامل الصمود الاقتصادى فى هذه الفترة الى :

١ ـ الجماهير التى قبلت تقديم مختلف التضحيات وبخاصة فى مجال الاعباء الضريبية التى بلغت ٢٥ مليون جنيه فى السنة •

٢ ـ الانجازات الاقتصادية التى سبقت الحرب · فقد كفلت المصانع التى بنيت توفير عدد كبير من السلع كانت تستورد من الخارج ·

٣ ـ علاوة على ما وفره السد العالى من زيادة فى الأراضى المروية ، فانه أمكن استخدام الطاقة الكهربائية المتولدة فى ادارة المصانع التى تأثرت نتيجة نقص مواد الوقود بسبب تدمير معمل تكرير البترول فى السويس ·

كما ظهر موقف آخر فى يوليو ١٩٧٠ عند مناقشة مشروع روجز · كنت أرى عدم الموافقة على المشروع واستمرار حرب الاستنزاف خصوصا أن قواتنا استطاعت قبل وقف اطلاق النار اسقاط ثمانى طائرات فانتوم أمريكية الصنع مما كان ينبىء أن اسرائيل ستضطر الى وقف اعتداءاتها الجوية نتيجة الخسائر التى تلحق بها بما يمكننا من تعزيز دفاعنا الجوى فى منطقة القتال ويقوى من موقفنا السياسى · ولكن يبدو أنه كانت هناك اعتبارات أخرى خصوصا بعد عودة جمال عبد الناصر من موسكو أملت قبول مشروع روجرز · وقد وافق مجلس الوزراء على المشروع فى ذلك الوقت ·

الاســـم : . . . . كمال الدين حسين

متخــرج فى . . . . الكلية الحربية يونيو ١٩٣٩

كلية أركان الحــرب

الرتبة وقت حركة الجيش : . . . صاغ أركان حــرب

آخــر وظيفة : . . . . عضو مجلس قيادة الثورة ونائب

رئيس الجمهورية

العمــل الآن : . . . . المعــاش

س ١ : كيف كانت حــركتك السياسية قبل تكوين تنظيم الضباط الاحرار ٠

جـ ١ : انتميت الى جماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٤٥ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وكان معى عدد من الزملاء منهم جمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرؤوف ٠

كنا نتصل بالمرشد العام المرحوم حسن البنــا ، وضــابط الجيش المتقاعد محمود لبيب الذى عاش فترة فى ألمانيا ٠

وبقيت محتفظا بهذه الصلة بشكل تنظيمى حتى تطوعت فى حرب فلسطين وشاركت المتطوعين من الاخوان فى جهادهم هناك قبل وبعد ١٥ مايو ١٩٤٨ وتوطدت الصلة بعد ذلك بعدد كبير من الضباط ٠

س ٢ : كيف تكونت حــركة الضباط الاحرار ؟ وكيف تطورت ؟

جـ ٢ : (فرضت علينا حرب فلسطين رؤية جديدة ، وهى اكتشاف **أن أسباب الفساد جميعا ترجع الى القاهرة حيث يسيطر الملك والأحزاب مدعومة من قوات الاحتلال والاستعمار البريطانى فى القناة ٠**

واتفقنا على أن نشكل تنظيما من الضباط لا يكون مرتبطا بحزب أو هيئة خارجية ، ولذا فقد ابتعدنا عن تنظيم الاخوان اقتناعا منا بأن

يكون تنظيم الجيش مستقلا عن الاحزاب والجمعيـــات وشكلنا تنظيم الضـــباط الاحـــرار) الذى شـــكلت لجنتـــه التأسيسية الأولى من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين ٠

ولكن ذلك لم يمنع من تعاوننا مـــع الاخـــوان المســلمين بل اننى وجمال عبد الناصر قد أبلغنا صالح أبو رقيق عضـــو مكتب الارشـــاد بتفاصيل العملية قبل حدوثهـــا ، مما جعلهم يحرســـون بعض المواقع الحيوية صباح الحركة ، ويذهب فريق منهم الى طريق الســـويس خوفا من تدخل بريطانى ٠

س ٣ : هل كان جميع الضباط الاحرار من مدرسة فكرية واحدة ؟

جـ ٣ : لا ٠٠٠ فقـــد كنا من مدارس فكرية مختلفة ، ولكننا كنـــا نجتمع على تحقيق أهداف وطنية مشتركة تمثلت فى الأهداف الستة ٠

س ٤ : ما هى الظـــروف التى دفعت لتحديد ٢٣ يوليو موعدا لحركة الجيش ؟

جـ ٤ : حددنا ليلة ٢١ / ٢٢ يوليو لتكون موعـــدا لحركة الجيش بعد أن علمنا بأن أجهزة الامن الملكية قد عرفت أســـماء بعض الضباط الاحرار وقررت اعتقالهم وكذلك احتمال تعيين حسين سرى عامر وزيرا للحربية ٠

ولكننا اضطررنا للتأجيل ليلة واحـــدة لامور ادارية تتعلق بابلاغ جميع الضباط وسلامة اعداد وتنفيذ الخطة ٠

س ٥ : ما هو الدور الذى قمت به فى تنفيذ الخطة ؟

جـ ٥ : كنت مسئولا عن ضباط المدفعية فى منطقة المـــاظة ، وقـــد وزعنا القوات بحيث سيطرنا على مدخل المـــاظة . ووضعنا قوات بعـــد الكيلو أربعة ونصف لمواجهة احتمال تدخل القوات البريطانية ٠٠٠ رغم انى كنت فى ذلك الوقت مدرسا بكلية أركان الحرب ٠

واعتقلت شخصيا اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة ، واللواء حافظ بكرى قائد المدفعية وعبد الفتاح كاظم أركان حـــرب المدفعيـــة ، وسيطرنا على المنطقة فعلا ، ثم تحركت بعض الوحدات الى الاماكن التى حددت لها فى الخطة ٠

وتوجهت بعد ذلك الى القيادة العامة فى كوبرى القبة حيث كان قد تم احتلالها بواسطة كتيبة مدافع الماكينة التى كان يقودها البكباشى يوسف صديق ، ووجدت هناك جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وخالد محيى الدين وغيرهم من الضباط الاحرار ٠

وأذكر من الضباط الذين اشتركوا وقادوا العمليات فى منطقة الماظة اليوزباشية محمد أبو الفضل الجيزاوى وأحمد كامل وخالد فوزى وعلى فوزى يونس ٠

س ٦ : منذ متى بدأت الخلافات بينك وبين جمال عبد الناصر ، وكيف انتهت ؟

ج ٦ : كانت هناك خلافات فى وجهات النظر مع جمال عبد الناصر منذ الشهور الأولى للحركة ولكنها كانت تصفى فى حدود المناقشة الطبيعية ٠

وقد قدمت استقالتى الأولى أثناء وجود جمال عبد الناصر فى باندونج وذلك هربا من عصبية جمال سالم الذى كان يقوم بالعمل نائبا عنه ، ولكنى سحبتها بعد عودة جمال من باندونج ٠

وقد كانت أمامنا دائما عقدة الانقلابات المتكررة فى سوريا وماتجلبه من عدم استقرار ، ولذا اتخذت موقف عدم الاتصال بالضباط ، وتفاديت النزاع على السلطة ٠

أما أزمة ١٩٥٤ فقد انتهت بما أنقذ مصر من حمام دماء ، وأنقذ الضباط الاحرار من دخول السجن ، وأما قيمة ما حققته فأمر يحكم عليه التاريخ ٠٠٠ وأذكر أنى أنا الذى كتبت بيان ٢٥ مارس ١٩٥٤ بخط يدى ٠

وبعد انتهاء أعمال مجلس الثورة رسميا بانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية واعلان الدستور ١٩٥٦ وانتخاب مجلس الأمة عام ١٩٥٧ قدمت استقالتين وأنا وزير للتربية والتعليم ٠

الأولى من مجلس الأمة احتجاجا على موضوع مجدى حسنين فى مديرية التحرير وتعيينه لبعض أعضاء المجلس للعمل فيها باعتبارها أموالا غير عامة ، وقد سحبتها بعد تدخل جمال عبد الناصر ، وابعاد مجدى عن المديرية بعد أن كان عشرة أعضاء قد تقدموا بطلب فصله هو والنواب محمود القاضى وأحمد شفيق أبو عوف واسماعيل نجم ٠

الثانية بعد مناقشة السياسة التعليمية فى مجلس الأمة وكنت قد خططت لها لمدة عشرين عاما ولكن بعض الأعضاء قدموا اقتراحا برغبة

وافق عليه المجلس بالسماح للراسبين بدخول أى عدد من المرات ، مع الموافقة على الانتساب بدون شروط ··· وقد رفض جمال الاستقالة ·

ومنذ أغسطس ١٩٦٣ وبعد أن تبينت أن مجلس الرئاسة لم يعد يؤدى دوره وان انفراد جمال عبد الناصر بالسلطة والقرارات قد وضعنا فى مواقف حرجة ، توقفت عن الذهاب الى المكتب وقدمت استقالتى ولكنها لم تعلن ·

وفى يوم ٤ مارس ١٩٦٤ أثناء تشييعنا لجنازة المرحوم محمد فهمى السيد اتفقت على اللقاء مع جمال عبد الناصر فى اجتماع دعا اليه عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى ·

وقد ناقشنا فى هذا الاجتماع الذى امتد ٨ ساعات من موعد تشييع الجنازة الى موعد العزاء فى السرادق ليلا موضوع اليمن ، وموضوع الميثاق باعتبار انه له وجهان ··· وجه ماركسى ووجه اسلامى عربى · وأن تقرير لجنة الميثاق (١٠٠ عضو) يجب أن يعتبر جزءا لا يتجزأ من الميثاق ·

اتصلت مرة أخرى بجمال عبد الناصر ولما لم أجد استجابة لرأيى قررت الاصرار على قبول الاستقالة ·

وفى ذلك الوقت كان عبد اللطيف البغدادى قد قدم استقالته ايضا ·

وفى يوم ١٥ أكتوبر ١٩٦٥ أثناء فترة اعتقالات الاخوان ومحاكمتهم ارسلت خطابا الى جمال عبد الناصر هذا هو نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·· وبعد

لا خير فى اذا لم أقلها لك

اتق الله :

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قرآن كريم

(ومن يتق الله يجعل له من أمره رشدا) قرآن كريم

(ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) قرآن كريم

اتق الله :

قالها سبحانه وتعالى لنبيه الكريم

يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكاذبين والمنافقين

أتق اللـــه :

ولا تكن ممن قال فيهم سبحانه وتعالى

(واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم)

اتق اللـــه :

أمر الله بها الرسول والمؤمنين

وأمر بها الرسول أصحابه والمؤمنين

وقالها الخلفاء والائمة لبعضهم ولولاتهم وللمسلمين

وقالها المسلمون للخلفاء والائمة والولاة ولبعضهم بعضا

قالتها تلك الامة التى أعزها الله بقوله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنـــون بالله)

صدق الله العظيم

وسلام على من أتبع الهدى

كمال الدين حسين (توقيع)

١٩٦٥/١٠/١٢ ٠

وبعد ذلك بثلاثة أيام يوم ١٥ أكتوبر ١٩٦٥ صدر الأمر باعتقالى وتحديد اقامتى فى فيللا بالهرم عليها حراسة مشددة ومدعمة بمدافع الماكينة والداوريات وجندى أمام كل شباك ٠

وفى يوم ١٩٦٥/١٠/٢٥ أرسلت خطابا الى عبد الحكيم عامر هذا نصـــه :

بسم الله الرحمن الرحيم

ياعبد الحكيم ٠٠ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠٠
كلمة صريحة (وأخيرة لن تنزعج بعدها) ٠٠ ياعبد الحكيم ٠٠ لم أجد بدا من أن أقولها لك بعد كل ما حدث وان كنت قد ترددت كثيرا فى الكتابة لك فانى حين نويت لم أتردد فى أن أكون صريحا ٠

اليوم أصبحت ياعبد الحكيم أعتقد انه لا حياة لى فى بلدى الذى اصبحت أرى فيه جزاء لكلمة (اتق الله) هو ما أنا فيه وما أهلى فيه ٠٠

عندما قلت لكم اتقوا الله قصدت أن تتقوا الله فى هـذا الشعب الذى قمنا لخلاصه واسترداد حريته ٠

قلت لكم اتقوا الله بعد أن ألجمتم جميع الافواه الا أفواه المنافقين والمتزلفين والطبالين والزمارين ٠٠

قلت لكم اتقوا الله فى الحرية التى قضيتم على كل ما كان باقيا من آثارها وكنا نأمل أن تتفتح لها براعم نامية نطمئن حين نمضى من هذه الدنيا اننا قد أدينا أمانتنا فنترك بعدنا هذه البراعم وقد نضجت وأصبحت قوية قادرة على الصمود ٠

قلت لكم اتقوا الله لانكم أردتم استنعاج هذا الشعب وأنا لم أكن أرضى ذلك ولذلك أصبحت الآن لا أطيق الحياة فى هـذا الجو الخانق وأرجو أن يتيسر معرفة درجة الاختناق فى هذا الجو واذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون أعظم ، فاذا كانت قد بقيت لديكم بقية من اخـوة كانت بيننا يوما من الايـام فانى لا أطلب سـوى أن أخـرج أنا ومن يريد من اسرتى التى نالها ايضـا نصـيب وافـر من اجـراءاتكم الى السعودية لابقى الى جوار رسول الله حيث أقضى ما بقى من حياتى مستخلصا روحى لنفسى ودينى لله ٠٠ فاليوم يمكننى أن أرى صـورة المستقبل لهذا الوطن بعدما كان جزائى ـ أنا الند ـ على كلمـة الحق (اتق الله) ما أنا فيه ٠

وانت تعلم يا عبد الحكيم انكم لن يمكنكم أن تكبلـوا روحى وان اعتقلتم جسمى ٠٠

وأنت تعلم ياعبد الحكيم انكم لا تملكون أى حق شرعى فيما قمتم به نحوى الا حـق الدكتاتورية والطغيان ٠٠ واذا جـاز أن يكون لهما حـق ٠٠

وأنت تعلم ياعبد الحـكيم انكم لم تتقيدوا بشرع تجاهى فالناس يعلمون ٠٠ ومن زمن ٠٠ انكم غير مقيدين بشرع تجاههم ٠٠ وهم اذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فانهم سيعرفون معناه جيدا الآن ٠

انا اسف أن تتحول ثورة الحـرية الى ثورة ارهاق لا يعلم فيهـا كل انسان مصيره لو قال كلمة حرة يرضى بها ضميره ووطنه ٠ فاذا قيل لى أو للناس أن هناك مفهوما آخر للحرية فهذا هو التضليل وحكم الهوى

الذى يضل به الشيطان أولياءه لينســـوا قانون الله وشرع الله وشرع الاسلام الذى جاء ليخلص الناس من عبادة العبد الى عبادة رب العباد ٠ حرية يتساوى فيها أبناء ادم وحواء أمام الله ٠٠ أمام الشرع أمام الحكم الالهى الذى لا يقبل التأويل واللف والدوران ٠

ياعبد الحكيم ٠٠ مهما كانت التفاسير والشعارات فالحــرية هى الحرية التى عبر عنها عمر بن الخطاب حين قال (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) وحين قيل له (اتق الله) قال (لا خير فيهم اذا لم يقولوها ولا خير فينا اذا لم نسمعها) ٠

وانت تعلم يا عبد الحكيم أننى لن أستعطف أحدا ولن أخاف الا الله وأنا حين أكتب اليك الآن فانى لا أطلب شيئا غير الرحيل عن هذه الارض التى يئست أن تقال فيها كلمة حق فضلا عن ان يقام فيها ميزان عدل ٠٠ وان أبيتم على ذلك فان وليى هو الله عليه أتكل وأنيب وانا لله وانا اليه راجعــون ٠

ياعبد الحكيم ان اجراءاتكم هذه التى أصابتنى ان كنت قد تحملتها فى صبر فان الصدع الذى أصاب مشاعرى تجــاه من أمر بها صــدع يصعب رتقه ٠٠ وبقائى هنا مشقة لى ولكم وأنت تعلم ياعبد الحكيم حينما جئتنى فى مارس ١٩٦٥ وقلت لك اننى مستعد للاعتقال أو القتل ! أو أى شىء آخر قلت من نفسك (اعتقال ايه ياشيخ ٠٠ والله أنا اللى ييجى يعتقلنى أنا أضربه بالرصــاص) انا فكرت فى هــذا ولكنى لــم استصوبه لان هذا ينافى ايمانى ٠ وجاء يحدثنى هلال كرجل وعلى لسان رجل أو رجال ، ومع ذلك كانت النتيجة ان فتش منزلى وحجرة مكتبى ورقة ورقة وحجرة نومى وعائلتى وحتى ملابسى ومتعلقات السيدات ، واعتقل أهلى وضيوفى الذين تصادف وجودهم فى منزلى حينئذ وأنا لا أعرف مصيرهم حتى الآن تماما كما لا يعلم أحــد من أفراد الشعب سبب أو مكان ولا مصير أى شخص يعتقل منهم ، واذا مات أحدهم ٠٠ لأى سبب يكتفى بأن يخطر أهله بانه قد هرب أو انه قد دفن فى مكان كذا تحت رقم كذا ٠٠٠ مجرد رقــم ٠٠ كان انسانا حيــا فأصبح رقمــا مدفونا ٠٠

ياعبد الحكيم ان ما قمتم به نحــوى جريمـــة تماما مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه المواطنين ٠٠ طبعا مع تغيير فى الشكل ٠

وكانت الرجولة ياعبد الحكيم تقتضى أن يواجهنى واحد منكم ٠٠ لأعلم منه ماذا جرى ٠٠ لماذا انطبقت السماء على الارض من كلمة حق تصيح فيكم (أن اتقوا الله ٠٠) ولكن للاسف خانتكم شجاعتكم فأبيتم

هذه المواجهة واستخدمتم سلاحا لا يقنع عقلا حرا ولا يكبل ضميرا حيا ولا يئد ايمـانا وتقوى ولكن يورث النفس مرارة وأسـفا ٠٠ فاذا لـم يواجهنى أحد منكم فلماذا لا أواجه بمحكمة عادلة شرعية على الأقـل لأعرف ما هى التهمة الموجهة لى مادام قد أصبح أمرا طبيعيا ٠٠ فى زمن الحرية ٠٠ أن يعتقل الناس وتصادر حرياتهم دون أن توجه لهم تهمة ٠٠ أنا أتحدى أى اتهام وأنا أتحدى أن يواجهنى أحد بأى اتهام يبرر مـا حدث ٠٠٠ طبعا اننى أخرج من حسابى عمليات التلفيق لانى مازلت انكر عليكم اللجوء مع مثلى لمثل ذلك ٠٠

ياعبد الحكيم ٠٠ ألم أقل لك فى مارس الماضى ما هى ضمانات الحرية ٠٠٠ فقلت « نحن ضمانات الحرية » وقلت لك انى لا أثق فى ذلك ٠٠ وهذه الايام تأتينى بالبرهان بأن للحرية ضمانات وأنتم الضمانات ٠٠ كل شىء جايز !!

ألم أقل لك يومئذ انه اذا لم يتنازل عن تألهه وفرديته فلا فائدة للعمل معه ٠ فهل يا ترى هذا الذى جرى لمواجهة كلمة اتق الله هو دليل هـذا التنازل ؟ ٠

كلمة صريحة أقولها لك ياعبد الحكيم أنا أرثى لهذه الحال ومع ذلك اتمنى أن يهديكم الله ٠٠ لا تغضب أنت الآخر ياعبد الحكيم ٠٠ راجـع نفسك ولا يغلبك الهوى والغرض ٠٠ راجع ضميرك قبل ثورة ٢٣ يوليو وعلى مدى سنين من هذه الثورة ثم أنظر أين ينتهى بكم الطريق ٠٠ طريق الحرية أقدس ما منح الله للانسان ٠٠ ٠

يجب أن تعلم ياعبد الحكيم رأى الناس فيكم وما يحسونه نحوكم ٠٠ لقد أصبحتم ويا للاسف فى نظر الشعب جلاديه ٠٠٠ نتيجة تدعـو للرثاء وحصاد مر لثورة ٢٣ التحريرية الكبرى تتجرعه الملايين المستذلة بعدما وضعت فى تلك الثورة وقياداتها آمالها وأعطتها الكثير واستأمنتها على الكثير ٠٠ على الحرية ٠٠ ولكن أين الامانة الآن والله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، لقد بددت الامانة لقد ٠٠ وئدت الحرية ٠٠ ونعيش هذه الايام وكأننا فى ليل لا يبدو له فجر ٠

ياعبد الحكيم لا تتصور انى مبتئس لما جرى ولكننى حقيقة اشعر بالاسف وأقـول « ياحسرة على الرجال » « ياخســارة على الثورة » واشعر بذنب واحد وهو أن ثقتى غير المحدودة ٠٠ فيكم مكنت الطغيـان أن يسلب هذا الشعب حريته وكرامته وانسانيته ومهما كانت الشعارات

الزائفة التى تردد والادعاءات التى تقال فالناس جميعا يعرفون حقيقتها والسـلام ٠

امضـــاء

كمال الدين حسين

١٩٦٥/١٠/٢٥

وتلقيت من عبد الحكيم عامر خطابا بعد عشرة أيام ٠

وفيما يلى نص الرسالة وهى بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٦٥ :

عزيزى كمــال :

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠٠

لقد تعودت ألا تزعجنى الصراحة ٠٠٠ لان الصراحة هى الطريق الى الفهم الصحيح ٠٠٠ ودعنى أيضا أصارحك القول وقد تعودت أن أقول ما أعتقده ولا أخشى فى ذلك الا الله وضميرى ٠٠

ان طبيعة الرسالة التى تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة قد نسفت فى نظرى جميــع القيم والروابط التى تجمعنا وفى رأيى لم يكن هناك ما يبررها على الاطلاق فهى مرسلة ٠٠٠ وسأعبر عن ذلك مخلصا وصادقا ٠٠ « من كمال رسول الله الى عبد الحكيم كسرى أنو شروان » أى من نبى مؤمن الى قائد ملحد وانت لست نبيا وما كنا نحن بملحدين كافرين ٠٠٠ فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر ٠٠٠ وكنت انتظر أن تكون رسالتك فى مثل هذا الوقت وهذه المؤامرات الاجرامية تدبر والتى كان الغرض منها التحطيم والقضاء على نفوس بريئة والرجوع بها الى الخلف سنين طويلة ٠٠٠ كنت أنتظر على الاقل أن تستنكر ذلك وما عهدت فيك عدم الوفاء وما عهدت أن ترى الامور بهذه الطريقة العربية التى لا أعلم ولا يعلم الا الله كيف وصل بك الامر الى ذلك ٠٠ تتشكك فى كل شىء وترى صورا قاتمة لا وجود لها ٠٠ ماذا ألم بك ؟ ٠٠ ارجع الى نفسك ياكمال وتأمل كل شىء بهـدوء وبنفس خالية من الغضب والنزعات ٠ فكر فى الامور بعيدا عن المؤثرات وبعيدا عن كلام المغرضين وهمساتهم وافتراءاتهم ٠٠ الذين لهم هوى والذين لا يبغون الا مصلحة ذاتية من ورائك ٠٠ وقد وجدوا فى شخصك الامل الذى يحقق لهم الامل وهـذه الاهداف ، فهم يدعون الكلام باسم الحق وهم لا يريدون الا الباطل ٠٠

ان المؤامرة الاخيرة التى دبرها الاخوان المسلمون المتعصبون ٠٠ مؤامرة لايمكن وصفها بأنها جريمة ضد شعب بأسره ٠٠ بل جرائم قتل

باسم الاسلام دماء تسيل وخراب يعم باسم الاسلام ·· هل هـذه هى الحرية التى يطالب بها هؤلاء الذين يريدون فرض انفسهم على الناس بالدماء والخراب ·· والله هذا لا يقره دين ولا يقره ضمير ولا يقره أى شخص عنده انسانية ·

اننى تابعت التحقيق خطوة خطوة ·· والمؤامرة فيها أكثر مما نشر حتى الآن ·· أيريد سيد قطب الذى كنت توزع كتبه أن يصنع من نفسه نبيا ينزل عليه الوحى يأمره بقتل الناس وتدمير البشر ·· أهو ظل الله على الارض ينهى حياة ما شاء من العباد ·· لا أعلم كيف لم يحدث فى نفسك هذا العمل الألم كل الألم ·· وكيف اكتفيت بارسال خطابك لى بالمعنى الذى سبق أن ذكرته لك ·· هـل فكرت ماذا كان سيترتب على نسف محطات الكهرباء فقط ؟ ·· توقف المستشفيات وفاة المرضى رجالا ونساء وأطفالا ·· القاهرة بلا ضوء ·· بلا مصانع تعمل فيها ·· آلاف العمال اصبحوا عاطلين ·· الناس لا تجد قوت يومهم ·· بل لا يجدون حتى الماء ليشربوه ·· مجارى تطفح فى الشوارع وفى المنازل ·· أوبئة تفتك بأرواح لن تعوض طبعا ·· باسم ماذا يحدث كل هذا ؟ بأمر من يحدث كل هذا ؟ ·· حكم من هذا ؟ حكم من جعلوا أنفسهم خليفة الله فى الارض ·· انه اغتيال لشعب ولحريته ولحياته ولتقدمه بل ايضا لمعاشه اليومى ··

وماذا يكون شعورك وأولادك فى منطقة تتفجر منها مواد النسف ؟؟ ماذا يكون شعور كل أب ·· كل أم ·· كل أخ ·· ؟ فكر قليلا يا كمال دون تحيز ودون غضب لان هذا هو حكم الطغيان بكل معانية ·· حكم الغابة بكل صوره ·· هذا هو الارهاب بكل ما تحمل هـذه الكلمة من معنى مروع ··

هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل أم تعنى انه كان يجب عليك استنكاره ؟!

هـل المبادىء الاسـلامية والانسانية تقر انك لا تقف تحارب كل هذا بكل قوتك بدل أن تؤيده فى خطابك الأول الذى يدل معنـاه عـلى ذلك ؟ ·

أى معنى ذلك انك توافق على قتلنا وهذا فى رأيى أبسط الامـور فلكل أجـل كتاب ·· ولكن كيف يطاوعك ضـميرك وكيف تقنع نفسك بالموافقة على اغتيال شعب ؟

تعرضت فى كلامك عن الثقة فينا وأنا بدورى اقول انك لم تخطىء بثقتك فينا وكل ما أريده منك وأرجوه أن تفكر بعيدا عن كل مؤثر أو مظهر ولا تجعل أى تصرف شـــخصى أو تصرف بسيط يؤثر على جوهر المواضيع ٠٠

اننا ومن جانبى أيضا سنعمل على المحافظة على مصـــالح شعبنا وسنحافظ عليه ضد اية محاولات من هذا الطابع بكل وسيلة ممكنة ، وكما ذكرت حقـــا فى خطابك الاخير أن الناس يعرفون الحقيقة ولكن ليست الحقيقة التى تتصورها أنت ٠٠ والتى طبعا يصورهـــا لك بعض الناس الذين تعتبرهم ثقة وان كلامهم لا يقبل المناقشة ٠

وتقول انك تريد أن تخرج الى السعودية ٠٠ لمـــاذا ؟ هل هى بلد الحريات ٠٠ هل هى بلد الاسلام ٠٠ ؟ ما هذا يا كمال ٠٠ عجيب والله هذا التفكير ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مبشرا ومات كما يموت البشر ٠٠ وان جلوسك بجانب قبره لن يعطيك شيئا ٠ لا تخدع نفسك ياكمال ٠٠ جرد نفسك ياكمال ٠٠ من كل الاعتبارات مليا وسترى الامور بغير هذه العين خصوصا بالنسبة للحقائق التى سردتها لك ولا تقبل جـــدلا ٠٠

ثم بعد ذلك تكلمنى عن قانون ٠٠ ويزعجك أن يصدر مثله ٠٠

وهذا ليس موضوعا جوهريا ومهما أخطأت الثورة يا كمـــال فانهـــا تصحح دائما اخطاءها ٠٠

ولكنها ما كانت قاسية ٠٠ وما كانت منتقمة ٠٠٠ وانت تعلم ذلك وشاركتنا فى أفكارنا وفى قراءاتنا وفى جميع الاحداث التى مرت بشعبنا منذ يوليو ٥٢ ٠٠ وتعلم جيدا كيف نفكر ٠٠ وكيف نتصرف ٠

ان الذى يقضى على الحرية ويقتلها هو التعصب مهما كان نوعه ومهما كان شكله ٠٠ ومهما كانت الشعارات التى يحتمى فيها ٠٠ ان كان تحت اسم اسلام أو تحت اسم اصلاح أو غيره ٠٠

ان بلادنا يتآمر عليها الاستعمار والرجعية ٠ ألا يكفى ذلك حتى تخرج هذه الفئة تضع البلاد تحت رحمته وتجعلنا فى قبضته مرة أخرى ربما الى سنين طويلة لا يعلم الا الله عددها ؟ ٠

هل هذا مفهوم الحرية ٠٠ وهل هذه هى الحرية ٠٠ التى أعلنها الاسلام أنا اقول كلا وألف كلا ٠٠ بل ان هذا هو الكفر بعينه بكل القيم البشرية والانسانية بأكملها ٠

لتوافق ياكمال على أن يحكم مثل هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة التى نزعت من قلوبها الرحمة ٠٠ تعصب أعمى لا يرى الا فى القتل والتهديد وسيلة لكل شىء ٠٠ ويأمر من ظل الله على الارض سيد قطب ٠٠ وهل هذا هو حكم الله ؟ ان الله برىء من القتلة والسفاكين ٠٠

لماذا أنت عاتب اذن ٠٠٠ أليس عتبى عليك أكثر وأعظم ٠٠ أليس من حقى وأنا بشر ولست نبيا ولا أدعى اننى أوتيت من الحكمة كلهـا أو بعضها ٠٠ أليس من حقى أن أصاب بصدمة حين أجد أن هذا هو أسلوب تفكيرك الجديد ٠٠ وهذا ما يقره ضميرك ، وهذا ما تراه حقا ٠٠

اننى يا كمال كما تعرف لا أخاف أحدا ولا أخشى شيئا الا الله وضميرى ، ولولا سفرى لفرنسا لجابهتك بهذه الحقائق مع ضعف أملى انك ستستمع لما أقوله وتقتنع بالحقائق الملموســة ٠٠ اننا لم نمنـع الناس عنك الا خوفا عليك ٠٠ وخوفا على الناس الا تنتهى المأســاة البشرية التى كانت تعمل على ثلاثة عشر عاما ٠٠ قد تختلف فى الرأى ٠٠ لكن أرجو أن تصفو الى نفسك وتفكر فى هذه الآراء ٠٠ وتطرح المسائل الصغيرة جانبا ٠٠ وطبعا انت حر فى أن تأخذ بها أو تلقيها فى عرض البحر ولكن لى الحق أن أكتب اليك ناصحا بأمانة وصدق كما كتبت الى لائما وناصحا ٠٠ ربما تذكر انك كنت فى الحكم وجميع السلطات فى يدك سياسية وتنفيذية ٠٠ وهذه حقيقة وكنت حر التصرف ٠٠ وهـــذه حقيقة أيضا ٠٠٠ ولم يحدث طوال هذه الفترة ان اختلفت على المبادىء التى تثور عليها بل كنت متحمسا لها وكنت أشد تطرفا ٠٠ هذه حقيقة أيضا ٠٠ ربما تذكر القوانين الاشتراكية سنة ٦١ والآراء التى أبديتها انت شخصيا فى الاجتماع بالاسكندرية ٠٠ وكنت يا كمال متطرفا لحـد كبير ومتحمسا للقوانين اشد التحمس حقيقة أيضا ٠٠ ماذا تغير اذن بعد ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجىء المتطرف أيضا ٠٠ وفجأة كل شىء خطأ ٠٠ وتصبح الحريات مغتالة على حد تعبيرك الذى لم أهضمه مطلقا ٠٠ فجـأة حدث كل ذلك ٠٠ ما الذى غير أفكارك بهـذه السرعة الكبيرة ٠٠٠ ما الذى أخل توازنك لهذه الدرجة وحتى تنقلب أفكارك فجـــأة ٠

لقد تناقشت أكثر من مرة فى أفكارك وتطارحنا الحجج والبراهين ٠٠ وصدقنى والله ما وجدت فى آرائك التى أصر على انها ظهرت فجأة شيئا منطقيا أو سليما ٠٠ وجدت لديك اصرارا غريبا وعقلك يرفض أن يناقش ٠٠ بل تصـــمم فقط على ما أنت فيه ٠٠ ان تطبيق أى نظـــام وحكم الشعوب يحتاج منــا جميعا لاعادة النظر فى خطواتنا من حين لآخر فجل من لايخطىء ٠٠ وأظن الا تعتبر نفسك معصوما من الخطأ ،

ولا أظن أن يصل بك الأمر الى هذا الحد ٠٠ ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك ٠٠ فأنت تريد فرض رأيك ورأيك انت فقط فى نظرك الصحيح وهذه هى الدكتاتورية فى أعنف مظاهرها يا كمال ٠٠ وهـذا هو قتـل الحريات وضربها ضربة قاصمة كل منا يرى عيوب غيره وحبذا لو فكر فى عيوب نفسه ٠٠ لماذا لاتحاول أن تجابه نفسك وتعرف عيوبك كما تبحث عن عيوب الآخرين وتبالغ فيها الى أقصى الحدود ٠٠ ان فعلت أو حاولت بالنسبة لنفسك يكون حكمك على الأمور أقرب الى الصواب ولا تختلط الأمور فى ذهنك هذا الاختلاط الفظيع ٠٠ لا تجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك ٠٠ ولا تجعل لكلام من حولك قدسية ٠٠ وهم فى كلامهم معك فى قرارة أنفسهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسطوة وللشهرة ٠٠ وعندى على ذلك أمثلة كثيرة واقعية أمثلة حية غير مبنية على استنتاج أو على كلام الغير ٠

اذا فكرت جيدا وحللت كل شىء لنفسك بصراحة ووضوح ستجد اننى كنت خير ناصح حتى ممن تظن انهم أقرب وأخلص الناس اليـك وأعود مرة أخرى وأقول كيف تتصور أن تولد الحرية فى ظل الدماء والخراب ٠٠ وان يكون لفئة من الناس أن يتكلموا ويفعلوا باسم الله مفوضين منه ٠٠ يفعلون ما شاءوا ٠٠ هل هذه هى الحرية ٠٠ هل هذا هو طريق الحرية ٠٠ ؟ أو الديموقراطية ٠

أقول بدورى يا كمال اتق الله فى نفسك ٠٠ اتق الله فى شعب مصر ٠٠ اتق الله فى حياة الناس وأرزاقهم ٠٠ ولا تظلم نفسك ولا تظلم الناس معك ٠٠ لقد حاولت جهدى أن أشرح لك الحقيقة وان كانت مرة ٠٠ ولكن دفعنى الى ذلك دفعا ٠٠ وأقول وأنا مرتاح الضمير ٠٠ أننى أديت الامانة ٠٠ ولعلك ترى الامور على حقيقتها بعيدا عن المؤثرات التى وقعت تحت فترة من الزمن وان حدث ذلك كان نقدا عظيما لك على نفسك وكان نعمة وبركة من الله للجميع ٠

وقد ترددت أن أكتب خوفا من أن تكون قد سددت أذنيك لاتريـد أن تسمع أحدا الا اذا حدثك على هواك وعلى ما تحب ٠٠ ولكننى قررت أن أرد عليك قدر جهدى ومناقشة الموضوعات التى أثرتها ليست صعبة ، فقد ناقشتها معك مرارا وما اقتنع أحد من الذين ليس لهم غرض بمـا تقول يا كمـال ٠

والسـلام عليكم ورحمـة اللـه ٠

امضـاء

عبد الحكيم عامر

ملاحظـــة :

اننى أخشى حكم التاريخ عليك أن يقول كمال حسين انقلب على الحكم متبنيا أفكارا جديدة لأنه ابتعد عن السلطة التنفيذية والسلطات التى يمارسها ٠

أمضـــــاء

عبد الحكيم

كتبت اليك هــذا لتعرف الجانب الآخر من الصورة التى قد تكون تاهت عنك وسط خضم المتكلمين والمحدثين ، وانى أكتب لك ما أعتقده وعن صدق والحديث طويل ولا يتسع له حتى هــذه الصفحات القليلة ولكن لعل الله يجمع ماتفرق ويهدى ويرتق الصـــدع أنه على كل شىء قديـــر ٠

أمضـــــاء

عبد الحكيم

وبقيت فى المعتقل ثلاثة شهور خرجت بعدها عقب وفاة زوجتى حيث لم يطلب منى العودة بعد الجنازة ٠

وهكذا كانت الخلافات مصـــدرها جنـوح جمـال عبد الناصر للديكتاتورية ورفضه لقانون ١١٩ عام ١٩٦٤ كما أكدت ذلك فى خطابى لعبد الحكيم عامر ٠

س ٧ : هــل انقطعت صلتك بعد ذلك بجمال عبد الناصر حتى وفاته ؟

جـ ٧ : عندما بدأت مصر تتعرض للضغط وخطر العدوان أرسلت خطابا الى جمال عبد الناصر هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نظرا للظروف التى يمر بها الوطن فى المستقبل القريب أو البعيد فانى أرى واجبـا على أن أبلغكم انه اذا اشـتبكت قواتنا المسلحة مـع

اسرائيل تحت أى ظرف من الظروف ، فانى أضع نفسى تحت السلاح جنديا فى خدمة وطنى بصرف النظر عن جميع العوامل الماضية والحاضرة التى أثرت وتؤثر على تقدير الموقف وما يتبعه من قرارات ونتائج ٠

وحسبى اذا جدت أمور أن أكون جنديا فى جبهة القتال أؤدى حق الوطن ، راضيا من الله احدى الحسنيين والسلام ٠

(توقيع)

كمال الدين حسين

١٩٦٧/٥/٢١

وبعد ذلك بستة أيام ارسلت له خطابا ثانيا مع الزميلين عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وكنا قد استقلنا نحن الثلاثة وهذا هو نص الخطاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس الجمهورية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فقد جدت فى الموقف أمور ، اذ طالعتنا الانباء والتصاريح بأن هناك احتمالا كبيرا فى أن تدخل اسرائيل المعركة وان تستخدم أمريكا وبعض الدول الغربية القوة لفتح طريق الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة ٠

وفى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ أمتنا ينتظر الوطن من كل مخلص من ابنائه أن يؤدى واجبه كاملا لنصرته والذود عنه وكذلك فان ضميرنا الوطنى يلزمنا بأن نتواجد فى الموقع الذى يتحتم علينا أن نكون فيه حيث نساهم فى التأهب للقاء العدو ٠

وانا لفى انتظار تحديد موقع لنا فى هذه المعركة سواء فى جبهة القتال أو فى أى مكان ترونه حيث نتمكن من أداء واجبنا ٠

وختاما نرجو الله أن يوفقنا جميعا وان يكتب لوطننا النصر ٠

عبد اللطيف البغدادى ـ حسن ابراهيم ـ كمال الدين حسين

١٩٦٧/٥/٢٧

وكنت أعرف رأى جمال عبد الناصر فى الجيش ولذا فلم أعتقد أنه يجرؤ على اعلان الحرب ٠

وحدد لنا جمال عبد الناصر موعدا لم يدم أكثر من ثلث ساعة ، وكان يعتقد انه حتى ذلك الوقت يمكن تفادى دخول المعركة ٠

وفى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ أسرعت مع عبد اللطيف البغدادى الى القيادة حيث وجدنا عبد الحكيم عامر يدير المعركة بالتليفون ٠

نمت ليلتها فى القيادة ، ثم بدأت الامور تتضح ، وفداحة الهزيمة تفرض نفسها ٠٠٠ ولم يكن أمامنا من شيء نستطيع عمله سوى الاسى ٠

وقابلت عبد الناصر بعد ذلك لمدة ثلاث ساعات تحدثت فيها عما يجب عمله لنعبر النكسة فطلب منى تقريرا بذلك فكتبته له من ١٥ صفحة وكان محوره أن مفتاح الموقف فى يد أمريكا وليس الاتحاد السوفيتى ولذا يجب أن نحسن موقفنا معها كما يجب أن نمد أيدينا للدول البترولية السعودية وايران ودول الخليج وان ننسحب أيضا من اليمن ٠

عرض على جمال عبد الناصر بعد ذلك قيادة قوات المقاومة الشعبية ولكنى طلبت منه أن تكون مقاومة جادة وليست صورية ، واعتبر ذلك منى رفضا وعين عبد المحسن أبو النور ٠

الاســـم : . . . . مجــدى حســـنين

تاريخ الميلاد : . . . . ١٢ ينــاير ١٩١٩

مهنة الوالد : . . . . مهنـــدس

الامـــلاك : . . . . ٢٨ فـــدانا

متخرج فى : . . . . الكلية الحربية عام ١٩٤٠

الرتبة وقت حركة الجيش : . . . . صـــاغ

آخــر وظيفة : . . . . سفير مصر فى تشيكوسلوفاكيا

العمــل الآن : . . . . أعمــال حــرة

س ١ : هــل كانت لــك اهتمامات أو ارتباطات سياسية قبل حركة الجيش ٠

جـ ١ : نشأت فى فترة كان خالى (كمال باشا على) رئيسا للجنة الوفد بالقليوبية ، ولكنى لم أرتبط بالوفد وفى عام ١٩٣٩ أثناء وجودى طالبا بالكلية الحربية كتبت تقريرا الى قائد الكلية اللواء مصطفى صادق أشرح فيه عدم جدية التعليم بالكلية وضرورة الغـــاء البعثة العسكرية وضرورة العمل فى اجازة الصيف ٠

فتش البوليس دولاب ملابسى ، وحولونى للمستشفى العســـكرى للكشف على قواى العقلية ٠ ثم شــكل لى مجلس تحقيق من البكباشى عبد الواحد عمـــار والملازم وجيــه خليل ، انتهى الى توقيع الاميرالاى محمد متولى كبير المعلمين جزاء على ١٤ يوما حجز قشلاق وحبس شهر وخصم ٢٢ درجة من درجات الاخلاق ٠

وبعد التخرج كان هناك تجمع من بعض الضباط يضــم اللــواء عبد الرازق بركات والصاغ عبد الرحمن فوزى والصاغ عبد الواحــد عمار والصاغ حتاتة يطبعون منشــورات على مطبعة حجر ويوزعونها خارج القاهرة وخاصة فى الصحراء الغربية التى كان ينقل اليها الضباط الذين تبدو عليهم ميول سياسية ٠

كنا فى ذلك الوقت نتعاطف مع الألمان فكرا ونسمع اذاعة برلين ، وكونا لجنة اسمها (لجنة حراسة أموال الاعداء) فى الضبعة وهدفها تدمير مهمات ومعدات الجيش الانجليزى ٠

وقد اتصلت مع عدد من ضباط سلاح خدمة الجيش بالفرقة الرابعة الهندية ، وحرضنا بعض أفرادها على التمرد ، وقد حوكم أربعـة منهم وأعدموا فى فوكه ٠

وأثناء الاحتفال بعيد ميـلاد الملك فى ١١ فبراير ١٩٤٢ بنادى الضباط بالاسكندرية ، ثرت وأبطلت حفلة ساهرة كان يحييها المطـرب جلال حرب والراقصة ببا عز الدين ، وذلك تأثرا بما حدث من تعـدى البريطانيين على الملك فى ٤ فبراير ٠

كنت قد تعرفت قبل ذلك بأنور السادات وحسن عزت وطيار شريف طلعت وكانت لنا جميعا نفس الميول والاتجاهات ٠

وكلفت بقيادة ٦٨ عربة محملة بالتموين الى سيوه لمعرفة موقفها وما اذا كان الالمان قد احتلوها وعند العودة وجدت ٦ عربات مهجورة للفرنسيين الاحرار كان بها ٧٢ قنبلة يدوية استوليت عليها ثم سلمتها بعد ذلك لحسن عزت ٠

كنا خلال اجازاتنا نضرب العساكر الانجليز ٠

وأذكر أن ضابط السواحل محمد شبانة كان قد قذف عربة النحاس باشا بالحذاء ، وعند التحقيق معه ذهبت أنا واليوزباشى عـز الـدين ذو الفقار (المخرج السينمائى فيما بعد) واليوزباشى أحمد فؤاد نجيب متطوعين للشهادة رغم عدم رؤيتنا للحادث لنفى الواقعة ، وقد شـهدنا فى مجلس تحقيق بعوامة السواحل ثم فى المحاكمة التى تمت فى مبنى وزارة الحربية ٠

وبعد ذلك تعرفت معرفة شخصية بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وبدأت الاتصال بالاخوان المسلمين مـع نهـاية الحرب العالمية الثانية عن طريق محمود لبيب وكان معنا جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى وخالد محيى الدين وابراهيم الطحـاوى وكمال حسين وعبد المنعم عبد الرؤوف ومعروف الحضرى ٠

وأذكر يوم وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩٤٦ حين شاركت فى الهجوم على حارة اليهود وحرقنا مكتبا فى شارع فاروق (الجيش الآن) ٠

كنا نعقد جلسات لتحضير الارواح شبه منتظمة يحضرها جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ولواء طبيب حسين رياض وعزت خيرى الاستاذ فى كلية العلوم وشفيق طلعت خيرى ضابط المدفعية ، وقد امتدت هذه الجلسات الى ما بعد نجاح حركة الجيش وأذكر ان اسماعيل الازهرى قد حضر واحدة منها ٠

وعند اقتراب حرب فلسطين تطوع البعض منا كمال حسين وعبد المنعم عبد الرؤوف ، وأخذنا نجمع نقودا لاسر الشهداء ، ونقوم بعمليات تهريب ذخيرة وقنابل لهم من منطقة القناة من معسكرات الجيش الانجليزى حيث كان يعمل ١٣٥ مصريا ٠٠٠ وكنا قد بدأنا نشكل تنظيما كان يجتمع فى منزلى ٠

نقلت بعد ذلك الى الكلية الحربية ، وسافرت فى بعثة الى انجلترا فى ديسمبر ١٩٤٩ امتدت حتى أوائل ١٩٥١ ٠٠٠ وعندما عدت تابعت فورا اجتماعات الضباط الاحرار ، وأصبحت مسئولا عن امداد الضباط الاحرار بالاسلحة والذخائر من وفورات ضرب النار ، وقد اعطيت كميات كبيرة لثروت عكاشة ، وجمال عبد الناصر الذى كان يمد بها الفدائيين ، وكنت وقتها مديرا لمخزن البترول فى ثكنات العباسية ٠

شكلت مجموعة ضباط أحرار فى خدمة الجيش تضم ابراهيم الطحاوى ومعروف الحضرى وبدوى الخولى وحسنى عبد المجيد وغيرهم كما أصبحت أمينا لصندوق حركة الضباط الاحرار ٠

وأذكر انه بعد محاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر ، أننى غيرت كاوتش عربة جمال عبد الناصر أنا وخالد محيى الدين لتغيير بصماتها ٠

وفى يوم ١٩ يوليو اجتمعت مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وتحدد يوم ٥ أغسطس موعدا لتحرك الجيش الا اذا تحرك الملك قبل ذلك ، وقد أبلغنى عامر أننى موضوع تحت المراقبة ٠ فقررت السفر للاسكندرية ، وطلب منى جمال عبد الناصر الاتصال بأحمد حمروش هناك لابلاغه باقتراب موعد الثورة ، ولكنى تلقيت مكالمة تليفونية فى اليوم التالى مباشرة ٢٠ يوليو تستدعينى للحضور الى القاهرة ، فرجعت ونمت عند ابراهيم الطحاوى ولم أذهب الى منزلى ٠

س ٢ : ماذا كان دورك خلال حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ؟

جـ ٢ : عندما عدت للقاهرة علمت بموعد الحركة من جمال

عبد الناصر الذى حضرت معه اجتماعا فى منزل محمود الجيار يوم ٢٢ يوليو ، وقد استدعينا ليلتها الصاغ معروف الحضرى رغم ابتعاده وانضمامه الى الاخوان المسلمين ٠

قمنا بتعبئة عربات خدمة الجيش بالبنزين فى العاشرة والنصف مساء يوم ٢٢ يوليو ، وأخذنا الصاغ حمزة البسيونى فى الحادية عشرة والنصف مساء وخرج الى الكتيبة ١٣ مشاة ٠

وقمنا أيضا بوضع قسم القاهرة وبوابة العباسية تحت خط ثابت من نيران البنادق ، ومنعنا عربات اللواءات من الخروج وكانت (فى جراج) خدمات المحطة ٠

وفى الساعة الثالثة فجرا اتجهت الى رئاسة الجيش فى كوبرى القبة حيث قابلت جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأوكلا الى مهمة الاستيلاء على محطة الارسال فى أبو زعبل ، وأخذت تروب سيارات مدرعة بقيادة اليوزباشى محمد عبد الفتاح على وتوجهت الى محطة أبو زعبل ومعى اليوزباشى المهندس جمال علام ، فوجدت المحطة مضاءة ومغلقة ، ووجدت بها شابين كان أحدهما المهندس الجارحى القشلان فتجاوبا معى ولكن النور قطع عن محطة أبو زعبل ، فتركت سائقى مع الرشاش يحرسهم ، وذهبت الى محطة النور فوجدت شخصا يتحدث بالتليفون فهددته بالطبنجة ، فأدار المحطة ٠

كان كريم ثابت قد اتصل من الاسكندرية بمحطة الارسال ، وطلب منهم فك المحطة ، قائلا انه سيرسل لهم ، ٢ لورى ، ٢ تاكسى لأخذ المحطة وأجزائها ، ولما حضرت هذه العربات تسأل عن الامانة قال لهم الجارحى القشلان (معنديش) ، ولما طلبوا أجرة التاكسى قال (معنديش ايضا) ٠

وكان فريد زعلوك هو الذى أعطى الأوامر لمهندس محطة الكهرباء بقطع التيار ٠

خلال هذه العملية السريعة أمكن اعادة الارسال الى طبيعته ، ولكننى لم أسمع البيان الأول الذى قرأه أنور السادات ، حيث كنت أحاول تأمين المحطة تأمينا كاملا ٠

وعدت بعد ذلك الى رئاسة الجيش حيث أصبحت مقرا لمجلس القيادة بعد أن كانت مقرا لقيادة الجيش السابقة ٠

س ٣ : ما هى المسئوليات التى عهد اليك بها خلال مسيرة حركة الجيش ؟

ج ٣ : أولا ··· عينت مديرا لمكتب محمد نجيب فى رئاسة الوزراء· بعد تحمل عبد الحكيم عامر مسئولية قيادة القوات المسلحة ، وقد بدأنا فى تكوين عدة مكاتب منها مكتب فنى برئاسة (الدكتور عزيز صدقى) ومكتب قناة السويس عين فيه الدكتور مصطفى الحفناوى ·

ثانيا ··· ساهمت فى انجاح فكرة معونة الشتاء ومشروع الشجرة وقطار الرحمة ·

ثالثا ·· بدأ مشروع مديرية التحرير فى نوفمبر ١٩٥٢ بلا ميزانية سوى ٧٠٫٠٠٠ ألف جنيه كانت مدرجة فى تفتيش رى الصحارى حيث شقت بها الترعة الأولى ، وقد اقتنع جمال عبد الناصر بفكرة المشروع وشكلت له لجنة برئاسة الدكتور عبد الرازق صدقى وزير الزراعة وعضوية عبد اللطيف بغدادى وزير الشئون البلدية والقروية وكمال الدين حسين وزير التربية ، وأحمد الشرباصى وزير الرى ودكتور عبد الحكم الرفاعى محافظ البنك الاهلى ودكتور عبد المنعم البنا وكيل وزارة الخزانة ، وأحمد فؤاد عضو مجلس الانتاج فى ذلك الوقت ودكتور منير الزلاقى أستاذ الاقتصاد الزراعى بجامعة الاسكندرية ودكتور زكى حسين عميد المحاسبين القانونيين فى مصر وعميد كلية التجارة السابق ، وعبد اللطيف عامر وكيل وزارة الشئون الاجتماعية ودكتور مهدى الذونى أستاذ الفاكهة بجامعة القاهرة ومنى عضوا منتدبا ·

وكان المشروع قد وضع على مائدة البحث قبل تشكيل مجلس الادارة أمام مجلس الثورة ومجلس الانتاج ومجموعة من الخبراء ، وأثناء المناقشة اعترض جمال سالم وغادر القاعة بعد محاولته ضرب أحد الحاضرين ··· ومن هنا بدأت الاتجاهات الأولى لمعارضة المشروع ·

وقد وصل الخلاف بينى وبين جمال سالم الى حد التلاحم بالأيدى ·

وكان لذلك أثره فى أول مجلس أمة للثورة شكل عام ١٩٥٧ وكان يرأسه عبد اللطيف البغدادى ·

وعندما كان البغدادى وزيرا للشئون البلدية والقروية قرر هدم

الفوالة ثم اتجه الى حى معروف ولكنى تصديت له باعتبارى نائبا للدائرة ، وعندما حاصر البوليس الحى وأخرجوا أثاث بعض المنازل انضممت للاهالى واعدت الاثاث رغم أنف البوليس ٠

وقد حسم البغدادى هذا الموقف ، فصدر قرار بفصلى من مديرية التحرير يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٧ دون سابق انذار ٠٠٠ وان كان هذا لم يؤثر على عضويتى لمجلس الامة ٠

ولكن البغدادى أبلغ بعض النواب بغضب الثورة على ، واستقبلنى جمال عبد الناصر وطلب منى الذهاب اما الى القناطر الخيرية أو برج العرب ، لان شيئا ما يدور فى مجلس الامة ، وقال لى انه طلب من بغدادى ألا يسبنى ، وطلب منى أيضا الا أسبه ٠

ذهبت للمجلس فلم أجد أحدا يحتفى بى أو يسلم على ٠

ثم تقدم عشرة نواب بمشروع اقتراح لطردى وطرد الدكتور محمود القاضى واسماعيل نجم المحامى وأحمد شفيق أبو عوف بدعوى افسادهم للحياة النيابية لانهم عينوا فى مديرية التحرير ٠

أصدر بغدادى قرارا بتشكيل لجنة دستورية للتحقيق تقدم تقريرها فى ٦ ساعات ثم أجلها الى ٢٤ ساعة وأخيرا الى ٤٨ ساعة ٠

وهنا تفجر الخلاف وانقسم بعض النواب على بعضهم ، وذهب الدكتور عزيز صدقى يبلغ جمال عبد الناصر انه سيستقيل ووقف معى عدد كبير من النواب العسكريين والمدنيين ٠٠٠ وانتهى التحقيق الى أن تصرفى لا غبار عليه ، وعند التصويت أعلن ٢٣٠ عضوا براءتى من ٣٠٠ عضو هم أعضاء المجلس ٠

وقد أثر هذا الموقف على البغدادى الذى حاول أن يتكلم فى الجلسة ، ولكنها عقدت سرية ، وفكر فى الاستقالة ولكنه تراجع عنها ، كما قدم كمال الدين حسين استقالته ولكن المجلس رفضها ٠

ومن يومها انقطعت صلتى بالأعمال الحكومية وخرجت الى المعاش حيث باشرت بعض الأعمال الحرة ، الى أن عدت سفيرا فى تشيكوسلوفاكيا ٠

س ٤ : كنت مديرا لمكتب محمد نجيب أثناء خلافه مع اعضاء المجلس ٠٠ ما هو موقفك من هذه الازمة ؟

ج ٤ : كنت مديرا لمكتب محمد نجيب ، ولكنى ، كنت أخطب ضده فى الخارج ، وعندما قدم استقالته واعترض على ذلك ضباط الفرسان فى اجتماعهم الذى حضره جمال عبد الناصر واقترح فيه انهاء أعمال مجلس القيادة ، وتعيين نجيب رئيسا للجمهورية ، وخالد محيى الدين رئيسا للوزراء ، اتخذت موقفا مضادا لفكرة انسحاب مجلس القيادة ، وقاومت ذلك باحاطة سلاح الفرسان بجنود من خدمة الجيش داخل ثكنات العباسية ، فى الوقت الذى حلقت فيه الطائرات المضادة للدبابات من جهة الشارع ٠

كان عبد الحكيم عامر يخشى حدوث تصادم بين وحدات الجيش ، وهددنا بانه سينتحر اذا حدث تبادل لاطلاق النار ٠٠ ولكننا استطعنا أن نوقف ارادة ضباط الفرسان ٠

عاد نجيب الى موقعه السابق دون تعديلات أخرى ٠٠ واستمر الخلاف قائما بينه وبين أعضاء المجلس ، الى أن حدثت أزمة مارس ، ونزل الى القاهرة بعض عمال مديرية التحرير يهتفون بسقوط نجيب وحياة الثورة ٠

واذكر أن الدكتور عزيز صدقى قد ذهب الى نجيب فى منزله وصارحه قائلا (نحن مع جمال) بينما كان يعمل مديرا للمكتب الفنى برئاسة الوزراء ٠

وفرضت المظاهرات نفسها على الموقف ، وانتهى دور محمد نجيب ليصبح رئيسا شكليا للجمهورية فقط ، بعد تولى جمال عبد الناصر رئاسة الوزراء ٠

س ٥ : هل تدخلت الثورة فى تشكيل مجلس الامة عام ١٩٥٧ ؟

ج ٥ : نعم ٠٠ كانت هناك لجنة سرية لتحديد أسماء الاعضاء الذين تسمح ببقائهم كمرشحين بناء على لائحة الاتحاد القومى ، وكانت مشكلة تحت اشراف زكريا محيى الدين ومكونة من على صبرى وأحمد طعيمة وابراهيم الطحاوى وصلاح دسوقى وكمال الحناوى وعباس رضوان ومصطفى المستكاوى ومنى ، وهى التى قدمت اقتراحات الاعتراض على بعض الاسماء ، واخلت الدوائر لاسماء أخرى ، وفرضت على بعض الضباط أن يرشحوا أنفسهم ٠

س ٦ : هل اعتزلت السياسة بعد اخراجك من مديرية التحرير ؟

جـ ٦ : لا ٠٠ لم أعتزل فقد واصلت عملى عضوا فى مجلس الامة، وانضممت الى المجلس المصرى للسلام ، واتصلت أنا وخالد محيى الدين بصلاح سالم حيث كنا جميعا قد اقتنعنا بسلامة المبادىء الاشتراكية وذلك خلال فترة رئاسته لدار التحرير للطبع والنشر ٠

وفى رأيى انه لايمكن لمن شارك فى التحضير لثورة يوليو ، وأسهم فى انتصارها ، وساهم فى تحقيق بعض انجازاتها ، وآمن بمبادئها ، أن ينسحب اختياريا من الحياة العامة أو يعتزل العمل السياسى ٠٠ ذلك لانه قدر كتب على كل وطنى ٠

الاســـم : . . . . **محسن عبد الخالق**

تاريخ الميلاد : . . . . **٧ مارس ١٩٠٢**

مهنة الوالد : . . . . **محـــام**

الامـــلاك : . . . . **١٦ فدانا بالمحلة ، ٥٥ فدانا بكفر الشيخ**

متخـرج فى : . . . . **الكلية الحربية ١٩٤٤**

الرتبة وقت حـركة الجيش : . . **يوزباشى**

العمـل الآن : . . . . **سفير مصر فى اليابان**

س ١ : ما هـو نشاطك السياسى قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : كنت مؤيـدا للحزب الوطنى ، ولكنى انفعلت بعد دخـول الكلية الحربية بمشاكل الجيش ، وتاثرت بواقع الحياة فيه ، وثرت على تصرفات اللواء ابراهيم عطا الله (باشا) رئيس هيئة اركان الحرب ، والتقيت فى هذا التفكير مع عدد من زملاء دفعتى فى الســوارى مثـل جمال منصور ومصطفى نصير وعبد الحميد كفافى ، وبدانا اجتماعات تلقائية كانت بداية لاجتماعات منظمة ٠٠ وكنا نبحث عن وسيلة للتعبير فاتصلنا برشاد مهنا الذى قال لنا (ان كل هذا لايحل الا بالايمان) ٠٠ واتصلنا بمحمود لبيب مسئول تنظيم الضباط فى الاخوان المسلمين وكنا نلتقى اســـبوعيا فى النادى الاهلى ، ثم وجـــدنا أن ذلك ليس كافيا ولا مرضيا للتساؤلات التى نحملها فى صدرنا ، فكنا نعقـد اجتماعات خاصـــة توافرت فيها المناقشات الحـــرة ، وتولدت فيها شرارة الفكر الثـورى ٠

وبدأنا نصدر منشورات كان يكتبها جمال منصور ، ويطبعها على الجستتنر موظف فى السكة الحديد أسمه (شوقى عزيز) وكانت بتوقيع الضباط الوطنيين ٠

ثم حدثت حملة اعتقالات ١٩٤٧ التى ضمت رشاد مهنا وممدوح

جبة وأنور الصيحى من المدفعية ٠٠ واعتقل مصطفى نصير من مجموعتنا ٠ فعقدنا اجتماعا فى ميس الالاى الاول ميدان وقررنا جمع مرتبات للضباط المعتقلين فى نفس اليوم ، وقد دفع لنا البكباشى أحمد حسن الفقى اركان حرب مدفعية الفرقة ٠

وأسفرت هذه الحملة عن خروج ابراهيم عطا الله وتعيين محمد حيدر ٠

(واقتربت حرب فلسطين ورفضنا قرار التقسيم وتطوع البعض منا مثل فتح الله رفعت ، وتشتتت الوحدات بعد الاتجاه الى العريش ، وبدأنا نعقد اتصالات فى حدود المدفعية مع أحمد كامل ومبارك رفاعى ومصطفى فهمى عبد المحسن ، وعلى فوزى يونس ٠

اذكر فى هذه الفترة اننى قرأت كتاب (حرب العصابات) لاحمد حمروش ، راننى رفضت أسلوب تفكير الشيخ سيد سابق مبعوث الاخوان الذى كان يقول لنا (واذا هجمتم فاهجموا متراصين) ناسيا اننا نحارب الهاجاناة وجنودا مسلحين بأسلحة وتكتيكات حديثة ٠

وأذكر أيضا اننا كنا فى حيرة نواصل اتصالاتنا خارج الجيش ، فاتصلت مثلا بامينة السعيد فى دار الهلال ، وحاولنا الاتصال بعبد الرحمن عزام ٠

وفى هذه الفترة ابتعدنا عن الاخوان المسلمين لانهم لم يقدموا لنا اجابة مقنعة على هذا التساؤل (ماذا ستعملون فى البلد لو حدث انتصار ؟) ٠

وبدأت حرب فلسطين تكشف لنا حقائق جديدة ٠٠ مزرعة البقر التى غنمناها فى دير سنيد ارسلت للملك ، ولذا قررنا ذبح الفراخ فى مزرعة اخرى وتوزيعها على الجنود دون الضباط ٠

وظهرت نوعية جديدة من الضباط ترفض تدخين الحشيش المنتشر فى ذلك الوقت ، وتتحدى الأوامر غير المقنعة ، وتظهر البطولات والأعمال الباسلة ٠

وفى المجدل قابلت جمال عبد الناصر الذى أصبح يلازمنا يوميا ثم اتفقنا على المقابلة فى مصر ٠٠ وخلال ذلك حدثت معركة نجبة التى شارك فيها عبد الناصر مع الكتيبة ٦ مشاة ٠

وأمام العجز عن تحقيق انتصار سريع ، والهزيمة فى بعض المواقع ·· حدثت حالة من الفوضى والمناقشة العامة ، وفكر عدد من الضباط فى اغتيال اللواء المعداوى قائد القوات اثناء دخوله القيادة ، وانتهى الأمر بوصول اللواء فؤاد صادق قائدا عاما وكان خطيبا جيـدا فخلق روحا معنـوية عالية ، واكتسب احترام الجيش ·· وكان قد عين البكباشى اركان حـرب محمد كامل الرحمانى أركان حـرب للقوات وكنـا على اتصـال بـه ·

وبدأ يحـدث انفصـام حقيقى بين الجبهة والقاهرة ، (وتوثقت العلاقة بينى وبين فؤاد صادق والرحمانى بعد معركة تبـة لطفى التى تطوعت لقيادتها فى آخر يوم ، ووصل اليهود ملتفين من الخلف واستمرت المعركة ١٢ ساعة ، مات فيها نصف القوة المصرية ، وكـذا كل الكتيبة اليهودية المهاجمة ·)

وفى حفل وداع فؤاد صادق قبل انتقال القادة للقنال حيا الشهداء ووحدات الفالوجا وموقفى فى تبة لطفى ·· وكنا قد فكرنا فى ان أرد عليه واعينه رئيسا لأركان الحرب ·

ولكنه ألقى خطبة وداع متأثرا بأقوال مصطفى كمال صدقى المقرب من السراى وعضو الحرس الحديدى ، الذى وعده بأن يعين رئيسـا لاركان الحرب ·

ولما فوجئنا بموقف فؤاد صادق المتردد ، انتقلنا الى التفكير فى انشاء تنظيم مع كمال الدين حسين بعد عودته من بيت لحم ·· وأثناء ذلك اتصلنا بجمال عبد الناصر ، وتبلورت فكرة الضباط الاحرار وكنا نطبع المنشورات عند شوقى عزيز الذى اشترى ماكينة جستتنر نقلت الى بيت فى حلمية الزيتون ، ثم نقلت الى حسن ابراهيم فى مصر الجديدة ، وعبد الرحمن عنـان ·

(نقل محسن عبد الخالق ليعمل سفيرا لمصر فى اليابان ·· ولم يكتمل الحـديث) ·

الاســـم : . . . . محمد أبو الفضل الجيزاوى

تاريخ الميلاد : . . . . اول سبتمبر ١٩٢٢

مهنة الوالد : . . . . رئيس لجنة الوفد بالجيزة

متخــرج فى : . . . . الكلية الحربية ديسمبر ١٩٤٢ ، كلية الحقـوق ١٩٥٨ ــ بـدأ الدراسـة بها ١٩٥٠

الرتبة وقت حركة الجيش : . . . يوزباشى فى سلاح المدفعية

آخــر وظيفة : . . . . عضو مجلس أمة .

العمــل الآن : . . . . محـــام .

س ١ : كيف بـدأت صلتك بالحيـــاة السياسية ؟

جـ ١ : عشت فى جـو سياسى نتيجة انتماء والدى للوفد ورئاسـته للجنته بالجيزة ، وقد وقع حادث ٤ فبراير وانا طالب فى الكلية الحربية وكان هو مفتاح اهتمامى الحقيقى بالسياسة ، وقد اتصلت بعد تخرجى بجماعة الاخوان المسلمين عن طريق الصاغ المتقاعد محمود لبيب ابتـداء من عام ١٩٤٥ ، ولكنى لم استمر معهم طويلا لاحساسى بأنهم يريدون استغلال وجودهم فى القوات المسلحة لمصالحهم الخاصة المبهمة ، ولذا انفصلت عنهم عام ١٩٤٧ ، وبدات فى عقد صلات مع عدد من الضباط بعيدا عن الانتماء الحزبى ، ولكن حرب فلسطين اخمدت النشاط السياسى وحولته الى حركة وطنية .) وبعد انتهاء حرب فلسطين خشى الملك من وجود الجيش بالقاهرة فوزع وحـدات القتال على المناطق المختلفة ، وذهبت الى الاسماعيلية شرق حيث بقيت ٦ شهور ، حاولت فيها الاتصال باللواء فؤاد صادق لاقناعه بحركة يصحح بها الاخطاء القائمة ، وكان يشاركنى فى ذلك الزميل محسن عبد الخالق ولكن فؤاد صــادق لـم يقتنع بذلك .

ومع نهاية ١٩٤٩ عاد النشـاط السياسى مرة أخـرى وبدأنا فى التجمع وتجنيد عدد من الضباط لاهداف وطنية مطلقة ٠)

س ٢ : كيف بـدأت صـلتك بتنظيم (الضـباط الاحـرار) ؟

جـ ٢ : كانت الصلة الأولى عند محاولة تجنيد كمال الدين حسين فى بداية ١٩٥٠ للمجموعة التى كنت مرتبطا بها ، (وتم الاتفاق على تجمع الضباط فى تنظيم واحد ، حيث أخذ التنظيم وصفه المعروف فى شكل حلقات ودفع اشتراكات واتصـالات رأسـية ، ومحاولة لخلق مجموعات فى كل وحدة) ٠

س ٣ : كيـف تم التحضـير لحـركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ؟

جـ ٣ : كانت الاتصالات التنظيمية تتدعم يوما بعد يوم ، وخاصة فى فترة انتخاب نادى الضباط ثم بعد حريق القاهرة ٠

وفى يوم ٢١ يوليو ١٩٥٢ اتصـل بى كمال الدين حسين وطلب تجميع أكبر عدد ممكن من الضباط بعد الظهر ، وجمعنا حوالى اكثر من ٣٠ ضابطا منتمين للتنظيم وحضر كمال حسين وحسين الشافعى ٠

وبلغنا أن الحركة كان مفروضا ان تتم فى اليوم التالى مباشرة لولا ان بعض الوحدات والاسلحة لم تكن جاهزة ٠

وبدأنا نعد أنفسنا لتحرك فى اليوم التالى مباشرة ٢٢ يوليو ٠٠ واتفقنا على الا نذهب الى الوحدات قبل الحادية عشرة مساء على أن يتم التحرك فى تمام الساعة الثانية عشرة منتصف الليل لانها سـاعة الصفر ٠

وفوجئت حوالى السابعة مساء بالملازم أول حسن محمود صـالح يبلغنى بحضور كمال الدين حسين وانه ذهب لتغيير ملابسه ففهمت والدته انه مقدم على عمل خطير ، فاسرعت بالاتصال بأخيه اللواء جوى متقاعد (مفصول) صالح محمود صالح الذى هرع تقريبا للسراى بالاتصـال تليفونيا بحيدر باشا وأبلغه أن هنـاك ضباط (ينوون عمل شىء فى البلد) ٠

وقع الخبر علينا وقع الصاعقة لانه يهدد الحركة كلها بالفشـل ، وهناك خمس ساعات على ساعة الصفر ٠٠ ولم نجد حلا سوى اعطائه عربتى ومطالبته بالرجوع لوالدته ومحاولة اقناعها أن هـذا عمل غير جـدى ٠

وعندما مر علينا جمال عبد الناصر بعد ذلك رفضنا أن نبلغه بهذه الواقعـــة ·

وغيرنا خطتنا وقررنا التبكير في الذهاب للوحدات ، ومررت بعربتى على كمال الدين حسين وخالد فوزى حيث وصلنا فى التاسعة مساء الى مركز تدريب المدفعية بالماظة ·

س ٤ : ما هي تفاصيل الخطـــة التي كلفتم بتنفيذها ؟

ج ٤ : كانت الخطة قائمة على أساس وضــــع قوات على مداخل المنطقــة العســكرية للتحكم فى الداخلين اليها والسيطرة على الماظة ، ثم تكليف أحد الضباط (يوزباشى محمد عزت عبد الغنى) باحضار عربات من خدمة الجيش لنقل الجنود ·

س ٥ : كيف نفذت الخطة ؟

ج ٥ : كان وصول الخبر للسراى دافعا لحضور اللواء حسين فريد الى مقر رئاسة الجيش فى كوبرى القبة واستدعاء كبار الضباط لابلاغهم بالتوجه الى وحداتهم والسيطرة عليها ·· وقد توجهوا فرادى الأمــر الذى سهل مهمة اعتقالهم ·

كان أول صيد لنا اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة وشـــقيق اللواء محمد نجيب والقائمقام يوسف العجرودى اركان حرب المنطقة ، فلم نكد نشاهدهما ينزلان من العربة امام المدفعية حوالى الحادية عشرة مساء حتى تصرفنا فى سرعة ، ووضع كمال الدين حسين طبنجة فى بطن اللــواء على نجيب قائلا له بصــوت مرتفع (انت معتقل بأمر اللــواء محمــد نجيب) ·

ورضخ على نجيب دون مقاومة ·· بل لعله كان مبتهجا لذلك ·

وقد أدى القبض على قائد المنطقة المركزية الى تشـجيع الضباط ورفع روحهم المعنوية والبدء فى تحريك قواتهم ·

وبعــد ذلك اتجــه كمال الدين حسين وخالد فوزى وأحمد كامل وعلى فوزى يونس الى مدخل الماظة حيث وقــع الصيد الثانى ، قائـد المدفعيـــة الاميرالاى حافظ بكرى واركان حــرب الســـلاح البكباشى عبد الفتاح كاظم ، حيث قبض عليهما بواسطة كمال الدين حسين وهذه المجموعة ·

ووضع الأسرى الأربعة فى مكتبى ومعهم بعد ذلك لواء جوى محمد فرج واثنان من ضباط المشاة برتبة البكباشى ·· وتحول المكتب الى شبه معتقـــل ·

وكانت الظاهرة الواضحة هى انضمام ضباط الصف والعساكر لنا تلقائيا بفرح وحماس شديدين ·

وعند منتصف الليل تلقيت عن طريق التحويلة التى كنت قد طلبت من العامل عليها تحويل كل المكالمات لمكتبى باعتبارى اركان حرب مدفعية الميـــدان ·

كان المتحدث على الطرف الثانى الفريق محمد حيدر باشا يســأل عن اللواء حافظ بكرى ، فرددت عليه قائلا :

ـ أيوه يا معالى الباشا أنا حافظ بكرى تحت أمرك ·

ولما سألنى مستفسرا عما فعلته قلت له بصوت لايعرف التردد :

ـ أنا أرسلت أجيب قادة الوحدات ، واحنا مسيطرين على الموقف تمام فلا تخش شيئا

قال حيدر باشـــا :

ـ أنا متشكر على الهمة دى يا حافظ وانا حابلغ مولانا وخليك على اتصـــال بينا ·

قلت وانا أغلق السماعة :

ـ متشكر جدا يا معالى الباشا ·

وهنا قال لى البكباشى عبد الفتاح كاظم مندهشا :

ـ ايه اللى انت بتعمله ده ·

وقلت لحافظ بكرى قائد الســـلاح :

ـ انا متأسف انى باستغل شـــخصيتك ، لكن تعلمنا هــذه الحيل عام ١٩٤٨ فقد كان الاسرائيليون يأسرون بعض عساكر الاشارة ويطلبون منهم ارسال اشارات بالانسحاب ·

ولم يجب حافظ بكرى وارتســم الهم على وجهــه بينما انفرجت أسارير على نجيب وهو يقول لى (هات لنا يابنى شاى وقهوة وكازوزة)

وفى الساعة الاولى بعد منتصف الليل اتصل الفريق محمد حيدر ، مرة أخــرى طالبا الافادة عن الموقف ، وأجبته محتفظا بشخصية حافظ بـــكرى :

ـ الموقف مطمئن وقادة الوحدات والضباط وصلوا ٠

وقـال حيـــدر :

ـ انا سامع فيه دوشة عند القيادة ٠

وأبلغته ان هذه المعلومات عندنا وأننى سأرسل قوة لضرب هـذا التجمع ، فشكرنى وابلغنى انه سيداوم الاتصال ٠

ولم تمض ساعة حتى عاود حيدر الاتصال ، وقلت له اننا أرسلنا قوات للعباسية واننا مسيطرون على الوقف فى المـاظة والعباسية وأن هناك بعض الضباط متجمعون أمام القيادة وسنعتقلهم ٠

وفى الرابعة صباحا تلقيت منه مكالمة رابعة وكان فى حالة نفسية سيئة وهو يقول ان عنده معلومات بأن بعض الضباط قد استولوا على القيادة فعلا ٠٠٠ فما هى الحقيقة ؟

وأجبته قائلا ان هذه المعلومات كاذبة وأن قواتنا هى المسيطرة على الموقف وطلبت منه أن يطمئن ٠

ولكن الشك كان قد بدأ يداخله فسألنى :

ـ انت باين عليك مش حافظ بكرى ٠٠٠ وصوتك متغير ليه ٠

ـ وقلت : أنا حافظ بكرى وصوتى متغير من التليفون ٠

ولكنه طلب منى أن أعطيه (أمارة) ٠

وتساءلت : (أمارة ايه ياباشا ؟) ٠

فقال : (أمارة بخصوص العيد) ٠

قلت له : (هوه بعد العيد ينفت كحك !) ٠

وقال حيدر غاضبا : (مش عيب يابنى كده) ٠

وأجبته فى صرامة : (مصلحة البلد فوق كل اعتبار ٠٠٠ وأرجو أن تتركنا لكى نكمل عملنا) ٠

وطلبت من (التحويلة) قفل السكة ٠

ولم تكن هذه هى المكالمات الوحيدة ، فقد اتصل بى قائد البوليس الحربى وطلب بعض الوحدات لمهاجمة كوبرى القبة ، وسألته وأنا متقمص لشخصية حافظ بكرى ٠

ـ هل تكون مسلحة بالذخيرة وهل هناك أوامر باستخدامها ؟

ولما أجاب قائد البوليس الحربى قائلا : (طبعا يافندم لازم نضرب

فى المليان ونمنع الفتنة) لم أتمالك نفسى وقلت له : (انت بكره اللى حتنضرب بالرصاص فى ميدان عابدين) ٠

واتصل كذلك قائد ثانى المدفعية ، ومدير العمليات الحربية الاميرالاى سيد طه قائد كتيبة الفالوجا ٠

وطلع فجر يوم ٢٣ يوليو ووحدات المدفعية تتحرك الى كوبرى القبة وعابدين والعباسية وبعض الوحدات تمثل موانع دفاعية على طريق السويس لمواجهة أى هجوم محتمل ٠

س ٦ : كيف مضت الامور بعد نجاح الحركة ، وهل واصل تنظيم الضباط الاحرار عمله . باعتباره تنظيما قائدا للحركة ؟

جـ ٦ : الواقع أن نجاح الحركة السريع ومساهمة بعض الضباط النوبتجية فيها قد أدى الى ظهور اتجاه بأن الكل ضباط أحرار ٠٠٠ ولكن هذا لم يمنع استمرار اجتماعاتنا التنظيمية التى تناقش مواقف القيادة ولما اشتد النقد نتيجة بعض التصرفات لعدد من أعضاء المجلس طلب جمال عبد الناصر الاجتماع بالضباط الاحرار لسلاح المدفعية فى كوبرى القبة ، وكنا قد طبعنا منشورا وزعناه يوجه النقد لهذه التصرفات ٠

وقال لنا جمال عبد الناصر فى هذا الاجتماع انه لا داعى لطبع المنشورات منعا للدخول فى خلافات ٠

وبعد هذا الاجتماع الذى عقد فى نوفمبر ١٩٥٢ توقفت اجتماعات مجموعات الضباط الاحرار ، ولكن البعض واصل الاجتماعات مطالبا بتكوين قيادة جديدة عن طريق انتخاب حر بين الضباط ٠

وانتهى الأمر الى اعتقال هؤلاء الضباط يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ ٠

س ٧ : كيف تصرف ضباط سلاح المدفعية فى مواجهة هذه الاعتقالات ٠٠ وماذا كان موقفك أمام اعتقال زملاء النضال ؟

جـ ٧ : كان رد الفعل بين الضباط سيئا ، وقد اجتمع ٤٠٠ ضابط فى ميس المدفعية وقالوا انهم سيعتصمون حتى يفرج عن زملائهم المعتقلين ٠

وطلب جمال عبد الناصر من اللواء محمد حسين مدير سلاح المدفعية التدخل بصفته مديرا للسلاح ومطالبة الضباط بأن يسلكوا السلوك العسكرى ... وقد لاحظت انه لم يطلب ذلك من كمال الدين حسين مسئول السلاح فى مجلس قيادة الثورة .

ولكن الضباط ثاروا ضد محمد حسين ولم يستجيبوا لكلامه ... وهنا تدخلت ونحيت محمد حسين جانبا ، وأخرجت طبنجتى وقلت ان كل واحد يعمل ضد الثورة ساضربه بالرصاص .

وكنا قد صورنا المعتقلين بانهم طلاب مناصب .

والحقيقة ان الضباط لم يهدأوا الا بعد الاتفاق على عقد مجلس تحقيق ومجلس عسكرى من ضباط المدفعية ... وطلبوا أن يؤكد لهم جمال عبد الناصر ذلك شخصيا .

وحضر جمال عبد الناصر الى الاجتماع الثائر ووعدهم بذلك وهنا انصرفوا وفى قلوبهم الحذر وحد أدنى من الاطمئنان .

ولكن هذا الوعد لم يتحقق فقد مضت محاكمات هؤلاء الضباط والتحقيق معهم بأسلوب مختلف ... اذ أخذ مجلس قيادة الثورة مقعد التحقيق والقضاء معا .

س ٨ : ماذا كان موقفك بعد ذلك من ضباط سلاح المدفعية ؟

جـ ٨ : لا شيء ، كان تيار استمرار الثورة أقوى من موقف بعض ضباط سلاح المدفعية ... وقد أدت هذه الاعتقالات والمحاكمات الى نوع من الهدوء .

س ٩ : ما هو الدور الذى قمت به بعد ذلك ؟

جـ ٩ : شاركت فى تنظيم الثورة الاول (هيئة التحرير) وكنت مسئولا عن محافظة الجيزة اذ كانت الهيئة تستعين ببعض الضباط للعمل فى محافظاتهم ، وظلت الامور كذلك حتى أزمة مارس ١٩٥٤ عندما حدث اجتماع سلاح الفرسان الشهير الذى طالب بالديموقراطية وكان ذلك انفجارا للخلافات بين محمد نجيب وخالد محيى الدين من جهة وبين جمال عبد الناصر واعضاء المجلس من جهة أخرى .

عاد جمال عبد الناصر من اجتماع الفرسان فى حالة نفسية سيئة ،

وتدارسنا نحن الضباط الاحـــرار الموجودين فى القيادة طبيعة الموقف ووجدنا ان الديموقراطية ســوف تجلب الاحزاب القديمة والاخـــوان والشيوعيين وانه لن تكون هناك فرصة لاى فرد من ثورة ٥٢ للوصول الى الحكم وانه لابــد من فترة ســنة أو سنتين حتى تتدعم تنظيمات الثورة وتستطيع أن تدخل اية معركة انتخابية ٠

وفكرنا في القيام بحركة تطويق لمحاصرة ســلاح الفرســـان ، وأحضرت وحدات من المدفعية المضادة للدبابات ، وأخرج وجيه اباظه بعض الطائرات فوق السلاح ، واعتقل احمد انور قائد البوليس الحربى بعض الضــباط الــذين حضروا ممثلين لزملائهم للتفاوض مـــع مجلس القيـــادة ٠

وهكذا خمدت حركة سلاح الفرسان وان كان الامر قد انتهى بعودة محمد نجيب ٠

وبعد أن استقرت الامــور فى يد المجلس خرجت من الجيش فى نهاية ١٩٥٤ للتفرغ للعمل السياسى ، ونجحت فى أول انتخابات لمجلس الإمة عام ١٩٥٧ ، وفي هذه الفترة التقيت مع بعض الشيوعيين الذين أيدوا موقفى فى الانتخابات ضد عبد الرحمن الجابرى احد كبار التجار ، وبدأت تتضح حقيقة سمو أهدافهم فأرتبطت بهم ٠

ولكن هذا الموقف الجديد لم يرض جمال عبد الناصر فاتخذ منى موقفا أبعدنى به عن مجلس الامة بعد اتمام الوحدة ٠

الاســـم : . . . . محمد ابو نار

تاريخ الميلاد : . . . . اول يناير ١٩٢٧

مهنة الوالد : . . . . مهندس فى شركة الدلتا

الامــلاك : . . . . بيت وارض ومبان صغيرة

متخــرج فى : . . . . الكلية الحربية

آخــر وظيفة : . . . . رئيس مجلس ادارة شركة الاخشاب

العمــل الآن : . . . . المعـــاش

س ١ : هل كان لك نشاط سياسى قبل حركة الجيش ؟

جـ ١ : لم يكن لى انتماء لأحزاب أو قوى سياسية عـدا الضباط الاحرار الذين انضممت اليهم فى العريش عام ١٩٥٠ عندما كنت أعمل فى رئاسة الفرقة الاولى المشاة مساعدا لعبد الحكيم عامر وصلاح سالم ولم نعرف بحركة الجيش فى القاهرة الا مع صباح يوم ٢٣ يوليو .

س ٢ : كيف مضت خطواتك مع ركب الثـــورة ؟

جـ ٢ : عينت مديرا لمكتب صلاح سالم لشئون السودان عندما كلف بهذه المسئولية من مجلس قيادة الثورة ، وقد صاحبته فى خطوات تعرفه على السودان ، وزيارته للجنوب التى أسهم فى ترتيبها السفير الامريكى جيفرسون كافرى وضابط الاتصال سوينبى ، والتى حقق فيها صـــلاح ســالم نجاحا سياسيا كبيرا لمواجهته المحافظ ونقده له أمــام جماهير الجنوب التى كانت تنظر له كمعبود ، ولمشاركته قبائل الدنكا فى رقصتهم التى جعلته يشتهر باسم (الصاغ الراقص) .

وقد واصــل صلاح سالم نجاحه السياسى فى علاقاته مع الزعماء الســـودانيين الذين أمكن توحيدهم فى الحزب الوطنى الاتحــادى فى

مواجهة حزب الامة الماليء للانصار ، وكان تنفيذ اتفاقيـة ١٢ فبراير ١٩٥٣ التى كان مفروضا أن تنتهى باستفتاء على استقلال السودان أو اتحاده مع مصر مجالا لعمل سياسى مكثف ، اعتمد فيه صلاح سالم على صرف الاموال على بناء المساجد ومساعده الطلبة وبعض الزعماء السياسيين .

وقد حدثت مبالغات فى المبالغ التى صرفت ، ولكنها فى الحقيقة لم تتجاوز نصف مليون جنيه .

وقد مضت هذه السياسة بنجاح ملحوظ الى أن بدأت الخلافات بين مجلس القيادة ومحمد نجيب تطفو الى السطح ، ومن بعدها محاكمات الاخوان المسلمين ... وكان محمد نجيب شخصية محبوبة عند الشعب السودانى الذى استنكر ما وجه اليه من اتهامات فى بيان مجلس الثورة ، وخرج متظاهرا ومطالبا بعودته فى فبراير ١٩٥٤ عند اعلان استقالته .

وحدث عندما ذهب محمد نجيب وصلاح سالم والباقورى الى السودان بعد عودته يوم أول مارس ١٩٥٤ لحضور حفلات افتتاح البرلمان السودانى أن قامت مظاهرات من أنصار حزب الامة تريد أن تثبت وجودها بعد فشلها فى الانتخابات ، وحدثت معارك بين البوليس والمتظاهرين انتهت الى عودة نجيب وصلاح سالم فى اليوم التالى مباشرة . وكان هذا أول فشل واضح يعطى السياسة المصرية فى السودان .

ورغم نجاح الحزب الوطنى الاتحادى المؤيد لسياسة الاتحاد مع مصر الا أن بوادر التراجع قد بدأت تظهر نتيجة عدة عوامل منها الموقف من محمد نجيب ، ومحاكمات الاخوان ، ورفض الشيوعيين السودانيين للحكم العسكرى ، ونشاط الانجليز والامريكان لاحتواء اسماعيل الازهرى ومبارك زروق .

وقد أدى هذا التراجع الى محاولة صلاح سالم افتعال انقسام داخل الحزب الوطنى الاتحادى عن طريق محمد نور الدين ، وكذلك استخدام الجنوبيين للضغط على الازهرى ليواجه المشكلتين .

وحاول صلاح سالم أيضا الاتصال بالشيوعيين السودانيين على اعتبار ان لهم وزنا فى محاربة النظام كله واتصل فى ذلك مع عبد الخالق محجوب والشفيع الشيخ ، كما أفرج عن بعض الشيوعيين المصريين المعتقلين ومنهم (يوسف ادريس وفتحى خليل وابراهيم عبد الحليم وزهدى) فى محاولة منه للاستفادة من صلتهم التاريخية بالشيوعيين السودانيين .

ولكن كل هذه المحاولات لم تنجح فى انقاذ سياسة صلاح سالم من الانهيار ، وادت الى ظهور معارضة شديدة له بين اعضاء المجلس ، فكان جمال عبد الناصر يعتبر أن السودان لم يصل الى الحالة التى تتيح له اقامة علاقات وطيدة مع مصر ، وزكريا محيى الدين يعتقد أن الفريق الذى اعتمد عليه صلاح لم يكن القوة الاساسية فى السودان ، وحسين ذو الفقار صبرى ساير حزب الامة لينقذ ما يمكن انقاذه ٠

وبعد أن كان صلاح سالم يتصور انه اقوى شـــخصية فى مصر ، وان احلامه كانت تتطلع الى كسب استفتاء على رئاســـة الجمهورية فى اتحاد مصر والسودان ، بدات خطواته تتعثر وأحلامه تتبدد ، وسافر الى باندونج مختلفا مع جمال عبد الناصر ، عقب مطالبته باطلاق يـده فى السودان بعد حريق الجنوب المشهور ، ورفض المجلس ذلك بعد مناقشـة اعتبرت بمثابة تحقيق معه عن اخطائه ٠

ضعف تاثير مصر فى السودان ، وقال اسماعيل الازهـرى مخاطبا الجماهير : لحم أكتافى من مصر وأنا دخلت هناك لابس حذاء كاوتش ، ولكن هل يرضيكم أن يحكمنا صلاح سالم والعسكريون فى مصر ؟ وتتعالى هتافات الناس (لا ٠٠٠ لا) ٠

وبدأت مصر تركز فقط على الرغبة فى حل مشكلة المياه والحدود ، بعد أن اعتبر صلاح سالم (كارت محروق) ٠

وعندما عاد جمال عبد الناصر من باندونج أحضر لى هدية معه ، بينما سمعت أنه عامل صلاح ســالم بجفاء وبرود ، وكان عبد الناصر حريصا على جذبى بعيدا عن صلاح سالم ، فقد رشـحنى للجنـة الحاكم العام ، كما أمر باعطائى نقودا لاصلاح شقتى ٠

استقال صلاح سالم من المجلس ، وكما سبق له أن هاجم نجيب والبغدادى وغيرهما من أعضاء المجلس ، فقد انبرى للهجوم عليه أعضاء المجلس والطحاوى وطعيمة ، وذهب الى القناطر الخيرية حيث كان زواره ينقلون تهجماته على أعضاء المجلس ٠

وأذكر أن صلاح سالم قد سجل شكره فى سجل الزيارات بعد قبول اســتقالته ٠

ونقلت أنا بعد ذلك الى وزارة الخارجية (الادارة الافريقية) بعـد تولى زكريا محيى الدين لشئون السودان ، وتصفية وكالة الوزارة لشئون السودان ، وتعيين سيف اليزل خليفة أول سفير لمصر فى السودان ٠

س ٣ : هل انقطعك صلتك بعد ذلك بالعمل السياسى فى السـودان والى اين اتجـه نشـاطك ؟

جـ ٣ : نعـــم ··· انقطعت صلتى تدريجيا بالعمـــل السياسى فى السودان وان كانت قد بقيت العلاقات الودية الخاصة مع كثير من زعماء السودان ··· وطلب منى ترشيح نفسى فى مجلس الامة ١٩٥٧ عن دائرة الوادى الجديد ·

واذكر أن عددا من النواب الضباط كانوا يوقعون عريضة لاخراج مجدى حسنين من مجلس الأمة بعد اثارة قضية (مديرية التحرير) ومنهم وجيه أباظة وحمدى عاشـور ومحمود الجيـار ومحمد هاشـم والليثى عبد الناصر وشوقى عبد الناصر ولكننى وقفت ضد ذلك مع عدد آخر من النواب الضـــباط اذكـــر منهم لطفى واكد وفؤاد المهداوى ومحمد قرنى ومحمد بشير واتصلنا بعبد الناصر الذى اقتنع بوجهة نظرنا حتى لاتبدو السلطة التشريعية فى مظهر من تأكل بعضها ·

وكنت قد اشتركت قبل ذلك فى المقاومة الشعبية ضـد العـدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وكان معنا عدد كبير من الشيوعيين واليساريين مثل عبد المنعم شتلا وأحمد الرفاعى وابراهيم اجوج وسعد رحمى ويوسف ادريس وأحمد عباس صالح وحسن فؤاد وأحمد مجاهد وعلى الشلقانى وزوجته نانا سالم ومحسن لطفى ومنير موافى ·

وقد لعب الشيوعيون دورا بارزا فى المقاومة فى الوقت الذى هرب فيه مدير المباحث العامة حسين رشدى من المدينـة ، وسـلم البوليس أسلحته وأعطى البريطانيين كشوف الشيوعيين والاخوان لاعتقالهم اثناء فترة حظر التجول التى كانت تبدأ من الساعة الخامسة كل ليلة ·

ودارت الأيام وقدم بعض هؤلاء الشيوعيين للمحاكمة عام ١٩٥٩ واستدعانى المحامى أحمد البدينى لاداء الشهادة فيما وجه اليهم من اتهامات بالعمالة ، ولكن حسن المصيلحى رئيس قسم مكافحة الشيوعية فى المباحث حاول اقناعى بعدم الشهادة ، واستدعانى عباس رضـوان وزير الداخلية وطلب منى عدم الذهاب ·

وتوليت بعد ذلك ، أعمالا ادارية الى أن دخلت (طليعة الاشتراكيين) فى مجموعة على صبرى التى كانت تضم عبد المجيد فريد وعبد المحسن أبو النور وسامى شرف وعبد المنعم القيسونى وأحمد توفيق البكرى

وأنور عبد اللطيف وعبد العزيز السيد وزير التربية ومحمد فايق وأمين هـويدى ٠

وتوليت بعد ذلك ، أعمالا ادارية الى أن دخلت (طليعة الاشتراكيين) مشكلة من حمدى عاشور والليثى عبد الناصر ، وشمس الدين الوكيل ، والدكتور أحمد السيد درويش ، صـــلاح غريب ، ومهندس محمـــد اســـماعيل ٠

س ٤ : ماذا كان دورك بعد هزيمة ١٩٦٧ ؟

جـ ٤ : كانت علاقتى طيبة مع المشير عامر وشمس بدران ، واذكر انه بعد تعيين شمس بدران وزيرا للحربية انه عاد وقال لى ان الروس قالوا له (ضرورى تستعدوا) ولم يعطوا وعدا بالمسـاعدة لانهم غير جاهزين ٠

كانت ظروف ١٩٦٧ تدفع جمال عبد الناصر للاندفاع فى مظاهرة سياسية يتغلب بها على المشاكل الداخلية ٠

وقد قال لشمس بدران : (انا لن أحارب ، ولكنى ســآخذ شرم الشيخ) وكان ذلك تحت ضغوط الهجوم المثير الذى كانت تشنه اذاعات الاردن والسعودية ضـــد عبد الناصر باعتباره مفرطا فى حقوق مصر وتاركا شرم الشيخ فى يد قوات الطوارىء ٠

وبعد الهزيمة ووصول الخلاف بين عبد الناصر من جهة وعامر وشمس بدران من جهة أخرى الى درجة التهديد فى مركز السلطة تم اعتقالى يوم ٢٧ اغسطس ١٩٦٧ وبقيت معتقلا حتى ٥ ديسمبر ١٩٦٩ ٠

ومنذ الاعتقال ابتعدت تماما عن العمل السياسى ٠

الاســـم : · · · · · · · · · محمد أحمد البلتاجى

تاريخ الميلاد : · · · · · · · · ٩٠ مايو ١٩٦٦

مهنة الوالد : · · · · · · · · مـــزارع

الامـلاك : · · · · · · · · · ١٠٠ أفـــدنة

متخــرج فى : · · · · · · · · الكلية الحربية عام ١٩٤٠

الرتبة وقت حركة الجيش : · · · صـــاغ

آخــر وظيفة : · · · · · · · · محافظ السويس

العمل الآن : · · · · · · · · · عضو مجلس الشعب

س ١ : هل كانت لك ارتباطات سياسية قبل حركة الجيش ؟

جـ ١ : لم يكن لى ارتباط بأى تنظيم أو هيئة سياسية الى أن نقلت مع الكتيبة الاولى مشاة قيادة القائمقام سيد طه من الاسكندرية يوم ٢٧ أبريل ١٩٤٨ الى العريش استعدادا ليوم ١٥ مايو حيث تجمعت الوحدات هناك ، وكان محمد نجيب قائدا للعريش ٠

لم يكن الجيش مستعدا للقتال ، وقد صدمنى ذلك لانى أذكر انه جاء لنا موضوع انشاء انجليزى تختاره فكتبت (انى أريد أن أكــون ضابطا فى الجيش المصرى وأخرج الانجليز من مصر) ، ثم تبين لى أننا جيش محمل ٠

يوم ٦ مايو ضرب العساكر فى العريش ١٠٠ر٠٠٠ طلقة دون أن يصاب أحد لانه سرت اشاعة بأن اليهود قد وصلوا العريش ٠

كان الفريق عثمان المهدى قد زارنا وقال لنا (انتو ياولاد داخلين نزهة فى فلسطين) ٠

ولكن كتيبتنا التى كانت مقدمة الجيش دخلت فلسطين محملة على عربات اوتوبيس احضرها مقاول أنفار اسمه (بامية) وعبرنا الحدود

فى الساعة الخامسة فجر يوم ١٥ مايو ثم توقفنا الساعة العاشرة ببعض النيران المتفرقة ونحن متجهون الى غزة حيث كان هناك جيب يهود فى كفار ديروم ٠

حصل انزعاج من الفلسطينيين ، وخوفوا المصريين من اليهود ٠

وصلنا غزة الساعة السابعة بعد الغروب ، وتذكرنا تبة (على منطار) ومعارك الحرب العالمية الأولى ٠

وبدأت حرب فلسطين تكشف لنا جسامة ما كنا نعيش فيه ، وقد تحركت كتيبتنا الى الفالوجة بقيادة سيد طه ، وأركان الحرب زكريا محيى الدين ، وضابط الاشارة ابراهيم بغدادى ، وضابط المخابرات محيى الدين أبو العز ، وأنا كنت ضابطا لشئون الرئاسة ٠

تصادف انى قمت باجازة يوم ١٤ أكتوبر ١٩٤٨ فى آخر قطار يقوم بالاجازات من غزة فحوصرت كتيبتنا فى الفالوجة وأنا بعيد عنها ٠

استدعيت للعودة من الاجازة حيث أسهمت فى القتال ، ودون تفصيل حصلت على نجمة فؤاد أنا وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكمال حسين وصلاح سالم وغيرهم ٠

وعندما انتهت الحرب تحرك الجيش فى ابريل ١٩٤٩ الى الاسماعيلية شرق لامتصاص غضبه ٠٠٠ وقد حاول البكباشى يوسف حبيب تجنيدى للحرس الحديدى التابع للملك مع مصطفى كمال صدقى وسيد جاد ومعروف الحضرى ولكنى رفضت رغم تلويحهم لى بترقية استثنائية ٠

وفى عام ١٩٥٠ جندنى عبد الحكيم عامر للضباط الاحرار مع عبد المحسن أبو النور وعباس رضوان واسماعيل فريد وكنا نعقد اجتماعات دورية كل يوم ثلاثاء ٠

وبدأنا نفكر فى عمليات اغتيالات ٠٠٠ وعرضت فكرة اغتيال حسين سرى عامر فوافقنا عليها ثم نامت الفكرة ٠

وفكرنا فى القيام بمظاهرة محدودة من الضباط تتجه الى حيدر باشا لتبلغه أن الجيش خلال معركة القناة هو المسئول عن الدفاع عن البلد وليس البوليس ٠٠٠ ولكننا لم ننفذ الفكرة ٠

س ٢ : ماذا كان دورك فى حركة الجيش ؟

جـ ٢ : حضر عبد الحكيم عامر الى منزلنا يوم ٢١ يوليو ومعه كمال رفعت وعبد الحليم عبد العال وحضر اسماعيل فريد وعباس

رضوان ، وأبلغنا عامر انه قد تم توزيع الواجبات تبعا لخطة معينة على الوحدات المختلفة ، واننا نشكل (مجموعة الاعتقالات) وطلب منا معرفة عناوين القادة من دفاتر التليفونات ٠

واتفقنا على الاجتماع فى اليوم التالى ٢٢ يوليو حيث تقابلنا فى منزل كمال رفعت ، ومررنا على حمدى عاشور الذى كان قد عين مسئولا عن معتقل الكلة الحربية مع حسين حمودة وعبد السلام القويسنى ٠

وفى ليلة الحركة التقينا مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر خارج القيادة حيث دخلناها مترجلين وكانت قوات يوسف صديق قد سبق أن احتلتها ، وتحفظنا على اللواء حسين فريد وعبد الرحمن مكى والاميرالاى عبد العزيز فتحى حتى معتقل الكلية الحربية ٠

وطلب جمال عبد الناصر الذهاب للتحويلة للاتصال بالمناطق الخارجية حيث وجدنا أنور السادات يقول : (أنا مش عارف اتصل بصلاح سالم فى رفح) ٠

وهنا دخل حيدر باشا على الخط من الاسكندرية يسأل :

ـ انت مين ؟

واجبت : (ضابط عظيم ادارة الجيش) ٠

ـ ازاى الحال ؟

ـ كويس

ـ ازاى الحالة عندكم ؟

ـ مش شغلك ٠

وانهيت المكالمة ٠

ذهب سعد توفيق الذى كان وقتها يعمل فى المخابرات لاحضار محمد نجيب من منزله ٠

وحضر مصطفى صادق عم الملكة على باب القيادة فى السادسة صباحا ، حيث قابله جمال عبد الناصر ٠

وذهبت مع كمال رفعت وأمال المرصفى لاعتقال لواء جوى حقى هارون الذى كسرت ترقوته أثناء المقاومة ٠

ومع ظهر يوم ٢٣ يوليو كانت الامور قد استقرت نسبيا فى رئاسة القوات ٠

وعينت بعد ذلك قائدا للكتيبة السابعة المشاة فى القناة ٠

س ٣ : هل اشتركت هـذه الكتيبة فى مقاومة عدوان ١٩٥٦ ؟

ج ٣ : استدعانى اللواء على عامر قائد القيادة الشرقية وطلب منى عبور القناة الى ممر متلا وعبرت الكتيبة فعلا حيث لم نجـد قائد اللواء طاهر الشربينى الذى شرد بعـد الهجوم والاسـقاط وذهب الى معسكر الشلوفة غرب القنـاة ٠

وما أن بدأت فى اتخاذ أوضاع المعركة فى السـاعة الثانية بعد منتصف الليل حتى تلقيت أمرا من البكباشى عبد الحليم عبد العال من رئاسة الفرقة بالعودة فـورا الى الاسماعيلية شرق ولـما وصلت فى السابعة صباحا طلبوا منى الرجوع ثانية الى ممر متلا ٠

ثم صدرت أوامر جديدة بعودة كل القوات الى البر الغربى للقناة يوم ٣١ اكتوبر ٠

ووجـــدت كمال الدين حسين مسئولا عن الدفاع عن مدينــة الاسماعيلية ، وبدأنا نسهم معه فى اعداد الدفاع ٠

أذكر أنه أعطانى قلم حبر باركر ، ومبلغ ٢٥٦ جنيها للتوزيع على الكتيبة مكافأة لهم على دورهم أثناء فترة العدوان ٠

س ٤ : كيف مضى العمل بعد ذلك مع الثـــورة ؟

ج ٤ : استدعيت فى أكتوبر ١٩٥٧ للعمل مستشارا للرئيس للادارة الحكومية ، ثم سكرتيرا عاما لرئاسة الجمهورية بعد دخول حمدى عاشور فى مجلس الامـة الى أن عينت محافظا للجيزة فى أكتوبر ١٩٦٠ حتى سبتمبر ١٩٧٠ ثم محافظا للسويس حتى ١٨ يونيو ١٩٧١ حيث سمعت خبر احالتى للمعاش فى التليفزيون ٠

الاســم : . . . . محمد توفيق عبد الفتاح

تاريخ الميلاد : . . . . ١٨ أغسطس ١٩٢٠

مهنــة الوالــد : . . . . . . (متوفى عام ١٩٢٣)
القــاهرة .

الامــلاك : . . . . ١٠ أفدنة فى البحـيرة وعقـار فى
القاهرة

متخــرج فى : . . . . الكلية الحربية عام ١٩٤٠

الرتبة وقت الحركة : . . . . . صـــــاغ

آخر وظيفة : . . . . وزير الشئون الاجتماعية وســفير
مصر فى سويسرا سابقا .

العمـــل الآن : . . . . المعـاش .

س ١ : هل كانت لك ارتباطات سياسية قبــل حــركة ٢٣ يوليــو ؟

ج ١ : كان والدى عضوا فى الحزب الوطنى يحضر عنده مصطفى كامل ومحمد فريد ، وكنت أسمع قصص هذه الزيارات فى محيط الاسرة ، وسمعت النأس يهاجمون اسماعيل صدقى عام ١٩٣٠ قائلين (صـــدقى يا ابن « الخنزير » ... مين قال لك تعمل وزير) ، ومات بجانبى اثنان خلال هذه المظاهرات .

ولكن ميولى كانت وفدية ...

عقب تخرجى فى الكلية الحربية وقيام المظاهرات ضد النقراشى وسقوطه عقب حادث كوبرى عباس وتعيين اسماعيل صدقى ، وخـروج الجيش للطوارىء ، طلبوا منا قراءة منشور السردار الخاص بتوعيـــة العساكر لضرب النار ... ولكننا قررنا اتخاذ موقف الرفض لضرب النار ، وعدم متابعة ما قام به الجيش عام ١٩٣١ عندما ضرب المتظاهرين بالرصاص فى المنصــورة .

وتعرفت بجمــال عبد الناصر عام ١٩٤٩ بعد أن كانت تصــلنى

منشورات الضباط الاحرار ، ثم دخلت كلية أركان حرب (الدفعة ١١ عام ١٩٥٠) ، وكان الضباط كثيرا ما يتناقشون فى الموضوعات السياسية ٠

عينت بعد ذلك فى رفح فى الكتيبة الثامنة المشاة عام ١٩٥١ حيث كان فى المنطقة عدد كبير من الضباط الاحرار مثل عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وأنور السادات ووحيد الدين جودة رمضان ويوسف صديق ومحمد أبو نار وجمال سالم وأحمد طعيمة ورشاد مهنا ٠

كنا خلال هذه الفترة نهرب بعض صناديق الذخيرة والقنابل اليدوية للفدائيين فى القنال ٠٠ وأرسل ضباط العريش ورفح برقية الى رئيس الوزراء ووزير الحربية ورئيس أركان الحرب تقول (ان مصر العزيزة أولى بدمائنا من فلسطين ، واذا لم تصدر الينا الأوامر بالتحرك الى القناة ، فسنتصرف على مسئوليتنا) ، وقد جمعنا توقيع ٩٠ ضابطا من رفح بعد أن كانت العريش قد سبقتنا ، ووصل مفتش عام الجيش بعد البرقية الى رفح والعريش ٠٠٠ ولكنه لم يحقق مع أحد من موقعى البرقية ٠

نقلت بعد ذلك الى رئاسة المشاة ثم الى رئاسة اللواء المشاة بالقنطرة ٠

وفى يوم ٢٢ يوليو اتصل بى أنور السادات من رفح وطلب انتظارى له على المحطة وهو فى طريقه من العريش الى القاهرة ، وطلب منى تجهيز المنطقة دون أى توضيح لما سيحدث ٠

س ٢ : ماذا كان دورك ليلة ٢٣ يوليو ؟

ج ٢ : لم نعرف فى منطقة القناة بوقوع الحركة فى القاهرة الا فجر يوم ٢٣ يوليو عندما طلبت تليفونيا من مصر وكلمنى الاميرالاى أحمد شوقى وقال لى : (مبروك احنا قمنا بالحركة وأنا بأكلمك من رئاسة الجيش) وكانت الساعة حوالى الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل ٠

ثم سمعت صوت جمال عبد الناصر على التليفون يطلب منى تبليغ صلاح سالم فى رفح لأنه لم يستطع الاتصال به ، وقد حاولت ذلك ولكنى لم أنجح فى الاتصال الا مع أول ضوء أى قبيل شروق الشمس ٠

عندما تلقيت الخبر أيقظت الضباط وجهزنا الكتيبة استعدادا لأى مواجهة مع الانجليز ٠

كان الطيران الانجليزى فوق المنطقة بصورة مستمرة ، ولكن لـم يحدث تصادم سوى منع ضابط انجليزى لضابط مصرى من المرور ٠

وبدأت الأمور تهدأ وتستقر مع توالى وصول أنبـاء نجاح الحـركة فى القـاهرة ٠

س ٣ : كيف مضى بك ركب العمل مع الثـــورة ؟

ج ٣ : استدعيت للعمل فى منصب أركان حـرب المشـــاة لشئون الضباط ثم نقلت الى القيادة العامة فى فبراير ١٩٥٣ بعد أن شاركت فى حملة اعتقالات ضباط المدفعية التى تمت فى ١٥ ينـــاير مع أحمد طعيمة ومجـدى حسنين وفؤاد نصر ٠

وعملت فى مكتب محمد نجيب مع حافظ اسماعيل ونور الدين قرة ومحسن ادريس ومحمـد على عبـد الـكريم ٠ وقـد طلب منى نجيب مراقبتهم سياسيا ٠

وخلال فترة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ كنت الوحيـد الموجود فى المكتب ، فقد كان حافظ اسماعيل فى سوريا ، ومحمد على عبد الـكريم أصبح مديرا للمخابرات ، ومحسن ادريس فى القناة ، ونور الدين قـرة يشرف على استقبال التسليح السوفيتى ، وصلاح نصر يعمل نائبا لمدير المخابرات العامة ٠

وخلال هذه الفترة اكتشفت محاولة العميد أركان حرب على محمد النكلاوى الانقلابية ، والدته كانت فرنسية ، واتصل بسليمان حافظ فى محاولة لاعادة محمد نجيب ، وقد حقق معـه وادين وحـكم باعدامه ثم خفف الحكم الى المؤبـد ٠

وبعد العدوان فصل من خدمة الجيش ٣٠ ضابطا تهاونوا فى أداء واجباتهم العسكرية وكان منهـم صـلاح الموجى وعبـد الرحيم قدرى والغريب الحسينى من قادة بورسعيد ٠

ثم عينت بعد ذلك وزيرا للشئون الاجتماعية فى الاقليم المصرى فى عهد وزارة الوحدة ، نقلت بعدها سفيرا فى كوبا ثم سفيرا فى سويسرا ، وبعد ذلك وزيرا فى القصر الجمهورى الى أن أحلت الى المعاش ٠

محمــــد ريـــاض

محافظ بورسعيد أثناء عدوان ١٩٥٦

س ١ : هــل كان لــكم دور فى الاجراءات التنفيذية لتأميم قناة السويس ؟

ج ١ : كلفنى وزير الداخليــة بمقابلة الأستاذ محمود يونس فى الاسماعيلية يوم ٢٦ يوليو حيث أبلغنى بقرار التأميم وطلب منى اتخــاذ الاحتياطات لتأمين مبانى الشركة ٠

ذهبت الى مكتب وكيــل محافظة الاسماعيلية واســتدعيت المديرين الثلاثة الكبار للشركة للحضور الى مكتبى قبل بدء خطبة الرئيس جمــال عبد النــاصر بساعة ، وقلت لهم انه قد صــدر قرار من الحكومة بتأميم الشركة ٠ وان البوليس يحاصر المبنى ، ولم يأخذ المديرون الثلاثة أى خطوة تحتسب عليهم ٠

وهكذا تم تأمين مبانى الشركة أثناء التأميم مباشرة ٠

س ٢ : ماذا كان موقفك بصــفتك محافظا لبورسعيد أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ؟

ج ٢ : بدأت غارات العدو قبل الغزو واستمرت حتى ليلة الهبوط من الجو حيث ضربوا المطارات وحى المناخ ومبنى المحافظة ، وكنت وقتها فى غرفة العمليات التابعة لوزارة الداخلية ، وهى غرفة خشبية بدائية وغير محصنة ٠

وعقب عمليــات الانزال التى تمت فجــر ٥ نوفمبر طلب الجنرال ستوكويل مقابلتى فرفضت لان من واجبه أن يحضر للالتقاء بى اذا شاء ٠

وكان المشــير عبد الحكيم عامر قد أصــدر أمرا بتوليتى لقيــادة القوات العسكرية الى جانب عملى كمحافظ ، كما أبلغنى زكريا محيى الدين بضرورة الصــمود والقتــال حتى آخــر طاقة ممكنة مع عدم التعــاون مع الأعــداء ٠

وكان الجنرال كيتلى القائد العام ومقر قيادته فى قبرص قد حضر الى بور سعيد وقابلنى بعد تأديته للتحية العسكرية ، وعرض تقديم الأكل لنا ، فرفضت مطلقا ، وعشنا أياما فى ظروف صعبة على العيش والجبن فقط ٠

وكان لى مطلق الحرية فى التصرف ، حيث قطع الاتصال مع القاهرة سلكيا ولاسلكيا ٠

وليس صحيحا ما نشر أو أذيع من أن سلطات المدينة قد سلمت للانجليز ٠٠ بل العكس هو الصحيح فقد احتفظت بكل صلاحيات السلطة المصرية فى المدينة ٠

الاسم :	**محمــد ريــاض**
تاريخ الميلاد :	**١٨ نوفمبر ١٩٢٤**
مهنة الوالد :	**مدير عام بوزارة المعارف**
متخرج في :	**الكلية الحربية يونيو ١٩٤٢**
الرتبة وقت الحركة	**يوزباشي**
آخر عمل :	**ياور محمد نجيب**
العمل الآن :	**رجــل أعمــال**

س ١ : ما هى حركتك السياسية قبل حركة الجيش فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؟

ج ١ : كنت بعيدا عن الأحزاب الى أن قامت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فتطوعت فى مارس سنة ١٩٤٨ للقتال فى فلسطين ثم عدت للجيش بعد دخوله فلسطين وجرحت مرتين وحصلت على نجمة الملك فؤاد مرتين وبعد الحرب ارتبطت بحزب مصر الفتاة الذى مهد لقيام الثورة.بهجومه على الملك والفساد والدعوة الى العدالة الاجتماعية • وفى عام ١٩٥٠ أثناء فرقة قتال فى المدن فى مدرسة المشاة فاتحنى أحمد حمروش وخالد محيى الدين للانضمام للضباط الأحرار ووافقت على الفور ومع ذلك ظللت مرتبطا بحزب مصر الفتاة وقمت بتدريب عـدد من شباب الحزب فى صحراء العباسية واشتركت فى قتال القوات البريطانية فى منطقـة قنال السويس وفى مارس سنة ١٩٥٢ قبض على بتهمـة الاشتراك فى حريق القـاهرة ولكن التحقيق أثبت براءتى واحتج محمد نجيب على اعتقالى وكنت على اتصال مستمر به بعد أن قاتلت فى حرب فلسطين تحت قيادته عندما كان قائدا للواء الثالث المشاة وتم الافراج عنى بعد ثلاثة شهور •

س ٢ : ما هو دورك فى حركة ٢٣ يوليو ؟

ج ٢ : بعد احتـلال القيادة العامة توجهت اليها على رأس قوة من المدرسة الثانوية العسكرية التى كنت أعمل مدرسا بها وتوليت قيـادة حرس القيادة العامة وقمت باعتقال عدد كبير من السياسيين والعسكريين

أذكر منهم عبد الرحمن عمار وكريم ثابت وكامل القاويش وامام ابراهيم وغيرهم ، وعينت بعد ذلك قائدا لحرس الرئيس محمد نجيب ، الذى كان مؤمنـــا بالديموقراطية والتطـور السامى التدريجى وغـير مقتنع بالحكم العسكرى ، وارتبطت بمحمد نجيب لاقتناعى التام بآرائه ٠

وقد حدث خلاف بينى وبين جمال عبد الناصر بعد قيام الثورة بأيام بسبب موضوع الافراج عن الأستاذ أحمد حسين ولكن عادت الميـــاه الى مجاريها بعد ذلك وحضرت معه عددا من الاجتماعات السياسية ٠

وكنت كما سبق وذكرت مرتبطا بحزب مصر الفتاة ، وكان أحمـد حسين رئيس الحزب معتقلا بتهمة حريق القاهرة ومقدما للمحاكمة وكان الملك قبل عزله يريد رأس أحمد حسين وبعد قيام الثورة بأيام تكلمت مع الرئيس محمد نجيب بضرورة الافراج عنه وكلفنى محمد نجيب بالاتصال بالأستاذ محمد على رشدى وزير العـدل لبحث هذا الموضـوع واجتمعت مع وزير العدل الذى اعتبر هذا تدخلا من الضباط فى قضية منظورة أمام المحـاكم واحتج لدى رئيس الوزراء على ماهـر الذى اتصـل بجمـال عبد الناصر بصفته مديرا لمكتب محمد نجيب وغضب جمـال عبد الناصر لان هذا الاتصـال تم من وراء ظهره كما قال وحدثت مشادة بينى وبينه وخصام استمر شهرين ثم صدر عفو من محمد نجيب عن جميع القضايا السياسية وأفرج عن أحمد حسين وأبلغنى عبد الناصر بهـذا وتكلم معى عن امكانية قيام تعاون بين الثورة وحزب مصر الفتاة وطلب منى ترتيب اجتماع بينه وبين أحمد حسين ، ولما تكلمت فى ذلك مع أحمد حسين رفض الحضور الى هذا الاجتمـاع وقال لى (لن أكون مثل الزاحفين على قيادة الثورة من رجال الأحزاب واذا كان جمال عبد الناصر يريد التعاون بين الثورة ومصر الفتاة يحضر الى منزلى للاجتماع بى) وبعـد مفاوضات تم الاتفاق على أن يتم هذا الاجتماع فى منزلى ، وتم الاجتماع وحضره جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأحمد حسين وابراهيم شكرى (محافظ الوادى الجديد الآن) والذى كان الرجل الثانى فى الحزب وكان رأى أحمد حسين ضرورة اجراء انتخابات وعودة الجيش الى ثكناته ، وتمت بعد ذلك عدة اجتماعات فى منزل ابراهيـم شـكرى حضرها جمال عبد النـاصر وعبد الحكيم عامروأنا وأحمد حسين وابراهيم شكرى وفى ثالث اجتماع حضر معنا صلاح سالم وحدثت مشادة بينه وبين أحمد حسين استعملت فيها ألفاظا قاسية من صلاح سالم رد عليها أحمد حسين بأشد منها وقال لنا (انكم قادمون على دكتاتورية عسكرية وعصر ارهاب) وعارضه جمال عبد الناصر فى ذلك وقال : (اننا لا نريد الحكم وان الحرية مكفولة لكل انسان أن يقول ما يريد) وانفض هذا الاجتماع وكان الأخير ٠

وبعد هذا الاجتماع بأيام طلب منى أحمد حسين ان يعمل اجتماع

يخطب فيه ويقول رأيه مادامت الحريات مكفولة كما يقول جمال عبد الناصر وعرضت الأمر على محمد نجيب فوافق كما وافق جمال عبد الناصر ، وأبلغت أحمد حسين بذلك فطلب منى أن يكون الاجتماع فى هيئة التحرير وقال انه يدعو محمد نجيب وجمال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة لحضور هذا الاجتماع فوافقوا جميعا على ذلك ٠

وتم الاجتماع وحضره محمد نجيب وكنت معه ولم يحضر جمال عبد الناصر أو أحد من مجلس الثورة هذا الاجتماع الذى تم فى مقر هيئة التحرير بعابدين ، وهاجم أحمد حسين الثورة وقال انها تسير فى ركاب أمريكا وأنها ترهب المواطنين وطالب بضرورة اجراء انتخابات وعودة الجيش الى ثكناته وقال ان الثورة تمهد الطريق لحكم عسكرى ارهابى ٠ وقد رد عليه محمد نجيب ونفى ذلك وقال ان الانتخابات قادمة وأن الدستور فى الطريق وأنه يؤمن بالحكم النيابى الديموقراطى وحدث بعد ذلك الخلاف بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر وتم اجبارى على السفر الى أمريكا واستقال محمد نجيب فى أزمة مارس ثم عاد بضغط من الشعب والجيش وعدت وعلمت من السيدة حرم أحمد حسين أنه اعتقل ولا يعرف مكانه وقابلت السيد زكريا محيى الدين وزير الداخلية وطلبت أن أقابل أحمد حسين ولكنه رفض وقابلت عبد الناصر الذى وافق على أن أزوره فى المستشفى العسكرى وأطلعنى جمال عبد الناصر على برقية أرسلها له أحمد حسين بعد استقالة محمد نجيب وحدوث انقسام فى الجيش قال فيها أحمد حسين (ليست البلاد ضيعة تتنازعون عليها ، عودوا الى ثكناتكم واتركوا الحكم للشعب) وكان جمال عبد الناصر غاضب جدا من هذه البرقية التى أرسلها أحمد حسين الى محمد نجيب أيضا ، ولما ناقشت محمد نجيب فى هـذه البرقية قال لى (أحمد حسين معه حق وكلامه صحيح) وذهبت لزيارة أحمد حسين فى المستشفى العسكرى وكان فى حالة سيئة جدا بعد أن تعرض لتعذيب شديد ، وقابلت جمال عبد الناصر بعد ذلك وعاتبته لهذا الاعتداء على أحمد حسين فقال لى : (هو طول لسـانه عليهم فى البوليس الحربى فضربوه) ولما أبلغت محمد نجيب ذلك استشاط غضبا وأمر بالافراج عن أحمد حسين كما أمر النائب العام بالتحقيق فى هذا الاعتداء ٠

س ٣ : هل تذكر دواعى الخلافات التى حدثت بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر ؟

جـ ٣ : أعتقد أن أول خلاف كان عن محاكمة حسنى الدمنهورى ، فقد كنت موجودا بالصـدفة أثنـاء التحقيق مع البكباشى حسنى الدمنهورى وشاهدت عملية تعذيبه وكانت هذه أول عملية تعذيب تقوم بها الثورة ، وأشهد أنه كان شجاعا فرغم قسوة التعذيب فلم يستطع المحققون الحصول على أى اعتراف وشكلت فى اليوم التالى محكمة برئاسة جمال عبد الناصر

حكمت عليه بالاعدام وقد أبلغت محمد نجيب بما حدث من تعذيب ، وأذكر أنه استدعى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى مكتبه وأغلظ لهما القول ورفض الموافقة على حكم الاعدام ، ولم يكن محمد نجيب موافقا على محكمة الثورة وكلفني بمراقبة محاكمة ابراهيم عبد الهادى وصدر حكم باعدام ابراهيم عبد الهادى وقدمت لمحمد نجيب تقريرا عن المحاكمة وبينت فيه أن ابراهيم عبد الهادى لم تمكنه المحكمة من الدفاع عن نفسه ورفض محمد نجيب الموافقة على اعدام ابراهيم عبد الهادى واختلف مع مجلس الثورة وقدم استقالته وسافر الى الاسكندرية وحضر جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر للاسكندرية ولم يستطيعا اقناع محمد نجيب بالموافقة على الحكم ووصلت تقارير عن بعض سفراء مصر فى الخارج تشجب هذا الحكم وأن الرأى العام فى العالم مستاء ، ورضخ جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لرأى محمد نجيب وعدنا جميعا للقاهرة ٠

وفى عام ١٩٥٣ اشتد الخلاف بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر لاصرار محمد نجيب على عودة الحياة النيابية وأن تحكم البلاد حكما دستوريا وأن يعود الجيش لثكناته وكان قد حدث سوء تفاهم بين محمد نجيب وخالد محيى الدين ولكنى قابلت خالد محيى الدين وبعد اجتماع طويل فى منزله استطعت اقناعه بالتعاون مع محمد نجيب وتم اجتماع طويل بينهما بحضورى أثناء الرحلة الى بلاد النوبة وتم الاتفاق بينهما على عودة الديموقراطية وانهاء الحكم العسكرى ، وأذكر أنه بعد قيام الثورة بمدة قليلة أن حضرت اجتماعين فى منزل القائمقام عبد المنعم أمين حضره محمد نجيب وجمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين والبغدادى وعبد الحكيم عامر والسفير الأمريكى جيفرسون كافرى وأربعة من معاونيه ودار نقاش طويل بين محمد نجيب والسفير الأمريكى الذى كان يعرض تعاون أمريكا مع الثورة ضد الشيوعية وكذلك تعاون المخابرات الأمريكية مع المخابرات المصرية وانضمام مصر الى أحلاف العالم الحر وقد عارضه محمد نجيب قائلا انه لا يخشى على مصر من الشيوعية ورفض فكرة قيام تعاون بين المخابرات الأمريكية والمخابرات المصرية كما لم يوافق على انضمام مصرالى أية أحلاف ٠

س ٤ : ما هى معلوماتك عن أزمة مارس بين نجيب ومجلس الثورة ؟

ج ٤ : فى ديسمبر سنة ١٩٥٣ اتصل بى حسن عشماوى ومنير الدالى من زعماء الاخوان المسلمين وطلبوا أن تتم مقابلة سرية بينهم وبين محمد نجيب فى منزل اللواء أحمد الناقة ورفض محمد نجيب هذا اللقاء السرى فعرضوا أن يوفد محمد نجيب مندوبا عنه وكلفنى محمد نجيب بأن أجتمع بهم ، واجتمعت معهم عدة اجتماعات كانوا يحرصون فيها أن تكون سرية وفى أماكن نائية وشرحت لهم رأى الرئيس نجيب الذى كان يتلخص فى

عودة الجيش الى ثكناته واقامة حكم ديموقراطى نيابى واعادة الأحزاب والغاء الأحكام العسكرية وقد عارضوا ذلك الى أن يتم فقط اقصاء جمال عبد الناصر ومجلس الثورة عن الحكم وتشكيل وزارة لا يشترك فيها الاخوان وأن يعين رشاد مهنا قائدا للقوات المسلحة وأن تشكل لجنة سرية من عدد من الاخوان وعدد مساو من العسكريين وتعرض على هذه اللجنة القوانين قبل اقرارها وكذلك السياسة الرئيسية للدولة وقد رفض محمد نجيب هذه الآراء وقال ان الاخوان المسلمين يريدون الوصاية على الحكم دون أن يظهروا ويتحملوا المسئولية ٠

س ٥ ـ هل التقى أحد من الاخوان فى هذه الفترة بمحمد نجيب ؟

جـ ٥ ـ أجزم ان هذا لم يحدث اطلاقا ٠

س ٦ : أين كنت أثناء أزمة مارس ؟

جـ ٦ : فى نهاية عام ١٩٥٣ حاولت تجنيد بعض الضباط حول نجيب رغم معارضة محمد نجيب لذلك وحدث أن فاتحت فى ذلك الصاغ داود عويس سامحه الله الذى نقل ذلك الى عبد الحكيم عامر وقد صدر حكم بالسجن بعد ذلك بعدة سنوات على الصاغ داود عويس بتهمة التآمر على جمال عبد الناصر وكانت تربطنى صلة قوية بالمشير عبد الحكيم عامر رحمه الله فاستدعانى الى منزله وقال لى (لا أريدك أن تشاطر محمد نجيب مصيره) وكان ذلك فى نوفمبر سنة ١٩٥٣ قبل استقالة نجيب بأربعة شهور ، وكان البعض قد حاول أن يجعل منى جاسوسا على محمد نجيب فرفضت ٠

وطلب منى عبد الحكيم عامر الابتعاد وأمرنى بالسفر الى أمريكا والبقاء هناك الى أن تنتهى الأزمة فاعتذرت عن ذلك الا اذا أمرنى محمد نجيب بذلك ٠ وطلب عبد الحكيم عامر سفرى من محمد نجيب قائلا له ان محمد رياض هو أحد أسباب سوء التفاهم الموجود ، ووافق محمد نجيب على سفرى وقال لى انه يخشى على حياتى وكانت قد وصلتنى معلومات ان مجلس الثورة قرر التخلص من محمد نجيب بقتله وأنه قد حدثت مناقشة ذلك فى اجتماع لمجلس الثورة ولكن الاقتراح رفض بأغلبية ضئيلة ـ فأبلغت محمد نجيب ذلك وأخبرنى أنه علم بذلك ٠

وأمضيت فى أمريكا شهرين وعدت بعد قراءة خبر استقالة محمد نجيب فى الصحف الأمريكية وقد فوجىء الجميع بعودتى وكان محمد نجيب قد عاد الى موقعه أثناء غيابى بضغط من الشارع المصري والسوداني وموقف أغلبية القوات المسلحة ٠

وقد كانت أيام شهر مارس بعد قرارات ٥ مارس شديدة التوتر ولم تكن عودة نجيب رغم أنف جمال عبد الناصر ومجلس الثورة مقبولة من أعضاء المجلس وكانوا يدبرون أمرا ما .

ووصلتنى أخبار المؤامرة التى تم تدبيرها لخرق قرارات ٥ مارس و ٢٥ مارس بعودة الديموقراطية والحياة النيابية ، فتوجهت الى منزل الرئيس محمد نجيب فى الثانية صباحا ليلة ٢٧/٢٦ مارس ١٩٥٤ ودخلت عليه غرفة النوموقدمت له المعلومات التى حصلت عليها عن هذه المؤامرة التى اشترك فيها أحمد طعيمة وصاوى أحمد صاوى فاتصل تليفونيا بزكريا محيى الدين وزير الداخلية وقال له : (ان هذا لعب بالنار) واستدعى محمد نجيب اللواء الباجورى وكيل وزارة الداخلية واللواء أحمد حسان حكمدار القاهرة وطلب منهما منع المظاهرات بالقوة وطلب اللواء الباجورى أمرا كتابيا من محمد نجيب باطلاق النار ولكنه رفض ذلك تماما وبعد انصرافهما فى الفجر عرضت على محمد نجيب التخلص من أعضاء مجلس الثورة بناء على خطة سبق أن تم وضعها بالهجوم على مبنى البرلمان أثناء انعقاد مجلس الثورة به فوافق عليها أولا ثم عاد وطلب منى احضار خالد محيى الدين لاستشارته وكان رأى خالد ضد هذا العنف وان جمال عبد الناصر انتهى ولن تقوم له قائمة مرة أخرى وكان رأيه ان المعلومات التى وصلتنى عن مؤامرة يدبرها جمال عبد الناصر غير صحيحة ، ورفض محمد نجيب بتاتا استعمال القوة ضد مجلس الثورة وبعد انصراف خالد محيى الدين عرضت عليه بعد ذلك اقتراحا بتأليف وزارة جديدة برياسة وحيد رأفت بعد عزل أعضاء مجلس الثورة والوزارة فوافق على أن يتم ذلك بعد انتهاء زيارة الملك سعود لمصر .

وظهر أن المؤامرة صحيحة وقامت المظاهرات المدبرة ضد محمد نجيب الذى قال (كان واجبا على الشعب أن يخرج دفاعا عن حريته ولكن الناس تخاذلت وأنا لن أعمل حربا أهلية) .

الاسم : **محمد صدقي سليمان**

الوظيفة : **رئيس الوزراء السابق**

العمل الحالي : **رئيس الجهاز المركزي للمحاسبات**

١ : ارتبط اسمك بمشروع السد العالي .. هل يمكن القاء الضوء على ما أحاط بتنفيذ هذا المشروع ؟

ج ١ : نبتت فكرة هذا المشروع في مجلس الانتاج أثناء اعداد الدراسات لكثير من المشروعات التي تحققت بعد ذلك مثل الحديد والصلب وكيما والاطارات وعربات السكة الحديد .

وقد عرض هذا المشروع على مستشارين من مختلف أنحاء العالم لوضع الرأي النهائي في السد العالي ، واتفقت جميع بيوت الخبرة العالمية على صلاحية وفائدة المشروع .

كان علي صبري رئيسا للمجلس التنفيذي للسد العالي ، وكنت لا أقابله الا عند السفر لموسكو أو للمفاوضة حول قضية هامة .

وفي المرحلة الأولى لبناء السد حدثت خلافات بين المصريين والسوفيت وصلت الى حد تبادل الاتهامات ، وكانت هذه مصاحبة للفترة التي تبادل فيها جمال عبد الناصر وخروشوف الكلمات المعادية ، واتخذت فيها الحكومة المصرية اجراءات اعتقال الشيوعيين المصريين ، وقد حاولت الصحف الغربية تنمية هذه التناقضات ، ولكن تفجير أول شحنة في السد العالي يوم ٩ يناير ١٩٦٠ ، نسفت معها محاولات الوقيعة ومهدت طريق البناء .

ان الخزان يوفر ١٦٤ مليار متر مكعب من الماء ولذا يجب استخدامها بطريقة رشيدة .

ولا شك أن هذا المشروع سيظل علامة من علامات الصداقة بين الشعوب .

س ٢ : كنت رئيسا للوزراء أثناء عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ .. ما هي معلوماتك عن هذا الحدث ؟

ج ٢ : كان جمال عبد الناصر واقعا تحت ضغوط أخبار الحشود على الحدود السورية ، واذاعات عمان والسعودية المعادية التى تصوره بصورة المتهـــاون مع الاسرائيليين لتركه قوات الأمم المتحـدة على الحـدود فى شرم الشيخ .

ولذا فقد دعا اللجنة التنفيذية العليا للاجتماع فى منزله ، وجلسنا فى غرفة الصالون ، وعرض جمال عبد الناصر الموقف قائلا : انه قرر قفل شرم الشيخ ، وكانت اللجنة تجتمع قبل ذلك لمناقشة مواضيع اقتصادية فقط ..

لم يتكلم أحد من أعضاء اللجنة حتى المشير عبد الحكيم عامر ، ولذا فقد تساءلت عما اذا كانت المعلومات وتقارير المخابرات تحبذ هذا الاتجاه ، وكان الاجتماع خاليا من الورق أو التقارير ، وقلت ان من الأفضل التريث فى هذه القرارات الكبيرة حتى تتضح معالم الصورة تماما ، ولكن كلامى لم يجد صدى ، ولم يتحدث أحد من أعضاء اللجنة .

وبعد ذلك لم أسمع بخبر العدوان الا وأنا فى السيارة من المنزل فى طريقى الى رئاسة مجلس الوزراء عندما سمعت صوت القنابل ، وسألت فعلمت أنهـا غارة فتوجهت للقيـادة ، وهنـاك وجدت جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين ، وبعد سـاعة قال جمال (يلله بينا وخلينا نسيب المشير يتصرف) .

لم يعد جمال عبد الناصر للقيادة الا يوم ٨ يونيو بعـد أن أبلغه شمس بدران أن المشير يريد الانتحار .

والواقع انه لم تكن هناك نية لبدء المعركة .. وانما كان المقصود أن نكون جاهزين .. كما أنه لم يكن هناك تصور بأن المعركة ستكون شاملة .

وكان شمس بدران وزير الحربية قد أبلغ مجلس الوزراء ، انه عند زيارته للاتحاد السوفيتى سأله القادة السوفيت عن الأسطول السادس فقال (اننا عاملين حسابنا) .

والواقع أننى قد لمت نفسى لوما شديدا لأنى لم أتخذ اجراء ايجابيا بعد جلسة اللجنة التنفيذية العليا التى عرض عليها موضوع شرم الشيخ والتى تمت فى صالون المنزل دون جدول أعمال أو تحضير أو معلومات .

الاسم :	**محمد وجيه أباظة**
تاريخ الميلاد :	**٩ سبتمبر ١٩١٧**
مهنة الوالد :	**صحفى متخرج من الأزهر يجيد الفرنسية**
الأملاك	**٤٠ فدانا**
متخرج فى :	**الكلية الحربية عام ١٩٣٩ ابريل** **مدرسة الطيران عام ١٩٣٩ مايو**
الرتبة وقت الحركة :	**قائد جناح**
آخر عمل :	**محافظ القاهرة**
العمل الآن :	**المعاش**

س ١ : يصادف تخرجك فى الكلية الحربية بداية الحرب العالمية الثانية تقريبا ما هو مجال نشاطك السياسى قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : خلال دراستى الثانوية فى مدرسة الزقازيق كنت نشطا فى الحركة الطلابية السياسية مع سعيد خيال القاضى السابق وفوزى شاش رئيس مجلس ادارة شركة مصر للتأمين حاليا ٠

وكانت ارتباطاتى السياسية مع مصر الفتاة بينما كان سعيد وفديا وفوزى مستقلا ولكننا فى تعاون كامل ٠

وقد قبض علينا للتحقيق مرتين وأنا فى الرابعة الثانوية والخامسة الثانوية ووضعنا تحت الحبس الاحتياطى ١٤ يوما ثم فصلنا نهائيا عقب كل تحقيق فى أعوام المطالبة بدستور ١٩٢٣ أثناء سنوات ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ٠

وعقب دخولى الكلية الحربية عام ١٩٣٧ ارتبطت بعبد اللطيف البغدادى وأحمد سعودى حسين مع استمرار ارتباطاتي بزملاء الدراسة

الثانوية ، وقد استلفت نظرنا في ذلك الوقت مجلة الشباب التى كان يصدرها الدكتور محمود عزمى وكانت تعارض معاهدة ١٩٣٦ معارضة موضوعية شديدة ٠

وبعد التخرج مباشرة عينا فى محطة الدخيلة الجوية بالاسكندرية عام ١٩٣٩ ، وكان البغدادى أسبقنا فى الحديث ، وتجمع تفكيرنا حول التساؤل عن دورنا فى الحركة الوطنية ، وفى أواخر ١٩٤٠ نقلنا الى محطة الماظة الجوية وهنا بدأ نشاطنا الحقيقى فى الأهتمام بالسياسة ، واتفقنا على رأى موحد ، وهو أن خلاص البلد لا يمكن أن يتحقق الا عن طريق الجيش ، ولذا اتجه تفكيرنا الى تشكيل مجموعات مهتدين بالكتب التاريخية التى قرأناها عن الثورات ٠

وقد أدى هذا الى ارتباطنا فى سكن واحد فى ٤ شارع السلطان سليم بمصر الجديدة ، وخلال اتصالاتنا مع الضباط استقر رأينا على ضم طيار ثان حسن عزت الذى تحدث معنا عن ضابط آخر فى الجيش بسلاح الاشارة هو أنور السادات ٠

وقد قررنا ضم أنور السادات وتأجير شقة أخرى فى كوبرى القبة لعملها ورشة لتصنيع القنابل اليدوية فى علب سجاير (الخمسين) والمسدسات التى تطلق طلقة واحدة ٠

وفى هذه الاثناء عرض على شقيق زوجتى المستشار محمد عبد الرحمن حسين أباظة الذى يعمل حاليا فى قلم قضايا الحكومة مقابلة الأستاذ عبد العزيز على ، فطلبت الأذن من زملائى بذلك فأذنوا لى ، وقابلته فى قرية (الصوالح) بمحافظة الشرقية وكنا نحن الثلاثة مع الأستاذ عبد المعطى عطية المحامى من أهل القرية ٠

استمرت اجتماعاتنا ثلاثة أيام متتالية حول امكانية ضم ضباط من الجيش والطيران الى عصابة (اليد السوداء) التى كان يرأسها عبد العزيز على عضو الحزب الوطنى والرجل الوحيد الذى استطاع الافلات من قضية مقتل السردار ٠

واتفقت أنا وزملائى على أن نعتبرهم جناحنا الشعبى الذى يتحرك بين الجماهير ، فى الوقت الذى اعتبرونا هم فيه جناحهم العسكرى ٠

وقد بدأت الاتصالات معهم بوساطتى أنا وعبد اللطيف البغدادى واتفقنا مبدئيا على ضم عدد من الضباط بخطوات متئدة ، وعرفنا فى ذلك الوقت أن لهم تنظيما شعبيا قائما فعلا ٠

صاحب ذلك أيضا اتصالنا بالأخوان المسلمين واتصالنا أيضا بالشيوعيين عن طريق الدكتور عبد العزيز شكرى رحمه الله الذى درسنا

الماركسية فى منزله القائم خلف جريدة الأهرام القديمة فى شارع مظلوم فى دروس كانت تعقد يوم الثلاثاء ، وكان مندوب اتصالنا هو حسن عـزت .

أما اتصالنا بالاخوان المسلمين فقد تم عن طريق أومباشى فى السرب لا أذكر اسمه الآن وأبلغنا أن الشيخ حسن البنا يرغب مقابلة أحد الطيارين .. فذهب لمقابلته فى منزله بالحلمية وحاول رحمه الله أن يعرف أسماء الضباط المرتبطين بى .. ولكنى لم أبلغه بأسمائهم .. واتفقنا على أن يكون الاتصال مرتين فى الأسبوع فى عيادة المرحوم الدكتور ابراهيم حسنى أحد أئمة الأخوان فى ذلك الوقت وهو صديق قديم .

كانت الاتصالات معى ومع البغدادى تتم بطريقة سرية عن طريق قريبتى السيدة سميحة عبد الرحمن (ماما سميحة) وكنا قد ضممناها مع آنسة أخرى اسمها كريمة والآنسة راوية عطية وكن جميعا فى كلية الآداب .

كانت (ماما سميحة) هى حلقة الاتصال حتى لا تثار شبهات .

كانت صلاتنا مستمرة مع الشعب الثلاث (اليد السوداء والاخوان المسلمين والشيوعيين) .

وجندنا فى ذلك الوقت بعض الضباط ، فجندت أنا الطيار ثان حسن ابراهيم ، وجند البغدادى حمدى أبو زيد وصادق القرموطى وعمر الجمال وعبد الحميد الدغيدى .

فكرنا فى تبليغ الألمان بحقيقة المواقع البريطانية فى مصر لتفادى ضرب المدنيين المصريين ، وكنت مكلفا من التنظيم بتصوير منطقة القنال بأكملها لوجودى بالسويس ، وكان البغدادى مكلفا بتصوير منطقتى القاهرة والاسكندرية رسما .. ولتعذر وجود آلات تصوير فى الطائرات المقاتلة ، فقد قمنا برسم هذه المعسكرات والمواقع الهامة داخلها باليد فى مدة استغرقت ثلاثة أشهر ، وتحققنا من المواقع الهامة عن طريق ارسال بعض الميكانيكيين الجويين الذين وثقنا بهم وهم حسب ما أتذكر وليعذرنى من نسيت اسمه ـ فؤاد حبشى ابراهيم وسيد حافظ خير الدين وكمال حمودة المحامى حاليا بالاسكندرية ، وصابر التحيوى مدير الشهر العقارى بكفر الشيخ حاليا ، وبعض المدنيين الذين كانت لهم علاقة بالمعسكرات مثل اسماعيل العفريت بالاسماعيلية .

وعندما أعددنا الخرائط بصورة نهائية ناقشنا طريقة توصيلها للألمان .. وفى ذلك الوقت كان البغدادى وحسن عزت قد تزوجا ، واستبعدنا أنور السادات لأنه لا يعرف الطيران .. وكانت المنافسة بينى وبين الطيار سعودى حسين ، واذا حاولنا استبعاد سعودى لوفاة بعض

أشقائه ، ووقع الاختيــار على ، وفعلا بدأت في شراء كل شيء ووضعت الخرائط في حقيبتي ·

ولكن سعودى أصر على القيام بالرحلة ، وفي محاولة لابعاده قررنا عمل (قرعة) فوقعت على ثلاث مرات ولكنه أصر اصرارا نهائيا على السفر مهددا بأنه سيسافر حتى ولو لم يكلف بالمهمة ·

وأخيرا تنازلت له ، واجتمعنا لترتيب الرحلة ، وكان حسن ابراهيم يعمل تحت قيادتي في ذلك الوقت فطلبت منه التأخر لمدة عشر دقائق عن طيران الصباح حتى يتيح الفرصة لسعودى لأخذ طائرة والهرب بها ·

وأخذ حسن عزت الخرائط في حقيبة وانتظر بها في خندق لتسليمها لسعودى عند اقتراب الطائرة من الخندق ··· وكنا في اليوم السابق قد رسمنا خط السير لسعودى في مكتب محمد صدقي محمود الذى لم يكن يعرف عن الأمر شيئا ·

قررنا نزول سعودى في الضبعة وجهزنا الشنطة بجهاز تفجير حتى لا تقع في يد الانجليز تحت أية ظروف ·

وفعلا تأكدنا من وصول سعودى للمنطقة المحددة له ونزوله فيهـا ولكنها مع الأسف كانت حقل ألغـام فانفجرت الطـائرة واستشهد ولكن الخرائط وقعت في يد الألمان حسب رواية الصول الطيار محمــد رضوان سالم الذى هرب دون اتفاق معنا بعد ذلك بيومين فقط بعد اعتقاله في ألمانيا وعودته لمصر بعـد الحرب ، وقد تأكد لنا وصــول الخرائط التى أعددناها بضرب مطار مصر الجديدة الذى قام بتصــويره البغدادى بدقة شديدة لم يتعرض فيها المدنيون لأية أخطار ·· ثم قاموا بعد ذلك بأسبوع بضرب العباسية بعدد ٢ طوربيد دمرت جانبا كبيرا من المعسكر وكان هذا هو عزاؤنا الوحيد ·

كنا قد تصورنا أن سعودى قد وصــل سالما ، ولكننـــا تأكدنا من استشهاده بعد وصول الصول طيار رضوان سالم الذى اتصلنا به سرا أثناء سجنه ، والذى عينته بعد حركة الجيش في ادارة الشئون العامة ·

بعد ذلك حدثت قضية كورت التى اتهم فيها أنور السادات وحسن عزت ، على غير علم منا حيث لم يبلغ التنظيم بهذه الاتصالات مع الألمان ، وعلى الرغم من هذا فقد كان على أنا والبغدادى أن نقوم بتهريب أنور السادات وحسن عزت · وفعلا كلفنى البغدادى بتهريب حسن عزت من ميس سلاح الفرسان وأخذ على عاتقه تهريب أنور السادات من ميس المشاه ·

قمت أنا ومعى صابر التحيوى وكمال حموده بعدد ٢ تاكسى ، حيث وصلت الى معسكر الفرسان بعد منتصف الليل بملابس مدنية ، ووقفت

مصادفة في معرفة غرفة حسن عزت الذى طلبت منه أن يهرب معى فرفض، وأثناء مناقشتى معه حضر الضابط النوبتجى الحرس ملازم أول خالد محيى الدين فتساءل عن سبب وجودى فقلت له أننى أريد تهريب حسن عزت ، فلم يعترض وأبدى موافقته ولما سألته مندهشا عما يمكن أن يحدث له فقال فى بساطة الأمر لن يتعدى محاكمته ، وبدأ يأخذ جانبى فى اقناع حسن عزت الذى أصر على الرفض وعدم الهرب •

وأبلغت البغدادى بما تم وبموقف خالد محيى الدين فطلب منى مقابلته حيث جنده •

بعد ذلك بفترة هرب أنور السادات وحسن عزت الذى كان دائم الاتصال بى أثناء وجوده فى المعتقل ، وطلبا منى تيسير وجودهما خارج المعتقل ، فاتفق رأينا على ارسالهم الى المنزل الذى كنا قد أعددناه فى السابق لاستقبال عزيز المصرى وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف وأظهر أحد أقاربى استعداده لاستضافتهم لأى مدة وهو الأخ أحمد مهدى أباظة الذى يعمل حاليا فنانا بالتليفزيون •

وقد بقوا عندنا مدة شهرين ثم عند شقيقتى والدة حسن وفرج أباظة لمدة ٦ أشهر أخرى •

وعند اقتراب حرب فلسطين تشكلت لجنة اسمها (احتياجات القوات المسلحة) من اللواء المسيرى وطه النمر وعمر أباظة وآخرين ، وكانت عندى فكرة الاستيلاء على أسلحة من الجيش البريطانى بالقوة وقد عرضنا الأمر على اللواء شعراوى قائد سلاح الطيران الذى وافق بعد رجوعه ـ فيما أعتقد ـ للجهات المختصة •

وقد صدر من النقراشى باشا أمر للنيابة بحفظ جميع قضايا سرقة السلاح وقد تعاون معنا رجال النيابة ومنهم محمد ماهر حسن ورجال البوليس ومنهم اللواء عزيز الأجهورى واليوزباشى محمود الشافعى والملازم حسن طلعت وضابط المخابرات الحربية أمين حلمى وقائد البوليس الحربى محمود التنير والصول عبد الحكيم الذى ما زال يعمل ضابط مخابرات فى الاسماعيلية •

وقد بدأنا فى سرقة السلاح بأن التحقت بخدمة المعلم عباس النحاس المشهور بعباس خردة بمرتب شهرى قدره ٣ جنيهات وكنت أحمل له حقيبته •

اشترينا بما يقرب من ٢ر٥ مليون جنيه أسلحة دفعتها (لجنة احتياجات القوات المسلحة) وأذكر أننا كنا نشترى القنبلة ١٠٠٠ رطل بجنيهين ، ٥٠٠ رطل بجنيه ، وذخيرة مدفع ٢٠ مم ب ١٥ مليما •

ولأول مرة وصلت للمدفعية قنابل بيات لم تكن موجودة بالجيش المصرى ٠

وعنـدما عرض على آخـذ ١٠٪ من ثمن المشتريات بواسطة اللواء المسيرى ٠٠ رفضت وطلبت نقلى ٠٠ ولم أحصل سوى على مرتب ٦٣٠ قرشـــا ٠

ثم تولى هذه العملية بعدى اللواء حسين سرى عامر بأجهزته الخاصة التى ضاعفت الأسعار ٠٠

وأحب أن أنوه أن العامل الأول فى نجاح هذه العملية هى وطنيـة بلدة من الصعيد اسمها جهينة محافظة سوهاج ٠٠ وكان المسئول عنها رجل اسمه عبد الحكم لم يطلب سوى أن يكتب اسمه على أول قنبلة تطلق على تل أبيب ، وقد قمت أنا وبغدادى بتنفيذ ذلك فعلا ٠

وقد استشهد فى هذه العمليات ٨٩ مواطنا جميعهم من جهينة ٠

وفى أواخر ١٩٤٩ اتصل البغدادى بجمال عبد الناصر عن طريق حسن ابراهيم حيث تشكل تنظيم الضباط الأحرار ، فارتبطنا به ارتباطا عضويا كاملا ٠

وفى عام ١٩٥٠ بدأت حركة الكفاح المسلح ضد الانجليز وكان يوجه هذه العملية عبد اللطيف البغدادى ، واشترك فيها مجموعات من الحزب الوطنى وأفراد من الاخوان المسلمين بعيـــدا عن قيـادتهم ومن الحزب الاشتراكى دون علم أحمد حسين الذى حضر بعد اكتشاف جدية العمل وكذا بعض الشيوعيين ٠

وقد استمر ذلك بعلم الضباط الأحرار وجمال عبد الناصر الذى قدم لى صندوقين من الذخيرة ٠

وقد طلب منى جمال عبد الناصر والبغدادى جس نبض الوفد لمعرفة موقفه من حركة الكفاح المسلح عن طريق فؤاد سراج الدين بوصفه وزيرا للداخلية وسكرتيرا للوفد ٠

وقد اتصلت به عن طريق فكرى أباظة وقابلته فى منزله فعرض على فى أول مقابلة مبلغـا من المـال رفضته فى حضـــور عبد الوهاب حسنى وعبد الحميد سراج الدين ، وطلبت منه سلاحا فاتصــل مباشرة باللواء عبد الحميد خيرت وأعطانى الأسلحة فورا ٠

وهنا لابد من الاشـارة الى أن العنـاصر المؤثرة فى حركة الفدائيين كانت من شـباب الحزب الوطنى تحت قيادة عبـد العزيز على ومحمـد عبد الرحمن حسين وعصمت سيف الدولة وعبد المعطى عطية ٠

وقد تعددت مقابلاتي بعد ذلك بفؤاد سراج الدين ، وقد طلب مني جمال عبد الناصر الاتصال به لنقل مفرقعات في عربة سكة حديد بدون اللغم (الفتيل) الذى نقله البغدادى بطائرتين الى الضفة الشرقية ، وقد نفذ سراج الدين طلباتنا وقدم لنا عربة السكة الحديد ٠

وقد قمت أنا وجمال عبد الناصر ومجدى حسنين بنقل المتفجرات (٢٤٠ كيلو جلجنيت) من البحوث الفنية الى محطة السكة الحديد ٠

وأذكر أنى سلمت للشيخ محمد فرغلى والدكتور محمد فريد ثريا من الاخوان بعض الأسلحة ولكنهما لم يشتركا ٠٠ وقد قام بنقل هذه الأسلحة رشدى أباظة وتحية كاريوكا ٠

س ٢ : ماذا كان دورك فى حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو ؟

ج ٢ : كان دورى مع باقى ضباط الطيران هو الاستيلاء على معسكرات سلاح الطيران الملكى وقد حضر البغدادى وحسن ابراهيم الى منزلى يوم ٢٢ يوليو فى الساعة التاسعة مساء واتفقنا على تعيين حسن محمود قائدا لسلاح الطيران ، ومحمد صدقى محمود نائبا له (وقد اعتقل صباح يوم ٢٣ يوليو لمدة خمسة أيام) ٠

وكان موقعى هو قيادة سلاح الطيران ، وعمر الجمال لغرب القاهرة ، ومحمد شوكت وصادق القرموطى لمحطة الماظة الجوية ٠

وقد تم الانقلاب بيسر وسهولة ودون أية معارضة ، وقد أذعت بالميكروفونات عن قيام حركة الجيش لتطهيره ٠٠ وفى هذا اليوم حضر لى محمد عبد الرحمن متسللا ، وقال لى أننا نفكر فى تطهير البلد ويجب عزل الملك ، ولما أخطرته أن هذا ليس فى خطتنا ثار وغضب ٠

س ٣ : عينت مديرا للشئون العامة للقوات المسلحة ومتحدثا رسميا باسمها ٠ ما هى فى نظرك أهم الانجازات التى قامت هذه الادارة بتحقيقها لمساندة حركة الجيش ؟

ج ٣ : كان العمل فى الادارة جماعيا وقد كان معى وقتها أحمد حمروش ومصطفى بهجت بدوى وكمال الحناوى وجمال الليثى ٠٠٠٠٠ وغيرهم ٠

وقد قمنا باصدار مجلة التحرير التى رأس تحريرها الأخ أحمد حمروش لمساندة الثورة وقمنا أيضا بعمل تنظيم شعبى للثورة هو هيئة التحرير ٠

وأعددنا رحلات شعبية لقادة الثورة ٠

وأنشأنا صوت العرب ٠

س ٤ : ما هى حركتك مع ركب الثورة بعد ذلك ؟

ج ٤ : كنا قد اجتمعنا بمنزل سعد زايد اجتماعا حضره جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وأبو الفضل الجيزاوى وعدد آخر من الضباط للتشاور وأخذ الرأى فيما اذا كنا سنستمر أم نعود للثكنات ٠

انتهى الاجتماع الى ضرورة استمرار الثورة ٠

وفى يوم تقديم محمد نجيب لاستقالته عقد ضباط الفرسان ، اجتماعا طالبوا فيه ضمن مطالبهم بالغاء البوليس الحربى وادارة الشئون العامة ، وهو الاجتماع الذى انتهى بترشيح نجيب رئيسا للجمهورية ، وخالد محيى الدين رئيسا للوزراء ٠

وبعد الاجتماع حضر جمال عبد الناصر وكان مأخوذا من الطريقة التى عومل بها فى سلاح الفرسان ودخل غرفة الاجتماعات حيث كان هناك عدد من الضباط الأحرار الرافضين لاقتراحه الذى عرضه على سلاح الفرسان ٠

وأذكر أن جمال عبد الناصر سحب طبنجة ووضعها على رأسه وهو واقف فوق مائدة الاجتماعات وهدد بقتل نفسه اذا ما حدث صدام بين وحدات الجيش وأسلحته المختلفة ٠

وفى هذا الاجتماع قررت اخراج الطائرات محملة بالصواريخ فوق سلاح الفرسان كما ذهب أبو الفضل الجيزاوى وسعد زايد ومجموعة ضباط المدفعية وحاصروا السلاح بالمدفعية ، واستولى مجدى حسنين على مخزن ذخيرة السلاح ٠

وعندما قامت الطائرات التى أعطيتها الأمر بقيادة يوسف سعودى وحسام نوفل وعز الدين العيادى بالتحليق (طيران منخفض) فوق الفرسان، تحولت دفة الموقف ، وانتهت أزمة الفرسان ٠

بقيت بعد ذلك فى ادارة الشئون العامة حتى عام ١٩٥٥ ثم كلفت بانشاء ٣ شركات واحدة للاعلان وأخرى للنشر والتوزيع وثالثة للسينما حتى يمكن أن نؤثر فى عملية الاعلام ٠

وقد شغلت خلال هذه الفترة أيضا سكرتيرا لهيئة التحرير بالشرقية ثم سكرتيرا للاتحاد القومى بالشرقية ثم رئيسا له بالانتخاب فى الشرقية ، حيث رشحت نفسى عام ١٩٥٧ ٠

وفى أكتوبر ١٩٦٠ عينت محافظا للبحيرة ٠

الاسم :	**محمـــد نجيـب**
تاريخ الميلاد :	**٢٨ يونيو ١٨٩٩ حسب الشهادة** **١٩ فبراير ١٩٠١ حسب لجنة التسنين**
مهنة الوالد :	**ضابط فى الجيش**
الأمـــــلاك :	**٥ر١٢ فـــدان**
متخرج فى :	**المدرسة الحربية عام ١٩١٩** **مدرسة الحقوق ١٩٢٧** **دبلوم دراسات عليا اقتصاد سياسى ١٩٢٩** **دبلوم قانون خاص ١٩٣١** **كلية أركان الحرب**
الرتبة وقت الحركة :	**لواء أركان حرب**
آخر عمل :	**رئيس جمهورية مصر**
العمل الآن :	**المعـــاش**

س ١ : هل كانت لك اهتمامات سياسية قبل حركة ٢٣ يوليو ؟

ج ١ : خلال ثورة ١٩١٩ عندما كنت ضابطا فى الكتيبة ١٦ مشاة برتبة الملازم ثان كانت هناك جمعية سرية للضباط الوطنيين كلفتنى بأن أقف أمام باب نادى الضباط فى الخرطوم خلف منضـدة صغيرة عليها صـــورة برقية قررنا ارســـالها للاحتجـاج على لجنة ملنر والقول بأنه لا يجوز التفاوض الا مع الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول ٠٠ وكان واجبى أن أدعو الضباط للتوقيع فوقعوا جميعا ٠٠ وكانت النتيجة غلق أبواب النادى واعتقال عدد من الضباط عرفت من بينهم اليوزباشية أحمد الصاوى ومحمد هاشم وعبد الوهاب البهنساوى وأحمد عطية والملازم أول طبيب

سليمان أباظة والطبيب البيطرى سليمان عزت ، ولم يفرج عنا الا بعد أيام تحت ضغط الضباط ٠

وعقب نفى سعد زغلول توجهت مع عدد من الضباط الى بيت الأمة بملابسنا الرسمية ٠

واتصلت بعد ذلك عام ١٩٢٤ بأعضاء جمعية اللواء الأبيض التى شكلها على عبد اللطيف رغم أنى كنت قد نقلت الى مصر ٠

ثم ذهبت متخفيا عام ١٩٢٩ الى منزل النحاس باشا حيث قابلته وعرضت عليه استعداد الجيش لمقاومة الأخطاء الدستورية التى يرتكبها الملك ، ولكن النحاس قال لى أنه يؤثر أن يكون الجيش بعيدا عن السياسة، وأن تكون الأمة مصدر السلطات ، ولو أنه يتمنى أن يكون ولاء الضباط للوطن والشعب أكثر مما هو لشخص الملك ٠

وفى عام ١٩٤٢ قدمت استقالتى احتجاجا على حادث ٤ فبراير وقلت فيها (حيث أنى لم أستطع أن أحمى مليكى وقت الخطر فانى لأخجل من ارتداء بذلتى العسكرية والسير بها بين المواطنين) ٠٠ ولكن الملك أعاد لى الاستقالة مع ياوره عبد الله باشا النجومى السودانى الأصل ٠

وقد ذكرت هذه الواقعة للملك فاروق وأنا أودعه على اليخت المحروسة يوم ٢٦ يوليو وهو يغادر مصر نهائيا ٠

وعندما عين الملك محمد حيدر مدير مصلحة السجون ، خلفا لابراهيم عطا الله الذى قامت ضده حركة محدودة من ضباط الجيش ، اعترضت على ذلك علنا ، وطلبنى حيدر لمقابلته فى مكتبه حيث صارحنى بغضبه وصارحته برأيى ، لان تعيين قائد من السجون ، كان يعنى خلو الجيش من الأكفاء ٠

ثم جاءت حرب فلسطين التى جرحت فيها ثلاث مرات ، وحصلت على نجمة فؤاد الأول العسكرية وتعرفت خلالها بعدد من الضباط الوطنيين كان أقربهم الى الصاغ عبد الحكيم عامر الذى فهمت منه أن هناك تقاربا بين عدد من الضباط الوطنيين ظهر التعبير عنه فى منشورات الضباط الأحرار ، وتعرفت كذلك على البكباشى أ ٠ ح ٠ جمال عبد الناصر والبكباشى أ٠ ح يوسف صديق والبكباشى أنور السادات والبكباشى أ٠ ح كمال الدين حسين ٠

وعينت بعد الحرب مديرا لسلاح الحدود ، فوجدت انحرافات تشير الى تدخل السراى عن طريق وكيل المصلحة الأميرآلاى حسين سرى عامر ، فأمرت بتشكيل لجنة تحقيق ٠

وبدلا من ادانة حسين سرى عامر أرسلت السراى تطلب منى تقريرا لترقيته استثنائيا فرفضت لأسباب تتعلق بالنزاهة ، وجاء الرد بنقلى من من سلاح الحدود الى المشاة وترقية حسين سرى عامر الى رتبة اللواء وتعيينه مـديرا للسـلاح ٠

قبلت الموقف بعد أن كنت قد كتبت استقالتى ولكن بعض الضباط الذين أثق بهم أقنعونى بسحبها ٠

ثم جاءت انتخابات نادى الضباط ورشحت نفسى رئيسـا للنادى بتأييد واضح من الضباط ، وأدت تصرفات الملك الى تحويل الانتخابات الى معركة سياسية عندما أصر الملك على اعتبار الحدود سـلاحا من أسـلحة الجيش وترشيح حسين سرى عامر ممثلا للحدود ٠

وقررت الجمعية العمومية للضباط عدم جواز ترشيح حسين سرى عامر لأنه من الحدود وهى لا تعتبر سلاحا لأنها تضم ضباطا من مختلف الأسلحة ، وكان هذا القرار صدمة للملك ٠

تمت الانتخابات التى نافسنى فيها ثلاثة هم اللواء حافظ بكرى مدير المدفعية ، واللواء ابراهيم الأرناؤوطى مدير المهمات ، واللواء سيد محمد مدير الصيانة ، وقد فزت فيها بعدة مئات من الأصوات بينما لم يحصـل الثلاثة المنافسون الا على ٥٨ صوتا ٠

وحاول الملك مرة أخرى ادخال حسين سرى عامر الى مجلس الادارة بالضغط على بواسطة حيدر ولكنى رفضت بعد جلسة اسـتمرت سـبع ساعات حضرها معى رشاد مهنا سكرتير مجلس الادارة المنتخب ولم نتراجع عن موقفنا رغم وجود نبرة تهديد واضحة ٠

وعندئذ أصدر الملك قرارا بحل مجلس الادارة وتعيين مجلس ادارة ٠ جديد برئاسة شقيقى اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة ٠

وكان هذا يؤكد حتمية التصادم بيننا وبين الملك ٠

س ٢ : كيف تبلورت عندك فكرة حركة الجيش ؟

جـ ٢ : لم يعد أمامنا بعد حل مجلس ادارة النادى سوى ثلاث طرق مفتوحة ٠

الأول : ارسال برقيات احتجاج للملك ، ولكنى كنت ضد هذا الرأى لأنه كان سكشف أسماءنا ولن يستجيب الملك لنا ٠

الثانى : احتلال النادى وقد تجاوزت هذا الحل لاحتمالات الصدام المسلح بين القوات المسلحة وبعضها ٠

الثالث : اعتقال كبار الضباط وفرض شروطنا على الملك .

استقر الرأى على الحل الثالث الذى اتفقت عليه مع الصاغ عبد الحكيم عامر والذى كان صلتى بالضباط الأحرار فى محاولة لتأكيد السرية حيث أن الأنظار كانت مسلطة على وتحركاتى غالبا كانت مرصودة .

وفوجئت يوما باللواء أحمد فؤاد صادق يزورنى فى مكتبى ويروى لى همسا أنه كان فى زيارة للصاغ يوسف رشاد ياور الملك البحرى وأن يوسف قال له بعد مكالمة تليفونية جرت أمامه (سوف يقبض على اللواء محمد نجيب لاتهامه بتزعم حركة ثورية داخل الجيش) ولما نفى له اللواء فؤاد صادق ذلك قال له يوسف رشاد (ان المسألة خطيرة لانها تتعلق بحياة الملك) .

وبدأت أستشعر الخطر وأدرك أننا فى سباق مع الزمن .

وفى يوم ١٨ يوليو حضر الى بعد الغروب رجل قريب لزوجتى وأبلغنى أن محمد هاشم باشا وزير الداخلية وزوج بنت رئيس الوزراء حسين سرى باشا يريد مقابلتى فذهبت اليه فى منزله بالزمالك حيث انتظرته الى أن حضر فى الواحدة بعد منتصف الليل ، وسألنى عن أسباب تذمر رجال الجيش ومطالبهم ، وما اذا كان تعيينى وزيرا للحربية يمكن أن يكون كفيلا بانهاء هذا التذمر .

كان الاقتراح مفاجئا ولكنى رفضت مباشرة متعللا بأن وكالة وزارة الحربية قد عرضت على ورفضتها وانى أفضل موقعى فى الجيش .

وخلال الحديث الذى امتد حتى الثانية صباحا علمت من هاشم باشا أن هناك لجنة من ١٢ ضابطا عرفت السلطات المختصة أسماء ثمانية منهم ، ثم لم يشأ أن يصرح بشىء ، وأبديت له أنا الآخر عدم الاكتراث .

وفى صباح يوم ١٩ يوليو حضر لى الصاغ بالمعاش جلال ندا ومعه محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة فى ذلك الوقت ، لسؤالى عما تم فى مقابلتى مع محمد هاشم .

وأثناء جلستنا فوجئت بحضور جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر على غير موعد وكنت متلهفا لرؤيتهما لابلاغهما بما دار بينى وبين محمد هاشم ، فعرفتهما بهيكل .

وبعد مناقشة خاصة فى غرفة جانبية استقر الرأى على ضرورة الاسراع بالحركة بدلا من اليوم الذى اتفقوا على تحديده وهو يوم ٥ أغسطس لاستكمال وصول بعض الوحدات ، وضمان استلام الضباط والجنود لمرتباتهم .

وهكذا تبلورت فكرة الحركة وقام جمال عبد الناصر وعبد الحكيم وزملائهما باعداد الخطة التى كانت تفرض على البقاء فى المنزل ليلة ٢٣/٢٢ يوليو أثناء تحرك القوات ضمانا للسرية ٠

س ٣ : ماذا كانت تحركاتك ليلة ٢٣ يوليو ؟

جـ ٣ : كنت فى منزلى أترقب تحركات الجيش ، وذلك بعد يوم أمضيته بأسلوب عادى لا تغيير فيه ، وهو اليوم الذى أعلن فيه عودة نجيب الهلالى لتشكيل الوزارة ، ومحاولة فرض حسين سرى عامر عليه وزيرا للحربية ، ثم الاستقرار على تعيين الأميرآلاى اسماعيل شيرين زوج الأميرة فوزية ٠

وعند منتصف الليل تقريبا اتصل بى شقيقى على نجيب وأبلغنى أن بعض ضباط البوليس قد أبلغوا عن تحركات للجيش ، فنفيت له علمى بشىء ٠

ثم ما لبث مرتضى المراغى وزير الداخلية وفريد زعلوك وزير الدولة أن اتصلا بى قائلين أن بعض أولادك قائمون باضطراب فى كوبرى القبة ورجاؤنا أن تمنعهم حرصا على مصلحة الوطن ٠٠ ونفيت لهما علمى بشىء أيضا ٠

ثم تلقيت مكالمة ثالثة من رئاسة القوات بكوبرى القبة ٠٠ تعلن نجاح المرحلة الأولى من الخطة وأن عربة فى طريقها الى ٠

ولكننى لم أنتظر فقد ركبت عربتى الصغيرة يقودها سائقى الخاص وتوجهت الى كوبرى القبة حيث تلقانى بعض ضباط الثورة وركبت عربة جيب دخلت بها مركز رئاسة الجيش وكان هناك جمال عبد الناصر ٠٠ وعبد الحكيم عامر ويوسف صديق وأنور السادات الذى كان يتصل بالمناطق الخارجية تليفونيا ٠

ومع الفجر تلقيت مكالمة تليفونية من نجيب الهلالى رئيس الوزراء يدعونى فيها للذهاب الى الاسكندرية ٠٠ ولما رفضت سألنى عن مطالب الجيش فلخصتها له حسب ما اتفقنا فى تعيين على ماهر رئيسا للوزراء وتعيينى قائدا عاما للقوات المسلحة وطرد بعض رجال الحاشية مثل محمد حسن وحلمى حسين وأنطون بوللى ٠

ثم تلقيت مكالمة أخرى من مرتضى المراغى وزير الداخلية يطلب مقابلتى فقلت له انه يمكن أن يحضر لمقابلتي في القيادة العامة فتراجع وعاد للاسكندرية ٠

وكنت قد قرأت البيان الأول للثورة ووقعت عليه وحمله أنور السادات ليذيعه بنفسه من الاذاعة ٠٠ وبعد اذاعته خرجت للمرور فى شوارع القاهرة لاستطلاع رأى الجماهير فوجدت الناس فرحين مستبشرين ٠

وذهبت بعد ذلك مع أنور السادات وكمال الدين حسين الى منزل على ماهر حيث عرضنا عليه تشكيل الوزارة فقبل بلا تردد مشترطا فقط أن يصدر له التكليف من الملك صاحب الحق الشرعى ٠

س ٤ : كيف جرت الأمور فى الأيام الأولى بعد هذه الليلة الخالدة ؟

ج ٤ : قدم نجيب الهلالى استقالته بعد مكالمة لى ظهر يوم ٢٣ يوليو ، واتصل بى على ماهـر يبلغنى تكليف الملك له بتشكيل الوزارة وطلب مقابلتى مرة ثانية فذهبت اليه حيث طمأنته ٠

وفى هذا المساء استقر رأينا على عزل الملك فى مجلس القيادة على أن نحتفظ بالأمر سرا ٠

وفى الصباح الباكر ليوم ٢٤ يوليو ذهبت مرة ثالثة الى على ماهر قبل سفره للاسكندرية حيث أبلغنى بقبول الملك لطلباتنا وترقيتى الى رتبة الفريق وتعيينى قائدا عاما للقوات المسلحة ، وهو المنصب الذى وقعت به البيان الأول للحركة ٠

وفى الاجتماع الذى قررنا فيه عزل الملك ، قررنا أيضا ارسال بعض المدرعات والمدفعية لدعم قوات الاسكندرية التى لم تكن تتجاوز لواء مشاة وبعض وحدات المدفعية المضادة للطائرات ومدفعية السواحل وكنت قد اتصلت عصر يوم ٢٣ يوليو باليوزباشى أحمد حمروش الذى أبلغنى أن المنطقة هادئة وأن كبار الضباط قد غادروا المعسكرات الى منازلهم وأنهم متيقظون لأى تحركات يحتمل أن تقوم بها البحرية أو خفر السواحل ، فطلبت منه أن يراقب طريق الغرب لمرسى مطروح حيث يحتمل أن يكون حسين سرى عامر فى طريقه للهرب الى ليبيا ٠

بدأ تحرك القوات للاسكندرية تبعا لخطة وضعها زكريا محيى الدين الذى سبق له وضع خطة السيطرة على القاهرة ، وسافر القائمقام أحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ مشاة والبكباشى يوسف صديق قائدا لكتيبة مدافع الماكينة ، والبكباشى حسين الشافعى قائدا للمدرعات ، والبكباشى عبد المنعم أمين قائدا للمدرعات ٠٠ وسافر أيضا جمال سالم وأنور السادات ٠

طلب زكريا محيى الدين تأجيل تنفيذ خطة اخراج الملك لمدة يوم واحد لأسباب ادارية تنقص اللواء المدرع وللجهد الشديد الذى أصاب الجنود ٠

كان فى نيتى مفاجأة على ماهر بالانذار الموجه للملك يوم ٢٥ يوليو ولكنى أجلت ذلك يوما ، واكتفيت فى مقابلتى الأولى معه بابداء بعض الملاحظات على تشريعات كان قد أعدها تنفيذا لبعض مطالبنا ٠

وعندما عدت الى ثكنات مصطفى باشا أثار جمال سالم اشكالا حول مصير الملك ، وبعد مناقشات طويلة لم يحسم فيها الأمر ، طلبنا منه التوجه الى القاهرة لمعرفة رأى بقية الزملاء هناك ، وقد سافر فى الليل المتأخر وعاد مع الصباح الباكر ليبلغنا رأى الزملاء الذين كانوا فى القاهرة وهم جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وصلاح سالم وعبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين والذى تبلور حول خروج الملك بغير محاكمة وأن ندعه للتاريخ يحكم عليه ٠

وفى صباح ٢٦ يوليو توجهت الى رئاسة الوزارة ببولكلى فى التاسعة صباحا لتسليم الانذار الى على ماهر ، ولكنى وجدته قد توجه الى قصر رأس التين بعد أن كان سليمان حافظ المستشار القانونى لرئاسة الوزراء قد أبلغه بأن قوات من الجيش تحاصر القصر وتطلق عليه النار ٠

ووجدت فى مقر رئاسة الوزراء مستر (سباركس) مستشار السفارة الأمريكية الذى كان مضطربا ومنفعلا ، وقال لى أنه موفد من مستر جيفرسون كافرى للتحرى عن حقيقة اطلاق النار ومدى ما يترتب على ذلك من أضرار قد تسىء الى مصلحة البلد ٠

هدأت مستر سباركس وأفهمته أنه ليست هناك نية فى فتح النار على الملك ٠

وصل على ماهر بعد ذلك ، وقدمت له انذار الجيش وطالبته بضرورة توقيع الملك قبل الثانية عشرة ظهرا ، وضرورة خروجه من أرض مصر قبل السادسة بعد الظهر ٠

اضطرب على ماهر ولكنه لم يتردد فقد حمل الانذار الى الملك ثم عاد بعد قبوله للانذار فكلف الدكتور عبد الرازق السنهورى وسليمان حافظ باعداد وثيقة التنازل ، وقد وافقنا عليها بعد اضافة عبارة (استجابة لرغبة الأمة) حسب اقتراح جمال سالم ٠

وكلف على ماهر المستشار سليمان حافظ بحمل وثيقة التنازل الى الملك لتوقيعها ٠

وكانت شروط الملك التى أبلغها الى على ماهر هى :

١ ـ أن يصطحب معه زوجته ناريمان وابنه الطفل أحمد فؤاد وسائر أولاده ؛

٢ ـ أن يودع على الصورة التى تليق بملك تنازل عن العرش باختياره ٠

٣ ـ أن تشترك الحكومة فى وداعه ممثلة برئيسها وكذلك القوات المسلحة ممثلة بى ٠

٤ ـ أن يمكن من مقابلة جيفرسون كافرى سفير أمريكا قبل سفره ٠

٥ ـ أن تقوم قطع الأسطول المصرى بحراسة الباخرة التى سيستقلها حتى وصوله الى ايطاليا ٠

وافقت فورا على كل هذه الطلبات عدا الطلب الأخير ٠

وعاد لنا بعد ذلك فى ثكنات مصطفى كامل المستشار سليمان حافظ ، ومعه توقيع الملك على وثيقة التنازل ٠

وحدث أن تأخرت من الزحام عن وداع الملك على ميناء قصر رأس التين لمدة دقائق حيث وجدت على ماهر وجيفرسون كافرى ومستشار السفارة واسماعيل شيرين ومحمد على رءوف زوجي شقيقتيه وبعض ضباط الحرس ، وقررت الذهاب للمحروسة وأخذت لنشا رافقنى فيه أحمد شوقى وحسين الشافعى وجمال سالم واليوزباشى اسماعيل فريد ٠

كان الملك ينتظرنى وعلى مسافة منه تقف الأميرات ٠

أديت التحية العسكرية فرد فاروق بنفس الطريقة ثم صافحنى بيده ، ومضت فترة سكون قطعتها بروايتى له لحادث استقالتى يوم ٤ فبراير فقال الملك المخلوع :

ـ ان مسئوليتكم كبيرة ، وانى أوصيكم خيرا بالجيش المصرى فهو جيش آبائى وأجدادى ٠

وكان فاروق قد لاحظ أن جمال سالم يحمل عصاه وهو أمر غير لائق فى العسكرية فطلب منه رميها ، وعندما حاول جمال سالم أن يعترض منعته من ذلك فألقى عصاه ٠

وقال الملك :

ـ انتم سبقتونى فى اللى عملتوه ٠٠ اللى عملتوه دلوقت كنت أنا راح أعمله ٠

واستأذن الملك فى تأجيل رحيل المحروسة لمدة نصف ساعة حتى تصل حقائبه فوافقته على ذلك فورا ٠

وعدت الى شوارع الاسكندرية حيث كانت الجماهير محتشدة ، ووجهت بيانا فى الاذاعة أعلنت فيه خروج الملك ٠٠ كما أذعت بيانا ثانيا

بعد خروج الملك بساعتين أعلنت فيه تنازلى عن رتبة الفريق التى رقانى اليها الملك قبل ذلك بيومين ·

س ٥ : ما هى ظروف تعيينك رئيسا للوزراء ؟

جـ ٥ ـ حدث خلاف بين أعضاء مجلس القيادة وبين على ماهر عندما أذاع بيانا لم يحدد فيه موعد الانتخابات فى شهر فبراير ١٩٥٣ وهو ما كنا قد اتفقنا عليه ، وكذلك محاولته تعطيل اصدار قانون الاصلاح الزراعى الذى لم أكن موافقا عليه فى البداية ولكنى اقتنعت برأى زملائى فى أهميته من حيث التأثير السياسى والاجتماعى وأصبحت مؤيدا له ·

وقد عقد على ماهر مؤتمرا من الأوصياء وأعضاء مجلس الوزراء وبعض أعضاء مجلس القيادة وعدد من الفنيين وأعضاء مجلس الدولة فى مبنى رئاسة الوزراء ، وانتهت الجلسة الى موافقة شبه جماعية على المشروع مع تحديد الملكية بحد أعلى ٢٠٠ فدان ، ومع ذلك لم يصدر القانون ·

وازاء تردد على ماهر قرر مجلس القيادة تنحيته عن منصبه ، وتعيينى رئيسا للوزراء رغم عدم ترحيبى بذلك وموافقتى على اقتراح تعيين الدكتور عبد الرازق السنهورى ، الذى لم يتحقق لاعتراضات وجهت اليه باعتباره صاحب ميول شيوعية ·

كلفت بتشكيل الوزارة ·· والحقيقة أننى لم أرشح أحدا لمنصب الوزارة ، وانفرد بذلك سليمان حافظ الذى استقر الأمر على تعيينه نائبا لرئيس الوزراء ، فهو وبعض زملائه من أعضاء الحزب الوطنى الجديد كانوا أكثر معرفة بالمدنيين ·

ولم تضم الوزارة أحدا من رجال الأحزاب القديمة ، وانما ضمت عددا من المنتمين لمبادىء الحزب الوطنى وان كانوا لا يمثلون حزبا ، وعددا من المستقلين ، واثنين من الاخوان المسلمين ·

س ٦ : هل وافقت على اعدام خميس والبقرى المتهمين فى حوادث كفر الدوار ؟

جـ ٦ : كنت حريصا على انقاذ هذين العاملين لأنى لم أكن أريد للحركة أن تلغ فى الدماء مع أسابيعها الأولى ، ولكن حكم المجلس العسكرى الذى شكل برئاسة البكباشى عبد المنعم أمين وموافقة اغلبية أعضاء المجلس عدا جمال عبد الناصر ويوسف صديق وخالد محيى الدين الى جانب التقارير التى أحاطت بنا تجسم لنا أخطار تحركات العمال · كل هذا دفعنى للتصديق على الحكم بعد استدعائى لخميس ومقابلتى له فى المكتب ومحاولتى

اكتشاف ما اذا كان قد اندفع لهذا التصرف وحده أو تحت تحريض عناصر أخرى ، ولكن خميس على مدى نصف ساعة تناولنا فيها معا فنجانا من الشاى لم يعترف بشيء مطلقا ٠

صدقت على الحكم وفى ذهنى احتمال انتشار هذه الاضطرابات ، ورفض مصطفى خميس التصريح بشيء يكون مبررا لتخفيف الحكم عليه ٠

وعندما نفذ الحكم ثارت ضدنا القوى الاشتراكية فى أنحاء العالم ، وزرت عمال سلاح الصيانة مؤكدا لهم موقفى مع العمال ، كاتبا لهم على السبورة « يحيا العمال » ، واثقا أن حركتنا لا تهددها انتفاضات عمالية ٠

س ٧ : ماذا كان موقفك من الأحزاب والدستور ؟

ج ٧ : اقترح سليمان حافظ مشروعا لتنظيم الأحزاب السياسية على اعتبار أنها قد فسدت بما يفسد الديموقراطية البرلمانية ٠

واستطاع أن يكسب الى جانبه أغلبية أعضاء مجلس القيادة ومجلس الوزراء ، وأذكر أن الذين عارضوا المشروع فى البداية كانوا جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وعبد الحكيم عامر ويوسف صديق ولكن بعضهم تراجع عن موقفه بعد فترة ٠

كنا فى هذه الفترة نمارس عملنا ممارسة ديمقراطية ، لا يستبد أحد برأيه ، ولا يستطيع أن ينفرد بارادته ٠٠ وكانت زحمة العمل وكثرة المشروعات الجديدة تجعل وقتى لا يتسع كثيرا لدراسة جدول أعمال مجلس الوزراء وما يحويه من مشروعات ٠

ونفذ مشروع قانون الأحزاب الذى أعطى لوزير الداخلية حق الاعتراض على شخصيات مؤسسى الأحزاب الذين يجب أن يتقدموا اليه بأخذ تصريح لتشكيل الحزب ٠٠٠ واعترض سليمان حافظ أيضا على رئاسة مصطفى النحاس الشرفية لحزب الوفد ٠

وعندما قوبل هذا الاتجاه بالمعارضة ،وقصرت يد حركة الجيش عن الوصول الى محاكمة الوزراء اقترح سليمان حافظ الغاء دستور ١٩٢٣ الذى كان يمنع محاكمة الوزراء وتم ذلك فى يناير ١٩٥٣ ٠

وتشكلت لجنة من ٥٠ عضوا برئاسة على ماهر لوضع الدستور الجديد ٠

ولا شك أنه قد حدثت أخطاء ومفارقات فى تنفيذ هذا القانون أدت بنا الى الاندفاع فى سيطرة الجيش على الحكم ، والتى تمثلت فى ظهور

« مندوبى القيادة » الذين انتشروا فى مختلف الوزارات والمصالح والهيئات يتصرفون تصرفات فردية غير مسئولة .

س ٨ : أنت الضابط الوحيد الذى اشترك فى حركة الجيش بعد أن تجاوز الخمسين والضابط الوحيد من رتبة اللواء الذى بقى فى الخدمة بعد أن فصل كل الضباط الحاملين لهذه الرتبة .

هل بدأت الخلافات بينك وبين أعضاء المجلس لانكما من جيلين مختلفين أم لانكما من مدرستين فكريتين مختلفتين ؟

ج ٨ : كانت هناك عدة تناقضات يمكن اجمال أبرزها فيما يلى :

١ ـ الاعتراض على سيطرة الجيش على الحكم وانتشار الضباط الذين يطلقون على أنفسهم اصطلاح « مندوب القيادة » .

٢ ـ الاعتراض على التعذيب الذى تعرض له البكباشى حسنى الدمنهورى من بعض أعضاء المجلس أثناء التحقيق معه ومحاكمته أمام المجلس وهو جهة (الخصومة) ، ورفض التصديق على الحكم باعدامه .

٣ ـ مقاومة دخول الضباط الى الوزارة حرصا على ابعاد الجيش عن السياسة ، ومقاومتى ترقية عبد الحكيم عامر من صاغ الى لواء وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة .

٤ ـ ظهور تعديل وزارى بتعيين زكريا محيى الدين وجمال سالم وزيرين للداخلية والمواصلات بينما أصبح جمال عبد الناصر نائبا لرئيس الوزراء وذلك أثناء وجودى بالاسكندرية وعلى غير علم منى .. ولم يقسم الاثنان اليمين أمامى مطلقا .

٥ ـ رفض التصديق على الحكم باعدام ابراهيم عبد الهادى الذى صدر من محكمة الثورة ورضوخهم لرأيى .

٦ ـ اعتراضى على انعقاد المجلس دون حضورى ، واتخاذهم بعض القرارات فى غيابى .

٧ ـ اعتراضى على تجديد اقامة مصطفى النحاس وشطب اسمه من الكشف ثم ظهور اسمه بعد ذلك فى الصحف وتحديد اقامته فعلا .

اعتراضى على تعيين كمال الدين حسين وزيرا للتربية والتعليم على أساس أننا نسلب المختصين اختصاصاتهم ، وأننا نضع الضباط فى مواقع ليسوا هم خير من يقوم بها .

كل هذه التناقضات وغيرها كانت تكفى لكى أستقيل وأبتعد غير متحمل لأية مسئولية تاريخية ٠٠ ولكنى كنت أعتقد أنه يمكن رأب الصدع واصلاح الأمور ٠٠ ولذا بقيت فى موقعى رغم اعتراضى على كثير مما كان يدور ٠

س ٩ : ما هى أهم القضايا السياسية التى صادفتك أثناء وجودك فى موقع المسئولية ؟

ج ٩ : لا شك أن أهم القضايا هو قدرتنا على عقد اتفاقية السودان فى ١٢ فبراير ١٩٥٣ على أساس الاستفتاء على حق تقرير الشعب السودانى لمصيره ٠ وذلك بعد مباحثات لم تستمر أكثر من شهور محدودة ٠

ولا شك أيضا أن موقفنا فى مواجهة المفاوض البريطانى بالكفاح المسلح كانت دليلا على صلابة الوطنية ٠٠ واتفاقية الجلاء لم توقع الا فى يونيو ١٩٥٤ بعد أن كنت قد أبعدت عن السلطة ، وقد تضمنت قبول عودة القوات البريطانية لقاعدة القنال فى حالة الهجوم على تركيا أو تهديدها بالهجوم وهو ما كنت أرفضه ٠

والعلاقة بالأمريكيين كانت تشكل موقعا هاما فى طريق السياسة المصرية ، وكان جيفرسون كافرى سفيرا نشطا ، قابلته عند وداع الملك ثم على عشاء فى منزل عبد المنعم أمين مع بعض أعضاء السفارة وأعضاء المجلس ، وكان يتحدث صراحة عن خشية حكومته تسلل الشيوعية وضرورة وجود أجهزة أمن قوية لمنع ذلك ٠

وأذكر أنى قلت له أننى لا أخشى أى تسلل شيوعى الى مصر ورفضت فكرة تعاون أجهزة الأمن المصرية مع المخابرات المركزية الأمريكية ٠

وقد اقترح كافرى أثناء المفاوضات الدخول فيها كطرف ثالث ضمانا لنجاحها ، ولكننى رفضت هذا الاقتراح لاعتقادى أن المصالح الأمريكية البريطانية أكثر اقترابا من المصالح الأمريكية المصرية ، وان كنت قد قبلت منهم دور الوساطة ٠

ووصل جون فوستر دالاس الى القاهرة ضمن برنامج لزيارة عدد من دول المنطقة ، وكان انطباعى الأول عنه أنه يمثل راعى البقر الأمريكى الذى تنقصه رقة الحضارة ، وقد ركز حديثه على أهمية انضمام مصر لأحلاف الغرب الدفاعية ، فبدا لى مثل « تاجر أحلاف » يروج لبضاعته ٠ وقد قلت له أن الخطر الشيوعى هو خطر محتمل ولكننا نواجه خطرا واقعا فعلا هو وجود الانجليز ٠

وأذكر أن دالاس قد قدم لى مسدسا هدية من آيزنهاور ، وعندما

حاولت البحث عن ذخيرة له لم أجد فقد كان من عيار خاص ٠٠ وكان هو السلاح الوحيد الذى حصلت عليه مصر « حتى الآن » من أمريكا ٠

ويذكرنى ذلك بمقابلة تمت مع مستر وليم فورستر مساعد وزير الدفاع الأمريكى الذى زار مصر وطلب ارسال بعثة مصرية للتحدث مع المسئولين فى البنتاجون عن تسليح مصر ، وسافرت فعلا بعثة يرأسها على صبرى حيث بقيت ثمانية أسابيع وعادت بلا نتيجة أيضا ٠

وتصادف أنى قابلت السفير السوفيتى بنيامين سولود وطلبت منه امدادنا بالسلاح ، وقد فوجىء بهذا الطلب قائلا « انكم تستخدمون هذا السلاح ضدنا » فضحكت معه قائلا « هل سنعبر سيناء واسرائيل وسوريا وتركيا حيث نصل القوقاز ؟ اننا نريد السلاح لاخراج البريطانيين » ٠

وبعد ثلاثة أسابيع زارنى سولود قائلا أن موسكو توافق على امدادكم بالسلاح من ناحية المبدأ وتنتظر تفصيلات ما نطلب ، وأرسلت السفير لعبد الحكيم عامر بصفته قائدا عاما للقوات المسلحة ، ثم انقطعت صلتى بالأمر لتدهور الموقف بينى وبين أعضاء المجلس ٠

وأما من ناحية اسرائيل فقد كان رأيى أن نستخدم ضدها منذ البداية أسلوب حرب العصابات وعندما زار القاهرة ادلاى ستيفنسون الذى كان مرشحا لرئاسة الجمهورية فى الولايات المتحدة قال لى « ان اسرائيل والدول العربية يجب أن تعيش » فقلت له أن اسرائيل يمكن أن تعيش كدولة رمزية مثل الفاتيكان دون أن تكون لها أطماع توسعية فى أرض العرب ٠

وأذكر أننا لم ننجرف فى تصريحات أو عمليات ضد اسرائيل اقتناعا بأن عدونا الأول هو الاستعمار البريطانى المحتل لأرضنا فى منطقة القناة٠٠ وكان تشرشل قد صرح بأنه يؤيد الصهيونية ويريد أن يرى اسرائيل أقوى دولة فى شرق البحر الأبيض المتوسط ٠

وفى ذلك الوقت حضر الى مصر نورى السعيد حاملا معه مشروعا لاتحاد الدول العربية المتقاربة على هذا الأساس « السودان ومصر وليبيا » ثم « العراق وسوريا والأردن » « تونس والجزائر والمغرب » وأخيرا « السعودية واليمن والخليج » ٠٠ كان نورى السعيد متحمسا للدفاع عن مشروعه الذى اعتبرته واعتبره الزملاء تطويرا لمشروع الهلال الخصيب البريطانى ٠

وكانت علاقاتنا العربية موجودة ولكنها ليست عميقة ٠

كما أن علاقتنا كانت قد بدأت مع جواهر لال نهرو الذى حضر الى مصر بعد خمسة أيام من اعلان الجمهورية فى مصر ، وكان دائم الحديث عن الديمقراطية داعيا الى تطبيقها تحت كل الظروف ٠

هذه هى أهم معالم القضايا السياسية التى عشتها ٠٠٠ ولعل أكثرها ايلاما لنفسى هو ما لمسته على مائدة المفاوضات مع البريطانيين من تمرير بعض الأعضاء أوراقا صغيرة الى جمال عبد الناصر الذى كان يقرؤها ويشير الى مرسلها بهزة رأس خفيفة ، الأمر الذى جعلنى أثور وأحتج عليه ، لانه اذا كانت الخلافات أمرا مقبولا بيننا فانها أمام العدو تكون غير مقبولة لانها تضعف مصر ، ومن مصلحة العدو تعميق هذه الخلافات والاستفادة منها ٠

وأخيرا فقد أدت هذه الخلافات الى نكسة شديدة لموقفنا مع السودان والذى كان مبشرا باقامة اتحاد بين الشعبين الشقيقين٠٠فقد لعب الاستعمار على التناقض القائم بينى وبين أعضاء المجلس وأثار حفيظة البعض ضد العسكريين عموما الأمر الذى أساء الى شعب مصر ، وأنهى أمله فى وحدة حقيقية مع شعب السودان لصالحهما معا ٠

س ١٠ : هل يمكن تفسير ما حدث فى السودان من مظاهرات يوم زيارتك لها فى أول مارس ١٩٥٤ ؟

ج ١٠ : عندما قررت السفر الى السودان فى أول مارس ١٩٥٤ لحضور افتتاح أول برلمان سودانى كان ذلك فى اليوم التالى مباشرة لعودتى لمنصبى بعد الاستقالة التى قدمتها ٠

كان معى فى الرحلة صلاح سالم والشيخ الباقورى ٠٠ وعندما وصلت الطائرة كان الألوف من أبناء الجنوب يحتشدون فى المطار يهتفون « لا مصرى ولا بريطانى ٠٠ السودان للسودانى » ، وكان فى استقبالى بالمطار رجال الحزب الوطنى الاتحاد والسيد صديق المهدى الذى حمل لى تحيات والده ٠

حاول الحاكم العام ايهامى بخطورة المظاهرات التى تحرش بها البوليس ، وبعد وصولى للقصر الجمهورى حاولت الاتصال بالسيد عبد الرحمن المهدى ولكن الخط كان يقطع بأمر واضح التدبير ، ومع ذلك خرجت لمخاطبة الجماهير الذين كان معظمهم من الأنصار ، وما أن بدأ الهدوء يسود حول القصر الجمهورى حتى هاجم البوليس الشعب مرة أخرى دون مبرر وتساقط عدد من القتلى والجرحى قدر بحوالى ٣٣ قتيلا ، ١٠٧ جرحى ٠

مجزرة دموية رتبها الحاكم العام ليفشل تنفيذ الاتفاقية ويظهر الأمر كما لو أن عداء قد انفجر ضد مصر فى السودان ، مستندا فى ذلك الى الأنصار الذين فاتتهم فرصة النجاح فى الانتخابات فخرجوا يعلنون عن أنفسهم فدبر الأمر على أساس اطلاق النار عليهم بدون مبرر ٠

كان سلوين لويد قد وصل الخرطوم أيضا للمشاركة فى الاحتفالات ولكنه لم يبرح مكانه ولم يظهر للناس حتى حملته الطائرة الى لندن ٠

وعندما تقرر الغاء جلسة افتتاح البرلمان قررت العودة الى القاهرة فى اليوم التالى مباشرة ٠

واعتبرت أن هذه المظاهرات رفضا من حزب الأمة للتجربة الديموقراطية التى ظهرت نتائجها فى الانتخابات ٠٠ وليست موقفا ضد مصر ٠

س ١١ : كيف تطورت الخلافات بينك وبين اعضاء مجلس قيادة الثورة وما هو تفسيرك لما عرف باسم أزمة مارس ١٩٥٤ ؟

ج ١١ : وصلت الخلافات ذروتها عندما اتخذ المجلس قرارا فى غيبتى باعطاء صلاحياته فى حالة عدم انعقاده الى جمال عبد الناصر الذى تفرغ لمنصب رئيس الوزراء ، ثم تعيين زكريا وزيرا للداخلية وجمال سالم وزيرا للمواصلات دون أن يحلفا اليمين أمامى ٠

وبدأ تفكيرى فى الاستقالة منذ هذه اللحظة ، وخرجت بعد ذلك فى رحلة الى النوبة اصطحبنى فيها خالد محيى الدين الذى أفضيت اليه بكل ما فى صدرى من أفكار وآراء اختزنتها فوجدت منه تجاوبا واتفاقا معى فى الرأى ٠

وكانت محكمة الثورة ، ومواقف المجلس ضد الأحزاب والديموقراطية قد أثارت الجماهير ضدهم ٠٠٠ ولم تكن هناك قوة سياسية منظمة ومصرح بها سوى الأخوان المسلمين الذين بدأوا أيضا يستجيبون للمعارضة الشعبية الجارفة ، فصدر قرار من المجلس بحلهم يوم ١٥ يناير ١٩٥٤ وعارضت ذلك ، لأن سبق أن طالبت بتطبيق قانون الأحزاب عليهم ، ولكن جمال عبد الناصر توسط لهم وذهب بنفسه مع حسن الهضيبى لمقابلة سليمان حافظ الذى وافقهم على تقديم مذكرة تعفيهم من الحل ٠

وزاد قرار حل الأخوان واعتقال ٤٥٠ عضوا منهم موجة المعارضة فى وقت لم يكن المجلس فيه موحدا كما كان يوم صدور قرار حل الأحزاب ٠

وصدر بيان طويل من المجلس يتهم الأخوان بأن لهم اتصالا بالانجليز عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف فى شركة النقل والهندسة والذى هيأ فرصة لقاء فى شهر أبريل ١٩٥٣ بين مستر ايفانز المستشار الشرقى للسفارة البريطانية وكل من منير الدلة وصالح أبو رقيق كما اتهم المرشد بأنه يعد جهازا سريا غير الجهاز الذى كان يرأسه عبد الرحمن السندى ،

وأشار البيان أيضا الى احضار الطلبة الأخوان لنواب صفوى الايرانى زعيم جماعة « فدائيان اسلام » والذى كانت صحف أخبار اليوم قد هللت له ٠

كان الخلاف قد خرج من دائرة المجلس وأصبحت مطالبا بتحديد موقفى أمام الرأى العام فلم أجد سبيلا سوى الاستقالة التى نشرت الصحف خبرها يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٤ معلنة أن المجلس قد قبلها وعين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء ٠

وصدر فى نفس اليوم بيان من المجلس حاول الاساءة لى وتقليل دورى الذى أسهمت به فى نجاح الحركة ، كما حاول تصوير الأمر كما لو أن لى نزعة ديكتاتورية ، فى الوقت الذى كنت أعلن فيه دائما اصرارى على الديموقراطية ومعاداتى للديكتاتورية العسكرية ٠

ورغم هذا البيان فقد خرجت الجماهير فى شوارع القاهرة والاسكندرية والخرطوم تطلب عودتى باعتبارى رمزا للديموقراطية عندهم ٠

والحقيقة أنى لم أعرف أخبار المظاهرات فى حينها ، فانه بعد وصولى للمنزل وجدت أن خط التليفون قد قطع عن المنزل ، وأن ضابط حرس المنزل قد خدعه عبد المحسن أبو النور وأبعده ليحل قوات تابعة له فأصبحت محاصرا ومحدد الاقامة ٠

وفى الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة ٢٦ فبراير فوجئت بطارق على الباب ٠٠ كان خالد محيى الدين قد حضر ليبلغنى أن مجلس الثورة قد قرر اعادتى لرئاسة الجمهورية وتعيين خالد رئيسا للوزراء، ووافقت على ذلك فورا فقد كانت العلاقة قد توطدت بينى وبين خالد ووجدت فى ذلك خير ضمان للسير بالبلاد نحو الديموقراطية وعودة الجيش الى الثكنات ٠

وعلمت من خالد أن هذا القرار قد أعقب اجتماعا حاسما لضباط الفرسان امتد طوال الليل ورفضوا فيه استقالتى ٠

كما علمت أن ضباط منطقة الاسكندرية رفضوا الموافقة على قرار المجلس ٠

وما كاد خالد محيى الدين يغادر منزلى وأتهيأ للنوم من جديد حتى فوجئت بحضور اليوزباشى كمال رفعت واليوزباشى داود عويس اللذين قاما باعتقالى تحت تهديد السلاح واصطحبانى عمدا الى ميس سلاح المدفعية بالماظة حيث بقيت محتجزا فى غرفة مغلقة حتى الظهر عندما حضر اليوزباشى حسن التهامى وأبلغنى أن خالد محيى الدين كان يدبر انقلابا شيوعيا وانى شاركته فى ذلك ٠٠ وضحكت من هذا الحديث ساخرا قائلا له أن مثل هذه التصرفات التى تتبع معى هى خروج على مبادىء الثورة ٠

أعادونى الى المنزل حيث سمعت فى الاذاعة خبر عدم قبول الاستقالة وعودتى رئيسا للجمهورية ، ونشرت الصحف ذلك يوم ٢٨ فبراير ٠

ذهبت فى ذلك اليوم الى قصر الجمهورية بعابدين ، حيث امتلأ الميدان على سعته بالمتظاهرين الذين كانوا يحتجون على اعتداء البوليس عليهم ويحملون قمصانا ملوثة بالدماء ، فطلبت من عبد القادر عودة أحد أقطاب الأخوان أن يصعد الى الشرفة ، وقد ساعد ذلك على تهدئة الجو اذ تبين أن أغلبية المتظاهرين كانوا من الأخوان المسلمين ٠

وأبلغت النائب العام للتحقيق فى حوادث اعتداء البوليس ٠

وبعد أن عدت من الخرطوم وجدت أن الموقف قد عاد للغليان فقد صدرت أوامر باعتقال ١١٨ شخصا من بينهم عبد القادر عودة ، وأحمد حسين وعدد من الأخوان والاشتراكيين والوفديين والشيوعيين ٠

ووجدت الموقف مناسبا للضغط من أجل الحرية والديموقراطية فصدرت قرارات ٥ مارس ١٩٥٤ التى تقضى بالغاء الرقابة على الصحف ، واتخاذ اجراء فورى لعقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريق الاقتراع العام المباشر على أن تجتمع فى يوليو ١٩٥٤ ويكون لها مهمتان هما مناقشة مشروع الدستور الجديد واقراره مع القيام بمهمة البرلمان الى حين انعقاده وكذلك الغاء الأحكام العرفية قبل اجراء الانتخابات على أن يكون لمجلس الثورة سلطة السيادة لحين انعقاد البرلمان ٠

وصحب ذلك خروج بعض من حكمت عليهم محاكم الثورة ابراهيم عبد الهادى الى منزله وفؤاد سراج الدين الى مستشفى مجدى وابراهيم فرج الى القصر العينى ٠

وقد أدى هذا الانفراج النسبى الى توافر قدر كبير من الحرية استغلته بعض الصحف مثل « الجمهور المصرى » فى مهاجمة سلوك ضباط البوليس الحربى الأمر الذى بذر بذور الخوف فى نفوس الضباط وجعلهم يعتقدون أن العودة للديموقراطية تعنى الاضرار بهم ومحاسبتهم على أخطائهم ٠

ودفعنى هذا الى اصدار بيان بأننى ومجلس الثورة كيان واحد تطمينا لاعضائه ولضباط الجيش ٠

واقام عبد الحكيم عامر مأدبة فى نادى الضباط حضرها ١٣٥٠ ضابطا تعمدت أن أرطب فيها نفسية الضباط بالحديث عن واجب الجيش المقدس فى تحرير الوطن بعيدا عن متناقضات السياسة ٠

ونشطت الحركة السياسية خلال شهر مارس وعادت الحيوية الى الجماهير ونشرت الصحف عدة آراء حرة منها ما نشره يوسف صديق الذى

كانت اقامته محددة يطالب بتشكيل وزارة تحت رئاسة الدكتور وحيد رأفت وتضم الوفديين والأخوان والشيوعيين والاشتراكيين لاجراء انتخابات برلمان جديد .

وأصبح الموقف مهتزا تحت اقدام أعضاء المجلس فعقدوا اجتماعا يوم ٢٥ مارس حضرته انا وخالد محيى الدين ودارت فيه مناقشة امتدت خمس ساعات وانتهت الى قرارات كانت تجنح الى التطرف واستثارة النــاس فقد قــررت السماح بقيــام الأحزاب على ألا يؤلف مجلس الثورة حــزبا والا يكون هناك حرمان مطلقا من الحقوق السياسية ، وأن تنتخب الجمعية انتخابا مباشرا وتكون لها سلطة البرلمان ، كما قرر مجلس الثورة حل نفســه فى ٢٤ يوليــو باعتبار أن الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلى الأمة .

لم أكن موافقا على جنوح هذه القرارات من نقيض الى نقيض ، فهى تبعث على الاثارة لأنها تعنى ضياع الأمل فى استمرار الثورة والعودة الى الماضى بكل ما فيه من أخطاء .

أول الذين خرجوا كانوا الأخوان المسلمين ومرشدهم حسن الهضيبى الذى ذهب جمال عبد الناصر لزيارته فى منتصف ليلة الأفراج كما نشرت جريدة المصرى يوم ٢٥ مارس ، وكان هذا الاجتماع فيما يبدو حاسما فقد صرح الهضيبى قائلا : (ان الجماعة قائمة وانها أقوى مما كانت) .

وعندما حاولت التأكد تليفونيا من الافراج عن مصطفى النحاس وأحمد حسين وجدت انه لم يفرج سوى عن الأخوان فقط ، وعمدت صحيفة أخبار اليوم الى ابراز خبر اتصالى بالنحاس فى محاولة منها لأثارة الضباط ضدى وتصوير الأمر لهم بأن هناك ردة كاملة للماضى .

وأصبحت الحالة غير مستقرة وتحركت القوى المضادة ، ضــباط البوليس يعلنون (ان العودة الى الحياة النيابية مع وجود الاحتلال خدمة اســتعمارية) وقيــادة الحرس الوطنى ومنظمــات الشباب ينقلان قواتهما للقاهرة .

وصدر للاخوان المسلمين تصريح يوم ٢٧ مارس يقول (فيما يختص بعودة الأحزاب السياسية املنا الا يعود الفساد ادراجه مرة أخرى فاننا لن نسكت على هذا الفساد بل نؤيد بقوة حرية الشعب كاملة ولن تطلب تأليف أحزاب سياسية لسبب بسيط هو اننا ندعو المصريين جميعا لأن يسيروا وراءنا ويقتفوا أثرنا فى قضية الاسلام) .

وكانت جريدة الجمهورية قد نشرت خبرا جاء فيه (انه تقرر اعادة جماعة الأخوان المسلمين وان كل أثر لقرار حل الجماعة الصادر فى يناير الماضى قد زال) .

وهكذا اختار جمال عبد الناصر طريق الأخوان المسلمين فى هذه المرحلة ، وانه اشترى صمتهم باعادة جماعتهم ٠

وفى الساعة الثانية بعد منتصف ليلة هذا اليوم ٢٧ مارس فوجئت بسكرتيرى العسكرى محمد رياض يدخل على فى غرفة النوم يؤكد لى ان مظـــاهرات سوف تنطلق غدا هاتفة بسقوط الأحزاب والديموقراطية ، وأن هناك خطة لاثارة الناس عن طريق اضراب عمال النقل ٠

اتصلت بزكريا محيى الدين محذرا ، واستدعيت اللواء الباجورى وحكمدار القاهرة أحمد حسان وطلبت منهما ضرورة فض المظاهرات ، فطلبا منى أمرا كتابيا باطلاق الرصاص عليها ورفضت ذلك ٠

وامتلأ منزلى فى الصـباح بعدد من الضباط من مختلف الوحـدات يعلنون استعدادهم الكامل لتحريك قواتهم ضد مجلس القيادة أو اعتقال أفراده حيث هم ، وكان فى مقدمة هؤلاء القائمقام أحمـد شوقى ، وفى صعوبة شديدة استطعت أن أقنع الضباط بتأجيل ذلك الى حين العودة من الاسكندرية مرافقا للملك سعود الذى كان يزور القاهرة فى ذلك الوقت ٠

كان مفروضا أن يسافر جميع أعضاء المجلس مع الملك سعود ولكنهم تخلفوا جميعا عدا خالد محيى الدين وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم ، وفى المحطات التى وقف عليها القطار كانت هناك مظاهرات تهتف ضـد الديموقراطية ٠

وفى اليوم التالى قامت فى القاهرة مظاهرات مدبرة من جانب أعضاء المجلس ٠٠ ولم يكن أمامى سوى تشجيع الضباط الموالين لى للتصادم مع أعضاء المجلس أو الانسحاب بالاستقالة ٠

وفضلت القرار الثانى بعد جلسة امتدت طوال الليل مع الملك سعود وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر اللذين عارضا هذا القرار وطلبا منى البقاء فى موقعى واضطررت للاستجابة ٠

ودعت الملك سعود فى اليوم التالى وتعرضت لأزمة صحية ٠

وفى يـوم ١٧ أبريل ١٩٥٤ صدر قرار بتعيين جمال عبد الناصر رئيســا للوزراء ٠

وأصبحت بعد ذلك رئيسا للجمهورية بلا مسئولية تقريبا ، الى أن اعتدى الاخوان المسلمون على جمال عبد الناصر فى ميـدان المنشية يـوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ وأبرقت اليه فورا مستفسرا عن صحته وأرسلت له مندوبا ، ولكنى فوجئت بأن الصحف لم تنشر الخبر ٠

وذهبت اليه بعد عودته للقاهرة محتجا على عدم النشر ، فوجدته فى منزله مع محمد حسنين هيكل ، وكان اللقاء جافا وباردا ٠

وبعد أيام فوجئت وأنا فى مكتبى بقصر عابدين بحضور عبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم ليبلغانى أن مجلس الثورة قد قرر اعفائى من منصب رئيس الجمهورية ، ثم توجها بى الى المرج ٠٠ الى منزل كانت قد أعدته السيدة زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس ليكون استراحة لها ٠

وكان يـــوم ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ ٠

س ١٢ : كيف مضـــت بك الأمور بعـــد ذلـــك ؟

ج ١٢ : فى الأيام الأولى لتحديد اقامتى هجم بعض ضباط البوليس الحربى على أثاث المنزل فانتزعوه لأنفسهم ووصل أثاث منزلى ناقصا ٠

ولم أكن أغادر المنزل مطلقا الى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بالتحـديد حينما سمعت صوت انفجارات متتالية ، ثم أعقبها صوت أقدام جديدة تدخل المنزل ٠

حضر ضابطا البوليس الحربى جمال القاضى ومحمد عبد الرحمن نصير وأبلغـانى بأننى سأنتقل الى الهرم حمـاية لى من التعرض لغارات الأعداء ٠٠ ولكن عربة البوليس الحربى حملتنى أولا الى استراحة صغيرة فى مدينة الصف ، ثم سافرت فى اليوم التالى بالقطار الى نجع حمادى تحت حراسة مشددة فى ديوان مغلق ٠

وتعرضت للاهانة من ضابطى البوليس الحربى بطريقة تدل على انهيار الضبط والربط والتقاليد العسكرية ٠

لم أجد سبيلا للمقـاومة سـوى الاضراب عن الطعام فأضربت عنه يومين ، حتى حضر الصاغ حسين عرفة قائد المباحث الجنائية العسكرية وانتقلنا الى بيت محام فى طما عرفت فيما بعد أنه زوج شقيقة أحمد أنور وعديل حسين عرفة ٠

وبقيت هناك تحت حراسة مشددة مدة ٥٩ يوما عدت بعـدها الى القاهرة ، وبقيت حتى عام ١٩٦٠ لا أغادر المنزل مطلقا الا لزيارة الطبيب ثم صرح لى بعد ذلك بالخروج مع ضباط من الحرس ينتقلون معى الى كل مكان حتى الزيارات الخاصة ، واستمر الحال كذلك الى عام ١٩٧١ حيث أصبح من حقى الخروج وحدى بلا حراسة ٠

ملحـــوظة :

يمكن الرجوع الى كتاب محمد نجيب (كلمتى للتاريخ) الذى صاغه له كاتب هذه السطور ، للحصول على مزيد من التفاصيل والمعلومات ٠

احد كبار ضباط القسم السياسى

أعتذر عن ذكر اسمه

س ١ : ماذا كانت معلومات القسم السياسى عن حركة الضباط الأحرار ؟

ج ١ : كانت المعلومات المتوافرة لدى القسم المخصوص بوزارة الداخلية عن حركة الضباط الأحرار محدودة للغاية ٠ الا أنه من المعتقد أن الرئاسة كانت تتوقع قيام بعض ضباط الجيش بحركة ما ٠ خاصة بعد ما أسفرت عنه انتخابات نادى ضباط الجيش ثم تعيين اللواء حسين سرى عامر رئيسا للنادى ٠

وكان على رأس القسم المخصوص وقتئذ اللواء محمد ابراهيم امام الذى عين فى هذا المنصب خلفا للواء عمر محمد حسن ، وقبل قيام حركة الجيش ببضعة أيام كان اللواء امام يسأل ضباطه عما اذا كان لديهم معلومات عن قيام الجيش بحركة معينة ٠

ولم يكن القسم المخصوص بوزارة الداخلية ـ وهو الذى يرأس الأقسام السياسية بالمحافظات ومديريات الأمن عموما على مستوى القطر ـ لم يكن به سوى ٢٤ ضابطا ، وكانت المعلومات الهامة التى يصل اليها القسم تبلغ لبوليس السراى ، كما كان البعض يبلغ للسفارة البريطانية بصفة غير رسمية ٠

س ٢ ـ كيف تصرفت حركة الجيش مع البوليس السياسى ؟

ج ٢ ـ عقب قيام حركة الجيش ألغيت الأقسام السياسية بالمحافظات ومديريات الأمن كما ألغى القسم المخصوص بوزارة الداخلية ٠ وقد اعتقل بعض ضباطه للتحقيق معهم ثم أنهيت خدمات البعض الآخر ونقل الباقون للعمل بالشرطة المحلية ولم تبق الحركة الا على قلة لا يتجاوز عددها أصابع اليد وقد ألحقوا بالعمل بادارة المباحث العامة التى أنشئت لتحل محل الأقسام السياسية والمخصوصة ولتقوم بعمل الأمن السياسى ٠

وفى مبنى ادارة المباحث العامة أنشىء قسم خاص يضم بعض ضباط

الجيش برئاسة الصاغ محيي الدين أبو العز ، وكان هذا القسم حلقة الاتصال بين ادارة المباحث العامة ورئاسة الجيش كما كان يبلغ ادارة المباحث العامة بمختلف التوجيهات • وكان من الضباط الذين يعملون بهذا القسم اليوزباشي سامي شرف الذى نقل للرئاسة للعمل سكرتيرا للمعلومات بمكتب الرئيس جمال عبد الناصر •

وكان البكباشي رافت النحاس أول مدير لادارة المباحث العامة وسرعان ما اصطدم مع المرحوم جمال عبد الناصر (وكان يعمل وقتئذ وزيرا للداخلية بالنيابة) • فقد أصدر سيادته أمرا بالافراج عن معتقل بتهمة الشيوعية وهو الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ولما أبلغ الأمر للبكباشي رافت أوجأ تنفيذه حتى يعيد العرض على جمال عبد الناصر • الا أنه عندما علم بأن أمره لم ينفذ بعد أصدر أوامره للواء الباجورى وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن العام بعدم عودة رافت النحاس لمكتبه ونقل فورا لحكمدارية بوليس القاهرة للعمل بها فى أعمال الشرطة العادية •

وكانت السفارة الأمريكية بالقاهرة تهتم بتتبع النشاط الشيوعي لذلك عمد المسئولون بها الى توثيق صلتهم ببعض ضباط ادارة المباحث العامة خاصة المختصين بمكافحة النشاط الشيوعي ومن هؤلاء الصاغ أحمد حلمي رئيس قسم الشيوعية وقتئذ • وقد طلب الصاغ حلمي منحه اجازة للسفر الى فرنسا وسمح له بذلك الا أنه شوهد بمحض الصدفة بمعرفة بعض ضباط الشرطة المصريين الذين تصادف وجودهم بالولايات المتحدة الأمريكية واتضح ان الصاغ حلمي كان فى زيارة دراسة لادارة F. B. I. وهى الادارة المختصة بالأمن السياسى على المستوى الفيدرالى •

وعندما وصلت هذه المعلومات الى السيد زكريا محيى الدين وزير الداخلية وقتئذ أمر بالتحقيق معه ثم أمر باحالته للاستيداع • ثم أعيد الى الخدمة بعد فترة ونقل للعمل بالشرطة المحلية وعين محله الصاغ حسن المصيلحى •

وقد تعددت بعد ذلك أجهزة الأمن السياسى فأنشئت هيئة المخابرات العامة ومكتب الرئيس للمعلومات والمخابرات الحربية ومخابرات الطيران ومكاتب الأمن بالوزارات والرقابة الادارية وغير ذلك •

س ٣ : كيف كانت الصلة مع أجهزة الأمن السورية خلال عهد الوحدة ؟

ج ٣ ــ عقب قيام الوحدة فى فبراير سنة ١٩٥٨ أصبحت وزارة الداخلية مركزية أى تختص بأعمال الأمن فى الاقليمين الشمالى (سوريا)

والجنوبى (مصر) وقد أنشأت الوزارة المركزية مكتب اتصال فى دمشق برئاسة العقيد محمد سيف اليزل خليفة من ادارة المباحث العامة وكان معه عدد من الضباط المختصين بأوجه النشاط المختلفة لأعمال الشرطة فبعضهم من ادارة المباحث العامة ، والمباحث الجنائية ، والمخدرات ، والتزييف ، وأعمال الجوازات وكان هؤلاء الضباط لا يتجاوز عددهم ثمانية ٠ وكان الغرض من انشاء هذا المكتب أن يقدم ضباطه المعونة الفنية لضباط الاقليم الشمالى حتى يسير العمل على نهج موحد فى الاقليمين ٠

غير أنه مع مضى الوقت وايمانا من ضباط هذا المكتب بالواجب أخذوا فى موافاة القاهرة ببعض الأخبار الهامة التى تصل الى علمهم ٠

الا أن هذا التصرف لم يلق قبولا لدى البكباشى السراج وزير الداخلية بالاقليم الشمالى فاخذ فى مراقبة المكتب وضباطه الأمر الذى اغضبهم وكان سببا فى وقوع خلاف شديد بين العقيد سيف اليزل والسراج ٠ وقد طلب سيف اليزل عودته للقاهرة فأجيب الى طلبه لوضع حد للخلاف ٠

عقب عودة سيف اليزل عين مكانه العقيد محمود الحمزاوى من ادارة المباحث العامة وسافر الى دمشق لتسلم عمله ٠ الا أن هذا التعيين لم يلق قبولا لدى السراج لأنه رأى فيه امتداد لأعمال السلف ٠ لذلك أرجأ السراج مقابلته للحمزاوى بضعة أيام ٠ وكانت وجهة نظر السراج أنه محل الثقة التامة للرئيس جمال عبد الناصر وأنه يجب ان يكون وحده اذن الرئيس وعينه بسوريا وانه مؤمن بالوحدة ومن الداعين لها ٠

وكانت وجهة نظره هذه سببا فى وقوع خلاف بينه وبين وزارة الداخلية المركزية ثم مع المشير عامر بعد تعيينه نائبا للرئيس مفوضا بسلطاته فى الاقليم الشمالى ٠

وفى ٩ سبتمبر سنة ١٩٦١ أى قبل وقوع الانفصال بعشرين يوما وصلت معلومات لمكتب الاتصال من ضابط بالجيش السورى بأنه عرض عليه الاشتراك فى حركة تهدف الى الانفصال الا أنه ايمانا منه بالوحدة رفض الاشتراك كما رفض الافصاح عن اسمه ٠

وكانت الخطة تهدف الى قيام المصفحات من معسكر قطنة الذى يبعد عن دمشق حوالى ٣٠ كيلو مترا ثم تتجه الى الأركان العامة (رئاسة الجيش) وتحاصرها ثم تتقدم الى المشير بطلباتها وتفرضها عليه ٠

بادر مكتب الاتصال بابلاغ هذه المعلومات الى المشير باستراحته المجاورة للأركان العامة الا أنه أشر على التقرير « ما المصدر » ٠

واشتد الخلاف بين السراج والاتحاد القومى من ناحية والمشير من ناحية أخرى وقد وصلا للقاهرة بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر وانتهى بقبول استقالة السراج ٠

وكان مكتب الاتصال قد بعث الى القاهرة بتقرير عن الموقف بالاقليم وانه على فوهة بركان الا أن التقرير لم يلق أى اهتمام ٠

محـمود الشريف :

وكيل وزارة الاعلام السابق فى قطر

س ١ : ما هو نشـاطك السـياسى قبل حـركة الجيش ؟

ج ١ : كنت قائد المتطوعين من الأخوان المسلمين فى غزة ، وكـان هناك متطوعون فى مختلف أنحاء فلسطين منهم الشيخ سيد سابق والشيخ محمد فرغلى ويوسف طلعت وحسن دوح ونجيب جويفل ٠

اشتركنا فى معركة كفار دروم التى سقط فيها ١٢ قتيلا ، وتعرف شفيقى كامل الشريف بجمال عبد الناصر أثناء حرب فلسطين ، واستمرت العلاقة قائمة بينهما بعد الحرب ٠

س ٢ : لماذا لم تسـتمر العـلاقة وطيدة بين الاخوان المسلمين وحركة الجيش رغـم الصلة التى كانت قائمة بين تنظيم الاخـوان ومعظم الضباط الأحرار ؟

ج ٢ : عقب حركة الجيش حدث انقسام فى صفوف الاخوان المسلمين محوره قضيتان :

أولا : التعاون مع الانقلاب ٠

فئـــة أيدت ذلك من حســن العشماوى ومنير الدلة وأحمـد حسـن الباقورى ٠

وفئـــة رفضت ذلك من حسن الهضيبي وسـعد الوليلي ويوسف طلعت والشيخ محمد فرغلي وعبد القادر عودة وابراهيم الطيب ٠

ثانيا : بقاء النظام السرى أو زواله ٠

كان هناك رأى ينادى بابقاء النظام السرى باعتباره آنشىء لحمـاية الجماعة فى ظل نظام لا يعتمد على القانون ، والانقلاب نظام عسكرى قد يبطش ٠

ورأى ينادى بالغاء النظام السرى حيث ان النظام العسكرى القائم سوف يستدرجه وجود الجهاز السرى فيعجل بالضربة الموجهة الى الجماعة ٠

وقد استمر الحوار قائما بين جمال عبد الناصر وعبد القادر عودة وكامل الشريف لايجاد صيغة من التعايش حتى انقطع الحوار من جـانب جمـــال عبد الناصر ٠

وخلال ذلك كنا قد شـكلنا مجموعات من البدو للاغارة على خطوط مواصلات العدو الاسرائيلي وقد امتد عملها من أوائل ١٩٥٣ الى أكتوبر ١٩٥٤ ٠٠ وقد اعتقل بعض هؤلاء ، ووجهت لى تهمة (تكوين مجموعات لمهاجمة اسرائيل حتى ترد اسرائيل على الجيش المصرى لتيسير الظروف الملائمة لانقلاب اخوانى فى مصر) ٠

ولكنى استطعت التسلل الى القدس متنكرا حيث تجنست بالجنسية الأردنية بعد سقوط الجنسية المصرية ٠

وكان الاخوان قد بدأوا عملية الهجرة من مصر فخـرج عبد المنعم عبد الرؤوف عن طريق السواحل المصرية الى بيروت ثم الأردن حيث عقد مؤتمرا هاجم فيه مصر ٠

وكان شقيقى كامل الشريف موجودا فى الخـارج بعد آن أختـير أمينا عاما للمؤتمر الاسلامى فىالقدس ، ثم تجنس أيضا بالجنسية الأردنية بعـد سحب الجنسية المصرية ، وأصـبح سـفيرا للأردن فى نيجيريا ثم الباكستان ٠

وقد أدت ضربة الحركة العسكرية للاخوان الى اضعافها فى الوطن العـربى ، لان مصر كانت بمثـابة القلب للحركة ، كمـا أن قيام الحركات العسكرية المتتالية فى سوريا والعراق والسودان أضعف تنظيم الاخوان ٠

محمود أمين العالم

كاتب

ورئيس مجلس ادارة أخبار اليوم سابقا

س ١ : هل كانت لك ارتباطات مباشرة بثورة يوليو ؟

ج ١ : أول صلة مباشرة كانت دعوة أحمد حمروش لى للعمل فى مجلة (الفجر) مع مجموعة من الزملاء الصحفيين ، ولكنه رغم اعدادنا لها فانها لم تصدر ، وانتقلت للعمل مع خالد محيى الدين فى جريدة المساء .

كنت فى ذلك الوقت عضوا فى الحزب الشيوعى الموحد الذى كان يتنازعه تياران تختلف نظرتهما الى ثورة يوليو ، الأول يعتبرها برجوازية كبيرة أقرب الى الاستعمار ويغلب الصراع الديموقراطى على الوطنى ، والآخر يعتبرها برجوازية وطنية صغيرة ويغلب الصراع الوطنى على الديموقراطى .

وبعد أربعة شهور من تكوين الحزب فصل كمال عبد الحليم وشهدى عطية الشافعى ومبارك عبده فضل وأحمد الرفاعى ، وأصبحت اللجنة الدائمة للحزب مشكلة من الدكتور فؤاد مرسى وأبو سيف يوسف ومنى .

ثم بدأت خطوات وحدوية أخرى انتهت الى تشكيل (الحزب الشيوعى المصرى) عام ١٩٥٨ ، وفى هذه الأثناء حدثت أول مقابلة رسمية بين الثورة والحزب الشيوعى .

كانت المقابلة قد تمت من خلال دكتور يوسف ادريس بيني ممثلا للمكتب السياسى للحزب وبين أنور السادات في منزله بالهرم فى أكتوبر ســـنة ١٩٥٨ ·

استمرت المقابلة من العاشرة مساء حتى الرابعة صباحا ، وكانت جادة وجافة ، دعـا فيهـا أنور السادات الى حل الحزب ودخول الاتحاد القومي كأفراد ، وقلت له أننا على استعداد للتعاون بشكل تنظيمي داخل الاتحاد القومى محتفظين بمنبرنا المستقل ·

تباينت ردود الفعل على نتائج المقابلة ، وبعدها بيومين تم اعتقـال عدد محدود فطلبت مقابلة السادات ، ولكنه لم يقابلني ، فطلبت من يوسف ادريس ابلاغه عن تفسير مدلول هذه الاعتقالات ، وجاءني الرد منه قائلا ان هذا ليس أسلوبه في التعامل ·

عقب المقابلة بدأت ترتفع فى اجتماعات الاتحاد القومي شعارات فيها لون من المعارضة ·

ثم اعتقلت مع غـيرى من الزملاء في ليـلة رأس السنة عام ١٩٥٩ وبقيت بالمعتقل حتى أفرج عنى عـام ١٩٦٤ حيث تم الافراج عن آخر دفعة في يونيو ١٩٦٤ ·

دخلت بعد ذلك تنظيم (طليعة الاشتراكيين) أو الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى وعينت فى أمانتها مع أمينها العام شعراوي جمعة عندما كانت تضم أمين هويدى وأحمد حمروش وسامى شرف وعبد المجيد فريد وعبد المعبود الجبيلى وأحمد كامل وأحمد شهيب ومحمد فايق وعلى السيد على ويوسف غزولى ومحمد عروق وحلمى السعيد وكمال الحناوى ·

عينت أثنـــاء ذلك رئيســا لمؤسسة المسرح ثم رئيســا لمجلس ادارة أخبـــار اليـــوم ·

وبعـد العـدوان تغير تشـكيل الأمانة فأضيف اليها وجيـه أباظة وعبـد اللطيف بلطية وخـرج أحمد حمروش وعبد المعبود الجبيلي وأمين هـــويدى ·

مصطفى مرعي
محام

س ١ : كيف كنت ترى حالة مصر السياسية قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : يمكن تلخيص الحالة التي كانت تسود مصر في ثلاث نقاط فراغ فكري ، وأحزاب ضعيفة ، وحرية تسمح بتوجيه الطعنات ٠

وقد اتصل الأمريكيون بي ثلاث مرات ولكنني رفضت الالتقاء معهم لعدة أسباب هي :

أولا : أنني كنت ضد الملك ولست ضد النظام ٠

ثانيا : أنني مع الديموقراطية وضد الحكم الفردي ٠

ثالثا : أنني لم أوافق على فكرتهم لاصدار قانون اصلاح زراعي ٠ ولكنني أبلغتهم أن عندي تطوير لمشروع محمد خطاب الذي تقدم به لمجلس الشيوخ ٠

رابعا : أنني رفضت عرضهم الخاص باعطائي أموالا للصرف منها على جريدة ٠٠ وقد اتصلوا أثناء ذلك بوزير مستقل في الوزارة الوفدية أصدر جريدة تطبع ١٠٠ر٠٠٠ نسخة ولا توزع شيئا ٠

وكنت قد استقلت من وزارة حسين سري لانني كنت قد خفضت حكما بالسجن على الدكتور أحمد شكري سالم زوج الدكتورة لطيفة الزيات السابق في قضية شيوعية من ٧ سنوات الى ثلاث سنوات بعد مراجعة قانونية بصفتي وزير الدولة المسئول ، وقد وافق حسين سري رئيس الوزراء على ذلك . ثم اعترضت السراى فشطب رئيس الوزراء كلمة (أوافق)

فالمطواة ، فصورت المستند ، ورفضت العمل مع رئيس متهم بالتزوير ، وكتبت له خطاب استقالة ·

س ٢ : هل اتصل بك بعض الضباط أثناء تقديم استجوابك الشهير ، وما هى قصة هذا الاستجواب ؟

ج ٢ : كان محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة قد قدم استقالته لانه أخذ بعض الملاحظات على مسلك وزارة الحربية في موضوع الأسلحة الى جانب حصول كريم ثابت على مبلغ ٨٠٠٠ جنيه من ميزانية مستشفى المواساة تحت باب (دعاية) ، وعندما أرسل التقرير الى المطبعة الأميرية ردت له البروفات ·

قدمت سؤالا فى مجلس الشيوخ حول هذا الموضوع الى جانب سؤال سابق عن القوات المسلحة البريطانية التى ترامى الى أنها زادت عما هو مقرر لها فى معاهدة ١٩٣٦ ثم حولت السؤال الى استجواب ، حددت له جلسة في مايو ١٩٥١ ثم استماتت الحكومة لتأجيله الى آخر الشهر ، وتبنى الاستجواب ٤٠ عضوا من المجلس فاستماتت الحكومة مرة أخرى للتأجيل ، ولكن المجلس رفض ، وقمت بتوضيح رأيي والحديث من السابعة مساء الى الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل ، وقرر المجلس تشكيل لجنة تحقيق ·· وقد سافرت فى صباح اليوم التالى الى أوربا لارتباطى بموعد سابق ·

وقبل ذلك كان قد حضر لى ضابط لا أعرفه هو قائد الجناح عبد اللطيف بغدادى ، وأظهر لى استياء الجيش من الحالة السياسية مقترحا قتل الملك ولكنه ـ كما قال ـ يريد معرفة تبعة ذلك السياسية ·

وقد عاملت البغدادى بتحفظ فلم تكن لى به معرفة خاصة ، تجعلنى أمنحه الثقة ·

وبعد ذلك أصدرت الحكومة مرسوما باخراج ٣١ عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ كان منهم رئيس المجلس محمد حسين هيكل وأنا ·

س ٣ : هل قامت اتصالات جديدة بينك وبين ضباط الجيش بعد نجاح حركتهم ؟

ج ٣ : شكل على ماهر وزارته الأولى بعد الحركة من معظم أعضاء وزارته التى أقالها الملك فى بداية عام ١٩٥٢ وكأنه يرد بذلك على اقالته له ، وكان ذلك خطأ كبيرا لان الوزارة جاءت ضعيفة غير مقنعة ·

وقد قال على ماهر (ان السياسة فن الممكن ، وأن الوزراء يستطيعون أن يوجهوا ضباط الاتصال المنتشرين فى كل الوزارات ، ولكن ذلك كان خطأ أيضا حيث أصبحت هناك ازدواجية فى المسئولية ، ولا يجوز أن ندع المرونة تجرنا الى الميوعة) .

وكان على ماهر هو الذى عين سليمان حافظ مستشارا عام ١٩٣٩ وهو الذى اعتمد عليه مع السنهورى فى اعداد الوثائق الرسمية لعزل الملك ، ثم أصبح سليمان حافظ نائبا لمحمد نجيب عندما عين رئيسا للوزراء .

وفى عام ١٩٥٣ ، اتصل بى محمد نجيب وطلب مقابلتى فى ثكنات قصر النيل حيث عرض على عضوية لجنة الخمسين التى رأسها على ماهر لوضع الدستور الجديد ، وعندما سألته عما اذا كانوا جادين فى ذلك قال لى : (وشرفى العسكرى هذا قصدى) ، وأذكر أنى قابلت فى هذا اليوم عبد اللطيف بغدادى الذى عرفنى بنفسه .

وعندما توالت الأحداث واعتدى البعض على الدكتور السنهورى رئيس مجلس الدولة ، وحلت نقابة المحامين بعد حل نقابة الصحفيين وتعيين فكرى أباظة نقيبا .. أذكر انه حضر لى فتحى رضوان عارضا على منصب نقيب المحامين باعتبارى مرشحا لذلك مع اثنين آخرين هما الدكتور على بدوى وعبد الرحمن الرافعى .

رفضت وقبل عبد الرحمن الرافعى .

ولم تتم لى بعد ذلك صلة برجال الحركة من الضباط ، وان كنت قد ترافعت فى قضية حمصى التى اتهم فيها بتهريب ١٠٠٫٠٠٠ جنيه ، واعتمد الاتهام على تسجيلات غير قانونية .

استندت الى حكم لمحكمة النقض بأنه لو ارتكب رجل البوليس جريمة انتهاك حرمة المنزل لضبط التلبس ، فان التلبس يعتبر لاغيا لعدم شرعيه مصدر الاستدلال .

واستندت أيضا الى أن عمر بن الخطاب خرج يعس ليلا خلف الأبواب فسمع رجلا وامرأة يشربان الخمر . واعتبر ذلك عملا غير شرعى حيث هذه الآيات (لا تدخلوا البيوت الا من أبوابها) ، (لا تدخلوا حتى تسلموا) ، (لا تجسسوا) .

وكان سليمان حافظ قد فرض أول حراسة فى مصر على بنك حمصى وهو أمر لم يكن معروفا الا حراسات الحرب تبعا للقانون الدولى .

وقد اعترضت على وضع الحراسة على أمواله وأموال اخوته ، وصدر الحكم بالبراءة فعلا ، وكانت النتيجة نقل المستشار عبد الوهاب حسن الى جرجا والضباط الذين شاركوه في المحكمة ٠

أما حمصى فقد حكم عليه بالسجن سنتين بعد أن قلت لهم (هل حضر حمصى للمحكمة لكى يحاكم أم يحكم عليه ؟) ٠

مـــراد غـالب
وزير الحربية السابق
وسفير مصر فى يوغوسلافيا حاليا

س ١ : ما هى بوادر صـلاتك الأولى مع ضباط الجيش قبل حركة ٢٣ يوليو وعقب انتصــــارها ؟

ج ١ : اتصلت بعزيز المصرى الذى كان رائدا للملك فاروق فى انجلترا ثم عاد وتركه تحت ضغط أحمد حسنين • وكان عزيز المصرى هو الذى فضح قدسية الملك والأسرة المالكة والنظام الحزبى القائم وتهافت الأحزاب على ارضـــاء السراى وقد فضح عزيز المصرى بتفاصيل بشعة تعفن النظام مما حطم أمامنا أسطورة الملك والملكية •

ومن أهم مميزات عزيز المصرى ولعه بالثقافة فقد كانت عنده مكتبة ممتازة وكثيرا ما وجهنا الى قراءة مؤلفات معينة عسكرية وفلسفية وتاريخية كما كان يسأل بانتظام عما قرأناه ويناقشنا فى المشاكل المختلفة •

والى جانب ذلك كان ممتازا فى الناحية العسكرية لتجاربه فى حرب البلقان وليبيا وشبه الجزيرة العربية والأمبراطورية العثمانية الأولى •

وكان عزيز المصرى وطنيا ولكنه كان غير واضح اجتماعيا وسياسيا مثله الأعلى البروسيه الألمانية •

وخلال صلتى بعزيز المصرى تعرفت بعدد من ضباط الجيش منهم جمال عبد الناصر الذى تعرفت عليه من خلال أصدقائى كمال رفعت وصلاح دسوقى وحسن التهامى وطلعت السيد وكانت أفكارنا فى أول الأمر تتجه نحو اغتيال الخونة وجواسيس السراى •

وعندما قامت حركة الجيش عرضوا على عزيز المصرى أن يكون سفيرا فى المانيا ولكن توترت علاقاتنا مع المانيا الغربية نتيجة لمساعداتها لاسرائيل فعرض عليه موسكو وعين فعلا فى أغسطس ١٩٥٣ واختارنى للعمل معه فى السفارة رغم مهنة الطب التى درستها وكنت أعمل وقتئذ مدرسا فى كلية الطب جامعة الاسكندرية ٠

ولقد كانت تعليمات جمال عبد الناصر لنا أن نتقدم بطلب أسلحة من الاتحاد السوفيتى وبترول وذلك لان الصراع كان حادا مع المحتلين الانجليز وكان هناك خوف من قطع بترول السويس عنا ٠

وفاتحنا السوفيت فى موضوع الأسلحة ولكننا لم نتقدم بطلبات محددة لان قرار القاهرة لهذا التحول لم يكن قد نضج بعد ، كما أن تقديرات جمال عبد الناصر ترى أن هذا التحول قد يثير علينا الانجليز والأمريكان وقد يؤدى الى محاولة يائسة من جانبهم للقضاء على الثورة وكان من تقديراته أيضا أن السوفيت ما كانوا ليقبلوا وقتئذ اعطاء الأسلحة ٠

ولكن الموقف تبدل تماما بعد غارة الاسرائيليين على غزة فى فبراير ١٩٥٥ وموقفنا المبدئى من حلف بغداد واشتراك جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج فى ابريل ١٩٥٥ واتجاه سياستنا الى عدم الانحياز وجاء مؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى فى فبراير ١٩٥٦ الذى قرر دعم حركات التحرير والانفتاح على شعوب آسيا وأفريقيا وهنا بدأت تلتقى وجهات النظر السوفيتية المصرية وتتحول المطالبة بالأسلحة الى الاتفاق المشهور وصفقة الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا ٠

س ٢ : عينت سفيرا فى الكونغو بعد ان كنت وكيلا لوزارة الخارجية ، ما هى الأسباب الدافعة لذلك ؟

جـ ٢ : كان جمال عبد الناصر حريصا على علاقته بحركات التحرير الوطنى فى افريقيا ولا يزال عدد كبير من زعماء شرق أفريقيا يذكرونه كقائد كبير لهذه الحركات وأخ أكبر لهم ٠

وجاءت أحداث الكونغو فى يوليو ١٩٦٠ وسرعان ما تحولت الساحة الكونغولية الى المركز الرئيسى الساخن عالميا وأفريقيا وتركزت حوله جميع أنواع الصراعات وعلى رأسها الصراع بين القوتين الأعظم ٠

وكنا فى هذه المرحلة نمر بفترة خلافات مع الاتحاد السوفيتى وكانت الدعاية ضد جمال عبد الناصر قد أخذت تتسع على أساس أنه متواطىء مع

الأمريكان وأنه تخلى عن سياسته الثورية ولكن أحـداث الكونغو أثبتت عكس ذلك ٠

فقد كان أمام عبد الناصر اختياران :

الأول : أن يهادن الاستعمار باعتبار أن المعركة مكسوبة للدول الغربية لا محالة وكان هذا يعنى تأكيد الاتهامات الموجهة اليه دون الحصول على مكاسب تذكر ٠

والثاني : تأييد حركة تحرير الكونغو ومؤازرة لومومبا والاستمرار فى دور مصر القيادى البارز فى افريقيا ٠

وقد اختارت مصر الطريق الثانى وأؤكد أن كل ما صرفناه فى هذه الفترة لا يزيد عن ٦٧٠٠٠ دولار ٠

س ٣ : هـل كان لـك دور فى حـركة الوحدة بين مصر وسوريا ؟

ج ٣ : لم يكن لى دور فى حركة الوحدة مع سوريا سوى مهمة سرية كلفنى بها جمال عبد النـاصر فى ديسمبر ١٩٥٧ لتقييم الموقف عامة ودعم القوى الوطنية السورية التى كانت تنادى بالوحدة مع مصر ووسائل ايصال هذا الدعم لهذه القوى ٠

★★★

(اعتذر الدكتور مراد غالب عن الاجابة على الأسئلة التى تتضمن صلة مباشرة بعمله سفيرا لمصر فى الاتحاد السوفيتى لمدة ١٢ عاما وذلك لان ما يعرفه يدخل فى نطاق أسرار الدولة التى لا يحق له الحديث عنها) ٠

الاســـم :	منـــير موافى
تاريخ الميلاد :	أول فبراير ١٩٣٢
مهنة الوالد :	موظف ببنك مصر
الأمـــلاك	٣٠ فدانا ومنزلان فى المنصورة
متخرج فى :	الكلية الحربية ١٩٥٢
الرتبة وقت الحركة :	ملازم ثان
آخر منصب :	نقيب بسلاح الحدود
العمل الآن :	مدير علاقات عامة بروز اليوسف

س ١ : ما هو نشاطك السياسى مرتبطا بحركة الجيش ؟

ج ١ : تخرجت فى الكلية الحربية عام ١٩٥٢ ، وكنت قبلها قد ارتبطت أثناء دراستى الثـــانوية بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) ، والتى قمت بتوزيع منشوراتها فى الجيش خلال أزمة مارس ١٩٥٤ ، وقد أبعدت بعدها الى ادارة التجنيد ٠

وعقب تأميم القنـــال عـــام ١٩٥٦ ، استدعيت الى اللواء ٩٧ مشاه الاحتياطى ، بقيادة القائمقام عبد الرحيم قدرى حيث ذهبنا الى سيناء يوم ٢٨ أكتوبر (قنطرة شرق) ، وبعد ساعات صدر لنا الأمر بالانسحاب الى غرب القناة فى منتصف الليل ٠

وفى يوم ٣٠ أكتوبر تحركنا الى بور سعيد حيث كانت هناك حراسة على المرافق العامة فقط وكذا على الكباين بطول الساحل ٠٠ وكانت هناك الى جانب اللواء ٩٧ الكتيبة ٤ بنادق مشاة ومدفعية ساحلية ومدفعية مضادة للطائرات متخذة مواقع دفاعية لا تتناسب مع طبيعة القتال فى المدن ٠٠

وقد ضاعفت الغـــارات المعـــادية من مشاكل الاعاشـــة والذخيرة غير الكافية أصلا ٠

وعنـــدما نزلت القوات البريطـــانية فى الجميـــل تبعثرت القوات العسكرية نتيجة انهيار القيادة المسئولة (عبد الرحيم قدرى) ، وعـــدم وجود تنسيق مبكر بين قوات المقاومة الشعبية وقوات الجيش ٠

قامت مظاهرات تطلب توزيع السلاح ، فوزعنا السلاح الواصل فى القطارات من القاهرة وهو ما زال فى شحمه تحت غارات الطائرات .

هبط الانجليز بالمظلات واستولوا على مشارف المدينة وعزلوها ، وأصدر قائد المحطة القائمقام صلاح الموجى أمرا بوقف اطلاق النار ، ولكن اشارة وردت من المشير تطالب بعدم التسليم والاتجاه غربا لوجود امدادات .. وقد حاول صلاح الموجى الغاء أمر وقف اطلاق النار الذى سبق أن أصدره ، ولكنه لم ينجح ، ومن المؤسف أن هذه الاشارة قد استلمها المسئولون فى فندق (البيت الحديدى) حيث كان معظم الضباط قد تجمعوا هناك .

كان هناك كثير من الضحايا نتيجة الغارات الكثيفة وانهيار معنويات (بعض) الناس وتعاونهم مع الانجليز (سخطا) على قفل القناة .

قام الانجليز بتوزيع بعض المأكولات ، وفتحوا مخازن الترانزيت وتركوا الأهالى تدخل لتأخذ ما تشاء ، حيث قاموا بتصويرهم وتسجيل أحاديث معهم وارسال الأفلام لعرضها فى لندن .

وكما انهار صلاح الموجى وعبد الرحيم قدرى ، انهار أيضا قائد المقاومة الشعبية (صاغ الغريب الحسينى) ويوزباشى عبد المنعم الحديدى (قائد الحرس الوطنى) .. وقد فصل الأربعة من الجيش بعد جلاء القوات المعتدية .

ولكن هذا الموقف المشين من بعض الضباط لم يكن يعنى انهيارا كاملا للموقف ..

بدأت المقاومة الشعبية تجمع الأسلحة الملقاة من الجنود والأهالى وتخبئها فى بيوت بعض الأهالى وفى البيوت المجاورة المهجورة فى عزبة فاروق والقابوطى .

وأثناء ذلك جمعت أوراق غرفة العمليات ونقلتها للحى الشعبى فى منزل كان يختبىء فيه البكباشى حمدى عبيد واليوزباشى محمد أبو نار ، حيث طلبا منى العودة الى بور سعيد لتثبيت معنويات الضباط هناك .

وكان المسجونون فى سجن بور سعيد قد خرجوا بعد ضربه بالقنابل .

بدأت بعض عمليات اغتيال للخونة ، ولكن أغلبية الناس كانت مرهقة وتعبانة فقررت العودة لحمدى عبيد الذى حولنى الى شمس بدران الذى كان يفتش على الحرس الوطنى فى المنصورة .. وأبلغته أن الوسيلة

الوحيدة هي دخول الشيوعيين الى بور سعيد ، وقد رجع شمس بدران للقاهرة تليفونيا ثم وافق على ذلك ٠

ذهبت الى معسكر الشيوعيين حيث كان أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلا مع قائد المعسكر صلاح زعزوع وطلبت منهم الدخول معنا لبور سعيد فرحبوا بذلك ، وكانت المخابرات العامة وقيادة القوات المسلحة هي التي تقوم بتمويل عمليات المقاومة ٠

طبع الشيوعيون منشورات وضع تصميمها الفنان حسن فؤاد ، وبدأوا عملهم السياسي حيث استجابت لهم الجماهير استجابة حارة وشكلت الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية ٠

وبعد فترة وصل عدد من الضباط أذكر منهم محمد أبو نار ومحمد فايق وسعد عفرة ٠٠ ووصلت قوات صاعقة بقيادة جلال هريدى ، اعتقل سبعة ضباط منهم في أول يوم ٠٠ وبدأ التنسيق مع المقاومة الشعبية التي أصبحت واقعا حقيقيا ٠

وبعد جلاء قوات العدوان ، وصل عبد اللطيف البغدادى ، وأصدر أمرا بجمع السلاح من الأهالى الذين استجابوا لذلك بعد حصولهم على شهادة تقول (أشهد أنا الملازم منير موافي ان (فلان) كان يعمل في المقاومة الشعبية وأدى دوره بشجاعة واخلاص) ٠

وعدت بعد ذلك الى عملي في الجيش الى أن أعتقلت في يناير ١٩٥٩ مع حملة اعتقالات الشيوعيين ٠

س ٢ : هل كان هناك قسم للجيش في الحزب الشيوعي ؟

ج ٢ : لا ٠٠ لم يكن هناك قسم للجيش ، وكانت ارتباطاتنا فردية مع أفراد من اللجنة المركزية ٠

الاســـم :	**يوسف منصور صديق**
تاريخ الميلاد :	**٣ يناير ١٩١٠**
مهنة الوالد :	**ضابط فى الجيش**
الأمـــلاك	**لا شيء**
متخرج فى :	**المدرسة الحربية عام ١٩٣٣**
الرتبة وقت الحركة :	**بكباشى**
آخر منصب :	**عضو مجلس القيادة**
العمل الآن :	**توفى الى رحمـــة الله فى ٣١ مارس ١٩٧٥**

س ١ : ما هى صــلاتك السياسية قبل حركة الجيش ؟

ج ١ : اندلعت ثورة ١٩١٩ وأنا فى بداية المرحلة الأولى من التعليم وسمعت سعد زغلول يخطب فى بيت الأمة عام ١٩٢٤ وانفعلت به انفعالا شديدا وقررت أن أشترك فى أية مظاهرات أصادفها رغم تحذير ولى أمرى لى بالبعد عنها (والمشى جنب الحيط) ، وذلك لان والدى كان قد توفى وعمرى سنة واحدة ٠

ودخلت المدرسة الحربية عام ١٩٣٠ بعد أن حصلت على البكالوريا من مدرسة بنى سويف الثانوية ، وما زلت أذكر نشيدا كان يردده الطلبة ويتوارثونه دفعة بعد أخرى :

شمال يمـين شمال يمـين
ثلاث سنين فى الحربية
شغل كتير وراحة مافيش
وصنف حريق ونبطشية

وكان جيش (جـلالة الملك) ممنوعا من التدخل فى السـياسة أو الاشتغال بها الى الحد الذى كان محرما علينا فيه قراءة مجلة معارضة ، وكان كبير المعلمين وعدد من المدرسين انجليز حيث كان (سبنكس باشا) هو قائد الجيش ٠

وعندما تخرجت عام ١٩٣٣ عينت في (أورطة) أي كتيبة بالسلوم وصدمني أن كبار الضباط كان معظمهم لصوصا ، وذلك اني رفضت التوقيع على محضر ما يسمى (لجنة حلو) لعمل (مهلبية) وهمية للجنود وصرف ثمن السكر والدقيق لكبار الضباط وكانت مع الأسف لا تتجاوز جنيهين ٠٠ وكنت في أيام عملي الأولى وقد صدمني أن يكون الضابط لصا ، ولذا كتبت استقالة وقدمتها للقائد دون أن أعرف ماذا سيكون عليه مصيري ٠٠ ولكن الملازم أول عبد المنعم الرشيدي وكان أقدم ملازم أول في الجيش وليس في كتيبتنا أسرع الى مكتب القائد وسحبها وجاء الى فوجدني في حالة سيئة ولكنه حدثني حديثا مقنعا جعلني أرضى عن سحب الاستقالة ٠

وبقيت في جيش (جلالة الملك) بعد أن اكتشفت خلال الشهور الأولى من خدمتي أن الانجليز لا يمثلون أعداءنا الوحيدين ، ولكن هناك أعداء لنا من بيننا بدأت مشاعري وأحاسيسي تختزن لهم كراهية ووضعتهم في صف الأعداء ٠

وكان دخول المدرسة الحربية حتى عام ١٩٢٨ بالابتدائية الأمر الذي جعل معظم كبار الضباط متخلفين من ناحية التعليم ، بل انه كان هناك قرار بأن يحمل الضباط أختاما للتوقيع بها على الأوامر ٠٠ ولذا حدثت هوة سحيقة بين قدامى الضباط الذين يتولون القيادة وبين الضباط الأحداث من حملة البكالوريا والذين ذهب بعضهم في بعثات دراسية لانجلترا ٠

وفي عام ١٩٣٦ وقعت المعاهدة التي أنهت قيادة الانجليز للجيش واستبدلت ذلك ببعثة من الجيش الانجليزي تشرف على تعليم الجيش وتدريبه ، وكان بعض أعضائها يحصلون على رتب الضباط وهم صف ضباط في الجيش البريطاني ، واذا خرجوا من البعثة يعودان الى رتبهم القديمة ، وكان محمد شكري باشا هو أول مصري يتولى قيادة الجيش وكان القائمقام يحصل على رتبة البكوية أما اللواء فيحصل على الباشوية ٠٠ ولكن باشوات الجيش كانوا أقل ثراء من الباشوات المدنيين الذين كانوا لا يحصلون على الرتبة الا بعد مواصفات معينة ولذا كانوا يرددون دائما اسم (باشا جيش) كنوع من السخرية ٠

وأذكر أنه عندما عين ابراهيم باشا عطا الله رئيسا لأركان حرب الجيش أن أحيل الأميرالاى عبد الواحد سبو الى الاستيداع لوقوفه موقف المعارضة من موضوع شراء عربات للجيش من شركة معينة نظير عمولة كبيرة ، وأقيمت حفلة وداع حضرها عدد كبير من الضباط وقلت فيها قصيدة شعر جاء فيها :

ما للوجوم علا الوجوه وشــاعا

وتطيرت تلك النفوس شعاعا

حتى كأن القــوم أول مــرة

شهدوا جهاد المخلصين مضــاعا

(وبدأت البحث عن تنظيم ارتبط به وأصب فيه طاقتى وأفكارى .. اتصلت بالاخوان المسلمين ولكنى انشققت عليهم لجمودهم العقائدى الذى لا يرضى ما أخذته فى نفسى من ثورة .. ولم يدم اتصالى بهم آكثر من شــهور .

ثم اتصلت بالشيوعيين فى النصف الثانى من الأربعينيات وكنت مقدرا لدور الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية وصلابة مقاومته ، وكان اتصــالى مع اليوزباشى أحمــد حمروش ضابط المدفعية الذى كان مسئولا سياسياً لقسم الجيش فى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) وقد أعجبنى فى الشيوعية أنها تغرس حب العدل فى النفوس وتعمل لتحقيق السلام على الأرض . واقامة المحبة والتعاون بين الناس ، فهى لا تفرق بين الناس لأنسابهم ولا أحسابهم ، وانما تعمل على الغــاء استغلال الانســان للانســان ... ولم أشــعر لحظة أن فى تطبيق هــذه المبادىء ما يتعارض مع عقيــدتى الدينية ، فقد داس الاســلام تيجان الأكاسرة والأباطرة بأقدام الشعوب ... وفى سيرة رسول الله أن عمرا زاره فوجده ينام على فراش خشن أثر فى جلده ، فأشفق عمر رضى الله عنه وقال (يا رسول الله هل اتخذت لك فراشا لينا ؟ فأجاب الرسول صلوات الله عليه (ويحك يا عمر انها نبوة لا ملك) .

وبقيت عضوا فى قسم الجيش بحدتو حتى قامت ثورة فلسطين التى اكتشف الضباط فيها انهم يدفعون أرواحهم لتنفيذ السياسة التى يحرم عليهم الاشتغال بها .

وقد وصلت الأمور بعد اعتقال عدد من قيادات حدتو الى الحد الذى كنت آكتب فيه المنشورات مع أحمــد حمروش باليد فى منــزلى بثكنات العباسية ، وكانت تشاركنا فى ذلك زوجتى لانى كنت مؤمنا بأهمية أن تكون الزوجة على اقتناع بما يؤديه زوجها ، وأن يكون لها دور فى الحياة لا يقل عن دور الرجل ... وقد حدث فى ذلك الوقت أن اتصلت بضباط من الحرس الحديدى وتحدثت معهم صراحة فنقلت الى السودان) .

كنت أعتقد دائما أن الجيش هو الملاذ الوحيد الذى يستطيع أن يحل المشكلة واذكر أننى قلت شعرا فى احتفال أقيم بمناسبة اهداء وســام

بريطانى الى مصر اعترافا بدورها فى كسب الحلفاء للحرب والدفاع عن قناة السويس وحضره كبار رجال الوفد ومنهم مكرم عبيد جاء فيه :
ضعوا الأقلام وامتشقوا الحساما

فرب السيف قد حمل الوساما
وقولوا للذى يرجو خلاصا
بتنميق الكلام كفى كلاما
هى الدنيا صراع لا اقتناع
بغير الجيش لن نحيى كراما
ومن نادى بغير الجيش يهذى
وعن نور الحقيقة قد تعامى

وفى يوم من أيام أكتوبر ١٩٥١ وكنت فى رتبة البكباشى وأعمل قائد ثان كتيبة مدافع الماكينة الأولى فى القنطرة شرق اتصل بى اليوزباشى وحيد الدين جودة رمضان وعرض على أن أنضم الى تنظيم الضباط الأحرار الذى وجدت أن منشوراته تعبر بصدق عن أهداف الشعب الحقيقية ، وعلمت من أحمد حمروش بعد ذلك أن هناك ارتباطا بين قسم الجيش فى حدتو وبين الضباط الأحرار وأن هناك نسيجا من العناصر المشتركة ٠

وعلمت أن البكباشى جمال عبد الناصر هو قائد الضباط الأحرار فتوجهت لزيارته فى مصر حيث كان يعمل مدرسا فى كلية أركان الحرب ولم أكن قد قابلته قبل ذلك ٠٠ ومنه علمت بوجود اللواء محمد نجيب وكنت أعرفه حيث كنا نسكن فى منزلين متجاورين فى حلمية الزيتون ٠٠٠ وقد استرحت لذلك ٠

وأصبحت بعد ذلك مسئولا عن منطقة العريش وكانت المجموعة القيادية تضم جمال سالم عن الطيران وعبد المنعم عبد الرؤوف الذى كان منتميا للاخوان المسلمين عن الكتيبة ١٤ وصاغ صلاح نصر ٠٠٠ كما تعرفت بضباط أحرار آخرين فى غزة ورفح وكان أهمهم عبد الحكيم عامر وصاغ صلاح سالم وبكباشى أنور السادات ٠٠٠ كما كان فى كتيبتى يوزباشى عبد المجيد شديد ٠

وقد تعرفت على درجة انتماء عبد المنعم عبد الرؤوف للاخوان من تصريحه لى بذلك واستغراقه فى الصلاة طوال فترة الاجتماع الذى كان يعقد كل يوم أربعاء دون حضور للمناقشات ٠

وحضر في هذه الفترة البكباشي رشاد مهنا ولما كان أقدم مني رتبة واعتقادا مني بأنه مرتبط بالتنظيم فقد اتصلت بجمال عبد الناصر أثناء احدى اجازاتي لأعرف حد مسئوليته وما اذا كان على أن أسلمه قيادة التنظيم ، ولكن جمال طلب مني ألا أسلمه القيادة ولا أطلعه على سير العمل ··· ولكن على ألا أعاديه ·

وكان رشاد منذ حضوره يدعو الى الاصلاح في ظل الظروف القائمة دون الثورة عليها وعلى حد تعبيره نبدأ من (رباط جزمة العسكرى) ··· وهذا الأمر كان متنافرا مع الخط الثورى للبلد كلها ·

وأذكر أنه مر على صدفة أثناء موعد أحد الاجتماعات وحمدت الله أنه لم يحضر أحد من زملائي في المجموعة ··· ولكنه بعد أن خرج تبينت أنهم قد حضروا وأن زوجتي السيدة علية توفيق التي كانت تعلم حركتي وموقفنا منهم قد أخفتهم في غرف المنزل ··· وكثيرا ما قامت زوجتي بحمل المنشورات ·

وهكذا قمت بدوري في قيادة مجموعة الضباط الأحرار في العريش الى أن حدثت حركة تنقلات سافرت فيها الكتيبة ١٣ مشاة الى القاهرة استعدادا للسفر الى السودان ، كما بدأ تحرك كتيبتي (الكتيبة الأولى مدافع ماكينة) الى القاهرة وسافرت مع مقدمتها الى العاصمة يوم ١٣ يوليو ١٩٥٢ على أن تلحق بنا باقي الكتيبة يوم ٢٦ يوليو ·

س ٢ : كيف عرفت بخطة حركة الجيش وكيف نفذتها ؟

ج ٢ : عندما وصلت القاهرة لم يكن موعد الحركة قد تحدد بعد ، ولكن اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار قررت الاسراع تحت ضغط الخوف من اعتقال الملك لهم ··· وأبلغني جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بالخطة في منزل حسين الشافعي ، وكانت مسئوليتي تتلخص في التحرك مع قوات مقدمة الكتيبة التي كانت قد حضرت فقط من العريش بأربعين عربة لورى من الهاكستيب (خلف مطار القاهرة الدولى) لتكون قوة احتياطية عند رئاسة الجيش ·

وأبلغني الضابط زغلول عبد الرحمن بساعة الصفر للخطة التي أطلقنا عليها اسم نصر ، ولكن يبدو أنني أخطأت في السمع فتصورتها الساعة ٢٣٠٠ بدلا من الساعة ٢٤٠٠ ·

ولذا أعددت القوات للتحرك مبكرا ، جمعت العساكر وخطبت فيهم قائلا (انكم ستفخرون بما تعملونه هذه الليلة) ، وكان معى ١٣ ضابطا فى السرية الى جانب الضباط الذين كانوا يحصلون على فرق فى مدارس القاهرة واستدعيتهم ليلتها هم وثلاثة ضباط متخرجين فى الكلية الحربية وكان هذا أول يوم فى خدمتهم العسكرية ٠

كان الصاغ عبد القادر مهنا قد أبلغنى أن اللواء عبد الرحمن مكى قائد الفرقة قد اتصل تليفونيا واستدعى عربته ، ودفعنى هذا الى الحذر وتكليف القوات باشهار السلاح واعتقال أى ضابط فى الطريق من رتبة بكباشى فما فوق ٠

تحركت القوات وأنا فى مقدمتها راكبا عربة جيب ، وتصادف وصول اللواء عبد الرحمن مكى الى باب المعسكر لحظة خروجنا منه فقمت باعتقاله داخل عربته والمسدسات موجهة اليه من عربتى ومن العربة اللورى التى تسير خلفه ، وعند مدخل مصر الجديدة قابلنا الاميرالاى عبد الرؤوف عابدين قائد ثان الفرقة ، الذى اقترب من القول المتحرك سائلا (انتم رايحين فين) ، وأجابه الملازم أول حسن شكرى (طوارىء يا افندم) وسأل عابدين مستفسرا (مع مين) وقال له الضابط (سعادة اللواء فى الامام يا افندم) ، وعندما وصل عابدين وجهت مسدسى عليه ، وأركبته مع مكى تحت الاعتقال وقد اهتزت أعصابى قليلا لانى لم أجد أية قوة تحاصر القاهرة وكانت قوتى هى الوحيدة المتحركة فى الشوارع متجهة الى القيادة ٠٠٠ وتراءى لى فى هذه اللحظة ضرورة الاتصال بجمال عبد الناصر ٠

وكنا قد وصلنا وقتها الى شارع السلطان حسين حيث التف الجنود حول اثنين فى ملابس مدنية ، ودهشت عندما وجدتهما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وقلت لهما (ايه الصدف السعيدة دى ٠٠ رايحين فين) ٠

ـ رايحين لك ٠٠

ـ خير ٠

ـ السراى أخذت خبر وهناك اجتماع فى رئاسة الجيش للقيام بعمل مضاد ٠

وقلت عفو الخاطر ودون تردد :

ـ اذن تبقى فرصة للقبض عليهم كلهم ٠

وتحرك القول مرة ثانية وأعددت خطة سريعة تقضى بالآتى :

فصيلة تقطع الطريق عند مستشفى الجيش ٠

فصيلة تقطع الطريق عند كوبرى السيوفى (خدمة الجيش) ٠

فصيلة تقتحم الرئاسة ٠

ولا داعى للاحتياطى مطلقا ٠٠٠ فقد كان معى ٦٠ جنديا فقط ٠
وعندما وقفت بعربتى نزل الجنود ووقفوا صفوفا منتظمة فطلبت منهم الجرى خطوة سريعة من يسار الطريق ٠

وهنا ظهر الاميرالاى أحمد سيف اليزل خليفة فاعتقلته مع مكى أيضا وتركت سائقى حرسا على الضباط الثلاثة طالبا منه اطلاق الرصاص اذا بدرت منهم أية حركة ٠

وخلال ذلك كله كان جمال وحكيم يقفان بملابسهما المدنية فى المكان الذى أقيم فيه الجامع الآن ٠

قمت باقتحام الرئاسة بفصيلة وتبادلنا اطلاق النيران مع الحرس الذى نفذت ذخيرته سريعا وظهر الذعر على أفراده فناديت عليهم :

ـ أرضا سلاح ٠

ثم ناديت عليهم (خلفا در) ليكون وجههم الى الحائط وتركت عليهم حرس عسكرى واحد بالسلاح ٠

وفى هذه اللحظة التى كنت مشتبكا فيها مع الرئاسة سمعت صوت رصاص ووجدت أن فصيلتنا المتجهة لكوبرى السيوفى قد قابلت ٥٠ عسكرى بوليس حربى كانت الرئاسة قد استدعتهم فأسرتهم ٠

وجدت أن عساكرى قد قلت جدا بعد تعيين الحراسات وتفتيش الدور الأول وأنا أريد الصعود الى الدور الثانى ٠

وفى هذه اللحظة وجدت (٢٠ عسكرى) من مركز تدريب المشاة مع صاغ حسن الدسوقى قد وصلوا فى الوقت المناسب قبل الصعود للدور الثانى ٠

كان هناك شاويش يقاوم على السلم ونصحته بالابتعاد فلم يستجب فضربته بطلقة فى رجليه ومضيت الى أعلى ٠

وجدت غرفة رئيس أركان الحرب مغلقة وخلف بابها مقاومة فتراجعت للخلف خطوتين وانهمر الرصاص من الجنود على الباب ،

واقتحمنا الغرفة فوجدت اللواء حسين فريد واللواء حمدى هيبة وضابط نائب أحكام واقفين وهم رافعون مناديل بيضاء ٠

كان اللواء حسين فريد رابط الجأش وقد بادرني بقوله :

ـ ليلتك سعيدة يا يوسف ٠

وقلت لـه :

ـ ليلتك سعيدة يا افندم ٠٠٠ أنا طلبت مقابلة سعادتك من سنة وآسف أن تكون هذه هى فرصة اللقاء ٠

وطلبت منه التحرك فاستجاب فى احترام وشـجاعة ، وسـلمته لليوزباشى عبد المجيد شديد لنقله الى المعتقل فى الكلية الحربية المواجهة لمبنى القيـادة ٠

وبعد عودتى من توصيلهم حتى الباب الخارجى ، وجدت شاويش من البوليس الحربى الذى أسرناه وكنت أعرفه من السودان يقول لى :

ـ انت يا افندم ماسيكنا ليه ٠٠٠ هوه احنا من اسرائيل ٠

وأفرجت عنهم وأصبحوا من قوتنا ٠

وجلست بعد ذلك فى مكتب اللواء حسين فريد مع الصـاغ حسن الدسوقى حيث عرفت لحظتها اننى خرجت مبكرا ساعة عن الموعد المحدد فى الخطة ، وكنت وقتها ثائرا لانى لم أجد مخلوقا فى الطريق ٠

وبعد الانتهاء من احتلال القيادة جاء أحد الجنود يبلغنى أن هنـاك ضابطا يطلب مقابلتى اسمه جمال عبد الناصر ، ودخل هو وعبد الحكيم عامر ، ثم توافد الضباط الآخرون بعد ذلك عندما بدأت تتحرك القوات والوحدات الأخرى ٠

وهكذا مضت ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

س ٣ : كيف مضت صلتك بحركـة الجيش ؟

ج ٣ : لم أكن أعرف أسماء قيادة تنظيم الضـباط الاحرار ، وبعد انتصار الحركة لاحظت أن اجتماعات تعقد ولا أدعى اليها ولم أهتم بذلك لانى لم أتحرك من أجل هـدف شخصى ٠٠٠ الى أن دعيت لاجتماع فى غرفة الاجتماعات ولاحظت وجود جمال سـالم الذى كان تابعـا لى فى العريش ٠

عندمـا دخلت وقفوا جميعا وصفقوا وقال جمال سالم :

ـ نحن نفخر بانضـمامك لمجلس القيادة ··· ولكننا هنا متفقون بالاجماع على أن يكون جمال عبد الناصر رئيسا ·

وكان جمال أحدث منى رتبة وأصغر عمرا ··· ولكنى قلت :

ـ ليس مهما من هو الرئيس ··· المهم أن تنتهى المسألة ونطمئن عـلى الانتصـار ·

ودخلت مجلس القيـادة ··· ولاحظت من الأيـام الأولى بـداية انحرافهم ، وكانت صدمتى الأولى اعـدام خميس والبقرى رغـم عـدم الموافقة الجماعية للمجلس فقد عارضت ذلك مع خالد محيى الدين وجمال عبد الناصر ·

وعندما ذكرتهم بما كان يكتب فى منشورات الضباط الاحرار قـال بعضهم (انسى المنشورات ··· الظروف تغيرت) ·

وكانت مقابلتى الأولى لخـالد محيى الدين فى اجتماعـات مجلس القيادة رغم انه كان يضمنا تنظيم واحد هو قسم الجيش فى (حدتو) ·

ولاحظت أن اجتماعات جانبية تعقد يتفق فيها على تفاصيل تشكيل الوزارة ، أو رفع أسعار السجاير ··· كما لاحظت عدم تدوين محاضر الجلسات تفصيليا ، وانهم قسموا المجلس الى لجان ووزعوا بعضـهم على الوزارات بطريقة ارتجالية ، وقرروا عزل أحمد حمروش من رئاسة تحرير مجلة التحرير ·

حاولت معارضة ذلك ومقاومته ولكنى وجدت محمد نجيب ينادينى قائلا (يوسف سـتالين) ، ويحول الأمور الجادة الى نوع من الدعابة ، وكانت معرفتى به قديمة منذ تجاورنا فى السكن بحلمية الزيتون ·

وكان جمال عبد الناصر أيضا قد اكتشف علاقتى بالحركة الشيوعية عندما لاحظ معرفتى السـابقة وعلاقتى بأحمـد فـؤاد ، وكذلك عندمـا قابلت عنده الشاعر كمال عبـد الحليم الذى عانقنى فى حضـور جمـال وعبد الحكيم ··· وبذا كشفت سريتى ·

وبدأت تتنافر وجهات نظرى مع أعضاء القيادة حول أسلوب الحكم ، وصدور قوانين تنظيم الاحزاب ثم حلها والغاء الدستور واعادة الرقـابة على الصحف ، واعتقال ضـباط المدفعية وبينهم زميلى أحمـد حمروش ودخولهم السجن بملابسهم الرسمية ·

قررت الاستقالة لعدم موافقتى على سـياسة المجلس ، وناقشنى أحمد فؤاد كثيرا فى الرجـوع عن ذلك ، ولكنى أصررت فلم يكن ممكنا لضميرى تحمل وزر الاجراءات المرتجلة غير الديموقراطية .

قرر المجلس بعد قبول الاستقالة ضرورة سفرى الى الخارج .

سافرت فى مارس ١٩٥٣ بعد أن أمضـيت فتـرة فى أسـوان ... سافرت الى سويسرا ومنها الى لبنان فى يونيو حيث قضيت ثلاثة شهور ثم طلبت العودة فرفضوا ، وأرسلوا لى زوجتى وأولادى .

ولكنى عدت سرا وفجأة فى شهر أغسطس حيث سافرت الى بلدى (الواسطى) وأرسلت برقية الى محمد نجيب أقول له فيها (أنا وصلت مصر) .

حددوا اقامتى فى البلد ثم حضرت الى مصر محـدد الاقـامة حتى اعتقلت فى ابريل ١٩٥٤ بعد فترة حرية نسبية خلال أزمة مارس ، هى التى كتبت خلالها فى جريدة المصرى مطالبا بتشكيل وزارة برئاسـة وحيد رأفت تضم الوفد والشيوعيين والأخوان والاشتراكيين (مصر الفتاة) لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد .

واعتقلت زوجتى فى نفس الشهر أيضا ، وقد أمضيت فترة فى سجن الاجانب ثم نقلت الى السـجن الحربى حيث وجـدت الاميرالاى أحمـد شوقى وعدد من ضباط الأخوان مثل عبد المنعم عبد الرءوف ومعـروف الحضرى وأبو المكارم عبد الحى وحسين حمودة ، وكانت الفوضى متمثلة فى اعتقال الأخوان الى الحد الذى كانوا يوزعون فيه أوراقا على المساجين لتسجيل أسمائهم وتواريخ حضورهم .

أمضيت سنة وشهرا فى السجن الحربى حتى مايو ١٩٥٥ ، وكان أحمد أنور قائد البوليس الحربى قد حضر لى بقرار افراج فى مارس ١٦٥٥ فسألته عما اذا كان قد صدر قرار بالافراج عن زوجتى ، فاعتبر هذا املاء لشروط .

أوحوا الى أنهم متمسكون بالافراج عنى دون شروط على وعد بأن يفرجوا عنها خلال أسبوع ، وقد أفرجوا عنها بعد خروجى بيومين فعلا .

ظلت اقامتى محددة حتى عام ١٩٥٦ حيث احلت الى المعـاش ، وبقيت فى المعاش حتى هذه اللحظة .

س ٤ : الم يكن ممكنا لك الصبر والنضال من اجل اهدافك فى صفوف مجلس القيادة ؟ ٠

ج ٤ : لا ٠٠ لم يكن ذلك أمرا سهلا ٠

لاحظت أن هناك اتجاها معاديا للديموقراطية والتقدم يستحيل توفيق الاراء معه ٠

وعلى سبيل المثال ، وأثناء محاولة كنت أقوم بها لتجميع الأخوان والشيوعيين للعمل تحت قيادة الثورة وخاصة فى الجامعة ، فوجئت بأن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يحضران لى فى منزلى بثكنات العباسية الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ليبلغانى ان السفارة الأمريكية لم تنم قلقا من اتحاد جبهة الطلاب فى الجامعة ٠

وأذكر أننى خطبت يوما فى بنى سويف وكان معى الوزيران عبد العزيز على وفتحى رضوان وقلت يومها (ان الثورة لا شرقية ولا غربية ولكنها مصرية) ٠

كانت الاذاعة قد سجلت الخطبة ولكنها لم تذع ٠

وحضر لى جمال عبد الناصر ليلتها متسائلا :

انت عملت ايه فى بنى سويف ٠٠ السفارة الأمريكية متضايقة ؟ ٠

هذه المواقف وغيرها التى تعرض لها الزملاء بالاعتقال واصرار المجلس على حل الاحزاب والغاء الدستور ومصادرة الحريات وانهاء الديموقراطية البرلمانية ، جعلت فرصة تعاونى مع المجلس محدودة تماما ، بل ومعدومة ٠

وخشيت أن يسجل التاريخ يوما أنى كنت عضوا فى مجلس يهدر الحريات ، ويعدم العمال ، ويعتقل الاحرار ٠

توضيح ..

بعد هذه الأحاديث التى أدلى بها شهور ثورة يوليو يتبقى شىء واحد ... هو تسهيل ربط هذه الأحاديث بالقضايا الهامة التى عاصرت الثورة .. وذلك حتى يمكن للقارىء أو الباحث أن يعود اليها فى يسر وسهولة .

وقد وضعت كل قضية نوعية اسم الشاهد الذى تعرض لها ورقم السؤال الذى وردت فى اجابته شهادته عنها .

● **الصلات السياسية للضباط قبل حركة الجيش :**

أحمد أنور :	١ ـ ٢
أحمد حمروش :	١ ـ ٢
أحمد فؤاد :	١ ـ ٢ ـ ٣
أحمد قدرى	١
أحمد لطفى واكد	١
أمال المرصفى :	١
توفيق عبده اسماعيل :	١
ثروت عكاشة :	١
حسن ابراهيم :	١
حسن فهمى عبد المجيد :	١
خالد محيى الدين :	١
سعد كامل :	١
سعيد حليم :	١
شوقى فهمى حسين :	١
عبد اللطيف البغدادى :	١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨
عبد المجيد نعمان :	١
عبد المنعم الصاوى :	١
عبد المنعم أمين :	١
فؤاد حبشى :	١
فتح الله رفعت :	١
فتحى خليل :	١
فتحى رضوان :	١

فؤاد سراج الدين : ١ ـ ٢
كمال رفعت : ١
كمال حسين : ١
مجدى حسنين : ١
محسن عبد الخالق : ١
محمد أبو الفضل الجيزاوى : ١
محمد أبو نار : ١
محمد توفيق عبد الفتاح : ١
محمد رياض : ١
محمد وجيه أباظة : ١
محمد نجيب : ١
مصطفى مرعى : ١ ـ ٢ ـ ٣
مراد غالب : ١
يوسف صديق : ١

● حالة الجيش قبل الثورة وبعدها :

احمد كامل : ١
توفيق عبده اسماعيل : ١
حسن ابراهيم : ١
حسن فهمى عبد المجيد : ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤
حسين عرفه : ١
عبد اللطيف البغدادى : ١ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٩
عبد المحسن مرتجى : ١
عبد المنعم النجار : ١
عبد المنعم أمين : ١
فؤاد سراج الدين : ١
فـؤاد هــلال : ١
مجدى حسنين : ١
محسن عبد الخالق : ١
محمد أحمد البلتاجى ١
محمد توفيق عبد الفتاح : ١
ضابط فى البوليس السياسى : ١ ـ ٢
يوسف صديق : ١

● الضباط الأحرار .. تحضيرات حركة الجيش :

● من ليلة ٢٣ يوليو ·· الى خروج الملك :

● ثورة يوليو ·· والكفاح ضد الاستعمار

★ نهاية الضباط الأحرار :

★ مسئوليات مدنية للضباط :

● خلافات مجلس قيادة الثورة :

كمال حسين : ٦
محمد أبو نار : ٤
محمد رياض : ٣
محمد نجيب : ٨
يوسف صديق : ٣

● دور أجهزة الأمن :

حسن عرفة : ٣ ـ ٤ ـ ٥
سعيد حليم : ٢
صلاح نصر : ٥
عبد المنعم النجار : ٢

● التنظيمات الشعبية للثورة :

ابراهيم الطحاوى : ٢
ابراهيم سعد الدين : ٢
أحمد فؤاد : ٤
احمد كامل :
حسين عرفة : ٦
كمال رفعت :
محمد ابو نار : ٣
محمد أبو الفضل الجيزاوى : ١
محمود أمين العـالم :

★ أزمة مارس ١٩٥٤ :

ابراهيم الطحاوى : ٢
احمد انور : ١
احمد حمروش : ٤
امال المرصفى : ٥
توفيق عبده اسماعيل : ٤
حسن ابراهيم : ٤ ـ ٥
خالد محيى الدين : ٤

صلاح نصر : ٤
طلعت حسين : ١
كمال رفعت : ٥
مجدى حسنين : ٤
محمد أبو الفضل الجيزاوى :
محمد رياض : ٤ ـ ٦
محمد نجيب : ١١

★ العدوان الثلاثى ١٩٥٦ :

أحمد لطفى واكد : ٨ ـ ٩
أمين هويدى : ١
٥
زكريا العادلى امام : ٣
صلاح نصر : ٤
عبد اللطيف البغدادى ١٩
عبد المحسن مرتجى : ٢
فؤاد هلال : ٢
كمال رفعت :
محمد أبو نار :
محمد أحمد البلتاجى : ٣
محمد توفيق عبد الفتاح : ٣
محمد رياض : ١ ـ ٢
منير موافى : ١

● الشيوعيون والثورة :

ابراهيم سعد الدين : ١
احمد حمروش : ٤
أحمد فؤاد : ٣ ـ ٤
حسين عرفة : ١ ـ ٢
زكى مراد : ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤
سعد كامل : ١
فتحى خليل : ١
فؤاد حبشى : ١

● الوفـد ·· والثـــورة :

● محاكمات الثورة :

★ اعتقالات ومحاكمات الضباط :

★ عدوان يونيو ١٩٦٧ :

حسن ابراهيم :	١١
صلاح نصر :	٧ ـ ٨
كمال رفعت :	١٠ ـ ١١
محمد صدقى سليمان :	٣

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٢٣٤ / ١٩٩٢

ISBN — 977 — 01 — 3150 — 4



ثــورة ٢٣ يوليــو

أحمد حمروش

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار الذين شاركوا فى صنع ثورة ٢٣ يوليو تحت قيادة جمال عبد الناصر .

وكان يعمل بالكتابة وهو ضابط فى المدفعية بالجيش المصرى ... فكتب مقالات فى جريدة الأهرام والفصول .. وأصدر ورأس تحرير مجلة (التحرير) أول مجلة لحركة الجيش صدرت فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ ، ومن بعدها أصدر ورأس تحرير مجلة الهدف عام ١٩٥٥ ، والكاتب عام ١٩٦١ ، وروزاليوسف عام ١٩٦٤ ، وأصدر ١٥ كتابا فى السياسة والقصة والمسرح وأدب الرحلات .

تعد دراسته عن ثورة ٢٣ يوليو التى تصدر فى ثمانية أجزاء أكبر أعماله حيث تتميز برؤيته كأحد جنود ثورة يوليو ، وهى حصيلة جلسات حوار طويلة مع زملائه الذين شاركوا فى صنع الثورة ، وتحملوا مسئولية مسيرتها ، ومع السياسيين الذين عايشوا أحداثها الكبرى .

والجزء الثانى الذى يصدر عن هيئة الكتاب يضم ثلاثة أجزاء هى شهود ثورة يوليو ، وخريف عبد الناصر ، غروب يوليو .... ويعقبه جزء آخر يضم قصة يوليو الديمقراطية ... قصة يوليو الاشتراكية .



٢٣٥٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب